

UNIVERSAL
LIBRARY

OU-234029

UNIVERSAL
LIBRARY

﴿فهرست الحزبة الثالثة من تفسير القرآن المجيد المسمى لباب التأويل﴾

صحيحة

- ٢ (تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام)
- ٩ ذكر قصة ذهاب اخوة يوسف بيوسف عليه الصلاة والسلام
- ٦٣ (تفسير سورة الرعد)
- ٧٣ فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة (أى قوله تعالى والله سبحانه في السموات والارض الآتية)
- ٩١ (تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)
- ١١٥ (تفسير سورة الحجر)
- ١٢٠ فصل اختلاف العلماء هيل كانت الشياطين ترمى بالنجيم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين
- ١٣٩ (تفسير سورة النحل)
- ١٤١ فصل احتج بهذه الآية من يرى تحريم محوم الخيل (أى آية والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)
- ١٧٩ فصل فى حكم الآية (أى قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان)
- ١٨٩ فصل اختلاف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين (أى قوله تعالى ادع الى سبيل ربك الآية)
- ١٩٠ (تفسير سورة الاسراء)
- ١٩١ فصل فى ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه
- ١٩٦ فصل قال البغوى قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخارى ومسلم فى كتابيهما شيئاً لا يحتج بمخرجا الاحديث شريك بن أبى غر عن أنس
- ١٩٧ فصل فى شرح بعض الفاظ حديث المعراج وما يتعلق به
- ١٩٩ فصل فى ذكر الآيات التى ظهرت بعد المعراج الذلة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق احاديث تتعلق بالاسراء
- ٢٠٢ ذكر القصة فى هذه الآيات (أى الآيات التى أولها وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب)
- ٢١٣ فصل فى ذكر الاحاديث التى وردت فى بر الوالدين
- ٢٤٣ (تفسير سورة الكهف)
- ٢٤٥ ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه
- ٢٨٢ (تفسير سورة مريم عليها السلام)
- ٣٠٦ (تفسير سورة طه)
- ٣٢٧ الكلام على معنى الحديث وشرحه (أى الحديث احتج آدم وموسى الخ)
- ٣٢٧ فصل فى بيان عصمة الانبياء وما قبل ذلك

تخفيف

- ٣٣٢ تفسير سورة الانساء عليهم الصلاة والسلام
 ٣٤٥ ذكر القصة في ذلك (أى قوله تعالى قالوا احرقوه وانصروا آلهمكم الآية)
 ٣٥١ ذكر قصة أيوب عليه السلام
 ٣٦٦ (تفسير سورة النج)
 ٣٩٠ فصل في حكم سجود التلاوة هنا (أى فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا للآية)
 ٣٩٢ (تفسير سورة المؤمنين)
 ٤٠٨ (تفسير سورة النور)
 ٤٣٣ فصل في بيان التمثيل المذكور في قوله تعالى الله نورا السموات والارض الآية
 ٤٤٧ (تفسير سورة الفرقان)
 ٤٦٦ (تفسير سورة الشعراء)
 ٤٨٧ فصل في مدح الشعر
 ٤٨٨ (تفسير سورة النمل)
 ٥١٤ (تفسير سورة القصص)
 ٥١٦ ذكر القصة في ذلك (أى قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى الخ)
 ٥٣٦ ذكر قصة قارون
 ٥٤٠ (تفسير سورة العنكبوت)
 ٥٥٥ (تفسير سورة الروم)
 ٥٦٨ (تفسير سورة لقمان)
 ٥٧٦ (تفسير سورة السجدة)
 ٥٧٩ فصل في فضل قيام الليل والحث عليه
 ٥٨٣ (تفسير سورة الاحزاب)
 ٥٨٧ ذكر غزوة الخندق وهى الاحزاب
 ٥٩٨ ذكر غزوة بني قريظة
 ٦٠٤ فصل في حكم الآية (أى قوله تعالى يا أيها النبي قل لاؤوا بجلان كنتم تردن الحيوة الدنيا والآية)
 ٦٠٩ فصل فان قلت ما ذكره في تفسير هذه الآية (أى قوله تعالى واذا تقول الذى أنعم الله عليه الخ)
 ٦١٩ فصل في تفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها
 ٦٣٥ فصل في الامانة
 ٦٢٦ (تفسير سورة سبا)
 ٦٤١ (تفسير سورة قاطر تسمى سورة الملائكة)
 * (عت) *

الجزء الثالث من تفسير القرآن المجليل المسمى باب التأويل في معاني
 التنزيل تأليف الشيخ الامام الحجة المقدم العلامة قدوة الامة
 وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء
 الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
 الصوفي المعروف بالخازن
 تغمده الله برحمته
 آمين

وقد حل على هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق
 التأويل تأليف الشيخ الامام المجليل القدوة السيد العلامة أبي البركات عبد الله
 ابن أحمد بن محمود النسفي عليه سبحانه الرحمة والرضوان

﴿سورة يوسف عليه السلام﴾
وهي مائة وأحدى عشر آية
شامي وانتداء عشرة مكي

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(الزناك آيات الكتاب المبين)

ثلاث اشارة الى آيات هذه السورة
والكتاب المبين الدورية

ثلاث الايات التي انزلت اليك
في هذه السورة آيات السورة

الناظر امرها في اعجاز الدرب
أو التي تبين لمن تدبرها الناهن

عند الله لامن عند البشر أو
الوفقة التي لا تنبه على العرب

معاني الزوف بالانهم أو قد
أبين فيها ما سألت عنده الورد

من قصة يوسف عليه السلام
فتدري أن علماء الزود قالوا

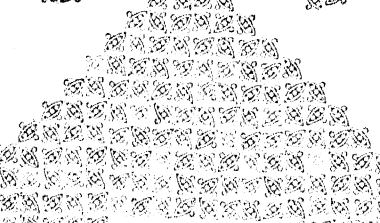
للمشركين سلوا عند الم انقل آل
يعتوب من الشام الى مصر ومن

قصة يوسف عليه السلام (أنا)
أرلناه قرأنا عريا) أي أنزلنا

هذا الكتاب الذي فيه قصة
يوسف عليه السلام في حال كونه

قرأنا عريا أو سمى بعض القرآن
قرأنا عريا أو سمى بعض القرآن

تلقوا بعضه
تلقوا بعضه



بسم الله الرحمن الرحيم

(تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام)

وهي مكية باجماعهم وهي مائة وأحدى عشر آية ألف رسمتها كل وبعة آلاف
وما تقوسه فوسه ونحرفا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وفي سب نزولها قولان
أحدهما روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلاه عليهم زمنا فثار امارا رسول الله فوجدت عايشة فأنزل الله عز وجل
الله نزل أحسن الحديث فثابوا ما روى الله فوجدت عايشة فأنزل الله تعالى الزناك
آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص القول الثاني رواه
الطحاوي عن ابن عباس قال سألت الزود النبي صلى الله عليه وسلم فثابوا احد ثمانين أمر
يعتوب ويؤيده شأن يوسف فأنزل الله عز وجل الزناك آيات الكتاب المبين الايات
الزناك ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أولها عز وجل (الر) تقدم تفسيره في أول سورة يوسف عليه السلام (ثناك)
انما الى آيات هذه الدورية أي ثلاث الايات التي انزلت اليك في هذه السورة المسماة
بالزناك (آيات الكتاب المبين) وهو القرآن أي المبين حلالا ومحرما وحقوقا وأحكاما
وقال قتادة مبين بيته الله بركته هو هذا ورشده فهذا من بان أي ظاهر وقال الزجاج مبين
الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من بان أي أظهر وقيل انه مبين فيه قصص
الاولين وشرح أحوال المتقدمين (ان أنزلناه) يعني هذا الكتاب (قرأنا عريا) أي

(اعلمكم تعقلون) لكي تفهموا معانيه وواجب ان تقرأنا نعلمها قالوا لولا قصات آياته (نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن البيان والتفصيل الذي يأتي بالنافعة على حقيقة ٣ عن الزجاج وقبل القصص يكون مصدره بمعنى

الاقتصاص تقول قص الحديث يقتضيه قصصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كالنقض والحسب فعل في الأول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا اليك هذا القرآن) أي بما أوحينا اليك هذه السورة على ان يكون أحسن منصوص بانصب المصدر لاضافته اليه وانقص مذكور لان بما أوحينا اليك هذا القرآن معن عنه والمراد بأحسن الاقتصاص انه اقتص على اربع عشرة سورة وأجيب أسلوب فائق لا ترى اقتصاصه في كتب الاقران معقار بالاقصاصة في القرآن وان أريد بالانقص المتصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الاحاديث وانما كان أحسن لما يقص من العبر والحكم والعيان التي ليست في غيره وانما نأمره احسن ما يقتص في باب كماله فلان أعلم الناس أي في عنه واشتقاق القصص من قص أي أخرج لان الذي يقتص الحديث يتبع محافظه منه شيء أو شيئا (وان كنت من قبله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (من الغافلين) عنه ان شفقة من التثنية واللام فارقة بينهما بين النافعة يعني وان الشان والحديث كنت

أنا نأمر بالاعتصام لكي تعلموا معانيه وواجب ان تقرأنا نعلمها قالوا لولا قصات آياته (نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن البيان والتفصيل الذي يأتي بالنافعة على حقيقة ٣ عن الزجاج وقبل القصص يكون مصدره بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقتضيه قصصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كالنقض والحسب فعل في الأول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا اليك هذا القرآن) أي بما أوحينا اليك هذه السورة على ان يكون أحسن منصوص بانصب المصدر لاضافته اليه وانقص مذكور لان بما أوحينا اليك هذا القرآن معن عنه والمراد بأحسن الاقتصاص انه اقتص على اربع عشرة سورة وأجيب أسلوب فائق لا ترى اقتصاصه في كتب الاقران معقار بالاقصاصة في القرآن وان أريد بالانقص المتصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الاحاديث وانما كان أحسن لما يقص من العبر والحكم والعيان التي ليست في غيره وانما نأمره احسن ما يقتص في باب كماله فلان أعلم الناس أي في عنه واشتقاق القصص من قص أي أخرج لان الذي يقتص الحديث يتبع محافظه منه شيء أو شيئا (وان كنت من قبله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (من الغافلين) عنه ان شفقة من التثنية واللام فارقة بينهما بين النافعة يعني وان الشان والحديث كنت

من قبل انما نأمر اليك من الجاهلين به (اذ قال) بدل اسمع من أحسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص والاعتذار اذ كذا قال (يوسف) اسم عبري لا عربي اذ كان عربيا لا يعرف الحلو عن سبب آخر سوى التعريف (باليه)

يعقوب (باب ١) أت شامى وهى ناء تأندث عوضت عن باء الاضافة لتناسبها لان كل واحدة منهما زائدة في آخر الاسم ولذا قلبت هاء في الوقف وجاز الحاق ناء التأندث بالند كركب في رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الالفمن ياءتواستبقى الفتحة ٤ قبلها كما فعل من حذف الياء في ياغلام (انى رأيت) من الرؤيا لامن

الرؤية (أحد عشر كوكبا) اسماءها ببيان النبي عليه السلام خريان والذبال والطارق وقابس وعودان والفليق والمصيح والضروح والفرغ ومواب وذوالكتفين (والشمس والقمر) هما أبواه وابوه وخالته والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر واجريت بحرى العتلاء في (رأيتهم لى ساجدين) لانه وصفه بعباده والمختص بالعبادة وهو السجود وكررت الرؤيا لان الاولى تتعلق بالذات والثانية بالحال والثانية كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابه لانه أباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لى ساجدين أى متواضعين وهو حال وكان ابن نثى عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف وصبر اخوته اليه أربعون سنة أو عثانون (قال يابنى) بالفتح حيث كان حصص (لانه حصص رؤياك) هى بمعنى الرؤية لانها مختصة بما كان منها في المنام دون البقطة وقرى بين ساجد في التأييد كما في القرية والتربى (على اخوتك)

اسم عبرى ولذلك لا يجرى فيه انصرف وقيل دوعرى سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الأسف أشد الحزن والأسف العبد واجتمعا في يوسف فسمى به (باب ١) رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) معناه قال أهل التفسير رأى يوسف في منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فيجدوا وهو كانت هذه الرؤيا ليلية الجمعة وكانت ليلة القدر وكان الخيول في التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كى يستضاء بالجوم والشمس أبوه والقمر أمه في قول قتادة وقال السدى النمر خالته لأن أمه راحيل كانت قد ماتت وقال قتادة وابن جرير القمر أبوه والشمس أمه لأن الشمس مؤنثة والقمر مذكور وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنتى عشر سنة وقيل سبع عشر سنة وقيل سبع سنين وأراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره وقيل أراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان الخيفة فمما بينهم السجود فان قلت ان الكواكب ساجد لا تعقل فكيف يعبر عنها بكنائىة من يعقل في قوله رأيتهم ولم يقل رأيتهم قولة ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما أخبر عنها بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكنائىة من يعقل فهو كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمخيمين يزعمون ان الكواكب أحياء ناطقة حساسة فيخبرون بعبر عنها بكنائىة من يعقل وهذا القول ليس بشئ والاول أصح فان قلت قد قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم أعاد لفظ الرؤيا ثانيا فقال رأيتهم لى ساجدين فما فائدة هذا التكرار قلت معنى الرؤيا الاولى انه رأى أجزام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية انه أخبر بسجودها وقال بعضهم معناه انه لما قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر فكانه قيل له وكيف رأيت قال رأيتهم لى ساجدين وانما أفر دالشمس والقمر بالذكور وان كان من جملة الكواكب للدلالة على فضلها وشر فها على سائر الكواكب قال أهل التفسير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديد المحبة ليوسف عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان ناولها ان اخوته وابويه يخضعون له فهذا (قال) يعقوب (يا بنى) لا تنقص رؤياك على اخوتك) يعنى لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون ناولها (فيكيدوا لك كيذا) أى فيقتلوا فى اهلاك قائمه بكتبان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحى وحق واللام في فيكيدوا لك كيذا تأكيد لصلته كقولك نحتك ونحت لك وشكرت لك وشكرت لك (ان الشيطان للانسان عدو مبين) يعنى انه بين العدو لان عداوته قديمة فهم ان أقدموا على الكيد

كان
فيكيدوا لك) جواب النبى أى ان قصصها عليهم كادوك عرف يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه للنبوته
وشرع عليه شرف الدارين تخاف عليه حسد الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فيكيدونى لانه ضمن معنى فعل يتعدى
باللام لا فيكيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضارع فيكون آكدوا بلعنى التخويف وذلك تخويفا لوالاك لا ترى الى
نأ يكيدوا بكيدوهو (كيدان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العدو فيكيدهم على الحسد والكيد

كان ذلك مضافاً إلى تزيين الشيطان وووسوسته (ق) عن أبي قتادة قال كنت أرى الرؤيا
 تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا بالاصحاح من الله والرؤيا
 السوء من الشيطان فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب وإذا رأى أحدكم
 ما يكره فليقل عن ساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فإنها لن تضره
 (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا
 رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنها من الله فليحمد الله عليها ولا يحدث بها وإذا رأى غير ذلك مما
 يكره فأنما هي من الشيطان فليست تعد بالله من الشيطان ومن شرها ولا يدكرها لأحد فإنها
 لن تضره (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا رأى أحدكم
 الرؤيا يكرهها فليقل عن ساره ثلاثاً وليست تعد بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً
 وليتحول عن جنبه الذي كان عليه عن أبي زرير العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم رؤيا المؤمن جزء من أربعين وفي رواية جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وهي على
 رجل طائر ما يحدث بها فإذا حدث بها سقطت قال واحد حسبه قال ولا يحدث بها إلا ليلاً
 أو حيناً أخرجه الترمذي ولا يداود وخوفه قال الشيخ محيي الدين النووي قال المازري
 مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا أن الله تعالى يخلق في قلب الناس اعتقادات كما
 يخلقها في قلب البهائم وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنع نوم ولا يقظة فإذا
 خلق هذه الاعتقادات فكأنه يجعلها على أمور أخر يجعلها في مآلئ الحال والجميع
 خلق الله تعالى ولو كان يخلق الرؤيا بالاعتقادات التي يجعلها على ما يشرع
 حضرة الشيطان فإذا خلق ما هو على ما يشرع يكون بحضرة الشيطان فينسب إلى
 الشيطان محارواً وان كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم
 الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيئاً بالرؤيا باسم المحبوب
 والحلم اسم للمكره وقال غيره إضافة الرؤيا المحبوبة إلى الله تعالى إضافة شريف
 بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعاً من خلق الله وتدبيره وإرادته ولا فعل للشيطان
 فيها ولو كانتا بحضرة المكروهة ويرتضيها فيستحب إذا رأى الرجل في منامه ما يجب أن
 يحدث به من يحب وإذا رأى ما يكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن
 شرها وليقل ثلاثاً وليتحول إلى جنبه الآخر فإنها لا تضره فإن الله تعالى جعل هذه
 الأسباب سبباً لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سبباً لوقاية المال وغيره من البلاء
 والله تعالى أعلم قوله (وكذلك يجتنبك ربك) يعني يقول يعقوب ليوسف عليه الصلاة
 والسلام أي وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا بالشرقة العظيمة كذلك يجتنبك ربك يعني
 يصطفيك ربك واجتباء الله تعالى العبد تخصيصه بأية يفيض الهى تحصل له منه أنواع
 الكرامات بلا سعي من العبد وذلك يختص بالأنبياء أو ببعض من يقار بهم من الصديقين
 والشهداء والصالحين (ويعلمك من تأويل الأحاديث) يعني به تعبير الرؤيا باسمي تأويل
 لأنه يؤمل أمره إلى ما رأى في منامه يعني يعلمك تأويل أحاديث الناس فيما يروونه في منامهم
 وكان يوسف عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل أحاديث

(وكذلك) ومثل ذلك الاجتباء
 الذي دلل عليه رؤياك
 (يجتنبك ربك) يصطفيك
 والاجتباء والاصطفاء افعال
 من جبت الشيء إذا حصلته
 لنفسك وجبت الماء في المحوض
 جمعه (ويعلمك) كلام مبتدأ
 غير داخل في حكم التشبيه كأنه
 قيل وهو يعلمك (من تأويل
 الأحاديث) أي تأويل الرؤيا
 وتأويلها عبارتها وتفسيرها
 وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا
 أو تأويل أحاديث الأنبياء
 وكتب الله وهو اسم جمع
 للحديث وليس بجمع أحذونه

(وَبِمَنْعَتِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ) ٦ بَانَ وَصَلَ لَهُمْ نِعْمَةُ الدُّنْيَا بِنِعْمَةِ الْآخِرَةِ أَيَّ جَعَلَهُمْ أَنْبِيَاءَ فِي الدُّنْيَا وَمُلُوكًا

وَنَقَلَهُمْ عَنْهَا إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْجَنَّةِ وَآلِ يَعْقُوبَ أَهْلُهُ وَهُمْ نَسْلُهُ وَغَيْرُهُمْ وَأَصْلُ آلِ أَهْلِ بِدَلِيلٍ تَصْغِيرُهُ عَلَى أَهْلِ آلَانِهِ لَا يَسْتَعْمَلُ الْإِفْعِنْ لَهُ خَطَرٌ يُقَالُ آلُ النَّسِيِّ وَآلُ الْمَلِكِ وَلَا يُقَالُ آلُ الْحَنَامِ وَلَكِنْ أَهْلُهُ وَآغَا عَلَيْهِ يَعْقُوبُ إِنْ يَوْسُفَ يَكُونُ نَبِيًّا وَآخُوته أَنْبِيَاءَ اسْتَقْدَلَا بِضَوْءِ الْبُكْرَا كَبَ فَلَمَّا قَالَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ (كَأْتَمَّهَا عَلَى أَبُولِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَرَادَ الْجَدُّ وَأَبَا الْجَدِّ (أَبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ) عَظْفَ بَيَانٍ لِأَبُولِكَ (أَنْ رُبَّكَ عَلِيمٌ) يَعْلَمُ مَنْ يَحْقُقُ لَهُ الْإِجْتِمَاعُ (حَكِيمٌ) يَضَعُ الْأَشْيَاءَ بِمَوَاضِعِهَا (لَقَدْ كَانَ فِي يَوْسُفَ وَآخُوته) أَيُّ قِصَّتِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ (آيَاتٍ) عِلَامَاتٍ وَدَلَالَاتٍ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَاتِهِ كِي (لِلسَّائِلِينَ) مَنْ سَأَلَ عَنْ قِصَّتِهِمْ وَعَرَفَهَا أَوْ آيَاتٍ عَلَى نَبْوَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلَّذِينَ سَأَلُوهُ مِنَ الْيَهُودِ وَعَنْهَا أَخْبَرَهُمْ مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ مِنْ أَحَدٍ وَلَا قِرَاءَةٍ كِتَابٍ وَأَسْمَاؤُهُمْ يَهُوذَا وَرُوبَيْنَ وَشِمْعُونُ وَلَاوِي وَرُوبُولُونَ وَيَشِيرُ وَأَمَهُمْ لِيَانُ وَدَانُ وَنَفْتَالِي وَجَادُ وَآشُرُ مِنْ سَرَيَسِينَ زَلْفَةَ وَبِلَهْمَةَ فَلَمَّا تَوَفَّيْتُ لِيَا تَرْجُو أَخْبَارَ أَحِيلَ فَوَلَّتْ لِيَا بَنِيَامِينَ وَيَوْسُفَ (اذْقَالُوا الْيَوْسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبَّ إِلَى آبِنَا مَنَا) الْإِلَامُ لَامُ الْإِسْتِدَاءِ

الْأَنْبِيَاءُ وَالْأُمَمُ السَّالِفَةُ وَالْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ يَعْلَى الْعِلْمُ وَالْحَكْمَةُ (وَبِمَنْعَتِهِ عَلَيْكَ) يَعْنِي بِالنَّبْوَةِ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ لِأَنَّ مَنْصِبَ النَّبْوَةِ أَعْلَى مِنْ جَمِيعِ الْمَنَاصِبِ وَكُلُّ الْخَلْقِ دُونَ دَرَجَةِ الْأَنْبِيَاءِ فَهَذَا مِنْ أَتَمِّ النِّعَمَةِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ دُونََهُمْ فِي الرَّبِّ وَالْمَنَاصِبِ (وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ) الْمُرَادُ بِآلِ يَعْقُوبَ أَوْلَادُهُ فَانْهَمُ كَانُوا أَنْبِيَاءَ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ أَتَمِّ النِّعَمَةِ عَلَيْهِمْ (كَأْتَمَّهَا عَلَى أَبُولِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرَاهُمْ وَاسْحَقَ) بَانَ جَعَلَهُمَا نَبِيَيْنِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ أَتَمِّ النِّعَمَةِ عَلَيْهِمَا وَقِيلَ الْمُرَادُ مِنْ أَتَمِّ النِّعَمَةِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ خَلَصَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ وَأَقْنَدَهُ خَلِيلًا وَالْمُرَادُ مِنْ أَتَمِّ النِّعَمَةِ عَلَى اسْحَقَ بِأَنَّهُ خَلَصَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ وَهَذَا عَلَى قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ إِنَّ اسْحَقَ هُوَ الَّذِي بَدَأَ بَشَرِيَّةً وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ هُوَ الْأَصَحُّ بِأَنَّ أَتَمِّ النِّعَمَةِ عَلَيْهِمَا بِالنَّبْوَةِ لِأَنَّهُ لَا أَكْثَرَ مِنْ مَنْصِبِ النَّبْوَةِ فَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ النِّعَمِ عَلَى الْعَبِيدِ (أَنْ رُبَّكَ عَلِيمٌ) يَعْنِي بِمَا خَلَقْتَهُ (حَكِيمٌ) يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا بِحِكْمَةٍ وَقِيلَ أَنَّهُ تَعَالَى حَكِيمٌ وَبُشِعَ النَّبُوَّةُ فِي بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ بَيْنَ رُوبَيْنَ وَيَوْسُفَ هَذِهِ وَبَيْنَ تَحْقِيقِهَا بِعَمْرِ وَاجْتِمَاعِهِمَا بِوَبِهِ وَآخُوته أَرْبَعُونَ سَنَةً وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ كَانَ بَيْنَهُمَا ثَمَانُونَ سَنَةً فَلَمَّا بَلَغَتْ هَذِهِ الرُّوبَا وَآخُوته يَوْسُفَ حَسَدُهُ وَقَالُوا مَا رَضَى أَنْ يَسْبِقَ لَهُ آخُوته حَتَّى يَسْبِقَ لَهُ أَبَوَاهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (لَقَدْ كَانَ فِي يَوْسُفَ وَآخُوته) يَعْنِي فِي خَبْرِهِ وَخَبْرِ آخُوته وَأَسْمَاؤُهُمْ رُوبِيلُ وَهَوْرُ كَبِيرُهُمْ وَشِمْعُونُ وَلَاوِي وَهَوْدَا وَرُوبُولُونَ وَيَشِيرُ وَأَمَهُمْ لِيَانُ وَهِيَ ابْنَةُ خَالِ يَعْقُوبَ وَوَلَدَ لِيَعْقُوبَ مِنْ سَرَيَسِينَ اسْمُ أَحَدِهِمَا زَلْفَةُ وَالْآخَرَى بِلَهْمَةُ أَرْبَعَةُ أَوْلَادُ اسْمَاؤُهُمْ دَانُ وَنَفْتَالِي وَجَادُ وَآشُرُ تَوَفَّيْتُ لِيَا تَرْجُو يَعْقُوبَ أَخْبَارَ أَحِيلَ فَوَلَّتْ لِيَا يَوْسُفَ وَبَنِيَامِينَ فَهَذَا يَنْبَغِي وَيَعْقُوبَ وَهُمْ الْأَسْبَاطُ وَعَدَدُهُمْ اثْنَا عَشَرَ نَفَرًا (آيَاتٍ لِلسَّائِلِينَ) وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قِصَّةِ يَوْسُفَ وَقِيلَ سَأَلُوهُ عَنْ سَبَبِ انْتِقَالِ وَلَدِ يَعْقُوبَ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ ذِكْرُ قِصَّةِ يَوْسُفَ مَعَ آخُوته وَجَدُّوهُمْ وَأَقْنَدَهُ لِمَا فِي التَّوْرَةِ فَجَعَبُوا مِنْهُ فَعَلَى هَذَا تَكُونُ هَذِهِ الْقِصَّةُ دَالَّةً عَلَى نَبْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَرِ الْكِتَابَ الْمُنْتَقِمَةَ وَلَمْ يَحْصِلِ الْعِلْمَاءُ وَالْأَحْبَارُ لَمْ يَأْخُذُوا عَنْ أَحَدِهِمْ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَا قِيلَ بِهِ وَحْيٌ سَمَاوِي وَعَلَى قَدْسِي أَوْ حَالَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَشَرَفُهُ وَبَعْنِي آيَاتٍ لِلسَّائِلِينَ أَيْ عِبَرَةٍ لِلْعَابِرِينَ فَإِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ تَشْتَمِلُ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَرِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْحِكْمِ وَمَهَارِقِ يَوْسُفَ وَمَا حَقَّقَ اللَّهُ فِيهَا وَمِنْهَا حَسَدُ آخُوته لَهُ وَمَا آلَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مِنْ الْحَسَدِ وَمِنْهَا حَسْرَةُ يَوْسُفَ عَلَى آخُوته وَبُلُوَاهُ مَثَلُ الْقِسَانَةِ فِي الْحُبِّ وَبِعْثُهُ عَبْدًا وَصَبْرُهُ عَلَى قَتْلِهِ وَلَهُ وَمَا آلَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مِنْ الْبُخْلِ وَالْمَرَادُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَذْكَرَ فِيهَا الْإِنْسَانُ اعْتِبَرًا وَتَعْظِيمًا (اذْقَالُوا) يَعْنِي آخُوهُ يَوْسُفَ (لِيَوْسُفَ) الْإِلَامُ فِيهِ لَامُ الْقِسْمِ تَقْدِيرُهُ وَاللَّهُ لِيَوْسُفَ (وَآخُوهُ) يَعْنِي بَنِيَامِينَ وَهَسَامَانَ أَوْ وَاحِدَةً (أَحِبَّ إِلَى آبِنَا

وَقِيَانًا كَيْدُ تَحْقِيقِ لَفْظِهِمْ لِيَا تَرْجُو أَنْ يَزِيدَ مَحَبَّتَهُ لَهُمْ أَمَّا ثَابِتُ لَفْظِهِ فِيهِ وَاعْتِمَادُ الْوَأَخُوهُ وَهُمْ مَنَا آخُوته أَيْضًا لِأَنَّ أَمَهُمْ كَانَتْ وَاحِدَةً وَاعْتِمَادُ لَفْظِهِمْ لِيَا تَرْجُو أَنَّ يَزِيدَ مَحَبَّتَهُ لَهُمْ أَمَّا ثَابِتُ لَفْظِهِ فِيهِ وَاعْتِمَادُ الْوَأَخُوهُ وَهُمْ مَنَا

والمؤمنين ولا يدين الفرق مع لام التعريف واذا اضيف ساغ الامر ان v والواو في (وتحن عصبية) الحال أى انه

بفضلهم ما في الحية علينا وهم ما
صغبرنا لا كفاية فيهما ونحن
عشرة رجال كفاة تقوم بحرقه
فتحن أحق بزيادة الحية عنهما
لفضلنا بالكثرة والمصلحة عليهما
(ان ابانا في ضلال ميين) غلط
في تقدير أمر الدنيا ولو وصفه
بالضلالة في الدين لكفروا
والعصبة العشرة فصاعدا
(اقتلوا يوسف) من جملة ما حكي
بعد قوله اذ قالوا كانوا مطبقوا
على ذلك الامن قال لا تقتلوا
يوسف وقيل الا ترم بالقتل
شجعون والباقيون كانوا اراضين
فجعلوا أمر ين (اوطاس حوه
أرضا) منكورة معجولة بعيدة
عن العمران وهو معنى تنكيرها
واخلاصها عن الوصف وهذا
الابهام نصبت نصب الظروف
المهمة (يخجل لكم وجهه أيكم)
يقبل عليكم اقبالة واحدة
لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد
سلامة محبة لهم من يشارهم
فيها فكان ذكر الوجه لتصوير
معنى اقباله عليهم لان الرجل
اذا قبل على الشيء قبل بوجهه
وجاز ان يراد بالوجه الذات كما قال
ويبقى وجهك (وتكبروا)
مجزوم مضاف على يجل لكم
(من بعده) من بعد يوسف اي
من بعد كفايته بالقتل او
التعريب او من بعده قتله
او طرحه في رجح الضمير الى
مصدرا قلتوا او اطرخوا (قوما

نحن عصبية) انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من هيل يعقوب
كثرة شفقتهم عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال القراء العصبية هي العشرة
ادوقيل هي ما بين الواحد الى العشرة وقبل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد
ابن العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الاصل فيه ان كل جماعة
ب بعضهم بعض يسعون عصبية والعصبة لا واحد لها من افظها كالرهبان والنفر
بانان في ضلال ميين) يعني في خطابين في اثاره حب يوسف عليهما مع صغبره لانفع
نحن عصبية تنفعه وتقوم بعد المحرم من أمر دنياه واصلاح أمره واشيه وليس المراد
كهذا الضلال الضلال عن الدين اذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا به
في أمر الدنيا وما يلحقها وتولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطئ في صرف محبة
أكبر منه سنا وأشد قوة وأكثر مفعلة وغاب عنه المقصود الا العظيم وهو ان
عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا في المحبة المخصصة
لقلب اس في وسع البشر دفعها ويجتمع له ان يعقوب انما خص يوسف بمنزلة
الشفقة لان امه ماتت وهو صغير أولاد رأى فيه من آيات الرشد والحياة ما لم يره
خوبه فان قالت الذي فعله اخوة يوسف بيوسف فهو بعض الحسد والحسد من
الكثير وكذلك نسبة إليهم الى الضلال هو بعض العقوق وهو من الكثير أيضا
ث فادح في عصبة الانبياء الجواب عنه قلت هذه الافعال انما صدرت من
سب قبل ثبوت النبوة عليهم وانما تعتبر في عصبة الانبياء هو وقت حصول النبوة
وقيل كانوا وقت هذه الافعال اربعة من غير بالغين ولا تسكيف عليهم قبل
قيل هذا المثل ان هذه الافعال قادمة في عصبة الانبياء قوله تعالى حكايته عن
سب (اقتلوا يوسف واطرحوه أرضا يخجل لكم وجهه أيكم) لما قوى الحسد وبلغ
ال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبع يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا باحد
الامثلة مرة واحدة أو التعريب الى أرض محض اليأس من اجتماعه بأبيه
بالاسد والسماح او موت في تلك الارض البعيدة ثم ذكر والعلة في ذلك
يخجل لكم وجهه أيكم والمعنى أنه قد شغل حب يوسف عنكم فاذا علمتم ذلك
قيل يعقوب بوجهه أيكم وصرف محبة إليكم (وتكبروا من بعده) يعني
ل يوسف أو ابعاد عن أبيه (قوما الحين) يعني تائبين قوبوا الى الله يعف
كونوا قوما الحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب
لوانتوب الى الله من هذا الفعل وتكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل
لم اكن أمركم فيما بينكم وبينكم فان قلت كيف يليق ان تصدر هذه الافعال
تتم انباء قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت حتى
سب الافعال قادمة في عصبة الانبياء وانما أقدموا على هذه الافعال قبل
يل ان الذي أشار به يوسف كان اجنبيا شاوروه في ذلك فأشار عليهم
قائل منهم لا تقتلوا يوسف) يعني قائل من اخوة يوسف وهو يهودا وقال
تائبين الى الله عما جنيت عليه او لم يلح حالكم عندنا أيكم (قال قائل منهم) هو يهودا وكان احسنهم فيه راي لا تقتلوا
ن القلب

قتادة هور و بيل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سناً وأحسنهم رأياً فيه فنهاهم عن قتله
وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قاتل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان أقرب بهم اليه
(والقوة في غيابة الحب) يعني القوة في أسفل الحب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيئاً
وعليه عن النظر والحب البئر الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه حب أى قطع ولم يطر
وأفاد ذكر الغيبة مع ذكر الحب ان المشر أشار بطرحه في موضع من الحب مظلم لا يراه
أحدواختلفوا في مكان ذلك الحب فقال قتادة هو بيت المقدس وقال وهب هو في
ارض الاردن وقال مقاتل هو في أرض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وأما
عين وذلك الحب للعلة التي ذكرها وهي قولهم (بالتقطه بعض السيارة) وذلك ان
هذا الحب كان معروفاً وعليه كثير من المسافرين والالتقاط أخذ الشيء من الطريق
أو من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يعني يأخذ بعض المسافرين فيذهب
به الى ناحية أخرى ففسر يحون منه (ان كنته فاعلين) فيه إشارة الى ترك الفعل فكانه
قال لا تفعلوا شيئاً من ذلك وان عزمت على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنته فاعلين
ذلك قال البعوى كانوا يؤمنون بالبعين ولم يكونوا أنبياء الا بعده وقيل لم يكونوا بالبعين
وليس يصحح بدليل انهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا يا أبا ناسا استغفر لنا
ذنوبنا ما كنا خاطئين والصغير لا ذنب له قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم هذا على جرأهم
كثير من قطعية الرحم وعتوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر
بالأمانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا يأس أحد من
رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عزه وعلى قتله وعصمه الله رحمة بهم ولو فعلوا
ذلك لم يهلكوا جميعاً وكل ذلك كان قبل أن ينههم الله فلما اجتمعوا على التفرق بين يوسف
وبن والده بضر من الحيل (قالوا) يعني قال اخوة يوسف ليعقوب (يا أبا ناسا مالك
لا تأمن على يوسف) بدوا بالانكار عليه في ترك ارسال يوسف معهم كنههم قالوا اتخافنا
عليه اذا أرسلته معنا (واناله لنا صحن) المراد بالصبح هنا اليوم بالصلحة وقيل البر
والعطف والمعنى واناله طافون عليه فأغون بصلحته وشفعته وقال مقاتل في الكلام
تقدموا وأخبروا بذلك انهم قالوا لا يهزم أرسله معنا فقال يعقوب اني اخزننى أن تذهبوا
به فتخذه قالوا امالك لا تأمن على يوسف واناله لنا صحن ثم قالوا (ارسله معنا غداً)
يعنى الى الصحراء (ترجع) الرجوع والانتفاع في اللذيقال رجع فلان في ماله اذا أنفقه
في شهواته والاصل في الرجوع أكل البهائم في الحب زمن الربيع ويستعار للانسان
اذا رزق به الاكل الكثير (ونلعب) اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان
فعله غير قاصد به متصدداً صحياناً سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء
فقال لم يكونوا يؤمنون بالبعين وانما لا يكون المراد باللعب هنا الاقدام على المساحات
لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه هلا بكراً
لأعصابك ولأعماك وأيضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح فيه من
المخاربة والاقدام على الاقران في الحرب بدليل قوله نستميت وانما سموه لعباً لانه في صورة
اللعب وقيل معنى نلعب نلعبهم ونأكل ونلهو وننشط (واناله لحافظون) يعني نخمد

عظيم (والقوة في غيابة الحب)
في قعر البئر وما غاب منه عن
عين الناظر غيابات وكذا
ما بعده مدنى (يلتقطه بعض
السيارة) بعض الاقوام الذين
يسرون في الطريق (ان كنته
فاعلين) به شياً (قالوا يا أبا ناسا
مالك لا تأمن على يوسف) واناله
انما يحون) اى تخافنا عليه
ونحن نريد له الخير ونشفق
عليه و ارادوا بذلك لما عزموا
على كيد يوسف استتراله عن
رأيه وعادته في حفظه منهم
وفيه دليل على انه احسن منهم
عباً وجب ان لا يأمنهم عليه
(أرسله معنا غداً ترجع)
في اكل الفواكه وغيرها
والرجعة البعة (ونلعب) نلعب
بما سباح كالصيد والرمي
والركض باليأس في سمامدى
وكوفي والنبون فيهما مكي
وشامى وابو عمرو وبكر العين
يجازى من ارضي برضى اقبال
من الرمي (واناله لحافظون)
من ان يناله مكره

(قال اني ليجزني ان تذهبوا به) اى يجزنى ذهابكم به واللام لام الابتداء ٩ (واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون)

اعتذر اليهم بان ذهابهم به لما
يجزونه لانه كان لا يصبر عنه
ساعة وانه يخاف عليه من عدوة
الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم
واعيهم (فالواثن اكله الذئب)
اللام منوطة للقسم والتقسم
محدوف بقدره والله لئن اكله
الذئب والواو في (وتحن عصبه)
اى فرقة تحته مع قدرته على
الدفع للحال (انا اذا خاسرون)
جواب للقسم مجزئ عن جزء
الشرط اى ان لم تقدر على حفظ
بقصا فتدهلكم مواشينا اذا
وخسرهاوا واحاوان عذره
الثاني دون الاول لان ذلك كان
يعظمهم (فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب) اى
عزموه على القائه في البر وهو
يرعى ثلثاته فراضخ من منزل
يعقوب عليه السلام وجواب
لما محدوف بقدره فعلا به
ما فعلوا من الاذى فتدروى
انهم لما برزوا به الى البرية
اظهروا له العداوة وضرروه
وكادوا يقتلونه فذعنهم به
فلما ارادوا القاءه في الجب
تعلق بذيابهم فزعوها من يده
فتعلق بحائط البئر بطوا
يديه ونزعوا قيصه ليخطوه
بالدم فيختالوا به على ايهم ودلوه
في البئر وكان فيها ماء فسقط فيه
ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو
يكي وكان يهودا ياتيه بالضعام
وبروى ان ابراهيم عليه السلام
حين القى في النار جرد ثيابه

في حفظه غاية الاجتهاد حتى مرده اليك سالما (قال) يعنى قال لهم يعقوب عليه الصلاة
والسلام (اني ليجزني ان تذهبوا به) اى ذهابكم به والتجزن هنا ألم القلب بفراق الخبواب
ومعنى الآية انه لما طلبوا منه ان يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب
عليه الصلاة والسلام بعدون أحداهم ان ذهابهم به ومفارقة اباهم لانه كان
لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثاني قوله (واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون)
يعنى اذا غفلوا عنه برعيهم واعيهم وذلك ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى في
المنام ان ذئبا شدد على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك
وقيل كانت الذئاب في أرضهم كثيرة (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف مجيبين ليعقوب (لئن
اكله الذئب ونحن عصبه) اى جماعة عشيرة رجال (انا اذا خاسرون) يعنى عجزه وضعفاه
وقيل انهم خافوا ان يدعو عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم تقدر على
حفظ أحيانا فكيف تقدر على حفظ مواشينا فحين اذا خاسرون قبوله عز وجل (فلما
ذهبوا به) فيه اضمار واختصار بقدره فارسله معهم فلما ذهبوا به (واجمعوا ان يجعلوه
في غيابة الجب) يعنى وعزموا على ان يلقوه في غيابة الجب
((ذكر قصة ذهابهم يوسف عليه الصلاة والسلام))

قال وهب وغيره من أهل السير والاكابر ان اخوة يوسف قالوا له اما تستاق ان تخرج
معنا الى مواشينا فصيده ونسقي قال بلى قالوا له ان سأل اباك ان يرسلك معنا قال يوسف
افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا ابا ناس يوسف قد احب ان يخرج معنا الى
مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا ابي انا ارى من اخوتي اللين والالطف
فاحب ان اأذن لي وكان يعقوب يكره مفارقتهم ويحب ضائهم فاذن له وارسله معهم فلما
خرجوا به من عنده يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه
وصاروا الى البصرة القوه على الارض واظهروا له ما في أنفسهم من العداوة واغلظوا
له القول وجعلوا يضربونه فجعل كساحاء الى واحد منهم واستعاث به ضربه فلما فطن لما
عزموا عليه من قتله جعل ينادى يا ايتاه يا يعقوب لورأت يوسف وما نزل به من اخوته
لا حزنك ذلك وابكك يا ايتاه ما أسرع ما سوا هذاك وضيعوا وميتك وجعل يبكي
بكاء شديدا فاحذروه بيل وجليده الارض ثم جثم على صدره واراد قتله فقال له يوسف
مهلا يا بني لا تقتلني فقال له يا بن راحيل انت صاحب الاحلام قل لربك ان تخلصك من
أيدينا ولوى عقده فاستعاث يوسف بيه وذا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين من يريد
قتلي قادر كنه رحمة الاخوة ووق له فقال يهودا يا اخوتي ما على هذا عاهدتوني الالادكم
على ما هوون لكم وارتق به فقالوا واما هو قال تلقونه في هذا الجب اما ان يموت أو
يلتقطه بعض السبابة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق
الرأس ففعلوا ليدلوه في البئر فتعلق بشفير هافر بطوايديه ونزعوا قيصه فقال يا اخوتاه
ودوا على قيصى لاستتر به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك
وتونسك فقال اني لم ار شيئا بالقوة فيها ثم قال لهم يا اخوتاه اتدعونني فيها فريدا وحيدا

٢ ن ث فأنما جبرن عليه السلام بمقيص من حير الجملة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب ففعل به يعقوب

وقبل جعلوه في دلوثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ارادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقبل نزل عليه ملك فدخل بذه وأخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقبل انهم لما ألقوه في الحب جعل يركي قنادوة فظن أنها راحة أدر كته فاجابهم فارادوا أن يرضخوه بصخرة ليقنلوه فنعهم بهودان ذلك وقيل ان يعقوب لما بعثه مع اخوته أن يركي قيس ابراهيم الذي كساه الله امانه من الجنة حين ألقى في النار فعمله يعقوب في قصة قضية وجعلها في عنق يوسف فالتسه الملك اياه حين ألقى في الحب فاضاء له الحب وقال الحسن لما ألقى يوسف في الحب عذب ماؤه فكان يركيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استويحت فقال له اذا ربيت شيئا فقبل يا صريح الصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا تخفى عليك شئ من أمري فلما قالها يوسف فحقته الملائكة واستأنس في الحب وقال محمد بن مسلم الطائي لما ألقى يوسف في الحب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيدو يا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا لما أنا فيه فبات فيه واختلجوا في قدر عمر يوسف يوم ألقى في الحب فقال النخاك ست سنين وقال الحسن انت داعية سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الحب ثلاثة أيام وكان اخوته يرون حوله وكان يهودا أباهما يطعمه فذلك قوله تعالى (وأوحينا اليه لتبينهم بأمرهم هذا) يعني لتبين اخوتك قال أكثر المفسرين ان الله أوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل بؤسه وبشره بالخروج وبخبره انه سديد ثم بعثوا لعلوا بخيارهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغ في ذلك الوقت وكان ضياعا غيرا فقال بعضهم انه كان بالغاً وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيراً لأن الله عز وجل اكل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كقال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فان قلت كيف جعله نبياً في ذلك الوقت ولم يكن أحد بلغه رسالته لانه فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من ارسل اليه قلت لا تمتنع أن الله شرفه بالوحي وبكره بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطيب قلبه وازالة الغم والهم والوجع والوجع عنه ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقبل ان المارد من قوله وأوحينا اليه وحي الهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم موسى والقول الاول أولى وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعني يا يحسانا اليك وأنت في البئر بأنك ستخبرهم بضياعهم هذا والافائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم أنهم اذا عرفوه بما ازداد حسدهم وقيل ان الله تعالى أوحى الى يوسف لتبين اخوتك بضياعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بأنك أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وأنه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير متوليا عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره قوله تعالى (وجاؤا أباهم عشاء يبكون) قال المفسرون لما طرحوا يوسف في الحب رجعوا الى أبيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة اجترأ على الاعتداء بالكتاب فلما قربوا من منزل

في تمسة عليها في عنق يوسف
فأخبره جبريل وأوحينا اليه
(وأوحينا اليه) قيل أوحى اليه
في الصفر كما أوحى الى يحيى
وعيسى عليهما السلام وقبل
كان اذ ذلك مدركا لتبينهم
بأمرهم هذا اي لتبين اخوتك
عاقبوا لك (وهم لا يشعرون)
انك يوسف لعلوا أنك وكبرياء
سأنا لك وذلك انهم حين دخلوا
عليه عتار بن فخرهم وهم له
متكرون دعاء الصواع فوضعه
على بده ثم نقره فظن فقال انه
ليخبرني هذا الجم أن كان لكم
أمر من أبيكم يقال له يوسف
وانكم ألقيتوه في غيابة الحب
وقلت لا يبهلكم الذئب ويعتوه
يشدون بحس أو يتعلق وهم
لا يشعرون بأوحينا أي آسناء
بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة
وهم لا يشعرون ذلك (وجاؤا
أباهم عشاء) للاستئثار والتيسر
على الاعتداء (يبكون) حال
عن الاعمش لا تصدق بأكية
بعد اخوة يوسف فلما سمع
صوتهم فرح وقال ما لي بكم يا بني
هل أصابكم في غنمكم شئ قالوا
لا قال فبالكم وابن يوسف

(قالوا يا انا ناذرهننا نسبق) أى نسابق فى العدو وفى الرمي والافتعال والتفاعل بشر كان كالارتماء والغرامى وغير ذلك (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا ١١ (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من

أهل الصدق والثقة لكثرة محبتك ليوسف فكيف واثبت سبي الظن بضاغبيرواثنى بقولنا (وجاؤا على قيصة بدم كذب) دى كذب ووصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كايقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روى انهم ذبحوا سبخلة واظنوا انقيص بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروى ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال ابن القهيص فأخذوه ألقاه على وجهه وبشكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كالיום ذنبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قيصه وقيل كان في قيص يوسف ثلاث آيات كأن دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصير اوليلا على براءة يوسف حين قدمه دبره ومحل على قيصة النصب على الظرف كانه قيل و جاؤا فوق قيصة بدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سولت) زينت أو سهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه (ففسر جليل) خبر أو مبتدا لكونه موصوفا أى فامرى

يعقوب جعلوا يكرهون يصرخون فسمع أصواتهم فزعر من ذلك ونزع اليهم فلما رآهم قال بالله سألتكم يا بني هل أصابكم شئ في غنمكم قالوا أقال فما أصابكم و أن يوسف (قالوا يا انا ناذرهننا نسبق) قال ابن عباس يعنى نتفضل وقال الزجاج سباق بعضنا بعضا فى الرمي والاصل فى السبق الرمي بالسهم وهو التفاضل أيضا وسمى المتراميان بذلك يقال تسابقوا واستبقا اذا فعلوا ذلك ليتبين أيهما أبعد سهما وقال السدي يعنى نشدوه وعدوه والمعنى نسبق على الاقدام ليتبين أيهما أسرع عدوه أو أخف سر كذا وقال مقاتل تصيد والمعنى نسبق الى الصيد (وتركنا يوسف عند متاعنا) يعنى عند ثيابنا (فأكله الذئب) يعنى فى حال استبقاؤه لمتاعه (وما أنت بمؤمن لنا) يعنى وما أنت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) يعنى فى قولنا والمعنى أنا وان كنا صادقين لكنك لا تصدق لنا فلو لا شدة محبتك ليوسف فانك تهتمنا فى قولنا هذا وقيل معناه أنا وإن كنا صادقين فانك لم تصدقنا لانه لم تظهر عندك اماره تدل على صدقنا (وجاؤا على قيصة) يعنى قيص يوسف (بدم كذب) أى كذب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سبخلة وجعلوا دمه على قيص يوسف ثم جاؤا بأههم وفى القصة انهم اظنوا القميص بالدم ولم يشعرو فقال يعقوب لهم كيف أكله الذئب ولم يشق قيصة فاتهم بذلك وقيل انهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدى وقرعة تؤادى فانطقه الله عز وجل وقال والله ما كذبه ولا رأيت ولدك قط ولا يحمل لأن نأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب فكيف وقعت بارض كنعان فقال جئت اصلة الرحم وهى قرابة لى فأخذوني وأتوا بى اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف ليعتوب بهذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملتص بالدم (قال) يعقوب (بل سولت لكم أنفسكم أمرا) يعنى بل زينت لكم أنفسكم امر اواصل النسو بل تقد رمتي فى النفس مع الضم فى انما مع وقال صاحب الكشف سولت سهلت من السؤل وهو الاسترخاء أى سهلت لكم أنفسكم امر اعظفنا ركبتموه من يوسف وهو أقوى من أنفسكم واعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل رد القوم فأكله الذئب كأنه قال ليس الامر كما تقولون أكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم امر آخر غير ما تصفون (فسبر جليل) أى فشانى صبر جليل وقيل معناه فسبرى بمرجيل والصبر التحميل الذى لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر ان لا تتحدث بمصيبتك ولا تزين نفسك (والله المستعان على ما تصنون) يعنى من القول بالكذب وقيل معناه والله المستعان على حل ما تصفون قوله عز وجل (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون ثموا سيارة تسيرهم فى الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فخطوا الطريق ففزلوا قربا من الحب الذى كان فيه يوسف وكان فى قفرة بعيدة من العمارة تده الرعاة المارة وكان ماؤه لمحا فلما اتى يوسف فيه عذب فلما نزلوا ارسلا رجلا من اهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعى ليطلب لهم الماء فذلك قوله عز وجل (فارسلاوا اردهم فادلى دلوه)

صبر جليل أو فسبر جليل أى حل وهو لا شكوى فيه الى الخلق (والله المستعان) أى استعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرؤيا فيه (وجاءت سيارة) رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من اللقاء يوسف فى الحب فخطوا الطريق ففزلوا قربا من الحب فى قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه لمحا فعذب حين اتى فيه يوسف (فارسلاوا اردهم) هو الذى برد الماء ليستقى القوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعى (فادلى دلوه)

وقيل جعلوه في دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت وكان في البرثما
 فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة كانت في البر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فخل يداه
 وأخرج له صخرة من البر فجلسه عليها وقيل إنهم لما ألقوه في الحب جعل يبيكي فنادوا
 فظن أنهار رجاة أدركته فاجابهم فاردوا أن يرضخوه بصخرة ليقبلوه فنعهم بهذا
 وقيل إن يعقوب لما بعثه مع اخوته أخرج له قصص إبراهيم الذي كساه الله إياهم من الجنة
 حين ألقى في النار فغله يعقوب في قصة فضة وجعلها في عنق يوسف فالبسه الملك إياه
 حين ألقى في الحب فاضاء له الحب وقال الحسن لما ألقى يوسف في الحب عذب ماؤد
 فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به فلما أمسى نهض
 جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذارهت شيئا فقتل
 بأصريح المستصرخين وياغوث المستغيثين ويامرج كروب المكرهين بين قدر ترى
 مكاني وتعلم حالي ولا تخفى عليك شئ من أمرى فلما قالوا يوسف حقه الملائكة
 واستأسس في الحب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما ألقى يوسف في الحب قال يا شاهد اغير
 غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غاليا غير مغلوب اجعل لي فرجا ما أنا فيه فبات فيه
 واختلفوا في قدر عمر يوسف يوم ألقى في الحب فقال الخليل ست سنين وقال الحسن
 اثنتا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث
 في الحب ثلاثة أيام وكان اخوته يرون حوله وكان يهودا يأتيه بالطعام فذلك قوله
 تعالى (وأوحينا إليه لتبشئهم بأمرهم هذا) يعني لتخبرن اخوتك قال أكثر المفسرين إن
 الله أوحى إليه وحي الحقيقة فبعث إليه جبريل يؤسسه ويشره بالخروج ويخبره أنه
 سببهم بما فعلوا ويخبرهم عابه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا
 القول اختلفوا هل كان بالغافي ذلك الوقت أو كان صبيا صغيرا فقال بعضهم أنه
 كان بالغاً وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيراً إلا أن الله عز وجل أكل
 عقله ورشدته وجعله صالحاً لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة
 والسلام فإن قلت كيف جعله ندياً في ذلك الوقت ولم يكن أحد بلغه رسالته لانه فائدة
 النبوة والرسالة تبلغها إلى من أرسل إليه فقلت لا يمتنع أن الله يشره بالوحي ويكرمه
 بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تظليل قلبه وإزالة اللهم والغم والوحشة عنه
 ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل إن المراد من قوله وأوحينا إليه وحي
 الهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك إلى الخليل وأوحينا إلى أم موسى والقرآن الأول
 وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعني يا نجائنا اليك وأنت في البرثما أنك ستخبرهم
 بصنيعهم هذا والفائدة في إخفاء ذلك الوحي عنهم أنهم اذا عرفوا بما ازداد حسدهم
 وقيل إن الله تعالى أوحى إلى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا
 يشعرون بأنك أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام
 وأنه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستولياً عليهم فيصرون تحت أمره وقهره قوله
 تعالى (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) قال المفسرون لما طرحو يوسف في الحب رجعوا إلى
 أبيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة اجترأوا على الاعتذار بالكذب فلما قرؤوا من منزل

في عجمه علقها في عنق يوسف
 فأخرج جبريل وألبسه إياه
 (وأوحينا إليه) قيل أوحى إليه
 في الصفر كما أوحى إلى يحيى
 وعيسى عليهم السلام وقيل
 كان اذ ذلك مدركا لتبشئهم
 بأمرهم هذا) أي لتحدثن اخوتك
 بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون)
 أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء
 شأنك وذلك أنهم حين دخلوا
 عليه عتار ينفعهم وهم له
 منكروين دعاء الصواع فوضعه
 على يده ثم نقره فظن فقال انه
 ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم
 أخ من أبيكم يقال له يوسف
 وأنكم القيتموه في غيابة الحب
 وقتلتم لآبيه كله الذئب وبعثوه
 بشمن تجس أو يتعاقى وهم
 لا يشعرون بأوحينا أي أنساه
 بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة
 وهم لا يشعرون ذلك (وجاءوا
 أباهم عشاء) للاستئثار والتبشير
 على الاعتذار (يكون) حال
 عن الاعمش لا تصدق بأكية
 بعد اخوة يوسف فلما سمع
 صوتهم فرح وقال ما لكم يا بني
 هل أصابكم في غنمكم شئ قالوا
 لا قال فباللهم وابن يوسف

(قَالُوا يَا نَانَا نَذَهْنَا سُبُح) أَيُ نَسَابِي فِي الْعُدُوِّ وَالرَّحْمَى وَالْإِفْتَعَالِ وَالثَّغَالِ يَشْتَرِ كَانَ كَالرَّعَاءِ وَالْغَرَامَى وَغَيْرِ ذَلِكَ
(وَتَرَكَهُ يَوْسُفُ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) بِمَصْدَقِ لَنَا ١١ (وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) وَلَوْ كُنَّا عِنْدَكَ مِنْ

أَهْلُ الصَّدَقِ وَالْثَقَّةِ لَنَدَّةَ
مَحَبَّتِكَ يَوْسُفُ فَكَيْفَ وَفِي أَت
سَيِّئُ الظَّنِّ بِشَاغِيرٍ وَرَأَى بِقَوْلِنَا
(وَجَاوَأَ عَلَى قَيْصِهِ بَدْمَ كَذِبِ)
ذِي كَذِبٍ وَوَصَفَ بِالْمَصْدَرِ
مِبَالِغَةً كَانَتْ نَفْسُ الْكُذْبِ
وَعِنْدَهُ كَيْفَ يُقَالُ لِلْكَذِبِ هُوَ
الْكُذْبُ بِعَيْنِهِ وَالزُّورُ بِذَاتِهِ
رَوَى أَنَّهُمْ ذَبَحُوا سِجْنَهُ وَالْخُزَا
الْقَمِيصَ بِدَمِهِ وَزَلَّ عَنْهُمْ إِنْ
يَمُزِقُوهُ وَرَوَى إِنْ يَعْقُوهُ بِعَلَيْهِ
السَّلَامِ لِمَا سَمِعَ يُخْبِرُ يَوْسُفُ
صَاحِبَ بَعْلَى صَوْتَهُ وَقَالَ إِنْ
الْقَمِيصَ فَأَخَذَهُ وَأَتَاهُ عَلَى
وَجْهِهِ وَبُحِكِي حَتَّى خَضِبَ
وَجْهَهُ بِدَمِ الْقَمِيصِ وَقَالَ تَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذُبَابًا أَكَلُ مِنْ
هَذَا كُلِّ ابْنِي وَلَمْ يَمُزِقْ عَلَيْهِ
قَيْصَهُ وَقِيلَ كَانَ فِي قَيْصِ
يَوْسُفَ ثَلَاثَ آيَاتٍ كَأَنَّ دَلِيلًا
لِيَعْقُوبَ عَلَى كَذِبِهِمْ وَأَلْقَاهُ
عَلَى وَجْهِهِ فَأَرَادَ بِصَبْرٍ أَوْ لِيَلَا
عَلَى بَرَاءَةِ يَوْسُفَ حِينَ قَدَمِ
دَبْرِهِ وَحَلَّ عَلَى قَيْصِهِ النَّسَبَ
عَلَى الظَّرْفِ كَانَهُ قِيلَ وَجَاوَأَ
فَوْقَ قَيْصِهِ بَدْمَ (قَالَ) يَعْقُوبُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ (بِلِ سَوَلَتِ)
زَيْنَتُ أَوْ سَهَلَتِ (لِ كَسَمِ
أَنْفُسِكُمْ أَمْرًا) غَظِيمًا رَتَبَتْهُ
(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) خَيْرٌ أَوْ مَبْتَدَأُ
لِكُونِهِ مَوْصُوفًا أَيْ فَارَى

بِعَقُوبَ جَعَلُوا يَكُونُونَ وَبَصَرُ خَوْفٍ قَمْعُ أَسْوَائِهِمْ فَزَعَمَ ذَلِكَ وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا رَأَاهُمْ
قَالَ تَاللَّهِ سَأَلْتُكُمْ يَا بَنِي هَذِهِ أَصَابَكُمْ شَيْءٌ فِي غَنَمِكُمْ قَالُوا أَلَا فَاأَصَابَكُمْ وَأَيْنَ يَوْسُفُ
(قَالُوا يَا نَانَا نَذَهْنَا سُبُح) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَعْنِي نَتَضَلُّ وَقَالَ الزَّجَاجُ سَابَقَ بَعْضُنَا
بَعْضًا فِي الرَّحْمَى وَالْأَصْلُ فِي السَّبْقِ الرَّحْمَى لِسَهْمٍ وَهُوَ التَّنَاضُلُ أَيْضًا وَسُمِّيَ الْمُتَرَامِيانَ
بِذَلِكَ يُقَالُ تَسَابَقُوا وَاسْتَبَقَا إِذَا فَعَلَا ذَلِكَ لِيَتَمَيَّنَ أَيُّهُمَا أَيْبَعْدُ سَهْمًا وَقَالَ السُّدِّيُّ يَعْنِي
نَشْتَدُونَ عِدُوًّا مَعْنَى نَسْتَبِقُ عَلَى الْأَقْدَامِ لِيَتَمَيَّنَ أَيُّنَا سَرَعَ عَدُوًّا أَوْ أَخْفَرَ كَذِبًا وَقَالَ
مُقَاتِلٌ تَصِيدُ وَالْمَعْنَى نَسْتَبِقُ إِلَى الصَّيْدِ (وَتَرَ) كَمَا يَوْسُفُ عِنْدَ مَتَاعِنَا) يَعْنِي عِنْدَ بَنَاتِنَا
(فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) يَعْنِي فِي حَالِ اسْتِبَاقِنَا وَغَفْلَتِنَا عَنْهُ (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) يَعْنِي وَمَا أَنتَ
بِمَصْدَقِ لَنَا (وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) يَعْنِي فِي قَوْلِنَا وَالْمَعْنَى إِنْ أَوَانَ كُنَّا صَادِقِينَ لَكِنَّكَ لَا تَصْدُقُ
لَنَا قَوْلًا لَنَدَّةَ مَحَبَّتِكَ لِيَوْسُفَ فَأَنْتَ تَهْتَمُّ بِفِي قَوْلِنَا هَذَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ إِنْ أَوَانَ كُنَّا صَادِقِينَ
فَأَنْتَ لَمْ تَصْدُقْ لَنَا لَمْ تَظْهَرْ عِنْدَكَ أَمَارَةٌ تَقْدُلُ عَلَى صَدَقَتِنَا (وَجَاوَأَ عَلَى قَيْصِهِ) يَعْنِي قَيْصِ
يَوْسُفَ (بَدْمَ كَذِبِ) أَيْ مَكْذُوبٍ فِيهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ ذَبَحُوا سِجْنَهُ وَجَعَلُوا دَمَهُ عَلَى
قَيْصِ يَوْسُفَ ثُمَّ جَاؤُوا بِهِمْ وَفِي الْقِصَّةِ أَنَّهُمْ لَخَّوْهُ الْقَمِيصَ بِالْدَمِ وَلَمْ يَمُزِقُوهُ فَقَالَ يَعْقُوبُ
لَهُمْ كَيْفَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَلَمْ يَشُقْ قَيْصَهُ فَاتَّهَمَهُمْ بِذَلِكَ وَقِيلَ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ بِذِئْبٍ وَقَالُوا هَذَا
أَكَلَهُ فَقَالَ يَعْقُوبُ أَيُّهَا الذِّئْبُ أَنْتَ أَكَلْتَ وَلَدِي وَثَرَّةَ قَوَادِي فَأَنْطَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ
وَاللَّهِ مَا كَلْتَهُ وَلَا رَأَيْتُ وَلَدَكَ قَطُّ وَلَا يَحِلُّ لَنَا أَنْ نَأْكُلَ لَحْمَ الْإِنْتِبَاءِ فَقَالَ يَعْقُوبُ فَكَيْفَ
وَقَعْتَ بَارِضٍ كَعَمَانٍ فَقَالَ جِئْتُ لِمَصَالَةِ الرَّحِمِ وَهِيَ قَرَابَةُ لِي فَأَخَذُونِي وَأَتَوْنِي إِلَيْكَ
فَاطْلُعْ يَعْقُوبُ بِلَمَّا ذَكَرُوا يَوْسُفَ لِيَعْتَبِرَ بِهَذَا الْكَلَامِ وَاحْتِجُوا عَلَى صَدَقَتِهِمْ
بِالْقَمِيصِ الْمَطْبُوعِ بِالْدَمِ (قَالَ) يَعْقُوبُ (بِلِ سَوَلَتِ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا) يَعْنِي بِلِ زَيْنَتِ لَكُمْ
أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا أَوْ أَصْلَ التَّسْوِيلِ تَقْدِيرُ مَعْنَى فِي النَّفْسِ مَعَ الطَّمَعِ فِي أَتَمَامِهِ وَقَالَ صَاحِبُ
الْكَشَافِ سَوَلَتِ سَهَلَتِ مِنَ السُّوْلِ وَهُوَ الْاِسْتِخَاءُ أَيْ سَهَلَتِ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا عَظِيمًا
رَكِبْتُمُوهُ مِنْ يَوْسُفَ وَهُوَ تَقْوَى أَنْفُسِكُمْ وَاعْيُنِكُمْ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ بِلِ رَدَّ الْقَوْمِ
فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ كَأَنَّهُ قَالَ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ بِلِ سَوَلَتِ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا آخَرَ
غَيْرَ مَا تَصِفُونَ (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) أَيْ فَشَانِي صَبْرٌ جَمِيلٌ وَقِيلَ مَعْنَاهُ فَصِيرٌ وَبَرٌّ جَمِيلٌ وَالصَّبْرُ
الْجَمِيلُ الَّذِي لَا شَكْرَ فِيهِ وَلَا خَرَجَ وَقِيلَ مِنَ الصَّبْرِ أَنْ لَا تَتَحَدَّثَ بِصَبْرٍ وَلَا تَرَكِينَ
نَفْسَكَ (وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) يَعْنِي مِنَ الْقَوْلِ الْكُذْبُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَاللَّهِ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى جَلِّ مَا تَصِفُونَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ) وَهِيَ الْقَوْمُ الْمَسَافِرُونَ تَسْعَوْنَ
سَيَّارَةً تَلْسِرُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَكَانُوا أَوْفَقَةً مِنْ مَدِينٍ يَرِيدُونَ مَصْرَ فَأَخْطَا الطَّرِيقَ فَتَنَزَّلُوا
قَرِيبًا مِنَ الْحَبِّ الَّذِي كَانَ فِيهِ يَوْسُفُ وَكَانَ فِي قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ مِنَ الْعِمَارَةِ تَرْتَدُّ الرِّعَاةُ وَالْمَارَّةُ
وَكَانَ مَأْوَاهُمْ لَحْمًا فَلَمَّا اتَّقَى يَوْسُفُ فِيهِ عَذْبُ فَلَمَّا نَزَلُوا ارْشَلُوا جِذْلًا مِنْ أَهْلِ مَدِينٍ يَقَالُ لَهُ
مَالِ بْنِ ذَعْرِ الْحَزْرَاعِيِّ لِيُطْلَبَ لَهُمُ الْمَاءُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (فَارْشَلُوا أَرْدَهُمْ قَادِي دَلُوهُ)

صَبْرٌ جَمِيلٌ أَوْ فَصْبْرٌ جَمِيلٌ أَجَلٌ وَهُوَ مَا لَا شَكْرَ فِيهِ إِلَى الْخَلْقِ (وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ) أَيْ اسْتَعْنَهُ (عَلَى) أَحْتَمَلَهُ (مَا تَصِفُونَ)
مِنْ هَذَا يَوْسُفَ وَالصَّبْرُ عَلَى الرُّؤْيَا (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ) وَفَقَّةٌ تَسِيرُ مِنْ قَبْلِ مَدِينٍ إِلَى مَصْرَ وَذَلِكَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْقَاءِ
يَوْسُفَ فِي الْحَبِّ فَأَخْطَا الطَّرِيقَ فَتَنَزَّلُوا قَرِيبًا مِنَ الْحَبِّ وَكَانَ الْحَبُّ فِي قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ مِنَ الْعِمَارَةِ وَكَانَ مَأْوَاهُمْ لَحْمًا فَعَدَّتْ حِينَ اتَّقَى
فِيهِ يَوْسُفَ (فَارْشَلُوا أَرْدَهُمْ) هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ الْمَاءَ لِيَسْتَقِيَ الْقَوْمُ أَسْمَهُ مَالِ بْنِ ذَعْرِ الْحَزْرَاعِيِّ (قَادِي دَلُوهُ)

قال والوارد هو الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيري الارشدة والدلاء يقال ادليت الدلو اذا
 أرسلتها الى البحر ودلوها اذا أخرجتها قال فعلق يوسف عليه السلام الصلابة والسلام بالجمال
 وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوي بسند متصل أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطى يوسف شطر الحسن ويقال انه نور ذلك الجمال
 من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن قال مجاهد بن اسحق ذهب يوسف وامه
 بناتي الحسن وحكي الثعلبي عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر
 خض البنية مسدوى الحلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعصدين والساقين
 خفيض البطن صغير المسرة وكان اذا تبسم رأيت النور من فواهكه واذا تسكلم رأيت
 شعاع النور من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل
 وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله وصورته قيل ان يصب الخبيثة
 قالوا اقلنا من ج يوسف وآمه مالك بن زعر كا حسن ما يكون من الغلمان (قال) يعني
 الوارد وهو مالك بن زعر (يا بشري) يعني يقول الوارد لا تصحبه ابشروا (هذا غلام)
 وقري يا بشري بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من أصحابه اسمه بشري كما تقول
 يا زيدو يقال ان جدران البئر بكت على يوسف حين خرج منها (وأمره بضاعة) قال
 مجاهد أسره مالك بن زعر وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة
 استضعفنا لبعض أهل المال الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة ان يطلبوا منهم الشراكة فيه
 وقيل ان اخوة يوسف أسروا شان يوسف يعني انهم أخفوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل
 قالوا هو عبد لنا بق وصدقه يوسف على ذلك لانهم توعده بالقتل سرا من مالك بن
 زعرو أصحابه والقول الاول أصح لان مالك بن زعر هو الذي أسره بضاعة وأصحابه (والله
 علم بما يعملون) يعني من ارادة اهلاك يوسف فعمل ذلك سببا لنجاته وحقه في إياه
 أن يصير ملك مصر بعد أن كان عبدا قال أصحاب الاخبار ان يهودا كان ياتي يوسف
 بالطعام فأتاه فلم يجد في الحب فآخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن زعرو أصحابه
 نزول قريبا من البئر فأتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا أبق منا وقال انهم
 هددوا يوسف حتى يترك حاله ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فلذلك قوله
 تعالى (وشروه) أي باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى
 بعته وانما وجب حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير في وشروه وكونوا فيه من
 الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زعموا فيه باعوه وقيل ان الضمير في
 وشروه يعود على مالك بن زعر وأصحابه في هذا القول يكون لفظ الشراء على يابه (بنين
 نجس) قال الحسن والحكماء وقائل والسدى نجس أي حرام لان من المحرمات و يسمى
 المحرم نجسا لانه نجس البركة يعني متوقفا عليها وقال ابن سعد وان عباس نجس أي
 زوف ناقصة العيار وقال قتادة نجس أي ظلوا الظلمة فقال الحق يقال ظلمه اذا نقض حقه
 وقال عكرمة والشعبي نجس أي ذليل وعلى الاقوال كلها فالنجس في اللغة هو نقص الشيء
 على سبيل الظلم والنجس والباحس الشيء الطفيف (دراهم معدودة) فيه اشارة الى قلة
 تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهما كما كانوا ياخذون

أرسل الدلو لملأها فنشبت
 يوسف بالدلو فنتزعوه (قال
 يا بشري) كوفي نأدي البشري
 كأنه يقول تعالى فهذا أولئك
 غيرهم بشري على اضافة البشري الى
 نفسه أو هو واسم غلامه فناداه
 مضافا الى نفسه (هذا
 غلام) قيل ذهب به يعلما
 دنا من أصحابه صاحب بذلك
 يدبرهم به (وأمره) الضمير
 للوارد وأصحابه أخفوه من
 الرفقة وأخوة يوسف فانهم
 قالوا الرفقة هذا غلام لنا قد
 ابق فاشروه منا وسكت يوسف
 مخافة أن يتلقوه (بضاعة) حال
 أي أخفوه متاعا للتجارة
 والبضاعة ما يباع من المال
 للتجارة أي قطع (والله علم بما
 يعملون) بما يعمل اخوة
 يوسف بايهم وأخبرهم من سوء
 الصنيع (وشروه) وباعوه
 (بمن نجس) بنجس ناقص
 من القيمة تنقصا ظاهرا أو
 زيفا (دراهم) بدل من من
 (معدودة) قليلة بعدد ولا
 توزن لانهم كانوا يعدون مادون
 الاربعين ويزنون الاربعين
 وما فوقها وكانت عشرين درهما

(وكانوا فيه من الزاهدين) عن رغب عما في يده فبيع بما آتاهن الطفيف أو مبيع وشرووه واشتروه يعني الرفقة من أخوته وكانوا فيه من الزاهدين أي غير راغبين لأنهم اعتقدوا أنه آتاهم ويروي أن أخوته ١٣ اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه لا ياتي فيه

ليس من صلة الزاهدين أي غير راغبين لان الصلة لا تتقدم على الموصول وإنما هو بيان كانه قيل في أي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه (وقال الذي اشتراه من مصر) هو قبطي وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والمالك يومئذ الريان بن الوليد وقد امن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز بن تته ورافو حرا وسكاهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وهو ابن ثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لا مر أنه) راعيل أو ليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه (أ كرى مشواه) اجعل منزله ومقامه عندنا كرى أي حسنا مرضيا بليل قوله انه ردى أحسن مشواى وعن الخصاك يذهب معاشه ولين لباسه ووطى نقر أشه (عسى أن يستغنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها تستظهر به على بعض ما نحن بسبيله (أو نتخذوه ولدا) أو نبتناه ونقيم مقام الولد وكان قبطي عقيم او قد تقرس فيه الرشد فقال ذلك (وكذلك) إشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب

مادونها عدد اذا بلغت أربعين درهما وهي أوقية وزنها واختاروا في عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة كانت عشر بن درهما فاقسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وإليه شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنتين وعشرين درهما فعلى هذا أخذ أخوه من درهمين لأنهم كانوا أحد عشر أخا وقال عكرمة كانت أربعين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) يعني وكان أخوة يوسف في يوسف من الزاهدين وأصل الزهدة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى أخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه أنهم حسدوه وأرادوا إبعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشرووه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شرووه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليشتروه عن شخص قليل ويحتمل ان يقال ان أخوته لما قالوا انه عبدنا وقد ابقى أظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الاخبار ثم ان مالك بن دعر وأصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم أخوته يقولون استوثقوا منه لا ياتي بمثلهم حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيوع فاشتراه قبطي قاله ابن عباس وكان قبطي صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بصير ونواحيها اسمه الريان بن الوليد ابن تروان وكان من العالين وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات يوسف عليه السلام حتى قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قبطي مالك بن دعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين أبيضين وقال وهب ابن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكاً ووزنه راوا كان وزنه أربعاً مائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قبطي بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر) يعني قبطي من أهل مصر (لا مر أنه) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (أ كرى مشواه) يعني أ كرى منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الإقامة وقيل أ كرى به في المظم والملبس والمقام (عسى أن يستغنا) يعني أن أردنا بيعه بمناله بربح أو يكفينا بعض أمورنا ومحتاجنا اذا قوى وبلغ (أو نتخذوه ولدا) يعني نبتناه وكان حضورا ليس له ولد قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لا مر أنه أ كرى مشواه عسى أن يستغنا أو نتخذوه ولدا أو نبته شعيب في موسى حيث قالت لبيها استأجرنا خدماً من استأجرت القوى الأمين وأبو بكر في عمر حيث استخلفه بعده (وكذلك مكنا يوسف في الأرض) يعني كل مننا على يوسف بأن انتخذناه من القتل وأنجناه من الحب كذلك مكناه في الأرض يعني أرض مصر فجعلناه على خزائنها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) أي مكناه في الأرض لكي نعلمه من تأويل الاحاديث يعني عبارة

تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكننا ليوسف) أي كل أنجينا عطفنا عليه العزيز كذلك مكناه (في الأرض) أي أرض مصر وجعلناه ملكاً يتصرف فيها بأمره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والمكين (والله غالب على

أمره (لا يمنع عما شاء أو على أمر يوسف ببلوغه ما أراد له دون ما أراد أخوته (ولكن أ كثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده) منتهى استعداده: ثوبه وهو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون (آ تبناه حكماً وعلماً) حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه أو حكما بين الناس ١٤ وفتها (و كذلك تجزى الحسنين) تنبيه على أنه كان محسناً في عمله متقياً في

عرفوا أمره (ورأوته التي هو في بيتها عن نفسه) أي طلبت يوسف أن يواقعها والمرادة مقابلة من راد برود إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت فعل الخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج به من يده فيحتال أن يغلبه عليه وياخذ منه وهي عبارة عن التعميل لمواقعته أيها (وغلقت الأبواب) وكانت سبعة (وقالت هيت لك) هو اسم لتعال رأ قبل وهو مبنى على الفتح هيت مكي بناء على الضم هت ماني وشأني واللام لليمان كانه قيل لك أقول هذا كما تقول هيت لك (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذاً (انه) أي أن الشأن والحديث (ربي) سيدي ومالكي يريد قصير (أحسن مثواي) حين قال لك أ كرم مثواي فاجزأه أن أخونه في أهله (انه لا يفلح الظالمون) الخائفون أو الزناة أو أراد بقوله انه ربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب (ولقد همت به) هم عزم (وهم بها) هم الطماع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله وهم بها هم خطر ولا يصح للعبد فيما يحظر بالقلب ولا مأخذة

الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على أمره) قيل الكناية في أمره راجعة إلى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دفاع لام ولا راد لقضاء ولا يغلبه شيء وتيل هي راجعة إلى يوسف ومعناه أن الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يملكه إلى أحد سواء حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن أ كثر الناس لا يعلمون) يعني ما هو صانع يوسف وما يريد منه (ولما بلغ أشده) يعني منتهى شبابه وشده وقوته قال مجاهد ثلاثون وثلاثين سنة وقال الخصال ثمانون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال السكبي الاثني عشر سنة إلى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشفاق قال هو الحلم (آ تبناه حكماً وعلماً) يعني آ تبنا يوسف بعد بلوغه الاشده بنوفاً في الدين وقيل حكماً يعني أصابه في القول وعلماً بأن أول الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم أن العالم هو الذي يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها ووصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظري (و كذلك) يعني وكما أعلمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك (تجزى الحسنين) قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه أيضاً المهتدين وقال الخصال يعني الصابرين على الترائب كصبر يوسف (ورأوته التي هو في بيتها عن نفسه) يعني ان امرأة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها (وغلقت الأبواب) أي أطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في سر وخفية أو انها أغلقتها لشدة خوفه (وقالت هيت لك) أي هلم واقبل قال أبو عبيدة كان السكبي يقول هي لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناه تعال وقال عكرمة أيضاً بالحوارية هلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية وهي كلمة حث وإقبال على الشيء وقيل هي بالعبرانية وأصلها هيت لك أي تعال فغيرت فقيل هيت لك قال أنها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت أصحاب هذه اللغة فكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم في القسطاس ولغة العرب الفرس في التمر ولغة العرب الترك في الغساق ولغة العرب الحبشة في ناشئة الليل وبالحيلة قال العرب اذا كلمت بكلمة صارت لغة فما قرئ هت لك بكسر الهاء مع المزة وقع معنا هيت لك (قال) يعني يوسف (معاذ الله) أي أعوذ بالله واعتصم به والجبأ إليه فبدأ دعوتي اليه (انه ربي) يعني ان العزيز قصير سيدي (أحسن مثواي) أي اكرم منزلي فلا أخونه وقيل ان الهأ في انه ربي راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربي أحسن مثواي يعني انه آواني ومن البلاء الحب تجاني (انه لا يفلح الظالمون) يعني اني فعلت هذا الفعل فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه)

عليه ولو كان همه كهمها لماسدحه الله تعالى بانه من عباد المخلصين وقيل وهم بها وشارف أن بهم بها الآية يقال هم بالامر اذا قصد عزم عليه وجواب (لولا أن رأى برهان ربه) محذوف أي لكان ما كان وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لا لا يتقدم عليه لانه في حكم الشرط وله صدر الكلام البرهان الحجة ويجوز ان يكون وهم بها دخلاً في حكم القسم في قوله ولقد همت به ويجوز أن يكون خارجاً عن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاماً باراسه

الآية هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين
الاول في ذكر أقوال المفسرين في هذه الآية قال المفسرون المهم والمقاربة من الفعل
من غير دخول فيه وقيل المهم مصدر وهمت بالشيء اذا أردته وحدته فكأنه نفسك به وقاربه
من غير دخول فيه معني قوله ولقد هممت به أى ارادته وقصدته فكان ههنا عزمها على
المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصدوه وعزم عليه قال الشاعر وهو عرو بن
ضباب البرجي

هممت ولم أفعل وكدت ولينني * تركت على عثمان تكي حلاله

وقوله ولقد هممت به معناه ولقد هممت بمخالطتهم وهم بها أى وهم بمخالطتهم لا لأن رأى
برهان ربه جوابه بخذوف تقديره لا لأن رأى برهان ربه لمخالطها قال البغوي وأما همه
بها فروى عن ابن عباس انه قال حل الميمان وحلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل
سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال
الضحاك جرى الشيطان بينهم فاضرب يده الى جدي يوسف وبه الاخرى الى جسد المرأة
حتى جمع بينهم قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال البغوي
والقول ما قاله قدماء هذه الامة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الانبياء عن غير علم قال
السدي وابن اسحق لما سأدت امرأة العز بنراودة يوسف عن نفسه جعلت تدكر له
محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينظر عن
جسدي قالت ما أحسن عينيك قال هي أول ما يبسل على خدي في تبرى قالت ما أحسن
وجهك قال هو للتراب ياكله وقيل انها قالت له ان فراش الحر بر منسوط قم فاقض حاجتي
قال اذا ذهب نصبي من الجنة فليترل طمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجدم من شيق
الشباب ما يحده الرجل وهي امرأت حسان جميلة حتى لان لها ما يرى من كفها لم فهمها
ثم ان الله تبارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره وسيأتى الكلام على تفسير البرهان
الذي رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله المفسرون في هذه الآية أما المقام
الثاني في تتر به يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة وبيان عصيته من هذه
الخضية التي ينسب اليها قال بعض المحققين المهم عمن فهم ثابت وهو ما كان معه عزم
وقصد وعقيدة رضاء مثل هم امرأت العز بنراول بعد ما خذبه وهم عارض وهو الخطرة في
القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فابعد غير ما خذبه مالم
يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي ببيتة فلا تبتوها عليه
فان عملها فكتبوها عليه سيئة واحدة واذا هم ببيتة فم يعملها فكتبوها له حسنة فان
عملها فكتبوها له عشرة لفظ مسلم والبخاري بمعناه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمأروبه عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات
والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم
بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبع مائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم
بسيئة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هو هم بها فعملها كتبها الله عليه سيئة

أن يقف على به ويبتدئ بقوله
وهم بها وفيه أيضا اشعار
بالفرق بين الهمين وفهمهم
يوسف بأنه حل تسكة سراويله
وقعد بين شعبها الاربع وهى
مستلقية على قفاها وفهم
البرهان بأنه سمع صوتا يالك
واياها مرتين فسمع نالها عرض
عنها فلم ينجح فيه حتى مثل له
يعقوب عاضا على اكلته وهو
باطل ويدل على بطلانه قوله
هى راودتني عن نفسي ولو كان
ذلك منه أيضا لما سأل نفسه من
ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه
السوء والغشاة ولو كان كذلك
لم يكن السوء مصر وقاعنه
وقوله ذلك ليعلم أني لم اخشعه
بالغيب ولو كان كذلك لكانه
بالغيب وقوله ما علمنا عليه من
سوء الا ان يحصى الحق أنا
راودته عن نفسه وانه لمن
الصادقين ولانه لو وجدته
ذلك لذكرت به واستغفاره
كما كان لا دم ونوح وذى النون
وداود عليهم السلام وقد سمع
الله تخلصا فعلم بالقطع انه ثبت
في ذلك المقام وطاهد نفسه
بجاهدة أولى العزم ناظر في
دلائل التوريم حتى استيقن من
الله التمام

واحدة زاد في رواية أوحاها ولن يهلك على الله إلا هالك قال القاضي عياض في كتابه
الشفاء فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لا يؤخذ به وليس سنة
وذكر الحديث المتقدم فلا معصية فيهم يوسف إذا وأما على مذهب المحققين من
الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وطلعت عليه النفس كان سنة وأما ما لم توطئ عليه
النفس من همومها وخواطرها فهو المغفوع عنه وهذا هو الحق فيكون أن شاء الله هم
يوسف من هذا أو يكون قوله وما يرى نفس الآية أي ما أرتبها من هذا الهم أي يكون
ذلك على طريق التواضع والاعتراف بخالفته النفس لما ذكر في قبل ويرى فكيف
وقد سجد كي أوحا تم عن أي عبدة أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهتم وان الكلام
فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لم يهتم بها وقال تعالى ما كيا
عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء وقال تعالى وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل
في قوله وهم بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها أي همها امتناعه وقيل هم بها أي نظر
إليها وقيل هم بضر بها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال
النساء عيان إلى يوسف ميسل شهوة فليخا حتى نأه الله فالتى عليه هيبسة النبوة فثقلت
هيبته كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله وأما الامام غفر
الدين فذكر في هذا المقام كلاما ملو بلا مسوطا وإن ذكر بعضه ملخصا فاقول قال
الامام غفر الدين الرازي أن يوسف عليه الصلاة والسلام كان يرتأى من العمل الباطل
والهم الخرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب فإن
الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت إلى ما نقله بعض
المفسرين عن الأئمة المتقدمين فإن الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة
أو هفوة استعظموها وأتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار وكذا ذكر عن آدم
عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال في حق داود عليه الصلاة والسلام
فاستغفر ربه وخرا كعا وأتاب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيئا من
ذلك في هذه الواقعة لأنه لو صدر منه شيء لآتبعه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة
لمحك الله ذلك عنه في كتابه كذا ذكر عن غيره من الأبداء وحيث لم يحك عنه شيئا لمنا
براءة بما قيل فيه ولم يصدر عنه شيء كما نقله أصحاب الأخبار وبدل على ذلك أيضا أن
كل من كان له نعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب إليه
واعلم أن الذين نسب لهم هذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطع
الدين والموالود الذي شهد على التميمي شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من
الذنب أيضا ما يبان أن يوسف ادعى براءته عما نسب إليه فقوله هي راودتني عن
نفسى وقوله رب العجيب أحب إلى عما يدعونني إليه وأما بيان أن المرأة اعترفت على
نفسها واعترفت ببراءة يوسف ونزاهته فقوله ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقوله الآن حكيص الحق أنار اودته من نفسه وأنه لم يصادق في وأما بيان أن
زوج المرأة اعترف ببراءة يوسف فقوله أنه من كيدك إن كيدك عن عظيم يوسف

أعرض عن هذا واسئغري لذنبك انك كنت من الخاطئين واماشهادة المولى دبرائه
 فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية واماشهادة الله بذلك فقوله تعالى كذلك انصرف
 عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشبه بان عليه
 سلطان بدليل قوله لا غويمهم أجمعين الاعداء منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال
 ابن الشيطان جرى بينهما حتى أخرج بيده جسد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكر
 لا يجوز لاحد ان يقول ذلك وأما ماروى عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخائن
 فخاشى ابن عباس ان يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض
 أصحاب القصص وأصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ماروى عن مجاهد
 وغيره أضافانه لا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف
 عليه الصلاة والسلام من هذه الزنية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وما صدر من
 أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فإن قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا ان
 رأى برهانه ربّه فأذنه قلتم فيه أعظم الفوائد وبهانه من وجهين أحدهما انه تعالى أعلم
 يوسف انه لو لم يدر فيها القتل فاعلمه بالبرهان أن الامتناع من ضربها أولى صوراً للنفس
 عن الهلاك الوجه الثاني انه عليه الصلاة والسلام واشتغل بدفعها عن نفسه لتعلق
 به فكاد في ذلك ان يتفرق به من قدام وكان في علم الله ان الشاهد يشهد بان ثوبه لم يتفرق
 من قدامه لكان يوسف هو الخائن واذا تفرق من خلف كانت هى الخائنة فاعلمه الله
 بالبرهان هذا المعنى فلم يشغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فانبت ذلك الشاهد حجة
 لا عليه واما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا ان رأى برهانه
 فقال قتادة وأكثرا المفسرين ان يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له
 يا يوسف اعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب من الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبیر
 ومجاهد وعكرمة والخالك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على اصبعه
 وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرحت شهوته
 من انامله وقال السدي نودى يوسف انواقها انما مثلك المالم توأقها مثل الطير في جو
 السماء لا يطاق عليه وان مثلك ان واقعتها كمثلها اذا وقع على الارض لا يستطيع ان
 يدفع عن نفسه شيئا ومثلك المالم توأقها مثل النور الصعب الذي لا يطاق ومثلك ان
 واقعتها كمثلها اذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع ان يدفع عن نفسه وقيل انه رأى
 معصما بالاعداء عليه مكتوب وان عليك لحافين كرا ما كائنين يعملون ما يقولون
 هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقر بوا الزنا انه كان فاحشة وساء بلافلى
 هاربا ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوم تخرجون فيه الى الله الآية ثم
 عاد فقال الله تعالى لغير بل عليه السلام أدرك عبيدى يوسف فبل ان يصيب الخطيئة
 فانخط جسر بل عاضا على اصبعه يقول يا يوسف اعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند
 الله من الانبياء وقيل انه منه بخناحسة فخرحت شهوته من انامله قال محمد بن كعب
 القرظى رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى كتابا في حائط فيه ولا تقر بوا الزنا انه كان

ومحل الكاف (كذلك) نصب اى مثل ذلك التثبيت ثبته اورفع اى الام مثل ذلك (لنصرف عنه سوء) خيانة السيد (والفساء) الزنا (انه من عبادنا الخالصين) ١٨ بفتح اللام حيث كان مدنى و كوفى اى الذين اخلصهم الله اطاعته

وبكسر ها غير هم اى الذين اخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا اى هو مخلص من جملة الخالصين (واستبقا الباب) وتسا بقا الى الباب هى للطلب وهو لله رب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه اوعلى تضمين استبقا معنى ابتدار ففرمهم ما يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لثمة معه الخروج ووحده الباب وان كان جمعه قوله وغلقت الابواب لانه اراد الباب البرانى الذى هو الخارج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراسخ القفل يتسائر واسقط حتى خرج (وقد تقيصه من دبر) احتذبه من خلفه فاتتد اى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته ثمة (والقياسيدها لى الباب) وصادقا بعلمه اظفهم مقبلا يريد ان يدخل فلما رآه احتمالت لتبرقه ساحتها عند زوجها من الزينة واختر يوسف طمعا فى ان يواطئها خفية منها ومن مكرها حيث (قالت ماجزاءن ارادها لك سوا) الان يسجن او عذاب اليم (ما نافية اى ليس جزاؤه الا السجن او عذاب اليم) وهو الضرب بالسياط ولم تصح يد كى يوسف وانه ارادها سوا لانها قصدت العموم اى كل من اراد اهلاك سوا خلفه ان يسجن اى يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هى راودتى عن نفسى) ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها

فأحشة وساء سيلا وقر رواية من ابن عباس انه رأى مشال ذلك الملك وعن على بن الحسن قال كان فى البيت ضئف قامت المرأة اليه وسرت به بنوب فقال لها يوسف عليه السلام ففعلت هذا فقالت استحييت منه ان برأى على معصية فقال لها يوسف استحيين عن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئا فانما أحق ان استحي من رى قربة فذلك قوله لولان رأى برهان ربه أما المحققون فقد فسروا البرهان بوجه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التى جعلها الله تعالى فى قلبه حالت بينه وبين ما يخطئ الله عز وجل الثانى البرهان حجة الله عز وجل على العبد فى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجعلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فذلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تتجوزهم عن فعل ما لا يليق فعله (كذلك) يعنى كما ارىناه البرهان كذلك (لنصرف عنه سوء) يعنى الاثم (والفساء) يعنى الزنا وقيل سوء مقدمات الفساء وقيل سوء النماء القبيح فصرف الله عنه ذلك كاه وجعله من عباده الخالصين وهو قوله (انه) يعنى يوسف (من عبادنا الخالصين) قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفينا هم بالنبوة واختارناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل قوله تعالى (واستبقا الباب) وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هاوبا مبادرا الى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمسايفة طلب السبق فسبق يوسف وأدركه المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبت به اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل (وقد تقيصه من دبر) يعنى شقته من خلف فعلم يوسف فخرج وخرجه خلفه (وآه ما سيدها لى الباب) يعنى فلما خرجا وجدوا زوج المرأة قطفير وهو العز بر عند الباب جالس مع ابن عم المرأة فلما رآته المرأة هابته وخافت التهمة فسبق يوسف بالقول (قالت) يعنى زوجها (ماجزاءن ارادها لك سوا) يعنى الفاحشة ثم خافت عاياه ان يقتل وذلك لشدة جهاله فقالت (الان يسجن) اى يحبس فى السجن ويمنع التصرف (أو عذاب اليم) يعنى الضرب بالسياط وانما بدأت بذكر السجن دون العذاب لان الحب لا يشهى ايلام الجيوب وانما أرادت ان يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالها أراد ان يبرهن عن نفسه (قال) يعنى يوسف (هى راودتى عن نفسى) يعنى طلبت معنى الفحشاء فابتغيت وفررت بذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد ان يذ كره هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هى ما قالت ولجئت عرضة احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هى راودتى عن

نفسى وهو الضرب بالسياط ولم تصح يد كى يوسف وانه ارادها سوا لانها قصدت العموم اى كل من اراد اهلاك سوا خلفه ان يسجن اى يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هى راودتى عن نفسى) ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها

وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وأما النبي الله الشهادة على لسان من هو من أهلها المذكور، أوجب للحجة عليها وأوثق
إبراهيم يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صديقا في العهد وسعى قوله شهادة ١٩

نفسى (وشهد شاهد من أهلها) يعنى وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا فى ذلك الشاهد
فقال سعيد بن جبيرة والبخاري كان صديقا في العهد فأنطه الله عز وجل وهو رواية عن ابن
عباس رضى الله عنهما من النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلموا بربية وهم صغار ابن
مباشطة بنية فروع وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم ذكره البغوي وغير
سندوا الذى جاء فى الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم
مخرجة فى الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهدا يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة
وقتاذه ومجاهد لم يكن صديقا ولكنه كان رجلا حكيمه اذ رأى وقال السدي هو ابن
عم المرأة فذكر فقال (ان كان قصه قد قدم قبل) أى من قدام (فصدقت وهو من
الكاذبين وان كان قصه قد قدم من) أى من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) وأما
كان هذا الشاهد من أهل المرأة لكون أقوى فى نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة
والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام
ونفي التهمة عنه من وجوه ومنها انه كان فى الظاهر مولودا لهذه المرأة والمملوك لا يدرى
يدبه الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف بعد هار بامه والى الباب لا يهرب ومنها
انهم رأوا المرأة قد تزيت باكل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انهم
عرفوا يوسف فى المدة الطويلة فآثروا عليه حالة تناسب اقامه على مثل هذه الحالة فكان
مجموع هذه العلامات دالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا (فلما رأى قصه
قد قدم من) يعنى فلما رأى قطيع زوج المرأة قيض يوسف عليه الصلاة والسلام قد
من خلفه عرف خيانة امرأته براءة يوسف عليه الصلاة والسلام (قال) يعنى قال لها
زوجها قطيع (انه) يعنى هذا الصبي (من كيدك كن) يعنى من حيلك كن ومكر كن (ان
كيدك عظيم) فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق
الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلنا أما كون الانسان
خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو أعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض
والجمال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن فى هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع
المشرى لمن من المكر والحيل والكيد فى اتمام ادهن ما لا يتدر عليه الرجال فى هذا
الاسباب وقيل ان قوله انه من كيدك كن ان كيدك عظيم من قول الشاهد وذلك انما
ثبت عنده خيانة المرأة براءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المسألة (يوسف)
يعنى يا يوسف (أعرض عن هذا) يعنى اترك هذا الحديث فلا تذكروا لاحدى لا يفتو
و يشيع ويتشرب بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكثر شهادتك فى الامور لا تهمته
فقد بان عذرك وبراءة تلثم التفت الى المرأة فقال لها (واستغفرى لذنبك) يعنى
توبى الى الله مما رميت يوسف به من الخطيئة وهو يرى عمتها وقيل ان هذا من
قول الشاهد يقول للمرأة سئلى زوجك ان يصفغ عفتك ولا يعاقبك بسبب ذنبك

نفسى (وشهد شاهد من أهلها) يعنى وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا فى ذلك الشاهد
فقال سعيد بن جبيرة والبخاري كان صديقا في العهد فأنطه الله عز وجل وهو رواية عن ابن
عباس رضى الله عنهما من النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلموا بربية وهم صغار ابن
مباشطة بنية فروع وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم ذكره البغوي وغير
سندوا الذى جاء فى الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم
مخرجة فى الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهدا يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة
وقتاذه ومجاهد لم يكن صديقا ولكنه كان رجلا حكيمه اذ رأى وقال السدي هو ابن
عم المرأة فذكر فقال (ان كان قصه قد قدم قبل) أى من قدام (فصدقت وهو من
الكاذبين وان كان قصه قد قدم من) أى من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) وأما
كان هذا الشاهد من أهل المرأة لكون أقوى فى نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة
والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام
ونفي التهمة عنه من وجوه ومنها انه كان فى الظاهر مولودا لهذه المرأة والمملوك لا يدرى
يدبه الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف بعد هار بامه والى الباب لا يهرب ومنها
انهم رأوا المرأة قد تزيت باكل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انهم
عرفوا يوسف فى المدة الطويلة فآثروا عليه حالة تناسب اقامه على مثل هذه الحالة فكان
مجموع هذه العلامات دالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا (فلما رأى قصه
قد قدم من) يعنى فلما رأى قطيع زوج المرأة قيض يوسف عليه الصلاة والسلام قد
من خلفه عرف خيانة امرأته براءة يوسف عليه الصلاة والسلام (قال) يعنى قال لها
زوجها قطيع (انه) يعنى هذا الصبي (من كيدك كن) يعنى من حيلك كن ومكر كن (ان
كيدك عظيم) فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق
الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلنا أما كون الانسان
خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو أعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض
والجمال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن فى هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع
المشرى لمن من المكر والحيل والكيد فى اتمام ادهن ما لا يتدر عليه الرجال فى هذا
الاسباب وقيل ان قوله انه من كيدك كن ان كيدك عظيم من قول الشاهد وذلك انما
ثبت عنده خيانة المرأة براءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المسألة (يوسف)
يعنى يا يوسف (أعرض عن هذا) يعنى اترك هذا الحديث فلا تذكروا لاحدى لا يفتو
و يشيع ويتشرب بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكثر شهادتك فى الامور لا تهمته
فقد بان عذرك وبراءة تلثم التفت الى المرأة فقال لها (واستغفرى لذنبك) يعنى
توبى الى الله مما رميت يوسف به من الخطيئة وهو يرى عمتها وقيل ان هذا من
قول الشاهد يقول للمرأة سئلى زوجك ان يصفغ عفتك ولا يعاقبك بسبب ذنبك

كان ضعيفا وقال لمن ان كيدك عظيم (يوسف) حذف منه صرف النساء لانه ما دى قريب مقاطن الحديث وفيه توبيخ
له وتلطيف لعله (أعرض عن هذا) الامر واكتمه ولا تحدث به ثم قال لارعل (واستغفرى لذنبك)

انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا ذنب متعمدا وانما قال بلفظ التذكير تعليميا
للكبر على الاناث وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء
وكن نساء امراء الساقى وامراء الحجاز ٢٠ وامراء صاحب الدواب وامراء صاحب السجين وامراء الحاجب

والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة
وانثى نساء غير حقيقي ولذا لم يقل
قالت وفيه لغتان كسر النون
وضمها (في المدينة) في مصر
(امراء العزيز) يردن قطعية
والعزيز المالك لسان العرب
(تراود فتاها) غلامها يقال
فتاى وقتاى أى غلامى وجارىتى
(عن نفسه) لتسأل شهواتها منه
(قد شغفها حبا) تميزاى قد
شغفها حبه يعنى خرق حبه
شغاف قلبها حتى وصل الى
الوادى والشغاف حجاب القلب
أو جادة رقيقة يقال لها لسان
القلب (انارتها في ضلال مبين)
في خطأ وبعد عن طريق الصواب
(فلم اسمعت) واعلم (مكرهن)
باعتها ليهن وقولهن امراء العزيز
عسقت عبدها الكنعانى
ومقتها وسمى الاغتيا بـمكرا
لانه في خفية وحال غيبة كما
يخفى الما كرمه وقيل كانت
استكتمتهن سرها فافشيهن عليها
(أرسلت اليهن) دعتهن قيل
دعتهن أربعين امرأة من الخمس
الذكورات (واعتدت) وهيات
أوتعت من العتاد (لهن متكا)
ما يتكئ عليه من غمارق
قصدت بتلك الهيئة

(انك كنت من الخاطئين) يعنى من الذين حين خنت زوجك وميت يوسف بالتهمة
وهو برى وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تعليميا الجنس الرجال على النساء
وقيل انه لم يقصده بالخبر عن النساء بل قصد بالخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره
انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقولهم وكانت من القانتين قوله عز وجل (وقال)
نسوة في المدينة أمراء العزيز تراود فتاها عن نفسه) يعنى وقال جماعة من النساء
وكن نسوة قيل كن أر بعوا ذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة في مدينة مصر وقيل
هى مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امراء صاحب الملك
وامراء صاحب دوابه وامراء خبازيه وامراء أساقية وامراء صاحب سجنه وقيل نسوة من
أشراف مصر امراء العزيز يعنى زليخا تراود فتاها عن نفسه يعنى تراود عبدها الكنعانى
عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمنع منها والفتى الشاب المحدث السن
(قد شغفها حبا) يعنى قد غلبها حبا والشغاف جلدته تحيط بالقلب يقال لها غلاف
القلب والمعنى ان حبه دخل الجلد حتى أصاب القلب وقيل ان حبه قد غلبها قلبها
كحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي حبه قلبها حتى لا تغفل شيئا سواه (انارتها
في ضلال مبين) يعنى في خطا بين ظاهرها حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف
والستر وأجبت فتاها (فلم اسمعت مكرهن) يعنى فلما سمعت زليخا يتوفهن وما
تحدثن به وانما سمى قولهن ذلك مكر لانهن طابن بذلك رؤية يوسف وكان وصف
لهن حسنه وجماله فتصدن أن يرينه وقيل ان امراء العزيز زافشت اليهن سرها
واستكتمتهن فافشين ذلك عليهن فذلك مكرها (أرسلت اليهن) يعنى انها لما سمعت
بانهن يلمنها على محبتها ليوسف اودت أن تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مائدة
يعنى صنعت لهن وليمة وضيافة ودعتار يعنى امراء من أشراف مدينتها فبهن هؤلاء
اللاتى غيرهن (واعتدت لهن متكا) يعنى وضعت لهن غمارق ومساند يتكئ عليهن
وقال ابن عباس وابن جرير والحسن وقتادة وبجاءه متكا يعنى طعاما وانما سمى الطعام
متكا لان كل من دعونه لطعمه عندك فقد أعددت له وسائدا يجلس ويتكئ عليها
فسمى الطعام متكا على الاستعارة ويقال اتكا ناعسة فلان أى طعمه ناعده والمتكا
ما يتكا عليه عند الطعام والشراب والمحدث ولذلك جاء النهى عنه في الحديث وهو
قوله صلى الله عليه وسلم لا تأكل متكئا وقيل المتكا الاترج وقيل هو كل شئ يقطع
بالسكين أو يجر بها يقال ان المرأة زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت
الوسائد ودعت النسوة اللاتي غيرهن يحب يوسف (وأنت كل واحدة منهن سكرتينا) يعنى
واعطت كل واحدة من النساء سكرتينا أى كل بها وكان من عادتهن ان ياكبن

وهي قعودهن متكئات والسكا كفن في ايديهن ان يدهشن عند رؤيته واشغلان عن نفوسهن فتقع ايديهن على اللحم
ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده (وأنت كل واحدة منهن سكرتينا) وكافوا الاياكلون في ذلك
الزمان الا بالسكا كفن كفعل الاعاجم

(وقالت اخرج عليهن) بكسر التاء بصري وعاصم وحجة وبضمه غيرهم (فلما رأينه أكبرنه) أعظمه منه وهن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل ١١ القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان

البحر والقوا كهنا السكيرين (وقالت اخرج عليهن) يعني وقالت زليخة ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زنته واختبته في مكان آخر (فلما رأينه) يعني النسوة (أكبرنه) يعني أعظمته ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطى شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي إلى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البلغوي بغير سند وقال اسحق بن أبي فروة كان يوسف إذا سار في أزقة مصر تلا لا وجهه على الحدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قيل ان يخرج من الجنة وقال أبو العباس الهالكي أمر وهبت إليه وفي رواية عن ابن عباس قال أكبرنه أي حضن وخشوه عن مجاهدوا الخثالك قال حضن من الفرح وأكبرأ كثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والمساء في أكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز ان يقال النساء قد حضنته لان حضن لا تعدي إلى مفعول قال الأزهري ان صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة إذا حضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار إلى حد الكبار فيقال لها أكبرت أي حضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمنا له وجعلنا الماء في قوله أكبرنه ماء الوتف لها ماء الكناية وقيل ان المرأة إذا خافت أو فرغت فرعا أسقطت ولها وتحيض فان كان ثم حيض فرعا كان من فزعهن وماهلهن من أمر يوسف حين رأينه قال الامام بخار الدين الرازي وعندي أنه محتمل وجهها آخر وهو انهن لما أكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسيمها الرسالة وأنار المصروع والاعيان وشاهدن فيه مهابة وهيبته ملكية وهي عدم اللذات إلى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتدال بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقروبا تلك المهيبة والمهيبته فتهجن من تلك الحالة فلا حرم أكبرنه وأعظمته ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال وجعل الآية على هذا الوجه أولى (وقطعن أيدين) يعني وجعان يقطعن أيدين بالساكنين التي معهن وهن يحسن انهن يقطعن الأترج ولم يجدن الالم لدهشتن وشغل قلوبهن يوسف قال مجاهد فإحسنا الابلدم وقال قتادة ابن أيدين حتى القيها والاصح أنه كان قطعاً من غير إمالة وقال وهب مات جماعة منهن (وقل) يعني النسوة (حاش لله ما هذا بشراً) أي معاذ الله ان يكون هذا بشراً (ان هذا الا ملك كريم) يعني على الله والمتصود من هذا أثبت الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد ذكر في النفوس ان لا شيء أحسن من الملك فلهذا وصفه بكونه ملكاً وقيل لما كان الملك مطهر من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التي تحصل للبشر وصف يوسف بذلك قوله تعالى (فالت الذي لم يمتني فيه) يعني قالت امرأه العزيز للنسوة فلما رأى يوسف

قد ربه على خلق جميل مثله (ما هذا بشراً) ان هذا الا ملك كريم نفن عنه البشرية لغرابة جهالة واثبت له الملكة وبتن بها الحكيم لما ذكر في الطباع ان لا أحسن من الملك كركزيه ان لا أقبح من الشيطان (قالت فذلك الذي لم يمتني فيه) تقول هو ذلك العبد الملكة في الذي صورتن في نفسك ثم لم يمتني فيه يعني انك لم تصوره

حتى صورته والاعذار تنفي في الاقتبان به (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) الاستعصام بتناهيه باللغة بدل على الامتناع
البلغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها وهذا بيان على أن يوسف عليه السلام يرى مما عاصره
أولئك القرى القم والبرهان ثم قلن له أطعم مولانا فقالت واعيل (ولئن لم يفعل ما أمره) الضمير راجع الى ما هو موصولة
والعنى ما أمر به خذف الجار كفى قوله ٢٢ أمرتك الخير أو ما صددت به والضمير يرجع الى يوسف أى ولئن لم يفعل

ودهن عند رؤيته فذلك الذي امتنني في محبته وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عند هن
حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها فاقها الكنعاني حبا وانما قالت فذلك الخ بعد ما قام
من المجلس وذهب وقال صاحب المكشاف قالت فذلك لم ينقل فهذا هو حاضره رفعا
لمنزله في المحسن واستحقاق ان يحب ويقتن به ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى يقولن
هشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم
لمتنني فيه ثم امرأة العزيز صرحت بما فعلت فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم)
يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت أنه لا ملامة
عليها منهن وانهم قد اصابهن ما صابها عند رؤيته ثم امرأة العزيز قالت (ولئن لم يفعل
ما أمره) يعني وان لم يطاوعني فيما دعوته اليه (ليستين) أى ليهما قن بالبعين والمحسن
(وليكونا من الصاغرين) يعني من الاذلاء الماهين فقال النسوة ليوסף أطعم مولانا
فيما دعيت اليه فاختار يوسف البعينة على المعصية حين توعدته المرأة بذلك (قال
رب) أى يارب (السجن) أحب الى مما يدعونني اليه (فيل ان الدعاء كان منها خاصة
وانما اضافته اليهن جميعا نحو وحامن التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى
انفسهن وقيل انهن لما قلن له أطعم مولانا صحت اضافته الدعاء اليهن جميعا ولا يه
يحضرتهن قال بعضهم لولم يقل السجن أحب الى لم يبدل بالسجن والا لولا ما بعد ان يسأل
الله العافية (والا تصرف عنى كيدهن) يعني ما أردن منى (أصب اليهن) أى أمل اليهن
يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه (وأ كن من الجاهلين) يعني من المذنبين
وقيل معناه أ كن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على ان من ارتكب ذنبا
الخاير تركه عن جهالة (فاستجاب له ربه) يعني فأجاب الله تعالى دعاء يوسف (فصرف
عنه كيدهن انه هو السميع) يعني لدعاء يوسف وغيره (العليم) يعني بحاله وفي الآية
دليل على ان يوسف عليه الصلوة والسلام لما أطلقته البلية بكيد النساء ومطالبتن اياه
بما يليق بحاله إلى الله ووقع الى الدعاء رغبة الى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك
الامر مع الاعتراف بانها لم يعصمه من المعصية فتوقع فيا نزل ذلك على أنه لا يتقدر أحد
على الانصراف عن المعصية الا بصحة الله واطقة به قوله عز وجل (ثم بداهم) يعني
للعزير وأحياه في الرأى وذلك انهم أرادوا ان يقتصر وامن أمر يوسف على الاعراض
وكنتم الحال وذلك ان المرأة قالت لزوجه ان ذلك العبد العبراني قد دفعني عند الناس
خبرهم بانى قد راودته عن نفسه فاما ان تأذن لي فأخرج وعذرت الى الناس وامان

أمرى اياه أى موجب أمرى
ومتقصد (البعين) ليعين
والانفى (وليكونا) بدل من
نون التأكيد الخفيفة (من
الصاغرين) مع السراق والسفك
والاباق كالمسرق قلبي وابق
منى وسفك دمي بالفراق فلا
بيناً ليوסף الضام والشراب
والنوم هنالك كما معنى هنا
كل ذلك ومن لم يرض عيشي في
الحجر برعى السرير أمرا حصل
في الحصر على الحصر حسيرا فلا
سمع يوسف تهديدها (قال رب
السجن أحب الى مما يدعونني
اليه) استند الدعوة اليهن لانهن
قلن له ما عليك لو أجبت مولانا
أو اقتنيت كل واحدة به فدعته
الى نفسه اسر فالتجأ الى ربه قال
رب السجن أحب الى من ركوب
المعصية (والا تصرف عنى
كيدهن) فزع عنه الى الله في
طلب العفة (أصب اليهن)
أمل اليهن والصورة المثل الى
الموتى ومنه الصالان النفوس
تدبوا اليها الطيب اسمها وروحها
(وأ كن من الجاهلين) من الذين
لا يعملون بما يعملون لان من

تحسينه

لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء ومن السهولة قلما كان في قوله

والا تصرف عنى كيدهن معنى طلب الصبر والدعاء قال (فاستجاب له ربه) أى أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه
هو السميع) لدعوات المتجئين اليه (العليم) بحاله وحالهم (ثم بداهم) فاعاله ضمير لالة ما يقره عليه وهو وليد محبته والمعنى
بداهم بداء أى ظهر لهم رأى والضمير في لهم للعزير وأهله

(من بعد ما رآوا الآيات) وهي الشواهد على براءته كقدا القميص وقطع الايدي وشهادة الصبي وغير ذلك (ليستجنته) لا بداء عذر الجمل واو اذ جاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك الا باسئزال المرأة ٢٣ لزوجهما وكان مطوا عا لهما وجيلا

ذولا زمامه في يدها وقد طمعت ان يبدله السجين وسخره لها او خافت عليه العيون وظننت فيه الظنون فلجأهما الخجل من الناس والوجل من لباس الى أن رضيت بالثياب مكان خوف الذهاب لتشتفي بخبره اذ منعت من نظره (حتى حين) الى زمان كانتا اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه (ودخل معه السجين فتيان) عيدان للثياب خبازه وشرابه بتمه اسم فادخلهما السجين ساعة اذ دخل يوسف لان مع بدل على معنى الخبيثة تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبه فيجب ان يكون دخولهما السجين مصاحبه له (قال احدهما) أي شرابه (أي أراني) أي المنام وهي حكاية حال ماضية (أعصر خرا) أي عنبتا سميت للعنب عبا يؤل اليه أو الثمر يلقب عمان اسم للعنب (وقال الآخر) أي خبازه (أي أراني اعمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نثما بتأويله) بتأويل ما رأينا (أنا نراك من الخسنيين) من الذين يحسنون عبارة الروايات من الخسنيين الى أهل السجين فانك تدأوى المريض وتعزى الحزين وتوسع على الفقير فاحسن اليك بتأويل ما رأينا وقيل

تجسسه فرأى حسنه (من بعد ما رآوا الآيات) يعني الذي اطلع على صدق يوسف وبرائه من قدا القميص وكلام الطفل وقطع النساء أي دينين وذهاب عقولهن عند رؤيته (ليستجنته) أي ليحسبن يوسف في السجن (حتى حين) يعني الى مدة يمرون رأيهم فيها وقال عطاء الى أن تنقطع مقالة الناس وقال عكرمة الى سبع سنين وقال السكبي خمس سنين فحسبه قال السدي جعل الله ذلك الخسيس تظهيرا ليوسف من همه بالمرأة (ودخل معه السجين فتيان) وهذه اغلاما كانا لوليد بن زوان العملي ملك مصر الا كبرا احدهما خبازه وصاحب طعامه والاخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحسهما وكان السدي في ذلك ان جماعة من اشرفه مصر ارادوا المكر بالملك واغتلبه وقتله فضعوا لهذين الغلامين مالا على ان يسميا الملك في طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع عن ذلك وقيل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقى لانا كل ايها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشرب مسموم فقال للساقى اشرب فشر به فلم يضره وقال الخباز كل من طعامك فاشرب فاطعم من ذلك الطعام دابة فلهيكت فامر الملك بحسبهما فحسبهما مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر مله ويقول اني اعبر الاحلام فقال احد الغلامين لصاحبه هلم فنجبر بهذا الغلام العبراني فقرأ ياله رؤيا فبالاه من غير ان يكونا قد روايا شيئا قال ابن مسعود ما رأينا شيئا منها لئلا نتحايل الخبير يابوسف وقال قوم بل كنا قد روايا رؤيا حقيقة فرأها يوسف وهما مهمومان فساألهما عن شأنهما فاذا كراهما غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا قد غتمتهما فقال يوسف فضاء على ما رأيتما فقصا عليه ما راياه فذلك قوله تعالى (قال احدهما) وهو صاحب شراب الملك (اني اراني اعصر خرا) يعني عنبتا سمى العنب خرا باسم ما يؤل اليه يقال فلان يطبخ الاخرى يطبخ اللبن حتى يصير آخ أو قيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال اني رايت في المنام كاني في بستان واذا فيه اصل حبله وعليها ثلاثة عنقا قيدت عنبتا وكن كاس الملك في يدي فعصر تها فيه وسقيت الملك فشر به (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (اني اراني اعمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) وذلك انه قال اني رايت في المنام كان فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز والوان اطعمة وسباع الطير تنهش منها (نثما بتأويله) أي اخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤل اليه امر هذه الرؤيا (أنا نراك من الخسنيين) يعني من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وبمثل الخباز ما كان احسانه فقال كان اذا مضى انسان في الخمس عاده وقيام عليه واذا ضاق على احد وسع عليه واذا احتاج احد جمع له شيئا وكان مع هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حرهم فجعل يسلمهم ويقول اصبروا واصبروا فقالوا بارك الله فيك ياقي ما احسن وجهك وخلعتك وحديتك لقد بدورك اناسي جوارك فن ان انت قال ان يوسف ابن صفي الله

انهم اتحايلوا ليمته فاه فقال الشراي اني رايت كاني في بستان فاذا بأصل حبله عليها ثلاثة عنقا قد من عنبت فقطقتهما وعصرتهما في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني رايت كاني فوق رأسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة فاذا سمع الطير تنهش منها

(قال لا تأتكم طعام ترزقانه الانبأ تسكيا) ٢٤ يتاويله اي بديان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل (قيل

يعقوب بن ذريح الله ابي بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجين ياقي والله لو
استطعت لمحت سبيلك ولكن سارقت بك وأحسن جوارك واختبر أي بروت السجين
ثم وثق وقيل ان القسيس لما رأى يوسف قال انا قد احببتك منذ رأيتك فقال لهما
يوسف انشدكم بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد
احببني عني فدخل على من ذلك بلاء واحببني أنى قالتم في الحب واحببني امرأة العزيز
فحبست فلما قصا عليه رؤياهما كره يوسف ان يعبرهما لهما حين سألاه ما علم ما في ذلك من
المكره لاحدهما واعرض عن سؤالهما واخذ في غيرهما فاعطاهن المعجزة والنبوة والدعاء
الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد ان يبين لهما ان درجته في العلم أعلى وأعظم مما
اعتقدا فيه وذلك انهما طالبا منه علم التعبير ولما كان هذا العلم مبني على الظن والتخمين
فأراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن الغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يحجز
الحق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان اقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى
وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اخبار المعجزة لانه علم ان أحدهما سلب فاراد
ان يدخله في الاسلام ويخذه من الكفر ودخول النار فاعطاه المعجزة لهذا السبب (قال
لا تأتكم طعام ترزقانه الانبأ تسكيا) قيل اراد به في النوم يقول لا تأتكم طعام
ترزقانه في نومكم الا خبر تسكيا خبره في اليقظة وقيل اراد في اليقظة يقول لا تأتكم
طعام من مثاؤكم كترزقانه يعني طعامه وتما كلاله الانبأ تسكيا ويلي معنى أخبر تسكيا
بقدره ولونه والوقت الذي حل اليك فيه (قيل ان تأتكم) يعني قيل ان يصل اليك
واي طعام اكتموا اكتموا ويلي اكتم وهذا مثل معجزة موسى عليه الصلاة والسلام
حيث قال وانتم تسكنا كما ترون وما تذكرون في بيوتكم فقال يوسف عليه الصلاة
والسلام هذا من علم العرافين والكهنة في اين لك هذا العلم فقال ما تابك ان ولا
عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي أخبرهم به (ذلك كما علمني ربي) يعني
ان هذا الذي أخبر تسكيا وحى من الله اوحاه الى وعلم علمه (اني تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله) فان قلت من اذرك قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه عليه الصلاة
والسلام كان داخل في هذه الملة ثم تركها وليس الام كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة
والسلام من حين ولدوا وواظفوا الى الوجود هم على التوحيد فامعنى هذا الترك في قوله
تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشي
والاقتفاء بالممارسة وليس من شرطه ان يكون قد كان داخل فيه ثم تركه ورجع عنه
الوجه الثاني وهو الاذرك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز
وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على التوحيد والايمان
انصدح صرح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله (وهم بالآخر هم كافرون)
فترك ملة منهم واعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرر برلفظة هم
في قوله وهم بالآخر هم كافرون للتوكيد لئلا يتركهم لانهم لم يوافقوه (واتبع
ملة آباءى ابراهيم واسحق ويعقوب) لما ادعى يوسف عليه السلام النبوة

ان تأتكم) ولما استعبراه ووصفاه
بالاسنان اقتصرت ذلك فوصل
به وصف نفسه بما هو فوق علم
العلماء وهو الاخبار بالغيب
وانه يثبتهم بما يحتمل اليأس
من الطعام في السجن قبل ان
يأتيهم ما يصفه لهما ويقول
اليوم آتاكم طعام من صفة
كيت وكيت فيكون كذلك
وجعل ذلك تلخيصا ان يذكر
لهما التوحيد ويعرض عليهما
الايمان ويترينه لهما ويخبر
اليوم الشرك وفيه ان العالم اذا
جهل منزله في العلم فوصف
نفسه بما هو بصدده وعرضه ان
يقبس منه لم يكن من باب
التركية (ذلك كما اشارة لهما
الى التأويل) بل أى ذلك التأويل
والاخبار بالغيبات (علماني
ربي) واوحى به الى وامله عن
تسكينه واتبع (انى تركت ملة
قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخر
هم كافرون) يجوز ان يكون
كل ما مضى او ان يكون تعليلا
لما قبله اى علمي ذلك واوحى
به الى انى رفضت ملة اولئك
وهم أهل مصر ومن كان القيان
على دينهم (واتبع ملة آباءى
ابراهيم واسحق ويعقوب) وهى
الملة الحقيقية وتكريرهم
للتوكيد ذكر الآباء ليرى بها
انه من بيت النبوة بعد ان
عرف حاله من ربي الى بيت

ذكر من اخبارنا يعقوب بن ذريح ما فى اتباع قوله والمراد به ترك الابتداء لانه كان فيه ثم تركه واطهر

(ما كان لنا) ما صيغ لثلاث عشر
الانبيا (ان تشرك بالله من
شيء) أى شئ كان صنفاً وغيره
ثم قال (ذلك) التوحيد (من)
فضل الله علينا وعلى الناس
ولكن له كثر الناس
لا يشكرون) فضل الله
فيشركون به ولا يشكرون
(يا صاحبي السجين) يا ساكني
الدجن كقوله أصحاب النار
وأصحاب الجنة (أأرباب
مترقون خير أم الله الواحد
القهار) يريد التفريق في العدد
والتكثير أى أن تكون
أرباب شئ يستعبد كهذا
ويستعبد كهذا أخيراً لكلام
يكون لكبار واحد قهار
لا يغاب ولا يشارك في
الربوبية وهذا مثل ضربه
لعبادة الله وحده ولعبادة
الاصنام (ما تعبدون) خطاب
للمؤمنين كان على دينهم من
أهل مصر (من دونه) من
دون الله (الأسماء) سميت بها
إنتم وآباؤكم أى سميت بمالا
يستحق الألية آلهة ثم طفتهم
تعدوهم أفكاً لكم لا تعبدون
الأسماء لا سميت لها معنى
سميت موهماً سميت بها يقال
سميت زيداً وسميت بزيد (ما أنزل
الله بها) يسميها (من سلطان)
حجة (ان الحكم) أى الحكم في أمر العبادة
والدين (الله) ثم بين ما حكم
به فقال

وأظهر المجزأة أظهر أنه من أهل بيت النبوة وان آباءهم كانوا أنبياء وقيل لما كان
ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا وعند
الحق والميزلة الرفيعة في الآخرة أظهر يوسف عليه الصلاة والسلام أنه من أولادهم
وأنه من أهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا أمره فيمادعوههم إليه من التوحيد
(ما كان لئسان تشرك بالله من شيء) معناه أن الله سبحانه وتعالى لما اختارنا للنبوة
واضفاء الرسل إليه وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لئسان تشرك به مع جميع هذه
الاختصاصات التي اختصنا بها قال الواحدى لفظة من في قوله من شيء زائدة وكدة
كقوله ما جاءني من أحد وقال صاحب الكشف ما كان اسماً صاعداً لثلاث عشر الانبياء
أن تشرك بالله من شيء أى شئ من ذلك أو حتى أو أنسى فضلاً أن تشرك به صنفاً
لا يسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك وأعلم الذي
رزقنا من فضل الله (عليه وعلى الناس) يعني بما نصب لهم من الأدلة الدالة على
وحدانيته وبين لهم طرق الهداية إليه فكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن
أكثر الناس لا يشكرون) يعني أن أكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها
عليهم لأنهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهم إلى الاسلام فقال (يا صاحبي السجين)
يريد يا صاحبي في الدجن فاضافهم إلى السجين كما يقول بأسارق الليلة لأن الليلة مسروق
فيما غيره مسروقة ويجوز أن يراد يا ساكني الدجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة
(أأرباب مترقون) يعني آلهة شئ من ذهب فضة وصفر وحديد وخشب وحجارة
وغیر ذلك وصغير وكبير ومتوسط مقبليون في الصنعة وهي مع ذلك لا تضر ولا تنفع
(خير أم الله الواحد القهار) يعني أن هذه الاصنام أعظم صفة في اندح واستحقاق اسم
الآلية والعبادة أم الله الواحد القهار وقال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده
وقيل هو المنقطع عن القرن والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كسائر الآحاد من
الاصنام المؤلفة لأن ذلك قد يكثر بانضمام بعضها إلى بعض والواحد ليس كذلك فهو
الله الواحد الذي لا مثل له ولا يشبهه شئ من خاقه القهار قال الخطابي القهار هو الذي
قهر الحجارة من خاقه بالغلبة وقهر الخلق كله بما رت وقال غيره القهار هو الذي
قهر كل شئ وذلكه فاستسلموا وانتقادوا له والمعنى أن هذه الاصنام التي تعبدونها ذليلة
مقهورة إذا أراد الإنسان كسرها وإهانتها بقدر علمه والله هو الواحد في ذلك كقوله القهار
لعباده الذي لا يلبس به شئ وهو الغالب لكل شئ سبحانه وتعالى ثم بين عز الاصنام
وانها لا شئ البتة فقال (ما تعبدون من دونه) يعني من دون الله وأنما قال تعبدون
بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالثنية في الخاطبة لأنه أراد جميع من في السجين من المشركين
(الأسماء) سميت موهماً يعني سميت موهماً آلهة وأرباباً وهي حجارة جمادات خالية
عن المعنى لا حقيقة لها (أنتم وآباؤكم) يعني من قبلكم سميت موهماً آلهة (ما أنزل الله
بهم من سلطان) يعني أن تسمية الاصنام آلهة لا حجة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها
وذلك أنهم سمعوا يقولون أن الله أمرنا به فلهذا تسمية فردد الله عليهم بقوله ما أنزل
الله به من سلطان (ان الحكم الله) يعني أن الحكم والقضاء والامر والنهي

(أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) ٢٦ الثابت الذي دلت عليه البراهين (واكن أكر الناس لا يعلمون) وهذا يدل

الشيخ طه) فأنسى الشراي (ذكره) به أن يذكر له أوعند ربه أوفأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى يوسف
غيره وفي الحديث رحم الله أحمى يوسف لولم يقل ذكرني عند ربك لما لبثت في السجن سبعاً (فلتب في السجن بضع سنين) أي
سبعاً عند الشهور والبضع ما بين الثلاث إلى التسع

(وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يا كلهن سبع بحاف وسبع سنبلات خضر واخر ياسات) لمادنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبه هاته رأى سبع بقرات سمان تخرجن من نهر يابس وسبع بقرات بحاف فابتلعت الحاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعتقد بها وسبع آخر ياسات قد استخضدت وأدركت فالتوت الياسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارة وقيل كان ابتداء بلاء يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاته أيضا الرؤيا سمان جمع سبعين وسمينة والحاف المازيل والحجف المزال الذي ليس بعده سمانه والسبب في وقوع بحاف جمع الحفاء وافعل وفعل لا يحجمان على فعال جله على نقيضه وهو ٢٧ سمان ومن دأبهم جل النظر على النظر

يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن مالم يثبث في قوله اذ كرفي عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس ذكره الله لي م سلا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا اخا المنذرين مالي اراك بين الحماطين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك انا استحييت مني ان استعنت بالادميين فوعزني وجلالي لا ليبتك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عسى راض قال نعم قال اذا لا بالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال هن رزقك قال الله قال فن حبسك الى ابيك قال الله قال فن نجسك من كرب البئر قال الله قال فن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فن صرف عسك السوء والفتشاء قال الله قال فكيف استعنت يا آدمي مثلك قالوا الفبا انقضت سبع سنين قال السكلي وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك وقد نواف ج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجن رأى ملك مصر الا كبرؤى باعجبه هاته وذلك انه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد تخرجن من البحر ثم خرج عقيرهن سبع بقرات بحاف في غاية المزال فابتلع الحاف السمان ودخل في بطونهن ولم يهرهن شيء ولم يثبتهن على الحاف مناشئ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعتقد بها وسبع سنبلات آخر ياسات قد استخضدت فالتوت الياسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرها شيء فجمع السيرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤيا التي رآها فذلك قوله تعالى (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يا كلهن سبع بحاف وسبع سنبلات خضر واخر ياسات يا أيها الملائة أفنوني في رؤياي) يعني يا أيها الاشراف اخبروني بتأويل رؤياي (ان كنتم للرؤيا تعبرون) يعني ان كنتم تفهمون علم العبارة وتفسرها وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا يسعى هذا العلم تعبيرا لان التفسير للرؤيا عارفا من ظاهرها الى باطنها المستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره (قالوا) يعني قال جماعة الملائة وهم السيرة والكهنة والمعبرون مجمين لذلك (أضغاث أحلام) يعني اخلاط مشبهة واحدها ضغت وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي

يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن مالم يثبث في قوله اذ كرفي عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس ذكره الله لي م سلا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا اخا المنذرين مالي اراك بين الحماطين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك انا استحييت مني ان استعنت بالادميين فوعزني وجلالي لا ليبتك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عسى راض قال نعم قال اذا لا بالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال هن رزقك قال الله قال فن حبسك الى ابيك قال الله قال فن نجسك من كرب البئر قال الله قال فن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فن صرف عسك السوء والفتشاء قال الله قال فكيف استعنت يا آدمي مثلك قالوا الفبا انقضت سبع سنين قال السكلي وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك وقد نواف ج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجن رأى ملك مصر الا كبرؤى باعجبه هاته وذلك انه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد تخرجن من البحر ثم خرج عقيرهن سبع بقرات بحاف في غاية المزال فابتلع الحاف السمان ودخل في بطونهن ولم يهرهن شيء ولم يثبتهن على الحاف مناشئ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعتقد بها وسبع سنبلات آخر ياسات قد استخضدت فالتوت الياسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرها شيء فجمع السيرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤيا التي رآها فذلك قوله تعالى (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يا كلهن سبع بحاف وسبع سنبلات خضر واخر ياسات يا أيها الملائة أفنوني في رؤياي) يعني يا أيها الاشراف اخبروني بتأويل رؤياي (ان كنتم للرؤيا تعبرون) يعني ان كنتم تفهمون علم العبارة وتفسرها وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا يسعى هذا العلم تعبيرا لان التفسير للرؤيا عارفا من ظاهرها الى باطنها المستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره (قالوا) يعني قال جماعة الملائة وهم السيرة والكهنة والمعبرون مجمين لذلك (أضغاث أحلام) يعني اخلاط مشبهة واحدها ضغت وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي

وتخمره أوت الرؤيا اذا ذكرت ما تأمل وهو جمعها وعبرت الرؤيا بالتحفيف هو الذي اعتمدت الالفاظ ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر (قالوا أضغاث أحلام) أي هي أضغاث أحلام أي تخالطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحدة ضغت فاستعبرت لذلك والاضافة بمعنى من أي أضغاث من احلام وانما جمع وهو حلم واحد تزايد في وصف الحلم بالباطلان وجازا ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا يارؤيا غيرها

(وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين) أرادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقرة الوالدس لمساعدة تائول بل انما التاويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بخارجين (وقال الذي نجا) من القتل (منهما) من صاحبي السجين (واد كر) بالدال هو الفصح وأصله ٢٨ اذكر فابدلت الذال دالا والتاء وأدغمت الاولى في الثانية لتقارب

المحرفين وعن الحسن واذ كر ووجهه انه قلب التاء ذالا وأدغم أى تذ كر يوسف وما شاهد منه (بعدامة) بعدمدة طويلة وذلك انه حين استقى الملك في رؤياه وأعصل على الملك تاويلها نذ كر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكركه عند الملك (أنا أنبئكم بتاويله) أنا أخبركم به عن عنده علمه (فارسون) وبالياء يعقوب أى فاعذوني اليه لاسأله فأرسلوه الى يوسف فاتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ في الصدق وانما قال ذلك لانه ذاق وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما قول (أفتناني سبع بقرات سبعان ياكلهن سبع عجاف) بقرات سبع بقرات سبعان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس) الى الملك واتباعه (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم فيطاولك ويخلصوك من محنتك (قال ترزعون سبع سنين) هو خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر فتجاهدون دليله قوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر في صورة الخبر للبالغة في وجوده المأمور به فيجعل كانه موجود وهو يجبر عنه (دأبا) يسكون الممزرعة وحفص يحركه وهماء صدر أدأب في العمل

براهما الانسان في منامه (وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين) لم يجعل الله هذه الرؤيا سببا للخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قد شاهد النقص الضعيف قد استولى على القوى الكاملة حتى قهره وغلبه فاراد ان يعرف تاويل ذلك فجمع شعربه وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى في منامه وسألهم عن تاويلها فاعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تاويل هذه الرؤيا ومنعهم عن الجواب ليكون ذلك سببا لخص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فلذلك قوله تعالى (وقال الذي يخافهما) يعني وقال السائق الذي يخاف من السجن والقتل بعده هلاك صاحبه الخنزير (واذكر بعدامة) يعني انه تذ كر قول يوسف اذ كرني عند ربك بعدامة يعني بعد حين وهو سبع سنين وسعى الحين من الزمان أمة لانه جماعة الامام والامة الجماعة (أنا أنبئكم) يعني أخبركم (بتاويله) وقوله أنا أنبئكم بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جماعة الكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان القى السائق جنابين يدى الملك وقال ان في السجن رجلا عالما بمعبر الرؤيا (فأرسون) فيه اختصار تذكره فارسى أنها الملك فإرسله فى السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة (يوسف) أى يا يوسف (أيها الصديق) انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في تعبير رؤياه التي رآها في السجن (أفتناني سبع بقرات سبعان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا (لعلى أرجع الى الناس) يعني أرجع بتاويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته (لعلهم يعلمون) يعني بتاويل هذه الرؤيا لعلهم يعلمون منزلة في العلم (قال) يعني قال يوسف معبر تلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضرة سبع سنين خضبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجذبة فذلك قوله تعالى (ترزعون) وهذا خبر بمعنى الامر أى أزرعوا (سبع سنين دأبا) يعني عادتم في الزراعة والدأب العادة وقيل أزرعوا لاجتماعهم (فأحصدتم فذروه في سنبله) انما أمرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسدوا بقره فيه السوس وذلك أبقي له على طول الزمان (الا قليلا ما كنا كون) يعني ادرسا قليلا من الحنطة لئلا كل بتقدر الحاجة وأمرهم بحفظ ألا كثروا لوقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين المجذبة وهو قوله (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد السنين الخضبة (سبع شداد) يعني سبع سنين مجذبة لمصلحة شديدة على الناس (يا كان) يعني يقين (ما قدمتم لمن) يعني يؤكل فيهن كل ما أعدتم وادخرتم لمن الطعام وانما أضاف الا كل الى السنين على طريق

التوسع

وهو حال من المأمورين أى دائبين (فأحصدتم فذروه في سنبله) كى لا ياكله السوس (الا قليلا ما كنا كون) في تلك السنين (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يا كان) هو من اسناد الجواز جعل أكلهم مستندا اليهن (ما قدمتم لمن) أى في السنين الخضبة

(الاقليما تحسون) تحززون وتحزنون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد اربع عشرة سنة عام (فيه بغاث الناس) من الغوث أي يجاب مستقيمهم أو من الغيث أي يطرون يقال غيث السلا إذا مطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الاثربة والادهان يعصرون حمزة فاول البقرات السماء والسنبيلات المحضرب سنبين مخصب والجفاف واليابسات سنبين مجدية ثم شرهم بعد الفراع من تأويل الرؤيا ٢٩ بان العام الثامن يجي مباركا

كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي (وقال الملك اتقوني به فلما جاءه الرسول) اخبره من السجن (قال ارجع الى ربك أي الملك) فاسأله ما بال النسوة أي حال النسوة (اللاتي قطعن أيديهن) انما ثبت يوسف وتاني في اجابة الملك وقد سأل النسوة ليظهر براءه فسأته عماري به وبسجن فيه ثلاثا يسأله به المحاسدون الى تقيع امره عنده ويحمله سلا الى حظ منزله لديه ولا يلقوه سلا ما خلف في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وحرم كبير وفيه دليل على الاجتهاد في تقي التهم واجب وجوب ابقاء الوقوف في موافقها وقال عليه السلام لقد عذبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات الجفاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشتري ان يخرجوني ولقد عذبت من حين آتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولأبنت في السجن ما لبث لاسرعت

التوسع في الكلام (الاقليما تحسون) يعني تحززون وتذخرون للبذر والاحصان الاراض وهو ابقاء الشيء في الحن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد هذه السنين الحدية (عام فيه بغاث الناس) أي يطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هومن قوتهم استغث فلان فاعاثنى من الغوث (وفيه يعصرون) يعني يعصرون العنب خراوا الزيتون وادهان السمسم دهنارا اذ به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة المخصب في الرزق والثمار وقيل يعصرون معنانيخون من السكر بالاشددة والجدب قوله عز وجل (وقال الملك اتقوني به) وذلك ان السابق لما رجع الى الملك واخبره بقتل يوسف وما عبره رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كائن لا محالة فقال اتقوني به حتى ابصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياه بهذه العبارة فرجع السابق الى يوسف وقال له ارجع الى الملك فذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) فأتى ان يخرج معه حتى يظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص (قال) يعني قال يوسف للرسول (ارجع الى ربك) يعني الى سيدك وهو الملك (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ولم يصرح بذلك امره العزيز بأدبا واحتراما لها (ق) من أي هز برؤى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي أخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره ونياته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه ما بذرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث في السجن وراسل الملك في كشف امره الذي يحسن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على الخنة والبلاء وقوله (ان ربي يكيدهم علم) يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهم وما احتلن في هذه الواقعة من الخيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامر أمة العزيز بهن و (قال) لمن (ما خطبكن) أي ما شأنكن وأمر كن (اذ اردتن يوسفن أنفسه) انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امر أمة العزيز بزوجها ليكون استرها وقيل ان امرأة العزيز يزودتة عن نفسها وحدها وسائر النسوة امرته بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب (فان) يعني النسوة جميعا محبيات للملك (حاش الله) يعني معاذ الله (ما علمنا عليه من سوء) يعني من خيانة

الاجابة وبادرت السباب ولما ابتغمت العذر ان كان الحيلة ما ذا تأت من كرمه وحسن ادبه انهم لم يذكر سببه مع ما صنعت به وتسميت نفسه من السجن والعذاب واقصر على ذكر المظطعات ايدين (ان ربي يكيدهم علم) أي ان كيدهم عظيم لا يعلمه الا الله وهو محازي بهم عليه فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المنطعات ايدين ودعا امرأة العزيز بزم (قال) لمن (ما خطبكن) ما شأنكن (اذ اردتن يوسفن أنفسه) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قل حاش الله) تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) من ذنب

(قالت امرأة العزيز لآل ن
 حخصص الحق) ظهور واستقر
 (أنارأودته عن نفسه وانه لمن
 الصادقين) في قوله هي راودتي
 عن نفسي ولا خير لي على شهادتي
 له لبراءة والنزاهة واعتزافهن
 على أنفسهن بانه لم يمتلئ بشئ
 مما كذف به ثم رجع الرسول
 الى يوسف وأخبره بكلام
 النسوة واقرار امرأة العزيز
 وشهادتها على نفسها فقال
 يوسف (ذلك) أي امتناعي
 من الخروج والتثبت لظهور
 البراءة (ليعلم) العزيز (اني
 لم أخنه بالغيب) بظهر الغيب
 في سرته وبالغيب حال من
 الفاعل أو المفعول على معنى
 وأنا غائب عنه أو هو غائب عني
 أولي علم المثلث اني لم أخن العزيز
 (وأن الله) أي وليعلم أن الله
 (لا يهدي كيد الخائنين)
 لا يبدده وانه تعريض بامرأته
 في حياتها امانة زوجها ثم أراد
 أن يتواضع لله ويضم نفسه
 أن لا يكون لها شركاء ولا يمين
 ان ما فيه من الامانة يتوفيق
 الله وعظمته فقال (وما أبرئ
 نفسي) من الزلوم واشهد لها
 بالبراءة الكلية ولا زكيا في
 عموم الاحوال أو في هذه
 المحادثة كما ذكرنا من القسم
 الذي هو الحظرة البشرية لآل ن
 حار في التصديق والعزم

في شئ من الاشياء) قالت امرأة العزيز لآل ن حخصص الحق) يعني ظهور وتبين وقيل ان
 النسوة أقبلن على امرأة العزيز فغفرت لها وقيل خافت أن يشهدن عليها فافترت فقالت (انا
 راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) يعني في قوله هي راودتي عن نفسي واختلقتوا في
 قوله (ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب) على قولين أحدهما أنه من قول المرأة وتوجه هذا
 القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة لآل ن حخصص الحق أنارأودته عن
 نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف
 اني لم أخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم أكذب عليه بل قلت أنارأودته عن نفسه
 وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في تأكيده هذا
 القول فقالت (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) يعني اني لما أقدمت على هذا الكيد
 والمكر لآل ن حخصص الحق اني افتخعت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني انه من
 قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الأكثرين من التفسيرين والعلماء ووجه
 هذا القول انه لا يعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى
 هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف قول المرأة أنارأودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
 قال يوسف ذلك أي الذي فعلت من ردى رسول الملك اليه ليعلم يعني العزيز اني لم أخنه
 في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة
 العزيز أنارأودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لعرفه السامعين لذلك مع غرض
 فيه لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير
 هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا من قول الملائكة أنارأودته عن نفسه
 فرعون ومنه قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يقولون
 من قوله عز وجل تصديقهم على هذا القول اختلعتوا أي كان يوسف حين قال هذه
 المقالة على قولين أحدهما انه كان في السجن وذلك أنه لما رجع اليه رسول الملك وهو
 في السجن وأخبره بحجوب امرأة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب
 وهذه رواية أبي صالح عن ابن عباس وقيل ابن جرير والقول الثاني انه قال هذه
 المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاع عن ابن عباس * فان قلت فعلى هذا
 القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهي اشارة لقا ئم مع حضوره عندهم * قلت
 قال ابن الأثير في قوله (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) وذلك بضم الخاء في هذا
 من أصحابه فصار كالمشاهد الذي يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله بقول
 ذلك الذي فعلته من ردى الرسول ليعلم اني لم أخنه بالغيب أي لم أخن العزيز في حال
 غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لو كنت
 خائسا لما خدني الله من هذه الورطة التي وقعت فيها لان الله لا يهدي أي لا يرشد
 ولا يوفق كيد الخائنين واختلعتوا في قوله (وما أبرئ نفسي) من قول من على
 قولين أيضا * أحدهما أنه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك
 ليعلم اني لم أخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ نفسي من

(ان النفس لا مارة بالسوء)
 أراد الجنس أي ان هذا الجنس
 يأمر بالسوء ويحمل عليه لمافيه
 من الشهوات (الامر رحم ربي)
 الا البعض الذي رحمه ربي
 بالعصمة ويحوز ان يكون
 ماحرم في معنى الزمان أي الا
 وقت رحمة ربي يعني انها مارة
 بالسوء في كل وقت الا وقت
 العصمة أو هو استثناء منقطع
 أي ولكن رحمة ربي هي التي
 تصرف الاساءة وقيل هو من
 كلام امرأة العزيز يري أي ذلك
 الذي قلت ليعلم يوسف اني لم
 أخنعه ولم أكذب عليه في حال
 النعمة وحيث بالصدق فيما
 سئلت عنه وما برئ نفسي مع
 ذلك من الخيانة فاني قد خنته
 حين قد خنته وقلت ما خذ من
 أراد بأهلك سواء الآن سجين
 وأودعته السجن تريد الاعتذار
 عما كان منها ان كل نفس لا مارة
 بالسوء الا ما رحم ربي الانفسا
 زجهما الله بالعصمة كنفس
 يوسف (ان ربي غفور رحيم)
 استغفرت ربي واسترجعته عما
 ارتكبت وانما جعل من كلام
 يوسف ولادليل عليه ظاهر لان
 المعنى بقوله وقيل هذا من
 تقديم القرآن وتأخيره أي قوله
 ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله
 ما بال النسوة اللاتي قطعن
 أربعن (وقال الملك اتوني به
 استخلصه لنفسى) اجعله خالصا
 لنفسى (فلما كلفه) وشاهد منه
 ما لم يحتسب

مراودني يوسف عن نفسه وكذا عليه * والقول الثاني وهو الاصح وعليه أكثر
 المفسرين أنه من قول يوسف عليه السلام وذلك أنه لما قال ذلك ليعلم اني لم
 اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين همت بها فقال يوسف عند ذلك وما برئ نفسي
 وهذه رواية عن ابن عباس ايضا وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك
 ليعلم اني لم اخنه بالغيب خاف أن يكون قد زكى نفسه فقال وما برئ نفسي لان الله تعالى
 قال فلا تزكوا أنفسكم فني قوله وما برئ نفسي فضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز
 وجل فان رؤية النفس في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فاراد ان التذلل عن نفسه
 فان حسنات الارباب سيئات المقرين (ان النفس لا مارة بالسوء) والسوء لفظ جامع
 لكل ما يهيم الانسان من الامور الدنيوية والاخرية والسيئة الفعلية القبيحة واختلوا
 في النفس الامارة بالسوء ما هي فالذي عليه أكثر الحققين من المتكلمين وغيرهم ان
 النفس الانسانية واحدة فلما صفت منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة فلما صفت منها
 فهداه الثلاث المراتب هي صفات للنفس واحدة فاذا دعت النفس الى الشهوات وامالت
 اليها فهي النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها أتت النفس اللوامة فلما صفتها على ذلك الفعل
 القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا
 من صفات النفس المظمنة وقيل ان النفس امارة بالسوء بضمها فاذا تركت
 وصفت من اخلاقها الذميمة صارت مظمنة وقوله (الامر رحم ربي) قال ابن عباس
 معناه الامن عصم ربي فتكون مأمنة معنى من فهو كقوله ما طاب لكم من النداء يعني من
 طاب لكم وقيل هذا استثناء منقطع معناه لكن من رحم ربي فصمه من متابعة النفس
 الامارة بالسوء (ان ربي غفور رحيم) يعني غفور لذنوب عباده (رحيم) بهم قوله تعالى
 (وقال الملك اتوني به استخلصه لنفسى) وذلك انه لما تين للملك عذر يوسف وعرف
 امامته وعلمه طلب حضوره اليه فقال اتوني به يعني بيوسف استخلصه لنفسى أي
 اجعله خالصا لنفسى والاستخلاص طلب خلو الشيء من جميع شوائب الاشتراك
 وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك ان ينقروا بالاشياء
 النفيسة العزيزة ولا يشاركون فيها أحدا من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده
 في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى أهل السجن وحسن
 أدبه وثباته على الحق كلها فلهذا حسن اعتقاده الملك فيه واذا أراد الله تعالى إمرأ
 هيا أسبابه فلهذا الملك ذلك فقال اتوني به استخلصه لنفسى (فلما كلفه) فيه اختصار
 تقديره فلما جاءه الرسول الى يوسف فقال له أحب الملك الآن بلا معاودة فلما به روى ان
 يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاه فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تنعم
 عليهم الا بخير فهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على يابه هذا
 بنت البلاء وقبر الاحياء ودمعة الامعاء وتجربة الاصدقاء ثم اغسل و نظف من
 ذرر السجن وليس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال
 حسي ربي من دنياي وحسي ربي من خلقه عزجارك وجل ثنائك ولا اله غيرك ثم دخل

(قال) الملك يوسف (انك اليوم)
 لدينا مكيان امين) فو مكانة
 ومنزلة امين مؤمن على كل شيء
 روي ان الرسول جاء ومعه
 سبعون حاجبا وسبعون مكيان
 وبعث اليه لباس الملوك فقال
 اجب الملك فخرج من السجن
 ودعا لاهله اللهم عطف عليهم
 قبلوا الاختيار ولا تم عليهم
 الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار
 في الوقائع واتب على باب
 السجن هذه منازل البلوا وقبور
 الاحياء وشعثة الاعداء
 وتجربة الاعداء ثم اغتسل
 وتنظف من درن السجن ولبس
 ثوبا جادا فلما دخل على الملك
 قال اللهم اني اسألك بخيرك
 من خيره واعوذ برك وقدرتك
 من شره ثم سلم عليه ودعاه
 بالعبرانية فقال ما هذا الانسان
 قال لسان آتاني وكان الملك يتكلم
 بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه
 بجملة ما فتحب منه وقال ايها
 الصديق اني احب ان اسمع
 ورواي منك قال رأت بقرات
 فوصف لهنهن واحولهن ومكان
 خروجهن ووصف السنابل
 وما كان منها على الهيئة التي
 رآها الملك وقال له من حقك
 ان تتجمع الطعام في الاهداء
 فيأتيك الخاق من النواحي
 ويتأرون منك ويجمع لك من
 الكنوز ما لم يجمع لاحد قبلك
 قال الملك ومن لي بهذا ومن
 يجمعه (قال يوسف) اجعلني

الدار فلما ابصر الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما
 نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا الانسان قال لسان عبي
 اسمعيل ثم دعاه بالعبرانية فقال له وما هذا الانسان ايضا قال يوسف هذا لسان آتاني قال
 وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلي يعرف هذه اللسانين وكان الملك كلما كلمه لسان
 اجابه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك اعجبه ما رأى مع
 حدائنه سن يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاحسبه الى جنبه
 فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد ان
 يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال
 اني اتى بها الملك هذا الذي علم تأويل رؤياك معجز السحر والذكهنة عنها فاقبل عليه
 الملك (قال انك اليوم لدينا مكيان امين) يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أي منزلة وهي
 الحالة التي يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت
 امانتك ومنزلتك وصدقك وبرائك قلت مما نسبت اليه وقوله مكيان امين كلمة جامعة لكل
 ما يحتاج اليه من الفضائل والناقب في امر الدين والدنيا روي ان الملك قال يوسف
 عليه الصلاة والسلام احب ان اسمع تأويل رؤياي منك شفاها فقال نعم ايها الملك رأت
 سبع بقرات سمان شهب غر حسان غير عجاف كشغلك عنهن النيل فطلعن من شاطئه
 تعجب اخلافتن لينا فيمنما انت تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نصب النيل فغار
 ماؤه وبدا يسه فخرج من جائته سبع بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس
 لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس وكف الكلاب ونرا طيم نكر اطم
 السباع فاقتطعن بالسمان فاقترسن السمان كقتراس السبع فاكننن لموهن وقرقن
 جلودهن وحقطن عظامهن ومشمسن مخنن فيمنما انت تنظر وتتعجب كيف غلبهن
 وهن مهازل بل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعدا كلهن اذ سمع سبلا خضر طربات
 ناعمات مثلثات حبا وماء الى جانهن سبع آخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في
 الثرى والماء فيمنما انت تقول في نفسك أي شيء هو لا خضر معمرات وهو لا سود يابسات
 والمنبت واحد واصلوهن في الثرى والماء اذ هبت ريح فذرت أوراق السابسات السود
 على الخضر المعمرات فاشتعلت فيهن النار فحرقتهن فصرن سودا فها ما رأت ايها الملك
 ثم انتهت مدعورا فقال الملك والله ما خطأت منها شأفا شأنا هذا الرؤيا وان كان
 فجمعا هو بالجمع مما سمعت منك وما ترى في تأويل رؤياي ايها الصديق قال يوسف
 عليه الصلاة والسلام اري ان تجمع الطعام وترزق زرعا كثيرا في هذه السنين الخمسة
 وتقبل ما يتحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبيه وسنبله فانه ابق له فيكون ذلك
 القصب والسنبيل علما للدواب وتأمر الناس فليرفعوا الخبز من زرعوهم ايضا فيكفيك
 ذلك الطعام الذي جمعه لاهل مصر ومن حولها وتأنيك الخلق من سائر النواحي لميرة
 ويجمع عنده من الكنوز والاموال ما لا يجمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا
 ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفني العمل فيه فعند ذلك (قال) يعني يوسف (اجعلني)

(علي) علم بوجوه التصرف
وصف نفسه بالامانة والكفاية
وهما طلبة الملوك ممن يولونه
وانما قال ذلك ليتوصل الى
امضاء احكام الله واقامة الحق
وبسط العدل والتكتم مما
لاجله بعث الانبياء الى العباد
واعلمه ان احدا غيره لا يقوم
مقامه في ذلك فطلبه ابتغاء
وجه الله لالحب الملك والدين
وفي الحديث رحم الله ائمة
يوسف فلولم يقل اجعلني على
خزائن الارض لاستعمله من
ساعته ولكنه اخذ ذلك سنة
قالوا فيه دليل على انه يجوز
ان يتولى الانسان عمالة من
يد سلطانا خيرا وقد كان السلف
يتولون القضاء من جهة
الظلمة واذا علم النبي او العالم
انه لا سبيل الى الحكم بامر الله
ودفع الظلم اليه فليترك
الكافر او الغاسق فله ان يستظهر
به وقيل كان الملك يصدر
عن رأيه ولا يعترض عليه في
كل ما رأى وكان في حكم التابع
له (وكذلك) ومثل ذلك
التمكين الظاهر (مكنا يوسف
في الارض) ارض مصر وكانت
اربعة فرسخا في اربعين الف تمكين
القدرا واعطاء المسكنة (يتبوا
منها حيث يشاء) أي كل مكان
اراد ان يتخذ منزلا لم يمنع منه
لا سيلا ثم على جميعها ودخولها
تحت سيطرته نشاءه كي

على خزائن الارض) يعني على خزائن الطعام والاموال واراد بالارض ارض مصر اى
اجعلني على خزائن ارضك التي تحت يدك وقال الربيع بن أنس اجعلني على خزائن
خارج مصر ودخلها (اني حفيظ علم) أي حفيظ لخزائن علم بوجوه مصالحها وقيل
معناه اني حاسب كاتب وقيل حفظ لما استودعتني علم بما وليتني وقيل حفيظ للحساب
علم اعلمه من يأتيني وقال الكلبي حفيظ بتقديره في السنين المخصصة للسنين المحددة
عليه بوقت المجموع حين يقع فقال الملك عند ذلك ومن احق بذلك منك وولاه ذلك
وروي البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله ائمة يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته
ولكنه اخذ ذلك سنة * فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة
والولاية مع ما ورد من النبي عن امر كراهية طلبها لما صح من حديث عبد الرحمن بن
سبرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان
اوتيتها عن مسئلة وكنت اليها وان اوتيتها عن غير مسئلة اعنت عليك اخراجها في الصحين
قلت انما يكره طلب الامارة اذ لم يتعين عليه طلبها فاذا تعين عليه طلبها وجب ذلك
عليه ولا كراهية فيه فاما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه
مرسل من الله تعالى والرسول اعلم بمصالح الاممة من غيره واذا كان مكافرا رعاية المصالح
ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قسط وشدة
اما بطريق الوحي من الله او بغيره مورعا افضى ذلك الى هلاك معظم الحق وكان في
طلب الامارة ابطال الخير والراحة الى المستقيمين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب
فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ علم والله تعالى يقول فلا تزكوا
انفسكم * قلت انما يكره تركية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل
به الى غير ما يحصل فهذا القدر المذموم في تركية النفس اما اذا قصد به تركية النفس
ومدحها باصل الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يجرم بل يجب عليه ذلك مثاله
ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه ان يقول انا عالم ولما
كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا فانه يوسف
بقوله اني حفيظ علم على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا ايضا مع كل علم بمصالح
الدين قوله عز وجل (وكذلك) مكنا يوسف في الارض) وكذلك اشارة الى ما تقدم
يعني وكما انما علم على يوسف ان الخبيثات من الحب وخلصناه من السجن وزيناه في عين
الملك حتى قرر به وادنى منزلته كذلك مكناه في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكين
هو ان لا ينازعها منازع فمباراهو يختاره واليه الاشارة بقوله (يتبوا منها حيث يشاء)
لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيرهما انقضت السنة من يوم سأل يوسف
الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسببه وحلاه بختاه ووضع له سرير من ذهب مكللا
بالدرا واليا قوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا
وستون ماريضا وبله عليه كاه من استبرق واه ان يخرج فخرج متواضعا كالحمل
ن

ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك
 السرير ودانت ليوسف الملوكة وقوض الملك الا كبر اليه ملكه وعزل قطيع عما كان
 عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان الملك مصر خزان كثيرة
 قبلها الى يوسف وسلاسله سلطانة كله وجعل امره وقضاء نافذا في مملكته قالوا له هلك
 قديم عزيز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما
 دخل يوسف عايلما قال لها اليس هذا اخبرنا ان كنت تريد ان قالت له ايها الصديق
 لا تخفي فاني كنت ام امة حسنة ناعمة كثر لي في ملك وديار وكان صاحبي لا ياتي النساء
 وكنت كجاءك الله في حسنك وهيبتك فغلبتني نفسي وعصمت الله قالوا فوجدها
 يوسف عذرا فاضاها فولدت له ولدين ذكرين اخرين وميتاوهما ابنا يوسف منها
 واستوت بقا ليوسف ملك مصر واقام فيه العدل واجبه الرجال والنساء فلما اطمان
 يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام احسن التدبير في الحبوب والبيوت الكثيرة
 وجمع فيها الطعام السنين الجديدة وانفق المال بانه يوف حتى خلت السنون الخمسة
 ودخلت السنون المهدية يبول وشدة لم الناس مثله وقبل انه دبر في طعام الملك وحاشيته
 كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنو القحط كان اول من اصله الجوع
 الملك خضع نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا اول اوان
 القحط فهلك في السنة الاولى من اول سنو القحط كل ما عده في السنين الخمسة
 فدخل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى بالثمن القود حتى
 لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذهم منهم وباعهم في السنة الثانية بالحنى والخواهر حتى
 لم يبق بمصر في ايدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والواشي والانعام
 حتى لم يبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد
 والجواري حتى لم يبق بايدي الناس عبدا ولا امة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع
 والعقار حتى اتى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة بالادهم حتى استرقهم وباعهم
 في السنة السابعة برفاههم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا
 ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال اهل مصر ما رأينا كاليوم مالكا احل ولا اعظم
 من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله في فيما خولني فاسترى في هؤلاء
 قال الملك الراى رايت فحن لك تسبع قال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل
 مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وقبل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام
 في تلك الايام فقيل له اتجوع ويبيدك خزائن الارض فقال اخاف ان شعبت انسى
 الجماع وأمر يوسف طباطي الملك ان يجمعوا غداه نصف النهار ورأوا بذلك ان يذوق
 الملك طعم الجوع فلا ينسى الجماع فمن جمعهم جعل الملوكة غداهم نصف النهار قال
 مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير من
 من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض ينبؤا منها
 حيث يشاء (نصيب برجنتان نساء) يعني تختص بنعمتنا وهى النبوة من نساء يعني
 من عبادنا (ولا نصيب اجر المحسنين) قال ابن عباس يعني الصابرين (ولا اجر الاخرة)

(نصيب برجنتان) يعطى نساء
 الدنيا من الملك والغنى وغيرهما
 من النعم (من نساء) من اقتضت
 الحكمة ان نساء ذلك (ولا
 نصيب اجر المحسنين) في الدنيا
 (ولا اجر الاخرة)

خسیر للذين آمنوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين الى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والوثاقس قال سفيان بن عيينة المؤمن ثاب على حسنة في الدنيا والاخرة والقابر يجعل له الخيرة في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وتلا الآية روى أن الملك توح يوسف وختمه بخاتمه ووردها سيفه ووضع له سر يرا من ذهب مكللا ٣٥ بالدرويا قوت فقال أما السر برافشده

ملكك وأما الخاتم فادبره أمرك
وأما التاج فليس من لباسي ولا
لباس أناني خلّس على السرير
ودانته الملوكة وفوض الملك
اليه أمره وعزل قطغر ثم مات
بعده فزوجه الملك أمر أندفاعا
دخل عليها قال أليس هذا جيرا
مما طلبت فوجهدها عذراء
فولدت له ولدين افرام وميشا
واقام العدل بصر وأحبته
الرجال والنساء واسلم على يده
الملك وكثير من الناس وبايع من
أهل مصر في سني القطع الطعام
بالدراهم والدنانير في السنة
الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها
ثم بالحملى والجواهر في الثانية ثم
بالدواب في الثالثة ثم بالعبيد
والأماء في الرابعة ثم بالدور
والعتاق في الخامسة ثم بالودهم
في السادسة ثم برقابهم في السابعة
حتى استرقهم جميعا ثم اعتق أهل
مصر عن آخرهم ورد عليهم
أموالهم وكان لا يبيع لأحد من
المساكين أكثر من جل بعير أو صاب
أرض كعسان نحو ما أصاب
مصر فارسل يعقوب بنيه ليماروا
وذلك قوله (وجاء اخوة يوسف
فدخلوا عليه فعرّهم) بل تعريف
(وهم لم منكرون) لتبدل الرزى
ولانه كان من وراء الحجاب

يعنى وبواب الاخرة (خير) يعنى أفضل من أجر الدنيا (للذين آمنوا وكانوا يتقون)
يعنى يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على ان الذى أعد الله عز وجل ليوسف عليه
الصلوة والسلام في الاخرة من الأجر والثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله في الدنيا من
الملك قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) قال
العلماء لما اشتد القطع وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد
الناس مصر من كل مكان كثيرة وكان يوسف لا يعطى أحدا أكثر من جل بعير وان
كان عنليما تقبيطا ومساواة بين الناس ونزل بالليل يعقوب منازل بالناس من الشدة
فبعث بنيه الى مصر لليرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأنه وأبيه وأرسل عشرة
فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من أرض
فلسطين والعربات تغور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشياه فدعاهم يعقوب عليه
الصلوة والسلام وقال بلغني ان مصر ميسكة الحما يبيع الطعام ففزع زواله واقتصدوه
لشتر وامتنعوا محتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف
فعرّهم قال ابن عباس وبجهد باقر نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى
تعرفوا اليه وهم لم منكرون يعنى لم يعرفوه قال ابن عباس رضى الله عنهم ما كان بين
ان قد فوه في الحب وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فذلك أنسكروه وقال عطاء الخالم
يعرفوه لانه كان على سر المالك وكان على رأسه تاج المالك وقيل لانه كان قد لبس زى
ملوك مصر عليه ثياب حر بروف عقيقة طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع
من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع في القلب بخلق
الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم
تحقيقا لما أخبر أنه سينبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة لموسى عليه
الصلوة والسلام فلما نظر اليهم يوسف وكونه بالعبرانية كلهم بلسانهم فقال لهم أخبروني
من أنتم وأمر كم فاني قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا
من المجد وما أصاب الناس فخشنا فتأثر قال يوسف لعالمكم جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا
لا والله ما نحن بنحو أسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له
يعقوب من من أنبأ الله تعالى قالو كم أنتم قالوا كذا اننى عشر فذهب أخ لنا معنا الى
البرية فهلك فيها وكان أجبنا الى أين قال فكم أنتم الآن قالوا عشرة قال وأين الآخر قالوا
هو عند أبنائنا لانه أخو الذى هلك لانه فابونا بتسلى به قال فن يعلم ان الذى يقولون حتى
قالوا أيها الملك اننا ببلاد غريبة لا عرفنا فيها أحدا فقال فأتيتوني بأخيك الذى من أيكم ان
كنتم صادقين فاناراض بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن لفراقه وسرأوده عنه قال فدعوا

وأطول المدة وهو أربعون سنة روى انه لما رآهم وكاهم بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم قالوا نحن قوم من أهل الشام
رعاة أصابنا المجهد فخشنا فتأثر فقال لعالمكم جئتم عيوننا تنظرون عورة بلادي فقالوا معاذ الله نحن بنو نبي حزين لقد أبان كآبنا
اليه وقد أمسك أطاله من أمه يستأسى به فقال اتقوا به ان صدقتم

(ولما جهزهم بجهازهم) اعطى كل واحد ٣١ منهم حل بعبر وقرى بكسر الحيم شاذ (قال اتوني بأخ لكم من ابيكم

بعضكم عندى وهينة حتى تأتوني به فاقترعوا فيما بينهم فادابت القرعة شعرون وكان أحسنهم رأيا بنى يوسف فخلقه عنده فذلك قوله تعالى (ولما جهزهم بجهازهم) يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في وجودهم والجهاز بنوع الحيم هي اللغة الفصحى الجمدة وعليها الا كثرون من أهل اللغة وكسر الحيم لغة ليست بحيدة قال ابن عباس حمل لكل واحد منهم بعبر من الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم (قال اتوني بأخ لكم من ابيكم) يعنى الذى خلفتموه عنده وهو بنيامين (الأترون انى أوفى السكيل) يعنى انى أتم ولا يخس منه شيأ وأزيدكم حل بعبر آخر لاجل أخيك كرمك بذلك وأنا خير المتزايين) يعنى خير المضفين لانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة ما قاتمهم عنده قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام يصف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم جواسيس ومن يشافهمهم بهذا الكلام فلا يليق به ان يقول لهم ألا ترون انى أوفى السكيل وأنا خير المتزايين وأيضا يعهد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقا ان يقول لهم أنتم جواسيس وعيون مع انه يعرف براعتهم من هذه التهمة لان التهمة ان يلقى بالصدق ثم قال يوسف (فان لم تأتوني به) يعنى بأخيكم الذى من ابيكم (فلا كيل لكم عندى) يعنى لست اكيل لكم طعاما (ولا تقر بون) يعنى ولا ترجعوا ولا تقر بوابلاى وهذا هو غاية التفتقير والترهيب لانهم كانوا يحتاجون الى تحصيل الطعام ولا يكتمهم تحصيلا لامن عنده فادامتهم من العود كان قضيق عليهم فعند ذلك (قالوا) يعنى اخوة يوسف (سراود عنه اياه) يعنى سيعتهد ويحتال حتى نزرعه من عنده (وانا لفاعلون) يعنى ما نر تابه قوله عز وجل (وقال لفتياناه) يعنى وقال يوسف لفتياناه وهن فليانه واتباعه (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أرادوا البضاعة من الطعام الذى اعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الفخاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرجال جمع رحل وهى الأوعية التى يحمل فيها الطعام وغيره (اعلمهم يعرفونها) يعنى يعرفون بضاعتهم (اذا انقلبوا الى أهلهم) يعنى اذ ارجعوا الى أهلهم (لعلهم يرجعون) النساواختلفوا في السبب الذى من أجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقول انهم اذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخاؤه فيعبرهم ذلك على الرجوع اليه سرى وعاقيل انه خاف ان لا يكون عند أبيه شئ آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه رأى ان أخذ من الطعام من أبيه واخوته ثم لشدة حاجتهم اليه وقيل أراد ان يحسن اليهم على وجه لا يهتكم فيه لوم ولا عيب وقيل أراد ان يرهم بره كرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملمهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبأوا واولاد انبأوا وقيل أراد برد البضاعة اليهم ان يكون ذلك عونا لبيته ولا خوته على شدة الزمان (فلما

الأترون انى أوفى السكيل) اتهم (وانا خير المتزايين) كان قد احسن انزلهم وضياقتهم برغهم بهذا الكلام على الرجوع اليه (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى) فلا يعتم طعاما (ولا تقر بون) اى فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقر بوا فهو داخل في حكم الجزاء عن جرم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم اوهو يعنى النسي (قالوا سراود عنه اياه) سخرادعه عنه ويحتال حتى نزرعه من يده (وانا لفاعلون) ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا تنوانى قال فعدوا بعضكم رهنا فتر كوا عنده شعرون وكان أحسنهم رأيا بنى يوسف وقال لفتياناه (كوفي غير أبى بكر لفتياناه) يعنى اخوة يوسف (سراود عنه اياه) يعنى سيعتهد ويحتال حتى نزرعه من عنده (وقال لفتياناه) يعنى وقال يوسف لفتياناه وهن فليانه واتباعه (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أرادوا البضاعة من الطعام الذى اعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الفخاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرجال جمع رحل وهى الأوعية التى يحمل فيها الطعام وغيره (اعلمهم يعرفونها) يعنى يعرفون بضاعتهم (اذا انقلبوا الى أهلهم) يعنى اذ ارجعوا الى أهلهم (لعلهم يرجعون) النساواختلفوا في السبب الذى من أجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقول انهم اذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخاؤه فيعبرهم ذلك على الرجوع اليه سرى وعاقيل انه خاف ان لا يكون عند أبيه شئ آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه رأى ان أخذ من الطعام من أبيه واخوته ثم لشدة حاجتهم اليه وقيل أراد ان يحسن اليهم على وجه لا يهتكم فيه لوم ولا عيب وقيل أراد ان يرهم بره كرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملمهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبأوا واولاد انبأوا وقيل أراد برد البضاعة اليهم ان يكون ذلك عونا لبيته ولا خوته على شدة الزمان (فلما

رجعوا

الحكم ان يأخذ من أبيه واخوته ثمنا فلما

وجعوا الى ابيهم) بالطعام واخبروه عما فعل (قالوا يا ابانا منع منا الكيل) يزدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم
هذه لانهم اذا ائذروا جمع الكيل فقد منع الكيل (فأرسل معنا اخانا نكتل) ٣٧ نرفع المساع من الكيل ونكتل

من الطعام ما يحتاج اليه يكتل
جزرة وعلى أي يكتل اخونا
فيضم اكتباليه الى كتيالنا
(واناله لحافظون) عن أن يناله
مكروه (قال هل آمنكم عليه الا
كأمنتكم على أخيه من قبل)
يعني انكم قلتم في يوسف أرسله
معنا غدا نرفع ويلعب واناله
لحافظون كما تقولونه في أخيه
ثم خست بضمناكم فما امتني
من مثل ذلك ثم قال (فالله خير
حافظا) كوفي غير أي برؤوف وكل
على الله فيه ودفعه اليهم وهو
حال أو غير ومن قرا حفظاهو
تميز لغير (وهو أرحم الراحمين)
فأرجوان ينعم على بحفظه
ولا يجمع على مصيبتين قال
كعب لما قال فالله خير حفظا
قال الله تعالى وعزني وجلالي
لأردن عايشا كليهما (ولما
فقدوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبي)
ما للنبي أي ما نبي في القول
ولا نتجاوز الحق أو ما نبي شيئا
وراءه ما فعل بنا من الاحسان أو
ما نزيد منك بضاعة أخرى أو
للاستهام أي أي شيء نطلب
وراء هذا (هذه بضاعتنا ردت
الينا) جملة مستأنفة وموجزة
لقوله ما نبي والمجمل بعدها
معطوفة عليها أي ان بضاعتنا

رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا) انقاد معالي خير رجل أثرنا وأكرمنا كرامة عظيمة
لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذارجعت الى ملك
مصر فأقر وأعليه مني السلام وتقولوا له ان ابانا صلى عليك ويدعوك عا أولدنا ثم قال
لهم أين شعرون قالوا ارتنه هلك مصر عنده وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا ابانا منع منا
الكيل) وفيه قولان أحدهما انهم لما أخبروا يوسف بأخبرهم من ابيهم طلبوا منه الطعام
لايهم وأخبرهم المتخلف عند ابيهم فنعهم من ذلك حتى يحضر فقوله منع منا الكيل
إشارة اليه وأراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني انه سمي منع منا الكيل في
المستقبل وهو إشارة الى قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
وقال الحسن يمنع منا الكيل ان لم يحمل معنا اخانا وهو قوله تعالى اخبراعنهم (فأرسل
معنا اخانا) يعني بنيامين (نكتل) قري بالياء يعني يكتل لنفسه وقري بالنون يعني نكتل
نحن جميعا وياه معنا (واناله لحافظون) يعني نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة
(قال) يعني يعقوب (هل آمنكم عليه الا كأمنتكم على أخيه من قبل) يعني كيف
آمنتكم على ولدي بنيامين وقد فعلت بأخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام
بمعينه في يوسف وضمنتم في حفظه وقتلناه لحافظون فما فعلتم فلما لم يحصل الامان
والحفظ هناك فكيف يحصل ههنا ثم قال (فالله خير حافظا) يعني ان حفظ الله خير من
حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور (وهو أرحم
الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وانما أرسله معهم وقد شاهد
ما فعلوا ليوسف لانه لم يشاهد قديما بينهم وبين بنيامين من المحبة والخسدة مثل ما كان بينهم
وبين يوسف وأوان يعقوب شاهدتهمم الخسرة والصلاح لما كبروا فأرسله معهم أو ان شدة
القطع وضيق الوقت أحوج به الى ذلك قوله تعالى (ولما فقدوا متاعهم) يعني الذي جلاوه
من مصر فيحمل أن يكون المراد به الطعام أو أوعية الطعام (وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم) يعني انهم وجدوا في متاعهم عن الطعام الذي كانوا قد اعطوه ليوسف قد رد عليهم
ودس في متاعهم (قالوا يا ابانا ما نبي) يعني ماذا نبي وأي شيء نطلب وذلك انهم كانوا
قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما
فقدوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا أي شيء نطلب من الكلام بعد هذا
العان من الاحسان والا كرام أو لم لنا الكيل ورد علينا الثمن وارادوا بهذا الكلام
تطيق قلب ابيهم (هذه بضاعتنا ردت الي اوعبر اهلنا) يقال ما رآه له يمر مير اذ اجل
لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى اننا اشتري لاهلنا الطعام ونحمله اليهم (ونحفظ
اخانا) يعني بنيامين مما تخاف عليه حتى نرده اليك (ونزداد كيل بعير) يعني ونزداد
لأجل أخينا على اجمالنا جل بعير من الطعام (ذلك كيل يسير) يعني ان ذلك الحمل الذي

ردت المناقصة ربه (وغير اهلنا) في وجوعنا الى الملك أي نطلب لهم ميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ اخانا)
في ذهابنا ونحفظه بأصبيه شيء ما ساقاه (ونزداد كيل بعير) نزداد وسيق بعير باستعاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عليه
متيسر لا يتعاطيه

(قال ان ارسله معكم حتى تؤثرون) وبالباء مكي (موتقنا) عهدا (من الله) والمعنى حتى تعطوني ما توثق به من عند الله اى اراد ان يحلفوا بالله واتخاذ الحلف ٣٨ بالله موثقا منه لان الحلف به ميثاق كذبه العهد وقد اذن الله في ذلك

فهو اذن منه (لتأثنتى به) جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأثنتى به (الآن يحيط بكم) الآن تغلبوا فاعلم تطبيقه الا ان به فهو مفعول له والكلام مثبت وهو قوله لتأثنتى به في تاويل النسخ اى لا تمتنعوا من الاتيان به الا للاحاطة بكم بمعنى لا تمتنعوا منه لعلهم العال الالعية واحدة وهى ان يحيط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في التثنية فلابد من تاويله بالتثنية (فلما اتوه موثقهـم) قيل حلفوا بالله رحمة محمد عليه السلام (قال) قال بعضهم سكنت عليه لان المعنى قال يعقوب (الله على ما تقول) من قالب الموثق واعطاه (وكل) رقيب مطلع غير ان السكينة تفصل بين القول والمقول وذال يجوز فالاولى ان يفرق بينهم اما الصورة فيقتد بقوة العتبة اسم الله (وقال يابى) لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة (الجهوزة على انه خاف عليهم العيين بجلاله وجلالة امرهم ولم يامرهم بالفرق في الحركة الاولى لانهم كانوا مجهولين في الحركة الاولى فالعين حق عندنا

نزداده من الطعام هين على الملك لانه قد احسن الينا و انتم ساءا كثر من ذلك وقيل معناه ان الذى جلبناه معنا كسل يسير قليل لا يكفينا واهلنا (قال) يعنى قال لهم يعقوب (ان ارسله معكم حتى تؤثروا من الله) يعنى ان ارسل معكم بنامين حتى توثقوا عهد الله وبنامته والموثق العهد الموثق كدبا ليعين وقيل هو الموثق كدبا شاعدا لله عليه (لتأثنتى به) دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأثنتى به (الا ان يحيط بكم) قال مجاهد الا ان تهللكم واجيعا فيكون عذر الكعب عنده لان العرب تقول يحيط بفلان اذا هلك او قارب هلا كما هو قال قتادة الا ان تغلبوا واجيعا فلا تقدر و على الرجوع (فلما اتوه موثقهـم) يعنى فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له (قال الله على ما توثقوا و كل) يعنى قال يعقوب الله شاعدا على ما تقول كائن الشاهد و كل يعنى انه مو كول اليه هذا العهد وقيل و كل يعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب بالله خير حفا قال الله تعالى وعزنى وجلا لى لاردن عليك كمايها بعد ما توكنت على وفوضت امرك الى وذلك انه لما استدبهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا اشدهم لم يجد يعقوب بدمان ارسل بنامين معهم فارسله معهم متوقا على الله ومفوضا امره اليه قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب (وقال يابى) لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يابى لاتدخلوا يعنى مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان مدينة مصر يومئذ اربعة ابواب وقال السدى اراد المارق لا الا بواب يعنى من مارق متفرقة وانما امرهم بذلك لان خاف عليهم العين لانهم كانوا قاصدا على اجالا وقوة امتداد دقمة وكانوا اولاد رجل واحد فارهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجهه والمفسرين (ق) عن ابي حمزة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استعسلم فاعسلوا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فبوضا ثم يغسل منه العين اخرجه ابو داود وقال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله تعالى قال المازرى اخذ جاهل العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوائف من المتبعة والدليل على فساد عقولهم ان كل معنى يكون مخالفا لنفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا انفسا دلائل فانه من مجوزات القول واذا انكره الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز انكاره وانكاره وقيل لابد من فرق بين نكذبهم بهذا ونكذبهم بما يخبر به من امور الاخره قال وقد زعم بعض اطباء معينى المؤمنين للعين تاثيرا ان العائن تبعث من عينه قوة سمية تنصل بالعين فيهلك او يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعثت قوة

وجوده بان يحدث الله تعالى عند النظر الى النبي والاعجاب به تقصا نايه وخللاو كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة تؤمن كل عين لامة وانكر الجبابرة العين وهو روى بعد كذا ما قيل انى احسان لا يفتنهم اعداؤهم فحيث اوالا هلاكم

سعية من الأفعى والعقرب تتصل بالمدوع فيهلك وإن كان غير محسوس لنافك كذا العيين
 قال المسازري وهذا غير مسلم لا يثبت في كتب العلم الكلام أنه لا فاعل إلا الله تعالى وبينا
 قد ادا القول بالطباع وبينا أن الحدث لا يقبل في غير مشياً فإذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم
 نقول هذا المنتبع من العيين أما جوهر وأما عرض فباطل أن يكون عرضاً لأنه لا يقبل
 الاستقلال وباطل أن يكون جوهر لأن الجوهر متجانسة فليس بعضها بأن يكون
 مفسد البعض بأولى من عكسه فبطل ما قالوه وأقرب طريقة فقالتهم من يتخلل الإسلام
 منهم أن قالوا لا يبعد أن تتبع جواهر لطيفة غير نية من عين العائن تتصل بالمعين
 فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كخلق الهلاك عند شرب السموم
 عادة أجزاها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبعية الجواهر الفعل إليها قال ومذهب أهل
 السنة أن المعين إنما يفسد بملك عند نظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى
 العادة بأن يتخلق الضرر عنده فبالله هذا الشخص شخصاً آخر وهل ثم جواهر أم لا
 فهذه من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الأمرين وأخيراً قطع بنى الفعل عنها
 وإضافته إلى الله تعالى فمن قطع من أطباء الإسلام بأنواع الجواهر فقد أخطأ في قطعه
 وأغماهم من المخازنات هذا ما يتعلق بعلم الأصول وأما ما يتعلق بعلم الفقه فإن الشرع
 قد ورد بالوضوء لهذا الأمر في حديث سهل بن حنيف لما سأل عن ما يجب عليه عند اغتساله
 رواه مالك في الموطأ وأما صفة وضوء العائن فذكر في كتب شروح الحديث ومعروف
 عند العلماء فطلب من هناك فليس هذا موضعه والله أعلم وقال وهب بن منبه في قوله
 لا تدخلوا من باب واحد ودخلوا من أبواب متفرقة أنه خاف أن يغتالوا بالمظاهر ثم في
 أرض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل إن يعقوب عليه الصلاة والسلام
 كان قد علم أن ملك مصر هو ولد يوسف عليه الصلاة والسلام إلا أن الله تعالى لم يأذن له
 في إظهاره ذلك فلما بعث بناءه آتاه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد ودخلوا من أبواب
 متفرقة وكان غرضه أن يصيب بنيامين إلى أخيه يوسف في وقت الحيلة قبل أخوته والقول
 الأول أصح أنه خاف عليهم من العيين ثم يرجع إلى عليه ونفوس أمراء إلى الله تعالى بقوله
 (وما أغنى عنكم من الله من شيء) يعني أن كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيدكم
 بجمعين كنتم أو متفرقين فإن المندور كائن ولا ينفخ حذر من قدر (إن الحكم إلا لله)
 يعني وما الحكم إلا الله وحده لا شريك له لا فيه ولا فهو ولا فهو من يعقوب في أموره كلها
 إلى الله تعالى (عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها لا على غيره (وعلية
 طاب توكل المتوكلون) ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم يعني من الأبواب المتفرقة
 وكان المدينة مصر وقيل مدينة الفراء أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها (ما كان
 عن عنكم من الله من شيء) وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما أغنى
 عنكم من الله من شيء (الاحاجة في نفس يعقوب قضاها) وهذا استثناء متقطع ليس من
 الأول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو أنه اشفق عليهم اشفاق
 الأب على الأبناء وذلك أنه خاف عليهم من العيين أو خاف عليهم حذر أهل مصر أو خاف

(وما أغنى عنكم من الله من شيء)
 أي إن كان الله أراد بكم سؤال
 يتفعلكم ولم يدفع عنكم ما شئت
 به عليكم من التفرقة وهو
 مصيبكم لا محالة (إن الحكم إلا
 لله عليه توكلت وعليه فليتك
 المتوكلون) التوكل تفويض
 الأمر إلى الله تعالى والاعتماد
 عليه (ولما دخلوا من حيث
 أمرهم أبوهم) أي متفرقين
 (ما كان يغني عنهم) دخولهم
 من أبواب متفرقة (من الله من
 شيء) أي شياً فطقت حيث أصابهم
 ما شاءهم مع تفرقهم من إضافة
 السرقة إليهم واقتضاهاهم
 بذلك وأخذ أخبهم بوجدان
 الصواع في رحله وتضاعف
 المصيبة على أيهم (الاحاجة)
 استثناء متقطع أي ولكن
 حاجة (في نفس يعقوب قضاها)
 وهي شفقة عليه

لعلنا اياه (ولكن أكره
الناس لا يعلمون) ذلك (ولما
دخلوا على يوسف أوى اليه اخاه)
ضم اليه بنيامين وروى أنهم
قالوا هذا اخونا قد جئناك
به فقال لهم أحببتم فانزلهم
واكرمهم ثم اضافهم واجلس
كل اثنين منهم على مائدة فبقي
بنيامين وحده فبكى وقال لو كان
أخي يوسف حيا لأجلني معه
فقال يوسف بي اخوك وحيدا
فاجلسه معه على مائدة وجعل
يؤاكله وقال له اتعبنا أن كون
أهلك بدل أخيك المالك قال
ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف
وعانقه ثم (قال له) اني انا
(أخوك) يوسف (فلا تبئس)
فلا تحزن (بما كانوا يعلمون)
بتأفيم مضى فان الله قد احسن
المنافعة على خير ولا تعلمهم
بما علمك وروى انه قال له فانا
لا افارقك قال لقد علمت اغتمام
والدي في فان حبستك ازداد
غمي لا سبيل الى ذلك الا ان
انسبك الى مالا يجدك قال لا اني
فأفعل ما يدا لك قال فاني ادرس
صاغي في رحلك ثم نادى عليك
بأنك سرقة ليتهيا لي ردك بعد
تسريحك معهم ثم قال ففعل
(فما جهزهم بجهازهم) هيا
اسبابهم وافي الكيل لهم
(جعل السقاية)

ان لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه (وانه) يعني يعقوب (لذو علم) يعني
صاحب علم (لما علمناه) يعني لعلنا اياه ذلك العلو وقيل معناه وانه لذو علم الشيء الذي
علمناه والمعنى اننا لما علمناه هذه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وانه لذو حفظ
لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لما علمنا قال
سعدان من لا يعمل بما يعمل لا يكون عالما (ولكن أكره الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون
ما كان يعمل يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون
ما للهيم الله اوليائه قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف أوى اليه اخاه) قال المفسرون
لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا ايها الملك هذا اخونا الذي أمرتنا ان نأتيك به
وقد جئناك به فقال لهم أحببتم وأصبتم ويستعدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرمهم ثم
انه اضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي
يوسف حيا لأجلني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهل قال
لهم فانا اجلسه معي فأخذه فاجلسه معه على مائدة وجعل يؤاكله فاما كان الليل أمرهم
بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينهانا على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف
هذا ينهانا عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه
ويشتم ويحبه حتى أصبح فلما أصبح قال لهم اني ارى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثمان
وساخذه الى فيكون معي في منزلي ثم انه أنزلهم وأجرى عليهم الطعام فقال رويلا ما راينا
مثل هذا فاذ لك قوله أوى اليه اخاه يعني ضمه وأنزله معه في منزله فاما خذله قال له
يوسف ما سمعك قال بنيامين قال ابن المشكل وذلك انه لما ولدته أمه
هذه بكى قال وما أمه أمك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل لك
من أخ لأمك قال كان لي أخ فهل لك قال يوسف أحب أن أكون أحلك بدل أخيك المالك
قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى
يوسف بلسه الصلاة والسلام وقام اليه وعانقه و(قال له) (اني أنا أخوك) يعني يوسف
(فلا تبئس) يعني لا تحزن وقال أهل اللغة تبئس تفعل من البؤس وهو الضرر
والشدّة والابتناس اجتناب الحزن والبؤس (بما كانوا يعلمون) يعني فلا تحزن
بشي قد لوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن المناسخ ونجنا من الهلاك وجمع بيننا
وقيل ان يوسف صفع عن اخوته وصفاهم فاراد ان يجعل قلب أخيه بنيامين مثل
قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لأخيه بنيامين لا تعلم اخوتك شي مما أعلمك به ثم
انه أوفى لأخوته العكس وزاد لكل واحد دجل بعير ولبنانين حل بعير باسمه ثم أمر
بسقاية المالك فجعلت في رحل أخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب لما قال
له يوسف اني أنا أخوك قال بنيامين أنا لا افارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام
والدي على فاد حبستك عندي أزداد غمي ولا يمكنني هذا الا بعد ان أشهرك بأمر
فطيع وأنسبك الى مالا يجد قال لا ابالي فأفعل ما يدا لك فاني لا افارقك قال
فاني أدرس صاغي في رحلك ثم نادى عليك بالسرقية ليتهيا لي ردك بعد تسريحك
فأفعل ما شئت فذلك قوله عز وجل (فما جهزهم بجهازهم جعل السقاية)

في رحل أخيه) وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد
وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة
مرصعة بالجوهر جعلها يوسف ملكاً لا لتلايكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية
والصواع اسم لآناء واحد وجعلت في وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين إلى
بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا من لا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم
أرسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم (ثم أذن مؤذن) يعني نادى نادوا أعلم معلم
والأذان في اللغة الإعلام (أيتمها العير) وهي القافلة التي فيها الإجمال وقال مجاهد
العير الجمير والبغال وقال أبو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحمير والبغال فهي عير
وقول من قال أيتمها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التي تحمل عليها الإجمال سميت
بذلك لأنها عير أي تذهب وتجي فوقيل هي قافلة الحمير ثم كثر ذلك في الاستعمال حتى
قيل لكل قافلة عير وقوله أيتمها العير أراد أصحاب العير (انكم سارقون) ففقدوا
والسرقة أخذ ما ليس له أخذه في خفاء فان قلت دل كان هذا النداء بامر يوسف أم لافان
كان بامره فكيف ياتي يوسف مع علوم منصبه وشرف رتبته من النبوة والرسالة ان يتم
أقواما وينسبهم إلى السرقة كذا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير
أمره فلا يظهر من أفعالهم عن تلك التهمة التي نسبوا إليها قلت ذكر العلماء عن هذا
السؤال أجوبه أحد هذا ان يوسف لما ظهر لأخيه أنه أخوه قال استأفارتك قال
لا سبيل إلى ذلك إلا بتدبير حيلة أنسبك فيها إلى ما يليق قال رخصت بذلك فعلى هذا
التقدير لم يتالم قلبه بسبب هذا الكلام بل قدر ضيق به فلا يكون ذنباً للثاني ان يكون
المعنى أنكم سارقون ليوسف من أبيه إلا أنهم ما ظهر وأهذا الكلام فهو من المعارض
وفي المعارض من دوحه عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المنادى رما قال
ذلك النداء على سبيل الاستهزاء وعلى هذا التقدير لا يكون كذا الرابع ليس في القرآن
ما يدل على أنهم قالوا أخلك بامر يوسف وهو الأقرب إلى ظاهر الحال لأنهم طلبوا السقاية
فليجدها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها فقالوا
ذلك بناء على غلبة ظنهم (قالوا أو قبلوا عليهم ماذا تفقدون) قال أصحاب الأخبار لما
وصل الرسل إلى أخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوفدكم الكليل
ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقد ناسنا قياه الملك ولا أنهم عليه غيركم
فذلك قوله تعالى قالوا أو قبلوا عليهم أي عطفوا على المؤذن وأصحابه ماذا أي ما الذي
تفقدون والفقهاء ضد الوجود (قالوا) يعني المؤذن وأصحابه (تفقد صواع الملك) الصاع
الآن الذي يكال به وجعه اصوع والصوع لغة فيه وجعه صيعان (ولم جاء به) يعني
بالصواع (جل بغير) يعني من الضعفاء (وأنا به زعيم) أي كفيلاً قال الكلبي الزعيم هو
الكفيل بلسان أهل اليمن وهذه الآية تبدل على أن الكفالة كانت صحيحة في شرعهم
وقد حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها في قوله الخليل غارم والجيل الكفيل فان قلت

في رحل أخيه) السقاية هي
مشربة يسقي بها وهي الصواع
قيل كان يسقي بها الملك ثم جعلت
صاعاً يكال به لعمرة الطعام وكان
يشبه الطاس من فضة أو ذهب
(ثم أذن مؤذن) ثم نادى ناد
آذنه أي أعلمه وأذن أكثر الإعلام
ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه
روى أنهم ارتحلوا وأمهاتهم
يوسف عليه السلام حتى انطلقوا
ثم أمرهم فمقدروا وجسوا ثم
قبل لهم (أيتمها العير) هي الابل
التي عليها الإجمال لأنها عير أي
تذهب وتجي والمراد أصحاب
العير (انكم سارقون) كناية
عن سرقتهم إياه من أبيه (قالوا)
وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا
نقد صواع الملك) هو الصاع
(ولم جاء به جل بغير) يعني
زعيم) يقوله المؤذن يريدوا
بجعل البعير كفيلاً أو ذنبه إلى
من جاء به وأرادوا سبي بغير من
معلم

بلاذهم بمباخي فاهلكتموه في البرية ان الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع
 البضاعة في رحالي قالوا فاخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المنادي واصحابه هم الذين قولوا
 تتبتش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه برقيقته وردوه
 الى يوسف (كذلك كذنا ليوسف) يعني ومثل ذلك الكيد كذنا ليوسف وهو اشارة الى
 المحكم الذي ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق أى مثل ذلك المحكم الذي ذكره
 اخوة يوسف حكمناه ليوسف واقتل الكيد مستعار للحيلة والمخدعة وهذا في حق الله
 عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بحلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد
 هنا جزء الكيد يعني كمن فعلوا ليوسف في الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة
 ومن الله التدبير بالحق والمعنى كالمهمة الاخوة يوسف بان حكموا ان خراء السارق ان
 يسترق كذلك المهمة ليوسف حتى دس الصواع في رحل اخيه ايضا على الله على ما حكمه
 اخوته وقال ابن الاعرابي الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك
 دسنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانباري كذنا وقع خبر ان الله عز وجل على
 خلاف معناه في اوصاف المخلوقين فانه اذا أخبر به عن مخلوق كان تحتة احتمال وهو في
 موضع فعل الله معرى من المعاني المذمومة ويخلص بانه وقع عن كيدته تدبير ما يريد به
 من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئة بالذي يكون من أجل ان
 الخلق اذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينو به ويضمر له من الذي يقع به من الكيد فهو من
 الله تعالى استراذوه وما حتم الله به عاقبته والذي وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى
 اليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتتمام النعمة وحيث جرى الامر على غير ما قدروا ومن
 اهلا كه وخلصوا بهم بعد ذلك جرى تدبير الله تعالى وخفي لطفه سماء كيدا
 لانه اشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون كيد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام
 عائدا الى جميع ما أعطاه الله وانعم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير ان يشعروا
 بذلك وقوله تعالى (ما كان لياخذناخه في دين الملك) يعني في حكم الملك وقضائه لانه كان
 في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعي قيمة المسروق يعني في حكم الملك وقضائه
 فلم يتمكن يوسف من حبس اخيه عنده في حكم الملك فالله تعالى المهم يوسف ما دبره حتى
 وجدا ليل الى ذلك (الان يشاء الله) يعني ان ذلك الامر كان بمشيئة الله وتدبيره لان
 ذلك كله كان الهام من الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد (ترفع درجات
 من نشاء) يعني بالعلم كارتفاع درجة يوسف على اخوته وفي هذه الآية دلالة على ان العلم
 الشريف اشرف المقامات واعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته
 على اخوته بالعلم وبما ألهه على وجه الهداية والصواب في الامور كلها (وفوق كل ذي علم
 عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى فالله تعالى فوق
 كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعلم وفي الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء
 وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانباري يجب ان يتم العالم نفسه ويستشعر التواضع
 لمواهب ربه تعالى ولا يطمع نفسه في العلية لانه لا يخلو عالم من عالم فقه قوله تعالى

الكاف في (كذلك) في محمل
 النصب أى مثل ذلك الكيد
 العظيم (كذنا ليوسف) يعني
 علمناه باه (ما كان لياخذناخه
 في دين الملك) تفسير للكيد
 وبيان له لان المحكم في دين الملك
 أى في سيرة السارق أن يغرم
 مئلى ما اخذ لان يستعبد (الا
 ان يشاء الله) أى ما كان لياخذنا
 الا بمشيئة الله وارادته فيه (ترفع
 درجات) بالتثنية كوفي (من
 نشاء) أى في العلم كارتفاع درجة
 يوسف فيه (وفوق كل ذي علم
 عليم) فوفقه ارفع درجة منه في
 علمه وفوق العلماء كاهم عالم
 هم دونه في العلم وهو الله عز وجل

قَالُوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) ٤٤ أرادوا يوسف قيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا لصغيرا من ذهب كانوا يعبدونه

فدفعه وقيل كان في المنزل
دجاجة فاعطاها السائل وقيل
كانت منطقة لآراميم عليه
السلام يتوارثها كبرولده
فورثها اسحق ثم وقعت الى
ابنته وكانت له كبر اولاده
فخضت يوسف وهي عمته بعد
وفاته ولم وكانت لا تصبر عنه فلما
شب أراد يعقوب أن ينزعه
منها فعمدت الى المنطقة فزمتها
على يوسف تحت ثيابه وقالت
فقدت منطقة اسحق فانظروا
من أخذها فوجدوها مخزومة
على يوسف فقالت انه لي سلم
أفعل به ما شئت منه فخلاه
يعقوب عندها حتى ماتت وروى
انهم لما استخرجوا الصاع من
رجل بنيامين نكس أخوته
رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا
له ففخطنا وسودت وجوهنا
يا بني راحيل ما يزال لنا منك
بلاء متى أخذت هذا الصاع قال
بنو راحيل الذين لا يزال منك
عليهم بلاء ذهبت يا بني فاهدلكموه
ووضع هذا الصواع في رحلي
الذي وضع البضاعة في رحليكم
(فأهداهم) أي سقاهاهم به سرق
كأنهم لم يسمعوا (يوسف في نفسه
ولم يبداهم قال أنتم شرمكنا)
تميز رأي أنتم شرمكنا في السرقة
لا نسقم سرقتهم أحاكم يوسف
من أبيه (والله أعلم بما تصفون)
تقولون أو تكدبون (قالوا يا أيها
العزير ان له أباشيخا كبيرا) في
السن أو في القدر

(قالوا) يعني أخوة يوسف (ان يسرق) يعني بنيامين الصواع (فقد سرق أخ له من قبل)
يعني يوسف ظاهر الآية يقتضي ان أخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الأمر ليس بغريب
منه فان أحاد الذي هالك كان سارقا أيضا لو كان غرضهم من هذا الكلام اناسلنا على
طريقته ولا على سيرة بل هذا أو أخوه (فأعلى هذه الطريقة وهذه السيرة لأنهما من أم
أخرى غير أمنا واختلاف في السيرة التي نسبوا اليها يوسف عليه السلام فلو كان يوسف فقال
سعد بن جبيرة وقادة كان لمجد أبي أمه صنم وكان يعبده فأخذه يوسف سر او كسره والقاه
في الطريق إلى لا يعبدوه وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت
فناولها له وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فاعطاها
سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وذو محمد بن اسحق أن يوسف
كان غلاما عن أبيه اسحق بعد موت أمه راحيل فخطبته عنه وأحتمت حماش ديدان فلما
ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاحبه فقال لاخته يا اختاه سلني الى يوسف فوالله
ما أقدر على أن يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا اعطيكه فقال لها والله ما أبأ بآثار كه
عندك فقالت دعه عندي أنا ما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى
منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكر و كانت أ كبر اولاد اسحق فكانت
عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشمر ثم قالت لقد فقدت
منطقة اسحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لي سلم يعني يوسف
فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكه عندها حتى مات فلذلك قال
أخوة يوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعزونه هذه السرقة قال ابن الانباري
وليس في هذه الأفعال كلها ما يوجب السرقة ولكن ما تشبه السرقة فعبر وبها عند
الغضب (فأهداهم يوسف في نفسه ولم يبداهم) في هذا الكناية ثلاثة أقوال أحدها
أن الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى (قال) يعني يوسف (أنتم شرم
مكنا) روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي
قالتوها في حقه وهي قولهم فقد سرق أخ له من قبل وهذا معني قول أبي صالح عن ابن
عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فأسر يوسف جواب الكلمة التي قالتوها في حقه ولم
يخبرهم عليها والثالث أن الضمير يرجع الى المحبة فيكون المعنى على هذا القول فأسر
يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبداهم لم قال أنتم شرمكنا يعني
منزلة عند الله ممن رميتهم به بالسرقة لأنهم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانكم
حقيقة (والله أعلم بما تصفون) يعني بحقيقة ما تقولون وقوله عز وجل (يعني
أخوة يوسف (يا أيها العزيز) مخاطبون بذلك الملك (له) له أباشيخا كبيرا) قال أصحاب
الأخبار والسير ان يوسف عليه الصلاة والسلام استخرج الصواع من رحل أخيه
بنيامين فخره وأدناه الى اذنه ثم قال ان صواعي هذا ليخبرني انكم اثناعشر رجلا لآل
وأحدواثكم انطلقتم ياخ لىكم من أبيكم فبعتموه قال بنيامين أيها الملك سل صواعك هذا
من جعله في رحلي فخره ثم قال ان صواعي غضبان وهو قول كيف تسألني عن صاحبي

(نخذه أحدنا مكانه) بدله على

وجه الاسترهان أو الاستبعاد
فإن أباه يسئله به عن أخيه المفقود
(انأترك من المحسنين) البنا
فاتم احسانك أو من عادتك
الاحسان فاجر على عادتك
ولا تعيرها (قال معاذ الله أن
نأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده)
أي نعوذ بالله معاذ امن أن نأخذ
فاضت المصدر إلى المفعول به
وحذف من (انأخذ الظالمون)
إذا جواب لهم وجزء لأن المعنى
ان أخذنا بدله ظلما وهذا لأنه
وجب على قضية فتوأم أخذ من
وجد الصاع في رحله واستعباده
فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما
في مذهبتكم فلم تطلبون ما عرفتم
أنه ظلم (فلم استأسأوا) يسأوا
وزيادة السين والتاء للزيادة كما
مر في استعصم (منه) من يوسف
واجابته أياهم (أخضروا)
انفردوا عن الناس خالصين
لا يتحايطهم سواهم (نخبا) ذوى
نخوى أو فو طائفة إلى مناخيا
لما جاء بعضهم بعضا أو تمخضوا
تخاصبا للاستحجامهم لذلك
واقاضتهم فيه بجد واهتمام
كانهم في أنفسهم صورة التناجي
وحقيقته فالتجي يكون بمعنى
المناجي كالسمر بمعنى المسامر
وبمعنى المصدر الذي هو التناجي
وكان تناجيهم في تديرهم
على أى صفة ذهون وماذا
يقولون لأبيهم في شأن أخيرهم
(قال كبيرهم) في السن وهو

وقد رؤيت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطأوا
وكان روبيل إذا غضب لم يقيم لغضبه شيئا وكان إذا صاح ألقى كل حامل جملها إذا سمعت
صوته وكان مع هذا إذا سمع أحد من ولد يعقوب بسكن غضبه وكان أقوى الأخوة
وأشد هم وقيل كانت هذه صفة يعقوب بن يعقوب وقيل أنه قال لأخوته لم يجدد الاسواق
بمصر قالوا عشرة قال كفونى أنتم الاسواق وأنا أكفيكم الملك أو كفونى أنتم الملك
وأنا أكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل أيها الملك لتردن علينا أمانا أو
لا تصيحن صيحة لا يبيح بمصر أمه حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة في جسده
روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم إلى جنب هذا فسه أو خذ بيده
فألقه أمسه سكن غضبه فقال لأخوته من مسنى منكم قالوا لم يصيبك منا أحد فقال
روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام إليه يوسف فركب رجليه
وأخذ تلبا به فوقع على الأرض وقال أنتم يا معشر العبرانيين ترعون أن لا أحد أشد
منكم فلما رأوا منزلهم ورأوا أن لا سبيل إلى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها العزيز
إن له أباشخا كبيرا يعنى في السن ويحتمل أن يكون كبيرا في القدر لأنه نبى من أولاد
الانبياء (نخذه أحدنا مكانه) يعنى بدله لأنه يحب به عن أخيه المالك (انأترك
من المحسنين) يعنى في أفعالك كما هو قيل من المحسنين البنا في توفيقه الكيل وحسن
الضيافة ورد البضاعة المتوا قيل ان رددت شيئا من البنا وأخذت أحدنا مكانه كنت
من المحسنين (قال معاذ الله) يعنى قال يوسف أو عوذ بالله معاذ أن نأخذ الامن وجدنا
متاعنا عنده) لم يقل من سرق تجزأ عن الكذب لأنه يعلم ان أخاه ليس بسارق (انأخذ
الظالمون) يعنى ان أحدنا يربى بآداب غيره فان قلت كيف استجيز يوسف ان يعمل مثل
هذه الاعمال بابيه ولم يتغير بمكانه وحسن أخاه أيضا عنده مع علمه بشدة وجد أنه عليه
فيه ما فيه من العقوق وقطعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز لـ يوسف مع علو
منصبه من النبوة والرسالة أن يزرع على أخوته وروج عليهم مثل هذا مع ما فيه من
الأيذاء لهم فكيف يليق بهذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة
وأحسنها وأصحها أنه إنما فعل ذلك بأمر الله تعالى له لا عن أمره وإنما أمره الله بذلك
ليز يدبلاء يعقوب فيضاعف له الاجر على البلاء ولحقه بدرجة آثائه الماضين والله تعالى
أسرأولها أحد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشاء وهو الذى أخفى خبر
يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فهم والله أعلم
بأحوال عباده قوله عز وجل (فلم استأسأوا منه) يعنى أسأوا من يوسف أن يبيح لهم
سأله وقيل أسأوا من أخيرهم أن يرده عليهم وقال أبو عبيدة استأسأوا أى استيقنوا ان
الاخ لا يراد إليهم (خلصوا نخبا) يعنى خلاصهم ببعض تناجون ويتساورون ليس
فبيهم غيرهم (قال كبيرهم) يعنى في العقل والعلم لافى السن قال ابن عباس الكبير هو يهوذا
وكان أعقلهم وقال مجاهد وشعرون وكانت له الرأسة على أخوته وقال قتادة والسدى
والنخاك هو روبيل وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا في يوسف لأنه نهاهم عن قتله

روبيل أوفى العقل والرأى وهو يهوذا أو رئيسهم وهو شعرون

(ألم تعلموا أن أبائكم قد أخذوا عليكم ميثاقاً) يعني يعقوب (قد أخذوا عليكم ميثاقاً) يعني عهداً (من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف) يعني قصرتم في أمر يوسف حتى ضيعتموه (فلن أرح الأرض) يعني الأرض التي أنافيا وهي أرض مصر والمعنى فلن أخرج من أرض مصر ولا أفرقها على هذه الصورة (حتى يأذن لي أختي) يعني في الخروج من أرض مصر فيدعونني إليه (أو يحكم الله لي) برد أختي على أو تخبروني معكم وترك أختي أويحكم الله لي بالسيف فقاتلهم حتى استرد أختي (وهو خير الحاكمين) لأنه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء إلى الله تعالى في إقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام (ارجعوا إلى أبيكم) يعني يقول الانخ الكبير الذي عزم على الإقامة بمصر لاختوته الباقين ارجعوا إلى أبيكم يعقوب (فقولوا) له (يا أبانا إن ابنك سرق) إنما قالوا هذه المقالة تنسبوه إلى السرقة لأنهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه إلى السرقة في ظاهر الأمر لا في حقيقة الحال و بدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما شهدنا إلا بما علمنا) يعني ولم نقل ذلك إلا بعد أن رأينا أخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشهاده في عمرنا على شيء إلا بما علمناه وهذه ليست بشهادة إنما هو خبر عن صنيع ابنك أنه سرق برغمهم فيكون المعنى إن ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه لأن ابنك شهد عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس والفخاكي سرق بضم السين وكسر الراء وتشديد هاء أي نسب إلى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج إلى تأويل ومعناها إن القوم نسبوه إلى السرقة إلا أن هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حاجة والقراءة الصحيحة المشهورة هي الأولى وقوله وما شهدنا إلا بما علمنا يعني وما قلنا هذا إلا بما علمنا فأرأينا أخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشهاده في عمرنا على شيء إلا بما علمناه وليست هذه شهادة وإنما هو خبر عن صنيع ابنك برغمهم وقيل قال لهم يعقوب هب أنه سرق فيأيدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة إلا قولكم قالوا ما شهدنا عندنا أن السارق يسترقي إلا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء قبله ويعقوب وبنيهم وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب إخفاء هذا الحكم حتى يذكر على بنه ذلك وأجيب عنه بأنه يجهل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصاً بما إذا كان المسروق منه مسلماً فهذا أنكر عليهم إعلام الملك بهذا الحكم لظنه أنه كافر (وما كنا لأعيب حافظين) قال مجاهد وقادة يعني ما كنا نعلم أن ابنك سرق وبصير امرأنا إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا معناه وإنما قلنا ونحفظ أخانا بما لنا إلى حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لئله ونهاره ومحبيه وذهاب حافظين وقيل معناه أن حقيقة الحال غير معلومة لنا فإن الغيب لا يعلمه إلا الله ففعل الصواع دس في رحله ونحن لا تعلم بذلك (واسأل القرية التي كنا فيها) يعني واسأل أهل القرية إلا أنه حذف المضاف للإيجاز ويشمل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش (والعير

(ألم تعلموا أن أبائكم قد أخذوا عليكم ميثاقاً) يعني يعقوب (قد أخذوا عليكم ميثاقاً) يعني عهداً (من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف) يعني قصرتم في أمر يوسف حتى ضيعتموه (فلن أرح الأرض) يعني الأرض التي أنافيا وهي أرض مصر والمعنى فلن أخرج من أرض مصر ولا أفرقها على هذه الصورة (حتى يأذن لي أختي) يعني في الخروج من أرض مصر فيدعونني إليه (أو يحكم الله لي) برد أختي على أو تخبروني معكم وترك أختي أويحكم الله لي بالسيف فقاتلهم حتى استرد أختي (وهو خير الحاكمين) لأنه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء إلى الله تعالى في إقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام (ارجعوا إلى أبيكم) يعني يقول الانخ الكبير الذي عزم على الإقامة بمصر لاختوته الباقين ارجعوا إلى أبيكم يعقوب (فقولوا) له (يا أبانا إن ابنك سرق) إنما قالوا هذه المقالة تنسبوه إلى السرقة لأنهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه إلى السرقة في ظاهر الأمر لا في حقيقة الحال و بدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما شهدنا إلا بما علمنا) يعني ولم نقل ذلك إلا بعد أن رأينا أخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشهاده في عمرنا على شيء إلا بما علمناه وهذه ليست بشهادة إنما هو خبر عن صنيع ابنك أنه سرق برغمهم فيكون المعنى إن ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه لأن ابنك شهد عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس والفخاكي سرق بضم السين وكسر الراء وتشديد هاء أي نسب إلى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج إلى تأويل ومعناها إن القوم نسبوه إلى السرقة إلا أن هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حاجة والقراءة الصحيحة المشهورة هي الأولى وقوله وما شهدنا إلا بما علمنا يعني وما قلنا هذا إلا بما علمنا فأرأينا أخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشهاده في عمرنا على شيء إلا بما علمناه وليست هذه شهادة وإنما هو خبر عن صنيع ابنك برغمهم وقيل قال لهم يعقوب هب أنه سرق فيأيدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة إلا قولكم قالوا ما شهدنا عندنا أن السارق يسترقي إلا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء قبله ويعقوب وبنيهم وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب إخفاء هذا الحكم حتى يذكر على بنه ذلك وأجيب عنه بأنه يجهل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصاً بما إذا كان المسروق منه مسلماً فهذا أنكر عليهم إعلام الملك بهذا الحكم لظنه أنه كافر (وما كنا لأعيب حافظين) قال مجاهد وقادة يعني ما كنا نعلم أن ابنك سرق وبصير امرأنا إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا معناه وإنما قلنا ونحفظ أخانا بما لنا إلى حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لئله ونهاره ومحبيه وذهاب حافظين وقيل معناه أن حقيقة الحال غير معلومة لنا فإن الغيب لا يعلمه إلا الله ففعل الصواع دس في رحله ونحن لا تعلم بذلك (واسأل القرية التي كنا فيها) يعني واسأل أهل القرية إلا أنه حذف المضاف للإيجاز ويشمل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش (والعير

التي أقبلنا فيها) يعني وأسأل القافلة التي كنا فيها وكان يحجمهم قوم من كنعان من
جبران يعقوب (وإنا الصادقون) يعني فبقا فلنا وأما أرمهم أخوهم الذي أقام بمصر
هذه المقالة متعلقة بإزالة الهمّة عن أنفسهم عند إيمانهم كانوا متهمين عندهم بسب
واقعة يوسف (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) فيه اختصار تدبره فرجعوا إلى
أبيهم فأخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وعما قال لهم كبيرهم وأرمهم أن يقولوه
لأبيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وهو جعل
أخيكم معكم إلى مصر لطلب نفع عاجل قال أرمكم إلى ما آل وقيل معناه بل خيلت
لكم أنفسكم أنه سرق وما سرق (فصبر جميل) تقدم تفسيره في أول السورة وقوله عسى
الله أن يأتيهم جميعا) يعني يوسف وبنيامين والآخر الثالث الذي أقام بمصر وأما قال
يعقوب هذه المقالة لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه وحشته علم أن الله سيجعل له فرجا
ومخرجا عن قربه فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لأنه إذا اشتد البلاء
وعظم كان أسرع إلى الفرج وقبل أن يعقوب علم بما جرى عليه وعلى بنييه من أول
الامر وهو رؤو يا يوسف وقوله يأتي لا تقتصر رؤياك على أخوتك فسيدي والآن كيدنا
تساهى الامر قال عسى الله أن يأتيهم جميعا (أنه هو العليم) يعني يحزنني ووجدني
عليهم (الحكيم) فيسايد به ويقضيه قوله تعالى (وتولى عنهم) يعني وأعرض يعقوب
عن بنييه حين بلغوه خبر بنيامين في تشتت ساهى حزنه واشتد بلاؤه وباع جده وهج حزنه
على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم (وقال يا أسفا على يوسف) الأسف أشد الحزن وأما
جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لأن الحزن القديم إذا دافعه حزن آخر كان
ذلك أوجع للقلب وأعظم فحيان الحزن الأول كما قال متم بن نويرة لما رأى قبر أجديدا
جدد حزنه على أخيه مالاك

يقول أتبعني كل قبر رأيت * لقبر نوى بين اللوى واللد كادك

فقلت له ان الاسى يبعث الاسى * فدعني فهذا كله قبر مالاك

فاجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان
يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجدته
وجدد حزنه على يوسف لأن يوسف كان أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال
على يعقوب عليه السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكايته واطهار جرح فلا
يلحق بعلوم منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجهال المعترض لأن يعقوب عليه
الصلوة والسلام شكى إلى الله لأنه قال يا أسفا على يوسف معناه يا رب ارحم أسفى على
يوسف وقد ذكر ابن الأبارى عن بعض اللغويين أنه قال نداء يعقوب بالأسف في اللفظ
من المحازر يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخصه باللهي ارحم أسفى وأنت رأتى أسفى
او هذا أسفى فدأى الأسف في اللفظ والادى سواة في المعنى ولأما ثم ادأى بنطق اللسان
بكلام مؤثما لأنه لم يشك إلا إلى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى
إلى ربه كان غير ملوم في شكواه وقبل أن يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت
محنته قال يا أسفا على يوسف أى اسكروا إلى الله شدة أسفى على يوسف ولم يشك إلى أحد

إلى أقبلنا فيها) وأصحاب العير
وكانوا قوما من كنعان من
جبران يعقوب عليه السلام
(وإنا الصادقون) في قولنا
فرجعوا إلى أبيهم وقالوا له
ما قال لهم أخوهم قال بل
سولت لكم أنفسكم أمرا أردتموه
والا فأن أدري ذلك الرجل
ان السارق سترق لولا قواكم
وتعليمكم (فصبر جميل
عسى الله أن يأتيهم جميعا)
يوسف وأخيه وكبيرهم (أنه
هو العليم) بحال في الحزن
والأسف (الحكيم) الذي لم
يتلبى بذلك الحكمة (وتولى
عنهم) وأعرض عنهم كراهة
لما جاؤا به (وقال يا أسفا على
يوسف) أضاف الأسف وهو
أشد الحزن والحسر إلى نفسه
والافتقار من ياء الإضافة
والتي تأنس بين الأسف ويوسف
غير متكلف ونحوها ناقلم إلى
الأرض أرضيتهم وهم يشهون
عنه وينأون عنه ويحبسون
أنهم يحسون صنعا من سبنا
بنا وأما تأسف على يوسف
دون أخيه وكبيرهم لمأدى
أسفه على يوسف دون الآخرين
وفيه دليل على ان الزرع فيه
مع تقدم عهده كان غضا عهده

طربا (وابيضت عيناه) اذا كثر الاستعبار وبحثت العبرة سواد العين وقلته الى بياض كدر وقيل قد عي بصره وقيل كان قد بدرك اداوا كاضيفا (من الحزن) ٤٨ لان الحزن سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن

قيل ما جفت عيناي يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب ويجوز للثاني عليه السلام ان يبلغ به الحزن ذلك المبلغ لان الانسان يجول على ان لا يملك نفسه عند الحزن فلذلك حمد صبره ولقد بدى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا تقول ما يخطئ الرب وانا عليك يا ابراهيم لحزونون وانما المذموم الصياح والنياحة واطم الصدور والوجوه وتزيق الشباب (فهو كظيم) مفعول من القبط على اولاده ولا يظهر ما يسوهم فصيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذا نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملته (قالوا والله تقتلوا) أى لا تقتلنا فحذف النفي لانه لا يتيسر اذلو كان اثباتا لم يكن بدمه اللام والنون ومعنى لا تقتلنا لاتزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضا) مشقعا على الهلاك حرضا (او تكون من الهالكين قال انما أشكوا بشي وخزي الى الله) البت أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبته الى الناس أى ينشره أى لا أشكوا الى أحد منكم ومن

من الحق بدليل قوله انما أشكوا بشي وخزي الى الله (وابيضت عيناه من الحزن) أى عي من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يصبر شأست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء قصير العين كانها بياض من ذلك الماء الخارج من العين (فهو كظيم) أى مكظوم وهو المملئ من الحزن المسك عليه لا يديه قال قتادة وهو الذى برد خزيه في جوفه ولم يقل الاخير اوقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم التمام ثمانون سنة لم تجف عيناي يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه وقال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدي ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تعرفني أيها الصديق قال يوسف ارى صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وانا الروح الامين فقال يوسف فادخلك مدخل المذنبين وانت اطيب الطيبين وراسن المقربين وامين رب العالمين قال الم تعلم يا يوسف ان الله يظهر الارض بصره النبيين وان الارض التي يدخلونها هي اطهر الارضين وان الله قد يظهر لك الارض والسجن وملاحوه يا طاهر الطاهر بن وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لي باسم الصديقين وتعدني من الصالحين المخلصين الطاهر بن وقد ادخلت مدخل المذنبين قال انه لم يقتل قلبك ولم تطع سيدك في معصية ربك فلذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين والمحقق بانك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب ايها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتهل الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر خزيه قال حزن سبعين شكلا قال غياله من الاخر يا جبريل قال اجزمائة شهيد قال افتراني لاقية قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما بالي مما لقيت ان رايته قوله عز وجل (قالوا) يعنى اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لا يهيم (تالله) تقولوا تذكر يوسف) يعنى لاتزال تذكر يوسف ولا تقترع حبه يقول ما قئى يفعل كذا اى مازال ولا يحدو ففة في جواب القسم لان موضعها معلوم فحذف للتخفيف كقول امرئ القيس فقلت بين الله ابرح قاعدا * ولوقوع امرأى ليدل وأوصالى اى لا ابرح قاعدا وقوله (حتى تكون حرضا) قال ابن عباس يعنى دنفا وقال مجاهد المرض ما دون الموت يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسدا لا عقل له والمرض الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذاتا من الهم واصل المرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن او الهم ومعنى الآية حتى تكون دنفا الجسم مخبول العقل يعنى لا تدفع نفسك من شدة الحزن والهم والاسف (او تكون من الهالكين) يعنى من الاموات فان قات كيف حلقه واعلى شي لم يعملوا حقيقة قطعا قلت انهم نوا الامر على الاغلب انما اراهى يقول فلما نسا ان الامر يصير الى ذلك (قال) يعنى يعقوب عند ما رأى قولهم له وعظمتهم عليه (انما أشكوا بشي وخزي الى الله) اصل البت اثمارة الشئ

غير انما أشكوا الى ربى داعيا له ولملجئا اليه فخلونى وشكائى وروى انه أوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لاسم ذبحتم شاة فوقف بيا بكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقى الى الانبياء ثم امسا كين فاصنع طعاما وادع

وتقر به

وتفرقه وبث النفس ما تطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة البث أشد الحزن
 وذلك لأن الانسان اذا ستر الحزن وكتمه كان هماً فاذا ذكره لغيره كان بشاقاً لبث أشد
 الحزن والحزن المهم فعلى هذا يكون المعنى انما أشكرو حزنى العظيم وحزنى القليل الى الله لا
 يسكن قال ابن الجوزى روى الحماكم أبو عبد الله في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان ليعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب
 ما الذى اذهب بصرى وما الذى قوس ظهرى قال أما الذى اذهب بصرى فالبكاء على
 يوسف وأما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله
 يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي أن تشكو الى غيرى فقال انما أشكرو حزنى الى الله
 فقال جبريل الله أعلم بما تشكو وقبل انه دخل على يعقوب جادله فقال له يا يعقوب ما لى
 أراك قد شعثت بالضعف وقنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبواك فقال هشمى وأنا فى ما
 ابتلانى الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب أشكرونى الى خلقى فقال يا رب
 خفيته أخطأته فاعفر هالى قال قد غفرت لك فكن بعد ذلك اذا سئل يقول انما أشكرو حزنى
 وحزنى الى الله وقيل ان الله أوحى اليه وعزنى وحلالى لا كشف ما بك حتى تدعونى
 فعند ذلك قال انما أشكرو حزنى الى الله ثم قال أى رب اما ترحم الشيخ الكبير اذهب
 بصرى وقوس ظهرى فاردد على رجبنا نرى اسمهما شمة قبل ان اموت ثم اصنع ماشئت
 فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أشكر وعزنى لو كانا ميتين
 لشرتهما لك ائدرى لم وجدت عليك لانيك دحمت شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو
 صائم فلم تطعموه منها شيئاً وان احب عبادى الى الانبياء ثم المساكين اصنع طعاماً وادع
 اليه المساكين فضع طعامهم قال من كان صائماً فليطعمه الله عند آل يعقوب وكان بعد
 ذلك اذا تغدى أمر مناديا ينسأدى من أراد أن يتغدى فليأت آل يعقوب واذا افطر أمر أن
 ينسأدى من أراد أن يفطر فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتغدى مع المساكين وقال
 وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب ائدرى لم عاقبتك وحديثك يوسف
 ثمانين سنة قال لا يارب قال لا شك شويت عساً فاقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه
 وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح غلامين بدي أمه وهى تخرق لهما فأن قلت
 هل فى هذه الروايات ما يندفع فى عصمه الانبياء قلت لا وانما عاقب يعقوب بهذا لان
 حسنات الابار رسيات المقرين وانما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر مناصبهم
 وشر يفرضونهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك
 فقد ابتلى الله كل واحد من انبيائه بمحنة فصبر وفؤاض أمره الى الله فابراهيم عليه الصلاة
 والسلام اتى فى النار فصبر ولم يشك الى احد واسماعيل ابتلى بالذبح فصبر وفؤاض امره الى
 الله واسحق ابتلى بالعمى فصبر ولم يشك الى احد ويعقوب ابتلى بفقد ولده يوسف وبعده
 بنيامين ثم عمى بعد ذلك اوضع بصره من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع ذلك صابر
 لم يشك الى احد شيئاً مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله عز وجل بدليل قوله انما

أشكروني وخرني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل في الدنيا
والدرجات العلى في الآخرة مع من سلف من أبويه ابراهيم واسحق عليهما الصلاة
والسلام وأمامهم العيون وحن القلب فلا يستوجب به ذم ولا عقوبة لأن ذلك ليس
الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم بكى
على ولده ابراهيم عند موته وقال إن العين تدمع وإن القلب يحزن وما تقول إلا ما رضى
ر بنافهذه القدرة لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار ما حالاً خرج فيه على أحد من
الناس وقوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعني أنه تعالى من رحمته وإحسانه يأتي بالفرج
من حيث لا احسب وفيه إشارة الى أنه كان يعلم حياة يوسف وتوقع رجوعه اليه وروى
أن ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب رحمه الحسن صورته الكريم
على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الأرواح فقال لا قطبت نفس يعقوب وطمع في
رؤيته فلذلك قال وأعلم من الله ما لا تعلمون وقيل معناه وأعلم أن رؤي يوسف حق
وصدق وإنني وأنتم سنجس بدله وقال السدي لما أخبره بنو بسيرة ملك مصر وكمل حاله في
جميع أقواله وأفعاله احسب نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال
يعني يعقوب (يا بني اذهبوا فتمسكوا من يوسف وأخيه) الخمس طلب الخبر بالحاسة
وهو قرىب من الخمس بالجيم وقيل إن الخمس بالحاء يكون في الخبر والجيم يكون في
الشرومنة الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس
التمسوا قال ابن الأثير يقال تمسست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنان بن يوسف
وأخيه لانه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبعيض ويكون المعنى تمسكوا
خبراً من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبي فروة أن يعقوب كتب
كتاباً الى يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حس عند بنيامين من يعقوب اسرائيل
الله بن اسحق ذبح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل
بنا البلاء أما جدى ابراهيم فشدد يده ورجلاه وألقى في النار فخلصه الله عليه برؤوسه
وأما نبي فشددت يده ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما ناسكنا الى ابن
وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخاً بالدم
وقالوا قد كاه الذئب فذهب عنا ناهل بيت لا تسرق ولا تلدسار فاقان رددته الى والى
به وألف حبسته وزعمت أنه سرق وانا ناهل بيت لا تسرق ولا تلدسار فاقان رددته الى والى
دعوت عليك دعوة تندرک السابع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكأوه
وعيل صبره وأظهر نفسه لاختوته على ما سئذ كره أن شاء الله تعالى فذلك قوله تعالى
يا بني اذهبوا فتمسكوا من يوسف وأخيه (ولا تئسوا) أى ولا تقنطوا (من روح الله)
يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (أنه لا يئس من روح الله إلا
القوم الكافرون) يعنى أن المؤمن على خير رجوعه من الله فيصير عند الملاءة فينال به خيراً
ويحمد عند الرخاء فينال به خيراً والكافر بضد ذلك قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) فيه
حذف واختصار تقديره نخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعنى على

عليه المساكين وقيل اشترى
جارية معه ولها فباع وندها
فيكت حتى عمت (وأعلم من الله
ما لا تعلمون) وأعلم من رحمة الله
يأتيني بالفرج من حيث
لا احسب وروى أنه رأى ملك
الموت في منامه فسأله هل
قبضت روح يوسف فقال لا والله
هو حي فاطلبه وعلمه هذا الدعاء
ياذا المعروف الدائم الذى
لا يقطع معرفته أبداً ولا يحصى
غيرك فرج عني (يا بني اذهبوا
فتمسكوا من يوسف وأخيه)
فتعبروا منهم ما وطلبوا خبرهما
وهو تفعل من الاحساس وهو
المعرفة (ولا تئسوا من روح
الله) ولا تقنطوا من رحمة الله
وفرجه (أنه) أن الامر والشان
(لا يئس من روح الله إلا القوم
الكافرون) لأن من آمن يعلم أنه
مقلب في رحمة الله ونعمته وأما
الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا
تقلبه في نعمته فيئأس من رحمة
نخرجوا من عند أبيهم راجعين
الى مصر (فلما دخلوا عليه)
على يوسف

يوسف (قالوا يا أيها العزيز) يعنون باباها الملك والعزير القادر المستعصم وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ (مسنا وأهلنا الضر) أي الشدة والفقر والجوع وأرادوا باباها لهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة فرجاة) أي ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق في غن الطعام إلا تتجاوز من البائع وأصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشيء لنساق كترجئة الريح السحاب ومنه قول الشاعر

«وحاجة غير فرجاة من المحاج» يعنى هى قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها القليلة الاعتناء بها وانما وصفوا الملك بالبضاعة بانه فرجاة اما التقصانها أو لرداءتها أو لحجمها فذلك اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والجمال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف واللاظ وقال الكشي ومقاتل كانت حبة الخضر أو قيل كانت سويق القل وقيل كانت ادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة فرجاة من قوفهم فلان نرجى العيش اى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة فرجاة لندفع بها الزمان وليست بما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة فرجاة لانهم دود مدفوعة غير مقبولة عن يدفها (قاوف لنا الكيل) يعنى أعطنا ما كنت تعطىنا من قبل بالثمن الجيد الوافى والمعنى اننا نريد ان نقيم لثمننا الزائد مقام الناقص والجيد مقام الردى (وتصدق علينا) يعنى وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردي ولا تتقنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن البارى وكان الذى يسأله من المسامحة يشبه الصدقة وليس به واختلاف العلماء هل كانت الصدقة حلالة الانبياء قيل بئنا لا أم فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالة الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وانكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخسوف والاختلاف والاختلاف والصدقة أوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستعانون بالله عن سواء واجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه ان يخرجهم على عادتهم من المسامحة وإبقاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضافة لانفس الصدقة وكراهة الحسن ومجابهة ان يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا لمن يتبعى الثواب وروى ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يتبعى الثواب قل اللهم اعطى وتفضل على وقال ابن جرير والبخاري وتصدق علينا يعنى برادنا علينا (ان الله يجزى المتصدقين) يعنى بالثواب الجزيل وقال البخاري ثم يقولوا ان الله يجزى بل لانهم لم يعلموا انه مؤمن (قال) يعنى قال يوسف لآخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) وقد اختلفوا في السبب الذى من اجله جل يوسف وهيج به على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لى انهم لم يذكروه بهذا الكلام اذ ذكره رقة على اخوته فبلغ بالذى كان يكتم وقيل انهم اخبرهم بنسخة الكتاب الذى كتبوه بديع من ماله وفى آخره كتب به - وهذا ما قرأوا الكتاب اعترفوا بعبثته وقالوا يا ايها الملك انه كان

(قالوا يا أيها العزيز) يعنون باباها الملك والعزير القادر المستعصم وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ (مسنا وأهلنا الضر) أي الشدة والفقر والجوع (وجئنا ببضاعة فرجاة) أي ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق في غن الطعام إلا تتجاوز من البائع وأصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشيء لنساق كترجئة الريح السحاب ومنه قول الشاعر «وحاجة غير فرجاة من المحاج» يعنى هى قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها القليلة الاعتناء بها وانما وصفوا الملك بالبضاعة بانه فرجاة اما التقصانها أو لرداءتها أو لحجمها فذلك اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والجمال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف واللاظ وقال الكشي ومقاتل كانت حبة الخضر أو قيل كانت سويق القل وقيل كانت ادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة فرجاة من قوفهم فلان نرجى العيش اى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة فرجاة لندفع بها الزمان وليست بما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة فرجاة لانهم دود مدفوعة غير مقبولة عن يدفها (قاوف لنا الكيل) يعنى أعطنا ما كنت تعطىنا من قبل بالثمن الجيد الوافى والمعنى اننا نريد ان نقيم لثمننا الزائد مقام الناقص والجيد مقام الردى (وتصدق علينا) يعنى وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردي ولا تتقنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن البارى وكان الذى يسأله من المسامحة يشبه الصدقة وليس به واختلاف العلماء هل كانت الصدقة حلالة الانبياء قيل بئنا لا أم فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالة الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وانكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخسوف والاختلاف والاختلاف والصدقة أوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستعانون بالله عن سواء واجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه ان يخرجهم على عادتهم من المسامحة وإبقاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضافة لانفس الصدقة وكراهة الحسن ومجابهة ان يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا لمن يتبعى الثواب وروى ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يتبعى الثواب قل اللهم اعطى وتفضل على وقال ابن جرير والبخاري وتصدق علينا يعنى برادنا علينا (ان الله يجزى المتصدقين) يعنى بالثواب الجزيل وقال البخاري ثم يقولوا ان الله يجزى بل لانهم لم يعلموا انه مؤمن (قال) يعنى قال يوسف لآخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) وقد اختلفوا في السبب الذى من اجله جل يوسف وهيج به على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لى انهم لم يذكروه بهذا الكلام اذ ذكره رقة على اخوته فبلغ بالذى كان يكتم وقيل انهم اخبرهم بنسخة الكتاب الذى كتبوه بديع من ماله وفى آخره كتب به - وهذا ما قرأوا الكتاب اعترفوا بعبثته وقالوا يا ايها الملك انه كان

كان لنا عبد فعناه منه فعاظ ذلك يوسف وقال انكم ستحقون العقوبة وام بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوههم قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويجزن لفقدوا حدهم فكيف اذا اتاه الحجر يقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث با متعتنا الى ابينا فانه يمكن كذا وكذا فلما حين ادركته الرقة عليهم والرحمة فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب ابيه الاله لم يتما لك ان بكى وقال هل علمت ما فعلتم بي يوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم ما تركتم من امر يوسف وما اقيح ما اقدمتم عليه من قطعة الرحم وتغير بقمه من ابيه وهذا كيقال للذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد به هذا نفس الاستفهام ولكنه اراد تقطيع الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل علمت عني ما فعلتم بي يوسف واخيه من تسليم الله اياهما من المنكر وهـ واعلم ان هذه الآية تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتبينهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذي فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذي فعلوه باخيه من المنكر وهـ حتى يقول لهم هذه المثلة فانهم لم يسعوا في حبسه ولا ارادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين اخيه يوسف تفصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتهم باخذ الصواع مارا بنساء منكم يا بني راحيل خيرا (اذا انتم جاهلون) هذا يحري يحري العذر لهم يعني انكم انما اقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤل اليه امر يوسف وقوله عز وجل (قالوا ائتلك لانت يوسف) قرى على سبيل الاستفهام وجهه هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمت ما فعلتم بيوسف واخيه تبسم فراوا نساءه كاللاوا تشبه نساء يوسف فتبسم بيوسف فقالوا الاستفهام اما ائتلك لانت يوسف وقرى على الخبر وجهه قال ابن عباس ايضا في رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع الساج عن راسه وكان له في قسره علامة تشبه الشامة وكان ليعتوب مثله اولاسحق مثلهما واسارة مثلهما فعرفوه بها وقالوا ائتلك يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهيم ولم يعرفوه حتى (قال انا يوسف) قال بعض العلماء انما اظهر الاسم في قوله انا يوسف ولم يقل انا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والمالك فكأنه قال انا يوسف المظلم الذي ظلمته وفي وقصدم قتلى بان ائتلمتوني في الحب ثم بعتموني بالجنس الاثمان ثم صرت الى ماترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قال (وهذا آخى) وهم يعرفونه لانه قصده ايضا وهذا آخى المظلم كالمظلموني ثم صرت انا وهو الى ماترون وهو قوله (قدمن الله علينا) بان جميع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير في الدنيا والاخرة وقيل من علينا بالسلامة في دنيا ودنيا (انه من يبق ويرى) يعني يبق الزنا ويرى على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يبق المعصية ويصبر على الذنب وقيل يبق الله باداء فرائضه ويصبر عما حرم الله (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني اجر من كان هذا حاله (قالوا) يعني قال اخوة يوسف معتذرين اليه عما صدقهم في حقته (تالله لقد اترك الله علينا) أي اختارك وفضلك علينا يقال اترك الله ايثارا أي

اذا انتم جاهلون) لانهم لم يعلموا قبحه او اذا انتم في حد السب والظلم وقولهم باخيه تعريضهم اياه لانهم باقرا دعه عن اخيه لايه واما واذا اؤهم له بانواع الاذى (قالوا ائتلك) بهزئين كوفي وشامى (لانت يوسف) اللام لام الابتداء وانت مبتدأ او يوسف خبره والجملة خبر ان (قال انا يوسف وهذا آخى) والما ذكر اخاه وهم قد سألوه عن نفسه لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سألوه عنه (قدمن الله علينا) بالالفة بعد الفارقة وكرهية الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ باللام (انه من يبق) الفعشاء (ويصبر) عن المعاصي وعلى الطاعة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاستعماله على المتقين والصابرين وقيل من يبق مولا ويصبر على بولوا لا يضيع اجره في دنياه وعقباه (قالوا تالله لقد اترك الله علينا) اختارك وفضلك علينا باعلم والحمل والتقوى والصبر والحسن

(وان كنا خاطئين) وان شأنا وخالنا انا كنا خاطئين من معصدين للاثم لم نلتق ولم نصبر لاجرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتسكين بين يديك (قال لا تريب عليكم) لا تعير عليكم (اليوم) متعاق بالتريب أو يعقر والمعنى لا اثر بكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التريب فاطنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال ٥٣ (يعقر الله لكم) فدعا لهم بعقرة ماعزط منهم

اختاروا يوسف والاثني عشر والاشارة للتفضل والمعنى لقد فضلك الله علينا يا اهل
والعقل وقال الضحك عن ابن عباس الملك قال اوصاح عنه بالصبر وقيل بالحلم
والصنع عليا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التي اعطاها الله عز وجل له دون اخوته
وقيل فضله عليهم بالنبوة وأورد على هذا القول بان اخوته كانوا انبياء أيضا فليس له
عليهم فضل في ذلك واجيب عنه بان يوسف فضل عليهم بالرسل مع النبوة فكان أفضل
منهم بهذا الاعتبار لان من جعل له النبوة والرسل كان أفضل ممن خص بالنبوة فقط
(وان كنا مخاطبين) يعني وما كنا في صنعنا تلك الاخاطئ ولهذا اختير لفظ الخاطئ على
الخطي والفرق بينهما يقال خطي خطأ إذا تعدى وخطأ إذا كان غيره متعمدا وقيل
يجوز ان يكون آثر لفظ خاطئين على مخطئين لما افتقر رؤس الاسرى لان خاطئين أشبهما
قبلها (قال) يعني يوسف (لا يثريب عليكم) يعني لا تعيرو ولا تبتغي عليكم ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم اذا نزلت أمة أحدم فليجلدها المجدول ويجهها ولا يثريب لأية يعربها بالزنا
بعد إقامة الحد عليها وفي محل قوله (اليوم) قولان أحدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون
التقدير لا يثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع
والتوبيخ وانالا قرعكم اليوم ولا أوجهكم ولا اثرب عليكم فعلى هذا الحسن الوقف على
قوله لا يثريب عليكم اليوم ويستدل بقوله (يعفو الله لكم) والقول الثاني ان اليوم
متعلق بقوله يعفو الله لكم فعلى هذا الحسن الوقف على قوله لا يثريب عليكم ويتبدأ
باليوم يعفو الله لكم كأنه لما نفي عنهم التوب والتراجع بقوله لا يثريب عليكم بشرهم
بقوله اليوم يعفو الله لكم (وهو ارحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف بنفسه سألتهم عن حال
آبيه فقال ما حال أبي بعدى قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فأعطاهم قصصه وقال
(اذهبوا بمعي صيدا) قال الضحك كان هذا التميم يص من شجر الحنطة وقال مجاهد أمره
جبريل ان يرسل اليه قصصه وكان ذلك التميم يص قصص ابراهيم وذلك انه لما حرم
ثيابه والتي في الناصر بانانا جبريل يتميم يص من شجر الحنطة قالسه اياه فكان ذلك
التميميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل
يعتوب ذلك التميميص في قصبته من فضة وقد سدر أسها وجعلها في عتي يوسف كالهوايد
لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما ألقي يوسف في البئر بانانا جبريل
وأخرج له ذلك التميميص وأنساه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فلما فرغ ان يرسل
هذا التميميص إلى أبيه لان فيه ربح الحنطة فلا تقع على ميت ولا يسقم الاعوي في الوقت
ودفع ذلك التميميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بمعي صيدا (فالقوم على وجهه إلى
باب بصيرا) قال المحققون ان علم يوسف أن القاء ذلك التميميص على وجهه يعتوب بوجـ

رد البصر كان يوحى الله اليه ذلك ويمكن ان يقال ان يوسف لم يعلم ان اباؤه قد عصى من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه قصه ليخبر به فيقول بكافؤه وينشرح صدره وفرح قلبه وعند ذلك يزول الغم ويقتوى البصر فهذا القدر يمكن معرفته من جهة العقل وقوله (واتوني باهلكم اجمعين) قال الكلبي كانوا اخوة من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين ما بين رجل وامرأة (ولما فصلت العير) يعنى خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى ارض كنعان (قال ابوهم) يعنى قال يعقوب ولد ولد (الى لاجد ربح يوسف) قيل ان ربح الصبا استأذنت ربه ان تاتي يعقوب ربح يوسف قيل ان ياتيه البشر وقال مجاهد اصابت يعقوب ربح يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليلال وقال الحسن كان بينهما ما كانوا فرسخا وقيل هبت ربح فاحتملت ربح القميص الى يعقوب فوجد يعقوب ربح الجنة فعلم انه لى فى الارض من ربح الجنة اما كان من ذلك القميص فعلم بذلك انه من ربح يوسف فاذنك قال انى لاجد ربح يوسف (ولان تغدون) اصل التغميد من الغند وهو ضعف الرأى وقال ابن الانبارى اشد الرجل اذا خرف وفندا اذا جهل وسب ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو التغميد والتغميد يكون المعنى لولان تغدونى اى تنسبونى الى الخرف وقيل تسفهونى وقيل تلومونى وقيل تنجهونى وهو قول ابن عباس وقال الخليلك تسفهونى فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله (قالوا) يعنى اولاد اولاد يعقوب واهله الذين عنده لان اولاده فضله كانوا غائبين عنه (تالله انك لفي ضلالك القديم) يعنى من ذكر يوسف ولا تنساه لانه كان عندهم ان يوسف كان قدمات وهالك ويرون ان يعقوب قد بلغ ذكره فلذلك قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم يعنى من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما ان جاء البشر) وهو البشر يخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشر بين يدي العير قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو يعقوب قال السدي قال يعقوب انا قد ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب واخبرته ان يوسف اكله الذئب فانا اذهب اليوم بالقميص واخبره انه حى فأفرجه كما أمرته قال ابن عباس جله يعقوب اخرج به فاما حاسر اعدو ومعه سبعة أرغفة فلم يستوفأ كما حاشى اتي اياه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (ألقاه على وجهه) يعنى فأتى البشر قميص يوسف على وجهه يعقوب (فارتد بصيرا) يعنى فرجع بصيرا بعد ما كان قد عصى وعادت اليه نوته بعد ما ضعف ومرضه بعد الحزن (قال اقل اليكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون) يعنى من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وورى ان يعقوب قال للبشر كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما صنع الملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الا نمت النعمة قوله تعالى (قالوا يا انا نستغفر لنا ذنوبنا) يعنى قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه بما صنعوا به ويوسف استغفر لنا اى اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله (انا كنا خاطئين) يعنى فى صغفنا (قال سوف استغفر لكم ربي) قال أكثر المفسرين ان يعقوب أخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت البحر لانه اشرف الاوقات وهو الوقت الذى يقول الله فيه هل من داع

إغثوا يا خبار هلكي (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قال ابوهم) لولد ولد وهو من حوله من قومه (انى لاجد ربح يوسف) اوجد الله ربح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية ايام (ولان تغدون) التغميد التغميد الى الغند وهو الحزن وانكار العقل من هرم يقال شيخ مغند والمعنى لولا تغيدكم اياى لصدقتمونى (قالوا) اى أسباطه (تالله انك لفي ضلالك القديم) لفي ذهاب عن الصواب قديما فى افراط محبتك ليوسف أوفى خطئك القديم من حب يوسف وكان عندهم انه تدممات (فلما ان جاء البشر) اى يعقوب (ألقاه على وجهه) طرح البشر القميص على وجهه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد) فرجع (بصيرا) يقال برده فارتد وارتده اذا رجعته (قال اقل لكم) يعنى قوله انى لاجد ربح يوسف أو قوله ولا تسألو من روح الله وقوله (انى اعلم من الله ما لا تعلمون) كلام مبتدئ يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله انما أشكركونى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروى انه سأل البشر اكيف يوسف قال هو ملك مصر

فقال ما صنع الملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الا نمت النعمة (قالوا يا انا نستغفر لنا ذنوبنا) انا كنا خاطئين (اى سأل الله مغفرا عما ارتكبنا فى حقك وحق ابيك انا نبنا واعتدنا خطايانا) قال سوف استغفر لكم ربي

فاستجيب له فلما انتهى يعقوب بالوقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جرمي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما اتوا الى اخيمهم يوسف فاحسب الله اليه في قدغفرت لك ولهم اجمعين قال عكرمة بن عدياس انه آخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة ثمانين سنة وقال طائوس آخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربي قال حتى اسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربي (انه هو الغفور) يعني لذنوب عباده (الرحيم) بجميع خلقه قال عطاء الخراساني طلب المحوائج الى الشياطين اسهل منه الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاختوته لا تريب عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي قال اصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى ابيه مائتي راحلة وجهازا كثيرا ليأتوه يعقوب وجميع اهله الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ ثمان وسبعون مابين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجيء ابيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك في اربعة آلاف من الجند وكبأهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يعيش وهو يتوكأ على يديه يهودا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهودا افرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف ان يدا يعقوب بالسلام فقال له جبريل لاحتي ييدا يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاخران وقبل انهما تزلوا وتانقا وفعل كما يفعل الوالد بولده والولد بالدهو بكيا وقبل ان يوسف قال لابيه يا ابت بكيت على حتى ذهب بصرك لم تعلم ان القيامة تجيءنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيفعل بتي وينك ذلك قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف آوى اليه يعني ضم اليه (أبو به) قال أكثر المفسرين هو أبو يعقوب وعالته ليا وكانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبو به وأمه وكانت حبة بعدد وقيل ان الله احياها ونشرها من قبرها حتى تشهد ليوسف تحقيقا رؤى باء الاول اجمع (وقال ادخلوا مصر) قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثاني الاستيطان بها أي ادخلوا مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقبل ان هذا الاستثناء مرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف استغفر لكم ربي ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلوها أحد الا يجاورهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمين على أنفسكم وأهلكم ان شاء الله

انه هو الغفور الرحيم) آخر الاستغفار الى وقت السحر أو الى ليلة الجمعة أو لم يعرف طاهم في صدق التوبة أو الى ان سأل يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجهه الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والمالك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر باجمعهم فقلقوا يعقوب وهو عشي يتوكأ على يديه فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ضم اليه (أبو به) واعتنقهما قبل كانت أمهما باقية وقيل ماتت وتزوج أبوه حالته والحالة أم ك أن العلم أب ومنه قوله واله آيات ابراهيم واسماعيل واستحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم انزلهم في مصر خيمة أو قصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضم اليه أبو به (وقال لهم بعد ذلك ادخلوا مصر ان شاء الله آمين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها الا يجاور أومن القبط وروى انه لما اتقه قال يعقوب عليه السلام السلام عليكم يا مذهب الاخران وقال له يوسف يا ابت بكيت على حتى ذهب بصرك لم تعلم ان القيامة تجيءنا فقال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيفعل بتي وينك ذلك قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف آوى اليه يعني ضم اليه (أبو به) قال أكثر المفسرين هو أبو يعقوب وعالته ليا وكانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبو به وأمه وكانت حبة بعدد وقيل ان الله احياها ونشرها من قبرها حتى تشهد ليوسف تحقيقا رؤى باء الاول اجمع (وقال ادخلوا مصر) قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثاني الاستيطان بها أي ادخلوا مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقبل ان هذا الاستثناء مرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف استغفر لكم ربي ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلوها أحد الا يجاورهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمين على أنفسكم وأهلكم ان شاء الله

فعلی هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وان شاء الله بكم
 لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع ابويه على العرش) يعني على السرير الذي كان
 يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو (وخزوا له) يعني يعقوب وخاله ايليا
 واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الاختناء والتواضع ولم يرد به حقيقة
 السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف
 عليه السلام ان يسجد له ابوه وهو اكبر منه واعلى منصباً في النبوة والشيوخه قلت
 يحتمل ان الله تعالى امر بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود قولان احدهما انه
 كان اختناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثاني انه كان حقيقة
 السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان السجود على هذه الصلوة لا ينبغي
 ان يكون لله تعالى واجب عن هذا الاشكال بان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على
 سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقلبة كما سجد الملائكة لادم وويل على صحة هذا
 التأويل قوله ورفع ابويه على العرش وخزوا له سجداً وظاهر هذا يدل على انهم لما
 صعدوا على السرير سجدوا لله تعالى ولو كان ليوسف السجود كان قبل الصعود لان ذلك
 ابلغ في التواضع فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رايتهم في ساجدين وقوله خزوا له
 سجداً فان الضمير يرجع الى اقرب المذكرات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام قلت
 يحتمل ان يكون المعنى وخزوا لله سجداً لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله
 امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة يوسف ربما احتملتهم الائمة
 والتكبر عن السجود ليوסף فلما راوا ان اباهم قد سجد له سجدوا له ايضاً فكون هذه
 السجدة على سبيل التحية والتواضع لاسبيل العبادة وكان ذلك جازاً في ذلك الزمان
 فلما جاء الاسلام نضحت هذه الفعلة والله اعلم عزادوسرار كتابه (وقال) يعني وقال
 يوسف عمدمارأى ذلك (يا بئس هذا) ويل رؤياي من قبل يعني هذا تصديق الرؤيا
 التي رايت في حال الصغر (قد جعلها ربي حقاً) يعني في الحقيقة واختلوا فيما بين رؤياه
 وتأويلها فقال سليمان الفارسي وعبد الله بن شداد يعنون سنة وقال ابو صالح عن ابن
 عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعد بن جبير وعكرمة والسدي ست وثلاثون سنة
 وقال قدامة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سواد سبعون سنة وقال الفضيل بن
 عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان
 يوسف كان عمره حين اتى في الحب سبع عشرة سنة واقام في العبودية والسخن والملك
 مدة ثمانين سنة واقام مع ابيه واخوته واقاربته مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو
 ابن مائة وعشرين سنة وقوله (وقد احسن بي) يعني انعم علي قال احسن بي والى بمعنى
 واحد (اذ اخرجني من السجن) انما ذكر انعام الله عليه في اخراجه من السجن وان كان
 الحب اصعب منه استعمالاً لا لادب والكرم ثلاث خيل اخوته بعد ان قال لهم لا تريب
 عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كانت اعظم من اخراجه من
 الحب وسبب ذلك ان خوجه من الحب كان سبباً لمخروجه في العبودية والرق وخروجه

انسان وسبعون ما بين رجال
 ونساء وخرجوا مع موسى
 ومقاتلهم ستمائة ألف وخمسمائة
 وبضعة وسبعون رجلاً سوى
 الذرية والمرحى وكانت الذرية
 ألف ألف ومائتي ألف (ورفع
 ابويه على العرش وخزوا له
 سجداً) قيل لما دخلوا مصر
 وجلس في مجلسه مستوياعلى
 سريره واجتمعوا اليه اكرم
 ابويه فرفعهم على السرير فخروا
 له يعني الاخوة الاحد عشر
 والابوين سجداً وكانت السجدة
 عندهم جارية تجري التحية
 والتسكعة كالقيام والمصافحة
 وقبول اليد وقال الزجاج سنة
 التعظيم في ذلك الوقت ان يسجد
 للعظيم وقيل ما كانت الاختناء
 دون تعظيم الجاه وخزوا لهم سجداً
 ايأه وقيل وخزوا لاجل يوسف
 سجد الله شكر اوفيه نبوة ايضاً
 واختلف في استنبأهم (وقال
 يا بئس هذا) ويل رؤياي من
 قبيل قد جعلها (أي الرؤيا) (ربي
 حقاً) أي صادقة وكان بين الرؤيا
 وبين التأويل اربعون سنة أو
 ثمانون أو ست وثلاثون أو ثنتان
 وعشرون (وقد احسن بي)
 يقال احسن اليه وبه وكذلك
 اساء اليه وبه (اذ اخرجني من
 السجن) ولم يذكر الحب لقوله
 لا تريب عليكم اليوم

من السجن كان سبب الوصوله الى الملك وقيل ان دخوله الحب كان لمحمد اخوته ودخوله
 السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه عليه (وجاءكم من البدو) يعنى
 من البادية وأصل البدو هو السبط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعنى يظهر
 والبدو خلاف الحضرة والبادية خلاف الحضرة وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية
 فسكنوا البادية (من بعد أن ترغ الشيطان بيني وبين اخوتي) يعنى افسد ما بيننا
 بسبب المحسد وأصل الترغ دخول في أمر لافساده واسم قل هذه الآية من يرى بطلان
 الحجة من المبتدعة قالوا الآن يوسف أضف الاحسان الى الله وأضف الترغ الى الشيطان
 ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما في الاحسان والنعمة والجواب عن هذا
 الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل الحجاز وان كان ظاهر
 اللفظ يقتضى اضافة الفعل الى الشيطان لاعلى الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو
 الله تعالى في الحقيقة قبل لو كان فيها آية لمة الا الله افسد تافئت بذلك ان الكل من
 عند الله وبفضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقائه الوسوسة والتحرش
 لافساد ذات البين وذلك باقتدار الله اياه على ذلك (ان ربي لطيف لما يشاء) يعنى انه تعالى
 ذو لطف عالم بقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات قد يعبر باللفظ عما تدركه
 الحاسة ويصيح ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بقائق
 الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم ووقوله ان ربي لطيف لما يشاء أى حسن
 الاستخارة راجع تيمم على ما وصل الى يوسف حيث ألقاه اخوته في الحب وقيل ان اجتماع
 يوسف بابيه واخوته بعد طول الفارقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس
 وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا أراد أمراً هاماً
 أسما به (انه هو العليم) يعنى بمصالح عباده (المحكم) في جميع أفعاله قال أصحاب الاخبار
 والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام قام عند يوسف بمصر أربعين سنة
 في اهناء عيش وانعم بالواحد والآخر فلم يحضره الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل
 جسده حتى يدفنه عند قبر ابيه اسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه
 الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما أمر به أبوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى
 قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص أنحى يعقوب وكنا قد ولدنا في بطن واحد فدفننا
 في قبر واحد وكان عمرهما ثمان وسبعين سنة فلما دفن يوسف اباه وعمره رجع الى
 مصر قالوا لاجتماع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا
 زائل سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والحائمة الصالحة فقال (رب) أى
 يارب (قد أتيتني من الملك) يعنى من ملك مصر ومن هنا للتبعيض لانهم لم يورث ملك مصر
 كله بل كان فوقه ملكاً آخر والملك عبارة عن الاساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير
 (وعلمتني من تاويل الاحاديث) يعنى تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يعنى
 خالقهما ومدهم ما على غير مثال سبق وأصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير
 اذا شق وظهر وفطر الله الخلق أوجده وأبدعه (انت ولي) يعنى معني ومتولى أمرى

(وجاءكم من البدو) من البادية
 لانهم كانوا أصحاب مواش
 يذمتون في المياه والمناجم (من
 بعد أن ترغ الشيطان بيني وبين
 اخوتي) أى افسد بيننا وأغرى
 (ان ربي لطيف لما يشاء) أى
 لطيف التدبير (انه هو العليم
 المحكم) تأخير الاشارة الى
 الاحال او حكم بالاعتلاف بعد
 الاختلاف (رب قد أتيتني من
 الملك) ملك مصر (وعلمتني من
 تاويل الاحاديث) تفسير
 كتب الله او تعبير الرؤيا ومن
 فيهما للتبعيض اذ لم يورث الا
 بعض ملك الدنيا وبعض التأويل
 (فاطر السموات والارض)
 انتصابه على النداء (انت ولي)

طربا (وايضا عيناه) اذا كثر الاستعبار ومحقت العبرة سواد العين وقلته الى بياض كدرو قبل قد عي بصره وقيل كان قد يدرك اذا كاض عفا (من الحزن) ٤٨ لان الحزن سبب البكاء الذي حدث منه البياض فسكانه حدث من الحزن

قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه فماتت عينا ما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب ويجوز للنبي عليه السلام ان يبلغ به الجبرع ذلك المبلغ لان الانسان يجبول على ان لا يملك نفسه عند الحزن فاذللك جدد صبره ولقد يدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا يقول ما يحفظ الرب وانا عليك يا ابراهيم لحزنون وانما المذموم الدسيح والنياحه والطم الصدور والوجوه وغزير الشيب (فهو كظيم) يملو من العيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوهم فعمل معنى مفعول بدليل قوله اذ نادى وهو مظلوم من كفهم السقاء اذ اشده على مائسه (قالوا الله تعزوا) أى لا تغفل عن حرف النبي لانه لا ياتس اذلو كان انبساطا لم يكن يذمن اللام والنون ومعنى لا تغفل لا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حضا) مشقة على السلاك مرضا (او تكون من الهالكين قال انما اشكوا بشي وحزني الى الله) البت اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فبئس الى الناس أى ينشره أى لا تشكوا الى احد منكم ومن

من الخلق بدليل قوله انما اشكوا بشي وحزني الى الله (وايضا عيناه من الحزن) أى عي من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يصبر شأست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء قصير العين كانها بياض من ذلك الماء الخارج من العين (فهو كظيم) أى مظلوم وهو الممتلئ من الحزن الممسك عليه لا يذنه قال قتادة وهو الذي برد حزنه في جوفه ولم يقل الاخير او قال الحسن كان بين خروج يوسف من جبرأيه الى يوم التقيان ثمانون سنة لم تحف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه وقال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدي ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تعرفني أمها الصديق قال يوسف ارى صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وانا الروح الامين فقال يوسف فاذا ذلك مدخل المذنبين وانت اطيب الطيبين وراس المقرين وامين رب العالمين قال الم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بصر النبيين وان الارض التي يدخلونها هي اطرار الارضين وان الله قد يطهر بك الارض والسجن وما حوله يا طاهر الظاهر بن وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لي باسم الصديقين وتعدني من الصالحين المخلصين الظاهر بن وقد ادخلت مدخل المذنبين قال انه لم يمتن قبلك ولم تضع سيدتك في معصرة ربك فلذلك سمك الله من الصديقين وعدك من المخلصين والحق يا بائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب يا ابراهيم الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجليل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين سكالا قال فساله من الامر يا جبريل قال اجرامه شهيد قال افتراني لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما بالي مما لقيت ان رايت به قوله عز وجل (قالوا) يعنى اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لا يهيم (تالله تقو) اذ ذكر يوسف) يعنى لا تزال تذكر يوسف ولا تغفل عن حبه يقول ما فئى يفعل كذاى ما زال ولا يحذفه في جواب القسم لان موضعهما معلوم فحذف للتخفيف كقول امرئ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا * ولو قطع وراسي ليدلني او صاملى اى لا ابرح قاعدا وقوله (حتى تكون حضا) قال ابن عباس يعنى دنفا وقال مجاهد المحرض مادون الموت يعنى قريب من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسدا لا عقل له والمحرض الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذا ثامن الهم واصل المحرض الفساد فى الجسم والعقل من الحزن والهم ومعنى الآية حتى تكون دنفا الجسم يخول العقل يعنى لا تتفقد بنفسك من شدة الحزن والهم والسف (او تكون من الهالكين) يعنى من الاموات فان قات كيف خلقوا على شئ لم يعلموا حقيقة قتله قطعا قاتلهم بنوا الام على الاغلب انما اهرى نقول فلنا هذا ان الامر يصير الى ذلك (قال) يعنى يعقوب عند ما رأى قولهم له وغلظتهم عليه (انما اشكوا بشي وحزني الى الله) اصل البت اثاره الشئ

شبرك انما اشكوا الى ربى داعيا له ولم يتجأ اليه فلو شكا بشي وروى انه أوحى الى يعقوب انما وجدت ونهيه عنكم لانكم ذبحتم شاة وقوف بيا بكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقى الى الانبياء ثم الما كين فاصنع طعاما وادع

أشكروني وحزني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل في الدنيا
والدرجات العلى في الآخرة مع من سلف من أبويه ابراهيم واسحق عليهما الصلاة
والسلام وأما مع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذم ولا عقوبة لأن ذلك ليس
الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى
على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين تدمع وان القلب يحزن وما تقول الامارى
ر بنافهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا لخرج به على أحد من
الناس وقوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعنى انه تعالى من رحمته واحسانه يأبى بالفرج
من حيث لا يحتسب وفيه اشارة الى أنه كان يعلم حياة يوسف وتوقع رجوعه اليه وروى
ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ربحه الحسن صورته الكريم
على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الارواح فقال لا قطابت نفس يعقوب وطمع في
رؤيته فلذلك قال وأعلم من الله ما لا تعلمون وقيل معناه وأعلم ان رؤيا يوسف حق
وصديق وانى وأنتم تسجد له وقال السدي لما اخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكل حاله في
جميع أقواله وأفعاله احسب نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال
يعنى يعقوب (يا بني اذهبوا فاحبسوا من يوسف وأخيه) الخمس طاب الخبر بالحاسة
وهو قريب من الخمس بالحجم وقيل ان الخمس بالحاء يكون في الخبر والجيم يكون في
الشروء منه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس
التمسوا قال ابن الامباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنامن يوسف
وأخيه لانه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من التبعية وي يكون المعنى تحسبوا
خبراً من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبي فروة ان يعقوب كتب
كتاباً الى يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حس عند بنيامين من يعقوب اسر ائيل
الله من اسحق ذبح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر امابعد فانا أهل بيت وكل
بنا البلاء أما جدى ابراهيم فشدد يده ورجلاه وألقى في النار فخلصها الله عليه برادوسلاما
وأما ائيل فشدد يده ورجلاه ووضع السكين على فقه ففداه الله وأما نافسكان في ابن
وكان احب أولادى الى فذهبه اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم
وقالوا قدأكله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لي ابن آخو كان أنعامه أمه وكتبت أسلى
به وائل حسبته وزعت انه سرق وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلدسار قالان ردده الى والى
دعوت عليسك دعوة تدرك السابح من ولدك فلما أقر يوسف كتاباً بيه اشتد بكأوه
وعيل صبره وأظهر نفسه لاختوته على ماسد كره ان شاء الله تعالى فذلك قوله تعالى
يا بني اذهبوا فتحبسوا من يوسف وأخيه (ولا تبأسوا) أى ولا تقنطوا (من روح الله)
يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (انه لا يأس من روح الله الا
القوم الكافرون) يعنى ان المؤمن على خير برجوه من الله فصبر عند البلاء فيمنا له خيرا
ومجد عند الرءاء فيمنا له خيرا والكافر بضد ذلك قوله تعالى (فلمادخلوا عليه) فيه
حذف واختصار تقديره فخر جوامن عند أبيهم قاصدين مصر فلمادخلوا عليه يعنى على

عليه المساكين وقيل اشترى
جارية بقمصه ولدها فباع ولدها
فبكت حتى عيت (وأعلم من الله
ما لا تعلمون) وأعلم من رحمته انه
يأبى بالفرج من حيث
لا يحتسب وروى انه رأى ملك
الموت في منامه فسأله هل
قبضت روح يوسف فقال لا والله
هو حي فاطلبه وعلمه هذا الدعاء
ياذا المعروف الدائم الذى
لا يقطع معروفه أبدا ولا يخصمه
غيرك فرج عني (يا بني اذهبوا
فاحبسوا من يوسف وأخيه)
فتعرفوا منهم ما تطلبوا واخبرهما
وهو تفعل من الاحساس وهو
المعرفة (ولا تبأسوا من روح
الله) ولا تقنطوا من رحمة الله
وفرجه (انه) ان الامر والشان
(لا يأس من روح الله الا القوم
الكافرون) لان من آمن يعلم انه
مقلب في رحمة الله ونعمته وأما
الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا
تقلبه في نعمته فبأس من رحمته
فخر جوامن عند أبيهم راجعين
الى مصر (فلمادخلوا عليه)
على يوسف

يوسف (قالوا يا أيها العزيز) يعنون يا أيها الملك والعزير القادر الممتنع وكان العزيز نزل قلب
ملك مصر يومئذ (مسنا وأهلنا الضري) أي الشدة والفق والجوع وأرادوا بها لهم من
خلفهم ومن وراءهم من العمال (وحشنا ببضاعة مزجة) أي ببضاعة رديئة كاسدة
لا تنفع في غنم الطعام لا يتجز من البائع وأصل الأزجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا
والترجيئة دفع الشيء ليساق كترجيئة الرمح السحاب ومنه قول الشاعر
«وحاجة غير مزجة من الحاج» يعني هي قليلة سيرة يمكن دفعها وسوقها القليلة الاعتناء
بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجة إما لمتنقصاتها أو لرداءتها أو لمجموعها فإذ ذلك
اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذه البضاعة المزجة فقال ابن عباس كانت دراهم
رديئة زروفا وقيل كانت خلق الغرار والمجال وقيل كانت من متاع الأعراب من
الصوف والاقط وقال الكلبي ومقابل كانت حبة الخضر أو قيسل كانت سويق المقل
وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجة من
قولهم فلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة
مزجة لتدفع بها الزمان وليست مما يتسح بها وقيل أغنا قيسل للدراهم الرديئة مزجة
لأنها رديئة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها (فاوف لنا الكيل) يعني أعطنا ما كنت
تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافي والمعنى أننا نريد أن نقيم لنا الزائد مقام الناقص والجيد
مقام الرديء (وتصدق علينا) يعني وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والرديء ولا
تتعضنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الأنباري وكان الذي يسأله من المسألة يشبه
الصدقة وليس به واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا لا لانباء قيسل نبينا أم لا
فقال سفيان بن عيينة إن الصدقة كانت حلالا لا لانباء قيسل بل لمحمد صلى الله عليه وسلم
واستدل بهذه الآية وانكر جمهور العلماء ذلك وقالوا إن حال الانبياء كلهم واحد في
تحريم الصدقة عليهم لأنهم ممنوعون من الخوض للمخالفين والأخذ منهم والصدقة
أوسع الناس فلا تحل لهم لأنهم مستعنون بالله عن سواء واجب عن قوله وتصدق
علينا أنهم لم يطلبوا منه أن يخرجهم على عاداتهم من المسألة وإتفاء الكيل ونحو ذلك مما
كان يفعل بهم من التكرامة وحسن الضيافة لأنفس الصدقة وكره الحسن وسجاسة أن
يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا لأن الصدقة لا تكون إلا من بيتي الثواب
وروي أن الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال إن الله لا يتصدق أغنا تصدق
من بيتي الثواب قل اللهم أعطني ونفضل على وقال ابن جرير والفضل تصدق علينا
يعني ردا علينا (إن الله يجزي المتصدقين) يعني بالثواب الجزيل وقال الفضل لم
يتقوله إلا الله يجزي لأنهم لم يعاموا أنه مؤمن (قال) يعني قال يوسف لآخوته (هل علمتم
ما فعلتم بيوسف وأخيه) وقد اختلفوا في السبب الذي من أجله جعل يوسف وهيمه على
هذا القول فتعال ابن إسحق ذكر أني أنهم لما كانوا بهذا الكلام أدر كفة رقة على آخوته
فباح بالذي كان يكتم وقيل أنه أخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه ببيعته من المال يوفي
آخروه كتبهم وهذا ما قرأوا الكتاب اعترفوا بعبثته وقالوا يا أيها الملك إنه كان

(قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا
الضري) أهزل من الشدة والجوع
(وحشنا ببضاعة مزجة) مدفوعة
بدفعها كل تاجر رغبة عنها
واحتقار لها من أزيته إذا دفعته
ومردته قيسل كانت دراهم
زروفا لا تؤخذ الا بوضعية وقيل
كانت صوف وسمن (فاوف لنا
الكيل) الذي هو حقنا (وتصدق
علينا) وتفضل علينا بما المسألة
والأغراض عن رداءة البضاعة
أوزنا على حقنا أو هب لنا
أخانا (إن الله يجزي المتصدقين)
ولما قالوا مسنا وأهلنا الضري
وتضرعوا إليه وطلبوا منه أن
يتصدق عليهم أرفض عيناه
ولم يسمالك أن عرفهم نفسه
حيث قال (قال هل علمتم ما فعلتم
بيوسف) أي هل علمتم بيع
ما فعلتم بيوسف وأخيه

كان لنا عبد فبعناه منه فعاظ ذلك يوسف وقال انكم تسحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوه قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لقد واحد منا فكيف اذا اتاه الخبز يقتل بنيه كاهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعت بامتعتنا الى ابينا فانه يمكن كذا وكذا فذل حين أدركته الرقة عليهم والرحمة فبكي وقال بهذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه اله لم يتمالك أن يبكي وقال هل علمت ما فعلت بي يوسف وأخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف وما أفتخ ما أقدمتم عليه من قطعة الرحمة ونهر يته من أبيه وهذا كما يقال للذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد به هذا نفس الاستفهام ولكنه أراد تفتيح الامر وتغيطه ويجوز أن يكون المعنى هل علمت عني ما فعلت بي يوسف وأخيه من تسليم الله اناهما من المكر وهـ وواعلم ان هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا اليه لتبينهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذي فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذي فعلوه بأخيه من المكر وحتى يقول لهم هذه الماتلة فاتهم لم يسعوا في حبسه ولا أرادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين أخيه يوسف نقصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له الماتلة ما خذ الصواع ماراً بناتكم يا بني راحل خيرا (اذ أنتم جاهلون) هذا يجري مجرى العذر لهم يعني انكم انما أقدمتم على هذا الفعل القبيح المتكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الضبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما قيل اليه أمر يوسف قوله عز وجل (قالوا أئنك لانت يوسف) قرئ على سبيل الاستفهام وجهه هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمت ما فعلت بيوسف وأخيه تسع فرأوا نساءه كاللؤلؤ تشبه نساء يوسف فبهم به يوسف فقالوا الاستفهام ما أئنك لانت يوسف وقرئ على الخبر وجهه قال ابن عباس أيضا في رواية أخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع الساج عن رأسه وكان له في قسره علامة تشبه الشامة وكان يعقوب مثلهما ولا يحق مثلهما والسارة مثلهما فعرفوه بها وقالوا أنت يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهيم ولم يعرفوه حتى (قال أنا يوسف) قال بعض العلماء انما أظهر الاسم في قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك فكانه قال أنا يوسف المظلم الذي ظلمتني وقصدت قتلي بان أقتبعتني في الحب ثم يتموني يا بنس الانسان ثم صرت الى ماترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قال (وهذا أخى) وهم يعرفونه لانه قد صدبه أيضا وهذا أخى المظلم كما ظلمتوني ثم صرت أنا هو الى ماترون وهو قوله (قدم الله علينا) بان جميع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخبر في الدنيا والآخر وقيل من علينا بالسلامة في دنيا وديننا (انه من يتق ويصبر) يعني يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال بجاهد يتق المعصية ويصبر على السجود وقيل يتق الله بآداء فرائضه ويصبر عما حرم الله (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني اجر من كان هذا حاله (قالوا) يعني قال اخوة يوسف معذرين اليه بما صدر منهم في حقهم (تالله لقد آثر الله علينا) أي اختاركم وفضلك علينا يقال آثر الله اياها أي

اذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبجه او اذ أنتم في حد السفة والطيش وقولهم باخيه تعريضهم اياه للخراب اذ عن اخيه لاييه وامه واذا اؤهم له بانواع الاذى (قالوا أئنك) بهمز زين كوفي وشامى (لانت يوسف) اللام لام الابتداء وانت ممتد أو يوسف خبره والخلة خبر ان (قال أنا يوسف وهذا أخى) وانما ذكر أخاه وهم قد سأله عن نفسه لانه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه (قدم الله علينا) بالالف بعد الفرة وقد كرر نعمته الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ باللام (انه من يتق) الفتحشة (ويصبر) عن المعاصي وعلى الطاعة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين وقيل من يتق مولاه ويصبر على بيلواه لا يضيع أجره في دنياه وعقباه (قالوا تالله لقد آثر الله علينا) اختاركم وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن

(وان كنا الخاطئين) وان شأنا وحالنا اننا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم ننتق ولم نصبر لاجرم ان الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسك بين يديك (قال لا تريب عليكم) لا تعير عليكم (اليوم) متعاقب بالتريب أو يغفر المعنى لا تريب لكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التريب فبما ظنكم بغصير من الايام ثم ابتدأ فقال ٥٣ (يغفر الله لكم) فدعاهم بغفرة ما فرط منهم

يقال غفر الله لثوب يغفر لك
على اقض الماضي والمضارع أو
اليوم يغفر الله لكم بشارة بعامل
غفران الله وروى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخذ
بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح
فقال لقرينيس ما تروني فعلا
بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم وقد قدرت
فقال اقول ما قال اني يوسف
لا تريب عليكم اليوم وروى
ان ابا سفيان لما جاء ليسل قال
له العباس اذا أتيت رسول الله
فانقل عليه قال لا تريب عليكم
اليوم ففعل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم غفر الله
لثوبن عليكم وروى ان اخوته
لما عرفوه ارسوا اليه السائل
تدعوني الى طعامك بكرة وعشيا
وتحن يستحي منك لما فرط منا
فك فقال يوسف ان اهل مصر
وان ملكك فيهم فانهم ينظرون
الي بالعين الاولى ويقولون
سبحان من بلغ عبد اباح
بعشرين درهما ما بلغ والتد
شرفت الا تن بكم حيث علم
الناس اني من حفلة ابراهيم
(وهو ارحم الراجلين) أي اذا
رجعتم وانا الفقير القوي فها
ظنكم بالغي الغفور ثم سلم
عن حال أبيه فقالوا انه سمى من

اختاركم وسعداثر للفضل والابشار للتعظيم والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم
والعقل وقال الضحاک عن ابن عباس بالملك قال ابوصالح عنه بالبر وقيل بالحلم
والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التي أعطاها الله عز وجل له دون اخوته
وقيل فضله عليهم بالنبوة وأورد على هذا القول بان اخوته كانوا أنبياء أيضا فليس له
عليهم فضل في ذلك واجيب عنه بان يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان أفضل
منهم بهذا الاعتبار لان من جمعت له النبوة والرسالة كان أفضل من خص بالنبوة فقط
(وان كنا الخاطئين) يعني وما كنا في صنعنا لك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطئ على
الخطي والفرق بينهما ان يقال خطي خطأ اذا تعمدوا خطأ اذا كان غير متعمد وقيل
يجوز ان يكون أثر لفظ خاطئين على خطئين او افسدة رؤس الا لا خاطئين انشبهما
قبلها قال يعني يوسف لا تريب عليكم) يعني لا تعير ولا توبخ عليكم ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم اذ انت أمة احدهم فليجلدها الحد ولا يوبخها ولا تريب أي لا يعيرها بالزنا
بعد اقامة الحد عليها وفي محل قوله (اليوم) قولان أحدهما انه يرجع الى مقابلة فيكون
التقدير لا تريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التريب والتتريع
والثوب يخوانا لا افرعكم اليوم ولا اوبخكم ولا اثرب عليكم فعلى هذا الحسن اوقف على
قوله لا تريب عليكم اليوم وابتدأ بقوله (يغفر الله لكم) والقول الثاني ان اليوم
متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا الحسن اوقف على قوله لا تريب عليكم وابتدأ
باليوم يغفر الله لكم كأنه لما في عنهم التوبخ والتتريع بقوله لا تريب عليكم يسرهم
بقوله اليوم يغفر الله لكم (وهو ارحم الراجلين) ولما عرفهم يوسف نفسه سلمهم من حال
أبيه فقال ما حال أبي بعدى قالوا ذهب بصير من كثرة البكاء عليك فأعطاهم قمصه وقال
(اذهبوا بقميصي هذا) قال الضحاک كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره
جبريل ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من
ثيابه والقي في النار عر يانا انا جبريل بقميص من حر الجنة قال له اياه فكان ذلك
القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل
يعقوب ذلك القميص في قضيعة من فضة وسد رأسها وجعلها في عنق يوسف كالهاتف
لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفرقه فلما أتى يوسف في البئر يانا انا جبريل
وأخرج له ذلك القميص وألبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاء جبريل فقامه ان يرسل
هذا القميص الى أبيه لان فيه ريح الجنة فلا يقع على ميت ولا يستقيم الاعوف في الوقت
فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا (فالقوله في وجهه) أي
يات بصيرا) قال الحنفية ان علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجهه يعقوب بوجوب

كثرة البكاء قال (اذهبوا بقميصي هذا) قيل هو القميص المتوارث الذي كان في نعوذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل ان
يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على ميت ولا يستقيم الاعوف (فالقوله في وجهه) أي يات بصيرا) يصير بصيرا يقول جاء البنا
يحكم أي صار أيات الى وهو بصير قال هوذا انا اجل قبض الشفاء كذا ذهب بقميص الجفا وقيل جملة وهو

اغتوا باخبار هلكي (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حضانة (قال ابوهم) لولد ولدوه من حوله من قومه (اني لاجدر مع يوسف) اوجد الله ربح القميص حين اقبل من مسرة عثمانة ايام (لولان تغندون) التفند النسبة الى الفند وهو الحزن وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعنى نولا تفندكم اي اصد قمتوني (قالوا) اي اسباطه (تالله انك في ضلالك القديم) لفي ذهابك عن الصواب قديما فافراط محبتك ليوسف اوفى خطئك القديم من حب يوسف وكان عندهم انه قد مات (فلما ان جاء البشر) اي هذا (القاء على وجهه) طرح البشر القميص على وجهه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد) فرجع (بعيرا) يقال بودة فارتد وارتده اذا رجعته (قال ألم أزل لكم) يعني قوله اني لاجدر مع يوسف أو قوله ولا تسأسوا من روح الله وقوله (اني أعلم من الله ما لا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله انما أشكوكي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروى انه سال البشر كيف يوسف قال هو ملك مصر

رد البصر كان بوحى الله اليه ذلك ويمكن ان يقال ان يوسف لما علم ان اياه قد عسى من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه قصه ليخبر به فيزول بكاه ويطهر صدره وفرح قلبه فعند ذلك يزول الضيق ويقرى الصبر فهذا القدر يمكن معرفته من جهة العقل وقوله (واتوني باهلكم اجمعين) قال السككي كانوا اخوان سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين مابين رجل وامرأة (ولما فصلت العير) يعني خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى ارض كنعان (قال ابوهم) يعني قال يعقوب لولد ولدوه (اني لاجدر مع يوسف) قيل ان ربح الصبا استأذنت بهاني ان تاتي يعقوب ربح يوسف قيل ان ياتي به البشر وقال مجاهد اصابت يعقوب ربح يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليلال وقال الحسن كان بينهم ما ثمانون فرسخا وقيل هت ربح فاحتملت ربح القميص الى القميص الى يعقوب فوجد يعقوب ربح الجنة فعلم انه ليس في الارض من ربح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فعلم بذلك انه من ربح يوسف فاذنك قال اني لاجدر مع يوسف (لولان تغندون) اصل التفند من الفند وهو ضعف الرأى وقال ابن الانباري ائند الرجل اذا خف وفندا اذا جعل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من عرف فهو الفند والفند فيكون المعنى لولان تغندوني اي تنسبونني الى الخرف وقيل تسفهوني وقيل تلوموني وقيل تجهلونني وهو قول ابن عباس وقال الخاك تهرموني فقولون شيخ كبير قد خف وذهب عقله (قالوا) يعني اولاد اولاد يعقوب وأهل الذين بعده لان اولاده لصلبه كانوا غائبين عنه (تالله انك في ضلالك القديم) يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لانه كان عندهم ان يوسف كان قد مات وهلك ويرون ان يعقوب قد بلغ به كره ذلك قالوا تالله انك في ضلالك القديم يعني من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما ان جاء البشر) وهو البشر تجبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشر بين يدي العير قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هو يهوذا قال السدي قال يهوذا انا ذهبت بالقميص لمطخا بالدم الى يعقوب وأخبرته ان يوسف اكل الذئب فانا اذهب اليوم بالقميص وأخبره انه حي فأفرجه كما أمرته قال ابن عباس جله يهوذا خرج به خافيا حاسرا بعد ومعه مسبعة أرغفة فلم يستوف اكلها حتى اتى اياه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (ألقاه على وجهه) يعني فألقى البشر قميص يوسف على وجهه يعقوب (فارتد بصيرا) يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قد عسى وعادت اليه توبة بعد الضيق وسروره بعد الحزن (قال ألم أزل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) يعني من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى ان يعقوب قال للبشير كيف تر كنه يوسف قال تر كنه ملك مصر قال يعقوب ما أضع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة قوله تعالى (قالوا يا انا نستغفر لنا ذنوبنا) يعني قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه فخاصصوا له ويوسف استغفر لنا أي اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله (انا كنا خاطئين) يعني في صنعنا (قال سوف استغفر لكم ري) قال أكثر المفسرين ان يعقوب أمر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع

فقال ما أضع بالملك على أي دين تر كنه قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة (قالوا يا انا نستغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) أي سأل الله مغفرة ما ارتكبنا حتى حلت وحي ابلنا انا تبنا واعتزنا بخطايانا (قال سوف استغفر لكم ري

فاستجب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي خبي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولادي ما اتوا الى اخيهم يوسف فاوحى الله اليه ان قد غفرت لك ولهم جميعين قال عكرمة عن ابن عباس انه اخرا الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة الجمعة ثيافا وعشرين سنة وقال طاووس اخرا الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربي قال حتى اسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربي (انه هو الغفور) يعني لذنوب عباده (الرحيم) يستمع خلقه قال عطاء الخراساني طلب المحوائج الى الشباب اسهل منه الى الشيخوخة الا ترى الى قول يوسف لاخته لا تنيب عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي قال انجاب الاختار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخته الى ابيه ما تى راحلة وجهازا كثيرا لياتوه يعقوب بوجيع اهله الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع اهله وهم يومئذ ثمان وسبعون مابين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف المالك الاكبر يعني ملك مصر وعرفته فبجى ابيه وأهله فخرج يوسف ومعه المالك في أربعة آلاف من الجند وكب اهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يشي وهو يتوكأ على دابته بهذا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا بؤذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه اراد يوسف ان يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لاحتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقبل انهما نزلا وتعاثقا وفعل كما يفعل الولد بولده والولد بولده وبكى وقبل ان يوسف قال لايه يا ابنت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجتمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيخال بيني وبينك فلذلك قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف آوى اليه يعني ضم اليه (ابو يه) قال أكثر المفسرين هو ابو يعقوب وخالته لياو كانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما ابو يه وأمه وكانت حبة بعد وقبل ان الله احياها وشهرها من قبرها حتى تسجد ليوסף تحقيقا لرؤياه الاول اصبح (وقال ادخلوا مصر) قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه اراد بالدخول الاول دخولهم مصر واداء بالدخول الثاني الاستيطان بها أي ادخلوا مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف استغفر لكم ربي ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الا بآمرهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمين على أنفسكم واهليكم ان شاء الله

انه هو الغفور الرحيم) آخر الاستغفار الى وقت السحر أو الى ليلة الجمعة أو ليتعرف لهم في صدق اتوبه أو الى ان يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجهه الى ابيه جهازا وما تى راحلة ليتجهز اليه من معه فلما بلغ قربا من مصر خرج يوسف والمالك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو عسى يتوكأ على هذا (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) ضم اليه (ابو يه) واعتصمها قبل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج أبو يه وخالته أمكم كما أن الم أبومنه قوله واله أبائك ابراهيم واسماعيل واسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر ان حين استقبلهم انزلهم في ضرب خيمة أو قصر كان لهمة فدخلوا عليه وضم اليه أبو يه (وقال لهم بعد ذلك ادخلوا مصر ان شاء الله آمين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها الا بآمر أو من القبط وروى انه لما قبله قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال له يوسف يا ابنت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجتمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيخال بيني وبينك فذلك قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف آوى اليه يعني ضم اليه (ابو يه) قال أكثر المفسرين هو ابو يعقوب وخالته لياو كانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما ابو يه وأمه وكانت حبة بعد وقبل ان الله احياها وشهرها من قبرها حتى تسجد ليوסף تحقيقا لرؤياه الاول اصبح (وقال ادخلوا مصر) قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه اراد بالدخول الاول دخولهم مصر واداء بالدخول الثاني الاستيطان بها أي ادخلوا مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف استغفر لكم ربي ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الا بآمرهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمين على أنفسكم واهليكم ان شاء الله

انسان وسبعون مائين وبال
 ونساء وخرجوا من مع موسى
 ومقاتلهم ستمائة ألف وخمسمائة
 وبضعة وسبعون رجلا سوى
 الذرية والمرحى وكانت الذرية
 ألف ألف ومائتي ألف (ورفع
 أبويه على العرش وخرّوا له
 سجدا) قيل لما دخلوا مصر
 وجلس في مجلسه مستويا على
 سريره واشتمعوا اليه اكرم
 أبويه فرفعهم على السرير وخرّوا
 له يعني الأخوة الاحد عشر
 والابوين سجدا وكانت السجدة
 عندهم جارية مجرى التقدمة
 والتكرمة كالقيام والمصافحة
 وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة
 التعظيم في ذلك الوقت أن يسجد
 للأعظم وقيل ما كانت الاتخاء
 دون تعظيم الجاه وخرّوهم سجدا
 أباه وقبل وخرّوا لاجل يوسف
 سجدا لله شكر اوفيه نبوة ايضا
 واختلف في استنبأهم (وقال
 يا أبت هذا ناوليل رؤياي من
 قبل قد جعلها أي الرؤيا (رؤيا
 حقا) أي صادقة وكان بين الرؤيا
 وبين التأويل أربعون سنة أو
 ثمانون أو ست وثلاثون أو ثنتان
 وعشرون (وقد أحسن في)
 يقال أحسن اليه وهو كذلك
 اساء اليه وبه (اذخر جني من
 السنين) ولم يدرك الحب اقلوه
 لا تريب عليكم اليوم

ففي هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وان ان شاء الله بكم
 لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع أبويه على العرش) يعني على السرير الذي كان
 يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو (وخرّوا له سجدا) يعني يعقوب وخاله لياسا
 وأخوته وكانت تخيمة الناس يومئذ السجود وهو الاتخاء والتواضع ولم يرد به حقيقة
 السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف
 عليه السلام أن يسجد له أبوه وهو اكبر منه وأعلى منصبا في النبوة والشيخوخة قلت
 يستعمل ان الله تعالى امر بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود قولنا احدهما انه
 كان اتخاء على سبيل التخمينة كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثاني انه كان حقيقة
 السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغي
 ان يكون الا لله تعالى واجيب عن هذا الاشكال بان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على
 سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقوله كسجد الملائكة لا دم ويدل على صحة هذا
 التأويل قوله ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما
 صعدوا على السرير وخرّوا سجدا لله تعالى ولو كان يوسف لكان قبل الصعود لان ذلك
 المبلغ في التواضع فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم لي ساجدين وقوله خروا له
 سجدا فان الصبر يرجع الى اقرب المذكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام قلت
 يستعمل ان يكون المعنى وخرّوا له سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يستعمل ان الله
 امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة يوسف ربما احتملهم الانفة
 والتكبر عن السجود ليوسف فلما رواوا ان اباهم قد سجده له سجدا له ايضا فتهلكون هذه
 السجدة على سبيل التقدمة والتواضع لاجل سبيل العبادة وكان ذلك طائرا في ذلك الزمان
 فلما جاء الاسلام تسخت هذه الفعلة والله اعلم بغير ادعوا سرار كتابه (وقال) يعني وقال
 يوسف عندما رأى ذلك (يا أبت هذا ناوليل رؤياي من قبل) يعني هذا تصديق الرؤيا
 التي رايت في حال الصغر (قد جعلها ربي حقا) يعني في اليقظة واختلغا فيهما بين رؤياه
 وتأويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد بعون سنة وقال ابو صالح عن ابن
 عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي ست وثلاثون سنة
 وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سوادون سبعون سنة وقال الفضل بن
 عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غير من الحسن ان
 يوسف كان عمره حين اتى في الحب سبع عشرة سنة واقام في العبودية والسجن والمك
 مدة ثمانين سنة واقام مع ابيه واخوته واقاربته مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو
 ابن مائة وعشرين سنة وقوله (وقد أحسن في) يعني انتم على يقال أحسن في والى معنى
 واحد (اذخر جني من السنين) اغاذر انعام الله عليه في اخراجه من السجن وان كان
 الحب اصعب منه استعما لا لادب والكرم لئلا ينجل اخوته بهدان قال لهم لا تريب
 عليكم اليوم ولان نعمه الله عليه في اخراجه من السجن كانت اعظم من اخراجه من
 الحب وسبب ذلك ان خروجه من الحب كان سببا له ولد في العبودية والرق وخروجه

من السجن كان سبب الوصله الى الملك وقيل ان دخوله الحب كان لحسد اخوته ودخوله
 السجن كان لرواى الهمه عنه وكان ذلك من أعظم نعمه عليه (وجاءكم من البدو) يعنى
 من البادية وأصل البدو هو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعنى يظهر
 والبدو خلاف الحضرة والبادية خلاف الحضرة وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية
 فسكنوا البادية (من بعد ان ترغ الشيطان بيني وبين اخوتي) يعنى افسد ما بيننا
 بسبب الحسد وأصل الترغ دخول في أمر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى بطلان
 الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف أضاف الاحسان الى الله وأضاف الترغ الى الشيطان
 ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما في الاحسان والنعمة والجواب عن هذا
 الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر
 اللفظ يقتضى اضافة الفعل الى الشيطان لاعلى الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو
 الله تعالى في الحقيقة فقل لو كان فيما آلهة الا الله افسد تأقنت بذلك ان الكل من
 عند الله وبفضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا لافاء الوسوسة والتفريش
 لافساد ذات البين وذلك باقدا والله اعلم به ذلك (ان ربي لطيف لما يشاء) يعنى انه تعالى
 ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب الفوائد وقد يعبر باللفظ عما تدركه
 الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بدقائق
 الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء أى حسن
 الاستخراج تبيينها على ما أوصل الى يوسف حيث ألقاه اخوته في الحب وقيل ان اجتماع
 يوسف بابيه واخوته بعد طول الفراق وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس
 وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا أراد أمراً هائلاً
 أسماه (انه هو العليم) يعنى بمسألح عباده (الحكيم) في جميع أفعاله قال أصحاب الاخبار
 والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام قام عند يوسف بمصر أربعاً وعشرين سنة
 في اهتمام عيش وانعزال واحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف ان يحمل
 جسده حتى يدفنه عند قبر أبيه اسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه
 الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما أمر به أبوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى
 قدم به الشام فوافق ذلك موت العاصى يعقوب وكنا قد ولدنا في بطن واحد فدفنا
 في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعة وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه وعمره رجس الى
 مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه واخوته علم ان نعم الدنيا
 زائل سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والحماية الصالحة فقال (رب اى
 يارب) قد آتيت من الملك) يعنى من ملك مصر ومن هنا اللبعض لانه لم يزل ملك مصر
 كله بل كان فوقه ملائكة خروا للملك عبادة عن الاسراع في المقدورين له السياسة والتدبير
 (وعلمتني من تاويل الاحاديث) يعنى تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يعنى
 خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وأصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير
 اذا شق وظهر وفطر الله الخلق وأوجده وأبدعه (انت ولي) يعنى معني ومتولى أمرى

(وجاءكم من البدو) من البادية
 لانهم كانوا أصحاب مواش
 يتنقلون في المياه والمناجم (من
 بعد ان ترغ الشيطان بيني وبين
 اخوتي) اى افسد بيننا وأغرى
 (ان ربي لطيف لما يشاء) اى
 لطيف التدبير (انه هو العليم
 الحكيم) بتأخير الا مال الى
 الا حال او حكم بالاعتلاف بعد
 الاختلاف (رب قد آتيتني من
 الملك) ملك مصر (وعلمتني من
 تاويل الاحاديث) تفسير
 كتب الله او تعبير الرؤيا ومن
 فيها للتبعض اذ لم تزل الا
 بعض ملك الدنيا وبعض التأويل
 (فاطر السموات والارض)
 انتصابه على النداء (انت ولي)

(في الدنيا والآخره) أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي (توفني مسلما) طلب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا واثم مسلمون وعن الخثالك مخلصا وعن التشرى مسلما الملك امرى وفي عصمة الانبياء انما دعا به يوسف ليعتد به قومه ٥٨ ومن بعده عن ليس بأمون العاقبة لان طواهر الانبياء نظرا لام اليهم

(والمحققني بالصالحين) من آتاني
أو على العموم روى ان يوسف
أخذ بيد يعقوب فطاف به في
خزائنه فادخله خزان الذهب
والفضة وخزان الثياب وخزان
السلاح حتى أدخله خزانة
القراطيس قال يا بني ما عقلت
عندك هذه القراطيس وما
كنت على علي غائبا ثم اهل فقال
امرني جبريل قال أو ما سأله قال
أنت أبسط اليه متى سأله فقال
جبريل الله امرني بذلك لقولك
وأخاف أن يأكله الذئب فهلا
خفتني وروى ان يعقوب أقام
معه أربعين سنة وعشرين سنة
ثم مات وأوصى ان يدفنه
بالشام الى جنب أبيه واسحق
فرضي بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد
الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثة
وعشرين سنة فلما تم امره طابت
نفسه الملك الدائم فمضى الموت وقيل
مات غنا في قبله ولا بعده فتوفاه
الله طيبا طمرا فمات صم أهل
مصر وشاحوا في دفنه كل يحب
ان يدفن في محلتهم حتى هموا
بالقتال فزأوا ان يعملوا له
صندوقا من حديد ووجهه فيه
ودفنه في النبل فكان يمر عليه
الناس ثم يصل الى مصر ليكنوا

كأنهم فيه ثم عاد حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعين سنة تابوته الى بيت المقدس وولده أفرام الى
وميشا وولد لافرايم ونون ولنون وشمع قتي موسى ولقد توارث القراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت
أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذلك) إشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والحطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ
(من أبناء الغيب نوحية اليك) خبر ان

(وما كنت لذئبهم) لدى بني يعقوب (اذ اجمعوا اهرهم) عزمو اعلی ما هو وابه من اللقاء يوسف في البئر (وهم يكرهون) ينعون ويغرون له الغوائل والمعنى ان هذا النباغيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين انفقوا على اللقاء احيهم في البئر (وما) كثرا الناس ولو حرصت بمؤمنين (اراد العموم او اهل مكة اى وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على ايمانهم) (وما تسئلهم عليه) على التبليغ او على القرآن (من اجر) ٥٩ جعل (ان هو الا ذكر) ما هو الا عظة

(للعالمين) وحش على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (وكأين من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (في السموات والارض يرون عليها) على الآيات أو على الارض وشاهدونها (وهم عنها عن الآيات) (معرضون) لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن) أكثرهم بالله الا وهم مشركون) اى وما يؤمن أكثرهم بالله وبانه خلق السموات والارض وهو مشرك بعبادة الوثن الجاهل وعلى انها زلت في المشركين لانهم مقرون بان الله خالقهم ورازقهم واذا حزنهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك شركون به غيره ومن جلة الشرك ما يقوله القدرية من اثبات قدرة الخلق للعبد والتوحيد المحض ما يقوله اهل السنة وهو انه لا خالق الا الله (اقاموا ان تأنيبهم غاشية) عقوبة تغشاهم وتشلهم (من عذاب الله او تأنيبهم الساعة)

الى آخر الدهر وقوله تعالى (وما كنت بما محمد عند اولاد يعقوب) (اذ اجمعوا اهرهم) يعنى حين عزمو اعلی اللقاء يوسف عليه الصلاة والسلام فى الحب (وهم يكرهون) يعنى ينعون (وما) كثرا الناس ولو حرصت بمؤمنين (الحطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما) كثرا الناس بما محمد ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وقريش اساءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها على وفق ما عندهم فى التوراة لم يسلموا واخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقتل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم فقيه تسليمه له (وما تسئلهم عليه من اجر) يعنى على تبليغ الرسالة والدعاء الى الله من اجر يعنى اجر اوجعنا على ذلك (ان هو) اى ما هو يعنى القرآن (الا ذكر) يعنى عظة ونذير (للعالمين وكأين من آية) يعنى وكمن آية دالة على التوحيد (في السموات والارض يرون عليها) يعنى لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهم عنها معرضون) اى لا يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى بالمعنى من اعراضهم عنك يا محمد (وما يؤمن) أكثرهم بالله الا وهم مشركون) يعنى ان من ايمانهم انهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفى رواية عن ابن عباس انهم يقولون ان الله خلقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفى رواية اخرى عنه ايضا انها زلت فى تلبية مشركي العرب وذلك لانهم كانوا يقولون فى تلييتهم لبسك لبسك لا شريك لنا الا شريك هو لك تملكه وماملك قال عطاء هذا فى الدعاء وذلك ان الكهانة وسواهم فى الرخاء فاذا اصابهم البلاء اخلصوا فى الدعاء (اقاموا ان تأنيبهم غاشية من عذاب الله) يعنى عقوبة مجللة تغشاهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقبعة وقال الخالك يعنى الصواعق والقوارع (او تأنيبهم الساعة بغية) يعنى فجأة وهم لا يشعرون) يعنى بتيامها قال ابن عباس تهيج الصبغة بالناس وهم فى اسواقهم (قل) اى قل يا محمد ولأعدائهم (هذه سبيلى) يعنى طريقى التى ادعوا اليها وهى توحيد الله عز وجل ودين الانسلا م وسمى الدين سبيلا لانه الطريق المؤدى الى الله عز وجل والى الثواب والجنة (الى الله) يعنى الى توحيد الله والايان به (على بصيرة) يعنى على يقين ومعرفة البصيرة هى المعرفة التى يميز بها بين الحق والمباطل (أنا ومن اتبعنى) يعنى من آمن بى وصدق بما جئت به ايضا يدعوا الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وآمن به أن يدعو الى ما دعا اليه

القيامة (بغية) حال اى خائفة (وهم لا يشعرون) بانها زلت (هذه سبيلى) هذه الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلى والسبيل والطريق يذكران ووثقان ثم قسم سبيله بقوله (ادعوا الى الله على بصيرة) اى ادعوا الى دينه مع صحة واتحة غير عياء (انا) تأكيد للتبليغ (ومن اتبعنى) عطف عليه اى ادعوا الى سبيل الله انا ويدعوا اليه من اتبعنى انا وانا مبتدوا على بصيرة خبر مقدم ومن اتبعنى عطف على انا يخبر ابتداء بانه ومن اتبعه على جمهوره ان لا على هو

ويزكر بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله ادعوا الى الله ثم استأنف على بصيرة أنؤمن
 اتبعني يعني أناعلى بصيرة ومن اتبعني أيضا على بصيرة قال ابن عباس ان محمد صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه كانوا على أحسن طريق وأفضل هداية وهم معدن العلو كثر الايمان
 وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستمنا فلست بمن قد مات أو تلك اصحاب محمد
 صلى الله عليه وسلم كانوا اخبر هذه الامة وابرها قلوبا واعقها علماء وانها تكافؤ قوم
 اختارهم الله المحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينة فقتلها وبأخلاقهم وطريقهم
 فهو لاء كانوا على الصراط المستقيم وقوله (وسبحان الله) اى وقيل سبحان الله يعنى
 تزيهه عما يليق بحلاله من جميع العيوب والنقائص والشرى والاضداد
 والانداد (وما أنامن المشرقين) يعنى وقيل بالمحمد وما أنامن المشرقين الذين اشرى كوا بالله
 غيره قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) يعنى وما أرسلنا قبلك الا بمحمد
 رجالا ملك ولم يكونوا ملائكة (نوحى اليهم) هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هاهنا بعث
 الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسلنا اليك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك
 بشر مثلك حالهم كذا (من اهل القرى) يعنى انهم من اهل الامصار والمدن لان اهل
 البوادي لان اهل الامصار أفضل واعلموا كل عقلا من اهل البوادي قال الحسن
 لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل اعلمهم ببعث الله نبيهم من البادية
 اعلمهم وخفاهم (أفليس يرى الارض) يعنى هؤلاء المشركين المكذبين (فإنظروا)
 كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا أرسلنا فليعتبر
 هؤلاء بهم وما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يعنى فعلنا هذا
 بأوليا ثا ولا أولاهل طاعتنا اذ نجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما فى الدار
 الآخرة خير لهم يعنى الجنة لانها خير من الدنيا وما غافوا عن الدار الى الآخرة وان
 كانت هي الآخرة لان العرب تضيف الشيء الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق
 هو اليقين نفسه (أفلا يعقلون) يعنى يتفكرون ويعتبرون بهم فيؤمنون قوله
 عز وجل (حتى اذا استأس الرسل) قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل
 عليه الكلام كانه قيل وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فتراخى نصرهم
 حتى اذا استأس الرسل عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء
 يستأنف بعده والمعنى حتى اذا استأس الرسل من ايمان قومه (وظنوا انهم قد
 كذبوا) قرأ اهل الكوفة وهم عاصم وجزء الكسائي كذبوا بالتخفيف ووجه هذه
 القراءة على ما قاله الواحدى ان معناه ظن الايمان ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به
 من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد
 ابن جبير وعجاهد وقال اهل المعاني كذبوا من قوله كذبك الحمد اى لم يصدقك
 ومنه قوله تعالى وقد الذين كذبوا الله ورسوله قال أبو على والضهير فى قوله وظنوا
 على هذه القراءة للرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم
 فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم وهذا معنى قول ابن
 عباس انهم لم يؤمنوا بهم حتى نزل بهم العذاب وانظروا ذلك لمشاهدوا

(وسبحان الله) وأنزهه عن
 الشركاء (وما أنامن المشرقين)
 مع الله غيره (وما أرسلنا من
 قبلك الا رجالا) لا ملائكة لانهم
 كانوا يقولون لو شار بنسلا نزل
 ملائكة أولست فيهم امرأة
 نوحى بالنون خفف (اليهم)
 من اهل القرى لانهم اعلم
 واحملوا اهل البوادي فيهم
 الجاهل والجهلاء (أفليس يرى)
 الارض فينظروا كيف كان
 عاقبة الذين من قبلهم ولدار
 الآخرة) اى ولدار الساعة
 الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك
 وأمنوا به (أفلا تعقلون) وبالياء
 مكى وأبو عمرو وخزعة وعلى حتى
 اذا استأس الرسل يتسوا
 من ايمان القوم (وظنوا انهم
 قد كذبوا) وايض الرسل ان
 قومه كذبوهم وبالتخفيف
 كوفى اى وظن المرسل اليهم
 ان الرسل قد كذبوا اى اخلقوا
 أو وظن المرسل اليهم انهم
 كذبوا من جهة الرسل اى كذبهم
 الرسل فانهم ينصرون عليهم
 ولم يصدقوهم

من امهال الله اياهم ولا يمتنع جل الضعيف ووطنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذلك
لان ذلك المرسل يدل على ذلك المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذلكهم جرى في قوله
أفليس يرى وافي الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أي مكذبى المرسل
والظن هنا على معنى التهم والحسبان وهذا معنى ما روى عن ابن عباس أنه قال حتى اذا
استبأس المرسل من قومه لهم الاجابة ووطن قومه لهم أن المرسل قد كذبوا فسيما وعدوا ومن
نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وثيق المرسل اليهم قد كذبوا في وعد قومه لهم
اياهم الايمان أي وعدوا ان يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشف ووطنوا اليهم
قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حتى حدتهم بانهم لا ينصرون اورجاؤهم كقولهم رجاء
صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى
وتأمله قد تظاولت عليهم وتبادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا النصر لهم
في الدنيا فغضبهم نصر نالهم من غير احتساب وعن ابن عباس ووطنوا حين ضعفوا
وغلوا عنهم قد اخذوا ما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا يبشرون بآله قوله وزلزلوا حتى
يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشف فان سمع هذا عن
ابن عباس فقد أدرا باطن ما يخطر بالبال ويهيج في القلب من شبه الوسوسة وحديث
النفس على ما عليه الطبيعة البشرية واما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على
الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فبالرسل الله الذين هم اعرف الناس برهم وأنه
متعال عن خلف اليعاد وحكي الواحدى عن ابن الانبارى أنه قال هذا غير معمول عليه
من جهتين احدهما أن التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متأولي تأوله عليه
والاخرى ان قوله جاءهم نصر نال على أن اهل الكفر ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا
رسل الله ونصر الله للرسول ولو كان الظن للرسول كان ذلك منهم خطا عظيما ولا يتحققون
ظفر اول النصر او تبرئة الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا قرأ
المباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر ووطنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه
ظاهروهم وان معناه حتى اذا استبأس المرسل من ايمان قومه ووطنوا يعنى وأيقنوا يعنى
الرسول ان الامم قد كذبوه ثم تكذبوا لارى بعد ايمانهم فالظن يعنى اليقين وهذا معنى
قول قتادة قال بعضهم معناه حتى اذا استبأس المرسل عن كذبهم من قومه ان
بصدقهم ووطنوا ان من قد آمن بهم من قومه قد فارقههم وارادوا عن دينهم لشدة
الخسة والبلاء واستمطوا النصر انهم النصر وعلى هذا القول الظن يعنى الحسبان
والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم يعنى ووطنوا بالرسول ظن حسبان ان ربه قد
كذبهم في وعد الظفر والنصر لا يطأه وتأخر عنهم ولطول البلاء بهم لأنهم كذبوه في
كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من اتباعهم المؤمنين لانه لو حصل لكان
نوع كفر ولكن المرسل ظنت بهم ذلك لبطء النصر وعلى هذا القول الظن يعنى اليقين
والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا فالكناية في ووطنوا المرسل
(خ) عن عمرو بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استبأس المرسل ووطنوا انهم

(جاءهم نصرنا) لا انبياء والمؤمنين بهم بخافة من غير احتساب (فنجي) بنون واحدة وتشديد الحيم وفتح الباء شامى وعاصم على لفظ الماضي المبني للفعول والقائم مقام ٦٢ الفاعل من الباقون فنجي (من نشاء) أى الذي ومن آمن به (ولا يرد

بأسنا) عذابنا (عن القوم الجحريم) الكافرين (لقد كان في قصصهم) أى في قصص الانبياء وأممهم أوفى قصة يوسف وأخوته (عبارة لاولى الابواب) حيث نقل من غيابة الحب الى غايه الحب ومن المحضير الى التمسير فصارت غايه الصبر سلامة وكرامة ونهاية الذكر وخاتمة وندامة (ما كان حديثا يفترى) ما كان القرآن حديثا مفترى كإفهم الكفار (ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق التي تقدمته (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه البسنة والاجماع والقياس (وهدي) من الضلال (ورجة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبياؤه وعانصب بعدد لكن معطوف على خبر كان * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرفاءكم سورة يوسف فاعلموا عذابها وعلموا أهلها وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما قال الشيخ أبو منصور رحمه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام وأخوته نصير لرسول الله صلى

قد كذبوا أو كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبهم وما هو بالظن فقالت يا عروة أجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلمها قد كذبوا فقلت معاذ الله لم تكن الرسل تنظن ذلك ربها قلت فاشهده الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقهم فطال عليهم البلاء واستأخروهم النصرتي اذا استأس الرسل من كذبهم من قومهم وظنوا أن أتباعهم كذبهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا اخففة قال ذهب لها هنا لك وتلا حتى يقول الرسل والذين آمنوا معه نصر الله الان نصر الله قرييب قال فليقتعروا من الزبرود كرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ما وعد الله رسوله من شئ قط الا علم انه كائن قبل أن يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا ان يكون معهم من قومهم من يكذبهم فكانت تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا ثم نقله وقوله تعالى (جاءهم نصرنا) يعنى جاء نصر الله النبيين (فنجي من نشاء) من عبادة نابعي عند نزول العذاب بالكافرين فنجي المؤمنين المطيعين (ولا يرد بأسنا) يعنى عذابنا (عن القوم الجحريم) يعنى المشركين قوله تعالى (لقد كان في قصصهم) يعنى في خبر يوسف وأخوته (عبارة أى موعظة) (لاولى الابواب) يعنى يتخطها اولو الابواب والعقول الخبيثة قوم معسى الاعتبار والعبرة الحاله التي يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذي قدور على اخراج يوسف من الحب بعد الفاقة فيه واخراجه من السجن وتلكه مصر بعد العبودية وجع شمله بآبائه وأخوته بعد المدة الطويلة والناس من الاجتماع لئلا رد على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم الاءة كتمه واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة الخبيثة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت محجرة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الابواب فدل على ان هذه القصة من أحسن القصص وان في عبارة ان اعتبرها (ما كان حديثا يفترى) يعنى ما كان هذا القرآن حديثا يفترى ويخالف لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفترى أو يخلفه لانه لم يقرأ الكتب ولم يخاطب العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس عتقر (ولكن تصديق الذي بين يديه) يعنى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف (وتفصيل كل شئ) يعنى ان في هذا القرآن المنزل عليك لمحمد تفصيل كل شئ يحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ

الله عليه وسلم على أذى قرئش كانه يقول ان اخوة يوسف مع وافقتهم اياه في الدين ومع الاخوة واعمالا يوسف ما علموا من الكيد والمكر وصبره على ذلك فانت مع مخالفتهم اياه في الدين اخرى أن تصبر على أذاهم وقال وهب لئن الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كهي في القرآن العظيم والله أعلم

والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في أمر دينهم ودنياهم (وهدي) يعني الى كل خير (ورجة) يعني أنزلناه درجة (لقوم يؤمنون) لانهم هم الذين يتقون به والله أعلم براده واسرار كتابه

(تفسير سورة الرعد)

قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين أحدهما انها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الا آيتين أحدهما قوله ولا نزال الذين كفروا تصديقهم عاصمنا وقارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا المستمسكون والآخر قول الثاني انها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الا آيتين نزولها مكة وهما قوله ولولأن قرآننا سرت منه الجبال الى آخره آيتين وقال بعضهم المدنى من قوله هو الذى يريك البرق الى قوله دعوة الحق وهى ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وخمسة وخمسون وخمسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الر) قال ابن عباس رضى الله عنه ما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان معناه أنا الله الملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الاشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بالمراد بالكتاب السورة أى آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال تعالى (والذى أنزل اليك من ربك الحق) يعني من القرآن كله هو الحق الذى لا زعبد عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار والقصص أى الاخبار والقصص التى قصصها علينا محمد صلى الله عليه وآله وآيات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذى أنزل اليك يعنى وهذا القرآن الذى أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أى هو الحق فاعصم به وقال ابن عباس وقتادة أراد بالآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذى هو القرآن ثم قال والذى أنزل اليك من ربك الحق يعنى وهذا القرآن الذى أنزل اليك من ربك هو الحق الذى لا شك فيه ولا تناقض (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعنى مشركي مكة نزلت هذه الآية في رد عليهم حين قالوا ان محمدا يقول من تلقا نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد) جمع عود وهى الاساطين والدعائم التى تكون تحت السقف وفى قوله (ترونها) قولان أحدهما ان الرؤية ترجع الى السماء يعنى وانتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعنى ليس من دونها دعامة تدعها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد فى العمدة بالكلية قال اياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجهه والمراد بالآيتين عن ابن عباس والقبول الثاني ان الرؤية ترجع الى العمدة والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمر محيط بالديار والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس

(سورة الرعد مكية وهى ثلاث وأربعون آية كوفى وخمس وأربعون آية شامى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) أنا الله أعلم وأرى عن ابن

عباس رضى الله عنه (تلك) (تلك)

اشارة الى آيات السورة (آيات

الكتاب) أريد بالكتاب السورة

أى تلك الآيات آيات السورة

الكاملة العجيبة في بابها (والذى

أنزل اليك من ربك) أى القرآن

كله (الحق) خبر والذى ولكن

أكثر الناس لا يؤمنون) فيقولون

يقوله محمد ثم ذكر ما يجب الايمان

فقال (الله الذى رفع السموات)

أى خلقها مرفوعة لان تكون

مرفوعة بغير عمد والله مبتدأ

والخبر الذى رفع السموات (بغير

عمد) حال وهو جمع عماد أو عمود

(ترونها) الضمير يعود الى السموات

أى ترونها كذلك فلا حاجة الى

البيان أولى وعمد فيكون فى

موضع جر على انه صفة للعمدة أى

بغير عمد ثمة (ثم استوى على

العرش) استوى بالاعتدال

ونفوذ السلطان

والقول الاول اصح وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام عليه
 في سورة الاعراف بما فيه كفاية (وسفر الشمس والقمر) يعني ذلهم المرافق خلقه فهم
 مقهوران بحجر بان على ما ير يد (كل يجري لأجل مسمى) يعني الى وقت معلوم وهو
 وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس أراد بالاحل المسمى درجته سما وما زلها يعني
 انها تجري بان في منازلها ودرجاتها الى غاية يتمين اليها ولا يحا وزانها وتحقيقه ان الله
 تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة عقدا خاصا من
 السرعة والبطء في الحركة (يدبر الامر) يعني انه تعالى يدبر امر العالم العلوي والسفلي
 ويصرفه بقضيه عيشته وحكمته على اكمل الاحوال لا يشغله شأن عن شأن وقيل
 يدبر الامر بالايحاء والاعداد والاحياء والاماتة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان
 جميع العالم يحتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته (يفصل
 الآيات) يعني انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان
 الدلائل الدالة على وجوده اصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق
 السموات والارض وما فيهما من الخائضات واحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا
 قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة
 والافتر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من احوال هذا العالم كل ذلك
 مما يدل على وجوده واصانته وكمال قدرته (لعلمكم باناء بكم توفون) يعني انه تعالى يبين
 الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكي توفوا وصدقوا باناء المصير اليه بعد
 الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجادها بعد موتها
 والبعثين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات
 الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن يعني علم قوله تعالى (وهو الذي مد
 الارض) لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد
 وذكراحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض
 أن بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض مجتمعة فمداهم تحت البيت الحرام
 وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض منسطة كاللا كف وعند أصحاب الهيئة
 الارض كرة ويمكن ان يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فيشكل قطعة منها
 تشاهد مدودة كالسطح الكبير العظيم فيحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد أخبر انه مد
 الارض وانه دحاها و بسطها وكذا ذلك يدل على التسطيع والله تعالى اصدق قولا وأبين
 دليلا من أصحاب الهيئة (وجعل فيها) يعني في الارض (رواسي) يعني جبالا ثابتة يقال
 رسا الشيء رسوا اذا ثبت وأرساء غيره أنه ثبت قال ابن عباس كان أبو قيس أول جبل وضع
 على الارض (وانهارا) يعني وجعل في الارض أنهارا جار بها لمنافع الخلق (ومن كل
 الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلو وحامض (يعني
 الليل النهار) يعني يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار (ان في ذلك)
 يعني الذي تقدم ذكره من عجائب صنعته وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته (آيات

(وسفر الشمس والقمر) لمنافع
 عباده ومصالح بلاده (كل يجري
 لأجل مسمى) وهو انقضاء
 الدنيا (يدبر الامر) أمر ملكوته
 وربه (يفصل الآيات)
 يبين آياته في كتابه المنزلة (لعلمكم
 باناء بكم توفون) لعلمكم
 باناء بكم توفون (وهو الذي مد الارض)
 اليه (وهو الذي مد الارض)
 بسطها (وجعل فيها رواسي)
 جبالا ثابتة (وانهارا) جارية
 (ومن كل الثمرات جعل فيها
 زوجين اثنين) أي الأسود
 والابيض والحلو والحامض
 والصغير والكبير وما شبه ذلك
 (يعني الليل النهار) يلبسه
 مكانه فيصير اسود مظلمة بعد
 ما كان ابيض منير (يعني حمر
 وعلى وابوبكر (ان في ذلك)
 آيات

لقوم يتفكرون) فيعلمون ان لها
صانعاً علياً حكيماً قادراً (وفي
الارض قطع متجاورات) بقاع
مختلفة مع كونها متجاورة
متلاصقة طيبة الى سبعة
وكرية الى زهيدة وصلابة الى
رخوة وذلك دليل على قادر مدبر
مريد موقع لافعاله على وجه دون
وجه (وجنات) معطوفة على
قطع (من أعناب وزرع وتين
صنوان وغير صنوان) بالرفع
مكي وبصري وحذف عطف على
قطع غيرهم الجبر بالعطف على
أعناب والصنوان جمع صنو
وهي الخلية لها رأس وأصلها
واحد وعن حفص بضم الصاد
وهما العنان (تسقي بماء واحد)
وبالبا عاصم وشامي (ونفضل)
بعضها على بعض) وبالبا جزء
وعلى (في الأكل) في الثمر
وبسكون الكاف نافع ومكي
(ان في ذلك آيات لقوم يعقلون)
عن الحسن مثل اختلاف القلوب
في آثارها وأنوارها وأسرارها
باختلاف القطع في أنهارها
وأزهارها وأنمازها (وان تعجب)
يا محمد من قولهم في انكار البعث
(فعبه قولهم) خبر ومبتدأ أي
فقولهم حقيق بان يتعجب منه
لان من قدر على إنشاء ما عدد
عليك كانت الاعادة اهن شيء
عليه واسره فيمكن انكارهم
اجوبة من الاعاجيب

أي دلالات (لقوم يتفكرون) يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على
المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشياء وقال صاحب المفردات الفكر قوة
مطرفة للعلم الى المعلوم والتفكير جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان
دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن ان يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكيره في
آل الله ولا تفكره في آله اذ كان الله منه هان بوصف ضرورة وقال بعض الادباء
الفكر مقبول عن الفكر لانه يستعمل في طلب المعاني وهو فرك الامور وتبسيطها طلباً
للاصول الى حقيقتها قوله عز وجل (وفي الارض قطع متجاورات) يعني متقاربات
بعضها من بعض وهي مختلفة في الطوائف فهذه طيبة تبت وهذه سبخة لا تبت وهذه
ذليلة الربيع وهذه كثيرة الربيع (وجنات) يعني بساتين والجنة كل بستان ذي شجر
من تين ولوز وعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستمر باشجاره الارض واليه الاشارة بقوله
(من أعناب وزرع وتين صنوان) جمع صنو وهي الخلات يجتمع من أصل واحد
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عهد العباس عم الرجل صنواً بيه يعني انهما من أصل
واحد (غير صنوان) هي الخلة المنفردة بأصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان
المتفرق (يسقي بماء واحد) يعني أشجار الجنات وزروعها والماء جسم رقيق مائع به
حياة كل نام وقيل في حده جوهر سائل به قوام الارواح (ونفضل بعضها على بعض في
الأكل) يعني في الطعام ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من الطعام عن أي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ونفضل بعضها على
بعض في الأكل قال الدقل والنرسمان والحلو والماءض أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بني آدم صالحيهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال
الحسن هذا مثل ضرب الله القلوب بني آدم كانت الارض طيبة واحدة في يد الرحمن
ففسدها فصارت قطعاً متجاورات وأنزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها
وثمرها واشجارها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها ولحمها وخبيثها وكل يسقي
بماء واحد فلو كان الماء قليلاً قيل لفسد هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من
آدم فينزل عليهم من السماء تذكراً ففرق قلوب قوم فتشبع وتقتض وتغص قلوب قوم
قتلهم ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده زيادة أو نقصان
قل الله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً
وقوله تعالى (ان في ذلك) يعني الذي ذكر (آيات لقوم يعقلون) يعني في تدبرون
ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته قوله تعالى (وان تعجب فعبه قولهم)
العجب تبعد النفس رؤية المستبعد في العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان
عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب
في حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية والخطاب في الآية للنبي
صلى الله عليه وسلم ومعناه وانك يا محمد ان تعجب من تكذيبهم ما لك بعد ان
كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فعبه امرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ
المشر كين ما لا يضرهم ولا يفيقهم آلهة يعبدونها مع اقرارهم بأن الله تعالى خالق

(أئذا كناترا يا أئنا نالقي خلق جديد) في محل الرفع بدل من قولهم قرأ عصم وجزة كل واحد بهذين (أولئك الذين كفروا بربههم) أولئك الكافرون المتعادون في كفرهم ٦٦ (وأولئك الأغلال في أعناقهم) وصف لهم بالأصرا ومن جملة

الوعيد (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) دل تكرار أولئك على تعظيم الامر (ويستحلونك بالسنة قبل المحسنة) بالنقمة قبل العافية وذلك انهم سألو ارسول الله صلى الله عليه وسلم ان يايزم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلثات) أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فسلطهم لم يتروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سنة سيئة مثله (وان ربك لذوم مغفر للناس على ظلمهم) أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أي ظالمين لأنفسهم قال السدي يعني المؤمنين وهي أرحى آيتي في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو يدون التوبة فان التوبة تزيلها وترفعها (وان ربك لشديد العقاب) على الكافرين أوهما جميعا في المؤمنين لكنه معاقب بالاشنة فيهما أي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالايات المتزلزة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عناد افقروا وخو

السموات والارض وهو يضر وينفع وقدر أو امن قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال ما رأوا فاجبت قلوبهم وقيل وانك تعجب من انكارهم هذا الا انهم البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله فجب قولهم وذلك ان المشرقين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله وقد تقرر في النفوس ان الاعادة هون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم (أئذا كناترا يا) يعني بعد الموت (أئنا نالقي خلق جديد) يعني نعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله ثم ان الله تعالى قال في حقهم (أولئك الذين كفروا بربههم) وفيه دليل على ان كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وان الله على كل شيء قدير ومن أنكر ذلك فهو كافر (وأولئك الأغلال في أعناقهم) يعني يوم القيامة والأغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل أراد الأغلال ظلمهم واتقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير ذليلا بالغل (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني انهم مقيدون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون (ويستحلونك بالسنة قبل المحسنة) الاستحجال طلب تجليل الامر قبل مجي وقته والمراد بالسنة هنا هي العقوبة وبالاحسنة العافية وذلك ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (وقد خلت من قبلهم المثلثات) يعني وقدمت في الامم المكذبة العقوبة بالسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم اللام المثلة نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثالا ليرتدع غيره وذلك كالشكل وجعه مثلث بفتح الميم وضمها مع ضم اللام ففيهما الغتان (وان ربك لذوم مغفر للناس على ظلمهم) قال ابن عباس معناه انه لا يذون تجاوز عن المشرقين اذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) يعني للمشرقين على الشرك الذي ما تواعلهم وقال مجاهد انه لذون تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب قوله تعالى (ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا) أي هلا (انزل عليه) يعني على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) يعني مثل عصا موسى وناقصة صالح وذلك لانهم لم يقرعوا عساوا واما الايات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) أي ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس لك من الايات شيء (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جببر وعكرمة ومجاهد والضحك والتخبي والمعنى انما عليك الانذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشاء وقال عكرمة في رواية أخرى عنه وأبو الخفي الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أنت منذر وأنت هاد وقال الحسن وقادة وابن زيد يعني وأكل قوم بني يهدى بهم وقال أبو العالبيه الهادي

آيات موسى وعيسى من انقلاب العماحية واحياء الموتى فقبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) انما أنت رجل أرسلت منذرا تخوفهم من سوء العاقبة وانما كغيرك من الرسل وما عليك الا الايمان بما يصحبه انك رسول منذر وحقه ذلك خاصة باي آية كانت والايات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها (ولكل قوم هاد) من الانبياء يهديهم الى الدين ويدهوهم الى الله بآية خيصة لا بما يريدون ويحكمون هو

(الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد) ما في هذه ٦٧ المواضع الثلاثة موصولة أى يعلم ما تحمل من

الولد على أى حال هو من ذكر كورة
وانوته وعظام وخداج وحسن
وفيج وطول وقصر وغير ذلك
وما تغيضه الارحام أى ويعلم
ما تنقصه يقال غاض الماء
وغضته انا وما تزداده والمراد
عدد الولد فانها تشتمل على
واحدواثين وثلاثة وأربعة
أوجسد الولد فانه يكون تاما
ومخدجا او مدة الولادة فانها
تكون أقل من تسعة أشهر
وأزيد عليها الى ستين عندنا
والى أربع عند الشافعى والى
خمس عند مالك أو مصدرية
أى يعلم جل كل أنثى ويعلم
غرض الارحام وازديادها
(وكل شئ عنده مقدار) بقدر
وحد لا يجاوز ولا ينقص عنه
لقوله انا كل شئ خلقناه بقدر
(عالم الغيب) ما غاب عن الخلق
(والشهادة) ما شاهدوه
(الكبير) العظيم الشأن الذى
كل شئ دونه (المتعال) المستعلى
على كل شئ بقدرته أو الذى
كبر عن صفات الخلق وتعالى
عنهم والى الباء فى الحالين مكى (سواء
منكم من أسرا القول ومن جهر
به) أى فى علمه (ومن هو مستخف
بالليل) متوار (وساوب بالنهار)
ذهب فى سر به أى فى طريقه
ووجهه يقال سرب فى الارض
سريا وسارب عطف على من هو
مستخف لاعلى مستخف أو على
مستخف غير أن من فى معنى الاثنين والضعف

هو العمل الصالح وقال ابو صالح الهادى هو القا تدلى الخبير لا الى الشرف له عز وجل
(الله يعلم ما تحمل كل أنثى) لما أسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات أخبرهم الله
عز وجل عن عظم قدرته وكل علمه وانه عالم ما تحمل كل أنثى معنى من ذكر أو أنثى سوى
الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر (وما تغيض) يعنى وما تنقص (الارحام)
وما تزداد) قال اهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان
ذلك نقصا فى الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد فى الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء
فينقص الولد واذا لم ينقص برزاد الولد وينم فالتقصان نقصان خلقه الولد بخروج الدم
والزيادة تمام خلقه باستمام الدم وقيل اذا حاضت المرأة فى وقت حملها ينقص الغذاء
وترداد دمها على الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر فانه رأى خمسة أيام دما وضعت
لتسعة أشهر وخمسة أيام فالتقصان فى الغذاء زيادة فى مدة الحمل وقيل التقصان السقط
والزائدة تمام الخلق وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على
تسعة أشهر فأقل مدة الحمل ستة أشهر وقيل ولد له المدة ويعيش واختلافوا فى كثرة
فقال قوم أكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان النخل الولد
لستين وقال جماعة أكثره أربع سنين واليه ذهب الشافعى وقال حماد بن أبى سلفة انما
سمى هرم بن حبان هرما لانه بقى فى بطن امه أربع سنين وعندما لا أن أكثر مدة الحمل
خمس سنين (وكل شئ عنده مقدار) يعنى يتقدر ووحيد لا يجاوز ولا ينقص منه وقيل انه
تعالى يعلم كمية كل شئ وكيفية على أكل الوجوه وقيل معناه وانه تعالى خص كل
حادثه من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بعينه الا زلية وارادته وتقديره
الذى لا يقدر عليه غيره (عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما
شاهدونه وقيل الغيب هو المعلوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس
والشاهد ما حضر فى الحس (الكبير) أى العظيم الذى يصغر كل كبير بالاضافة الى
عظمته وكبريائه فهو يهوداى معنى كبر قدرته وانه تعالى المستحق لصفات الكمال
(المتعال) يعنى المنزه عن صفات النقص المتعالى عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى
موصوف بالعلم الكمال والقدرة التامة وتنزهه عن جميع النقص قوله تعالى
(سواء منكم من أسرا القول ومن جهر به) أى مستون منكم من أخفى القول وكتمه ومن
أظهر وأعلنه والمعنى انه قد استوى فى علم الله تعالى المسر بالقول والمجاهر به (ومن هو
مستخف بالليل) أى مستتر بظلمته (وساوب بالنهار) أى ذاهب بالنهار فى سر به ظاهرا
والسرب بفتح السين وسكون الراء الطربى وقال القتيبي السارب المتصرف فى حوائجه
قال ابن عباس فى هذه الآية هو صاحب ربة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار رأى
الناس انه برئ من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قوله مخفيت الشئ اذا أظهرته
وأخفيت اذا كتمته وساوب بالنهار رأى متوار دخيل فى السرب مستخفيا ومعنى الآية
سواء ما أضمرت به التساوب أو نطقته به الاسن وسواء من أقدم على القبايح مستترافى
ظلمات الليل أو اتى بها ظاهرا فى النهار فان علمه تعالى محيط بالكل (له مقبسات)

يعني الله ملائكة يعاقبون بالليل والنهار فاذا صنعت ملائكة الليل عقبتهم ملائكة
النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التأنيث وان كان الملائكة
ذكورا لان واحدا معقبت وجعها معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل انناوات سعد
ورجالات بكر (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر
ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركت عبادي فيقولون تركناهم
وهم يصلون واننا هم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بني آدم ملائكة ملك عن
يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب الحسنات
أمين على كاتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر أمثالها واذا عمل سيئة قال
صاحب السوءات لصاحب السوءات كتبها عليه فقوله انظره لعله يتوب أو يستغفر
فيستأنه ثلاث مرات فان هوناب منها والاقال ان كتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل
بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وان تجبر على الله عز وجل وضع بها
وملك موكل بعينه يحفظهما من الاذى وملك موكل بفسقه لا يدخله في فيه شيء من
الهوام يؤذيه فهو لا خمسة املاك موكلون بالعبد في ليله وخمسة غيرهم في نهاره فانظر
الى عظمة الله تعالى وقدرته وكل شقة عليه ايها العبد المسكين وهو قوله تعالى
(من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن
وراء ظهره ومعنى من أمر الله بامر الله واذنه ما لم يجزئ القدر فاذا جاءه ما لا يحسنه وقيل معناه
انهم يحفظونه بما أمر الله به من الحفظ له قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه
في نومته ويحفظه من الجن والانس والهوام فاما من شيء يأتيه يؤذيه الا قال له الملك وراءك
الشيء ياذن الله فيسه فيصيبه وقال كعب الاحبار لو لا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة
يذوبون عنكم في طعامكم ومشربكم وعوراتكم انظفتمكم الجن وقال ابن جرير
معنى يحفظونه أي يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول ان
الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات وقال
عكرمة الآية في الامر او حرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم والضمير في قوله
له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية لمحمد صلى الله
عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق
الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأريد بن
ربيعه وهما من بني عامر بن قريذ وكانت قصتهما على ما رواه البخاري عن أبي صالح عن ابن
عباس قال أقبل عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخل المسجد فاستشرف
الناس فمال عامر وكان من أجل الناس وكان أعور فقال رجل يا رسول الله
هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دفعه فان الله به خيرا يهداه قايلا
حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا سمجة دماي ان أسلمت قال لا

(له) مردود على من كانه قبل
من أسروا من جهنم ومن استخفى
ومن سرب (معقبات) جماعات
من الملائكة تعقب في حفظه
والاصل معقبات فادغمت التاء
في القاف أو هو مفصلة من
عقبه اذا جاء على عقبه لان
بعضهم يعقب بعضا أولا ثم
يعقبون ما يتكلم به فكذلكونه
(من بين يديه ومن خلفه) أي
تداهمه ووراءه (يحفظونه من
أمر الله) هي ماصقة تان جميعا
وليس من أمر الله بصلية للحفظ
كانه قبل له معقبات من أمر الله
أو يحفظونه من أجل أمر الله أي
من أجل ان الله تعالى أمرهم
يحفظوه أو يحفظونه من بأس الله
وقته اذا أذن بدعائهم له

للمسلمين وعليت ما على المسلمين قال تجعل الامر لي بعدك قال ليس ذلك في انما ذلك الى
 الله تعالى يجعله حيث يشاء قال فيجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل
 لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عابها قال اوليس ذلك في اليوم قم هي اكلت فقام
 معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عام قد اوصى الى اربدين ربعة اذار ابني
 اكله فدر من خلقه فاضمه بالسيف فجعل عام يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وبراجعه ودار اربدين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبر من
 سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يتدر على سله وجعل عام يوحى اليه فالتفت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فرأى اوبدوما صنع سيفه فقال اللهم اكنفيهما بما شئت فارسل
 الله على اربد صاعقة في يوم صوفائنه فخرقته فولى عام هارباً وقال يا محمد دعوت ربك
 فقتل اربد والله لا ملائكة عليك خيلاجر داوشا باردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 يمتنع الله من ذلك وابنا قبيلة يريدا اوس والحزج فزل عام نيت امر اسلولية فلما
 اصبح ضم اليه سلاحه فخرج له خراج في اصل اذنه اخذ منه مثل النار فاشتد عليه
 فقال غدة كغدة العبيرو موت في بيت اسلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء
 ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن ابصرت محمدا وصاحبه
 يعني ملك الموت لانتهزهم ابصرى فارسل الله اليه ملكا فاطمه فارداه في التراب ثم عاد
 فركب جواده حتى مات على ظهره واحاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في عام بن الطفيل فأتى النعمان واربد بن ربعة مات بالصاعقة وانزل الله عز وجل
 في شان هذه القصة سواء منكم من اسرا القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين
 يديه ومن خلفه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن
 خلفه من امر الله أي بامر الله وقيل ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتأخير
 تقديره له معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله (ان الله لا يغير
 ما بقوم) خطاب لمذين عام بن الطفيل واربد بن ربعة يعني لا يغير ما بقوم من العاقبة
 والنعمة التي انعم بها عليهم (حتى يغيروا ما بانفسهم) يعني من الحالة المحمالة في عصون
 ربهم ويجمعون نعمة عليهم فعند ذلك تحل نقمة ربهم وهو قوله تعالى (واذا اراد الله
 بقوم سوءا) يعني هلاكا وعذابا (فلا مرد له) يعني لا يشدر احد ان يردهما انزل الله بهم من
 قضاؤه وقدره (وما لهم من دونه من وال) يعني وليس لهم من دون الله من وال الى
 أمرهم ونصرهم وتمعن العذاب عنهم قوله عز وجل (هو الذي يرىكم البرق خوفا
 وطمعا) لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الآية
 من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجهه ويثبه العذاب من وجهه فقال تعالى هو الذي
 يعني هو الله الذي يرىكم البرق والبرق معروف وهو لما ان يظهر من خلال السحاب
 وفي كونه خوفا وطمعا وجو الاول ان عند لما ان البرق يخاف من الصواعق ويطمع
 في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من ينصر بالمطر كالساافر من في جريته يعني
 يبدده التمر والازبيب والتمتع ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر تنفع كالزراع

(ان الله لا يغير ما بقوم) من
 العاقبة والنعمة (حتى يغيروا
 ما بانفسهم) من الحال المحمالة
 بكثرة المعاصي (واذا اراد الله
 بقوم سوءا) عذابا (فلا مرد له)
 فلا يدفعه شيء (وما لهم من دونه
 من وال) من دون الله من ي
 أمرهم ويدفع عنهم (هو الذي
 يرىكم البرق خوفا وطمعا)
 انصب على الحال من البرق كانه
 في نفسه خوف وطمع او على
 ذا خوف وذا طمع او من الخاطبين
 أي خائفين وطماعين والمعنى
 يخاف من وقوع الصواعق
 عند لما البرق ويطمع في الغيث
 قال أبو الطيب
 فتي كالسحاب الجون يخشى
 ويرتجى
 يرتجى الخيامه وتخشى الصواعق
 أو يخاف المطر من له فيه ضرر
 كالساافر ومن له بيت يكف ومن
 البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر
 كاهل مصر ويطمع فيه من له
 نفع فيه

وتحوه الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه يطعم فيه اذا كان في مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا امطرت قطت واذا لم تطر اخسبت (و ينشئ السحاب النقال) يعني بالمطر يقال انشاء الله السحابة فنشأت اي ابداهها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء ولم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهنم وهو الحمالى من الماء وأصل السحاب البحر وسمى السحاب سحابا بالجر المجرى له او لجره الماء ولا يخبر ارضه سيرة (ويسبح الرعد بحمده) أكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه وأورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله (واللائكة من خيافته) واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب أن يكون غير واجب عنه لانه لا يبعد أن يكون الرعد اسم للملك من اللائكة وانما أفرد به بالذكر تشرى فانه على غيره من اللائكة فهو كقوله وملائكة وجبريل وميكال قال ابن عباس اقبلت يهودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فآلوا اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من اللائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهى حيث أرت قالوا صدقت أنجزه الترمذي مع زيادة قوله الخاريق جمع مخراق وهو الزايل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا آلة تترجى بها اللائكة السحاب وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو صوت من نور ترزح اللائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيافته وهو على كل شيء قدير فان أصابه صاعقة فعلى دينه وكان عبد الله بن الزبير اذ سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيافته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو ان عبادي اطاعوا في اسميتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وروى جويري عن الخنك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يوزم وان بحور الماء في تفرق اجهامه وانه يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لان التسبيح والتقدس عبارة عن تزييه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدونه دليل على وجوده ووجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد ان من سمع سحبا لله فلهذا المعنى اضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيافته يعني ويسبح اللائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذه اللائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من اللائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع اللائكة وجمعه على العموم أولى

(و ينشئ السحاب) هو اسم جنس والواحدة سحابة (النقال) بالياء وهو جمع ثقبيلة تقول سحابة ثقبيلة وسحاب ثقبال (ويسبح الرعد بحمده) قيل يسبح ساءه والرعد من العباد الراجين للمطر اى يصيحون سبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذي يسمع زجره السحاب حتى ينتهى الى حيث أمر (واللائكة من خيافته) ويسبح اللائكة من هيبته واجلاله

(ويرسل الصواعق فيصيب بهامن يشاء) الصاعقة نار تسقط من السماء على كل شيء واستواء الظاهر والباطن
عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال (وهم يجادلون في الله) ٧١ يعني الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يجادلون في الله حيث ينكرون
على رسله ما صفة به من
القدرة على البعث وإعادة
الخلق بقولهم من يحيي العظام
وهي رميم ويردون الوحدانية
بالتخاذل الشركاء ويجعلونه بعض
الاجسام بقولهم الا انك انبات
الله والوالوالحال اى فيصيب
بهم ان يشاء في حال جدالهم
وذلك ان اوبدا على يدن ربعة
العامري قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم حين وفد عليه مع
عمر بن الطفيل قاصدين لقتله
فرمى الله عامر ابعد كعبه البعير
وموت في بيت سلوة وارسل
على اريد صاعقة فقتله اخبرني
عن ريشان نخاس هو ام من
حديث (وهو شديد الحال) اى
المماحلة وهى شدة الكرامة
والمكابدة ومنه تمهل لكذا
اذا تكلف لاستعمال الحيلة
واجتهد فيه ومحل فلان اذا
كادهم وسعى به الى السلطان والمعنى
انه شديد المكر والكيد لاعدائه
ياتيهم بالهلكة من حيث
لا يحتسبون (له دعوة الحق)
أضيفت الى الحق الذى هو ضد
الباطل للدلالة على ان الدعوة
ملازمة للحق وانها معزلة من
الباطل والمعنى ان الله سبحانه
يدعى فيستجيب الدعوة يعطى
الداعي سره فكانت دعوة

(ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهى العذاب النازل من المرق فيحترق من نصيبه
وقيل هى الصوت الشديد النازل من الجحوت يكون فيه نار او عذاب او موت وهى في ذاتها
شيء واحد وهذه الاشياء الثلاثة تندأ منها (فيصيب بها) يعنى بالصواعق (من يشاء)
يعنى فيرسلها كما اصاب اربدين ربعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم
ولا تصيب الذنكر (وهم يجادلون في الله) يعنى يخاضعون في الله وقيل المجادلة المفاوضة
على سبيل المنازعة والمغالبة وأصلهم من جدلت الجبل اذا أحكمت قتلته نزلت في شأن
اربدين ربعة حين قال النبي صلى الله عليه وسلم مريمك آمن درأم من ياقوت أم من ذهب
فنزلت صاعقة من السماء فأحرقتة وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال
كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفر من أصحابه
يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم اخبروني عن رب محمد هذا الذى تدعون الى الله هل
هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فأنصرفوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلاً كفر قلباً ولا اعانى على الله منه فقال
ارجعوا اليه فرجعوا اليه فليزدهم على مقالته الاولى شيئاً بل قال أحب محمد الى رب
لا اراه ولا عرفته فأنصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا
على مقالته الاولى شيئاً بل قال اخبرني فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فيبيناهم عنده
يدعونه وينازعونه وهو لا يزيدهم على مقالته شيئاً اذا رقت سخاية فكانت فوق
رؤسهم فعدت وبرت ومرت بصاعقة فأحترقت الكفار وهم جلوس عنده فرجعوا
ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من أين علمت ذلك قالوا قد أوحى الى النبي صلى
الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بهامن يشاء وهم يجادلون في الله واختلغوا
في هذه الواو فقبل واوالحال فيكون المعنى فيصيب بهامن يشاء في حال جداله في الله
وذلك ان اربداً جادل في الله أهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واوالاستئناف فيكون
المعنى انه تعالى لا يمتدح كالدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله (وهو شديد
الحال) اى شديد الاختداب لعمرة به من قولهم يحمل به عملاً اذا اراد به سوءاً وقيل هو
من قولهم يحمل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتعمل اذا تكلف استعمال
الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد الحال باعدائه حتى
يهلكهم بغير بقاء يعرفونه ولا يتوهمونه وقيل الخل من الخول وهو الحيلة والميم
زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد الحال فقال الحسن معناه
شديد النعمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الخول وقيل
شديد العقوبة وقيل معناه شديد الحد والذل وذلك انه لما أخبر عنهم انه يجادلون في الله
أخبر انه أشد جدالاً منهم قوله تعالى (له دعوة الحق) يعنى لله دعوة الصديق قال على

ملازمة للحق لكونه حقاً بانه وجه الدعاء الى الله تعالى في دعوته من الجدوى والنفخ بخلاف ما لا يقع ولا يجدى دعاءه وواصل
شبهه الحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة اربد بظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا

رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه ٧٢ بقوله اللهم احسنهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة

دين الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله قال صاحب الكشف دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تصاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تصاف الكلمة إليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة لا بسطة للحق مخصصة به وإنها معزل من الباطل والمعنى أن الله تعالى يدعي فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله أن كان مصلحة له فكانت دعوة لا بسطة للحق لكونه حقيقة بان يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا نفع فيه ولا جدوى فيه فدعاءه الثاني أن تصاف إلى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسبح فيجب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء إليه دعوة الحق فإن قلت ما وجه اتصال هذين الرصعين بمآلهما قلت أما على قصة أريد فظاهر لأن أصابعه بالصائفة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعاء عليه وعلى صاحبه عام بن الظفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد لا كما هو على مجادلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجابة دعائه أن دعاء عليهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالاحلاس والدعاء الخاص لا يكون إلا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعني والذين يدعونهم آلهة من دون الله وهي الأصنام التي يعبدونها (لا يستجيبون لهم بشئ) يعني لا يجيبونهم بشئ يريدونه من نفع أو دفع ضرر إن دعوهم (الآ كاسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) يعني الاستجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاءه أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شهرهم في قلة جدوى دعائهم لا أنهم ممن أراد أن يعرف الماء بيديه يشربه فيسقطهما ناشر أصابعه فليقل كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل إن القابض على الماء ناشر أصابعه لا يكون في ديه منه شيء ولا يبلغ إلى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الأصنام لاهلها لا تضر ولا تنفع ولا يفيد منها شيء وقيل شبيه بالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد بعيدة فهو يشير بكفيه إلى الماء ويدعوه بأسانه فلا يأتيه أبدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يدعيه إلى البئر فلا هو يبلغ إلى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء يرتفع إليه فلا ينفعه بسطه الكف إلى الماء ودعائه ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الأصنام لا يشفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان إذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يعرفهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام بسط كفيه وهذا مثل ضرب به الله تعالى للكفار ودعائهم الأصنام حين لا ينفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله (وماء الكافرين) يعني أصنامهم (الآ في ضلال) يعني يضل عنهم إذا احتاجوا إليه قال ابن عباس في هذه الآية أصواتهم منجوبة عن الله تعالى قوله عز وجل (ولله يستمدن في السموات والأرض طوعا وكرها) في معنى هذا السجود قول أن أحدهما أن المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الأرض ثم على هذا القول في معنى الآية وجهان أحدهما أن اللفظ وإن كان عاما إلا أن المراد منه الخصوص فقوله

حق وعلى الأول وعيد لا كفرة على مجادلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاول بحاله بهم وإجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم فيهم أن دعاء عليهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعونهم (الآ كاسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه) الاستثناء من المصدر أي من الاستجابة التي دل عليها لا يستجيبون لأن الفعل يتخو فبه يدل على المصدر ويصغى على الزمان وبالضرورة على المكان والمحال فجاز استثناء كل منهما من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة الاستجابة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء أي كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم ولا يملك في ليبلغ متعلق ببسط كفيه (وما هو ببالغه) وما الماء ببالغ فاه (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) في ضياع لا منفعه فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبههم وإن دعوا الأصنام لم تستطع إجابتهم (ولله يسجد من في السموات والأرض) يسجدون بدواية (طوعا) حال

ولله يستعملون في السموات يعني الملائكة ومن في الارض من الانس يعني المؤمنين
 طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يستعمله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة
 وكرها يعني المنافقين الداخلين في المؤمنين وليست امنهم فان يستجدوهم لله على كره منهم
 لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل يستجدوهم وعبادتهم
 خوفا من المؤمنين الوجه الثاني هو جعل اللفظ على العموم وعلى هذا في اللفظ
 اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يستجدون لله طوعا وهم
 من يستبدله كرها كما تقدم وأما الكفار من الجن والانس فلا يستجدون لله البتة فهذا
 وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض
 ان يستبدله فعبر بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو ان يكون المراد
 من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملائكة ومن
 في الارض من انس وجن فانهم يقرنون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى
 وان سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا
 السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد
 لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون
 متقادون له وقوله تعالى (وظلالهم بالغدو والاصال) الغدوة والغداة اول النهار
 وقيل الى نصف النهار والغدو باضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والاصال
 جمع اصل وهو العشي والاصال العشاء جامع عشي وهي ما بين صلاة العصر الى غروب
 الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يستبدل الله سواء ظل المؤمن والكافر وقال
 مجاهد ظل المؤمن يستبدل طوعا وهو طائع وظل الكافر يستبدل كرها وهو كاره
 وقال الزجاج خافى التفسير ان الكافر يستبدل لعير الله وظله يستبدل الله قال ابن الانباري
 لا يبعد ان يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافهاما تستبدلها وتخشع كما جعل للجان افهاما
 حتى سجدت لله مع دود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر
 وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما يخص الغدو والاصال بالذكور
 لان الظلال تظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهم اطراف النهار فيدخل وسطه
 فيما بينهما

﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسأل للتأني والمستمع ان يستبعد عند
 قراءته واستماعه لهذه السجدة والله اعلم قوله تعالى (قل من رب السموات والارض)
 أى قل يا محمد للهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني
 من ممالك السموات والارض ومن مدبرها وخالقتها فما نسب يقولون الله لانهم يقولون بان
 الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا أحابول ذلك فقل أنت يا محمد بالله رب
 السموات والارض وقيل لمساق هذه المقالة للتشريعين عطفوا عليه وقالوا أجب أنت
 فأمر الله ان يجيبهم بقوله (قل الله) أى قل يا محمد بالله وقيل لتساق السؤال والجواب
 من جهة واحدة لان المشركين لا يشكرون ان الله خالق كل شيء فلم يلم ينكروا ذلك وأجاب

(وظلالهم) معطوف على من
 جمع ظل (بالغدو) جمع غداة
 كقنى وقناة (والاصال) جمع
 اصل جمع اصل قيل ظل كل
 شيء يستبدل الله بالغدو والاصال
 وظل الكافر يستبدل كرها
 وهو كاره وظل المؤمن يستبدل
 طوعا وهو طائع (قل من رب
 السموات والارض) قل الله
 حكاية لاعتقادهم لانه اذا قال
 لهم من رب السموات والارض
 لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله
 دليله قراءة ابن مسعود وأنى
 قالوا الله وهو تقيى اى فان لم
 يجيبوا فلقنهم فانه لا جواب
 الا هذا

(قوله فعبر بالوجوب عن الوقوع)
 (أن) كذا بالاصل وصوابه
 فعبر عن الوجوب بالوقوع
 كهو ظاهر اه

(قل افاتخذتم من دونه اولياء) ابعاد ان علمه موهوب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة (لا يعلمون انفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون ان ينفعوها او يضرعوا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد ارثعوه على الخالق الرازي المشيب المعاقب فما بين حالكم ٧٤ (قل هل يستوى الاعمي والبصير) أي الكافر والمؤمن اومن لا يبصر

سما ومن لا يخفى عليه شيء (أم هل تستوى الظلمات والنور) ملل الكفر والايان يستوى كوفي غير حفص (أم جعلوا لله شركاء) بل اجعلوا ومعنى الهمة الانكار (خلقوا خلقه) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أي انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق على الله) فاشبهه عليهم (مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدره) ولا على الخلق كما قدر الله عليه فاشبهوا العبادات فتخذهم لشركاء ونعبدتهم كما يعبدونكهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شيء) أي خالق الاجسام والاعراض لخالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شركاء في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق افعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القياد) لا يغالب وما عداه مروب ومقهور

التي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكأنهم قالوا ذلك ايضا ثم ازمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله (قل) أي قل يا محمد للشركين (فاتخذتم من دونه) يعني من دون الله (اولياء) يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتهم غير رب السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعني الاصنام (لا يعلمون) يعني وهم لا يعلمون (لانفسهم نفعا ولا ضرا) فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للشركين الذين يعبدون الاصنام والمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوى الاعمي والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور) يعني الشرك والايان والمعنى كما لا يستوى الاعمي والبصير كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن وكلا تستوى الظلمات والنور كذلك لا يستوى الكفر والايان وانما شبه الكافر بالاعمى لان الاعمي لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا (أم جعلوا لله شركاء) هذا استهزام انكار يعني جعلوا لله شركاء (خلقوا خلقه) يعني خلقوا سموات وارضين وشمسا وقمر وجبالا وبحارا وحيوانا ونباتا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل راوا غير الله خالق شيا فاشبهه عليهم خالق الله يخلق غيره وقيل انه تعالى ويختم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء خلق الله عندهم وهذا الاستهزام انكار أي ليس الامر كذلك حتى يشبهه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له ايضا فيخلقون شيئا حتى يشبهه خالق الله يخلق الشركاء واذا كان الامر كذلك فقد ملتهم بالحجة وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شيء) أي قل يا محمد ولا للمشركين الله خالق كل شيء كما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من العموم الذي مراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعني والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها (القياد) اعادته حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره واودته وقوله عز وجل (انزل من السماء ماء) لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبهه الكفر بالظلمات والايان بالتور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى انزل من السماء ماء يعني المطر (فسالت اودية بقدرها) اودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت اودية بغيره اساع وحذف تقديره فسالت في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف في دلالة الاسكلام عليه بقدرها قال مجاهد دخلها وقال ابن جرير الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل عقدار ماؤها وانما ذكر اودية لان المطر اذا نزل لا يجمع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في ارض دون ارض ويسيل في واد دون واد فهذا السبب جاء هذا بالتمكين وقال ابن عباس انزل من

(انزل) أي الواحد القهار وهو الله سبحانه من السماء من السحاب (ماء) مطرا (فسالت اودية) السماء جمع واد وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة وانما ذكر لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض (بقدرها) بمقدارها الذي علم الله انه نافع للمطور عليهم غير ضار

السماء ماء يعني قرأنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت أودية بقدر هار بدا لاودية
 القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان ينزل للمطر لأن المطر اذا نزل
 عم فتنعم وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب باللاودية لأن الاودية ليستكن فيها الماء
 وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص
 بال مؤمنين لانهم الذين استمعوا بنزل القرآن (ق) عن أنى موسى الاشعري رضى الله عنه
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما يعني الله به من الهدى والعلم كمثل
 غيث أصاب أرضا فكانت متهاطاة فسيء قبيلت الماء فانتبت السكلا والعشب
 الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنع الله بها الناس فشربوا وسقوا ورعوا
 وأصاب طائفة منها أخرى اناهى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه
 في دين الله ونفعه ما يعني الله به فتعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله
 الذى أرسله قال الشيخ عبيد الدين النووى رحمه الله وغيره في معنى هذا
 الحديث وشرحه أما السكلا فالحلوى يقع على الرطب واليابس من الخشيش وأما قوله
 وكان منها أجادب فالجيم والبدال المهمة والباء الموحدة كذا في الصيغين وهى الارض
 التى لا تنبت الكلأ جمع جذب على غير قياس وقياسه أجذب وأجذب ضد الخصب وقال
 المصطفى هى التى تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفي رواية المروى أخذات بالخاء
 المجهمة والذال المجهمة جمع اخاذة وهى الغدير الذى تمسك الماء وقوله ورعوا ذكره فى صحيح
 مسلم من الرعى وقع فى صحيح البخارى وزرعوا بزيادة زاي من الزرع والقيعان بكسر
 القاف جمع قاع وهو المستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله مروى
 بضم القاف وهو المشهور وروى بكسر ها ومعناه فهم الاحكام وأما معنى الحديث
 ومقصوده فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض
 التى أدامها المطر قال العلماء والارض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لانهم منها اخلقوا
 فالنوع الاول من أنواع الارض الطيبة التى تنفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع
 الناس به والدواب بالشرب والرعى وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من
 يبلغه الهدى وغير ذلك من العلم فيجيبه قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع
 به وينفع غيره قال مسروق بن حبيب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم
 كالأخذات لأن قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء افهوم
 النوع الثانى من أنواع الارض لا تنبت كلأ لانها لاتستقاع فى نفسها لكن فيها فائدة لغيرها
 وهى امساك الماء لغيرها لئلا تنفع به الناس والدواب وكذلك النوع الثانى من الناس لهم
 قلوب حافظة لكن ليس لهم افهام فابقية فيبقى ما عندهم من العلم حتى يحيجوا المحتاج اليه
 المتعطلين اساعدهم من العلم فيأخذهم منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من أنواع
 الارض أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس
 لهم قلوب حافظة ولا افهام فابقية فاذا بلغهم شئ من العلم لا ينتفعون به فى أنفسهم ولا
 ينتفعون غيرهم والله أعلم وقوله تعالى (فاتخذ السيل زبدا) الزبد ما علو على وجه الماء

(فاتخذ السيل) أى رفق
 (زبدا) هو ما علو على وجه الماء
 من الرغوة والمعنى عللة زبد

(رابيا) متفخام تفعاعلى وجه السيل (ومعاقودون عليه) وبالماء كوفي غير أى بكر ومن لا ابتداء الغاية أى ومنه ينشا زبد يمثل زبد الماء أو للتبعيض أى وبعضه زبد (فى النار) حال من الضمير فى عليه أى ومعاقودون عليه ثابتا فى النار (البتعاطية) مبتعين حلية فهو مصدر فى موضع الحال من الضمير فى قدودن (أو متاع) من المحدثدو النحاس والرصاص يتخذ منها الاوانى وما يتمتع به فى الحضرة والسفر وهو معطوف على حلية أى زينة من الذهب والفضة (زبد) خبث وهو مبتدأ (مثله) نعمت له ومعاقودون خبر له ٧٦ أى لهذه الغلزلت اذا غلظت زبد مثل زبد الماء (كذلك يضرب الله الحق

عند الزيادة كالجمب وكذلك ما يعول على القدر عند غلظتها والمعنى فاحتمل السيل الذى حدث من ذلك الماء زبد (رابيا) يعنى عاليلام تفعافوق الماء طافيا عليه وهما تم المثل ثم ابتدأ بمثل آخر فقال تعالى (ومعاقودون عليه فى النار) الايقاد جعل الحطب فى النار لتقدم تلك النار تحت الثرى ليدوب (البتعاطية) يعنى لطلب زينة والضمير فى قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكن بما ذكرين لان الحلية لا تطاب الا منها (أو متاع) يعنى أو لطلب متاع آخر عما ينتفع به كالحدثدو النحاس والرصاص ونحوهما يذاب ويتخذ منه الاوانى وغيرهما ما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع به يقال لكل ما يتمتع به فى البيت كاطبق والتدور ونحو ذلك من الاوانى متاع (زبد مثله) يعنى ان ذلك الذى يوقد عليه فى النار اذا اذيب فله ايضا زبد مثل زبد الماء فالصافى من الماء ومن هذه الجواهر هو الذى ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذى لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافى الثابت والباطل هو الزبد الطافى الذى لا ينتفع به وهو قوله (فاما الزبد فيذهب جفاء) يعنى ضاعا بلا ولا الجفاء مرمى به الوادى من الزبد الى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقت والمعنى ان الباطل وان علا فى وقت فانه يضل ويذهب (وأما ما ينفع الناس) يعنى الماء الصافى والجوهر المجيد من هذه الاجسام التى تذاب (فمكث فى الارض) يعنى ثبت وبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الامثال) قال أهل التفسير والمعنى هذا مثل ضرب به الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق فى بعض الاوقات والاحوال فان الله سبحانه يعطيه ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذى يعول على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافى الذى ينتفع به وكذلك الصفة من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذى هو الكدر وهو ما ينفعه الكبير مما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا فى وقت فانه يذهب وهو أهله والحق يظهر وهو أهله وقبل هذا مثل لماؤمن واعتماده وانتفاعه بالآيمان كمثل الماء الصافى الذى ينتفع به الناس ومثل الكفر وخبث اعتقاده كالزبد الذى لا ينتفع به الله وقبل هذا مثل ضرب به الله للنور الذى يحصى فى قلوب العباد على ما قسم له فى الازل لان الوادى اذا سأل كس كل

والباطل) أى مثل الحق والباطل (فاما الزبد فيذهب جفاء) حال أى متلاشيا وهو ما تقذفه القدر عند الغليان والبحر عند الطغيان والجفاء الرمي وجفوت الرجل صرخته (وأما ما ينفع الناس) من الماء والحلى والاوانى (فمكث فى الارض) مكثت الماء فى العيون والابهار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر التى فى الارض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الامثال) لهذا الحق من الباطل وقبل هذا مثل ضرب به الله للحق وأهله والباطل وخر به فغل الحق وأهله بالماء الذى ينزل من السماء فغسل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالعلم الذى ينتفعون به فى صوغ الحلى منه واتخاذ الاوانى والالات المختلفة وذلك ما مكث فى الارض باق بقاء ظاهرا يشبه الماء فى منفعته وكذلك الجواهر التى فى زمرة متطاوله وشبه الباطل فى سرعة انسهلاله ووشك زواله بزبد السيل الذى

يرى به وزبد الغلزال الذى يطفو فوقه اذا اذيب قال الجمهور وهذا مثل ضرب به الله تعالى للقرآن والقلوب والحق شئى والباطل فاما القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للأبدان والادية القلوب ومعنى يتدورها بتدور سرعة القلب وضيقه وان يذهبها وحس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافى المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد بلا يبقى صفو الماء كذلك يذهبها وحس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كدهو او محلية الذهب والفضة فمثل للاحوال السنية والاخلاق الزكية واما متاع المحدثدو النحاس والرصاص فمثل للاعمال الممهدة بالاحلاص المعدة للخلاص فان

الاهمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كان تلك الجواهر بعضها اداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزيد
فالربا عو الخال والمثل والكسل واللام في (الذين استجابوا) أي اجابوا متعلقة بـ يضرب أي كذلك يضرب الله الامثال
للمؤمنين الذين استجابوا (لهم الحسن) وهي صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا ٧٧ الاستجابة الحسن (والذين لم يستجيبوا

له) أي ولللكافر بن الذين لم
يستجيبوا أي هم امثال القرينين
وقوله (لأن لهم ما في الارض
جميعا ومثله معه لا قدواه)
كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير
المستجيبين أي لو ملكوا أموال
الدنيا وملكوا معها ما لها
ليذلوله ليدفعوا عن أنفسهم
عذاب الله والوجه ان الكلام
قد تم على الالهال وما بعده
كلام مستأنف والحسن مبتدأ
خبره للذين استجابوا والمعنى لهم
المنوبة الحسن وهي الجنة
والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره
لومع ما في حيزه (ولئن لم
الحساب) المناقشة فيه في
الحديث من نوقش الحساب
عذب (وماواهم جهنم)
ورجعهم بعد المحاسبة النار
(ونفس المهاد) المكان
المهدود المذموم محذوف أي
جهنم دخلت هزة الانكار
على القاء في (أفني يعلم)
لانكار ان تقع شبهة ما بعد
ما ضرب من المثل في حال
من علم (انما أنزل اليك من
ربك الحق) فاستجاب بعزل
من حال الجاهل الذي لم يشع
فيسعجب وهو المراد بقوله

شيء فيه من التجاسات والمستفادات كذلك اذا سال وادى قلب العبد انور الذي قسم
له على قدوا بمانه ومعرفة كدس كل ظلمة وغفلة فيه فاما الزيد فيذهب حياء وأما ما ينفذ
الناس فيمكت في الارض يعني يذهب البواطل وهي الاخلاق المذمومة وتبقى الخفائق
وهي الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال وقوله تعالى (الذين استجابوا لربهم
الحسن) قيل اللام في الذين متعلقة بـ يضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال
للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني اجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيد والايان به
وسروله ولللكافر بن الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال
للقريين من المؤمنين واللكافر بن وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال
ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسن قال ابن عباس وجهه والمفسر يعني
الجنة وقيل الحسن هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخاصة الخاصة بالحسنة عن
شوائب المضيق والقطع (والذين لم يستجيبوا له) يعني الكفار الذين استمروا على
كفرهم وشركهم وما كانوا عليه (لأن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لا قدواه) يعني
ليذلولوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة (أو انك) يعني الذين لم
يستجيبوا لربهم (اهم) سوء الحساب قال ابراهيم الخليل سوء الحساب ان يحاسب الرجل
بذنبه كله ولا يغفر له شيء (وماواهم) يعني في الآخرة (جهنم ونفس المهاد) يعني
ونفس ما هداهم في الآخرة وقيل المهاد القرائش يعني ونفس القرائش فيهم في جهنم
قوله تعالى (أفني يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق) يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه
(كن هو اعمى) يعني اعمى البصيرة فلا يرى البصر وهو الكافر ولا يؤمن بالقرآن ولا
يعمل بما فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى
الله عليه وسلم وأبي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل فالاول هو حمزة
أو عمار والثاني هو أبو جهل ولا يثبت على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا
والمعنى لا يستوى من يصبر الحق ويتبعه ومن لا يصبر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر
والمجاهل بالاعمى لان الاعى لا يشهدى لرشد ور بما وقع في مهلكة وكذلك الكافر
والمجاهل لا يتدبان للرشد وهما وقان في المهلكة (انما يتذكر أولو الابواب) يعني
انما تعظ ذوا العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواظ والاذكار قوله
عز وجل (الذين يوفون بعهدهم) يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما أمرهم به
وفرضه عليهم وأصل العهد حفظ الشيء ورعايته حاله بعد حال وقيل أراد العهد ما أخذه
على أولاد آدم حين أخرجه من صلبه وأخذ علىهم العهد واليثاق (ولا ينتصون

(كن هو اعمى) كبعد ما بين الزيد والماء والخم والابرز (انما يتذكر أولو الابواب) أي الذين عملوا على قضاء ما عاهدوا
نظروا واستصبروا (الذين يوفون بعهدهم) مبتدأ والخبر أولئك لهم عتي الدار كقوله والذين ينتصون عهدهم أولئك
لهم الجنة وقيل لوصفة لاولي الابواب والاول اوجه وعهد الله ما عهده على أنفسهم من الشهادة ربوبية واشهدهم على
انفسهم استبرأكم قالوا بلى (ولا ينتصون

الميثاق) بل يؤفون به فهو تو كسد لقوله الذين يؤفون بعهد الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسول يعني يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين أحدهم منهم والا كثرون على أن المراد به صلة الرحمن عن عبد الرحمن ابن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بنته أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله (بخ) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن ينسله في رزقه وإن ينسأله في أثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الأهل والأقارب والأحسان إليهم وضده القطع قوله وأن ينسأله في أثره الأثر هنا الأجل وسمى الأجل أثر لأنه تابع للعبادة وسابقتها ومعنى ينسأله أخرجه والمراد به تأخير الأجل وهو على وجهين أحدهما أن يبارك الله له في عمره فكأنما قد زاد فيه والثاني أن يزيد في عمره زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جابر بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة فاطع زاذني رواية قال سفيان يعني فاطع رحم (بخ) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكفئ الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها مع أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلمون أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل ومنها في المال ومنسأة في الأثر أخرجه الترمذي وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعني أنهم مع وفائهم بعهد الله ومنسأة والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم أو أكثر ما يمكن ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل جملته على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والأمور من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي من المحسد والمقصد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الأراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما تقتضيه العقل أو الشرع وما يقتضيان حبسا عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكرنا قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه ربهم) لأن الصبر ينقسم إلى نوعين الأول الصبر المذموم وهو أن الإنسان قد يصبر ليقال ما أكل صبره وأشد قوته على ما تحمل من الغوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجوع وقد يصبر لئلا تشمت به الأعداء وكل هذه الأمور وإن كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لأنها الغير الله تعالى النوع الثاني الصبر الحمود وهو أن يكون الإنسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طابا في ذلك الصبر ثواب الله تحسبا

الميثاق) ما أوثقه على نفسه
وقبلوه من الايمان بالله وغيره
من الواثيق بينهم وبين الله وبين
العباد نعم بعد تخصيص
(والذين يصلون ما أمر الله به أن
يوصل) من الأرحام والقرابات
ويدخل فيه وصل قرابة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرابة
المؤمنين الثانية بسبب الايمان
انما المؤمنون أخوة بالايمان
إليهم على حسب الطاقة فصرحهم
والذب عنهم والشفقة عليهم
واقضاء السلام عليهم وعبادة
برضاهم ومنه مراعاة حق الأصحاب
والخدم والمجيرين والرفقاء في
الغفر (ويخشون ربهم) أي
وعبيده كله (ويخافون سوء
الحساب) خصوصا فيما يسيرون
أنفسهم فبيل أن يحاسبوا
(والذين صبروا) مطابقا فيما
يصبر عليه من المصائب في
النفوس والأموال ومشاق
التكليف (ابتغاء وجه ربهم)
لا ليقال ما أصبره وأجله للأنوار
وأقره عند الزلازل ولائلا

يعاب في الحزج (وأقاموا الصلوة)
 داوموا على أقامتها (وانفقوا ما
 رزقناهم) أي من الحلال وإن كان
 الحرام رزقنا عندنا (سرا وعانية)
 بنأول التوافل لأنها في السر
 أفضل والافراض لأن الجاهرة
 بها أفضل نفيا للتمية (ويدرون
 بالحسنة السيئة) ويدفعون
 بالحسن من السكلام ما يرد
 عليهم من سيئ غيرهم أو إذا حرموا
 أعطوا وإذا ظلموا أعوا وإذا
 قطعوا وصلوا وإذا ذنبوا تابوا
 وإذا هربوا انابوا وإذا رأوا
 منكرا أمروا بالتغيير وهذه ثمانية
 أعمال تشبه إلى ثمانية أبواب
 الجنة (أولئك لهم عقي الدار)
 عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها
 التي أرادها الله أن تكون عاقبة
 الدنيا ويرجع أهلها (جنات
 عدن) بدل من عقي الدار
 (يدخلونها ومن صلح) أي آمن
 (من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم)
 وفرى صلح والفتح أفصح ومن
 في محل الرفع بالعطف على
 الضمير في يدخلونها وساغ ذلك
 وإن لم يؤكد لأن ضمير المفعول
 صار فاصلا وأجاز الزجاج أن
 يكون مفعولا معه ووصفهم
 بالصلاح ليعلم أن الأنساب
 لا تنفع بنفسها والمراد بواكل
 واحد منهم فسكان قيسل من
 آباؤهم وأمهاتهم (والأشكة
 يدخلون عليهم من كل باب) في
 قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات
 بالهدايا أو شارأت الرضا

أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل
 بهم تخلفا لله وطلب رضوانه (وأقاموا الصلوة) يعني الصلاة المفروضة وقيل جملة على
 العموم أو على فدخل صلاة الفرض والنفل والمراد بأقامتها إتمام أركانها وهما تسبيحا
 (وانفقوا ما رزقناهم سرا وعانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فإن لم يتهم
 بترك أداء الزكاة الأولى أن يؤديها سرا وإن كان متهمًا بترك أداء الزكاة فلا أولى أن
 يؤديها علانية وقيل إن المراد بالسرا ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه
 إلى الإمام وقيل المراد بالسرا صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وجهه على
 العموم أو على (ويدرون بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل
 السيئ وهو معنى قوله إن الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء
 في الحديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قال وإذا علمت سيئة فاعمل بحسنة تحسنت معها
 السر بالسرا والعلانية بالعلانية وروى المغيرة بن عبد الله عن عتبة بن عامر قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل
 عليه درع ضيقة قد خنقه ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى
 حتى خرج إلى الأرض وقال ابن كيسان يدفعون الذنوب بالذنوب وقيل لا يكافئون الشر
 بالشر ولكن يدفعون الشر بالحسنة وقال القتيبي معناه إذا سغه عليهم حلوا أو أسفه
 السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم رداء معروف قال الحسن إذا حرموا أعطوا
 وإذا ظلموا أعفوا وإذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان مشيرة إلى
 أبواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فثبت أنه عدل في ثمانية أبواب واحدة وما ذكر الله
 عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعددها ما أعد للعمالين بها من الثواب فقال
 تعالى (أولئك) يعني من أتى بهذه الأعمال (لهم عقي الدار) يعني الجنة والمعنى أن
 عاقبتهم دار الثواب (جنات عدن) بدل من عقي الدار يعني بساكن إقامة يقال عدن
 بالسكان إذا أقام به (يدخلونها) يعني الدار التي تقدم وصفها (ومن صلح من آباؤهم
 وأزواجهم وذرياتهم) يعني ومن صدق من آباؤهم بمصادقوا به وإن لم يعمل بأعمالهم
 قاله ابن عباس وقال الزجاج إن الإنسان لا يتبع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن
 عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وعلى قول الزجاج معناه أصلح في عمله قال الواحدي
 والصحيح ما قاله ابن عباس لأن الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره عيارا في أهله حيث
 يشمره بدخوله الجنة مع هؤلاء فعلى أنهم يدخلونها كرامة للطائع العامل الآتي
 بالأعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للطائع ولا
 فائدة في الوعد به إذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال الإمام فخر الدين
 الرازي قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الأولى
 من مات عنها ومات عنه وروى أنه لم يكره سودة أراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها
 فسألتها أن لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فأسكتها رجاء أن تحشر في جنة أزواجه فهو
 كالدليل على ما ذكرناه وقوله تعالى (والأشكة يدخلون عليهم من كل باب) يعني من

صبرتم أي هذا الثواب سبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أي بسلام عليكم ونسركم بكم بكم أو الأول أوجهه (فنعم عقبي الدار) الجنة (والذين يفتضون عهد الله من بعدم ميثاقه) من بعدم ما أو ثوقه به من الاعتراف والقبول (ويضعون مآثر الله) بأن يوصل ويفسدون في الأرض بالكفر والظلم (أولئك لهم اللعنة) الأبعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبي الدار وإن يراد بالدار جهنم ويسوءها عذابها (الله يسط الرزق لمن يشاء ويعزج أي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يسط الرزق ويعزج دون غيره (وفرخوا بالحمية الدنيا) بما سبط لهم من الدنيا فرح بظروا بشر فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى فرخوا بنعيم الآخرة (وما الحمية الدنيا في الآخرة الامتاع) وفي عايم ان نعيم الدنيا في حجب نعيم الآخرة ليس الاشياء تترافع به كالحال التالك وهو ما يتخلله من غيرات أو شرقة سوق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي الآية المقترحة (قل ان الله يضل من يشاء) ما تفرح الآيات بعد ظهور المجزات (ويهدى اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه

أبواب الجنة وقبل من أبواب القصور قال ابن عباس يريد به الجنة من الله والتف والهدايا (سلام عليكم) معنى يقولون سلام عليكم فاصبر القول ههنا لئلا لكلام علي (عاصم برتم) معنى يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا وأدخلكم بمصبرتم في دار الدنيا على الضاعات وترك الخمر من الجنة وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا لفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم معنى سلمكم الله بما صبرتم قل ما تاتل ان الملائكة يدخلون عليكم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بمصبرتم وروى البغوي بسنده عن أبي امامة موقوف عليه قال ان المؤمن ليكون متبكتا على أركبته اذا دخل الجنة عنده سباطن من خدم وعند طرف السباطن باب مبوب فيقبل المالك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا بالمالك يستأذن فيقول للذي يليه مالك يستأذن ويقول الآثم كذلك حتى يبلغ المأمن فيقول له ائذنه فيقول ائذنه الى المؤمن ائذنه له ويقول الذي يليه ائذنه له وكذلك حتى يبلغ أفضاهم الذي عند الباب فيفتح لإفدخل فيسلم ثم ينصرف (فنعم عقبي الدار) بمعنى فنعم العقبي عني الدار وقيل معناه فنعم عقبي الدار ما أنتم فيه (والذين يفتضون عهد الله من بعدم ميثاقه) ما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من البركات والخيرات ذكر بعده أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين يفتضون عهد الله من بعدم ميثاقه ونقص العهد ضد الوفاء وهذا من صفة الكفار لا لهم هم الذين نقضوا عهد الله بمعنى خالفوا أمره ومعنى من بعدم ميثاقه من بعدم ما أو ثوقه على أنفسهم بما لا عترف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرباة (ويفسدون في الأرض) يعني بالكفر والمعاصي (أولئك) يعني من هذه صفته (لهم اللعنة) يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعني النار لان منقلب الناس في العرف الى دورهم ومنازلهم فائز منون لهم عقبي الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار قوله تعالى (الله يسط الرزق لمن يشاء ويعزج) يعني يوسع على من يشاء من عباده فيعنده من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقده ويترع عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله (وفرخوا بالحمية الدنيا) بمعنى مشركي مكة بما سبط الله عليهم الرزق أشروا وطرأوا والفرح لذة تمتلئ في القلب بئيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والكون اليها حرام (وما الحمية الدنيا في الآخرة) يعني بالنسبة الى الآخرة (الامتاع) أي قابل ذاهب قال الكلبي الامتاع مثل السكرجة والقصة والقدر ينتفع بها في الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لا تهاذ به لابقا لها (ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعني هلا أنزل على محمد آية ومجزة مثل معجزة موسى وعيسى (قل) أي قل لهم بال محمد (ان الله يضل من يشاء) فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عز وجل وهو قوله (ويهدى اليه من أناب) يعني ويرشد الى دينه والامعان به من أناب بقلبه ورجع اليه بكليته

(الذين آمنوا) يدل من قوله من أناب (وتطمئن قلوبهم) يعني وتسكن قلوبهم (يذكر الله) قال مقاتل بالقرآن لأنه طمأنينة القلوب المؤمنين والطمأنينة والكون إنما تكون بقوة اليقين والاضطرار بما يكون بالشك (الأنذ كر الله تطمئن القلوب) يعني يذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك أن المسلم إذا حلف بالله على شيء سكنت قلوب المؤمنين إليه فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الانفال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استبعاد الخوف وحصول الاضطرار وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد قلت إنما يكون الرجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة إنما تكون عند الوعد والثواب فالقول بوجل إذا ذكر عدل الله وشدة حسابه وتغلبه وتطمئن إذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) اختلاف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال بكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسن لهم وفي رواية أخرى عن ابن هذه الكلمة تعزية يقول الرجل للرجل طوبى لئلا أى أصبت خيرا وقال إبراهيم التيمي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطبيب وقيل تأول بها الحمال المستعطية لهم وهو كل ما استغابه هؤلاء في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الأزهري يقول طوبى لك وطوبى لكمن لا تقول العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى في اسم الجنة بالحسنة وروى عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء أن طوبى في اسم شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير في شجرة في الجنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منه الا الاسود ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليهما ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروى عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى في فقال هي شجرة في الجنة مسبوكة مائة سنة نياح أهل الجنة يخرج من أكلها وعن معاوية بن قرة عن أبيه رفسه قال طوبى في شجرة غرسها الله بيده ونفع فيها من روحه ثبت الحلى والحمل وان أغصانها التي من وراء سور الجنة هكذا كر البعوى هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوف على أبي هريرة قال ان في الجنة شجرة تسمى الرابك في ظلها مائة سنة أفروا ان شتم وظلم مدود فيلج ذلك كعب الاخبار فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لأن رجلا كتب فرسا وأحقة أوجده ثم دار براض تلك الشجرة بلعها حتى يسقط هرمان الله غرسها بيده ونفع فيها من روحه وان أغصانها من وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة قال البغوي بهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الأشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها

(الذين آمنوا) هم الذين آمنوا
النصب يدل من (وتطمئن
قلوبهم) تسكن (يذكر الله)
على التوام أو بالقرآن أو بوعده
(الأنذ كر الله تطمئن القلوب)
بسنذكره تطمئن قلوب
المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) مبتدأ (طوبى لهم)
خير وهو مصدر من طاب
كشبرى ومعنى طوبى لك أصبت
خيرا وطيبا وخلاها النصب
أو الرفع كقولك طيبا لوطيب
لأنه سلامك وسلامك واللام
فيهم للبيان مثلها في سائر الآيات
والواو في طوبى في منقبة عن ياء
الضمة ما قبلها كقوله

طوبى يقول الله لها تنقني لعبدي عبا يشاء ففتق له عن فرس مسروحة لجامها وهيتها
 كما يشاء وتنق له عن الرحلة برجلها وزمامها وهيتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن
 سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في
 ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السير بع في ظلها مائة
 عام ما يقطعها (ق) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
 في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقرأوا ان شتم
 وظل محدود وقوله تعالى (وحسن ما ب) يعني والله حسن منقلب ومرجع يتقلدون
 ويرجعون اليه في الآخرة وهي الجنة قوله عز وجل (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت
 من قبلها أئمة) يعني كما أرسلناك يا محمد إلى هذه الأمة كذلك أرسلنا أنبياء قبلك إلى أئمة
 قد خلت وهضت (لتتوعلهم الذي أوحينا إليك) يعني لتقرأ على أمته الذي أوحينا
 إليك من القرآن وشرائع الدين (وهم يذكرون بالرجن) قال قتادة ومقاتل وابن جرير
 هذه الآية مكية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح وافقوا
 على ان يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب اكتب
 بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرجن الا صاحب المائة يعني سميعة السكذاب
 اكتب كما كتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يذكرون بالرجن يعني انهم يذكرونه
 ويحفظونه والمعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه
 وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رجن فرجع أبو جهل إلى المشركين وقال
 ان محمد يدعو الهين يدعو الله ويدعو لها آخر يسمى الرجن ولا يعرف الرجن الا رج
 اليمامة فزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله اودعوا الرجن إلى الله فادعوا
 فله الاسماء الحسنى وروى البخاري عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال
 لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرجن قالوا وما الرجن فقال الله تعالى (قل) أي
 قل يا محمد ان الرجن الذي أنكرتم معرفته (هودي لاله الا هو عليه توكلت) يعني عليه
 اعتمدت في أموري كلها (واليه متاب) يعني واليه توكلت وبني ورجوعي قوله تعالى (ولو أن
 قرآ ناسيرت به الجبال) الآية نزلت في نفر من مشركي قريش منهم أبو جهل بن هشام
 وعبد الله بن أبي أمية جلسوا خلف الكعبة وارسوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم
 فاتهم وقيل انه منهم وهم جلوس فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له عبد الله بن أبي أمية
 ان شرك ان تبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا نحن في شفة فأنزل الرض ضيقة
 لما زرعنا واجعل لنا فيها انهارا وعيونا فأنقرس الاشجار ونزوع وتخذ البسائر فليست
 كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه او سخر لساير
 لرسولهم إلى الشام لم يردوا واثخنوا ونزع في يومنا كما سخرت سليمان كما زعمت
 فليست باهون على ربك من سليمان أو أحي لنا جدك قصيا أو من شئت من موتانا لتسأله
 عن أمك أحق أو باطل فان عيسى كان يحيي الموتى وليست باهون على الله من عيسى

والقراءة في (وحسن ما ب)
 مرجع بالرفع والنصب كذلك
 على محليها (كذلك أرسلناك)
 مثل ذلك الا رسال أرسلناك
 ارسالا لاه شان وفضل على سائر
 الارسالات ثم فسر كيف أرسله
 فقال (في أمة قد خلت من قبلها
 أئمة) أي أرسلناك في أمة قد
 تقدمتها أئمة كثيرة فهي آخر الأئمة
 وأنت خاتم الانبياء (لتتوعلهم
 الذي أوحينا إليك) لتقرأ
 عليهم الكتاب العظيم الذي
 أوحينا إليك (وهم يذكرون)
 وحال هؤلاء انهم يذكرون
 (بالرجن) بالبيع الرحمة
 الذي وسعت رحمة كل شيء
 (قل هودى) ورب كل شيء
 (لا اله الا هو) أي هودى الواحد
 المتعالي عن الشركاء (عليه
 توكلت) في نصرتي عليكم
 (واليه متاب) مرجعي في شئني
 على من ساركم متابى وعقابي
 وما لي في الحاسين بعقوب
 (ولو أن قرآ ناسيرت به الجبال)
 عن مقارها

(أو قطعت به الأرض) خنى
تتصدع وتتأربل قطعاً (أو كلم
به الموقى) فنسمع ونجيب
لكن هذا القرآن لم يكن غاية
في التذكير ونهاية في الانذار
والنحو يفخواب لوحظوف
أو معناه ولأن قرأنا وقع به
تسير الجبال وتقطع الأرض
وتكليم الموقى وتبينهم لما
آمنوا به ولما تنهوا عليه كقوله
ولو أنما نزلنا اليهم الملائكة
الآية (بل الله الأمر جميعاً) بل
لله القدرة على كل شيء وهو قادر
على الآيات التي اقترحوها
(أفلم يأس الذين آمنوا) أفلم
يعلموا هي لغة قوم من النجوع وقيل
أفلم يستعمل اليأس بمعنى الأفلم
لكن معناه لان اليأس
عن الشيء علم بأنه لا يركون كما
استعمل النسيان في معنى
الترك لضعف ذلك دليله قراءة
على رضى الله عنه أفلم يبين
وقيل إنما كتبه الكاتب وهو
ناعس مستوى السنان وهذه
والله غريبة ما فيها من
يشاء الله هدى الناس جميعاً
ولا يزال الذين كفروا تصيهم بما
صنعوا من كبرهم وسوء
اعمالهم (فأرعة) داهية تفرعهم
بما يحل الله بهم في كل وقت من
صنوف البسلايا والمصائب في
نفوسهم وأولادهم وأموالهم
(أو تحل قريبان)

فانزل الله هذا الآية ولأن قرأنا سير به الجبال فاذهبت عن وجه الأرض (أو قطعت
به الأرض) بمعنى شقت فجعلت أنهاراً وعيوناً (أو كلم به الموقى) فاحياءها واخلفوا في
جوابه لوقال قوم جواب لوحظوف وانما حذف كفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره
ولو أن قرأنا فعل به كذا وكذا كان هذا القرآن فهو كقول الشاعر
فأقسم لو شئ أنانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعاً
أراد لو شئ أنانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فإنه قال معناه لو فعل هذا
بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدیر الكلام وهم
يكفرون بالرحن ولو أن قرأنا سير به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموقى
للكفر وبالرحن ولم يؤمنوا به لماسبق في علمنا فهم كما قال ولولا أنما نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموقى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا يؤمنوا ثم قال تعالى (بل الله الأمر
جميعاً) بمعنى في هذه الأشياء وفي غيرها إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل (أفلم يأس الذين
آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النجوع وقيل هي لغة
هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد الله يأس ألم يعلم
واستدلوا هذه اللغة بقول الشاعر

أقول لهم بالشعب أذ يأسوني * ألم يأسوا أنى ابن فارس زهدهم
يعنى ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضاً بقول شاعر آخر

ألم يأس الاقوام أنى أنابته * وإن كنت عن أرض العشرة نائياً

يعنى ألم يعلم الاقوام قال فطر يشع بمعنى لغة العرب قالوا ووجه هذه اللفظة انه انما
وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بالشيء ويقينه به يشك من غيره وقيل لم يرد أن
اليأس في موضع كلام العرب بالعلم وانما قصد أن يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضى ان
يحصل العلم بأنه فاذ معنى يأسهم يقتضى حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت
العرب تقول يشع بمعنى علمت قال وهذا المحرف في القرآن من اليأس المعروف لامن
العلم وذلك ان المشر كين لما طابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشرأب
المسلمون لذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية يجتمعوا واعلى الايمان فقال الله تعالى أفلم
يأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء العلماء عينا (ان لو يشاء الله هدى الناس
جميعاً) يعنى من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندى ان معناه أفلم يأس الذين
آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء هدى الناس جميعاً وحاصله ان فى معنى الآية
قولين أحدهما ان يشع بمعنى علم والقول الثانى انه من اليأس المعروف وتقدر القولين
ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله هدى الناس جميعاً على أن الله لم يشأ
هداية جميع الخلق (ولا يزال الذين كفروا تصيهم بما صنعوا) يعنى من الكفر
والاعمال الخبيثة (فأرعة) أى نازلة داهية تفرعهم بانواع البسلايا أحمانا مر بالمحبد
بحرق السلب ومرة بالقتل والأسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة الأسر ما أتى كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم (أو تحل) يعنى الأسر يا أبا البليسة (قريبان)

دارهم) أو تحل القارة قريتهم فيفزعون ويظاير عليهم شررها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) أي موتهم أو القيامة أو لا يزال كفار مكة تصيهم بمصنوعه وارسول الله من التعدا وفتا التكذيب قارة لان جيش رسول الله يغير حول مكة ويحطط منهم أو تحل أنت يا محمد ٨٤ قريمان دارهم يحشيك يوم الحديبة حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة (ان الله لا يخاف الميعاد)

دارهم) وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد قريمان دارهم (حتى يأتي وعد الله) يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يحجمهم فيه فيجأز بينهم بأعمالهم (ان الله لا يخاف الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه لعله بان الله لا يخاف الميعاد قوله عز وجل (ولقد استهزئ برسول من قبلك) وذلك ان كفار مكة انفسأوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الآية تسد للني صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم انفسأوا تلك الاشياء على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزئ برسول من قبلك (فألميت الذين كفروا) يعني فاهلتهم واطلت لهم المدة (ثم أخذتهم) يعني بالعذاب بعد الاهمال فعذبهم في الدنيا بالخط والقتل والاسر في الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) يعني فكيف كان عقابي لهم (افن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يعني افن هو حافظها ورازقها وعالمها وما علمت من خير أو شر ويحاز بها بما كسبت فيثيبها ان احسنت ويعاقبها ان اساءت وجوابه محذوف ونقديره كن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره عاجز وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء) يعني وهو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي جعلوا لله شركاء (قل سمعهم) يعني له وقيل صفعهم بما يستحقون ثم انظر واهل هي اهل لان تعبد (ام تنبؤنه) يعني ام تنبؤن الله (بما لا يعلم في الارض) يعني انه لا يعلم ان نفسه شر يكامن خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا لخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو كان علمه والمراد من ذلك نفى العلم بان يكون له شريك (ام بظاهر من القول) يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لاصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقة (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما قسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفرهم والمزین في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر احد ان يتصرف في الوجود الا باذنه فترين الشيطان القاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال احد وهو هاديته الا الله تعالى ويدل على هذا اساق الآيه وهو قوله ومن يضلل الله فاه من هاد وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صر فواع سبيل الدين والرشاد الهداية ومعنوا من ذلك والصاد المانع لهم والله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أي عن الايمان (ومن يضلل الله فاه من هاد) الوقف عليه يسكون

أي لا يخاف في موعده (ولقد استهزئ برسول من قبلك فألميت للذين كفروا) الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خض وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا وعد لهم وجواب عن اقتر احهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له (افن هو قائم) احتجاج عليهم في اشرا حكم بالله يعني اف الله الذي هو قريب (على كل نفس) صالحة او طالحة (بما كسبت) به لمخيره وشره بعد لكل جزاء كن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وجعلوا لله شركاء) أي الاصنام (قل سمعهم) أي سمعهم له من هم وبؤه باسمائهم ثم قال (ام تنبؤنه بما لا يعلم في الارض) على ام المنقطعة أي بل انبؤنه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذالم يعلمهم علم انهم ليسوا شئ والمراد نفى أن يكون له شركاء (أم بظاهر من القول) بل اسمعهم شركاء بظواهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم

بافواهم ما يعبدون من دونه الا أسماء سميت بها (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم للسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) عن سبيل الله بضم الصاد كوفي وفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله (ومن يضلل الله فاه من هاد) من أحديقدر على هدايته

(لهم عذاب في الحياة الدنيا)
 بالقتل والأسر وأنواع العن
 (وعذاب الآخرة أشق) أشد
 لدوامه (وملهم من الله من واق)
 من حافظ من عذابه (مثل
 الجنة التي وعد المتقون) صفتها
 التي هي في غربة الملل وارتفاعه
 بالابتداء والخبر مخدوف أي
 فيما تنبأ عليكم مثل الجنة أو
 الخبر (تجربى من تحتها الأنهار)
 كما تقول صفة زيد أثمر (أكلها
 دائم) ثمها دائم الوجود لا يتقطع
 (وظلها) دائم لا ينفخ كينسخ
 في الدنيا بالشمس (تلك عقي
 الذين اتقوا) أي الجنة الموصوفة
 عقي تقواهم يعني منتهى
 أمرهم (وعقي الكافرين النار)
 والذين آتيناهم الكتاب
 يريد من أسلم من اليهود كابن
 سلام ونحوه ومن النصارى
 بارض الحبشة (يفرحون بما أنزل
 اليك ومن الأحزاب) أي ومن
 الأحزاب هم كفرتهم الذين
 تحزبوا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بالعداوة ككعب
 ابن الأشرف وأصحابه والسيد
 والعاقب وأشياهما (من ينكر
 بعضه) لأنهم كانوا المشركين
 الأقاصيص وبعض الأحكام
 والمعايير مما هو ثابت في كتبهم
 وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه
 الصلاة والسلام وغير ذلك مما
 جزموه ببدلوه من الشرائع

الدال وحذف الياء في قراءة أكثر القراء (لهم عذاب في الحياة الدنيا) يعني بالقتل
 والأسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم (وعذاب الآخرة أشق) يعني أشد وأغلظ لأن المشقة
 غلظ الأمر على النفس وشدة ما يكاد يصدر القلب من شدته فهو من الشق الذي هو
 الصدع (وملهم من الله) يعني من عذاب الله (من واق) يعني من مانع يمنعهم من عذابه
 قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفة الجنة التي وعد المتقون (تجربى
 من تحتها الأنهار) كما هادئ (لا ينقطع أبداً وظلها) يعني أنه دائم أبداً لا ينقطع وليس
 في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل مدود لا ينقطع ولا نزول وفي الآية دليل على أن حر كات أهل
 الجنة فأنهم يقولون إن نعم الجنة يعني وينقطع وفي الآية دليل على أن حر كات أهل
 الجنة لا تنتهى إلى سكن دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار
 المعتزلي بهذه الآية على أن الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل أنها لو كانت مخلوقة
 لوجب أن تنفخ وينقطع أكلها لقوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه فوجب أن
 لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني لا يتقطع قال ولا ينكر أن تكون في
 السموات جنات كثيرة تقع بها الملائكة ومن بعد حيا من الأنبياء والشهداء وغيرهم
 على ما روى الآن الذي نذهب إليه أن الجنة المخلوقة بعد والمجواب عن هذا أن
 حاصل دليلهم مركب من آيتين أحدهما قوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه والآخرى
 قوله أكلها دائم وظلها فإذا أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فتنقص
 هذين الدليلين بالدلائل الدالة على أن الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها
 السموات والأرض أعدت للمتقين وقوله تعالى (تلك عقي الذين اتقوا) يعني أن عاقبة
 أهل التقوى هي الجنة (وعقي الكافرين النار) يعني في الآخرة قوله عز وجل
 (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) في المراد بالكتاب هنا قولان
 أحدهما أنه القرآن والذي أتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 والمراد أنهم يفرحون بما يتجدد من الأحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت
 يتجدد نزول القرآن (ومن الأحزاب) يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقادة
 فإن قالت أن الأحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله
 فكيف قال ومن الأحزاب من ينكر بعضه قلت أن الأحزاب لا ينكرون القرآن
 بجملة لانه قد ورد فيه آيات دالات على توحيد الله وأثبت قدرته وعلمه وحكمته وهم
 لا ينكرون ذلك أبداً والقول الثاني أن المراد بالكتاب التوراة والإنجيل والمراد
 بأهل الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من
 النصارى وهم ثمانون رجلا ربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة من سواهم
 فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقه وهم الأحزاب يعني بقية أهل الكتاب من
 اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في
 القرآن في الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب من اليهود

(قل إنما أوتيت أن أعبد الله ولا أشرك به) ٨٦ هـ وجواب للذين كذبوا بآيات الله قل إنما أوتيت أن أعبد الله ولا أشرك

به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تسمعون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به (اليه ادعوا) خصوصاً لأدعوا الى غيره (واليه) لا الى غيره (ما ب) مرجعي وأنت تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (و كذلك انزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزلناه ما موارفيه عبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والاذنار مدار الحجزاء (حكما كبرياء) حكمه عريضة مترجمة بلسان العرب وانتسابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور يشاءونهم فيها قبيل (واثنى سمعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) أى بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة (مالا ثم من الله من ولى ولا واق) أى لا ينصرك ناصر ولا يقبل منه واق وهذا من باب التهيج والبعث لسماعين على الثبات فى الدين وان لا تزل قال عند الشبهة بعد استمساكها بحجة والا فكلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات فكان كانوا يعيرونه بالزواج والولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية) نساء وأولاداً (وما كان لرسول ان

النصارى ساءهم قل قد ذكر الرجن فى القرآن مع كثرة ذكره فى التوراة فلما كره الله تعالى ذكره لفظه الرجن فى القرآن فرحوا بذلك فأقر الله تعالى والذين آمنواهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب يعنى مشركى مكة من ينكر بعصه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقيلوا ما نعرف الرجن الا رجن البهائم يعنون مسيئة الكتاب فأقر الله بهم وبكفرون بالرجن قل هورى وانما قال ومن الأحزاب من ينكث بعضه لانهم كانوا لا ينكثون الله وينكثون الرجن (قل) أى قل يا محمد (انما أوتيت أن أعبد الله) يعنى وحده (ولا أشرك به) شيئاً (اليه ادعوا) أى الى الله والى الايمان به ادعوا والناس (واليه ما ب) يعنى مرجعي يوم القيامة (و كذلك أنزلناه حكما كبرياء) أى كما أنزلنا الكتاب على الانبياء بلغا عنهم وأسألتهم أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عرياً بلسانك ولسان قومك وانما سمى القرآن حكماً لان فيه جميع التكليف والاحكام والحلال والحرام والنقص والابرار فلما كان القرآن سبباً للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المباعدة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بفقضاء سمائه حكماً لذلك المعنى (واثنى سمعت أهواءهم) قال جمهور المفسرين ان المشر كين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائهم فتوعد الله على اتباع أهواءهم فى ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آبائهم فى الصلاة لبيت المقدس (بعد ما جاءك من العلم) يعنى بانك على الحق وان قبلك الكعبة هى الحق وقيل ظاهر الحظائر فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حوث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بأمر به هو يتضمن ذلك تحذير غيره من المكافين لان من هو ارفع منزلة وأعظم قدراً وأعلى مرتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطر بقى الاولى (مالا ثم من الله من ولى ولا واق) يعنى من ناصر ولا حافظ قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) روى ان اليهود وقيل المشر كين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا فى النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كابر نعم الله رسول الله لكان مستغلاً بالزهد وترك الدنيا فأجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما عابوه به بقوله عز وجل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد وجعلناهم أزواجاً وذرية) فانه قد كان لاليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امرأة حرة وسبع مائة امرأة أسيية فلم يقدح ذلك فى نبوته وكان لاسمه داود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك اضافى نبوته فكيف يعيرون عليك ذلك ويجعلونه قاذحاً فى نبوتك والمعنى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) يا كلون ويشربون وينكثون واملعناهم ملائكة لا يأكولون ولا يشربون ولا ينكثون (وما كان لرسول ان يأتي بأية الا بالاذن الله) هذا جواب لعبد الله بن أبى امية وغيره من المشر كين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه ان يريهم المعجزات وتقر بره هذا الجواب ان المعجزة الواحدة كافية فى اثبات النبوة وقد آتاهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة عجيز عن مثلها البشر فالحكم ان يشترعوا عليه شيئاً واتيان الرسول بالمعجزات ليس اليه

ما يظهر للأئمة في الروح المحفوظ أن عمر زيد مثلاً ستون سنة الآن يصل رحمه فان
وصاها زيد له أر بعون ستة وقد علم الله في الازل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى
يعصوا الله ما يشاء ويثبت أي بالنسبة لما يظهر للخلق من تصور الزيادة وأما انقلاب
أشقي سعيداً والسعيد شقياً فيصور في الظاهر أيضاً ان الكافر قد يسلم فينقلب من
الشقاوة إلى السعادة وكذا العاصي ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة إلى السعادة
وقد يرتد المسلم والعباد بالله تعالى فيموت على رتبة فينقلب من السعادة إلى الشقاوة
والاصل في هذا الاعتبار بالحكمة عند الموت وما يحتم الله به له وهو المراد من علم الله الازل
الذي لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم وأصل الخبر اذا هاب أثر الكتاب وضد الأثبات فمن
العلماء من جعل الآية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله
ما يشاء في الرزق والأجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والإيمان بالله والكفر ونقل
نحو هذا عن عمرو بن مسعود فانهما قالوا لا يجوز السعادة والشقاوة يجوز الرزق والاحل
ويثبت ما يشاء وروى عن عمر أنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت
كتبته في أهل السعادة فأنبتني فيها وان كنت كتبته في أهل الشقاوة فأنحنى منها
وأنتبني في أهل السعادة والمغفرة فأنلت عفو ما تشاء وثبت وعندهك أم الكتاب وروى
مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام
فيصل رحمه فقد إلى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي وغيره سند وروى بسنده عن أبي الدرداء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات يقين من
الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيه عفو ما يشاء
ويثبت ومن العلماء من جعل معنى الآية على الخصوص في بعض الأشياء دون بعض فقال
المراد بالخبر والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضاً عن الحكم المتقدم وقيل
ان الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيعفو الله ما يشاء من ديوان الحفظة
مما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أكلت شربة فدخلت خبزت ونحو ذلك
من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما يشاء ثواب وعقاب وهذا قول الخنك وقال
الكوفي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب
وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو
الذي عفو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو
يثبت وقال الحسن بن عمو الله ما يشاء يعني من جاء أجله فيذهب ويثبت من لم يحيي أجله
وقال سعيد بن جبير عفو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء من ما فلا
يغفرها وقال عكرمة عفو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات
وقال السدي عفو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الأرواح
يقبضها الله عند النوم فمن أرباد متهمة وأمسكها ومن أرباد بقائه انتهت ورده إلى
صاحبه وقيل ان الله يثبت في أول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة نحاه وأثبت حكماً
آخر للسنة المستقبلة وقيل عفو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو في الحسن والمصائب

فهى مثبتة في الكتاب ثم يعوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يدعو ما شاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت مذهب أهل السنة أن المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا الخوض والاثبات قلت الخوض والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يجوز شيئا ولا يثبت شيئا الا ما سبق به علمه في الازل وعلمه بترتب القضاء والقدر بمسئلة واستدل الرافضة على مذهبهم في البداية بهذه الآية قالوا ان البداية جائز على الله وهو ان يعقد شيئا ثم يظهر له خلاف ما اعتقده وتعدوا بقوله يدعو الله ما يشاء ويثبت والجواب عن هذه المسئلة أن هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قدم ازل وهو من لوازم ذاته الخسوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبدل فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية وقوله تعالى (وعنده أم الكتاب) يعني أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يسدل ويسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب لان جميع الاشياء مشتملة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يدعو الله منه ما يشاء ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذي لا يغير شيئا منها وروى عتيبة عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيره خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة لله فيه كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يدعو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه وما هم عاملون (واما نزيلك) يعني يا محمد (بعض الذي عندهم) يعني من العذاب (أو توفينك) يعني قبل ان نريك ذلك (فانما عليك البلاغ) يعني ليس عليك الاتبلغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ (وعليها الحساب) يعني وعليان ان تحاسبهم يوم القيامة فتجزيهم بها عما لهم قوله عز وجل (أولم يروا أنا أناني الارض نتقصها من أطرافها) يعني أولم يروا كم ركة الذين سألو محمد صلى الله عليه وسلم الآيات أنا أناني الارض يعني أرض الشرك نتقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه فتجزي دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى أولم يروا أنا أناني الارض فتقصها محمد صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حولي أراضيهم أفلا يعتبرون فيعتظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجاعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار تهرأ وتخزيها كان ذلك نقصا في ديارهم وزيادة في دار المسلمين وتوهموا كان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعزج حنده ويظهر دينه ويخزله ما وعدوه وقيل هو خراب الارض والمعنى أولم يروا أنا أناني الارض فتقصها أهلها أفلا يخافون ان نفعل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجاعة من المفسرين نقصا نهامت العلماء وذهب الفقهاء (ق) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى

(وعنده أم الكتاب) أي أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه (واما نزيلك بعض الذي عندهم) وتوفينك (وكيفما دارت المحال) أي نيك نيك مصادعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم أو توفينك قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) فليجب عليك الاتبلغ الرسالة لتخسب (وعليها الحساب) وعليها حسابهم وخزأهم على أعمالهم لا عليك فلا يهملك اعراضهم ولا يستجمل بهذاهم (أولم يروا أنا أناني الارض) أرض الكفرة (نتقصها من أطرافها) بما فتح على المسلمين من بلادهم فتقص دار الحرب وتزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصر والعلبة والمعنى عليك البلاغ الذي جلت به ولا تتم بما وراء ذلك فتخسب نكمتك ونعم ما وعدناك من النصر والتفخر

(والله يحكم لامعقب لحكمه)
 لاراد لحكمه والمعقب الذي يكر
 على اشيء فيبطله وحقيقته
 الذي يعقبه أى يقفه بالرد
 والابطال ومنه قيل لصاحب
 الحق معقب لانه يقف غريمه
 بالاقضاء والطلب والمعنى انه
 حكم للاسلام بالغلبة والاقبال
 وعلى الكفر بالادبار والانتكاس
 وعمل لامعقب لحكمه النصب
 على الحال كانه قيل والله يحكم
 نافذا حكمه كما تقول حاء في زيد
 لاعامة على رأسه ولا قلنوة له
 تريد حاسرا (وهو سريع المحاسب)
 فعمما قليل يحاسبهم في الآخرة
 بعد عذاب الدنيا (وقدم ذكر الذين
 من قبلهم) أى كفارا لام الحالية
 بانديانهم والمكر ارادة المكروه
 في خفية ثم جعل مكرهم كلا
 مكر بالانفاة الى مكره فقال
 (فله المكر جميعا) ثم فسرد ذلك
 بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس
 وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار)
 يعنى العاقبة المحمود لان من
 علم ما تكسب كل نفس وأعد لها
 جزاء فهو المكر كله لانه
 ياتيهم من حيث لا يعلمون وهم
 في غفلة عما رادهم الكافر على
 ارادة الجنس مجازى وأبو عمرو
 (ويقول الذين كفروا أنت
 مرسلنا المرادهم كعب بن
 الاشرف ورؤساء اليهود قالوا
 لست مرسلنا قل عطاءه منى
 ملكية الا هذه الآية

اذ لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهلا لا يستأوفوا قلوبا بغير علم فضلوا وأضلوا قال
 الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلثة في الاسلام لا يسدها شئ ما خلتف الليل
 والنهار وقال عبد الله أيضا عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال سليمان
 لا تزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الا تخافوا هلك الاول ولم تعلم الا خهلك
 الناس وقيل لسعيد بن جبيرة ما علمه هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول
 فان اربابا لطراف العلماء والاشراف من الناس حتى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف
 الاشراف واستدل الواحدى هذه اللغة بقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذاوردت منى * أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول الاول أولى لان هذا وان
 صح فلا يلىق بهذا الموضع قال الامام غفر الله له الرأى ويمكن أن يقال أيضا ان هذا الوجه
 لا يلىق بهذا الموضع وقد ذكره أن يقال أولم يروا أن كل ما يحدث في الدنيا من الاختلاف
 خراب بعد عماره وموت بعد حياؤه ذل بعد عزه ونقص بعد كماله واذا كانت هذه التغيرات
 مشاهدة محسوسة فما الذى يؤمنهم ان يغلب الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذالين
 بعدما كانوا عزيزين ومقهورين بعد أن كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز اتصال
 الكلام بما قبله وقوله تعالى (والله يحكم لامعقب لحكمه) يعنى لاراد لحكمه ولا ناقض
 لقضائه والمعقب هو الذى يعقب غريمه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب
 لانه يعقب غريمه بالاقضاء والطلب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المذافع
 والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه أحد غريمه بتغير ولا نقض (وهو سريع الحساب)
 قال ابن عباس يريد سريع الانتقام ممن حاسبه لمجازاة الخير والشر فجازاة الكفار
 بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى
 سريع الحساب قبل هذا (وقدم ذكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل مشركي ملكه من الامم
 الماضية الذين مكر وابتدسوا بهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر
 مثل ما مكر محمد بن ابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى (فله المكر جميعا) يعنى عند
 الله جزءا مكرهم وقال الواحدى يعنى جميع مكرها كرين له ومنه أى هو من خلقه
 وارادته فاما مكر جميعا فخلق له بسده الخيرو الشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر
 لا يضرب الا بانه وارادته وفى هذا تسلية للذي صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكرهم
 كانه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنعهم فلم يضروا
 الامن أراد الله ضره واذا كان الامر كذلك وجب أن لا يكون الخوف الا من الله لا من
 أحد من الخلقين (يعلم ما تكسب كل نفس) يعنى ان جميع اكتساب العباد وتأثيراتها
 معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم بمنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم وقوعه
 فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان متمتع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد
 على الفعل والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا بانه وارادته وقبضه
 وعيد لا لكفار المالك كرين (وسيعلم الكافر) على التوحيد وقد روى سيعلم الكفار

(قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) بما أظهر من الأدلة على رسالتي وأباعدت على ٩١ الفاعل وشهيداً تميز (ومن عنده علم

(الكتاب) قيل هو الله عز وجل
والكتاب الواح المحفوظات عليه
قراءة من قرأ ومن عنده علم
الكتاب أي ومن لدنه علم
الكتاب لأن علم من علمه من
فضله وطفه وقيل ومن هو من
علماء أهل الكتاب الذين
أسلموا لأنهم يشهدون بنعمته
في كتبهم وقال ابن سلام في
نزلت هذه الآية وقيل هو
جبريل عليه السلام ومن في
موضع الحجر بالعطف على لفظ
الله أو في موضع الرفع بالعطف
على محل الجار والجر وروا
التقدير كفى الله وعلم الكتاب
يرتفع بالمعنى الطرف فيكون
فاعلاً لأن الظرف صلة تان
ومن هنا بمعنى الذي والتقدير
من ثبتت عنده علم الكتاب
وهذان الظرفان إذ وقع صلة
يعمل عمل الفعل نحو مرت
بالذي في الدار أخوه فاعله
كأنه قول بالذي استقر في الدار
أخوه وفي القراءة بكسر ميم من
يرتفع العلم بالاتجاه

(سورة إبراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)
مكية آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً إلى

آخر لا آيتين وهي إحدى وقيل اثنتان ونحوون آية ونحوها ثمانية وأحدى وستون كلمة
وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الر كتاب) هو خبر مبتدأ
محذوف أي هذا كتاب يعني

السورة المجلة التي هي (أنزلناه
اليك) في موضع الرفع صفة
للتكرار (نخرج الناس) بدعائلك
أيهم (من الظلمات إلى النور) من الضلالة إلى الهدى

على الجمع قال ابن عباس يعني أباجهه وقيل أراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة
(لمن عقى الدار) والمعنى أنهم وإن كانوا جاهلاً بالآيات والعواقب فسيعلمون أن العاقبة الحميدة
للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة في الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة
قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لست مرسلان) أي قل يا محمد هؤلاء الكفار الذين أنكروا نبوتك كفى
عند الله أمره بالله بقوله (قل) أي قل يا محمد هؤلاء الكفار الذين أنكروا نبوتك كفى
بالله شهيداً بيني وبينكم المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما أظهر على
يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبياً مرسلان
عند الله (ومن عنده علم الكتاب) يعني ومن عنده علم الكتاب أيضاً شهد على نبوتك
يا محمد وصحتها واختلفوا في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس
أنهم علماء اليهود والنصارى والمعنى أن كل من كان عالماً من اليهود والنصارى ومن
النصارى بالانجيل علم أن محمد أصلي الله عليه وسلم مرسل من الله لما يجد من الدلائل
الدالة على نبوته فيما شهد بذلك من شهادته وأنكره من أنكره منهم وقيل أنهم مؤمنو
أهل الكتاب يشهدون أيضاً على نبوته قال قتادة هو عبد الله بن سلام وأنكره الشيعي
هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة المنورة وقال بنو سابعدين
جبريل ومن عنده علم الكتاب أهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام
وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا
القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق العبادة والذي لا يعلم علم ما في الواح المحفوظ إلا
هو شهيداً بيني وبينكم قال الزجاج الأشبه أن الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا
قول مشكل لأن عطف الصفة على الموصوف وإن كان جائزاً إلا أنه خلاف الأصل فلا
يقال شهد به زيد والفقير بل يقال شهد بهذا زيد الفقيه لكن بشهادة لجة هذا
القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس
وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله
وعلمناه من لدنا علماً وقيل معناه أن من علم القرآن الذي جئتكم به معجز ظاهر وبرهان
بأمرنا فممنه الفصاحة والبلاغة والاختيار عن الغيوب وعن الأمم الماضية فمن علم
بهذه الصفة كان شهيداً بيني وبينكم والله أعلم بما أريد وأمره وأمر كتابه

(تفسير سورة إبراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)

وهي مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً إلى
آخر لا آيتين وهي إحدى وقيل اثنتان ونحوون آية ونحوها ثمانية وأحدى وستون كلمة
وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الر كتاب أنزلناه إليك) يعني هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد والكتاب
هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (نخرج الناس من الظلمات إلى النور)

(بأذن ربهم) بتيسيره وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما نفعهم من التوفيق (الى صراط) يدل من النور بتكرير التعامل (العزيز) الغالب بالانتقام (الحمد) الم محمود على الانعام (الله) بالرفع مدني وشامي على الله والحمد لله غيرهما على انه عطف بيان للعزيز الحميد ٩٣ (الذي له ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا وما ذكر الخارجين من طلمات

الكفر الى نور الايمان توعده الكافرين بالويل وهو تضييع الوال وهو النجاة وهو اسم معنى كالملاك فقال (وويل للكافرين من عذاب شديد) وهو مبتدأ وخبر وصفة (الذين يستحيون) يختارون ويؤثرون (الحياة الدنيا) على الآخرة ويصدون عن سبيل الله عن دينه (ويبغونها عوجا) يطلبون لسبيل الله زعجا واعوجاجا والاصل ويبغون لها خذف الجار واصل الفعل الذين مبتدأ خبره (اولئك في ضلال بعيد) عن الحق ووصف الضلال بالبعد من الاسناد المجازي والبعدي الحقيقة لضلال لانه هو الذي يتباع عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جددناه وجررو وصفة للكافرين أو منصوب على الذم أو مرفوع على أفعى الذين أوهم الذين (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) الام كما بلغتهم (ليبين لهم) ما هو مبعوث به قوله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له لم نهمم ما خوطبنا به فان قلت ان رسولا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس جميعا بقوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على

يعني بهذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال فخرج الناس من الظلمات الى النور فخرج عن الجهل والكفر والضلالات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طريق الكفر والجهل كثيرة واماط طريق العلم والايمان فليس الا واحدا (بأذن ربهم) يعني بأمر ربهم وقيل بعلم ربهم (الى صراط العزيز الحميد) يعني الى دين الاسلام وهو دينه الذي أمر به عباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب والحمد الم محمود على كل حال المستحق لجميع الحمد (الله) قرئ بالرفع على الاستثناء وخبر ما بعده وقرئ بالجر نعتا للعزير الحميد وقال أبو عمرو قراءة الخفص على التقسيم والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد (الذي له ما في السموات وما في الارض) يعني ملكا وما فيهما عبده (وويل للكافرين) يعني الذين تركوا عبادته من يستحق العبادات الذي له ما في السموات وما في الارض وعبدا ومن لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة ما في السموات وما في الارض (من عذاب شديد) يعني معذبتهم في الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يستحيون الحياة الدنيا في الآخرة) يعني يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة (ويصدون عن سبيل الله) أي ويمنعون الناس عن قبول دين الله (ويبغونها عوجا) يعني يطلبونها زعجا ولا يخذل الجار وأوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حاذرين عن التقصير وقيل المءافى وبغونها راجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل الى المحرم (اولئك) يعني من هذه صفته (في ضلال بعيد) يعني عن الحق وقيل يجوز ان يراد في ضلال بعيد ذي بعدا أو فيه بعدا عن الضلال يستدعي الطريق قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) يعني بلغة قومه لانه هو ما يدعونهم اليه وهو قوله تعالى (ليبين لهم) يعني ما يأتون وما يدعون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا بليل قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين الجن والانس وهم على السنة مختلفة والغايات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقتضي بظاها رانه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والانس تسبح للعرب فكان مبعوثا الى جميع الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الاطراف فيترجون لهم بالسنة ويذعنونهم الى الله تعالى بلسانهم وقيل يحتمل انه أراد بقومه أهل بلده وقوم العرب وغير العرب فيدخل معهم

من
السنة مختلفة فان لم تكن للعرب لغة غيرهم اجمحة قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع اللسان
أو بواحدة منها فلا حاجة الى نزوله بجميع اللسان لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين ان ينزل بلسان واحد
وكان لسان قومه أولى بالتعيين لانهم أقرب اليه ولانه أبعد من التعريف والتبديل

(فيضل الله من يشاء) من آثر سب الصلاة (ويهدى من يشاء) ٩٣ من آثر سب الاهتداء (وهو العزيز) فلا يغالب على

من غير جنسهم في عموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا ارسل بلسان قومه وكانت دعواه خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان اقرب لفهمهم عنه وقام الحجة عليهم في ذلك فاذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه وقامت الترجيح بدينه وتفهيمه ان يحتاج الى ذلك من هو من غير اهله واذا كان الكتاب واحدا بلغة واحدة مع اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك ابغ في اجتهد المحتسدين في تعليم معانيه وتفهيم فوائده وغواضه واسرارها وعلموه وجميع حدوده واحكامه وقوله (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) يعني ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادي المضل بفعل ما يشاء (وهو العزيز) يعني الذي يغلب ولا يغلب (الحكيم) في جميع افعاله قوله عز وجل (ولقد ارسلنا موسى باياتنا) المراد بالآيات المعجزات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليدوقا في البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة (ان اخرج قومك من الظلمات الى النور) أي ان اخرج قومك بال دعوة من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وذكرهم بايام الله) قال ابن عباس واى بن كعب ومجاهد وقادة يعني نعم الله وقال مقاتل بوقائع الله في الامم السابقة يقال فلان عالم بايام العرب أي بوقائعهم وانما اراد بما كان في ايام الله من النعمة والمنة فما خبر يذكرا الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظم ما لترغب والترهب والوعد والوعيد والترغب والوعد ان يذكروهم بما انعم الله عليهم به من النعمة وعلى من قبلهم من آمن بالرسول فيما مضى من الايام والترهب والوعد ان يذكروهم بما ساء الله وشدة انتقامه من خالف امره وكذب رسوله وقيل بايام الله في حق موسى أن يذكروهم بايام الهنطة والسدة والبلاء حين كانوا تحت ايدي القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا عبيدا كمن (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الشكور والصبر باعتبار بالآيات وان كان فيهما علة للكافة لانهم هم المنتفعون بهادون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله وهدي للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا اشكر ائمانا لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة (واذ قال موسى لقومه اذ كروا نعمة الله عليكم) لما امر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام أن يذكروهم بايام الله امتثل ذلك الامر وذكروهم بايام الله فقال اذ كروا نعمة الله عليكم (اذ انما كنتم من آل فرعون) أي اذ كروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي انجاكم فيه من آل فرعون (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) فان قلت قال في سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق قلت انما حذف الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاء في التورم يذبحون واذا اردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا في هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يذبحونهم بانواع من العذاب غير التذبيح والتذبيح ايضا لقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لانه تفسير للعذاب (ويسحقون نساءكم)

زاد على جنس العذاب كانه جنس آخر (ويسحقون نساءكم)

وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة اولى الانجاء والبلاء النعمة وتبليوكم بالشرو والخبر فتمت
(واذ تأذن ربكم) أي آذن وتظير تأذن ٩١ وأذن توعده وأوعده ولا بد في فعل من زيادة معنى ليس في أفعول كانه قيل

واذ آذن ربكم ايذا بالبلاء
تلقى عنده الشكوك والشبه
وهو من جملة ما قال موسى لقومه
وانصابه للعطف على نعمة الله
عليكم كانه قيل واذا قال موسى
لقومه اذ كروا نعمة الله عليكم
واذ كروا حين تأذن ربكم
والمعنى واذا تأذن ربكم فقال
(لئن شكرتم) اي باني اسرائيل
ما خولتكم من نعمة الانجاء
وغيرها (لا يزيدكم) نعمة الى
نعمة فالكسر قيد الموجود
وصيد المفقود وقيل اذا سمعت
النعمة نعمة الشكر تأنبت
للمزيد وقال ابن عباس رضي
الله عنه ما لئن شكرتم بالحد في
الطاعة لازيدنكم بالحد في
المثوبة (وائن كفرتم) ما أنبت
به عليكم (ان عذابي لشديد)
ان كفرتم عنى أمتي الذين
فساد النعمة واما في العقبى
فتوالى النعم وقال موسى ان
تذكروا انتم باني اسرائيل
(ومن في الارض جميعا) والناس
كلهم (فان الله لغني) عن شكركم
(جيد) وان لم يحمدوا الحمدون
وانتم ضمتم انفسكم حيث
معتقوها الخير الذي لا بد لكم
منه (المراتبكم بنأ الذين من
قبلكم قوم نوح وعاد وحمود)

يعني يتركونهم احياء (وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) فان قلت كيف كان فعل آل
فرعون بلاء من ربهم قلت تمكيدهم واهمهم حتى فعلوا ما فعلوا بالبلاء من الله ووجه آخر
وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلا عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمنحة
جميعا ومنه قوله وتبليوكم بالشرو والخبر فتمت وهذا الوجه اولى لانه موافق لاول الآية وهو
قوله اذ كروا نعمة الله عليكم فان قلت هب ان تدبج البناء فيه بلاء فكيف يكون
استخدام النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيونهم وينزحونهم تحت أيديهم كالاماء فكان
ذلك بلاء (واذ تأذن ربكم) ههنا من جملة ما قال موسى لقومه كانه قيل اذ كروا نعمة الله
عليكم واذا كروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن أي أعلم ولا بد في فعل من زيادة معنى
ليس في أفعول كانه قيل واذا تأذن ربكم ايذا بالبلاء تلقى عنده الشكوك وتزاح الشبه
والمعنى واذا تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يعني باني اسرائيل ما خولتكم من نعمة
الانجاء وغيرها من النعم بالايان والمحاصل والعمل الصالح (لا يزيدكم) يعني نعمة الى
نعمة ولا تضاعف لكم ما آتيتكم قيل شكر الموجد وصيد المفقود وقيل لئن شكرتم
بالطاعة لازيدنكم في الثواب وأصل الكسر تصور النعمة وظاهرها وحقيقتها الاعتراف
بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطئ النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهي ان
العبد اذا اشغل بمخالعة أقسام نعم الله عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه واحسانه اليه
اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد وبذلك تنبت كدحية العبد لله عز وجل
وهو مقام شريف ومقام أعلى منه وهو ان يشغل بحب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا
مقام الصديقين سأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدان من فضله وكرمه
واحسانه وانعامه وقوله (وائن كفرتم) المراد بالكفر هنا كفران النعمة وهو وجودها
لانه هذا كور في مقابل الشكر (ان عذابي لشديد) يعني ان كفرتم عنى ولا يشكرها
(وقال موسى ان تذكروا) يعني باني اسرائيل (انتم ومن في الارض جميعا) يعني
والناس كلهم جميعا فمما حضر ذلك يعود على انفسكم بحرماتها الخير كله (فان الله لغني)
يعني عن جميع خلقه (جيد) أي محمود في جميع افعاله لانه متفضل وعادل (المراتبكم بنا)
يعني خبر (الذين من قبلكم) قوم نوح وعاد وحمود قال بعض المفسرين يحتمل ان
يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم
بهلاك من تقدم من الامم ويحثهم ان يسلكوا خطاها من الله تعالى على لسان
موسى عليه الصلاة والسلام لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام يذكركم
بذلك امر القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة باحوال
من تقدموهوملاكمهم (والذين من بعدهم) يعني من بعدهم هؤلاء الامم الثلاثة
(لا يعاينهم الا الله) يعني لا يعلم كنهه مقاديرهم وعددهم الا الله لان علمه محيط

من كلام موسى لقومه او ابتداء من باب لاهل عصر محمد عليه السلام (والذين من بعدهم لا يعلم الا الله) جملة بكل
من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا وصدق الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من السكرة
يحييت لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابنا يعرفون وروى انه عليه السلام
قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون

جاءتهم ورسلمهم بالبينات) بالمحجرات (فردوا أيديهم في أفواههم) الضميران ٩٥ يعودان إلى الكفرة أي أخذوا أناملهم

بأسنانهم بجبا أو عضوا عليها
تعيظا أو الثاني يعود إلى الانبياء
أي رد القوم أيديهم في أفواه
الرسل كيلا يتكلموا بما أرسلوا
به) وقالوا أنا كفرنا بما أرسلتم
به وإننا في شك مما تدعوننا إليه
من الإيمان بالله والتوحيد
(مرتب) موقع في الريبة (قالت
رسلمهم أي الله شك) أدخلت
همزة الانكار على الظرف لأن
الكلام ليس في الشك إنما هو
في المشكوك فيه وأنه لا يستعمل
الشك لظهور الأدلة وهو جواب
قولهم وإننا في شك (فاطر
السموات والارض يدعوكم)
إلى الإيمان (ليغفر لكم من
ذنوبكم) إذا آمنتم ولم تجئ مع
من الأنبياء خطاب الكافرين
كثواب وآفة وأطيعون يغفر
لكم من ذنوبكم يا قوم مناجيوا
داعي الله وآمنوا به يغفر لكم
من ذنوبكم وقال في خطاب
المؤمنين هل أدلكم على تجارة
إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير
ذلك مما يعرف بالاستقراء
وكان ذلك للتفرقة بين
الخطابين وتلايوس بين
الفرس يقين في المعاد (و يؤخركم
إلى أجل مسمى) إلى وقت قد
سماهم بين مقداره (قالوا) أي
القوم (إن أنتم) ما أنتم (إلا
بشر مثلنا) الأفضل بيننا وبينكم
ولأفضل لكم علينا فمختصون
بالهبة دوننا (تريدون

بكل شيء إلا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الله أقوام
وأما ما بلغنا خبرهم أصلا ومنه قوله وقرروا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه
الآية يقول كذب المسابون يعني أنهم يدعون علم النسب إلى آدم وقد نفي الله علم ذلك
عن المباديع عن عبد الله بن عباس أنه قال بين إبراهيم وعبدان ثلاثون قرنا لا يعلمهم إلا
الله وكان مالك بن أنس يذكر أن ينسب الإنسان نفسه أبابا إلى آدم لأنه لا يعلم أوائل
الآباء إلا الله وقوله تعالى (جاءتهم رسلمهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات
والمحجرات المباهرات (فردوا أيديهم في أفواههم) وفي معنى الأيدي والأفواه قولان
أحدهما أن المراد بهم هاتان الحجرتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن
مسعود عضوا أيديهم غضا وقال ابن عباس لم اسمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا أيديهم
إلى أفواههم وقال مجاهد وقادة كذبوا الرسل وردوا ما جاء به يقال رددت قول فلان
في فيه أي كذبه وقال الكلبي يعني أن الأمر ردوا أيديهم إلى أفواه أنفسهم يعني أنهم
وضعوا أيديهم على الأفواه إشارة منهم إلى الرسل أن استكروا وقال مقاتل ردوا أيديهم
على أفواه الرسل يكتونهم بذلك وقيل إن الأمر لم اسمعوا كلام الرسل عجبوا وأمنه
وضحكوا على سبيل السخرية فمن ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما فعل الذي غلبه
الضحك القول الثاني أن المراد بالأيدي والأفواه غير المحجرتين ففيل المراد بالأيدي
الندم ومعناه ردوا ما أولوه بلوه لكن نعمة عليهم يقال فلان عندي يدأى نعمة والمراد
بالأفواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم وردوا أقولهم وقيل أنهم كفوا عن
قبول ما أمر وأبقوه من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رديده إلى فيه إذا مسك عن
الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لأنهم قد أجابوا بالتكذيب وهو أن الأمر ردوا على
رسلمهم (وقالوا أنا كفرنا بما أرسلتم به) يعني أنا كفرنا بما زعمتم أن الله أرسلكم به لأنهم
لم يقرروا بأنهم أرسلوا إليهم لأنهم لم يقرروا بأن الرسل أرسلوا إليهم لكنوا مؤمنين (وإننا
إني شكنا مما تدعوننا إليه رب) يعني بوجوب الريبة أو وقوع في الريبة والتمهة
والريبة قلق النفس وإن لا تضمن إلى الأمر الذي يشك فيه فإن قلت أنهم قالوا أولا أنا
كفرنا بما أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وإننا في شك والشك دون الكفر أو أدخل فيه
قلت أنهم لما صرحوا بكفرهم بالرسول فكأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا
إن لم ندع الجزم في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك (قالت رسلمهم)
يعني مجيبين لأهمهم (أي الله شك) يعني هل تشكون في الله وهو واستفهام انكاروه في لما
اعتقدوه (فاطر السموات والارض) يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات
والارض وخالق جميع ما فيها (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعني ليغفر لكم ذنوبكم إذا
آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل إنما أصل ليست بصلته وعلى هذا أنه يغفر لهم ما بينهم
وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد (و يؤخركم إلى أجل مسمى) يعني إلى
حين انتضاء أجالكم فلا يعاجلكم بالهذاب (قالوا) يعني الأمم مجيبين للرسول (إن أنتم)
يعني ما أنتم (الابشر مثلنا) يعني في الصورة الظاهرة لمثل ملائكة (تريدون

ان تصدوناعما كان بعد آباؤنا) يعني الاصنام (فأقنوا بسلطان مدين) بحجة بينة وقد حاطهم وسلمهم بالبنات وانما أرادوا بالسلطان المدين آية قد اقترحوها تعنتا ولجأجا (قالت لهم وسلمهم ان نحن الاشر منكم) تسلم لقولهم انهم بشر مثلهم (ولكن الله عين على من يشاء من عباده) بالايان والنبوة كما من علينا (وما كان لئسان تأتيكم سلطان الا باذن الله) جواب لقولهم فأقنوا بسلطان مدين والمعنى ٩٦ ان الايتان بالآية التي قد اقترحتهم وهاليس الينا ولا في استطاعتنا وانما هو

ان تصدوناعما كان بعد آباؤنا) يعني ما تريدون بقولكم هذا الاصدناعن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فأقنوا بسلطان مدين) يعني حجة بينة واضحة على حجة دعواكم (قالت لهم وسلمهم ان نحن الاشر منكم) يعني ان التكفرا لما قالوا الرسلهم ان اتهم الاشر منكم (قالت لهم وسلمهم بحججهم لهم) ان الامم كما قلتم ووصفتهم فيجن بشر مثلكم لا تنبذ ذلك (ولكن الله عين على من يشاء من عباده) يعني بالنبوة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وما كان لئسان تأتيكم سلطان الا باذن الله) يعني وليس لسمع ما حصى الله به من النبوة وشرفه من الرسالة ان تأتيكم بآية وبرهان وهجرة فتدل على صدقنا الا باذن الله لناسي ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني في دفع شرور وعدائهم عنهم (وما لنا ان لا نتوكل على الله) يعني ان الانبياء قالوا ايضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شيء الا بقضاء الله وقدره فحينئذ يتوكل عليه في دفع شروركم عنا (وقد هدانا سبلنا) يعني وقد عرفنا طريق النجاة بين لئال الرشيد (ولنضربن) اللام لام القسم تقديره والله لنضربن (على ما اذيعونا) يعني به من قول او فعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فان قلت كيف كرا الامم بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثاني فيه اشارة الى السعي في التثبت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين قوله تعالى (وقال الذين كفروا الرسلهم انخرجكم من ارضنا اولتعودن في ملتنا) يعني ليكون احد الامم من اخرجكم ايها الرسل من بلادنا وارضنا اما عودكم في ملتنا فان قلت هذا يوههم بظاهرها انهم كانوا على ملتهم في أول الامر حتى يعودوا في ملتهم اقلت معاذ الله ولكن العود هنا يعني الصيرورة وهو كثير في كلام العرب وفيه وجه آخر وهو ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف ائمتهم فلما ارسلوا اليهم اظهروا مخالفتهم ودعوتهم الى الله فقالوا لهم لتعودن في ملتنا ظاهرا منهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجماع الامة على ان الرسل من أول الامر انما نشؤوا على التوحيد لا يعرفون غيره (فاوحى اليهم ربهم) يعني ان الله تعالى اوحى الى رسله وانبياؤه بعددهم الخاطبات والحوارات (لكنكن الظالمين) يعني ان عاقبة امرهم الى الهلاك فلا تخافوهم (ولكنكنكم الارض من بعدهم) يعني من بعدهم (ذلك) يعني ذلك الاسكان (لن خاف مقامي) يعني خاف مقامي بين يدي يوم القيامه فاضاف قيام العبد

أمر يتعلق بثبوت الله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمرهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقد صدقوا به أنفسهم قصد أوليا كلهم قالوا ومن حتمنا أن نتوكل على الله في الصبر على معانديكم ومعادائكم واذا نكمت الأثرى الى قوله (وما لنا أن لا نتوكل على الله) معناه وى عذر لنا في ان لا نتوكل كل عليه (وقد هدانا سبلنا) وقد فعل بنا ما يجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهذا بكل مناسدله الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال ابو تراب التوكل طرح التيسر في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (ولنضربن على ما اذيعونا) جواب قسم مضمر أى حلفوا على الصبر على اذاهم وان لا يسكروا عن دعائهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أى فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا (وقال الذين كفروا الرسلهم) سبلنا لرسلهم أبو عمرو (انخرجكم من ارضنا) من

ديارنا (اولتعودن في ملتنا) أى ليكونن أحد الامم من اخرجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود يعني الصيرورة وهو كثير في كلام العرب أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فقلوا في الخطاب الجماع على الواحد (فاوحى اليهم ربهم) لكنكن الظالمين (القول مضمر) وأجرى الاجراء بحرى القول لانه ضرب منه (ولكنكنكم الارض من بعدهم) أى ارض الظالمين وديارهم في الحديث من اذى جاره ورثه الله داره (ذلك) الاهلاك (والاسكان أى ذلك الامر حتى) (لن خاف مقامي) موقفي وهو موقف الحساب أو المقام معكم أو خاف قيامي عليه بالعلم كقوله أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للثقلين

(وخاف وعيد) عذابي وبالياء يعقوب (واستحقوا) واستنصروا الله على ٩٧ أعدائهم وهو معطوف على أوحى إليهم

(وخاب كل جبار) وخسر كل متكبّر بطر (عنيد) مجانب للحق معناه ففصر واظفروا وأظفوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفخ الكفار على الرسل فنامهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفخه (من ورائه) من بين يديه (جهنم) وهذا وصف حاله وهو في الدنيا أنه مرصدهم فكأنهم بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حيث يبعث ويوقف (ويستقي) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يليق فيه ما يلي ويستقي (من ماء صديد) ما سيل من جلود أهل النار وصديد عطف بيان لما لانه منهم فينبى بقوله صديد (يتجرعه) يشربه جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساعة أي لم يقرب من رؤيته فكيف يرىها (ويأنيه الموت من كل مكان) أي أسباب الموت من كل جهة أومن كل مكان من جسده وهذا انقضيح لما يصبه من الآلام أي لو كان ثمة موت لكان كل واحد منهم مهلكا

إلى نفسه لأن العرب قد تصيف أفعالها إلى أنفسها كقولهم نذمت على ضربي أيالئ وقد نذمت على ضربك مثله (وخاف وعيد) أي وخاف عذابي قوله عز وجل (واستحقوا) يعني واستنصروا وقال ابن عباس يعني الامم وذلك أنهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فخذنا وقال مجاهد وقنادة واستفتح الرسل على أممهم وذلك أنهم لما أسوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعداب (وخاب) يعني وخسر وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار في صفة الانسان يقال لمن يجبر نفسه بأداء منزلة عالمة لا يستحقها وهو صفة ذم في حق الانسان وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه أحدا وقيل الجبار المنةظم في نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومخاذه فادعاه منزلة عالمة لا يستحقها المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذي يأتي أن يقول لا اله الا الله وقيل العنيد هو المحب بما عنده وقيل العنيد الذي يعاند ويتخالف (من ورائه جهنم) يعني هي أمامه وهو أثر الهمال قال أبو عبيدة هو من الأضداد يعني انه يقال رواءعني خافو يعني أمام وقال الاخفش هو كذا يقال هذا الامر من ورائك يعني انه سبأ أتيت (ويسقي) يعني في جهنم (من ماء صديد) وهو ما سال من المجدد والحمد من القبح جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما سيل من فروج الزناة سقاها الكافر وهو قوله (يتجرعه) أي يتخسأ ويشربه لاجرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لم يره وحارته وكرامته ونيته (ولا يكاد يسيغه) أي لا يقدر على ابتلاعه قال سماع الشراب في الحلق إذا سهل الخسأ رقيقه قال بعض المفسرين ان بكاد صلبة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت بكاد الغلبة يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساعة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه أي سيغه بعد ابتلاء لان العرب تقول ما كدت أقوم أي فبت بعد ابتلاء فعلى هذا كاد على أصلها وأليست صلبة وقال ابن عباس معناه لا يميزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ولا يسيغه في جوفه عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويستقي من ماء صديد يتجرعه قال يقرب في فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقع فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال وسنة واما جميعا فقطع أمعاءهم وقال وان يستعصموا بغاؤا عابها كالمهل يشوى الوجوه يفسر الشراب وساء ترقيقا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة رأسه أي جلده رأسه وانما شربه بالقرعة للشعر الذي عليها وقوله تعالى (ويأنيه الموت من كل مكان وما هو يميت) يعني ان الكافر يجد ألم الموت وشدة من كل مكان من أعضائه وقال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأنيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو يميت فيستريح وقال ابن جرير يعلق نفسه عند خنجرته فلا يخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فيمنعه الحماة (ومن ورائه) يعني أمامه (عذاب غليظ) أي شديد قليل هو المحلود في النار قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد

١٣ ن ث (وما هو يميت) لانه لومات لا سترأح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا شديدا قبله وأغلاظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحدها في الاجساد (مثل الذين) مبتدأ محذوف الخبر أي فيمات على مثل الذين (كفروا بربهم) والمثل مستعار لصفة التي فيها غرابة وقوله (أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقل أعمالهم كرماد

(اشتدت به الريح) الرياح مدني
 وأعمال الكفرة المكارم التي
 كانت لهم من صلاة الارحام
 وعق الرقاب وفداء الاسرى
 وعقر الابل للاضياف وغير ذلك
 شيها في حبوطها لبنائها على
 غير أساس وهو الايمان بالله تعالى
 برما د طيرته الريح العاصف
 (لا يقدر) يوم القيامة (عما
 كسبوا) من أعمالهم (على شيء)
 أي لا يروون له أثر من ثواب كمال
 يقدره من الرماذ المطير في الريح
 على شيء (ذلك هو الضلال
 البعيد) اشارة الى بعد ضلالهم
 عن طريق الحق أو عن الثواب
 (المتر) ألم تعلم الحطاب لكل
 أحد (أن الله خلق السموات
 والارض) خالق مضافا حرة
 وعلى (بالحق) بالحكمة والامر
 العظيم ولم يخلقها عبثا (ان يشأ)
 بذهابكم ويات خلق جديد
 هو قادر على أن يعدم الناس
 ويخلق مكانهم خلقا آخر
 شكاهم أو على خلاف شكاهم
 اعتلا ما به قادر على اعدام
 الموجود وابتداء المعدم (وما
 ذلك على الله بعزيز) بمتعذر
 (وبرزوا لله جميعا) ويرفون
 يوم القيامة واعجابي به بانظ
 الماضي لان ما أخبر به عز وجل
 لصدقه كأنه قد كان ووجد
 ونحوه ونادى أصحاب الجنة
 ونادى أصحاب النار وغير ذلك
 ومعنى برزهم لله والله تعالى
 لا يتوارى عنه شيء حتى يبرزه

91 (في يوم عاصف) جعل العصف اليوم وهو اسفاه وهو الريح كقولك يوم ماطر

اشتدت به الريح في يوم عاصف) هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ مخذوف
 الخبر عنديسبويه تقديره فيما نقص أو فمات على عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار
 للقصة التي فيها غرابه وقوله أعمالهم كرمادجمله مستأنف على تقدير سؤال سائل يقول
 كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون والفرامثل أعمال الذين كفروا
 برهم فحذف المضاف اعتمادا على ما ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى
 صفة الذين كفروا برهم أعمالهم كرماد كقولك في صفة زيد عرصه مصون وماله مبذول
 والرماد معروف وهو ما يسقط من الخطب والعصم بعد آخر أقوالنا اشارة الى الريح
 يعني فسقطت وطيرته ولم تبق منه شيء في يوم عاصف وصف اليوم بالعاصف والعصوف
 من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم ماطر ودحار ولبلة ماطر لان البرد والحار
 والمطر توجد فيهما وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها
 وهذا مثل ضرب به الله تعالى لأعمال الكفار التي لم تنفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل
 وبين هذه الاعمال هو أن الريح العاصف تطير الرماذ وتذهب به وتفرق أجزاء بحيث
 لا يبقى منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى
 منها شيء ثم اختلفت في هذه الاعمال ما هي قيل هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر
 كالصدقة وصلة الارحام وفل الاسير وقرى الضيف ووالدين ونحو ذلك من أعمال
 البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت أعمالا بارئتها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب
 كفره لان كفره أحبها وأبطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الانصنام التي ظنوا
 انها تنفعهم فبطلت وحطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسارهم انهم اتبعوا أبدانهم في
 الدهر الضويل لكي ينفعوا بها فصار تبطل وبالاعمالهم وقيل أراد بالاعمال الاعمال التي
 عملوها في الدنيا وأشر كوافيها غير الله فإنها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته
 الرياح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى (لا يقدر) مما كسبوا) يعني في الدنيا (على
 شيء) يعني من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يحدون ثواب أعمالهم في الآخرة (ذلك هو
 الضلال البعيد) يعني ذلك الخسران الكبير لان أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها
 والبعيد هنا الذي لا يرجى عوده (الم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق) يعني لم
 يخلقها ما بطلا ولا عبثا وإنما خلقها لما لا عظيم وغرض صحيح (ان يشأ يذهبكم) يعني أيها
 الناس (ويات خلق جديد) يعني سواكم أطوع الله منكم والمعنى ان الذي قدر على خلق
 السموات والارض قادر على افناء قوم وأما تهم وإيجاد خلق آخر سواهم لان القادر لا
 يضعف عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد منك بما عسرا الكفار ويخلق قوما غيركم
 خير منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعني بمتنع لان الاشياء كلها سهلة على
 الله وان جلت وعظمت قوله عز وجل (وبرزوا لله جميعا) يعني وخرجوا من قبورهم الى
 الله ليحاسبهم ويحازيهم على قدر أعمالهم والبراز القضاء وبرز جل في البراز وذلك أن
 يتبرز داته كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى القضاء وأورد بلفظ الماضي

وان أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الوالحش و يظنون أن ذلك خاف على الله فاذا كان يوم
 القيامة انكشفوا لله عند أنفهم وعلموا ان الله لا تخفى عليه خافية أخر جوام قبورهم ببرزوا للحساب الله وحكمه

(فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفة والاتباع وكتب الضعفاء بأوقيل الهمة على لفظ من يفهم الألف قبل الهمة فيميلها إلى الواو (الذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استعزوا بهم وصودهم عن الاستماع إلى الأبداء واتباعهم (انا كمالكم تبعاً) تابعين جمع تابع على تبع كنادم وخدم وغيب أو ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعاً (فهل أنتم مغنون عن عذاب الله من شيء) فهل تقدرون على دفع شيء مما نحن فيه ٩٩ ومن الأولى للتيين والثانية للتبعين كانه

قيل فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله أوهما للتبعين أي فهل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توبيتهم وعتابنا على استعزائهم لانهم علموا انهم لا يتقدرون على الاغناء عنهم (قالوا) لهم يحيين معتدين (لوهذا انا الله لهدينا كم) أي لوهذا انا الله إلى الايمان في الدنيا لهدينا كم إليه أي لوهذا انا الله طريق النجاة من العذاب لهدينا كم أي لا غشاً عنكم وسلكناكم بطريق النجاة كما سلكناكم طريق الهداية (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وتوأم للتسوية روى أنهم يقولون في النار تعالوا أجزع فيجزعون خسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيجزعون خسمائة تعالوا انصبر فيصبرون خسمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا واتصاه بما قبله من حيث ان عتابهم لم كان جزعاً عما هم

وان كان معناه الاستقبال لان كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كانه قد حصل ودخل في الوجود (فقال الضعفاء) يعني الاتباع (الذين استكبروا) وهم القادة والرؤساء (انا كمالكم تبعاً) يعني في الدين والاعتقاد (فهل أنتم) يعني في هذا اليوم (مغنون عنا) يعني دافعون عنا (من عذاب الله من شيء) من هذا للتبعين والمعنى هل تقدرون على أن تدفعوا عن بعض عذاب الله الذي حصل بنا (قالوا) يعني الرؤساء والقادة والمتبعون لثابتين (لوهذا انا الله لهدينا كم) يعني لو أريدنا الله لا رشدينا كم ودعونا كم إلى الهدى ولكن لما أضلنا دعونا كم إلى الضلالة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) يعني مستويان علينا الجزع والصبر والجزع أن يبلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو يصدده ويطغيه عنه (مالئنا من محيص) يعني من مهرب ولا حاجة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا أجزع فيجزعون خسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيجزعون خسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي بلغني أن أهل النار يستغيثون بالحزنة كقَالَ الله وقال الذين في النار خزيتم عنهم ادعوا ربكم يخفف عنا يومئذ العذاب فردت الحزنة عليهم وقالوا ألم تكتبنا يكرسلكم بالبنات قالوا بل فردت الحزنة وقالوا ادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال فلما عند الحزنة نادوا يا مالئكم ليعض عليا ربك سألو الموت فلا يجيبهم ثم ان سئنة والسنة ثلثمائة وستون يوماً واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ما تكون فلما سئو ما عند قال بعضهم لبعض تعالوا فنصبر كما صبر أهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصرروا وطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص قوله تعالى (وقال الشيطان) يعني ابليس (ما قضى الامر) يعني لما فرغ منه وادخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بأخذ أهل النار في يوم ابليس وتتربعه وتوبخه فيقوم فيها خطيباً قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع عليه أهل النار فيلومونه فيقول لهم ما أخبر الله عنه بقوله (ان الله وعدهم كذبت الحن) فيسخرهم منكم في وعدهم (ووعدهم كذبت الحن) يعني الوعد وقيل يقول لهم اني قلت لكم لا بعث ولا جنه ولا نار (وما كن لي عليكم من سلطان) يعني من ولاية وقهر وقيل لم آتكم

فيه فبالوهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم واياهم واجتماعهم في عتاب الضلالة التي كانوا يجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والافتاد في الجزع كالأفاد في الصبر (مالئنا من محيص) مني ومهرب بجزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعاً (وقال الشيطان لما قضى الامر) حكى بالجنة والنار لاهلها وفرغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وروى ان الشيطان قوم عند ذلك خطيباً على منبر من نار فيقول لاهل النار (ان الله وعدهم كذبت الحن) وهو البعث والجزع على الاعمال وفي ذلك ما وعدكم (وما كن لي عليكم من سلطان) (ان لا بعث ولا جنه ولا جزع) فاختلعتكم كذبتمكم (وما كن لي عليكم من سلطان) من تسلطه واقتدار

(١) الآن دعوكم لكي تدعواكم إلى الضلالة وتوسّسوا وترينوني والاسئنة أن تعطى لأن الدعا ليس من جنس السلطان (فاستجب لي) فأمر عثم إجابتي (فلما لم يوفى) لأن من تحرر للعبد أو لآيلام إذا دعا إلى أمر قبيح مع أن الرحمن قد قال لكم لا يفتنكم الشيطان كما حرج أبو بكر من الجنة (ولموا أنفسكم) حيث اتبعتموني بلا حجة ولا بهان وقول المعتزلة هذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة ١٠٠ أو السعادة وتحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكن ولا من الشيطان

الا الذين بين باطل الله وله
 هداية الله أى الى الايمان
 هديناكم كما (ما أنابكم خدكم
 وما أنعم بكم على) لا ينهى بعضنا
 بعضنا من عذاب الله ولا يغنيه
 والاصراخ الاعانة بمصر حتى
 حزمة ابعا للشاة غيره بفتح الاء
 للالتحتمع الكسرة والياء أن
 بعد كسرتين وهو جمع مصرخ
 فالياء الاولى ياء الجمع والثانية
 ضمير المتكلم (انى كذرت بما
 اشر كنون) والياء مصرى وما
 مصدرية (من قبل) متعلق
 بامر كمنون أى كذرت اليوم
 بأمر اكمنامى مع الله من قبل
 هذا اليوم أى فى الدنيا كقوله
 ويوم القيامة يكسرون بشركم
 ومعنى كذرو بأمر اكمنامى يبرؤه
 منهم واسئلكم كقوله انار آء
 منكهم وما يعبدون من دون
 الله كمنناكم ومن قبل متعلق
 بكفرت وما هو وصوله أى كذرت
 من قبل حين ايت السجود
 لا آدم بالذى اشر كنونيه وهو
 الله عز وجل تقول اشر كن
 فلان اى جعلنى لشرى كما
 ومعنى اشر اكهم الشيطان

(كلمة طيبة) نصب بمضمر أي جعل - كلمة طيبة (كشيرة طيبة) وهو تفسير لقوله ١٠١ ضرب الله مثلا لنحو شرف الامير

زيدا كساة حلة وجعله على فرس
أو اتصبا مثلا وكلمة ضرب أي
ضرب كلمة طيبة مثلا يعني
جعلها مثلا ثم قال كشيرة طيبة
على انه خبر مبتدأ محذوف أي
هي كشيرة طيبة (أصلها ثابت)
أي في الارض ضارب بعروقه
فيها (وفرعها) واعلاها
ورأسها (في السماء) والكلمة
الطيبة كلمة التوحيد أصلها
تصدق بالحنان وفرعها أقرار
بالسان وأكلها على الاركان
وكان الشجرة شجرة وان لم
تكن حاملا لمؤمن مؤمن
وان لم يكن عاملا ولا كن
الاشجار لا تزداد الا لما رافا
أقوات النار الامن الانحمار
إذا اعتادت الانحمار في عهد
الاشجار والشجرة كل شجرة
مثمرة طيبة الثمار كالنخلة
وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور
على انها النخلة فعن ابن عريان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ذات يوم ان الله تعالى
ضرب مثل المؤمن شجرة
فأخبروني ما هي فوقع الناس
في شجر البوادي وكنتم صبا
فوقع في قلبي انها النخلة فبنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان أقولها وأنا صغر القوم
فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الانها النخلة فقال عمر
يا بني لو كنت قلتها ساكنت
أحب الي من جـ رالنم (توتى
أكلها كل حين) تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لا شمارها (بأن زهرها) بتيسير خالقها وتسكينة

يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم تر ايها الانسان كيف ضرب الله
مثلا يعني بين شها والمثل عبارة عن قول في شيء يشبهه قولنا في شيء آخر بينهما مشابة لثبتي
أحدهما من الآخر يتصور وقيل هو قول سائر لثبتي شيء بشئ آخر (كلمة طيبة) هي
قول لا اله الا الله في قول ابن عباس وجها للمفسرين (كشيرة طيبة) يعني كشيرة طيبة
الثمار قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وأبو إسحق وجها وعكرمة والنخلة (ق)
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبروني
عن شجرة يشبه الرجل أوفال كالجمل المسلم لا يفتات ورقها تؤتي أكلها كل حين قال ابن عمر
فوقع في نفسي انها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان أتسكلم فلما لم يقولوا
شيأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة قال فلما قلت لعمر يا أبا عبد الله الله لقد
كان وقع في نفسي انها النخلة فقال ما من عبد ان تسكلم فقلت لم أرك تسكلمون فكرهت
ان أتسكلم أو أقول شيأ فقال عمر لأن تكون قلبها أحب الي من كذا وكذا وفي رواية ان من
الشجر شجرة فلا يسقط ورقها وانها مثل المسلم خدث في ما هي فوقع الناس في شجر البوادي
قال عبد الله بن عمر ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت ان أتسكلم ثم قالوا حد لنا ما هي
يا رسول الله قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس انها شجرة في الجنة وفي رواية أخرى
عنه انها المؤمن وفوا (أصلها ثابت) يعني في الارض (وفرعها) يعني اعلاها (في
السماء) يعني ذاهية في السماء (توتى أكلها) يعني ثمرها (كل حين بآن زهرها) يعني بامر
ربها والحنن في اللغة انوقت طلق على التبدل والتكبر واختله وفي مقداره ما نفقه
مجاهد وعكرمة الحين هسانه كاملة لان النخلة تثمر في كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن
جبهر وقتادة الحسن ستة أشهر يعني من وقت طلوعها الى حين صراها هو وروى ذلك عن
ابن عباس أيضا قال علي بن أبي طالب ثمانية أشهر يعني ان مدة جلها باطنا وظاهرا
ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهور جلها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب
شهران يعني من وقت ان يؤكل منها الى صراها وقال الربيع بن أنس كل حين يعني غدوة
وعشية لان ثمر النخل يؤكل أبدأ لا ينهار او صيفا وشتاء فيؤكل منها التجار والضعاف والبلج
والجمل والسر والمصنف والربط وبعد ذلك يؤكل الثمر الأساس الى حين الطرى
الربط فأكفها إذا ثم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي
هي كلمة الاخلاص وأصل الايمان بالنخلة حاصل من أوجه أحدها ان كلمة الاخلاص
شديدة الثبوت في قلب المؤمن كتبت أصل النخلة في الارض الوجه الثاني ان هذه
الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الحكم الطيب والعمل
الصالح برفعهم وكذلك فرع النخلة الذي هو عال في السماء الوجه الثالث ان ثمر النخلة ياتي
في كل حين ووقت وكذلك ما يسببه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين
ببر كتهذه الكلمة فالمؤمن كما قال لاله الا الله صعدت الى السماء وجاءته بركتها ونواها
وخبرها ومنفعتا الوجه الرابع ان النخلة شجرة بالانسان في غالب الامر لانها خلقت
من فضلة طينة آدم وانها اذا قطعت رأسها تموت كالآدمي بخلاف سائر اشجاره فانها اذا قطعت
رأسها وانما لا تموت حتى تبلغ الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل

(وضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) ١٠٢ لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للعاني

الايان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة اشياء عرق راسخ
واصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة اشياء تصديق بالقلب وقول
باللسان وعمل بالابدان وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون) يعني ان في ضرب الامثال زيادة في افهام وتصوير للعاني وتذكير وواعظ
لمن تذكروا تعظ وقوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك (كشجرة خبيثة)
يعني الخنضل قاله انس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوف وعنه
أيضا انها التوم وعنه أيضا انها الكافر لانه لا يقبل عليه فليس له أصل ثابت ولا يصعد
الى السماء (اجتث) يعني استوقط وقطعت (من فوق الارض لما لم يقرار) يعني ما
لهذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها أصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى
السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول ملتبس ولا عمل صالح ولا اعتقاده أصل
ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن انس قال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقنع عليه رطب فقل مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في
السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها قال هي الخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة
اجتث من فوق الارض ما لم يقرار قال هي الخنضلة أخرجه الترمذي مر فوجا
وموقوف وقال الموقوف اصح قوله سبحانه وتعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت) لما وصف الله الحكمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر في هذه الآية بانه ثبت
الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هي الحكمة الطيبة وهي شهادة ان لا اله الا
الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الحكمة الخبيثة في الآية المتقدمة بكلمة الشرك
قال في هذه الآية وتفضل الله الظالمين يعني بالحكمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول
جميع المفسرين وقوله (في الحيوة الدنيا) يعني في القبر عند السؤال (وفي الآخرة) يعني
يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ما روي عن البراء
عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في
الحياة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول رب
الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وان له سبع مائة عالم
اذا انصرفوا اناءه ما كان فيه من اذنه ولا ناله ما كتبت تقول في هذا الرجل محمد فاما
الؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار ابدلك الله به
مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جاعلا مقعدا كذا انما يشجع
في قبره ثم يرجع الى حديث انس وأما المنافق وفي رواية وما الكافر فيقول لا أدري كنت
اقول ما يقول الناس فيه فيقال لا أدري ولا نيت ثم يضرب بصرقه من حديد فترى
بين اذنيه فيصيح صيحة يهجمان بلبه الا ان الله ليقبض لفة البخاري ومسلم عند زاذي رواية
انه فيصيح في قبره سبعون ذوا عا ولا يشاء خضر الى يوم يبعثون واخرجه ابو داود

(ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة
الكفر (كشجرة خبيثة) هي
كل شجرة لا يثبت ثمرها وفي
الحديث انها شجرة الخنضل
(اجتث من فوق الارض)
استوقطت جذعها وحققتها
الاجتثاث أخذ الخنضل كلها
وهو في مقابلتها اصلها ثابت
(ما لم يقرار) أي استقرار
يقال قرأني قرأرا كقولك
ثبت ثباتا شبه بها القول الذي
لم يعضد بجهة فهو داحض غير
ثابت (يثبت الله الذين آمنوا)
أي يديمهم عليه (بالقول
الثابت) هو قول لا اله الا الله
محمد رسول الله (في الحيوة الدنيا)
حتى اذا فتوا في دينهم لم يزلوا
يثبت الذين فتنهم أصحاب
الاخذود وغير ذلك (وفي
الآخرة) أي بعد رمي أن المراد
به في القبر يتلقين الجواب
وتسكين الصواب فعن البراء
أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم تعاد روحه في جسده
ثباته ما كان في طيبته في
قبره فيقولان له من ربك وما
دينك ومن نبيك فيقول رب
الله ونبي الإسلام ونبي محمد
صلى الله عليه وسلم فينادي
سناد من السماء أن صدق
عبيدي فذلك قوله ثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت ثم
يقول الملائكة عشت سعيدا
ومت سعيدا ثم يوم العروس

[illegible]

تعاذ فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لأخيك وأسألو الله التثبيت فإنه الآن يسئل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن نامة المهري قال حضرنا نعروا من العاص وهو في سباق الموت فبكى بكاء طويلاً وحول وجهه إلى الجدار وجعل ابنه يقول ما يبكيك يا أبا ثناء أما بشرتك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال إن أفضل ما بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فإذا أنامت فلا تحببني نائحة ولا ناراً فإذا فتمتوني فشنوا على التراب شنأتم أفعوا وحول قبري قد مرما تنخر جزور ويقتسم مني سحاحي أسأت أس بك وأظن ما ذا أراجع به وتسل ربي أخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو أن الله تعالى إذا ثبتهم في القبر بسبب كثرة واطاعتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا وجعلهم لها من كانت مواظبتهم على شهادة الإخلاص أكثر كان رسوخها في قلبه أعظم فينبغي للعبد المسلم أن يذكر من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقضته وجميع حركاته وسكناته فاعل الله عز وجل أن يرزقه ببركته ومواظبته على شهادة الإخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب المالكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه وإحسانه أنه على كل شيء قدير وقوله تعالى (و يضل الله الضالين) يعني أن الله تعالى لا يهدي المشركين إلى الجواب بالحق في القبر (و يفعل الله ما يشاء) يعني من التوفيق والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه في جميع أفعاله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قوله عز وجل (الم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرًا) (خ) عن ابن عباس في قوله الم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرًا قال هم كفار مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم (وأحلوا قومهم دار البوار) قال النار يوم بدر وعن علي رضي الله عنه قال هم كفار قريش بخروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تخران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فقد كفتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فقد منعوا إلى حين فقوله بدلوا نعمة الله كفرًا معناه أن الله تعالى لما أعمى علي رضي الله عنه محمد صلى الله عليه وسلم فأسله إليهم وأنزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان اختاروا الكفر على الإيمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز أن يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرًا لأنهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أتوا بالكفر فكأنهم غيروا الشكر وبدلوا الكفر وأحلوا قومهم يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني دار الهلاك ثم فسره بقوله تعالى (جهنم يصلونها وبئس القرار) يعني المستقر (وجعلوا الله أنداداً) يعني أمثالاً وأشباهها من الأصنام وليس لله تعالى ند ولا شبيه ولا مثل تعالى الله عن الند والشبه والمثيل علواً كبيراً (ليصلوا عن سبيله) يعني ليصلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تمتعوا) أي قل يا محمد لله ولا الكفار تمتعوا في الدنيا أياماً قليلاً (فان مصيركم إلى النار) يعني في الآخرة قوله تعالى

(ويضل الله الضالين) فلا شتمهم على القول الثابت في مواقف المتن وتزل أقدامهم أفل شئ وهم في الآخرة أضل وأزل (و يفعل الله ما يشاء) فلا اعتراض عليه في تثبيت المؤمنين واضلال الضالين (الم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله) أي شكر نعمة الله (كفرًا) لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرًا فكانهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه بكفرهم عن الكفر وكفرهم بمحمد عليه السلام فكفروا بنعمة الله بدل ما رزقهم من الشكر (وأحلوا قومهم) الذين تابعوهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك (جهنم) عطف بيان (يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) وبئس المقر (وجعلوا لله أنداداً) أمثالاً في العبادة أو في التسمية (ليصلوا عن سبيله) ورفعت الباء مكى وأوعرو (قل تمتعوا في الدنيا والمراد به الخذلان والتخليّة وقال ذو النون التمتع إن يقضى العبد ما استطاع من شهوته (فان مصيركم إلى النار) مرجعكم إليها

(قل لعبادي الذين آمنوا) خضعهم بالاضافة اليه ثم يفاد يسكون اليا عاشى ١٠٥ وجزرة على والاعشى (يقموا الصلوة

وبنفقوا ما رزقناهم) المقول
محذوف لان قل يقتضى مقولا
وهو اقموا وتقديره قل لهم
اقموا الصلوة وانفقوا بقموا
الصلوة وبنفقوا وقيل انه امر
وهو المقول والتقدير لقموا
وبنفقوا وحذف اللام لدلالة قل
عاشه ولوقيل بقموا الصلوة
وبنفقوا ابتداء بحذف اللام لم
يجز (سرا وعلانية) انتصبا على
الحال أى ذوى سرا وعلانية
يعنى سرين ومعلنين أو على
الظرف أى وقى سرا وعلانية
أو على المصدر أى انفاق سرا
وانفاق علانية والمعنى اخفاء
الظهور واعلان الواجب (من
قبل ان يأتى يوم لا يبيع فيه ولا
خلال) أى لا انتفاع فيه عياجة
ولا خيالة والخلال الخالو واغا
يقع فيه بالانتفاع لوجه الله
بنفقهم أى وبصرى والياقون
بالرفع والتثنية (الله) مبتدأ
(الذى خلق السموات والارض)

(قل لعبادي الذين آمنوا بسموا) يعنى اقموا أو ليقموا الصلوة الواجبة
واقامتها انما أركانها (وبنفقوا ما رزقناهم) قيل أراد بهذا الانفاق اخراج الزكاة الواجبة
وقيل أراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير والبر وجهه على العموم أولى ليدخل فيه
اخراج الزكاة والانفاق في جميع وجوه البر (سرا وعلانية) يعنى بنفقون أموالهم في حال السر
وحال العلانية وقيل أراد بالسرا صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة (من
قبل ان يأتى يوم لا يبيع فيه) قال أبو عبد الله البيع هنا الفداء يعنى لا فداء في ذلك اليوم
(ولا خلل) يعنى ولا خلة وهى المودة والصادقة التى تكون مخاللة بين اثنين وقال مقاتل
انما هو يوم لا يبيع فيه ولا شراء ولا خيالة ولا قرابة انما هى الاعمال امان يشابهها أو
يعاقب عليها فان قلت كيف نفي الخلة في هذه الآية فهو فى الآية التى في سورة البقرة وأثبتها
في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلت الآية الدالة على نفي الخلة محمولة
على نفي الخلة المحالة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة
وثبوتها محمولة على الخلة المحالة بسبب محبة الله ألا تراه أثبتها للمتقين فقط ونفاها عن
غيرهم وقيل ان ليوم القيامة أحوالا مختلفة ففي بعضها يستعمل كل خليل عن خليله وفي
بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك الخلة لله في محبة قوله
عز وجل (الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات
رزقا لكم) أعلم انه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة ونذكر هنا بعض فوائد هذه
الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذى لا يجزئه شئ أراد به فقوله تعالى الله
الذى خلق السموات والارض انما يذنب خلق السموات والارض لانهم اعظم
المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء
يعنى من السحاب سقى السحاب سماء لا ارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان
المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فأخرج به أى بذلك الماء من
الثمرات رزقا لكم والمراسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا دليل
قوله كلا ومن ثمرة اذا أنثروا ثوابه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أى أخرج
به رزقا لهم الثمرات (وسخر لكم الفلك لتجربى في البحر بامره) لما ذكر الله سبحانه وتعالى
انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بسخر
السفن البحار يعنى على الماء لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذى هو الثمرات وغيرها
من بلد الى بلد آخر فهى من نعم الله على عباده وسخر لكم الانهار) يعنى ذللها لكم
تجربونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا ينفع به سقى الزرع والثمرات ولا في الشراب
أيضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتغيير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من
من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الدأب العادة المستمرة
دائما على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر
يجريان دائما قديما يودى الى مصالح العباد لا يقران الى الخلل وهو انتفاء عن الدنيا
وذهابها قال ابن عباس دأبها طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدأبان في طاعة

في سيرهما وانارتها ودرعها الظلمات واحلاهما ما يصلحان من الارض والابدان والانباء

(وسخر لكم الليل والنهار) بتعاقب ان ١٠٦ خلقه ليعاشكم ويسببكم (وأتاكم من كل مأساة تموه) من التبعض أى آتاكم

الله أى فى مسيرهما وتأثيرهما فى إزالة الظلمة واصلح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والشمس سلطان الليل وبه يعرف اقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانما الله على عباده وتسخيرهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعنى بتعاقب ان فى الضياء والظلمة والعقبات والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيرهم (وأتاكم من كل مأساة تموه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التى أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمزايا ما لا يأتى على بعضها العدد والحسرو والمعنى وأتاكم من كل مأساة تموه شأنا تخفف شأنا كقضاء دالة الكلام على التبعض وقيل هو على التكثير يعنى وأتاكم من كل شئ سأتتموه وما لم تسألوه لان نعمه علينا أكثر من أن تحصى (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) يعنى ان نعم الله كثيرة على عباده فلا تعدوا أحد على حصصها ولا عدوها لكثرة (ان الانسان) قال ابن عباس يريد أباهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (ظلمون كفار) يعنى ظلمون لنفسه كفار بنعمته وقيل الظلمون الشاكرين من أنعم الله عليهم فضع الشكر فى غير موضعه كفار بخود نعم الله عليهم وقيل ظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لما وقيل ظلمون فى الشدة يشكرو ويخرج كفار فى النعمة يجمع ويمنع قوله سبحانه وتعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلدا آمنا) يعنى ذا أمن يؤمن فيه وأراد بالبلد مكة فان قلت أى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلدا آمنا قلت الفرق بينهما انه سأل فى الأول أن يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها فيها ولا يخافون وسأل فى الثانى أن يخرج هذا البلدا من صفته كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) يعنى أبعدني وبني أن نعبد الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهى من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ربه أن يجعل مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها الوجه الثانى ان الانبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام واذ كان كذلك فالقائمة فى قوله واجنبني عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه أيضا أن يجنب بنيته عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيته عبد الاصنام مثل كفار قرش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم عليه السلام قلت الجواب عن الوجه المذكور من وجوه فالجواب عن الوجه الأول من وجهين أحدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بها الدعاء و اراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بتجدد الله ولم يتقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد فى الصحيح عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجرب الكعبة ذوالسويقتين من الخشية أخرجاه فى الصحيحين وأجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلدا آمنا يعنى الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقعة ذى السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثانى أن يكون المراد اجعل أهل

بعض جميع مأسآئهم او وأتاكم من كل شئ سأتتموه وما لم تسألوه فما موصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سراييل تقيمكم الحرم من كل عن أى عمرو ومأسآئهم نفى ومحله نصب على الحال أى آتاكم من جميع ذلك غير سألوه او ما موصولة أى وأتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) لا تطبقوا عددها وبلغ آخرها هذا اذا أرادوا ان يعدوها على الاحمال واما التفصيل فلا يعلمه الا الله (ان الانسان لظالم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لما اوظفون فى الشدة يشكرو ويخرج كفار فى النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار والظلم والكفران من يوجدان منه (واذ قال ابراهيم) واذ ذكر اذ قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلدا آمنا) أى البلد الحرام (آمنا) ذا أمن والفرق بين هذو وبين ما فى البقرة انه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها وفى الثانى ان يخرجهم من صفته الخوف الى الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني) وبعدي أى شيتي وادمنى على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين للشاى بتعاقب على الاسلام (وبني) اراد بنيته من صلبه (أن نعبد الاصنام) من ان نعبد الاصنام هذا

هذا

هذا البلد آمين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد
اختص أهل مكة بزادة الامن في بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخلف
الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ إلى مكة آمن على نفسه
وماله من ذلك وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت
الحرم أمعت واستأنست لعلها أنه لا يبيحها أحد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل
بحمد الله عظمة وحرمة وأما الجواب عن الوجه الثاني فن وجوه أيضا الوجه الأول ان دعاء
ابراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العزمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه
الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة
الاصنام الا أنه دعاه بهذا الدعاء فعلى النفس وانظار الحجز والحاجة والفاقة الى فضل
الله تعالى ورجته وان أحدا لا يقدر على نفع نفسه بشئ لم يشفعه الله به فهذا السبب دعا
لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاء ولبنه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من
وجوه الاول ان ابراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم بعد أحد منهم صنما ط الوجه الثاني انه
أراد اولاده واولاد اولاده الموجدون حالة الدعاء ولا شك ان ابراهيم عليه السلام قد
أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدى دعاهم ان الله أن يدعو له فكانه قال وبنى
الذين أذن لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من بنيه من عبد الصنم
فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام بخصوص الوجه الرابع ان هذا يختص
بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال في آخر الآية فن تبعني فانه منى وذلك يفيد ان
من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم برأيه وأسرا تركناه وقوله تعالى (رب انهن)
يعنى الام نام (أضلان كثير من الناس) وهذا محال لان الاصنام جادات وحجارة لا تعقل
شأ حتى تضل من عبدها الا أنه لما حصل الاضلال بعبادتها اضيف اليها كما تقول فنتهم
الدنيا وغرتهم والحاقة نواها واعترا بسببها (فن تبعني فانه منى) يعنى فن تبعني على
ديني واعتقادي فانه منى يعنى المتدينين بديني المتسكين بحبلى كما قال الشاعر

اذا حاولت في أسد جورا * فاني لست مثلك ولست منى

أودا ولست من المتسكين بحبلى وقيل معناه فانه منى حكمه حكمى جار مجرأى في القرب
والاختصاص (ومن عصاني) يعنى في غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدى ومن
عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فانك غفور
رحيم وشرح أبو بكر بن الابارى هذا فقال ومن عصاني فخالفني في بعض الشرائع وعقائد
التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت ان تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكروا وجهين آخرين
أحداهما ان هذا كان قبل ان يعلم الله أنه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهو يقول
ان ذلك غير محذور فلما عرف أنهم غير مغفور لهم ما تبرا منهم والوجه الاخر ومن عصاني
باقامة على الكفر فانك غفور رحيم يعنى انك قادر على أن تغفر له وترجه بأن تنقله من
الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب قوله عز وجل اخبارا عن ابراهيم
(ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) (نح) عن ابن عباس قال

(وب انهن أضلان كثير من
الناس) جعلن مضلات على
طريق التسيب لان الناس
ضلوا بسببهم فكأنهم أضللتهم
(فن تبعني) على متى وكان
حنيفاً مسلماً مثلى (فانه منى) أى
هو بعض لقرط اختصاصه فى
(ومن عصاني) فيما دون الشرك
(فانك غفور رحيم) أو ومن
عصاني عصيان شرك فانك
غفور رحيم ان تاب وآمن (ربنا
انى أسكنت من ذريتي) بعض
أولادى وهم اسمعيل ومن ولد
منه (بواد) هو وادى مكة (غير
ذى زرع) لا يكون فيه شئ من
زرع قط (عند بيتك المحرم) هو
بيت اللهسمى به لان الله تعالى
حرم التحرض له والتهاون به
وجعل ما حوله حرماً لمكانه وأولاده
لم يزل منعاً يباه به كل جبار وأولاده
محترمون عظيم المكرمة لا يجل
اتهاكه أولاده محرم على
الطوفان أى منع منه كما سعى
عتية لانه أعققت منه

أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقة لتعفى أثرها على سائر ثم جاء
 بها ابراهيم وبانها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زرع
 في أعلى المنجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهما ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما
 جراب فيه تمر فسقا فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطقة فتيته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين
 تذهب وتركناهما هذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك ثم اراو جعل
 لا يلفتم اليها فقالت آلهة أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا تضعينا ثم رجعت فاطلق
 ابراهيم فدعا هذه الدعوات فرفع يديه فقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع
 حتى يلعبوا بكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشر من ذلك الماء حتى اذا نفذ
 ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر ايمه يتسلى أو قال يتلبط فانطلقت
 كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا قرب جبل فى الارض يلها فقامت عليه ثم
 استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادى
 رثت مارق درعها ثم سعت سعى الانسان المجهد حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة
 فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس
 قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذا سعى الناس بدنه ما فلما أشرفت على المروة سمعت
 صوتا فالتصمته تريد نفسها ثم سمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد سمعت ان كان
 عندك غوات فاذهبى بالملك عند موضع زرع فبحث بعبقه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء
 فجعلت تحوصه وتقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء فى سقائها وهو يقول بعد
 ما تعرف وفى رواية قد رما تعرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم برحم الله ام
 اسمعيل لو تركت زرع أو قال لو لم تعرف من الماء لكأنت زرع عينا معينا قال فشربت
 وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى يشبه هذا الغلام
 وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت من رفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول
 فتأخذ من مائه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت
 من جرهم مقبلين من طريق كداء فترلوا فى أسفل مكة فزروا طراعا ثم أقبلوا ان هذا
 الطائر ليدور على ماء لعهذنا بهذا الوادى وما فيه ماء فأسلوا جريا أو جرين فاذا هم بالماء
 فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا أو ام اسمعيل عند الماء فقالوا أنأذين لنا ان ننزل عندك قالت
 نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالتى
 ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهلهم فترلوا معهم حتى اذا كانوا بها
 أهل آيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآتاهم من جرهم حتى شب فلما أدرك
 زرع جوه بارأهم منهم ومات أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل بطالتر كته
 أخرجه البخارى باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله فى تفسير سورة البقرة ولما تفسر
 الآية بقوله ربنا انى أسكنت من ذريتى من للتبعيض أى بعض ذريتى وهو اسمعيل
 عليه السلام بواد غير ذي زرع يعنى ليس فيه زرع لانه واد بين جبلين فى قيس
 وجبل ابيداه وهو وادى مكة عند بيتك الحزم سماه بحر ماله لا يجرم عند ماله لا يجرم

عند غيره وقيل لأن الله حرمه على الجبارة فلم ينالوه بسوءه وحرم التعرض له والتهاون به
 وحجته وجعل محله محرمة لمكانة وشرفه وقيل لأنه حرم على الطوفان يعني امتنع
 منه وقيل سمي محرما لأن الزائرين له يحرمون على أنفسهم أشياء كانت مباحة لهم من قبل
 وسمى عتيقا أيضا لأنه أعقق من الجبارة أو من الطوفان فإن قلت كيف قال عند بيتك
 المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وإنما بناء إبراهيم بعد ذلك قلت يحتمل أن الله عز وجل
 أوحى إليه وأعلمه أنه هناك يتأقذ كان في سائر الزمان وأنه سيحرمه فلا ذلك قال عند
 بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع عند الطوفان
 وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علمك أنه سيحدث في هذا
 المكان (ربنا ليقيموا الصلاة) الآلام في لقمه وامة لقمته بأسكت يعني أسكنت
 قومهم من ذريتي وهم الأنعميل وأولاده هذا الوادي الذي لازرع فيه لقيمته وادى لاجل أن
 يقيموا أولئك بقية الصلاة (فاحصل أفئدة من الناس) قال البغوي جمع الوفد
 (تهوى إليهم) فمن وتشتاق إليهم قال السدي رحمه الله أمل قلوبهم إلى هذا الموضع
 وقال ابن الجوزي أفئدة من الناس أي قلوب جماعة من الناس فلهذا جعل جمع فؤاد قال
 ابن الأنباري وإنما عبر عن القلوب بالأفئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب والفؤاد
 جارين وقال الجوهري الفؤاد القلب والجمع أفئدة فجمعها جارية واحدة والفضة
 من في قوله من الناس للتبعض قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لراحتكم فارس والروم
 والترك والمندوقال سعد بن جبير محبت اليهود والنصارى والجوس وليكنه قال أفئدة
 من الناس فهم المسلمون تهوى إليهم قال الأصمعي يقال هوى بهوى هو إذا سقط من
 علو إلى سفل وقال الفراء تهوى إليهم تريد هم كما تقول رأيت فلانا بهوى نحوك معناه
 يريدك وقال أيضا تهوى تسرع إليهم وقال ابن الأنباري معناه تعطف إليهم وتتحد وتترجل
 هذا أقول أهل اللغة في هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن إليهم
 لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع إليهم وفي هذا بيان أن حنين الناس إليهم إنما هو لطلب
 حج البيت لا لغيره ثم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يزرعهم حج البيت ودعاء لساكن مكة من
 ذريته بأنهم يفتقون بمن يأتي إليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع إبراهيم عليه السلام
 في هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر وبه وبه وسمت بركاته (وارزقهم من الثمرات)
 يعني كرزق سكان القرى ذوات الماء والزروع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة
 لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون المراد جلب الثمرات إلى مكة بطريق النقل
 والتجارة فهو كقوله تعالى يبي إليهم ثمرات كل شيء وقوله تعالى (لعلهم يشكرون) يعني
 لعلهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك
 وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا إنما هو ليستعان بها على أداء العبادات وإقامة
 الطاعات (ربنا انك تعلم ما تخفى وما يعلن) يعني انك تعلم السر كما تعلم العلن علما
 لا تفوت فيه والمعنى انك تعلم أحوالنا وما يظننا وما نعلمنا وأنت ارحم بنا منا فلا
 حاجة بنا إلى الدعاء والطلب إنما ندعوك إظهار العبودية لك ونخشع لك فاعلمك وتذللنا
 لعزك واقترنا إلى ما عندك وقيل معناه تعلم ما تخفى من الوجود بقرعة اسمعيل وأمه

(ربنا ليقيموا الصلاة) الآلام
 متعلقة بأسكت أي ما أسكنتهم
 بهذا الوادي البقع الانقيصة
 الصلاة عند بيتك المحرم ويعبروه
 بكرك وعبادتك فاحصل
 أفئدة من الناس) أفئدة من
 أفئدة الناس ومن للتبعض
 لما روى عن مجاهد لو قال أفئدة
 الناس لراحتكم عليه فارس
 والروم والترك والمندوقال
 كقولك القلب مني سقيم تريد
 قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس
 ونكرت المضاف إليه في هذا
 التمثيل لتذكير أفئدة لأنها في
 الآية نكرة لينناول بعض
 الأفئدة (تهوى إليهم) تسرع
 إليهم من البلاد الشاسعة وتظير
 نحوهم شوقا (وارزقهم من
 الثمرات) مع سكرناهم واديا
 ما فيه شيء من ثمرات الجبل إليهم
 من البلاد الشاسعة (لعلهم
 يشكرون) النعمة في أن يزرعوا
 أنواع الثمرات في وادي ليس
 فيه شجر ولا ماء (ربنا) النداء
 المكرر دليل التضرع والاعمال
 لله (انك تعلم ما تخفى وما يعلن)
 تعلم السر كما تعلم العلن

(وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء) من كلام الله عز وجل تصديقا لبراهيم عليه السلام أو من كلام ابراهيم ومن لا يستغرق كانه قبل وما يخفى ١١٠ على الله شيء (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) على معنى مع وهو في موضع

حيث اسكنتمهما بواحد برزخ فروع وما أعلن يعني من البكاء وقيل ما يخفى يعني من الحزن المتكبر في القلب وما أعلن يعني ما جرى منه وبين هاجر عند الوداع حسين قالت لبراهيم عليه السلام الى من تسكننا قال الى الله قالت اذا لا يصنعنا (وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء) قيل هذا من تلمذة قول ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان وقال الا كثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لبراهيم فيما قال فهو كقولوه وكذلك يفعلون (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق) قال ابن عباس ولد اسمعيل لبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسمحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسمحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد في هذا السن من أعظم المنافع لانه سن الياس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق في الدعاء في وقت واحد وانما بشر باسمحق بعد اسمعيل زمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما أتى بهذا الدعاء عندما بشر باسمحق وذلك لانه اعظمت المنة على قلبه هبة ولد من عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ولا يرده في هذا ما ورد في الحديث انه دعا بما تقدم عنده مقارفة اسمعيل وأمه لان الذي صح في الحديث انه دعا بقوله ربنا اني أسكنت من ذريتي الى قوله لعلهم يشكروني اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق في وقت آخر والله اعلم بحقيقة الحال (ان ربي اسمعيل الدعاء) كان ابراهيم عليه السلام قد دعاه وسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاه ووهبه ما سأل شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي اسمعيل الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتسده وقبله (رب اجعلني مقيم الصلاة) يعني عن يمين الصلاة باركانها ويحافظ عليها في أوقاتها (ومن ذريتي) أي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة وانما أدخل لفظة من التي هي للتعريض في قوله ومن ذريتي لانه على باعلام الله اياه انه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي وأراد بهم المؤمنين من ذريته (ربنا وتقبل دعاء) سأل ابراهيم عليه السلام به أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لبراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا اغفر لي) فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطالب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فسا وجه طلب المغفرة قلت المقصود منه الانجاء الى الله سبحانه وتعالى وطلب الطمأنينة من كل شيء الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والا تكال على رحمته (ولو الذي) فان قلت كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين قالت

الحال أي وهب لي وأنا كبير (اسمعيل واسحق) روى اسمعيل وولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسمحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة ووروى انه وولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وانما ذكر حال الكبر لان المنفعة هبة الولد فيها أعظم لانها حال وقوع الياس من الولادة والافتقر بالحاجة على عقب الياس من أجل النعم ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لبراهيم (ان ربي اسمعيل الدعاء) يجب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله من جده كان قد دعاه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله ما أكرمه به من اجابة واضافة اسمعيل الى الدعاء من اجافة الصفة الى مقوله ما أصله اسمعيل الدعاء وقد ذكر سيده في عماله في جملة أئمة المبالغة لعمالة عمل الفعل كقولك هذا رحيم اياه (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعالي وانما بعض لانه على باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس رضي الله عنهما لانزال من ولد ابراهيم ناس على القطرة الى أن تقوم الساعة (ربنا وتقبل دعاء)

بإلحاح في الوصل والوقف معي واقفه أبو عمرو وخزفة في الوصل الباقيون بلاياء أي استجب دعائي أو عبادتي أراد واعتزلكم وما تدعون من دون الله (ربنا اغفر لي ولوالدي) أي آدم وحواء واقفه قبل النبي والياس عن ايمان أبويه

أراد انهما ان أسما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل أن يتبين له أنهما من أصحاب الحميم وقيل
 ان أمه أسلمت فدعا لها وقيل أراد ابو الديه آدم وحواء (وللأومنين) يعني وأغفر للؤمنين
 كلهم (يوم يقوم الحساب) يعني يوم يمدو ويظهر الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس
 للحساب فاكثرت بذلك أي ذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للؤمنين
 بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليفه ابراهيم عليه السلام فيه بشارة عظيمة لجميع
 المؤمنين بالمغفرة قوله سبحانه وتعالى (وللأومنين الله غافلا يعمل الظالمون) الغفلة
 معني غمغ الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري
 الانسان من قلة التدبّر والتفكير وهذا في حق الله محال فلا بد من تأويل الآية فالتصديق
 منها أنه سبحانه وتعالى يتفهم من الظالم للظالم وفيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بان لا
 يعامله معاملة الغافل عنه بل يفتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسليمة
 للظالم وتهديد للظالم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم غافلا وهو اعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله
 غافلا عما يعمل الظالمون قلت اذا كان الخطاب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه
 وجهان أحدهما التثنية على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو وكهوله ولا
 تكون من المشر كين ولا تدع مع الله اله آخر وكهوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا
 آمنوا أي اثبتوا على ما أنتم عليه من الايمان الوجه الثاني أن المراد بالهوى عن
 حسبان غافلا لا الهام بانه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وأنه يفتقم
 منهم فهو على سبيل الوعد والتبديهم والمعنى ولا تحسبنه معاملة الغافل عنهم
 ولكن يعاملهم معاملة الرقيب المحقق عليهم الحساب لهم على الصغير والكبير وان كان
 الخطاب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا إشكال فيه ولا سؤال لأن أكثر الناس غير عارفين
 بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلا لجهله بصفاته (انما يؤخّروهم ليوم تشخص فيه
 الابصار) يقال تشخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مقفوحتين لا يترافه أو تشخص البصر
 يدل على الخيرة والدهشة من هول ما ترى في ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة مرسدين
 وهذا قول أبي عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة
 الخوف أن يبقى واقفا لهاتين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ان أحوال أهل الموقف
 يوم القيامة يختلف الخال المعتادة فاجبر سبحانه وتعالى انهم مع تشخص الابصار يكونون
 مهطعين يعني مرسعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الدليل الساكت (مقنني رؤسهم)
 الاقناع رفع الرأس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعو رؤسهم الى السماء
 وهذا يختلف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرّق بصره الى الارض قال الحسن وجوه
 الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد وهو قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم)
 أي لا ترجع اليهم أبصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين
 أيديهم (وافئدتهم هواء) أي خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت
 في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أماكنها ومعنى الآية ان أفئدتهم خالية

(وللأومنين يوم يقوم الحساب)
 أي ثبتت أو أسند الى الحساب
 قيام أهله اسنادا مجازا يماثل
 واسئل القرية (وللأومنين الله
 غافلا عما يعمل الظالمون) تسليمة
 للظالم وتهديد للظالم والخطاب
 غير الرسول عليه السلام وان
 كان للرسول فالمراد بتثنيته عليه
 السلام على ما كان عليه من انه
 لا يحسب الله غافلا كقوله ولا
 تكون من المشر كين ولا تدع
 مع الله اله آخر وكهوله ولا
 يا أيها الذين آمنوا بالله
 ورسوله وقيل المراد به الايدان
 بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى
 عليه منه شيء وأنه معاقبهم على
 قليله وكثيره على سبيل الوعيد
 والتهديد كقوله والله بما تعملون
 عليم (انما يؤخّروهم) أي عقوبتهم
 (ليوم تشخص فيه الابصار) أي
 أبصارهم لا تفرق اما كتمان
 هول ما ترى (مهطعين) مرسعين
 الى الداعي (مقنني رؤسهم) رافعيها
 (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع
 اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم
 (وافئدتهم هواء) صفروهم الخيرة
 لا تلبس شمساً من الخوف والهواء
 الحسلاء الذي لم تشغله الاجرام
 فوصف به فقيس قلب فلان
 هواء اذا كان جبالا اقوت في قلبه
 ولا جراءة وقيل جوف لا عقول
 لهم

(وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب) أي يوم القيامة ويوم مفعول ثان لانذر لاطرف اذا لاندرا لا يكون في ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) أي الكفار زور بنا نخرنا إلى أجل قريب نخب دعوتك وتنبع (الرسول) أي ودنا إلى الدنيا وأمهنا إلى امد وخدم الزمان قريب تتدارك ما فرغنا فيه من احابة دعوتك واتباع رسلك فقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أي حلقت في الدنيا أنكم اذا متم لاترأون ١٢٣ عن تلك الحالتولا تنقلون إلى دار أخرى يعني كفرتم بالبعث كقولهم وأقسموا بالله جهنم لا يبعث الله

من يموت وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب كقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقال ما لنا من زوال أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معدين يشذ السكيات ولفظ الملائكة بلا بشرى فانهم سألون يومئذ ان يؤخرهم بهم إلى أجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر لان السكى من السكون وهو البقاء والاصل تعديته في نحو قري الدار وأقام فيها ولكنه هنا نقل إلى سكن خاص تصرفه فقل سكن الدار كقيل تبوأها ويحوز أن يكون سكنوا من السكن أي قروا فيها وأعمالها على النفوس سائر من سيرة من قبلهم في الظلم

فأروغة لا تفي شيئا ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبيرة واذا هم هواء أي مترددة تهوى في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية أن القلوب يومئذ رائلة عن أماكنها ولا بصار شاخصة والرؤس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدة (وانذر الناس) يعني وخوف الناس يا محمد يوم القيامة وهو قوله سبحانه وتعالى (يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي (ربنا انخرنا إلى أجل قريب) يعني أهملنا مدة تسعة قال بعضهم طابوا الرجوع إلى الدنيا حتى يؤمنوا فينفعهم ذلك وهو قوله تعالى (نخب دعوتك وتنبع (الرسول) فاجيبوا بقوله (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) يعني في دار الدنيا (ما لكم من زوال) يعني ما لكم عنها الانتقال ولا بعث ولا نشور (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي من كان قبلهم من كفار الامم الحاضرة كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) يعني وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا اياهم (وضربناكم الامثال) يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيحجب على كل من شاهد احوال الماضين من الامم الخالية والقرون الماضية على ما جرى لهم وكف أهلها وان اعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك قوله سبحانه وتعالى (وقدمهم مكرهم) اختفوا في الضمير إلى من يعود في قوله وقدمهم كقوله يعزوني الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور وقيل المراد بقوله وقدمهم كقادر يرش الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذا نكحوا الذين كفروا الا سيء والمعنى وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني بسبب مكرهم بك وقوله تعالى (وعند الله مكرهم) يعني جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم منبت عند الله ليباريهم به يوم القيامة (وان كان مكرهم اتزل منه الجبال) يعني وان كان مكرهم لا ضعف من ان تزول منه الجبال

والفساد لا يحدثها إلى الاولون من ايام الله وكف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدوا (وتبين لكم) بالاختيار وقيل أالمنا هذه وقيل تبين فمجرد دل عليه الكلام أي تبين لك حاله (وكيف) ليس يقال لان الاستهزاء لا يعمل فيه ما قروا وانما نصب كيف بقوله (فعلنا بهم) أي أهلكناهم واهتقمناهم (وضربناكم الامثال) أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهو في الغرابة كالأهال الغشوة لكل ظالم (وقدمهم مكرهم) أي مكرهم العظيم الذي استغفروا فيه جهنم وهو ما فعلوه تأييد الكفر وطلان الاسلام (وعند الله مكرهم) وهو عذاف الفاعل كالاول والمعنى ومكتب عند الله مكرهم محاربتهم عليه وهو اعظم منه أو إلى المفعول أي وعند الله مكرهم الذي يكرهم به وهو عذابهم الذي ياتيهم من حيث لا يشعرون (وان كان مكرهم اتزل منه الجبال) يكسر اللام الاولى وتصب الثانية والتقدير وان وقع مكرهم لزوال التي صلى الله عليه وسلم فعبر عن أمر النبي عليه السلام بالجبال اعظم شأنه وكان تامة أو انافية واللام مؤكدة كقوله كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بكمهم على ان الجبال مثل لا مات الله وشراعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا دليله قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم به ويفتح اللام الاولى ورفع الثانية على أي وان كان مكرهم من الله بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أما كنهان خففة من ان واللام مؤكدة

(فلا تحسبن الله مخلف وعده رساله) يعني قوله ان الله نصر رساله ١١٣ لا تخفن ان الله صلى على رساله

لنفسه وبأضافه مخلف الى وعده وهو المفعول الثاني له والاول رساله والتقدير مخلف رساله وعده وانما قدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد أصلاً كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رساله ليؤذن انه الذي لا يخلف وعده أحد أف كيف يخلفه رساله الذين هم خير منه وصفه فوته (ان الله عز و جل غاب لا يما كره) (ذو انتقام) لا يلائمه ان يعذبه واتصاب (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) على الظرف للانتقام أو على الضمار اذ كره والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة وتبدل السماوات غير السماوات وانما حذف دلالة ما قبله عليه والتبديل التغير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم ذانها وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة فانما اذا اذنتها وسويتها خاتماً فقطلتها من شكل الى شكل واختلف في تبدل الارض والسماوات فتبدل اوصافها وتسريع الارض الجبال وتغير بحارها وتسوى فلا ترى فيها عرجاً ولا أمتاعاً وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير وتبدل السماء بانشار كواكبها وكسوف شمسها

وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كشوت الجبال وقد جي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في الآية قوله لا تخفوا منها فأنها زلزال في غرود الجبال الذي حاجج إبراهيم في ربه فقال غرود ان كان ما يقوله إبراهيم حقا فلا انتهى حتى أصعد الى السماء فأعلم ما فيها فعمل الى أربعة أفراس من النور فرباهن حتى كبرت وشبت واتخذت ابناً ثمان خشب وجعل له باباً من أعلى وباباً من أسفل ثم جوع النور ونصب خشبات أربعاً في أطراف التابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات حجراً جرو قد هوى في التابوت وأقعد معه رجلاً آخر وأمر بالنور فربطت في أطراف التابوت من أسفل فجعلت النور كالأضواء للهم رغب فيه وطارت اليه فطارت النور يوماً جامع حتى بعدت في الهواء فقال غرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل فر بها منها ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيئة فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال ارى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النور يوماً آخر وارتمت حتى حالت الرمح بيننا وبين الطير ان فقال غرود لصاحبه افتح الباب الاعلى ففعل فاذا السماء كهيئة ففتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فتسودى فيها الطاغى أين تريد قال عذركم وكان معي في التابوت غلام قد جعل القوس والنشاب وأخذ معه الترس ورمى بهم فعدا اليه السهم فطأ بالدم سمكة قد ذقت بنفسها في بحري الهواء وقيل ان طائر أصابه السهم فلقا رجع اليه السهم فطأ بالدم قال كفت اليه السماء ثم أمر غرود صاحبه ان يصو بالخشبات الى أسفل وينكس الهم ففعل فبهطت النور بالتابوت فسمعت الجبال خفيف التابوت والنور فزعت وظننت انه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن أمتها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتفول منه الجبال واستبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان المخضر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رساله) يعني فلا تحسبن الله بمحمد مخلف ما وعده رساله من النصر واعلاء السكامة واظهار الدين فانه ناصر رساله وأولياء ومهلك أعداءه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رساله وعده (ان الله عز و جل أي غاب لا يما كره) (ذو انتقام) يعني من أعدائه قوله عز وجل (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين أحدهما انه تبدل صفة الارض والسماوات لاذاتها فاما تبدل الارض فتغير صفتها وهيئتها بقاء ذاتها وهو أن تدكك جبالها وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من بحارة وغيرها لا يبقى على وجهها شيء الاذهب وتعمد الدائم وأما تبدل السماء فهو ان تتغير كواكبها وتشمس شمسها وتغيرها ويكوزان وكونها تارة كالدهان وتارة كالحل و بهذا القول قال جماعة من العلماء ويدل على صحة هذا القول ما روي عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة

ن ث و خسوف قمرها واشفاقها وكونها ابواباً وقيل تحقق بدلهما الارض وسماواتها وعن ابن مسعود رضي الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل أرضا من فضة وسماوات من ذهب

على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم لاجد أخرجاه في الصبحين العفراء
 بالعين المهملة وهى البيضاء الى حمرة ولذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجديد البياض
 الفاتح المائل الى حمرة كأن النار ملبت بياض وجهها الى حمرة وقوله ليس بها علم
 لاجد يعنى ليس فيها علامة لاجد يتبدل هيئتها وزوال جبالها وجميع نباتها فلا يبقى
 فيها أثر يستدل به والقول الثانى هو تبدل ذوات الارض والسما وهو هذا قول جماعة
 من العلماء ثم اختلفوا فى معنى هذا التبدل فقال ابن معود فى معنى هذه الآية قال
 تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفل بها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال
 على بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه الارض من فضة والسما من ذهب وقال ابي
 ابن كعب فى معنى التبدل بان تصير الارض نيرانا والسماء حنابا وقال ابو هريرة وسعيد
 ابن جبير ومحمد بن كعب القرظى تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه
 عن ابي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة
 خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفؤ أحدكم خبزته فى السفر نزل الازل الجنة
 أخرجاه في الصبحين بزادة فيه قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح هذا الحديث
 اما السزل فبضم النون والزاي ويجوز اسكان الزاي وهو ما يعدل لصفه عند نزوله
 واما الخبز فبضم الخاء وقال اهل الاشارة هى الظلمة التى توضع فى الملة يتكفؤها بالهمز
 بيده أى يملأها من يدالى يدحتى تجتمع وتسوى لانها ليست منسبطة كارتقاة وقد
 حققنا الكلام فى اليد فى حق الله سبحانه وتعالى وتاويلها مع القطع باستحالة الجراحة
 عليه ليس كمثله شئ ومعنى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يجعل الارض كاظلمة أى
 الرغف العظيم وتكون طعاما نزل الازل الجنة والله على كل شئ قدير فان قلت اذا
 فسرت التبدل بما ذكرته فكيف يمكن الجمع بينهما وبين قوله تعالى يومئذ تحدث
 أخبارها وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين ان الارض تبدل
 أولا صفة تمام مع بقاء ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل بديلا ثانيا
 وهو أن تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم ايضا و يدل على صحة هذا التأويل ما روى عن عائشة
 قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
 والسموات فابن يكون الناس يومئذ يارسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم
 وروى أبو بان أن جبرائيل اليه وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس
 يوم تبدل الارض غير الارض قال هم فى الظلمة دون الجسر ذكره البغوى بغير سند فى
 هذين الحديثين دليل على أن تبدل الارض ثانيا مرة يكون بعد الحساب والله أعلم
 بمراده وأسرار كتابه وقوله تعالى (وبرزوا) يعنى خرجوا من قبورهم (الله) يعنى محكم الله
 والوقوف بين يديه للحساب (الواحد القهار) صفتان لله تعالى فالواحد الذى لا ثانى له
 ولا شريك معه المنزه عن الشبه والاضداد والندو والقهار الغالب الذى يقهر عباده على
 ما يريدو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قوله تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) يعنى
 مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشئ بالشئ اذا شدته معه فى رباط واحد

(وبرزوا) وخرجوا من قبورهم
 (الله الواحد القهار) هو كقوله
 لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
 لان الملك اذا كان لواحد غلب
 لا يغلب فلا مستعاث لاجد
 الى غيره كان الامر فى غاية الشدة
 (وترى المجرمين) الكافرين
 (يومئذ) يوم القيامة (مقرنين)
 قرن بعضهم مع بعض اومع
 الشياطين اوقرنت ايديهم
 الى ارجلهم مغالين

(في الاصفاذ) متعلق بمقرنين أي يقرنون في الاصفاذ أو غيرهم متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاذ القيود أو الاغلال (سرايلهم) قصهم (من قطران) هو ما يقب من شجر يسمى الابل فيقطع فيه بأبه الابل الجربي فيترك الجرب بمجده وحوه ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منتمن الرشح فيقطي به جلود أهل النار حتى يعود طلائعهم كالسرايل ليجتمع عليهم بلدع القطران وحرقة واسراع النار في جلودهم واللون ١١٥ الوحش ونتمن الرشح على ان التفاوت بين

القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعد الله أو وعده في الآخرة فينبهه وبين ما شاهد من جنسه ما لا يقادو قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثم تعود بالله من سخطه وعذابه من قطر أن زيد عن يعقوب نخاس مذاب بلغ حره أنه (وتعشى وجوههم النار) تلوهها بأشتمها وخص الوجه لانه أعز وضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال قطع على الأفتدة (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أي يفعل بالجرح من ما فعل ليجزى كل نفس مجرمه ما كسبت أو كل نفس مجرمه أو مطعنة لانه اذا عاقب الجرح من لاجرهم علم انه يشيب المؤمنين بطاعته (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد في أسرع من لمخ البصر (هذا) أي ما وصفه في قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (يسلاخ للناس) كفاية في التدبير والموعظة (ولينذروا به) بهذا البلاغ وهو معطوف على مخوف أي لينحوا وولينذروا (ولينعلموا أنما هو واحد) لانهم اذا

(في الاصفاذ) يعني في القيود والاعلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسله وقال أبو زيد يقرن أي يدمجهم وأرجاهم الى رقابهم بالاصفاذ وهي القيود وقال ابن قتية يقرن بعضهم الى بعض (سرايلهم) يعني قصهم واحدها سر نال وقيل السر نال كل مالدس (من قطران) القطران دهن يتخلل من شجر الابل والعرجر والتوت كالزفت تدنه به الابل اذا جربت وهو اللحاء يقال هنأت البعير أهو ما للهاء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لسم القطران سرايل لانه يبالغ في اشتعال النار في المحلود ولو أراد الله الذباغة في أحراقهم بغير ذلك لقدروا ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطر أن على كتبتين منوئتين فالقطر النخاس المذاب والان الذي انتهى حره (وتعشى وجوههم النار) يعني تلوهها وتخللها (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر (ان الله سريع الحساب) يعني اذا حاسب عبادهم يوم القيامة (هذا بلاغ للناس) يعني هذا القرآن فيه مبلغ وموعظة للناس (ولينذروا به) يعني وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزاجره (ولينعلموا أنما هو واحد) يعني وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى (وليدكر أولو الالباب) يعني وليتخط بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أولو العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اعطى والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الحج)

مكية باجمعهم وهي تسع وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله سبحانه وتعالى (الزكيات آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذي وعده الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وتشكير القرآن للتقويم والعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا وأي قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابية في البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لانه لم يجز للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمع ما بوصفين وان

خافوا ما أنذروا به دعهم الخفاقة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الحشية أم الخير كله (ولينذكر أولو الالباب) ذنوبهم والقول *(سورة الحج تسع وتسعون آية مكية)* (بسم الله الرحمن الرحيم) الزكيات آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتشكير القرآن للتقويم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وأي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابية في البيان

(ربما) بالتخفيف مدني وعاصم والتشديد ١١٦ غيرهما وما هي الذكافة لانه حرف مجرما بعده ومختص بالاسم النكرة

فاذا كُتِبَ وقع بعدها الفعل الماضي والاسم وانما جاز (يود) الذين كفروا لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في حقيقته فكانه قيل ويعاودون واداهم تكون عند النزاع او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين اذا داروا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلما كذا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما (لو كانوا مسلمين) حكاية واداهم وانما جى بها على لفظ الغيبة لانهم يخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لا يفعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا وانما قال رب لان احوال القيامة تتغير عن التمني فاذا افاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال ان رب يعنى بها الكثرة سهولا لانه ضد ما يعرفه اهل اللغة لانها وضعت للتقليل (ذرهم) امر اهانته اى اقطع طمعك من ادعوا اليهم ودعه من عن انتهى عما هم عليه والصدع به بالذكرة والتضيحة وخلصهم (يا كانوا) ويتبعوا بدنياهم (ويلهمهم الامل) ويشغلهم املهم وامانيهم عن الايمان (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم وقبحه تنبيه على ان اثار التاذنوا التعم وما يؤدى اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين

كان الموصوف واحد الماس في ذلك من المائدة وهي التفتيم والتعظيم والمين الذين يمين الحلال من الحرام والحق من الباطل (ربما) قرى بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل ولم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليلها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاني زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة شئ كائنك قلت رب شئ فيكون المعنى رب شئ (يود) الذين كفروا) وقيل ماؤد بعائني حين اى رب حين يود بعائني يعني الذين كفروا الان التمني هو تنهى حصول ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتعنى الذين كفروا (لو كانوا مسلمين) على قولين احدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافرانه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثاني ان هذا التمني يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون احوال اهل يوم القيامة وشدة ما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حال من احوال العذاب ورأى حال من احوال المسلم ودلو كان مسلما وقيل اذا رأى الكافران الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليندخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك التمني حين يخرج الله المؤمنين من النار عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار اني في النار من اهل القبلة استم مسلمين قالوا بلى قالوا فما ائني عنكم اسلامكم وانتم عناني النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فغفرها الله لهم بفضل رحمته فإمر الله بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال ابوالسهم في رواية عنه وانس بن مالك ومجاهد وعطاء ابوالعالية وابراهيم بن النخعي فان قلت رب انما وضعت للتقليل وتعي الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم اعلالك ستندهم على فعلك وربما ندتم الانسان على فعله ولا يشكون في تندمه ولا يصدقون بتقليله ولا يحكمون اذ ادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحي عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العتلاء يقدرون من التعرض للام المظنون كما يقدرون من التيقن ومن القليل منه كما يقدرون من الكثرة وقال غيره ان هذا التقليل المبلغ في التهديد ومعناه يكفك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يخشون ذلك بآلهم فان قلت رب لا تدخل الامل في الماضي فكيف قال ربما يود وهو في المستقبل قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في حقيقته كانه قال ربما يود قوله سبحانه وتعالى (ذرهم يا كانوا يمتنعوا) يعني دع يا محمد هؤلاء الكفار يا كانوا في دنياهم ويتبعوا بالذات (ويلهمهم الامل) يعني ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاحسان بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعني اذا وردوا القيامة وذاقوا

(وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرى بالقاس ان لا توسط الواو بينهما كما في وما أهلكنا من قرية إلا الهام نذرون وانما توسطت لتأ كيد لوصق الصفة بالوصف اذ الصفة ملصقة بالموصوف بالواو في باب الواو كيد ذلك الوجه ان تكون هذه الجملة حالا لقرية ١١٧ لكونها في حكم الموصوفة كانه قيل

وما أهلكنا قرية من القرى لاوصفا وقوله كتاب معلوم أى مكتوب معلوم وهو أهلكها الذى كتب في اللوح المحفوظ وبين ألا ترى الى قوله (ما سبق من أمهات اجملها) في موضع كتابها (وما يستأخرون أى عنه وحذف لانه معلوم وأث الامه اولاً ثم ذكرها آخراً جملاً على اللفظ والمعنى (وقالوا) أى الكفار (يا أيها الذى نزل عليه الذكر) أى القرآن (أنك لتحنون) يعنون محمداً عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسواكم الذى أرسل اليكم لحنون وكيف يقررون ينزل الذكر عليه وينسبونه الى الحنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء واتهمهم سائح ومنه ففسرهم بعذاب أليم انك لانت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المهاجرين حيث تدعى ان الله نزل عليك الذكر (لوما تنابنا باللائكة ان كنت من الصادقين) لو ركبت مع لاوم لا امتناع النى لوجود غيره أو للتخصيص وهل ركبت مع لا للتخصيص حسب والمعنى هلا تنابنا باللائكة

وبالما ضنعوا وهذا فيه تهديد وعيد لمن أخذ يحفظه من الدنيا ولذا تأهلوا لم يأخذ يحفظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر ففى بينا العرش بين تهديدين وهذه الآية منسوبة بأية القتال وفي الآية دليل على ان اشارة التذوق للتنعم في الدنيا يؤدى الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال على بن أبى طالب انما أحشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسب الى آخره واتباع الهوى يصعدن الحق (وما أهلكنا من قرية يعنى من أهل قرية واراد اهلاك الاستئصال) (الاولها كتاب معلوم) أى اجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم الا فى الوقت الذى حد لهم فى اللوح المحفوظ (ما سبق من أمهات اجملها) من ازمنة فى قوله من أمهات كقولك ما جاء فى من أحد يعنى أحد وقبل هى على أصلها انها تقييد التبعية الى هذا الحكم فيكون ذلك فى افادة عموم النفي أى كدوم معنى الآية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما يستأخرون) وانما ادخل الحاء فى اجملها لارادة الامه وأخر جهام من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال قوله عز وجل (وقالوا) يعنى مشركى مكة (يا أيها الذى نزل عليه الذكر) يعنى القرآن وأرادوا به محمداً صلى الله عليه وسلم (انك لتحنون) انما نسبوه الى الحنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغنى فظنوا أن ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الحنون وقبل ان الرجل اذا سمع كلاماً مستغرباً من غيبه فربما نسبوه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وفى هذا القرآن العظيم أنكرهم ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر على طر يق الاستهزاء وقيل معناه يا أيها الذى نزل عليه الذكر كفى زعمه واعتقاده واعتقاد أصحابه وأتباعه انك لحنون فى ادعاءك الرسالة (لوما) قال الزجاج والقراء لو ما ولو لا لعنان ومعناها هلا يعنى هلا (تاتينا باللائكة) يعنى يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقاً (ان كنت من الصادقين) يعنى فى قولك وادعاءك الرسالة (ما تنزل الملائكة الا بالحق) يعنى بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى (وما كانوا اذا منظرين) يعنى لو نزلت الملائكة اليهم لم يهولوا ولم يفرحوا وساعة واحدة وذلك ان كفار مكة كانوا يطالبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عياناً فاجابهم الله عز وجل بهذا المعنى لو نزلوا عياناً لزال عن الكفار لاهمالهم وعذوا فى الحمال ان لم يؤمنوا ويصدقوا (انا نحن نزلنا الذكر) يعنى القرآن نزلناه عليك يا محمد وانما قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر كجواباً لقلوبهم يا أيها الذى نزل عليه الذكر فاجابهم الله عز وجل انه هو الذى نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم

يشهدون صدقك أو هلاً تنابنا باللائكة للعقاب على تكذيبنا لانك كنت صادقاً (ما تنزل الملائكة الا بالحق) لا تنزل الملائكة الا بالحق (وما كانوا اذا منظرين) اذا حوالبهم وجزاء الشجر مقدور تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين اذا حوالبهم (انا نحن نزلنا الذكر) القرآن

(واناله في افظون) وهو رد لانكارهم ١١٨ واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكرو ذلك قال انحن فاك

عليهم انه هو المنزل على القطع
وانه هو الذي نزل محفوظا من
الشياطين وهو حافظه في كل
وقت من الزيادة والنقصان
والتحريف والتعديل بخلاف
الكتب المتقدمة فانه لم يتول
حفظها واذا استخفظها الربانيين
والاحبار فاختلوا فيما بينهم
بغيا فوقع التحريف ولم يكن
القرآن الى غير حفظه وقد جعل
قوله واناله في افظون دليلا على
انه منزل من عنده آية اذ لو كان
من قول البشر او غير آية لتبرق
عليه الزيادة والنقصان كما تبرق
على كل كلام سواه او الضعيف
له لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كقوله والله بعصمك (ولقد
أرسلنا من قبلك في شيع
الاولين) أي ولقد أرسلنا من
قبلك رسلا في الفرق الاولين
والشيع المختلفة اذا اتفقوا على
مذهب وطريقة (وما يأتيهم)
حكاية حال ماضية لان
ما لا تدخل على مضارع الاوهو
في معنى الحال ولا على ماض
الاوهو قرين من الحال (من
رسول الا كانوا يستهزؤن)
يعزى نبيه عليه السلام
(كذلك نسلك في قلوب
المجرمين) أي كما نسلكنا الكفر
او الاستهزاء في شيع الاولين
نسلكه أي الكفر أو
الاستهزاء في قلوب المجرمين من
أمتك من اختار ذلك يقال

(واناله في افظون) الضعيف في له مرجع الى الذكرو يعني واناله الذكرو الذي أنزلناه على محمد
في افظون يعني من الزيادة والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فان قرآن
العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يبدل أو يحد من جميع الخلق من الجن والانس
ان يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم
بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة
والنقصان وما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصوناعلى الابد محروسا من
الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل السكاكبة في له راجعة الى محمد صلى الله
عليه وسلم يعني وانال محمد في افظون عن أراد به سوء فهمه وكقوله تعالى والله بعصمك من
الناس ووجهه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على
المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكتابة اليه لكونه امر معلوما لا
ان القول الاول أصح وأشهر وهو قول الاكثري لانه شبه بظاهر التنزيل ورد الكتابة
الى أقرب مدكور أو هو الذكرو اذا قلنا ان الكتابة عائدة الى القرآن وهو الاصح
فاختله في كفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا ناقيا
مبينا لكلام البشر فجعل الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو أرادوا الزيادة فيه
والنقصان منه لتغير نظامه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة ان ذلك ليس
بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وحانه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن
يعارضه وقال آخرون بل أعجز الله الخلق عن إبطاله وإفساده بوجه من الوجوه فقضى الله
له العلماء الراغبين بحفظونه ويذنبون عنه الى آخر الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة
واليهود مفرقة على إبطاله وإفساده فلم يقدروا على ذلك محمد الله تعالى قوله سبحانه
وتعالى (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين) لما تجبروا كفرا مسكة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخاطبوه بالفسادة وهو قولهم انك تخفون وأسأرا الادب عليه أخبر الله
سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع أنبيائهم
كذلك فلانك يا محمد اسوة في الصبر على أذى قومك بجميع الانبياء ففيه تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد تحذف ذكر
الرسول لدلالة الارسال وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعه هم القوم المختلفة المتقدمة
كلتهم وقال الفراء الشيعه هم الاتباع وشيعه الرجل أتباعه وقيل الشيعه من يتقوى
بهم الانسان وقوله في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف (وما يأتيهم من
رسول الا كانوا يستهزؤن) كذلك نسلك في قلوب المجرمين) السلوك النفاذ في الطريق
والدخول فيه والسلوك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخط في الخط ومعنى الآية كما
نسلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه أي ندخله
في قلوب المجرمين يعني مشركه وفيه رد على القدريه والمعتزله وهى ابن آية في نبوت
القدران ادعى للحق ولم يعاند قال الواحدي قال اصحابنا أيضا زاد الله سبحانه وتعالى الى
نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فن آمن بالقرآن فاستحسنه

وقال

نسلكك الخط في البره واسلكته اذا دخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الاصطلاح وخلق الافعال

وقال الامام فخر الدين الرازي احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى خلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أى كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب الجحيم وقالت المعتزلة لا يجوز للضلال والكفر كرفما قبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه واجيب عنه بأنه سبحانه وتعالى قال وما بآياتهم من رسول الا كانوا يستهزئون فاضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا اليه والاستهزاء بالانبياء كقروضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب الجحيم انه الكفر والضلال وقوله تعالى (لا يؤمنون به) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن وقد خلت سنت الاولين فيه وعيد وتهديد الكفار مكة بخروجهم ان ينزل بهم مثل ما نزل بالام الماضية المكذبة للرسول والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا اهل مكة ان يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يعنى ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لوما تأتينا باللائكة بابا من السماء فظلوا يقال فلان بفعل كذا اذا فعله بالناظر كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعنى في ذلك الباب يعرجون يعنى يصعدون والمعالج الصاعد في المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان أحدهما انهم الملائكة وهو قول ابن عباس والأخناك والمعنى لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار فراوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثاني انهم المشركون وهو قول الحسن وقادة والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا وتادهم وكفرهم وقالوا اناسجرتنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت أبصارنا) قال ابن عباس سكرت أبصارنا ما خوذ من سكر النهر اذا خبس ومنع من الجرى وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان أبصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعنى غشيت أبصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكر يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعنى مسحنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملائكة فبرههم عيانا وشهدوا بصدقه اخبر الله سبحانه وتعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما آمنوا وقالوا امسحنا مسبق لهم في الازل من الشقاوة قوله سبحانه وتعالى (ولقد جعلنا في السماء رجحا البروج التي تنزلها الشمس في مسيرها واحدها برج وهى بروج الفلك الاثنا عشر برجاً وهى النجم والثور والجوزاء والسرطان والاسد والنبله والميزان والعقرب والقوس والمجدى والذئب والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلاث منازل وقد تقدم ذكر منازل القمر في تقسيم سورة قنوس وهذه البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه

(لا يؤمنون به) بالله أو بالذکر وهو حال (وقد خلت سنت الاولين) مضت طرقهم التي سنها الله في أهلا لهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء (فظلوا فيه يعرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت أبصارنا) حيرت أو حست من الابصار ومن السكر أو من السكر سكرت مكي أى حست كما يحس النهر من الجرى والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من أبواب السماء وسرهم معراج يصعدون فيه البهاور أو من العيان ما رأوا وقالوا هو شيء تخيلا لا حقيقة له وقالوا (بل نحن قوم مسحورون) قد مسحنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة أى لو رأناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليعلم عروجهم بالنهار ليحكموا زمانهم وتبين ما يرون وقال انما للبدل على انهم يتدون القول بان ذلك ليس التيسير الا لاصار (ولقد جعلنا في السماء خلقا فيها (بروجا) نجومها وقصورها فيها الجحرس او منازل للجحيم

الأية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهم وأقال ابن عطية هي قصور في السماء
 عليهم النجوم وقال الحسن وبجهاه ذو قعدة هي النجوم العظام قال أبو اسحق يريدون
 نجوم هذه البروج وهي نجوم على ما صورت به وسميت وأصل هذا كله من الظهور
 (وزيئها) يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم (للساطرين) يعني المعتبرين
 المستدلين بها على توحيد خالقها واصلها وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلقه وصوره
 (وحققناها) يعني السماء (من كل شيطان رجيم) أي مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل
 ملعون مطرودمن رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا ينجحون عن السموات
 وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها إلى الكهنة فيلقونها إليهم فلما ولد عيسى عليه
 السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع
 ذكرنا ذلك لأبليس فقال لقد حدثت في الأرض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (الآمن استرق السمع) هذا
 استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع (فأبعثه) أي لمحقه (شهاب مبین)
 والشهاب شعله من نار ساطع سمى السحاب شهابا لاجل ما فيه من البرق شبه شهاب
 النار قال ابن عباس في قوله الآمن استرق السمع يريد المتخففة السيرة وذلك أن
 الشياطين تركب بعضهم بعضا إلى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرون
 بالكواكب فلا تخفى أربابهم من تقبله وسميهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث
 شاء الله ومنهم من تجلبه فيصير غولاً يضل الناس في الوادي (خ) عن أبي هريرة أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأخفافهم
 خضعوا له أو له كأنه سلم على صفوان فإذا فرغ عن قولهم قالوا أما إذا قال ربكم قالوا
 للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسميهم استرقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا
 بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فخرها ويدين أصابعه فيسمع الكلمة
 فيلقها إلى من تحته ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن
 فربما ذكره الشهاب قيل أن لقيها ورعا لقاها قيل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة
 فيقال له ليس قد قال أنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء
 (فصل) اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين أحدهما أنهم لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وإنما ظهر ذلك في بدء أمره فكان ذلك أساسا لتبوء صلى الله عليه
 وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حبل بين الشياطين وبين خبر
 السماء وأرسلت عليهم الشهب أنجرحاهم في الضيقين فظاهر هذا الحديث يدل على أن
 هذا الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي
 وبعضهم ما روى أن يعقوب بن المعيرة بن الأخنس بن شريق قال أول من فرغ الرمي

(وزيئها) أي السماء (للساطرين)
 (وحققناها) أي السماء (من كل
 شيطان رجيم) ملعون أو رمي
 بالنجوم (الآمن استرق السمع)
 أي المسموع ومن في محل
 النصب على الاستثناء
 (فأبعثه شهاب) نجم ينقض
 فيعود (مبين) ظاهر للبصرين
 قيل كانوا لا ينجحون عن
 السموات كلها فلما ولد عيسى
 عليه السلام منعوا من ثلاث
 سموات فإذ ولد محمد صلى الله
 عليه وسلم منعوا من السموات
 كلها

بالجنوم هذا الحى من تقبف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني
علاج وكان أهدي العرب فقالوا له ألم تر ما حدث في السماء من القذف باليوم فقال بلى
ولكن انظر وا فان كانت معالم الجنوم التي يهتدى بها في البر والبحر يعرف بها الانواء
من الصيف والشتاء لما يصلح للناس من معاشهم هي التي يرمى بها فهو والله طلى الدنيا
وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غير هاهي ماثبة على حالها فهذا الامر أراد الله
من الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعدم ولد النبي صلى الله عليه وسلم أن شعراء
العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المبرقة لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب
المنقضة فلما حدثت بعدم ولد النبي صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذو
الرمة كانه كوكب في اثر عفرية * مسووم في سواد الليل منقضب
والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث
شدد وعظما عليهم قال عمر قتلت للزهرى أن كان يرمى بالجنوم في الجاهلية قال نعم قلت
أفرأيت قوله وانا كنا نعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث محمد
صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال أخبرني رجل
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم واستثار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم
تقولون في الجاهلية اذ رمى بنجم هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم اومات رجل
عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم لم يأتوا أحد ولا يحيا به ولكن ربنا
تبارك اسمه اذا قضى امر ارجح حيلة العرش ثم سيج اهل السماء الذين يكونونهم حتى يبلغ
النسيج الى اهل هذه السماء ثم قال الذين يكونون حيلة العرش حيلة العرش ماذا قال ربكم
فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض اهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا
فتخطف الحن السمع فيقذفونه الى اوليائهم ويرمون فاجاؤا به على وجهه فهو حق
ولكنهم ينفذون فيه ويريدون أخرجه مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبيل بعثه
واكن لم يكن في شدة الحر استعمل بعدم بعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال
بشر بن أبي حازم وهو جاهلي

فالعير برهقه العبا ورجسها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب
وقال اوس بن جبر وهو جاهلي

فانقض كالدرى يتبعه * تنقض بثور تحاله طنبها

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالجنوم كان موجودا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم فاستعملت شدة ذلك وزيد في حفظ السماء واستهاصونا لاختبار العيوب والله أعلم
قوله بجانها وتعالى (والارض مددناها) يعنى بسطناها على وجه الماء كما يقال انها
دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب الهيئة انها كرة
عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمر منها واهل سدر واهل
قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح

(والارض مددناها) بسطناها
من تحت الكعبة والجهور
على انه تعالى مددناها على وجه
الماء

الحكمة وقدرة مقدار تقضيته
لا تلج فيه زيادة ولا نقصان
أوله وزن وقدرة أبواب المنفعة
والنعمة أو ما يوزن كالزعران
والذهب والفضة والنحاس
والحديد وغيره وخصص ما يوزن
لانتهاه الكيل الى الوزن
(وجعلنا لكم فيها) في الارض
(معاش) ما يعيش به من
المطاعم جمع معيشة وهي بياء
صريحة بخلاف الخياش وخصوها
فان تضم مع البياء فيها خفا
(ومن لستم له برازقين) من في
محمل النصف بالعطف على
معاش أو على محمل لستم له
قيس وجعلنا لكم فيها معاش
وجعلنا لكم من لستم له برازقين
أو جعلنا لكم فيها معاش وان
لستم له برازقين وأراد بهم
العبد والمماليك والخدم
الذين يفتنون أنهم يرزقونهم
ويحفظون فان الله هو الرزاق
يرزقهم وأياهم ويدخل فيه
الانعام والدواب ونحو ذلك
ولا يجوز ان يكون محمل من جرا
بالعطف على الضمير الجورقي
لكم لانه لا يعطف على الضمير
المرور بالاعادة الجار (وان من
شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله
الا بقدر معلوم) ذكر الخزان
تمثيل والمعنى وما من شئ ينتفع
به العباد الا ونحن قادرون على
اليجاد وتكوينه والاعانة به
وما نعطي به البتة مقدار معلوم

العظيم فثبت هذا الامران الارض ممدودة مسبوطة وانها كقوة رده هذا أصحاب التفسير
بان الله اخبر في كتابه بانها ممدودة وانها مسبوطة ولو كانت كره لا خبر بذلك والله أعلم
بمراده وكيف مده الارض (والقياس في الارض) يعني جبالا ثواب وذلك ان الله سبحانه
وتعالى لما خلق الارض على الماء مادت ورحفت فأنبت ما يجبال (والقياس فيها) أي في
الارض لان انواع النبات المنتفع به تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال
لانها اقرب مذ كور وقوله تعالى (من كل شئ موزون) وانما يوزن ما تولد في الجبال من
المعادن وقال ابن عباس وسعد بن جبيرة موزون أي معلوم وقال مجاهد وعكرمة أي
مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم
القدر الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ورازقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا
لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء بالاوزن وقال الحسن وعكرمة ما بين زيدانه على
به الشئ الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكيل ونحو ذلك مما يستخرج
من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسف في الحسن والهيئة
والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حتى في كلام
موزون اذا كان متناسبا حتى في الخط والخطف وقيل ان جميع ما ينبت في
الارض والجبال نوعان احدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني
النبات وبعضه موزون أيضا وبعضه ~~يسيل~~ وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد
مقدوران بالوزن (وجعلنا لكم فيها معاش) جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة
حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك (ومن لستم له برازقين) يعني
الدواب والوحش والطير أنتم متفتنون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على
الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وتكون من في قوله
تعالى ومن لستم بمعنى ما لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظه من
على من لا يعقل كقوله تعالى فمنهم من عصى على طبعه وقيل أراد بهم العبيد والخدم
فيكون من على أصلها ويدخل معهم ما لا يعقل من الدواب والوحش (وان من شئ الا
عندنا خزائنه) الخزان جمع خزائنه وهي اسم للكان الذي يخزن فيه الشئ للحفظ يقال
خزن الشئ اذا أحرزه فقيس أراده فانه الخزان وقيل أراده الخزان المطر لانه سبب
الارزاق والمعاش اي آدم والدواب والوحش والطير ومنه عندنا الله في حكمه
وتصرفه وأمره وتدبيره قوله تعالى (وما ننزله الا بقدر معلوم) يعني بقدر الكفاية
وقيل ان لكل ارض حصة ومقدار من المطر يقل لا تنزل من السماء قطرة طرالا
ومعها ما يسوقها الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام
بقدر واحد يزيد ولا ينقص ولا يكن الله يطر قوما ويحرم آخرين وقيل اذا أراد الله بقوم
خيرا أنزل عليهم المطر والرحمة واذا أراد بقوم شر اصرف المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به
كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكي جعفر بن محمد الصادق عن أبيه
عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تاوليل قوله

وان من شئ الا عندنا خزائنه (وأرسلنا الريح لواقع) قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قولهم لثقت الناقة وألحقها الفعل إذا ألقي الريح الماء فحمله فيه فكذلك الريح كالفعل للسماء وقال ابن مسعود في تفسيره هذه الآية يرسل الله الريح للمنع السحاب فيتمسك الماء فيقبع في السحاب ثم يريه قدر كقدر اللقعة وقال يزيد بن عمار يرسل الله الريح المبشرة فيقوم الارض قائم يرسل المبشرة فتغير السحاب ثم يرسل المولفة فتؤلف السحاب بعضها الى بعض فتجعل ركنا ثم يرسل المواقف فتلقع الثمر والظفر في هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعده فان لنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عباس لا تنظر قطرة من السماء الا بعد أن تعمل الريح الاربع فيها فالصبا تهب السحاب والسمال تحمسه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال أبو عبيد لواقع هنا يعني ملاقح جمع ملقة حذف الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز أن يقال لها لواقع وان ألقت غير هالان معناها النسبة كما يقال درهم وازن أى ذو وزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بعن لانه كان يجب أن يصح الملاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسر بن وأجاب الازى عنه بان قال هذا ليس بشئ لان الملاقح هو المنسوب الى اللقعة ومن أفاد غير اللقعة فله نسبة الى اللقعة وقال صاحب المفردات لواقع أى ذات لقاح وقيل ان الريح فى نفسها لاقح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا اقلت سحابا فقالا أى جعلت فعلى هذا تكون الريح لاقعة بمعنى حاملة لتمام السحاب وقال الزجاج ويجوز ان يقال للريح لثقت اذا أتت بالجنوب كما قيل لها عقيم اذا ماتت بغير ووردت بعض الاخبار ان الملقح الريح الجنوب وفى بعض الآيات ما هبت رياح الجنوب (فانبعث عينا غدة (ق) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وروى البغوى بسنده الى الشافعى الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جئنا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبته وقال اللهم اجعلها رجوة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها راحة ولا تجعلها آراجا قالوا فماذا قال قال ابن عباس فى كتاب الله عز وجل انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فإرسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الريح لواقع وقال يرسل الريح مبررات وقوله سبحانه وتعالى (فانزلنا من السماء ماء) يعنى المطر (فأسقيناكموه) يعنى جعلنا لكم المطر سقيا يقال أسقي فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولبننا اذا كان سقيه فاذا جعلوا له ماء لشرب أبصره أو ما شربه يقال أسقيناها (وما أنتم له) يعنى للطر (بختازين) يعنى ان المطر فى خزاننا لا فى خزائكم وقيل وما أنتم له بما تعين (وانالحن نحيى ونميت) يعنى بيدنا احياء المخلوق وما أنتم له بقدر على ذلك أحد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانالحن نغيد المحصر يعنى لا يقدر على ذلك سوانا (ونحن الوارثون) وذلك بان نميت جميع المخلوق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل مالاو يبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي

(وأرسلنا الريح لواقع) جمع لاقحة أى وأرسلنا الريح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب فى جوفها كما تنحرف لاقحة بها من لثقت الناقة حملت وضدها العقيم الريح - نزة (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه) فجعلنا لكم سقيا (وما أنتم له بختازين) نفى عنهم ما أبدته لنفسه فى قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه قال نحن الخازنون للما على معنى نحن القادرون على خلقه فى السماء وارضه منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعزيمته (وانالحن نحيى ونميت) أى نحيى بالايحاء ونميت بالافناء أو نميت عند انقضاء الحال ونحيى لجزاء الاعمال على التقديم والتأخير اذا الواو للجمع المطلق (ونحن الوارثون) الباقيون بعد هلاك المخلوق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فناءه

بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين أمتهم بما هم
 في الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداءً منه تعالى فاذا فني جميع
 الخلق رجع الذي كانوا له يكون في الدنيا على الحجاز الى ما لك على الحقيقة وهو الله
 تعالى وقبل مصير الخلق اليه قوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
 المستأخرين) عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الاول للتراها
 ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظروا تحت ابطيه فانزل الله عز
 وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أخرجه النسائي وأخرجه
 الترمذي وقال فيه وقد روى عن ابن الجوزي نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا
 أشبه ان يكون أصح قال البغوي وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف
 الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه رغبة فتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء
 من في قلبها رغبة فتتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فعند
 ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف
 النساء آخرها وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين
 من خلق الله والمستأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون
 الاولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعني في
 الطاعة والخير والمستأخرون يعني فيهما وقال الازاعي أراد بالمستقدمين المصلين في
 أول الوقت وبالمستأخرين المؤخرين لها الى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين
 والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولا ومن يسلم آخره وقال
 ابن عباس في رواية أخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم عرض على الصف الاول
 فازدجوا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لئيبين دورنا ونشتري دورا
 قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومعناها انما نتخزون على
 النساء فاطمأنوا وسكنوا فبكون معني الآية على القول الاول المستقدم للتعوي
 والمستأخر للخطر وعلى القول الاخير المستقدم لطالب الفضيلة والمستأخر للعذر ومعني
 الآية ان الله سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم ملائمتهم وعاصيتهم
 لا يخفى عليه شيء من احوال خلقه (وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) يعني على ما علم
 منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى عييت الكل ثم يحشرهم الاولين والاخرين على ما ماتوا
 عليه (من جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه
 قوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم عليه السلام في قول جميع
 المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه
 ففسى (من صلال) يعني من الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة يعني صوتا
 وقال ابن عباس هو الطين المحر الطب الذي اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حركه يتقعقع
 وقال مجاهد هو الطين المتين واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم اذا نبتن (من جابر)

(ولقد علمنا المستقدمين منكم
 ولقد علمنا المستأخرين) من تقدم
 ولادة وموتنا ومن تأخر أوان
 نخرج من اصلاب الرجال ومن لم
 يخرج بعد أوان تقدم في
 الاسلام او في الطاعة او في صف
 الجماعة او صف الحبيب ومن
 تأخر (وان ربك هو يحشرهم)
 أي هو وحده يقدر على حشرهم
 ويحييهم يحشرهم (انه حكيم
 عليم) باهر الحكمة واسع العلم
 (ولقد خلقنا الانسان) أي آدم
 (من صلال) طين يابس غير
 مطبوخ (من جابر) صفة لصلصال
 أي خلقه من صلال كائن من
 جابر أي طين اسود متغير

يعني من الطين الاسود (مسنون) أى متغير قال مجاهد وقادة هو المثنى المتغير وقال أبو
عبيدة هو المصوب تقول العرب سنفت الماء اذا صبغته قال ابن عباس هو التراب المتبل
المثنى جعل صلصا كالنفار والجمع بين هذه الأقاويل على ما ذكره بعضهم ان الله
سبحانه وتعالى لما اراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض فبها لما
حتى اسودت وانثر ريجها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
خلقه من تراب ثم ان لك التراب بله بالماء ونجسه وتغير واليه
الاشارة بقوله من جماسون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صورته صورة انسان اجوف
فلما جف وبس كانت نخل فيه الریح فتجمع له صلصلة يعنى صوتا واليه الاشارة بقوله
من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا تغير في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان
بشر اسرى بقوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعنى من قبل آدم عليه السلام قال ابن
عباس الجان أبو الجن كما ان آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان أبو الجن
وابليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون يا كلون وبشرون وبجئون
ويعوتون كبى آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يعوتون الا اذا مات ابليس
وقال وهب ان من الجن من يولد له وبيا كالون وبشرون بعنزلة الآدميين ومن الجن من
هو بمنزلة الریح لا تتوالدون ولا ياكلون ولا يشربون وههم الشياطين والاصح ان
الشياطين نوع من الجن لا شتر اكهم في الاستمرار واجنالتوارهم واستمرارهم عن
الاعين من قولهم جن الليل اذ استرو الشيطان هو العاني المتحرر الكافر والجن منهم المؤمن
وههم الكافر (من نار السموم) يعنى من ریح حارة تدخل مسام الانسان من اطرافها
وقوة حارها تقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم ولله الحارة التي
تكون بالليل الحار وروى قال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهى
نار بين السماء والحجاب فاذا حدث أمر خرق الحجاب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي
تسمعون من خرق ذلك الحجاب وهذا على قول أصحاب الهمزة ان السكرة الرابعة تسمى كرة
التاروقيل من نار السموم يعنى من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من
سبعين جزء من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الآية وقال ابن عباس كان
ابليس من حى من الملائكة يسمون الجان خلقا من نار السموم وخلق الجن الذين
ذكروا في القرآن من مارجه نار وخلق الملائكة من النور قوله عز وجل (واذ
قال ربك للملائكة) أى واذا كرى ما عهد اذ قال ربك للملائكة (انى خالق بشر) سمي
الآدمى بشر الاله جسم كسيف ظاهر والبشر عظامه الجلد (من صلصال من جماسون)
تقدم تفسيره (فاذاسوئته) يعنى عدلت صورته واتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي)
النفخ عبارة عن اجراء الریح في تجاويف جسم آدم ونفخ الروح في الشاة الاولى وهو
البراد من قوله ونفخت فيه من روحي وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على
سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسياق الكلام
على الروح حتى تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسئلونك عن الروح ان شاء الله تعالى

(مسنون) مصور وفى الاول
كان ترابا فجعل بالماء فصار طينا
فبكث فصار جافا فخلص فصار
سلافة فصور وييس فصار
صلصالا فلا تناقض (والجان)
أما الجن كآدم للناس أو هو
ابليس وهو منصوب بفعل
مضمر يفسره (خلقناه من
قبل) من قبل آدم (من نار
السموم) من نار الحار الشديد
النفاذ في المسام قيل هذه
السموم جزء من سبعين جزء من
سموم النار التي خلق الله منها
الجان (واذ قال ربك) واذا كرر
وقت قوله للملائكة انى خالق
بشر ان صلصال من جماسون
فاذاسوئته) أتممت خلقه
وهيأتها لنفخ الروح فيها (ونفخت
فيه من روحي) وجعلت فيه
الروح واحييت به وليس تمت
نفخ وانما هو تمثيل والاضافة
للتخصيص

(ففعوا له ساجدين) هو أم من وقع يقع أى اسقطوا على الارض يعنى اسجدوا له ودخل الغاء لانه جواب اذا وهو دليل على انه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل (فعبدا للالهة كلهم أجمعون) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتمل تاويل التفرق فقطعه بقوله أجمعون (الابليس) ظاهر الاستثناء يدل على انه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس ١٢٦ المستثنى منه وعن الحسن أن الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير الماء ولا يصير بالترك

ملعوننا وقال في الكشف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولنا رأيتهم الالهة (أى ان يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأى استثناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقل أى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أى (قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) حرض الجحور أن يحذوف نفسه مالك فى أن لا تكون مع الساجدين أى أى فرض لئلا يباينك السجود (قال لم أكن لامسجد) اللام لتأكيد النفي أى لا يصح منى أن يسجد (ابشر خلقه من مصالح من سما منون قال فانخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من جنة الملائكة (فانك رجيم) مطرودين رحمة الله ومعناه ملعون لان اللعنة هو الطرد من الرحمة والابعاد عنها (وان عليك اللعنة اليوم الدين) ضرب يوم الدين حدة اللعنة لانه بعد غاية يضربها الناس فى كلامهم

(ففعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم انى خلق بشرا أم هم بالسجود لا آدم بقوله ففعوا له ساجدين وكان هذا السجود وسجود تحية لا سجد عباد (فعبدا للملائكة كلهم) يعنى الذين أمروا بالسجود لا آدم (أجمعون) قال سيديوه هذا أو كيد بعد تو كيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فعبدا للملائكة لاحتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزمت إزالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا أنهم سجدوا بامرهم ثم عندهذا أبى احتمال آخر وهو أنهم سجدوا فى أوقات متفرقة أو فى دفعة واحدة فلما قال أجمعون ظهر أن الكل سجدوا دفعة واحدة ولم يحرك الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيديوه أجود لان أجمعين معرفة فلا تكون حلا لروى عن ابن عباس رضى الله عنه سمعان الله سبحانه وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لا آدم فلم يفعلوا فأرسل الله عليهم ناراً فحرقهم ثم قال جماعة أخرى اسجدوا لا آدم فسجدوا (الابليس أى أن يكون مع الساجدين) يعنى مع الملائكة الذين أمروا بالسجود لا آدم فعبدا (قال) يعنى قال الله (يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال) يعنى ابليس (لم أكن لأسجد ابشر خلقه من مصالح من سما منون) أراد ابليس انه أفضل من آدم لان آدم طينى الاصل والابليس نارى الاصل والنار أفضل من الطين فيكون ابليس فى قساسة أفضل من آدم ولم يدرك الخبيث أن الفضل فيما فضل الله تعالى (قال فانخرج منها) يعنى من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) أى طريد (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) قيل أن أهل السموات يلعنون ابليس كليلعنه أهل الارض فهو ملعون فى السماء والارض فان قلت ان حرض الى لا تنهى العافية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذى هو يوم القيامة قلت لا بل يرد ادعاء الى اللعنة التى عليه كأنه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معناه بعد ذلك عذابا دائما مستمر لا انتفاع له (قال رب فأظننى) يعنى أخرى (الى يوم يبعثون) يعنى يوم القيامة وأراد بهذا السؤال أنه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه أحد لزمت من ذلك انه لا يموت أبدا فلماذا السبب سال الا نظر الى يوم يبعثون فأجاب الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى الوقت الذى يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه فى الامهال اكرا ماله بل كان ذلك الامهال زيادة له فى بلائه وشقائه وعذابه وانما سمى يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان

والمراد به انك هذه ومدة عذابك باللعنة فى السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاداء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه (قال رب فأظننى) فانحنى (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خولف بين العبارات ساو كالالكلام طريقة البلاغة وقيل انما بال الانذار الى اليوم الذى فيه يبعثون لا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وأظننى أى أيام التكليف

لهم والممنى اقسام باغواك ايائى
(لا يزن لهم) المعاصى وفتو
قوله بما أغويتني لا يزن لهم
فيعز ذلك لاغويتهم في اقسام
الان احدهما اقام بصفة
الذات والثاني بصفة الفعل
وقد فرق الفقهاء بينهما فقال
العراقيون الخلف بصفة الذات
كالقدرة والعظمة والعزيم
والخلف بصفة الفعل كالرجة
والسخط ليس يمين والاصح
ان الايمان مبنية على العرف
فما عارف الناس الخلف به
يكون يميناً وما لا فلا لا يمين
يجتمع على المعركة في خلق الافعال
وجملهم على التمسك بعدول
عن الظاهر (في الارض) في
الدنيا التي هي دار العزور
واراد اني أقدر على الاحتمال
لا اتم والتزين له لا اكل من
الشجرة وهو في السماء فانا على
الستين لا ولادة في الارض
أقدر (ولاغوينهم اجمعين) الا
عبادك منهم الخاضعين وبكسر
اللام بصري وعكبي وشامي
استثنى الخاضعين لانه علم ان كيد
لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه
قال هذا صراط على مستقيم
ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا ان اتبعك من
الغاوين) أى هذا طريق حق
على أن أراعيه وهو أن لا يكون
لك سلطان على عبادي الا ان
اخترت اتبعك منهم الغوايته
وقيل معنى على الى على يعقوب
من علوا الشرف والفضل (وان جهنم اوعدهم اجمعين) (لما سبعة ابواب

ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون
فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لمسأل ابليس الانتظار الى يوم يمشون اجابه الله بقوله
فانك من المظنن الى يوم الوقت المعلوم يعنى اليوم الذي عنت وسالت الانتظار اليه
(قال رب بما أغويتني) الباء للعقم في قوله بما و ما مضى ذرية وجواب القسم (لا يزن)
والمعنى فباغواك اي لا يزن لهم في الارض وقيل هي باء السبب يعنى بسبب كونى
غاي لا يزن لهم في الارض) يعنى لا يزن لهم حب الدنيا ومعاصيها (ولاغوينهم
اجمعين) يعنى بالقاء الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس ساعا انه يموت على الله غير
مغفوره اسرص على اضلال الحق بالكفر واغواهم ثم استثنى فقال (الاعبادك منهم
الخاصين) يعنى المؤمنين الذين اخلاصوا للالتجسد والطاعة والعبادة ومن فني الام
من الخاصين يكون المعنى الامن اخصه واصطفاه لوجوبه وعبادته وانما استثنى
ابليس الخاصين لانه علم ان كيدهم وسوسه لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه حقيقة
الاخلاص فعمل انشئ خالصه عن شائبة الفير فكل من اتى بعمل من اعمال الطاعات
فلا يخلو اما ان يكون مراده تلك الطاعة وحده الله فقط او غير الله او مجموع الامرين اما
ما كان لله تعالى هو الخاص المقبول واما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود واما من
كان مراده مجموع الامرين فان ترجع جانب الله تعالى كان من الخاصين الناجين وان ترجع
الجانب الاخر كان من المسالكين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد والى أى
الخاصين رجح أخذه (قال) يعنى قال الله تبارك وتعالى (هذا صراط على مستقيم)
قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه
لا يرجع الى شئ وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائي
هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخافه طر بقل على أى التفت
منى وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والمداينة وقيل هذا على
الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق على الى يودى الى كرامتى ورضوانى (ان
عبادى ليس لك عليهم سلطان) أى قوتهم وقدرته وذلك ان ابليس لما قال لا يزن لهم في
الارض ولاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم الخاصين اوهم بهذا الكلام ان له سلطانا
على غير الخاصين فبين الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عبيده سواء
كان من الخاصين أو لم يكن من الخاصين قال أهل المعاني ليس لك سلطان على قلوبهم
وسئل سفيان بن عيينة عن هذا الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلبسهم في
ذنب يضيق عنه عفوى وهؤلاء خاصته أى الذين هذا هم واجبتهم من عباده (الامن
اتبعك من الغاوين) يعنى الامن اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب
كونهم متقدين له فيما يامرهم به (وان جهنم اوعدهم اجمعين) يعنى موعدا بليس
واشياعا وانتساعها (لها) يعنى لجهنم (سبعة ابواب) يعنى سبع طبقات قال على بن أبى
طالب تذكرون كيف ابواب جهنم هكذا وضع أحد يد يده على الاخرى أى سبعة ابواب
بعضها فوق بعض قال ابن جرير السبع دركات أو تسعة جهنم ثم قل ثم الحطمة ثم
من علوا الشرف والفضل (وان جهنم اوعدهم اجمعين) (لما سبعة ابواب

لكل باب منهم) من اتباع ابليس (بجزء مقسوم) نصب معلوم مفرق قيل أبواب النار أطرافها وادراكها فعلاها الواحد ين
يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون ١٢٨ والثاني لليهود الثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس

السبعة ثم سقر ثم الحميم ثم المساوية (الكل باب منهم جزء مقسوم) يعني لكل دركة قوم
يسكنونها والجزء بعض الشيء جزأه جعلته أجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يجزي
اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب
الكفر مختلفة فلذلك اختلف مراتبهم في النار قال الخليل في الدرر الاولي أهل
التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية
النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة
أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة أبواب باب منها
لنسل السيف على أمي أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال
حديث غريب قوله سبحانه وتعالى (ان المنافقين في جنات وعيون) المراد بالمؤمنين
الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي
والجنات المساتين والعيون الانهار الحارية في الجنات وقيل يحتسب ان تكون
هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يحتسب كل واحد من أهل
الجنة عيون أو يخرجى هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الأمرين محتمل فيتمثل
ان كل واحد من أهل الجنة يختص بعيون تجري في جناته وقصوره ودوره فينتفع بها
هو ومن يختص به من حوره وولده وانه يحتسب انها تجري من جنات بعضهم الى جنات
بعض لانهم قد ظهر وامن المحمد والمحمد (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها والقائل
هو الله تعالى أو بعض ملائكته (بسلام آمين) يعني ادخلوا الجنة مع السلامة والامن
من الموت ومن جميع الآفات (وترزقنا من صدورهم من غل) الغل المحمد الكامن
في القلب ويطلق على الشجاعة والعداوة والبغضاء والمحمد والمحمد وكل هذه
الحصائل المذمومة داخلية في الغل لانها كامنة في القلب يروى ان المؤمنين يحسون
على باب الجنة فيقتص لبعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقيت قلوبهم
من الغل والعش والحقد والحسد (اخوانا) يعني في المحبة والمودة والخلاطة وليس
المراد منه اخوة الذنب (على سرر) جمع سرر يقال بعض أهل المعاني السرير
مجلس رفيع عال مهيا للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس
على سرر من ذهب مكاله بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل صدء الى الجابية
(مقابلين) يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر أحد منهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار
ان المؤمن في الجنة اذا أراد ان يلي أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهم الى صاحبه
فيلتقيان ويتحدثان (لايسهم فيها) يعني في الجنة (نصب) أي تعب ولا عناء (وما هم
منها) يعني من الجنة (بمخرجين) هذا نص من الله في كتابه على خلود أهل الجنة في الجنة
والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكما لا نقصان ووفور بالرحمان قوله
سبحانه وتعالى (نبي عبادي أي أنا الغفور الرحيم) قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم

والسادس للمسكرين والسابع
للمنافقين) ان المتقين في جنات
وعيون) وضم العين مسدني
وبصري وحقق المتقي على
الاطلاق من يتقى ما يجب
اتقاؤه مساهني عنه وقال في
الشرح ان دخل أهل الكبائر
في قوله لاسبعة أبواب لكل باب
منهم جزء مقسوم فالمراد بالمؤمنين
الذين اتقوا الكبائر والافعال المراد
به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها)
أي يقال لهم ادخلوها (بسلام)
حال أي سالمين أو مسلما عليكم
تسلم عليكم الملائكة (آمين)
من الخروج منها والآفات فيها
وهو حال أخرى (وترزقنا
من صدورهم من غل) وهو
المحمد الكامن في القلب أي
ان كان لاحد منهم غل في الدنيا
على آخره الله ذلك في الجنة
من قلوبهم وطيب نفوسهم
وعن علي رضي الله عنه ارجو
أن أكون أنا واثنا عثمان وطحمة
والزبير منهم وقيل معناه ظهر
الله قلوبهم من ان تجاسدوا على
الدرجات في الجنة وترزق منها كل
غل وألقى فيها التوادد والعباد
(اخوانا) حال (على سرر مقابلين)
كذلك قيل تدور بهم الاسرة
حيثما داروا فيكونون في جميع
أحوالهم مقابلين يرى بعضهم
بعضا (لايسهم فيها نصب)
في الجنة تعب (وما هم منها)
بمخرجين) فتمام النعمة بالخلود
ولما تم ذكر الوعد والوعيد تبعه (نبي عبادي أي أنا الغفور الرحيم

وان عذابي هو العذاب الاليم) تقرير المأذ كروتمكينه في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد قدر عقو الله لما تورع
عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبتغ نفسه في العبادة وما أقدم على ذنب وعطف ١٢٩ (ونبتغهم) وأخير أمثل على نبي عبادي

لتنفذ وما أحل من العذاب
بقوم لوط عبرة لعبثرون بها
سخط الله واتقاهم من المجرمين
وبتقوا عذابه ان عذابه هو
العذاب الاليم (عن ضيف
ابراهيم) اي أضيفه وهو
جبريل عليه السلام مع أحد
عشر ملكا والضيف يحيى وأحد
وجعلا له مصدرا ضاه (اذ
دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي
نسلم عليك سلاما وسلمنا لسلاما
(قال) أي ابراهيم (انامنكم
وجلون) خائفون لامتناعهم
من الكل أولدخولهم غير اخن
وبغير وقت (قلوا لا توجل)
لا تخف (انانشرلك) استئناف
في معنى التعليل للنهي عن
الوجل أي انك بمشرا آمن فلا
توجل وبالتخفيف وفتح النون
جزء (بعلام علم) هو استحق
لقوله في سورة هود بشرناها
بما استحق (قال) أشركوني على أن
مسي (الكبر) اي أشركوني
مع مس الكبر بان يولد لي
ان الولادة أمر مستبشر عادة مع
الكبر (فهم تبشرون) هي ما
الاستفهامية دخلها معنى
التعجب كانه قيل فبأي عجوبة
تبشرون و بكسر النون
والتشديد مكى والاصل تبشرون
فادغم نون الجمع في نون العباد

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون
وبين أيديكم النار فتزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد تم فقط عبادي
ذكره البغوي وغيره (وأن عذابي هو العذاب الاليم) قال قتادة بلغنا أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عقو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه
البتغ نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول أن الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقه لها ثم أقرجة فامسك عندها سبع
واسعين رحمة وادخل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله
من الرحمة لياس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من
النار وفي الآية لطائف منها الله سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله نبي
عبادي وهذا تشریف وتعظيم لهم لأن ترى لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحانه الذي أسرى به بعد ليلة من كل اعترف على
نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشریف العظيم ومنها الله سبحانه وتعالى
لما ذكر الرحمة والمغفرة قال في التلأ كيدنا لفاظ ثلاثة أولها قوله أي وثانيها أنا وثالثها
ادخل الاف واللام في المغفرة والرحيم وهذا يدل على تعليل جانب الرحمة والمغفرة ولما
ذكر العذاب لم يقل أي أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب
الاليم على سبيل الاخبار ومنها الله سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يباغ
عباده هذا المعنى فكانه يشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة قوله سبحانه
وتعالى (ونبتغهم عن ضيف ابراهيم) هذا معطوف على ما قبله أي وأخير يا محمد عبادي
عن ضيف ابراهيم واصل الضيف المليل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من
مال اليك نزولك وصارت الضافة متعارفة في القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك
استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضيف وضيف
وضيفان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ليبتشروا ابراهيم
بالولد وهم كانوا قوم نوط (اذ دخلوا عليه) يعني اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه
السلام (فقالوا سلاما) أي سلم سلاما (قال) يعني ابراهيم (انامنكم وجلون) أي
خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكوا طعامه (قالوا لا توجل) يعني لا تخف
(انانشرلك بعلام علم) يعني أنهم يشهرون بولادتك كغلام في كبره وقيل علم
بالاحكام والشرائع والمراد به استحق عليه السلام فاما بشره بالولد فابراهيم من كبره
وكبر امراته (قال) أشركوني يعني بالولد (على أن مسني الكبر) يعني على حالة الكبر قاله
على طريق التعجب (فهم تبشرون) يعني فبأي شيء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب
كانه عجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك باحقي) يعني بالصدق الذي قضاه الله

ثم حدثت الباء بقيت الكسرة في الاعلام تبشرون بالتخفيف فاعمل والاصل
تبشرون في حذف الباء اجترأ بالكسرة وحذف نون الجمع واجتماع النونين الباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون
نون الجمع (قالوا بشرناك باحقي) باليقين الذي لا يلبس فيه

(فلا تسكن من القاطنين) من الآيسين من ذلك (قال) إبراهيم (ومن يقنط) أو بكسر النون بصرى وعلى (من رحمة ربه الا الضالون) الا الخاطئون طريق الصواب أو الا الكافرون كقوله انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون أى لم يستنكر ذلك قنوطا من رحمة ولكن استبعادا له الى العادة التى أجراها (قال فإخطبكم) فاشأنكم (أيها المرسلون قالوا) اننا أرسلنا الى قوم مجرمين (أى قوم لوط) (الا آل لوط) يريد أهلها المؤمنين والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالاجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من الضمير في مجرمين كانه قيل الى قوم قد أجمروا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناء لان آل لوط ١٣٠ مخرجون في المنقطع من حكم الارسال يعنى انهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى

أرسلهم الى القوم المجرمين كالرسول السهم الى المرمى فى أنه فى معنى التعذيب والهلاك كانه قيل اننا هلكنا قومنا مجرمين ولكن آل لوط أعطيناهم وأما فى المتصل فهم داخلون فى حكم الارسال يعنى ان الملائكة أرسلوا اليهم جميعا ليكفوا هؤلاء وينجوا هؤلاء اذا انقطع الاستثناء جرى (الانجوههم أجمعين) مجرى خبر لكن فى الاتصال بأل لوط لان المعنى لكن آل لوط متبعون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم فاحل آل لوط فقالوا اننا نجوههم (الامر أنه) مستثنى من الضمير المجزوفى لمتجوههم وليس باستثناء عن الاستثناء لان الاستثناء عن الاستثناء انما يابون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول أهلكتهم الا آل لوط الامر أنه وهنقاد

بان يخرج من ذلك ولذا كرر أكثر ذر يته وهو اسحق (فلا تسكن من القاطنين) يعنى فلا تسكن من الآيسين من الجزير والقفوط والاياس من الحسير (قال) يعنى إبراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) يعنى من يأس من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دليل على أن إبراهيم عليه السلام لم يكن من القاطنين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة أن به قنوطا فى ذلك عن نفسه واخبر أن القاطن من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من يجهل كرون الله تعالى قادر على ما يريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب لفضالة (قال) يعنى إبراهيم (فإخطبكم) يعنى فاشأنكم وما الامر الذى جئتم فيه (أيها المرسلون) والمعنى ما الامر الذى جئتم به سوى ما بشرتمونى به من الولد (قالوا) يعنى الملائكة (اننا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنى هلاك قوم مجرمين (الا آل لوط) يعنى اشياعه واتباعه من أهل دينه (اننا نجوههم أجمعين الامر أنه) يعنى امر آل لوط (قدرنا) يعنى قضينا واغنا أسند الملائكة القدر الى أنفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لا خصاصهم بالله وقر بهم منه كما تقول خاصة الملك فحن أمرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه بامر الملك (انهم ان العاربن) يعنى من الباقين فى العذاب والاستثناء من النبى اثبات ومن الالباب نبى فاستثناء امر آل لوط من الناجين يلحقها بالناجين (فلما جاء آل لوط المرسلون) وذلك ان الملائكة عليهم السلام لما شروا إبراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا الى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط (قال انكم قوم مذكرون) وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم فى زى شبان مردان حسان الوجوه فخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان السكر قد سد المعرفة فقوله انكم قوم مذكرون يعنى لا أعرفهم ولا أعرف من أى الاقوام انتم ولا لى غرض دخاتم على فعند ذلك (قالوا) يعنى الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعنى جئناك بالعذاب الذى كانوا يشكون فيه (واتيناك بالحق) يعنى

اختلف المحسبان لان آل لوط متعلق بارسلنا أو مجرمين والامر أنه متعلق بنجوههم فكيف يكون استثناء من استثناء لمتجوههم بالتخفيف جزوفى (قدرنا) وبالتخفيف أو بكر (انهم ان العاربن) الباقين فى العذاب قبل ولم تكن اللام فى خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم محضرون وانما أسند الملائكة فعل التقدير الى أنفسهم ولم يقولوا قد رآنا لله لقر بهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والامر هو الملك (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم مذكرون) أى لا أعرفكم أى ليس عليكم زى السفرو ولا أنتم من أهل المحضر فاخاف أن تطرقونى (ثم قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيتك من أعدائك وهو العذاب الذى كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أى يشكون ويكذبونك (واتيناك بالحق) باليقين من عذابهم

(وانالصادقون) في الاختيار بنزوله بهم - (فاسر باهلك بقطع من الليل) ا في آخر الليل أو بعدما مضى شيء فصاح من الليل
(واتبع ادبارهم) وسر خلفهم لئلا يكون مطلعاً عليهم وعلى أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) لئلا يروا ما ينزل بقومهم من
العذاب فيرقوا لهم أو جعل النسي عن الالتفات كناية عن مواصلة ١٣١ السير وترك التواني والتوقف لأن من يلتفت

لا بدله في ذلك من أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) حيث أمركم الله بالمضي اليه وهو الشام أو مصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضينا بالي لانه ضمن معنى أوحينا كأنه قبل وأوحينا اليه مضمياً ومتواتراً وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم أي يستأملون عن آخرهم حتى لا يبق منهم أحد (مضين) وقت دخولهم في الصبح وهو حال من هؤلاء (وجاء أهل المدينة) سدوم التي ضرب بقاضيه المثل في الجور (يستشرون) بالملائكة طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه (ان) لوط (أولم ننهك عن العالين) يعني أولم ننهك عن أن تصيف أحد من العالمين وقيل معناه أولم ننهك أن تدخل العرباء إلى بيتك فانظر يدان تركب منهم الفاحشة وقيل معناه السنأقدينناك أن تسكننا في أحد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا اضميافه (هؤلاء بضاتي) أزوجكم بأنهم ان أسلمتم فأثروا الحلال ودعوا المحرم وقيل أراد بالبنات نساء قومه لان النبي قالوا لا تمته (ان كنتم فاعلين) يعني ما أمركم به (العمر) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ماخلق الله نساء كرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما قسم خيما أحد الا بحميته والعمر والعمر واحد وهو اسم المدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدته حياته قال الخويون أنرفع لعمرك بالابتداء والخبر بخدوف والمضي لعمرك قسمي لخذف الخبر لان في الكلام دلالة عليه (انهم في سكرتهم) يعني في خيبرتهم وضلالتهم

باليقين الذي لا شك فيه (وانالصادقون) يعني فيما أخبرناك به من اهلاكم (فاسر باهلك بقطع من الليل) يعني آخر الليل والقطع القطعة من الشيء وبعضه (واتبع ادبارهم) يعني واتبع آثار اهلك وسر خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) يعني حتى لا يرى ما ينزل بقومهم من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع في السير وترك الالتفات إلى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشأنك ولا تعرج على شيء وقيل جعل ترك الالتفات علامة ان يجوم آل لوط ولئلا يتخلف أحد منهم فينال العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعني إلى الشام وقيل إلى الأردن وقيل إلى حيث يامرهم جبريل وذلك ان جبريل أمرهم أن يسيروا إلى قرية معينة معاملة أهلها عمل قوم لوط (وقضينا اليه ذلك الامر) يعني وأوحينا إلى لوط ذلك الامر الذي حكمنا به على قومه وفرغنا منه انه سجدناه وتعالى فسر ذلك الامر الذي قضاه بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) يعني ان هؤلاء القوم يستأملون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وما أباهم الامر الذي قضاه عليهم ولا يفسره ثانياً تفخيماً له وتعليقاً له (وجاء أهل المدينة) يعني مدينة سدوم وهي مدينة قوم لوط (يستشرون) يعني يبشرون بعضهم بعضاً بضياف لوط والاستأراض اظهار القرح والسرور وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط فهاهم في المدينة وقيل ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شاكين فاداروا في غاية الحسن ونهاية الجمال فغدا قوم لوط إلى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه (ان هؤلاء ضيفي) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفخون) يعني فيهم يقال ففخه بفخحه اذا أظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه (واتقوا الله) يعني خافوا الله في أمرهم (ولا تخزون) يعني ولا تتخجلون (قالوا) يعني قوم لوط الذين جاءوا الله (أولم ننهك عن العالين) يعني أولم ننهك عن أن تصيف أحد من العالمين وقيل معناه أولم ننهك أن تدخل العرباء إلى بيتك فانظر يدان تركب منهم الفاحشة وقيل معناه السنأقدينناك أن تسكننا في أحد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا اضميافه (هؤلاء بضاتي) أزوجكم بأنهم ان أسلمتم فأثروا الحلال ودعوا المحرم وقيل أراد بالبنات نساء قومه لان النبي قالوا لا تمته (ان كنتم فاعلين) يعني ما أمركم به (العمر) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ماخلق الله نساء كرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما قسم خيما أحد الا بحميته والعمر والعمر واحد وهو اسم المدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدته حياته قال الخويون أنرفع لعمرك بالابتداء والخبر بخدوف والمضي لعمرك قسمي لخذف الخبر لان في الكلام دلالة عليه (انهم في سكرتهم) يعني في خيبرتهم وضلالتهم

المتعرض له فأوعده وقال اللهم لا تتبها لوط لتكون من الخضرين او عن ضيافة الغرباء (قال هؤلاء بضاتي) فأنك كعوقن وكان نكاح المؤمنات من السفك أربا ترا ولا تتعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم فقاتل الملائكة لوط عليه السلام (لعمر) انهم في سكرتهم أي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتميزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من قوله

أشارا للاخف لكثرة دور
 الخلفاء على انفسهم ولذا حذفوا
 الخبر وقد مره بعد ذلك قسمي
 (فأخذتهم الصيحة) صيحة
 جبريل عليه السلام (مشرقين)
 الخليل في الشروق وهو بزوغ
 الشمس (فجعلنا عاليًا سافها)
 رفعها الجبريل عليه السلام
 الى السماء ثم قلها والضمير
 لقري قوم لوط (وأمرنا عاليهم
 بخارة من سميل ان في ذلك
 لآيات للذين آمنوا) للذين آمنوا
 المؤمنين كأنهم يعرفون باطن
 الشيء بظاهره (وانها) وان
 هذه القرى يعني آثارها
 (للسبيل مدية) ثابت يسلكه
 الناس لم يندرس بعد وهم
 يبصرون تلك الآثار وهو
 تنبيه لقريش كقولنا وانكم
 لتدرون عليهم مصعبين وبالليل
 (ان في ذلك لآية للذين آمنوا)
 لانهم المنة عن بذلك (وان كان
 أصحاب الايكة) وان الامر
 والشأن كان لأصحاب الايكة أى
 العيصية (الظالمين) لكافرين
 وهم قوم شعيب عليه السلام
 (فأتهمناهم) فأخذناهم
 لما كذبوا شعيبا (وانهما) يعني
 قري قوم لوط والايكة (ابامام
 سبين) بطريق واضح والامام
 اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق
 ومظهر المناء لانهما عا، وتم

وقيل في غلظهم (يعني هون) يعني يترددون متعبرين وقال قتادة يلعبون (فأخذتهم
الصيحة مشرقين) يعني حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذي نزل بهم وقت
الصبح وتماها وانتهوا وحين أشرق الشمس (نخعنا عاليا) سافها وأمطرنا عليهم حجارة
من سجيل) تقدم تفسيره في سورة قود (ان في ذلك) يعني الذي نزل بهم من العذاب
(الآيات للآتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمتعبين وقال مقاتل
للمتفرقين وقال مجاهد للمتفرسين ومعه هذا التأويل ماروي عن أبي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما افراصة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ
ان في ذلك آيات للآتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر
اسم من قولك تفرست في فلان الخبر وهي على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر
الحديث وهو ما وقع الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من
الكرامات واصابة المحسوس والظن والتثبت والنوع الثاني ما يحصل بدلائل
التجارب والخلق والاخلاق تعرف بذلك أحوال الناس أيضا والناس في علم الفراسة
تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة الآتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى
يعرفوا اسم الشيء وصفته وعلامته فالآتوسمين الناظر في سعة الدلائل تقول توسمت في فلان
كذا أي عرفت وسم ذلك وسمته (وانها) يعني قرى قوم لوط (للسبيل مقيم) يعني
بظهر بقى واضح قال مجاهد بظهر يقى يعلم ليس يخفى ولا رائل والمعنى ان آثار ما أنزل الله
بهم هذا القرى من عذاب وغضبه ليسيل مقيم ثابت لم يدثر ولم يخف والذين يرون عليها
من الحجاز الى الشام ينادون ذلك ورون أثره (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من عذاب
قوم لوط وما أنزل بهم (لا يلقاؤن من) يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله
عليه وسلم (وان كان أصحاب الايكة انضمامين) يعني كان أصحاب الايكة وهي الغصنة
واللام في قوله انضمامين للآكامه وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض
وشجره لمنف وكان عامة شعرهم القمل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم
شعيبا رسولا فيكذبونه فاهلكهم الله فهو قوله تعالى (فانقمه منهم) يعني بالعباد
وذلك ان الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحرس ساعة أيام حتى أخذوا نياتهم وقربوا من
الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى شعيبا كاتلة فالتجوا اليها واجتمعوا تحتها بالبنون
الروح فبعث الله عليهم نارا فاسرقهم جميعا (وانهما) يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب
الايكة (بامامهميين) يعني بطريق واضح مستبين لمن بهما وقيل الضمير راجع الى
الايكة ومدن لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمى الطريق اماما لانه يؤم ويتبع
ولان المسافر يات به حتى يصير الى الموضع الذي يريد قوله عز وجل (ولقد كذب أصحاب
الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر اسم واد كان سكنه نود وهو معروف بين المدينة
النسبة وقوله الشام وآثاره موجودة باقية فير عليها ركب الشام الى الحجاز واهل الحجاز الى

به (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) هم حمود والحجر وأديهم وهو بين المدينة
والشام المرسلين يعني متكذبيهم الخالان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسول جميعا فن كذب واحدا منهم فبكلنا
كذبهم جميعا (واذا دعا الحوامن معه من المؤمنين كما قيل الحبيرون

فإن الزبير وأصحابه (وآسناهم آياتنا فكانوا عناء معرضين) أي عرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وكانوا يخشون من الجبال بيوتا) أي يقبضون في الجبال بيوتا أو يبنون من الحجارة (آمين) لو ثاقفة البيوت واستكلمها من أن تهدم ومن تقب للصوص والاعداء وآمين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تصمهم منهنه (فاخذتهم الصيحة) العذاب (مصبين) في اليوم الرابع وقت الصبح (فأغنى عنهم ما كانوا يكرهون) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الادوال النفيسة (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) (الاخلاق) ملتسبا بالحق لا باطلا وعينا

١٣٣

الناس وأراد بالمرسلين صالحا واحده وانما ذكره بافظ الجمع للتعظيم أولا لهم كذبوه كذبوا من قبله من الرسل (وآسناهم آياتنا) يعني الناقة وولدها والاية التي كانت في الناقة خروجهما من العصرة وعظم جهنم وقرب بولدها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانهم رسل اليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها) يعني عن الآيات (معرضين) يعني تاركين لما غريبتين اليها (وكانوا يخشون من الجبال بيوتا آمين) يعني خوفا من الخراب أو أن يسرع عليهم الجبل أو السقف (فاخذتهم الصيحة) يعني العذاب (مصبين) يعني وقت الصبح (فأغنى عنهم ما كانوا يكرهون) يعني من الشرب والاعمال الخبيثة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعر قال لا تدخلوا ما كن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم الا ان تكونوا اياكم ثم رفع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي قوله سبحانه وتعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لاظهار الحق والعذاب وهو أن يشاب المؤمن والمصدق وما قب المجاهد الكافر الكاذب (وان الساعة لا تية) يعني وان القيامة لتأتي ليحازي الحسن باحسانه والمسي باسائه (فاضع الصفع الجبل) المضارب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فأعرض عنهم بمحمد وأعرض عنهم عفا واحسنا واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفع والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعدل الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الحق الحسن وان يعاملهم بالعهو والصفح الخالي من الجزع والخوف (ان ربك هو الخالق العليم) يعني انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فأنكروا وما يصلحهم قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعه من المثاني والقرآن العظيم) قال ابن الجوزي سبب نزولها أن سبع قوافل وافقت من بصرى وأذرعاء ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع البر والطيب والمجاهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقويناهما أو نقتنناها في سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف أولا يصح لان هذه السورة مكية باجماع أهل التفسير وليس فيها من المدي شي ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة فكيف يصح أن يقال ان سبع

لا شتمنا لعل على ما هو ثمنا على الله الواحدة مثناة أو مثنية قصفة لا تية واما السور الاسباع فله وقع فيها من تذكير القصص والمواظ والوعود والوعيد وما فيها من الثناء كأنها نثي على الله واذا اجعلت السبع مثاني فن للمثنيين واذا اجعلت القرآن مثاني فن للمثبعين (والقرآن العظيم) هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا اريد بالسبع الذائقة أو الطوال فساورة من ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل لدليله قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا اريد به الاسباع فالعني ولقد آتيناك مثاني قال السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع فلهذين العتين وهو المثنية او الثناء والعظيم ثم قال لرسوله

لا شتمنا لعل على ما هو ثمنا على الله الواحدة مثناة أو مثنية قصفة لا تية واما السور الاسباع فله وقع فيها من تذكير القصص والمواظ والوعود والوعيد وما فيها من الثناء كأنها نثي على الله واذا اجعلت السبع مثاني فن للمثبعين واذا اجعلت القرآن مثاني فن للمثنيين (والقرآن العظيم) هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا اريد بالسبع الذائقة أو الطوال فساورة من ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل لدليله قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا اريد به الاسباع فالعني ولقد آتيناك مثاني قال السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع فلهذين العتين وهو المثنية او الثناء والعظيم ثم قال لرسوله

قوافل جاءت في يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى غناها المسلمون فانزل الله هذه الآية
وأخبرهم ان هذه السبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل والله أعلم وفي المراد بالسبع
المثنى أقوال أحدها أنها فاتحة الكتاب وهذا قول عمرو بن مسعود في رواية عنه
وابن عباس في رواية الأكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبير في رواية عنه
وبجاءه وعطاء وقتادة في آخرين ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع
المثنى أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثنى والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجه
البخاري وفيه زيادة أما السبب في تسميتها فاتحة الكتاب بالسبع المثنى فلاها سبع آيات
باجتماع أهل العلم واختلّفوا في سبب تسميتها بالمثنى فقال ابن عباس والحسن وقتادة لأنها
تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها
الأول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة
بينى وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضل الفاتحة وقيل سميت مثنى لأن
كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم إياك نعبد وإياك نستعين وهذا الصراط المستقيم
صراط الذين فكل هذه ألفاظ مثناة وقال الحسن بن الفضل لأنها نزلت مرتين مرة بمكة
ومرة بالمدينة مع السبع مائة ألف ملك وقال مجاهد لأن الله سبحانه وتعالى استثنى
وأخبر هذه الأمة في إعطائها لغيرهم وقال أبو زيد الجبلي لأنها ثنى أهل الشعر عن الثمر
قول العرب ثبت عناني وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثنى لاشتغالها على
الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه وإذا ثبت كون الفاتحة هي السبع
المثنى دل ذلك على فضلها وشرافها وانها من أفضل سور القرآن لأن أفرادها بالذكري
قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من القرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن
واحدي سورة لا بد وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير
قوله سبعاً من المثنى أنها السبع النوال وهذا قول ابن عمرو بن مسعود في رواية عنه
وابن عباس في رواية عنه وسعيد بن جبير في رواية عنه السبع الطوال هي سورة
البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلّفوا في السابعة فقيل
الانفال مع براءة لأنها كالسورة الواحدة ولهذا المكية وايدىها ماطر بسم الله الرحمن
الرحيم وقيل السابعة هي سورة تونس ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان
التوراة وأعطاني المثني مكان الإنجيل وأعطاني مكان الزبور المثنى وفضاني ربي
بالمفضل أخرجه البغوي بإسناد الثعلبي قال ابن عباس إنما سميت السبع الطوال مثنى
لأن القرائن والمجدود والامثال والخبر والعبر ثبت فيها وأورد على هذا القول أن هذه
السور الطوال غالبها مدنيات فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهي مكية وأوجب

عن هذا الاربابان الله سبحانه وتعالى حكم في سابق عليه بانزال هذه السورة على النبي
صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه الآية بهذه السورة والقول
الثالث ان السبع المثاني هي السورة التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المثاني
وحجة هذا القول الحديث المتقدم وأعطيني مكان الزبور المثاني والقول الرابع ان
السبع المثاني هي القرآن كله وهذا قول طاووس وحجة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى
قال الله نزل احسن الحديث كتابا بمشاهدا مثاني وسمى القرآن كله مثاني لان الاختيار
والقصص والامثال ثبت فيه فان قلت كيف يصح عطف القرآن في قوله والقرآن
العظيم على قوله سبع امان للمثاني وهل هو الاعطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع
المشاني فاتحة الكتاب أو السبع الطوال فاوراءه من يطلق عليه القرآن لان القرآن
اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله عما أوحينا اليك هذا القرآن
يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عني بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد
آتيناك سبع امان للمثاني وهي القرآن العظيم وانما سمي القرآن عظيما لانه كلام الله
ووجه انزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم قوله (لا تمدن عينيك) الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم أي لا تمدن عينيك يا محمد (الى ما تمنى به أزواج) يعني أصنافا (منهم)
يعني من الكفار تمنى لها نهي الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في
الدنيا وزاجرة أهلها عليها والمعنى انك قد أوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل
شيء فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ابن سفيان بن عيينة
بأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من امن لم يمتنع بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن
فتأول هذه الآية قبل ان يكون مادعا اليه الى الشيء اذا دام النظر اليه مستغنا له
ففيحصل له من ذلك معنى ذلك الشيء المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر
الى شيء من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه (ولا تحزن عليهم) يعني ولا تنغم على
ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقبل ولا تحزن على ايمانهم اذ لم يؤمنوا فقيه النبي عن
الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا وروى البغوي بسنده عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعظن فاجر ابغمة فانك لا تدري ما هو لاق
بعد موته انه ههنا الله قال لا يموت قيل لا بين أي مرية ما قال لا يموت قال النار (ق) عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال
وأخلق فلينظر الى اسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو احدر ان لا تزددوا
نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت اصحب الاغنياء فكان احدا كثرهما
منى كنت أرى دابة خيرا من دابتي ووفوا بخير ايمان ثوبي فلما سمعت هذا الحديث حجت
الفقراء فاسترحمت وقوله سبحانه وتعالى (واخفض جناحك) يعني لين جناحك (المؤمنين)
وارفق بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع
واللين والرفق بفقر المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) أي وقل لهم يا محمد (اني أنا

(لا تمدن عينيك) أي لا تطمع
ببصرك طموح وراغب فيه
متمن له (الى ما تمنى به أزواج)
منهم) أصنافا من الكفار
كاليهود والنصارى والمجوس
يعني قد أوتيت النعمة العظمى
التي كل نعمة وان عظمت
فهى اليها حقيرة وهى القرآن
العظيم فليكن ان تستغنى به
ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا
وفي الحديث ليس من امن لم
يتغن القرآن وحديث ابي بكر
أوتي القرآن فراى ان احدا
اوتي من الدنيا أفضل مما اوتي
فقد صغر عظميا وعظم صغيرا
(ولا تحزن عليهم) أي لا تمن
أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم
لم يؤمنوا فتعقوبهم ككناهم
الاسلام والمسلمون (واخفض
جناحك للمؤمنين) وتواضع لمن
معل من فقراء المؤمنين وطيب
نفسك عن ايمان الاغنياء
(وقل) لهم (اني أنا

الأنذر المبين) أنذركم ببيان ورهان أن عذاب الله نازل بكم (كما أنزلنا) متعلق بقوله وقد آتيناك آياتنا على مثل ما أنزلنا (على المقتسمين) وهم أهل الكتاب ١٣٦ (الذين جعلوا القرآن عضين) أجزاء جمع عضته وأصلها عضوة فله من عضى

الشاة أذاجعلها أعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فأقسموه إلى الحق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة كذا ويقول الآخر سورة آل عمران كذا وأريد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد أقسموه فاليرود أقسرت ببعض التوراة وكذب ببعض والنصارى أقسرت ببعض الانجيل وكذب ببعض ويحيون أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالأنذر أي أنذر المعضين الذين يحرثون القرآن إلى سحر وشعوذة أساطيرهم مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الانثاء عشر الذين أقسموه وأدخل مكة أيام الموسم فعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا نتعزوا بالأنذار خارج من فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله ولا تعدن عينيك على الوجه الأول اعتراض بينهم لأنه لما كان ذلك تسليفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض عاهو

الأنذر المبين) ما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به إليهم والتبذارة تبليغ مع تخويف وللعتنى انى أنا الأنذر بالعقاب لمن عصانى المؤمنين البين التبذارة (كما أنزلنا على المقتسمين) يعنى أنذركم عذاباً كعذاب أنزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس إذا دنا المقتسمين إليهم ودوا النصراري وهو قول الحسن ومجاهد وقادة سمران بذلك لأنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة أنهم أقسموا وسور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة كذا وقال آخر هذه السورة كذا وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد أنهم أقسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفر آخرون منهم بما آتاه من غيرهم وقال قتادة وابن السائب إذا دنا المقتسمين كفار قریش سمعوا بذلك لأن أقوالهم تقسمت في القرآن فقال بعضهم أنه سحر وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين وقال ابن السائب سمعوا بالمقتسمين لأنهم أقسموا عقاب مكة وطرقها وذلك أن الوليد بن المغيرة بعث رهطاً من أهل مكة فدخل ستة عشر وقيل أربعين فقال لهم انظروا فتنفروا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم أهل الموسم فإذا سألواكم عن محمد فليقل بعضكم أنه كاهن وليقل بعضهم أنه شاعر وليقل بعضهم أنه ساحر فإذا جاؤا إلى صدقكم فذهبوا وأقسموا على عقاب مكة وطرقها فيقولون لمن مر بهم من سجاج العرب لا تعزوا بهذا الحجاج الذي يدعى النبوة منافاة بخون كاهن وشاعر وتعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فإذا جاؤا سألوه عما قال أولئك المقتسمون قال صدقوا وقوله سبحانه وتعالى (الذين جعلوا القرآن عضين) (ع) عن ابن عباس في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤهم أجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض فلهو جمع عضته من قولهم عصيت الشيء إذا فرقت به وجعلته أجزاء وذلك لأنهم جعلوا القرآن أجزاءً مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو أساطير الأولين وقيل هو جمع عضته وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضه وهو السحر يعنى أنهم جعلوا القرآن سحراً (فوريك لنسألكم أجمعين) أقسم الله بنفسه أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين (عما كانوا يعملون) يعنى عما كانوا يقولونه في القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكبر والمعاصي وقيل يرجع الضمير في نسألكم إلى جميع الخلق المؤمن والكافر لأن اللفظ عام فعمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لاله الله عن أس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لنسألكم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لاله الله الآخر جسه الترمذى وقال حديث غريب وقال أبو العالية يسأل العباد عن خلقهم عما كانوا يعملون وماذا أجابوا المرسلين فان قلت كيف أجمع بين قوله لنسألكم أجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أحد ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسألهم هل علمت لانه أعلم به

مدار عن التسليمة من النسي عن الانبياء إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل منهم بكليته على المؤمنين (فوريك لنسألكم) أجمعين عما كانوا يعملون) أقسم بذاته ورؤيته ليسألن يوم القيامة واحداً واحداً من هؤلاء المقتسمين عما قالوه في رسول الله صلى الله عليه وسلم

منهم وليكن يقول لم علم كذا واعلمه قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام
وسؤال توبيخ فقولته تعالى فيومئذ لا يسئلكم عن ذنبه اناس ولا جان يعني سؤال استعلام
وقوله لنسئلهن ام اجعين سؤال توبيخ وتقرير وجواب آخر وهو روى عن ابن عباس
ايضا انه قال في الايتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقيف فيسئلون في بعض
المواقف ولا يسئلون في بعضها فظنوه قوله سبحانه وتعالى في هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى
في آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قوله سبحانه وتعالى (فاصدع عما
تؤمر) قال ابن عباس اظهر ويرى عنه امضه وقال الخليل اعلم واصل الصدع الشق
والافرق أى افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية
بإظهار الدعوة وتبليغ الرسالة إلى من أرسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة ما زال النبي صلى
الله عليه وسلم مستغفرا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض عن
المشركين) أى كفف عنهم ولا تلتفت إلى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك
وقيل أعرض عن الاهتمام باستنزائهم وهو قوله سبحانه وتعالى (انا كفيناك المستهزئين)
أكثر المفسرين على أن هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم بالنسخ وجه
لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات إليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا
كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل انبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع عما
أمرتك ولا تخف أحدا غيري فإني أنا كافيت وحافظك بمن عاداك فإنا كفيناك
المستهزئين وكونوا خمسة نفر من رؤساء كفار قریش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله
عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي
والاسود بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن زغبة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد دعاه عليه فقال اللهم أعم بصره وأسك بولده والاسود بن عبيد يغوث بن
هوب بن عبد مناف بن زهرة والحارث بن قيس بن طلحة كذا ذكره البغوي وقال ابن
الجوزي الحارث بن قيس بن عيطلة وقال الزهري عطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب
إلى أبيه وأمه قال المفسرون أني جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه
فخبره الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بش عبد الله فقال قد
كفيتهم وأوء إلى ساق الوليد فخر الوليد رجل من خزاعة نبالي يرش نبالة وعليه مرد
يمان وهو يحبر أذاه فقلعت شظية من النبل بازار الوليد فبغى السكبر أن يضا طئ رأسه
فميتزها وجعلت تضربه في ساقه فخذته ففرض منها فأت ومهما العاص بن
وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بش عبد الله فأشار جبريل إلى
أنخص قدمه وقال قد كفيتهم فخرج العاص على راحلة يتزهر ومعه ابناه فزل شعبا من
تلك الشعاب فوطئ شربة فدخل منها شوكة في أنخص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا
فلم يجدوا شيئا واقتغت رجله حتى صارت مثل عبق البعير فأت مكانه ومهما الاسود
ابن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأشار جبريل يده إلى

أوفى القرآن أوفى كتب الله
(فاصدع عما تؤمر) فاجهر به
وأظهره يقال صدع بالجه إذا
تكلم بها جها رامن الصديق
وهو الفجر أو فاصدع فأفرق بين
الحق والباطل من الصدع في
الزجاجة وهو الابانة مما تؤمر
والمعنى بما تؤمر به من الشرائع
فخفف الجار كقوله
أمرتك المخبر فافعل ما أمرت به
(وأعرض عن المشركين) هو
أمر استهانته بهم (انا كفيناك
المستهزئين) المجموع ورعى أنها
نزلت في خمسة نفر كانوا يهجون
في أيذاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاستهزاء به
فأهلكهم الله وهم الوليد بن
المغيرة ومتر بنسأل فتعلق بثوبه
سهم فأصاب عرقا في عقبه
فقتله فأت والعاص بن وائل
دخل في أخذه شوكة فانتفعت
رجله فأت والاسود بن عبد
المطلب عى والاسود بن عبد
يغوث جعل ينطح رأسه بالنخلة
ويضرب وجهه بالشوك حتى
مات والحارث بن قيس اعتط
فقتلوا مات

عينه وهو قال قد كفيته فعمي قال ابن عباس رماه جبريل بورقة حضراء فذهب بصره
 ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي قال أنا جبريل
 وهو قال أصل شجرة قومه غلام له وفي رواية فجعل ينطح رأسه في الشجرة حتى ضرب
 وجهه بالنوك فاستعاث بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غير كذا فأت
 وهو يقول قتلني محمدوم بهما الاسود بن عبيد يعوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد
 فقال بنس عبد الله على أنه خالي فقال جبريل قد كفيته وأشار إلى بطنه فأسسقي بطنه
 فسأت وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فاصابه سموم فأسود وجهه حتى صار حديثا
 فألقى أهله فلم يعرفوه وأغلة وأدونه الباب فسأت وهو يقول قتلني رب محمدوم بهما الحجر
 ابن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ جبريل إلى رأسه وقال
 قد كفيته فاحتفظ بحياته فقتله وقال ابن عباس أنه أكل حوتا لمألفا فاصابه العطش فلم يزل
 يشرب الماء حتى انتقد بطنه فسأت فذلك قوله تعالى أنا كفتناك المستهزئين يعني بك
 وبالقمران (الذين يجعلون مع الله الهما آخر فسوف يعلمون) يعني إذا نزل بهم العذاب
 ففهم وعيد وتهيئته قوله سبحانه وتعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون)
 يعني بسب ما يقولون وهو ما كانوا يسمونه من الاستهزاء به والقول الفاحش والجملة
 البشري به تأتي ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالنسيج والعبادة
 وهو قوله (فسيج محمد ربك) قال ابن عباس فصل بأمر ربك (وكن من الساجدين) يعني
 من المتواضعين لله وقال البخاري فسيج محمد ربك قل سبحانه الله وبحمده من كن من
 الساجدين يعني من المصلين روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خربه أمر فرغ على
 الصلوات قال بعض العارفين من المحققين أن السب في زوال الحزن عن القلب إذا أتى
 العبد بهذه العبادات أنه تنور بطنه ويشرق قلبه وينفسي ويشرح صدره فعند ذلك
 يعرف قدر الدنيا وحسارتها فلا يلتفت إليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والغم
 والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء إذا نزل بالعبد مكره ففرغ إلى الصلاة فكانه يقول
 يا رب اغني عني عبادتك سواء أعطيتني ما أحب أو كفيته ما كره فاعبدك وبين
 يدك فاعمل في مآثرك قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعني الموت الموقن به
 الذي لا شك فيه أحد والمعنى واعبد ربك في جميع أوقالك ومدة حياتك حتى يأتيك
 الموت وأنت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم أو صابني بالصلاة
 والزكوة مادمت حيا روى البغوي بسنده عن جبريل بن نفير قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلى أن نسبح بحمد
 ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عرفال بن مكرم قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير فقبلوا عليه إهاب كبش قد تمطق به فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد أرتبه بين أيديه يغذيه بأطيب
 الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شرها أوقال شريك بن عبد الله في درهم قد عاهد
 الله وحب رسول الله إلى ما ترون ذكره البغوي بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(الذين يجعلون مع الله الهما آخر
 فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم
 يوم القيامة (ولقد نعلم أنك
 يضيق صدرك بما يقولون) فيك
 أوفي القرآن أوفي الله (فسيج
 محمد ربك وكن من الساجدين)
 فأفرغ فيما نالك إلى الله والفرغ
 إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة
 السجود يكفك ويكشف عنك
 الهم (واعبد ربك) ودم على
 عبادة ربك (حتى يأتيك
 اليقين) أي الموت يعني مادمت
 حيا فاستغل بالعبادة وكان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إذا خربه أمر فرغ إلى الصلاة

﴿تفسير سورة النحل﴾

مكة الا قوله تعالى وان عاقبتهم فما قبووا يمثل ما عوقبتهم به الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل خزنة قاله ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انها مكة غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشعروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله يعملون وقال قتادة هي مكة الخمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله تعالى وان عاقبتهم الى آخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الاية وقيل كان يقال سورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وعثمان وعشرون آية وألفان وعثمان وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبع مائة وسبعة أحرف
(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله سبحانه وتعالى (إني أمر الله) يعني جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أتناك الامر وهو موقع الخبيء بعد ما أتى ومعنى الآية (إني أمر الله وعدا) (فلا تستجملوه) يعني وقوعا والمراد به مجيء القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شيء قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله تعالى اقتراب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا فتنوفا به فنزل (إني أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستجملوه فاطمأنوا والاستجمل طاب مجيء الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بإصبعه يدهما الخ جاز في الحديثين من حديث سهل بن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل أحدهما على الآخرى وضيم السبابة إلى الوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتهما كفضل هذه على الآخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشرط الساعة ولما سجد جبريل باهل السموات معوثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب باللعن بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فاستجمل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعني تنزه الله وتعالى بالاصناف الحميدة عما يصفه به المشركون قوله سبحانه وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعني بالوحي (من أمره) وإنما سمي الامر روحا لانه تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعني ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ الوحي

﴿سورة النحل مكية وهي مائة وعثمان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كانوا يستجملون ما وعدوا من

قيام الساعة ونزل العذاب بهم

يوم بدر استهزأوا بكذبا

بالوعد فقيل لهم (إني أمر الله)

أني هو بمنزلة الآتي الى الواقع وان

كان منتظرا لتقرب وقوعه (فلا

تستجملوه سبحانه وتعالى عما

يشركون) تبرأ من كل من ادعى ان

يكون له شركاء وعن اشرارهم

فأمروا بصلواتهم وصدقهم

هذا باستجملهم من حيث ان

استجملهم استهزأوا بكذب

وذلك من الشرك (ينزل الملائكة

بالروح) بالوحي أو بالقرآن لأن

كلامهم بما يقوم في الدين مقام

الروح في الجسد ويجي القلوب

المستعصمة بالجهل (من أمره) على من

يشاء من عباده

أن أنذروا) أن مفسر لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أنه لا اله الا أنافا تقون) أعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمتمو المعنى وعلماوا الناس قولي لا اله الا أنافا تقون تخافون وبالياء يعقوب ثم على وحدانية وانه لا اله الا هو وبما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من ١٢٠ خلق السموات والارض وهو قوله (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) وبالنسبة

الى الخلق (أن أنذروا) يعنى بان أعلموا (أنه لا اله الا أنافا تقون) أى خافون وقيل معناها مروا بقول لا اله الا الله منذر بين يعنى مخوفين بالقرآن (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) تقدم تفسيره (خلق الانسان من نقطة فاذا هو خصم مبين) يعنى انه جعله بالباطل بين الخصومة نزلت فى ابي بن خلف الجمحى وكان يشكر البعث فجاء بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله يحيى هذا العظم بعد ما رمى فنزلت فيه هذه الآية وتزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيى العظام وهى رميم والحيض ان الآية عامة فى كل ما يقع من الخصوصية فى الدنيا ويوم القيامة وجميعها على العموم اولى وفيها بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نقطة قدوة قصار جبارا كثير الخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله الكفار من جدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم قوله عز وجل (والانعام خلقها) اى اذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم اتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما يتفجع به فى سائر ضروراته ولما كان اعظم ضرورات الانسان الى الكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المتفجع به فى ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهى الابل والبقر والغنم قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال تعالى (لكم فيها داف) قال ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم فيها داف ثم ابتدأ فقال تعالى فيها داف قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله خلقها ثم ابتدأ بقوله لكم فيها داف والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها داف ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها داف وهو ما يستدفع به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار المحاصلة من النعم (ومنافع) يعنى النسل والدر والركوب والجمال عليها وسائر ما يتفجع به من الانعام (ومنها تاكلون) يعنى من لحومها فان قلت قوله تعالى ومنها تاكلون يقيد المحصر لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقيد بكل من غيرها قلت الا كل من هذه الانعام هو الذى يعتمد عليه الناس فى معاشهم وأما الا كل من غيرها كالدر واللبط والاوز وصياد البر والبحر فغير معتد به فى الغلب وأكاه يجرى مجرى التفكك سفخرج ومنها تاكلون مخرج الغلب الا كل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم اخبره منفعة الاكل وقد قدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس اكثروا عظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل وقوله سبحانه وتعالى (ولكم فيها) أى فى الانعام (جمال) أى زينة (حين تريحون) حين تريحون) الاراحة رد الابل بالعشى الى مرعىها حيث تاوى اليه بالليل ويقال

تعالى عما يشركون) وبالنسبة فى الموضعين جزوة على وخلق الانسان وما يكون منه وهو قوله (خلق الانسان من نقطة فاذا هو خصم مبين) أى فاذا هو منطيق يجادل عن نفسه مكافع لخصومه مبين محجة بعدما كان نقطة لا حس به ولا شركة اوفادا هو خصم لربه منكرا على خالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم وهو وصف للانسان بالوقاحة والتمادى فى كفران النعمة وخلق ما لا بد له منه من خلق البهائم لا كفه وركوبه وجمال أبقاله وسائر حاجاته وهو قوله (والانعام خلقها لكم) هى الأزواج الثمانية وأكثرا يقع على الابل وانتصابها ضمير يفسره الضاهر كقوله والقمر قدرنا منازل أوابا لعف على الانسان أى خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم أى ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان (فيها داف) هو اسام ما يدفعه من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر (ومنافع) وهى نسلها ودرها (ومنها تاكلون) قدم الظرف وهو مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها لان الاكل منها

هو الاصل الذى يعتمد عليه الناس فى معاشهم وأما الاكل من غيرها كالدر واللبط وصياد البر والبحر فكثير العندبه وكما يجرى مجرى التفكك (ولكم فيها جمال حين تريحون) تردونها من مرعىها الى مرعىها بالعشى (وحين تريحون) ترسلونها بالعدة الى مسارجهم ان الله تعالى بالتجمل بها كمن بالانقطاع عنها لانه من اغراض أصحاب المواشى

لان الرعيان اذ اروحوها بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت باراحتها ١٤١ وتسرحها الافنية وفرحت اربابها واكسبتهم

الحمار والحمة عند الناس وانما قدمت الاراحة على التسريح لان الجمال في الاراحة اظهر ادا اقبلت ملائمة البطون حافلة الضروع (وتحمل أبقالكم) أبقالكم (الى بلدكم تكونوا بالغية الاشق الانفس) وبقع الشين أبو جعفر وهما الغتان في معنى المشقة وقيل المفتوح مصد شق الامر عليه شقا وحقته راجعة الى الشق الذي هو الصدد وأما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد والمعنى وتحمل أبقالكم الى بلدكم تكونوا بالغية ولم تخاف الابل الاجتهاد ومشقة فصلان تحملوا أبقالكم على ظهوركم أو معنامل تكونوا بالغية بها الاشق الانفس وقيل أبقالكم ايذاكم ومنه الثقلان للجن والاناس ومنه وأخرجت الارض أبقالها أي بني آدم (ان ربحكم لرؤف رحيم) حيث ربحكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير لتركبوها رؤف رحيم) عطف على الانعام أي وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمته أن كل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدماد كره في الانعام ومنفعة الاكل أقوى والابنية سميت لبسان النعمة ولا يليق بالحكميم أن يذكر في مواضع المنة ادنى التمتين ويترك أعلاهما وانتصاب ربه على الفعل له عطف على محل لتركبوها وخلق

سرح القوم يلهم تسرحها اذا أخرجوها بالغداة الى المرى قال أهل اللغة وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط النبت ونبت العشب والكلاب خرجت العرب للجمعة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمتها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرى وروحوها بالعشي الى الافنية والبيوت يسرع للابل رغاء وللشاة نغاء يحاب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح اربابها بها وتجمل بها الافنية والبيوت وبعضهم وقعها عند الناس فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة وهو رجوعه الى البيوت أكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرى ملائمة البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها الى المرى فانها تخرج جماعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار للرعى في البرية فثبت بهذا البيان أن التجمل في الاراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه وقوله سبحانه وتعالى (وتحمل أبقالكم) الاثقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر (الى بلد) يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن وإلى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثر تجاراتهم وأسفارهم الى الشام واليمن ووجهه على العموم أولى لانه خطاب عام فدخل السكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض الخطاطين (لم تكونوا بالغية) يعني بالغى ذلك البلد الذي قصدونه (الاشق الانفس) يعني بالغى في التعب والعناء والشق نصف الشيء والمعنى على هذا لم تكونوا بالغية لابتغصان قوة النفس وذهاب نصفها (ان ربحكم لرؤف رحيم) يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع قوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها) هذه الابنية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل أن تتركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والارط والنساء (وزينة) يعني وجعلها زينة مع المنافع التي فيها

(فصل) احتج بهذه الابنية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال هذا لر كوب واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمه الله واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكر الله تعالى علنا تحريم أكله ولو كان أكل لحوم الخيل حائزا للكان هذا المعنى أولى بالذکر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومن ساءت كاون وخص هذه بالر كوب فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا لالاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعد بن جبير واليه ذهب الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه وأجدوا اسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق انها قالت سخرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسافا كنا ما في رواية قالت فبخنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدية فاكلناه أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجوار اهلية

أن يذكر في مواضع المنة ادنى التمتين ويترك أعلاهما وانتصاب ربه على الفعل له عطف على محل لتركبوها وخلق

وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا من خير لحوم الخيل وحجر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجمار الألهي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابنا بنهنا خاصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينها عن الخيل وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بأن ذكر الر كوب والزينة لا يدل على أن منفعتها مختصة بذلك وإنما خاصها أن المنفعة تان بالذكرا لأنهم أعظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الأثقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الأثقال على الخيل وقال البيهقي ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحرير بل المراد منها تعريف الله عباده بنهنا ونهيهم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح العمد عليه في إباحة لحوم الخيل أن السبعة مينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي أن الخيل والبغال والحمير مخلوقة للر كوب والزينة وكان الأكل مسكوتاً عنه دأراً لمرقه على الإباحة والتحرير فوردت السبعة بإباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فأخذ بها جميع النسخين والله أعلم وقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي ينتفع بها الإنسان في جميع حالاته وضرورياته على سبيل التوصل ذكر بعدها ما لا ينتفع به الإنسان في الغالب على سبيل الاجمال لأن مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو يفهمه قل هذا ذكرها على الاجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني مما عدا الله لا هله الجنة ولا هله النار في النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس في النبات والدود في الفواكه قوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال طريق قصده وقاصداً إذا أدك إلى مطلوب وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين (ومنها جائر) يعني ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ممال الكفر وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والقوانين وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الأهواء والبدع (ولو شاء قلنا كم أجمعين) فيه دليل على أن الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أدمهم الإيمان لأن كلمة لو تفيد انتفاء الشيء انتفاء غيره فقوله ولو شاء قلنا كم أجمعين معناه ولو شاء هدايتكم قلنا كم أجمعين وذلك يفيد أنه تعالى ما شاء هدايتهم فلجزم ما هداهم قوله عز وجل (هو الذي أنزل من السماء ماء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده مخلق الحيوانات لأجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر أنزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على العباد فقال هو الذي أنزل من السماء يعني من السماء يعني والله الذي خلق جميع الأشياء هو الذي أنزل من السماء ماء يعني المطر (لكم منه) يعني من ذلك الماء (شراب) يعني تشربونه (ومنه) يعني من ذلك الماء (شجر) الشجر في اللغة

ما لا تعلمون من أصناف خلقه وهو قوله (ويخلق ما لا تعلمون) ومن هذا وصفه تعالى عن أن يشركه غيره (وعلى الله قصد السبيل) المراد به الجنس ولذا قال (ومنها جائر) و القصد مصدر بمعنى الأفعال وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقدم الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه أن هداية النظر إلى الموصول إلى الحق عليه كقوله إن علينا للهدى وليس ذلك لأحد غيرنا فلا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلاً وقيل معناه وإلى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبين الطريق الواضح المستقيم والدعاء إليه بالحق ومناهجاً ترى من السبيل مماثل عن الاستقامة (ولو شاء قلنا كم أجمعين) أراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) لكم متعلق بأنزل أو خير لشراب وهو عايشرب (ومنه شجر) يعني الشجر الذي ترعاه المواشي

ماله ساق من نبات الارض وتقل الواحدى عن أهل اللغة أنهم قالوا الشجر أصناف ما جل
 وعظم وهو الذى يبقى على الشتاء وما دق وهو من غان أحدهما تبقى له أدوحة فى الشتاء
 وينبت فى الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق فى الشتاء كالتيول وقال أبو اسحق كل ما ينبت
 على وجه الارض فهو شجر وأشد **نقطعها اللحم اذا عرا الشجر** *
 أراد أنهم يسقون الخيل اللبن اذا أجدبت الارض وقال ابن قتيبة فى هذه الآية معنى
 النكلا ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذى أنزل من السماء ما ترى الراعية من ورق
 الشجر لان الابل ترمى كل الشجر (فيه) يعنى فى الشجر (تسمون) يعنى ترعون
 مواشيك يقال أسمت السائمة اذا خليتها ترمى وسامت هى اذا رعت حيث شاءت
 (ينبت لكم) أى ينبت الله لكم وقرئ نبت على التثنية (كم) أى بذلك الماء (الزرع
 والزيتون والتخيل والاعناب ومن كل الثمرات) لما ذكر الله فى الحيوان تفصيلا واجالا
 ذكر فى الثمار تفصيلا واجالا ليقيد بذكر الزرع وهو الحب الذى يثاب به كالنخلة
 والشعير وما أشبههما لان به تقوم بدن الانسان وتبى بذكر الزيتون لما فيه من الادم
 والدهن والبركة وثالث بذكر التخيل لان ثمرها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها
 شبه النخلة فى المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجالا ليدل به بذلك على
 عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى (ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر من أنواع
 الثمار (آية) يعنى علامة دالة على قدرتنا ووحدايتنا (لقوم يتفكرون) يعنى فياخذ
 من دلائل قدرته ووحدايته (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم)
 تقدم تفسيره فى سورة الاعراف (مسخرات) يعنى مذللات مقهورات تحت قهره وادارته
 وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هى الفعال التى تصرف
 العالم السفلى فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات فى نفسها مذللات (بأمره) يعنى
 بأمر بهامقهورات تحت قهره يصر فيها كيف يشاء ويختار وانها ليس لها تصرف فى
 نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق هذه النجوم وجعلها
 مسخرات لتساقع عباده ختم هذه الآية بقوله (ان فى ذلك آيات لقوم يعقلون) يعنى ان
 كل من كان له عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق
 تحت قدرته وقهره وتسخيره لما أرادهم منهم (وما ذرأكم فى الارض) يعنى وما خلق لكم
 فى الارض وسخر لاكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار (مختلغا ألوانه)
 يعنى فى الخلقة والمهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرة ما خلق لا يشبه
 بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية
 بقوله تعالى (ان فى ذلك آيات لقوم يذكرون) يعنى فيعلمون بذلك قوله سبحانه وتعالى
 (وهو الذى سخر لكم البحر) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته
 ووحدايته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نقطة وخلق سائر الحيوان
 والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته وعبائ صفعته وذكر
 انعامه فى ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم بنعمة من الله

(فيه تسمون) من سامت الماشية
 اذا رعت فهى سائمة واسامها
 صاحبها وهو من السومة وهى
 العلامة لانها تؤثر بالمرعى
 علامات فى الارض (ينبت لكم
 به الزرع والزيتون والتخيل
 والاعناب ومن كل الثمرات) ولم
 يقل كل الثمرات لان كلها
 لا تكون الا فى الجنة واغانت
 فى الارض بعض من كلها للتذكيرة
 (ان فى ذلك آيات لقوم يتفكرون)
 فيستدلون بها عليه وعلى قدرته
 وحكمته والآية الدالة الواضحة
 (وسخر لكم الليل والنهار
 والشمس والقمر والنجوم
 مسخرات بأمره) بنصب الكل
 على وجعل النجوم مسخرات
 والشمس والقمر فقط حصص
 والشمس والقمر والنجوم
 مسخرات شامى على الاستدعاء
 والخبر (ان فى ذلك آيات لقوم
 يعقلون) جمع الآية وذكر العقل
 لان الآية ثمار العلوية تظهر دلالة
 على القدرة الباهرة واين شهادة
 للكبرياء والعظمة (وما ذرأكم
 فى الارض) معطوف على الليل
 والنهار اى ما خلق فيها من حيوان
 وشجر وغير ذلك (مختلغا)
 حال (الوانه) ان فى ذلك آيات لقوم
 يذكرون) يعظون (وهو الذى
 سخر البحر

ألك لواءه نجاطريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع اليه فيؤكل كل شيء عاظم بالخيفة الفساد واغما لا ينجذب بالكله اذ حلف لآب كل بحالان ١٤٤ مبنى الايمان على العرف ومن قال لعلامه اشتر بهذه الدراهم لبحالاء

بالسمك كان حقيقيا بالانكار
(وتستقر جوامع حلية هي
اللاؤأو المرجان) تلبسونها
المراد بالسمك ليس نساءهم
والكنهن انما يترين بهامن
اجلهم فكنا تهازيتهم ولباسهم
(وترى الفاك موانخ) جوارى
تجربى جزياوتشقى المسامقشا
والخرشق الما يتجروهما (فيه)
فى البحر (ولتتبعوا من فضله) هو
عاطف على محذوف الى تبحروا
ولتتبعوا واغناء الفضل التجارة
(ولعلكم تشكرون) الله على
ما انعم عليكم به (والقى فى
الارض رواسى) جبالا وابت
(ان تعبدكم) كراهية ان تعبد
بكم وتضطرب أولئلا تعبد بكم
لكن حذف المضاف أكثر قيل
خلق الله الارض فجعلت تميد
فقلات الملائكة ما هى بقرا احد
على ظهرها فاصبحت وفدا رست
بالجبال لم تدر الملائكة تم خلقت
(وانهارا) وجعل فيها انهار الان
التي فيه معنى جعل (وسبلا)
سابقا (لعلكم تهتدون) الى
مقاصدكم اولى توحيد بكم
(وعلامات) هى معالم الطرق
وكل ما يستدل به السالين من
جبل وغير ذلك (وبالنجوم هم
يهتدون) المراد بالنجوم الجنس
او هو اثرها بالفرق دنان وبنات

عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما
بالركوب عايشه او بالغوص فيه او الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الاقسام من انواع
الانتفاع به فقال تعالى وهو الذى يسخر البحر (لأأكلوا منه نجاطريا) فبدان ذلك الاكل
لانه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفي ذكر الطرى زيد فائدة الدلالة على كمال قدرة الله
تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالما لماعرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطرى
لانه لما سخر من البحر الملح الزعاق الحيوان الطرى الذى يحميه فى غاية العذوبة يعلم أنه انما
حدث بقدرة الله وخلقه لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد
المنفعة الثانية قوله تعالى (وتستقر جوامع حلية تلبسونها) يعنى اللاؤأو والمرجان كقال
تعالى يخرج منهما اللاؤأو والمرجان والمراد باللبس لبس نساءهم لان ربة النساء بالحملى
وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك ربة لهم المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفاك) يعنى
السفن (موانخ فيه) يعنى جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدرية وذلك انك ترى سفينتين
احدهما تقبل والاخرى تدب تحرىان برى واحدة وأصل الخرشق فى اللغة الشق يقال شخرت
السفينة خرا اذا شقت الما يتجروها وقال مجاهد تضر الرياح السفن يعنى انها اذ تضر
يسمع لها صوت قال ابو عبيدة يعنى موانخ والخرصوت بهوب الرى عند شدتها وقال
الحسن موانخ يعنى موانع ترى ملوذة متاعا (ولتتبعوا من فضله) يعنى الاباح بالتجارة فى
البحر (ولعلكم تشكرون) يعنى انعام الله عليكم اذ ارأيت نعم الله فيما سخر لكم (والقى
فى الارض رواسى) يعنى جبالا (لأن تعبدكم) يعنى لتلاقيكم ولا تضطرب بكم والميد
هو اضطراب الشئ العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض
جعلت طور وتغيرت فقلات الملائكة ان هذه غير مقرة أحد على ظهرها فاصبحوا وقد
أرست بالجبال فارتدرا الملائكة تم خلقت الجبال (وانهارا) يعنى وجعل فيها انهار الان
فى القى معنى جعل فقلوا سبحانه تعالى وانهارا معطوف على وألقى وماذا كراهية الجبال
ذكر بعد الانهار لان معظم عيون الانهار وأوصها تكون من الجبال (وسبلا) يعنى
وجعل فى ساطرها مختلفة تسلكونها فى أسفاركم والترددى حواشكم من بلد الى بلد
ومن مكان الى مكان (لعلكم تهتدون) يعنى بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلوا
(وعلامات) يعنى وجعل فيها علامات تهتدون بها فى أسفاركم قال بعضهم تم الكلام
عند قوله وعلامات ثم ابتداء (وبالنجوم هم يهتدون) وقال محمد بن كعب والكلبي أراد
بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال غزاهد
أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات والنجوم علامات الليل وقال السدى أراد بالنجوم
الربا وبنات الشمس والفرقدين والجدى فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة وقال قتادة
انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتككون ربة السماوعالم الطرى ورجوما

نعمش والجدى فان قلت والنجوم هم يهتدون بخروج عن سنن الخطأ مقدم فيه النجوم تعمد فيه
هم كانه قيل والنجوم حصوات أهول لا تحصى هاهنا يهتدون فن المراد بهم قلت كانه اراد فى ريشا فلهما اهتداء بالنجوم فى ما يرهم
ولهم بذلك علم لئلا يكن مثله لغيرهم فكان الشكر واجب عليهم والاعتبار الزم لهم لخصوا

للسياطين فن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به قوله سبحانه وتعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) لماذا كره الله عز وجل من عائب قدرته وغرائب صنعه ويديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكل وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها ذات على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وأنه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الانكسار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء أفمن يخلق يعني هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا البتة لانها جادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها وترك عبادته من يستحق العباد وهو الله خالق هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (أفلا تدكرون) يعني ان هذا القدر ظاهر غريب على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر عباد كرمي في الآية سؤال الان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بالعبادة من وهى لمن يعقل والجواب عنها ان الكفار لما سمو هذه الاصنام آلهة وعبدوها اجريت مجرى من يعقل في زعمهم الا ترى الى قوله بعدهم والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا فخطابهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحق على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام أفمن يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة واعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها واشتغل بعبادة جادات لا تخلق شيئا البتة والله أعلم وقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله على العبد في ما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشياء ورش اليمين وسعي الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليه في نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من أمر الدين والدنيا لا تقصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لغير عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه النظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها جميع الخالق فذلك قوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني ولو اجتمعتهم في ذلك واتبعتم نفوسكم لا تقدرون عليه (ان الله غفور) يعني لتقصركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم (رحيم) يعني بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعصية (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا يذكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من انذاره فاحسب الله عز وجل انه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانياتها لا تخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله سبحانه

(أفمن يخلق) أى الله تعالى
(كمن لا يخلق) أى الاصنام
ويعني عن الذي هو لاولى العلم
لزعيمهم حيث سموها آلهة وعبدوها
فاجروها مجرى أولى العلم اولان
المعنى أن من يخلق ليس كمن
لا يخلق من أولى العالم فكيف
على ما علم عنده وانما لم يقل أفمن
لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء
المقام بظاهره اياه ليكون الزام
للذين عبدوا الاوثان وسموها
آلهة تشبيها بالله لانهم حين
جعلوا غير الله مثل الله في تسميته
باسمه والعبادة فقد جعلوا الله
من جنس المخلوقات وشبهوا بها
فانكر عليهم ذلك بقوله أفمن
يخلق كمن لا يخلق وهو جهة على
المعتزلة في خلق الافعال (أفلا
تدكرون) فتعترفون فسأدما
أنتم عليه (وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها) لا تنبسطوا
عددها ولا تبلغها طاقكم فكيف
أن تطبقوا القيام بحقتها من
اداء الشكر وانما أتبع ذلك
ما عدد من نعمته تشبيها على ان
ما وراءها لا يحصى ولا يعد (ان
الله غفور رحيم) يحتاجون
تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا
يقطعها عنكم لقرطكم (والله
يعلم ما تسرون وما تعلنون) من
أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد

(والذين يدعون) والالهة الذين يدعونهم الكفار (من دون الله) وبالله غير عاصم (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون أموات) أي هم أموات (غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) ١٤٦ نفى عنهم خصائص الالهية بنفى كونهم خالقين وأحياء لا يموتون

و تعالى لما ذكر الاصنام وذ كر عجزها في الآلية المتقدمة ذكر في هذه الآية أن الهة الذي يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانياتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى (والذين تدعون من دون الله) بمعنى الاصنام التي تدعونها آلهة من دون الله (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) فإن قلت قولا سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أفن يخلق من لا يخلق يدل على أن هذه الاصنام لا تخلق شيأ فقله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيأ وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الآية فبأنه لا تخلق فائدة التكرار (أموات) أي عبادات مية لا حياة فيها (غير أحياء) يعني كثيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كثر تدعون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لأن الهة الذي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله (وما يشعرون) يعني هذه الاصنام (أيان يبعثون) يعني متى يبعثون وفيه دليل على أن الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها وقبل من معناه ما يدرى الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون قوله سبحانه وتعالى (الحكم اله واحد) يعني أن الذي يستحق العبادة هو اله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) يعني جاحدة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعني عن اتباع الحق لأن الحق إذا تبين كان تركه تكبرا (لا جرم) يعني حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) الله لا يحب المستكبرين) يعني عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل أن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال إن الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغضب الناس قوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيد الله وعبادته باطلا وهذه أعلى قول من جعل أصل البصر من الباطل ومن جعله من الخيرة معناه خبر عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعني أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغضب الناس يقال غطت حق فلان إذا احتقرته ولم تره شيأ وكذا معنى غصته أي انتفخت به وازدر به قوله عز وجل (واذا قيل لهم) يعني هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسوا عقابها وطرقتها أناس لهم الحاج الذين يقدمون عليهم (سأنا أنزل بكم قالوا أساطير الأولين) يعني أحاديثهم وأباطيلهم (لجعلوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام في جعلوا لام العاقبة وذلك أنهم لما وضعوا القرآن بكونه أساطير الأولين كانت عاقبتهم بذلك أن يجعلوا أوزارهم يعني

وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم يخلقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليهم الموت وأنهم بالعكس من ذلك والضمير في يبعثون للدا عين أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه شبهة بالمشر كين وإن ألقبهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (الحكم اله واحد) أي ثبت بتمام أن الالهية لا تكون لغير الله وأن معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) لا لوجودانية (وهم مستكبرون) عنها وعن الأقارب (لا جرم) حقا (إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي سرهم وعلانياتهم فبأنهم وهو وعيد (أنه لا يحب المستكبرين) عن التوحيد يعني المشر كين (واذا قيل لهم) هؤلاء الكفار (ماذا أنزل بكم قالوا أساطير الأولين) ماذا منسوب بالنزل أي أي شيء أنزل بكم أو مرفوع على الابتداء أي أي شيء أنزله بكم وأساطير خبر مبتدأ محذوف

فيل هو قول المتسمين الذين اقتسوا ما دخل مكة بنفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسألهم وفود ذنوب الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أساطير الأولين أي أحاديث الأولين وأباطيلهم وحدثها أسطورة وأذا وأو أخاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر عنهم بصدقهم وأنه نبى فهم الذين قالوا أخيرا (لجعلوا أوزارهم كاملة يوم القيامة

ذنوب أنفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البلايا التي اصابتهم في الدنيا و أعمال البر
 التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيأ يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الامام
 نجر الدين الرازي وهذا يدل على انه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين
 اذ لو كان هذا المعنى خاصا لحق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل
 فائدة وقوله سبحانه وتعالى (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعني ويحصل للرؤساء
 الذين أضلوا غيرهم ودهمهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع والسبب فيه ما روي عن
 أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل
 اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم
 مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث ان
 الرئيس أو الكبير اذا سن سنة حسنة أو سنة فجيحة فبعبه عليها جماعة فعلموا بها فان الله
 سبحانه وتعالى يعظم ثوابه أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساويا لكل
 ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنة المحسنة أو القبيحة وليس المراد ان الله
 تعالى يوصل جميع الثواب أو العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس
 بعدل ويدل عليه قوله تعالى ولا ترزأوا رزوا أخرى وقوله تعالى وإن ليس للناس الا
 ما سعى قال الواحدى وله فظة من في قوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعين
 لانها لو كانت للتبعين لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة
 والسلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ ولو لم يكن الجنس أى ليدلوا من جنس أوزار
 الاتباع وقوله بغير علم يعنى ان الرؤساء انما يقتدون على اضلال غيرهم بغير علم
 يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقتدون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه
 من العذاب الشديد (الاساء ما يترزون) يعنى الا يثمن ما يحملون ففهم وعندهم يدبدهم
 قوله سبحانه وتعالى (قدمكم الذين من قبلهم) يعنى من قبل كفار قريش وهو عرودين
 كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من
 مكرهاته بنى صرحا يباين ليصعد الى السماء ويقابل أهلها في زعمه قال ابن عباس وكان
 طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهدمت
 ريم فتمتته وألقت رأسه في البحر ونزل عليهم الباقي فأهلكهم وهم تحتها ولم يسقط
 تبليت السنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بمائة وسبعين لسانا فلذلك سميت
 بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية ثلاث هكذا ذكره النجوى وفي هذا نظر لان
 صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل اليمن عربيا منهم يرمهم
 الذي نشأ السعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل ابراهيم
 عليه السلام مثل مسلم وجدس وكل هؤلاء عرب تسكاهم في قديم الزمان بالعربية
 ويدل على صحة هذا قوله ولا تخرجن تخرج المجاهلية الاولى والله أعلم وقيل جل قوله قد
 مكر الذين من قبلهم على العموم والى فتكون الآية عامة في جميع المالكين الباطنين
 الذين يحاولون الحاق الضر والمكر بالغير وقوله سبحانه وتعالى (فأتى الله بنيانهم من
 القواعد) يعنى قصد تخريب بنيانهم من أصوله وذلك بان آثامهم برمح قصفت بنيانهم

ومن أوزار الذين يضلونهم) أى
 قالوا ذلك اضلالا للناس فضلوا
 أوزار ضلالهم كاملة وبعض
 أوزار من ضل بضلالهم وهو
 وزر والاضلال لان المضل
 والاضال شر يكافى واللام للتعليل
 (بغير علم) حال من المفعول أى
 يضلون من لا يعلم أنهم ضلال
 (الاساء ما يترزون) محل مازفع
 (قدمكم الذين من قبلهم) فأتى
 الله بنيانهم من القواعد أى
 من جهة القواعد وهى الاساطير
 وهذا تمثيل يعنى أنهم سوا
 منصوبات لمكروا بها رسول
 الله فغلب الله هلاكهم في تلك
 المنصوبات كحال قوم بنو اسرائيل
 وعندهم الاساطير فأتى البنيان
 من الاساطير بان ضمنت
 فسقط عليهم السقف وماتوا
 وهلكوا والجهور على ان
 المراد به عرودين كنعان حين
 بنى الصرح بابل طوله خمسة
 آلاف ذراع وقيل فرسخان
 فأهلك الله الريحه فربما هو على
 قومه فهلكوا فأتى الله أى أخره
 بالاضلال

من أعلموا أتاهم برلازل قلعت بنيانهم من قواعدهم وأساسه هذا إذا جملنا تفسير الآية على القول الأول وهو ظاهر اللفظ وإن جملنا تفسير الآية على القول الثاني وهو جملها على العموم كان المعنى أنهم لما رتبوا منصوبات لمكر وإيهاب على إنشاء الله وأهل الحق من عباده أهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم هلاك قوم بنوا بئبنا وثبنا شديدا ودعوه بالأساطين فأنه بدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم فهو مثل ضرب الله سبحانه وتعالى لمن مكر بأخرفاً هلكه الله بكمه ومنه المثل السائر على السبعة الناس من حفر بئر الأخيه أو وقعته الله فيه وقوله تعالى (نزع عليهم السقف من فوقهم) يعني سقط عليهم السقف فأهلكهم وقوله من فوقهم للثأ كيد لان السقف لا يخرق الا من فوقهم وقيل محتمل أنهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم أنهم كانوا تحته وأنه لما نزع عليهم أهلاً وأموالاً وتحتة (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني في مأثمهم وذلك أنهم لما اعتدوا على قوة بنيانهم وشده كان ذلك البنيان سبب هلاكهم (ثم يوم القيامة ينزعهم) يعني ينهضهم بالعذاب وفيه أشعار بان العذاب يحصل لهم في الدنيا والنساء والآخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان (ويشول) يعني ويقول اللهم يوم القيامة (أين شركائي يعني في زعمكم واعتقادكم) الذين كنتم تشاقون فيهم (يعني كنتم تعادون وتخالفون المؤمنين وتخاصمونهم في شأهم) لان المشاققة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معهم ليدفعوا عنكم كما نزل بكم من العذاب والهوان (قال الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين وقيل الملائكة (إن الخزي) يعني الهوان (اليوم) يعني في هذا اليوم وغروب يوم القيامة (والسوء) يعني العذاب (على الكافرين) وإنما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزؤون بالمؤمنين في الدنيا وينكرون عليهم إحراقهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا بأنواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بأنواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول اظهار الشماطة بهم فيكون أعظم في الهوان والخزي قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة) يقض أرواحهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه (ظالمى أنفسهم) يعني بالسكفر (فالتوا السليم) يعني أنهم استسلموا وانقادوا لأمير الله الذي نزل بهم وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) يعني شركاؤنا لما قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون) يعني فلا فائدة لكم في أنكم لم قال عكركم معنى بذلك ما حصل من الكفر يوم يدر (فادخلوا) أي يقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدن فيها) يعني مقبضين فيم لا يخرجون منها وإنما قال ذلك لهم ليكون أعظم في الغم والخزن وفيه دليل على أن الكفار بعثهم أشد عذاباً من بعض فلبس منوى المتكبرين) يعني عن الإيمان قوله عز وجل (وقل للمذين أتوا ما إذا أنزل بكم فالواخسرا) وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون إلى مكة أيام الموسم من يأتيهم خبير النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاءه الوافد سأل الذين كانوا يبعثون على طسرفات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر ووقع أساطيرنا لان التقدير هنا

(ثم يوم القيامة ينزعهم) يذلم بعذاب الخزي سوى ما عذبوا به في الدنيا (ويقول أين شركائي) على الاضافة إلى نفسه حكايه لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأهم تشاقون فافع أي تشاقوني فيهم لان مشاققة المؤمنين كانها مشاققة الله (قال الذين أوتوا العلم) أي الأنبياء والعلماء من أمهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان وبعضهم فلا يلقون اليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماطة بهم وأهمل الملائكة (إن الخزي اليوم) القضيحة (والسوء) العذاب (على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة) وإيلاء جزه وكذا ما بعده (ظالمى أنفسهم) بالكفر بالله (فالتوا السليم) أي الصلح والاستسلام أي أجنبوا وحاولوا خلاص ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وخسروا ما جسد منهم من الكفران والعدو وغير ذلك عليهم أولوا العلم وقالوا (بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضاً من الشماطة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم خالدن فيها فلبس منوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين أتوا) الشرك (ماذا أنزل ربكم فالواخسرا) وإنما نصب هذا ورفع أساطيرنا لان التقدير هنا أنزل خبرنا فاطمة والجواب على السؤال ونعم التقدير هو أساطير الاولين فعند الوافد الجواب عن السؤال

كاهن شاعر كذاب مجنون واذا لم تلقه خيرا لك فيقول الوافد اناسروا فدان رجعت
 الى قومي من دون ان ادخل مكة فالتقاء فيدخل مكة فيرى اصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وامنته وأنه نبي معوث من الله
 عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعني اتقوا الشرك وقول
 الزور والكذب ماذا انزل بكم قالوا خيرا يعني انزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو
 قوله اساطير الاولين ونصب الثاني وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين
 الجوابين جواب المنكر المحاد وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لم يسلوا الكفار عن
 المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير
 الاولين وليس هو من الانزال في شيء لانهم لم يعتدوا كونه منزلا ولم يسلوا المؤمنين
 عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلموا واطبقوا الجواب على السؤال ينسأ
 مكذوبا فاعقولا لا لانزال فقالوا خيرا أي انزل خبرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف
 تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (الذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة) يعني الذين اتوا
 بالاعمال الصالحة الحسنة فواحدة مضاعفة من الواحد الى العشرة الى السبع مائة
 الى اضعاف كثيرة وقال النخل هي النصر والفخ وقال مجاهد هي الرزق الحسن
 فولى هذا يكون معنى الآية للذين احسنوا ثواب احسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي
 النصر والنجح والرزق الحسن وغير ذلك مما اتم الله به على عباده في الدنيا ويبدل على صحة
 هذا التأويل قوله تعالى (ولدا والاخرة خيرا) يعني ما لهم في الاخرة مما اعد الله لهم
 في الجنة خيرا يحصل لهم في الدنيا (ولعم دار المتقين) يعني الجنة وقال الحسن هي
 الدنيا لان اهل التقوى يتردون منها الى الاخرة والقول الاول اول وهو قول جمهور
 المفسرين لان الله يفسر هذه الدار بقوله (جنات عدن) يعني بساتين اقامة من قواهم
 عدن بالمكان اي اقام به (يدخلونها) يعني تلك الجنات لا مرحلون عنها ولا يخرجون
 منها (تجزي من تحتها الانهار) يعني تجزي الانهار في هذه الجنان من تحت دور أهلها
 وقت ورحمهم بمساكنهم (لهم فيها) يعني في الجنات (ما يشاؤون) يعني ما تشتهي الانفس
 ولذا لا عين مع زيادات غير ذلك وفده الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة لان قوله لهم
 فيها ما يشاؤون يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يحدد كل ما يريد في الدنيا
 (كذلك يجزي الله المتقين) أي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال
 تعالى (الذين اتوا فاهم الملائكة طيبين) يعني مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد
 زاكاة اتوا فاهم واهم واهم ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه
 أنهم اتوا باكل مآثر وابه من فضل الخيرات والاضاعات واجتنبوا كل ما هو واعنه من
 الذنوب والخرمات مع الاخلاق الحسنة والحاصل المحمودة المباحة من الاخلاق
 المذمومة والحاصل المشروعة البقية وقيل معناه ان اوقاتهم تكون طيبة تسهل لانهم
 يشعرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح
 والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم وينفي عنهم الموت على هذه الحالة

(الذين احسنوا في هذه الدنيا)
 أي آمنوا وعملوا الصالحات
 أو قالوا لا اله الا الله (حسنة)
 بالرفع أي ثواب وأمن وغنيمة
 وهو بدل من خير احكامها لقول
 الذين اتقوا أي قالوا هذا القول
 فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه
 أو هو كلام مستأنف عدة
 للقاء لمن وجعل قلوبهم من جملة
 احسانهم (ولدا والاخرة خيرا)
 أي لهم في الاخرة ما هو خير منها
 كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا
 وحسن ثواب الآخرة (ولهم
 دار المتقين) دار لا آخر تخلف
 الخدوص بالمدح لانه قد ذكره
 (جنات عدن) خبر بمبدأ
 عند وفاء وهو مخصوص بالمدح
 (يدخلونها) حال تجزي من
 تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون
 كذلك يجزي الله المتقين الذين
 اتوا فاهم الملائكة طيبين
 طاهرين من ظلم انفسهم
 بالذنوب لانه في مقابلة طاهرين

(يقولون) يعنى الائتكة لهم (سلام عليكم) يعنى تسلم عليهم الملائكة أو تبليغهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم ان يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا لا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتقدمنى الله بفضله ورحمته أخرجه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قلت قال الشيخ يحيى الدين النووى وجه الله فى شرح مسلم أعلم ان مذهب أهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا تثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شئ بل العالم كله ملكه والذنبوا الآخرة فى سلطانه يفعل فيهم ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه وإذا أكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعترلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في خبط طولى لهم تعالى الله عن اقتراحاتهم الباطلة المناهضة لصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التى أورشتموها بما كنتم تعملون ونحوهما من الآيات التى تدل على ان الاعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال والتوفيق للاخلاص فيها أو قبولها من الله تعالى وفضله فيصبح انه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو امر الحديث ويصح انه دخل بالاعمال أى بسببها وهى من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده (قوله تعالى هل ينظرون) يعنى هؤلاء الذين أشركوا بالله وحده وانبؤنك بالحمد (الان تأتيتهم الملائكة) يعنى لقض ارواحهم (أو يأتى أمر ربك) يعنى بالعذاب فى الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعنى من الكفر والتكذيب (وما نلهم الله) يعنى تعذيبه اياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعنى باكسابهم المعاصى والكفر والاعمال القبيحة الخبيثة (فأصابهم سيأت ما عملوا) يعنى فأصابهم عتوبات ما كتبوا من الاعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا يسترهون ولمنعوا ونزل بهم حراء استهزأهم) (وقال الذين أشركوا لئن شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آبائنا) هذا كلام صمد منهم استهزأوا ولو قالوه اعتقادا للكان صوابا

(يقولون سلام عليكم) قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك ياولى الله الله يقر عليك السلام ويثمره بالجنة ويقال لهم فى الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعملكم (هل ينظرون) ما ينظرون هؤلاء الكفار (الان تأتيتهم الملائكة) تقبض ارواحهم وبالنار على وجرة (أو يأتى أمر ربك) أى العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظاههم الله) بتدبيرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير (فأصابهم سيأت ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا يسترهون) وأحاط بهم جزاء استهزأهم (وقال الذين أشركوا لئن شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آبائنا) هذا كلام صمد منهم استهزأوا ولو قالوه اعتقادا للكان صوابا

وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في احكامه وافعاله ولا يجوز لاحد ان يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا وكان في حكمكم الله وسنته في عبادته ارسال الرسل اليهم ايام وهم بعبادة الله تعالى وبنيهم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه فمن هذه فهو المهتدى ومن أضله فهو الضال وهذه سنة الله في عبادته انه يامر السلك بالايان به وبنيهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء الى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة بيعة الرسل الى الابد الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لواء الله ما عبدناه من دونه من شيء نحن ولا آباءنا جاهلنا منهم لانهم اجمعوا ان كون الامر كذلك يمنع من جوار عبادة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا يحرم استحقاق الذم والوعيد وما قوله تعالى (ولا حزمنا من دونه من شيء) يعني الوصيلة والسائبة والجماع المعنى فلولوا ان الله رضى به لنا غير ذلك ولهذا نالنا غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني ان من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكارا لبعثة الرسل كان قدما في الامم الخالصة (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) يعني ليس اليهم هداية احد انما عليهم تبليغ ما ارسلا به الى من ارسلا اليه (ولقد بعثنا في كل اممة رسولا) يعني كلما بعثنا فيكم محمد صلى الله عليه وسلم رسولا (ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعني ان الرسل كانوا ايامهم وبنيهم يعبدون الله وان يجتنبوا عباد الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله (فهم) يعني من الامم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) يعني هداه الله الى الايمان به ونصديق رسله (وممنهم من حققت عليه الضلالة) يعني ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الازل حتى مات على الكفر والاضلال وفي هذه الآية بين دليل على ان الهداية والضلال هو الله تعالى لانه المتصرف في عبادته يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به في سابق عله (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعني فسيروا في الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا مال من كذب الرسل وهو خراب وما زمامه بالعذاب والهلاك وانعرفوا ان العذاب نازل بمن امر ربه على الكفر والتكذيب كما نزل بهم قوله سبحانه وتعالى (ان تحصر على هداهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحصر يا محمد على هدى هؤلاء ايمانهم وتجتهد كل الاجتهاد (فان الله لا يهدي من يضل) قرى بفتح الباء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من أضله وقبل معناه لا يهدي من أضله الله وقرى بضم الباء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادي له (ومالمهم من ناصرين) أي ما عين يجمعونهم من العذاب (واسموا بالله جهد ايمانهم) قال ابن الجوزي سبب نزولها ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين فانه يتقاضاه فكان فيما تكلم به المسلم والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تسبع بعد الموت واسم بالله ان لا تسبع الله من يموت فنزلت هذه الآية قاله أم العالقة وثبر بر الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزأه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد في

(ولا حزمنا من دونه من شيء) يعني البعثة والسائبة ونحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) الا ان يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه (ولقد بعثنا في كل اممة رسولا ان اعبدوا الله) بأن وحدوه (واجتنبوا الطاغوت) الشيطان يعني طاعته (فهم من هدى الله) لاختيارهم الهدى (وممنهم من حققت عليه الضلالة) أي لم يمه لاختياره اياها (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) حيث أهلكتهم الله وأخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عند قسريش وحرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وأعلمهم انهم من قسم من حققت عليه الضلالة فقال (ان تحصر على هداهم فان الله لا يهدي من يضل) بفتح الباء وكسر الدال كوفي الباقون بضم الباء وفتح الدال والوجه فيه ان من يضل مبتدأ ولا يهدي خبره (ومالمهم من ناصرين) يجمعونهم من جيران حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي أعد لهم (واقسموا بالله جهد ايمانهم) معطوف على وقال الذين أشركوا

(لا يبعث الله من يموت بلى) هو اثبات ما بعد ١٥٢ النفي أى بلى يبعثهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكداً

ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فثأته وعدهم فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم فى انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لا يبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم فى قولهم فقال تعالى (بلى) يعنى بلى يبعثهم بعد الموت لان لقطة بلى اثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان واولجده من العدم ولم يترك شيئاً لئلا يؤول وجوده بقدرته ثم اعاده قادر على ايجاده بعد اعاده لان النشأة الثانية أهون من الاولى (وعدا عليه حقا) يعنى ان الذى وعده من البعث بعد الموت وعد حق لا خاف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعنى لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ (لبيس لهم الذى يمتحنون فيه) يعنى من أمر البعث وبقره لهم الحق الذى لا خاف فيه (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) يعنى فى قولهم لا يبعث بعد الموت (انما قولنا لئن اذ اردناه أن نقول له كن فيكون) يعنى ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا اراد ان يحيى الموتى وبعثهم للحساب والحجز فلا تعبه عليه فى احيائهم وبعثهم انما يقول لئن اراده كن فيكون على ما اراد لانه القادر الذى لا يجزئه شئ اراده (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يستعنى ابن آدم وما ينبغي له أن يستعنى ويكذبى وما ينبغي له أن يكذبى أما شتمه أياى فيقول انى ولد او أمتا تكذبى بما اياى فله ولد ليس يعيدنى كيدانى وفى رواية كذبى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك أما تكذيبه أياى فيقول انى يعيدنى كيدانى وليس أول الخافى ياهون على من اعادته وأما شتمه أياى في قوله اخذ الله ولداً وانا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وقوله تعالى (والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا) يعنى أودوا وادعوا نزلت فى بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وأبى جندل بن سهل أخذهم المشركون بمكة ففعلوا بهم بعد يوم لرجوعهم الى الاسلام الى الكفرة وهم المستضعفون فابلال فكان أصحابه يفرحون به الى بطناء مكة فى شدة الحر ويشدون عليه ويحيطون على صدره بالحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتد منهم أبو بكر الصديق وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين وأما صهيب فقال لهم انى رجل كبريان كنت معكم فلان أنتم معكم وان كنت عليكم فلا أضركم فاشتد بنفسه بماله فباعوه منه فربى أبو بكر الصديق فقال يا صهيب رجع البيع وأما باقىهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم أهل مكة فخرجهم من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم أمرهم الله المدينة بعد ذلك فجعلهم لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فآووهم ونصرهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على ان الهجرة اذ لم تكن لله خاصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه حديث الاعمال بالنيات وفيه من كانت هجرة الى الله ورسوله فحجته الى الله ورسوله ومن كانت هجرة الى ديارها او امرأة ينكحها فحجته الى ما هاجر اليه الحديث أخرجاه فى الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب ونزلت على (النبو ثم فى الدنيا حسنة) يعنى لنبو ثم ثم تبتو حسنة

عليه بلى لان يبعث موعداً من الله وبين أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن وعده حق أو أنهم يبعثون (لبيس لهم) متعلق بمبادل عليه بلى أى يبعثهم لبيس لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين (الذى يمتحنون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فى قولهم لا يبعث الله من يموت (انما قولنا لئن اذ اردناه أن نقول له كن فيكون) أى فهو يكون وبالنصب شامى وعلى على جواب كن قولنا مبتدأ أو أن نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التى يعنى الحدوث والوجود أى اذا اردنا وجود شئ فليس الآن نقول له احدث فهو محدث بلا توقف وهذه عبارة عن سرعة الاليجاد لبيس أن مراد لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود الماء ووربه عند أمر الاتم المطاع اذا ورد على الماء والمطبع المشتد ولا قول ثم والمعنى ان ايجادكم مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من بعض المندورات (والذين هاجروا فى الله) فى حقه ولو وجهه (من بعد ما ظلموا) هم رسول الله وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم الى الله

منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرة بين ومنهم من هاجر الى المدينة (لنبو ثم ثم تبتو حسنة) حقة لئلا يصد رأتى تبتو حسنة أول نبو ثم ثم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم أهلها ونصرهم

(ولا جراً الاخرة) (كبر) الوقف
لازم عليه لان جواب (لو كانوا
يعلمون) محذوف والضمير
للكفار اذ اى لو علموا ذلك لرغبوا
في الدين اوله المجازين اى لو كانوا
يعلمون لرادوا في اجتهادهم
وصبرهم (الذين صبروا) اى
هم الذين صبروا والواغنى الذين
صبروا وكلاهما مدح اى صبروا
على مفارقة الوطن الذى هو حرم
الله المحبوب فى كل قلب فكيف
بقلوب قوم هو مستنظر رؤسهم
وعلى المجاهدة وبذل الارواح فى
سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون)
اى يفوضون الامر الى ربهم
و يرضون بما اصابهم فى دين
الله ولما قالت قريش الله اعظم
من ان يكون رسوله بشرا نزل
(وما أرسلنا من قبلك الا رجالا
يوحى اليهم) على السنة الملائكة
نوحى حفص (فاسئلوا اهل
الذكر) اهل الكتاب ليعلموكم
ان الله لم يبعث الى الامم السالفة
الاشرا وقيل للكتاب الذى ذكر
لانه وعظفة وتنبه للعاقبة (ان
كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر)
اى بالمعجزات والكتب والباء
يتعلق برجاله صلى الله عليه وآله
عليه السلام بالبينات او بارسلنا
مضمر كانه قبل ان يرسل الرسل
فقبل بالبينات او يوحى اى يوحى
اليهم بالبينات او يوحى وقوله
فاسئلوا اهل الذكر اعترض
على الوجه المتقدم وقوله

وهو انه تعالى انزلهم المدينة وجعلهم دار هجرة والمعنى لتبوءتهم فى الدنيا دارا حسنة
اولا بد حسنة وهى المدينة روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا اعطى
الرجل من المهاجرين عطاء يقول لاخذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا
وما ادخل لك فى الاخرة افضل ثم يقول هذه الاية وقيل معناها يحسن اليهم فى الدنيا
بان يفتح لهم مكة ويكرمهم من اهلها الذين ظلموهم واخرجوهم منها ثم ينصرهم على
العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة فى الدنيا التوفيق
والهداية فى الدين (ولا جراً الاخرة) (كبر) يعنى اعظم وافضل واشرف بما اعطاهم
فى الدنيا (لو كانوا يعلمون) قبل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون ما لهم
فى الاخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون ان اجر الاخرة كبر ما هم فيه من
نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما وعد الله
لهم فى الاخرة لرادوا فى المحاد والاجتهاد والصبر على ما اصابهم من اذى المشركين (الذين
صبروا) يعنى فى الله على ما ناله من الاذى والمكر وهو وصف مدح يعنى صبروا على
العذاب ومفارقة الوطن وعلى المجاهدة وبذل النفس والاموال فى سبيل الله (وعلى ربهم
يتوكلون) يعنى فى امورهم كما قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل فى هذه الاية
وهما مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاهما الصبر وقهر النفس وحسنها على اعمال
البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمت
والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكيفية والتوجه الى الحق
تعالى بالانكسار فالاول هو مبدأ السلوك الى الله تعالى والثانى هو آخره اذ
ومنتهاه (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) نزلت هذه الآية جوابا لمشركى
مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم وأجل من أن يكون
رسوله بشرا فها لبعت ملكا لينا فاجاهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك الا محمد
الارحالا يعنى مثل نوحى اليهم والمعنى ان عاد الله عز وجل حادثة من اول مبدأ الخلق
انه لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وستة حاوية قديمة (فاسئلوا اهل
الذكر) يعنى اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ولما أمرهم الله بسؤال اهل الكتاب
لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان اهل الكتاب اهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا
منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا يشرعونهم فاذنوا لهم فلا يدون
مخبروهم بان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا يشرعونهم فاذنوا لهم فاذنوا لهم فاذنوا لهم
قلوبهم (ان كنتم لاتعلمون) الخطاب لاهل مكة يعنى ان كنتم ياهولاء لاتعلمون ذلك
(بالبينات والزبر) اختلفوا فى المعنى المحتمل هذه الباء فى المعنى وما أرسلنا من قبلك
بالبينات والزبر الا رجالا يوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر يعنى العلم فى
قوله فاسئلوا اهل الذكر يعنى اهل العلم والمعنى فاسئلوا اهل الذكر الذى هو العلم بالبينات
والزبر ان كنتم لاتعلمون انتم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل ما يكمل به امر
الرسالة لان مدار امر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهى بالبينات وعلى بيان

الشرايع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل
(وانزلنا اليك الذكر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا عليك يا محمد الذكر
الذي هو القرآن وانما سماه ذكر الان فيه مواعظ وتنبيه للغافلين (لتبين للناس ما نزل
اليهم) يعني ما أجل اليك من أحكام القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين
لذلك الجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن
والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية
والمبين مقدم على الجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه من يشابه فالحكم يجب أن يكون
مبيناً والمشابهة هو الجمل وطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم
مجمول على ما أجل فيه دون الحديث فكلم المبين المفسر (ولعلمهم يتفكرون) يعني فيما أنزل
اليهم فيعملوا به (أفأمن الذين مكروا السيئات) فيه حذف تقديره المكرات السيئات
وهو كقارقرش مكره ورسول الله صلى الله عليه وسلم وبصاحبه بالغوا في ذنوبهم
والمكره عارضة عن السعي بالقصد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكرات الستة الهم
بعبادة غير الله فيكون مكرهم على أنفسهم والصحيح ان المراد بهذا المكر السعي في أذى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات غرود ومن
هو مثله والصحيح ان المراد بهم كقارمكة (أن يخسف الله بهم الارض) يعني كاخسف
بقارون من قبلهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني ان العذاب يأتيهم
بغتة فيهلكهم كذا هلك قوم لوط وغيرهم (أو يأخذهم في نومهم) يعني في تصرفهم
في الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في
الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جرير في آفائهم وادبارهم يعني
انه تعالى قادر على ان يأخذهم في لبائهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم (فأهزمهم عجزين)
يعني سبائين لله أو بقوته بل هو قادر عليهم (أو يأخذهم على تخوف) قال ابن عباس
ويجزيه يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومنها التخون يقال تخوفه الدهر
وتخونه اذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون
المراد به انه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو
على أصله من الخوف فيجتمل انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أو لا يهلك جميعهم
ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الخليلي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيخوف
الآخرين أن يصيبهم مثل ما ضايعهم والحاصل انه سبحانه وتعالى يخوفهم يخسف
يخسف في الارض أو يعذبهم ينزل من السماء أو يأتى فأتى تخوف أو يأتى فأتى تخوف
تدليلاً قليلاً إلى أن يأتي الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله (فان
ربكم لرؤوف رحيم) يعني انه سبحانه وتعالى لا يعمل بالعقوبة والعذاب قوله سبحانه
ويعلى (أولم يروا) قرئ بالتاء على خطاب المخاضرين وبالياء على الغيبة (الى ما خلق
الله من شيء) يعني من جسم قائم ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت إلى
لان المرادهم بالاعتبار والاعتبار لا يكون الا بنفس الرؤية التي يكون معها نظر إلى

(وانزلنا اليك الذكر) القرآن
(لتبين للناس ما نزل اليهم) في
الذكر عاينوا به ونهوا عنه
ووعدوا به وأوعدوا (ولعلمهم
يتفكرون) في تنبيهاته فينبهوا
(أفأمن الذين مكروا السيئات)
أى المكرات السيئات وهم
أهل مكة ومما مكروا به رسول
الله عليه السلام (أن يخسف الله
بهم الارض) كإفعل بن تقدمهم
(أو يأتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون) أى بغتة (أو
يأخذهم في نومهم) متقلبين في
مسارهم ومناجرهم (فأهزمهم)
عجزين أو يأخذهم على تخوف
متخوفين وهذان يهلك قوماً
قبلهم فيخوفوا فأخذهم العذاب
وهم متخوفون متوقعون ودور
خلاف قوله من حيث لا يشعرون
(فان ربكم لرؤوف رحيم) حيث
يجعل عندهم ولا يعاخذكم مع
استحقاقكم والمعنى انه اذا لم
يأخذكم مع ما فيكم فاستغفرتكم
تدبركم ورحمته تحمكم (أولم يروا)
وبالتاء حمزة على وابتكر الى
ما خلق الله ما هو موصولة بخلاقي
الله وهو ميم بيانه (من شيء)

أشئ لئلا تأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به (تتفقوا ظلاله) يعني تميل وتدور من جانب
 إلى جانب فهي من أول النهار على حال ثم تقاص ثم تعود في آخر النهار إلى حالة أخرى
 ويقال للظل بالعتشى في علانه من فائه في إذا رجع من المغرب إلى المشرق والتي
 الرجوع قال الأزهرى تتفقوا الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفقوا لا يكون إلا
 بالعتشى وما انصرف عنه الشمس والظل يكون بالعددة وهو ما لم تله الشمس وقوله
 فظلاله جمع ظل وإنما أضاف الظلال وهو جمع إلى مفرد وهو قوله من شئ لانه يراد به
 السكرة ومعناه الاضافة إلى ذوى الظلال (عن اليمين والشمائل) قال العلماء إذا
 طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان ظلك عن يمينك فإذا ارتفعت
 الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فإذا ملت الشمس إلى المغرب
 كان ظلك عن يسارك وقال الخصال أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فأخر النهار وإنما
 وحد اليمين وإن كان المراد به الجمع للإيجاز والاختصار في اللفظ وقيل اليمين راجع إلى
 لفظ الشئ وهو واحد والشمائل راجع إلى المعنى لأن لفظ الشئ يراد به الجمع (سيحدا
 لله) في معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والالتقياد والخضوع
 يقال سجد البعير إذا طأ رأسه ليركب ويحدث الخلة إذا مالته لكثرة التحمل والمعنى
 أن جميع الأشياء التي لها ظلال فهي منقاد لله تعالى مستسلمة لأمرة غير متمتعة عليه
 فيما يحضره الله من التقوى وغيره وقال مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شئ لله والقول
 الثاني في معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الأرض ملتصقة بها كالساجد على
 الأرض فلما كانت الظلال تشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ
 وقيل ظل كل شئ ساجد سواء كان ذلك الشئ سجد لله أولا وقبل أن ظل السكافر
 ساجد لله وهو غير ساجد لله (وهـم داخرون) أى صاغرون ادلاء والداخرون الصاغرون الذين
 يفعل ما تأمر به شاء أم أبى وذلك أن جميع الأشياء منقادة لأمرة الله تعالى فإن قلت الظلال
 ليست من العقلاء فكيف عبر عنهم باللفظ من يعقل وجعلها بالواو والنون قلت لما وصفها
 الله سبحانه وتعالى بالطاعة والالتقياد لأمرة ذلك صفة من يعقل عبر عنهم باللفظ من يعقل
 وجاز جعلها بالواو والنون وهو جمع العتلاء قوله عز وجل (ولله يسجد ما في السموات
 وما في الأرض من دابة) قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وسجود عبادة كسجود
 المسلم لله عز وجل وسجود الله تعالى وخضوع كسجود الظلال فتقوله والله يسجد ما في السموات
 وما في الأرض من دابة يشمل النوعين لأن سجود كل شئ محسوس وسجود المسلمين
 والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود ادعاء وخضوع وأنى بلفظ
 ما في قوله ما في السموات وما في الأرض للتغليب لأن ما لا يعقل أكثر من يعقل في العدد
 والحكم لا غالب كتغليب المدرك على المؤنث ولانه لو أتى بمن التي هي للعقلاء لم يكن
 فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ما لتشمل السجل
 ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم
 يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيه تدخل فيه الإنسان لانه مما يدب على

يتفقوا ظلاله) أى يرجع من
 موضع إلى موضع وبألف نصرى
 (عن اليمين) أى الأيمان
 (والشمائل) جمع شمال
 (يسجد الله) حال من الظلال
 عن مجاهد إذا زالت الشمس
 سجد كل شئ (وهـم داخرون)
 صاغرون وهو حال من الضمير
 في ظلاله لانه في معنى الجمع
 وهو ما خلق الله من كل شئ له
 ظل وجمع بالواو والنون لأن
 الدخرون أوصاف العقلاء
 أولان في جملة ذلك من يعقل
 فغلب والمعنى أولم يروا إلى
 ما خلق الله من الأجرام التي لها
 ظلال متفقتة عن أيمانها وشمائلها
 أى ترجع الظلال من جانب
 إلى جانب منقادة لله تعالى غير
 متمتعة عليه فيما يحضره الله من
 التقوى والأجرام في أنفسها داخرة
 أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله
 فيما غير متمتعة (ولله يسجد ما في
 السموات وما في الأرض من
 دابة) من بيان ما في السموات
 وما في الأرض جميعا على أن في
 السموات خلقا يدينون فيها كما
 تدب الانبياء في الأرض أو بيان
 ما في الأرض وحده والمراد
 بما في السموات مسلا تكهن
 ويقول

(والملائكة) ملائكة الأرض من المخلقة وغيرهم قبل المراد بسجود الملأكين طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم انقيادهم لإرادة الله ومعنى الانقياد سجودهم اقل مختلفا قلدا جازا أن يعبر عنهم بما يلفظ واحد وحى بما اذ هو صالح للعتلاء وغيرهم ولو جىء
 بمن لتناول العقل الخاصة (وهم لا يتكبرون يخافون بهم) ١٥٦ هو حال من الضمير في لا يستكبرون أى لا يستكبرون

الأرض ولهذا أفرد الملائكة في قوله (والملائكة) لانهم أولوا خيعة يطهرون بها أو
 أفردهم بالذكروان كانوا من جملة من في السموات لشرافهم وقيل أرادوا لله يسجدوا في
 السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة فسجدوا للملائكة والمسلمين للعامة وسجدوا
 غيرهم بذلها أو تسخيرها لما خلقت له وسجدوا لما بعقل وسجدوا لمجادات يدل على
 قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر (وهم
 لا يستكبرون) رعى الملائكة (يخافون بهم من فوقهم) هو كقوله وهو القاهر فوق
 عباده وقد تقدم نفسه (ويفعلون ما يؤمرون) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم انى أرى ما لاترون وأسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها أن تظمأ فيها
 موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله ولو تعلمون ما علم الحكيم
 قليل الا لأكبرتم كثير او ما تلذذتم بالنساء على الفرس ولم تخرجتم الى الصعدات فنجارون
 الى الله تعالى قال أبو ذر لوددت انى كنت شجرة تعبد اخبره الترمذى وقال عن أبي ذر
 موقفا

﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فمن القارئ والمستمع ان يسجد
 عند قراءتها وسماها قوله سبحانه وتعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين) لما أخبر الله
 عز وجل في الآية المتقدمة ان كل ما في السموات والأرض خاضعون لله متقادون
 لأمره عابدون له وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى في هذه الآية عن الشرك
 وعن اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين
 تأكيداً لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين الهين
 يعنى ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحداً وهو قوله تبارك
 وتعالى (انما هو واحد) لان الهين لا يكونان الامتساوين في الوجود والقدرة وصفات
 الكمال والقدرة والارادة فصارت الانتذية منافية للالهية وذلك قوله تعالى (انما هو واحد)
 واحد يعنى لا يجوز ان يكون في الوجود الهان اثنان انما هو واحد (فاى فارهبون)
 يعنى يخافون والرهب مخافة مع جزواضطراب وانما قبل الكلام من الغيبة الى المحضور
 وهو من طريق الالتفات لانه ابلغ في الترهيب من قوله فاباه فارهو وافهوه من يدع
 الكلام وبلغه وقوله فاى فارهبون يفيد التحصر وهو ان لا يهرب الخلق الا منه
 ولا يغمون الا اليه والى كرمه وقبضته واحسانه (وله ما في السموات والأرض) لما ثبت
 بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له في الالهية وجب ان يكون
 جميع الخلق عبيد له وفي ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله تعالى (وله ما في
 السموات والأرض يعنى عبيد او ملوكا (وله الدين واصبا) يعنى وله العباداة والاضاعة

خائنين (من فوقهم) ان علقته
 بمخافون فعنه يخافونه أن
 يرسل عليهم عذابا من فوقهم
 وان علقته بهم حالاً منه
 فعنه يخافون بهم غالباً لهم
 قاهراً كقوله وهو القاهر فوق
 عباده (ويفعلون ما يؤمرون)
 وفيه دليل على أن الملائكة
 مكلفون بحدارون على الامر
 والنهى وانهم بين الخوف
 والرجاء (وقال الله لا تتخذوا الهين
 اثنين انما هو واحد) فان قلت
 انما سجوا بين العدد والمعدود
 فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا
 عندى رجال ثلاثة لان المعدود
 خارج عن الدلالة على العدد الخاص
 فاما رجل ورجلان معدودان
 فيمداد لاله على العدد فلا
 حاجة الى أن يقال رجل واحد
 ورجلان انسان فأت الاسم
 الحامل لمعنى الافراد والتثنية
 دال على شيئين على الجنسية
 والعدد الخصوص فاذأ أريدت
 الدلالة على أن المعنى بهما
 هو العدد شفع بما يؤيد كده
 قد ليه على التمسك اليه
 والاعتناء به الا ترى انك لو قلت
 انما هو واحد ولم تو كده واحد
 لم تحسن وخيل انك ثبتت
 الالهية بالوحدانية (فاى

فارهبون) نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وهو من طرية الالتفات وهو ابلغ في الترهيب
 من قوله فاباه فارهو وافهوه في يعتبون (وله ما في السموات والأرض وله الدين) أى الطاعة (واصبا) واجبا ثابتا لا كل
 نعمة منه فإلانة واجبة له على كل منعم عليه وهو حال عمل فيه الظرف أو له الجزاء بما يعنى الثواب والعقاب

(أفغير الله تتقون وما بكم من
نعمة) وأي شيء اتصل بكم
من نعمة عافية وغنى وخصب
(فإن الله) فهو من الله (ثم إذا
مسك الضرع) المرض والفقر
والجذب (فأليس تخافون) فما
تتضرعون إلا إليه والجوار رفع
الصوت بالدعاء والاستغاثة (ثم
إذا كشف الضرع) إذا فرق
منكم برهم بشر كون الخطاب
في وما بكم من نعمة أن كان عاماً
فالمسردا الفرق الكفر وان
كان الخطاب للشر كمن فقوا
منكم للبليان لا للبعيض كانه
قال فاذفر يق كافر وهم أنتم
ويجوز أن يكون فهم من اعتبر
كقوله فاما نخاهم الى البرفهم
ماتصد (لكفر واما آتيناهم)
من نعمة الكشف عنهم كأنهم
جعلوا غرضهم في الشرك كفران
النعمة ثم أوعدهم فقال
(فقمتم واقسوف تعلمون) هو
عدول الى الخطاب على التهديد
(ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً
عمارز قناهم) أي لا تعلمهم
ومعنى لا يعلمون أنهم يسمونها
آلة وتوقعون نفعاً من الله وليس
كذلك لا لها جاد لا تضر ولا
تنفع أو الضرع في لا يعلمون
لأنه أي لا شاعر موصوفة
بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيباً
في أنعامهم وزرعهم أم لا وكانوا
يجعلون لهم ذلك نعم باليهي (تالله)

واخلاص العمل دائماً ثابتاً والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له
وبما عايناه ذلك لسبب في حال الحياة أو بالموت إلا الحق سبحانه وتعالى فإن طاعته
واجبة أبداً ولأنه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائماً أبداً (أفغير
الله تتقون) يعني أنكم عرفتم أن الله واحد لا شريك له في ملكه وعز وقهره أن كل ما
سوا محتاج إليه فبعد هذه المعرفة كيف تتخافون غيره وتتقون سواء فهو واستفهام
بمعنى التجب وقيل هو استفهام على طريق الإنكار قوله عز وجل (وما بكم
من نعمة فمن الله) يعني من نعمة الإسلام وصحة الأبدان وسعة الأرزاق وكل ما
أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى إنما هو المتفضل به على عباده فيجب
عليكم شكره على جميع أنعامه وإما بين في الآية المتقدمة أنه يجب على جميع العباد أن
لا يخافوا إلا الله تعالى بين في هذه الآية أن جميع النعم منه فلا يشركوا في العلم إلا الله لأنه
هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها (ثم إذا مسك الضرع) أي الشدة
والأمر والاسقام (فأليس تخافون) يعني إليه تستغيثون وتصيحون وتخفون
بالدعاء لكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة وأصل الجوار هو رفع الصوت الشديد
ومنه جوار البقر والمعنى أن النعم لما كانت كلها ابتداء منه فإن حصل شدة وضيق
بعض الأوقات فلا يلجأ إلا إليه ولا يدعى إلا الله ليكشفها فإنه هو القادر على كشفها وهو
قوله تعالى (ثم إذا كشف الضرع عنكم) يعني ثم إذا أزال الشدة والبلاء عنكم (إذا
فرق منكم) يعني طائفة جماعه عنكم (برهم بشر كون) يعني أنهم يضيفون كشف
الضرر إلى العوائد والأسباب ولا يضيفونه إلى الله عز وجل فهذا من جهل شركهم الذي
كانوا عليه وإنما قسمهم فريقين لأن فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر إلا من الله تعالى
ثم قال تعالى (ليكفر وإمّا آتيناكم) قيل إن هذه الآيات لا يكون المعنى على هذا أنهم
إنما أشركوا بالله ليجيدوا نعمة عليهم في كشف الضر عنهم وقيل إنما لام العاقبة والمعنى
عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناكم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء (فقمتم عوا)
لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعني فعبثوا في اللذة التي أنتم فيها إلى المدة التي
ضربها الله لكم (فسوف تعلمون) يعني عاقبة أمركم إلى ماذا تصير وهو نزول العذاب بكم
قوله سبحانه وتعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً) قيل الضرع في قوله لما لا يعلمون
عائد إلى المشر كين يعني أن المشر كين لا يعلمون وقيل أنه عائد إلى الاصنام يعني أن
الاصنام لا تعلم شيئاً البتة لأنها جادوا لا علم له ومنهم من رجع القول الأول لأن نبي
العلم عن المحي حقيقة ومن الجاد مجاز فكان عود الضرع إلى المشر كين أولى ولأنه قال بما لا
يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع إن يعمل ومنهم من رجع القول الثاني قال لا إذا
قد أنه عائد إلى المشر كين احتجنا فيه إلى الضمور فكون المعنى ويجعلون يعني المشر كين لما
لا يعلمون أنه الله ولا له حق نصيب وإذا قلنا أنه عائد إلى الاصنام لم يحتج إلى هذا الضمور
لأنها لا يعلموا لفهم وقوله (عمارز قناهم) يعني أن المشر كين جعلوا الاصنام نصيباً من
حروثهم وأنعامهم وأموالهم التي رزقهم الله وتقدم تفسير في سورة الانعام (تالله)

لثئان) وعيد(عما كنتم تقترون) ١٥٨ انها آفة وانها اهل للتقرب اليها (ويجعلون لله البنات) كانت خراعة وكنانة

تقول الملائكة بنات الله
(سبحانه) تزييه لذاته من نسبة
الولد اليه أو يعجب من قولهم
(ولهم ما يشتهون) يعني البنين
ويجوز في الرفع على الابتداء
ولهم الخبر والنصب على
الغطف على البنات وسبحانه
اعتراض بين المظوف والمغطوف
عليه أي وجهه لوالا انفسهم
ما يشتهون من الذكور (واذا
يشرأحدهم بالانثى ظل وجهه
مسودا) أي صار قفلا وأمسى
وأصبح وبات تستعمل بمعنى
الضمير ولة لأن أكثر الوضع يتفق
بالليل فيظل نهاره معتما مسود
الوجه من الكناية والجماع من
الناس (ودو كظيم) ما عذقا
على المرأة يتوارى من القوم
من سوء ما يشربه يستخفي منهم
من أجل سوء ما يشربه ومن
أجل تعبيرهم ويحدث نفسه
وينظر (أيسكه على هون)
أيسكه ما يشربه على هون وذل
(أم يدسه في التراب) أم يثده
(الأساء ما يحكمون) حيث
يجعلون الولد الذي هذا عمله
عندهم لله ويجعلون لانفسهم
من هو على عكس هذا الوصف

(١) قوله صعصعة كذا
بالسنة ما يدبنا والصواب جدد
و كذا قوله وعي الذي الصواب
وجدى الذي كما هو مرفى كتب
الادب اه معجم

أقسم بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (لئن شئنا عما كنتم
تقترنون) يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا فلو لم يكن هذه الاصنام الهة وان لها
صبيان أموالكم وهذا الثقات الغيبة الى المحذور هو من يدب الكلام
وليغنه (ويجعلون لله البنات) هم خراعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وانما أطلقوا
لفظ البنات على الملائكة لاستبأرهم من العيون كالنساء أولاد دخول لفظ التأنيث في
تسميتهم (سبحانه) تزه الله نفسه عن الولد البنات (ولهم ما يشتهون) يعني ويجعلون
لانفسهم ما يشتهون يعني البنين (واذا يشرأحدهم بالانثى) النشارة عبارة عن الخبر
الساار الذي يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور ووجبان
تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التي تملو
الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان النشارة لفظ مشترك بين الخبر الساار والخبر
الحزن فصح قوله (واذا يشرأحدهم بالانثى) ظل وجهه مسودا) يعني متغيرا من الغم
والحزن والغطف والكراهة التي حصلت له عند هذه النشارة والمعنى ان هؤلاء المشركين
لا يرضى أحدهم بالانثى الا ان تنسب اليه فكيف يرضى أن ينسب اليه الله تعالى
ففيه تكبريت لهم وتوخي وقوله سبحانه وتعالى (وهو كظيم) يعني انه ظل ممتلئا غما وحزنا
(يتوارى من القوم من سوء ما يشربه) يعني انه يخفي من ذلك القول الذي يشربه وذلك
ان العرب كانوا في المجاهلة اذا قربت ولادة زوجة أحدهم توارى من القوم الى أن يعلم
ما ولد له فان كان ولدا ابتهج وسر بذلك وظهروا ان كانت انثى حزن ولم يظهر أياما حتى
يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى (أيسكه على هون) يعني على هوان وانما ذكر الضمير
في أيسكه لانه عائد الى ما يشربه في قوله (واذا يشرأحدهم) (أم يدسه في التراب) يعني أم
يخفي ذلك الذي يشربه في التراب والدس اخفاء الشيء في الشيء قال أهل التفسير ان مضر
وخراعة وقيما كانوا يدفنون البنات احياء والسبب في ذلك ما خوف الفقر وكثرة
العمال ولزوم النفقة أو الخمة فيخافون عليهم من الأسر ونحوه وأطمع غير الاكفاء فيهن
فكان الرجل من العرب في المجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد أن يستحيها تراكها حتى اذا
كبرت ألتها بحبسة من صوف أو شعر وجعلها تربي الابل والغنم في البادية واذا أراد
أن يقتلها تراكها حتى اذا صارت سداسية قال لامهاز ينسحقني أذهب بها الى اجائها
ويكون قد حفر لها حفرة في العراء فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري الى هذا البئر
فاذا نظرت اليها دفنها من خلفها في تلك البئر ثم يهيل التراب على رأسها وكان صعصعة
عم (١) الفرز ذق اذا أحس بشئ من ذلك وجهه بابل الى والد البنت حتى يحبسها بذلك
فقال الفرز ذق فتعبر بذلك

وعني الذي منع الوائدات * فاحيا الوئيد فلم يواد
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والمؤودة في النار أخرجه
ابوداود وقوله تعالى (الأساء ما يحكمون) يعني بشئ ما يصنعون ويقضون حيث
يجعلون لله الذي خلقهم البنات وهم يستنكحون منهن ويجعلون لانفسهم البنين نظيره

الذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء) صفة السوء هي الحاجة الى الاولاد الذكور وكرهه الاناث وادهن خشية
الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الغنى عن العالمين والتراحم عن صفات الخلقين (وهو العزيز) الغالب في

١٥٩

تقديمه اراد المحكم في امهال
العباد ولو يؤاخذ الله الناس
بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها) على الارض
(من دابة) قطولا هلكها
كلها بشؤم الظالمين عن ابي
هريرة رضى الله عنه ان الجباري
تموت في وكرها يظلم الظالم
وعن ابن مسعود رضى الله عنه
كذلك جعل يهلك في جحره بذنب
ابن آدم ومن ابن عباس رضى
الله عنهما من دابة من مشرك
يذب (ولكن يؤخرهم الى اجل
مسمى) أى اجل كل احد
او وقت تقتضيه الحكمة

او القياس (فاذا جاء اجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون ويحسبون الله
ما يكرون) ما يكرونه لانفسهم
من البنات ومن شركاء في

رياستهم ومن الاستغفار برسلهم
ويحسبون له اذل اموالهم
ولا ضامنهم اكرمها (وتصف
الستهم الكذب) مع ذلك أى
ويقولون الكذب (أن لهم
الحسن) عند الله وهي الجنة
ان كان البعث حقا كقوله
ولئن رجعت الى ربي انى فى عنده
للحسن وان لهم الحسن بدل
من الكذب (لاجرم ان لهم النار
وانهم مفروطون) مفروطون نافع

قوله سبحانه وتعالى الذم الذى كرهه الاثني تلك اذا قسمة ضميرى وقيل معناه آلاء
ما يحكمون في اؤاذا البنات (الذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء) يعنى صفة السوء من
احتياجهم الى الولد الذكور كرهتهم الاناث وقتلن خوف الفقر (ولله المثل الاعلى)
أى الصفة العليا المقدسة وهى ان له التوحيد وانه المترفع عن الولد وانه لا اله الا هو وانه
جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات
التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لا اله
الا الله (وهو العزيز) أى المتعفف في كبريائه وجلاله (المحكم) يعنى فى جميع أفعاله قوله
(ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) يعنى بسبب ظلمهم بما جعلهم بالعقوبة على ظلمهم
وكفرهم وعصيانهم فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى في آية أخرى
فمن ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمة في تلك الآية ثلاثة اقسام
فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام
مخصوص بتلك الآية الاخرى لان في جنس الناس الانبياء والصالحون ومن لا يطابق
عليه اسم الظالم وقيل اراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك اظلم عظم وقوله
(ما ترك عليها) يعنى على الارض كناية عن غير مذ كور لان الدابة لا تدب الا على الارض
(من دابة) يعنى أن الله سبحانه وتعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب
التي على وجه الارض قال قتادة وقد فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام فاهلك
من كان على وجه الارض الامن كان في السفينة مع نوح عليه السلام وروى ابن ابي هريرة
سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بشئ ما قلت ان الجباري تموت هزلا
بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجبل تعذب في جحرها ذنب ابن آدم وقيل اراد بالدابة
الكفار بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل في معنى الآية ولو يؤاخذ
الله الاباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق في الارض
أحد (ولكن يؤخرهم) يعنى يعاملهم بفضله وكرمه وحلمه (الى اجل مسمى) يعنى الى
انتهاء اجلهم وانقضاء اعمالهم (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى
لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذى جعله الله لهم ولا يتقصرون عنه وقيل اراد بالاجل
المسمى يوم القامة والمعنى ولكن يؤخرهم الى يوم القامة فيعذبهم فلا يستأخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون (ويحسبون الله ما يكرون) يعنى لانفسهم وهى البنات
(وتصف الستهم الكذب أن لهم الحسن) يعنى ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا
لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم واقترا على الله وقيل اراد بالحسن الجنة
والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم
قالوا ان كان محمد صادقا في البعث بعد الموت فان لنا الجنة لا ناعلى الحق فاكذبهم الله
تعالى فقال (لاجرم ان لهم النار) يعنى الآية الاخرة (وانهم مفروطون) قرئ بكسر

مفروطون ابو جعفر قال مفعول بمعنى مقدمون الى النار يحسبون اليها ان افطرت فلانا وفوطته في طلب النساء اذا قدمته
أومسبون متروكون من افطرت فلانا في اذخلفته ونسبته والمكسو والخنفاء من الافراط في المعاصي والمشددين
التعريض في الطاعات أى التصبر فيها

(ثالثه لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) أى أرسلنا هؤلاء إلى من تقدمك من الأمم (فمن لهم الشيطان أفعالهم) من الكفر والتكذيب بالرسول (فهو وليهم اليوم) أى قرينهم في الدنيا تولى أضلالهم بالفرز ورأوا الضمير مشترك قرش أى زين للكفار قلبهم أفعالهم فهو ولي هؤلاء لأنهم ١٦٠ منهم أو هو على حذف المضاف أى فهو ولي أمثالهم اليوم (ولهم

عذاب أليم) في القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب القرآن (اللاتين لهم) للناس) الذي اختلفوا فيه) هو البعث لأنه كان فيهم من يؤمن به (وهدى ورجة) معطوفان على نحو لاتين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فاعلا الذي أنزل الكتاب ودخلت اللام على لاتين لأنه فصل الخطاب لافعل المنزل (لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) في ذلك لآية لقوم يسمعون) سمع انصاف وتدبر لأن لم يسمع قلبه فكانه لا يسمع (وان لم يكن في الانعام لغيره نسيتكم مما في بطونه) وفتح النون نافع وشامى وأبو بكر قال الزجاج سميته وأسقيته بمعنى واحد ذكر سيوبه الانعام في الاسماء المفردة الواردة على أفعال ولذا رجع الضمير اليه مفردا وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقال نسيتكم مما في بطونه (من بين فرث ودم لبنا خالصا) أى يخلق الله اللبن وسيطابين الفرث والدم يكتفان ويبننه

الراءع التخفيف يعنى مسرفون وقرى بكسر الراءع مع التشديد يعنى مضيعون لآمر الله وقراء الجمع هو ربيع الراءع مع تخفيفها أى مضبون في النار قال ابن عباس وقال سعيد ابن جبير ومقاتل عمرو كون وقال قتادة يحملون إلى النار وقال القراء مقدمون إلى النار والفرط المتقدم إلى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أى مقدمكم (ثالثه لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) يعنى كما أرسلناك إلى هذه الأمة لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسولهم التكذيب فبه تسليمه للنبي صلى الله عليه وسلم (فمن لهم الشيطان أفعالهم) يعنى أفعالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزى في الحقيقة هو الله تعالى هذا مذمب أهل السنة وانما جعل الشيطان ذميا لئلا لقاه الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة ان يضل أحدا أو يهدي أحدا وانما الوسوسة فقط من أراد الله شقاوته سلبه عليه حتى يقل وسوسته (فهو وليهم) أى ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه ناصرهم فهو مغضول مغلوب معهود وانما سماه وليهم لظاعتهم اليه (ولهم عذاب أليم) يعنى في الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لاتين لهم) الذي اختلفوا فيه) يعنى في أمر الدين والاحكام فبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام (وهدى ورجة) يعنى وما أنزلنا عليك الكتاب الا لبنا وهدى ورجة (لقوم يؤمنون) لأنهم هم المنفعون به قوله سبحانه وتعالى (والله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر (فأحياه) يعنى بالماء (الأرض) يعنى بالنبات والزرع (بعد موتها) يعنى يسها وجدو بها ان في ذلك لآية) يعنى دلالة واضحة على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) يعنى سمع انصاف وتدبر ونفكر لأن سمع القلوب هو النافع لسمع الآذان سمع آيات الله أى القرآن بقلبه وتدبرها ونفكر فيها انتفعون لم يسمع بقلبه لم يفتق بالآيات (وان لم يكن في الانعام لغيره) يعنى اذا تذكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك (نسيتكم مما في بطونه) الضمير عائذ إلى الانعام وكان حقه أن يقال مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو مجبب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها وهذا قول أبي عبيدة والاختش وقال الكسائي انه رده إلى ما ذكره يعنى مما في بطونها ما ذكره غيره الكسائي مودة إلى البعض وفيه اضمحار كانه قال نسيتكم مما في بطونه اللبن فاضمير اللبن اذ ليس اسكها لبن (من بين فرث) وهو ما في الكرش من الثفل فاذا خرج منه لاسمى فرثا (ودم لبنا خالصا) يعنى من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا

ويبنهما برزخ لا يبنى أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا أكلت الهيمة العلف فاستقر في كرشها طبعه فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلىه دما واليكدمسلة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فبحر الدم في العروق واللبن في الضروع وبقي الفرث في الكرش ثم يفسد وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الاخلاص فقال غير العمل من العيوب كميز اللبن من بين فرث ودم

أما الدابة العاف واستقر في كرشها وطبقته كان أسفلها فرأوا وسطه لبعنا وأعلامه
فالكبد مساطة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجري الدم في العروق واللبن في
الضرع ويقي الثقل كما هو (سائغا للشاربين) يعني هنيئاً لهم لا يجري في الحلق بمهولة
قيل أنه لم ينص أحدنا إلى نفي هذا قول المفسرين في معنى هذه الآية وحكي الإمام
نضر الدين الرازي قول الحكياء في ذلك فقال ولقائل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان في
الكرش البتة والدليل عليه المحس فان هذه الحيوانات تدبجها من ألبانها وماوى
أحد في كرشها وما ولا لبنا بل الحقيق أن الحيوان إذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف
إلى معدته إن كان انساناً وإلى كرشه إن كان من الانعام وغيرهما فاذا طبع وحصل الهضم
الاول فيه فما كان منه صافياً فنجذب إلى الكبد وما كان كئيفاً نزل إلى الامعاء ثم ذلك
الذي حصل في الكبد ينطبع فيها ويصير دماً وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطاً
بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب إلى المرارة وأما السوداء
فتذهب إلى الطحال وأما المائية فتذهب إلى الكلية ومنها إلى المثانة وأما الدم فيذهب
في الوردية وهي العروق النابتة من الكبد وهنالك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد
وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق إلى الضرع والضرع لحم
غددى رخو أبيض فيقبل الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه إلى ذلك اللحم الغددى
الرخو الأبيض فيصير الدم لبناً فهذا ضرورة تكون اللبن في الضرع فاللبن انما يتولد
من بعض أجزاء الدم والدم انما يتولد من بعض الأجزاء اللطيفة من الاشياء المأكولة
الحاصلة في الكرش فاللبن تولد أولاً من القرش ثم من الدم ثانياً ثم صفاءه الله سبحانه
وتعالى بقدرته فلهذا لبناً خاصاً من بين قرث ودم وعند تولد اللبن في الضرع يحظى الله
عز وجل بلطف حكمته في حلبة الثدي ثباتاً فخاراً ومسامضة فيجعلها كالصفاء
للبن فكل ما كان لطيفاً من اللبن خرج بالمص أو الحلب وما كان كئيفاً احتبس في البدن
وهو المراد بقوله خالصاً يعني من شوائب كدورة الدم والقرش سائغا للشاربين يعني
جاري في حلقهم سهل لا يذيقهم ثماً بقوله عز وجل (ومن ثمرات النخيل والاعناب)
يعنى ولبم أيضاً عبرة فيما سئقكم ونزقكم من ثمرات النخيل والاعناب (تتخذون منه)
الضمير في منه يرجع إلى ما تقدروا لدم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه
(سكرورزقاً حسناً) قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد
وابراهيم وابن أبي ليلى والزجاج وابن قتية السكر الخمر سميت بالصاد من قولهم سكر
سكر أو سكر أو الرزق الحسن سائر ما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر
والزبيب والحل وغير ذلك فان قات الخمر محرمة فكيف ذكراً الله عز وجل في
معرض الانعام والالتنان قلت قال العلماء في الجواب عن هذا ان هذه السورة مكية
وتحريم الخمر انما نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الآية في الوقت الذي
كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نهي في هذه الآية على تحريم الخمر
أيضاً لأنه ميز بينهم وبين الرزق الحسن في الذكروا فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسناً

(سائغا للشاربين) سهل المرور
في الحلق ويقال لم ينص أحد
باللبن قط ومن الاول لتبعض
لأن اللبن بعض ما يطعمها
والثانية لابتداء الغاية وتعلق
(ومن ثمرات النخيل والاعناب)
بمخدوف تقدروا لدم من
ثمرات النخيل والاعناب أى من
عصيرهما وحذف لدلالة تسقيكم
قبله عليه وقوله (تتخذون منه
سكراً) بيان وكشف عن كنه
الاسقاء وتتخذون ومنه من
تكرار الظرف للتأكيد والضمير
في منه يرجع إلى المضاف
المخدوف الذى هو العصير
والسكر الخمر سميت بالصاد من
سكر سكر أو سكر أو الخمر شرباً
ورشاً ثم فيه وجهان أحدهما
ان الآية سابقة على تحريم الخمر
فتكون منسوخة وثانياً بما أن
يجمع بين العناب والمنة وقيل
السكر التبيذ وهو عصير العنب
والزبيب والتمر اذا طبع حتى
يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد
وهو حلال عند أبي حنيفة وأبي
يوسف رحمهما الله إلى حد السكر
ويحتاج بهذه الآية وقوله
عليه السلام الخمر حرام لعينها
والسكر من كل شراب وبأخبار
جدة (ورزقاً حسناً) هو الحنظل
والربو والنمر والزبيب وغير ذلك

يدل على التفريم وروى العوفي عن ابن عباس ان السكر هو الخيل بلغة الحبشة وقال
بعضهم السكر هو التبيذ وهو تنقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير
وهو قول الخنك والخنقي ومن يبيع شرب التبيذ ومن يجرمه بقول المراد من الآية
الاخبار لا الاحلال وأولى الاقوال ان قوله تتخذون منه سكرامنسو خ شئ ان عباس
عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل قلت القول
بالذبح فيه نظرا لان قوله ومن ثمرات الخيل والاعناب تتخذون منه سكر او رزقا حسنا
خير والاخبار لا يدخلها الذبح ومن زعم انها منسوخة رأى ان هذه الآية تراث عكة
في وقت اباحه المنكر ثم ان الله تبارك وتعالى حرمها بالمدينة فحكم على هذه الآية بانها
منسوخة وقال أبو عبيد في معنى الآية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك أى طعم لك
وقال غيره السكر ما سد الجوع من قراه - م سكرت النهر أى سدته و التمر والزبيب مما
يسد الجوع وهذه اشرح قول أبي عبيد ان السكر الطعم (ان في ذلك) يعنى الذى ذكر
من انعامه على عباده (لاية) يعنى دلالة وحجة واضحة (لقوم يعتقدون) يعنى ان من كان
عاقلا استدلل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلمه بالضرورة ان هذه
الاشياء خالقا ومديرا قادرا على ما يريد قوله سبحانه وتعالى (وأوحى ربك الى النحل)
لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وعجايب صنعته الدالة على وحدانيته من
اخراج اللبن من بين فرث ودم وانحاج السكر والرزق الحسن من ثمرات الخيل
والاعناب ذكر في هذه الآية اخرج العسل الذى جعله شفعا للناس من دابة ضعيفة
وهى النحلة قتال سبحانه وتعالى وأوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكير يستدل به على كمال قدرته تعالى
ووحدانيته وأنه الخالق لجميع الاشياء المديرا لها بلطف حكمته وقدرته وأحل الوحي
الاشارة الشريعة وذلك ليكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت
مجرد يقال للحكمة الالهية التى يلقى الله الى أنبيائه وحى والى أوليائه الهام وتخيير
الطير لما خلق له ومنه قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل يعنى انه سخرها لما خلقها له
والله ما سخرها وقدر في انفسها هذه الاعمال العجيبة التى يعجز عنها العقلان البشرى
وذلك ان النحل تبنى بيتا على شكل سدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على
بعض مجرد طابعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال
لكن فيما بينهما خلل ولما حصل التماسك فقامه الله سبحانه وتعالى أن تبنيها على هذا
الشكل المزدس الذى لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة وأقسمها الله تعالى أيضا
أن تجعل عليها أمرا كبيرا نافعا لحكم فيها وهى طيعة وعتق من أمره ويكون هذا الامر
أكبر حاجته وأعظمها لئلا يسمى يعسوب النحل يعنى ملكها كذا حكاه الجوهري
واللهم الله سبحانه وتعالى أيضا ان جعلت على باب كل خلية بوابا لا يمكن تغيير أهلها من
الدخول اليها واللهم الله سبحانه وتعالى أيضا انها تخرج من بيتها فادور وترعى
ثم ترجع الى بيوتها ولا تغفل عنها ولما تاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة

(ان في ذلك لآية لقوم يعقلون)
(وأوحى ربك الى النحل) وقسم

(أن اتخذني من الجبال بيوتا)
هي أن المفسر قال إن الإبقاء فيه
معنى القول قال الزجاج واحد
التخل نخلة كخخل ونخلة والثالث
باعتبارها ومن في من الجبال
(ومن الشجر وما يعرشون)
يرفعون من سقوف البيت أو
ما يتدون للتخل في الجبال والشجر
والبيوت من الأماكن التي
تعسل فيها للبعوض لأنها
لا تبنى بيوتها في كل جبل وكل
شجر وكل ما يعرش والضمير في
يعرشون للناس وبضم الراء
شامي وأوبكر (ثم كل من كل
الثمرات) أي أبنى البيوت ثم
كل كل ثمرة شتمها فإذا كانت
(فأسلكي سبل ربك) فادخلي
الطريق التي أسلكها وأهمك
في عمل العسل أو إذا كانت
الثمار في المواضع البعيدة من
بيوتك فأسلكي إلى بيوتك
وأجعة سبل ربك لا تضلين فيها
(ذلالا) جمع ذلول وهي حال من
السبل لأن الله تعالى ذلالها
وسهلها أو من الضمير في فأسلكي
أي وأنت ذال متعذلة لما أمرت
به غير متعذلة (يخرج من بطونها
شراب) يريد العسل لأنه مما
يشرب ثقبه من فيها (مختلف
ألوانه) منه أبيض وواصف وأرج
من الشباب والكهول والشيب
أو على ألوان أغذيتها

الذات على خز يد كما هو الفطنة دل ذلك على الإلهام الإلهي فكان ذلك شيها بالوحى
فذلك قال تبارك وتعالى وأوحى ربك إلى النحل والنحل زبور العسل ويسمى الدبر
أيضا قال الزجاج يجوز أن يقال يسمى هذا الحيوان تخلا لأن الله سبحانه وتعالى فعل
الناس العسل الذي يخرج من بطونها يعني أعطاهم وقال غيره النحل يذكروا نوث
وهي مؤنثة في لغة النحاز وكذا الله تعالى فقال (أن اتخذني من الجبال بيوتا ومن
الشجر وما يعرشون) يعني يبنون ويسقون وذلك أن النحل منه وحشي وهو الذي
يسكن الجبال والنحور ويأوى إلى الكهوف ومنه أهلي وهو الذي يأوى إلى البيوت
وربه الناس عندهم وقد جرت المادة أن الناس يبنون للتخل الأماكن حتى تأوى
إليها وقال ابن زيد أراد بالذي يعرشون الكروم (ثم كل من كل الثمرات) يعني من
بعض الثمرات لأنها لا تأكل من جميع الثمار فقلعة كل ههنا ليست للعموم (فأسلكي
سبل ربك) يعني الطرق التي أهمك الله أن تسلكها وتدخل في فيها لاجل طلب الثمرات
(ذلالا) قيل إنها نعت للسبل يعني أنها مذلة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال
مجاهد لا يتوعد عليها مكان تسلكه وقيل الذل نعت للنحل يعني أنها مذلة مسخرة
لأربابها طيعة متعادلة لهم حتى أنهم يقولون ههنا مكانها إلى مكان آخر حيث شاءوا
وأرادوا الاستعصاء عليهم (يخرج من بطونها شراب) يعني العسل (مختلف ألوانه)
يعني ما بين أبيض وأرج وواصف وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من
الثمار والأزهار ويستحيل في بطونها عسل لا يتعدى الله تعالى ثم يخرج من أفواهها
يسيل كاللعاب وزعم الأمام غير الدين الرازي أنه رأى في بعض كتب الطب أن العسل
طل من السماء ينزل كالترخمين فيقع على الأزهار وأوراق الشجر فتجعله النحل قثا كل
بعضه وتندخ بعضه في بيوتها لأنفسها تتعذى به فإذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاء
العظيمة شئ كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب إلى العقل لأن طبيعة الترخمين
تقرب من طبيعة العسل وأيضا فانا شاهدنا أن النحل تتعذى بالعسل وأجاب عن قوله
تعالى يخرج من بطونها ما كل تتوعد في داخل البدن يسمى بضماء فتقوله يخرج من
بطونها يعني من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لأننا شاهدنا به وجود في طعم
العسل طعم تلك الأزهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجد نورها ويحها وطعمها فيه
أيضا بعضه أقول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أكلت مغافير قال لاقأت
فأشاهد الریح التي أجدهم قال سقتني حفصة شراب عسل قالت جرت تسيله العرفط
العرفط شجرة الظمولة صنع يقال له المغافير كربة الراحة فغني جرت نخلة العرفط أكلت
ورعت من العرفط الذي له الراحة الكربة فثبت بهذا الدليل صحة قول أهل الظاهر
من المفسرين وأنه يوجد في طعم العسل ولونه ويرى فيه طعم ما يأكله النحل ولونه ويرى فيه
لما قاله الأطباء من أنه طلاله لو كان طلالا كان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله
أن طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترخمين فيه نظر لأن مزاج الترخمين معتدل إلى
الحرارة وهو الطيف من السكر ورازج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فيمنه أفرق

كبر وتولد كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنافيه نظراً لان لفظ البطن اذا أطلق لم
 يرده الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله اعلم وقوله تعالى (فيه) يعنى في
 الشرب الذي يخرج من بطن النحل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود
 اذا ضمير في قوله فيه شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو
 على العموم لكل مرض أو على الخصوص لمرض دون مرض على قولين أحدهما ان
 العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن
 شفاء لما في الصدور وفي رواية أخرى عنه عليه السلام في القرآن والعسل وروى نافع
 ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شيء الا انخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من
 بطونها شرباً مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن أبي سعيد الخدري قال جازي رجل
 الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى استطلق بطنه فقتل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اسقه عسلاً فشفاه ثم جاء فقال انى سقيته عسلاً فبذله الاستطلاق فقال له ثلاث
 مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلاً فقال لندسقيته فلم يرد له الاستطلاق فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فقاه فبرأ وقد اعترض بعض المخدنين
 ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الأطباء مجمعون على ان العسل مسهل
 فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول في الرد على هذا المعترض المخد الجاهل بعلم
 الطب ان الاسهال يحصل من أنواع كثيرة منها القهم والقيح والهيضات وقد اجمع الأطباء في
 مثل هذا على أن علاجه بان تترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى معين على الاسهال
 أعينت مادامت القوة باقية فاما حدها فمضمر عندهم والسهل حال مرض فيقول أن يكون
 اسهال الشخص المذكور في الحديث أحاديث من امتلاء أو هيضة فداؤه بترك اسهاله على
 ما هو عليه أو تقويته فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسم الافزاده
 عسلاً الى ان ثبت المادّة فوقف الاسهال ويكرن الخلط الذي كان به يوافقه شرب العسل
 فثبت بما ذكرناه ان أمره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة
 الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولنا بعد الاستظهار والتصديق الحديث يقول
 الأطباء بل لو كذبوه لكان بنا هم وكفرنا هم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجارى على
 صناعة الطب دفعا لهذا المعترض بانه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله
 اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فيقول هل صلى الله عليه وسلم
 علم بالوحي الا ان العسل الذي أمر به شربه يظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في
 الحال عندهم قال صدق الله يعنى فيما وعده من ان فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعنى
 بما تتجمل لك للشفاء في أول مرة والله اعلم بمراده واسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قالوا
 كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بأصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب
 المرورين ويعاش قاتنا في الجواب عن هذا الاعتراض ايضاً ان قوله فيه شفاء للناس
 مع انه يضر بأصحاب الصفراء ويهيج الحرارة انه يخرج مخزج الاغلب وانه في الاغلب
 فيه شفاء ولم يزل انه شفاء لكل الناس لكل داء ولله في الجملة دواء وان نفعه

(فيه شفاء للناس) لانه من
 جهة الادوية النافعة وقيل
 مجهون من المعاجين لم يذكر
 الأطباء فيه العسل وليس
 الغرض انه شفاء لكل مريض
 كما ان كل دواء كذلك وتذكره
 لتعظيم الشفاء الذي فيه أولان
 فيه بعض الشفاء لان التكررة
 في الاثبات تخص وشكرا لرجل
 استطلق بطن أخيه فقتل
 عليه السلام اسقه عسلاً فشفاه
 وقال زاده شراً فقال عليه السلام
 صدق الله وكذب بطن أخيك
 اسقه عسلاً فشفاه فصحه وعن
 ابن مسعود رضى الله عنه
 العسل شفاء من كل داء والقرآن
 شفاء لما في الصدور فعليكم
 بالشفاء من القرآن والعسل
 ومن بدع الروافض ان المراد
 بالشفاء على وقومه وعن بعضهم
 ان رجلاً قال عند المهدى انما
 الخدش بنوه شام يخرج من
 بطونهم العلم فقال له رجل
 جعل الله طعامك وشرباك
 مما يخرج من بطونهم ففعل
 المهدى وحده شبه المنصور
 فالتخذه اخوه حكمة من
 اصابكمهم

أكثر من مضرتة وقل مجنون من المعاجين الاوتعامه به والاشر به المتخذة من العسل
نافعة لاصحاب الباع والشيخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثاني انه شفاء
للوجع التي شفاؤها فيه وهذا قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعني
القرآن لانه شفاء من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورجة للناس
والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات واقر بها قوله تعالى
يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو اولي ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور
وقوله سبحانه وتعالى (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يعني فيعتبرون ويستدلون بما
ذكرنا على وحدانيتنا وقد درنا قوله عز وجل (والله خلقكم) يعني اوجدكم من العدم
واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا ثم يتوفاكم يعني ارداه واضعفه وهو الهرم
وامساها بنا وما كولا ومنكم من يرد الى ارض العمر يعني ارداه واضعفه وهو الهرم
قال بعض العلماء عمر الانسان اربع مراتب اولها سن النشو والنماء وهو من ازل
العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية من الشباب وبلوغ الاشد من المرتبة
الثانية من الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى اربعين سنة وهو غاية القوة وكل
العقل ثم المرتبة الثالثة من الكهولة وهو من الاربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع
الانسان في التقص لكنه يكون نقصا عما لا يظهر ثم المرتبة الرابعة من الشيخوخة
والانحطاط من الستين الى آخر العمر وقها بين التقص ويكون الهرم والخرف وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه اُرذل العمر خمس وسبعون سنة وقبل ثمانون سنة وقال
قنادة تسعون سنة (ق) عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
انني أعوذ بك من العجز والعكس والجبن والهرم والبلبل وأعوذ بك من عذاب القبر
وأعوذ بك من فتنة النحس والممات وفي رواية أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعوهم بهذه الدعوات اللهم انني أعوذ بك من البخل والبخل وأرذل العمر
وعذاب القبر وفتنة النحس والممات وقوله تعالى (الذي لا يعلم بعد علم شيئا) يعني ان
الانسان يرجع الى حالة الطفولة بنفسه ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس
الذي صير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيئا
لشدته وهما وقال الزجاج المعنى وان منك من يكبر حتى يذهب عقله خرافة صير بعد ان
كان عالما جاهلا ببركة الله من قدرته انه كما قدر على اماته واحيائه انه قادر على قتله
من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقر لا عنه ولو قال ابريك من قدرته انه كما قدر على قتله
من العلم الى الجهل انه قادر على احيائه بعد اماته ليكون ذلك دليلا على صحة البعث
بعد الموت لكان احوذ قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين لان المسلم لا يرد في طول
العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعتلا ومعرفة وقال عكرمة من قر القرآن لم يرد الى
أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين
قرؤا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يريد الكفار ثم استثنى
المؤمنين فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى (ان الله عليم) يعني

(ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون)
في عيب امرها يعلمون ان
الله اودعها علما بذلك وفطنها
كما أعطى أولى العقول عقولهم
(والله خلقكم ثم يتوفاكم) يقبض
أرواحكم من انبأ انكم
(ومنكم من يرد الى أرذل العمر)
الى أخس وأحقه وهو نخس
وسبعون سنة أو ثمانون أو
تسعون (الذي لا يعلم بعد علم
شيئا) ليسى ما يعلم أو ثلا يعلم
زيادة علم على علمه (ان الله عليم)
يحكم التحويل الى الارذل من
الاسفل الى الاغناء من الاجياء

(قدبر) على تبديل ما يشاء كل شيء من الأشياء (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي جعلكم متفاوتين في الرزق
 فزركم أفضل مما رزق مسايلكم ١٦٦ وهم بشر مثلكم (فما الذين فضلوا) في الرزق يعني الملاك (برادى) يعطى

(رزقهم على ما ملكت أيمانهم) فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقوه وعلماهم حتى تتساوا في الملبس والمطعم (فهم فيه سواء) جلالة سبحانه وقعت في موضع جلالة فعلية في موضع نصب لانه جواب الذي بالفاء وتندبر في الذين فضلوا رادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضرب الله للذين جعلوا لشركاءهم ما قال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيكم شركاء ولا ترضون ذلك لانكم فكيف رضتم أن تجعلوا عبيد في شركاءكم (أنعمة الله بعبادهم) وبالنساء أبو بكر فجعل ذلك من جلالة جود الله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافذوه والذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القائل واليك تسعي وتحفد أي تسرع إلى طاعتك فهذا أصل في اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا أنهم أصهاره فهو يعني الأول فعل هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات ترتجونهم فيجعل لكم بسببهم الاختان والأصهار وقال الحسن وعكرمة والخالفهم الحفد وقال مجاهد هم الأعوان وكل من أعلن فقد حنفك وقال عطاء هم ولد الرجل يعني نونه ويخدمونه وقيل هم أهل المهمة الذين يخدمون ويخدمون من الأولاد وقال مقاتل والكلبي البنيون هم الصغار والحفدة كبار الأولاد الذين يعينون الرجل على عياله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو أم الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الأقوال متقاربة بلان اللفظ يتجهل الكل بحسب المعنى المشترك وبالمجالة فإن الحفدة هم بنو البني لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم معارزة (ورزقكم من الطيبات) يعني النعم التي أنعم بها عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والأشربة المستطابة المحلاة من ذلك كله (أيما باطل يؤمنون) يعني بالانصاف وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون أن لي شرى يكا وصاحبة

بما تنع بأوليائه وأعدائه (قدبر) يعني على ما يريد قوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) يعني أن الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وصيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقيل على آخر وكذا فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والمخاق والمعل والحقبة والسعة والحسن والتجويد والعلو والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الإلهية والقدرة الربانية (فما الذين فضلوا) رادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم يعني من العبيد حتى يستووا فيهم وعبيدهم يشول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون أن يسكنوا وأهم ومساكينهم فيسأروهم سواء وقد جعلوا عبيد في شركاء في ملكي وسلطاني يلزم به هذه الحكمة المشر كين حيث جعلوا الأصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضرب به الله عز وجل يشول هل منكم أحد يرضي أن يسكنه ملكه في جميع ماله فكيف تسدلون بالله خلقة وعباداه وقيل في معنى الآية أن المولى والمالك لله رازقهم جميعا (فهم فيه) يعني في رزقهم (سواء) فلا تفتن أن المولى يردون رزقهم على عبيدكم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله أسراء على أيدي المولى لله البلى والمقصود منه بيان أن الرزاق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وان المولى والمالك في الرزق سواء وان المالك لا يرزق المملوك بل الرزاق لله البلى والمالك لله والله سبحانه وتعالى وقوله (أنعمة الله بعبادهم) فيه انكار على المشركين حيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره قوله عز وجل (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني النساء تخلفن من آدم حواء وزوجته وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لا بد خطاب عام بعم الكل فتخصيصها بدم وحواء خلاف الدليل (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) الحفدة جمع حافذوه وهو المدرع في الخدمة المسارع إلى الطاعة ومنه قوله في الدعاء واليك تسعي وتحفد أي تسرع إلى طاعتك فهذا أصل في اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا أنهم أصهاره فهو يعني الأول فعل هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات ترتجونهم فيجعل لكم بسببهم الاختان والأصهار وقال الحسن وعكرمة والخالفهم الحفد وقال مجاهد هم الأعوان وكل من أعلن فقد حنفك وقال عطاء هم ولد الرجل يعني نونه ويخدمونه وقيل هم أهل المهمة الذين يخدمون ويخدمون من الأولاد وقال مقاتل والكلبي البنيون هم الصغار والحفدة كبار الأولاد الذين يعينون الرجل على عياله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو أم الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الأقوال متقاربة بلان اللفظ يتجهل الكل بحسب المعنى المشترك وبالمجالة فإن الحفدة هم بنو البني لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم معارزة (ورزقكم من الطيبات) يعني النعم التي أنعم بها عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والأشربة المستطابة المحلاة من ذلك كله (أيما باطل يؤمنون) يعني بالانصاف وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون أن لي شرى يكا وصاحبة

(وبنعمت الله) أى الاسلام (هم يكفرون) أو الباطل الشيطان والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم أو الباطل ما يسؤل لهم الشيطان من تحريم الجسرة والسابقة وغيرهما ونعمة الله ما حل لهم ١٦٧ (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم

رزقاً من السموات والارض شيئاً) أى الصنم وهو محاد لا يملك أن يرزق شيئاً فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإن أردت المصدر نصبت به شيئاً أى لا يملك أن يرزق شيئاً وإن أردت الممرزوق كان شيئاً لأنه أى قليل لا من السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدراً أى لا يرزق من السموات مطراً ولا من الارض نباتاً وصفة ان كان اسماً رزقوا والخير فى (ولا يستطيعون) لما لا نهى معنى الآفة بعد ما قال لا يملك على اللفظ والمعنى لا يملكون الرزق ولا يملكهم أن يملكوه ولا تثنى ذلك عنهم (فلا تضرهم والله الامثال) فلا تضرهم الله مثلاً له لا تضرهم الله مثلاً له أى فلا تضرهموا اذ شر كما (ان الله يعلم) انه لا ملل له من الخلق (وانتم لا تعلمون) ذلك او ان الله يعلم فكيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك والربسه الاول ثم ضرب المثل فقال (ضرب الله مثلاً عبداً) هو عبد من مثلاً (عبدكم) لا تقدر على شئ ومن رزقناه ما رزقناه رزقاً حسناً فهو يفتق منه سرا (وجهر) مصدران فى موضع الحال أى مثلكم فى اشراككم بالله الاول مثل من شرب بين عبد

وولدوا هذا استهلام انكاراً لى لهم ذلك (وبنعمت الله هم يكفرون) يعنى انهم يضيفون ما انعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يعبدون ما حل الله لهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والارض) يعنى الاصنام التى لا تقدر على انزال المطر الذى فى السموات خزائنه ولا تقدر على اخراج النبات الذى فى الارض معذنه (شيئاً) يعنى لا يملك من الرزق شيئاً قليلاً ولا كثيراً قبل معناه بعدون ما لا يرزق شيئاً (ولا يستطيعون) يعنى ولا يقدر على شئ يذ كر عجز الاصنام عن ايجاد نفع أو دفع ضرر (فلا تضرهم والله الامثال) يعنى لا تشبهوا الله تخلقته فانه لا ملل له ولا شبهه ولا شر يك من خلقه لان الخلق كله هم عبيده وفى ملكه فكيف يشبهه الخلق بالخلق أو الرزق بالرزق أو التقادر بالعجز (ان الله يعلم) يعنى ما انتم عليه من ضرب الامثال له (وانتم لا تعلمون) خطأ تضرهم بوزله من الامثال قوله تعالى (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شئ ومن رزقناه من رزقاً حسناً) اسماهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال لانه علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلاً فقال تعالى مثلاً كم فى اشراككم بالله الاول ان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حريم ماله قادر قدر رزقه الله ماله فهو يتصرف فيه ويفتق منه كيف يشاء وصرح العقل بشهيدانه لا تحوز التسوية بينهم فى التعظيم والاحلال فلهما المقتضى التسوية بينهما مع استوائهما فى الخلق والصوره البشرى فكيف يجوز للعاقل ان يسوى بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والافعال بين الاصنام التى لا تملك ولا تقدر على شئ البتة وقيل هذا ملل ضربه الله للؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذى لا يقدر على شئ والكافر لانه لما كان محروماً من عبادة الله وطاعته صار كالعبد المملوك لا يقدر على العجز الذى لا يقدر على شئ وقيل ان الكافر بالرزق الله ماله لا يقدر عليه فيخير اصابه كالعبد الذى لا يملك شيئاً والمراد بقوله (ومن رزقناه من رزقاً حسناً) لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبرديه والاتفاق فى رجوه البر والخير صار كالحرس المالك الذى يفتق سرا وجهر فى طاعة الله واستغفار صلاته وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو يفتق منه سرا وجهر) فأما الله الحق على ذلك فان ذلك لم يزل عبد مملوك لا يقدر على شئ وكل عبد هو مملوك وهو غير قادر على التصرف فالتماز كالمملوك لتمييز من المحرر لان اسم العبد يقع عليهم جميعاً لانهم من عباد الله وتوله لا يقدر على شئ احتريزه عن المملوك المكاتب والاذن له فى التصرف لانهم ما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الاية على ان العبد لا يملك شيئاً (هل يستوون) ولم يقل هل يستويان يعنى هل يستوى الاحرار والعبد والممنى فكلا يستوى هذا التميز الغل والغنى السقى كذلك لا يستوى الكافر العاصى والمؤمن النافع وقال عطاء فى قوله عبد مملوك كاهو ايهول بن هشام ومن رزقناه من رزقاً حسناً هو ابرار الصديق ثم قال تعالى (الحمد لله) حمد الله نفسه

مملوك عاجز عن التصرف وبين حريم ماله قدر رزقه الله ماله فهو يتصرف فيه ويفتق منه ماله وقد بناه مملوك لتمييز من المحرر لان اسم العبد يقع عليهم جميعاً لانهم من عباد الله ولا يقدر على شئ لتمييز من المكاتب والاذن له فى التصرف واحتج الفقهاء بهذه الموصوفة أى حراز رزقناه ليطابق عبداً موصولة (هل يستوون) جمع الضمير لارادة الجمع أى لا يستوى القليلان (الحمد لله)

بل أكثرهم لا يعلمون) بان الحمد ١٢٨ والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم

لا يتقدر على شيء) الأبكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاه) أي ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله (أيما يوجهه لا يأت بخير) حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة أو كفاية لهم لم ينفع ولم يأت بخير (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) أي ومن هو سليم الحواس تفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قوي وهذا مثل ثلث ضرب به لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته ونعمته وللأصنام التي هي أموات لا تخبر ولا تنفع (ولله غيب السموات والأرض) أي يختص بعلم ما غاب فيها من عباده وخفي عليهم علمه أو أراد غيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطالع علمه أحد منهم (وما أمر الساعة) أي قرب كونها وسرعة قيامها (الكلج البصر) كرجع طرف وانما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه (أوهو) أي الأمر (أقرب) وليس هذا الشك المخاطب ولكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب (إن الله على كل شيء قدير

لأنه المستحق لجميع الحمد لأنه المنعم المفضل على عباده وهو الخالق الرازق لهذه الأصنام التي عبدها هؤلاء فأنها لا تستحق الحمد لأنها جامدة عاجزة لا بد لها على أحد ولا معروف فتحمدهم أن الحمد الكامل لله لا غيره فثبت على جميع العباد حمد الله لأنه أهل الحمد والنساء الحسن (بل أكثرهم) يعني الكفار (لا يعلمون) يعني أن الحمد لله لهذه الأصنام (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) هو الذي ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والأبكم الذي لا يفهم ولا يفهم (لا يتقدر على شيء) هو إشارة إلى العجز التام والنقصان الكامل (وهو كل على مولاه) أي تقبل على من يلي أمره ويعوله وقيل أصله من الغلط وهو نقض المحمدة يقال كل السكين إذا غلطت شفرته وكل اللسان إذا غلط فليقدر على النطق وكل فلان إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقره وهو كل على مولاه أي غلط تقبل على مولاه (أيما يوجهه) أي حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة أو كفاية لهم (لا يأت بخير) يعني لا يأت بخير لأنه أخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم (هل يستوى) يعني من هذه صفة (هو) يعني صاحب هذه الصفات المذمومة (ومن يأمر بالعدل) يعني ومن هو سليم الحواس تفاع ذو كفايات وذو ديانة يامر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) يعني على سيرة صالحة ودين قوي فيجب أن يكون الأمر بالعدل علما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الأمر بالعدل وهذا مثل ثلث ضرب به لنفسه ولما يفيض على عباده من انعمائه وشأنهم به من آثار رحمته وألطافه وللأصنام التي هي أموات جامدة لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لأنها تحتاج إلى كفاية العمل والخلق والمحمدة وقيل كلا المثلين لأن المؤمن والكافر والمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والصفاة هو الأبكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي يأمر بالظلم وهو أبكم أوجهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى أمره بالسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالأمسالك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يأتي بخير وقيل المراد بالأبكم الذي لا يأتي بخير أي بن خلف وبالذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان ابن عفان وعثمان بن مضعون (ولله غيب السموات والأرض) أخبر الله عز وجل في الآية عن كل علمه وأنه عالم بجميع الغيوب فلا تخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شيء منها وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله (وما أمر الساعة) يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب (الكلج البصر) يعني في السرعة ولم يبصر هو انطباق حفن العين وفقدته وهو طرف العين أيضا (أوهو أقرب) يعني أن ألم البصر يحتاج إلى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون في أسرع من ألم البصر وهو قوله (إن الله على كل شيء قدير) فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وأنه سبحانه وتعالى هو ما أراد شيئا كان أسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من ألم البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شاء لا يهجزه شيء قوله عز وجل

(والله

فهو يتقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بعباده فقال

(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) وبكسر الالف وفتح الميم على اتساع الكسرة النون وبكسر همزة حمزة والهاء مزيدة في امهات لتو كيد كاز يدت في اوراق فليل اهرق وشدت زيادتها في الواحدة ١٦٩ (لا تعلمون شيئا) حال ان غير عالمين

شأمن حق المنعم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) اي موار كبقكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدت عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافئدة في فردا كالا غربة في غراب وهو من جوع القلة التي جرت مجرى جوع الكثرة لعدم السماع في غيرها (المروا) وبالات شامى وجيزة (الى الطير مسخرات) من ذلات الطير انما خلق لهما من الاجتهاد والاسباب المواتية لذلك (في جوار السماء) هو الهواء المتباعد من الارض في سمات العلو (ما يسهكن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الا الله) بقدرته وفيه نفي لما يصوره الزهيم من خاصية القوى الطبيعية (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بان الخلق لا غنى به عن الخالق (والله جعل لكم من بيوتكم سكنيا) هو فعل بمعنى مفعول أي ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هي قببات الادم (تستقونها) ترونها اخفية الخجل في الضرب والنقص والنقل (يوم تعلمون) يسكنون العين كوفي وشامى وفتح العين غيرهم والظنم بفتح العين وسكنوا الا وفتح (ويوم

(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) تم الكلام هنا لان الانسان خالق في أول الفطرة ومبدعها خالق العلم والمعرفة لايتهدى سبيلنا ثم ابتداء فخلق تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعني ان الله سبحانه وتعالى انما ابتدأ هذه الحواس لتتقوا بها من الجهل الى العلم فعمل لكم السمع لتسمعوا به ونصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصحكم في أمر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها على ما يصحكم في أمور دنيائكم وتعلموا بها على وحدانيته وجعل لكم الافئدة لتتقوا بها من الجهل الى العلم واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يستحقكم في الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على ان جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن أمه قلت ذكر العلماء ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الاول لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها واول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكانت خلقت في ذلك الوقت الذي ينفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك وقوله تعالى (العلمكم تشكرون) يعني انما اعمد عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من انعم بها عليكم (المروا الى الطير مسخرات) يعني من ذلات (في جوار السماء) الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاخبار ان الطير تقع في الجوار اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يسهكن) (الا الله) يعني في حال قبض أجهت باز بسطها واصطفاتها في الهواء وفي هذا حدث على الاستدلال بها على ان لها مسخر اسخرها من ذلاتها وما يسكنها في حال طيراتها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انما يخص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم قوله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والمدر (سكنيا) يعني مسكناتكم سكنى والسكن ما سكنت اليه أو فيه من الفأوى بيت (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والخيصة والفساطيط المتخذة من الادم والانتفاع واعلم ان المساكن على قسمين أحدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوه وما لا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليابا (الاشارة بقوله تعالى (تستقونها) يعني يخف عليكم جعلها (يوم تعلمون) يعني في يوم سبيلكم ورحيلكم في أسفاركم وتعلمون البادية والطلب ماء أو رعى ونحو ذلك (ويوم أقامتمكم

(ومن أصوافها) أى أصواف الضان (وأوبارها) وأوبار الابل (وأشعارها) وأشعار المعز (أثانها) أى تتخذون أثاناً للأثام متاع البيت الكبير وأصله من أث إذا كثرت كثف وقيل لئال أثان إذا كثرت قال ابن عباس أثاناً بمعنى مالا وقال مجاهد متاعاً وقال القتيبي الأثام المال أجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الأثام به متاع البيت من الفرس والأكسية ونحو ذلك (ومتاعاً) بمعنى وبلاغات وهو ما يتبعون به (الحسين) بمعنى إلى حين إلى ذلك الأثام وقيل إلى حين الموت فإن قلت أى فرق بين الأثام والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف بوجوب المغارة فهل من فرق قلت الأثام ما كثرت من آلات البيت وحوائشه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ما يتبع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين والله أعلم (والله جعل لكم محاق ظلالاً) أى جعل لكم محاق ظلالاً (كنا) جمع كن وهو ما سترك من كهف أو غار (وجعل لكم سرايل) أى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تقيكم الحر) وهى تقي البرد أيضاً إلا أنه اكتفى بأحد الصدين ولان الوقاية من الحر أهم عندهم ليكون البرد يسيراً محتملاً (وسرايل تقيكم بأسكم) ودروعاً من الحديد تدفع عنكم سلاح عدوكم في قتالكم والأسس شدة الحرب والسرايل عام تقع على ما كان من حديد أو غيره (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أى تمنفرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتتقنون له (فان تولوا) اعرضوا عن الإسلام (فانما عليكم البلاغ المدين) أى فلا تبعه عليكم في ذلك لان الذى عليكم هو التبليغ الفاهر وقد فعلت

بمعنى وتخفف عليكم أيضاً في افاتكم وحضركم والمعنى لا تنقل عليكم في الحالات (ومن أصوافها) وأوبارها وأشعارها) الكناية عما تدفع إلى الانعام بمعنى ومن أصواف الضان وأوبار الابل وأشعار المعز (أثانها) أى تتخذون أثاناً للأثام متاع البيت الكبير وأصله من أث إذا كثرت كثف وقيل لئال أثان إذا كثرت قال ابن عباس أثاناً بمعنى مالا وقال مجاهد متاعاً وقال القتيبي الأثام المال أجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الأثام به متاع البيت من الفرس والأكسية ونحو ذلك (ومتاعاً) بمعنى وبلاغات وهو ما يتبعون به (الحسين) بمعنى إلى حين إلى ذلك الأثام وقيل إلى حين الموت فإن قلت أى فرق بين الأثام والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف بوجوب المغارة فهل من فرق قلت الأثام ما كثرت من آلات البيت وحوائشه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ما يتبع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين والله أعلم (والله جعل لكم محاق ظلالاً) أى جعل لكم محاق ظلالاً (كنا) جمع كن وهو ما سترك من كهف أو غار (وجعل لكم سرايل) أى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تقيكم الحر) وهى تقي البرد أيضاً إلا أنه اكتفى بأحد الصدين ولان الوقاية من الحر أهم عندهم ليكون البرد يسيراً محتملاً (وسرايل تقيكم بأسكم) ودروعاً من الحديد تدفع عنكم سلاح عدوكم في قتالكم والأسس شدة الحرب والسرايل عام تقع على ما كان من حديد أو غيره (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أى تمنفرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتتقنون له (فان تولوا) اعرضوا عن الإسلام (فانما عليكم البلاغ المدين) أى فلا تبعه عليكم في ذلك لان الذى عليكم هو التبليغ الفاهر وقد فعلت

(يعرفون نعمت الله) التي عذناها باقوالهم فاتهم يقولون انها من الله (ثم ينكرونها) بافعالهم حيث عبدوا غير المتعبد (أو في الشدة ثم في الرخاء) (وأكثرهم الكافرون) أي الجاحدون غير المتعبدين ١٧١ أو نعمة الله بقوة محمد صلى الله عليه

وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عبادا أو أكثرهم الجاحدون المنكرون يقولونهم ثم يدل على أن أنكارهم أمر متباعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لأن ينكر (ويوم) انتصابه بذكر (نبئت) تخبر (من) كل أمه شهيدا) نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والإيمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار والمعنى لا يحل لهم قول بترك الإذن على أن لا يحل لهم ولا عذر (ولا لهم يستعجبون) ولا هم يستعجبون أي لا يقال لهم أرضوا بكم لأن الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم تنهم من أي يبتلون بعد شهادة الأنبياء عليهم السلام بما هو أطم وأغلب منها وهو أنهم عنون الكلام فلا يؤذن لهم في القساء معذرة ولا ادلاء بحجة (واذ أرى الذين ظلموا) كفروا (العذاب فلا يخفف عنهم) أي العذاب بعد الدخول (ولا لهم ينظرون) يهلون قبيله (واذ أرى الذين أنكروا شرككم) أو أناتهم التي عبدوها (فالوارثنا هؤلاء شركائنا) أي ألسنا التي جعلناها شركاء (الذين كننا ندعوهم) دونك (أي عبد) (فألقوا إليهم القول أنكم لكاذبون) أي أحابوهم بالكذب لانها كانت جادة لا تعرف من عبدها ويحتمل أنهم كذبوه في تصديقهم شركاء أو ألهة تنزيها لله عن الشريك

بقوله (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها) قال السدي نعمة الله يعني محمد صلى الله عليه وسلم أنكره وكذبوه وقيل نعمة الله هي الإسلام لانه من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده ثم إن كذا ومكة أنكره وخرجه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدها لهم في هذه السورة من النعم بقرون بانها من الله ثم إذا قيل لهم صدقوا أو امتثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون ودرناها عن آبائنا وقال الكلبي إنه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كاهن من الله تعالى لكننا شافعة آلهتنا وقيل هو قول الرجل لول فلان لكان كذا ولول فلان لما كان كذا وقيل انهم يعترفون بأن الله أنعم بهذه النعم ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونه عليها (وأكثرهم الكافرون) إنما قال سبحانه وتعالى وأكثرهم الكافرون مع أنهم كانوا كاهن كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد هذا التكليف فغير بالا كثر من البالغين وقيل أراد بالا كثر الكافرين المخاضرين المندنين وقد كان فيهم من ليس بمعتدون كان كافرا وقيل انه غير بالا كثر عن الكل لانه قديد كرا لا كثر ويراد به الجمع قوله سبحانه وتعالى (ويوم نبئت من كل أمه شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمة على الكافرين وأنكارهم لها وذلك لأن أكثرهم كافرون أتبعه ذلك في الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى ويوم نبئت من كل أمه شهيدا يعني رسول ذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الأنبياء المشهودون على أنهم بانكارهم الله عليهم وبانكارهم (ثم لا يؤذن للذين كفروا) يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام أصله وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع إلى دار الدنيا فاعتذروا وتوبوا وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقررونهم على ذلك (ولا لهم يستعجبون) الاستعجاب طلب العتاب والمعتبة هي العلة والموجدة التي يحدها الإنسان في نفسه على غيره والرجل إنما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع إلى الرضا عنه واذن طلب العتاب منه دل ذلك على أنه مات على غضبه عليه ومعنى الآية أنهم لا يكفون أن يرضوا بهم في ذلك اليوم لأن الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبوا يرجعوا يرضوا بهم فلا تستجاب لتعرض طلب أرضا وهذا باب منفسد في الكفار في الآخرة (واذ أرى الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي (العذاب) يعني عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعني العذاب (ولا لهم ينظرون) يعني لا يؤخرون ولا لهم (واذ أرى الذين أنكروا) يعني يوم القيامة (شرككم) يعني أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا (فالوارثنا هؤلاء شركائنا الذين كننا ندعوهم) دونك (أي أربابا كنا نعبدهم وآلهة) (فألقوا) يعني الأصنام (إليهم) يعني أعالديا (القول أنكم لكاذبون) يعني أن الأصنام قالت للكفار أنكم لكاذبون يعني في شتمنا آلهة ومادعونكم إلى عبادتنا في قلب الأصنام جادة لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام قالت لا يعبد الله سبحانه وتعالى ما بعثها وأعادها في الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من أعادتها وبعتها أن تكذب بالكذب لانها كانت جادة لا تعرف من عبدها ويحتمل أنهم كذبوه في تصديقهم شركاء أو ألهة تنزيها لله عن الشريك

(وَالْقُوا) يعنى الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) القاء السلم الاسلالم لام الله وحكمه بعد الالاء والاستكبار فى الدنيا (وَضَلَّ عَنْهُمْ) وِضَلَّ عَنْهُمْ (ما كانوا يفترون) ١٧٢ من ان الله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم

وتبرؤا منهم (الذين كفروا) فى أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وجلاوا يردهم على الكفر (زناهم عذابا فوق العذاب) أى عذابا يكفرهم وعذابا يصدهم عن سبيل الله (عما كانوا يفسدون) بكفرهم مفسدين الناس بالصد (ويوم تبعث فى كل امة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعنى نبيهم - لانه كان يبعث أنبياء الامم فيهم منهم (وجنابك) يا محمد شهيدا على هؤلاء على امك (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً) بلغة (الكل شئ) من امور الدين أمافى الاحكام المنصوصة فظاهر وكذا فىما ثبت بالسنة أو بالاجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لان مرجع الكل الى الكتاب حيث أمر نفسه بالسبع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وحننا على الاجماع فيه بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامتباع اتباع أصحابه بقوله أصحائى كالنجوم بايعهم فآذنتهم اهتديتم وقد اجتهدوا ووافقوا ووطؤا طرق الاجتهاد والقياس مع انه أمر نابه بقوله فاعتبروا يا اولى الابصار فكانت السنة والاجماع وقول الصحابي

الكفار ويراعا السفار وهى فى غاية الذلة والمحاربة فيزدادون بذلك غما وحسرة (وَالْقُوا) يعنى المشركين (الى الله يومئذ السلم) يعنى انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم - لم اهتد بهم شيا (وَضَلَّ عَنْهُمْ) يعنى وزال عن المشركين (ما كانوا يفترون) يعنى ما كانوا يكذبون فى الدنيا فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعنى ضمواع كفروهم انهم منعوا الناس عن الدخول فى الايمان بالله ورسوله (زناهم عذابا فوق العذاب) يعنى زناهم هذه الزادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلى واختلغوا فى هذه الزيادة ما هى فقال عبد الله ابن مسعود عاقرب الهاناب كما مثل النخل الطوال وقال سبعين جبرحات كالغث وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن السبعة فيبذ صاحبها ألقاها - يعنى تحرق بها وقال ابن عباس ومقاتل يعنى خمسة انهار من صفر مذهب كالنار تسيل بعدون بها ثلاثه على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخردون من حرائر الى برد الزهر بر فيبادرون من شدة الزهر بر الى النار مستغيثين بها وقيل يخاف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس عن سبيل الله (عما كانوا يفسدون) يعنى ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم تبعث فى كل امة شهيدا عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على امته وهو عادل شاهد عليها (من أنفسهم) يعنى منهم لان كل نبي انما يبعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة وعصيان (وجنابك) يعنى يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يعنى على قومك وامتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعنى اقرآن (تبياناً لكل شئ) تبياناً اسم من البيان قال مجاهد يعنى لما امر به وما نهى عنه وقال أهمل الماعنى تبياناً لكل شئ يعنى من امور الدين اما بالنص عليه أو بالاحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما فى القرآن من الاحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الامة فهو ايضا اصل ومفتاح لعلوم الدين (وهدى) يعنى من الضلالة (ورجته) يعنى لمن آمن به وصدقته (وبشرى للمسلمين) يعنى وقته بشرى للمسلمين من الله عز وجل قوله سبحانه وتعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) قال ابن عباس العدل شهادة أن لا اله الا الله والاحسان اداء الفرائض وفى رواية عنه قال العدل خلق الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وان تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب أن يزاد ايمانا وان كان كافرا تحب أن يكون أخاك فى الاسلام وقال فى رواية أخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وأصل العدل فى اللغة المساواة فى كل شئ من غير زيادة فى شئ ولا غلوة لا تنقص فيه ولا تصغير فالعدل هو المساواة فى المكافاة ان خيرا تخير وان شرا فشر والاحسان ان تقابل الحسريا كثر منه والشر بان تفع وعنه وقيل العدل

والناس مستندة الى تبيان الحلال فبين ان كان تبياناً لكل شئ (وهدى ورجته وبشرى للمسلمين) ودلالة الانصاف الى الحق ورجته لهم وبشارة لهم بالجنة (ان الله يأمر بالعدل) بالتسوية فى المحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذى حق الى حقه (والاحسان) الى من أساء اليكم او همما الفرض والسند لان الفرض لا بد من ان يتبع فيه تفرط فيغيره الندب

الانصاف ولا انصاف أعظم من الاعتراف للمتمتع بانعامه والاحسان أن تحسن الى من
 أساء اليك وقيل يأمر بالعدل في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل
 ولا يقول الا ما هو حسن (وايتاء ذى القربى) يعنى ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة
 الادنون والابعدون منك فيستحب ان تصلم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل
 فخذ ما حسن وتودد (ويهنى عن الفخشاء) قال ابن عباس يعنى الزنا وقال غيره الفخشاء
 ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة
 (والمnsk) قال ابن عباس يعنى الشر والافقر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة
 ولا سنة (والبغى) يعنى الكبر والظلم وقيل البغى هو التطاول على الغير على سبيل الظلم
 والعدوان قال بعضهم ان اعلم المعاصي البغى ولو ان جيلين بغى أحدهما على الآخر لذلك
 الباغى وقال ابن عيينة فى هذه الآية العدل استواء السمر والعائنة والاحسان أن
 تكون سمر برته أحسن من علانته والفخشاء والمنكر والبغى ان تكون علانته أحسن
 من سر برته وقال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة أشياء ومن
 المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في
 مقابله الفخشاء وهى ما قبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو أن تعفو عن
 ظلمك وتحسن الى من أساء اليك وذكر في مقابله المنكر وهو أن تنكر احسان من أحسن
 اليك وذكر ايتاء ذى القربى والمراد بصلته القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في
 مقابله البغى وهو ان يتكبر عليهم أو يظلمهم حقوقهم ثم قال تعالى (يعظكم لعلمكم
 تذكرون) يعنى انما لم بمأمركم به ونهاكم عنه لى تتعظوا وتذكروا
 فتعجلوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان أجمع آية في القرآن تحجز بشر هذه الآية
 وقال أهل المعاني ما قال الله تعالى فى الآية الاولى وتزلفا عليك الكتاب بينا لك الشئ
 بين فى هذه الآية المأمورة والمنهى عنه على سبيل الاجال فانه شئ يحتاج اليه الناس
 فى أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يأمر بالعدل الى آخر الآية فقال له
 يا ابن أبى أعد على فأعادها عليه فقال له الوليد والله ان له لحلاوة وان عابه لملوحة وان
 أعلاه لثمر وان أسفله لمعدق وما هو بقول البشر قوله عز وجل (وأوفوا بعهده الله اذا
 عاهدتم) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل
 الاجال ذكر فى هذه الآية بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدأ بالامم بالوفاء بالعهده لانه
 آكد المحقق فقال تعالى وأوفوا بعهده الله اذا عاهدتم نزلت فى الذين بايعوا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على الاسلام فامرهم بالوفاء بعهده البيعة وقيل المراد منه كل ما يلزمه
 الانسان باختياره ويدخل فيه الوعد ايضا الان الوعد من العهد وقيل العهد ههنا البين
 قال القتيبي العهد بين وكفارة بين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح أما
 اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف عينا ثم رأى
 غير ما خير أمها فليأت الذى هو خير وليكفر عن عيمته فيكون قوله وأوفوا بعهده الله من

(وايتاء ذى القربى) واعطاء ذى
 القرابة وهو صلة الرحم
 (ويهنى عن الفخشاء) عن
 الذنوب المفرطة فى القبح (والمnsk)
 ما تنكره العقول (والبغى)
 طلب التطاول بالظلم والكبر
 (يعظكم) حال أو مستأنف
 (لعلمكم تذكرون) تتعظون
 بواظا الله وهذه الآية تدب
 اسلام عثمان بن مظعون فانه
 قال ما كنت أسلمت الا حياء منه
 عليه السلام لكثرة ما كان
 يعرض على الاسلام ولم يستقر
 الايمان فى قلبي حتى نزلت هذه
 الآية وانا عنده فاستقر
 الايمان فى قلبي فقمرتها على
 الوليد بن المغيرة فقال والله ان له
 لحلاوة وان عابه لملوحة وان
 أعلاه لثمر وان أسفله لمعدق
 وما هو بقول البشر وقال أبو جهل
 ان الله ليأمر بمكارم الاخلاق
 وهى أجمع آية فى القرآن للخبر
 والشر ولهذا يقرؤها كل خطيب
 على المنبر فى آخر كل خطبة
 لتكون عظة جامعة لكل مأمور
 ومنهى (وأوفوا بعهده الله اذا
 عاهدتم) هى البيعة لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم على الاسلام
 ان الذين بايعوا انما يبايعون
 الله

العام الذي خصصته السنة وقال مجاهد وقادة تزلت في حلف أهل الجاهلية وبشهد
لهذا لتأويل قول صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية لم يرد إلا بالإسلام الأشدة
ولا تنقض والائيمان بعدتوكيدها يعني تشديدها فاحتجتموها فيها وفيه دليل على أن
المراد بالعهد غير الإيمان لأنه أعم منها (وقد علمت الله عليكم كذبا) يعني شهيدا بالوفاء
بالعهد (إن الله يعلم ما تفعلون) يعني من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله سبحانه وتعالى
مثلا لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعني في نقض العهد كالتى نقضت غزها
من بعد قوفة) يعني من بعد أبرامها وحكاهما قال الكلبي ومثله نزل هذه أمر أن من قرأ
يقال لها رمة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء حقاها بها
وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قد رذاع وصنارة مثل الأصبع وفلكة عظيمة على
قدرها وكانت تغزل الزل من الصوف أو الشعر أو الوبر وأمر جوارها بابا الغزل فكأن
يغزلن من العدة إلى نصف النهار فإذا انقصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن
فكان هذا أمها والمعنى أن هذه المرأة لم تنكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن
النقض فكذا لك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفيه (أنكاثا) جمع نكث
وهو ما ينقض من الغزل أو الحمل بعد الفتل (تخذون أيمانكم دخلا بينكم) يعني
دخلا وخيانة وخديعة والدخول ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخول
والدخول أن يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويصطنق نفسه (أن تكون) يعني لأن تكون
(أمة هي أرى من أمة) يعني أ كثر وأعلى من أمة قال مجاهد ذلك أنهم كانوا إجماعا
المخلفاء فإذا وجدوا قوسا كثر من أولئك وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا إلا كثر
والمعنى أنكم طابتم العرب بنقض العهد لأن كانت أمة أى جماعة كثر من جماعة قدامهم
الله عن ذلك وأمرهم بالوفاء بالعهد من عاهدوا وحالفوا (أن يابى لكم الله) يعنى يجتكم
بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو أعلم بكم (ولم يبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه
فتنة) يعني في الدنيا فثبت الطائع الحق وبما قب المسمى والخالف قوله سبحانه
وتعالى (ولو شاء الله لمحمدكم أمة واحدة) يعنى على ملته واحدة ودين واحد وهو دين
الإسلام (ولكن يضلل من يشاء) يعنى يخذلناه إياه بعد إيمانه (وبهدى من يشاء)
توفيقه إياه فضلائه وذلك عما اتصفه الخدعة الإلهية لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون وهو قوله تعالى (ولنستلن عما كنتم تعملون) يعنى في الدنيا فيبازي الحسن
بأحسنه وبما قب المسمى بما ساءه أو يغفر له قوله عز وجل (ولا تأخذوا أيمانكم دخلا
بينكم) يعنى خديعة وفسادا بينكم فتعزوا بها الناس فسيكونوا إلى أيمانكم وامنوا
البيكم ثم تنقضونها وأما كره هذا المعنى تأ كيدنا عليهم وأظهار العظم أمر نقض العهد
قال المفسرون وهذا نهي النبي الذين يابى أو رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام

كل امرأة التي أتحت على غزله
بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته
(إنك كاشا) جمع نكث وهو
ما نكثت فقله قبل هي ربيعة
وكانت حقا تغزل هي وجوارحه
عن العدا إلى الظهر ثم تأمرهن
فيمتصن ما غزان (تخذون
أيمانكم) حال كانا كاشا دخلا
أحدهم على تخذأي ولا
تتصوا أيمانكم مخذها دخلا
(بينكم) أي مقبلة وخيانة
(أن تكون أمة) بسبب أن
تكون أمة يعني جماعة قریش
(هي أری من أمة) هي أريد
عدد أو أوفر ما لمن أمة من
جماعة المؤمنين هي أری مبتدأ
وخبري موضع الرفع صفة لامة
وأمة فاعل تكون وهي تأمة
وهي ليست فصل لوقوعها بين
نكرتين (أما يلوكم الله)
الضمير لك مدراى انما يختبركم
بكونهم أری أيضا رأتكم كون
يحمل الود بعد الله وما وكنتم
من أيمان البعثة لرسول الله
مضى إلى العلية ولم أم تغتروا
بكرة قریش وثروتهم وقلته
المؤمنين وفخرهم (وليدنين
لغيركم القيامة ما كنتم فيه
تختلفون) إذا حازوا إلى أعمالكم

بالتواب والعقاب رغبة تبتدئ عن شغافه، وله الاسلام (ولو شاء الله لجعلناك امة واحدة) خيفة مسلمة (ولكن يصل نهارهم من يشاء) من علم منه اختيار الضلالة (ويهدى من يشاء) من علم منه اختيار الهداية (ولنؤمنن عسا كنتم تعملون) يوم اقامه فقهيرون به (ولا تقعدوا عما انك بخلافكم) كمر التمسعي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا على ما اوضحنا من اعظمه

واغلو وحسد القدم ونكرت

لاستعظام ان تزل قدم واحدة

عن طريق الحق بعد ان ثبت

عليه فكيف بأقدام كثيرة

(وتدوقوا السوء) في الدنيا

(بما صدقتم) بصدوركم عن

سبيل الله) وخروجكم عن الدين

أو بصدكم غيركم لأنهم لو انتصوا

أيمان البيعة وأرندوا لاقتضوا

نفسها سنة لغريم يمشون بها

(واياكم عذاب عظيم) في الآخرة

(ولا تشبهوا) ولا تستبدلوا

(بعهد الله) وبيعة رسول الله

صل الله عليه وسلم (عنا قليلا)

عرضا من الدنيا يسيرا كأن

قوما ممن أسلمتكم زين لهم

الشیطان ليجزى عنهم مبادوا من

غلبة قريش واستغفروهم

المسلمين ولما كانوا يعدونه

ان يرجعوا من الواعد أن

ينقضوا ما يابوا عليه رسول

الله صلى الله عليه وسلم فبذبتهم

الله (ان ما عند الله) من ثواب

الآخرة (هو خير لكم) ان كنتم

تعاون ما عندكم) عن أعراض

الدنيا (ينفذ ما عند الله) من

خزائن رحمته (ياق) لا ينفد

(أجرهم) ما كانوا يعملون

(الذين صبروا) على أدب

المشركين ومشايق الاسلام

(أجرهم) ما كانوا يعملون

من عمل صالحا من ذكر أو أنثى

من مهمم يشاؤون النوعين إلا ان

ظاهرة لأن كوروفين بقوله من

نماهم عن نقض عهده لان الوعد الذي بعده وهو قوله سبحانه وتعالى الى فقتل قدم بعد ثبوتها الا يلبق بنقض عهده غير المتبادر بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشرعته وقوله (فقتل قدم بعد ثبوتها) مثل يذ كر لكل من وقع في البلاء ومحبة بعد عافية ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في البلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فقتل اقدامكم عن محبة الاسلام بعد ثبوتها عليها (وتدوقوا السوء) يعني العذاب (بما صدقتم عن سبيل الله) يعني بسبب صدقكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد قد علم غيره نقض العهد فيكون هو أقدمه على ذلك (ولكن عذاب عظيم) يعني بنقضكم العهد (ولا تشبهوا بعهد الله عنا قليلا) يعني ولا تنقضوا عهدهم وكم وظلوا ينتقضوا عهدهم من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بها (ان ما عند الله) يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد (هو خير لكم) يعني من عاجل الدنيا (ان كنتم تعملون) يعني فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تبارك وتعالى (ما عندكم ينفذ) يعني من منافع الدنيا ولا تهاينوا في ذهاب (وما عند الله باق) يعني من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (والذين الذين صبروا) يعني على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (أجرهم) يعني ثواب صبرهم (بالحسن ما كانوا يعملون) عن أي موسى الأشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضربا خربة ومن أحب آخرة أضرب دنياه فثروا ما بقي على ما بقي وقوله سبحانه وتعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) فان قلت من عمل صالحا في الدنيا فهو مؤمن فافائدة الذكر والأنثى قلت هو مهمم صالح على الإطلاق للنوعين إلا أنه اذا ذكر أو أنثى كان الظاهر تناوله للذكور دون الأنثى فقبل من ذكر أو أنثى على التبيين لعلم الوعد للنوعين جميعا وجواب آخر هو ان هذه الآية توارده بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرر الوعد من أعظم دلالات التكريم والرحمة أي تالفا كدوازاله لوهم التخصيص وقوله وهو مؤمن جعل الايمان شرطاً في كون العمل الصالح مؤجلاً للثواب (فلنحييه حياة طيبة) قال سعد بن جبيرة وعطاء بن الرزق الحلال وقال مقاتل بن العيش في الطاعة وقيل هي حلالة الطاعة وقال الحسن هي الطاعة وقيل رزق يوم يوم واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان فقيراً أطيب من عيش الكفار وان كان غنياً لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتبديره وعرف ان الله محسن كريم مفضل لا يفعل الا الصواب فكان المؤمن راضياً عن الله وراضياً بما أنزله الله ورزقه ما به وعرف ان له محبة في ذلك القدر الذي رزقه ما به فاستراح نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك واما الكافر أو الجاهل بهذه الاصول المحرص على طلب الرزق فيكون أبداً في حزن وتعب وعناء وحرص وكذا ولا يتأمل من الرزق الا ما قد رزقه فظهر بهذا ان عيش المؤمن المتنوع أطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن يستريح بالموت من كد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقادة في قوله فلنحييه حياة طيبة هي الجنة وروى عن الحسن قال لا تطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة الاموات وغنى بالافقر ومحبة بالاستهم ملك بالأهلك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة

ذكر أو أنثى ليعلم الموعد النوعين جميعاً (وهو مؤمن) شرط الايمان لان أعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على ان العمل ليس من الايمان (فلنحييه حياة طيبة) أي في الدنيا والقوله

(ولنجزينهم أجورهم باحسن ما كانوا يعملون) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فاتم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل ١٧٦ الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهرا

وان كان معسرا فمساويا بطلب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى واما الفاجر فأمره بالعكس ان كان معسرا فظاهرا وان كان موسرا فمخسرا لا يدعه ان يتمنى بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة والجلالة الطاعة والعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والاعراض عما سوى الله (فإذا قرأت القرآن) فإذا أردت قراءة القرآن (فاستعذ بالله) فغير عن ارادة الفعل باعظ الفعل لانما سبب لهو الفناء للتعقيب اذا القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور (من الشيطان) يعني ابليس (الرجيم) المظروء او الملعون قال ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمرني جبريل عليه السلام (انه ليس له) لا ابليس (سلطان) تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى دينهم يتوكلون) فاقول من المتوكل لا يقبل منه وسأوسه (انما سلطانه على الذين يتولونه) يخذونه وليا ويتبعونه وسأوسه (١) قوله و يظهر من هذا اسم

الطيبة لا تكون الا في الجنة وقوله في سياق الآية (ولنجزينهم أجورهم باحسن ما كانوا يعملون) لان ذلك الجزاء انما يكون في الجنة قوله عز وجل (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمة لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان غم محتاج الى الاستعاذة وقد أمر بها فغيره أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في القاء الوساوسة في قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبرين من مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عز ولا أدري أى صلاته قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكثرة أصلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من بغيته ونفته وهمزته قال نفخته الكبر ونفخته السحر وهمزته الموتة أخرجه أبو داود الموتة المجنون والفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة والمذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة واليه ذهب مالك وشيخه وأبو داود الظاهري قالوا لان قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوسوسة في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوسوسة وبقي الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الائمة وفتوة الامصار فقدا تفرقتوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة فانوا ومعنى الاستعاذة ان اردت ان تقرأ القرآن فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذا قمتم الى الصلوة فاعسلوا وجوهكم ويديكم والرجلين من السكام اذا اردت ان تأكل قل بسم الله واذا اردت ان تسافر فتأهب وايضا فان الوسوسة انما تحصل في أثناء القراءة فتقدم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها وبذهب عطاء انه يجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها وانفق سائر الفقهاء على ان الاستعاذة سنة في النصوص وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة والاستعاذة بالاعتصام بالله والالتجاء اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوساوسة في قلوب بني آدم بانماز الله اياهم على ذلك (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى دينهم يتوكلون) لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكان ذلك وهم ان له قدرة على التصر في أبدان بني آدم فانزال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى دينهم يتوكلون فليس له سلطان على ان يمسهم على ذنب لا يغفر (١) ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد احضار قلب الانسان كونه ضارعا وان لا يمكنه التفتت من وسوسة الشيطان الابغصه الله ولهذا قال الحقون لاحول عن معصية الله الابغصه الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى (انما سلطانه على الذين يتولونه)

الاشارة اجمع لما ذكره قبل قول سفيان كما يعلم من الخبر فانه لم يذكر في هذا المثل قول سفيان وذكر ما قبله وما بعده عبارته بتخيذه بخلاف ما هنا فانه يوجه رجوع اسم الاشارة لقول سفيان وهو غير ظاهر اهـ

(والذين هم به مشركون) الضمير يعود الى ربهم والى الشيطان اى بسببه (واذا بدلنا آية مكان آية) بتدليل الآيات مكان الآيات هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها وهو معني ١٧٧ قوله (والله أعلم بما ينزل) وبالتخفيف

مكي وأبو عمرو (قالوا انما أنت مفتتر هو جواب اذ اذ قوله والله أعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون ان محمداً يسخر باصحابه يامرهم اليوم يامرهم باليوم يامرهم غداً فيأمرهم بما هو اهلون ولقد اقموا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق) بل أكثرهم لا يعلمون (الحكمة في ذلك) قل نزله روح القدس اى جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو الظاهر كما يقال حاتم الجود والمراد الروح القدس وحاتم الجواد والقدس المظهر من الماسي ثم (من ربك) من عنده وامره (بالحق) حال اى نزله ملتصبا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) ليلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة لانه حكيم لا يفعل الا ما هو حكمة وصواب حكمهم بنبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب (وهدى وبشرى) مفعول (لما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتاً لهم وارشاداً وشارة) (للسلمين) وفيه تعريض بحصول اعداد هذه الخصال الغريبة (ولقد علم انهم يقولون انما يعلمه بشر) ارادوا به غلاما كان نحو طب قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعش وكان صاحب

يعني يطيعونه ويدخلون في ولايته يقال توليته اذا اطعته وتوليت عنه اذا عرضت عنه (والذين هم به مشركون) يعني بالله وقيل الضمير فيه راجع الى الشيطان والمعنى هم من اجله مشركون بالله قوله سبحانه وتعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل) وذلك ان المشر كين من اهل مكة قالوا ان محمداً يسخر باصحابه يامرهم اليوم يامرهم غداً فيأمرهم بما هو اهل من تلقاء نفسه فانزل الله هذه الآية والمعنى واذا نسخنا حكم آية فابدلنا مكانه حكماً آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من الناسخ وعما هو اصل الخلقة وعما يغيرو يسدل من احكامه اى هو أعلم بجميع ذلك مما هو من مصالح عباده وهذا نوع توحيث وتفرع لا كقار على قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم هو وقوله تعالى (قالوا انما أنت مفتتر) اى تحتلته من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل فباي علم ينسبون محمد الى الافتراء والكذب لاجل التبديل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الغيب يأمر المرء بغيره بعد ذلك فيأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة (بل أكثرهم لا يعلمون) يعنى لا يعلمون فائدة النسخ وتبديل المنسوخ (قل) اى قل لهم يا محمد (نزله) يعنى القرآن (روح القدس) يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم اضيف الى القدس وهو الظاهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الحذير والمعنى الروح القدس المظهر (من ربك) يعنى ان جبريل نزل بالقرآن من ربنا يا محمد (بالحق) ليثبت الذين آمنوا) يعنى ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا ايماناً وبقيناً (وهدى وبشرى) يعنى وهو هدى وبشرى (للمسلمين) قوله عز وجل (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) وذلك ان كفار مكة قالوا انما يعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمى مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر واختلقوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا عكة اسمه بلعام وكان نصرانياً أعجمى اللسان فكان المشر كون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرى غلاما بنى المصيرة يقال له يعش فكان يقرأ الكتب فقالت قرىش انما يعلمه يعش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثير اياما يجلس عند المروة الى غلام روى صراى عبد الله بن جهم بن الحضرى يقال له جبرو وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله بن مسleme كان لاعدان من اهل عين التمر يقال لاحدهما يسار ويكنى ابافكة ويقال للاخر جبرو وكانا يصنعان السيوف فبكرة وكانا يقرآن التوراة والانجيل فبكرة قرعهم بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقفو يستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذاه الكفار يعهد اليها فيترجح بكلامهما فقال المشر كون انما يعلم محمد منهما وقال القراء

٢٣ ن ت كتب أو هو جبر غلام روى لعامر بن الحضرمي وعبدان جبرو يسار كانا يقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سامان القارسي

(السان الذي يحدون اليه) وفتح الباء ١٧٨ والحاء جزء على (اعجمي وهذا السان عربي ميين) اى لسان الرجل الذي

يعلمون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بن وهذا القرآن لسان عربي ميين ذوي بيان وفصاحة ودال قولهم وابطلا لدعهم وهذه الجملة اعنى لسان الذي يحدون اليه اعجمي لاجل لسانهم استقامة جواب لقولهم واللسان اللغوي وقال الحمد القبر وحده وهو لحد ولهو اذا اُمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحمد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الحد لانه امال مذهبه عن الادبان كلها (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) اى القرآن (لا يهديهم الله) ماداموا مختارين الكفر (ولهم عذاب اليم) في الآخرة على كفرهم (انما يفتري الكذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) اى انما ياتي افتراء الكذب بن لا يؤمن لانه لا يترقب عاينا عليه وهو رد قولهم انما انت مفتر (واولئك) اشارة الى الذين لا يؤمنون اى واولئك هم الكاذبون) على الحقيقة الكاذبون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب أو واولئك هم الكاذبون في قوله انما انت مفتر جوازا ان يكون (من كفر بالله من بعد اياته) شرطا بعد أو حذف جوابه لان جواب من شرح دال على كانه قيل سن كفر بالله فعلم غضب

قال المشر كون انما يتعلم محمد من عائش مملوك كان نحو يطب بن عبد العزى كان نصرانيا وقد أسلم وحسن اسلامه وكان اعجميا وقيل هو عداس غلام عتيبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اشتهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها لنفسه ويزعم انه وحى من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فاجاب الله عنه وانزل هذه الآية تكذيبا لهم فيما ربه وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى (السان الذي يحدون اليه) يعنى يعلمون ويشيرون اليه (اعجمي) يعنى هو اعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والاعجمي منسوب الى العجميوان كان فصيحيا بالعرية والاعرابى الذي يسكن البادية والعربى الذي يسكن الامصار من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب (وهذا السان عربي ميين) يعنى بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذي يشيرون اليه رجل اعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاء كم هذا القرآن الفصح الذي عجزتم انتم عنه وانتم اهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدرون هو اعجمي على مثله واين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون اليه فثبت بهذا البرهان ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحى اوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون اليه ولا هو اقر به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عز وجل اليه وروى ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه أسلم وحسن اسلامه (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعنى لا يصدقون انهم امن عند الله (لا يهديهم الله) يعنى لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان (ولهم عذاب اليم) يعنى في الآخرة ثم اخبر الله سبحانه وتعالى ان الكفار هم المفترون فقال تعالى (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعنى انما يقدم على فرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كسار قر يش انما انت مفتر (واولئك هم الكاذبون) يعنى في قولهم انما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد قال تبارك وتعالى انما يفتري الكذب فاعنى قوله تعالى واولئك هم الكاذبون والثاني هو الاول قلت قوله سبحانه وتعالى انما يفتري الكذب اخبرنا عن حال قولهم وقوله واولئك هم الكاذبون نعم لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب اى كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الآية دليل على ان الكاذب من أغش الذنوب الكبار لان الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى البغوي باسناد الترمذى عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزعم ان قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله قوله تعالى (من كفر بالله من بعد اياته الا ان كره قلبه مطمئن بالايمان) نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين أخذوه وأباه ياسر اواهم سبيهم وصحبوا بالاولا وجبا باسما ما فسد بدهم ليرجعوا عن الاسلام فأما سمية أم عمار فانها رطلت بين بعيرين ووجئ قلبها بحر به فقتلت

وقتل

الامن اكره قلبه مطمئن بالايمان) سا كن به

وقتل زوجها باسميهما أول قتيلين قتلا في الاسلام وأما عارفانه أعطاهم بعض ما أرادوا بالسنة مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه في بئرهم ونادوا له اكفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمارا اكفر فقال كلان عمارا مائا ايمان من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بالحمة ودمعه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شريار رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح بعينه وقال ان عادوا لك فعدهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن هاجروا الينا فاننا لنأمرهم أن يهاجروا يخرجوا ويدون المدينة فادركهم قريش في الطريق فقتلهم وهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لان الآية مكينة وكان هذا في أول الاسلام قبل أن يؤمر بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي كرهه سيده على الكفر فكفركرهها وقلبه مطمئن بالايمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن اسلامه وهاجر الى المدينة الاولى أن يقال ان الآية عامة في كل من كرهه على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا فان قلت المذكورة على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناءه من الكافر فسامعني هذا الاستثناء في الامن كره قلت المذكورة ظهر منه بعد الايمان ما يشابه ما يظهر من الكافر طوعا صريح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم

﴿فصل في حكم الآية قال العلماء يجب أن يكون الاكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب به ذاب لا طاقه له به مثل الخوف وبها القتل والضرب الشديد والايالات القوية مثل الخرق بالنار ونحوه قال العلماء أول من أظهر الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعه أبو بكر وخباب وصهيب بلال وعمار وأبو ياسر وأمه سمية فامار رسول الله صلى الله عليه وسلم فذعه الله من أذى المشركين بعمه أفي طالب وأما أبو بكر فذعه قومه وعشيرته وأخذ الآخرون وألبسوا أدرع الحديد واجلسوا في حر الشمس بمكة فاما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول احدا احدا حتى اشتراه أبو بكر وذاعته وقاتل باسميهما فكانت مقدمة وقال خباب لقد اوتوا الى نارنا اطفالها الأولك ظهري واجمعوا على ان من أكرهه على الكفر لا يجوز له ان يتلفظ بكلمة نصر محال بأبي بالمعاريض وعما يوهم انه كفر فلما كرهه على التصريح بياحه ذلك بشرط طمأنينة القلب على الايمان غير معتقدا بقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلا صبر على العذاب ولم يلجأ الى ذلك قال العلماء من الافعال ما يتصور الا كراهه عليها كشرب الخمر وكل لحم الخنزير والامانة ونحوها فان كرهه بالسيف او القتل على ان يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو ما نحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلتوا بايديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان افضل ومن الافعال ما لا يتصور الا كراهه عليه كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاربه نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وأن يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المذكور فلم يدخل تحت حكم الاقتران ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وأن يكون بدلا من المبشدا الذى هو أولئك أى ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من المحر الذى هو الكاذبون أى وأولئك هم من كفر ١٨٠ بالله من بعد ايمانه وأن ينتصب على الذم روى ان ناسا من أهل مكة

الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء فى طلاق المذكورة فقال الشافعى رضى الله تعالى عنه وأكثرا العلماء لا يقع طلاق المكره وقال أبو حنيفة يقع بحجة الشافعى ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى لا اكره فى الدين ولا يمكن أن يكون المراد فى ذاته لان ذاته موجودة فوجب جملته على نفي آثاره والمعنى انه لا أثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محصل الايمان هو القلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) يعنى فقههم وسببهم لتقول الكفر واختاره ورضى به (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنياء على الآخرة يعنى يكون ذلك الاقدام على الارتداد الى الكفر لاجل انهم استحبوا الحياة الدنياء على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) يعنى لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به (وأولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وبصارهم) تنسبهم تفسيره (وأولئك هم الغافلون) يعنى عمادادهم من العذاب فى الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) يعنى ان الانسان انما يعمل فى الدنيا ليربح فى الآخرة فاذا دخل النار بان خسره لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر قوله عز وجل (ثم ان ربك للذئ هاجروا من بعد ما فتنوا) يعنى عذبوا ومنعوا من الدخول فى الاسلام فقتلهم المشركون (ثم جاهدوا واصرروا) على الايمان والهجرة والجهاد (ان ربك من بعدها) يعنى من بعد الفتنة التى فتنوها (لغفور رحيم) نزلت هذه الآية فى عياش بن أبى ربيعة وكان أخا أبى جهل من الرضاقة وقيل كان أخاه لأمه وفى أبى حنبل بن سهيل بن عمرو والوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفى فقتلهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما أرادوا بالسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاسترله الشيطان فارتد ولحقه بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لأمه فآذره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة ففسكون من الآيات المدنية فى السور

فتنوا فارتدوا وكان فىهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وأما أبواه ياسر وسبيعة فقد قتلا لهما أول فتنة فى الاسلام فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدميه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله يصيح عينيه وقال ما لثان عادوا لك فقدمهم بما قلت وما فعل أبوا عمار افضل لان فى الصبر على القتل اعزاز للاسلام (ذلك) اشارة الى الوعيد وهو محقق الغضب والعذاب العظيم (بانهم استحبوا آثروا) (الحيوة الدنياء على الآخرة) أى بسبب انارهم الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وبصارهم) فلا يتدبرون ولا يصنعون الى المواقف

ولا يصبرون طريق الرشاد (وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون فى الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب المكيات هى غاية الغفلة ومنتهىها (لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك) ثم يدل على تباعد حاله وقلام حال أولئك (الذين هاجروا) من مكة أى لعلم لا عليهم يعنى أنه واهبهم وناصرهم لا عدوهم وخادهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محمدا بنمقة وعاصره مضرور (من بعد ما فتنوا) بالعباد والاكراه على الكفر فقتلوا شامى أى بعد ما عذبوا المؤمنين ثم أسلموا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة (وصبروا) على الجهاد (ان ربك من بعدها) من بعد هذه الأفعال وهى الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر بنية (رحيم) لا يعذبهم على ما قالوا فى حالة الاكراه

الميكيات والله أعلم بحقيقة ذلك قوله سبحانه وتعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) يعني فخاصم وتخصم عن نفسها أى بما أسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لا تنفر على غير هاتين قلت النفس هى نفس واحدة وليس لها نفس أخرى فخاصم عنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالتنفيس الاولى هى مجموع ذات الانسان وحقيقته والثانية هى بدنه فهى عنهما واداتها ايضا والمعنى يوم تأتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهيمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار عما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات (وتوفى كل نفس ما عملت) يعنى جزاء ما عملت في الدنيا من خير أو شر (وهم لا يظنون) يعنى لا يتقصون من جزاء أعمالهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال اكعب الاحبار خوفا فقال يا أمير المؤمنين والذي نفسى بيده لو وافيت القيامة مثل عمل سبعين نبيا لآمنت عليك ساعات وأنت لا يهيك إلا نفسك وإن جهنم لقرقر فرقة ما يلقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا اجتماع على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا أسألك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما زال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم تكن لى يد أبطش بها ولا رجل أمتنى بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد يارب أنت خلقتنى كالخشب لى يد أبطش بها ولا رجل أمتنى بها ولا عين أبصر بها فاعطى هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لسانى وبه أبصرت عيناى وبه مشيت رجلاى فضرب الله فملا مثالا عصى ومعه دخل لا عصى يعنى بسنناته فاعطى مثالا عصى لا يبصر الثمروا المقعد لا مثالا عصى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب قوله عز وجل (وضرب الله مثلا قرية) المثل عبارة عن قول فى شئ يشبه قول فى شئ آخر بينهما مشابة ليعين أحدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره فى معنى من المعانى أى معنى كان وهو أعم الالفاظ الموضوعات للمشابهة قال الامام فخر الدين الرازى المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجودا أو لم يكن وقد يضرب بشئ موجود معد فى هذه القرية التى ضرب الله بها هذا المثل فيجتم أن تكون شيئا مفروضا ويحتمل أن تكون قرية معينة وعلى التقدير الثانى فقلت القرية فيجتم أن تكون مكة أو غيرهما والاكثر من المفسرين على انها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزخشرى فى كتابه الكشف وضرب الله مثلا قرية أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبترتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نعمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فاضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدى ضرب المثل ببيان المشبه والمشبه به وهما ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند مخاطبين والاى بعمدة عامة المفسرين

(يوم تأتي) منصوب بريحيم أو بأدرك (كل نفس تجادل عن نفسها) وانما أضيفت النفس الى النفس لانه يقال لعين الشئ وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس الجملة كماهى فالنفس الاولى هى الجملة والثانية عيناها وذاتها فكانه قيل يوم تأتي كل انسان يجادل عن ذاته لايهمه شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ربنا انا طعنا ساداتنا وكبرنا الآية والله ربنا ما كنا مشركين (وتوفى كل نفس ما عملت) تعطى جزاء عملها واقيا (وهم لا يظنون) فى ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبترتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نعمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فاضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها

نازلة في أهل مكة وما اعتنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن والنعمة بتذكيرهم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب الله مثلا لقرية تكلم أي بين الله لها شيئا قال قرية فيموزان تكون القرية بدلا من مثلا لأنها هي الممثل لها ويجوز أن يكون المعنى ضرب الله مثلا لقرية خذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا أراد بالقرية مكة يعنون أنه أراد مكة في تمثيلها بقرية صفة تمامه كروا قال ابن الجوزي في هذه القرية قولان أحدهما أنها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثاني أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالمخبر فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن وأقول هذه الآية نزلت بالمدينة في قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لأن الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة فضر بها الله مثلا لأهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم فيصيرهم ما أصابهم من الجوع والخوف وشهد آفة ما قلت أن الخوف المذكور في هذه الآية في قوله فاذا قام الله لباس الجوع والخوف هو البعث والسيراء التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعثها في قول جميع المفسرين لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤثر بالقتال وهو عكة وإنما أمر بالقتال لما هاجر إلى المدينة فكان يبعث البعث والسيراء إلى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم برأيه وأما تفسير قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية يعني مكة (كانت آمنة) يعني ذات أمن لا يهاجم أهلها ولا يغار عليهم (مطمئنة) يعني قارة بأهلها لا يخشون إلى الانتقال عنها لا تتجاع كما كان يحتاج إليه سائر العرب (بأنهم أوزقوها أرغدا) يعني واسعا (من كل مكان) يعني يحمل إليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى يحيي اليممات كل شيء وذلك بدعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وأرزق أهلهم من الثمرات (فكفرت) يعني هذه القرية وقوله أراد أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التي أنعم الله بها على أهل مكة فلما قابلوها نعم التي أنعم بها عليهم بالجود والكفر لاجرم أن الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى (فاذا قام الله لباس الجوع والخوف) وذلك أن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميرة بإمرار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فأكادوا العظام المحرقة والحيف والكباب والميتة والعله زوهوا وبرعاج بالدم ويحيط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا ما هذا بئس عايدت الرجال فسابل النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في جل الطعام إليهم وهم بعدم مشركون والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للأغارة فكانت تطيف بهم وتغير على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم فإن قلت الاذقة واللباس استعارتان فواجبه صحتها والاذقة المستعارة موقوفة على اللباس المستعار فواجبه صحتها بقاها عليه وهو أن اللباس لا يذوق بل لبس فيقال كساهم الله لباس الجوع أو يقال فاذا قام الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشاف

(كانت آمنة) من القتل
والسبي (مطمئنة) لا ترعها
خوف لأن الظلمانية مع
الأمن والانتعاج والقلق مع
الخوف (بأنهم أوزقوها أرغدا)
واسعا (من كل مكان) من
كل بلد (فكفرت) أهلها
(بأنعم الله) جمع نعمة على ترك
الاعتداد بالثناء كدع وأدع
أدجمع نعم كسوس وأبوس
(فاذا قام الله لباس الجوع
والخوف)

بما كانوا يصنعون) الاذاقة
واللباس استعارتان والاذاقة
الاستعارة موقعة على اللباس
الاستعارة ووجه صحة ذلك أن
الاذاقة حار به عندهم مجرى
الحقيقة لشيوعها في البلايا
والشدائد وما عسى الناس منها
فيقولون ذاق فلان البؤس
والضرو والاذقة العذاب شبهه
ما يدرك من أثر الضرر والالم
بما يدرك من طعم المر والشر
وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله
على اللبس ما غشي الانسان
والتبس به من بعض الحوادث
وأما البساق الاذاقة على لباس
الجوع والخوف فلانه لما وقع
عبارة عما يغشى منهم ما لا يس
فكانه قيل فاذا هم ما غشيهم
من الجوع والخوف (ولقد
جاءهم رسول منهم) أي محمد
صلى الله عليه وسلم (فكذبوه
فاخذهم العذاب وهم ظالمون)
أي في حال التباسهم بالظلم قالوا
انه القتل بالسيوف يوم بدر
روى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجهه الى أهل مكة في
سنى القحط بطعام ففرق فيهم
فقال الله لهم بعد أن أذاقهم
الجوع (فكلوا مما رزقكم الله)
على يدي محمد صلى الله عليه

وسلم

أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما عسى
الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضرو والاذقة العذاب شبهه لاشتماله على اللباس
الضرر والالام ما يدرك من طعم المر والشر وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللباس
ماغشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما البساق الاذاقة على لباس الجوع
والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهم ما لا يس فكانه قيل فاذا هم ما غشيهم من
الجوع والخوف ثم ذكر بعدهم علم المعاني والبيان ما يشهد له صحة ما قال وقال الامام
نجر الدين الرازى جوابه من وجوه الأول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع
نوعان أحدهما ان المذوق هو الطعام فما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع
والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كالانقصار كانه أحاط بهم من كل الجهات فاشبه
اللباس والحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس
فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذا قال الله لباس الجوع والخوف الوجهة الثانية ان
لقد بران الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بالفظ
الاذاقة وأصل الذوق بالفتح ثم قدسية أو في موضع موضع التعريف وهو الاختيار تقول
ناظر فلان ذاق ما عنده قال الشاعر

ومن يذوق الدنيا فاني طعمتها * وسبق النعاذمها وعذابها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضعور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغيير
الحال وكسوف البساق كما تقول تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز
أن تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث أن يحمل لفظ الذوق
واللبس على المناسبة فصار التدبير فاذا قالوا الله لباس الجوع والخوف ثم قال تعالى
(بما كانوا يصنعون) ولم يقل ما صنعت لانه أراد أهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا
بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا في الأمن والطمأنينة والخصب
ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو
منهم فكذبوا به وكذبوه وبالغوا في ابدانهم وأرادوا قتله فاخرجهم الله من بينهم وأمره بالهجرة
الى المدينة ووسط على أهل مكة البلايا والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب
تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجهم من قولهم سبحانه وتعالى
(ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (رسول منهم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون
نسيبه ويعرفونه قبل النبوة بعدها (فكذبوه فاخذهم العذاب) يعني الجوع والخوف
وقيل القتل يوم بدر والقول الأول لما تقدم في الآية (وهم ظالمون) يعني كانوا
(فكلوا مما رزقكم الله) في الخطاب بين بهذا قولنا احدهما انهم المسلمون وهو قول
جمهور المفسرين والثاني انهم هم المشركون من أهل مكة قال البكائي لما اشتد الجوع ياهل
مكة كاهم رؤسأؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عادت الى حالنا
بالنساء والصبيان فاذا نحن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس ان يحموا الطعام اليهم
حكاه الواحدى وغيره والقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكلوا يا معشر المؤمنين

(حـ لا لا طيبا) بدلا عما كنتم تاكلونه حراما من الاموال الماخوذة بالغارات والغصب وخمائل الكسوب
 (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) قطعون اوان يحجزكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاء كما عند
 ثم عدد عليهم محرمات الله وهن اهرم عن قبحهم وتخليطهم باهوائهم فقال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما
 اهل لغير الله به من اضطر غير باع ولا عاقل ان الله غفور رحيم) انما المحصر اى الحريم هذا دون الجيرة واخوانها وباقي الالهة
 قد مر تفسيره (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب) ١٨٤ هو منصوب بـ لا تقولوا اى ولا تقولوا الكذب لما تصفه

بما رزقكم الله يريد الغنائم (حـ لا لا طيبا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى احل الغنائم لهذه
 الامة وطيبها لهم ولم يحل لاحد قبلهم (واشكروا نعمت الله) يعنى التى اتيهم بها عليكم (ان
 كنتم اياه تعبدون) انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به من
 اضطر غير باع ولا عاقل ان الله غفور رحيم) تقدم تفسير هذه الآية واحكامها فى سورة
 البقرة فلم نعد هنا وقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب) يعنى ولا تقولوا
 لاجل وصفكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعنى انكم تحلون وتحرمون لاجل
 الكذب لان غيره فليس لتخليطكم وتحريم معنى وسبب الا لكذب فقط فلا تعلموا ذلك قال
 مجاهد يعنى الجيرة والسائبة وقال ابن عباس يعنى قولهم ما فى بطن هذا الانعام خاصة
 لذ كورنا ومحرم على ازواجنا وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا يحلون اشياء ويحرمون
 اشياء من عند انفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى (لتقرروا على الله
 الكذب) يعنى لا تقولوا ان الله امرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو
 افتراء على الله ثم توعد المفسرين للكذب فقال سبحانه وتعالى (ان الذين يفترون على
 الله الكذب لا يفلحون) يعنى لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو
 الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعم الدين ينزل عنهم عن قرب فقال تعالى
 (متاع قليل) يعنى متاعهم فى الدنيا متاع قليل فانه لا يبقاه (ولهم عذاب اليم) يعنى فى
 الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعنى اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعنى ما سبق
 ذكره وسماه فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر
 الاية (وما ظلمناهم) يعنى بترسيم ذلك عليهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) يعنى انما
 حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب نعيمهم وظلمهم انفسهم ونظيره قوله تعالى في ظلم من الذين
 هادوا حرمنا عليهم طيماث احلت لهم وقوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة)
 المتصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ
 جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا يفتى به وكل من عمل السوء
 فاعا به فاعا به بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل التبيخ من صدر عنه فعل قبيح من كفر او
 معصية فاعا يصد عنه بسبب جهله اما الجهل بقدر ما يترب عليه من العقاب او بجهله
 بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان فعل السوء انما يفعل بجهالة ثم ان الله تعالى وعده من

السننكم من الهنائم بالحل
 والمحرمه فى قولكم ما فى بطن
 هذه الانعام خاصة لذ كورنا
 ومحرم على ازواجنا من غير
 استناد ذلك الوصف الى الوحي
 اولى الله اسر السنتكم منه
 واللام مثلها فى قولنا لا تقولوا
 لما احل الله هو حرام وقوله
 (هذا حلال وهذا حرام) يدل
 من الكذب ولك ان تصب
 الكذب تصف وتجعل
 مامصدرة وتعلق هذا الحلال
 وهذا حرام بـ لا تقولوا اى ولا
 تقولوا هذا حلال وهذا حرام
 وهذا الوصف السنتكم الكذب
 اى ولا تحرموا ولا تحلوا لاجل
 قول تتعاق به السنتكم ويجعل
 فى افواهكم لاجل حجة وبينة
 ولكن قول ساذج ودعوى
 بالارهاق وقوله تصف السنتكم
 الكذب من فصيح الكلام
 جعل قولهم كانه عين الكذب
 فاذا انطقت به السنتهم فقد
 حلت الكذب بخلية ومصورته
 بصورته كقولك وجهها نصف
 الجبال وعينها نصف البحر

واللام فى (لتقرروا على الله الكذب) من التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب
 لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم) هو خير مما يندحذوف اى منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة
 وعذابها عظيم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما تصف متاعك من قبل) فى سورة الانعام يعنى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى
 ظفر الاية (وما ظلمناهم) بالخير (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب نعيمهم
 عملوا السوء بجهالة) فى موضع الخبر اى عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم وراهم اذلة الهوى
 لا عصيان الهوى

(ثم تابوا من بعدهم وأصلحو أن يدخلوا في الأبواب) من بعد التوبة (الغفور) بتكفير ما كانوا قبل من الجرائم (رحيم) يتوبون ما وقفوا بعدهم العزائم (ان ابراهيم كان أمة) انه كان وحده أمة ١٨٥ من الامم لكلها في جميع صفات الخير

كقول

ليس على الله عسئندر

ان يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده

والناس كلهم كفار أو كان أمة

بمعنى ما يوم يؤمه الناس ليأخذوا

منه الخير (فان الله) هو القائم

عما أمره الله وقال ابن مسعود رضى

الله عنه ان معاذ كان أمة فانتا

لله فليل اغناه و ابراهيم عليه

السلام فقال الامه الذي يعلم

الخبر والقات المطيع لله ورسوله

وكان معاذ كذلك وقال عمر

رضي الله عنه لو كان معاذ حيا

لاستغفله فاني سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول ابو

عبدة امين هذه الامه ومعاذ أمة

قانت لله ليس بينه وبين الله يوم

القيامة الا المرسلون (حقيقا)

ما تلاحظ الان ان الله الى ملة الاسلام

(ولم يك من المشركين) نفي عنه

الشرك تكذيبا للكفار قرين

لزعيمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم

وحذف التورون للتشبيح بحروف

اللين (شاكرا لانه) روى انه

كان لا يتعدى الامم ضعف فلم

يحدث يوم ضيفا فاخر غداءه

فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة

المشر فعداهم الى الطعام فخلوا

له انهم جذما فقال الان وجبت

مؤاكلتكم شكر الله على انه عافاني

وابتلاكم (اجتباؤه) اختصه

عمل سوا غيرها ثم تابوا واصلحوا ان يدخلوا في الأبواب (ثم) تابوا من بعدهم (يعني من بعد عمل ذلك السوء) (واصلحو) يعني اصلحو العمل في المستقبل وقيل معنى الادلاح الاستقامة على التوبة (ان ريك من بعدهم) يعني من بعد عمل السوء بالجملته والتوبة منه (الغفور) يعني من تاب وآمن (رحيم) يعني يجمع المؤمنين انه قال هذا مثل قول العرب فلان رجة وفلان علامة ونسابة بتصدون بهذا التائب قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء الميمه على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فنادته الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم صلى الله عليه وسلم أمة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في أمة ومنه قول الشاعر

ليس على الله عسئندر * ان يجمع العالم في واحد

ثم للمفسر بن في معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الامه معلم الخير يعني انه كان معلم الخير ياتمه أهل الدنيا الثاني قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وهذا المعنى كان أمة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة وحده وانما قال فيه هذا المعلقة لانه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاوثان الثالث قال قتادة ليس من أهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه وقيل الامه قفلة بمعنى مفعوله وهو الذي يتوهم به وكان ابراهيم عليه السلام اماما يقتدى به دليله قوله سبحانه وتعالى اني جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جاءت أمة ومن تبعه بمنازين عن سواه بالتوحيد لله والدين الحق وهو أمة في عبادة الله (فان الله) يعني مطيع الله وقيل هو القائم بأوامر الله (حقيقا) مسلما يعني مقبلا على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزل وهو اذن من اختن وخفي واقام مناسك الحج (ولم يك من المشركين) يعني انه عليه السلام كان من الموحدين الخالصين من صغره الى كبره (شاكرا لانه) يعني انه كان شاكر الله على نعمه التي انعم بها عليه (اجتباؤه) أي اختياره لنبوته واصطفاه لخدمته (وهذه الى صراط مستقيم) يعني هداة الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم (واتنناه في الدنيا حسنة) يعني الرسالة والحكمة وقيل هي لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام في جميع الامم فان الله حبيبه الى جميع خلقه فكل أهل الايمان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وتبين هو قول المصنف في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آناه اولاد ابراهيم على الكبر (وانه في الاخرة لمن الصالحين) يعني في أي مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه انه في الاخرة مع

٢٤ ن و اصطفا للنبوة (وهذه الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (واتنناه في الدنيا حسنة) نبوة وأموال أو اولاد أو توبه لله بك فكل أهل دين يتولونه أو قول المصنف من اكمل صليت على ابراهيم (وانه في الاخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة

الصالحين يعني الانبياء في الجنة فتكون من معنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالمة أمر الله سبحانه وتعالى بنيه محمد صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم) يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الأصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم الامانة منها ولم يبدع صار شرع الله وقال أبو جعفر الطبري أمره باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله (خفيها) مسلما (وما كان من المشر كين) تقدم تفسيره وقوله تعالى (الما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعني الما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود وروى السكوني عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعكم وسبعة أيام لصنعكم كما قالوا عليه وقالوا الا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا يوم الجمعة فقال الصاري لانيديان يكون عيدهم بعد عدينا نعون اليه ودفعوا عن يدهم السبت فقال الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيدائهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه وأوتينا من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهذا الله لهم لنا فيه يسع فعدل اليهود وبعدهم للخصاري وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية أخرى له قال أصل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا يسع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا الاولون يوم القيامة لمقضى لهم قبل الخلائق قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيدائهم يعني غنائهم والآخرهم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهذا ان الله قال القاضي عياض الظاهر انه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بتغيير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلف احبارهم في تعيينه ولم يهدم الله وفرسه على هذه الامة مينا ولم يكلمهم الى اجتهادهم فافترقوا فبطلت قال يعني القاضي عياض وقدا جاء موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة واعلمهم بفضله فناظرهم ان السبت أفضل فقبل له دعهم قال القاضي ولو كان منه وصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيي الدين النووي ويمكن أن يكونوا أمروا به صرحا ووضعا على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لم يلزم ابداله فابطلوه وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على

(ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا) او ما كان من المشر كين) في ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام واجلال محله والايديان أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا لله (الما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطباذ فيه

(وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) روى ان ١٨٧ موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في

الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا تريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الاشر ذمة منهم قدرضوا بالجمعة فهذا الاختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بقصر يوم الصمد فطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فسخطهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيبازي كل واحد من الفريقين عما هو اهله (ادع الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة) بالمقالة الصحيحة المحككة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة المحسنة) وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصدها ما ينفعهم فيها او بالقرآن أي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة والمحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة المحسنة ان تحفظ الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة (وجادلهم بالتي هي احسن) بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير قساسة او ما يوقظ القلوب وعظ النفوس ويحول العقول وهو روعلى من ياتي المناظرة في الدين

بينهم في ذلك اليوم أي لاحد له وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فيهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اختلفوا على ذلك وزادوا واحد على هذا فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو اعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاحد افضل لان الله سبحانه وتعالى ابتدأ فيه بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا في السبت وإنما اختاروا الاحد النصارى بعددهم زمان طويل فان قلت ان اليهود اختلفوا بالسبت لان اهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق في ستة ايام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقامت اليهود ونحن نوافق في ثبوت ترك العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما ابتدأ الخلق في يوم الاحد فحينئذ جعل هذا اليوم عيدنا وهذا ان الوجهان معقولان فاجابه فضل يوم الجمعة حتى جعله اهل الاسلام عيداً قلت يوم الجمعة أفضل الايام لان كمال الخلق وتمت له فيه وحصول التمام والكمال بوجوب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيداً بهذا الوجه وهو أولى ووجه آخر هو ان الله عز وجل خلق فيه اشر فخلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة اشر في الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامم واودعهم لهم ولم يختاروا لانفسهم شيئاً وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاروه غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ يوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت يوم الاحد يوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفضل الايام يوم الجمعة كما ان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء في معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحل بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت أي وبال السبت ولعنتم على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فاحل بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا وسخطوا وقدوة خنازير في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تسمية يومه بصلوة في شياؤهم الناهون والقول الاول اقرب الى الحقيقة وقوله تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني في أم السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيبازي الحقين بالثواب والمطيل بالعقاب قوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعني ادع الى دين ربك كما محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحككة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة المحسنة يعني وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصده ما ينفعهم (وجادلهم بالتي هي احسن) يعني بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير قساسة ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا ووجدوا ثلاثة أقسام

أنزل الله عز وجل وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وإن صبرتم له وخير للصابرين فقال
وجل لا قرين بعده اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الأربعة
أخرجهم الترمذي وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فقوله تعالى وإن عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمي الفعل الأول باسم الثاني للزاوجة في الكلام والمعنى أن
صنعكم سوء من قتل أو مثله ونحوها فحاقبوا بمثله ولا تريدوا عليه فهو كقولهم وجزاء سبعة
سنة مثلها أمر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق يعني
أن نغفم في استيفاء القصاص فاقصوا بالمثل ولا تريدوا عليه فإن استيفاء الزيادة فليس
والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه وورجته وفي الآية دليل على أن الأولى ترك استيفاء
القصاص وذلك بطريق الإشارة والرمز والتعريض بأن الترتيب الأولي فإن كان لابد من
استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة الماثل ثم انتقل من طريق
الإشارة إلى طريق التصريح فقال تعالى (وإن صبرتم له وخير للصابرين) يعني وإن عفوت
وتركت استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص
وفيه أجر للصابرين العافين

﴿فصل﴾ * اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أحدهما أنها
نزلت قبل براءة فأمّر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ
ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والشافعي على هذا يكون معنى قوله وإن صبرتم
عن القتال فلما أعز الله الإسلام وكثر أهله أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ
هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثاني أنها محكمة وأنها
نزلت فيمن ظلم ظلمة فلا يحل له أن ينال من ظلمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول
مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الأصح أنها محكمة لأن الآية
واردة في تعليم حسن الأدب في كيفية استيفاء الحقوق في القصاص وترك التعدي وهو
طلب الزيادة وهذه الأشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم بقوله عز وجل
(واصبر وما صبرك إلا بالله) الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر واعلم أن صبره وثيقه ومعونته (ولا تحزن عليهم) يعني
على الكافرين وأعرضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحدكم فاعلم
فإنهم أضوا إلى رحمة الله ورضوانه (ولأن في ضيق مما يكره) يعني ولا يضيقت
صدرك مما يوجب كرههم فإن الله كافيتهم وناصرهم عليهم قرى في ضيقهم بفتح الصاد
وكسرهما فتسلبهما القتال وقال أبو عمرو الضيق بالفتح ألم وبالكسر الشدة وقال أبو
عبيد الضيق بالكسر في قلة العاش والمساكن وأما ما كان في القلب والصدور فانه بالفتح
وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعل هذا يكون صفة كانه
قال سبحانه وتعالى ولأن في أمر ضيق من كرههم قال الإمام فخر الدين الرازي هذا
الكلام من المتأول لأن الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون
الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى فلا يكون الضيق حاصلا في إلا أن الفائدة في

(وإن صبرتم له وخير للصابرين)
الضمر في هو يرجع إلى مصدر
صبرتم والمراد بالصابرين
المحاطبون أي وإن صبرتم
لصبركم خير لكم فوضع الصابرين
موضع الضمير بناء من الله
عليهم لأنهم صابرون على
الشدة أئذ ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم (واصبر)
أنت فعزم عليه بالصبر (وما
صبرك إلا بالله) أي وثيقته
وتسببته (ولا تحزن عليهم) على
الكفار أن لم يؤمنوا وعلى
المؤمنين وما فعل بهم الكفار
فإنهم وصلوا إلى مطلوبهم (ولا تن
في ضيق مما يكره) ضيق
مكي والضيق تخفيف الضيق
أي في أمر ضيق ويجوز أن يكونا
مصدرين كالقليل والقول والمعنى
ولا يضيقت صدرك من كرههم
فانه لا يفتنه ذلك

قوله ولأنك في ضيق هي ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشيء الخيط يلا انسان من كل جانب كالمص الخيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى (ان الله مع الذين اتقوا) اي اتقوا المثلثة والزيادة في التصاص وسائر الما هي (والذين هم بحسنون) يعني بالعرفون الجاني وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني ان أردت أيها الانسان ان اكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين الحسنيين وفي هذا اشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كل اطيع يصدق مع الحق وخلق مع الخلق وكلال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل به وقيل لهرم بن حسان عند الموت أوص فقال انما الوصية في المال ولا مال لي وليكني أوصيك بخواتيم سورة النحل والله أعلم بمراده وأسرا كتابه

﴿(تفسير سورة الاسراء)﴾

﴿(فصل في نزولها)﴾ قال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة الا ان بعضهم يقول فيها مدني فروى عن ابن عباس انه قال هي مكية الاثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا يقتلونك الى قوله نصرنا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدني وقل رب أدخلني مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين أتوا العلم من قبله وقوله ان ربك أحاط بالناس وقوله تعالى وان كادوا يقتلونك وقوله تعالى ولولا ان نثبتك في التلها وهي مائة وعشر آيات وقيل واحد عشر آية وخمسة مائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

﴿(بسم الله الرحمن الرحيم)﴾

قوله عز وجل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شيء هكذا ذكره غيره سند وقال الثوريون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح ونفس سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة وأصله في اللغة التباعده فغني سبحان الله بعبده ونزاهته عن كل ما لا ينبغي الذي أسرى يقال أسرى به وأسرى به لغتان (ليلا) نصب على الظرف وتييده بالليل والاسراء لا يكون الا بالليل لئلا كيدوا وليسدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء وان أسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة

لاتدعى الا بعبدها ﴿فانه أشرف اسمها﴾

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج أوحى الله عز وجل اليه يا محمد هم شرفك قال رب حيث نسبني الى نفسك بالعبودية فأمر الله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فسامعني ذكر الليل قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وان أسرى به في بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر أو أكثر فدل تنكير

(ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أي هو ولي الذين اجتنبوا السيئات وولي العاملين بالطاعات قيل من اتقى في أفعاله واحسن في أعماله كان الله معه في أحواله ومعيبه نعمته في المأمور وعصيته في المحذور

(سورة بني اسرائيل مكية) وهي مائة وعشر آيات بصري واحد عشر آية كوفي وشامي (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبحان) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره بتقدير ما سبح الله سبحانه ثم نزل سبحانه منزلة الفعل فسد مسدود على التنزيه البليغ (الذي أسرى بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم وأسرى لغتان (ليلا) نصب على الظرف وتييده بالليل والاسراء لا يكون الا بالليل لئلا كيدوا وليسدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء وان أسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة

(من المسجد الحرام) قيل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبي طالب ١٩١ والمراد بالمسجد الحرام الحرم ولأحاطة بالمسجد

الليل على البعوضة (من المسجد الحرام) قيل كان الأسرى من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا في المسجد الحرام في الخمرود كحديث المعراج وسأني بكاه فيما بعد وقيل عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب وهي بنت عمه اخت علي رضي الله تعالى عنه فقل هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم (إلى المسجد الأقصى) يعني إلى بيت المقدس سمى أقصى لبعده عن المسجد الحرام أولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يعني بالأنهار والأشجار والثمار وقيل سمياه باركا لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة وأوحى وقوله لا أنيد أنبل نبينا محمد لي الله عليه وسلم واليه يحشر الخلق يوم القيامة فان قلت ظاهر الآية يدل على أن الأسراء كان إلى بيت المقدس والأحاديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط قلت قد كان الأسراء على ظهر البراق إلى المسجد الأقصى ومنه كان عرج وجهه إلى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الأقصى فقط أنه صلى الله عليه وسلم لو أخبر بصعوده إلى السماء أولا لاشتد إنكارهم لذلك فلما أخبر أنه أسرى به إلى بيت المقدس وبأنهم صدقه فيما أخبر به من العلامات التي فيه وصدقه عليه أخبر بعد ذلك بعرجه إلى السماء فعمل الأسراء إلى المسجد الأقصى كالوطئة لعرجه إلى السماء وقوله تعالى (لنريه من آياتنا) يعني من عجائب قدرتنا فقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة أنبياء وصلى بهم ورأى آيات العظام فان قلت إطفاءه من في قوله من آياتنا تقتضي التبعيض وقال في حق إبراهيم عليه السلام وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وظاهر هذا يدل على فصيلة إبراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا فائل به فوجهه قلت مملكة السموات والأرض من بعض آيات الله أيضا ولا يأت الله أفضل من ذلك أو أكثر الذي رآه محمد صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الآية كان أفضل من ملكوت السموات والأرض فظهر بهذا البيان أن فضل محمد صلى الله عليه وسلم على إبراهيم صلى الله عليه وسلم (أنه هو المسيح) لا قوله ودعائه (البصير) لافعاله الحافظ له في ظلمة الليل وقت أسرائه وقيل أنه هو المسيح لما قاتله فرس حين أخبرهم بمسراة إلى بيت المقدس البصير بغير دواعيه من التكذيب وقيل أنه هو المسيح لا قول جميع خلقه البصير بأفعاله فيجوز لكل عامل به له ووجهه على العموم أولى

(فصل) في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الأحكام وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا في الخمرود وما قال في الخمر مضطجعا ومنهم من قال بين النائم واليقظان إذا نأى أت فقد قال وسمعه يقول فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من نعمة نحره إلى شربة وسمعه يقول من قصته إلى شعرة فاستخرج قلبي ثم أتيت طست من ذهب ملوثة إيماناً فعمل قلبي ثم حشيت ثم أعد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقبل له الجارود وأمره البراق يا أباجزة قال

نصرف الكلام على ألقاب الغائب والمتكلم قيل أسرى ثم باركنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة

أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طر فيه فجاءت عليه فانطلق بجبريل عليه السلام حتى
 أتى السماء الدنيا فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد
 أرسل اليه قال نعم قبل مرحباً به ففتح المحي جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا
 أبوك آدم فلم عليه فسلمت عليه فردا السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح
 ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد
 قبل وقد أرسل اليه قال نعم قبل مرحباً به ففتح المحي جاء ففتح فلما خلصت فاذا يحيى
 وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى وسلم عليهما فسلمت فردا ثم قال مرحباً
 بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقبل من هذا قال
 جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد أرسل اليه قال نعم قبل مرحباً به ففتح المحي جاء
 ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف وسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً
 بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقبل من هذا قال
 جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد أرسل اليه قال نعم قبل مرحباً به ففتح المحي جاء
 ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس وسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً
 بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقبل من هذا قال
 جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد أرسل اليه قال نعم قبل مرحباً به ففتح المحي جاء
 فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون وسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً
 بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقبل من هذا قال
 جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد أرسل اليه قال نعم قبل مرحباً به ففتح المحي جاء
 خلصت فاذا موسى قال هذا موسى وسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالابن الصالح
 والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى فليل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل
 الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقبل
 من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد أرسل اليه قال نعم قبل مرحباً
 به ففتح المحي جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم وسلم عليه قال فسلمت
 عليه فردا السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى
 فاذا انقياء مثل قلال هجر واذا ورقاتها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا
 أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما
 الباطناتان فهن نيران في الجنة وأما الظاهرتان فالنيل والفرات ثم رفعت الى البيت
 المعمور ثم أتيت باباً من خمر وانا من ابن وانا من عدل فاحسنت الابن فقال
 هي القنطرة أتت عليهما وأتممتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل
 يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل
 يوم قال أن أتممتك لاستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس
 قبل لك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الي ربك فاسأله التخفيف
 لأمتك فرجعت فوضع عني عشر فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت

فوضع عني عشر افرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشر افرجعت الى
 موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشر افرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت
 فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات
 كل يوم فرجعت الى موسى فقال بمررت بمررت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك
 لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جرت الناس قبلك وعالجمت بني اسرائيل أنت
 المعالجة فأرجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمك قال سألت ربي حتى استخفيت ولما كن
 أرضي وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد امة ضيت فر يضي وخففت عن عبادي زادني
 رواية أخرى وأخرى بالحسنة عشرة وفي رواية أخرى بنينا انا عند البيت بين الناس
 والبقطان وفيه ثم غسل البطن ماء زمزم ثم ملئ ايمانا وحكمة وفيه فرغ الى البيت المعمور
 فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملكا خارجا والم
 يعود واما أخرى (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم
 جاء بطست من ذهب مملئ حكمة وإيمانا فافرغها في صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدي
 فخرج بي الى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لحازن السماء الدنيا افتح قال من
 هذا قال هذا جبريل قيل هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فأسر الى
 قال نعم فافتح ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره
 أسودة قال فاذا انظر قبل يمينه وخل واذ انظر قبل شماله يكي فقال مرحبا بالنبي الصالح
 والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن
 شماله نسم بنيه فاهل العيين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا انظر قبل
 يمينه خل واذ انظر قبل شماله يكي قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء السابعة فقال
 لحازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس بن مالك قد ذكر انه
 وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف مناظروهم غير انه
 ذكر أنه قد وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال فلما مررت بجبريل
 ورسول الله بادر يس قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال ثم فقلت من هذا قال
 هذا ادريس قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا
 قال هذا موسى قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا
 قال هذا عيسى بن مريم قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال
 قلت من هذا قال هذا ابراهيم قال ابن شهاب وأخبرني ابن خزم أن ابن عباس واباجبة
 الانصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى
 أسمع فيه صريف الاقدام قال ابن خزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ففرض الله علي أمي خمسين صلاة قال فرجعت بذللح حتى مررت بعيسى فقال موسى ماذا
 فرض ربك علي أمك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان

أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فراجعت الى موسى فاجبرته
قال راجع ربي فان أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال هي خمس وهن خمسون
لا يبدل القول لدي قال فراجعت الى موسى فقال راجع ربي فقلت قد استحييت من
ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها الوان لا أدرى ما هي قال ثم
أدخلت الجنة فإذا فيها اخنايا المأواوا ذات اربابها المسك (ق) عن شريك بن أبي نجران سمع
أنس بن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه
ثلاثة نفر قيل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أولهم
هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يره حتى أتوه ليلة أخرى فيما
يرى قلبه وتسام عينه ولا يتام قلبه وكذلك الانبياء تسام أعينهم ولا يتام قلوبهم فلم
يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بشر زرم فتولاهم منهم جبريل فشق جبريل ما بين فخذه
الى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أتى جوفه ثم أتى بطنه
من ذهب فيه تور من ذهب فحشوا إيماناً وحكمة فغشا به صدره وأغاد يده حتى عروق
حلقه ثم طبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضر بياض أنوارها فناداه أهل السماء من
هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال عبي محمد قالوا قد بعث اليه قال نعم قالوا رجا به
وأهلا يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد
في السماء الدنيا آدم عليه السلام فقال له جبريل بن هذا أبوك آدم فسلم عليه وودع عليه
السلام وقال مرحبا وأهلا باني نعم الابن أنت فإذا هو في السماء الدنيا بهن ينظر دان
فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في
السماء فإذا هو بهن آ خر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أفر قال
ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خيال لك ربي ثم عرج به الى السماء الثالثة فقال
الملائكة له مثل ما قالت له الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا قد
بعث اليه قال نعم قالوا رجا به وأهلا ثم عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت
الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة
فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة
فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فأوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون
في الرابعة وخفي الخامسة ولم أحفظ اسمه و ابراهيم في السادسة وموسى في السابعة
بفضل كلام الله فقال موسى رب لم أظن أن أرفع على أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه
الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قال قوسين أو أدنى
فأوحى الله فيما أوحى اليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى
فاحتسبه موسى فقال يا محمد ما هذا هذا إليك قال عهد الى خمسين صلاة كل يوم وليلة
قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فلينخف عنك ربي وعنهم فالتفت النبي صلى الله
عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى
الجبار تعالى فقال وهو مكناه يارب خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنقه عشر

صلوات ثم رجع الى موسى فاحتسبه فلم يزل يردد موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات
ثم احتسبه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني اسرائيل قومي على ادنى
من هذا فضعوا قتر كوه فامتنك اضعف اجسادا وقلوبوا ابدانا وابصارا واسماعا
فارجح فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه
السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان امتي ضعفاء
اجسادهم وقلوبهم واسماعهم وايد انهم يخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال ليبيك
وسعدك قال انه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك في أم الكتاب قال فكل حسنة
بعشر أمثالها فهي تحسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف
فعلت فقال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بني
اسرائيل على ادنى من ذلك فتر كوه ارجع الى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استجببت من ربي مما اختلفت اليه قال فاجبظ بسم
الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخاري وأدرك مسلم حديث
شريك عن أنس الموقوف عليه في حديث ثابت البناني المسند فذكر من أول حديث
شريك طرفا ثم قال وساق الحديث فتوجد حديث ثابت قال مسلم وقدم واخروا دون نقص
وليس في حديث ثابت من هذه الالفاظ إلا ما نوردته على نصه آخرجه مسلم وحده وهو
حديثنا مجازين سلمة عن ثابت البناني عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى
طريقه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء قال
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فخافني جبريل باناء من خروا ناء
من ابن فاختبر الابن فقال جبريل عليه السلام اختبرت الفطرة قال ثم عرج بنا الى
السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيل ومن معك قال محمد قيل وقد
بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا آدم فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بنا الى
السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا أنا نبي الخالة عيسى بن مريم ويحيى
ابن زكريا فرحباني ودعوا الى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل
فقيل من أنت قال جبريل فيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا أنا يوسف عليه السلام فاذا هو قد أعطى شطر الحسن قال
فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا
قال جبريل فيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا
بادريس فرحب ودعاني بخير قال الله تعالى ورفعهام مكنانا عليا ثم عرج بنا الى
السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل فيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب ودعاني بخير ثم عرج بنا
الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل فيل ومن معك قال محمد

قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا موسى فرحب بي ودعا لي خبير ثم
 خرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح خبيريل فقيل من هذا قال خبيريل قيل ومن معك
 قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا موسى فراهب عليه السلام
 مسندنا ظهروه الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون
 اليه ثم ذهب الى سدرة المنتهى واذا ورقتها كانا ذان القليلة واذا غرهما كالقلال قال
 فلما غشيها من أمر الله ما عني تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعم بها من حسناتها
 فأوحى الى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليس له فترلت الى موسى
 فقال ما فرض ربك علي أم لك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف
 فان أمرك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى
 فقلت يا رب خفف على أمتي خط عني حسا فرجعت الى موسى فقلت قد خط عني حسا
 قال ان أمرك لا يطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل ارجع بين ربى
 تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد ان من خمس صلوات كل يوم وليس له لكل صلاة
 عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت
 له عشر او من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سائمة واحدة قال فترلت
 حتى انتهت الى موسى فاخبرته قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربى حتى استخيمت منه هذه رواية مسلم واخرجه
 الترمذى مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسري به لمحمدا
 مسرعا فاستصعب عليه فقال له خبيريل يا محمد تقول هكذا ما ركبك أحدنا كرم
 على الله منه فارفض عرفا واخرجه النسائي مختصرا والمعنى واحد وفي آخره قال
 فرجعت الى ربى فاسأله التخفيف فقال انى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك
 وعلى أمتك خمسين صلاة وخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك فعرفت انها امر الله جري
 بقول حتم فلم أرجع

❦ (فصل) ❦ قال البغوى قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبغارى ومسلم في كتابيهما
 شيئا لا يمتثل خراجا لاحد بشر بل بن أبى ثمر عن أنس وأحال الامر فيه على شريك
 وذلك انه ذكر فيه ما ن ذلك كان قبل الوحي واتفق أهل العلم على ان المعراج كان بعد
 الوحي بخمسة وعشرين سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فسدلى وود كرت عائشة
 ان الذى تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوى وهذا الاعتراض عندى لا يصح لان
 هذا كان رؤيا فى النوم أراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو
 فى المسجد الحرام ثم عرج به فى البقعة بعد الوحي وقيل الهجرة بسنة تحققة الرؤيا التى
 رآها من قبل كانه رأى فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان
 تحققة ما سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى لتصدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال
 الشيخ محبى الدين النووى رحمه الله تعالى فى كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية شريك
 فى هذا الحديث أوهاهم أنكرها عليه العلماء وقد ثبت مسلم على ذلك بقوله قد قدم وأخبروا
 وتنص منها قوله وذلك قيل أن يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل ما قيل

فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسة عشر شهرا وقال الحرابي كانت ليلة الاسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محي الدين واشبه الاقوال قول الزهري وابن اسحق وأما قوله في رواية شريك وهو ناظم وفي الرواية الاخرى بينما انا عند البيت بين الزنايم واليقظان فقد يجمع به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل على كونه ناظما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وإن أهل العلم قد انكروها وقد قاله غيره وقد ذكر البخاري في روايته شريك هذه عن انس في كتاب التوحيد من صحيحه وأما الحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نجران عن انس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأما في نفسه فالفاظ غير معروفة وقد روي حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقين والأئمة المشهورين كابن شهاب وناثب البناني وقنادة يعني عن انس فلم يأت أحدهم بما اتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عندها هل الحديث قال والاحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها

(فصل) في شرح بعض الفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الاسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل لما كان ذلك في المنام والحكي الذي عليه كثيرا للناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بروحه وجده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحانه الذي أسرى به ليلة الأولى لفظ العبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها ويبحث عنها وحكي محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حديثه انه قال كل ذلك كان رؤيا وإنه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أسرى بروحه وحكي هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية بن جهم والقحطامي عن عمار بن عبد الله بن السلف والخلف والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق هو اسم للذابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسمعه ولشدته صفاته وباضه ولعانه وثلاثه ونوره والحكمة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحكمة الأخذ بالاحتياط في الامور وتماطى الاسباب وان ذلك لا يتقدح في التواكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل باناء من خبر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصارا لا تقدر وقال لي اخترت اللبن وقول جبريل اخترت القطرة يعني قطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للقطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طبيا ساعدا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها مالحات وجالبة لانواع الشر قوله ثم عرج بي

حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل فيه بيان الأدب لمن
استأذن وإن يقول أنا فلان ولا يقول أنا فانه مكره وفيه ان السماء أبو أيوب وبين وأن
عليها سحر أو يقول بواب السماء وقد أرسل اليه في الرواية الاخرى وقد بعث الله معناه
للاسماء وصودره السماء وليس مراده الاستعظام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك
لا يتحقق عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح في معناه وقيل غيره وقوله فاذا أنا آدم وذكر
جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والسلام
الذين الحسن وأن كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان في وجهه اذا
أمن عليه من الاعجاب وغيره من أسباب الفتنة وقوله فاذا أنا براهيم مسنداً ظهره الى
البيت المعمور وفيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ثم
ذهب بي الى السدرة هكذا وقع في هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفي باقي الروايات
الى السدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة
ينتهي اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت
بذلك لكونها ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله عز وجل
وقوله واذا همدا كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهي الحجرة الكبيرة التي شيع
قربتين أو أكثر وقوله فرجعت الى ربي قال الشيخ محيي الدين النووي معناه رجعت الى
الموضع الذي ناجيته فيه أولاً فناجيته فيه ثانياً وقوله ازل ارجع بين موسى وبين ربي
معناه وبين موضع مناجاة ربي عز وجل قلت وأما الكلام على معنى الرؤية وما يتعلق
بها فانه سألني ان شاء الله تعالى في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى ثم نادى قله
فقرض الله سبحانه وتعالى على أمي خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها وفي الرواية
الاخرى فوضع عني عشرة وفي الاخرى خمسين بين هذه الروايات منافاة لان المراد
بشطر الحجر وهو الخمس وليس المراد منه التخصيف وأما رواية العشر فهي رواية
شريك ورواية الخمس رواية ثابت البناني وقتادة وهما ثبت من شريك فالمراد حظ عني
خمساً الى آخره ثم قال هي خمس وهن خمسون يعني خمسين في الاجزاء الثواب لان الحسننة
بعشر امثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل فعله وفي أول
الحديث أنه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق أيضاً في صدره وهو عند
حلمية التي كانت ترفعه فالمراد بالثاني زيادة التظهر لما رآه من الكرامة ليلة
المعراج وقوله انت بطست من ذهب قديتهم وموههم انه يجوز استعمال انا الذهب
لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب
أو يكون هذا قد كان قبل تحريره وقوله ممثلي ايماناً وحكمة فافرحها في صدري فان
قلت الحكمة والايان معان والافراغ صفة الاجسام فامعنى ذلك قلت يحتمل انه
جعل في الطست شيئاً يحصل به كمال الايمان والحكمة وبآدم عليه السلام فاذا رجع عن
لكونه شبيهاً لها وهذا من احسن المجاز وقوله في صفة آدم عليه السلام فاذا رجع عن
بمنه اسوده وعن يسارة اسوده هو جمع سواد وقد فسره في الحديث بانه تسم بنيه يعني

أرواح بنيه وقد اعترض على هذا بأن أرواح المؤمنين في السماء وأرواح الكفار تحت الأرض السفلى فكيف تكون في السماء والجواب عنه أنه يحتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مروا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر بما رأى وقوله فاذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة أو لا على أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمنين منهم وخزنه على سوء حال الكفار منهم وقوله في ادريس رحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قد اتفق المؤرخون على أن ادريس هو أخنوخ وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كان إبراهيم جده فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام فالجواب عن هذا أنه قيل أن ادريس المذكور هما هو الياس وهو من ذرية إبراهيم فليس هو جد نوح وهذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس أبا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وإن قوله الأخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تطلقا وتادبا وهو أخ وإن كان أبا لأن الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة والله أعلم

❦ (فصل) في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق احاديث تتعلق بالاسراء قال البغوي روى أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان بذى طوى قال باجريل أن قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة أسرى بي إلى السماء أصبحت علكة فضقت بامرئ وعرفت أن الناس يكذبوني فروى أنه صلى الله عليه وسلم لم يقدمه عزرا حتى أخبر به أبو جهل فجلس إليه فقال كاستهزئ به هل استغدت من شيء قال نعم أسرى بي الليلة قال إلى أين قال إلى بيت المقدس قال أبو جهل ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فلم ير أبو جهل أن يذكر ذلك مخافة أن يمجده الحديث ولكن قال أتحدث قومك بمحدثي به قال نعم قال أبو جهل بامعشر بني كعب بن لؤي هلموا فانهضت الجمالس وجأوا حتى جلسوا إليهما قال حدث قومك بمحدثي قال نعم أسرى بي الليلة قالوا إلى أين قال إلى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فبقى الناس بين مصفى وبين واضع يده على رأسه متعجبا وأورد أناس ممن كان قد آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر فقال له هل لك في صاحبك نزعهم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس قال أو قد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أو صدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء في ليلة قبل أن يصبح قال نعم أتى اصدقه بما هو أبعد من ذلك اصدقه تخبر السماء في غداة أو روحه فلذلك سمى أبو بكر الصديق قال وكان في القوم من أتى المسجد الأقصى قالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد قال نعم قال فذهبت أنعت حتى التبس على قال فني بالمسجد وأنا انظر إليه حتى وضع دون دار عقيل فبعثت المسجد وأنا انظر إليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم قالوا يا محمد إنه برائع غير أنه هي أهم الناظر لتيت منها شيئا قال نعم مرت بعير بني فلان وهي

بالرواح وقد اصابوا بهم في طلبه وفي رحله قدح من ماء فطشت فأخذته فشربه
ثم وضعته كما كان فسألوا هل وجدوا الماء في القديح حين رجعوا قالوا هذه آية قال
ومررت بغير بني فلان وفلان وفلان راكبان فعودا لهما ابدي من قنبر بعيرهما حتى فرى
بفلان فاندكسرت يده فسلوهم ما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا فأخبرنا عن غيرنا
قال مررت بها بالنعيم قالوا فما عرفت بها واجمالها وهيئتها فقال كنت في شغل عن ذلك
ثم مثلت له بعدتها واجمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزرة قال نعم هيئتها كذا وكذا
وفيها فلان وفلان يقدمها جل أورق عليه غرار نان مخيطان تطاع عليك عند طلوع
الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثانية وهم يقولون والله لقد قص محمد
شيا ويته حتى أتوا كذا فجلسوا عليه فجلسوا ينظرون متى تطاع الشمس فيكذبونه إذ قال
قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخرو هذه العير قد طاعت يقدمها بغير أورق
فيما فلان وفلان كذا قال فلم يؤمنوا وقالوا هذه مستخرعين (م) عن أبي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقرئيس تسالني
عن مسراي فأتيتني عن أشياء من بيت المقدس لم أكتبها بذكر بيت كربة ما كربت مثلها
قط قال فرفعه الله لي أنظر إليه ما سألتني عن شيء إلا أتيتهم به وقد رأيتني في جماعة من
الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا راحيل ضرب جعد كانه من رجال شيوخه وإذا عيسى بن
مريم قائم يصلي أقرب الناس به شيها عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه
الناس به ما جئكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فغابت الصلاة قائمهم فلما فرغت من
الصلاة قال لي قائل يا محمد هذا الملائكة أحب الناس لي عليه فأنقذت إليه فبدا لي
بالسلام (ق) عن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قرئيش قلت
إني الحجر فبني الله لي بيت المقدس فطقت أخذ بهمهم عن آياته وأنا أنظر إليه زاد البخاري
في روايته له لما كذبني قرئيش حين أسرى لي إلى بيت المقدس وذكر الحديث (م) عن
أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسرى لي عند الكعب
الاحمر فإذا هو قائم يصلي في قبره عن بريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا
إلى بيت المقدس قال جبريل كذا باب جعه فخرق به الحجر وشده البراق آخر جه الترمذي
فان قالت كيف رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف صلى
بالأنبياء في بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات وسلموا عليه وتوجوا به
وكيف تصعد الصلاة من الأنبياء بعد الموت وهم في الدار الآخرة قلت أما صلواته صلى الله
عليه وسلم بالأنبياء في بيت المقدس فيتمثل أن الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلي بهم
ويعرفوا بفضلهم وتقديمهم عليهم ثم أن الله سبحانه وتعالى أراه إياهم في السموات على مراتبهم
ليعرف مراتبهم وفضلهم وأما مروه بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكعب الاحمر
فيتمثل أنه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الأنبياء وهم في الدار الآخرة
فهم في حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله أمواتا بل أحياء فالأنبياء أحياء بعد الموت وأما حكم صلواتهم فيتمثل أنها
الذكرو الدعاء وذلك من أعمال الآخرة فإن الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانه اللهم وورد

(وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ) أَى الْكِتَابَ وَهُوَ التَّوْرَةُ (هَدَىٰ ابْنِ إِسْرَءِيلَ أَنْ لَا تَتَّخِذُوا) أَى لَا تَقْتَدُوا وَابِلَاءَهُ أَبُوعَبْرُو
أَى ثَلَاثَتَهُنَّ (مَنْ دُونِي وَكَيْلًا) بِمَا سَكُنُوا إِلَيْهِ أَمُورُكُمْ (ذَرِبَةً مِنْ جُلْدِنَا مِنْ نُوحٍ) نَصَبَ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ أَوْ عَلَى التَّنَادُءِ
فِيمَنْ قَرَأَ لَا تَتَّخِذُوا بِمَا تَعَالَى إِلَهِي أَى قُلْ لَهَا لِمَ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا لِأَذَرِبَ مِنْ جُلْدِنَا مِنْ نُوحٍ (إِنَّهُ) أَنْ تَوْحَاظِلَهُ السَّلَامُ
(كَانَ عَبْدًا لَكَ وَرَا) فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالتَّكْرُعِ بِعَاقِبَةِ الْعَمَلَةِ لِلتَّوْبَةِ عَلَى التَّعَمُّدِ وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ لَابِلًا كَلَّ وَلَا يَشْرَبُ وَلَا يَلْبَسُ
لَا قُلَّ الْجِدَّةِ وَأَنَّ ذَرِبَةً مِنْ أَمْنٍ بِهِ وَجَلَّ مَعَهَا فَجَعَلَهُ أَسْوَنَكُمْ كَمَا جَعَلَهُ آثَاؤُكُمْ أَسْوَنَهُمْ وَآيَةُ تَرْشِدِ الْإِنْبَاءِ صِحَّةُ الْاِئْتِدَاءِ
بِسَبَةِ الْإِنْبَاءِ وَقَدْ رَفِئَ حَالُ الْآثَاءِ هُنَاكَ فِكْرُونَا أَيُّهَا الْإِنْبَاءُ كَذَلِكَ (وَقُضِيَ إِلَىٰ ابْنِ إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَا فِي الْأَرْضِ)
وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ وَحْيًا مُقَرَّبًا أَى مَقْطُوعًا مِمَّا نَهَمُّ بِفُسَادِهِمْ ٢٠١ فِي الْأَرْضِ لِمَا كَانُوا فِي الْكِتَابِ التَّوْرَةِ لَتُفْسِدُنَا

في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتسمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصه اخص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخص اخص ليخص بهم اغيرهم من انهم صلى الله عليه وسلم اخبرنا رآهم بايون ويحجون فكذلك الصلاة والله اعلم بالحقايق قوله سبحانه وتعالى (وَإِنَّمَا مِثْلُ الْكِتَابِ) يعني التوراة (وَجَعَلْنَاهُ) يعني الكتاب (هَدًى لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنْ لَا تَتَّخِذُوا) يعني وقلنا لهم لا تتخذوا (مِنْ دُونِي كَيْلًا) يعني ربا كفلا (ذُرِّيَّةَ) يعني باذرية (مَنْ جَعَلْنَاهُمْ نَوْحَآنَهُ كَانَ عِيدًا شُكُورًا) يعني ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا اكل طعاما اوشرب شرابا اوبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عيداشكور لذلك قوله عز وجل (وَقُضِيَ لَنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي الْكِتَابِ) يعني اعلماهم واخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون وهو قوله تعالى (انفسد في الارض مريم) وقال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب فالي معنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في لتفسد لام القسم تقديره والله لتفسد في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض ارض الشام وببيت المقدس (ولتعلمن) يعني ولست كنن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما) يعني اولى المرتين قيل افسادهم في المرة الاولى هو ما افسدوا من احكام التوراة وكبروا من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى قتلهم شعبا في الشجر واورثكاهم المعاصي (بعثنا عليهم عبادنا) يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو شجر وقيل هو من اهل ينوى وقيل هو مختصر البابي وهو الاصح (اولى باس شديد) يعني ذوى بطش وقوة في الحرب (فجاسوا خلال الديار) يعني طافوا بين الديار ووسطها فلبسوا بكم ليقولتم (وكان وعدا مفعولا) يعني قضاء كائن لا زملا خاف فيه (ثم ردنا اليكم الذرة عليهم) يعني ردنا اليكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد (وأمددنا كيامال وبنين وجعلناكم اكرث نفرا) يعني اكثر عددا (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) يعني لساواها وجزاء احسانها (وان اسأتم فلها) يعني فعملها اسأتمها

(فأذبحوا وعدوا الآخرة) يعني المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى خليفه
الله منهم ورفعه اليه وقتلوا زكريا وصحبوا عليه السلام فسلط عليهم الفرس والروم
فسبواهم وقتلواهم وهو قوله تعالى (ليسوا بأوجهكم) يعني لا يجوزونكم وقرى بالنون أى
ايسوء الله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعني بيت المقدس ونواحيه (كادخلوه أول مرة)
يعني وقت افسادهم الأول (وليتبروا ماعلوا لتبيرا) يعني وليتسكروا ماعلوا وعليه من
الآذان اسرائيل اهلاكم (ذكرنا قصة في هذه الآيات) قال محمد بن اسحق كانت
بنوا اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومخفيا اليهم وكان
أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذ ملك عليهم
الملك بعث معه نبيا اسمه دود ورسده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التوراة
والاحكام التي فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعيا وذلك قبل بعث زكريا
وصحبي وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أشري أو شري الآن
يا إسرائيل كبا الحجار ومن بعده صاحب البعير فلما ملك صديقة بعث الله بني اسرائيل
وبيت المقدس زمانا فلما انتقض ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعيا فبعث
الله سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل سائر احدى نزل حول بيت المقدس
والمالك يرض من فرجة كانت في ساقه فشاء شعيا ان ياله وقال يا ملك بني اسرائيل
ان تجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هاجم الناس
وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا بني الله هل أتاك من الله شيء فاما حدث
فتبنيابه وكيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده فقال شعيا لم يأتي وحى في ذلك
فبيناهم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبي ان أنت ملك بني اسرائيل فمر ان يوصي
وصيه وبسنحاريب على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعيا ملك بني اسرائيل وقال
ان ربك قد أوحى الى ان أمرتك أن توصي وصيتك واستخاف من شئت على ملكك من
أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا اصد بقة الملك اقبل على القبة فصلى ودعا
فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الآلهة
يا قدوس يا متقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذ منه سنة ولا نوم اذكرني بعمل
وقعلي وحسن تصاتي على بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به من سري
وعلائي لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فأوحى الله إلى شعيا ان يجبر صديقة
ان يبره فاستجاب له وخرجه وأخرجه خمس عشرة سنة وأخذاه من عدوه سنحاريب فأتاه
شعيا فاجبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الرجوع وانقطع عنه الحزن وخرس احدا له وقال
الحمد لله الذي أبان لك سجدت وسجدت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول
والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذي أحببت
دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا أن قل للملك صديقة فبارك
عبد من عبده فتابه بماء التين فيجعله على فرجة فيثقي فيصيح وقد برأ ففعل ذلك
فوشى فقال الملك لشعيا سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعد وفاته هذا قال الله

(فأذبحوا وعدوا الآخرة) وععد
المرة الآخرة بعثناهم (ليسوا
أى هؤلاء) وجوهكم وحذف
لدلالة ذكره أولا عليه أى
ليعبأوا بآية آثار المساة
والكثرة فيها كقوله سمعت
وجوه الذين كفروا ليسوء شأى
وجزة وأبو بكر والضمير لله عز
وجل والاول وعدوا للبعث لنسوء
على (وليدخلوا المسجد) بيت
المقدس) كادخلوه أول مرة
وليتبروا ماعلوا لتبيرا) ماعلوا
مفعول ليتبروا أى ليتسكروا كل
شيء غلبوه واستولوا عليه أوبعنى
مدة علوهم

لشيعاء قل له اني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وانهم سيصبحون موق كاهنهم
 الاستنجار وب خمسة نفر من كتابه أحدهم يختصر فلما أصبحوا جاء صارخ يصرخ على
 باب المدينة يا ملاك بني اسرائيل ان الله قد كفالك عدوك فاخرج فان سنجار وب ومن معه
 هلكوا فخرج الملك والتمس سنجار وب فلم يوجد في الموق فبعث الملك في طلبه فادركه
 الطالب في مفازة ومعه خمسة نفر من كتابه أحدهم يختصر ففعلوهم في الجوامع ثم أتوا
 بهم الملك فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال
 استنجاب وب كيف رايت فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنت غافلون فقال
 سنجار وب قد أتاني خبر بكم ونصره أياكم ورجته التي رجتم بها قبل ان أخرج من
 بلادى فلم اطعم مرشدا ولم يلقني في الشقة الا قلته عقلى ولو سمعت أو عقلت ساغرت بكم
 فقال الملك صدقة الحمد لله رب العالمين الذي كفانا كبريا شاعرا وب بنالمتك ومن
 معك لكرامتك عليه ولكنه اغتابك ومن معك لتزدادوا شدة وفي الدنيا وعدا بانى
 الا خروعة لتخبروا ومن وراء كبريايت من فعل ربنا بكم فتمنوا من بعدكم ولو لا ذلك
 لتقلنا ومن معك ولدهك ودم من معك أهون على الله من دم قراذلو قلت ثم ان ملك
 بنى اسرائيل أمر أمير حرسه ان يعذب في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما
 حول بيت المقدس وابلياء وكان يرزقهم ثم في كل يوم خبز من شعير لكل رجل منهم
 فقال سنجار وب للملك صدقة التقتل خبر مما نحن فيه وما بفعل بنا قام بهم الى السجن
 فأوحى الله الى شيعاء النبي أن قل الملك بنى اسرائيل يرسل سنجار وب ومن معه ليدروا
 من وراءهم وليكرمهم وليخلصهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شيعاء للملك فخرج
 سنجار وب ومن معه حتى قدموا بابل فلما أقدم جمع الناس فآخبرهم كيف فعل الله
 بجنوده فقال له كسانه وسخريته يا ملاك بابل قد كنا نقص عليك خبرهم وهم وخبرناهم ووحى
 الله الى نبينا فلم نضعنا وهى أمة لا يستطيعها أحد معرهم وكان أمر سنجار وب تقوى
 لبني اسرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك نذرة وعبرة ثم ان سنجار وب لبث بعد ذلك
 سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه مختصر ابن ابنه فعمل بعمله وقضى بقضائه
 فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله الملك بنى اسرائيل صدقة فرج أمر بنى اسرائيل
 وتناثروا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشيعاء نبيا منهم لا يتلون منه فلما فعلوا ذلك
 قال الله لشيعاء قم في قومك حتى أوحى على اسنانك فلما قام أطلق الله اسنانه بالوحى فقال
 يا سماء استهوى يا أرض أنصتى فان الله يريد ان يقص شان بنى اسرائيل الذين رباهم
 بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالتنم الضائعة
 التي لا راع لها فاصروا شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسرهما ودأوى مريضها وأسمن
 مهرولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى
 لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر فويل لهذه الامة المخاطئة الذين لا يدرون ان جاءهم
 الحين ان البعر مما يذ كروطنه فينتابه وان الحمار مما يذ كرا لا رعى الذى يبيع عليه
 فيراجعه وان الثور مما يذ كرا المرح الذى سمن فيه فينتابه وان هؤلاء العوم لا يذ كرون

من حيث جاءهم الخبير وهم أولو الابواب والعقول ليسوا بغير ولا خبر واني ضارب لهم
مثلا قلبهم وعه قل كيف ترون في ارض كانت خرابا زمانا لا عمران فيها لو كان لها رب
حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تحترق ارضه وهو قوي أو يقال ضيع وهو
حكيم فاحاط عليها جدارا وسد فيها قصر أو أنبط فيها نهر اوصف فيها غراسا من الزيتون
والرمان والتخيل والاعناب والارنان الثمار كلها وولي ذلك واستخذه قهرا ذراعى وهممة
حقيقا قويا بالأمنا فلما طلعت جاء طلوعها خروبا فاقوا لوالها بيت الارض هذه فترى ان يهدم
جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كرا كانت أول
مخرج اباءه وانا لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ديني والقصر شر يعني وان النهر
كثاني وان القيم نبي وان الغراس هم وان الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة
واني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الي بدع
البقر والغنم وليس يشاقى اللحم ولا آكله ويدعون ان يتقربوا الي بالقوى والكف
عن ذبح الانفس التي حرمتها وأيديهم محضوبة منها ونيابهم مفرات يدماها يشيدون في
البيوت مساجد ويطهرون اجوافها ويحسون قلوبهم واجسادهم ويدسونها
ويرزقون في المساجد ويزينونها ويحربون عقولهم واخلاقهم ويفسدونها فاي حاجة
الي تشييد البيوت ولست أسكنها وأي حاجة الي تزويق المساجد ولست أدخلها لئلا تفرت
برفعها لاذكروا سمع فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا
فلم نزل صدقتنا ودعونا بمثل حنين الهمام ويكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لاستجاب
لنا قال الله فاسألهم ما الذي يعني ان استجب لهم استأسمع السامعين وأبصر
الناسخين واتقرب المجيبين وارحمهم الى حين في كيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه يقول
الزورون يقومون عليه بطعمة المحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من
يحاربني ويحادي ويبتلي عماري أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون
بأموال غيرهم انما آجر عليها أهلها المغضوبين أم كيف استجب لهم دعاءهم وانما هو
قولهم بالنسبة والفعل من ذلك بعيد وانما استجب للداعي الالين وانما اسمع قول
المستغف المستكين وان من علامة رضائي رضا المساكين يقولون لم سمعوا
كلامي وبلغتهم رسالتى انما قالوا بل مقولة وأحاديث متواترة وتاليف مما تولى
الحنكره والمكينة وزعموا انهم لو شاؤوا ان ياتوا بحدث مثله فعلوا ولو شاؤوا ان يطلعوا
على علم الغيب بما توحى اليهم للشياطين اطلعوا واني قد قضيت يوم خلقت السموات
والارض قضاء نفسي وحمتة على نفسي وجعلت دونه اجلا مؤجلا لبدئه واقعه فان
صدوقا فيها يتجلبون من علم الغيب فلم يخبروا متى أنفذه أو في أي زمان يكون وان كانوا
يتقدرون على ان يأتوا بما يشاؤون فلما تأمل هذه القدرة التي بها أمضيت فاني مظهره
على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يتقدرون على ان يؤلفوا ما يشاؤون
فيؤلفوا مثل هذه الحكمة التي أدر بها ذلك القضاء ان كانوا صادقين واني قد
قضيت يوم خلقت السماء والارض ان اجعل النبوة في الاجزاء وان اجعل الملك

في الرعاء والعز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهالة
 والحكمة في الاميين فلهذا هم متي هذا ومن القاشم هذا ومن أعوان هذا الامر وانصاره ان
 كانوا يملكون وانى باءت لذلك نبيا أميا ليس أعنى من عيمان ولا ضالان ضالين وليس
 بفظ ولا غلظ ولا صخب في الاسواق ولا تمرين بالفحش ولا قوال للثنا أسدده بكل جمل
 وأهله كل خالق كريم جعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة
 معقوله والصدق والوفاء طبعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق
 شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأجداسمه إلهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد
 الجهالة وأرفع به بعد الخلة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد
 العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأولف به بين قلوب مختلفة وأهواه شتى وأهم متفرقة
 واجمل أمته خبر أمة أخرجت للناس يارون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لى
 وايمانانى واخلاصا لى يصلون قياما وقعودا ورعوا كعبا وسجودا ويقفون فى سبيلى صوفيا
 وزجوا فاجرحون من ديارهم وأموالهم اشتاعا رضائى ألههم التكبير والتوحيد
 والتسبيح والتحميد والتكامل والمدح والتعجيد لى فى مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم
 ومقالبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقعدسون على رؤس الاشرف يظهرون لى
 الوجوه والاطراف ويعتدون لى الشباب على الانصاف قربانهم دما وهم وأناجيهم
 فى صدورهم رهبان بالليل ليوثبوا لها رذائل فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذوالفضل العظيم
 فلما فرغ شيعاء من مقاتلته عدوا عليه ليعتقوه فهرب منهم فلقية شجرة فاقبلت له
 فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ به سببه من ثوبه فاراهم اياها فوضعوها المشارفى
 وسفلها فشرروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله على بنى اسرائيل بعد
 ذلك رجلا منهم يقال له ناشا بن أموص وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط
 هرون بن عمران وذكر ابن اسحق أنه الحضر واسمه أرمياء سمي الحضر لانه جلس على
 فروة بيضاء فقام عنها وهى تهترخضاء فبعث الله أرمياء الى ذلك الملك ليدعوه ورسده
 ثم عظم الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى واستحلوا الحرام فادعى الله الى
 أرمياء ان انت قومك من بنى اسرائيل فاقصص عليهم ما أترك به وذكرهم نعمى
 وعرفهم باحد انهم فقال أرمياء ما رابى ضعيف ان لم تقبوني عاجزان لم تبغى مخذول
 ان تبصر بنى الله تعالى أولم تعلم ان الامور كلها تصدع من مشيتى وان القلوب
 والالسة يبدى ألقبها كيف شئت انى معك وان يصل اليك شئ معى فقسام أرمياء
 فيهم ولم يدري ما يقول فالهمة الله عز وجل فى الوقت خطبة بليغة بين لهم فى ثواب الطاعة
 وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل وانى خلقت بعزى لا يقصن لهم قتيعة
 بتعريفها الحامى ولا سلطان عليهم جبارا قابليا البسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة تبعه
 عدو مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى أرمياء انى مهلك بنى اسرائيل بياض وبياض
 من اهل بابل فسلط الله عليهم بختصر فخرج فى ستمائة الفارية ودخل بيت المقدس
 يحزنوه ووطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم وخر ببيت المقدس وامر جنوده ان

عيلا كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يغرقه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملأوه ثم أخرجهم
 أن يجتمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغيرو وكبير من بني
 اسرائيل فاختار منهم سبعين ألفا فصلى فلما خرجت غمامة جنده وأراد أن يقسمه فافهم
 قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمها كلها أو قسم بيننا هؤلاء الصبيان
 الذين اخترتهم من بني اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل
 منهم أربعة غلمان وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق ثلثا أخرجهم بالشام وثلثا
 سباهم وثلثا قتلهم وذهب بنات بيت المقدس وبالصبيان السبعين ألفا حتى أقدمهم
 بابل فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزل الله عز وجل بني اسرائيل بظلمهم فذلك قوله
 سبحانه وتعالى فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عادانا ولايأس شديد يعني يختصر
 وأصحابه ثم ان يختصر أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة أذ رأى شيا أصابه
 فأنساه الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزرايا وميشائيل وكانوا من ذراري الانبياء
 وأسألمهم عنها فقلوا أخبرناهم فاختبرك بناؤ بلها فقال ما ذكرها ولئن لم تختبر وفي بها
 وبنائو بلها لانزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله ونصرعوا اليه فاعلمهم الله
 بالذي سألم عنهم فخاؤه فقالوا رأيت عملا قدما وسافاهم فخا ورور كتمانهم وغداه من
 نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا
 فبينما أنت تنظر اليه وقد اعلم ان رسل الله يخبرون السماء فدقته فهي التي انتسكها
 قال صدقتم فبنائو بلها قالوا رأيت الملوك بعضهم كان ألين ملكا وبعضهم
 كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا والفخار أضعفه ثم فوقه الخحاس أشد منه
 ثم فوق الخحاس الفضة احسن من ذلك وافضل والذهب احسن من الفضة وافضل
 ثم الحديد ملكك فهو أشد واعز مما قبله والخبرة التي رأيت أرسل الله من السماء
 فدقته فبني بعثه الله من السماء فيدق ذلك الجع ويصير الام اليه ثم ان اهل بابل قالوا
 لختصر أرباب هؤلاء العلما من بني اسرائيل الذين سألك أن تعطيناهم ففعلت
 فانقاد انكسرنا نساء ناعنذ كانوا معنا القدر اننا نساء ناضرت وجوههن عنا اليهم
 فأخرجهم من بين أظهرنا وأوقلتهم فقال شأنكم بهم فمن احب منكم ان يقتل من كان
 في يده ففعل فلما قربوهم للقتل بكروا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا اصنا بنا
 البلاء بدنو بغيرنا وعدهم الله ان يجيهم فقتلوا الامن كان منهم مع مختصر منهم
 دانيال وحنانيا وعزرايا وميشائيل ثم لما أراد الله تعالى هلاك مختصر انبعث فقال
 لمن في يده من بني اسرائيل أرايتم هذا البيت الذي خربت والناس الذين قتلت منكم
 وما هذا البيت قالوا هو بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا
 فسلطت عليهم بدنو بهم وكان بهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم يكرههم
 ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهل كلهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبروا وتجبروا وطن
 انه يجبرونه فعل ذلك بني اسرائيل قال فاجبروني كيف لي أن اطلع الى السماء والعليا
 فاقبل من فيها واتخذها لي ملكا فاني قد فرغت من أهل الارض قالوا ما يقدر عليها أحد
 من الخلائق قال لتفعلن أولا تقتلهم عن آخرهم فبكروا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله

عز وجل عليه بقدرته بعوضة فدخلت مغفرة حتى عضت أم دماغه فما كان يقر ولا
يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاصفة على
أم دماغه لم ير الله العباد قدرته ونجى الله من بني إسرائيل في يده وردهم إلى
الشام فمنا فمناهم وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويرعون أن الله سبحانه
وتعالى أحياء أولئك الذين قتلوا فخرجوا بهم ثم انهم دخلوا الشام فدخلوها وليس معهم
من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان عزير من السببا بالذين كانوا يابل فلما
رجع إلى الشام جعل يبي إليه ونهاره وخرج عن الناس فيمنها هو كذلك أذبحه رجل
فقال له يا عزير ما بك قال أبي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا الذي
لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره قال أفتحب أن يرذل بك قال نعم قال ارجع قصم وتظهر وطهر
ثيابك ثم وعدك هذا المكان غدا فارجع عزير فقام وتظهر وطهر ثيابه ثم عمد إلى
المكان الذي وعدته فجلس فيه فأنا ذلك الرجل بأناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله إليه
ففسده من ذلك الأنا فقلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة
فأحبوه حبسا لم يحبو أحبه شيئا قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو إسرائيل بعد ذلك
يحدون الأحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففر يقياد يكونون وفريقا
يقبلون حتى كان آخر من بعث إليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام
وكانوا من بيت آل داود فزكريا مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقبلوه فرفضه الله من
بين أظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له
خردوش فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤساء
جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له اني قد كنت حلفت بالهسي لأن أنا
ظفرت على أهل بيت المقدس لا قتلهم حتى يسيل الدم في وسط عسكركي الآن لا لأجد
أحدا اقله فاره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس
فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسألهم عنه فقالوا
يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي أخبروني خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل
مننا ذلك يغلي ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة فقبل منا الا هذا فقال ما صدقتموني
فقالوا كان كقول زماننا قبل منا ولكن قد انقطع من الملك والنبوة والوحي فلذلك
لم يقبل منا فخرج بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من رؤسهم فلم
يهد الدم فامر بسبعمائة غلام من غلامهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فامر بسبعمائة آلف
من شبيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فقال رأى بيورزاذان ان الدم لا يهدأ قال
لهم يا بني إسرائيل وابلكم اصدقوني واضربوا على أمركم فقد طامسا ملككم في
الأرض تفعلون ما شئتم قبل ان لا أترك مشكنا فخن نار من ذكروا أني اقلته فلما رأوا
الجهد وشدة القتل صدقوا الخبر فقالوا ان هذا دم بني كان ينهنا عن أمور كثيرة من
سخط الله تعالى فلو كنا اطعناه كنا ارشدنا وكان يخبرنا عن أمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا
دمه فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتموني امثل
هذا نذمكم بكم منكم فلما علم بيورزاذان أنهم صدقوه خرسا جدا وقال لمن حوله أغلقوا

ابواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلا في بني اسرائيل ثم قال
 يا يحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك ومن قتل منهم فاهدأ
 تأذن ربك قبل أن لا أتقى من قومك أحدا الا قتلتهم فهدأ الدم يا ذن الله تعالى ورفع
 سور زادن عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وأيقنت انه لا رب غيره
 وقال لبني اسرائيل ان خردوش أمرنى أن أقتل منكم حتى تسبل دماؤكم وسط عسكره
 وانى لا تستطيع ان عصيه قالوا له افعل ما أمرت به فامرهم فخرروا خندا وأمرهم بالهم
 من الخيل والبعال والحجر والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سالت الدم في العسكر وأمر
 بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشى فلم يظن خردوش الا ان
 ما فى الخندق من دماء بني اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل الى سور زادن أن ارفع
 عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد أتى بني اسرائيل أو كاد أن يقتلهم وهى الواقعة
 الاخيرة التى أنزل الله على بني اسرائيل فى قوله لا تسفدن فى الارض مرتين فكانت الواقعة
 الاولى مختصرة وجنوده والاخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الواقعة فلم يقيم لهم
 بعد ذلك راية وانتقل الملك بالامم ونواحيها الى الروم واليونانيين الا أن بقايا بني
 اسرائيل كثروا وكانت لهم الرئاسة بيت المقدس ونواحيها على غير وجهه الملك وكانوا
 فى نعمة الى أن بدلوا واحدوا الاحداث فسلط الله عليهم طاطوس بن اسبينوس الرومى
 فخرّب بلادهم وطردهم عنها وزع الله عنهم الملك والرئاسة وضرب عليهم الذلة
 والمسكنة فاباشوا فى أمة الاوعايم الضعاف والجور بقى بيت المقدس خرابا الى خلافة
 عمر بن الخطاب فمهره المسلمون بامره وقيل فى سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بني
 اسرائيل كان يكرهه ويدنى مجلسه وان الملك هو بنى امرأته وقال ابن عباس انسة
 أخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن ذلك كحماها فبلغ ذلك أمها فخذت على يحيى وعمدت
 حين جاس الملك على شرا به فلبستها ثيابا رقاقا جارا وطيبتها وألبستها الحلى وأرسلتها
 الى الملك وأمر بها ان تسقيه فان هوراود هاجع نفسه أبت عليه حتى يعطيا ماسا له فاذا
 أعطاهما سالت سألت رأس يحيى بن زكريا يا وان يؤتى به فى طست فعملت فلما رآه ودها
 قالت لا أفعل حتى تعطىنى ما سألك قال فما سألتنى قالت رأس يحيى بن زكريا فى هذا
 الطست فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ما اريد غير هذا فاما أبت عليه بهت فأتى
 برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لا يحل لك فلما أصبح إذا دمه يغلى فامر
 بتراب فأتى عليه فرفق الدم يغلى فلا زال يغلى ويلقى عليه التراب وهو يغلى حتى بلغ سور
 المدينة وهو فى ذلك برقى ويغلى وسط الله عليهم - ملك بابل فخرّب بيت المقدس وقتل
 سبعين الفا حتى سكن دمه قوله عز وجل (عسى ربكم ان يرجكم) يعنى يأتى اسرائيل
 بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم (وان عدتم) اى الى المعصية (عدنا) اى الى العقوبة
 قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يد
 وهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) اى سجننا ومحسنا من المحصر الذى هو
 مجلس الجبس وقيل فراش من الحصير الذى يسبط ويفترش قوله تعالى (ان هذا القرآن

(عسى ربكم ان يرجكم) بعد
 للمرة الثانية ان تبتم توبة أخرى
 وان ترجتم عن المعاصى (وان
 عدتم) مرة بالثالثة (عدنا) الى
 عقوبةكم وقد عادوا فاعاد الله
 عليهم العقوبة ببسائط الا كسرة
 وضرب الاتاة عليهم وعن
 ابن عباس رضى الله عنهما سالت
 عليهم المؤمنون الى يوم القيامة
 (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)
 محسنا يقال للجن حصير
 وحصير (ان هذا القرآن

يهدي التي هي أقوم) للحالة التي هي أقوم المحالات وأسدها وهي توحيد الله والايان برسله والعمل بطاعته أو لئلا والطرقة
(ويشتر المؤمنون الذين يعملون الصالحات) ويشتر حزمة وعلى (أن لهم) بأن لهم (أجرا كبيرا) أي الجنة (وأن الذين) وبأن
الذين (لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا) أي اعتدنا فقلت تاء (لهم عذابا أليما) يعني النار والاية ترد القول بالمترلة بين المترلين
حيث ذكر المومنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة ٢٠٩ (ويدع الإنسان بالنذر دعاء بالخير) أي

ويدعو الله عند غضبه بالنذر على نفسه وأهله وماله وولده كي يدعو لهم بالخير أو يطلب النفع العاجل وإن قل بالنذر الأجل وإن جل (وكان الإنسان غولا) يسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأني فيه ثاني المتبصر أو أريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستجمل به كي يدعو بالخير إذا مضت الشدة وكان الإنسان غولا يعني أن العذاب آتية لا محالة فاذا الاستهزاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النذر من الحرث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب فضربت عنه صبرا وسقطوا أو أوعى يدع في الخط على موافقة اللفظ (وجعلنا الليل والنهار آيتين فخذونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) أي الليل والنهار آيتان في أنفسهما فكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للثنين كاضافة العدد إلى المعدود أي فخذونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة أو وجعلنا

يهدي التي هي أقوم) أي إلى الطريقة التي هي أصوب وقيل إلى الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله (ويشتر) يعني القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات) أي لهم أجرا كبيرا) يعني الجنة (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما) يعني النار (ويدع الإنسان) أي على نفسه وولده وماله (بالنذر) يعني قوله عند الغضب اللهم أهلك اللهم العنه ونحو ذلك (دعاء بالخير) أي كدعائه ربنا أن يهب له النعمة والعافية ولواستجاب الله دعاءه على نفسه له ذلك ولكن الله لا يستجيب بقضاه وكرمه (وكان الإنسان غولا) أي بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه خسر الأصابه على سره ولا ضراء قوله سبحانه وتعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي علامتين داليتين على وحدانيتهما وقد رتبا وفي معنى الآية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو أنه جعلهما دليلا للخلق على مصالح الدنيا والدين أما في الدين فلا في كل واحد منهما ما ضد الآخر فمما يرجع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على أنهما مديرا يدر بهما وقد رهما بالمقادير المخصوصة وأما في الدنيا فلا في مصالح العباد لا تتم إلا بهما ففي الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني أن يكون المراد وجعلنا نرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فخذونا آية الليل) أي جعلنا الليل نجو الفرض فطمسوا مظلمة الليل (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي تصرف فيه الأشياء بوضوح بينة قال ابن عباس جعل الله نورا الشمس سبعين خرا ونورا القمر كذلك فحيا من نور القمر تسعة وستين خرا فجعلها مع نور الشمس وحكي أن الله أمر جبريل فآثر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذي في القمر فقال هو أثر الخو (لتبغوا فضلا من ربكم) أي لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم والتصرف في معاشكم (واتعلموا) أي باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) أي ما تحتاجون إليه منه ولولا ذلك لماعلم أحد حساب الأوقات ولتغطت الأمور ولوترك الله الشمس والقمر ركخالقتهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدرك الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج والوقت لحلول الديون المؤجلة وتعلم أن الحساب ينبغي على أربع مرات الساعات والأيام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والأيام والساعات وليس بعد هذه المراتب إلا بسملة التكرار

٢٧ ن ث نرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فخذونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى الأشياء به رؤى بينة وجهه لئلا الشمس ذات شعاع يصر في ضوءها كل شيء (لتبغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار إلى التصرف في معاشكم (واتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعني حساب الأجل ومواسم الأعمال ولو كانا مثلين لماعرف الليل من النهار ولا استراح حراض المدخنين والتجار

(وكل شيء) مما تقترون اليه في دينكم وديانكم (فصلناه تفصيلا) بيناه بياناً غير ملتبس فان جازعنا لكم وما تر كمالكم حجة علينا
(وكل انسان الزمان طائرته) علمه (في عنته) ٢١٠ يعني ان عمله لازم له لزوم القلادة والغل للعنق لا يفلت عنه (وخرج له يوم

القيامة كتابا يلقيه) هو صفة
لكتابا يلقيه شامى (مشورا)
حال من يلقيه يعني غير مطوى
ليمكنه قراءته أو هو صفتان
للكتاب ونقول له (اقرأ كتابك)
أى كتاب أعمالك وكل يبعث
قارئاً (ص) في بنفسك اليوم
عليك الباء زائدة أى كفى
نفسك (حسباً) تميز وهو معنى
حاسب وعلى متعاقب به من قولك
حسب عليه كذا أو بمعنى
الكفاي وضع موضع الشهيد
فعمدى يعنى لان الشاهد بكفى
المدعى ما هو به واغدا كحسباً
لانه منزلة الشهيد والقاضى
والامراء الغالب ان يتولى
هذه الامور الرجال فكانت قبل
كفى نفسك رجلاً حسبياً أو
تؤول النفس بالخص (من)
اهتدى فانما يهتدى لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها) أى
فلهما ثواب الاخذ او عليها وبال
الضلال (ولا تزوروا زورا) أى
أى كل نفس حاملة وزرافغا
تجمل وزرها لا وز نفس أخرى
(وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا) وما يصح من ان تعذب
قوما عذاب استنحال في الدنيا لا
بعد ان ترسل اليهم رسولا يلزمهم
الحجة (واذا اردنا ان نهلك قرية)
أى أهل قرية (أمرناهم فيها)

(وكل شيء فصلناه تفصيلا) يعني وكل شيء تقترون اليه من أمر دينكم وديانكم قد بيناه
بياناً شافيا وبإيضاح غير ملتبس قبل ان يسجدوا وتعالى لما ذكر احوال آتيت الليل والنهار
وهما من وجهه دللان قاطعان على الاحيد ومن وجهه آخر نعمتان من الله تعالى على
أهل الدنيا وكل ذلك بفضل منه فلازم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا قوله عز وجل
(وكل انسان الزمان طائرته في عنته) قال ابن عباس علمه وما قدر عليه فهو لازم له ايما
كان وقيل خيره وشعره معه لا يفارقه حتى يحاسبه وقيل ما من مولود الا وفي عنته
ورقه مكتوب فيها شئ أو سعيد وقيل أرادنا طائرا تاضى عليه انه عاله وما هو صائر
اليه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعنى الزمان ما طار له
من عمله لزوم القلادة والغل لا يفلت عنه والعنق في قوله في عنته كناية عن اللزوم كما
يقال جعلت هذا في عنتك أى قلديك هذا العمل والزمنك الاحتفاظ به وانما خص
العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلادة والاطواق والغل مما يزين أو يشين
فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة او الخي في العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا
كان له كالغل في عنته وهو ما يشينه ويخرج له يقول تبارك وتعالى (وخرج له يوم
القيامة كتابا يلقيه مشورا) قيل بسطت للانسان صحفتان ووكيل به لمكان يحفظان
عليه حسنا به وسيئا به فاذا مات طويت الصحفتان وجعلنا معه في عنته فلا ينشر الى
يوم القيامة (اقرأ كتابك) أى يقال له اقرأ كتابك قيل بقرأوم القيامة من لم يكن
قارئاً (كفى بنفسك اليوم عليك حسباً) أى بحسب ما قال الحسن لقد عدل عليك (١)
من جعل لك حسب نفسك وقيل يقول الكفار انك است ظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب
نفسى فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسباً قوله سبحانه وتعالى (من)
اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) يعنى ان ثواب العمل الصالح
مختص بفعله وعقاب الذنب مختص بفعله أيضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى
(ولا تزوروا زورا) أى لا تتحمل حاملة ثقل أخرى من الاثام ولا يؤخذ أحد بذنب
أحد بل كل أحد مختص بذنبه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) لاقامة الحجة وقطعا
للعدو فيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالسبع لا العقل قوله سبحانه وتعالى (واذا اردنا
ان نهلك قرية) أمرناهم فيها) فى معنى الآية قولان أحدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم
ان لفظ الآية لا يدل على انه تعالى عساذا أمرهم فقال أكثر المفسرين معناه انه تعالى أمرهم
بالاعمال الصالحة وهى الامعان والطاعة وفعل الخير والقوم خالقوا ذلك الامر وفقوا
والقول الثانى أمرناهم فيها أى كثرنا فساقتها قال أم القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا
كثروا ومنه الحدبث خير المال مهرة أى كثيرة النتائج والنسل فعلى هذا قوله تعالى
أمرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذى يطره به النعمة وسعة العيش (ففسقوا فيها)

أى
متعمهين او جبارين بالطاعة عن أى عمرو والزجاج (فسقوا فيها) أى تمروا عن الامر كقولك امرته فعصى
او امرنا كثرنا ليله فقرأه يعقوب امرنا منه الحديث خير المال سكة ما بورة ومهرة ما مورة أى كثيرة النسل
(١) قوله عدل عليك هكذا فى الاصل الطبع وفى بعض النسخ اليك بدل عليك وفى الخطيب عدل والله فى حقك من الخ وفى
إلى كفى يا ابن آدم انصمت وأقمه من الخ اه مصحح

(حق عليها القول) فوجب عليها الوعيد (فدمناها تدميرا) فاهلكناها اهلا (كاد) مفعول (اهلكنا من القرون) بيان لكم (من بعد نوح) يعني عاد وحمود وغيرهما (وكفي بربك بذنوب عباده خيرا) وان اخفوها في الصدور (بصيرا) وان ارحوا عليهم السندور (من كان يريد العاجلة جعلناه فيها ما نشاء) ٢١١ لا ما يشاء (لمن يريد) بدل من له عادة

الحمار وهو بدل البعض من الكل اذ الضمير يرجع الى من ائمن كانت العاجلة همه ولم يردغيرها كالكفرة فغفلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقد المجل عشيته والمجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يمتنون بما يتنون ولا يبطون ولا يعاضونه وكثيرا منهم يمتنون بذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن التي فقد اختار غنى الآخرة فان اوتي حضا من الدنيا فمها والا فربما كان الفقر خيرا له (ثم جعلنا له جهنم في الآخرة) (بصلاها) يدخلها (مذموما) محموتا (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن ارادنا الاخرة وسعى لها سعيها) هو مفعول به اوحدها من السعي وكما هاهنا الاعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله في وعده وهو عيده (فأولئك) كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث وثمينة له ايمان ثابت وثمة صادقة وعمل مصيب وتلا الآية فانه شرط فيها ثلاث شرائط في

أخر جوامعها هم الله من الطاعة (حق عليها القول) أي وجب عليها العقاب (فدمناها تدميرا) أي اهلكناها اهلا استئصال والدمار الملاك والخراب (ق) عن أم المؤمنين زينب بنت جحش أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزاعزا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعه الانهام والي ثلثها قالت زينب قلت يا رسول الله انهلك وفيما الصالحون قال نعم اذا كثرت الخبيث قوله ويل للعرب ويل كلمة يقال لمن وقع في هلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله اذا كثرت الخبيث أي الشر قوله تعالى (وكم اهلكنا من القرون) أي المكذبة (من بعد نوح) وهم عاد وحمود وغيرهم من الامم الخالصة يخوف الله بذلك كفارا قرئش قال عبد الله بن أبي اوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول قرن يزيد بن معاوية في آخره وقيل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زالنا نعدله حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون (وكفي بربك بذنوب عباده خيرا بصيرا) يعني انه عالم بجميع المعلومات وجميع المراتب لا يخفى عليه شيء من احوال الخلق قوله عز وجل (من كان يريد العاجلة) أي الدار العاجلة يعني الدنيا (جعلنا له فيها ما يشاء) أي من البسط أو التقدير (لمن يريد) ان يفعل به ذلك او اهلا كه وقيل في معنى الآية تجعلنا له فيها ما يشاء لنريد أي التدمير الذي نشاء لنجعله له في الدنيا الذي يشاء هو ولن نريد أن نجعل له شيئا قد نزلناه وهذا من اراد بعمله ظاهر الدنيا ومنعتهما ويان ان من ارادها لا يدرك منها الا ما قدر له (ثم جعلنا له) أي في الآخرة (جهنم يصلها) أي يدخلها (مذموم مدحورا) أي مطرودا بما عدا قوله سبحانه وتعالى (ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها) أي عمل لها عملها (وهو مؤمن فأولئك) كان سعيهم مشكورا) أي مقبولا في الآية ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بعمله بأن يعقدها هو ويتجافى عن دار العزور والسعي فيما كان من الفعل والترك والايان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث وثمينة عمله ايمان ثابت وثمة صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية قوله عز وجل (كلا ذر هؤلاء وهؤلاء) أي غدا كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) يعني يرزقهما جميعا ثم يختلف الحال بينهما في المال (وما كان عطاء ربك مختورا) أي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء في الدنيا والا حظا للكاثر في الآخرة (انظر) يا محمد

كون السعي مشكورا ارادة الآخرة والسعي فيما كافوا الايمان الثابت (كلا) كل واحد من الفريقين والتوبين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب بقوله (غدهؤلاء) بدل من كلا أي غدهؤلاء (وهؤلاء) أي من اراد العاجلة له ومن اراد الآخرة (من عطاء ربك) رزقهم من تتعلق بمذو العطاء اسم للخطي أي نريد منهم من طاعتنا ونجعل الآخرة منه مدد السالف لانه قطع فترزق المطيع والماضي جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك مختورا) ممنوعا عن عباده وان عدا (انظر) بعين الاعتبار

(كيف فضلنا بعضهم على بعض) في المال والجاه والسعة والكمال (ولا آخره) كبر درجاته (كبر فضله) روى ان قوما من الاشراف قد دونهم اجتمعوا يبايعون عيسى بن علي رضي الله عنه فخرج الاذن ليلال وصحب فشق على ابي سفيان فقال سهل بن عمرو انما اتيتمنا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطأنا وهذا باب عرف كيف التفاوت في الآخرة فوائن حسد قومهم على باب عمر بن الخطاب في الجنة ٢١٢ اكثر (لا يجعل مع الله الها آخر) الخطاب للنبي صلى الله عليه

وسلم والمراد به امته (فبقدر مذموم ما خذولا) فخصر جامعا على نفسك الذم والخذلان وقيل مشتق من الالهانة محروما عن الاعانة اذا خذلان تضد النصر والعون دليله قوله تعالى ان ينصر الله كم فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعد حيث ذكركم الخذلان بقية بالنصر (وتضي ربك) وأمر امرأته طوعا به (لا تعبدوا الاياه) ان مفسرة ولا تعبدوا بنهي اوبان لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) واحدا نحو بالوالدين احسانا اوبان تحسنا وبالوالدين احسانا (انما يلحق عندك الكبير) انما هي ان الشريعة زدت عليها ديانا كمداتها ولما ادخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افسدت ان لم يصح دخولها ولا تقول ان تكرم زيدا بركم ولكن انما كرمته (احدهما) فاعل يملق وهو في قراءة حمزة وعلى يملق ان يدل من ألف التمجيد (الرجوع الى الوالدين) (وكلهما) عطف على احدهما فلا بد لا (فلا تلحقا) مدي وحفص افي مي وشاحي افي نيرهم

(كيف فضلنا بعضهم على بعض) أي في الرزق والعمل يعني طالب السادة وطالب الآخرة (ولا آخره) كبر درجاته (كبر فضله) يعني ان تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة كبر وأعظم فان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشبهه في طلب الدنيا فلا تنقوى وتشتهر رغبته في طلب الآخرة أولى لانها دار المقامة قوله تعالى (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الانسان مع الله الها آخر وهذا أولى (فبقدر مذموم) أي من غير حمد (مخذولا) أي بغير ناصر قوله سبحانه (وقضى ربك) أي وأمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه أو أوجب ربك وقيل معناه الحكم والخمز وقيل ووصى ربك وحى عن الخفاك انه قرأها ووصى ربك وقال انهم اصبوا الخوايا الصادق صار قافلهي قراءة على وابن مسعود قال الامام نضر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعد جد الانه يفتح باب أن التخر يف والتعير قد تطرق الى القرآن ولوحوزنا ذلك لارتفع الامان على القرآن وذلك يخرج عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين (لا تعبدوا الاياه) فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على غاية التعظيم ونهاية التعظيم لا يلحق الايمان بالانعام والافضل على عبادة ولا منع الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا) أي وأمر بالوالدين احسانا أي براهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما (انما يلحق عندك الكبير احدهما أو كلاهما) معناه انهما يلحقان الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة أشياء الاول قوله تعالى (فلا تلحقا) وهي كلمة تخبر وكرهاية وقيل ان اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب أو ماد ونفخت فيه ترابه تقول أف ثم نيم توسعوا يد هذه الكلمة الى كل مكروه يصل اليهم والثاني قوله (ولا تنهرهما) أي تنهرهما عايتا طمانه ما لا يعجبك قال نهره واتنهر بمعنى فان قلت المنع من التايف المنع من الاتنهار فساوجه الجمع قلت المراد من قوله (ولا تلحقا) المنع من اظهار الخالف في اظهار الخبر بالتأليل والكثير والمراد من قوله (ولا تنهرهما) المنع من اظهار الخالف في القول على سبيل الرد عليهما الثالث قوله (وكلهما أو كلاهما) أي احسنا جلا ابنا

وهو صوت يدل على تخفير فأكبر على أصل التقاء الساكنين والفتح للتخفيف والتنوين لارادة التذكير أي انخير كما تخبر او تركه لتعدي التمر يف أي تخفر التخفر المعلوم (ولا تنهرهما) ولا تنهرهما بما يتماطنه مما لا يعجبك والنهي وانهر اخوان (وكلهما) يدل التأنيف والنهر (قولوا كرميا) جملا لنا كما يقتضيه حسن الادب او هو ان يقول يا ابنا يا امه لا بدعوهما بما هما فانه من الجفا ولا ياسب به في غير وجهه كقالت عائشة رضي الله عنها تخلي ابو بكر كذا

وفائدة عندك انهم اذا اذاعوا كلامي ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنهه وذلك اشق عليه فهو
 ما موريا يستعمل معهم ما لين الحاق حتى لا يقول لهما اذا انجبر ما يستعذر منهما ان فضلا عما يريد عليه ولقد بلغ سبحانه
 في التوسية بهما حيث اقتضها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ٢١٣ ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرض في

أدنى كلمة تنفلت من المتخير
 مع موجبات الضرر ومع أحوال
 لا يكاد يصبر الانسان معها
 (واخفض لهما جناح الذل)
 أي اخفض لهما جناح كمال
 واخفض جناحك للأؤمنين
 فاضافه الى الذل كما اضعف
 حاتم الى الجود والمعنى واخفض
 لهما جناحك الذليل (من
 الرحمة) من فرط رحمتك لهما
 وعطفك عليهما لغيرهما
 واقترارهما اليوم الى من كان
 أفقر خاق الله اليهما بالاسرار
 وقال الزجاج وأن جانيك
 متذللان لهما من مبالغة في
 الرحمة لهما (وقل رب ارحهما
 كما ربياني صغيرا) ولا تكلف
 رحمتك عليهما الى لا يئس
 لهما وأدع الله بان يرحمهما رحمته
 الباقية وأجعل ذلك جزاء
 لرحمتهم عليهما في صغر ك
 وتريةتهما لك والمراعاة الخاطبة
 غيره عليه السلام والدعاء مختص
 بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا
 كافرين لانه يسترحم لهما بشرط
 الايمان وان يدعو الله لهما
 بالهداية وعن النبي صلى الله
 عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين
 وسخطه في سخطهما وروى
 بفعل البار ما شاء أن يفعل

كما يتصه حسن الادب معهم ما قيل هو بالعام ما لا يكتبه ما قيل هو ان يقول
 لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الغليظ الرابع قوله عز وجل (واخفض
 لهما جناح الذل) أي ازل لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحياه (من
 الرحمة) أي من الشفقة عليهم ما لكبرهما واقترارهما اليوم اليك كمن كنت في حال
 الصغر والضعف مقفرا اليهما الخامس قوله سبحانه وتعالى (وقل رب ارحهما
 كما ربياني صغيرا) أي ادع الله لهما ان يرحمهما برحمته الباقية وأدع الله اذا كانا مسلمين
 فاما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ في حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبي
 والذين آمنوا أن يستغفروا للأتقين ولو كانوا أولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بان
 يهديهما ما الى الله الاسلام فاذا هداهما فقد رجعما ما قيل في معنى هذه الآية ان الله سبحانه
 وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث اقتضها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفع بهما بالاحسان
 اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرض في أدنى كلمة تسوءهما وان يذل ويضع
 لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما

﴿فصل﴾ في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال
 أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أبوك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والدیه عند الكبر
 أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يحزى
 ولد أو ولدان لم تحته مملوكا فمشت به فيعتبه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء
 رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحى والدك قال نعم قال
 ففيهما فجاهد وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين
 وسخط الرب في سخط الوالدين أخرجه الترمذي وفوقه ما قال وهو أوضح عن أبي
 الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان
 شئت فضع ذلك الباب واحفضه أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله
 ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب الى الله تعالى
 قال الصلاة لو تم أملت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله تعالى
 قوله سبحانه وتعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أي من بر الوالدين واعتداهما يجب لهما من
 التوقير وعدم عقوقهما (ان تكونوا صالحين) أي ابرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر
 بعد تفصيل كان منكم في القيام بما لم يكن من حق الوالدين أو غيرهما أو قيل فرط منكم في

فان يدخل النار فيعمل العاق ما شاء ان يفعل فان يدخل الجنة وعنه عليه السلام اياكم وعقوا الوالدين فان الجنة يوجد جديهما
 من مسيرة ألف عام ولا يجد جديهما عاق ولا قاطع رحم ولا شيع زان ولا جازا زار ذملاء ان الكبرياء بالله رب العالمين (ربكم أعلم بما
 في نفوسكم) بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكرامة في خدمتهما (ان تكونوا صالحين) قاصدين
 اصلاح البر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر تهته تؤدى الى اذاهم ثم أتم الى الله واستغفرتهم

(فانه كان الاوابين غفورا) الاواب الذي ٢١٤ اذا اذنب باذرا الى التوبة فجاز ان يكون هذا عام لكل من فرط منه

حناية ثم تاب منها وندرج تحته
الجنائي على ابويه التسائب من
حنايته لوروده على اثره (وات
ذا القربى) منك (حقه) أى
النفقة اذا كانوا محارم فقراء
(والمسكين وابن السبيل) أى
وات هؤلاء حقهم من الزكاة
(ولا تنذر تبذرا) ولا تسرف
اسرافا قيل التبذير تفريق المال
في غير المحل الجل فمع مجاهد
لأنفق ما في باطل كان تبذرا
وقد أنفق بعضهم نفقة في خير
فأكثر فقال له صاحبه لاخير
في السرف فقال لا سرف في
الخير (ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين) أمثالهم
في الشرارة وهى غاية المذمة
لانه لا شر من الشيطان اؤهم
اخوانهم وامدقاقهم لانهم
يطعونهم فيما يأمرهم به من
الاسراف (وكان الشيطان
لربه كفورا) فإني ان
يطاع فانه لا يدعوا الى مثل
فعله (واما تعرض عنهم) وان
أعرضت عن ذى القربى
والمسكين وابن السبيل حياء
من الرد (ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها) قيل لهم قول لا يسرورا
أى وان أعرضت عنهم لفقد
رزقهم من ربك ترجوا أن يفتح
لثقتهم الرزق رحمة فردهم
ردا جلا فوضع الابتغاء موضع
الفتد لان فاقده الرزق مفتح
له فكان الفتد سبب الابتغاء

حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخفى لومته البشر مما يؤدى الى اذاهم ثم
أنبغ الى الله واستغفرتم مغفرة منكم (فانه كان للاوابين) للتوابين (غفورا) قال سعيد
ابن جبير في هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى ابويه لا يريد بذلك الا الخير فانه
لا يؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الاواب الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه
انه الرجاء الى الخير وقال ابن عباس الاواب الرجاء الى الله فيما يجتنبه ويتوبه وعنه انهم
المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الخصى يدل عليه ما روى عن
زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قضاء وهم يصلون الخصى
فقال صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال أخرجه وسلم قوله اذا رمضت الفصال يريد
ارتفاع الخصى وأن تحصى الرضاء وهو الرمل يحرق الشمس فتترك الفصال من الحر وشدة
الحرقه اخفافها والفصال جمع فصيل وهى أولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذى
يصل بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف
بالمسلمين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاوابين قوله سبحانه وتعالى (وأت
ذا القربى حقهم والمسكين وابن السبيل) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله
سبحانه وتعالى ان يؤتي أقاربهم حقهم وقيل انه خطاب لكل وهو انه سبحانه وتعالى
وصى بعدد الوالدين بالقرابة أن يؤتوا حقهم من صلاته والرحم والمودة والزياره وحسن
المعاشرة والمؤاتاة على السراء والضراء والمعاونة وتحذ ذلك وقيل ان كانوا يحاويج
وهو موسر لزمه الانفاق عليهم وهو مذهب أى خيفة قال الشافعى رضى الله تعالى
عنه لا تلزم النفقة الا للوالد على ولده أو ولد على والده بحسب وقيل أراد بالقرابة قرابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل (ولا تنذر
تبذرا) أى لا تنفق مالا في المعصية وقيل لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا
ولو أنفق درهمين في باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق
المال في غير حقه وقيل هو انفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم
أنفق نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لاخير في السرف فقال لا سرف في الخير (ان
المبذرين كانوا اخوان الشياطين) يعنى أولياءهم وأصدقاءهم لانهم طيعوهم فيما
يأمرهم به من الاسراف وقيل أمثالهم في الشر وهذه غاية المذمة لانه لا شر من
الشياطين والعرب تقول لكل من هو لازم سنة قوم هو اخوهم (وكان الشيطان
لربه كفورا) أى جود النعمة فإني ان يطاع لا يهدي الى مثل عمله قوله عز وجل
(واما تعرض عنهم) نزلت في ههجع وبال وصبه وسلم وخبايا كانوا يسألون النبي
صلى الله عليه وسلم في الاحايين فيما يحتاجون اليه ولا يجدون عرض عنهم حياء منهم ويعسك
عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين أمرت أن تؤتيهم
(ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أى انتظروا رزق من الله ترجوه ان أنيسك (فقل لهم
قولا يسورا) أى ليأجلا أى عدهم وعدا طيبا تطيب به قلوبهم وقيل هو ان يقول

والابتغاء سببنا منه فوضع السبب موضع السبب يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل وتحسن فهو مهول وقيل رزقا
معاقل لهم رزقا لله واياكم من فضله على أنه دعاء لهم يسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسر وهو الاسرى دعاء فيه

يسروا ابتغاء مفعول له او مصدر في موضع الحال وترجوها حال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط)
كل نصب على المصدر لضافته اليه وهذا قيل لمنع التخيخ واعطاء المصرف امر بالاعتقاد الذي هو بين الاسراف والتقتير
(فتقدمه لولما) فتصير مفعولاً عند الله لان المصرف غير مضي عنده وعند ١٥ : الناس يقول الفقير اعطى فلان او مضي

و يقول الغني ما يحسن تدبير
أمر العيشة وعند نفسك اذا
احتجبت فقدمت على ما غفلت
(محسوراً) منقطعاً بلك لاشئ
عندك من حرمه السفر اذا أمر
فيه اثر بالبقاء أو أجاز يا من حرم
رأسه وقد غا طرت مسلمة ضرتها
اليهودية في انه يعني بمجده عليه
السلام أجود من موسى عليه
السلام فبعثت ابنتها تسأله
قيصه الذي عليه فدفعه وقعد
عربانيا فقامت الصلاة فلم يخرج
للصلاة فترأت ثم سلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان
ذلك ليس هو ان منك عليه
ولا يضل به عليك ولكن لان
بسط الارزاق وقدرها مفوض
الى الله تعالى فقال (ان
ربك يبسط الرزق لمن يشاء)
فليس البسط اليك (و يقدر)
أي هو ضيق قبال لوم عليك
(انه كان بعباده خبيراً)
بمصابيحهم فيمضيها (بصيراً)
بحوائجهم فيمضيها (ولا تقتلوا
أولادكم) قتلهم أولادهم
وأدهم بناتهم (خشية املاق)
فقرر (نحن نرزقهم ومايا كم)
نهامهم عن ذلك وضمن أرزاقهم
(ان قتلهم كان خطأ كبيراً)
انما عظيم ما يقال خطئ

رؤفنا الله ويايأ كم من فضله قوله سبحانه وتعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) قال
جابر أني صبي فقال يا رسول الله اني أمتكس بك درعاً ولم يكن لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الا قيضه فقال لصبي من ساعة الى ساعة يظهر كذا فبعد البنا وقتاً آخر فعد
الى أمه فقالت قل له اني أمتكس بك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم داره وترع قيضه وأعطاه وقعد عربانيا فاذا بال صلاة وانظره فلم يخرج
فشغل قلبه أصحابه فدخل عليه بعضهم فزأعربانيا فانزل الله سبحانه وتعالى هذه
الآية (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أي أمتكسك يدك عن الثقة في الحق والخير
كالعقولة يده لا يقدر على مدها) (ولا تبسطها) أي بالاعطاء (كل البسط) أي قطة على
جميع ما عندك وقيل هذا قيل لمنع التخيخ واعطاء المصرف أمر بالاعتقاد الذي هو بين
الاسراف والتقتير (فتقدمه لولما) أي عند الله لان المصرف غير مضي عنده وتسل مفعولاً
عند نفسك وأصحابك أيضاً بلومك على تضيق المال بالكفاية وقيل بلومك سائلوك
على الامساك اذ لم تعطهم (محسوراً) أي منقطعاً عما لاشئ عندك تنفقه وقيل محسوراً أي
نادماً على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضافة
بان ذلك ليس هو ان بك عليه ولا يضل منه عاين فقال تعالى (ان ربك يبسط) أي يوسع
(الرزق من يشاء و يقدر) أي يقترو يضيق وذلك لصلحة العباد (انه كان بعباده خبيراً
بصيراً) يعني انه سبحانه وتعالى عالم باحوال جميع عباده وما يصلحهم فالتفاوت في أرزاق
العباد ليس لاجل الخليل بل لاجل رعاية مصالح العباد قوله عز وجل (ولا تقتلوا أولادكم
خشية املاق) أي فاقة و فقر (نحن نرزقهم ومايا كم) وذلك لان أفضل المحاليسه كانوا
يبدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من التلبس والغارات أو ان ينسكحون من غير
اكفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهم وقال نحن نرزقهم
ويايأ كم يعني ان الارزاق بيد الله فكأنه فتح ابواب الرزق على الرجال فكذلك يفتح على
النساء (ان قتلهم كان خطأ كبيراً) أي انما كبيراً (ولا تقر بوا الزنا انه كان فاحشة)
أي فيجوز اذاعة على حد القبح (وساء سبيلاً) أي يسر طريقاً يقطر بقة وهو ان تعصب
امراً عن غيرك أو اخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله
تعالى قبل ان الزنا يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية والاحباب المحذ على نفسه
ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولده من هو ولا يقوم أحد بترتيبه وذلك يوجب
ضاياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم قوله عز وجل (ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الاباحثي) الاصل في القتل هو الحرمة المعلقة وحل القتل انما
ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى

خطأ كائناً ما كان وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطا بالمد والأكبر مكي (ولا تقر بوا
الزنا) القصر فيه أكثر والمد لدغته وقد ترى به وهو مني عن دواعي الزنا كالسبب والقسلة وتحموهما ولو اراد الله ان يذنب عن نفسه
الزنا قال ولا تزنوا (انه كان فاحشة) معصية تجاوز حد الشرع والعقل (وساء سبيلاً) وبس طريق يقطر بقة (ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الاباحثي) أي بار تكسب ما يبيح الدم

(ومن قتل مظلوماً) غير من تسب ما يبيع الدم (فقد جعلنا أوليه سلطاناً) تسلط على القاتل في الاقتصاص منه (فلا يعرف في القتل) الضمير لا لولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية أو الأسراف المثلة والضمير للقاتل الأول فلا تسرف حجة وعلى على خطاب ٢١٦ الولي أو قاتل المظلوم (انه كان منصورا) الضمير لا لولي أي حسبه

الحاجة التي يحصل فيها محل القتل وهي الأسباب العرضية فقال لا يلحق أي الاباحدي ثلاث كجروى عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله الا الله وأنى رسول الله الاباحدي ثلاث التيب الزاقي والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة أخر جاه في الصحيحين (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) أي قوة ولا يعلى القاتل بالقتل وقبيل سلطانه وأنه يتخير فإن شاء استفاده منه وإن شاء أخذ الدية وإن شاء عفا (فلا يسرف في القتل) أي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قتل منهم قتيلاً لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه وقبيل معناه إذا كان القاتل واحداً فلا يقتل به جماعة بل واحد واحد وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفاً فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقرائه وقبيل معناه أنه لا يمثل بالقاتل (انه كان منصورا) قيل الضمير راجع للمقتول ظاهراً يعني أنه منصور في الدنيا بايجاب الله ودعوى قاتله وفي الآخرة يتكفّر خطاياهم وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع إلى ولي المقتول معناه أنه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية وقيل في قوله فلا يسرف في القتل أراد به القاتل المتعدي بالقتل بغير الحق فإنه إن فعل ذلك فولى القتل منصوص ومن قبل عليه باستيفاء القصاص منه قوله سبحانه وتعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلى اليتيم أي بالطريقة التي هي أحسن وهي تبيته وحفظه عليه حتى يبلغ أشده) وهو بلوغ الشك والبراديلوغ الأشد كمال عقله له ورشده بحيث يمكنه القيام بما حاش عاقله والالتزم على عباده (وأوفوا بالعهد) أي الاتيان بما أمر الله به والانتفاء عما نهى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلزمه الإنسان على نفسه (ان العهد كان مسؤولاً) أي عنه وقيل مطلقاً أو قبل العهد يستعمل يقال فم يقضت كالموعدة يستعمل فم قبلت قوله عز وجل (وأوفوا الكيل إذا كنتم المراد منه تمام الكيل (وزنوا بالثمن المستقيم) قيل هو الميزان صغيراً كان أو كبيراً من ميزان الدراهم إلى ساهراً كبيراً منه وقيل هو الثبان قيل هو رومي وقيل سرياني والأصح أنه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل أي وزنوا بالعدل المستقيم واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على المتعاملين الاحتراز عنه وإلغاء قيم الوعد فيه لأن جميع الناس يحتاجون إلى المعامضات والبيع والشراء فالشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان سعياً في إبقاء الأموال على أربابها (ذلك خير وأحسن تأويلاً) أي أحسن عاقبة من آلا إذا رجع وهو ما يؤول إليه أمره قوله سبحانه وتعالى (ولا تقف) أي ولا تتبع (ماديس للثب عليه) أي لا تقبل رأيت

ان الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستد على ذلك أو لظلم أي الله نصره حيث أوجب القصاص بقتله ونصره في الآخرة بالثواب أول الذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فإنه كان منه ربا بايجاب القصاص على المسرف وظاهر الآية يقتل على ان القصاص يجري بين الحر والعبد وبين المسلم والذمي لأن نفس أهل الدمة والعبد داخلان في الآية لكونها حكمة (ولا تقربوا مال اليتيم إلى اليتيم أي إلى أحسن) بالحصول أو الطريقة التي هي أحسن وهي حفظه وتربيته (حتى يبلغ أشده) أي عاقله عشرة سنة (وأوفوا بالعهد) بأوامر الله تعالى ونهيه (ان العهد كان مسؤولاً) مطلقاً بايجاب من المعاهد أن لا يضيعه وفيه بأوامر صاحب العهد كان مسؤولاً وأوفوا الكيل إذا كنتم وزنوا بالثمن المستقيم) بكسر القاف حجة قوية على وجوب وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القسطون أي الثبان (المستقيم) المعتدل (ذلك خير)

في الدنيا (وأحسن تأويلاً) عاقبة وهو تفصيل من آلا إذا رجع وهو ما يؤول إليه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا ولم تتبع ما لم تعلم أي لا تقبل رأيت وما رأيت وسعيت وما سمعت وعن ابن الحنفية لا تشهد الزور وعن ابن عباس لا نرم أحد بما لا نعلم ولا يصح التثبت به لمثل الاجتهاد لأن ذلك نullo عن العلم فإن علمتموه من مؤمنات وقام الشارح غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كخافي الشهادة وإن أتى العمل بخبر الواحد لم نكرنا

(ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) أولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد لان أولئك كما يكون اشارة الى العقلية يكون اشارة الى غيرهم تقول جرير ذم المنازل بعدم منزلة الاولى * ٢١٧ والعيش بعد أولئك الايام وعنه في

موضع الرفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسؤولا عنه فمستل منسدا الى الجار والجورور كالعضو بغير غير المضروب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه كذا في الكشف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والجورور انما يقومان مقام الفاعل اذا تفاعلان الفعل فاما اذا تقدم فاعلا (ولا تمش في الارض مرحا) هو حال أى ذامر ح (انك لن تخسرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك (ولن تبلى الجبال طولا) بتناولك وهو تهكم بالتحلل او ان تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل او المفعول (كل ذلك كن سبيته) كوفى وشامى على اضافته الى أى ضمير كل سبيته غيرهم (عندرك مكروها) ذكر مكروها لان السبيته في حكم الاسماء منزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيدهم الا ان تقول الزنا سبيته كما تقول السرقة سبيته فان قلت الحاصل المذكورة بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سبيته بالاضافة الى ما كان من المذكورة سيئا كان عند الله

ولم ترو سمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لا تروم احدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو اخذ من القفا كانه يفتقوا الامور ويتبعها ويعرفها والمراذله لا يتكلم في أحد بالظن (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) معناه يستل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يستل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة الى أولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول ترجع الى أربابها عن شكل بن جسيم قال أنبأ النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني نعو بهذا فهو ذنبه قال فاخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر فؤادي وشر لساني وشر قلبي وشر نبي قال فحفته بأخرجه أبو دودا والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله وشر نبي يعنى ماءه وذكره قوله عز وجل (ولا تمش في الارض مرحا) أى بطر او كبر او خيلاء (انك لن تخسرق الارض) أى لن تقطعها بكبرك حتى تبلى آخرها (ولن تبلى الجبال طولا) أى لا تقدر ان تطاول الجبال وتساووا بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال كبره بطر مشا كمن يريد خرق الارض ومطاوله الجبال لا يحصل على شئ وقيل ان الذى يمشى تحت الايشى مرة على عقبيه مرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلى الجبال طولا لان مشيت على صدور قدميه عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تسكفا تسكفا كأنما ينحط من صلب أخرجه الترمذي في السماء ثل قوله تسكفا التسكفا التهايل في المشى الى قدام وقوله كأنما ينحط من صلب هو قريب من التسكفا أى كانه ينحدر من موضع عال عن أى هربه قال مارأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تحرق في وجهه ومأرايت أحدا أسرع من مشيه من رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا نتجهدا نفسا وانه لغيره كثر أخرجه الترمذي قوله لغيره كثر أى شاق والاكثر الامر الذى يشق على الانسان (كل ذلك كان سبيته عندرك مكروها) أى ما ذكر من الامور التى نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قيل سبيته مع قوله مكروها قلت قيل فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروها سبيته عندرك مكروها أى التذكر بل على الصفة أى كل ذلك كان سبيته وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السبيته الذنب وهو مذكور قوله سبحانه وتعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الامور والنواهي في هذه الآيات (عما أوحى اليك من الحكمة) أى ان الاحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان والمال لا تقبل النسخ والابطال فساكنات محكمة وحكمة هي هذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه الآيات كانت في الواح وسى عليه السلام اولها ولا تجعل مع الله الها آخى فقال الله سبحانه

٢٨ ن ث مكرها فما وجهه قرأ من قرأ سبيته قلت كل ذلك الحاطة بما نهى عنه خاصة لا يجمع الحاصل الممدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخى الى هذا المعنى (عما أوحى اليك من الحكمة)

بما يحكم العقل بصفته وتصلح النفس بأسوته (ولا تجعل مع الله الها آخر فقل في جهنم ما أوما مدحورا) مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثعاني عشرة آية كانت في الأرواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله الها آخر وأخرها مدحورا وقد جعلت فاجتها وخاتمتها النبي عن الشرك لأن التوحيد رأس كل حكمة ولا كما ومن عدمه لم تنفعه حكمة وإن بدفها الحكماء وحلج بياضه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله ٢١٨ (أفأصفاكم بكنى البنين) الهمزة لانكاركم يعني أنفخكم

وَتَعَالَى كِتَابُهُ فِي الْإِلَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَظْمَةٌ وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سَجَانُهُ وَتَعَالَى أَفْتَحَهُ هَذِهِ
الْآيَاتُ بِالْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ وَالدُّعَاءِ إِلَى عَنِ الشِّرْكِ وَخَتْمَهَا بِالْقَصْدِ وَمِنْهُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ
كُلَّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ يَحِبُّ أَنْ يَكْرِفَهُ التَّوْحِيدُ لَا يَرَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ وَمَلَا كَمَا وَمِنْ عَدَمِهِمْ
يَنْفَعُهُ شَيْءٌ ثُمَّ إِنَّ سَجَانَهُ وَتَعَالَى ذِكْرُ الْآيَةِ الْأُولَى أَنَّ الشِّرْكَ يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ صَاحِبَهُ
مَذْمُومًا مَخْذُولًا وَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْفِلَ فِي جَهَنَّمَ مَوْلَاكُمْ
مَدْحُورًا) وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَذْمُومِ وَالْمَذْمُومِ كَوْنُهُ مَذْمُومًا فَعَنْهُ أَنْ يَذْكُرَ أَنَّ الْفِعْلَ
الَّذِي أَقْدَمَ عَلَيْهِ قَبِيحٌ وَمَنْ يَذْكُرُ فَيُذَكِّرُ عَنْهُ كَوْنُهُ مَذْمُومًا يَحْتَاجُ إِلَى الْقَوْلِ لَمْ يَفْعَلْ هَذَا الْفِعْلَ
الْقَبِيحُ وَمَا الَّذِي جَاءَ عَلَيْهِ وَهَذَا هُوَ الْأَوَّلُ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَخْذُولِ وَالْمَذْهُورِ أَنَّ الْمَخْذُولَ
هُوَ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ وَالْمَذْهُورُ هُوَ الْمَعْدُومُ وَدَعْنِ كُلِّ خَيْرٍ قَوْلُهُ سَجَانَهُ وَتَعَالَى
(أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ) بِعَنِ الْفَضْلِ وَاخْتَارَ كَيْفَ فَعَلَ لِكُلِّ الصَّفْوَةِ وَنَفْسِهِ مَا لَيْسَ بِصَفْوَةٍ
(بِالْبَيْنِ) بِعَنِ اخْتِصَارِ الْفَضْلِ الْأَوَّلِ وَهُوَ بَيْنُ الْبَيْنِ (وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا) لَأَنَّهُمْ
كَانُوا يَقُولُونَ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ مَعَ عَلَيْهِمْ بَانَ اللَّهُ سَجَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالْكَفَالِ
الَّذِي لَا نَهْيَا لَهُ وَهَذَا يُدِيلُ عَلَى نَهْيِهَا بِعَنِ الْقَائِلِينَ بِهَذَا الْقَوْلِ (أَنْتُمْ تَقُولُونَ قَوْلًا
عَظِيمًا) يَحْتَاطُ بِشِرْكِكُمْ بِكَ بِعَنِ بَاضَا فَتَمُّ إِلَيْهِ الْأَوَّلِ وَهُوَ خَاصَّةٌ بِالْأَجْسَامِ ثُمَّ أَنَّهُمْ
يُفَضِّلُونَ عَلَيْهِ نَفْسَهُمْ حَيْثُ يَجْعَلُونَ لَهُ مَا يَكْرَهُونَ لَأَنَّهُمْ بِعَنِ الْبَنَاتِ قَوْلُهُ سَجَانَهُ
وَتَعَالَى (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ) بِعَنِ الْعِبَرِ وَالْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَحْكَامِ وَالْحُجُجِ
وَالْإِسْلَامِ وَالتَّشْدِيدِ فِي صِرْفِ الْمَلِكِ كَثِيرًا وَالتَّكْرِيرَ (لِيَذْكُرُوا) أَيْ لِيُتَقَرَّرُوا وَيُعْتَبَرُوا
(وَمَا يَزِيدُهُمْ) أَيْ تَصْرِيفًا وَتَدْبِيرًا كَيْفَا (لَا يَنْفِرُوا) أَيْ تَعَادَعًا عَنِ الْحَقِّ (قُلْ) أَيْ قُلْ
بِأَعْمَدٍ قَوْلًا مُشْرِكِينَ (لَوْ كَانَ دَعَاءُ أَهْلِهَا كَقَوْلِهِمْ إِذَا لَبِغُوا) أَيْ أَطْلَبُوا بِعَنِ هُؤُلَاءِ
الْأَهْلِ (إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) أَيْ بِالْمُتَابَعَةِ وَالْقَهْرِ لِيُزِيلُوا عَنْكَ كَقَوْلِهِمْ مُلُوكُ الدُّنْيَا
بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَقَبْلَ مَعْنَاهُ لَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ وَقَبْلَ مَعْنَاهُ لَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ فَضْلُهُ فَاتَّبَعُوا
بِقَرَّبِهِمْ إِلَيْهِ وَالْأَوَّلُ أَحَدٌ مِنْهُ نَفْسُهُ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ (سَجَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلَا
كَبِيرًا) بِعَنِ وَصْفِهِ بِذَلِكَ الْمُبَالَغَةِ فِي الْبَرَاءَةِ وَالْعَدَمِ أَصْفَوْهُ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (سَجَعِ
إِلَى سَمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ) بِعَنِ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ (وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
سَجَعُ بِحَمْدِهِ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا السَّبْعُ بِحَمْدِهِ وَقَبْلَ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ

المالك والروبية سيدا بالمعالية كما فعل الملوك بعضهم مع بعض أولئك القوم الذين كتبه أولئك الذين والنباتات
يدعون يتبعون إلى ربهم الوسيلة وإذا الله على أن ما بعدها وهو لا يشعروا بأنهم قائلون المشركين وجزاء الله سبحانه وتعالى
بما يقولون) وبالله التمسك وعلى (علو) أي تعالى بالمراد البراءة من ذلك والتزهة (كبيرة) وصف العلوم بالكبرياء في
معنى البراءة والبعد وصفه به (يسبح) وبالله تعالى غيري بذكر (ال) السموات السبع والأرض ومن فيهن وأن من شئ
اليسبح بحمده) أي يقول سبحانه الله بحمده عن النبي قال عليه السلام الصلوة حروف الجود ولا طائر يطير

الامباضيع من تسبيح الله تعالى (ولكن لانهم تسبيحهم) لاختلاف ٢١٩ اللغات أولتهم الادراك أو سبب

لتسبيح الناظر اليه والدال على
التخير كقاعله والوجه الاول
(انه كان حليما) عن جهل
العباد (غفورا) لغفول المؤمنين
(واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجابا مستورا) ذاستروا حجابا
لا يرى فهم مستور (وجعلنا
على قلوبهم أكمة) جمع كتمان
وهو الذي يستتر شيء (أن
يقفهوه) كراهة ان يقفهوه
(وفي آذانهم وقرا) ثقلا يمنع عن
الاستماع (واذا ذكرت ربك
في القرآن وحدهم) يقال وحده
يحد وحده واحد متفر وعده
وعدا وعدة فهو مصدر وحده
الحال أصليه يحد وحده بمعنى
واحد (ولو ألقى آياتهم)
رجعوا على أعقابهم -م- (نفورا)
مصدر بمعنى التواضع أو جمع
ناظر كقاعله وقود أي يحبون
أن تذكرهم آلهتهم لأنهم
مشركون فإذا سمعوا بالوحيد
نفروا (نحن أعلم بما يستمعون به)
أي نحن أعلم بالحال والمراقبة
التي يستمعون القدر أن به
فان القرآن هو المستمع وهو
مخدوف به حار وبيان لما أي
يستمعون القرآن هاتين
لأحاديث والواجب عليهم أن
يستمعوه جادين (أن يستمعوا
البك) نصب بأعلم أي أعلم
وقت استماعهم بما به يستمعون
(واذ هم يخجرون) وبما يتناجون
به إذ هم ذوو يخجرون

والنباتات قبل ان الشجرة تسبح والاصطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح ما لم يبتل
فاذا ابتل ترك التسبيح وان الحجرة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت ترك التسبيح
وان النورقة تسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت ترك التسبيح وان الميا يسبح ما دام
حار فاذا برد ترك التسبيح وان الثوب يسبح ما دام حديدا فاذا أصبح ترك التسبيح وان
الوحش والطير تسبح اذا صاحت فاذا سكنت ترك التسبيح وقيل وان من شيء فجاد
أوحى الا يسبح بحمده حتى صر بالباب ونقض السقف وقيل كل الاشياء تسبح الله
حيوانا كان أو جمادا وتسبيحها سبحان الله وحمده ويدل على ذلك ما روي عن ابن
مسعود قال كنا بعد الايات بركة وأنتم تعدونها تخويها كننا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر فقتل الماء فقالوا لماء فاضله من ماء فغوا باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى
الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حتى على الظهور المبارك والبركة من الله فلقدرت الماء
ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم واقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو
يؤكل أخرجه البخاري (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مكة
حجرا كان يسلم على ليلى بعثت وأنى لا عرفه الا الآن (خ) عن ابن عمر قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحط إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه حتى الجذع فأتاه فبج
بيده عليه وفي رواية فقل فاحتضنه وسار به شيء ففي هذه الأحاديث دليل على أن الجماد
يتكلم وأنه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات والأرض والجمادات والحجوات
سوى العتلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته وأليف حكمته فكانها
تنطق بذلك وتبصر لها بغزلة التسبيح والقول الاول أصح لمادات عليه الأحاديث وأنه
منقول عن السلف وأعلم أن الله تعالى علما في الجمادات لا ينف عليه غيره فينبغي أن
نكمل علمه الله وقوله تعالى (ولكن لانهم تسبيحهم) أي لا تعلمون ولا تفهمون
تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغتهم ولسانكم (انه كان خليفا غفورا) أي حيث لم يعاجلكم
بالعقوبة على غفلةكم وجهلكم بالتسبيح قوله عز وجل (واذا قرأت القرآن جعلنا
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أي يحجب قلوبهم عن فهمه
والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روي عن سعد بن جبير
أنه قال لما نزلت آية التي لم يأتها إلى لم يأتها معهما حجروا النبي صلى الله عليه
وسلم مع أي بكرهم ثم قالت لاني بكر ابن صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال لها أبو بكر
والله ما طبق بالشرع ولا يتروله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ
رأسه فقتل أبو بكر ما رأيت يا رسول الله قال لا لمزل ملك يميني ويديها (وجعلنا على
قلوبهم أكمة) أي أغطيه (أن يقفهوه) أي أثلا يقفهوه (وفي آذانهم وقرا) أي ثقلا لئلا
يسمعوه (واذا ذكر ربك في القرآن وحدهم) يعني اذا قلت لا اله الا الله وانت تلو
القرآن (ولو ألقى آياتهم نفورا) جمع نافر (نحن أعلم بما يستمعون به) أي من الهمة
بك وبالقرآن وقيل معناه نحن أعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو التذنب (اذ
يستمعون البك) أي وأنت تقرأ القرآن (واذ هم يخجرون) أي وما يتناجون به في أمرك
وقيل معناه ذوو يخجرون بعضهم يقول ويخجرون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم

(اذ يقول الضالمون) بدل من اذهم (ان تبعون الارجله مسحورا) مسخرين (انظر كيف ضر بوالك الامثال) مثله لو
بالشاعر والساحر والمجنون (فصلوا فلا يستطيعون سبيلا) اى فصلوا في جميع ذلك ضلالا من ضلالت في التيه طريقا
يسلكه فلا يقدر عليه فهو مخير في امره لا يدري ٢٢٠ ما يصنع (وقالوا) اى منكم والبعث (انذا كنا عظاما ورفاتا اثنا

المعوثون خلقا جديدا) اى
مجددا وخلقنا حال اى مخلوقين
(قل كونوا بحجارة او حديد
او خلقنا مما يكره صدوركم)
اى السموات والارض فانها
تذكر عندكم عن قبول الحياة
(فسيقولون من بعدنا قل)
بعمدكم الذى فطركم اول مرة
والعننى انكم تسجدون ان
يحمد الله خلقكم وورده الى
حال الحياة بعدما كنتم عظاما
بابسة مع ان المظالم بعض
أجزاء المحي بل هى عود خلقه
الذى بنى عليه سائر فلس
يبدع ان يرد الله بقدرته الى
الحالة الاولى ولكن لو كنتم
ابعد شئ من الحياة وهوان
تكونوا حجارة او حديد السك
قادرا على ان يردكم الى حال
الحياة (فيسخطون اليك
زوسهم) فيسخر كونها مخلوق
تعبوا واستهزاء (ويقولون متى
هو) اى البعث استبعاد له
وتقيا (قل عسى ان يكون
قريبا) اى هو قريب وعسى
لا وجوب (يوم يدعوكم) الى
الحساب وهو يوم القيامة
(فستجيئون بحمده) اى
تجيئون حامدين والباء للعال عن
سعيدين جبر ينفضون التراب

عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (واقنن ان لبثتم الا قليلا) اى لبثنا قليلا الا زمانا قليلا الى الدنيا او ظاهر
في القبر (وقل لعبادى) اى اول المؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التي هى احسن) والذين لا يخشونهم وهى ان يقولوا يهديك
الله (ان الشيطان يترغيبهم) يلقى بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاققة والنزاع الشرا وفساد
فات الذين وقرطاطة يترغيبهم بالسحر وهما الغتان (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة وفسر التى هى

أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ ربكم) بالهداية والتوفيق (أو ان يشأ يعذبكم) بالخذلان أى يقولوا لهم هذه التكاليف ونحوها
ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك ٢٢١ مما يعيقهم ويحجبهم عن التوراة وقوله ان الشيطان

يترغ بهم اعتراض (وما أرسلناك عليهم وكلاماً) حاشا لأعالمهم ومو كولا اليك أمرهم وأما أرسلناك بشيروا وبذرا فدارهم ومزاحمتك بالمدارة (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) وبأحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وأيذا دوزبورا) دلالة على وجهه تفضيله وأنه خاتم الانبياء وان أمته خير الأمم لأن ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد ذلك أن الأرض يرثها عبادى الصالحون وهم عبادى وأمه ولم يعرف الزبور وعرفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لأنه كالعباس وعباس والفضل وفضل (قل ادعوا الذين زعمتم انهم آلهة من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نمر من الجن عيدهم ناس من العرب ثم أعلم الجن ولم يشعروا (لأنهم لا يكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أى ادعواهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من عرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر (أو لئن لم أتدبر

ظاهر العداوة قوله عز وجل (ربكم أعلم بكم ان يشأ ربكم) أى توفيقكم للايمان فتؤمنوا (أو ان يشأ يعذبكم) أى يحكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشأ ربكم فيحكم من أهل مكة أو ان يشأ يعذبكم أى يسلمهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكلاماً) أى حفيظاً وكفياً لقل نسختها آية القتال (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) يعنى ان علمه غير مقصور عليك بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعصومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات يعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم بأحوالهم واختلاف صورهم وأحوالهم وملهم وأدبانهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وذلك انه اتخذ إبراهيم خليلاً وكان موسى تكليمه وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وآتى داود زبوراً وذلك قوله تعالى (وأيذا دوزبورا) وهو كتاب أنزل الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتسابيح لله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه محال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام فان قلت لم يخص داود في هذه الآية بما ذكره من غيره من الانبياء قلت فيه وجوه احدها ان الله تعالى ذكره فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتىنا داود زبوراً وذلك ان داود أعطى مع القوة الملك فلم يذكره الملك وذكر ما آتاه من الكتاب نبيها على أن الفضل المذكور في هذه الآية المراد به العلم بالملك والمسال الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور ان محمد خاتم الانبياء وان أمته خير الأمم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث أن اليزور وزعت أن لا يبعده موسى ولا كتاب بعده التوراة فكذبهم الله بقوله وآتىنا داود زبوراً ومعنى الآية انكم ان تكفروا تفضيل النبيين فكيف تذكرون تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم واعطاء القرآن وان الله آتى موسى التوراة وداود الزبور وموسى التفضيل لم يعد ان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الخلق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يترى تفضيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان الكفار اصحابهم قطع شديد حتى كادوا السكالب والجحيف فاستعانوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعولهم فقال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم انهم آلهة من دونه (فلا يكون كذب الضرع عنكم) أى المجوم والقطر (ولا تحويلا) أى الى غيركم ونحوه بل الخيال من العسر الى اليسر ومقتضى الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا آلهة إلا الله ان نستقل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا ذلك الملك الذى عبده وقتلاً وصورة وقد اشتغلوا بعبادته فاتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى (أو لئن الذين يدعون) أى الذين يدعون المشركون آلهة (يتبعون الى يوم الوسيلة) أى القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى واهم وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الآية في نفر

(الذين يدعون) صفة أى يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والحبر (يتبعون الى يوم الوسيلة) يعنى ان آلهتهم أو لئن الذين يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والشمس والقمر والنجوم

(أيهـم) يدل من واو يبتغون وأى و صولة أى يبتغى من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الأقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكله قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقة ما بان يحذر كل أحد من ملك مقرب فني مرسل فضلا عن غيره (وان من قرية لها نحن مهلكة أو قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) قيل الهلاك للصالحين والعذاب للفاطحة (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا وعن مقاتل وجدت في كتب الخصال في تفسيرها امامة فغيرها المحمدة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالفرق والكوفة بالترك والحال بالواقع والرواجف واما خراسان فعذابها ضرر وبأما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها وأما بخشنان فيغير بها أقوام وأما تمر مذفلها يموتون بالصاعون وأما صغانيان الى ٢٢٢ وأخبر دفيعة تلون يقتل ذريعهم وأما سمرقند فيغلب عليها بنوقطوراء فيقتلون

من العرب كانوا يعبدون نقران الجن فاسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله وأنزل هذه الآية وقوله تعالى (أيهم أقرب) معناه يظفرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به وقيل أيهم أقرب بمعنى الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة (ويرجون رحمته) أى حبه (ويخافون عذابه) وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) أى حقيقة ما بان يحذر كل أحد من ملك مقرب فني مرسل فضلا عن غيره من الخلق قوله سبحانه وتعالى (وان من قرية لها نحن مهلكة أو قبل يوم القيامة) أى بالموت والخراب (أو معذبوها عذابا شديدا) أى بالقتل وأنواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك في حق المؤمنين الامامة وفي حق الكفار العذاب قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية أدن الله في هلاكها (كان ذلك في الكتاب) أى في اللوح المحفوظ (مسطورا) أى مكتوبا ومنها عن عباد بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما كتب قال اكتب القدر وما هو كثر الى يوم القيامة الى الابد أخرجه الترمذي قوله سبحانه وتعالى (وما نمعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وفضة وأن ينحى الجبال عنهم لينزعوا فاحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن استأفي بهم ففعلت وان شئت أن أوتيهم ماسأوا ففعلت فان لم يؤمنوا أهلستهم كما أهلكت من كان

أهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة والكاش واستيجاب وخوارزم وأما بخارى فهي أرض المجاورة فعموتون تعطوا وجوعا ودمروا فغلب عليها الرمل وهلك بها العلماء والعباد وأما هرة فعموتون بالحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فتصيب أهلها وعدو برق وضلة فيهلك أكثرهم وأما الري فغلب عليها الضربة والديف فقتلوا منهم وأما أردبستان واذر يجان فيهلك بها سنايك الخيول والجيوش والذواق والرواجف وأما همدان فالديلم يذلها ويغير بها وأما حلوان فتعمدها ريح ساكنة وهم نيام فيصبع أهلكا قرعة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل

مهضو ويل لاهلها ولاهل دمشق وويل لاهل أفراسية وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس وأما سمعستان فيصيبهم ريح عاصف أيامهم هدة قاتلهم ويموت فيها العلماء وأما كرمان وأصبهان وفارس فيأتيهم عدو وصاحب صيحة تغفل القلوب وعموت الابدان (وما نمعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) استعير المنع لترك ارسال الآيات وأن الاولى مع صلته في موضع النصب لانها معول لما نمعنا وأن الثانية مع صلته في موضع الرفع لانها فاعل منعنا والتقدير وما نمعنا ارسال الآيات الا ان كذب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها قرش من قلب الصفا ذهباً ومن احياء الموتى وغير ذلك وسنة الله في الامن ان من اقترح منهم آية فاجاب اليها لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما نمعنا ان ارسال ما اقترحوه من الآيات الا ان كذب الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وعمودهم والوارسل لكذبوا بها تكذب أولئك وعذبوا بالعذاب المتأصل وقد حكمنا ان تؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحتها الاولون ثم كذبوا بها الما أرسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقصة صالح عليه السلام لان ما رده لا لكم قرية من حدودهم صبر حاد يردهم وواردهم يقال

(وَأَيُّهَا مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ أَهْلُكُمْ) (بصيرة) آية بيته (فظموا بها) فكرروا بها (وما نرسل بالآيات) أن أرادهم الآيات المقترحة فالعني أنرسلها (الأنحوصها) من نزول العذاب العاجل والطليعة والمقدمة له ٢٢٣ فإن لم يخافوا وقوع عليهم وأن أرادهم

قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستأنيهم فانزل الله عز وجل وما منعنا أن
 نرسل بالآيات أي التي سألتها كفار قومك إلا أن كذب بها الأقولون أي فاهلكناهم فان
 لم يؤمن قومك بهدارسالات الآيات أهلكناهم لان من استنفا في الامم ذاسا أو الالات ثم
 لم يؤمنوا بعد اتيناها نأنا نهلكهم ولا نفلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة الى يوم
 القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحتها الأقولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا
 فقال تعالى (وايتنا جود الناقصة مصره) أي بيته وذلك لان آثار اهلاكهم في بلاد
 العرب قريبة من حدودهم يبصرها صدادهم وواردهم (فظلوا بها) أي جحدوا انها من
 عند الله وقيل فظلوا أنفسهم بتكذيبها فاحلهاهم بالعقوبة (وما نرسل بالآيات)
 المقترحة (الا تخو) أي وما نرسل بالآيات الا تخو فبما نزل العذاب فان لم يخافوا
 وقع عليهم وقيل معناها وما نرسل بالآيات يعني العرب والدالات الا تخو فبما رأى اندارا
 بعذاب الاخر فان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلمهم
 يرجعون قوله عز وجل (واذ قلنا لآل) أي واذا كرمناهم اذ قلنا لآل (ان ربك أحاط
 بالناس) أي ان قدرته محيطه بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدر على الخروج من
 مشيئته واذا كان الامر كذلك فهم لا يقدر على أمر من الامور الا بقضاء الله وقدره وهو
 حافظكم وما معكم منكم فلا تخفهم وما مضى لأمركم من التبليغ لرسالة فهو ينصركم
 ويقول على ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) الا كثرون من
 المفسر ين على أن المراد منها ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من الغائب
 والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين أرى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
 وهي ليلة أسرى به الى بيت المقدس أخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن
 وسيرق وقتادة مجاهد وعكرمة وابن جرير وغيرهم والعرب تقول رأيت بعيني رؤية
 ورؤى فالما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت
 فتنة للناس واذا داخلنا صون إيماننا وقال قوم أسرى بروجه دون جسده وهو ضعيف
 وقال قوم كان له معراجان معراج رؤية عين في البقعة ومعراج رؤى بامانم وقيل أراد
 بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة وهو وأصحابه
 فحبل المسير الى مكة قبل الاجل فصد المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه عن
 ذلك العام بعد ما أخبر انه يدخلها افتنة لبعضهم ثم دخل مكة في العام المقبل وأنزل الله عز
 وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام
 ان ولد الحكم بن أمية يداولون منبره كل ما تداول الصبيان الكبر فكساه ذلك فان اعترض
 معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعة تاركات بالمدينة أجيب
 بأنه لا إشكال فيه فانه لا بعد ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك
 حقيقة بالمدينة (والشجرة الملعونة في القرآن) يعني شجرة الزقوم التي وصفها الله تعالى

انسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة يتبع الجحر فلا ينضر هاء وخلق في كل شجرة قارا فلا تحرق قها فجاز أن يخلق في النار شجرة لا تحرق قها والمعنى ان الآيات انما ترسل تخو بها للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهوا القتل يوم يدور وخوفوا بعذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما أترقيهم ثم قال (وتخوفهم) أي بخاوف الدنيا والآخرة (فما ينزلهم) أي التخويف (الاطعينا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه طاهما بالمال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء والفتنة ارتداد من استظف ذلك وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اللغة قوسر الرؤيا بالرؤية وانما سماها رؤيا على قول ٢٢٤ المذنبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها اسبعا مدامهم كسبى أشياء

في سورة انفصاف والعرب تقول لكل طعام كربة طعام ملعون والفتنة فيها ان انا جهل قال ان ابن أبي كدشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم قودكم بنا تحرق الحجارة ثم يزعم انه ثبتت فيها شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبير قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا تعرف الزقوم الا الزبد والتمر فقال أبو جهل باحارة تعالى فزينا فانت نبيذ وتمر فقال يا قوم ترقوا فان هذا ما يحوفكم به محمد فانزل الله سبحانه وتعالى حين عذبوا ان يكون في النار شجر انا جعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قلت أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى يلعن وانما وصفت بلعن أصحابها على الحجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان الآمن لا يبعد من الرحمة وهي في أصل جهنم في ابعدها مكان من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكسوة الذي يلتوى على الشجر والشوك فيعقفه (وتخوفهم فما ينزلهم) أي التخويف (الاطعينا كبيرا) أي عر داوعا عظيما قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا لا تأكلوا من شجرة الاعداء) أي عر داوعا عظيما خلقت طينا) أي من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض ومن عذبهوا ولجها فن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من المرفهوشق (قال) يعني ابليس (أرايتك) الكاف للخطاب والمعنى أخبرني (هذا الذي كرمت على) أي فضلته على (أنت آخرتي) أي أمهنتي (اليوم القيامة لا تحتسكن ذرية) أي لاستأصلهم بالا هلال وقيل معناه لا قودهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء (الافقيا) يعني المعصومين الذين استأنهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) أي امض لأنتك وليس هو من الذهاب الذي هو ضد الحجي (فن تبعك منهم) فان جهنم جزاؤكم أي جزاؤك وجزاء أبعالك (جزاء وفورا) أي مكه لا قوله سبحانه وتعالى (واستعز) أي استخف واسترسل واستعجل وأزعج (من استطعت منهم) أي من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من

باسمها عند الكفرة كقوله فراغ الى آلهتهم من أين شركا في اوهي رؤيا هاته سيدخل مكة والفتنة الصمد بالجدية فان قلت ليس في القرآن ذكر ابن شجرة الزقوم فانت معناه والشجرة الملعونة آكلها وهم الكفرة لانه قل ثم انكم أيها الضالون المذنبون لا تكون من شجرة من زقوم فإلّا منها البظون فوصفت بلعن أهلها على الحجاز ولان العرب تقول لكل طعام مكروه فاما ملعون ولان الآمن والابعد من الرحمة وهي في أصل النجيم في ابعدها مكان من الرحمة (واذ قلنا لا تأكلوا من شجرة الاعداء) أي عر داوعا عظيما قال ابليس (أستعبد لمن خلقت طينا) وهو تمييز وأحال من الوصول والعامل فيه أأستعبد على أأستعبد وهو طين أي أصله طين (قال أرايتك هذا الذي الكاف لاموضع

لها لانه ذكرت الخطاب تأكيذا فاما قول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمت على) أي فضلتهم جند كرم معي على وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فخلف ذلك اختصارا للدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدأ فقال (أنت آخرتي) وبالإزاء كوفي وشامي والام موطنه للقسم المحذوف (اليوم القيامة لا تحتسكن ذرية) لاستأصلهم باغواهم (الافقيا) وهم الخافرون قيل من كل ألف واحد وانما علم الملعون ذلك بالا اعلام اولانه رأى انه خلق شهواني (قال اذهب) ليس من الذهاب الذي هو ضد الحجي وانما معناه اذهبن لأنك أنت الذي اخترتخذنا ولا نخذله ثم عقبه بذلك ما جرسوا اختياره فقال (فن تبعك منهم) فان جهنم جزاؤكم (ولقد تدينهم فان جهنم جزاؤهم وجزاءك ثم غلب الخطاب على الغائب فقيل جزاؤكم كوا تصب (جزاء وفورا) أي وفيهم اياضار فبازون (واستعز) استرسل واستخف استغفره أي استخفه والغز الخفيف (من استطعت منهم) أي به وبتك

بالوسوسة أو بالغناء أو بالزمار
 (وأجلب عليهم) اجمع وجمع
 بهم من الجلبة وهو الصياح
 (تخيلك وربك) بكل راكب
 وماش من أهل العتق فالحيل
 الخبيثة والرجل اسم جمع
 للراجل ونظيره الركب والخيل
 وربك خفض على أن فعله في
 فاعل كنعب وتاعب ومعناه
 وجعل الرجل وهذا لأن أقضى
 ما يستتبع في طلب الأمور الخيل
 والرجل وقيل يجوز أن يكون
 لا يلبس خيل ورجال (وشاركهم
 في الأموال والأولاد) قال
 الزجاج كل معصية في مال وولد
 فاليس شريكهم فيها كالزنا
 والمدكس المحرمة والخيرة
 والسائبة والافتاق في القسوة
 والأسراف ومنع الزكاة والتوصل
 إلى الأولاد بالنسب المحرم
 والشعبة بعد العزى وعبد
 شمس (وعدهم) المواعيد
 الكاذبة من شفاعة الأئمة
 والكرامة على الله بالانساب
 الشريفة وإثارة العاجل على
 الآجل وتخوذك (وما بعدهم
 الشيطان والأغور) هو
 ترين الخطيماي وهم أنه صواب
 (أن عبادي) الصالحين (ليس
 لك عليهم سلطان) يذب بديل
 الإيمان ولكن يسوي
 العصيان (وكفى ربك وكيفا)
 لهم يتوكلون به في الاستعانة
 منك أوحاظا لهم عنك والكل
 أمر تهديد يشعاقبه أو أهانة
 أي لا يخجل ذلك مني

جند البلس وقيل أراد بصوتك الغناء والمزمار والله والعب (وأجلب عليهم تخيلك
 وربك) أي اجمع عليهم مكيدك وجبا لك واحتهم على الاغواء وقيل معناه
 استعن عليهم بركبائك جندك ومشاتهم يقال إن له خيلا ورجلا من الجن والأنس فكل
 من قاتل أو شى في معصية الله فهو من جند البلس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول
 للرجل الخدفي الأمر حثنا بخيلك وربك (وشاركهم في الأموال والأولاد) أما المشاركة
 في الأموال فكل مال أصيب من حرام أو أنفق في حرام وقيل هو الزنا وقيل هو ما كانوا
 يذبحونه لأتلتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحسام وأما المشار كفة
 الأولاد فروي عن ابن عباس أنها المودة وقيل أولاد الزنا وعن ابن عباس أيضا هي
 سميتهم أولادهم بعد العزى وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل هو أن يرغبوا
 أولادهم في الأديان الباطلة الكاذبة كالبودة والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل
 إن الشيطان يفتنهم على ذلك الرجل وقت الجمع فإذا لم يقبل بسم الله أصاب معه امرأته
 وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل وروي في بعض الأخبار أن فيكم مغر بن قيل وما
 المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال إن امرأتى
 استيقظت وفي فرجها شملة ناز قال ذلك من وطأ الجن (وعدهم) أي منهم الخيل في
 طاعتك وقيل قل لهم لاجئة ولانار ولا تبع وذلك إن الشيطان إذا دعا إلى المعصية
 فلا بد أن يقرر أولئك لانه لا مضرة في فعله البتة وذلك لا يمكن إلا إذا قال له لا مضرة لاجئة
 ولانار ولا مضرة بعد هذه الحياة فيقرر عند المدعو لانه لا مضرة لجمته في هذه المعاصي وإذا
 فرغ من هذا النوع قرر عنده هذا الفعل فيدأ أنواعا من اللذة والسرور ولا حياة
 للإنسان في الدنيا إلا به فهذا طريق الدوسة إلى المعصية ثم يفرغ عن فعل الطاعة وهو
 أنه يقرر عنده أن لاجئة ولانار ولا عقب فلا فائدة فيها وقيل معنى عدهم أي شفاعة
 الاصنام عند الله وإشارا العاجل على الآجل فإن قلت كيف ذكر الله هذه الأشياء
 بصيغة الأمر والله سبحانه وتعالى يقول إن الله لا يأمر بالفحشاء قلت هذا على طريق
 التهديد كقوله تعالى اعلموا ما تنتم وكم قول القائل احذر هذا فسترى ما ينزل بك
 وقوله سبحانه وتعالى (وما بعدهم الشيطان والأغور) أي يزين الباطل بما يظن أنه
 حق واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم أرفده بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله
 وما بعدهم الشيطان والأغور والسبب فيه أنه إذا دعوا إلى قضاء الشهوة وطالب
 الرئاسة وتخوذك ولا يدعو إلى معرفة الله تعالى ولا إلى عبادة وتلك الأشياء التي
 يدعو إليها خيالية لاحقة لها ولا تحصل إلا بعد متاع ومشاق عظيمة وإذا حصلت
 كانت سريرة الذهاب والإقضاء ويتبعها الموت والمهرم وغير ذلك وإذا كانت هذه
 الأشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها أغورا (أن عبادي ليس لك عليهم سلطان) يعني
 بعبادة الأنبياء وأهل الفضل والصلاح لانه لا يقدر على اغوائهم (وكفى ربك وكيفا)
 أي حافظا والمعنى أنه سبحانه وتعالى لما أمكن البلس أن يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة
 كان ذلك سببا لمحصل الخوف في قلب الإنسان فتسالته إلى وكفى ربك وكيفا أي قالته

(ربكم الذي يرزقكم) يمددكم بغير حساب (لنكم الفلك في الجرد لنعمه وان فضله) يعني الرزق في التجارة (انه كان بكم رحيمًا وان اذمكم الضرب في البحر) اي خوف العرق (ضل من تدعون الا الهاء) ذهب عن اوهامكم كل من تدعون في حوائجكم الا الهاء وحده فانكم لا تدعون سواه اوضح من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم الى البر اعرضتم) ٢٣٦ عن الاخلاص بعد الخلاص (وكان الانسان) أي الكافر (كفورًا)

للنعم (افانتم) الهزمة لانهكار
 والماء للعطف على محذوف
 تقديره انخوتم فانهتم فمماكم
 ذلك على الاعراض (ان
 يخسف بكم جانب البر) انتصب
 جانب يخسف فعولاه كالارض
 في قوله خسف فانه وباداره
 الارض وكم حال والمعنى ان
 يخسف جانب البر اى يقلبه
 وانت عليه والمحال ان الجوانب
 كلها في قدرته سواء وله في كل
 جانب ما كان او يحذر سبب
 من اسباب الهلاك ليس جانب
 البحر وحده مختص به بل ان كان
 الغرق في جانب البحر ففي جانب
 البر الخسف وهو تعيب تحت
 التراب والغرق تعيب تحت
 الماء فعلى العاقل ان يستوى
 خوفه من الله في جميع الجوانب
 وحيث كان (او يرسل عليكم
 طامبا) هى الرية التى تخسف
 اى ترمى بالحصاة يعنى او ان لم
 يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف
 صابكم من فوقكم بمرسها
 عليكم فيها الحصاة (ثم اتخذوا
 لكم وكىلا) يصرف ذلك عنكم
 ام امنتم ان بعدكم فيه تارة

(وقد كرمنا بني آدم) بالعقل والنطق والحظ والضرورة المحسنة والقامة ٢٢٧ المعتدلة وتدير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء

وتسخير الاشياء وتناول
الطعام بالأيدي وعن الرشيد
انه احضر طعاما فدعا بالاعاق
وعنده ايويسف رحمه الله
فقال له جاء في تفسير جدك
ابن عباس رضى الله عنهما
قوله تعالى وقد كرمنا بني
آدم جعلناهم اصابيع ياكون
بها فاحضرت الملاعق فردها
وأكل باصابعه (وجعلناهم
في البر) على الدواب (والبحر)
على السفن (ورزقناهم من
الطييات) بالاصيديات أو بما
كسبت أيديهم (وقضينا لهم
على كثير من خلقنا تفضيلا) أى
على السكك كقولوا كثرهم
كأزبون قال الحسن أى كلهم
وقوله وما ينبع كثرهم إلا
ظنا ذكركنى الكشف ان المراد
بالأكثر الجمع وعنه عليه
السلام المؤمن أكرم على الله
من الملائكة وهذا لانهم
محبوبون على الطاعة فقيم
عقل بالشهرة وفى البراءة شهرة
بالعقل وفى الآدمى كلاهما
من غلب عقله شهرة فهو أكرم
من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله
فهو شر من البراءة ولانه خلق
السكك لهم وخلقهم لنفسه (يوم
ندعوا) منصوب باذكر (كل أناس
بأمامهم) الباء للحال والتقدير
مختارين بأمامهم أى بنى انتموا
به من نبى أو مقدم فى الدين
أو كتاب أو دين فيقال يا نابع
فلان يا هل دين كذا أو كذا

التيب العناب والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجسدون لكم أحدا يضالنا بما فعلنا
انتصارا لكم ودورا للشار من جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا قوله سبحانه
وتعالى (وقد كرمنا بني آدم) قال ابن عباس هو أنهم يأكلون بالأيدي وغير الآدمى
يأكل بنفسه من الأرض وقال أيضا بالعقل وقيل بالنطق والتميز والحظ والفهم وقيل
باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل بالرجال بالجنى والنساء بالدواب
وقيل بتسليطهم على جميع ما فى الأرض وتسخيرهم وقيل بحسن تدبيرهم أمر المعاش
والمعاد وقيل بان مهم خيرامة أنجحت للناس (وجعلناهم فى البر) أى على الأبل والحمل
والبعال والحجر (والبحر) أى وجعلناهم فى البحر على السفن وهذا من مؤكدا التكرم
لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الاشياء ليتفكروا بها ويستعينوا بها على مصالحهم
(ورزقناهم من الطييات) يعنى لذيذا لطاعا ومشاربا وقيل الزبد والتمرو والحلواء
وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الأغذية أماناتية وأما حيوانية ولا
يتعدى الإنسان إلا أطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا
لغير الإنسان (وقضينا لهم على كثير من خلقنا تفضيلا) واعلم ان الله تعالى قال فى أول
الآية وقد كرمنا بني آدم وفى آخرها وقضينا لهم ولآدم من الفرق بين التكرم والتفضل
والإلزام التكرار والأقرب أن يقال ان الله تعالى كرم الإنسان على سائر الحيوان بأمر
خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والحظ وحسن الصورة ثم الله سبحانه وتعالى
عرفه بواسطة ذلك العقل والههم ككتاب العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة فالاول
هو التكرم والثانى هو التفضل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير من خلقنا تفضيلا ظاهر
الآية يتبدل على انه فضل بني آدم على كثير من خلقه لى السكك فقال قوم فضلو على جميع
الخلق الأعلى الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبى فضلو على الخلائق كلهم الأعلى
طائفة من الملائكة كتمل جبريل وميكائيل وإسرائيل وعزرائيل وأشباهم وقيل فضلو
على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم فان قلت كيف تصنع بكثير قلت بوضع الأكثر
موضع السكك كقوله تعالى بلقون السمع وأكثرهم كذبون أراد كلهم وفى الحديث عن جابر
برفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم بأكلون وشربون ويتكهنون
فأجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أحمل من خلقته يدي ونفخت فيه من روحي
كن قاتله كن فكان وقيل بالتفضل وهو الأولى والراجح ان خواص بني آدم وهم الأنبياء
أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بني آدم وهذا
التفضل انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بني آدم لان الكفار لا حمة لهم قال الله سبحانه
وتعالى ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبي هريرة رضى الله
تعالى عنه قال المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده قوله عز وجل (يوم
ندعوا كل أناس بأمامهم) أى بنبيهم وقيل بكتابتهم الذى أنزل عليهم وقيل بكتاب
أعمالهم وعن ابن عباس بأمام زمانهم الذى دعاهم فى الدنيا الى الهدى واما الى ضلال

فلان يا هل دين كذا أو كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر

(فن أوتي) من هؤلاء المدعوين (كتابهم) واما قبل أولئك لان من في معنى الجمع (ولا يظلمون قليلا) ولا يقصرون من ثوابهم ٢٢٨ أدنى شيء ولم يذكر الكتاب روايتهم بشماهم اكتفاء بقوله

ولذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم في الخير والشر وقيل عبيدهم وقيل امامهم جمع اعم يعني امامهم والجمعة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام واطهار شرف الحسين والحسين رضي الله تعالى عنهم ما وأن لا يتضح اولاد الزنا (فن أوتي) كتابهم بينه فأولئك يقرؤون كتابهم فان قلت لم يخص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع أن أصحاب الشمال يقرؤنه أيضا قلت الفرق ان أصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فاستولى عليهم النحل والبهشة فلا يقدرون على اقامه حروفه فتكون قراءتهم كالأقراءة وأصحاب اليمين اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤنه أحسن قراءة وأبينها (ولا يظلمون قليلا) أي ولا يقصرون من ثواب أعمالهم ادنى شيء (ومن كان في هذه أعمى) المراد أعمى القلب والبصيرة لا أعمى البصر والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى أي عن هذه النعم التي قد عدها في هذه الآيات المتقدمة (فهو في الآخرة) أي التي لم تعين ولم ترم (أعمى وأضل سبيلا) قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد أعمى وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالاهو في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا اليقينونك عن الذي أوحينا اليك) قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستأجر الجحرا لاسود فغمغته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بالهنا وتسها فحدث نفسه ما على أن أقبل ذلك والله يعلم أي لها كاره بعد ان يدعوني أستأجره وقيل طلبوا منه أن يذ كر آلتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد تغيب على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا نبي الله ان تعطينا ثلاث نخالفك وما هن قالوا لا تخفى في الصلاة أي لا تخفى ولا تكسر أصنامنا بديننا أو أن تعطينا ثلاث سنمة من غير أن نعبد ما فقل النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركون فيه ولا سحود وما إن لا تكسر أو أصنامكم بدينكم فذلك لكم واما الطاغية يعني اللات والعزى فأنى غير محكمهما قالوا يا رسول الله انما نسمع العرب انك اعطينا ما لم تعطينا فان خشيت أن تقول العرب اعطينهم ما لم تعطينا فقل الله امرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطبع التوم في سكونته ان يعطيهم ذلك فانزل الله تعالى وان كادوا أي هموا اليقينونك أي يصرفونك عن الذي أوحينا اليك (لتقترى) أي لتختلف وتبتعث (عليها غيره) أي ما لم نقله (واذا) أي لو فعلت ما دعوك الله (لا تخذوك خيلا) أي والوك ووافوك وصافوك (ولو لا أن تبنتك) أي على الحق بعصمتنا ياك (لقد كدت تركن) أي تميل (اليهم شيئا قليلا) أي قربت من الفعل فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز أن يقرب مما طبعوه قلت كان ذلك خاطرا قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبي صلى الله

(ومن كان في هذه) الدنيا (أعمى) فهو في الآخرة أعمى كذلك (وأضل سبيلا) من الأعمى أي أضل طريقا والأعمى مستعار عن لا يدرك البصير لفساد حاسته لمن لا يهتدى الى طريق النجاة امانى الدنيا فلقد انظر واماني الآخرة قلانه لا يتبعه الا هتداء اليه وقد جوز وأن يكون الثاني بمعنى التفصيل يدل على ضعف وأضل ومن ثم قرأ أبو عمرو الاول مالا والثاني مفخما لان أفعال الفضل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الحكمة فلا يقبل الامالة واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف فقبلت الامالة وأماهما حجرة وعلى ونفخهما الباقون ولما قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى تؤمن بك نزل (وان كادوا اليقينونك) أن تخف من النبوة واللام فارقت بينهما وبين النافية والمعنى ان الشأن قاربوا ان يقتولوك أي يتخذوك فاتنين عن الذي أوحينا اليك من أوامرنا ونواهيها ووعدنا ووعدنا (لتقترى عليها غيره) لتقتول عليها ما لم نقل يعني

ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيد الوعد وعد (واذا لا تخذوك خيلا) أي ولو ابغيتهم ادهم لا تخذوك خيلا ولا كنت لهم وليا وخرجت من ولايتي (ولو لا أن تبنتك) ولو لا تبنيانا وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل الى مكرهم (شيئا قليلا) وكونا قليلا وهذا يبيح من الله له وقصلا تثبت

(إذا) لو قاربت ترك اليهم أدنى ركنة (لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظيم ذنبك شرف منزلتك ونبتلك كما قال بانساء التي من بات منكبر فاحشة الآية وأصل الكلام لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والعذاب بوصف بالضعف كقوله فاتهم عذابا ضعفا من النار أى مضاعفا فكان أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ٢٢٩ وهو الضعف ثم أضفت الصفة

إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا و بضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل على أن التوبيخ يعظم قبضه بمقدار عظم شأن فاعله وبما نزلت مكان عليه السلام يقول اللهم لا تسكني إلى نفسى طرفه عين (ثم التحد لك علما نصيرا) معنيك لا يمنع عذابنا عنك (وأن كادوا الستة نزولك من الأرض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فتأقوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبياء وان أرض الانبياء الشام وهى الأرض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نديا مثلهم فانت الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وان الله سمعك من الروم ان كنت رسوله فمعسكرك التي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية الى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه فيخرج فأنزل الله هذه الآية فالأرض هنا أرض المدينة وقيل الأرض أرض مكة والأيه مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه من أهلكهم الله عنده حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا البقي بالآية لأن ما قبله أخبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفروهم من أرض العرب باجتماعهم وتقاهرهم عليه ففزع الله رسوله ولم يسألوا منه ما ملأوه والاستفزاز الازعاج (وإذا لا يلبثون خلقك الا قليلا) أى لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا قوله سبحانه وتعالى (سنة من قدر أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى ان كل قوم أخرجوا رسوله من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام نبيهم بينهم فإذ أخرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجد لسنةنا تحويلا) أى تبدل بقوله سبحانه وتعالى (أقم الصلاة لدنوك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال الدنوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والخناك والسدى وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثرا التابعين ومعنى اللفظ تحمهم لان أصل الدنوك الميسل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والتجلى على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به واذا جلنا عليه كانت الآية جامعة لما وقت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) أى ظهره وظلته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعنى صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا لانها لا يتجزأ

عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تسكني الى نفسى طرفه عين والجواب الصحيح هو ان الله سبحانه وتعالى قال ولو لان ثبتناك وقد ثبت الله فلم يكن اليهم (إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أى لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعنى ضاعفا لما العذاب فى الدنيا والآخرة (ثم لتجدناك علينا نصيرا) أى ناضرا يمتنع من عذابنا قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا الستة نزولك من الأرض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فتأقوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبياء وان أرض الانبياء الشام وهى الأرض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نديا مثلهم فانت الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وان الله سمعك من الروم ان كنت رسوله فمعسكرك التي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية الى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه فيخرج فأنزل الله هذه الآية فالأرض هنا أرض المدينة وقيل الأرض أرض مكة والأيه مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه من أهلكهم الله عنده حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا البقي بالآية لأن ما قبله أخبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفروهم من أرض العرب باجتماعهم وتقاهرهم عليه ففزع الله رسوله ولم يسألوا منه ما ملأوه والاستفزاز الازعاج (وإذا لا يلبثون خلقك الا قليلا) أى لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا قوله سبحانه وتعالى (سنة من قدر أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى ان كل قوم أخرجوا رسوله من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام نبيهم بينهم فإذ أخرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجد لسنةنا تحويلا) أى تبدل بقوله سبحانه وتعالى (أقم الصلاة لدنوك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال الدنوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والخناك والسدى وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثرا التابعين ومعنى اللفظ تحمهم لان أصل الدنوك الميسل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والتجلى على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به واذا جلنا عليه كانت الآية جامعة لما وقت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) أى ظهره وظلته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعنى صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا لانها لا يتجزأ

وقيل من أرض العرب أو من أرض المدينة (سنة من قدر أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى ان كل قوم أخرجوا رسوله من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وضعت نصب المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة (ولا تجد لسنةنا تحويلا) تبدل (أقم الصلاة لدنوك الشمس) زوالها على هذا الآية جامعة للصلاة الخمس والغروب بها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر (الى غسق الليل) هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو جهة على الأصح حيث زعم ان القراءة ليست بركن أو سميت قرآنا طول قراءتها وهو عطف على الصلاة

الابقرآن (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أى يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار
 (خ) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع
 صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا ويحتمل مع ملائكة الليل وملائكة النهار
 في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة قرأوا شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام
 فخر الدين الرازى في تفسيره هذا دليل قاطع قوى على ان التغليس افضل من التوير
 لان الانسان اذا شرع فيها من اول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة
 الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترسل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر
 الضوء وحضرت ملائكة النهار اما اذا ابتدأ هذه الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق
 أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت ان قوله تعالى ان قرآن
 الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة في أول وقتها افضل قوله سبحانه وتعالى (ومن
 الليل فترجده) أى قم بعد نومك والتجبد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من
 الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فرضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
 الامة في الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمول قم الليل الا قليلا نصفه ثم نزل التخييف
 فصار الوجوب منه وخافى حق الامة بالصلاة الخمس وبقى قيام الليل على الاستحباب
 بدليل قوله تعالى فاقرأ ما تيسر منه وبقى الوجوب ثابتا في حق النبي صلى الله عليه وسلم
 بدليل قوله تعالى (نافلة لك) أى زيادة لك يريد فرضة زائدة على سائر الفرائض الى
 فرضها الله عليك روى عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن على
 فرضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا
 في حقكم كما في حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم
 يقل عليك فان قلت ما معنى التخصيص اذا كان زيادة في حق المسلمين كفى في حق صلى
 الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله
 عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات
 ﴿فصل﴾ في الاحاديث الواردة في قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبه قال قام رسول
 الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهت قدماه قيل له انت تكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
 من ذنبك وما تأخر قال افلا كونه عبدا شكورا (م) عن زيد بن خالد الجهني قال لا رمة من
 صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة تقوم سدس عتبه او فساد طه فقام فصلى ركعتين
 خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين
 قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى
 ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ ابى داود (ق) عن ابى
 سلمة بن عبد الرحمن انه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على اكثر من احدى عشرة ركعة يصلى
 اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطوئهن ثم يصلى اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطوئهن ثم
 يصلى ثلاثا قالت عائشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عائشة ان عيني

(ان قرآن الفجر كان مشهودا)
 يشهده ملائكة الليل والنهار
 ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو
 في آخر ديوان الليل وأول ديوان
 النهار أو يشهده الملائكة
 المصلين في العادة (ومن الليل)
 وعليك بعض الليل (فتمجد)
 والتجبد ترك المجود للصلاة
 ويقال في النوم ايضا تجبد
 (به) بالقرآن (نافلة لك) عبادة
 فائدة لك على الصلوات الخمس
 وضع نافلة موضع التجبد لان
 التجبد عبادة زائدة فكان
 التجبد والنافلة يجتمعان معنى
 واحد والمعنى ان التجبد زيد
 لك على الصلوات المقررة
 غنية لا اوفر فرضة عليك خاصة
 دون غيرك لانه تطوع لهم

تمامان ولا ينال قلمي (ق) عن ا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن
 يفزع من صلاة العشاء الى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر واحدة
 ويسجد سجدتين قدر ما يسجد ويقرأ الحمد ثم تحسب آية قبل أن يرفع رأسه فإذا سكت
 المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه
 الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة (خ) عن ا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
 قام من الليل أتمج صلاته بركعتين خفيفتين * عن عوف بن مالك الأشجعي قال قلت مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يربا به رحمة الا وقف وسال
 ولا يربا به عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي
 الجبروت والمالكوت واليكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك
 ثم قام فقرأ آل عمران ثم قرأ سورة النساء أخرجه أبو داود والنسائي * عن عائشة قالت
 قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة أخرجه الترمذي (ق) عن الاسود
 قال سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان
 ينال أوله ويقوم أخرجه فيصلي ثم يرجع الى فراشه فإذا أذن المؤذن وسب فان كانت به
 حاجة اغتسل والا توضأ * عن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في الليل مضطجاً الا رأينا له نائلاً ان شاء الله تعالى أخرجه النسائي زاد في
 رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى تقول لا يفطر منه شيء أو يفطر حتى تقول
 لا يصوم منه شيئاً وقوله عز وجل (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) اجمع المفسرون
 على أن عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في
 شيء ثم حرمه كان ذلك عاراً عليه والله أكرم من أن يطمع أحدنا ثم لا يعطيه ما اطعمه
 فيه وانما المقام المحمود وهو مقام الشفاعة لانه يحمد فيه الاولون والآخرين (ق) عن أنس
 هزيمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة وانى احتسب
 دعوتى شفاعته لامتى فهى نائلة منكم ان شاء الله من مات لا يترك بالله شيئاً (م) عن
 عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا
 مثل ما يقرئ ثم صلوا على فن صلى على صلاة صلى الله عليه وسلم اثنا عشر اثم سلوا الله الوسيلة
 فانها منزلة في الجنة لا تنبى الا لعبدة من عباد الله وأرجوا ان يكون انما هو فن سألنى
 الوسيلة حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً
 الوسيلة والافضلية وابعثه مقام محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة (ق)
 عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيموتون
 لذلك وفي رواية فيلهون لذلك فيقولون لو اسئفنا لرجعنا فيموتون مكاننا فيأتون
 آدم فيقولون انت آدم ابوالبشر خلقك الله بيده واسكنك الجنة واسجد لك ملائكة
 وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يرجعنا من مكاننا هذا فيقول لست
 هنا كم قيد كخطيئته التي اصاب فيسقي ربه منها ولكن ائتوا نحو اول رسول

(عسى ان يبعثك ربك مقاما
 محمودا) نصب على الظرف أى
 عسى ان يبعثك يوم القيامة
 فيجمعك مقام محمودا أو ضمن
 يبعثك معنى يقيمك وهو مقام
 الشفاعة عند المجهور وبذل
 عليه الاخبار وهو مقام يعطى
 فيه لواء الحمد

[illegible]

الا ما حل به اذن دين الله وليكن اثما موسى فيأتون موسى فيقول قد قبلت نعم الله وليكن
 اثما وعيسى فيأتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله وليكن اثما ومحمد فيأتون
 فانطلق معهم قال ابن جديع ان انس فيكأني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال فاخذ بحلقة باب الجنة فاقعة بها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتخرون لي ويقلون من حبا
 فانحسبوا فيلهم من الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع اسلك وسل تعطه واشفع تشفع
 وقل اسمع لقولك وهو الامام المحمود الذي قال الله سبحانه وتعالى عسى ان يبعثك ربك
 مقاما محمودا قال سفيان ايس عن انس غير هذه الكلمة فاخذ بحلقة باب الجنة فاقعة بها
 فيقال من هذا فيقال محمد فيفتخرون لي ويرحبون لي فيقولون مرحبا فانحسبوا فيلهم من
 الله من الثناء والحمد اخرجته الترمذي قوله ما حل الماحلة الخاصة والمحادلة والمعنى
 انه عليه الصلاة والسلام خاص وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التي صدرت منه وقوله
 فاقعة بها أي اخرجها كركه شديدة والقعقة حكاية أصوات الترس وغيره مما له صوت
 عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا
 خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أساءوا واولاء الحمد يومئذ يدي وأنا كرم ولد آدم
 على ربي ولا فخر اخرجته الترمذي زاد في رواية غير الترمذي وأنا منسفة فيهم إذا حبسوا
 الكرامة والمفايع يومئذ يدي بطوف على خدم كانهن بيض مكنون او اولو من مشور
 (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول
 من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول شفع زاد الترمذي قال أنا أول من تنشق عنه
 الارض فاكتبى حلة من حلال الجنة ثم أقوم عن عرش العرش فليس أحد من الخلائق
 يقوم ذلك المقام غيري عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم قال ان الشمس تدنو
 يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فيبينها ثم كذلك استغاثوا بما قدم ثم عيسى ثم
 بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيشفع ليعضي بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقة
 الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده فيه أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب
 قال كنت قد شفعني رأي من رأى الخواارج فخرجنا في عصابة ذوى عدد نريد ان
 نخرج ثم نخرج على الناس قال فررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية
 يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقالت يا صاحب
 رسول الله ما هذا الذي تحدثنا والله يقول انك من تدخل النار فقد أخرج به وكأنا
 أراؤا ان يخرجوا منها العيود افيها هذا الذي تقولون قال اقرأ القرآن قالت
 نعم قال فاترأ ما قبله انه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قالت
 نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم الحمد والذى يخرج الله به من النار
 قال ثم نمت وضع الصراط وما الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون احفظ ذالك قال غيره
 انه قد زعم ان قوم يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كأنهم
 عيدان المسام قال فيدخلون نهارا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون منه كأنهم
 القرامطس فرجعوا فقلنا ويحكم أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله

عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج غير رجل واحد أو كذا قال والاحاديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة وروى أبو وائل عن ابن مسعود أنه قال إن الله اتخذنا ربه خليفاً وان صاحبكم خليف الله وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عيسى أن يعثرك ربك مقام محموداً قال يقعد على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي قوله عز وجل (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المراد منهما الإدخال والاخراج قال ابن عباس معناه أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجرة وقيل معناه أخرجني من مكة آمن من المشركين وأدخلني مكة ظاهراً عليها بالفتح وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقدقت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه أدخلني حيثما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق ولا تجعلني ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فان ذا الوجهين لا يكون آمناً عند الله (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) أي حجة بينة وقيل ملكاً قوياً يتصرف به علي من عاداتي وعزاً ظاهراً أقم به دينك فوعده الله لينزع من ملك فارس والروم وغيرهما ويحمله له وأجاب دعاءه فقال له والله يصعقل من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعبد الله الذين آمنوا منك وعملوا الصالحات يستخلفهم في الأرض الآية قوله تعالى (وقل جاء الحق) يعني الاسلام والقرآن (وزهدى الباطل) أي الشرك والشيطان (ان الباطل كان زهوقاً) أي مضطرب لا غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصولته في وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال (ق) عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنماً فجعل يطعن بها يعود في يده ويقول جاء الحق وزهدى الباطل ان الباطل كان زهوقاً جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قوله سبحانه وتعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من في قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى تنزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء أي بسان من الضلالة والجهالة ليتبين به المختلف فيه ويضع به المشكل ويستفي به من الشبهة ويهتدي به من الحيرة وهو شفاء القلب بوزل الجهل عنها وقيل هو شفاء للامراض الباطنية والظاهرة وذلك (١) لانها تنقسم الى نوعين أحدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة اما الاعتقادات الباطلة فأشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الاشياء وإبطال المذاهب الفاسدة لاجرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما النوع الثاني وهو الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى خلق الحمودة والاعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنية وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلا ان التبرك بقراءته يدفع كثير من الامراض يدل عليه ما روى عن النبي صلى الله عليه

(وقل رب أدخلني مدخل صدق) هو مصدر أي أدخلني القبر ادخالا مريضاً على طهارة من الزلات (وأخرجني مخرج صدق) أي أخرجني منه عند البعث انما جاء ضياعاً لمق بالكرامة آمنان من الملامة دلله ذكره على اثر ذلك البعث وقيل نزلت حين أمر بالمحجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة أو هو عام في كل ما يدخل فيه ويلاسه من أمر ومكان (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) حجة تنصيرني على من خالفني أو ملكاً وعزاً قوياً ناصر للاسلام على الكفر مظهر الله عليه (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهدى) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (ان الباطل كان زهوقاً) كان مضطرباً في كل اوان (وتنزل) وبالتخييف أو عمرو (من القرآن) من للتبيين (ما هو شفاء) من أمراض القلوب

(١) قوله لانها تنقسم الى نوعين أي الامراض الغير الجسمانية بدليل قوله بعد وما كونه شفاء من الامراض الجسمانية والعبادة في الفخر الرازي بغاية التهذيب

فليراجع

(ورجة) وتفرج الكرب وتطهر للعبوب وتكفر للذنوب (للمؤمنين) وفي الحديث من لم يستشف بالقرآن فلا شفاؤه الله (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الاخسار) ضلالا لا تكذيبهم به وكفرهم (واذا انعمنا على الانسان) بالحق والسعة (اعرض) عن ذكر الله أو انعمنا بالقرآن أعرض (وأنى يجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء أن يولى به عرض وجهه والى الجانبان يولى عنه
 عطفه ويولى به أو أراد الاستكبار
 ٢٣٥

لان ذلك من عادة المستكبرين
 نأى بالماله جزو تكبره هاعلى
 (واذا منسه الشر) الفقر
 والمرض أو نازلة من النوازل
 (كان يؤسا) شديد اليأس من
 روح الله (قل كل) أى كل
 أحد (يعمل على شاكلته)
 على مذهبه وطريقته التى
 تشاكل حاله فى الهدى والضلال
 (فر بكم أعلم) عن هو أهدى
 سبيلا (أسد مذهباً وطريقه)
 (ويستأونك) عن الروح قل
 الروح من أمرى (أى من
 أمر يعلمه ربى الجهور على أنه
 الروح الذى فى الحيوان
 سالوه عن حقيقة نفسه فاخبر أنه
 من أمر الله أى مما استأثر بعلمه
 وعن أبى هريرة لقد مضى
 النبى صلى الله عليه وسلم وما
 يعلم الروح وقد عزت الاوائل
 عن ادراك ما هيته بعد اتفاق
 الاعمار الطولية على الخوض
 فيه والحكمة فى ذلك تجهيز
 العقل عن ادراك معرفة
 مخلوق يجاوره ليدل على أنه
 عن ادراك الخالق اعجز ولذا رد
 ما قيل فى حده أنه جسم دقيق
 هوانى فى كل جزء من الحيوان
 وقيل هو خلق عظيم روحانى عظيم

وسلم فى فاتحة الكتاب وما يدريك انهما رقية (ورجة للمؤمنين) لما كان القرآن شفاء
 للامراض الباطنية والظاهرة فهو جدير بان يكون رجة للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين
 الاخسار) لان الظالم لا ينفع به المؤمن بدفعه فكان رجة للمؤمنين وخسار للظالمين
 وقيل لان كل آية تنزل بتجدد لهم تكذيبهم فيها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس
 القرآن أحد الا قام عنه زيادة أو نقصان فضاء الله الذى قضى شفاء (ورجة للمؤمنين ولا
 يزيد الظالمين الاخسار) قوله سبحانه وتعالى (واذا انعمنا على الانسان) أى بالحق والسعة
 (أعرض) أى عن ذكرنا ودعائنا (وأنى يجانبه) أى يتاعد منا بنفسه وترك التقرب
 اليها بالدعاء وقيل معناه تكبر وعظم (واذا منسه الشر) أى الشدة والضر (كان يؤسا)
 أى يتأسقنوا وقيل معناه انه يضيغ ويدع عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة
 يشس فلا ينبغى للمؤمن أن يدع الدعاء ولو تأخرت الاجابة قوله عز وجل (قل كل) أى
 كل أحد (يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة أى
 على طريقته التى جبل عليها وفيه وجه آخر هو ان كل انسان يعمل على حسب جوره
 نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه افعال جليلة واخلاق زكية طاهرة وان
 كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خبيثة فاسدة رديئة (فر بكم أعلم) عن هو
 اهدى سبيلا (أى اوضح ملامرهم واهلهم وحسن مذهبهم واتباع الحق قوله سبحانه وتعالى
 (ويستأونك) عن الروح قل الروح من أمرى (ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا
 أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال
 بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه يسمعكم ما تذكرون فقالوا واليه وفى
 رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فكنت وفى رواية فقالوا احدنا عن
 الروح فقام ساعة ينظر الوحي وعرفت أنه يوحى اليه فتأخرت حتى صعد الوحي قال
 ويستأونك عن الروح قل الروح من أمرى وما أوتيت من العلم الا قليلا فقال بعضهم
 لبعض قد قلنا لك لا تسألوه وفى رواية وما أوتيت من العلم الا قليلا قال لامش هكذا فى
 قراءتنا العسب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس ان فرىشا اجتمعوا وقالوا ان جمدا
 نشأ بنا بالامانة والصدق والما تصناه بكذب فقط وقد ادعى مادعى فابعثوا نفرنا الى
 اليهود بالمدينة فاسألوه عن فاهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن
 ثلاثة اشياء فان اجاب عن كلها أو لم يجيب عن شئ منها فليس يبنى وان اجاب عن اثنين
 ولم يجيب عن واحدة فهو نبي فسالوه عن فتنة فقدوا فى الزمان الاول ما كان شأنهم فانه كان
 لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الارض ومغربها ما خبره عن الروح قال فسألوا

من الملك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل عليه اسلام نزل به الروح الامين على قلبك وعن الحسن القرآن دليله
 وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ولا به حياة القلوب ومن أمر ربى أى من وجهه وكلامه ليس من كلام البشر وروى ان
 اليهود بعثت الى قريش أسلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عن الكل أو سكنت عن الكل
 فليس يبنى وان اجاب عن بعض وسكنت عن بعض فهو نبي فين لهم القصتين والهم أمر الروح وهو مهم فى التوراة فيدموعا على

خلق الروح يعني أهو مخلوق أم لا
وقوله من أمر ربى دليل خلق
الروح فكان هذا جوابا وما
أوتيت من العلم الا قليلا
المخطاط عام فقد روى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قال لهم ذلك قالوا نحن
مختصون بهذا الخطاب أم أنت
معنا فنه فقال بل نحن وأنتم لم
تؤمن من العلم الا قليلا وقيل هو
خطاب لليهود وخاصة لانهم قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم قد
أوتيت التوراة وفيها الحكمة
وقد نزلت ومن يؤت الحكمة
فقد أوتي خيرا كثيرا فبذلك لهم
ان علم التوراة قليل في حجب
علم الله فالتسليم والكثرة من
الامور الاضافية فالحكمة
التي أوتيتا العبد خير كثير في
نفسها الا انما اذا أضمت الى
علم الله تعالى فهي قليلة ثم نبه
على نعمة الوحي وعزاه بالصبر
على اذى المحدث في السؤال
بقوله (ولو شئنا لنذهبن بالذي
أوحينا اليك) لنذهبن جواب
قسم محمد ذوف مع تباينه من
جزاء الشرط واللام الداخلة
على ان موطئة للقسمة والمعنى ان
شئنا ذهبن بالقرآن ونحونا من
الصدور والمصاحف فلم تترك
له اثر (ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا) أي ثم لا تجد لك بعد
الذهاب به من توكل علينا
باستردادنا وعادته مخفوطا
مستظورا (الارجعة من ربك

لنبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتكم غدا ولم يقل ان شاء الله فبذلك الوحي قال
انما هذا اثني عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما واهل مكة يقولون قد
وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشئ حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مكة ثم الوحي وشق عليه ما يقوله اهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا
تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ونزل في القمية أم حسبت أن اصحاب
الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويستألفونك عن
ذي القسرين ونزل في الروح ويستألفونك عن الروح قال الروح ح من امر ربى واختلفوا في
الذي وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس انه حبريل وعن علي انه ملائكة سبعون
ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان اسكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى
بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بني آدم لهم ايدوا رجل ورؤس ليسوا بملائكة ولا ناس
يا كونا الطعام وقال سعيد بن جبيل يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء ان
يتبع السموات والارض ومن فيها بلقمة واحدة لفعّل ذلك صورة خلقه على صورة
اللائكة وصورة وجهه على صورة وجه الادميين يقوم يوم القيامة على عین العرش وهو
أقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق الى الله يوم القيامة
وهو بمن شفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين اللائكة ستر من نور لا حرق اهل
السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سبحانه روحا ولا ن به حياة القلوب وقيل
هو الروح المركب في الخلق الذي به حياة الانسان وهو اوضح الاقوال وتكلم قوم في ماهية
الروح فقال بعضهم هو الدم ألا ترى أن الانسان اذا مات لا ينفوت منه شيء الا الدم وقال
قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم
هو حجب لطيف يحياه الانسان وقيل الروح معني اجتماع فيه النور والطيب والعلم
والعلو والبقاء ألا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه
الصفات واذا خرج منه ذهب الكل واذا ولى الحكماء والصوفية في ماهية الروح كثيرة
وليس هذا موضع استقصاء او اولى الاقاويل أن يوكل علمه الى الله عز وجل وهو قول
اهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطع على الروح ملكا مقربا ولا ناسرا سلا بدليل
قوله قل الروح من امر ربى أي من علم ربى الذي استأمر به وما أوتيت من العلم أي من علم
ربى (الا قليلا) أي في حجب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود فانه
كانوا يقولون أوتيتا التوراة وفيها العلم الكثير فبذلك لهم ان علم التوراة قليل في حجب علم
الله وقيل ان التسليم والكثرة تدوران مع الاضافة فوصف الشيء بالتسليم مضافا الى ما فاقه
وبالكثرة مضافا الى ما تحته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولا يمكن لمخبر
به لان تركه الاخبار به كان علما انبؤ به والقول الاصح هو ان الله عز وجل استأمر بعلم الروح
وقوله عز وجل (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) معناه انا كما منعنا علم الروح عنك
وعن غيرك ان شئنا ذهبن بالقرآن ونحونا من الصدور والمصاحف فلم تترك له اثر او بقيت
كما كنت ما تدرى ما الكتاب (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) معناه لا تجد بعد الذهاب به من
يتوكل علينا باستردادنا وعادته مخفوطا مستظورا (الارجعة من ربك) معناه الا ان

ان فضله كان عليك كبيرا) أي الأنا يرحلك ربك فيرده ٢٣٧ عليك كأن رحمة تمول عليه بالردا ويكون على

الاستثناء المنقطع أي ولو كان
رحمة من ربك تركته غير مذهب
به وهذا امتنان من الله تعالى
ببقاء القرآن محفوظا بعد المئة
العهدة في تنزيله وتحفظه
ونزل جوابا لقول النضر لو نشاء
لقنا مثل هذا (قل لئن اجتمعت
الاناس والجن على أن يأتوا مثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا) معناه ولا
يأتون جواب قسم محذوف ولو لا
اللام الموطئة لمجاز أن يكون
جوابا للشرط كقوله
يقول لا غائب مالي ولا حرم
لأن الشرط وقع ماضيا أي لو
تظاهروا علي أن يأتوا مثل هذا
القرآن في بلاغته وحسن نظمه
وتأليفه ليجزوا عن الاتيان بمثله
(ولقد صرنا) ردنا وكرنا
(للناس في هذا القرآن من كل
مثل) من كل معنى هو كالمثل في
غرابته وحسنه (فأى أ كثر
الناس الا كفورا) جودا وانما
جاء فأى أ كثر الناس الا كفورا
ولم يجز ضربا لا مزيدا لأن أي
متااول بالني كانه قبل فلم يرضوا
الا كفورا ولمسا تبين انجاز القرآن
وانضمت اليه المعجزات الالهية
ولزمتم الحجة وغلبوا القرحا
الآيات فعل المبهوت المحجوج المتخبر
(وقالوا ان تؤمن لك حتى نجبر
لنا) وبالفتنة كوفي (من
الارض) أي مكة (بنوعا) عينا
غير برفق شأنه ان تتبع ما شاء
لا يتقطع يقول من تبع الما

يرحلك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك
تركته غير مذهب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا فان قلت كيف
يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل قلت المراد منه محو ما في المصاحف وازهاب ما في
الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرأوا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع
قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسري عليه ليس لا يرفع ما في
صدورهم فيصحبون لا يحفظون شيئا ولا يحدون بما في المصاحف شيئا ثم تفيضون في
الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث
نزل له دوى حول العرش كدوى الخيل فيقول الرب ما لك في قول يارب أني ولا يعمل في
(ان فضله كان عليك كبيرا) أي سبب بقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم
وختم النبيين بك واعطائك المقام المحمود قوله سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت الاناس
والجن على أن يأتوا مثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) أي لا يقدر ان على ذلك ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا) أي وعنا نزل حين قال المشركون لو نشاء لقنا مثل هذا فكذبهم
الله عز وجل قال القرآن معجز في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى
طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا
لا تقوا مثله قوله عز وجل (ولقد صرنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي اردنا
وكرنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر
والاحكام والوعود والوعيد والقص وغيرها (فأى أ كثر الناس الا كفورا) أي جودا
قوله سبحانه وتعالى (وقالوا ان تؤمن لك) أي لن تصدقك (حتى نجبر لنا من الارض
بنوعا) لمسا تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات أخرى وبيئات ولزمتم الحجة وغلبوا
أخذوا يتناولون باقتراح الآيات فقالوا ان تؤمن لك روي عن عكرمة عن ابن عباس ان
عقبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبا الخثر بن هشام
والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله
ابن أبي امية وامية بن خلف والعاص بن ائيل وبنو هاشم ابني الحجاج اجتمعوا بعد
غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلوه وخصصوه
حتى نعدروا فيه فبعثوا اليه ان اشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فقامهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه يد المسم في أمره يد وكان خريصا يحب
رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لتعريفك وانا والله لا نعلم رجلا من
العرب أدخل على قومك ما أدخلت على قومك لقد شئت الا بآء وعبت الدين وسهقت
الاحلام وشئت الا لله وفقرت الجماعة وما بين من تبيح الا وقد حقت فيه ما بيننا وبينك
فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به ما لا دعنا لك من أموالنا حتى تكون أ كثرنا
مالا وان كنت تريد الشرف فدونك علينا وان كنت تريد ما كملكناك علينا وان
كان هذا الذي بك ريثا تراه قد غلب عليك لا تستطيع رد هذا لك أم والناس طلب
الطب حتى تبرئ منه ونعذر فيك وكانوا اسمعون التابع من الجن الرئي فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بين ما تقولون ما جئتمكم بما جئتمكم به لطلب أموالكم ولا للشرف

عليكم ولا للآلئ عليكم ولدين الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم
 بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونفخت فيكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا
 والا فتؤان تردوه علي أصبر لآمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا بما عهدان كنت
 غرقا بل منا ما عرضنا عليك وقد علمت انه ليس أحد أضيق بالآدأ ولا أشد عشا منا فقبل
 لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وأريد عذابا لئلا نلنا
 لنفانيها الانهار كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضي من آتائنا وليكن منهم قصي بن
 كلاب فإنه كان شيخا صادقا فأنسا لهم عما تقول احق هو أم باطل فان صد قولك صدقنا لك
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان تقبلوه فهو
 حظكم وان تردوه أصبر لآمر الله الي قالوا فان لم تفعل هذا فقل لنا ربك أن يبعث ملكا
 يصدقك وإسأله ان يجعل لك حنات وقصورا وكوزا من ذهب وفضة بعثك بها علي
 ما تريد فانك تقوم بالأسواق وتلبس المعاش كما تلبسه فقال ما بعثت بهذا ولكن الله
 بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك ان شاء ففعل فقال ذلك الي الله
 ان شاء ففعل ذلك بك وقال قائل منهم ان تؤمن للآلئ تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما
 قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته
 عائكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فقل فقبله منهم ثم
 سألوك لانفسهم أمورا يعرفون بها من آتائك من الله فلم يفعل ثم سألوك أن تجعل
 ما تحوهم به من العذاب فلم يفعل فوالله ما أومن لك أبدأ حتى تتخذ الي السماء مرق ترقى
 فيه وأنا أنظر حتى تأتيها فتأتي بسخنة مشودة معك ونفهم من الملائكة شهدون لك بما
 تقول وأمر الله ففعلت ذلك لظننت ان لا اصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الي أهله حتى نال المأرا من مبادعتهم فانزل الله تعالى وقالوا ان تؤمن للآلئ تنجز
 إنمان الارض بعني أرض مكة بنبوغا عايدونا أو تكون للآلئ حنة من نخل وعنب
 أي بستان فيه نخيل وعنب (فتفجر الانهار خلها بغيرها) أي شقيقا (أو تسقط السماء
 كما زعمت علينا كسفا) أي قطعا (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كفيلا
 أي يكفلون بما تقول وقيل هو جمع التمهيلة أي باصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون
 لك بحجة ما تقول وقيل معناه قراهم مقابلة قبيلا (أو يكون لك بيت من زخرف) أي
 من ذهب واصله الزينة (أو ترقى) أي تصعد (في السماء وان تؤمن لرقيك) أي لاجل
 رقيك (حتى تنزل علينا كتابا نقرأه) امرنا فيه بما يعلما وهذا قول عبد الله بن أبي أمية
 (قل) أي قل يا محمد (سبحان ربي) امره بتبزيه وتحميده وفيه معنى التعجب (هل كنت
 الا بشرا رسولا) أي كسائر الرسل لا لهم وكان الرسل لا يتون قومهم الا بما يظهره
 الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات اليهم انما هو الي الله تعالى ولواراد أن
 ينزل ما طلبوه الفعل ولكن لا ينزل الآيات علي ما اقترحه البشر وما افاء الا بشر وليس
 ما سألتم في طوق البشر واعلم ان الله سبحانه وتعالى قد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم
 من الآيات والمجزآت ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وأنشقاق القمر ونسج
 المساءن بين اصابعه وما شاهدها من الآيات وليست بدون ما اقتبحوه بل هي

(أو تكون لك حنة من نخيل
 وعنب فتفجر) والله شديد هنا
 جمع عليه (الانهار خلها)
 وسطها (تفجر أو تسقط السماء
 كما زعمت علينا كسفا) يفتح
 السين مدني وعاصم أي قطعا
 يقال أعني كسفة من هذا
 الثوب ويسكون السين غيرهما
 جمع كسفة كسفرة وسدر
 يعنون قوله ان نشأ تخفف
 بهم الارض أو تسقط عليهم
 كسفا من السماء (أو تأتي بالله
 والملائكة قبيلا) كفيلا
 تقول شاة شاد بجعته والمعني أو
 تأتي بالله قبيلا والملائكة قبيلا
 كقولك كنت منه ووالذي يربا
 أومعابلا كما عبر عن المعاشر
 ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة
 أو نرير بنا أو جاعة حالا من
 الملائكة (أو يكون لك بيت
 من زخرف) ذهب (أو ترقى
 السماء) تصعد اليها (وان تؤمن
 لرقيك) لاجل رقيك (حتى تنزل
 علينا) وبالفخف أومعابرو
 (كتابا) أي من السماء فيه
 تصديك (تقرأه) صفة كتاب
 (قل) قال مكي وشامي أي قال
 الرسول (سبحان ربي) تعجب
 من اقتراحتهم عليه (هل كنت
 الا بشرا رسولا) أي انما رسول
 كسائر الرسل بشر مثلهم وكان
 الرسل لا يتون قومهم الا بما
 يظهره الله عليهم من الآيات
 فليس أمرا لا مات الي انما هو
 الي الله سبحانه وتعالى

(وما منع الناس) يعني أهل مكة ومحل (أن يؤمنوا) نصب بانه مفعول ثانٍ لمع (اذ جاءهم الهدى) النبي والقرآن (الأن قالوا) فاعل منع والتقدير وما منعهم الايمان بالقرآن وبنوة محمد صلى الله عليه وسلم الا قوله لم (أبعث الله بشرا رسولا) أى الاشبه بمكة في صدورهم وهى انكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة في أبعث الله لا انكارا وما أنكره (٣) ففي قضية حكمته منكشركم رد الله عليهم بقوله (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون) على أقدمهم ٢٣٩ كأي شئ الانس ولا يطربون باختيهم

الى السعافه وما من أهلها
ويعلموا ما يجب عليهم (مطمئنين)
حال أى ساكنين في الارض
قارنين (الترنأ عليهم من السماء
ملككارسولا) يعلمهم الخبر ويهدوهم
المراد فاما الانس فأنما يرسل
الملائكة الى مختارهم للنبوة فيقوم
ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم
وبشرهم كحال الان من رسولا
(قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم)
على أى بلغت ما أرسلت به اليكم
وانكم كذبت وعاندتم شهيدا
تميز وأحال (انه كان بعاده)
المنذرين والمنذر بن (خبر)
علما بادخالهم (بصيرا) بافعالهم
فهو مخازيهم وهذه تسليمة
لرسول الله عليه السلام ووعيد
للكفرة (ومن يبدل الله فهو
المهتد) والياء يعقوب وسهل
واقفه ما أبو عمر ومديني في
الوصل أى من وفقه الله لقبول
ما كان من الهدى فهو
المهتدي عند الله (ومن يضلل)
أى ومن يخذله ولم يعصمه حتى
قبل وساوس الشيطان (فلن يحد)
لم أولياء من دونه) أى انصارا
(وتخسرهم يوم القيامة على
وجوههم) أى يستجيرون عليها
كقوله يوم يستجيرون في النار
على وجوههم وقبل رسول الله

أعظم مما أقرحوه القوم عاتبهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا
فرد الله تعالى عليهم سؤالهم قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى)
أى الوحي والمعنى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنوة محمد صلى الله عليه وسلم الاشبه
تلهجت في صدورهم وهى انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (الأن قالوا)
أى جهلا منهم (أبعث الله بشرا رسولا) وذلك ان انكارهم ان يقولون لن يؤمن لك
لانك بشر وهلا بعث الله الانبياء كفا جهم الله بقوله (قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين) أى مستوطنين مقيمين فيها (الترنأ عليهم من السماء ملككارسولا) أى
من جنسهم لان الجنس الى الجنس أميل (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أى على أى
رسوله اليكم وفى قيد بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبت وعاندتم (انه كان بعاده)
يعنى المنذر بن والمنذر بن (خبر) أى علما بادخالهم فهو مخازيهم وهذه تسليمة
لرسول الله عليه وسلم ووعيد للكفار (ومن يبدل الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء
من دونه) أى يهدونهم وفيه أيضا تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم
بالايمان والهداية وجب أن يصبروا ومؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضللال والجهل
استحال أن يتقلبوا عن ذلك وتخسرهم يوم القيامة على وجوههم (ق) عن أسس
ان رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم يحشرون الكافر
على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الذى أمشأ على الرجلين فى الدنيا
قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه على وعزة ربا وعن أى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشرون يوم القيامة ثلاثة أصناف
صنف أمشأه وصنفار كبنا وصنف على وجوههم قيل يا رسول وكيف يحشرون على
وجوههم قال ان الذى أمشأه هم على أقدمهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم
يتقون بوجوههم كل حديد وشوك أخرجه الترمذى الحذب كل ما ارتفع من الارض
(عميا وبكا وصما) أى لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون فان قلت كيف وصفهم
بانهم عمى وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى الجزم من النار وقال دعوا هؤلاء ثبورا
وقال سمعوا الها غضا وزفيرا فان ثبت لهم الرؤية والكلال والسمع قلت فيه أوجه أحدها
قال ابن عباس معناه عميا لا يبصرون ما يسمعون بكلام لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون
ما يسمعون الوجه الثانى قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه
الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم افسدوا فيها ولا تنكحوا من
فيصرون باجهم عميا وبكا وصما لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون (ما وأهم جهنم كما

عليه السلام كيف يحشرون على وجوههم قال ان الذى أمشأه هم على أقدمهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا وبكا وصما)
كما كانوا في الدنيا لا يبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقرأ عليهم
ولا يسمعون ما يلقاهم به ولا ينطقون بما يقبل منهم (ما وأهم جهنم كما) (٣) قوله في قضية حكمته من كبر عتاده السكتاف
وما أنكر ومغلافة هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امته الا الى الانبياء وهى ظاهرة

خبت كطفي لهم (زناهم سعيرا) توقدا (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ان هذا كنا عظاما وورثنا ما لم نعملوا خلقا جديدا) اى ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا ٤٠ بالاعادة بعد الافساء فجعل الله جزاءهم أن ساط النار على اجزائهم تاكلها ثم

يعيدهم الى الرول على ذلك ليزيد في تحسهم على تكذيبهم البعث (أولم يروا) أولم يعلموا أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم من الانس (وجعل لهم اجلا لادب فيه) وهو الموت والقيامة فاقبى الظالمون الا كفورا (يجودامع وضوح الدليل قل لو انتم تملكون) تقديره لو تملكون انتم لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلا يدم فعل بعدها فاضمر غلث على ثم ربطة التقدير وايدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو انتم ليقط ما يند له من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وملكون تقديره وهو هذا الوجه الذى يقتضيه علم الاعراب واما ما يقتضيه علم البيان فهو انتم ~~ملكون~~ فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشئ المتباغ (خزائن رحمتى) زرقوسا ترجمه على خلقه (اذ الامم كنتم خشيعة الانفاق) اى بلغت خشيعة ان يخفيه الانفاق (وكان الانسان قتيورا) تخيلا (واقعدت) تينا موسى تسع آيات بينات) عن ابن عباس رضى الله عنهما هى العصا واليد والجرد والتمل والاضغادع والدم والجبر والظن والذى

خبت) اى سكن لهمها وقيل ضعفته وهذات من غير ان يوجد نقصان في ايام الكفار لان الله سبحانه وتعالى قال لا يقرعونهم وقيل معناه اذ ان تخبوا (زناهم سعيرا) اى وقودا وقيل معناه خبت اى نضحت جلودهم واحترقت عيود والى ما كانوا عليه وزيد في سعي النار لقرعهم (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا) لماد كرا الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم كفا وايضا معنى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا (وقالوا ان هذا كنا عظاما وورثنا ما لم نعملوا خلقا جديدا) اجابهم الله وقرعهم بقوله (أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض) اى في خلقها وهادتها (قادر على ان يخلق مثلهم) اى في صغرهم وضعفهم (وجعل لهم اجلا) اى وقتا للعذابهم (لا ريب فيه) اى لا شك فيه انه يأتهم قبل الموت وقيل يوم القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) اى جودا وعنادا (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي) اى خزائن نعمه وورقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو انكم ملكتم من النعم خزائن لانها لا تملك (اذ الامم كنتم) اى بلغت وحشية (خشيعة الانفاق) والعقود الفساد هذه اما لغة عظيمة وفي وصفهم بهذا الشئ (وكان الانسان قتيورا) اى مكمنا بخلاف ان قلت قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاج والخناج لا بدوان يجب ما يدفع به عنه ضرر المحاجة ويمسكه بنفسه الا أنه قد يوجد لا بسبب خارجه مثل أن يجب المدحة أو رجاؤه فبنت هذا الاصل في الانسان البخل قوله تعالى (واقعدت) تينا موسى تسع آيات بينات) اى دلالات واخصات قال ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بالسانه فلهما ولفظ الجبر والظن وان الجمر اذ التمل والاضغادع والدم وقيل عوض فلي الجبر واليد والسنون وتنقص من الثمرات وقيل الشمس والجبر يدل السنون والنقص قيل كان الرجل منهم مع اهله في الفراش وقد صاروا جبرين والمرأة فاعلة مخبر وقد صارت جبرا وروى ابن عمر ابن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الشمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجرب فانه جبه فاذا فيه بض مكسر نفعين وجو زمكسر نفعين ونوم وحس وعدس كلها هجاء وقيل التسع آيات هي آيات الكتاب وهي الاحكام يدل عليه ما روى عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال لا تقبل نبي فانه لو سمع صارت له أربعة أعين فاما هذا الامع هذه الاشياء وقد تينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقبلوا النفس التي حرم الله الاتحاق ولا تزنا ولا تاكلوا الر باولا تسعروا ولا تشعروا بالبرى الى سلطان لبقته ولا تسرفوا ولا تزدفوا لخصنات ولا تفر وامن الزحف عليكم خاصة اليهود أن لا تعبدوا في السبت فقد يلايدوه ولا تشهد ان نبي قال فابنهم كنتم ان تنبه وفي قالوا ان داود دعار به ان لا يزال في ذريته نبي وانما تخاف ان تبغضك ان تفتلنا اليهود (فاسئل) يا محمد (بنى اسرائيل) بحيرة

فتتبعه على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون وتنقص الثمرات مكان الجبر والجبر والطور (فاسئل بنى الخطاب اسرائيل) فقلنا هل سئل بنى اسرائيل اى اسلمهم من فرعون وقيل له ارسل معي بنى اسرائيل

وقوله (اذبحاهم) متعلق بقوله المحذوف أى فقلناه سلمهم حين جاءهم (فقال له فرعون انى لا ظنك باموسى مسجورا) سحرت فحولنا عقلك (قال) أى موسى (لقد علمت) يافرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (الارب السموات والارض) خالقهما (بصائر) حال أى بينات مكشوفات لانك معاند وتخومو وحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا علمت على أى انى لست بمسجور كما وصفتى بل اناعالم بحجة الاخوان هذه الايات من لهاب السموات والارض ثم قارع ظنه بقوله (وانى لا ظنك بافرعون مشورا) كانه قال ان ظننتى مسجورا فانا اظنك مشورا وظنى اصح من ظنك لان اماره ظاهرة وهى انك كاذب ما عرفت صحتك ومكانك لا يات الله بدو وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بحجة ابرى انى لا ظنك مسجورا قول كذب وقال الفراء مشورا مصر وفاعن الحخير من قولهم ٢٤١

وصرفك (فاراد) فرعون (ان يستقرهم) يخرجهم أى موسى وقومه (من الارض) أى ارض مصر اه ينقهم عن ظهر الارض بالقتل والاستصال (فاغرقاه ومن معه جميعا) خفاق به مكره بان استقره الله باغراقه مع قبضه (وقلناه من بعده) من بعد فرعون (ابنى اسرائيل اسكنوا الارض) التى اراد فرعون ان يستقرهم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) أى القيامة (جئناكم افيقا) جميعا مختطبين اياكم واهانكم فتحكم بدمكم وقبض بين عدائكم واشقائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) وما انزلنا القرآن الا بالحقكم وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا

المطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون مخاطبه وأمره بالسؤال ليشين كذبهم مع قومهم (اذبحاهم) يعنى جاءهم موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل (فقال له فرعون انى لا ظنك باموسى مسجورا) قال ابن عباس سجدوا وقيل مطبوا أى سجدوا وقيل معناه ساحرا عطى علم السحر فهذه العجايب التى تقع لها من سحرك (قال) موسى (لقد علمت) خطاها لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عانده (ما أنزل هؤلاء) الارب السموات والارض) يعنى الآيات التسع (بصائر) أى بينات بصير بها (وانى لا ظنك بافرعون مشورا) قال ابن عباس ملعونا وقيل هلكا وقيل مصر وفاعن الحخير (فاراد) أى يستقرهم من الارض) معناه اراد فرعون ان يخرج موسى وبني اسرائيل من ارض مصر (فاغرقاه ومن معه جميعا) أى اغرقنا فرعون وجنوده وبنيهم موسى وقومه (وقلنا من بعده) أى من بعدهم لافرعون (ابنى اسرائيل اسكنوا الارض) يعنى ارض مصر والنام (فاذا جاء وعد الآخرة) يعنى القيامة (جئناكم افيقا) أى جميعا الى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل اراد بوعد الآخرة نزول عسى من السماء قوله سبحانه وتعالى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) يعنى ان ما اولدنا بانزال القرآن الانقصر بره الحق فلما اوردناه هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما انزلنا القرآن الا بالحق المنقضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير (وما ارسلناك الا مبشرا) يعنى بالجنة واليعين (ونذرا) أى مخوفا بالنار للعاصين قوله عز وجل (وقرأنا فرقاها) أى فصلناه وبيناها وقيل فرقنا بين الحق والباطل وقيل معناه انزلناه ونحو ما ينزل من قوله تعالى (لتقرأ على الناس على مكث) أى على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا) أى على حسب المحوادث

٢٤١ ن ت بالحق يخوف طابا لرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا مخوفا طابهم من تخليط الكاظمين قال الراوى اشتكى محمد بن السماك فاخذنا ماءه وذهبنا به الى طبيب نصرانى فاستقبلنا رجل حسن الوجهه طبيب الرائحة فى الثوب فقال لنا اى ابن فقلنا له الى فلان الطبيب فربه ما ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولى الله بعد والله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل وبالحق انزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا قبل نوره فرجعنا الى ابن السماك فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفى فى الوقت وقال كان ذلك الحضر عليه السلام (وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة) (ونذرا) من النار (وقرأنا) منصوب بفعل يفسره (فرقاها) أى فصلناه أو فرقنا فوه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تؤدة وثبتت (ونزلناه تنزيلا) على حسب المحوادث

(قل آمنوا به أولا تؤمنوا) اى اختاروا لانفسكم النعيم المقيم او العذاب الاليم ثم علل بقوله (ان الذين اوتوا العلم من قبله) اى التوراة فمن قبل القرآن (اذا يتلى عليهم) القرآن يخرجون للاذقان سجداً حال (ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولاً) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا اى اعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان خير امرتهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فاذن الى اعرض عنهم واسجدوا وسجدوا الله تعظيماً لأمه ولا تجازمه ما وعد فى الكتب المنزلة وبشر به من بعثه محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذکور ان معنى انه وهى تؤ كذا الفعل كما ان تؤ كذا الاسم وكما كدت ان باللام فى انهم محضرون كدت ان باللام فى لمفعولاً (ويخرجون للاذقان يبكون) ومعنى الخى المحرور للذقن السقوط على الوجه وانما خاص للذقن ٢٤٢ لان اقرب الاشياء من وجهه الى الارض عند السجود للذقن يقال خر على

وجهه وعلى ذقنه وخر لوجهه ولذقنه امام معنى على فظاهر وامام معنى اللام فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخر ورواخره به اذا لام للاختصاص وكرر يخرجون للاذقان لاختلاف الحالين وهم اخروهم فى حال كونهم ساجدين وخرورهم فى حال كونهم باكين (وبزیدهم) القرآن (خشيوعاً) لين قاب ورطوبة عين (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) لماسعه أوجهل بقوله بالله يارجن قال الله تعالى ان تعبدوا الهين وهو يدعوا لها آخر فزلت وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكرا الرحمن وقد كثر الله فى التوراة هذا الاسم فزلت والدعاء معنى التسمية لاعمى الدعاء أو للتخيير اى سموها بهذا الاسم أو بهذا واذا ذكرها هذا واما هذا والتووين فى (اياما تدعوا) عوض من المضاف

(قل آمنوا به أولا تؤمنوا) فيه وعد وتهديد (ان الذين اوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنوا أهل الكتاب الذين كانوا يظنون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وأبى ذر وغيرهم (اذا يتلى عليهم) يعنى القرآن (يخرجون للاذقان) قال ابن عباس أراد بها الوجه (سجداً) أى يعقون على الوجه سجداً (ويقولون سبحان ربنا) أى تعظيمنا ربنا لانجاز ما وعد فى الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (ان كان وعد ربنا لمفعولاً) اى كأننا واقعا (ويخرجون للاذقان يبكون وبزیدهم خشوعاً) أى خضوعاً لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع على عبد عذاب فى سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذى والنسائى وزاد النسائى فى مغزى مسلم أبداً اللولج الدخول والمغزى الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعنان لاعمها النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله أخرجه الترمذى قوله عز وجل (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فعمل يقول فى سجوده بالله يارجن فقال أبو جهل ان محمداً يئنه انما نزلت وهو يدعوا الهين فانزل الله هذه الآية (يقومناه انما اسمان الله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم) (اياما تدعوا) ما قبله ومعه أى هذين الاسمين سميتهم وذكركم او من جميع اسمائه (قله الاسماء المحسنى) يعنى اذا حسنت اسماءه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى انها مشتملة على معانى التقديس والتعظيم والتجديد ولا تجهر بصلا لا نل ولا تخافت بها (ق) عن ابن عباس فى قوله ولا تجهر بصلا لا نل ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف بكلمة وكان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا

الله وما زيدت للتوكيد وايانصب يتدعوا وهو محذور بماى اى هذين الاسمين ذكركم وسميتهم (قله الاسماء المحسنى) والضمير فى قوله بجمع ذات الله تعالى والفاء لانه جواب الشرط اى اياما تدعوه وحسن فوضع موضعه قوله قل الله الاسماء المحسنى لانه اذا حسنت اسماءه كلها حسن هذان الاسمان لانها مأنومعنى كونها أحسن الاسماء انها مستقلة بمعنى التمجيد والتقديس والتعظيم (ولا تجهر بصلا لا نل) بقراءة صلا لا نل على حذف المضاف لانه لا يلبس اذا جهر والتخافتة تعقبتان على الصوت لا غير والصلا لا نل واذا كانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بان يخفف من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت بها) حتى لاتسمع من خلفك

(وابتغ بين ذلك) بين الجهر
والخافتة (سديلا) وسطا أو معناه
ولا تجهر بصلاتك كلها ولا
تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك
سديلا بان تجهر بصلاة الليل
وتخافت صلاة النهار أو بصلاتك
بدائك (وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا) كما زعمت اليهود
والنصارى وبنو عليج (ولم يكن
له شريك في الملك) كما زعم
المشركون (ولم يكن له ولي من
الذل) ألم يدل فيحتاج إلى
ناصر أو لم يوال أحدا من أجل
مذلة به يدفعها أو لا نه (و كبره
تكبرا) وعظمه وصفه بأنه كبر
من أن يكون له ولد أو شريك
وسمى النبي عليه السلام الآية
آية العز و كان إذا أفضح
الغلام من بني عبد المطلب علمه
هذه الآية
* (سورة الكهف مائة واحدة
عشرة آية بصرى وعشر آيات
كوفى) *
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الحمد لله الذي أنزل على عبده)
محمد صلى الله عليه وسلم
(الكتاب) القرآن لقن الله
عباده وفقهم كيف يشئون
عليه ويحمدونه على أجل
نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام
وما أنزل على محمد صلى الله عليه
وسلم من الكتاب الذي هو
سبب نجاتهم

القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر
بصلاتك أي بقرائك فسمع المشركون فيسمعوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا
تسمعهم وابتغ بين ذلك سديلا زاد في رواية وابتغ بين ذلك سديلا أسمعهم ولا تجهر حتى
يأخذوا عنك القرآن وقيل نزل الآية في الدعاء وهو قول عائشة والغني ومجاهد
ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت نزل ذلك في الدعاء
وقيل كان أعراب بن بني تميم إذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم اوزقنا ما لا
وولدنا يجهرون بذلك فأمر الله عز وجل ولا تجهر بصلاتك أي لا ترفع صوتك بقرائك فلا
ودعائك ولا تخافت بها الخافتة خفض الصوت والسكوت (وابتغ) أي اطلب (بين ذلك
سديلا) أي طريقا وسطا بين الجهر والاختفاء عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قل لا يبيكر موت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال لا يبيكر موت بك
من ناحيت فقال أرفع قليلا وقال لعمر مرت بك وأنت تقرأ أو أنت ترفع من صوتك
فقال لا أوقظ الوسنان وأمر الله الشيطان فقال اخفض قليلا أخرجه الترمذي (وقل الحمد
لله الذي لم يتخذ ولدا) أحر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ليان يحمده على وحدانيته وقيل معناه
الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولدا وقيل أن كل من له ولد فهو مسلم جميع النعم لولده
وإذا لم يكن له ولد فأفاض نعمه على عبده وقيل أن الولد يتروم مقام والده بعد انقضاءه
والله عز وجل يتعالى عن جميع النقص فهو المستحق لجميع الخامد (ولم يكن له شريك في
الملك) والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والثناء
وكذا قوله (ولم يكن له ولي من الذل) ومعناه أنه لم يدل فيحتاج إلى ناصر يتعز به (و كبره
تكبرا) أي وعظمه عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولي وقيل إذا كان منزها عن الولد
والشريك والولي كان مستوجبا لجميع أنواع الحمد عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدهون الله في السراء
والضراء عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رأس الشكر
ما شكر الله عبدا لمحمد عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن
أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكرك لاله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام إلى الله
أربع لاله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضر لك باين بدأت أخرجه مسلم
والله أعلم برأيه وأسره كتابه

(تفسير سورة الكهف)

وهي مكية وآياتها مائة واحدة عشرة آيات وكتابتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة
وحروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) أنشئ الله سبحانه وتعالى على نفسه

(ولم يجعل له عوجاً) أى شيئاً من العوج والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان يقال فى رأيه عوج وفى عصاه عوج والمراد فى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة (قيماً) مستقيماً وانتصابه بضمير وتقديره جعله قيماً لانه اذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفى أحدهما نفي عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخفى لكون أدنى عوج عند التصفيع أو قيامه على سائر الكتب مصدر قائلها شاهد ابعتها (لينذر) أنذر متعدداً فى معولين كقوله أنا أنذر ناكماً عذاباً قريئاً فاقصر على أحدهم أو أصله لينذر الذين كفروا (باساً) عذاباً شديداً) وإنما اقصر على أحد ٢٤٤

عنده (و يبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم) أى بان لهم (أجر حسناً) أى الجنة و يبين جزاءه على (ما كسب) حال من هم فى لهم (فيه) فى الأجر وهو الجنة (أبداً وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) ذكر المنذرين دون المنذره بعكس الاول استغناء بتقديم ذكره (المالهم به من علم) أى بالولد أو بالتخاذل يعنى أن قولهم هذا لم يصد عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخذ الله ولداً فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم قلت استغناء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصول اليه وقد يكون فى نفسه محالاً بالاستعجم يتعلق العلم به (ولاً لا تأثم) أى ولا أسألهم من قبل (كبرت) أى عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) أى هذا الذى يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطان فكانه يخرج على لسانهم على سبيل التقليد (ان يقولون الا كذباً) أى ما يقولون الا كذباً قيل حقيقة الكذب أنه الخبر الذى لا يطابق الخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله أنه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذباً مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلاً فعلمنا ان كل خبر لا يطابق الخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ووجعل كذاباً وكذباً اذا كان كثير الكذب قوله عز وجل (فلعلك تاتع نفسك) أى قاتل نفسك (على آثامهم) أى من بعدهم (ان لم يؤمنوا بهد المحدث) يعنى القرآن (أسفاً) أى حزناً

عنده (و يبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم) أى بان لهم (أجر حسناً) أى الجنة و يبين جزاءه على (ما كسب) حال من هم فى لهم (فيه) فى الأجر وهو الجنة (أبداً وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) ذكر المنذرين دون المنذره بعكس الاول استغناء بتقديم ذكره (المالهم به من علم) أى بالولد أو بالتخاذل يعنى أن قولهم هذا لم يصد عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخذ الله ولداً فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم قلت معناه مالهم به من علم لانه ليس بما يعلم لا سخالة واتقاء العلم بالشئ اماً للجهل بالطريق الموصول اليه اولانه فى نفسه محال (ولاً لا تأثم) أى ولا أسألهم من قبل (كبرت) أى عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) أى هذا الذى يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطان فكانه يخرج على لسانهم على سبيل التقليد (ان يقولون الا كذباً) أى ما يقولون الا كذباً قيل حقيقة الكذب أنه الخبر الذى لا يطابق الخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله أنه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذباً مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلاً فعلمنا ان كل خبر لا يطابق الخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ووجعل كذاباً وكذباً اذا كان كثير الكذب قوله عز وجل (فلعلك تاتع نفسك) أى قاتل نفسك (على آثامهم) أى من بعدهم (ان لم يؤمنوا بهد المحدث) يعنى القرآن (أسفاً) أى حزناً

القصيدة بها (تخرج من أفواههم) صدقة لكامة تفيد استعظام الاجترار منهم على النطق بها واخراجها من أفواههم وقيل فان كثير ائمة ما يوسوس الشيطان فى قلوب الناس من المنكرات لا يتم الكون ان يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف يمثل هذا المنكر (ان يقولون الا كذباً) ما يقولون ذلك الا كذباً هو صفة كل محدوف أى قولا كذباً (فلعلك تاتع نفسك) قاتل نفسك (على آثامهم) أى آثام الكفار شهدهم واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الاسف على تولىهم برجل فارقه أحبته فهو يشاقط حسرات على آثامهم ويضع نفسه وجداع عليهم وتلفه على فراقتهم (ان لم يؤمنوا بهد المحدث) بالقرآن (أسفاً) معقول له أى لقرط الحزن والاسف المبالغى فى الحزن والغضب

(اناجعلنا على الارض زينة لها) أى ما يصلح أن يكون زينة لها ولا لها ٢٤٥ من زخارف الدنيا وما يستحسن منها

(النبوهم أحسن عمل) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترابها ثم زهد في الميل اليها بقوله (وانا لمجعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيدا) أرضا ملساء (جزرا) بابسا لالنبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والمعنى نعيد لها بعد عمارتها خرابا بمائة الحيوان وتخفيف النبات والاشجار وغير ذلك وما ذكر من الآيات الكريمة تزيين الارض بما خلق فوقعها من الانحناص الى لا حصر لها وازال ذلك كله كأن لم يكن قال (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) يعنى أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والتكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب في شأنهم أو اسم الجبل الذى فيه الكهف (كانوا من آياتنا عجبا) أى كانوا آية عجيبة من آياتنا وضايفا بالصدر أو على ذات عجب (اذ) أى اذكر اذ (أوى القتيبة الى الكهف فقالوا ربنا آتانا من لدنك رحمة) أى رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء (وهيئ لنا) أى أصعبلنا (من أمرنا) (رشدنا) أى حتى نكون بسببه راشدين مهدين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

وقيل غيظا (اناجعلنا على الارض زينة لها) أى ما يصلح أن يكون زينة لها ولا لها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعنى النبات والشجر والاشجار وقيل أوداه الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت أى زينة في الحيات واللعنة أرب والشماعطين قلت زينة لها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل أن جميع ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان واشرف أنواع الحيوان الانسان قيل الاولى ان لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى (النبوهم) فمن يلى يجب ان لا يدخل في ذلك ومعنى النبوهم تختبرهم (أيهم أحسن عملا) أى اصلي علالا وقيل أيهم اترك للدنيا وازهد فيها (وانا لمجعلون ما عليها) أى من الزينة (صعيدا جزرا) يعنى مثل ارض لالنبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجزر الملس اليباس الذى لا ينبت فيه شئ قوله سبحانه وتعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أى هم عجب من آياتنا وقيل معناه أنهم ليسوا بأعجب آياتنا فان ما خلقنا من السموات والارض وما فيهن من العجائب اعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من ججارة وعن ابن عباس أن الرقيم اسم الوادى الذى فيه أصحاب الكهف وقال كعب الاحبار هو اسم للقرية التى خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذى فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل (اذأوى القتيبة الى الكهف) أى صاروا اليه وجعلوه مأواهم والقتيبة جمع قتي وهو الطيرى من الشيايب (فقالوا ربنا آتانا من لدنك رحمة) أى رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء (وهيئ لنا) أى أصعبلنا (من أمرنا) (رشدنا) أى حتى نكون بسببه راشدين مهدين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

(ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه) * قال محمد بن اسحق ومحمد بن يسار ج أمر أهل الانجيل وعظمت فيهم الحضايا واطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا الطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بمبادئه وتوحيده وكان عن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح الطواغيت وقتل من خلفه وكان ينزل قري الروم فلا يترك في قرية نزلها احدا الاقتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام او يمتكفه فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها افسوس استغنى منه أهل الايمان وهربوا في كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الايمان في اما كنهم ويخبرونهم الى دقيانوس فيغيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من رغب في الحياة ومنهم من باتى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعداب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من اجسادهم على اسوار

رأيت منك اسدا أو بسرنا طربق رصاك

المدينة وأولها قلعها عظمت القنينة وكثرت ورأى ذلك القنينة حزنا حزنا شديد أقسموا
 واشتغلوا بالسلامة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشرف الروم وهم
 ثمانية نفر بكروا وتضرعوا إلى الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والأرض
 إن ندعوك من دونها لقد قلنا إذا شططنا أكشف عن عبادك المؤمنين هذه القنينة وارفع
 عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فيمنعناهم على ذلك وقد دخلوا مصلاتهم أدركمهم الشرط
 فوجدوهم سحودا يكرهون ويتضرعون إلى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن
 أمر الملك ثم انطلقوا إلى الملك فأخبروه خبر القنينة فبعث إليهم فأتى بهم تفيض أعينهم
 من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لأهلنا التي
 تعبد في الأرض وتجهلوا أنفسكم أسوة أهل مدينتكم اختاروا إيمان الذبح والاهتينا
 وأما إن أقبلتم فقال مكسليهمنا وهو أكبرهم إن لنا الفاسل السموات والأرض عظمت
 إن ندعوك من دونها أبدأ له الحمد والتكبير من أنفسنا خالصا أبدا أبدا نعبده أبدا نسال
 التجارة الخيرة فأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا اصنع بنا ما أبدأ لك وقال أصحابه مثل ذلك
 فلما سمع الملك كلامهم أمر بترع ثيابهم وخطبة كانت عليهم من الذهب والفضة وقال
 سافر عنكم وانجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما يمنعني أن أعمل ذلك لكم إلا أني أراكم
 شبابا حديثا سنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تدكرون فيه فخرجون
 إلى عقروهم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينة أخرى قريبة
 منهم لبعض أموره فلما رأى القنينة خرجوه بادر واوفاؤا إذا قدم إن يذكركم فاستروا
 بينهم والله تعالى أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيصعد قوامها ويرتدوا
 بما بقي ثم انطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ينجيوس فيمكثوا فيه
 ويعبدوا الله حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فيصنع بهم ما يشاء فلما انتفخوا على ذلك عمد كل
 في منهم إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم
 حتى أتوا ذلك الكهف فيمكثوا فيه وقال كلب لأصحابه مروا بكم فبعضهم فطرده فعاد
 ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا مني أنا أحب أحياء الله
 عز وجل فناموا حتى أحسهم وقال ابن عباس هرب من دقيانوس وكانوا سبعة فرباع
 معه كلب فبعضهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد إلى الكهف قال ابن
 عباس فلبسوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتقديد ابتغاء لوجه
 الله عز وجل وجعلوا نفقتهم إلى في منهم اسمه تملخفا فكان يتباعهم أرقاهم من المدينة
 سرورا كان من أجلهم وأجلدهم وكان أداخل المدينة لبس ثيابه كتياب المساكين
 ثم يأخذ ورقه فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاما أو شرا أو يتجسس لهم الخبر هل ذكر
 هو وأصحابه شيء ثم يرجع إلى أصحابه فليشربوا بذلك ما شاء الله أن يلبسوا ثم قدم دقيانوس
 المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا الطواغيت ففرع من ذلك أهل الإيمان وكان تملخفا
 بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعهم طعام قليل فأخبرهم

قوله ينجيوس هكذا في بعض
 النسخ وفي بعضها محيوس وفي
 حياة المحيوس من محيوس اه مع

ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا واتمسوا مع عظماء المدينة ففرعوا ووقعوا
 سهودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعدون من القنينة فقال لهم تليظا يا اخوتاه
 ارفعوا رؤسكم وامطعوا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم واعينهم تقبض من الدمع وذلك
 عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكرون بعضهم بعضا فيمناهم هم على ذلك اذ
 ضرب الله عز وجل على آذانهم في الكهف وكلمهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه
 ما اصابهم وهم مؤمنون موقنون وثقة بهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدتهم
 دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساء في شأن هؤلاء الغتية
 الذين ذهبوا والقطنوا ان في غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من امرى ما كنت لا جهل
 عليهم ان هم تابوا وعبدوا آلهتى فقال عظماء المدينة ما انت بحقيق ان ترحم قوما
 فخرم رد عصاة قد كنت اجلت لهم اذ لا ولوا شاور الرجوعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا
 فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل الى آباءهم فاتي بهم فقال اخبروني عن ابنائكم
 المردة الذين عصوني فقالوا اما نحن فلم نعضل فلم تقتلنا يقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا
 واهلكوها في اسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى بختلوس فلما قالوا له ذلك خلى
 سبيلهم وجعل ما يدري ما يصنع بالقتية فالتقى الله سبحانه وتعالى في نفسه ان يأمر بسد باب
 الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لامة يستخاف من
 بعدهم وان سبى لهم ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر
 دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكرن
 كهفهم الذي اختاروه قبر المم وهو يظن انهم ايقاظا يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله
 عز وجل ارواحهم وفاقوهم وكلمهم باسط ذراعيه بباب الكهف فمدغشيه ما غشيهم
 يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان
 ايمانهما اسم احدهما يدروس واسم الاخر وناس اهتم ان يكتماشا هؤلاء القتية
 واسماءهم وانسابهم واخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس
 ويجعل الا لتابوت في البنيان وقال لعل الله ان يظهر على هؤلاء القتية قوما مؤمنين قبل
 يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلوا ذلك وبنوا عليه وبنى
 دقيانوس ما بنى ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة فخلقت الملوكة بعد الملوكة وقال
 عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف ثمانية اموطين مسورين ذوى ذنائب فخرجوا في
 عيادتهم عظيم في زى وموكب وانخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها وكان معهم
 كلب صلبهم وكان احدهم وزير الملك فذف الله سبحانه وتعالى الى ان الانسان في
 قلوبهم فقاموا واخفى كل واحد ايمانه وقال في نفسه اخرج من بين أظهره هؤلاء القوم
 لئلا يصيب عقاب بجرهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج
 آخر فراهسا وحده فراحا ان يكون على مثل امره وجلس اليه من غير ان يظهره على
 امره ثم خرج آخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد
 يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا اخرج كل قيسين فيخبروا لو يفش كل

واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف في جبل عظيم
 قريب منهم فقال بعضهم لبعض فآروا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا
 الكهف وهم جميعا مائة وثلاثة وستين واذا دوا نساءهم وقصدهم قومهم
 وطلبوهم فعسى الله عليهم آمارهم وكهفهم فكتبوا اسماءهم وانا ساءهم في لوح فلان
 وفلان ابناهم لئلا يكونوا كذا في سنة كذا في عمدة فلان بن فلان الملك
 ووضعوا اللوح في خزنة الملك وقالوا ان يكون هؤلاء سنان ومات ذلك الملك وجاء قرن
 بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له يدروس فلما
 ملك في ملكه ثمانا وستين سنة ففزع رب الناس في ملكه في كانوا اخرايا منهم من يؤمن
 بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فيكبر ذلك على الملك الصالح وتصرع على
 الله وحزن حزنا شديدا لما رأى اهل الباطل يزبدون ويظهرون على اهل الحق ويقولون
 لا حياة الا للحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل يدروس الملك يرسل
 الى من يقن فيهم خيرا وانهم آتة في الحاق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى
 كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحوار بين فاما رأى ذلك الملك الصالح دخل
 بيته واغلق بابا عليه وليس معه احد وجعل تحت رماذ الخاس عليه فدأب ليله ونهاره
 يتصرع الى الله تعالى ويبيك ويقول رب قدر ترى اختلاف هؤلاء فابتهلهم آية تبين
 لهم بطلان ما هم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة
 عباده اراد ان يظهر على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويحييهم آية
 ونجاة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبد الصالح يدروس ويتم
 نعمته عليه وان يجمع من كان تبعد من المؤمنين فالتقى الله سبحانه وتعالى في نفس رجل
 من اهل ذلك البلد الذي شبه ذلك الكهف وكان اسمه اولياس ان يمد ذلك
 البنان الذي على قم الكهف ويبنى به حظيرة لغنمه فاستاجر غلامين فيملا الزرعان
 تلك الحظيرة ويغنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعاما كان على باب الكهف وقد اباب
 الكهف ويحييهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما افتتح باب الكهف اذن الله
 سبحانه وتعالى ذوا القدرة والسلطان يحيي الموتى للفتية ان يخرجوا ويبين لهم افي الكهف
 بخاسوا وافرين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كانوا اسنة نظروا
 من ساعتهم التي كانوا اسنة يظنون منها اذا اصبحوا من ايامهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا
 كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا احوالهم شيء يشكرونه وانهم كهيئتهم حين
 رقدوا وهم يرون ان ذبايوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا التعللوا صاحب نفقتهم
 انتم انما قال الناس في شأننا عسيرة امس عند هذا الجبار وهم يظنون انهم قد قدرتم
 كعض ما كانوا يرقدون وقد خسل اليهم انهم قد ناموا اطول مما كانوا ينامون
 حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبتم نياما قالوا لبتم نياما او بعض يوم
 قالوا انكم اعلم بآياتكم وكل ذلك في أنفسهم لم يدر فقال لهم غلبا فقد التمستم
 في المدينة وهو يريد ان يؤتى بكم اليوم فتسبحوا للظواهر اغيت او يفتكم فاشاء
 الله بعد ذلك فعلى فقال لهم كساحيتنا يا اخوتاه اعلموا انكم ملائكة الله فلا تكفروا

بعد ايمانكم اذ ادعاكم عند الله ثم قالوا اتبعنا انطلق الى المدينة فنسمع ما يقال لنا بها
 وما الذي يدكر فينا عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرون بك احسدا وابتغ لنا طعما فأتاه
 وزاد على الطعام الذي جئت به فقد أصبحنا جميعا ففعل قليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه
 وأخذ الثياب التي كان يلبس فيها وأخذ ورقا من نقعته التي كانت معهم التي ضربت
 بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربيع فانطلق قليخا خارجا فلما مر باب الكهف رأى
 الحجاره منزوعة عن باب الكهف فحبب منها ثم لم يسأل بها حتى أتى باب المدينة
 مستخفيا يصعد عن الطريق فتخرفا ان يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس
 وأهله هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما أتى قليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر
 الباب علامة كانت لاهل الايمان اذ كان أم الايمان ظاهر افيها فلما رآها عجب وجعل
 ينظر اليها عينا وشه الاثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب آخر فمر أي مثل ذلك فخل اليه
 أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى اشخاصا كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك
 فجعل عشي ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل
 يتعجب منه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا اما عشة أمس كان المسلمون يخفون
 هذه الالهة في هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لاهل في عالم ثم يرى انه ليس
 بنا ثم فاخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل عشي في أسواقها فسمع ناسا
 يخفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى انه حيران فقام مسندا ظهره الى
 جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا اما عشة أمس فليس
 كان على الارض من يدكر عيسى بن مريم الا قتل وأما اليوم فاسمع كل انسان يذكر
 عيسى بن مريم لا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ما أعلم
 مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم أتى قتي فقال له ما اسم هذه المدينة باقى فقال
 اسمها القوس فقال في نفسه لعل في مسأ أو أم أذهب عقلي والله يحق لي أن اسرع
 الخروج قبل أن يصيبني فيها شر فاهلك فغضى الى الذين يتاعون الطعام خارج لهم
 الورق التي كانت معهم وأعطاهم رجلا منهم وقال له بعني هذه الورق طعما فاخذها الرجل
 ونظر الى ضرب الورق ونقشها فحبب منها فتناولها رجلا آخر من أصحابه فظفر ثم جعلوا
 يتطارحون بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ويشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض
 ان هذا أصاب كثرنا خبيثا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم مخلصا
 فتدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يردد ويقول انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم
 انصار يردون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل اناس يأتونه ويعرفونه فلا
 يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم أفصلوا عني فداختم ورفق فامسكوها واما
 طعماكم فلا حاجة لي به فقالوا له يا قتي من انت وما شأنك والله لقد وجدك كثرنا
 كنوز الاولين وانت تريد ان تخفبه منا انطلق معنا وارنا وشار كنا فيه نخفف عليك
 ما وجدت وانك ان لم تفعل نخف عليك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم
 قال والله قد وقعت في كل شيء كنت احذر منه فقالوا له يا قتي انك والله لا تستطيع ان

نكتم ما وجدت وجعل تلميذا ما يدري ما يقول لهم وخاف حتى لم يجز على لسانه اليهم شيء
 فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة
 حتى سمع به من فيها وقبل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع عليه أهل المدينة وجعلوا
 يطارون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأينا مثله قط وما
 نعرفه وجعل تلميذا ما يدري ما يقول لهم وكان متيقنا ان أباه وأخوته بالمدينة وأنه من
 عظماء أهلها وأنهم سيأتونه اذا جمعوا به فيمنها هو قائم كالخمران ينتظرونني يأتيه
 بعض أهله فيخاطبه من أيديهم اذا خطفوه وانطلقوا به الى رئيسي المدينة ومدبريها
 الذين يدبران أمرها وهم ما رجلا ن صالحان اسم أحدهما اريوس واسم الآخر
 طنطوس فلما انطلقوا به اليهم خاف ان تلميذا انه اغنا ينطق به الى دقيانوس الجبار فجعل
 يلتفت يمنا وشمالا وهو يبكي والناس مسخرون منه كل مسخرون من الجنون ثم رفع رأسه
 الى السماء وقال اللهم اله السماء واله الارض أفرغ على اليوم صبري وأوجع روع طمأنني
 تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فر قوا بيني وبين اخوتي يا ليته يعلمون
 ما أقيت ويا ليته يأتيوني فتقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا قد كنا تواقنا على الايمان
 بالله وإن لا نشرك به أحدا أبدا ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهى الى الرجلين
 أصالحين اريوس وطنطوس ورأى انه لم يذهب الى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء
 وأخذ اريوس وطنطوس الورق ونظر اليها وحجبا منها وقال أين الكنز الذي وجدت يا فتى
 فقال تلميذا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق آتاني ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله
 ما أدري ما شأني وما أقول لكم فقال له أحدهما ممن أنت فقال تلميذا أما أنا فكنت أرى
 أني من أهل هذه المدينة فقيل له ومن أبوك ومن يعرفك بها فآخبرهم باسم أبيه فلم يوجد
 من يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما انت رجل كذاب لا ننشدنا بالحق فلم يدرك تلميذا ما يقول
 غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم
 ليس مجنون ولكنه محقق نفسه عديم الكي ينقلات منكم فقال له أحدهما ونظر اليه
 نظر شديد انتظن اننا نراك ونصدقك بان هذا مال أبيك ونقش هذه المدينة وضربها
 ولهذا الورق اكثر من ثلثمائة سنة وانت غلام شاب انتظن انك تأفكنا وتسخر بنا
 ونحن شيوخ شحط وحولك امرأة هذه المدينة وولادة امرها وخزانة هذه المدينة بايدنا
 وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وانني لانتظن سائر كذبت عذبا
 شديد اثم وثقل حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم تلميذا أخبروني
 عما سألك عنه فان اتم فعلتم صدقكم عما عندى فقالوا له لا نكتم لك شيئا قال فسأله
 الملك دقيانوس فقال لا نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الامسكاهك
 في الزمان الاول وله دهر طويل وهاك بعده قرون كثيرة فقال تلميذا اني اذا لمجران
 وما بعد فتى احدم الناس فيما اقول لقد كنا فتية على دين واحد وان الملك اكرهنا على
 عبادة الاصنام والذبح للظواغيت فهربنا منه عشية امس فأتينا الى الكهف الذي في
 جبل يعلو سفينة فلما اتبنا هنا جئت لاشتري لأصحابي طعاما واحبسوا في الجبل
 انام معكم كل ترون فانطلقوا معي الى الكهف اريدكم اصحابي فلما سمع اريوس قول تلميذا

قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل لكم على يدي هذا القتي
فانطلقوا بنا معه حتى ربنا أصحابه فانطلق اربوس ووططوس ومعهما جميع اهل المدينة
كثيرهم وصغيرهم ونحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأى القصة أصحاب الكهف
تأليخا قد احتبس عنهم بعادهم وشربهم عن القدر الذي كان يأتي فيه ظنوا انه قد أخذ
وذهب به الى ملكهم دقيانوس فينبههم فظنوا ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات
وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم ليؤتيهم فقاموا
الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا انما نحن
تأليخا فانه الا نرى بين يدي الجبار وهو ينظر ناحيتنا فيه فينبهناهم يقولون ذلك وهم
جالوس على هذه الحالة اذ هم باربوس وأصحابه وقفا على باب الكهف فسبهم قتلخا
ودخل وهو يبكي فلما رآه يبكي بكوا معه ثم سأله عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا
انهم كانوا يا مامر الله ذلك الزمن الطويل وانما أوقفوا آية للناس وتصديقا
للبعث وليعلموا ان الساعة لا ريب فيها ثم دخل على أثر تأليخا اربوس فرأى ثاوتا من
نحاس محتوما بختام فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظماء اهل المدينة وأمر بفتح
السايت بخصمهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب باقبيما كسلينا او مخلصينا
وتأليخا ورمطوس وكشطوس وبيرونس وديوس وبطوس وقاوس والكل اسمه
قطير كانوا اقسمة هر بوا من ملكهم دقيانوس مخافة ان يقتلهم عن دينهم فدخلوا هذا
الكهف فلما أخبر بملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالجحوة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم
لعلهم من بعدهم ان عشر بهم فلما قرؤهم عجبوا وجدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية
تتلمع على البعث ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على القتي الكهف
فوجدوهم جالوسا مشرقه وجوههم لم تلب ثيابهم فخر اربوس وأصحابه سجدوا لله وسجدوا
لله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا واخبرهم القتي عن
الذي اقوام من ملكهم دقيانوس ثم ان اربوس وأصحابه بعثوا يريدوا الى ملكهم الصالح
بيدروس ان يجعل لعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية
فتكون لهم نورا وضحا وتصدقا للبعث وذلك ان قصة بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ
ثلاثة ائنة وكثر فلما أتى الملك الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال اجد لك اللهم رب
السموات والارض واعبدك واسبح لك اطولت على ورجعتي ولم تطفئ النور الذي جعلته
لا باني ولا عبد الصالح بيدروس الملك ثم أخبر بذلك اهل مدينته فركب وركبوا معه حتى
أتوا مدينة أفسوف فتلثمهم أهالها وشاروا معه ونحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى
القتي بيدروس فرح بهم ونحس جسا على وجهه وقام بيدروس الملك قداهم ثم
اعتقههم وبكى وهم جالوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال القتي
لييدروس الملك نسيتك وتوعدك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ
ملكك وتوعدك الله من شر الانس والجن فينبينا الملك قائم اذا هم رجعوا الى مضاجعهم
فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر ان يجعل كل رجل

(أبقاطا) جمع بقط (وهو رقاد) نيام قبل عيونهم مفتحة وهم نيام فحسبهم الناظر لذلك أبقاطا (وتلقبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل لهم تلقبتم في السنة وقيل تلقبة واحدة في يوم عاشوراء (وكلمهم باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضى (بالوصيد) بالفناء أو بالعقبة (لواطلعت عليهم) لواشرفت عليهم فظفرت اليهم (لوليت منهم) لاعترضت عنهم وهربت منهم (فرارا) منصوب على المصدر لأن معنى وليت منهم فررت منهم (ولمئت منهم) ولتشد يد اللام حجازي للمبالغة (ربما) غييز وضيم ٢٥٠ العين شامى وعلى وهو الخوف الذي يربع الصدر أى بماؤه وذلك لما

ألبسهم الله من الهيبة أو لظول أظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وعن معاوية أنه غزا الروم فخر بالكهف فقال اريد ان ادخل فقال ابن عباس رضى الله عنهم القديس لمن هو خير منك لوليت منهم فرارا فدخلت جماعة بأمره فاحتقنهم رمح (وكذلك بعثناهم) وكما أغناهم ثلاث النومة كذلك أبقتناهم انظارا لا تدور على الانامة والبعث جميعا (ليتساءلوا بينهم) يسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم ومصنع الله بهم فاعتبروا ويستدلوا على عظم قدرته ويزدادوا يقينا وبشكرا ما أنعم الله عليهم (قال قائل منهم) رئيسهم (كم لبثتم) كم مدة لبثكم (قالوا ليتساءلوا أو بعض يوم) جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاحتداد والقول بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) بعد لبثكم انكروا عليهم من بعضهم كانوا بالادلة أو لأجلهم ان المدة متظاوله وان

(أبقاطا) أى منبهين لأن أعينهم مفتحة (وهو رقاد) أى نيام (وتلقبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال ابن عباس كانوا يقابون في السنة مرة من جانب الى جانب لثلاثا كل الارض نحوهم قيل كانوا يقبلون في يوم عاشوراء وقيل كان لهم في السنة تقليمتان (وكلمهم باسط ذراعيه) قال ابن عباس كان كذا انفر وعنه انه كان فوق القلطي ودون الكركزي والقلطي كلب صفي وقيل كان أصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب الى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهيان قيل ليس في الحجة دواب سوى كلب أحباب الكهف وجرار بلع (بالوصيد) أى فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم قيل كان يقبل مع أصحابه فإذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورد قدامها وإذا انقلبوا ذات الشمال كسر أذنه اليسرى ورد قدامها (لواطلعت عليهم) بالجمد (لوليت منهم فرارا) وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أهل فيه وقظهم الله من رقدتهم (ولمئت منهم ربعا) أى خوفان وحشة المكان وقيل لأن أعينهم مفتحة كلمت بقط الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتلقبهم من غير حس ولا إشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب للآثارهم أحد قال ابن عباس غزونا مع معاوية فغزا الروم فرزنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لواطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ومخافهم فقتلهم قوله سبحانه وتعالى (وكذلك بعثناهم) يعنى كما أغناهم في الكهف وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت (ليتساءلوا بينهم) أى ليسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكسيميا (كم لبثتم) أى في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم وقيل أنهم راعهم ما فتهم من الصلاة فقالوا ذلك (قالوا ليتساءلوا) ثم نظروا وجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما نظروا الى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) وقيل ان مكسيميا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم (فابعثوا أحدكم) يعنى تليخا (بورقكم) هى الفضة

متدارها لا يعالجها الله ورؤى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فنظروا أنهم في نومهم مضروبة فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس رضى الله عنه بما عانى ان الجميع ان عدددهم سبعة لانه قد قال في الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد والواو فى جوابه ليتساءلوا أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخر بن فصاروا سبعة (فابعثوا أحدكم) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طرىق لكم الى علمه فخذوا في شئ آخر عما هم مك فابعثوا أحدكم أى تليخا (بورقكم) هى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وبسكون الراء أو عمرو

وحجرة وأبو بكر (هذه إلى المدينة) هي مارسوس وحلهم الورق عند فرارهم دليل على أن جل النفقة وما يصلح للمسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكئين على الاتفاقات وعلى أفي أوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء أنه كان شديد الحنين إلى بيت الله ويقول ما لهذا السفر الا شئان شدا الهميان والتوكل على الرحمن (فلنختر أيها) أي أهلها خذف كافي واستل القرية وأى مبتدأ وخبره (ازكي) أحل وأطيب أو أكثر وأخص (طعاما) تمييز (فلما تكبر رزق منه) وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المدايعة حتى لا يغيب أوفى أمر التحفي حتى لا يعرف (ولا يشعرون بكم أحدا) ولا يغفلن ما يؤدى إلى الشعور بئان من غير قصد منه فسمى ذلك اشعارا منهم به لانه سب فيه والضمير في (انهم) راجع إلى الأهل المقدري أيها (ان يظهر واعليكم) يظاوعا عليكم (يرجوكم) يقتلوكم أو خبث القتل (أو يعذبوكم في ملتهم) بالاكره والعوذبغنى الصبرورة كثير في كلامهم (ولن تغفلوا إذا أبدا) إذا بدل على الشرط أي وان تغفلوا ان دخلتم في دينهم أبدا (وكذلك اعثرنا عليهم) وكما افترناهم وبعثناهم لماس في ذلك من الحكمة أطلعا علىهم (ليعلموا) أي الذين اطلعناهم ٣٥٥

البعث (حق) كائن لان عالمهم في نومهم وانباهم بعد ها كمال من موت ثم بيعت (وان الساعة لا يدب فيها) فانهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث (اذ ينشأون) متعلقا بآعترنا أي اعثرناهم عليهم حين ينشأون أهل ذلك الزمان (يدينهم أمرهم) أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليبين ان الاجساد تبعث حقيقة حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت (فقتلوا) حين توفي الله اصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أي على باب

مضروبة كانت أو غير مضروبة (هذه إلى المدينة) قيل هي مارسوس وكان اسمها في الزمن الاول قبل الاسلام افسوس (فلنظرا أيها) أي أحل طعاما وقيل أمره أن يطلب ذبحة مؤمن ولا تسكون من ذبح من يدبح لعن الله وكان فيهم مؤمنون يخشون إيمانهم وقيل أطيب طعاما وأجود وقيل أكثر طعاما وأرخصه (فلما تكبر رزق منه) أي قوت وطعاما تا كلونه (وليتطف) أي وليترقى في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكرمان (ولا يشعرون) أي ولا يعلمون (بكم أحدا) أي من الناس (انهم ان يظهروا عليكم) أي يعلموا عباكم (يرجوكم) قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالبحارة وهو أخبث القتل وقيل يعذبوكم (أو يعذبوكم في ملتهم) أي الكفر (ولن تغفلوا إذا أبدا) أي ان عدتم له قوله عز وجل (وكذلك اعثرنا عليهم) أي أطلعنا الناس عليهم (ليعلموا أن وعد الله حق) يعني قوم يبدروس الذين أنكروا البعث (وأن الساعة لا ريب فيها) أي لاشك فيها أنها آتية (اذ ينشأون يدينهم أمرهم) قال ابن عباس في البنيان فقال المسلمون نبي عليهم وسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون نبي بنيانا لانهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاداهم الله آية وان البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم (فقتلوا ابنوا عليهم بنيانا) أي أعلمهم قال الذين غلبوا على أمرهم (يعنى يسبدروس واصحابه) لنخفف من عليهم وسجدا) قوله سبحانه وتعالى

كهم ثلاثا تطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافضة عليا كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (دبرهم اعلمهم) من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا أمرهم وتناقوا في الكلام في اناسهم واحادهم ومدة لبثهم فلما علمتوا إلى حقيقة ذلك قالوا ابرهم اعلمهم ومن كلام الله عز وجل ودل قوله الخاضعين في حديثهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا اولي بهم وبالبنا عليهم (لنخفف من عليهم) على باب الكهف (مستجدا) يصلى فيه المسلمون ويتركون بكنائهم روى ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكتهم حتى عبدوا الاصنام واكروها على عبادتها ومن شدد في ذلك دقيانوس فاداف فيه من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الاثبات على الايمان والصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف وروايتهم فيهم فطرده فأنطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني اني احب احياء الله فناموا وانا احسكم وقيل مرار مع كسب قبةهم على دينهم ودخلوا الكهف فغضب الله على آذانهم وقيل أن يبعثهم الله ملك مدينهم رجل صالح مؤمن وقد اخلف اهل عالمك في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته

واغلق بابها وبالس مسجوحا جلس على رما دوسأل ربه ان يبين لهم الحق فالتق الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ماسد به فم الكهف ليتخذ حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياح الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتموه بان وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصر وهم وجدوا الله على الآية الدالة على النعش ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شرنا نحن والاناس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالتق الملك عليهم ثيابا و امر بفعل لكل واحد ثوبت من ذهب ففراهم في المنام كارهين للذهب فخلعها من الساج وبني على باب الكهف مسجدا (سبعون وثلاثة اربعهم كلهم مائة وثلاثون خمسة سادسهم كلهم رجبا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلهم) الضمير في سبعون لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين واهل الكتاب سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبار انما يسجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلهم ويروي ان السيد والعاقب واصحابه من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم يخبري ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة اربعهم كلهم وقال العاقب وكان نستوريا كانوا خمسة سادسهم كلهم م ٢٥٦ وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلهم حقق الله قول المسلمين وانما عروا

ذلك اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا من قبل وعن علي رضي الله عنه سبعة نفر اسماءهم يملحوا ومكناهم اناؤه شليمنا هؤلاء اصحاب بين الملك وكان عن يسارهم نون وديرونش وشاذنوش وكان يسير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي واقفه حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مسدينتهم افوس واسم كلهم قطمير وسين الاستقبال وان دخل في

(سبعون وثلاثة اربعهم كلهم) روي ان السيد والعاقب واصحابه من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم يخبري ذكر اصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة اربعهم كلهم م (ويقولون) أي وقال العاقب وكان نستوريا خمسة سادسهم كلهم رجبا بالغيب ويقولون) وقال المسلمون (سبعة وثامنهم كلهم) فحقق الله قول المسلمين وانما عروا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصاري اولائهم ان تبعه بقوله سبحانه وتعالى رجبا بالغيب أي ظنا واحد سامن غير يقين ولم يقل ذلك في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في السابق بخلافه فوجب ان يكون التخصيص باطن هو قول النصاري وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصاري في كونه رجبا بالغيب وظنا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل احوالهم والكثبات فيه في الماضي والمستقبل لا يكون الا لله تعالى اومن أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما انا ان اولئك القليل كانوا سبعة

الاول دون الآخرين فهما داخلان في حكم السبعين كقولنا قد اكرم وانعز ترده عن الترفع في الفعلين جميعا او اريد يفعل وهم معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلاثة خبر متبدل اخذوا في اى هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة واربعة كلهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلهم وثمانهم كلهم رجبا بالغيب وميا بالخبر الحثي واثباته بكوله وبثبوتون بالغيب أي باتون به او وضع الرحم ووضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم كثروا ان يكونوا رجبا بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للثلاثة كما تدخل على الواقعة حال اعن المعرفة في قولنا طاف في رجل ومعه آتروم رت يزيد في يده سيف وفائدتها توكيد لوصف الصفة بالوصف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثمانهم كلهم قالوا عن ثبات علم ولم يرجعوا بالظن كما رجحهم غيرهم دليله ان الله تعالى اتبع القولين الاولين قوله رجبا بالغيب واتبع القول الثالث قوله (قل ربي أعلم بعدتهم) أي قل ربي أعلم بعدتهم وقد اخبركم بها بقوله سبعة وثمانهم كلهم (ما يعلمهم الا قليل) قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من ذلك القليل وقيل الاقليل من اهل الكتاب والضمير في سبعون على هذا اهل الكتاب خاصة أي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا يعلم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتحمين

(٢) قوله وهم كسلا مننا الخ وقع اختلاف كبير في اسمائهم وذكري القاموس في ذلك ثلاثة أقوال فليراجع
 (فلا تخاف فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف (الامر اظهرا) الاحد الاظهار غير متعق فيه وهو
 أن تقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم أو بعبثهم من الناس ليظهر صدقك (ولا تستفت فيهم
 منهم أحدا) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وترزف ما عنده ولا سؤال مسترشد
 لأن الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى اليك قصتهم (ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعز عليه) (أي فاعل ذلك) (الشيء غدا) أي
 فيه مستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (الأن شاء الله) أن نقوله بأن ياذن ٢٥٧ لك فيه أو لا نقولته إلا بأن يشاء

الله أي لا عبثته وهو في موضع
 الحال أي لا ملتبعا بعبثته الله
 فأنشأ أن شاء الله وقال الزجاج
 معناه ولا تقولن أني أفعل ذلك
 لا عبثته الله تعالى لأن قول
 القائل أنا أفعل ذلك أن شاء
 الله معناه لا أفعله لا عبثته
 الله وهذا من تأديب من الله
 لنبيه حين قال اليهود اقرش
 سلوه عن الروح وعن أصحاب
 الكهف وذوي القرنين فسألوه
 فقال ائسنوني غدا الخبركم
 ولم يستن فأنشأ عليه الوحي
 حتى شق عليه (واذكر
 ربك) أي مشيئة ربك وقل
 أن شاء الله (إذا نسيت) إذا فرط
 منك نسيان لذلك والمعنى إذا
 نسيت كلمة الاستثناء ثم تنهت
 عليها بقدرها بالذكر عن الحسن
 ما دام في مجلس الذكر وعن
 ابن عباس رضي الله عنهما ولو
 بعد سنة وهذا محمول على تدارك

وهم (٢) سلمينا وبيعنا حيا طونس وبيعنوس وسار بنونس وذونواس
 وكثيف طنونس وهو الراعي واسم كلهم قطمير (فلا تخاف فيهم) أي لا تجادل ولا تقبل
 في عددهم وشأنهم (الامر اظهرا) أي الاظهار ما قصه عنا عليك نقف عنده ولا تزد
 عليه (ولا تستفت فيهم) أي في أصحاب الكهف (منهم) أي من أهل الكتاب (أحدا)
 أي لا ترجع إلى قول أحد منهم بعد أن أخبرناك قصتهم قوله سبحانه وتعالى (ولا تقولن
 لشيء أني فاعل ذلك غدا) (الأن يشاء الله) يعني إذا عزم على فعل شيء غدا فقل أن شاء
 الله ولا تقه بغير استئناء وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح
 وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل أن شاء الله فليث الوحي
 أي ما هم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة في سورة بني اسرائيل (واذكر ربك إذا
 نسيت) قال ابن عباس معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستن من وجوز ابن عباس
 الاستثناء المنقطع وأن كان بعد سنة وجوز الحسن ما دام في المجلس وجوز بعضهم
 إذا قرب الزمان فإن بعد يومين وجوز جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء
 وقيل في معنى الآية وإذا ذكر ربك إذا غضبت قال وهب مكنوب في التوراة والاشجيل
 ابن آدم إذا ذكر في حين غضب إذا كرك حين اغضب وقيل الآية في الصلاة يدل عليه
 ما روي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها
 قال تعالى أقم الصلوة كرى منفق عليه زاد مسلم وأوامم عنهما أنها لم يصلها إذا
 ذكرها (وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا أرشدا) أي ثبتني على طريقي هو
 أقرب إليه وأرشد وقيل أن الله سبحانه وتعالى أمره أن يذكركه إذا نسي شيئا ويسأله أن
 يذكركه أو يهديه ليه أو يهديه من أن يذكركه ما نسي وقيل أن القوم سألوه عن قصة
 أصحاب الكهف على وجه العناد ثم والله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه
 وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أذل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد
 قل حيث أتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو أوضح وأقرب إلى الرشد من خبر

٢٣ ن ت التبرك بالاستثناء فاما الاستثناء المغير حكما فلا يصح الامتناع لاحكامه بل بلغ
 المصروفان اباحنفة رحمه الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستثناء المفصل فاستحضره ليس ذكر عليه فقال له أبو حنيفة
 هذا يرجع عليك أنك تأخذ البيعة بالايثار اقترض أن يخرجوا من عندك فيمشتوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه
 وأمر أطنان فيه بأخراجه من عنده ومعناه إذا ذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في العبث
 على الاهتمام بها أو بصل صلاة نسيتهما إذا ذكرتها أو إذا نسيت شيئا فأذكره ليدركك المنسي (وقل عسى أن يهديني ربي
 لأقرب من هذا أرشدا) يعني إذا نسيت شيئا فأذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر يدل هذا المنسي
 أقرب منه رشدا أو أدنى خبر أو منعة أن يهديني أن ترن أن يؤتين أن تعلم مكي في الحالين ووافقه أبو عمرو ومدي في الوصل

(وليثوا في كهفهم ثلثمائة سنين) يريد انهم فيه احياء ضرر وباعلى آذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجل في قوله فضررنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ٢٥٨ وسنين عطف بيان لثلثمائة ثلثمائة سنين بالاضافة جزع وتولى على وضع

أحباب الكهف وقيل هذا شيء أمره الله ان يقول مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسي الانسان قوله ان شاء الله فتوبته من ذلك ان يقول مع قوله ان شاء الله عسى أن يهديني ربي لا قرب من هذا وقد اقول عز وجل (وليثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) قيل هذا خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر ليهتم لم يكن لقوله قل الله أعلم بالثبوت ووجهه ولكن الله رد قولهم بقوله (قل الله أعلم بالثبوت) والاصح انه اخبار من الله تعالى عن قدر ليهتم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بالثبوت اي ان نازعوك في مدة ليهتم في الكهف فقل أنت الله أعلم بالثبوت اي هو أعلم منك وقد اخبر عدة بثبوتهم وقيل ان أهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخولوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بالثبوت وايضا بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى وليثوا في كهفهم ثلثمائة سنة قالوا يا ما اوشهورا وسنين فقلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما اجل في قوله فضرر بنا على آذانهم في الكهف سنين على وفق قولهم وقيل قالت نصارى نجران اما لثلثمائة فقد عرفناها وأما سنين عددا وازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران اما لثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بما فنزلت قل الله أعلم بالثبوت وقيل ان عند أهل الكتاب لثبوت ثلثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلثمائة سنة وتسع سنين قربة والافتاوت بين القمريه والسلمية في كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلثمائة التسعة ثلثمائة وتسع سنين قربة (لغيب السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى لا يتخفى عليه شيء من أحوال أهلها فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال أحباب الكهف (أبصره وأسمع) معناه ما أبصر الله بكل موجود واسمعه بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا تخفى عليه خافية (ما هم) أي سلاهل السموات والارض (من دونه) أي من دون الله (من ولي) أي ناصر (ولا يشرك في حكمه احدا) قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه احدا وقيل في قضائه قوله سبحانه وتعالى (واتل اي واقرا يا محمد) (ما اوحى اليك من كتاب ربك) يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل به (لا يبدل لكلماته) أي لا يغير القرآن ولا يقدر احد على التطرق اليه بتغيير او تبديل فان قلت موجب هذا أن لا يتطرق الدخيل اليه قلت الدخيل في الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان النسخ فالتدريج كالغبار فكيف يكون تبديلا وقبل معناه لا يغير ما اوعده الله بكلماته أهل معاصيه (وان تجد من دونه) أي من دون الله ان لم تتبع القرآن (ملتخدا) أي ملأ وأحزرا تعدل اليه قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية تزات في عبيدة بن حصن الفزاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة

الجميع موضع الواحد في التمييز كقوله بالآخر من أعمالا (وازدادوا تسعا) أي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه وتسعا مفعول به لان زادة تقتضي مفعولين فازدادة تقتضي مفعولا واحدا (قل الله أعلم بالثبوت) أي هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم عدة ليهتم، والمحق ما أخبرك به أو هو حكاية لكلام أهل الكتاب وقيل الله أعلم بربهم والجميع ويرى ان هذا اخبار من الله سبحانه وتعالى انهم ليثوا في كهفهم كذامدة (له) غيب السموات والارض) ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السموات والارض وخفي فيها من أحوال أهلها (أبصره وأسمع) أي وأسمع به والمعنى ما أبصره بكل موجود وما سمعه لكل مسموع (ما هم) لاهل السموات والارض (من دونه) أي من دون الله (من ولي) أي من متول لامورهم (ولا يشرك في حكمه) في قضاءه (احدا) منهم ولا تشرك على النهي شامخ كانوا يقولون له انت بقرآن غير هذا اوبدله فقل له (واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك) أي من القرآن ولا تسمع لما يهزون به من طلب التبديل فانه (لا يبدل لكلماته)

صوف

اي لا يقدر احد على تبديلها او تغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده (وان

تجد من دونه ملتخدا) فلما تبدل اليه ارامهت بذلك ولما قل قوم من رؤساء الكفرة قلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح دولا ما اوحى وهم صهيبي وعبار وسامان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى يتخالفوا بزل (واصبر نفسك

مع الذين يدعون ربهم واحبسهم معهم وثبتها (بالغداة والعشي) دائبين على الدعاء في كل وقت او بالغداة لطلب التوفيق والتيسر والعشي لطلب عفوان التفسير او هم صلاة النحر والعصر والغداة ٢٥٩ شامى (يريدون وجهه) رضا الله

(ولا تعد عيناك عنهم) ولا تتجاوز عداه اذا جاوزه وعدى بعينك لمن عداه عني بنافي قولك نبت عنه عينه وفائدة التضمن اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى قد تريد زينة الحياة الدنيا في موضع الحال (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكرو هو دابل لنا على انه تعالى خالق افعال العباد (واتبع هواه) وكان امره فرطاً مجاوزا عن الحق (وقل الحق من ربكم) اى الاسلام والقرآن والحق خبر مبتدأ محذوف اى هو (فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) اى جاء الحق وزاغت العقل فلم يبق الاختياركم لانفسكم ماشتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وحى بلفظ الامر والتخيير لانه لمامكن من اختيار ايهما شاء فكأنه تخيير مامور بان يتخير ماشاء من التبعدين ثم ذكر جزء من اختيار الكفر فقال (انا اعتدنا) هيانا (للايمان) للكافرين فقدم بالسياق كما ترك حقيقة الامر والتخيير بالسياق وهو قوله انا اعتدنا (للايمان) نارا احاط بهم سرادقها

صوف قد عرق فيها وبيدهم شقه وبنحبه فقال عذبة التي صلى الله عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضروا شرافها ان اسلمنا اسلم الناس وما يغنعنا من اتباعك الا هؤلاء ففهم حتى تبعك اواجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك اى احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يعنى طرف النهار (يريدون وجهه) اى يريدون وجه الله لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزالت في اصحاب الصفة وكانوا اسمعائلا ثم رجل فقراء في مستجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لارجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وبنظرون اخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في امي من امرت ان اصبر نفسي معهم (ولا تعد) اى لا تصرف ولا تتجاوز (عينك عنهم) الى غيرهم (تريد زينة الحياة الدنيا) اى تطلب مجازاة الاغنياء والاشراف وحببة أهل الدنيا (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) اى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعنى عذبة بن حصن وقيل اممية بن خلف (واتبع هواه) اى فى طلب الشهوات (وكان امره فرطاً) ضيقا واضيع امره وعطل ايامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مغالفا للحق (وقل الحق من ربكم) اى قل يا محمد هؤلاء الذين اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والحمد لان بيده المهدى والضلال ليس الى من ذلك شئ (فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعلموا ما شئتم وقيل معنى الا يقول الحق من ربكم اى لست بشارد المؤمنين هواكم ان شئتم فامنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم ناراً وان آمنتم فلكم ما وصى الله لاهل طاعته وعن ابن عباس (فى معنى الا يمين شاء الله الايمان آمن ومن شاءه الكفر كفر) (انا اعتدنا) اى هيانا من العتاد وهو العدة (للايمان) اى الكافرين (نارا احاط بهم سرادقها) السرادق الحجرة التى تطيف بالفساطيط عن ابي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار اربعة جدر كثف كل جدار اربعة سنين آخرجه الترمذى قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عتق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالخظيرة وقيل هو دنان يحيط بالكفار (وان يستغيثوا) اى من شدات العطش (يعثوا اعياء كاهل) قال ابن عباس هو ماء غلظ مثل ردى الزيت عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى قوله سبحانه وتعالى اعياء كاهل قال كاهل الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه منه اخرجه الترمذى وقال رشدين احد رواة الحديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والعرق وقيل هو الرصاص والصقر المذاب (يشوى الوجوه) اى ينضج الوجوه من حره (بش الشراب) اى ذلك الذى يغاثون به (وساءت) اى النار (م تفعلاً) قال ابن عباس رضى الله عنه ما منزل وقيل

شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهى الحجرة التى تكون حول الفسطاط وهو دخان يحيط بالكفار وقيل دخولهم النار وهو حائط من نار يطيف بهم (وان يستغيثوا) من العطش (يعثوا اعياء كاهل) هو ردى الزيت او ماء اذيب من جواهر الارض وفيه تمسك بهم (يشوى الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجوه من حرارته (بش الشراب) ذلك (وساءت) النار (م تفعلاً) متكا من الرفق وهذا ما شاة كقوله وحسنتم تفعلاً والافلا تفعلاً لاهل النار وبين جزء من اختيار الايمان فقال

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انالانضيح أجر من أحسن عملاً أولئك لهم جنات عدن) كلام مستأنف بيان للاجر المبهم أولئك ان تجعل الانالانضيح وأولئك خبرين ٢٦٠ معاول المازد من أحسن منهم عملاً كقولك السمن منوان يدرهم ولان

من أحسن عسلا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينظّمهما معى واحداً فأقام من أحسن مقام الضمير (تجبرى من تحتهم) الانتهاء يحلون فيها من أساور من الابتداء وتذكير أساورهى جمع أسورة التى هى جمع سوار لإيهام امره فى الحسن (من ذهب) من اللاتبيين (و يلبسون ثياباً خضراً من سندس) مارق من الديماج (واستبرق) ما غلظه منه أى يجمعون بين النوعين (متشكّين فيها على الأرائك) خص الاتكاء لانه هيئة المتعمّن والملوك على أسرتهن (نعم الثواب) الجنة (وحسنت) الجنة والأرائك (مرتقياً) متشكّكاً (واضر بهم مثلارجلين) مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين فى بنى إسرائيل أحدهما كافر اسمه قطورس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى والصفات فى قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين ورثاناً بينهما ثمانية آلاف دينار فخرجه الاكهارطين فاشتري الكافر أرضاً بالف دينار فقال المؤمن ان الله انى اشتري أرضاً بالف دينار وانا اشتري منك أرضاً فى الجنة بالف تصدق به ثم يبرئ اخوه دارا

مجتمعها واصل المرتفق المتكافؤا عجا كذا لما شكا قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا
لا ننزع اجرهم من احسن عملا) اى لا نترك اعمالهم تذهب ضامعا بل نحاز بهم باعمالهم
الصالحة وقيل ان قوله انا لا ننزع اجرهم احسن عملا كلام متعرج وتقديره ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات (اولئك لهم جنات عدن) اى ادارا قامة سميت عدنا الجنات
المؤمنين فيها (تجربى من تحتهم الانهار) وذلك لان افضل المساكن ما كان يجرى فيه
الماء (يصلون فيها من اساور من ذهب) قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة اساور من
ذهب لهذه الآية وساور من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وساور من لؤلؤ لقوله
واولوا واباسهم فيها حرير (وبلبسون ثيابا خضر من سندس) هو الديباج الرقيق
(واستبرق) هو الديباج الصفيق الغلظ وقيل السندس المنسوج بالذهب (متكئين)
خص الانكسار لانه هيئة المتكئين والموك (فيها) اى فى الجنة (على الارائك) جمع
اركة وهى السرور المحال ولبا وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال (نعم
الثواب) اى نعم الجزاء (وحسنت) اى الجنات (مرفقا) اى مقرا ومجدا والمورد بقوله
وحسنت مرفقا مقابلة ما تقدم ذكره من قورده سبحانه وتعالى وساعت مرفقا قوله عز
وجسد (واضرب لهم مثلا رجلين) قيل نزلت فى اخوين من اهل مكة من بنى مخزوم
وهما ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن عبد البائل وكان مؤمنا واخوه الاسود بن عبد
الاسود كان كافرا وقيل هذا مثل لعينة بن حصن واصحابه وسمان واصحابه وشبههما
برجلين من بنى اسرائيل اخو بن احدىهما مؤمن واسمه يهوذا بن قول ابن عباس وقيل
يلجأوا الى حرا كافر واسمه قطرس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى فى سورة
والصافات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراسانى قال كان رجلان شربا كان لهما
ثمانية آلاف دينار وقيل كانا اخوين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فاقسماها
فاشترى احدىهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى ارضا بالف
دينار وانى قد اشتريت منك ارضا فى الجنة بالف دينار فتصدق بهما ثم ان صاحبه بنى
دارا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار وانى اشتريت منك دارا فى
الجنة بالف دينار فتصدق بهما ثم تزوج صاحبه امرأة فانفق عليها الف دينار فقال هذا
اللهم انى اخطب اليك امرأة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بهما ثم ان صاحبه اشترى
خدا مائة الف دينار فقال هذا اللهم انى اشتريت منك خدما مائة الف دينار فى
الجنة فتصدق بهما ثم اصابتة حاجة شديدة فقال لو ايت صاحبى لعل ينالنى منه معروف
فخاس على طر يقه حتى مر به فى خدمه وحشيه فقام اليه فظفر اليه صاحبه ففره فقال
فلان قال نعم قال ما شئت قال اصابنى حاجة بعدك فاتيئك لتعطينى بخير قال فما فعلت
بالحل وقد فاءت لك ما لا راخذت شره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين هذا
ذهب فلان عبدك شيئا فطردته فقصى لهما فتروفا فخرل فيما قوله فاقبل بعضهم على بعض

بأنفق فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف قصه صدق به ثم تزوج اخوه امه أنفق فقال
 اللهم اني جعلت الفاصدا للورثم اشتري اخوه خدمه وامرعا بالف دينار فقال اللهم اني اشترى بك ولدان الخلد
 بالف صدق به ثم اصابته حاجة فجلس لايديه على طر فمقر به في حشمه فمقر به لافطر دوو بمجه على الصدق بماله

(جعلنا الاحدهما جنتين من أعناب) بستانين من كروم (وحققناهما بغل) وجعلنا الغل محطبا لجنتين وهذا مما يؤثره الدهان في أن كروهم - ثم أن يجعلوه أمورة بالاشجار المثمرة يقال حقوه اذا طافوا به وحققته بهم أى جعلتهم - محاقين حوله وهو متعدي الى معول واحد فتريده الباعه معولا ثانيا (وجعلنا بينهما زرا) جعلناهما ارضا جامعة للآقوات والقوات كما وصف العمارة بناتها واصلا متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الاتيق (كلتا الجنتين آتت) اعطت حمل على اللفظ لان لفظ كلتا مفرد ولو قيل آتتعالى المعنى لمجاز (أكلها) ثمرها (ولم تظلم منه) ولم تنتقص من أكلها شيئا وبخراخا لهما (نهر) نهرهما بوقافا الثمار وتعام الاكل من غير نقص ثم عابها وأصل الخمر وما تدمن أمر الشرب فخلعه أفضل ما يسبق به وهو النهر الجارى فيها (وكان له) لصاحب الجنتين (ثمر) أنواع من المثل من ثمره اذا كثره أى كانت الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيره من الذهب والفضة وغيره الله ثمره واحيط بثمره بفتح الميم ٢٦١ والنساء عاصم وبضم الناء وسكون الميم أو عرو وبضمة هاء غيرهما (فقال

بشأء لو ن قال قائل منهم اى كان لى قرن وروى انه ما انا ما اخذ بيده وجعل يطوفه و به امواله فقل فيها واضرب لهم مثلا لرجلين (جعلنا الاحدهما جنتين) أى بستانين (من أعناب وحققناهما) أى اطقناهما من جوانبهما (تغسل وجعلنا بينهما زرا) أى وجعلنا بين الغل والغل والاعناب الزرع وقيل بينهما أى بين الجنتين يعنى لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع (كلتا الجنتين آتت) أى اعطت كل واحدة من الجنتين (أكلها) أى ثمرها تماما (ولم تظلم منه شيئا) أى ولم تنتقص منه شيئا (وبخراخا لهما) شققتا وسطهما (نهر) وكان له اى اصحاب الدستان (ثمر) قري بالفتح جمع ثرة وقري بالضم وهو الاموال الكثيره المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيره (فقال) يعنى صاحب الدستان (الصاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره) أى يخاطبه (أنا) كثر منك ما لا اعز نورا) أى غير قوره وظا وقيل خدما وخمسا (ودخل جنته) يعنى الكافر آخذ بيده أخيه المؤمن يطوفه فيها ويرى باهاها (وهو ظالم لنفسه) أى بكفره (قال ما أظن أن يبدى) أى تهلك (هذه) يعنى جنته (أبدا) وذلك انه راقه حسنها وغيره زهرتها فتوهم انها لا تنفنى أبدا وانكر البعث فقال (وما أظن الساعة قائمة) أى كائنه (ولئن رددت الى ربي) فان قلت كيف قال ولئن رددت الى ربي وهو منكر البعث قلت معناه ولئن رددت الى ربي على ما ترعهم من ان الساعة آتية (لا جدن خيرا منها منقلب) أى يعطينى هذا لا خير منها لانه لم يعطينى الجنة فى الدنيا الا يعطينى فى الآخرة افضل منها (قال له صاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره) كثرته بالذى خلقه لك من تراب) أى خلقى أصلك من تراب لان خلقى أصله سبب فى خلقه فكان خلقه (ثم من نقطة ثم سواك رجلا) أى عدلك بشرا سويا وكذلك انسانا ذكر انا الغامى الى ربي بالجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله ا كثر قلت قال لآخيه أنت كافر بالله لآخيه مؤمن مؤمن مؤمن كقول زيد غائب لآخيه عرا حاضر وفيه حذف أى اقول هو الله بدليل عطف

لصاحبه وهو يحاوره ارجعه الكلام من خارج مجرورا ارجع يعنى قطروا من اخذ بيده المسلم يطوفه فى الجنتين ويرى ما فيها وما يفاجئه بما لا يملك من المال دونها (أنا) كثر منك ما لا وأعد زورا) انصار او حشما وأولاد كروا لانهم يتفرون معه دون الآث (ودخل جنته) احدى جنته أو صاحبها حنة لاقتصاد الحائط وجنتين للزهر الجارى بينهما (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بالكفر (قال ما أظن أن يبدى هذه أبدا) أى ان تهلك هذه الجنة شئت فى يسود وجنته اطول اماله وتمادى غفلته واعتباره بالجهل وتريا كثر الاعناء من المسلمين تنطق السنة احوالهم

بذلك (وما أظن الساعة قائمة) كائنه (ولئن رددت الى ربي) لا جدن خيرا منها منقلب (قال له صاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره) كثرته بالذى خلقه لك من تراب) أى خلقى أصلك من تراب لان خلقى أصله سبب فى خلقه فكان خلقه (ثم من نقطة ثم سواك رجلا) أى عدلك بشرا سويا وكذلك انسانا ذكر انا الغامى الى ربي بالجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله ا كثر قلت قال لآخيه أنت كافر بالله لآخيه مؤمن مؤمن مؤمن كقول زيد غائب لآخيه عرا حاضر وفيه حذف أى اقول هو الله بدليل عطف

(ولا أشرك برى أحد اولوا) وهلا (اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر ميم تدخول في تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة بالموضع والحزاء محذوف يعني اى شئ شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخوليها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعتبر افا بها وكل ما فيها انما حصل بعزيمة الله وان امرها بیده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها (لا قوة الا بالله) اقرار اربابان ما قويت به على عمارتها ونذير ابراهيم هاهو بمعونته وتأييده من قرأ (ان ترى انا اقل منك مالا) ينصب اقل فقد جعل انا فضلا ومن رفعه وهو الكسائي جعله مستندا واقل خبره والمجمل مفعول لا ثانيا لى ترى وفي قوله (ولدا) نصرة ان فسر العزير بالا ولا فى قوله واعز نقرأ (فسمى ربي أن يؤثني خيرا من جنتك) في الدنيا وفي العقبى (ويرسل عليها حبسانا) عذابا (من السماء فتصيح صعيدا زلقا) ارضا بيضاء زلقا عليها الملاستبا (او يصيح

٢٦٢

(ولا أشرك برى أحد اولوا) اى هلا (اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) والمعنى هلا قلت عند دخوليها والنظر الى ما رزقك الله منها ما شاء الله اعتبر افا بها وكل خير فيها انما حصل بعزيمة الله تعالى وفضله وان امرها بیده وان شاء تركها عامرة وان شاء خربها (لا قوة الا بالله) اى وقلت لا قوة الا بالله اقرار اربابان ما قويت به على عمارتها ونذير ابراهيم هاهو بمعونة الله وتأييده ولا أقدر على حفظ ما لى ودفع شئ عنه الا بالله روى عن عروة بن الزبير ان كان اذا رأى من ماله شأ بهجه او دخل حائطا من حيطانه قال ما شاء الله لا قوة الا بالله الهائط البستان (ان ترن أنا اقل منك مالا ولدا) اى لاجل ذلك تكبرت على وتعظمت (فسمى ربي) نى فعل رى (ان يؤثني) اى يعطيني (خيرا من جنتك) يعني في الآخرة (ويرسل عليها) اى على جنتك (حبسانا) قال ابن عباس نارا وقيل حرامى (من السماء) وهى الصواعق فتهلكها (فتصيح صعيدا زلقا) اى ارضها جداء ملسا لا نبات فيها وقيل تزلزل فيها الاقدام وقيل رملها لا (او يصيح ماؤها غورا) غائرا ذاهبا لا تناله الايدي ولا الدلاء (فلن تستطيع له طابا) يعنى ان طلبته لم تحده (واحيط بشمه) يعنى احاط العذاب بشجر جنته وذلك ان الله تعالى ارسل عليها من السماء نارا فاهلكها ماؤها غورا (فاصبح) يعنى صاحبها الكافر (يقلب كفيه) يصفق بكف على كفو ويقلب كفيه فلها البطن ناسفا وتلهما (على ما أنفق فيها) المعنى فاصبح يندم على ما أنفق في عمارتها (وهى خاوية على عروشها) اى اسفاقة سقوفها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض (ويقول باليتى لم أشرك برى أحد) يعنى انه نذرك موعدة اخيه المؤمن فعلم انه اتى من جهة شركه وطلع اليه فقتل لم يكن شركا (ولم تكن له فئة) لفئة اى جماعة (ينصرونه من دون الله) اى يعنونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) اى معتمدا لا يتقدم على الانتصار لنفسه وقيل له معناه لا يتقدم على رده اذهب منه قوله سبحانه وتعالى (هنالك الولاية) قرئ بكسر الواو يعنى السلطان فى القيامة (لله الحق)

ماؤها غورا) غائرا اى ذاهبا فى الارض (فلن تستطيع له طابا) فلا يأتى منك طلبه فضلا عن الوجود والمعنى ان ترن اقل منك فانا اتوقع من صبح الله ان قلب ماى ومالك من الفقد والغنى فيزنى لى غنى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لشركك نعمته ويحضر بسانتك (واحيط بشمه) هو عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو ولا نه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل فى كل اهلاك (فاصبح) اى الكافر (يقلب كفيه) يضرب باحداهما على الاخرى ندمًا وتحسرا وانما انصار تعليب الكفين كتابه عن الندم والتعسر لان التادم يقلب كفيه ظهر البطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والساق وطى اليد

وقرئ

ولاننى معنى الندم عدى تعذبه على كانه قيل فاصبح يندم (على ما أنفق

فيها) اى في عمارتها (وهى خاوية على عروشها) يعنى ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم (ويقول باليتى لم أشرك برى أحد) نذرك موعدة اخيه فعلم انه اتى من جهة كفره وطلع اليه فقتل لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين ينفعه النجى ويجوز ان يكون تو به من الشرك وندما على ما كان منه ودخلوا فى الايمان (ولم تكن له فئة) ينصرونه) يتقدمون على نصرتهم (من دون الله) اى هو وحده القادر على نصرتهم لا يتقدم احد غيره ان ينصروه الا انهم ينصروه لمحبة (وما كان منتصرا) وما كان معتمدا بقوته عن انتقام الله (هنالك الولاية لله الحق) يكن بالياء والولاية بكسر الواو جزو قولى فسمى بالفتح النصرة والتولى بال بكسر السلطان والملاك والمعنى هنالك اى فى ذلك انتقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يعلى غيرها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقرير بالقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وهنالك السلطان

والملك لا يغلب أوفى مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله لا ينبغي لم أشرك بربى أحدا كلمة الجني اليها فاعلموا ما عاها من شؤم كفره ولو لا ذلك لم يقلها وهذا لا الولاية لله نصر فيها أولياء المؤمنين على الكفرة ويقتسم لهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله فمسي ربى أن يؤتى خيرا من جنسك ورسول عليها حسبنا من السماء ويؤيده قوله (هو خير نوابا وخير عقبا) أي أوليائه ٢٦٣ أو هذا الملك إشارة إلى الاستخاء في تلك

الدار والولاية لله كقوله لمن الملك اليوم الحق بالرفع أبو عمر وعلى صدقة لولاية أوجه مبتدأ محذوف أي هي الحق أو هو الحق غيرهما بالحجر صدقة الله عسا بسكون القاف عاصم وحجرة وبضمهما غيرهما وفي السواد عقي على وزن فعلى وكلاهما عن العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما أنزلناه من السماء أي هو كما أنزلناه (فاختلط به نبات الأرض) فالتعب ببدنه وتكافى حتى خا ط بعضه بعضا أو أثر في النبات الماء فاختلط به حتى روى (فأصبح هشيما) يابسا متكرسا الواحدة هشيمة (تذروه إلى باح) تنسفه وتطهره الريح جزة قوعلى (وكان الله على كل شيء) من الأنساء والأهنة (مقتدرا) قادر واشبه حال الدنيا في نصرتها ويحبتها وما يتعقبها من الملاك والأهنة بحال النبات يكون أخضر ثم يبيح قطيره الريح كأن لم يكن (المال والنون زينة الحياة الدنيا) لا زاد القبر وعدة العقي

وقرى بقوله من المودة والنصرة يعني أنهم يحولونه يومئذ ويتبرون بما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا (وخير نوابا) أفضل خزايا لاهل طاعته لو كان غيره بسبب (وخير عقبا) يعني عاقبة طاعته خيرة من عاقبة طاعته غيره فهو خيرا ثابته وعاقبة قوله عز وجل (واضرب لهم) أي اضرب بما جملته قوله (مثل الحيوة الدنيا كما أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به نبات الأرض) أي خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح) أي عن قريب (هشيما) قال ابن عباس يابسا (تذروه إلى باح) قال ابن عباس نذرته وقيل تفرقه ونسفه (وكان الله على كل شيء مقتدرا) أي قادر أو قوله سبحانه وتعالى (المال والنون) يعني التي يفتخر بها عبدة الأصحاب والغنياء (زينة الحياة الدنيا) يعني ليست من زاد الآخرة قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه المال والنون حث الدنيا والأعمال الصالحة حث الآخرة وقد يجمعهما الأقسام (والباقيات الصالحات) قال ابن عباس هي قول سبحانه والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب إلى مما طاعت عليه الشمس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال استمكثوا من قول الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتلهيل والتسبيح والحمد لله والاحول ولا قوة الا بالله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرت برباض الحجة فأنعوا قلت يا رسول الله وما رباض الحجة قال المساجد قلت وما الرباض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن سعد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد لله أكبر وسبحان الله ولا اله الا الله والاحول ولا قوة الا بالله أخرجه مالك في الموطأ وموقوف عليه وعن ابن عباس ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس ومنها الأعمال الصالحة (خير عند ربك نوابا) أي جزاء (وخير أملا) أي ما يؤمله الإنسان قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) أي نذهب بها وذلك أن تجعل هبها منتورا كما يسير السحاب (وترى الأرض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو يوم زما في ظنهم من الموتى وغيرهم فيصير باطن الأرض ظاهرها (وحشرناهم) يعني جميعا إلى موقف الحساب (فلننقادهم من أم أحدا) أي لم تترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك صفقا) أي صفافا وقفا وقفا لانهم

والباقيات الصالحات أعمال الخير التي تبنى عمرتها للإنسان أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك نوابا) جزاء (وخير أملا) لانه وعد صادق وأكثرا لا كذب يعني ان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصديه في الآخرة (ويوم) وأذكر يوم (نسير الجبال) تسير الجبال مكي وشامي وأبو عمرو أي تسير في الجبال أو يذهب بها بان تجعل هباء منتورا مشتا (وترى الأرض بارزة) ليس عليها ما يسيرها عما كان عليها من الجبال والأشجار (وحشرناهم) أي الموتى (فلننقادهم من أم أحدا) أي فلم تترك غادره أي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدر ما غادره السيل (وعرضوا على ربك صفقا) مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كل ترى كل واحد لا يحب أحد أحدا شبهت حالهم بحال الجنود المعروضين على السلطان

صف واحد وقيل قياها وقيل كل أمة وزمرة صف ثم يقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء وقيل حفاة عراة غرلا (بل وزعم أن ابن نجعل لكم موعدا) يعني القيامة يقول ذلك لشكري البعث (ق) ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جموعة فقال أيها الناس أنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما كنتم أول خلق نعيده وعدنا علمنا أنا كما فاعلمن أن أول الخلق بكسي يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا والله سيء رجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أضحكي فيقول أنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم إلى قوله العزير ألكم قيل فيقال لي أنهم من يرأوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقهم زادني رواية فأقول سحقوا سحقا قوله غرلا أي قلنا والغرة الثقله التي تقطع من جلد الذكرو وهو موضع الحتان وقوله سحقا أي بعد قال بعض العلماء أن المراد بهؤلاء أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة قلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض قال الأمر أشد من أن يهجم ذلك زاد الناس في رواية أنه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أيامهم وشمالهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى الجرمين مشفقين) أي خائفين (عما فيه) يعني من الأعمال السيئة (ويقولون) يعني إذا رواد (يا ويلتنا) أي يا هلا كما وكل من وقع في هلكة دعا بالويل (مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي من ذنوبنا (الاحصاها) أي عدوها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التيسر والكبيرة العتقة وقال سعيد بن جبيرة الصغيرة اللوم والمسلم والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أياكم ومحقرات الذنوب فأنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن واد فناء هذا يعود وجاء هذا يعود وهذا يعود فأنجخوا خبزهم وان محقرات الذنوب لمؤبقات المحقرات الشيء الصغير التافه وقوله لمؤبقات أي مهلكات (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي مكتوبا مثلثا في كتابهم (ولا يظن ربك أحدا) أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا ولا يؤخذ أحد الجرم لم يعمله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرصات فاما عرستان فيسدل ومعاذ ربهما العرصة الثالثة فتعد ذلك تطير الحف في الأيدي فأخذ بيمنه وأخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى قوله سبحانه وتعالى (وإذا قلنا) أي واذكر يا محمد إذا قلنا (لأنك أتيتهم) أي لا آدم فسدوا ولا إبليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كان آدم أصل الانس وكونه من

(لقد جئتمونا) أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمير يجوز أن يكون عامل النصب في يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) أي لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة أو حقمتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أم أولا وانما قال وحشرناهم ما ضيأ بعد تسير وتري للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقيل البروز ليعانوا تلك الأهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (بل زعم أن ابن نجعل لكم موعدا) وقتلا لاجتماع وعدتهم على السنة الانبياء من البعث والنشور أو مكان وعد للخاصة (ووضع الكتاب) أي صحف الأعمال (فترى الجرمين مشفقين) خائفين (عما فيه) من الذنوب (ويقولون) يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة (أي لا يترك شيئا من المعاصي) (الاحصاها) حصرها ووضبطها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) في الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا (ولا يظن ربك أحدا) أي كتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه أو يعذبه بغير جرم (وإذا قلنا) للملائكة اسجدوا ولا (دم) سجدوا تحية أو سجدوا انقياد (في سجودوا) (الابليس كان من الجن) هو مستأنف كأنه قائل قال ما له لم يسجد وقيل كان من الجن

الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا فيه وبين الجنة
 نسبا وذلك ان قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على ان الملك يسمى جنانا وبعضه
 اللغة لان الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل
 الملائكة جن لاستئثارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة ان الله سبحانه
 وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد اخراج ما لولا له لدخل ويصح دخوله وذلك
 بوجوب كونه من الملائكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان
 من الجن والجن جنس مخالف للملائكة وقوله افتتخذونه وذريته فائتبه ذرية
 والملائكة لا ذرية لهم واجب عن الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور في كلام
 العرب قال الله سبحانه وتعالى واذا قال ابراهيم لايه وقومه اني براء مما تعبدون الا
 الذي فطرني وقال تعالى لايسمعون فيبغوا الا لاسلامنا قيل انه كان من الملائكة فلما
 خالف الامر سبحانه وغيره وطردوا عن وقوله تعالى (ففسق عن امره) اي خرج عن
 طاعة ربه (افتتخذونه) يعني ابني آدم افتتخذون ابليس (وذريته) اوليائه من ذري
 وهم لكم عدو) يعني اعداء روى مجاهد عن الشعبي قال اني سمعت ما اذ قبل رجل
 فقال اخبرني هل لابليس زوجة قالت ان ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز
 وجل افتتخذونه وذريته اوليائه من ذريتي فعلت انه لا تكون ذرية الامن زوجة فقلت
 نعم قيل يتوالدون كما يتوالد البنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتتعلق
 البياض عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لا تيس ووفسان وهو
 صاحب الطهارات والصلاة والحقاق زوجة وبه يكي وزنه وروى صاحب الاسواق يزين
 الاعنوا والمخاف السكاذب وسدح السباع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خش الوجوه
 ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزانية تقع في احليل الرجل وعجيرة
 المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار السكاذبة يلقى بها اقوام الناس لا يحبون لها اصلا
 وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكّر الله نصره من المتاع لم يرفع او
 يحسن موضعه واذا اكل ولم يسم كل معه قال الاعشى ربما دخلت البيت ولم اذكر
 اسم الله ولم اسلم فرائيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصتهم ثم اذ كرفا قول داسم داسم
 أعوذ بالله منه روى أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لا وضوء شيطانا
 يتلأله الوهمان فأتاه اوسواس الماء أخرجه الترمذي (م) عن عثمان بن أبي العاص قال
 قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها لي فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزير فاذا احسسته فعوذ بالله منه
 واتل عن يسارك ثلاثا قال فعلمت ذلك فاذهب به الله عنى (م) عن جابر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فاذا ناهم منه
 منزلة اعطاهم فتنة فيجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصت شيئا ثم يجيء
 أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت منه وبين امره قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت
 قال الاعشى اراء قال فيلترمه وقول (بئس للظالمين بدلا) يعني بئس ما استبدلوا طاعة

(ففسق عن امره) خرج عما
 امره ربه به من السجود وهو
 دليل على أنه كان مأهورا
 بالسجود مع الملائكة (افتتخذونه
 وذريته) المسمرة للانكار
 والتعجب كما نه قيل اعقيب
 ما وجدتمته فتتخذونه وذريته
 (اوليائه من ذريتي) وتستبدلونهم
 لي ومن ذريته لا تيس ومطوس
 الصلاة والاعور صاحب الزنا
 وبتر صاحب المصائب ومطوس
 صاحب الاراجيف وداسم
 يدخل ويأكل مع من لم يسم
 الله تعالى (وهم لكم عدو) أعداء
 بئس للظالمين بدلا) بئس البدل
 من الله ابليس لمن استبدله
 فاطاعة بدلا طاعة الله

(ما أشهدتهم) أى ابليس وذريته (خلق السموات والارض) يعنى انكم اتخذتمهم شركاءى فى العبادة وانما يكونون شركاء فيها لكانوا شركاءى فى الالهية ففى مشاركتهم فى الالهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض لا غرضيهم فى خلقها أو أشاؤهم فيه أى قدرت بخلق الاشياء فافردو فى العبادة (ولا خلق انفسهم) أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم (وما كنت متخذ المضلين) أى وما كنت متخذهم (عضدا) أى أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا فى الحاق ٢٦٦ فساكنتم اتخذونهم شركاءى فى العبادة (ويوم يقول الله للكهنة

و بالنون جزء (نادوا) ادعوا بصوت عال (شركائى الذين زعمتم) انهم فيكم شركائى ليعزموكم من عذائى وأراد الجحش وأضاف الشركاء اليه على زعمهم تو بخلهم (فدعوههم فلم يستجيبوا لهم) وجعلنا بينهم موبقا (مهلكا) موبقا أى يبق ويوقا اذا هلك أو مهدرا كما وعد أى وجعلنا بينهم واديا من نورية جهنم وهو ممكن المهلاك والعذاب الشديد مشترك بينهما لكون فيه جميعا أو الملائكة وعزيرى وعسى والموبق البرق البعيد أى وجعلنا بينهم أمدا بعيدا انهم فى قعر جهنم وهم فى أعلى الجنان (ورأى المجرمون النار فظنوا) فاقنوا (أنهم موقعوها) موقعوها (ولم يجدوا فيها) وعن النار (مصدرا) معدلا (ولقد صرنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل) يحتاجون اليه (وكان الانسان أنكرنى جدلا) غمزأى كثر الاشياء التى يتأتى منها الجدال ان فعلتها واحد بعد واحد خصومة

ابليس وذريته بعبادتهم وطاعته قوله سبحانه وتعالى (ما أشهدتهم) أى ما أحضرتهم يعنى ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة (خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم) والمعنى ما أشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها (وما كنت متخذ المضلين) يعنى الشياطين الذين يضلون الناس (عضدا) يعنى انصارا وأعوانا فلو عز وجل (ويوم يقول نادوا) يعنى يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا (شركائى) يعنى الاصنام (الذين زعمتم) يعنى انهم شركائى (فدعوههم) أى فاستمعوا لهم (فلم يستجيبوا لهم) أى لم يستجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم وبين اعدائهم) يعنى بين الاصنام وعبدها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال (موبقا) يعنى مهلكا قال ابن عباس هو وادى النار وقيل نهر سيم منه نار وعلى حاقته حبات مثل البغال الذهب وقيل كل جازى بين شيتين فهو موبق وأصله المهلاك (ورأى المجرمون) أى المشركون (النار فظنوا) أى أيقنوا (انهم موقعوها) أى داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا فيها مصدرا) أى معدلا لانها أحاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل) أى لتدبر كروا وتفتقروا (وكان الانسان أنكرنى جدلا) أى خصومة فى الباطل قال ابن عباس أراد الضمير بن المحرث وجد الله فى القرآن وقيل أراد به أبى بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على انه موم وهو الاصح (ق) عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرقه موقعا طمة للملائكة ألا تدليان فقلت يا رسول الله انفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء أن يعثبنا به ثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالت ذلك ولم يرجع الى شيئا ثم سمعته يقول وهو مول يضرب نخذه يسده وكان الانسان أنكرنى جدلا قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) يعنى القرآن وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويستغفروا) يعنى الاستغفار والتوبة والخلة طاصلة والاعذار زائلة فلم يقدموا على الايمان والامن الاستغفار والتوبة والخلة طاصلة مستغفرا فى الآلا الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال (أولايكم العذاب قبل) قال ابن عباس أى عيانا من المقابلة وقيل نجاة قوله سبحانه وتعالى (وما نرسل المرسلين

وماراقا لباطل يعنى ان جدل الانسان أكثر من جدل كل شئ (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) أى سببه الا وهو الكتاب والرسول (ويستغفروا) يعنى الاستغفار والاولى ان يؤمنوا بتوبتهم العذاب ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار أن تأتيتهم سنة الاولين وهى الاهلاك او انتظار أن تأتيتهم العذاب أى عذاب الآخرة (قبلا) كوفى أى انواعا جمع قبل الباقر قبلا أى عيانا (وما نرسل المرسلين

الامبشرين ومنذرين) يوقف عليه ويستأنف بقوله (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم للرسول ما انتم الا بشرا مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك (ليدحضوا به الحق) ليزيلوا ويبتلوا بالجدال النبوة (واخذوا آياتي) القرآن (وما انذروا) ما موصولة والراجع من الصلة محذوف اي وما انذروهم من العقاب او مصدرية اي وانذارهم (هزوا) هه وضع استهزاء يسكرون الزاي والهمزة حرة وببدال الهمزة واوا اخفص وبضم الزاي والهمزة غغيرهما (ومن اظلم من ذلك) كريات ربه) بالقرآن ولذلك رجح الضمير اليها مذ كافي قوله ان يعقوه (فأعرض عنها) فلم يبد كريحين ذكر كرم يتسدر (ونسى ما قدمت يداه) عاقبة ما قدمت يداه من النكروا والمعصي غير متكررها ولا ناظر ٢٦٧ في ان المدي والحسن لا بد لهما من جزاء ثم قال

اعراضهم ونسيانهم بانهم مطوع على قلوبهم بقوله (انا جعلنا على قلوبهم اكنة) أعطية جمع كنان وهو الغطاء (ان يعقوه وفي آذانهم وقرا) تقصلا عن استماع الحق وجمع بعد الاقر ارجلا على لفظ من ومعهنا (وان تدعهم) بالمحمد الى الهدى) الى الايمان (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة (اذا جزاء وجواب فدل على اتقاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يحب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في اتقائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قواه ماني لا ادعوهم صاعلى اسلامهم فقبل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا (ابدا) مدة التكليف كلها (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو ياخذهم بما كسبو) الجعل لهم العذاب

الاهبشر ين) اي بالثواب على الطاعة (ومنذر ين) بالعقاب لمن عصى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم يا بعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسول ما انتم الا بشرا مثلنا وشبه ذلك (ليدحضوا) اى ليمطوا (به الحق) ليزيلوا (واخذوا آياتي وما انذروا هزوا) فيما ضار بعنى اتخذوا وما انذروا به وهو القرآن استهزاء قوله عز وجل (ومن اظلم ممن ذكرى) اي وعظ (بآيات ربه فأعرض عنها) اى تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها (ونسى ما قدمت يداه) اى ما عمل من المعاصي من قبل (انا جعلنا على قلوبهم اكنة) اى اغطية (ان يعقوه) بر دلائله هه وفي آذانهم وقرا) اى تقصلا وصمما (وان تدعهم) بالمحمد (الى الهدى) اى الدين (فلن يهتدوا اذا ابدا) وهه ذاق اقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون (وربك الغفور) اى البليغ المغفرة (ذو الرحمة) اى الموصوف بالرحمة (لو ياخذهم) اى يعاقب النكارة (بما كسبو) من الذنوب (لجعل لهم العذاب) اى في الدنيا (بل لهم موعد) يعنى البعث والحساب (ان يجذوا من دونه موثلا) اى لملأ (وتلك القرى) يعنى قرى قوم نوح وعاد وحمود وقوم لوط وغيرهم (أهل كنانهم بالظلم) اى كفروا (وجعلنا لهم كهم وعدا) اى اجلا لا الهلاكهم قوله سبحانه وتعالى (واذ قال موسى لفتهاه) الايات كثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الآية هو موسى ابن عمران من سبط لاوى بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميثامن اولاد يوسف بن يعقوب وكان قد نبأ قبل موسى بن عمران والقول الاول اصح بدليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر في كتابه العزيز بنو موسى الا اراذبه صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم بحسب الانصراف اليه ولو اراد شخشا آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وترى الشبهة فلما تميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة واما فقهاء فالاصح انه يوشع بن نون بن افرام بن يوسف وهو صاحب موسى وولى عهد بعد وفاته وقيل انه اخو يوشع وقيل انه قتله يعنى عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يشل أحدكم عدى وامنى وليقل

اى ومن رجه ترك مؤاخذته اهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم (رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ان يجذوا من دونه موثلا) معجلا لا يقال وال اذا نجوا وال اليه اذا جاء اليه (وتلك) مبتدأ (القرى) صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاحناس والخبر (أهل كنانهم) او تلك القرى نصب باضمار اهل كنان على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهل كنانهم والمراد قوم نوح وعاد وحمود (ما ظلموا) مثل ظلم اهل مكة (وجعلنا لهم كهم وعدا) وضر بنا لا الهلاكهم وقتنا معلوما لا يتأخرون عنه كاضر بنا لا الهلاكهم يوم بدروا الهلاك ووقته وفتح الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما ابو بكر اى لوقت هلاكهم واوهلاكهم والموعود وقت او مصدر (واذ) واذا (قال موسى لفتهاه) هو يوشع ابن نون وانما قيل لفتهاه لانه كان يخدمه ويضعه يأخذه منه العلم

فتأى وفتأى (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوحا البكلى بن عمر ان
موسى صاحب الحضرة ليس هو موسى بنى اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله
حدثنا ابى بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام
قام خطيبا فابى اسرائيل فقتل اى الناس اعلم فقال انما غلب الله عليه اذ لم ير العلم
اليه فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه انى على الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام
باربك فبكى فلبى به قال فخذ منكم حوفا فاجعلوه فى مكمل فليخيموا فقد مات الحوت فهو ثم
فاخذ حوفا فاجعلوه فى مكمل ثم انطقوا وانطلق معه فقام نوح بن نون حتى اذا اتى
الحفرة فوضعا رؤسهما فناما فاضرب الحوت فى المكمل فخرج منه فسقط فى البحر
فاخذ سدله فى البحر سربا وامسك الله عن الحوت جري الماء فصار عليه مثل الطاق
فلما استيقظ رأى صاحبه ان يجزبه بالموت وانطلقا بقية يومهما وليتهم ما حتى اذا كانا
من الغد قال موسى لفتهاء آتنا غداءنا لقد قمنا من سفرنا هذا انصبا قال ولم يجد موسى
النصر حتى جاوز المكان الذى امره الله به فقال له فتهاء اربأت اذ بانى الى البحر فأتى
نسيت الحوت وما اسانيه الا السبطان ان اذكره واخذ سدله فى البحر عجا قال فكان
للحوت سربا ولموسى ولفتهاء عجا فقال موسى ذلك ما كنا بنى فارتد على آثارهما قصصا
قال رجعا قصصا آثارهما حتى اتيا البحر فاذا رجل مسجى بشوب ابيض فسلم
عليه موسى فقال الحضرة وابى بارضك السلام فقال انا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال
نعم اتيك لتعلمنى مما علمت رشدا قال انك ان تستمع معى صبرا انا موسى اى على علم من
علم الله علمه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمه ان الله لا يعلم فقال موسى سجدنى
ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امر ا فقال له الحضرة فان اتعتنى فلا تسألى عن شئ حتى
أحدث لك منه ذكر افاطلقا عيشان على ساحل البحر فرتبهم سبعة فكلهم هوهم ان
يجمعوا هوهم ففروا الحضرة فكلهم بغير نول فلما ركبوا السفينة لم يبقا موسى الا والحضرة
قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم جلوا فغير نول عدت الى
سفينةكم فغير قتها تغرق اهلها الله حدثت شيئا اقل اقل ان تستطيع معى
صبرا قال لا تأخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال رجعا ففروا فوقع على حرف السفينة فغرق في
البحر فغرق فقال له الحضرة ما تنقص على وعلمك من علم الله الا مثل ما تنقص هذا
العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما عيشان على الساحل اذا
ابصر الحضرة غلاما يلعب مع الغلمان فاخذوا الحضرة برأسه فاقبلته بيده فقتله فقال له
موسى اقتلت نفسك اذ كنت بغير نفس لقد جئت شيئا اكراما قال اقل لك انك ان
تستطيع معى صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سألتك عن شئ بعد هذا فلما
تصاحبتى قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها
فابوا ان يرضوا فوجهما فوجدوا فيها جدارا رايدين ايقن على ما اطلقا فقال الحضرة
هكذا قال الله فقال موسى قوم انينا هم فلم يظهروا ولم يرضوا ولا لوثت لاخذت
عليه اجرا قال هذا افراق بينى وبينك سأنسبك ثوبا يسل ما لم تستطع عليه

(الابرج) لا تزال وقد حذفت الجرد لالة الحال والكلام عليه أما الاولى فلانها كانت حال سفر وأما الثانية فلان قوله (حتى بلغ مجمع البحرين) غاية ضمير مستدعي ما هي غايته فلا بد ان يكون المعنى لا برج اسير حتى بلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهم السلام وهو ما تسمى بحجر فارس والروم وسمى خضر الانهار فيها حتى يحضر ماحوله (واوهضى حقها) أو اسير زمانا طويلا لئلا يملح عنان سنة ٢٦٩ أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر

صبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم برحم الله موسى لوددت أنه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان أمه هم ملاك يأخذ كل سبعة صالحة غضبوا وكان يقرأ أواما العلام فكان كافر أو كان أبواه مؤمنين وفي رواية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكر الناس يومها حتى إذا فاضت العيون وورقت القلوب ولي قادر كه رجل فقال أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك قال لا فغضب الله عليه أذ لم يرد العلم إلى الله تعالى فقال بلى قال أي رب وأين هو قال مجمع البحرين قال خذ حذوكم تأمينا حيث ينفع فيه الروح وفي رواية تزود حوتا لمحا فانه حيث بقعد الحوت زاد في رواية وفي أصل الخفرة عين يقال لها الحمية لا يصيب من مائها شيء الا يصب فاصاب الحوت من ماء تلك العين فقدرك وانسل من المكمل فدخل البحر ورجعنا الى التفسير قوله سبحانه وتعالى (لا ابرج) أي لا تزال اسير (حتى بلغ مجمع البحرين) قيل أراد البحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل أفر بقيقة (أو امضى حقها) يعني أو اسير دهر اطويلا والمحب عثمان سنة فدخل خبز أو سمكة المحمة في المكمل وهو الزميل الذي يسع خمسة عشر ماعا ومضيما حتى انتهى الى الخفرة التي عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى عين الحمية لا تصب شيئا الاحيى فلما أصاب السمكة روح الماء برده اضطررت في المكمل وهاجت ودخلت في البحر (فلما بلغنا) يعني موسى وقتهما (مجمع بينهما) أي بين البحرين (نسبا) أي تراك (حوتهما) وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذي نسيه وانما أضاف النسيان اليهما لانهما تزودا لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيهما وهما أي نسيما كيفية الاستدلال بهذه الحالة الخاصة على الوصول للطلوب (فاتخذ أي الحوت) سبيله في البحر سريا أي مسلكا وروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كونه لم يسمع فدخل موسى السكة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لايمس شيئا من البحر الا يمس حتى صار صخرة فقدر وينالها ما انتهى الى الخفرة وقضها رؤسها فافنما واضطرب الحوت فخرج فخرج فخرج ففاتخذ سبيله في البحر سريا فاقام مسلك الله عن الحوت جربة الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كانا من الغدوه قوله سبحانه وتعالى (فلما حاو زا) يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعني موسى (لقناه تناغدا) أي طعنا لالتقاء بينهما سفرنا هذا نصبا) أي تعبوا وشدة ذلك أنه اتى على موسى الجوع بعد ما حاو زا الخفرة ليتسكرا الحوت ويرجع في طلبه (قال) يعني يوشع (ارأيت اذا وينا الى الخفرة)

معنى اسرا تليل واستقرت رايها بعد ذلك القط سأل ربه أي عباده أحب اليك قال الذي يدكرني ولا ينسافي قال فأي عباده أقضى قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عباده أعلم قال الذي يفتي علم الناس الى علمه عسى يصيب كنه تدله على هدى او تزد عن ردى فقال ان كان في عباده من هو أعلم مني فدنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أن اطلبه قال على الساحل عند الخفرة قال بواب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكمل تخفيته فقتله فهو هناك فقال لقناه اذا فقتل الحوت فاخبرني فذهبا بمشيان فرق قدم موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فقام وقوعه في البحر فاتما الخفرة فاذا رجل مسحى بشوية فلم عليه موسى فقال وأني بارضنا السلام فخرقه نفسه فقال يا موسى اناعلى علم علمه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمك الله لا اعلمه انا (فلما بلغا مجمع بينهما) مجمع البحرين (نسيبا حوتهما) أي نسي أحدهما وهو يوشع لانه كان صاحب الزاد دليلة فاني نسبت الحوت وهو

كقولهم نساوا ذاهم وانما نساها متعهذا الزاد قيل كان الحوت سمكة ملوحة فتزلا ليله على شاطئ عين الحمية ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء (فاتخذ سبيله في البحر) أي اتخذ سبطا يقال له من البر الى البحر (سريا) نصب على المصدر رأى سرب فيه سربا يعني دخل فيه واستقر به (فلما حاو زا) مجمع البحرين ثم تزاد قدساراما شاء الله (قال) موسى (لقناه تناغدا) أي طعنا لالتقاء بينهما سفرنا هذا نصبا) تعبوا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك (قال) رأيت اذا وينا الى الخفرة

هي موضع الموعود (فاني نسيت المحوت) ثم اعتذر فقال (وما أنسانيه) وبضم الهاء حفص (الا الشيطان) بالقاء الخواطر في القلب (أن اذ كره) بدل من الهاء ٢٧٠ في انسانيه أى وما أنساني ذكره الا الشيطان (واتخذ سبيله في البحر عجا)

وهو ان أثره بقي الى حيث سار
(قال ذلك ما كنا نبغ) نطلب
وبالياء مكى وافقه أبو عمرو وعلى
ومعنى في الوصول وبغيره
فيهما غيرهما اقباعا لحظ المخف
وذلك اشارة الى اتخاذ سبيلا
أى ذلك الذى كنا نطلب لان
ذهاب المحوت كان علما على
بقاء المحضر عليه السلام (فارتدا
على آثارهما) فرجعنا الى الطريق
الذى جاء آية (قصصا) يقصان
قصصا أى يتبعان آثارهما
اتباع الاثر (فوجدنا عبدان
عبدان) أى المحضر راقد تحت
ثوب أو جالس في البحر (آية) اه
درجة من عندنا) هي الوحي
والنبوة أو العلم أو طول الحياة
(وعلمناهم من لدنا علما) يعنى
الاخبار بالنيب وقيل العلم
اللدى ما جعل للعبد طريق
الانقاذ (قال له موسى هل أتبعك
على ان تعلم مما علمت رشدا)
أى علما دارشدا أو رشده في ديني
ورشدا أبو عمرو وهم الغفان
كالبخل والبخل وفيه دليل على
انه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب
العلم وان كان قد بلغ من نسيته
وان يتواضع لمن هو أعلم منه
(قال انك لن تستطع معي)
و يفهم الياء حفص وتكرارها بعده
في هذه السورة (صبرا) أى

وهي صخرة كانت بالموضع الموعود (فاني نسيت المحوت) أى تركته وفاقته وذلك أن
يوشع حين رأى من المحوت ذلك قام ليدرك موسى فيجبره فمضى أن يجبره فذكره أبوهم
حتى صلب الظهر من الغد ثم قال (وما أنسانيه الا الشيطان ان اذ كره) أى وما أنساني
ان اذكر لك امر المحوت الا الشيطان قبل المارد من النسيان شغل قلب الانسان
بوسوس الشيطان التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الفكر لان ذلك لا يصح
الام قبل الله تعالى (واتخذ سبيله في البحر عجا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعنى
وقع المحوت في البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروى في الخبر كان للمحوت سرايا ولوسى
ولقائه عجا وقيل أى شئ أعجب من حوت يؤكل منه دهر ثم صار حيا وهدما كل بعضه
قوله عز وجل (قال) يعنى موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتدا على آثارهما
قصصا) أى رجعا يقصان الذى جاء آية وبعنه يتبعانه (فوجدنا عبدان من عبدان) قيل كان
ملكاهن الملائكة والجميع الذى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في
التواريخ انه المحضر واسمه بلبيان ملكان وكنيته أبو العباس قيل كان من بني اسرائيل
وقيل كان من أبناء الملوك الذين ترهبوا وتركوا الدنيا والمحضر لقب له سمي به لانه
جلس على فروة بيضاء فاحضرت (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما سمي خضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تم ترخته خضر اه الفروة
قطعة نبات مجمعة باسنة وقيل سمي خضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروى ان
موسى رأى المحضر معجى بثوب فسلم عليه فقال المحضر وأنى بارضك السلام قال أناموسى
أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا ومعنى معجى بثوب أى معطى بثوب وقوله وأنى
بارضك السلام معناه من أين بارضك التى أنت فيها الآن السلام وروى انه لقته على
طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدنا عبدان من عبدان
(آ) (بما رجعة) أى نعمة (من عندنا وعلمناهم من لدنا علما) أى علم الباطن الهاميا ولم يكن
المحضر نبيا عند أكثر أهل العلم فان قلت ظاهر هذه الآيات يدل على ان المحضر كان على
شأن من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه قلت لا يخفى ان يكون
المحضر من بني اسرائيل أو من غيرهم فان كان من بني اسرائيل فهو من أمة موسى ولا
جائز ان يكون احدا لامة أفضل من نبيها أو أعلى شأنه وان كان من غير بني اسرائيل
فقد قال الله تعالى لبني اسرائيل وأنى فضلتكم على العالمين أى على عالمي زمانكم (قال
له موسى هل أتبعك) معناه جئت لاصحبه واتبعك (على أن تعلم مما علمت رشدا) أى
صوابا وقيل علما ترشدني به وفي بعض الاخبار قال المحضر لموسى كفى بالتوراة علما وبني
اسرائيل شغلا فقد قال له موسى ان الله أمرنى بهذا لئلا تشذ (قال) المحضر لموسى (انك ان
تستطع معي صبرا) وانما قال ذلك لانه علم انه يرى أموراً منكرة ولا يجوز ولا نبياء
الصبر مع المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا)

عن الانكار والسؤال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا) تمييز في استقامة الصبر مع على وجه التأكد وعمل
ذلك بانه يتولى امره وراهي في ظاهرهما منا كبر والرجل الصالح لا يبالا أن لا يخرج اذا رأى ذلك فكيف اذا كان نبيا

(قال سجدني ان شاء الله صابرا) من الصابرين عن الانكار والاعتراض (ولا اعصى لك امر) في محل النصب عطفا على صابرا أي سجدني صابرا وغير خاص او هو وعطف على سجدني ولا حله (قال فان اتبعني فلا تسألني) بقى الام وتشديد النون مدني وشاحي وسكون اللام وتثنية النون غيرهما والياء ثمانية فيهما اجماعا (عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا) أي فن شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي ٢٧١ عليك وجهه فاحتجته فانكرت في نفسك

أن لا تنصحتني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا القائل عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم أو المتبوع مع التابع (فانطلقا حتى اذارا كيا في السفينة خرقها) فانطلقا على ساحل البحر بطيئان السفينة ولما راكبا هاهنا قال اهلهما ههنا من اللصوص وقال صاحب السفينة اري وجوه الانبياء وروينا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلهم وهم أن يحرقهم ففرقوا الحضر فكلهم بغير قول أي بغير عرض ولا عطاء فلما تجردوا في البحر أخذ الحضر فأسفروا حولهم أواح السفينة فذلك قوله تعالى (حتى اذارا كيا في السفينة خرقها قال) يعني موسى له (خرقتها لتغرق اهلهما لقد جئت شيئا اراما) أي أنت شيئا عظيما منكرا روى أن الحضر لما خرق السفينة لم يدخلا الماء وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ نوبه فمشى به المحرق (قال) العالم وهو الحضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال) يعني موسى (لا تؤاخذني بما نسيت) قال ابن عباس لم ينس وان كان من معارض الكلام فكانت له نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والفسيان الترك وقال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عدا (ولا ترهقني) أي لا تعثنني (من أمرى عسرا) والمعنى لا تعسر علي متابعتك ويسر هاهنا بالانفصال وقيل لا تنكفني مشقة ولا تضيق علي أمرى (فانطلقا حتى اذا القوا غلاما فاقبلوه في القصة) ههنا حرام من البحر بمشيان فزرا بعمان يلعبون فأخذ الحضر غلاما طرا بفاوضي الوجه كأن وجهه يتوقد حسنا فاقبضه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار بأربعة الثلاث الا بهام والسبابة والوسطى وقيل رأسه وروى انه رضع برأسه بحجر وقيل ضرب برأسه بالمحذارة فقله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن في الله موسى يقول أقتلت نفسا زكية الا هو موسى لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان امرأة حبس وروى قيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المذموم ويحلب إلى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اللام الذي قتله الحضر طبع كافر ولو عاش لأهراق ابويه طغيانا وكفر الغظم مسلم (قال) يعني موسى (أقتلت نفسا زكية) أي لم تذنب قط

(ولا ترهقني من أمرى عسرا) رهقه اذا غشمه وارهقه اياه أي ولا تعثنني عسرا من أمرى وهو اتباعه اياه أي ولا تعسر علي متابعتك ويسر هاهنا بالانفصال وقيل لا تنكفني مشقة ولا تضيق علي أمرى (فانطلقا حتى اذا القوا غلاما فاقبلوه في القصة) ههنا حرام من البحر بمشيان فزرا بعمان يلعبون فأخذ الحضر غلاما طرا بفاوضي الوجه كأن وجهه يتوقد حسنا فاقبضه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار بأربعة الثلاث الا بهام والسبابة والوسطى وقيل رأسه وروى انه رضع برأسه بحجر وقيل ضرب برأسه بالمحذارة فقله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن في الله موسى يقول أقتلت نفسا زكية الا هو موسى لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان امرأة حبس وروى قيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المذموم ويحلب إلى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اللام الذي قتله الحضر طبع كافر ولو عاش لأهراق ابويه طغيانا وكفر الغظم مسلم (قال) يعني موسى (أقتلت نفسا زكية) أي لم تذنب قط

(ولا ترهقني من أمرى عسرا) رهقه اذا غشمه وارهقه اياه أي ولا تعثنني عسرا من أمرى وهو اتباعه اياه أي ولا تعسر علي متابعتك ويسر هاهنا بالانفصال وقيل لا تنكفني مشقة ولا تضيق علي أمرى (فانطلقا حتى اذا القوا غلاما فاقبلوه في القصة) ههنا حرام من البحر بمشيان فزرا بعمان يلعبون فأخذ الحضر غلاما طرا بفاوضي الوجه كأن وجهه يتوقد حسنا فاقبضه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار بأربعة الثلاث الا بهام والسبابة والوسطى وقيل رأسه وروى انه رضع برأسه بحجر وقيل ضرب برأسه بالمحذارة فقله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن في الله موسى يقول أقتلت نفسا زكية الا هو موسى لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان امرأة حبس وروى قيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المذموم ويحلب إلى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اللام الذي قتله الحضر طبع كافر ولو عاش لأهراق ابويه طغيانا وكفر الغظم مسلم (قال) يعني موسى (أقتلت نفسا زكية) أي لم تذنب قط

(بغير نفس) أى لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان نخدة الحرورى كتب اليه كيف جازت له
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلان
تقتل (لقد جئت شيئا نكرا) وبضم الكاف ٢٧٢ حيث كان مدني وأبو بكر وهو المنكر وقيل المنكر أقل من الامر لان

وفرى ذكية وهى التى أذنت ثم تاب (بغير نفس) أى لم يقتل نفسا حتى يحب عليها
القتل (لقد جئت شيئا نكرا) أى منكر أعظم وقيل المنكر أعظم من الامر لانه حقيقة
الهلاك وفى حرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر أعظم لان فيه تعذيب جمع كثير
وقيل معناه لقد جئت شيئا نكرا الأول لان ذلك كن خفايا يكن تداركه بالسد وهذا
لا سبيل الى تداركه (قال) يعنى المحضر (ألم أفل لك انك لن تستطيع معي صبرا) قيل
زاد في هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد من وقيل ان هذه اللفظة كيدنا لا ينبغ
فعمده هذا (قال) موسى (ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) قيل ان يوشع كان
يقول موسى يا بني الله اذكر العهد الذى أنت عليه قال موسى ان سألتك عن شيء بعد
هذه المرة فلا تصاحبني أى فارقتى ولا تصاحبني (قد بلغت من لدنى عذرا) قال ابن عباس
أى قد عذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه أتفعل لك العذر فى مفارقتي والمعنى أنه
مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احب له من تين أو لوانا مع قرب المدة (ق) عن أى
ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا
ذكر أحدا من الانبياء بدأ بنفسه لولانه عمل رأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه
ذماعة فقال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنى عذرا فلو صبر
لرأى العجب قوله ذماعة هو بذل محبة أى حياء واشفاق من الذم واللوم يقال ذمته
ذماعة يعنى لمسه ملامة وشهده قول المحضر هذا فارق بيني وبينك قوله سبحانه وتعالى
(فأنظروا تحذوا إذا أتوا أهل قرية) قال ابن عباس يعنى أنظروا وقيل الآية وهى ابعد
الارض من السماء وفيه هى بلدة بالاندلس (استطعما أهلها فابوا أن يضيعة وهما) قال
ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أتوا أهل قرية ثلثا فطافوا فى الهالاس
فاستطعما أهلها فابوا أن يضيعة وهما وروى انهم طافوا فى القرية فاستطعماهم
فلم يطعموهم واستضافهم فلم يضيعة وهما وعن أنس بن مالك قال أطمعتهما امرأتان أهل
بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهم فادعانا النساء ثم وعن رجالهم وعن قيادة قال
شم القرى التى لا تضيف الضيف (فوجدنا فيها جدارا يريد أن ينقض) أى يسقط وهذا
من عجز الكلام لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنائه السقوط كما تقول دارى
تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الارادة (فاقامه)
أى سواه وفى حديث ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال المحضر بيده هكذا
فأقامه وقال ابن عباس هذه وقعد بينه (قال) يعنى موسى (لو شئت لا اتخذت
عليه اجرا) يعنى على اصلاح الجدار جعله لاول المعنى انك قد علمت ان اجبا عن أن

قتل نفس واحدة أهون من
اغراق أهل السفينة أو معناه
جئت شيئا نكرا من الأول لان
الحرق يمكن تداركه بالسد ولا
يمكن تداركه القتل (قال الم
أفل لك انك لن تستطيع معي
صبرا) زاد لك هنا لان المنكر
فيهما ذكر (قال ان سألتك عن
شيء بعدها) يعنى هذه المرة
أو المسئلة (فلا تصاحبني قد
بلغت من لدنى عذرا) اعذرت
فيما بيني وبينك فى الفراق
ولدى تخفيف النون مدنى
وأبو بكر (فأنظروا تحذوا إذا أتوا
أهل قرية) هى انظروا
أو الآية وهى ابعد ارض الله
من السماء (استطعما أهلها)
استضافا (فابوا ان يضيعة وهما)
ضيعة أنزل وجعله ضيعة قال
عليه السلام كانوا أهل قرية
ثلثا ما قيل شر القرى التى يمكن
بالقرى (فوجدنا فيها) فى القرية
(جدارا) طوله مائة ذراع
(يريد أن ينقض) يكاد يسقط
استعيرت الارادة للسدانة
والشارفة كما استعير لهم والعزم
لذلك (فاقامه) بيده أو سمعه
بيده فقام واستوى أو تنصه
وبناه كانت الحال حال اضطراب
واقترار الى المطعم وقد تهرما

الحاجة الى آخر كسب الرزق وهو المسئلة فلم يجدوا ما ساقا فامام الجدار لم يما لك موسى لما رأى من الحرمان أهل
ومسأس الحاجة أن (قال لو شئت لا اتخذت عليه اجرا) أى طلبت على علك جعله لاحتى تستدفع به الضرورة اتخذت تخفف
التأعو كسر الحاء وادغام الدال بصرى وبأظهارها مكى وبتشديد التاء وفتح الحاء وأظهار الدال خض وبتشديد التاء وفتح
الحاء وادغام الدال فى التاء غيرهم والتاء فى تخذول كفى تبع والتخذ افعل منه كاتبع من تبع وليس من الإخذ فى شئ

(قال هذا فراق بني وبنك) هذا اشارة الى السؤال الثالث اى هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بني وبنك وقد قرئ به فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به (سأبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زنى وخمسة يعملون في البحر (فأردت ان اعيها) اجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أمامهم او خلفهم وكان طريقتهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلدني (يأخذ كل سفينة غصبا) اى يأخذ ٢٧٣ كل سفينة صالحة لا لعب فيها غصبا وان كانت معمسة تركها وهو

أهل القرية لم يعلموا فاقولوا اتخذت على عكلك أمرا (قال) يعنى الخضر (هذا فراق بني وبنك) يعنى هذا وقت فراق بني وبنك وقيل هذا الانكار على ترك أخذ الاخوه المارقيننا (سأبئك) اى سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وقيل ان موسى أخذ بنوب الخضر وقال أخبرت عنى ما علمت قبل أن تفارقنى فقال الخضر (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زنى وخمسة يعملون في البحر أى يفرقونها ويكتسبون بها وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكين اذ لم يغم عليه بملكه بكفايته وان حال الفقير في الضرر والحاجة أشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى يساهم مساكين مع انهم كانوا يكونون تلك السفينة (فأردت ان اعيها) اى اجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) اى أمامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والازل أصح (يأخذ كل سفينة غصبا) أى كل سفينة صالحة تفرقها وعبثها حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجندى الازدى وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن دد وروى ان الخضر اعتذر الى القوم وذكركم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعملون بحجبه وقال أردت اذا هيأتم به أن يدعها لغيرها فاذاجوزوا أصلحوها وانفعوها فاقولوا عز وجل (وأما الغلام فكان أبوه مؤمنا فخشينا أن يفسدنا عليه فأسلمناه لمساكين) أى يعشيهما وقيل بكفاهما (طعنا ما وكفرا) قيل معناه فخشينا أن يفسدنا عليه على أن يتبعاه على دينه (فأردنا أن يبدلهما ربهما) الابدال رفع الشئ ووضع آخر مكانه (خير امته زكاة) أى صلاحا وقوى وقيل هو فى رواية قوله تعالى ان قلت نفسا زكاة فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا امته زكاة (وأقرب رحما) أى يكون المبدل منه أقرب عطفًا ورحمة بابو به بان يبرهما و يشفق عليهما قيل ابدلهما جارية فترزقها من اى الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما بغلام مسلم وقيل ان الغلام الذى قتل فرح به أبواه حين ولدوا وحناءه عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلا كما فطر الله العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضاء غيره فيما يحب قوله سبحانه وتعالى (وأما الحداد فكان الغلامين يتيمين في المدينة) قيل كان اسمهما أصرم وصريم (وكان تحتها كثرهما) روى

٣٥ الحداد فكان الغلامين) أصرم وصريم (يتيمين في المدينة) هى القرية المذكورة (وكان تحتها كثرهما) أى لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر وعجبت لمن يؤمن بالزوق كيف تعب وعجبت لمن يؤمن بالوقت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها عليها كيف يطمئن اليها الا الله محمد رسول الله اموال مدفون من ذهب وفضة او مخفى فيها علم والاول اظهر وعن قتادة أحل السكر لمن قبلنا وحرمت الغنمة عليهم واحلت لنا

(ويسئلونك) أي اليه وود على
جهة الامتحان أو ابوجهل
واشباعه (عن ذي القرنين)
هو الاسكندر الذي ملك الدنيا
قبل ملكهم مؤمنان ذو القرنين
وسليمان وكافران - غرود
وتختصر وكان بعد غرود قيل
كان عبدا صالحا ملكه الله
الارض وأعطاه العلم والحكمة
وسخر له النور والظلمة فإذا سرى
بيديه النور من أمانه ويخبطه
الظلمة من وراءه وقيل نبأ وقيل
ملك من الملائكة وعن علي
رضي الله عنه أنه قال ليس ملك
ولا نبأ ولكن كان عبدا صالحا
ضرب على قرنه الايمن في طاعة
الله فبات ثم بعثه الله فضرب
على قرنه الايسر فبات فبعثه الله
فسمى ذا القرنين وفيكم مثله
أراد نفسه قيل كان يدعوهم الى
التوحيد فبعثه الله فبعثه
الله تعالى وقال عليه السلام
سمي ذا القرنين لأنه طاف
قربى الدنيا بعنى جانبها
شرقها وغربها وقيل كان له
قرنان أي صغيرتان أو تنقرض
في وقته قرنان من الناس اولانه
ملك الروم وفارس أو الترك
والروم أو كان لتاحه قرنان أو على
رأسه ما يشبه القرنين أو كان
كريم الطرفين أبوا وما وكان من
الروم

ان الحضرة والياس حيان يلتقيان كل سنة بالمواسم وكان السبب في حياة
الحضرة فما حكى انه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين
الحياة وكان الحضرة على مقدمته فوقع الحضرة على العين فغسل وشرب منها وصلى
شكر الله تعالى واخطأوا القرنين الطريق فرجع وذهب آخرون الى انهم تبث لقوله
سجدته وتعالى وما جعلنا البشر من قبلك الخادم وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى
الغداة ليلة اراستك ليبتك هذه فان رأس مائة سنة لا يتيق من هو اليوم على ظهر الارض
أحد ولو كان الحضرة حيا لكان لا يمش بعدهم وقوله عز وجل (ويسئلونك عن ذي
القرنين) قيل اسمه مرزبان بن مرزبه اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل
اسمه الاسكندر بن فيلفوس كذا أصبح الرومي وكان ولد عوزوليس لما ولد غيره ونقل الامام
نضر الدين في تفسيره عن أبي الريثان السمروري المتجهم في كتابه المسمى بالآثار الباقية
عن القرون الخالية انه من جبر واسمه أبو كرب سمي بن عير بن افس يقبس الجسري
وهو الذي افتخربه أحد شعراء جبر حيث يقول

قد كان ذو القرنين جدي مسلما * ملكا على الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغرب يتبعني * اسباب ملك من كريم مرشد
فرأى ما ب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وطاعة حرمه

قوله فرأى ما ب الشمس أي ذهب الشمس وقوله في عين ذي خلب أي حياة والشاطبة
الحياة أيضا والجمع ناط والحرمه مد الطين الاسود وقيل سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني
الشمس مشرقها ومغربها وقيل لأنه ملك فارس والروم وقيل لأنه دخل النور والظلمة
وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقربي الشمس وقيل لأنه كان له ذؤبان حستان وقيل
كان له قرنان تواريخهما الامامة وروى عن علي أنه قرمه بتقوى الله فضر به على قرنه
الايمن فأت فاحياه الله ثم بعثه فامرهم بتقوى الله فضر به على قرنه الايسر فأت فاحياه الله
واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا وبطل عليه قوله سبحانه وتعالى فلما إذا ذا القرنين
وخطاب الله لا يكون الامع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال أبو الطيقل سئل علي عن ذي
القرنين كان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحياه الله وناصحه
الله ففاحيه الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لا خير إذا القرنين فقال تسميتهم باسماء
الانبياء فلم تر ضواحي تسميتهم باسماء الملائكة والاعوج الذي عليه الا كثرون انه كان
ملكا صالحا عادلا وأنه بلغ اقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب وهذا هو النادر
المعمودون الارض وذلك انه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن دان له طوائف ثم
مضى الى ملك العرب وتهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى
مصر وبني الاسكندرية وشماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فسه
القربان ثم انعطف الى ارمينية وبوب الابواب وبني السدود وانت له مملوك العراق
والنبطوا البربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة
ثم رجع الى العراق ومرض بشدة وزود مهابا وجلى الى حمت وهو مدفون وقيل ان
عمره كان القار ثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي هو على خلاف العادات وجب

(قل سألوا عديكم منه) من ذى القرنين (ذكرنا اننا كنا له فى الارض) جعلنا له فيها مكانة واعتلاء (وآتينا من كل شئ) ارادهم من أغراضه وقاصده فى ملكه (سبأ) ما رماه وصل الى الاله (فأتبع سبأ) والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة فأراد بلوغ المغرب فأتبع سبأ بوصاله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سبأ وأراد بلوغ السدين فأتبع سبأ فأتبع ثم أتبع كوفى وشاحى الباقور بوصل الافوتة سديد الساعن الاصبى أتبع كوفى واتبع اقتبى وان لم يلحق (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) اى انتهى العمارة نحو المغرب وكذلك الماطل قال صلى الله عليه وسلم ليد امرأته وحده فى الكتبت ان أحدا ولا دسام يشرب من عين الحماة فيخلد فجعل يسير ٢٧٤ فى طلبها والحضر وزيره وابن خالته فظفر فثرب ولم يظفر

ذوالقرنين (وجدتها تغرب فى عين جحمة) ذات حجارة من حجت البئر اذا صارت فيها الحماة حامية شاحى وكوفى غير حفص بمعنى حارة وعن ابى ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل فرأى الشمس حين غابت فقال انبرى بالبادران تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تغرب فى عين جحمة وكان ابن عباس رضى الله عنهما عند معاوية فقرر معاوية حامية فقال ابن عباس جحمة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأها فقال كل قرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كتب الاحبار كيف يجد الشمس تغرب قال فى ماء وطن كذلك تجد فى التوراة فوافق قول ابن عباس ورضي الله عنهم ولا تنافى لخاز أن تكون العين جامعة لا وصفين جميعا (ووجدتها) عند تلك العين (قوما) عرافة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ

ان يبق ذكره فخلد على وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويسئلونك عن ذى القرنين (قل سألوا عديكم منه ذكرنا) أى خبرنا يتضمن حاله قوله سبحانه وتعالى (انا ما نملك فى الارض) أى سلطانا والتمكن منه يد الاسباب قال على سخر الله له السحاب فخلد عليه ومده له فى الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض وذلل له طريقها (وآتينا من كل شئ) مما يحتاج اليه الحائق وكل ما يستعين به المولك على فتح المدن ومحاربة الاعداء (سبأ) أى علمنا بقصد به الى كل ما يريدو يسير به فى اقطار الارض وقيل بلاغالى حيث أراد وقيل قرئنا له اقطار الارض (فأتبع سبأ) أى سلك طريقا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدتها تغرب فى عين جحمة) أى ذات حجارة وهى الطينة السوداء وقرئ حامية أى حارة وسال معاوية كعبا كيف تجد فى التوراة تغرب الشمس وأين تغرب قال تجد فى التوراة انها تغرب فى ماء وطن وقيل يجوز أن يكون معنى فى عين جحمة أى عند هاهن جحمة أو فى العين وذلك انه بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمر ان فوجد الشمس كائنها تغرب فى هذه ظلمة كمان واكب الجعري ان الشمس كائنها تغرب فى البحر (ووجد عندها قوما) أى عند العين أمة قال ابن جرير مدينة لها اثنا عشر ألف باب قال انها لمحاسوس واسمها باسم يانعة سمحس كسمك اقوم من نسل نوح الذين آمنوا يصلح لولا ضيغ أهلها السمع الناس وجحمة الشمس حين تغرب أى تعرب (قلنا باذا القرنين) يستدل بهذه ان يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل يستدل أن يكون الخطاب على لسان غيره (امان تعذب) يعنى تقتل من لم يدخل فى الاسلام (واما أن تتخذ فيهم حسنا) يعنى تعفو وتصفح وقيل تأمرهم فعملهم المدي خسر الله سبحانه وتعالى بين الامرين (قال امان نعلم) أى كفر (فوف نعدى) أى قتله (ثم رد الى ربه) أى الى الشجرة (فيعذبه عذابا نكرا) أى مذكرا يعنى بالنار لانها انكر من القتل (واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أى جزاء اعماله الصالحة (وسنقول له من امرنا يسرا) أى نأين له القول ونعلمه باليسر من امرنا (ثم

البحر وكانوا كفارا (قلنا يا ذا القرنين امان تعذب وامان تتخذ فيهم حسنا) ان كان نبيا فقد أوحى الله اليه هذا اتبع والا فقد أوحى الى نبي فآمره النبي به أو كان الها مخبرين ان يعذبهم بالقتل ان أصروا الى أمرهم وبين ان تتخذ فيهم حسنا باكرامهم وتعليم الثمرا ان آمنوا أو بالتعذيب القتل واتخاذ الحسن الاسر لانه بالنظر الى القتل احسان (قال) ذوالقرنين (امان نألف وف نعدى) بالقتل (ثم رد الى ربه) يعنى عذبه عذابا نكرا فى القيامة يعنى امان دعوة الى الاسلام فالى الالبقاء على النظام العظيم وهو الشرى فذلك هو المذبذبة فى الدارين (واما من آمن وعمل صالحا) أى عمل ما يقتضيه اليمان فله جزاء الحسنى (قلنا جزاء الله الحسنى) التى فى كلمة الله هادة جزاء الحسنى كوفى غير أى بكر أى قبله القلة الحسنى جزاء (وسنقول له من امرنا يسرا) أى داسر أى لانامه بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخمر والحراج وغير ذلك

(ثم أتبع سبدا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم) هم الزنج (لم يجعل لهم من دونها) من دون الشمس (سترا) أي أبنية عن كعب أرضهم لئلا تتسلل الأبنية وهما السراب فإذا طلعت الشمس ٢٧٧ دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى

معاشهم والسرا لئلا يسر عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض (كذلك) أي أمر ذو القرنين كذلك أي كلوص صفاء تعظيما لأمه (وقد أحطنا بما لديه) من الحسنود والاسات وأسباب الملك (خبرا) نصب على المصدر لأن في أحطنا معنى خبرنا أو بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كبلغ مغربها أو قطع على قوم مثل ذلك القيسل الذي تعرب عليهم يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه إلى من آمن منهم (ثم أتبع سبدا حتى إذا بلغ بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما السدين وسدماكي وسداحجرة وعلى وبضهما غيرهم قيل ما كان سدودا خائفة فهو مضوم وما كان من عمل العباد فهو متوجح وانصب بين على أنه مفعول به بل بلغ كما أشير بالاضافة في هذا فراق يعني وبينك وكذا ارتفع في القدر قطع يستكمل لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وطروفا

أتبع سبدا) أي سلك طريقا ومنازل (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم يجعل لهم من دونها سترا) قيل أنهم كانوا في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا بساتين عليهم بناء فإذا طلعت الشمس دخلوا في أمراب لهم تحت الأرض فإذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معاشهم وحووهم وقيل أنهم كانوا إذا طلعت الشمس نزوا في المساء فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فروعوا كالبهايم وقبلهم قوم عراة يفتش أحدهم أحدي أذنيه ويلتف بالآخرى وقيل أنهم قوم من نسل هود متى قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية م قسبا وهم مجاورون يأجوج ومأجوج قوله سبحانه وتعالى (كذلك) أي كبلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه أنه حكم في القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الأصح (وقد أحطنا بما لديه خبرا) أي علمنا بما عندهم من معجزات الجند والعدة والآثار الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به والقيام بأمه وقوا عز وجل (ثم أتبع سبدا حتى إذا بلغ بين السدين) هما جبلان في ناحية الشمال في منقطع أرض الترك حيي الوائقي بعث بعض من يقبض به من أتباعه إليه ليعاينه فخرجوا من باب من الأبواب حتى وصلوا إليه وشاهدوه فوضفوا أنه بناء من ابن حديد مشدودا لئلا ينسحب المذاب وعليه باب مقل (وجسد من دونهما قوما) أي أمام السدين قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا إذا ذا القرنين) فإن قلت كيف أثبت لهم القول وهم لا يفهمون قلت تكلم عنهم مترجم عن هو مجاورهم وهم يفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون قولا لا يجهدون مشقة من إشارة ونحوها كما يفهم الخرس (ان يأجوج وهأجوج) أصلهما من أجيح النار وهو وضوؤها وشرها شبهناه لكثرة شتمهم وشدهم وهم من أولاد يائث بن نوح والترك منهم قيل أن طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجة فسماوا الترك لذلك لأنهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافت فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافت أبو الترك والخزراء الصقالية وياجوج وهأجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزع وروى حذيفة فروعان يأجوج أمة ومأجوج أمة وكل أمة أربعة آلاف امرأة لا يوت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذك من صلبه كلهم قد حل السلاح وهم من ولد آدم يسرون إلى غراب الدنيا وقالهم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرض شجر بالثام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضة وطوله سواء عشرون ومائة ذراع وهو لا يلقوهم لم جبل ولا حد يدو صنف منهم يفتش أحدهم أذنه ويلتف بالآخر لا يرون قبيل ولا وحش ولا خنزير إلا كلوه ومن مات منهم أكلوه

وهذا المكان في منقطع أرض الترك سما على المشرق (وجسد من دونها) من ورائها (قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) أي لا يكادون يفهمونه لا يجهدون مشقة من إشارة ونحوها يفقهون جزع فوعلى أي لا يفهمون السام كلامهم ولا يمتنونه لأن لغتهم غريبة مجهولة (قالوا إذا ذا القرنين) ان يأجوج ومأجوج هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وهما هما عاصم فقط وهما من وليا يافت أو يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل والدليم

مقدّمهم بالشام وساقتم بحراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن على
منهم من طوله شبر ومنهم من هو مغرط في الطول وقال كعب بن مالك في ولد آدم وذلك
أن آدم ٢ احتلم ذات يوم وارتجبت نطفة به بالتراب فخلق الله من ذلك الماء بأجوج
وأجوج فهم متعلقون بئامن جهة الالب دون الام وذكروهم من منبه ان ذال القرنين
كان رجلا من الروم ابن عوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى
له اني باعته لك الى اعم مختلفه السنتهم منهم اتمان بينهما طول الارض احدهما عند
مغرب الشمس يقال له اناسك والاخرى عند مطلعها يقال له اناسك وامتان بينهما
عرض الارض احدهما في القطر الايمن يقال له اهاويل والاخرى في قطر الارض
الايسر يقال له اهاويل واعم في وسط الارض منهم الجن والاناس وأجوج وأجوج
فقال ذوالقرنين ماى قوة كلبهم وبأى جمع أكثرهم وبأى لسان أنطقهم فقال
الله سبحانه وتعالى انى ساقولك وأوسط لسانك وأشد عضدك فلا هو لبك شئ واللسك
الهيئة لا يروك شئ وأستغرك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك فانورهم يدك
من أمامك والظلمة تتوسطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا
وعدد لا يحصونهم الا الله تعالى فكثرتهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فعد عليهم الى
الله تعالى وعبادته فنفهم من آمن به وبنفهم من صدعته فعد الى الذين تولوا عنه فدخل
عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبسوتهم فدخلوا في دعوتهم فخدم من أهل المغرب خندا
عظيما وانطلق يتودهم والظلمة تسد قهم حتى أتى هاويل ففعل بهم كعله في ناسك ثم
مضى حتى أتى مسك ففعل بهم كعله في الامتن وخند منهم خندا عظيما ثم أخذ
ناحية اليسرى فأتى هاويل ففعل بهم كعله ففعلها ثم عد الى الامن حتى في وسط
الارض فلما كان فيما بين منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له أمّة صالحّة من الاناس
يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلفا يشبه البهائم فيسترسون الدواب والوحوش
والسباع وبأى كاون الحشرات والعقارب وكل ذى روح خلق في الارض وليس يزاد
خلق كز يادتهم فلا شك أنهم يتملكون الارض ويقهرون عليها ويفسدون فيها
فهل تجعل لأخرجهم على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكى فيه روى خبره وقال أعدوا
الى الخوض والحديد والنجاس حتى اعلم عليهم فاطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم
على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع من انفسهم مخالبا
واضراس كالسباع ولهم حلق شعور اوى اجسادهم ويتعشرون به من الحر والبرد والكل
واحد منهم اذان عظمتان يفتش احدهما ويتخفى بالآخرى يصفى في واحد وقبش
في واحدة يسافدون تسافد البهائم حيث التوا فلما عاين ذوالقرنين ذلك انصرف
الى بين الصدفين فقام ما بينهم ما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى
قالوا يا ذا القرنين ان اجوج واجوج (مفسدون في الارض) قيل فسادهم انهم كانوا
يخرجون ايام الر بيع الى ارضهم فلا يدعون فيها شأ أخضر الا كلوه ولا يابسا الا جلوه
وادخلوه ارضهم فلقوا منهم اذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا كاون الناس وقيل
معناه انهم سيفسدون عند خروجهم (فهل تجعل لأخرجهم) أى جعل لأجرا من الاموال
(على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أى حاجز افلا يصح لكوننا (قال) لهم ذوالقرنين

٣ قوله احتلم كذا بالفتح ما يدنيا
وتفسيره الخيط ويردهما احتلم
في قط الالم الا ان يكون المراد
انه سال منيه في نومه له امثله
وعائه اه دهجج

(مفسدون في الارض) قيل
كانوا كاون الناس وقيل
كانوا يخرجون ايام الر بيع فلا
يتركون شيا أخضر الا كلوه
ولا يابسا الا جلوه ولا يموت
أحدهم حتى ينظر الى ألف
ذكر من صلبه كاهم قد دخل
السلاح وقيل هم على صفين
طوال مفرطو الطول وقصار
مفرطو القصير (فهل تجعل لأ
خرجهم) أى جعل لأجرا من الاموال
تخرجهم من أموالنا ونظيرهما
النول والنوال (على أن تجعل
بيننا وبينهم سدا) قال

مامكني) بالادغام وبفكهمكي (فيه رضى خير) أى ما جعلنى فيه مكيناً من كثرة المال واليسار خير مما يبدلوننى من الخراج فلا حاجة فى الله (فأعنيونى بقوة) بفعله وصناعاته يحسنون البناء والعمل وبالات (أجعل بينهم ردماً) أحسن بينهم ردماً حسداً وطناً أحصيناهم وثقوا الردم أكبر من السد (أتونى زبر الحديد) ٢٧٩ قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الأساس

حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الحجر والتخاس المذاب والبنان من زبر الحديد بينهما الحطب والقهم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاه ما هم وضع المناقب حتى اذا صارت كالنار صب التخاس المذاب على الحديد الحمى فاختلط والتصق بعضها ببعض وصار جلد اصداً وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بفتح شين جاني الجبلين لانهما يتصادقان أى يتقابلان الصدفين مكي وبصرى وشامى الصدفين أبو بكر (قال انفخوا) أى قال ذوا القرنين للعلماة انفخوا فى الحديد (حتى اذا جعله) أى المنفوخ فيه وهو الحديد (نارا) كالنار (قال أتونى) أعطونى (أفرغ) أصب عليه (قطرا) تخاساً هذا بالانه يقطر وهو منصوب بأفرغ وقد بده أتونى قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه قال أتونى بوصف الالف جزءاً واذا بدأ كسر الالف أى جئونى (فما استطاعوا) بحذف التاء للخطبة لان البناء

(ما مكنى فيه رضى خير) أى ما قوتانى به رضى خير من جعلكم (فأعنيونى بقوة) يعنى لا يزيد منكم المال بل أعنيونى بأبدانكم وقوتكم (أجعل بينهم ردماً) أى سداً قالوا وما تلك القوة قال فعله وصناعاته يحسنون البناء والات (قالوا وما تلك الآلة قال (أتونى) أى أعطونى ٢ وقيل جئونى (زبر الحديد) أى قطع الحديد فاؤه بها بالحطب فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أى بين طرفي الجبلين (قال انفخوا) يعنى فى النار (حتى اذا جعله نارا) أى صار نارا (قال أتونى أفرغ عليه) أى أصب عليه (قطرا) أى تخاساً هذا بالغث النار تاكل الحطب وجعل التخاس يسيل مكانه حتى لم الحديد التخاس قيل أن السد كالبرد الحبر طرية سوداء وطرية جراء وقيل ان عرضه تسعون ذراعاً وارتفاعه مائة ذراعاً وطوله فرسخ وأعلم أن هذا السد بحجرة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها وأنفخ عليها لئلا يمكن الا بالقرىب منها فكانه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أيدى أولئك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه (فما استطاعوا) أن يظهروه (أى بعلا عليه) لعلاؤه وملاسته (وما استطاعوا له نقياً) أى من أسفله لشدته وصلابته (قال) يعنى ذوا القرنين (هذا) أى السد (رحمة من رضى) أى نعمة من رضى (فاذا جاء وعد درى) قيل يعنى يوم القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكا) أى أرضاً مساماً وقيل مد كوكماً يتوابع الارض (وكان وعد درى حقاً) (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم ياجوج وما جوج مثلى هذا وعقد بيده تسعين قوله وعقد بيده تسعين هو من موضوعات الحساب وهو أن تجعل رأس أصبعك السبابة فى وسط الإبهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا تبين لها الإخلال بسبب وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى السد ينفرونه كل يوم حتى اذا كادوا ينفرونه قال بعضهم ارجعوا فاستنفرونه غد قال فيعيد الله كاشدداً كان حتى اذا بالغوا مدتهم وأراد الله تعالى أن يعذبهم على الناس قال الذى عليهم ارجعوا فاستنفرونه غد ان شاء الله تعالى واستبقى قال فيرجعون فيعيد الله على هيئة حين تروكه فينفرونه فيفزعون على الناس فيستنون اليوم وترتهم الناس وفى رواية يفتحن الناس فى حصونهم منهم فيرون يساهم الى السماء فترجع غصبة بالماء فيقولون قهرنا من فى الارض وعدونا من فى السماء فيزدادون قسوة وفتابع الله عليهم تغافلهم فيها يكون فوالذى نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتسفل الله من محوهم شكراً أخرجه الترمذى وقوله

قريبة الخرج من الماء (أن يظهروه) أن بعلا السد (وما استطاعوا له نقياً) أى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته (قال هذا رحمة من رضى) أى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الاقدار والتمكين من تسويته (فاذا جاء وعد درى) فاذا دناجى يوم القيامة وشارف أن يأتى (جعله) أى السد (دكا) أى مد كوكماً وساماً سوى بالارض وكل ما ينسب بعد ارتفاعه فقد اندك دكا كوفى أى أرضاً مسامية (وكان وعد درى حقاً) آخر قول ذى القرنين قوله وقيل جئونى ظاهرة انه تفسير لا أتونى مقطوع المسمزة ولا يصح انما يصح اذا كان تفسير لا أتونى وموصولها فليتأمل صححه

(وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يومئذ مروج) مختلط (في بعض) أي يضطربون ويختلطون أنفسهم وجنهم حيارى ويحورون ويكون الصعير لاجوج ٢٨٠ وما جوج وانهم: وجون حين يخرجون عما وراء السدم دججن في البلاد وروى

فسوقوا على غلظة وفضافة وتكبروا والخف دود يكون في أنوف الابل والغنم وقوله وتكبر يقال شكرت الشاة تشكر شكرها اذا امتلأ ضرعها بالبن والماء حتى انها تملئ أجسادها بالماء وتسمن (خ) عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمر بن بعد خروج لاجوج وما جوج قوله عز وجل (وتركنا بعضهم يومئذ مروج في بعض) قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا لاجوج وما جوج مروج أي يدخل بعضهم في بعض كروج الماء ويختلط بعضهم في بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض لكثرتهم ويختلط أنفسهم بمجنهم حيارى (ونفتح في الصور) فيه دليل على أن خروج لاجوج وما جوج من علامات قرب الساعة (بخم عناهم جمعا) أي في صعيد واحد (وعرضنا) أي أبرزنا (جهنم يومئذ لكافرين عرضا) ليشاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاها (وسترى عن ذكرى) أي عن الايمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي سمع قول للايمان والقرآن لفيلة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون أن يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عدائهم له قوله تعالى (أغضب) أي أظن (الذين كفروا) أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء يعني أربابا يريد عيسى والملائكة بل هم أعداء يتبرؤن منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أظن الذين كفروا أن يتخذوا عيرى أولياء وأنى لا أغضب لنفسي فلا أعاقبهم وقيل معناه أظنوا أنه ينفقهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء (انا اعتدنا) أي هيأنا (جهنم للكافرين نزلا) أي منزلا قال ابن عباس رضى الله عنه ما هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالنزل للضيف قوله تعالى (قل هل ينبتكم بالآخرين أعمالا) يعني الذين اتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به خلاصا ولنا ما رواه أبو ارقا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حجبوا أنفسهم في الصوامع وقال علي بن أبي طالب هم أهل حروراء يعني الخوارج (الذين ضل سعيهم) أي بطل عملهم واجتهادهم (في المحبة الدنيا وهم يحسبون) أي يظنون (أنهم يحسنون صنعا) أي عملا ثم وصفهم فقال تعالى (أولئك الذين كفروا با تبهتهم ولقائه) يعني أنهم مجدوا دلائل توحيدهم وقدرته وكفروا بالبعث والواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبا قرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء فحبطت أعمالهم أي بطلت فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) قيل لا تقيم لهم ميزا لان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليميز مقدار الطاعات ومقدار السيئات قال ابو سعيد الخدري يأتي اناس باعمال يوم القيامة هي عندهم من العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نردى بهم فليس لهم عندنا حظ

انهم ياتون البحر فمشربون مائه وبأكون دوابهم بأكون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون ان يأثروا ملكة والمدينة وبنت المقدس ثم يعث الله نعمة في أقطابهم فيدخل آذانهم فيموتون (ونفتح في الصور) لقيام الساعة (خم عناهم) أي جميع الخلق لاثواب والعقاب (جمعا) تأكيد (وعرضنا جهنم يومئذ لكافرين عرضا) واطهر ناهلهم فرأوها وشاهدوها (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) عن آياتي التي ينظر اليها أو عن القرآن فاذا كر بالتعظيم أوعن القرآن وتأمل معانيه (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي كونوا صاعدا عنه الا أنه أبلغ اذا ضم قد يستطيع السمع اذا صغبه وهؤلاء كانوا اصميت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (أغضب الذين كفروا) أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء أي أظن الكفار اتخذوا عبادي يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعهم بئس ما ظنوا وقيل أن بصلتها سدد مسد مفعولى أغضب وعبادي أولياء مفعول لأن يتخذوا هذه أوجه

يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء (انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) هو ما يقام للزبل وهو الضيف ونحوه ففشرهم بعذاب ولا أليم (قل هل ينبتكم بالآخرين أعمالا) يميز زنا جماع والقياس ان يكون مفردا للتعرج الالهواء وهم اهل الكتاب أو الرهبان (الذين ضل سعيهم) ضاع وبطل وورث محل الرفع أي هم الذين (في المحبة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) أولئك الذين كفروا با تبهتهم ولقائه خطبت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار

(عما كفروا واتخذوا الآياتى ورسلى هزوا) اى جزاؤهم جهنم بذكرهم واستبزأهم بما آتاه الله ورسله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا الذين فيها) حال (لا يبغون عنها حولا) حولا الى غير هارضا اعطوا اية حال من مكانة حولا اى لا يريد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لا غرضهم وامانيتهم وهذه غاية الوصف لافن الانسان فى الدنيا فى اى نعم

٢٨١

منه والمراد في التحول نونا كيد
 الخلود (قل لو كان البحر)
 ماء البحر (معددا النكلمات
 دني) قال أبو عبيدة الممداد
 ما يكتب به أي لو كتب كلمات
 علم الله وحكمته وكان البحر
 مددا لما والمراد بالبحر الجنس
 (لنعد البحر قبل أن تنفذ كلمات
 ربي ولو جئنا مثله) يمثل البحر
 (مذدا) لنفد أيضا والنكلمات
 غير نافذة وممدات تمحولي
 مثله رجلا والممد مثل المداد
 وهو ما عنيده ينفذ حجة وعلى
 وقيل قال حي بن اخطب في
 كتابكم ومن يؤث الحكمة فقد
 أوق خيرا كثيرا ثم ترون وما
 أوتيت من العلم الا قليلا فنزلت
 يعني ان ذلك خير كثير ولكنه
 قطرة من بحر كلمات الله (قل
 إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي
 إنما الحكم لله واحد فن كان
 يرجو القابرة) فن كان يامل
 حسن لقاءه وان يلقاه لقاء
 رضا وقبول أو فن كان يخاف
 سوء لقاءه والمراد باللقاء
 القدوم عليه وقيل رؤيته كهو
 حقيقة اللفظ والرجاء على هذا
 مجرى على حقيقته (فليعمل
 عاصيا) خافا لا يريد به
 الاوجه به ولا يخطئ غيره

قل إنما أنا بشر مثلكم نوحى الى آخرها عنده منجعه كان له نور يتلأأ من منجعه الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى تقوم من منجعه ولن كان منجعه بمكة قتلاها كان له نور يتلأأ من منجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستعظ

﴿سورة مريم عليها السلام مكية وهى ثمان او تسع وتسعون آية مدينى وشامى﴾ * ٢٨٠ * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (ثم يعص) قال السدى هو اسم الله

الله سبحانه وتعالى وقد برأيه الرضاء والسجدة اعترف فيه قيدان أحدهما ان برأيه الله سبحانه وتعالى والثاني أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها (ق) عن جنذب بن عبد الله الجبلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن برأى برأى الله به وقوله من سمع سمع الله به أي من عمل عمل الله لا أناس اشتهر بذلك شهرة الله يوم القيامة وقيل سمع الله به أي اسمعه المأمورة (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عمل الشرك فيه فغيري تركته وشركه ولغيري مسلم فأنامنه برى وهو الذي عمله عن سعيد بن أبي فضالة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الناس يوم لا ريب فيه نادى نادى من كان شركاً في عمل عمله الله أحداً فليطلب ثوابه منه فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا والشرك الأكبر غفر قال الرياء (م) عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية من آخرها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

الاعظم وقيل هو اسم للسورة
 قرأ على ويحيى بكسر الهمزة
 والياء ونافع بين الفتح والكسر
 والى الفتح اقرب وابوعرو
 بكسر الهمزة وفتح الياء وجزء
 بعكسه وغيرهم فقهه (ذكر
 رجوز بن) خبر بهذا اى هذا
 ذكر (عبد) مفعول الرجزة
 (ز ك با) بالقصر جزء وعلى
 وحفص بدل من عده (اذ)
 ظرف للرجزة (نادى به بئداء
 خفيا) دعاه دعاء سرا فكاهو
 المأمور به وهو ابعاد عن الرياء
 واقرب الى الصفاة أو انغفاء
 التلازم على طلب التوفى وان
 الكبر لانه كان ابن خمس
 وسبعين او ثمانين سنة (قال
 رب) هذا تفسير الدعاء واصله
 ياربى فحذف حرف النداء
 وانضاف اليه اختصارا (انى وهن
 العظمى) ضعف وخص العظم
 لانه عمود البدن وبه قوامه
 فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته
 ولانه لشد ما قومه واصليه فاذا
 وهن كان ماوراءه واوهن ووحده
 لان الواحد هو الدال على معنى
 الجنسية والمراد ان هذا الجنس
 الذى هو العمود والقوام وشد
 ماتر كب منه الجسد قد اصابه
 الزهن (واشعل الراس شدا)

هي مكية وهي ثمان وتسعون آية وثمانون وسبع مائة كلمة وثلاثة آلاف وسبع مائة حرف

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (كهيعص) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى
وقيل اسم لآدم وقيل للسورة وقيل هو قسم اقسم الله تعالى به وعن ابن عباس
قال السكاف من كبره وكبره المشاء من هادوا والياء من رحيب والعين من علم والصاد
من صادق وقيل معناه كاف لحلقه هاد لبعاده يده فوق ايديهم عالم به شبه صادق
في وعده (ذكر) أي هذا الذي تلوعا اليك ذكر (رحمة ربك عذرة كريا) قيل معناه
ذكر ربك بعذرة ذكر باربعته (اذنادي) أي دعا (ربه) في الخراب (نداء خفيا)
أي دنا سراً من قومه في خوف الليل وقيل رأى سمعة الله في اخفاء دعائه لان المهر
والاسرار عند الله تعالى سميان لكن الاخفاء أولى لانه أبعد عن الرياء وادخل في
الاخلاص وقيل اخفاء لئلا يلام على طلب الولد في زمن النجوة وقيل خفت صوته
لضعفه وهره ميل عليه قوله تعالى (قال رب اني ارق وضعت العظم مني)
أي من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس (واشتعل الرأس) أي ابيض الشعر (شيبا)

تغير رأى شافى رأى الشيب واشتعلت النار اذا تقرقت فى التباها وصارت شعلا فشبّه الشيب بشواظ النار
أي بيضاء وانه ارمى فى الشعر واخذ منه كل ما أخذ كاشتعال النار ولا ترى كلاما أفصح من هذا الا ترى ان اصل الكلام يارب
قد شئت اذا الشدة وحة تشتمل على ضعف البدن وشب الرأس التعرض لهما وأقوى منه ضعف بدنى وشافى رأى فيه

زيد التقرير بالتفصيل وأقوى منه وهنت عظام بدني ففقه عدول عن التصریح الى الكنايه ففقه البلغ منه وأقوى منه
اني وهنت عظام بدني وأقوى منه اني وهنت عظام بدني وأقوى منه اني وهنت العظام من بدني ففقه سلوك طريق الاجال
والتفصيل وأقوى منه اني وهنت العظام مني ففقه ترك توسيط البدن وأقوى منه اني وهنت العظام مني لشغل الوهن العظام
فردا فردا باعتبار ترك جمع العظام الى الافراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد ففقه دوله ذات كمال الحجة في
شاب رأسي الى البلغ وهي الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسي وأبلغ منه اشتعل رأسي شيلا لاسنادا للاشغال الى مكان الشعر
ومنته وهو الرأس لفائدة شمول الاشتغال الرأس اذ وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيلا وزان اشتعل النار في بدني
واشتعل بدني ناروا والفرق بينهما ولان فيه الاجمال والتفصيل كما عرفت في طريق التمييز وأبلغ منه واشتعل الرأس مني شيلا لما
وأبلغ منه واشتعل الرأس شيلا فيها كفاء بعلم المخاطب انه رأس ذكر يابقرينة العطف على وهن العظام (ولم يكن
بدعا لك) مصدر مضاف الى المفعول اي بدعائي اياك (رب شقيا) ٢٨٢ اي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم

سعيدا به عيشي فيه يقال سعد
فلان محتاجة اذا ظفر بها وشقي
اذا خاب ولم ينلهما وعن بعضهم
ان محتاجا سأل وقال أنا الذي
احسنت الى وقت كذا فخال
مرحبا بمن توسل ببالينا وقت
حاجته وقضى حاجته (واني
خفت الموالي) هم عصبته
اخوته وبنوه وكانوا شرار
بنو اسرائيل فخافهم ان يغربوا
الدين وأن لا يحسنوا الخلافة
على أمته فطلب عقبات الحما
من صلبه يقتدي به في احياء
الدين (من ورائي) بعده وني
وبالقصر وفتح الياء كذا
مكي وهذا الظرف لا يتعلق
لخفت لان وجود خوفه بعده وته
لا يتصور ولو لم يكن مخدوف او معني

أي شيط (ولم يكن بدعائك رب شقيا) أي عودتي الاحالة في الماضي ولم تحبيني وقيل
معناه لما دعوتني الى الايمان آمنت ولم أشق بترك الايمان (واني خفت الموالي من
ورائي) أي من بعدهم وني الموالي هم بنو العم وقيل العصمة وقيل الكلالة وقيل جميع
الورثة (وكانت امرأتى عاقرا) أي لاند (فهب لي من لدنك وليا) أي اعطني من عندك
ولدا مرضيا (يرثني ويرث من آل يعقوب) أي وليا اذا ارشاد وقيل اراد به يرث مالي
ويرث من آل يعقوب النبوة والمجودة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد به
المجودة لان ذكرها كان رأس الاحبار والاولى ان يحصل على ميراث غير المال لان
الانبياء لم يورثوا المال وانما يورثون العلم ويعد من ذكرها يهودوني من الانبياء أن
يشفق على ماله ان يرثه بنوعه وانما خاف أن يضع بنوعه دين الله ويغيروا الحكماء
وذلك لما أن شاهد من بني اسرائيل تبدل الدين وقيل الانبياء فقال ربه ولدا صالحا
يامنه على أمته ويرث نبوته وعلمه فلا يضع وهذا أقول ابن عباس (واجعله رب
رضيا) أي برا بتمام مرضيا قوله تعالى (يا ذكر يا) المعنى فاستجاب الله لدعائه فقيل
يا ذكر يا (انا نبشرك بكلام) أي بولد ذكر (اسم يحيى لم نجعل له من قبل سميا) أي لم يسم
أحد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شهابا ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يهجم عصى
قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل لم ير الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل
كالحاء الياء وانما اراد به لان الحليل والحكم كانا قبله وهما افضل منه (قال رب اني
ياكون لي) أي من اين يكون لي (غلاما وكانت امرأتى عاقرا) أي وامراتى عاقرا (وقد

الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبدلهم وسوء عداقتهم من ورائي او خفت الذين يكون الامر من ورائي (وكانت
امرأتى عاقرا) عتيلا لاند (فهب لي من لدنك) اخترع اسمك بلا سبب لان امرأتى لا تتصل للولادة (وليا) ابنا لي امرأتى بعدى
(يرثني ويرث) برفع ماصفة لوليا اي بني ولدا وارثا مني العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى ورائه النبوة انه يصلح لان يوحى
اليه ولم ير دان نفس النبوة قورث ومجزهم ما أبو عمرو وعلى على انه جواب للدعاء يقال ورثته وورثته منه (من آل يعقوب)
يعقوب بن اسحق (واجعله رب رضيا) مرضيا مرضاه او راضيا عنك ويحك بك فاجاب الله تعالى دعاءه وقال (يا ذكر يا انا
نبشرك بكلام اسمي يحيى) قولي الله سميت تشر بقاله نبشرك بالتحفة فجزرة (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم احد يحيى قبله
وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالثمة وقيل مثلا وشيما ولم يكن له مثل في ايه لم يعص الله ولم يهجم عصى قط وانه ولد بين
شيخ وعجوز وانه كان حصورا فلما بشرته الملائكة (قل رب اني) كيف (يكون لي غلام) وليس هذا باستبعاد بل هو
استسكان في ايه بأي طريق يكون أيوهب له وهو امرأته تلك الحال ام يحولان شيان (وكانت امرأتى عاقرا) وقد

بلغت من الكبر عتياً) أي بلغت عتياً وهو اليأس والجسوة في المقاصد والاعظام كالعود اليأس من أجل الكبر والطعن في السن العالية عتياً وصلوا وجنبا وبكيا بكسر الهمزة وتشديد الجيم والفتحة والياء بكيا (قال كذلك) الكفر رفع أي الأمر كذلك تصديق له ثم ابتدأ (قال ربك) أو نصب يقال وذلك إشارة إلى مذهبهم بفسره (هو على هين) أي خلق يحيي من كبيرين سهلاً (وقد خلقك من قبل) أوجدك ٢٨٤ من قبل يحيي خلقك لجزءه وعلى (ولم تلبث شيئاً) لأن المدة ممدومة ليس بشيء

(قال رب اجعل لي آية) علامة أعرف بها جيل أم أتي (قال) آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) حال من ضمير تكلم أي حال كونك سوى الأعضاء واللسان يعني علامتك أن تمنع الكلام فلا تظن به وانت سليم الموارح مابك خرس ولا تكلم ولد ذكر الالبالي هنا والأيام في آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام وليالين إذ ذكر الأيام يتناول ما بآثارها من الالبالي وكذا ذكر الالبالي يتناول ما بآثارها من الأيام عرفنا (فخرج على قومه من الخراب) من موضع صلاته وكانوا يبتغون منه ولم يقدروا أن يتكلم (فاوحى إليهم) أشار بأصبعه (أن يسجدوا) صلوا وأن هي المفسرة بركعة وعشيا صلاة الفجر والعصر (يا يحيي) أي وهبنا له يحيى وقتلناه بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيي (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) حال أي يجتهد واستظهر بالتوفيق والتأييد (وآتيناه الحكم) الحكمة وهو فهم التوراة والالتفة في الدين (صدياً) حال قيل دعاه الصديقان إلى

بلغت من الكبر عتياً) أي يأساً يريد بذلك تحول الجسم ودقة العظام وتحول الجلد (قال) كذلك قال ربك هو على هين (يا يحيي) (وقد خلقك من قبل) أي من قبل يحيي (ولم تلبث شيئاً) قال رب اجعل لي آية (أي دلالة على جلي أمر أتي) (قال آيتك) أي علامتك (أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) أي يحيي سليمان من غير ما بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعة والاول أوضح قيل أنه لم يقدّر فيه أن يتكلم مع الناس فإذا أراد ذكر الله انطلق لسانه قوله عز وجل (فخرج على قومه من الخراب) أي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس من وراء الخراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون فخرج إليهم زكريا ثم غلبه النوم فذكر وأذلك عليه وقالوا له مالك (فاوحى) أي فأوحى أو أشار (إليهم) وقيل كتب لهم في الأرض (أن يسجدوا) أي صلوا لله بركعة وعشياً) المعنى أنه كان يخرج على قومه بركعة وعشياً فأمرهم بالصلاة فلما كان وقت جل أم آية ومنعهم من الكلام خرج إليهم فأمرهم بالصلاة إشارة قوله عز وجل (يا يحيي) فيه اضمار ومعناه وهبنا له يحيى وقتلناه يا يحيي (خذ الكتاب) أي التوراة (بقوة) أي بجهد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعني النبوة (صدياً) وهو ابن ثلاث سنين وذلك أن الله تعالى أحكم عقله وأوحى إليه فأن قلت كيف يصح حصول العقل والفتنة والنبوة حال العيا قلت لأن أصل النبوة معني على خرق العادات إذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبي نبياً وقيل أرادنا الحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو بمن أوتي الحكم صدياً (وحننا من لدنا) أي رحمة من عندنا قال الخطيبه يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

تحنن على هذا المليك * فان لكل مقام مقال

أي ترحم على (وزكاة) قال ابن عباس يعني بالزكاة الناعة والاخلاص وقيل هي العمل الصالح ومعه في الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم إلى طاعة ربهم وعمل الصالح في اخلاصه (وكان تقياً) أي مسلماً مخلصاً مطيعاً وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولم يهمل ما حفظ (وبرأوا الله) أي بارأوا الطغاة به ما أحسننا إليهم لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من برأوا الذين بدل علمه قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احساناً الآية (ولم يكن جباراً) الجبار المتكبر وقيل الذي يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذي لا يرى لاحد على نفسه حقاً وهو من التعظيم بنفسه يرى ان لا يلزمه قضاء لاحد (عصياً) قيل هو ابليس من العصا والمراد وصف

اللعب وهو صي فقال ما للعب خلقنا (وحننا) شفقة ورحمة لا يوبه وغيرهما عطفاً على الحكم (من لدنا) من عندنا (وزكاة) أي طهارة صلاحاً فلم يعمد بدنب (وكان تقياً) مسلماً مطيعاً (وبرأوا الله) وبارأوا الله بالصبر (ولم يكن جباراً) متكبراً (عصياً) عاصياً الرب

(وسلام عليه) اما من الله (يوم ولد) من ان ياله الشيطان (ويوم يموت) من فتا في القبر (ويوم يبعث حيا) من الفزع الاكبر
 قال ابن عيينة انها وحش المواطن (واذكر) بما محمد (في الكتاب) القرآن (حريم) اى اقرأ عليه من القرآن قصه ثم ليعقوا
 عليها وبعلموا ما مى عليها (اذ) بدل من حريم بدل اشتمال اذ الاحيان مشتملة على ما فيها وفيها ان المقصود ذكر حريم ذكر
 وقتها هذا لوقوع هذه القصة المحبة فيه (انبتذت من اهلها) ٢٨٥ اى اعتزلت (مكانا) ظفا

(شقيقاً) اى تخلت للعباد فى
مكان مما يلى بيت المقدس
او من دارهما معتزل عن الناس
وقبل قدس فى مشرفة
للاعتزال من الحيف) فانخذت
من دونهم حجاباً جعلت بينها
وبين اهلها حجاباً يستترها
لتغتسل وراءه (فارسلنا اليها
روحنا) جبريل عليه السلام
والاضافة لالتشريف وانما سمى
روحاً لان الدين يحيى به وبوحيه
(فتمثل لها بشراً) اى مثل لها
جبريل فى صورة آدمى شاب
المرضى والوجه جعد الشعر
(سواها) مستوى الخلق وانما
تمثل لها فى صورة الانسان
لستانس بكلامه ولا تنفر
عنه ولو بدلها فى صورة
الملائكة لتفرقت ولم تدرك على
استماع كلامه (قالت انى اعوذ
بالرحمن منك ان كنت تقيا) اى
ان كان يرجى منك ان تتق الله
انى عاتدة به منك (قال) جبريل
عليه السلام (انما انارسل ربك)
امنها مما خافت واخبر انه
ليس با دعى بل هو رسول من

أسعدت به (لا تهابك) ياذن الله تعالى أولا كون سببا في هبة العلام بالنفخ في الذراع ليبث الله في الأرواح روحا نافع (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب وأتاما على الحسب والميركة (قالت أفي) كيف (يكون لي غلام) ابن (ولم يسمني بشر) زوج بالنكاح (ولم أك بغيا) فاجرة تتبع الرجال أي تطلب الشهوة من أي رجل كان ولا يكون الولد عادة الأمان أحد هذين والبغي ففعل عند المردبغوى فقبلت الواو وأدغمت وكسرت العين ابتاعوا ولذا لم يخلق ناه الأنثى كالم يخلق في امرأه صبور وشكور وعنديه هي فيل ولم تلحقها الماء لأنها بعني ومفعولة وان كانت بعني فاعلة فهو تديسه به مثل أن رجلا الله قريب

(قال جبريل (كذلك) أي الامر كقلت لم يسك رجل تكالها أو سفاحا (قال ربك هو على هين) أي اعطاء الولد لأب على سهل (ولنجعله آية للناس) تعاليل مع الله ٢٨٦ محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على

تعاليل مضمر أي لتبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس أي عبرة ورهاناً على قدرتنا (ورحمته منا) لمن آمن به (وكان) خلق عيسى (أمرافه قضيًا) مقسداً مسطوراً في الأوح فلم أطلما نمت إلى قوله دنما فنفخ في جيب درعها فوصلت النفقة إلى بطنها (لحمته) أي الموهوب وكان منها ثلاث عشرة سنة أو عشرين (فأنبتت به) اعتبرت وهو في بطنها والجوارح والبرور في موضع الحال عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما جلسته بذته وقيل ستة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يمش مولود وضع ثمانية الأعيى وقيل جلته في ساعة ووضعته في ساعة (مكاناً قضيًا) بعيداً من أهلها وأراء الجبل وذلك لأنها لما احست بالجمل هربت من قومها مخافة الألامعة (فأجاءها) فجاءها وقيل أجاءها وهو مقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الألامعة ألا تراه لا تقول حدث المكان وأجاءه زيد (الخاص) وجع الولادة (الجدع النخلة) أصلها وكانت يابسة وكان

واحدة منها (قال) جبريل (كذلك قال ربك) أي هكذا قال ربك (هو على هين) أي خلق ولدك لأب (ولنجعله آية للناس) أي علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمته منا) أي ونعمة لمن تبعه على دينه إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (وكان أمرافه قضيًا) أي محكوماً ومفروغاً منه لا مرد ولا ينديل قوله عز وجل (لحمته) قيل أن جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه فملت حين لبست الدرع وقيل مدحجبت درعها بأصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كفاها وقيل في ذيلها وقيل في فمها وقيل نفخ من بعد فوصل النفق إليها فملت بعيسى عليه السلام في الحال (فأنبتت به) أي فلما جلته نخت بالجمل وانزردت (مكاناً قضيًا) أي بعيداً من أهلها قال ابن عباس أقصى الوادى وهو بيت لحم فزار من أهلها وقومه أن يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل جلته في ساعة وصورت في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الموال من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لأنه لا يعيش من ولد ثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد ستة أشهر وهي بنت عشرين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حين تن قبل أن تحمل بعيسى وقال وهاب بن مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عمها يقال له يوسف التجار وكاناً مطلقين إلى المسجد الذي بمكة جبل صهيون وكانا يجلسان ذلك المجد ولا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة وأجتهاداً منهما أو قل من علم بحمل مريم يوسف في مقبرتها في امرها كلها أراد أن يتهمها ذلك كعبادتها وصلاحتها وانها لم تعب عنه وإذا أراد أن يرغمها رأى مظهر منها من الحمل فأول ما تكلم به أن قال إنه وقع في نفسي من امرك شيء وقد حرصت على كتمانها ففعلت ذلك فرايت أن انكلمها بشي صدرى فقالت قل تولا جيلاً قال أخبرني يا مريم هل نبئت زرع بغير ذر وهل نبئت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر الم تر أن الله أنبت الشجرة بالقدر من غير غيث أو يقول أن الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على أن ياتها قال يوسف لا أقول هذا ولكني أقول أن الله تعالى يقدر على كل شيء يقول له كن فيكون قالت مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وأمراته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زال ما عند من التهمة وكان يسوب عنها في خدمة المجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنبت ولادتها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك فذلك قوله تعالى فأنبتت به مكاناً قصياً قوله عز وجل (فأجاءها الخاص) أي أجاءها وجاءها الخاص وجع الولادة (الجدع النخلة) وكانت نخلة يمس في الصخر على شدة البرد ولم يكن لها سفوف وقيل التجأت إليها استند إليها وتسكلت بها من شدة الطلق ووجع الولادة (قالت يا ليتني مت قبل هذا) تمت الموت استحياء من الناس وخوفاً من

الوقت شتاء وتعرى فيها شعرها بأنها كانت نخلة معروفة وحازان يكون التعريف للجنس أي جدع هذه الفضيحة الشجرة كانه تعالى ارشدها إلى النخلة ليطلعها منها الرطب لأنه خرسه النساء أي طعها هائم (قالت) جزعاً لما احسها (يا ليتني مت قبل هذا) اليوم مدني وكوفي غير أبي بكر وغيرهم بالضمة

يقال مات عبوت ومات عيات (وكانت نسياما منسيا) شيامة وكالا يعرف ولا يدكر بفتح التون حمزة وحفص وبالكسر غيرهما ومعناه ما واحد وهو الشيء الذي حققه ان طرح وبني المحقرة (فناداه آمن تحتها) أي الذي تحتها فن فاعل وهو وجب بيل عليه السلام لانه كان يمكن من خفض عن اوعدي عليه السلام لانه خاطها من تحت ذناها من تحتها مدني وكوفي سوى أبي بكر والفاعل مضموم وهو عدي عليه السلام او جبريل والماء في تحتها النخلة واشد ما قلت سليت بقوله (أن لا تحزني) لانه تسمى بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وإن يعني أي (قد جعل ربك تحتك) بقريناً وأتحت امرئ ان أمرته ان يجزى جرى وإن أمرته ان يقف وقف (سريا) نهر اصغير اعند الجحجحة وروسل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول وعن الحسن سيديا كرى يعني عيسى عليه السلام وروى ان خالد بن ٢٨٧ صفوان قال لانه العرب تسمى الجدول

النخعيه (و كنت سيامهنا) يعني شدا حبر امتر و كالميد كرو لم يعرف تخارته و قيل
 جيفة ملقا و قيل معناه انها غنت انها لم تخلق (فناداها من تحتها) قيل ان حريم كانت
 على اكمة و جبريل و راء الاكمة تحتها و قيل ناداها من سفح الجبل و قيل هو عيسى و ذلك
 انه لما خرج من بطن امه ناداها (ان لا تخزني قد جعل ربك تحتك سريا) أي نهرا
 قال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام و قيل عيسى عليه السلام برجله
 في الارض فظهرت عين ماء عذبة و جرت و قيل كان هناك نهر يابس فخرى فيه
 لما بقدر الله سبحانه و تعالى و حنت الغلة الياسة فاورقت و اثمرت و اربطت و قيل
 معنى تحتك أي تحت أمرك ان امرته ان يجري حرى وان امرته بالامساك امسك و قيل
 معنى سريا أي عسى و كان عبداسيرافعا (وهزي اليك) أي حركي اليك (بجذع
 الغلة) تناقض عليك ربطا جنيا) قيل الجنى الذي بلغ الغاية وجاء أو ان اجتماعه قال
 لربيع بن خثيم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا الخمر يض خير من العسل (وكلى
 واشربى) أي يأمرى كل من الرطب واشربى من النهر (وقرى عينا) أي طيبي نفسك و قيل
 قرى عينا بولدك عيسى يقال اقر الله عينك أي صادف فؤادك ما يرضيك فقر عينك
 عن النظر الى غيره (فاما امر بن من البشر احدا) معناه يا ألك عن ولدك فتقرى الى ان نذرت
 لارجح صوما) أي صمتا قيل كان في بني اسرائيل من أراد ان يجتهد صام عن الكلام كما
 يصوم عن الطعام فلا يكلم حتى عسى و قيل ان الله أمرها ان تقول هذا اشارة و قيل
 أمرها ان تقول هذا القول لظفا قائم تسك عن الكلام بعده و انما غنت من الكلام
 لامر بن احمد ما ان يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها لكون أقوى تحتها

منها اى اقبلت تحوهم حامله
 اياه فله اراؤه معها (قالوا يا مريم
 لقد جننت شيئا فريا) بدعيا
 عجبا والفسرى التبع كانه
 يقطع العادة (يا أخت هرون)
 وكان اخاه من ابيه ومن
 افضل بنى اسرائيل او هو اخو
 موسى عليه السلام وكانت من
 اعقابه وبنيهما الف سنة
 وهذا كى يقال يا اخاهم دان
 اى يا واحد منهم اورجل صالح
 او طاح في زمانها شهو هابه في
 الصلاح او تدمر هابه (ما كان
 ابوك) عمران (امرأه) زانيا
 (وما كانت أمك) حنة (بعيا)
 زانية (فأشارت اليه) الى عيسى
 ان يحجبهم وذلك ان عيسى عليه
 السلام قال لما لا تحزنى واحبلى
 بالحواب على وقيل امره اجبريل
 بذلك ولما اشارت اليه غضبوا
 ونجسوا (قالوا كيف نسكهم
 من كان) حدث ووجد (في المهد)
 المعهود (صبي) حال (قال انى
 عبد الله) ولما اسكتت بامر
 الله لسانه التناطق انطق الله
 لها اللسان الساكت حتى
 اعترف بالعبودية وهو ابن
 اربعين ليلة او ابن يوم روى انه
 اشار ببابه وقال بصوت رفيع
 انى عبد الله وفيه رد لقول
 النصارى (آ نانى الكتاب)
 الانجيل (وجعاني نبيا) وروى
 عن الحسن أنه كان في المهد نبيا
 وكلامه مخبرته وقيل معناه ان

فى ازالة التهمة عن اوفيه دلالة على ان تفرغ الكلام الى الافضل أولى الشافى كراهة
 مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفه واجب (فلان اكل اليوم انيسيا) يقال
 انها كانت تكلم الملاذكة ولا تكلم الانس قوله تعالى (فأتته قومه بالتحمل) قيل
 انها لما ولدت عيسى عليه السلام جعلته في الحال الى قومه هو وقيل ان يوسف النجار احتمل
 مريم وابنها عيسى الى غار فكنى فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جعله الى
 قومه ها فكلها عيسى في الطريق فقال يا أماء ابشرى فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت
 على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزوا واكتوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جننت شيئا
 فريا) أى عظم ما منك اوقبل معناه جئت بامر عجيب بدعيا (يا أخت هرون) أى
 يا شقيقة هرون قيل كان رجلا صالحا بنى اسرائيل شهت به في عفتها وصلاحها وليس
 المراد الاخوة في النسب قيل انه تبع جنازة يوم مات اربعون الف عام بنى اسرائيل
 كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت خراسان
 سألتنى فقالوا الى انكم تقرأون يا أخت هرون وموسى قيل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون باسماء انبياءهم
 والصالحين قبلهم وقيل كان هرون اخا مريم لا يسموا قيل كان من امه رجل في بنى
 اسرائيل وقيل انما عتوا هرون اخا موسى لانها كانت من نسله كى يقال للتسمية بالنا
 تميم وقيل كان هرون في بنى اسرائيل فاسقا اعظم الفسق فيهم وهابه (ما كان ابوك) يعنى
 عمران (امرأه) قال ابن عباس زانيا (وما كانت أمك) يعنى حنة (بعيا) أى زانية فن
 أن لك هذا الولد (فأشارت اليه) اى أشارت مريم الى عيسى أن كلهم قال ابن مسعود لما لم
 يكن لها حجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا
 مع ما فعلت تسخرن بنينا (قالوا كيف نسكهم من كان في المهد صبيا) قيل اراد بالهد المخبر
 وهو جبرها وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم
 وقيل لما أشارت اليه ترك الرضاع وانكأ على يساره واقبل عليهم وجعل يشربهم منه
 (وقال انى عبد الله) قال وهب آناه زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق
 بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن اربعين يوما وقيل بل يوم ولد لى
 عبد الله اقرع نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم لئلا يتأذ لها فان قلت ان الذى
 اشتدت اليه الحاجة في ذلك الوقت نبي التهمة عن امه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما
 نص على اثبات عبوديته تعالى قلت كانه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أولى من ازالة
 التهمة عن امه فلهذا أول ما تكلم انما تكلم باعتراقه على نفسه بالعبودية لئلا يتحصل ازالة
 التهمة عن الام لان الله تعالى لم يخص بهذه المرتبة العظيمة من ولد زنا والتكلم بازالة
 التهمة عن امه لا يفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك أولى
 (أتانى الكتاب وجعلنى نبيا) قيل معناه سديعاني نبيا ووتى الكتاب وهو الانجيل وهذا
 اخبار عما كتب له في الاصح الخفو ملك قيل للنبى صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت
 نبيا وادم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه أوفى الانجيل وهو صغير وكان

(وجعلني مباركا أينما كنت) ففما عاينت كنت أومعنا الخير (وأوصاني) وأمرني (بالصلاة والزكاة) أن ملكك ما لا يقبل صدقة الفطر أو يظهر البدن ويحتمل وأوصاني بأن أكرمه بالصلاة والزكاة (مادمت حيا) نصب على الظرف أي مدة حياتي (وبرأوالدتي) عطف على مباركا أي بارأها أكرمها وأعظمها (ولم يجعلني جبارا) متكبرا (شقيقا) عاقا (والسلام على يوم ولدت) يوم ظرف والعامل فيه الخبر وهو على (ويوم أموت ويوم أبعث حيا) أي ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إلى أن كان حرف التعريف للهدوان كان للجنس فالعيسى ٢٨٩ وجنس السلام على وفيه تعريض

بالعنة على أعداء عريم وأبنائها لأنه إذا قال وجنس السلام على فقد عرض بأن ضده عليكم إذ المقام مقام من كرهه عند فكان مثله مثل هذا التعريض (ذلك) مبتدأ (عيسى) خبره (ابن مريم) نعتيه أو خبر ثان أي ذلك الذي قالاني كذا وكذا عيسى بن مريم لا كما قالت النصارى أنه اله أو ابن الله قول الحق) كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لأنه ولد بقوله كن بلا واسطة أب وارزقاه على أنه خبر بعد خبر أو خبر ممتد بالمحذوف أو بدل من عيسى ونصبه شامخ وعاصم على المدح أو على المصدر أي أقول قول الحق هو ابن مريم وليس باله كما يدعونه (الذي فيه يعنون) يشكون من المرية الشك أو يختلفون من المرأة فقالت إليهم ودساح كذب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة (ما كان لله) ما ينبغي له (أن يخذل ولد)

باعتقل عقل الرجال الكامل وعن الحسن أنه ألهم التوراة وهو في بطن أمه (وجعلني مباركا أينما كنت) معناه أني نفاع أينما توجهت وقيل معلمي الخير ادعو إلى الله وإلى توحده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعني (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي أمرني بهما وكافتي فعلمها فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة في حال طفولته وقد قال صلى الله عليه وسلم رفع العلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ المحدث قلت أن قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة لا يدل على أنه تعالى أوصاه باداءهما في الحال بل المراد أوصاه باداءهما في الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل أن الله تعالى صيره حين انفصل عن أمه بالغافلا وهذا القول أظهر في سياق قوله (مادمت حيا) فإنه يفيد أن هذا التكليف متوجه إليه في زمان جميع حياته حين كان في الأرض وحين رفع إلى السماء وحين ينزل الأرض بعد رفعه (وبرأوالدتي) أي وجعلني برأوالدتي (ولم يجعلني جبارا شقيقا) أي عاصيا ربي متكبرا على الخلق بل أنا خاضع متواضع وروى أنه قال قلبي لين وأنا صغير في نفسي قال بعض العلماء لا يتجدد العاق إلا جبارا شقيقا وتلا هذه الآية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب (والسلام على يوم ولدت) أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم أموت) أي عند الموت من التشرك (ويوم أبعث حيا) أي من أهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علوا برأه مريم ثم سكنت عيسى بعد فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الأطفال (ذلك عيسى بن مريم) أي ذلك الذي قالاني عبد الله هو عيسى بن مريم (قول الحق) أي هذا الكلام هو القول الحق أضاف القول إلى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعني بذلك عيسى بن مريم كما قال الله الحق والحق هو الله (الذي فيه يعنون) أي يشكرون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يصفون علوا كبيرا ثم ترنم نفسه عن اتخاذ الولد ونفاة عنه فقال تعالى (ما كان لله أن يخذل ولد) أي ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك (سبحانه) إذا قضى أمرا إذا أراد أن يحدث أمرا (فانما يقول له كن فيكون) أي لا يتعدر عليه اتخاذ على الوجه الذي أرادته (وان الله يرى بكم فاعبدوه) هذا الخبر عن عيسى أنه قال ذلك يعني ولان الله ربي وربكم لا يجب لكم لأخلاق سواه (هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي

٢٧ ن ث جى بمن لنا كيد النفي (سبحانه) ترنم ذاته عن اتخاذ الولد (إذا قضى أمرا فاعلموا يقول له كن فيكون) بالنصب شامخ أي قال لعيسى كن فكان من غير أب ومن كان متصفا بهذا كان منزله أن يشبه الحيوان الولد (وان الله يرى وير بكم فاعبدوه) بالسبح شامخ وكفى على الأبداء وهو من كلام عيسى يعني كما أنعبدوه فأنتم عبيده على وعليكم أن نعبدوه ومن فتح عطف على بالصلاة أي وأوصاني بالصلاة وبالزكاة وبأن الله ربي وربكم فأعبدوه بعابده أي ولان الله ربي وربكم فأعبدوه (هذا) الذي ذكرت (صراط مستقيم) فأعبدوه ولا تشركوا به شيئا

(فاختلف الأحزاب) الحزب الفرقة المنفردة رتبها عن غيرهما وهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية ومملكانية (من بينهم) من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس وذلك أن النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على أن برحوا إلى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم ٢٩٠ وهو يعقوب ونسطور ومملكان فقال يعقوب هو الله هبط إلى

الأرض ثم صعد إلى السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهره ماشاء ثم رفعه إليه وقال الثالث كذبوا كان عبدا مخلوقا نبيا فبمع كل واحد منهم قوم (قوبل للذين كفروا) من الأحزاب إذا الواحد منهم على الحق (من مشهد يوم عظيم) هو يوم القيامة أو من شهودهم حول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وجوارحهم بالكفر أو من مكان الشهادة أو وقتها والمراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيما لفضاعة ما شهدوا به في عيسى (أسع بهم وأبصر) يوم يأتوننا الجحود على أن لفظهم ومعناه التعمد والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد أن اسماعهم وبصائرهم جذير بأن يتعجب منهم بعد ما كانوا معا وبغيا في الدنيا قال قتادة إن عوا وصواعن الحق في الدنيا فسا اسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم وهم مرفوع الخلل على الفاعلية كما كرم يزيد فعنه كرم زيد جدا

أخبر تكلم به أن الله أمر في به هو الصراط المستقيم الذي يؤدي إلى الجنة (فاختلف الأحزاب من بينهم) يعني النصارى سمو الأحزاب بينهم ثمز بوا ثلاث فرق في أمر عيسى النسطورية والمملكانية واليعقوبية (قوبل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعني يوم القيامة حين (أسع بهم وأبصر) أي ما سمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبر أنهم يسمعون ويصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ويصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم (يوم يأتوننا) أي يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) قيل أراد باليوم الدنيا يعني أنهم في الدنيا في ضلال مبين وفي الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الآخرة ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين قوله تعالى (وأندروهم يوم الحسرة) يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لأن المسمى يتحسر هؤلاء الحسن العمل والحسن هلا زادي في الاحسان يدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لم قال ما من أحد دعوت الاندم قالوا ما ندعه يا رسول الله قال ان كان حسنا ندمن أن لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندمن أن لا يكون نزع أخرجه الترمذي قوله أن لا يكون نزع الترفع عن الشيء الكف عنه وقال أكثر المفسرين يعني يوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بال موت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم يقدرون ثم ينادي مناد آخر يا أهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم يقدرون فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا أهل الجنة خلود بلاموت وبأهل النار خلود بلاموت ثم قرأوا ندروهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده إلى الدنيا زاد الترمذي فيه فلوان أحد مات فرح مات أهل الجنة ولوان أحد مات حزنا لمات أهل النار قوله كهيئة كبش أملح المختلط بالسواد قوله فيشرفون يقال أشرف إلى الشيء إذا تطلع بنظر السه وسالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار أعلم أن الموت عرض ليس بحجم في صورة كبش أو غيره فعلى هذا يتناول الحديث على أن الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى رجليه حيا قول لا وجود وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستعراق فيهم ما لا زوال لهم ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جئوا بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لاموت وبأهل النار لاموت فيزداد

(لكن الظالمون اليوم) أقبح الظاهر مقام المضمر في اليوم في الدنيا يظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع أهل والنظر حين يجدي عليهم ووضعوا العبادة في غير موضعها (في ضلال) عن الحق (مبين) ظاهروا اعتقادهم عيسى الها معبودا مع ذنوبهم وأثار الحديث فيه أشعارا بان لا ظلم أشد من ظلمهم (وأندروهم) خوفهم (يوم الحسرة) يوم القيامة لا يقع فيه الندم على ما فات وفي الحديث إذا رآوا منازعهم في الجنة أن لو آمنوا

(اذ) بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة وهو مصدر (قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادق الفريقان الى الجنة والنار (وهم في غفلة) هنا عن الالهام لذلك المقام (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون به وهم حالان أى وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين (اننا نخرث الارض ومن عليها) أى تنفرد بالملك والبقاء عند تدمير المالك والفناء وذكر من لتغليب العقلاء (والنار جوعون) بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب ٢٩١ أى يردون فيجأزون جراً أو قافاً (واذ كرى)

تقومك (في الكتاب) القرآن (ابراهيم) قصته مع ابيه (انه) كان صديقاً نبياً) بغير همز وهمزة نافع قبل الصادق المستقيم فى الافعال والصدق المستقيم فى الاحوال فالصدق من ابيه المبالغة وتظيره الخيالك والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكثيره ورسوله أى كان مصداقاً لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبياً فى نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين ابراهيم وبين ما هو بدل منه وهو (اذ) قال) وجازان تعالى اذ بكنا او بصدقا نبيا أى كان جامعاً لمخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اياه بتلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته فى الكتاب ان يتلو ذلك على الناس وبلغه اياهم كتوبه واتل عليهم نبأ ابراهيم والفا لله عز وجلادوا ذكره ومورده فى تنزيله (لا يبيح يا أبت) بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا أبتى لئلا يجمع بين العوض

أهل الجنة فرحوا الى فرحهم ويرداد أهل النار حزناً الى حزهم عن اى هربى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة احد الا رأى مقعده من النار لواءه لا يزداد شكراً ولا يدخل النار احد الا رأى مقعده من الجنة لو احسن ليكون عليه حسرة أخرجه البخارى وقوله تعالى (اذ قضى الامر) اى فرغ من الحساب وادخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وضم الموت (وهم في غفلة) اى عما ابراهيم فى الآخرة (وهم لا يؤمنون) أى لا يصدقون (اننا نخرث الارض ومن عليها) أى نبت سكاك الارض جميعا وبقي الله سبحانه وتعالى وحده غيرتهم (والنار جوعون) فنجرتهم باعمالهم قوله عز وجل (واذ كرى فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً) أى كثير الصدق وهو بالمعنى كونه صادقاً وقيل الصدق الكثير الصدق قيل من صدق فى وحده نبته وصدق بانبائه ورسوله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالا وافر عمل بها فهو صدق ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبى انتقل من ذكر كونه صديقاً الى ذكر كونه نبياً والنبي العالى فى الرتبة بارسال الله اياه وأى رتبة اعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (اذ قال لبيه) يعنى آزره وهو بعد الاصنام يا أبت لم تعبد ما لا يسمع) يعنى صوتاً (ولا يبصر) ولا ينظر شيئاً (ولا يعنى عنك) أى كيفيك (شيئاً) ووصف الاصنام بثلاثة اشياء كل واحد منها قاذح فى الالهية وذلك ان العبادات هى غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وله اوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يتحقق العبادة الا هو (يا أبت انى قد جئني من العلم) يعنى بالله والمعرفة (ما لم يأتك فأتبعني) اى على ديني (اهدك صراطا سويا) أى مستقيماً (يا أبت لا تعبد الشيطان) أى لا تطعه فيما يزين لك من السكر والشرك (ان الشيطان كان للرجن عصياً) أى عاصياً (يا أبت انى أخاف) أى أعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن ان يؤمن فيكون من أهل الجنة أو يصير على الكفر فيكون من أهل النار فيعمل الخوف على ظاهره أولى وأعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام فى غاية الحسن مقروناً بالتلطف والرفق فان قوله فى مقدمة كلامه يا أبت دليل على شدة الحب والرغبة فى صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه أولاً على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم أمره باتباعه فى الايمان ثم نهىه على ان طاعة الشيطان غير حائز فى العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجع من الاقدام على ما لا ينبغي فيقول انى أخاف (ان يمسك) اى يصيبك (عذاب من الرحمن)

والمعوض منه (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) المفعول فيه ما منسى غير منوى ويجوز ان يقدر أى لا يسمع شيئاً ولا يبصر شيئاً (ولا يعنى عنك شيئاً) محتمل ان يكون شيئاً موضع المصدر أى شيئاً من الاغناء وان يكون مفعولاً به من قولك اغنى عنى وجهك أى بعد (يا أبت انى قد جئني من العلم) الوحى أو معرفة الرب (ما لم يأتك) ما لم يسمع وما لم يأتك يجوز ان تكون موصولة أو موصوفة (فاتبعني اهدك) ارشدك (صراطا سويا) مستقيماً (يا أبت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما يحوسل من عبادة الصنم (ان الشيطان كان للرجن عصياً) عاصياً (يا أبت انى أخاف) قيل اعلم (ان يمسك عذاب من الرحمن)

فتكون للشيطان وليا) قربنا في النار عليه وليك فانظر في نصيبته كيف راعى المحاملة والرفق والخلق الحسن كما امر في الحديث
 أوحى الى ابراهيم انك خلقت ولوع الكفار تدخل مداخل الارباب فطلب منه اولاء العلى في خطته طلب منه على
 تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان من يعبد آثر الخلق منزلة وهم الانبياء كان محكوما عليه بالغي المبين فكيف بمن يعبد
 حجرا أو شجرة الا يسع ذكرا عبده ولا يرى هيات عبادته ولا يرفع عنه بلاء ولا يقضى له حاجة ثم نبى بدعوته الى الحق وترقا
 به مطلقا فلم يسم أباه بالجوهل المفترط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي شهاب من العلم ليس معك وذلك علم الله لا على
 الظربق السوي فهب أنى ويا لك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجلك من ان تضل وتيه ثم نلت بهنهما عما
 كان عليه بان الشيطان الذي عصى ٢٩٢ الرحمن الذي جميع النعم منه أو علمك في عبادة الصم ووزينالك فأنت عابده في الحقيقة

أى ان أفت على الكفر (فتكون للشيطان وليا) أى قرىنا في النار وقيل صديقه
 في النار وانما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لا مورأ أحد هاشدة تعلق
 قلبه بالاحبة أبيه وأداء حق الابوة والرفق به وثانها ان النبي الهادي الى الحق لابد
 ان يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها التصريح لكل أحد فالاب أولى (قال)
 يعنى أباه بجميعه (اراعب أنت عن آلهى يا ابراهيم) أى آثارها أنت وتارك عبادتها
 (لئن لم تنته) أى ترجع وتسكت عن عيبك آلهة وشتمك ياها (لارجنك) قال ابن
 عباس معناه لاضررك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لا بعدنك عنى
 بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح (واهجرنى) أى اجتنبى قال ابن عباس اعتزائى
 سالما لا يصيبك منى معرفة (مليا) أى دهر اطوبلا (قال) يعنى ابراهيم (سلام عليك)
 أى سلمت منى لا صيبك بكموه وذلك لانه لم يؤمر بقسالة على كفره وقيل هذا سلام
 هجران ومفارقة وقيل هو سلامه وولطف وهو جواب الخلق للسفيه (سأستغفر لثرى)
 قيل لانه لما أعياه أمره وعدنه ابراهيم الله فيه فسأله ان يرزقه التوحيد ويغفر له
 وقيل معناه سأسأل للثرى توبة تتأهلها المغفرة (انه كان فى حقا) أى بر اللطفا والمراد
 انه يستجيب لى اذا دعوته لانه عودنى الاجابة لدعائى (واعترلكم وما تدعون من دون
 الله) أى أفارقكم وافارق ما تدعون من دون الله وذلك انه فارقههم وهاجر الى الارض
 المقدسة (وأدعوا ربي) أى اعبد ربي الذى خلقتى وانعم على (عسى ان لا كون بدعاء
 ربي شقيا) أى ارجوان لا اشقى بدعاء ربي وعبادته كاشقون انتم بعبادة الاصنام فقيه
 التواضع مع التعريض بشقاوتهم قوله عز وجل (فلما اعترفتم وما يعبدون من
 دون الله) أى ذهب مهاجرا (وهناك) أى بعد المعجزة (استحق ويعقوب) أى آسنا
 وحشته من فراقهم باولاد اكرم على الله من ابيه (وكلا جعلنا نبيا) أى انعمنا عليهما

ثم رجع بنحو يفهمه سوء العاقبة
 وما يجرمه ما هو فيه من التبعة
 والوبال مع رعاة الادب حيث
 لم يصرح بأن العقاب لاحقه
 وان العذاب لاصق به بل قال
 اخاف ان يملك عذاب بالتمكيز
 المشعر بالتعليل كانه قال انى
 اخاف ان يصيبك نفيان من
 عذاب الرحمن وجعل ولاية
 الشيطان ودخوله في جملة
 اشياعه واوليائها كبر من
 العذاب كان رضوان الله كبر
 من الثواب في نفسه وصدر كل
 نصيحة بقوله يا ابت توسلا اليه
 واستعطافا واشعارا بوجوب
 احترام الاب وان كان كافرا فتم
 (قال) آرتو بخا (اراعب أنت
 عن آلهى يا ابراهيم) أى اترغب
 عن عبادتها فناداه باسمه ولم
 يقابل بالتبى باني وقد دم
 الخبر على المتدال ان كان اكرم
 عنده (لئن لم تنته) عن شتم

الاصنام (لا رجنك) لا قتلتك بالارحام ولا ضرر بك بها حتى يتبعادوا لاشتمنك (واهجرنى) عطف على بالنبوة
 محذوف يدل عليه لارجنك فقد ربه فاحذر ربي واهجر ربي (مليا) ظرف أى زمانا موبلا من الملاوة (قال سلام عليك) سلام
 توديع ومباركة أو تقرىب ولا دعوته بالاستغفار بقوله (سأستغفر لثرى) سأسأل الله ان يجعلك من أهل المغفرة
 مان يهدىك للاسلام (انه كان فى حقا) ملطفا بعموم النعم أو رحما او مكرما والمخافة الرأفة والرجوة والكرامة (وأعترلكم)
 أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض بابل الى الشام (وما تدعون من دون الله) أى ما يعبدون من أصنامكم (وأدعوا) واعبد (ربي)
 ثم قال تواضعوا وهضموا للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم (عسى ان لا كون بدعاء ربي شقيا) أى كاشقتم انتم بعبادة
 الاصنام (فلما اعترفتم وما يعبدون من دون الله) فلما اعترفوا بالكفر ومعبودهم (وهناك استحق) ولدا (يعقوب) نافلة
 ليستا أس بهما (وكلا) كل واحد منهما (جعلنا نبيا) أى لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه اولادا

مؤمنين انبياء (وهو هيناهم من رجنتنا) هي المال والولد (وجعلناهم اسان صدق) ثناء حسنا وهو الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم في الصلوات وعبر بالاسان كعبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية (عليا) رفعنا مشهورا (واذ كرفي الكتاب موسى انه كان مخلصا) كوفي غير المفضل أي أخلصه الله واصطفاه ومخلصا بالكسر غيرهم أي اخاص هو العباد لله تعالى فهو مخلص بحاله من العادة بأصل العطرة ومخلص فيما عليه من العباد بصدق ٢٩٣ الهمة (وكان رسولا نبيا) الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي

بالنبوة (وهو هيناهم من رجنتنا) أي مع ما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك انه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد (وجعلناهم اسان صدق علما) يعني ثناء حسنا رقيقا في أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الايمان كلهم فهم يتولونهم وينذون عليهم قوله عز وجل (واذ كرفي الكتاب موسى انه كان مخلصا) قرئ بكسر اللام أي اخلص العباد والطاعة لله تعالى ولم يقرأ وقرئ بالفتح أي مختار اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبى ولا عكس (ونادينا من جانب الطور الايمن) أي من ناحية بين موسى والطور جبل معروف بين مصر ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فتودى بام موسى اني انا الله رب العالمين (وقر بناء) قال ابن عباس قرنه وكله ومعنى التقرب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صريرا لاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته أي وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى (نجيا) أي مناجيا (وهو هيناه من رجنتنا) أخاه هرون نبيا وذلك ان موسى دعاه به فقال واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخى فاجاب الله دعونه وارسل الى هرون ولذلك سماه هبة له وكان هرون أكبر من موسى قوله عز وجل (واذ كرفي الكتاب اسمعيل) هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم (انه كان صادق الوعد) قيل انه لم يعد شيئا الا وفى به وقيل انه وعد رجلا أن يقرم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف اسمعيل مكانه ثلاثة أيام لم يعبأ حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى أي وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فشكل النهار وان وعده ليل فشكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة أخرى (وكان رسولا) الى جرحهم وهم قبيلة من عرب اليمن تزاول على هاجر اسمعيل بنادى مكة حين خلفهم ابراهيم وجرحهم وهو جرحهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقطعان أبو قبائل اليمن (نبيا) أي أخبرنا عن الله تعالى (وكان يامر أهله) أي قومه وجميع أمته (بالصلوة والزكوة) قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهي الخمسة التي افترضت علينا وقيل كان يبدأ بأهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لغيرهم (وكان عند ربه مرضيا) أي قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان المرضي عند الله هو الفاتر في كل طاعة باعلى الدرجات قوله عز وجل (واذ كرفي الكتاب ادريس) هو جسد ابي نوح

يعدره موعد الا الخبز وما يخصه بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشرى بفاله وكانه المشهور من خصاله (وكان رسولا) الى جرحهم (نبيا) يخبرهم منذرا (وكان يامر أهله) أمته لان النبي ابوايته واهله وفيه دليل على انه لم يدهن غيره (بالصلوة والزكوة) يحتمل انه لما خاضت هاتان العبادتان لانهما الما للعبادات البدنية والمالية (وكان عند ربه مرضيا) قرئ مرصا على الاصل (واذ كرفي الكتاب ادريس) هو اخ نوح أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخطا

واسمه اخنوخ سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطاً وهو أول من خط بالقلم
وأول من خطا الشياطين وليس الخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ
السلح وقال الكفار وأول من نظري في علم الحساب (انه كان صديقاً نبياً) وذلك ان الله
تعالى شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكاناً علياً) قيل هي الرفعة
بعلو المرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصغر يد عليه ما روى انس بن مالك
عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى ادريس في السماء الرابعة ليلة
المعراج متعلق عليه وكان سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ما قاله كعب الاحبار
وغيره انه ساد ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني مشيت يوماً فكيف
عز يحملها مسيرة خمسة ايام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح
الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خلقتني من نور الشمس فما الذي
قضيت فيه قال ان عيسى ادريس سألني ان اخفف عنك جملها وحرها فاجبت به قال
يا رب فاجع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذن لي حتى اتي ادريس فكان ادريس
يسأله فكان يحاسبه ان قال اني اجبرت انك اكرم الملائكة وامكنهم عند ملك الموت
فاشفع لي اليه ليؤخر اجلي لعلني ازيد اشكر اعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسه اذا جاء
أجلها وانما كماله فرفعه الى السماء ووضعته عند مطلع الشمس ثم اتي ملك الموت فقال له
لي اليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع لي اليك لتؤخر اجلي فقال ملك الموت ليس لي
ذلك ولكن ان احببت اعلمته اجله فقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كتبتني
في انسان ما اراه موت ابدأ قال وكيف ذلك فقال لا اجله موت الا عند مطلع الشمس قال
اني اتيتك وتركتك هناك قال انطلق فلا اراك تجده الا ودفعت فوالله ما بقي من عمر
ادريس شيء فرجع الملك فوجده ميتاً وقال وهب كان رفيع لادريس كل يوم من العبادة
مثل ما يرفع فجمع أهل الارض في زمانه فحجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت
فاستأذنه في زيارته فاذن له فاتاه في صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان
وقت افطاره دعاه الى الطعام فاني ان ياكل معه ففعل ذلك ثلاثاً الى ان ذكره ادريس
وقال له في الليلة الثالثة اني اريد ان اعلم من انت قال انما ملك الموت استأذنت ربي ان
يحبسك فقال لي اليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي فاحي الله اليه ان اقبض
روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك
قبض الروح قال لا ذوق كرب الموت ونغمه فاكون اشد استعداداً له ثم قال له ادريس
لي اليك حاجة أخرى قال وما هي قال ترفعني الى السماء لانظر اليها والى الجنة والناو فاذن
الله له فرفعه فلم يقرب من النار قال لي اليك حاجة قال وما هي قال اريد ان اسأل ما لي
ان ترفع ابوابها فاردتها ففعل قال فسكرا بيني النار فارني الجنة فذهب به الى الجنة
فاستفتح ففتحت ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك ففتحت
بشعره وقال ما اخرج منها فبعث الله اليه ملكاً يحكي بهنم ما قال له الملك ما لك لا تخرج قال
لان الله تعالى قال لكل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الا وادها فانا

اللباس وتظهر في علم النجوم
والحساب واتخذ الموازين
والمكييل والاسلحة فقاتل بني
قائيل وقوفهم سمي به لكثرة
دراسته كتب الله لاصح لانه
لو كان افعي لامن الدرس لم يكن
فيه الاسباب واحده هو العلمية
وكان منصرفاً فامتناعه من
الضرف دليل المحبة (انه كان
صديقاً نبياً) انزل الله عليه
ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكاناً
علياً) هو شرف النبوة والراقي
عند الله وقيل معناه رفعة
الملائكة الى السماء الرابعة
وقدر آله الذي صلى الله عليه وسلم
لي ليلة المعراج فيها وعن الحسن
الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة
وذلك انه حبس لكثرة عبادته
الى الملائكة فقال ملك الموت
اذني الموت بين علي ففعل
ذلك باذن الله خفي وقال ادخلي
النار ازدرد هبة ففعل ثم قال
ادخلي الجنة ازدرد رغبة ثم قال
له اخرج فقال قد ذقت الموت
ووردت النار فالتخارج من
الجنة قال الله عز وجل باذني
فعل وباذني دخل فدعه

(أولئك) إشارة إلى المذكورين في السورة من ذكر كمال إلى ادر يس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) من لسان لان جميع الانبياء منعم عليهم (من ذرية آدم) من التبعية وكان ادر يس من ذرية آدم اقرب منه لانه حيد في نوح (ومن جلتنا مع نوح) ابراهيم من ذرية من جلتنا مع نوح لانه ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) اسعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أي ومن ذرية اسرائيل أي يعقوب وهم

وردها وقال وما هم منها بخيرين فاستخرج فوحي تعالى إلى الملك الموت باذني دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حي هناك ذلك قوله تعالى ورفعه مكانا عليا واختلفو في انه حي في السماء أم ميت فقال قوم هوميت واستدل بالاول وقال قوم هو حي واستدل بهذا وقال اربعة من الانبياء احياء اثنان في الارض وهما المحضر والباس واثنان في السماء وهما ادر يس وعيسى قوله عز وجل (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أولئك إشارة إلى المذكورين في هذه السورة أنعم الله عليهم بالنسبة وغيرها مما تقدم وصفه (من ذرية آدم) يعني ادر يس ونوحا (ومن جلتنا مع نوح) أي ومن ذرية من جلتنا مع نوح في السيفير يد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) يعني اسحق واسعيل ويعقوب (واسرائيل) أي ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وكرابو يحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرب الله تعالى أحوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منهم اذ لك على انهم كما شرفوا بالنسبة شرفا بالنسبة ثم قال تعالى (ومن هدينا واجتبتنا) أي هؤلاء عن أرضنا واصطفينا وقيل عن هدينا إلى الاسلام واجتبتنا على الانام (اذ اتى عليهم آيات الرحمن) انهم استجابوا لآيات الله سبحانه (وبينا) جمع بالك أخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا آيات الله سبحانه وابكوا خضوعا وخشوعا وخوقا وحذرا ولما رعدن الآيات ما خضعهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعود والوعيد فبه استجاب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن (فصل) وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيس للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد أن يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاصين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة ألم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمده وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك قوله تعالى (تخلف من بعدهم) أي من بعد النبيين المذكورين (خلف) أي قوم سوء أراهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الامة (اضاعوا الصلوة) أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل آخروها عن وقتها وهوان لا يصلوا الظهر حتى ياتي العصر ولا العصر حتى تاتي المغرب (واتبعوا الشهوات) أي أتروا شهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمر وروقتل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق والازقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغي وادى في جهنم

ووردها وقال وما هم منها بخيرين فاستخرج فوحي تعالى إلى الملك الموت باذني دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حي هناك ذلك قوله تعالى ورفعه مكانا عليا واختلفو في انه حي في السماء أم ميت فقال قوم هوميت واستدل بالاول وقال قوم هو حي واستدل بهذا وقال اربعة من الانبياء احياء اثنان في الارض وهما المحضر والباس واثنان في السماء وهما ادر يس وعيسى قوله عز وجل (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أولئك إشارة إلى المذكورين في هذه السورة أنعم الله عليهم بالنسبة وغيرها مما تقدم وصفه (من ذرية آدم) يعني ادر يس ونوحا (ومن جلتنا مع نوح) أي ومن ذرية من جلتنا مع نوح في السيفير يد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) يعني اسحق واسعيل ويعقوب (واسرائيل) أي ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وكرابو يحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرب الله تعالى أحوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منهم اذ لك على انهم كما شرفوا بالنسبة شرفا بالنسبة ثم قال تعالى (ومن هدينا واجتبتنا) أي هؤلاء عن أرضنا واصطفينا وقيل عن هدينا إلى الاسلام واجتبتنا على الانام (اذ اتى عليهم آيات الرحمن) انهم استجابوا لآيات الله سبحانه (وبينا) جمع بالك أخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا آيات الله سبحانه وابكوا خضوعا وخشوعا وخوقا وحذرا ولما رعدن الآيات ما خضعهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعود والوعيد فبه استجاب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن (فصل) وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيس للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد أن يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاصين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة ألم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمده وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك قوله تعالى (تخلف من بعدهم) أي من بعد النبيين المذكورين (خلف) أي قوم سوء أراهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الامة (اضاعوا الصلوة) أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل آخروها عن وقتها وهوان لا يصلوا الظهر حتى ياتي العصر ولا العصر حتى تاتي المغرب (واتبعوا الشهوات) أي أتروا شهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمر وروقتل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق والازقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغي وادى في جهنم

اللام العقب المحر عن ابن عباس هم اليهود (اضاعوا الصلوة) تركوا الصلاة المفروضة واتبعوا الشهوات ملاذا للنفس وعن علي رضي الله عنه من بني الشديود كتب المنظور وليس المشهور وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الامة (فسوف يلقون غيا) جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد عن ابن عباس وابن مسعود هو وادى في جهنم أعدا للصبر على الزنا وشاوب المحر وأكل الربا والعاق وشاهد الزور

(الامن تاب) رجوع عن كفره (وآمن) بشرطه (وعمل صالحا) بعد ايمانه (فاولئك يدخلون الجنة) بضم الميم وفتح الحاء
 مكى وبصرى وابو بكر (ولا يظلمون شيئا) اى لا يقتصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يعنونه بل يضاعف لهم ولا يظلمون شيئا من
 الظلم (جنات) بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس او نصب على المدح (عدن) معرفة لانها علم لعنى
 العدن وهو الاقامة او علم لارض الجنة لكونها مقام اقامة (التي وعد الرحمن عباده) اى عباده الاثنين المؤمنين الذين
 يعملون الصالحات كسقي ذكرهم ولانه ٢٩٦ اضافهم اليه وهو لا اختصاص وهو لا اهل الاختصاص (بالغيث)
 اى وعددها وهى غائبة عنهم

وان اودية جهنم تسعة عزم حرمه اعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المد من له
 ولا تكل الربا الذى لا يترع عنه ولا اهل العقوق ولشارب الزور وقيل هو وادى جهنم
 بعيد قعره حيث طعمه يسيل فيجا ودما وقيل هو وادى جهنم ابعد ها قعر او أشدها حرا
 فيه ثم يسمى الهم كذا خمت جهنم فتح الله تلك الثمرة تستعربها جهنم وقيل معنى غيا
 خسرا وادى قتل هلا كادعيا ابليس معنى يلقون برون فقط بل معناه الاجتماع والملاسة
 مع الرؤية قوله تعالى (الامن تاب وآمن وعمل صالحا) يعنى الامن تاب من التقصير فى
 الصلوات والمعاصى وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى (فاولئك يدخلون
 الجنة ولا يظلمون شيئا) اى لا يقتصون شيئا وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) اى
 باسatin اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التي وعد الرحمن عباده
 بالغيث) اى انهم لا يرونها فهى غائبة عنهم وهم غائبون عنها (انه كان وعدة مأثبا) اى
 آتيا وقيل معنى وعدة موعوده وهو الجنة مأثبا اى آتية اولياء الله واهل طاعته
 (لا يسمعون فيها نقوا) اى باطلا ونقشا وهو فضول الكلام (الاسلاما) يعنى بل
 يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان اهل
 الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض
 وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال
 اهل التفسير ليس فى الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البركة والعشى بل هم فى نور ابد
 ولكنهم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفى النهار كما تدبهم فى الدنيا وقيل انهم يعرفون
 وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارضاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة
 الرزق من غير تضيق ولا تقصير وقيل كانت العرب لا تعرف افضل من الرزق الذى يؤتى
 به بالبركة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك وقوله تعالى (تلك الجنة التى نورث من
 عبادنا) اى نعطي وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التى كانت لاهل النار
 لو آمنوا (من كان تقيا) اى المتقين من عباده قوله عز وجل (وما تنتزل الا بالبر ربك)
 (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال باجبريل ما منعك
 ان تزورنا كثر ما تزورنا فنزلت وما تنتزل الا بالبر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الا بية

غير حاضرة او هم غائبون عنها
 لا يشاهدونها (انه) ضمير
 الشأن اوضحه الرحمن (كان
 وعده) اى موعوده وهو الجنة
 (مأثبا) اى هم بأثوبها
 (لا يسمعون فيها) فى الجنة
 (نقوا) نقشا او كذا او مالا
 طائل تحته من الكلام وهو
 الماروح منه وفيه تشبيه على
 وجوب تحجب اللغو واتقائه
 حيث نراه الله عنه داره التى
 لا تسكف فيها (الاسلاما)
 اى لكن يسمعون سلاما
 من الملائكة او من بعضهم
 على بعض او لا يسمعون فيها
 الاقوال لا يسمعون فيها من الغيب
 والتمتصه فهو استثناء منقطع
 عند التجره وروى معنى السلام
 هو الدعاء بالسلامة ولما كان
 اهل دار السلام اغنياء عن
 الدعاء بالسلامة كان ظاهره
 من باب اللغو فضول الحديث
 لولما فيه من فائدة الاكرام
 (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا)

اى يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفى النهار ولا يظلمون شيئا من جزاء اعمالهم
 اى لا يقتصون شيئا من جزاء اعمالهم بل يضاعف لهم ولا يظلمون شيئا من
 الظلم (جنات) بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس او نصب على المدح (عدن) معرفة لانها علم لعنى
 العدن وهو الاقامة او علم لارض الجنة لكونها مقام اقامة (التي وعد الرحمن عباده) اى عباده الاثنين المؤمنين الذين
 يعملون الصالحات كسقي ذكرهم ولانه ٢٩٦ اضافهم اليه وهو لا اختصاص وهو لا اهل الاختصاص (بالغيث)
 اى وعددها وهى غائبة عنهم
 وان اودية جهنم تسعة عزم حرمه اعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المد من له
 ولا تكل الربا الذى لا يترع عنه ولا اهل العقوق ولشارب الزور وقيل هو وادى جهنم
 بعيد قعره حيث طعمه يسيل فيجا ودما وقيل هو وادى جهنم ابعد ها قعر او أشدها حرا
 فيه ثم يسمى الهم كذا خمت جهنم فتح الله تلك الثمرة تستعربها جهنم وقيل معنى غيا
 خسرا وادى قتل هلا كادعيا ابليس معنى يلقون برون فقط بل معناه الاجتماع والملاسة
 مع الرؤية قوله تعالى (الامن تاب وآمن وعمل صالحا) يعنى الامن تاب من التقصير فى
 الصلوات والمعاصى وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى (فاولئك يدخلون
 الجنة ولا يظلمون شيئا) اى لا يقتصون شيئا وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) اى
 باسatin اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التي وعد الرحمن عباده
 بالغيث) اى انهم لا يرونها فهى غائبة عنهم وهم غائبون عنها (انه كان وعدة مأثبا) اى
 آتيا وقيل معنى وعدة موعوده وهو الجنة مأثبا اى آتية اولياء الله واهل طاعته
 (لا يسمعون فيها نقوا) اى باطلا ونقشا وهو فضول الكلام (الاسلاما) يعنى بل
 يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان اهل
 الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض
 وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال
 اهل التفسير ليس فى الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البركة والعشى بل هم فى نور ابد
 ولكنهم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفى النهار كما تدبهم فى الدنيا وقيل انهم يعرفون
 وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارضاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة
 الرزق من غير تضيق ولا تقصير وقيل كانت العرب لا تعرف افضل من الرزق الذى يؤتى
 به بالبركة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك وقوله تعالى (تلك الجنة التى نورث من
 عبادنا) اى نعطي وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التى كانت لاهل النار
 لو آمنوا (من كان تقيا) اى المتقين من عباده قوله عز وجل (وما تنتزل الا بالبر ربك)
 (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال باجبريل ما منعك
 ان تزورنا كثر ما تزورنا فنزلت وما تنتزل الا بالبر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الا بية
 قال
 اى يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفى النهار ولا يظلمون شيئا من جزاء اعمالهم
 اى لا يقتصون شيئا من جزاء اعمالهم بل يضاعف لهم ولا يظلمون شيئا من
 الظلم (جنات) بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس او نصب على المدح (عدن) معرفة لانها علم لعنى
 العدن وهو الاقامة او علم لارض الجنة لكونها مقام اقامة (التي وعد الرحمن عباده) اى عباده الاثنين المؤمنين الذين
 يعملون الصالحات كسقي ذكرهم ولانه ٢٩٦ اضافهم اليه وهو لا اختصاص وهو لا اهل الاختصاص (بالغيث)
 اى وعددها وهى غائبة عنهم
 وان اودية جهنم تسعة عزم حرمه اعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المد من له
 ولا تكل الربا الذى لا يترع عنه ولا اهل العقوق ولشارب الزور وقيل هو وادى جهنم
 بعيد قعره حيث طعمه يسيل فيجا ودما وقيل هو وادى جهنم ابعد ها قعر او أشدها حرا
 فيه ثم يسمى الهم كذا خمت جهنم فتح الله تلك الثمرة تستعربها جهنم وقيل معنى غيا
 خسرا وادى قتل هلا كادعيا ابليس معنى يلقون برون فقط بل معناه الاجتماع والملاسة
 مع الرؤية قوله تعالى (الامن تاب وآمن وعمل صالحا) يعنى الامن تاب من التقصير فى
 الصلوات والمعاصى وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى (فاولئك يدخلون
 الجنة ولا يظلمون شيئا) اى لا يقتصون شيئا وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) اى
 باسatin اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التي وعد الرحمن عباده
 بالغيث) اى انهم لا يرونها فهى غائبة عنهم وهم غائبون عنها (انه كان وعدة مأثبا) اى
 آتيا وقيل معنى وعدة موعوده وهو الجنة مأثبا اى آتية اولياء الله واهل طاعته
 (لا يسمعون فيها نقوا) اى باطلا ونقشا وهو فضول الكلام (الاسلاما) يعنى بل
 يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان اهل
 الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض
 وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال
 اهل التفسير ليس فى الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البركة والعشى بل هم فى نور ابد
 ولكنهم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفى النهار كما تدبهم فى الدنيا وقيل انهم يعرفون
 وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارضاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة
 الرزق من غير تضيق ولا تقصير وقيل كانت العرب لا تعرف افضل من الرزق الذى يؤتى
 به بالبركة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك وقوله تعالى (تلك الجنة التى نورث من
 عبادنا) اى نعطي وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التى كانت لاهل النار
 لو آمنوا (من كان تقيا) اى المتقين من عباده قوله عز وجل (وما تنتزل الا بالبر ربك)
 (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال باجبريل ما منعك
 ان تزورنا كثر ما تزورنا فنزلت وما تنتزل الا بالبر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الا بية
 وقت ليس الا بالبر الله

(له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) أي له ما قد آمننا وما خلفنا من الأمان وما نحن فيها فلا تنمنا لك ان تنتقل من مكان الى مكان الأمان الملك ومشمته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الأحوال لا تحوز عليه الغفلة والنسيان فأنت لئلا تنقلب في ملكوته الا اذا اذن لنا فيه (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك أو خبير مبتدأ محذوف أي هو رب السموات والارض ثم قال لرسوله لما عرفت انه متصف بهذه الصفات (فاعبد) فائت على عبادته (واصطر لعبدته) أي اصبر على مكافأة المحسود لعبادة المعبود واصبر على المشاق لاجل عبادة الخلاق أي لتتمكن من الاتيان بها (هل تعلم له سميا) شيئا أو مثلا أو هل يسمى أحد باسم الله ٢٩٧ غيره لانه مخصوص بالمعبود

بالحق أي اذا صبح ان لا معبود توجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن يد من عبادته والاصطبار على مشاقها فت ابي بن خلف عظماء وقال أبعث بعدما صرنا كذا فنزل (ويقول) الانسان أئذا مات لسوف اخرج حيا) والعامل في اذا ما دل عليه الكلام وهو أبعث اي اذا مات أبعث واتصاه بأخرج تمتع لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم لم يدقأ ثم لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فالما جاءت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما في اذا مالتو كيدا ايضا فكانه قال احقا اناس يخرج من القبور احياء حين يتمم فينا الموت والمال ك على وجه الاستسكار والاستبعاد وتقدير الظرف والاول هو حرف

قال فكان هذا جواب جبريل لحمد صلى الله عليه وسلم وقبل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله اليه ودع عن أم الروح وأحباب الكهف وذى القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدأ على حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال له جبريل واني كنت اشوق اليك ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حسبت احتسبت فانزل الله تعالى وما تستنزل الا بامر ربك وانزل الله تعالى والغي والليل اذ سمعني ما ودعت ربك وما قبي وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) أي له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وقيل اكد ذلك بقوله له ما بين أيدينا وما خلفنا أي هو المصدر لنا في كل الأوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أي ماضى من الدنيا (وما بين ذلك) أي من هذا الوقت الى ان تقوم الساعة وقيل ما بين ذلك أي ما بين النقيتين وهو مقدار أربعين سنة وقيل ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ماضى منها وما بين ذلك أي مدة حياتنا (وما كان ربك نسيا) أي ناسيا أي مانسيك ربك وما تركك (رب السموات والارض وما بينهما) أي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا يد أن يدير احوالها كلها وفيه دليل على ان فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى (فاعبد) واصطر لعبدته أي اصبر على أمره وفيه (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم أحد باسم الله غير الله قوله تعالى (ويقول الانسان) أي حسن الانسان والمراد به الكفار الذين انكروا البعث وقيل هو أبي بن خلف الحمصي وكان منكر البعث (أئذا مات لسوف اخرج حيا) قاله استهزاء ونكديا بالبعث قال الله تعالى (اولاد كذا الانسان) أي يتذكرون ويتفكرون بمعنى منكر البعث (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) والمعنى أولا يتفكر بهذا الجاحد في بدخلته فستدل على الاعادة قال بعض العامة لو اجتمع كل الخلائق على ان ارباحة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا اهلون من اليجاد اولا ثم اقيم بنفسه فقال تعالى (فوربك) وفيه تشرىف للنبي

٣٨ ن ث الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم (اولاد كذا الانسان) خفيف شامخي ونافع وعاصم من الله كروا السائر بشديد اذ ذال والكاف وأصله يتذكر كقراءة أبي فادغمت التاء في الذال أي ولا يتدبر والواو عطفت لاذ كر على يقول ووسط همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني يقول ذلك ولا يتذكر كحال النشأة الاولى حتى لا يتذكر النشأة الاخرى فان تلك الدل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود وما الثانية فليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق (أنا خلقناه من قبل) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقاءه (ولم يك شيئا) هو دليل على ما بينا وعلى أن المعدم ليس بشئ خلافا لاعتقالات (فوربك)

لنحضرهم - م) أي الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف ويعني مع أو وقع أي يحشرون مع قرانهم من الشياطين الذين اغووه وهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وفي أقسام الله سبحانه مضافا إلى رسوله فيتحسم لسان رسوله (ثم لنحضرهم حول جهنم جثيا) حال جمع جثا أي بارك على الركب ووزنه فعول لأن أصله جثو وكجثو وساجد أي يقبلون من الحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم (ثم لننزعن من كل شيعة) طائفة شاعت أي تبنت غاويا من الغواة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة أو خورا أي لنخرجن من كل طائفة من طوائف التي اعتادهم فأعتادهم فإذا احتجموا طرحناهم في النار على الترتيب تقدم اولاهم بالعباد فأولاهم وقيل المراد أشدهم عتيا الرؤساء لتضاعف جرهم لكونهم ضللا ومضلين قال سيبويه أيهم مبني على الضم لاسقوط صدر الجملة التي هي صلته وهو هو ٢٩٨ هـ هو أشد حتى لو جئ به لأعرب بالنصب وقيل أيهم هو أشد وهذا لأن الصلة

توضح الموصول وتبينه كان المضاف إليه موضح المضاف ويخصه فكأن حذف المضاف إليه في من قبل وجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شئ منها موجبا للبناء وموضعها نصب بمنزوع وقال الخليل هي عربية وهي مبتدأ أو أشد خبره وهو مودع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله وهو بنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قال لا قال من هم فقبل أيهم أشد عتيا وعلى يتلقى بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن (ثم لننزعن أعلم بالذين هم أولي بها) أحق بالنار (صلبا)

على الله عليه وسلم (لنحضرهم) أي لنحضرهم في المعاد يعني المشر كين المنكرين للبعث (والشياطين) أي مع الشياطين وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة (ثم لنحضرهم حول جهنم جثيا) قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب اضيق المكان وقيل إن البارك على ركبته صورته كصورة الدليل فإن قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وتري كل أمة جاثية فلت وصفا وبالجموع وعلى العادة المعهودة في موافق المقالات والمناقالات وذلك لما فيه من القلق عما يدهمهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على أوجهم فيجثون على ركبهم جثوا (ثم لننزعن) أي لنخرجن (من كل شيعة) أي من كل أمة وأهل دين من الكفار (أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعني جرأة وقيل خورا أو جرأ وقيل قائدهم ورؤسهم في الشرك والمعنى أنه يقدم في ادخال النار الاعتي فالاعتى عن هو أكبر جرأ أو أشد كبرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلحين مغلولين ثم يتقدم الا كفرا لا كفرا فكل أشدهم ثم يرد في كفره خص بعذاب أعظم وأشد لأن عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وقائدة هذا التمييز التقصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال في جميعهم (ثم لننزعن أعلم بالذين هم أولي بها صليا) ولا يقال أولي الامع استراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية أيهم أحق بدخول النار قوله عز وجل (وان منكم الاواردها) أي وما منكم الا واردها وقيل القسم فيه هضم أي والله ما منكم من أحد الا واردها والورود هو موافاة المسكان واختلافوا في معنى الورود ههنا وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله واردها قال ابن عباس والا كثرون معني الورود ههنا الدخول والكناية راجعة إلى النار فدخلها البر والفاجر ثم ينبغي الله

تسمى أي دخولوا والباء تتهافت بالولي (وان منكم) أحد الاواردها) داخلها والمراد النار والورود الدخول عند على الذين وأبن عباس رضي الله عنهم وعليه جهزوا أهل السنة لقوله تعالى فاوردهم النار وقوله تعالى لو كان هؤلاء هم مودعها ولقوله ثم تجيب الذين اتقوا الذلعة انما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى برولا فاجر الدخولها فتكون على المؤمنين برودا سلاما كانت على ابراهيم وتول النار لما من جزى ما مؤمن فان نورك أطفأه وقيل الورود يعني الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منكم ويحتمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورود المحصور لقوله تعالى ولما ورداء مدين وقوله أولئك عنها مبعدون واحبب عنه بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقائدة الورود المرور على الصراط لان الصراط محدود عليها فسلم أهل الجنة ويتقذف أهل النار وعن مجاهد ورود المؤمنين النار وهو مس المحي جسده في الدنيا لقوله عليه السلام المحي خط كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لا تخافن النار قال نعم قال وايقنت بالصدر قال لا قال فقيم الخلق وقيم الشاقل

الذين اتقوا منها يدل عليه ما روى ان نافع بن الازرق قال قال ابن عباس في الورد فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورد الدخول فقر ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ادخلها هؤلاء ام لا ثم قال يا نافع والله انا و انت بسنردوها وانا ارجو ان يخرجني الله منها وما ارى الله ان يخرجني منها بتكديك فن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع العطفة والسرور لان الله تعالى اخبر عنهم انهم لا يجزئهم الغزع الا كبر فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين النار وعذابها قلت يحتتمل ان الله تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون ويحتتمل ان الله تعالى يجعل الاخزاء الملاصقة لآبدان الكفار من النار محترقة والاجزاء الملاصقة لآبدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام وكان الملازمة الموكنين بها لا يجحدون لها فان قلت اذ لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار قلت فيه وجوه احدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على اهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم ياقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذادهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورد الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن ابدا لقوله تعالى ان الذين سبقتم لهم منا الحسن اولئك عنهم بعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورد المحض ورواية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين اراد به المحصور وقال عكرمة الآية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود انه قال وان منكم الاواردها يعني القباة والكناية راجعة اليها والقول الاول اصح وعليه اهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها اهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم نجى الذين اتقوا اى الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا بحقة القسم وفي رواية قيل النار الا بحقة القسم اخرجاه في الصحيحين ارادنا القسم قوله تعالى وان منكم الاواردها (م) عن ام مبشر الانصارية انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من اصحاب الشجرة لاحد من الذين يابغوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتمرها فقالت حفصة وان منكم الاواردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثثا وقال خالد بن معدان قول اهل الجنة لم يعدنار بنان نرد النار فقال بلى وليكنكم رتم بها وهي خادمة وفي الحديث تقول النار للؤمن جزا مؤمن فقد اطفأ نورك لى وروى عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم الاواردها قال من حم من المسلمين فقد ردها وفي الخبر الحمى كبر من جهنم وهي حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيج جهنم فاردوها بالماء قوله فيج جهنم اى وهمها وجرها وقوله تعالى (كان على ربك حتما مقضيا) اى كان ورود جهنم قضاء لازما قضاء الله تعالى عليكم

(كان على ربك حتما مقضيا)
اى كان ورودهم واجبا كائنا
محكموا والحكم مصدر حكم الامر
اذا اوجبه فسمى به الموجب
كقولهم ضرب الامر

وأوجسه (ثم تنجي الذين اتقوا) أي الشرك (ونذر الظالمين فيها جثيا) أي جميعا وقيل
 جاثين على الركب قالت المعتزلة في الآية دليل على صحة مذهبهم فإن صاحب الكبيرة
 والفاسق يخرج من النار بدليل أن الله بين أن الكفر بدونها ثم بين صفته من ينجم عنها
 وهم الممتنون والفاسق لا يكون متعاقبا في النار أبدا واجب عنه بان المتقي هو الذي
 يتقى الشرك بقوله لا اله الا الله وشهد بآية ذلك أن من آمن بالله ورسوله صح أن يقال إنه
 متق من الشرك ومن صدق عليه أنه متق من الشرك صح أنه متق لأن المتقي جزء من المتقي
 من الشرك ومن صدق عليه أنه كبر صدق عليه المفرد فثبت أن صاحب الكبيرة متق
 وإذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم تنجي الذين اتقوا فصار
 الآية التي توهموها دليلا لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث
 وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحدة من النار (خ)
 عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله
 وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برقة من
 خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من إيمان
 (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة
 قال هل نأمر من في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا يا رسول الله قال هل نأمر
 في الشمس ليس دونها سحاب قالوا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس
 يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيا فليتبع فخيم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع
 أنتم ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأثم الله فيقول
 أناركم فيقولون هذا مكرنا حتى يأتيها ريشا فاذا جاء ريشا عرفناه فيأثم الله فيقول
 أناركم فيقولون أنت ريشا فيدعوهم فضرب الصراط بين ظهراني جهنم فما كونا أول
 من يخرجون الرسل باسمه ولا يتكلم يومئذ الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم
 وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل
 شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عقابها الا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من
 يوق بعمله ومنهم من ينجى ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر
 الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بما نارا السجود
 وحرم الله على النار أن تأكل أعضاء السجود فيخرجون من النار وقد امتحنوا فيصيب
 عليهم ماء الحية فيمضون كما تنبت الحبة في حبل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد
 ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخول الجنة مقبل بوجهه قبل
 النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قسيتني وريحها وأحرقني ذكؤها فيقول
 هل عسيت أن أفعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فعطى الله مشاءه من
 عهده وميثاق فصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل به على الجنة رأى نكته ولو لم يمتها
 سكت مشاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله ليس
 قد أعطيت المواعيق والعهد أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب لا أكون

(ثم تنجي)
 (الذين اتقوا) عن الشرك وهم
 المؤمنون (ونذر الظالمين فيها
 جثيا) فيه دليل على دخول
 الكل لأنه قال ونذر ولم يقل
 وندخل والمذهب أن صاحب
 الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه
 ثم يعفو ولا محالة وقالت المرجئة
 الجنة لا يعاقب لأن المعصية
 لا تضر مع الإسلام عندهم وقالت
 المعتزلة يخلد

أشقى خلقك فيقول فما عسيت أن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا تسأل
غير ذلك فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بها راي
زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول يارب أدخلني
الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد
والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يارب لا تجعلني أشقى خلقك فيخجل الله عز
وجل منه ثم يؤذن له في دخول الجنة فيقول له من فيتهني حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله
تمن كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأمانى قال الله لك ذلك ومثله معه قال
أبو سعيد الخدري لا يرى مرة وعشرة أمه الله قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد رضي الله تعالى عنه سمعته يقول لك
ذلك وعشرة أمه الله وفي رواية للبخاري قال فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها
فيقول أنار بكم فيقولون نعم وذا لله منسك هذا مكانا حتى يأتينار بنا فإذا أنا ناعرفنا
فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها فيقول أنار بكم فيقولون أنت ربنا فينبهونه ويقول
أما ما تعلق بعناني الحديث والكلام على الرؤى فقسى على نفسي سورة القيامة
وتسلكم ههنا على شح غريب أنافله قوله مثل شوك السعدان هونبت وشوك
معتق وهون من أجود مراعي الأبل وقوله فهم من يوبى بعمله يقال أو بقة الذنوب أى
أهل كبتها والميتدل المرمى المصروع وقيل هو المقطع والمعنى أنه تقطعه كاللب الصراط
حتى يقع في النار وقوله وقد امتشوا أى احترقوا وقيل هو أن تذهب النار والجملد وتبدي
العظم قوله كما تنبت الحبة في جيل السيل الحبة بكسر الحاء وهى البزورات جميعا وجيل
السيل هو الزبد وما يلبسه الماء على شاطئه قوله قسني رجيها أى ذاتي والقشب السهم
فكأنه قال قد سني رجيها قوله وأحرقني ذكأؤها أى اشتعل لها ولهبها قوله رأت زهرتها
الزهرة الحسن والنضرة والبهيبة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج
من النار جوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيما تريد فيجمل إليه أنها ملائى فيرجع
فيقول يارب يوجدتها ملائى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها
فيجمل إليه أنها ملائى فيرجع فيقول يارب يوجدتها ملائى فيقول الله تعالى له اذهب
فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو أن لك مثل عشرة أمثال الدنيا
فيقول أنت خير بي وأنت الملك فله قدر أيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجمل حتى يدب
نواجذه فمكأن يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله حتى يدب نواجذه أى أضراسه
وأنباله وقيل هى آخر الاسنان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب
ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكفونوا اجتماعهم نذرهم الرحمة قال فيخرجون
فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة من الماء فيقتنون كما تنبت الحبة
في جملة السيل أخرجه الترمذى الجم الفهم والجمالة كل ما جاء به السيل فدللت الآية
الاولى على أن الكل دخلوا النار وذللت الآية الثانية والاحاديث أن الله تعالى أخرجه

(واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن (بينات) ظاهرات الاعجاز وأوجها وبراهين حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
 إذ آيات الله لا تكون الا واضحة وجها (قال الذين كفروا) أى مشركو قريش وقد جربوا شعورهم وتكفروا في زعيمهم (الذين
 آمنوا) للفقراء ورؤسهم شعبة وثيابه خشنه (أى الذين يقرين) نحن أنتم (خبر مقاما) بالفتح وهو موضع القيام والمراد
 المكان والمكان وبالصبر مكي وهو موضع الاقامة والمنزل (وأحسن ندبا) مجلسا يجتمع القوم فيه للشاوره ومعنى الآية ان الله
 تعالى يقول اذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين غرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال
 فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) فكتم مفعول أهلكنا ومن تدبرين لا يهملها أى كثير من القرون أهلكنا وكل أهل
 عصر قرن لمن بعدهم (هم أحسن) فى محل النصب صفة لكم الاترى أنك لو تركت هم كان أحسن نصبا على الوصفه (أما أنا)
 هو متاع البيت أو ما جدم من القرش (ورثنا) منظر أو هيئته فعل بمعنى مفعول من رأيت ووباب غيرهم من شدة دنا فاع وابن عامر
 على قلب الفهمه رياء لساكنوها وانكسار ٣٠٢ ما قبلها تم الاذغام أو من الرى الذى هو النعمة (قل من كان فى

منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون قوله تعالى (واذا تتلى
 عليهم آياتنا بينات) أى دلائل وانجيات (قال الذين كفروا) أى النضرين المحرث ومن
 دونه من كفار قريش (الذين آمنوا) أى فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وكانت فيهم تشافة وفى عيبتهم خشونة وفى ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجون
 شعورهم وبه نهنون رؤسهم ويلبسون أغر ثيابهم (أى الذين يقرين خبر مقاما) أى منزلا
 ومساكنها وهو موضع الاقامة (وأحسن ندبا) أى مجلسا فاجتمعهم الله تعالى بقوله (وكم
 أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أنانا) أى متاعا وما الا و قيل أحسن ثيابا ولباسا
 (ورثنا) أى منظر من الرقبة (قل من كان فى الضلالة فلهم دله الرحمن مدا) هذا امر بمعنى
 الخبر معناه يدعه فى طغيانه ويمهله فى كفره (حتى اذا رآوا ما وعدون اما العذاب) أى
 الاسر والتل فى الدنيا (واما الساعة) يعنى القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) أى
 عند ذلك (من هو شر مكانا) أى منزلا (واضعف جدا) أى اقل ناصر او المعنى فسيعلمون
 أهم خير وهم فى النار أم المؤمنون وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم أى الذين يقرين خير
 مقاما وأحسن ندبا قوله عز وجل (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أى ايماننا واثابنا على
 قيتهم (والباقيات الصالحات) أى الاذكار والاعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها (خبر
 عند ربك ثوابا وخبر مدا) أى عاقبة ومرجعها قوله تعالى (أفرايت الذى كفر با) ياتنا
 الآية (ق) عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قنانيا فى المحاملة وكان فى على العاص
 ابن وائل السهمى دين فانيته اتناضاه وفى رواية فعملت للعاص بن وائل السهمى سيفا

الضلالة) الكفر (فليمدله
 الرحمن مدا) جواب من لانها
 شريطة وهذا الام بمعنى الخبر
 أى من كفر مدله الرحمن يعنى
 أمهله وأملى له فى العسر ليزداد
 طغيانا وضلالا كقوله تعالى
 اغسل على لهم ليزدادوا غشا
 وانما أخرج على لفظ الام ابدانا
 بوجوب ذلك وأنه مفعول
 لا محالة كما لا دور به الممثل
 ليطع معاذير الضلال (حتى
 اذا رآوا ما وعدون) هى متصلة
 بقوله خير مقاما وأحسن ندبا
 وبما ينهم ما عراض أى لا يزلون
 يقولون هذا القول الى أن
 يشاهدوا الموعد ورأى عين
 (اما العذاب) فى الدنيا وهو
 تعذيب المسلمين اياهم بالقتل

والاسر (واما الساعة) أى القيامة وما ينالهم من الحزى والشكل فهما يدلان عما وعدون (فسيعلمون من هو
 شر مكانا) منزلا (واضعف جدا) اعوانا وانصارا أى فيخند يعلمون ان الامر على عكس ما قدره وهم مكانا واضعف
 جدا الاخير مقاما وأحسن ندبا وان المؤمنين على خلاف ضعفهم وحازان تصل بما يليها والمعنى ان الذين فى الضلالة محدود
 لهم فى ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصره الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة وحى التى يحكى
 بعدها الجمل الاترى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا رآوا ما وعدون فسيعلمون (ويزيد الله الذين اهتدوا
 هدى) معطوف على موضع فليمدد وقوعه موضع الخبر تصدده من كان فى الضلالة مدد أو يمدله الرحمن ويزيد أى يزيد
 ضلال الضال بخلافه ويزيد الله تدبرين أى المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء او يقيننا وبصيرة بتوفيقه (والباقيات
 الصالحات) اعمال الآخرة كلها والصلوات الخمس اوسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر (خير عند ربك ثوابا)
 مما يتخير به الكفار (وخبر مدا) أى مرجعها وعاقبة تهم كالكفار لانهم قالوا المؤمنين أى الذين يقرين خير مقاما وأحسن ندبا
 (أفرايت الذى كفر با) ياتنا

وقال لا وتين مالا وولدا ثم بضم الواو وسكن اللام في أربعة مواضع هنا وفي الزحف ونوح جزؤه على جمع ولد كأسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب في العرب ولما كانت رؤية الاشياء طريقا إلى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا أرايت في معنى أخبر وإفاء أفادت التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر وأذكر حديثه شعبة حديث أولئك وقوله لا وتين جواب قسم مضمر (أطلع الغيب) من قولهم أطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه الهزة للاستفهام وههنا الوصل بحذوقة أى أنظر في الوح المحفوظ فأرى منيته (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) موثقا أن يؤتيه ذلك العهد كآلة الشهادة وعن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور أنها في العاص بن وائل فقد دروي أن خباب بن الارت صاغ للعاص بن وائل حليفا قضاه الاجر فقال انكم ترعون انكم تبعثون وان في الجنة ذهباً وفضة فانا أقضيت ثم فاني أوفى مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع وتنبه على الخطأ وهو مخطف فيماتصوره لنفسه فليردع عنه ٣٠٣ (سكتب ما يقول) أى قوله والمراد من يظهر له ويعلمه أنا كتبنا

قوله لانه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما لفظ من قول الالديه رقيب عيسيه وهو قوله

فحتمه أتقاضه فقال لا أعطيك حتى تكفر بحمدك فقلت لا كره حتى يمتك الله ثم تبعث قال وانى لميت ثم تبعث قلت بلى قال دعني حتى أموت وابعث فسأوتى مالا وولدا فأقضى لي فزلت أفرأيت الذى كُفِرَ بآياتنا (وقال لا وتين مالا وولدا) الى قوله فردا القين الحمد ادفرد الله عليه بقوله (أطلع الغيب) قال ابن عباس معناه انظر في الوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم هو في الجنة لا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) بمعنى قال لاله الا الله محمد رسول الله وقيل معنى عمل عاص الحاقده وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة (كلا) ردع عليه بمعنى لم يفعل ذلك (سكتب ما يقول) أى سخطه عليه ما يقول فتباز به في الآخرة وقيل يامر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول (وغدله من العذاب مدا) أى يزيد عذابه فوق العذاب وقيل تطيل مدة عذابه (وترثه ما يقول) معناه أى ما عنده من المال والولد يارسله كذا ما هو ابطال ملكه وقيل يزول عنه ما عنده من مال وولد فيعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقي فردا فذلك قوله (وأيضا) بمعنى يوم القيامة (فردا) بالمال والولد فلا يصح أن يبعث في الآخرة على وولد قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة يعنى مشركي قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزاً) أى منعة يعنى يكونوا شفعاء عنهم من العذاب (كلا) أى ليس الامر كما زعموا (سبيكروا بعبادتهم) بمعنى تتخذ الاصنام والآلهة التى كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤون منهم (و يكونون عليهم ضدا) أى اعوانا عليهم يكونونهم ويلعنونهم وقيل اعداء لهم كانوا أولياءهم في الدنيا قوله عز وجل (الم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى سلطانهم عليهم (توزهم أزا) أى تزعمهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تختمهم وتخترضهم على المعاصي تخترضا شديدا والى آية

بإذاما لتبيننالم نالدى لثيمة*
أى علم وتبين بالانساب أنى استنا
بأن لثيمة (ومدله من العذاب)
تزيده من العذاب كما يزيدنى
الاقراء والاجترأ من المديقال
مدوه أمدعبنى (مدأ) أ كد
بالمصدر لفرط غضبه تعالى (وترثه
ما يقول) أى تروى عنه ما زعم
انه يناله فى الآخرة والمعنى مسمى
ما يقول وهو المال والولد (وأيضا)
فردا) حال أى بالمال ولا ولد
كقوله ولقد جئتمونا فردى فا
يحدثى عليه غميه وتاليه (واتخذوا
من دون الله آلهة) أى اتخذوا
المشركون اصناما يعبدونها

(ليكونوا لهم عزاً) أى ليعتوا بآلهتهم ويكونوا لهم شفعاء وأنصارا يفتلونها من العذاب (كلا) ردع لهم عما فعلوا (سبيكفرون بعبادتهم) الضمير للآلهة أى سيجدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتنا وانتم كاذبون والمشركون أى ينكرون ان يكونوا قد عبدوا كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (و يكونون) أى المعبودون (عليهم) على المشركين (ضدا) خصما لان الله تعالى ينطقهم فتقول يارب عذب هؤلاء الذين عبدوا من دونك والضديق على الواحد والجمع وهو في مقابلة لهم عزو اواراد اضلالهم وهو الذل والهوان أى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه أى يكونون عليهم لاهم عزوا وان رجع الضمير في سبيكفرون و يكونون الى المشركين فالعنى و يكونون عليهم أى أعداؤهم ضدا أى كفرتهم بعد ان كانوا يعبدونها ثم يحب نبيه عليه السلام بقوله (الم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى خلدناهم واياهم من أرسلت البعير أطلقته او سلطانهم عليهم بالاغواء (توزهم أزا) تغريهم على المعاصي اغراء ولاز والمزأخوان ومعناهما التهييج وشدة الازعاج

(فلا تجعل عليهم) بالعداب (أعنا عدلهم عدا) أي أعنا لهم الجزاء وأفاسهم للفناء وقرأها ابن السمالك عند الماء ون قال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفذ (يوم تحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ركبنا على نوق رحالها ذهب وعلى تجائب سر وجها ياقوت (ونسوق الجرمين) الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا أصل من الانعام (الى جهنم وردا) عطاها لان من يرد الماء لا يريده الالعاش وحقبة الورود المسير الى الماء فيسبي به الواردون فالوفد جمع وافد ذكر كبورا كب والورد جمع وارد ونصب يوم يحضر أي يوم تحشر ونسوق فعل بافر يقين ما لا يوصف اي اذ كرم يوم تحشر ذكر المتقين بانهم يجمعون الى ربهم الذي غفرهم رحمة كلما يبدل الوفود على الملوك بغير الهلهم والكافرون بانهم مساقون الى النار كانتهم نعم عطاش يساقون الى الماء استخفافهم (لا يعلمون الشفاعة) ٣٠٤ حال والواو ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه

دليل على ان الله تعالى مدبر جميع الكائنات (فلا تجعل عليهم) أي لا تجعل بطلاب عفو عنهم (أعنا عدلهم عدا) يعني الايالي والالام والشه وروايعوام وقيل الانفاس التي يتفلسفونها في الدنيا الى الاجل الذي اجل بعد ذهابهم قوله تعالى (يوم تحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أي اذ كرمهم ما يجد اليوم الذي يجمعهم فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته الى جهنم وفدا أي جماعت قال ابن عباس ركبنا قال أبوهريرة على الابل وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ما يحشرون والله على أرجلهم واما على نوق رحالها من الذهب وتجائب سر وجها واواقبت انهم وماها سارت وانهم وماها طارت (ونسوق الجرمين) أي الكافرين (الى جهنم وردا) أي مشاة عطاها قد قطعت اعناقهم من العنقش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد الابدال العنقش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش يساقون الى الماء (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراغبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار ثقيل معهم حيث قالوا وتبت معهم حيث بانوا وتنجح معهم حيث اصبحوا وتمي معهم حيث امسوا قوله ثقل معهم حيث قالوا من القيسولة وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف صنفهم امة وصنفهم ركبنا وصنفهم على وجوههم قيسل يا رسول الله كيف يحشرون على وجوههم قال ان الذي امسأهم على اقدامهم قادر على ان يحشرون على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حسب وشوك انجبه الترمذي قوله عز وجل (لا يعلمون الشفاعة الا من اتخذه عند الرحمن عدا) يعني لاله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا المؤمنون وقيل لا يشفع الا من قال لاله الا الله اي لا يشفع الا المؤمنون (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيأا) قال ابن عباس منكمرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما

ذكر المتقين والجرميين لانهم على هذه القسمة ويحوزان يكون علامة للجمع كاتى في أ تكونى البراغث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البذل من ولو يعلمون أو على الفاعلية أو نصب على تقدير حذف المضاف أي الاشفاة من اتخذ والمراد لا يعلمون أن يشفع لهم (الامن) اتخذ عند الرحمن عدا) بان آمن في الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيحز احدكم أن يتذكر صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني أعهد لك باني تشهد ان لا اله الا انت وحدك

لا شريك لك وان محمد عبدك ورسولك وانك تسكن الى نفسي تقر بني من الشر وتباعدني من الخير واني (تلك) لا أتق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفي فيه يوم القيامة ذلك لا تخاف المعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فبدلوا من الجنة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمرهم به لا يشفع الا المأمور بالشفاعة لا يؤذنه فيها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أي النصارى واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيأا) خاطبهم بهذا الكلام بعد العتبة وهو التفات أو امر نبيه عليه السلام بانه يقول لهم ذلك والادب المحبب او العظيم المذكر والادلة الشدة وادنى الامر انقلني وعظم على ادا

(تسكاد السموات) تقرب وبالياء نافع وعلى (ينفطرن) وبالنون بصرى وشامى وحجرة وخلف وأبو بكر الانفطار من فطر ما اذا شقه والتطر من فطره اذا شققه (منه) من عظم هذا القول (وتشق الارض) تخسف وتنفصل اجزائها (وتخر الجبال) تسقط (هذا) كسرا أو قطعا وهما والمدة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر رأى تهددها من سماع قولهم أو مة قول له أو حال أى مهدوده (أن دعوا) لأن سمعوا وحمل جريدل من المساء في منه أو نصب مفعول له على الخمر ورب الهدى والهدى بدعاء الولد للرجن أو رفع فاعل هذا أى هداها دعاهم ٣٠٥ (لارجن ولدا وما ينبغي للرجن أن يتخذ ولدا) انبنى مطاوعى بنى اذا

طلب أى ما تاتى به اتخذ اذا ولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد الحاجة ومحاجة وهو منزعهما فى اختصاص الرجن وتكريره كرات بيان أنه الرجن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لان أصول النعم وفروعها منه فليس ككشف بصر كعطاؤه فأت وجيع ما عندك عطاؤه فن أضاف اليه ولدا فقد جعله كعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرجن (ان كل من) نسكة موصوفة صفتها (فى السموات والارض) وخبر كل (الآت الرجن) ووحدأتى وآ تجملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من أتى وهو مستقبل أى ياتيه (عبدا) حال أى خاصة ذليلا متقادا والمعنى ما كل من فى السموات والارض من الملائكة والناس الا هو ياتى الله يوم القيامة مقرا بالعبودية والعبودية والبنوة تنافى ان حتى لو ملك الاب ابنه يعق عليه ونسبة الجميع اليه

(تسكاد السموات ينفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتشق الارض) أى تخسف بهم (وتخر الجبال هذا) أى تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا) أى من أجل أن جعلوا (لارجن ولدا) فان قامت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخروج الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة فى هذه المجادات قلت فيه وجهان أحدهما أن الله تعالى يقول كذبت أن أقبل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا فى على من تقوهم بالواحلى وأنى لا أعجل بالقوبة الثانية ان يكون استعظاما للكلمة وهو يلا من قضاها وتصويرا لاثرائها فى الدين وهذه الاركان وقواعده قال ابن عباس فرقت السموات والارض والجبال وجميع المخلوقات الا للثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولدا ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (وما ينبغي للرجن أن يتخذ ولدا) أى ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصفه لان الولد لا بد ان يكون شبيها بالوالد لا شبيها بالله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح فى الله تعالى من سرور به واستعانة وذكر جيل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى (ان كل من فى السموات والارض الا آل الرجن عبدا) أى أنه يوم القيامة عبدا لذليلا خاضعا والمعنى ان المخلوقات كلها عبيده (لقد أحصاهم وعدهم هذا) أى عد أنفاسهم واياهم وأثارهم فلا يحصى عليهم شئ من أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أى وحيد ليس معهم أحد حال الدناشئ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى عجة قيل يحبهم الله تعالى ويحبهم الى عباده المؤمنين (ق) عن أنى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى عبدا عا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فيمادى جبريل فى أهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض وفى رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا عا جبريل فقال انى أحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض وأذا أبغض الله عبدا عا جبريل عليه السلام فيقول انى أبغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء ان

٣٩ ن ث نسبة العبد الى المولى فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا وقرأ ابن مسعود آل الرجن على أصله قبل الاضافة (لقد أحصاهم وعدهم هذا) أى حصرهم بعلمه وأحاط بهم (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أى كل واحد منهم ياتيه يوم القيامة مفردا بالمال ولولا ذلك ولانهم ولا ناصر (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) مودة فى قلوب العباد قال الربيع يحبهم ويحبهم الى الناس وفى الحديث يعطى المؤمن مقعة فى قلوب الاربار ومهاية فى قلوب الفجار وعن قتادة وهم ما أقبل العبد الى الله الا قبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب بن ياسر تقر بعد ثناء فى الارض حتى يستقر له فى السماء

(فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بلغتك حال (لتبشر به المتقين) المؤمنين (وتنذره قومالدا) شدادا في الخصومة بالباطل اى الذين ياختلون في كل ليدى ٣٠٦ شق من المراء والجدال جمع الدريد به اهل مكة (ولم اهلكنا قبلهم

من قرن) تخوفهم وانذار
(هل تحس منهم من أحد) اى
هل تجد أو ترى أو تعلم والاحساس
الادراك بالحاسة (أو تسع لهم
ركزا) صوتا خفيا ومنه الركاز
اى لما اتاهم عندنا لم يبق
شخص يرى ولا صوت يسمع
يعنى هلكوا كلهم فكذلك
هؤلاء ان اعرضوا عن تدبر
ما نزل عليك فعاقتهم الهلاك
فلم ينزل عليهم من الله اعلم
(سورة طه صلى الله عليه وسلم
مكية وهى مائة وخمس
وثلاثون آية كوفى)

(بسم الله الرحمن الرحيم طه)
نحم الساء لاستعلائها وامال الماء
ابوعرو واما لها حزة وعلى
وخلف وابوبكر ونغمه ما على
الاصل غيرهم وماروى عن
مجاهد والحسن والفتح
وعطاء وغيرهم ان معناه ما راجل
فان صبح قضا هر والاقا لحتى
ما هو المذكور في سورة البقرة
(ما نزلنا عليك القرآن) ان
جعلت طه تعديد الاسماء
الحروف فهو ابتداء كلام وان
جعلتها اسما للسورة احتلت
ان تكون خبر اعناه وهى في
موضع المبتدأ والقرآن ظاهر
أوقع موقع الماض لانها قرآن
وان يكون جوابا لها وهى قسم
(الشيئ) اتعجب لمرط تاسفك

الله بعض فلاناف بعضهم بوضع له الخفاء فى الارض قال هرو بن حيان ما قبل عبد
بقابه الى الله عز وجل الا قبل الله القلوب المؤمنين البه حتى برزقه وموتهم وقال
كعب مكروب فى التوراة لاجمة لاحد فى الارض حتى يكون ابتداءها من الله عز وجل
ينزلنا على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك فى القرآن سيجعل لهم الرحمن
ودا قوله تعالى (فانما يسرناه) اى سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين)
يعنى المؤمنين (وتنذره) اى بالقرآن (قومالدا) اى شدادا فى الخصومة وقيل صما عن
الحق وقيل الالاد اظالم الذى لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعى الباطل (ولم اهلكنا
قبلهم من قرن) ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا او ايقنوا انه لا بد
من زوال الدنيا ما بولت خافوا ذلك وخافوا سواه والعاقبة فى الآخرة فكانوا الى المخذوم
المعاصى أقر بئنا كد ذلك فقال تعالى (هل تحس منهم) اى هل ترى وقيل هل تجد
(منهم) اى من القرون (من أحد أو تسع لهم ركزا) اى صوتا خفيا قال الحسن بادوا
جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده واسرار كنهه

(تفسير سورة طه)

وهى مكية وهى مائة وأربعة وقيل خمس وثلاثون آية وألف وست مائة واحد
واربعون كلمة وخمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون حرفا

عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التى فيها البقرة من
الذكر الاول واعطيت طه والطوا سين من الواح موسى واعطيت فواتح القرآن
وخواتم سورة البقرة من تحت العرش واعطيت الفصل نافلة الزيادة وقفنا الله
لهم ذلك

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (طه) قيل هو قسم اقسام الله بطوله وهدايته وقيل هو من اسماء الله
فالهاء افتتاح اسمه طاهر والماء افتتاح اسمه هادى وقيل معناه ما راجل والماء اديه النبي
صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون
قد اوقت لغة العرب هذه اللغات فى هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك
قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طال الارض بقدميك بريدته فى التهميد وذلك لما نزل
الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم عكة اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه
فى الصلاة لطول قيامه وكان يصلى الليل كله فانزل الله تعالى هذه الآية وامر ان يخفف
على نفسه فقال تعالى طه ما نزلنا عليك القرآن لتشتق وقيل لما رأى المشركون اجتهاده
فى العبادة قالوا ما نزل عليك القرآن يا محمد الا لانتقامك فزلت (ما نزلنا عليك القرآن
لتشتق) اى لتتعب وتعب (الا نذكرة لمن يشئ) اى لكن انزلناه عظة لمن يشئ وانما

عليهم وعلى كفهم وتحسر على أن يؤمنوا او بقيام الليل وانه روى أنه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت
قدمه فقال له جبريل ابقى على نفسك فان لها عليك حقا اى ما نزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وما بعث الا بالحنيفية السجدة
(الا نذكرة) استثناء منقطع اى لكن انزلناه نذرة احوال (لمن يشئ) لمن خاف الله او لمن يؤل امره الى الحشية

وهو سر الملك بما يردف الملك
جعلوه كناية عن الملك
فقالوا استوى فلان على العرش
أى ملك وان لم يقعد على السرير
المتقوه هذا كقولك يد فلان
مبسوطه أى جواد وان لم يكن
له يد دراسا والمذهب قول على
رضي الله عنه الأستواء غير
محمول والتكليف غير معقول
والإيمان به واجب والسؤال
عنه بدعي لانه تعالى كان ولا
مكان فهو على ما كان قبل خلق
المكان لانه غير عما كان (له)
ما في السموات و في الارض)
برو مبتدأ وموصوف (وما بينهما)
أى ذلك كله ملامه (وما تحت
الثرى) ما تحت سبع الارضين
أوهو الصخرة التى تحت الارض
السابعة (وان تجهر بالقول)
ترفع صوتك (فانه يعلم السر)
ما أسرته الى غيرك (واحق)
منه وهو ما خاطره بملك
أوما أسر ربه في نفسك وما
يسرهم فيها (الله لا اله الا هو
الاسماء الحسنى) أى هو واحد
بذاته وان افترقت عبارات
صفاته ردو قولهم انك تدعوا آفة
حين سمعوا السماء تعالى والحسنى

تأنيث الاحسن (وهل اى وقد اتاك حديث موسى) خبره قدام قصة موسى عليه السلام بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كالهاموسى (اذراى) ظرف لضمر اى حين منفعول بلا ذكر روى ان موسى عليه السلام استأذن شعبا فى الخروج الى ابيه وخرج اباهم لمثله وقد ضل الطريق وقرعت ماشيته ولا ماء عنده وقد فصله زنده فرأى عند ذلك

مظلمة مثله وقد ضل الطريق وقررت ماشيته ولا ماع عنده وقد حاصله زنده فرأى عند ذلك ناراً في زعمه وكان نوراً

(فقال لاهله امكثوا) اقيموا في مكانكم (اني آتيت) اصبرت (نارا) والايانس رؤية شيء يؤنس به (اعلى آتكم منها) في الامر على الرجاء لئلا يبعد ما ليس يستيقن الوفاء به (يقبس) نار تقيس في رأس عود اوقية تلة (واجد على النار هدى) ذوى هدى اوقوا مهادوني الطريق ومعنى الاستعلاء ٣٠٨ في على النار ان اهل النار يستعملون المكان القريب منها (فلما

اتاهها) اى النار وجد نارا باضاء تتوقد في شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها وكانت شجرة العناب او العوسج ولم يحدد عندها احدا وروى انه كلما عليها بعدت عنه فاذا تر كما قربت منه فثم (نودى) موسى (يا موسى انى) بكسر الهمزة اى نودى ف قيل يا موسى انى اولان النداء ضرب من القول فعول معاملة و بالفتح مكى وأوعمر و اى نودى باني (انا ربك) انا مبدأ اولنا كيداو فضل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة واما طمة الشبهة روى انه لما نودى يا موسى قال من الحكم ف قال الله عز وجل انا ربك فعرف انه كلام الله عز وجل بانه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع اعضائه (فاخلع نعليك) انزعها لتصيب قدميك بركة الوادى المقدس واولانها كانت من جلد حمار ميت غير مذبوح اولان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهم او اتاههم امن وراء الوادى (انك بالواد المقدس)

على غير الطريق مخافة ملوك الشام و امر انه حامل في شهره لا يدري الى اين تضع أم نارا فسار في البرية غير عارف بطريقها فاجاه المسير الى جانب الطور العسرى الى اين وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما اراد الله من كرامته فأخذ امر انه اطلق فأخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فأصر نارا من بعد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) اى اقيموا (اني آتيت نارا) اى اصبرت نارا (اعلى آتكم منها يقبس) اى شعله من نار في طرف عود (أوجد على النار هدى) اى اجد عند النار من يدلى على الطريق (فلما اتاهها) اى اتى النار رأى شجرة خضراء من اعلاها الى اسفلها اطافت بها نار يضاء تنقد كضوا ما يكون فلا ضوء النار غير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تعوضه النار قيل كانت الشجرة شجرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت لم يكن الذي رآه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه الصلاة والسلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هي النار بعينها وهى احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روى عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجاب النار لو كشفها لاهلكت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصر من خلقه أخر حبه مسلم قبل ان موسى أخذ شيئا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كالدناناات عنه واذ انأى دنت منه فوقف مخبر اوسع تسبيح الملائكة واقبلت عليه السكينة فعند ذلك (نودى يا موسى انى اناراك) قال وهب نودى من الشجرة ف قيل يا موسى فاجاب سرى بعوا ما يدري من دعاه فقال انى اسمع صوتك ولا أرى مكانك ف اى أنت فقال انا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل أجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا وقوله (فاخلع نعليك) كان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود مرفوعا في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وروى غير مذبوح وانما أمر بخلعهما صيانة للواى المقدس وقيل أمر بخلعهما ليشترق يديه تراب الارض المقدسة لتتأهل بركتها فانها قدست مرتين بخلعهما موسى فالتأهلا من وراء الوادى (انك بالواد المقدس) اى المطهر (طوى) اسم للواى الذى حصل فيه وقيل طوى وادمت بترجمي مثل المطوى فى استدارته (وانا اخترتك) اصطفتك رسالاتى وبكلامى (فاستمع لى) بوحى) فتمت به الهية والجلال له كانه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له (اننى انالله لآله الا انافاعدىنى) ولا تعبد غيرى (واقم الصلوة كرى) اى لذ كرى فيها وقيل

المطهر والمبارك (طوى) حيث كان منون شامى وكفى لانه اسم للواى وهو يدل منه وغيرهم بغير لذكرى تموين بتأويل البقرة وقرا أبو زيد بكسر الطاء لالتوين (وانا اخترتك) اصطفتك للنبوة وانا اخترتك شجرة (فاستمع لى) بوحى) اليك الذى بوحى وألوحى باللام يتعلق باستمع وأياخترتك (اننى انالله لآله الا انافاعدىنى) وحدى وأطعنى (واقم الصلوة لذ كرى) تذ كرى فيها لاشتغال الصلوة لى الاذكار ولا تى ذكرتها في الكتاب وامر بها اولان اذ كرك بالمدح والثناء اوله كرى خاصة لا تشوبه

وقتهما من الحكمة وهوانهم
 اذ لم يعلموا متى تقوم كانوا على
 وجل منها في كل وقت الخبر
 به (التجزي) متعلق بآية (كل
 نفس بما تسعى) يستعيان
 خبر اوشر (فلا يصدق عنها)
 فلا يصدقك عن العمل لساعة
 أو عن اقامة الصلاة أو عن
 الايمان بالقيامة فالحطاب موسى
 والمراذبه امته (من لا يؤمن
 بها) لا يصدق بها (واتبع
 هواه) في مخالفة امره (فتردى)
 تلهك (وما تلك بيمينك ياموسى)
 ما مبتدأ أولئك خبره وهى بمعنى
 هذه ويمينك حال عمل فيها معنى
 الإشارة أى قارة أو مأخوذة
 بيمينك أو تلك موصول صلته
 بيمينك والسؤال للاتباع للتعق
 لمحزنة بها بعد التثبت واللاوطن
 لئلا يقول انقلابا حادثة أو
 لا لا يناس ووقع الهمية للأكالة
 (قال هى عصاى اتوكتا عليها)
 اعتمد عليها اذا أعيت او
 وقفت على رأس القطع وعند
 الظفرة (واهش بها على غنمى)
 اخبط ورق الشعر على غنمى
 تأكل (ولى فيها) حفص

لذكري خاصة لا شوبه بذكري غيري وقيل لخلاص ذكرى وطلب وجهي ولا ترائي فيها ولا لتقصدها غرضاً آخر وقيل معناه اذا تركت الصلاة تمزجتها بغيرها (ق) عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة قبل فصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وثلاثة اذ قام الصلوة لذكري وفي رواية اذا رقد احدكم عن الصلاة او غفل عنها قبل فصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول واقم الصلاة لذكري (ان الساعة آتية اكدافها) قالوا كثر المفسرين معناه اكدافها من نسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف أظهرها لهم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في الكتمان للشيء يقولون كتمت سر كفي نفسي أي اخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفي عليه شيء والمعنى في اخفاءها التهويل والتقويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصي الى أن يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيخلص من عقاب المعاصي يتعريف وقت الموت وان الله لم يعرف وقت موته لانه زال على قدم الخوف والوجل فترك المعاصي أو يتوب منها في كل وقت مخافة معاجلة الاحل قوله تعالى (اتخز كل نفس مما هي أتعلى أي عما تعمل من خير وشر فلا يصدك عنها من لايؤمن بها) أي فلا يصدك عن الايمان بالساعة ومجيئها من لايؤمن بها (واتبع هواه) أي مراده وخالف أمر الله (فتردى) أي فتهلك قوله عز وجل (وما تلك بيمينك يا موسى) سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وقت قبضه على انهما عصا حتى اذا قبلها حجة علم انها معجزة عظيمة (قال هي عصاى) قيل كن لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها مخجج واسمها بئعة (أو كأعليها) أي اعتمد عليها اذا مشيت واذا عابت وعند الوبوة (وأهش بها على غنمي) أي اضرب بها الشجرة الباسية ليسقط ورقها فترعاه الغنم (ولي فيها ما رب أخرى) أي حاجة ومنافع أخرى وأراد بالمال ربا ما كان يستعمل فيه العصفاء السفر فكان يحمل بها الزاد يشدها الحمل ويستقي بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروى عن ابن عباس أن موسى كان يحمل عليا اذا دوسه سقاء فجعلت عشاها وتصدعوا كان يضرب بها الارض فيفترج له ما ياكل يومه وركبها فيخرج الماء فاذا رقعها ذهب الماء وكان اذا اشتبه ثمره كرها فتصير غصن تلك الشجرة تورق وتثمر واذا اراد الاستقاء من البئر ادلاها

(ما تـرب) جمع مأدبة بالحرركات الثلاث وهي الحاجة (أخرى) والقياس أنخروا فقال آخرى ردا إلى الجماعة أولنسى الآتى وكذا الذكرى وما ذكر بعضه شركا أجل الباقي حياء من التطويل أو يسأل عنها الملك العلام فيزيدي فى الأكرام والمتأرب
والآخرها كانت تماشيه وتجد نه وتحارب العدو والسباع وتضرب رؤساء قتل طول البر وتضرب شعيتها ها دلوا وتكرن شيعتين
وتجمل زادهم كزها فتشتر ثمره تشتهبها وبر كزها فينبع الماء فازدعها مضى وكانت تقيه الهوام والزفاد على
الجواب لتعداد النعم شركا أولانها جواب سؤال آخره اسأله هي عصا قبل له ما تصنع بها فاخذ به بعد منافعها

(قال ألقماداموسى) اطرح عصاك لتتزعج عمتك على علمه فلا تسكن الابنا وترى فيها كنهه ما فيه سامن المأدب فتعبد
علينا في المطالب (فالقها) فطرحها (فاذا هى خيبة تسبح) تسبح سر يعاقب لثعبان يتلع العزرا والشجر فلما رآها
تتلع كل شئ خاف وانما وصف بالحمة هنا والثعبان وهو العظم من الحيات والجبان وهو الدقيق في غيرهما لان الحمة
اسم جنس يقع على الذكرو الانثى والصغرو الكبير ٣١٠ وحازان تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يزيد جرمها حتى يصير

ثُمَّ بَانَ فَأَرَادَ بِالنَّحْلِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا
وَبِالْعَبَانِ مَا تَلَاهَا وَأَلَانَهَا كَانَتْ
فِي عِظَامِ الثَّعْبَانِ وَسُرْعَةَ الْجَبَانِ
وَقِيلَ كَانَ بَيْنَ تَحْمِيهِمْ أَرْبَعُونَ
فَرَسًا وَكُلُّهَا (قَالَ) لَهُ رِبَّةٌ خَذَهَا
(وَلَا تَخَفْ) بَالِغٌ مِنْ ذَهَابِ خَوْفِهِ
أَنْ إِذْ خَلَّ يَدُهُ فِيهَا وَاحْذَرِ
بَلْعِيهَا (سَمِعْتُهَا) سَمِعَتْهَا
(سَرَّهَا الْأُولَى) تَائِدَتْ الْأُولَى
وَالسَّيِّئَةُ الْحَالَةَ الَّتِي كُنَّ عَلَيْهَا
الْإِنْسَانُ غَرِيزَةٌ كَانَتْ أَوْ
مَكْتَسِبَةٌ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ فَعْلَةٌ
مِنَ السَّيْرِ كَرَكِبَتْ مِنَ الرُّكُوبِ
ثُمَّ اسْتَعْمِلَتْ بِمَعْنَى الْحَالَةِ
وَالطَّرِيقَةِ وَاتَّصَبَتْ عَلَى
الظَّرْفِ أَيْ سَمِعَتْهَا فِي طَرِيقَتِهَا
الْأُولَى أَيْ فِي حَالِهَا كَانَتْ عَصَا
وَالْمَعْنَى نَزَدَهَا عَصَا كُلِّ كَانَتْ
وَأَرَى ذَلِكَ مُوسَى عِنْدَ الْخَفَاطَةِ
لِئَلَّا يُفْرَغَ مِنْهَا إِذَا انْقَلَبَتْ
حَيْثُ تَقْدِرُ فَرَعُونَ ثُمَّ نَسَهُ عَلَى
أَيَّةٍ أُخْرَى نَسَالَ (وَاضْمِمْ دُكَّ
الْيَخْلُوحِ) إِلَى جَنْبِ كَلِمَتِ
الْعَصَا وَجَنَّا نَحْلَ الْإِنْسَانِ جَنَبَاهُ
وَالْأَصْلُ الْمُسْتَعَارُ مِنْهُ جَنَاحَا
الطَّائِرِ سَمِيََا جَنَاحَيْنِ لِأَنَّهُمَا يَخْفِضُهُمَا
أَيَّ عِيَاهُمَا عِنْدَ الطَّيْرَانِ وَالْمَعْنَى
إِذْ خَلَّاهُمَا تَقَدَّرَ دُكُّ (تَخْرُجُ
بِضَاءٍ) لَهَا شِعَاعٌ كَشِعَاعِ

الشمس يغشى البصر (من غيوبة) برص (آية أخرى) لنبتوا يضاء وآية حالان معا ومن غير سوء صلة (أذهب
يضاء كقولنا أبيض من غير سوء وجاز أن نكتب آية يفعل محذوف يتعلق به الامر (لنبتوا من آياتنا الكبرى) أى
أخذ هذه الآية أيضا بعد قلب المصاحفة لتربل بها نين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى أونربل بهما الكبرى من
آياتنا أو المعنى فلهذا ذلك لتربل من آياتنا الكبرى

(أذهب إلى فرعون أنه طاعني) جاوز حد العبودية إلى دعوى الربوبية وما أم به بالذهاب إلى فرعون الطاغية وعرف أنه كاف
 أم اعظمه احتياج إلى صدر فيج (قال رب انشر حل صدري) وسعه ليعتدل الرحي والمشاقي وردى الأخلاق من فرعون
 وجنده (ويسري أمرى) وسهل على ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون واشترى حل صدري أكرم من انشر صدري
 لأنه تسري لغنى الواحد من طريق الاحمال والتفصيل لأنه يقول ٣١١ انشر حل ويسري على علم أن ثمة مشر وحامو يسري انشر

رفع الأجر هام بذكر الصدر والامر
 (واحل عقدته من لسانى)
 وكان في لسانه رنة للجمرة التي
 وضعها على لسانه في ضيائه وذلك
 أن موسى أخذ لحية فرعون
 واطمعه لطمعة شديدة في صغيره
 فأراد قتله فقالت آتية أي الملك
 أنه صغير لا يعقل فخلت في طشت
 ناراً وفي طشت يواقيت ووضعتهما
 لدى موسى فقصداً لواقيت
 فالئل الملك بدءاً إلى النار فرفع
 جرة فوضعها على لسانه فاحترق
 لسانه فصارت لسانه مكنة منها وروى
 أن يده احترقت واحتجده فرعون
 في علاجها فلم يبرأ ولم يدعاه قال
 إلى أي رب تدعوني قال إلى الذي
 أبرأ يدى وقد عجزت عنها ومن
 لسانى صفة العقدة كأنه قيل
 عقدة من عقد لسانى وهذا شعر
 بأنهم تزل العقدة بكلماتها وأنهم
 على ذهاب جميعها (يقفه واقولى)
 عند تبليغ الرسالة (واجعل لى
 وزيراً) ظهر الاعتماد عليه من
 الوزير الثقيل لأنه يتحمل عن الملك
 أوزاره ومؤثرته أو من الوزير المتبحر
 لأن الملك يعتمد على رأيه ويأمنه
 إليه في أموره أو معينا من
 الموازنة وهي المعاونة ووزيراً

(أذهب إلى فرعون أنه طاعني) أي جاوز الحد في العصيان والتمرد وانما خص فرعون
 بالذكر مع أن موسى كان معبوداً إلى السجل لأنه ادعى الألوهية وتكبر وكان متبوعاً فكان
 ذكره الأولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق
 برسالتي وإنك بعيسى وسعي وإن معك يدي وبصرى وإنى ألسنك حجة من سلطانى
 تستكمل بها القوة في أمرى بعثتك إلى خاق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى
 حتى يخذلنى وأنكر بوبى وفى أقسم بعزقى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خاقى
 لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عيني فباعه رسالتى وادعاه إلى عبادتى
 وحذره فتمتى وقوله قولاً لا يلائم باعتدال لباس الدنيا فان ناصبته يمدى ولا ينفس الا
 بعلى قال فسكت موسى فساءه ملك وقال له أحبر ربك (قال) يعنى موسى (رب
 انشر حل صدري) أى وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك أن
 موسى كان يخاف فرعون خوفاً شديداً وشو كته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كاف
 من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحداً لا يقدر
 على مضرتة إلا بأذن الله تعالى وأداعلم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شو كته وكثرة
 جنوده (ويسري أمرى) أى سهل على ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون
 (واحل عقدته من لسانى) وذلك أن موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فطمع
 فرعون لطمعة وأخذ لحية فقال فرعون لأمه أنه آتية أن هذا عدوى وأراد أن يقتله
 فقالت له آتية أنه ضئيل لا يعقل وقيل إن أم موسى لما طمعه ردت إلى فرعون فشا في
 حجره وجرح أمه برأيه واتخذ أولاداً فينما هو يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب
 أذرفه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون ونظير منه حتى هم بقتله فقالت آتية
 أي الملك أنه ضئيل لا يعقل حربه أن شئت فساءت بطشتين في أحدهما جروى في الآخر
 جوهراً فوضعها بين يدي موسى فأراد أن يجرها فأخذ جبريل يده موسى فوضعها
 على الحجر فأخذ جرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة (يقفه واقولى)
 أي أحل العقدة كي يفهمه واقولى (واجعل لى وزيراً من أهلى) أى معينا وظهيراً
 والوزير من يوازرك ويحتمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون أختى)
 وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لساناً وأجل وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى
 آدم أفتى جدداً (اشدبه أزرى) أى قويه ظهري (وأشركه في أمرى) أى في أمر النبوة
 وتبليغ الرسالة (كى تسبجك كثيراً) أى نصلى لك كثيراً (ونذكرك كثيراً) أى

مفعول أول لاجعل والثاني (من أهلى) أولى وزيراً مفعولاً له وقوله (هرون) عطف بيان لوزير وقوله (أختى) بدل أعطف بيان
 آخر وزيراً وهرون مفعولاً له وقدم ثانيهما على أولهما معانية بأمر الوزارة (اشدبه أزرى) قويه ظهري وقيل الأزر القوة
 (وأشركه في أمرى) أجهله شريكى في النبوة والرسالة واشدود أشركه على حكاية النفس شامخ على الجواب والبالا قون على
 الدعاء والسؤال (كى تسبجك كثيراً) نصلى لك وتزهدك تسبجاً كثيراً ونذكرك كثيراً في العلوات وظارجهما

(أنت كنت بنا بصيرا) عالمنا بالحوادث فاجابه الله تعالى حيث (قال قد أوتيت سؤالك يا موسى) أعطيت مسؤلك فالسؤل الطلبة فعل بمعنى معقول تكبر بمعنى مخبر وسؤلك بلاهـ مزأوعرو (ولقد علمنا) أنعمنا (عليك برة) كرة (أخرى) قبل هذه ثم فسر هاتقان (أذ أوحينا إلى أمك ما أوحى) الهامنا واما ما حين ولدت وكان فرعون يقتل امثالك واظفر لمنسانهم فسر ما أوحى بقوله (أن أفذه فيه) القبه (في التابوت) وأن فسر لان الوحي بمعنى القول (فاقد فيه في اليه) النيل (قليله اليه بالساحل) المحانب وسمى ساحلا لان الماء يسجله أي يشربه والصبغة أمر ليناسب ما تقدم ومعهناه الاخبار أي ببقية اليه بالساحل (ياخذ عدولتي وعدوله) يعني فرعون والضمة اثر كاهل راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت يقضى الى تاسر النظم والمقدوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى في جوف التابوت روى انها جعلت في التابوت قطنا ملحوا جافا وضعت في ٣١٢ فيه وقبرته ثم القته في اليه وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير

لحمك ونثي عليك عا اوليتنا من جيل نعمك (أنت كنت بنا بصيرا) أي خير اعلمنا (قال) الله تعالى (قد أوتيت سؤالك يا موسى) أي أعطيت جميع ما سألته (ولقد علمنا) عليك مرة أخرى) أي قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله تعالى (أذ أوحينا إلى أمك ما أوحى) أي ما يلهم ثم فسر ذلك الهام وعدد نعمه عليه قال (أن أقد فيه في التابوت) أي الهمناه ان اجعليه في التابوت (فاقد فيه في اليه) يعني نهر النيل (قليله اليه بالساحل) يعني شاطئ البحر (ياخذ عدولتي وعدوله) يعني فرعون فاخذت نابو واوجعلت فيه قطنا ووضعته فيه موسى وقبرته رأسه وشقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فيمنما فرعون جالس على البر كتمع امر أنه آسية اذا هو بتابوت يجيء به الماء فامر الغلمان والجواري بأخراجه فاخرجوه وقبحوا رأسه فاذا بصي من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون احبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى (والقبت عليك محبة مني) قال ابن عباس احبه وحببه الى خلقه قيل ما رآه أحد الا أحبه للاحة كانت في عيني موسى (ولتضع على عيني) لترني ويحسن اليك وانما اريك ومر اقبل كبري الى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه (ادعشني) اختسك واسمها مريم معروفة خبره (فبقول هل ادلكم على من يكفله) أي على امرأة مرضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم اختبه ذلك قالوا نعم فجات بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك الى أمك كي تقر عينها) بلعائلك (ولا تحزن) على فراقك (ولا تحزن) أي وليذهب عنها الحزن (وقلت نفسا) قال ابن عباس كان قتل قطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثني عشر سنة (فخفيك من الغم) أي من غم القتل وكره (وقلتنا فتوتا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن

فيمنما هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا التابوت فامر به فأخرج ففتح فاذا بصي أصبح الناس وجها فاحبه فرعون حبشديد فذلك قوله (والقبت عليك محبة مني) يتعلق مني بالقيت يعني اني احببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب فما رآه أحد الا احبه قال قتادة كان في عيني موسى ملاحظة ما رآه أحد الا احبه (ولتضع) معطوف على مخذوف تقديره (والقبت عليك محبة لتحب) ولتضع (على عيني) أي لترني برأي مني وأصله من صنع الفرس أي أحسن القيام عليه يعني انا مر اقبل كبري الى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ولتضع بسكون اللام والجزم يزبد على انه أمر منه (ادعشني) يدل من

عباس

اذ اوحينا لان مشي اخته كان منه عليه (أنتك فتقول هل ادلكم على من يكفله) روى أن اخته مريم جات متعرفة فخير به فصادقهم يطالبون له مرضعة فقيل ثديها وكان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل ادلكم على من يضمه الى نفسه فخير به وازادت بذلك المرضعة الام وتند كبر الفعل للفظ من فقالوا نعم فجات بالام فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك) فردناك (الى أمك) كما وعدناها بقولنا انا وده اليك (كي تقر عينها) بلعائلك (ولا تحزن) على فراقك (وقلت نفسا) قطيا كافرا (فخفيك من الغم) من القود قيل الغم القتل بلغة قريش وقيل اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن افتتاص فرعون فقفر الله له باستغفاره قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجها من فرعون بان ذهب به من مصر الى مدين (وقلتنا فتوتا) ابتليناك ابتلاء ياتيك في الحزن وتبليصك منها والفتون مصدر كالقعود اوجعم فتنة أي قتلك ضرربا من الفتى والفتنة المحنة وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة وتبليو كماله والنجبر فتنة

(فلبث سنين في اهل مدين) هي بالده شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر قال وهب ابنت عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر لصفوراء واما عندده ثمان عشرة سنة بعدها حتى ولد له اولاد (ثم جئت على قدر يا موسى) اي مودع ومقدار الرسالة وهو اربعون سنة (واصطعك لنفسي) اخترتك واصطفيتك لوجي ورسالي لتتصرف على ارادتي ومحبتي قال الزجاج اخترتك لامي وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني ٣١٣ وبين خلقي كما ينبغي اقت عليهم الحجة

وخاطبتهم (اذهب أنت واخوك يا ياق) بجهزاتي (ولاننا) تقبلا من الوني وهو القبور والتقصير (في ذكرى) أي اتخذ اذكري جنات طهيران به او اريد بالذكر تليخ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتليخ الرسالة من اعظمها (اذها الى فرعون) كدلان الاول مطلق والثاني مقيد (انه طاني) جاوز الحد بادعائه الربوبية (فقولاه قولنا) الطفا له في القول لما له من حق تربية موسى او كنياء وهو من ذوى الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة او عدها شبانا لا يهرم بعدهم ولا يكبر معناه الابلاوط اوهو قوله هل لك ان تتركى واهدك الى دين فحشنى فظاهره الاستفهام والمشورة (عليه يسذكر) أي يتعظ ويتأمل فيذعن للحق (اويحشني) أي يخاف ان يكون الامر كما تصفان فيعبره انكاره الى الهلكة وانما قال اعلمه يتذكر مع علمه انه لا يتبدد لان الترحي لهما أي اذبعاعا على رجاءكما وطعمكما وباشرا لآخر

عباس القتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها اولها ان أمه جلمته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه في البحر في التباوت ثم منعه من الرضاع الامن بذي أمه ثم اخذ به لبعية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الحجر بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين خائفا (فلبث) اي مكثت (سنين في اهل مدين) هي بالده شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب ابنت موسى عند شعيب ثمانا وعشرين سنة عشر سنين منها ربعي الغنم مهر زوجته صفوراء اربعة سنين وثمان عشرة سنة اقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثني عشر سنة هاربا (ثم جئت على قدر يا موسى) اي جئت على القدر الذي قدرت ان تحب في فيه قيل على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحى الى الانبياء فيه (واصطعك لنفسي) اي اخترتك واصطفيتك لوجي ورسالي لتتصرف على ارادتي ومحبتي وذلك ان قيامه باداء الرسالة تتصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لامي وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كما ينبغي اقت عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت واخوك يا ياق) أي بدلا لثاني قال ابن عباس يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى عليه السلام (ولاننا) أي لا تضعنا وقيل لا تقترأ ولا تقصر (في ذكرى) أي لا تقصر افي ذكرى بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها (اذها الى فرعون) انه طغى فقولاه قولنا (فقولاه) أي دارياه وارفضاه قال ابن عباس لا تعنف في قولكما وقيل كنياء فقولاه يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وقيل اراد بالقول الاين قوله هل لك الى ان تتركى الا يتوقيل انما هم بالاطافة لما له من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الايمان شبانا لا يهرم وملك الا ينزع عنه الابلاوط وتبقى عليه لذة المظم والمشرى والمنسكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك اعجبته وكان لا يقطع امر ادون هاهنا وكان غائبا فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال له هاهنا كنت اري ان لك عقلا ورايا انت رب تر يدان تكون ربوبيا وانت تعبد تر يدان تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فقلعه على رأيه وكان هرون بمصر فامر الله موسى ان ياتي هرون واوحى الله اليه هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى فقلعه الى مرحلة واخبره بما اوحى اليه وقوله تعالى (عليه يتذكر اويحشني) أي يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت كيف قال عليه يتذكر وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذبعاعا على رجاء منسكح وطمع وقضاء الله وراة امر كما وقيل هو الزام الحجة وقبح المعذرة

٤٠ ن م ش مباشرة من طمع ان يحرم عمله وحدوى ارساله اليه مع العلم بان له من الزام الحجة وقصع المعذرة وقيل معناه عليه يتذكر كرمته كراويحشني خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد نكره ولكن حين لم يسمعه الله كرمه وقيل تذكر فرعون وخشيته واذا اتباع موسى فبعثه هاهنا وكان لا يقطع امر ادونه وتليت عند يحيى بن معاذ فبكي فقال هذرا فقل بكن يقول انا اله فكيف فبكن قال انت الاله وهذا فقل بكن قال انا ربكم الاعلى فكيف فبكن قال سبحان ربى الاعلى

(قالوا بنا لنأخاف ان يفرط علينا) يحمل علينا بالقوة ومنه الفارط يقال فرط عليه اي عجل (او أن يطغى) يجاوز
 الحمد في الاساءة البنا (قال لأخافا اني معكما) اي حافظكم وناصركم (اسمع) اقوالكم (واري) افعالكم كما قال ابن عباس رضي
 الله عنهما سمع دعاءكم فاجيبه واري ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهما (فأنياه) أي فرعون (فقلوا انارسولا
 ربك) (البك) (فارسل معنا بنى اسرائيل) ٣١٤ أي اطلعتهم عن الاستعباد والاسترقاق (ولا تعذبهم) بتكليف المشاق

(قد جئناك يا يعقوب بن ربك) بحجة على صدق ما ادعيناه وهذه الجملة جارئة من الجملة الاولى وهي انا رسول ربك محسرى البيان والتفسير والتفصيل لان دعوى الرسالة لا تثبت الا بدينها وهي الحجة بالآتي فقال فرعون وماهى فخرج يده لمشايع كنعان الشمس (والسلام على من اتبع الهدى) اي سلم من العذاب من اسلم وليس بحجة وقيل وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين (انافدا وحى النينا ان العذاب فى الدنيا والعقبى على من كذب بالرسول وتولى) اعرض عن الايمان وهي ارجى أى القرآن لانه جعل جنس السلام للأومن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شئ فأنياه وادبا الرسالة وقالوا ما امر به (قال فنر بكما ياموسى) خاطبهما ثم نادى أحدهما لان موسى هو الاصل فى النبوة وهرون تابعه (قال ربنا الذى اعطى كل شئ حكمة)

كقوله تعالى ولوا ان اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ان ارسلت النار لولا فنتبع آياتك وقيل هو يصر فى غير فرعون مجازة لعله يتذكر مذكرا ويحشى خاش اذا رأى برى والطافى عن خلقته وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تدبر فرعون وحشى حين لم تنفعه الذكري والخشية وذلك حين أجمعه الغرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازى فقل لاله قولنا لاله لا يهيكى يحيى وقال الهى هذا فرقك بين يقول ان الاله فكيف فرقك بين يقول أنت الاله (قالا) يعنى موسى وهرون (ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا) قال ابن عباس يحمل علينا بالقول والعقوبة (أو أن يطغى) أي يجاوز الحمد في الاساءة البنا (قال) الله تعالى (لأخافا اني معكما اسمع واري) قال ابن عباس اسمع دعاءكم فاجيبه واري ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهما (فأنياه) فقلوا انارسولا ربك اي ارسلنا البك ربك (فارسل معنا بنى اسرائيل) اي خسل عنهم وأطلعتهم من اعمالك (ولا تعذبهم) اي لا تعذبهم فى العمل وكان فرعون يستعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الخجور مع قتل الولدان وغير ذلك (قد جئناك يا يعقوب بن ربك) قال فرعون وماهى فخرج موسى يده لمشايع كنعان الشمس وقيل معنا قد جئناك بمجزة وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه سلام التمجيد بل انعامه سلم من العذاب من اسلم (انافدا وحى النينا أن العذاب على من كذب وتولى) اي انما يعذب الله من كذب بجائته واعرض عنه (قال) يعنى فرعون (فنر بكما ياموسى) اي فن الهك الذى ارسلناك (قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى) أى كل شئ يحتاجون اليه ويرتفعون به وقيل أعطى كل شئ صلاحه وهذه وقيل أعطى كل شئ صورته فخلق اليد للامس والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هدا الى منافعهم اطعمهم المشرب والمنكح وقيل يعنى جعل زوجة الرجل المرأة البعير الناقة والفرس المكة وهى الخيرة والحمار الاثان ثم هدى أنفسهم كيف ياتى الذكر الانثى (قال) يعنى فرعون (فابال القرون الاولى) أى فاحال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد ودفانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الخالية فيندفد قال فرعون فابال القرون الاولى (قال) يعنى موسى (علمها عند ربى) أى أعلمهم بحقيقة عند الله يجازى بها وقيل انما

خلقه اول مفعولى اعطى اى خلقه كل شئ يحتاجون اليه ويرتفعون به او انما هم اى اعطى كل شئ صورته وشكله الذى مطابق للذمة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذا الانف والرجل واليد وكل واحد منها مطابق للذمة المنوطة بها وقرأ نصير خلقه صفة لضاف والاضاف الى اعطى كل شئ مخلوق عطاء (ثم هدى) عرف كيف يرتقى بما اعطى للمعشة فى الدنيا والعادة فى العقبى (قال فابال القرون الاولى) فاحال الامم الخالية والرمم البالية ساله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد (قال) موسى يجيبا (علمها عند ربى) بمبدأ وخبر

(في كتاب) أي اللوح خبر أن أي هذا سؤال عن الغيب وقد أسأرت الله لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في الألواح الخفية (لا يضل ربي) أي لا يخطئ شيئاً يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم يتهد له أي لا يخطئ في سعادته الناس وشقاوتهم (ولا ينسئ) توأهم وبعثهم وقيل لا ينسئ ما علم فيذكره الكتاب ولكن يعلم الملائكة أن معمول الحق يوافق معلومه (الذي) مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح (جعل لكم الأرض مهداً) كوفي وغيرهم مهداً أوهما العنان لما يسطو ويفرش (وسلك) أي جعل (لكم فيا سبيلاً) طرقاً (وأنزله من السماء ماء) أي مطراً (فأخرجنا به) بالماء نقل الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للافتتان وقيل تم كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فأخرجنا به وقيل هذا كلام موسى أي فأخرجنا به الخرج بالخرائط العرس (أزواجاً) أصفاً من نبات هو مصدر سمي به النبات فاستوى ٣١٥ فيه الواحد والجمع (شئ) صفة للأزواج

أول النبات جمع شتت مكرّص
 ومرضى أى أنها مختلفة النوع
 والطعم واللون والرائحة والشكل
 بعضها للناس وبعضها للبهائم
 ومن نعمته تعالى أن ارزقنا
 تحصل بعمل الانعام وقد
 جعل الله عليها مما يفضل
 عن حاجتنا على التندر على آكله
 قائلين (كلوا وارعوا أنفسكم)
 حال من الضمير في فآخرجنا
 والمعنى أخرجنا أصناف النبات
 آ ذنين في الانتفاع بهما مبيين
 نأكلوا بعضها ونعلقوا بعضها
 (ان في ذلك) في الذى ذكرت
 لآيات دلالات (لاولى الهى)
 لدوى العقول واحدها هانية
 لانها تنهى عن الخضوار وانتهى
 إليها في الامور (منها) من

رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه (في كتاب) يعني الوح الحفوظ (لا يصل ربي) أى لا يخفى وقيل لا يغيب عنه شئ (ولا ينسى) أى يتذكر وقيل لا ينسى ما كان من أعمالهم حتى يتجاوزهم بها (الذى جعل لكم الارض مهدا) أى فراشا وقيل مهدا لكم (وسلك لكم فيها سبلا) أى ادخل في الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها (وازل من السماء ماء) يعنى المطر ثم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى (فأتخرجابه) أى بذلت الماء (أزواجا) أى أصنافا (من نبات شتى) أى مختلف الالوان والظهور والمنافع فيها ما هو للناس ومنها ما هو للدواب (كلوا وارعوا أنعامكم) أى أخرجنا أصناف النبات للارتفاع بالاكل والرى (ان في ذلك) أى الذى ذكر (آيات لاولى النهى) أى لذوى العقول قبلهم الذين يفتنون عبادهم الله عليهم (مننا خلقناكم) أى من الارض خلقنا آدم وقيل ان الملك يطلق فأخرجكم من التراب الذى يدفن فيه فيذره في الطفة فيخلق من التراب ومن الطفة (وفيها نعيدكم) أى عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم تارة أخرى) أى يوم القيامة للبعث والحساب قوله تعالى (ولقد أوتينا) يعنى فرعون (آياتنا كلها) يعنى الايات النسخ التى أعطاه الله موسى (فكذب وأبى) يعنى فرعون وزعم انها سحر وأبى أن يسلم (قال) يعنى فرعون (احمنا لنخرجنكم من أرضنا) يعنى مصر (سبحرك يا موسى) تريد ان تغلب على دارنا فإيكون لك الملك وتخرجنا منها فلما نبتك سحر مثله فأجعل يديننا وبينك موعدا) أى اضرب أجلا وميعاتا (للتخلفه)

الارض (خلقناكم) أى اياكم آدم عليه السلام وقيل يعنى كل نطفة بشئ من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا وان النطفة من الانثى وهى من الارض (وفينا نعيدهم) اذا تم قديمتم (ومنها نخرجكم) عند البعث (نارة اخرى) مرة اخرى والمراد باخراجهم أنه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى الخضر عند الله عليهم ما عاق بالارض من مرافقتهم حيث جعلها لهم فراشاً ومهاداً يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف النبات التى منها اقواتهم وعولقات بها تمهم وهى اصلهم الذى منه تفرعوا وامهم التى منها ولدوا وهى كفاتهم اذا ماتوا (ولقد ارسلنا) أى فرعون (آياتنا كلها) وهى سبع آيات العذاب والوقى البحر والجحر والجراد والقمل والضفادع والدم وتنق الجبل (فكذب) الايات (والى) قبول الحق (قال) فرعون (اجئتنا الخضر جانا من ارضنا) مصر (بسحر كى ما موسى) فيه دليل على انه خاف منه خوفاً شديداً وقوله بسحرك تعلى والا فأى ساحر يشدر ان يخرج ملكاً من ارضه (قلنا اينك بسحر مثله) فلما عاودك بسحر مثله بسحرك (فاجعل بيننا وبينك موعداً) هو موعدى الوعدى بتدوم مضاف الى مكان موعدى الضمير (لا تخلفه) لا وعدك ان ترد الجحزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف للموعود

(نحن ولأننا مكانا) هو يدل من المكان المحذوف ويجوز أن لا يتقدم مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا تخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (سوى) بالعكس بخازي وأبو عمرو وعلى وغيرها بالضم وهو نعت لمكانا أي منصف بيننا وبينك وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية (قال موعدا) أي يوم الزينة مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النوروز أو يوم عاشوراء أو ما استقام الجواب بالزمان وإن كان السؤال عن المكان على التأويل الأول لأن اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكان لا محالة فيذكر الزمان على المكان وعلى الثاني تقدم موعدا وعيد يوم الزينة (وأن يحشر الناس) أي تجتمع في موضع رفيع أو عطف على يوم أو الزينة (نحى) أي وقت الفخوة لتكون بعدهم الريسة وأمين لكشف الحق وليشيع في جميع أهل البر والمدر (فتولى فرعون) أدبر عن موسى معرضا (فجمع كيدته) مكره وسخرته وكانوا اثنين وسبعين أو أربع مائة أو سبعين ألفا ٣١٦ (ثم أتى) لئلا وعد (قال لهم موسى) أي للسحرة (وليكلم لا تقربوا على الله

أي لا تخافوه (نحن ولأننا مكانا سوى) أي مكانا عدا لوقال ابن عباس نصفان استوى مسافة الفريقين إليه وقيل معناه سوى هذا المكان (قال) يعني موسى (موعدا) يوم الزينة قبل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويحتمعون في كل سنة وقيل هو يوم النوروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وأن يحشر الناس نحى) أي وقت الفخوة هارا جهارا ليكون بعدهم من الريسة (فتولى فرعون فجمع) يعني فرعون (كيدته) يعني مكره وسخره وحيله (ثم أتى) يوم المعاد (قال لهم موسى) يعني للسحرة التي جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر جبل وعصا وقيل كانوا أربع مائة وقيل كانوا اثني عشر الفا (وليكلم لا تقربوا على الله كذا فيفسدكم بعباد) أي فيهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من أفتري) أي خس من ادعى مع الله الهما آخر وقيل معناه خس من كذب على الله تعالى قوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم) أي تناظروا وتناوورا يعني السحرة في أمر موسى سرام فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل معناه لما قال لهم موسى ويلكم لا تقربوا على الله كذا قال بعضهم لبعض ما هذا يقول ساحر (وأسرأ التجوى) أي المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (ان هذان لساحران) يعني موسى وهرون (يريدان أن يخرجناكم من أرضكم) يعني من مصر (يسخرهما ويذهبا بطر يقتكم المثل) قال ابن عباس يعني بسراة قوهم وإشراقكم وقيل معناه يهرقان وجوه الناس عنكم وقيل أراد أهل طر يقتكم المثل وهم بنو إسرائيل يعني يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما وقيل معناه يذهبا بقتلكم ويذهبكم الذي أنتم عليه (فاجعوا

كذبا) لا تدعوا آياته وهجراته سخرأ (ففسدكم) كوفي غير أي يهلككم ويغلب الباطل والحق وغيرهم والسخت والأسعيات بمعنى الإعدام وانتصب على جواب النهي (بعذاب) عظيم (وقد خاب من أفتري) من كذب على الله (فتنازعوا) اختلفوا أي السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة أي لا تقربوا على الله كذا الآية (أمرهم بينهم) وأسروا التجوى أي تناوورا في السر وقالوا ان كان ساحر فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر والتجوى يكون مصدرا واشتماعهم لفقوا هذا الكلام يعني (قالوا ان هذان لساحران) يعني موسى وهرون قرأ أبو عمرو

ان هذين لساحران وهو ظاهر وليكنه مخالف للامام وابن كثير وحفص والحليل وهو اعرف بالتحريم كيدكم واللعان هذان لساحران بخفيفان مثل قولنا زيدا لمنطق واللام هي الفارقة بين ان النافية والخففة من التثنية وقيل هي بمعنى ما واللام بمعنى الأي ما هذان الاساحران دليله قراءة أي ان هذان الاساحران وغيرهم ان هذان لساحران قيل هي لغة البحر ثين كعب وخشم وراود كناية قاله في لغتهم بالالف ابتداء فيم يقلوها ياء في البحر وال نصب كعصا وسعدى قال ان أباهما وأباهاها * قد بلغنا في المحذوفات وقال الزجاج ان يعني نعم قال الشاعر ويقلن شيب قد علا لك وقد كبرت فقلت انه أي نعم والمساء للوقوف وهذا ان مبتدأ وساحران خبر مبتدأ المحذوف واللام داخل على المبتدأ المحذوف تقدم هذان لهما ساحران فيكون دخولهما في موضعها الموضوع على ما هو والابتداء وقد يدخل اللام في الخبر كما يدخل في المبتدأ قال خالي لا أنت ومن جبر خاله * قال فعرضته على المبرد فرفضه وقد زينه أبو علي (يريدان أن يخرجناكم من أرضكم) مصر (يسخرهما ويذهبا بطر يقتكم المثل) الفضي تأنيث المثل وهو الأفضل (فاجعوا) فأحكموا أي اجعلوه

مجمعاً عليه حتى لا تختلفوا فاجعوا أبو عمرو و بعضه بجمع كيده (كيدكم) هو ما يكاد به (ثم اتوا صفا) مصطفين حال أمروا
 بأن يأتوا صفاً لأنه أهيأ في صدور الرائيين (وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب وهو اعتراض (قالوا) أي السحرة
 (يا موسى أمان تلقى) عصاك أولاً (وأما أن تكون أول من ألقى) ما معناه ووضعنا مع ما بعده فيهم ما نصب به عمل مضمر
 ورفع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختراجه الامرين أو الامر القائل أو القائلون وهذا التخيير منهم ما استعمال ادب حسن معه
 وكأنه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت اليهم بركنه وعلم موسى اختيار القائلهم أولاً حتى (قال بل القوا) أنتم أولاً ليرزوا معهم
 من مكاييد السحر ويظهر الله سلطانه ويقتذف بالحق على الباطل فيدفعه ويوسط المجهزة على السحرة فيجعله قصير آية نيرة
 لنا نظرين وعبرة دينية للعنبرين فالتقوا (فاذبحوا لهم وعصيم) يقال في اذا هذبه اذا المفاجأة والتحقيق انها اذا الكائنات بمعنى
 الوقت الطالبة ناصبها لوجه تصاف ايها وخصت في بعض المواضع ٣١٧ بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً وهو

فعل المفاجأة والحيلة استدائية
 لا غير والتعذيب ففاجأهم موسى
 وقت تخيل سحر جبالهم وعصيم
 والمعنى على مفاجاته جبالهم
 وعصيم تخيلة اليه السحر (يخيل)
 وبالتاء ابن ذكوان (اليه) الى
 موسى (من سحرهم) انها تسحر
 رفع بدل اشتمال من الضمير في
 يخيل أي يخيل الملقى روى
 انهم لظفروها بالزئبق فلما
 ضربت عليها الشمس اضطربت
 واهتزت فخلت ذلك (فأوحى
 في نفسه خيفة موسى) أضمر
 في نفسه خوفاً ظاهراً منه انها تقصده
 للجيلة البشرية او خاف ان يفتاح
 الناس شئ فلا يتبعوه (قلنا
 لا تخفنا نك أنت الاعلى)
 الغالب القاهر وفي ذكوان
 وانت وحرف التعرير بف ولفظ

كيدكم) أي لا تدعوا شيما من كيدكم لا تختم به وقبل معناه اعزموا كما علم على كيده
 مجتمعين له ولا تختلفوا فيمخيل أمركم (ثم اتوا صفا) أي جعاً مصطفين ليكون أشد لهيباً
 وقبل معناه ثم اتوا المسكان الموعود به (وقد أفلح اليوم من استعلى) أي فاز من غلب
 (قالوا) يعني السحرة (يا موسى أمان تلقى) أي عصاك (وأما أن تكون أول من ألقى)
 أي عصينا (قال) يعني موسى (بل ألقوا) يعني أنتم أولاً (فاذبحوا لهم) فيه اضمار رأى
 قالوا فاذبحوا لهم (وعصيم) يخيل اليه من سحرهم انها تسحر (قيل انهم لما اتوا الجبال
 والعصى أخذوا أعين الناس فرأى موسى كان الارض أملاً ت حبات وكانت قد أخذت
 ميلا في ميل من كل جانب وراها كأنها تسحر (فأوحى) أي أضمر وقبل وجد (في نفسه
 خيفة موسى) قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقبل انه خاف على القوم
 ان يلتبس عليهم الامر فيشكروا في أمره فلا يتبعوه (قلنا لا تخف) أي قال الله تعالى لموسى
 لا تخف (انك انت الاعلى) أي الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر (وألق ما في
 يمينك) أي عصاك والمعنى لا تخف من كثرة جبالهم وعصيم فان في يمينك شياً أعظم منها
 كلها (تلقف) أي تلقف وتبلع (ما صنعوا) انما صنعوا (كيد ساحر) أي حيلة ساحر (ولا يفلح
 الساحر حتى) أي من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان (فالتقى السحرة
 سجداً قالوا آتنا بربرهرون وموسى) قال صاحب الكشاف سبحان الله ما أعجب أمرهم قد
 اتوا جبالهم وعصيم للكفر والجود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للسكر واليهود فساء اعظم
 الفرق بين الاتعاب وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وقيل انهم لما

السلو وهو الغلبة الظاهرة بالغة بينة (وألق ما في يمينك تلقف) يسكون الامام والاعاوت تخفيف القاف حفص وتلف ابن
 ذكوان الباقون تلقف (ما صنعوا) زوروا واقفوا أي اطرح عصاك تبلع عصيم وجبالهم ولم يقل عصاك تعظيمها لى
 لا تخف لى عاصمها فان ما في يمينك أعظم منها وتخفها لى لا تبالي بكثرة جبالهم وعصيم وألق العويد الفرد الذى في يمينك فانه
 بقدر تماثلته على وحدته وكثرتها (انما صنعوا كيد ساحر) كوفي غير عاصم سحر يعنى ذى سحر وذوى سحر اوهم لتوهم
 في السحر كأنهم السحرة كيد بالرفع على القراءةين وما موصولة أو مصدرية وانما واحد ساحر لم يجمع لان المقصد في هذا الكلام
 الى معنى الجنسية لا الى معنى الهمزة لوجع تخيل ان المقصود هو العدد لا ترى الى قوا (ولا يفلح الساحر) أي هذا الجنس
 (حيث أتى) أي ما كان الفاتى موسى عاصه فتلقف ما صنعوا فلعظم ما رأوا من الاتية وقوعوا الى السجود فذلك قوله (فالتقى
 السحرة سجداً) قال الاخفش من سرعة ما سجدا كأنهم القوا لها أعجب أمرهم قد اتوا جبالهم وعصيم لا أكثر والجود ثم
 القوا رؤسهم بعد ساعة للسكر واليهود فساء اعظم الفرق بين الاتعابين روى انهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود فرفعوا
 رؤسهم ثم (قالوا آتنا بربرهرون وموسى) وانما قدم هرون هنا وأخرى الشعراء

محافظة الفاصلة ولان الواو لا توجد ترابيا (قال آمنتم) بعبر مدحمة وصومرية مدودة مصرى وشامى وحجازى وبهمزتين غيرهم
(له قبل أن آذن لكم) أى لوسى يقال آمن له وآمن به (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) اعظمكم أو ابلعكم تقول اهل مكة
للمعلم أنى كبيرى (فلا قطعن أيديكم وارجلكم من خلاف) القطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد
من العضوين يتخالف الآخران هذا هو ذلك رجل وهذان يمين وذلك شمال ومن لا يتبداء الغاية لان القطع مبتدأ وانا شئ
من مخالفة العضو ومعمل الجمار والمجرور النصب على الحال يعنى لا قطعتم تحت طاعت لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد
انصفت باختلاف شبهة يمكن المصوب فى المجدع ٣١٨

فى جذوع النخل (وخص النخل لظول جذوعها) ولتعلم أنينا
اشد عذابا) اناعلى ايمانكم
فى أوروبا موسى على ترك الايمان
به وقيل بل يد نفسه لانه الله
وموسى صلوات الله وسلامه
عليه بدليل قوله آمنتم له واللام
مع الايمان فى كتاب الله لغبر
الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين (وابقى) ادوم (قالوا
لن نؤثر لك) ان نختارك (على
ما جاءنا من البيئات) القاطعة
الدة على صدق موسى (والذى
فطرنا اعطف على ما جاءناى
ان نختارك على الذى جاءنا
ولا على الذى خلقنا وقسم
وجوابه لن نؤثر لك مقدم
على القسم (فاقض ما أنت قاض)
فاضع ما أنت صانع من القتل
والصلب قال
وعايناهما مسرودتان قضاهما
أى صنعهما واحكما أنت حاكم
(انما تضى هذه الحياة الدنيا)
أى فى هذه الحياة الدنيا

فانصب على الظرف أى انما تضىكم فيما مدحيا تدا) انا آمنابن البعقر لنا خطا بانا وما كرهتنا عليه) ما هو موصولة بقوله
منصوبه انما تضى على خطا تانا (من السحر) حال من ما روى انهم قالوا لفرعون ارنأ موسى ناغما ففعل فوجده ومكرسه عصاه
فقالوا ما هذا من سحر الساحر اذا نام بطل سحره فاني عليهم فا كرههم فرعون على الايمان بالسحر وضرب
فرعون جبهه به ونفعهم عليهم بالسحر فكيف يعلم الشرع (والله خير) أو ايمان اطاعه (وابقى) عقابا بان عصاه وهورد ليقول
فرعون ولتعلم أنينا اشد عذابا وابقى (انه من يات به مجرما) كافرا (فان له جهنم لا يموت فيها)
فيمتدح بلوت (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يات به مؤمنا) أى من مات على الايمان (قد عمل الصالحات) بعد الايمان (فأولئك هم
الدرجات العلى) جمع العلية

(جنات عدن) بذل من الدروحات (تجرتي من تحتها الانهار خالدين فيها) دائمين (وذلك جزاء من تركي) تظهر من الشرك بقول لاله الا الله قبل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لاعلى وجه الحكاية وهو ان ظهر (ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي) لما اراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه امر موسى ان يخرجهم من مصر لئلا يأخذهم طريق البحر (فاضر بهم طر يقا في البحر) اجعل لهم من قوتهم ضر بيه في ماله سهما (بسا) أي باسا وهو مصدر وصف به يقال يفسن يفساو (بسا) (الاختاف) حال من الضمير فاضر بى اضر بهم طر يقا غر خائف لا تخف جزع على الجواب (دراك) هو اسم من الادراك أي لا يدركك فرعون وخنوده ولا يلقونك (ولا تخشى) (الغرق) وعلى قراءة جزع ولا تخشى استئناف أي وأنت لا تخشى أو يكون الالف لاطلاق كافي وتظنون بالله الظنون ان خرج بهم ٣١٩ موسى من أول الليل وكانوا سبعين ألفا

وقد استعاروا حليمهم فركب فرعون في ستمائة الف من القبط فقصر اثرهم فذلك قوله (فاتبعهم فرعون بن جنوده) وهو حال اى خرج خلفهم ومعه جنوده (فخشيهم من اليم) اصابهم من البحر (ماغشيهم) هو من جوامع الكلم اى تستلغ قلوبها بالمعاني الكثيرة اى غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل (وأضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وما هدى) وما ارشدهم الى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما هدىكم الا سبيل الرشاد ثم ذكر كرمته على بنى اسرائيل بعد ما اتاهم من البحر واهلك فرعون وقومه بقوله (يا بنى اسرائيل) اى اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وقلنا يا بنى اسرائيل (قد اخيبتنا من عدوك) اى فرعون (وواعدناكم) يا بنى اسرائيل (جانب الطور الايمن) وذلك

بقوله (جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) وذلك جزاء من تركي اى تظهر من الذنوب وقيل أعطى ركة نفسه وقال لاله الا الله عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانما أخرجه الترمذى قوله وانما يقال احسن فلان الى فلان وانما أى أفضل وزاد فى الاحسان والمعنى انه ما منهم وزاد واتباه الى غايته قوله تعالى (ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي) اى اسر بهم لسلامان أرض مصر (فاضر بهم طر يقا) اى اجعل لهم طر يقا فى البحر (بالضر) بالعبا (بسا) اى باسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى ايسس لهم الطر يقا فى البحر (لا تخاف دركا ولا تخشى) قيل معناه لا تخاف ان يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى ان يعرقلك البحر امامك (فاتبعهم) اى فلقهمهم (فرعون بن جنوده فعشيهم) اى اصابهم (من اليم ما غشيهم) وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون وخنوده وبنوهم وموسى وقومه (وأضل فرعون قومه وما هدى) اى وما ارشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وما اهدىكم الا سبيل الرشاد قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل قد اخيبتنا من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى) ذكرهم الله النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعدم موسى من المشاجرة بجانب الطور وكتب التوراة فى الألواح واما قال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبينهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيها افاض الله عليهم من سائر نعمه وازرقته (كوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لا تطغوا وقيل لا تكفروا والنعمة فتكونوا غاغبين وقيل لا تتعربوا وبعثت على المعاصى وقيل لا تدنخوا (فيعلم عليكم غضبي) اى يحجب عليكم غضبي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) اى هلك وسقط فى النار (وانى لغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب عن الشرك (وأمن) اى وحده الله وصدق رسوله (وعمل صالحا) اى

ان الله عز وجل وعدم موسى أن يأتى هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة وانما سمى اليهم المراجعة لانها كانت لنبينهم وتبينهم اليهم رجعت منافعها التي فاهمها شرعهم ودينهم والايمن نصب لانه صفة جانب وقرى بالبحر على الجوار (ونزلنا عليكم المن والسلوى) فى التيه وقلنا لكم (كوا من طيبات) حلالات (ما رزقناكم) انجيبتكم وواعدناكم ورزقناكم كوفى غير عاصم (ولا تطغوا فيه) ولا تشعدوا فيه بان تسكروا النعم وتنفقوها فى المعاصى أو لا تظلم بعضكم بعضا (فيعلم عليكم غضبي) عقوبتى (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) هلك أو سقط سوطا لا هو ضربه بعد ما وصله أن يسقط من جبل فيهلك وبحقيقه سقط من شرف شرف الايمان الى حفرة من حفرة النيران قرأ على فيسطل ويحلل والباقون يكسرهما كما يكسر فى معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه والمعصية فى معنى النزول (وانى لغفار لمن تاب) عن الشرك (وأمن) وحده الله تعالى وصدق فيما أنزل (وعمل صالحا)

أدى الفرائض (ثم اهتدى) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوب بقر الإيمان والعمل الصالح (وما أعجلك) أى وأى شئ عجيب بل عن قومك ياموسى) أى عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد والضرب ثم تقدمهم شوقالى كلام به وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أى شئ أوجب عجلك استقهم انكرا ونامبتداوا عجلك الخبر (قال لهم أولاء على أترى) أى هم خافى الحقوى وايسر بينى وبينهم الامساة بسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال (وعجبت اليك رب) أى الى الموعد الذى وعدت (اترضى) لتزدادنى وضوا وهذا دليل على جواز الاحتداد (قال فانادى ما قومك) القيناها ٣٢٠ فى قفنة (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم

الذين خلفهم مع هرون (واضلهم السامرى) بدعائه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له وهو منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان عليهما ن كمان فاختد عجلا واسمه موسى بن فافسرو كان منافقا (فرجع موسى) من مناجاة به (الى قومه غضبان أسفا) شديد الغضب أو حزينا (قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جلا ولا وعدا حسن من ذلك (أفبال عليكم العهد) أى مدة مفارقتى اياكم والعهد الزمان يقال طار عهدي بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يجعل عليكم غضب من ربكم) أى أردتم أن تفعلوا فعلا يجب به عليكم الغضب من ربكم (فأخلفتم موعدى) وعدوه أن

أدى الفرائض (ثم اهتدى) قال ابن عباس علم ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل أقام على السنة قوله عز وجل (وما أعجلك) أى وما عجلت على العجلة (عن قومك ياموسى) وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يهرون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فصار بهم ثم عمل موسى من بينهم شوقالى به وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما أعجلك عن قومك ياموسى فاجاب به (قال هم أولاء على أترى) أى هم بالقر ب منى يأتون على أترى من بعدى فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال لهم أولاء على أترى قلت كان هم موسى بسط العذر وتعميد العلة فى نفس ما أنكرك عليه فاعتدل بأنه لم يوجد منه الاتقدم بسير ثم اعقبه بجواب السؤال فقال (وعجبت اليك رب لترضى) أى لتزداد رضا (قال فانادى ما قومك) أى فانا بقلنا الذين خلفتم مع هرون وكانوا ست مائة ألف فاختدوا باعجل غير اثني عشر ألفا (من بعدك) أى من بعد ان افلك الى الجبل (واضلهم السامرى) أى دعاهم وصر فهم الى الضلال وهو عبادة العجل وانما اضاف الضلال الى السامرى لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المنشآت تضاف الى منشئها في الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هنا واصلهم السامرى قيل كان السامرى من عظماء بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جارا لموسى وآمن به وقيل كان علما من علوج كمان رفع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) أى حزينا جاعا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أى صدقانه يعطيكم التوراة (افبال عليكم العهد) أى مدة مفارقتى اياكم (أم أردتم أن يجعل عليكم غضب من ربكم) أى أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه (فأخلفتم موعدى) يعنى ما وعدوه من الاقامة على دينه الى ان يرجع (قالوا اما خلفنا موعداً بل كننا) أى علك امرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع فى القفنة لم يملك نفسه (ولكننا جئنا اوزارا من زينة القوم) أى جئنا مع انفسنا كما فاداستعمرناهم

يقموا على أمرهم وما تركهم عليه من الآيات فأخلفوا موعده باتخاذ العجل (قالوا) قوم ما خلفنا موعداً بل كننا) بفتح النون وعاصم وبضمها حجرة وعلى و بكسر هاء غيرهم أى ما خلفنا موعداً بل كننا امرنا أى لو لم يكن لنا ما نأخذنا ولا رأينا ما أخذنا موعداً ولكننا غلبنا من جهة السامرى وكيد (ولكننا جئنا) بالضم والتشديد حجازى وشامى وحقق وفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم (أوزارا من زينة القوم) انقالا من حلى القبط أوزار او ابا الاوزار انها آثام وتعبات لانهم قد استعاروها لآلة الحروج من مصر بهلة ان لنا عدا عيدا فقال السامرى انما احسنه وسى لشوم حرمته لانهم كانوا معهم فى حكم المستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ

فأمر قوهان في حفرة النار قال عمل فانصاغت عجلانجوجو فانخار بدخول الرشح في مجار منه اشباه العروق وقيل نفع فيه تراب
من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حياة فخي ٣٢١ فخار ومالت طباعهم الى الذهب

فبعده فبعده (فقد فشاها) في نار
السامري التي اوقدها في الحفرة
وأمرنا ان نطرح فيها الحلي
(فكذلك أتى السامري) مامعه
من الحلي في النار أو مامعه من
التراب الذي اخذه من أثر حافر
فرس جبريل عليه السلام
(فأخرج لهم) السامري من
الحفرة (عجلا) خلقه الله تعالى
من الحلي التي سبكها النار
ابتلاء (جسد) (جسد) الله
خوار صوت وكان بخور كما
تخور الجاحد (فقالوا) أي
السامري وأتباعه (هذا الهكم
واله موسى) فأجاب عامتهم
الاثنى عشر ألفا (قنسي) أي
قنسي موسى به هنا وذهب
يطلبه عند الطور أو هو ابتداء
كلام من الله تعالى أي نسي
السامري به وترك ما كان
عليه من الايمان الظاهر أو
نسي السامري الاستدلال على
ان العجل لا يكون الهاديسل
قوله (أفلا يرون أن لا يرجع)
أي أنه لا يرجع أن يخفقه من
الثقل (الهم قولوا) أي
لا يتيمم (ولا يملك لهم ضرر ولا
نفع) أي نزعهم عن الخطاب
والضرر والنعف فكيف تتذنبونه
اله أو قيل انه مخار الامرة
(ولقد قال لهم) ان عبيدوا
العجل (هرون من قبل) من

قوم فرعون والاوزار انما سميت اوزارا لكثرة ما قيلت الاوزار الاتمام أي
جملنا آتاما وذلك ان بني اسرائيل استعاروا حليهم من القبط ولم يردوها وبقيت معهم إلى
حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما غرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذها بنو
اسرائيل فكانت غنمة ولم تكن الغنائم تحمل لهم (فقد فشاها) أي ألقيناها قيل ان
السامري قال لهم احفروا حفرة واطعموها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل ان
هرون أمرهم بذلك فعلموا (فكذلك أتى السامري) أي ما كان معه من الحلي فيها قال
ابن عباس اوقده هرون ناراً وقال اقدروا معكم فيها وقيل ان هرون مر على السامري
وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما نفع ولا يضرك فادعى فقال هرون الههم
أعطه ما سألت على ما في نفسه قالوا السامري ما كان معه من تراب حافر فرس جبريل
في فم العجل وقال كن عجلانجوجو فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى (فأخرج لهم
عجلا حسدا له خوار) اخذوا هاهنا كان الحسد حيا ما لا على قولين أحدهما لانه لا يجوز
اظهار خرق العادة على يد صالح السامري ضرورة على شكل العجل وجعل فيه
منافذ وخيار يقيح إذا دخل فيها الرشح صوت كصوت العجل الثاني انه صار حيا وخار
كخروج العجل (فقالوا هذا الهكم واله موسى) يعني قال ذلك السامري ومن تابعه ممن
افتتن به وقيل عكفوا عليه وأجوهه حيا لم يجزوا شيئا من (قنسي) قيل هو اذ ارعن
قول السامري أي ان موسى نسي الهه وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ار موسى
انما طلب هذا لانه نسيه وخالفه في طريق آخر فاختار الطريق وصل وقيل هو من
كلام الله تعالى وكأنه اخبر عن السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان
الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب الاستدلال به
فقال (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم جوع الهم قولوا) أي ان العجل لا يرد لهم جوابا إذا دعوه ولا
يكلمهم (ولا يملك لهم ضررا ولا نفعاً) هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضرر من ترك عبادته
ولا نفع من عبده وكان العجل قنسه من الله تعالى ابتي به بنى اسرائيل قوله عز وجل
(ولقد قال لهم هرون من قبل) أي من قبل رجوع موسى (يا قوم انما اقتنمتم به) أي ابتليتم
بالعجل (وان ربكم الرحمن فأتبعوني) على ديني في عبادة الله وأطيعوا أمرى) أي في ترك
عبادة العجل اعلم ان هرون عليه السلام سلك في هذا الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم
أولاً عن الباطل بقوله انما اقتنمتم به ثم دعاه الى معرفة الله تعالى بقوله وان ربكم الرحمن
ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فأتبعوني ثم دعاهم الى الشرائع بقوله وأطيعوا أمرى
فهذا هو الترتيب الجميد لانه لا بد من اعادة الاذعن الطريق وفي ازالة الشبهة ثم
معرفة الله فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن لخص هذا
الموضع بهذا الاسم لانه ينههم على انهم متى تابوا أقبل الله توبتهم لانه هو انوار الرحيم
فقالوا هذا القول بالصرار والجود (قالوا ان نبرح) أي لن نزال (عليه) أي على عبادة
العجل (عاكفين) أي مقيمين (حتى يرجع اليانا موسى) كأنهم قالوا ان نقبل بحسبك

٤١ ن ت قبل رجوع موسى اليهم (يا قوم انما اقتنمتم به) ابتليتم بالعجل فلا تبعوه (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فأتبعوني)
كروا على ديني الذي هو الحق (وأطيعوا أمرى) في ترك عبادة العجل (قالوا ان نبرح عليه عاكفين) أي ان نزال مقيمين على
العجل وعبادته (حتى يرجع اليانا موسى) فنظروا هل يعيده كما عبدناه وهل صدق السامري أم لا فلما رجع موسى

(قال ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة الجبل (الأتبعني) باليساعى الوصول والوقفه كي واقفه أبو عمرو ونافع في الوصول وغيرهم بلاياء اى مادعك ان اى لا تتبعنى لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعى الى تركه وقيل لازيدته والمعنى اى شئ منعك ان تتبعنى حين لم يقلوا ذلك وتلقى وى وتخبرنى أو ما منعك ان تتبعنى فى الغضب لله ودلا قائل من كفر عن آمن وما لك لم تبشراهم الا كما كنت ابشرا انالو كنت شاهدا (افعصبت أمرى) اى الذى أمرتك به من القيام بمصالحهم ثم أخذت سرور أسه بينه ٣٢٢ وحقته شماله غضبا وانكارا عليه لان الغيرة فى الله ملكته

(قال يا ابن أم) وبخفض الميم شامى وكوفى غير خض وكان لاسيه وأمه عند الجهور ولكنه ذكر الام استعظافا وترقية لانا أخذ بلعنى ولا برضى ثم ذكر عذره فقال (انى خشيت أن تقول) ان قالت بعضهم ببعض (فرقت بين بنى اسرائيل) أو خفت ان تقول ان فارقتهم واتبعك وتحق فى فريق وتبع السامرى فريق فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب) ولم تحفظ (قولى) اخلفنى فى قويمى وأصلم وفيه دليل على جواز الاتحاد ثم أقبل موسى على السامرى منبر اعليه حيث خطبك) مالمك الذى تخاطب عليه (ياسامرى) قال بصرت بماليه مرواه وبالساعة وعلى قال الزجاج بصير علم وابصر نظراى علمت مام بعلمه بنو اسرائيل قال موسى وما ذلك قال راب جبريل على فرس الحياة فالتقى فى نفسى ان اقبض من اثره فالتفته

ولا تقبل الا قول موسى واغتر لم هرون ومعه اثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا الجبل فلما رجع موسى شمع الصباح والحجبة وكانوا برقصون حول الجبل فقال للبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ سرور رأسه بمهنة وحقته شماله (وقال له) (ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) اى أشركوا (الأتبعني) اى تتبع امرى ووصيتى ودلا قائلهم وقد علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما منعك من الحقوقى واخبرارى بضلاتهم فتكون مفارقك اياهم زجر لهم عما اتوه (افعصبت أمرى) اى خالفت امرى (قال يا ابن أم) لا تأخذ بلعنى ولا برضى) اى بشعر رأسى وكان قد أخذ بذواته (انى خشيت ان تقول) اى لو أنكرت عليهم اصاروا لخيرين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بنى اسرائيل) اى خشيت ان فارقتهم واتبعك أن يصيروا احزابا فستاتلون فتقول فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب قولى) اى لم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قويمى وأصلم وارفق بهم ثم أقبل موسى على السامرى (قال فخطبك) اى فأكرك وشألك وما الذى جعلك على مصنعت (ياسامرى) قال يعنى السامرى (بصرت عالم بصرواه فقبضت قبضة من اثر الرسول) اى من تراب خافر فرس جبريل (فبذتها) اى فبذتها فى فم الجبل فخار فان قلت كيف عرف السامرى جبريل ورأه من بين سائر الناس قلت ذكروا فيه وجهين احدهما ان امه ولدتها فى السنة التى كان يقتل فيها البنون فوضعت فى كهف حذر اعليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليريه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثانى انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامرى من بين سائر الناس فلما رآه قال ان هذا الشان فقبط القبضة من اصل ترابه اثر موطنه فلما سأل موسى قال قبضت قبضة من اثر الرسول اليك يوم جاء ليلى عاود قبيل رآه يوم فلقى البحر فاخذ القبضة وجعلها فى عنقه لما يريد الله ان يظهر من الفتنة على يديه وهو قوله (وكذلك سؤلت) اى زينت (لى نفسى) وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعنى الى فعله غيرى وانبعث فيه هواى (قال) يعنى موسى للسامرى (فاذهب فان لك فى الحياة) اى مادمت حيا (ان تقول لى لاساس) اى لاختلاط احدوا ولا يات لك احد فعوقب فى الدنيا بعقوبة ولا شئ اوحش منها ولا اعظم وذلك

على شئ الا صار له روح وتحم ودم (فقبضت قبضة) القبضة المرقمة القبض واما لقا على المقبوض من تسمية ان المفعول بالصدر كضرب الامر وقبض قبضة فافاد بجميع الكف والصا بطراف الاصابع (من اثر الرسول) اى من اثر فرس الرسول وقرئ بها (فبذتها) فطرحتها فى جوف الجبل (وكذلك سؤلت) زينت (لى نفسى) ان افعله فعلته اتباعا لهواى وهو اعتراف بالخطا أو اعتذار (قال له موسى) (فاذهب) من بيتنا طريدا (فان لك فى الحياة) ما عشت (ان تقول) ان اراد مخالفتك حالها لئلا لك (لاساس) اى لا يبنى احدولا اسمه فنع من مخالفة الناس معنا كليا ووجرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته واذا اتفق أن يعاس احدا هم الماس والمسوس

وكان بهم في البرية يصبح لامساس و يقال ان ذلك موجود في اولاده الى الآن وقيل اراده موسى عليه السلام ان يقتله فذبحه الله تعالى منه لمقتله (وان لك موعدا لن تخلفه) أي ان يخلفك الله موعدته الذي وعدك على الشريعة والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا لن تخلفه مكي وأبو عمرو وهذا من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا (وانظر الى الملك الذي ظلت عليه) وأصله ظلت في حذف اللام الاولى تخلفا (عاكفا) مقيما (لنخرقنه) بالنار (ثم لننفسه) لنذوبه (في النسي) فخرقه وذراه في البحر فشرّب بعضهم من مائه حباله فظهرت على شفاههم صفرة الذهب (انما الحكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما) تمييز أي وسع عليه كل شيء ومجمل ٢٢٣ الكافي (كذلك) نصب أي مثل ما قصصنا عليك قصة

موسى وفرعون (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من أخبار الامم الماضية تكثير البناتك وزبادة في مجزاتك (وقد آتيناك أي أعطيناك (من لدنا) من عندنا (درا) قرأنا فهو ذكركم وعظم وقرأ أن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه وهو مشغل على الافاصيص والاخبار الحقيقية بالتفكير والاعتبار (من أعرض عنه) عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشديدا في ثقلها على المعاصي وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذي يتعسر ظهره ويلقى عليه بهر أولانها جزء الوزر وهو الاتم (خالدتين) حال من الضمير في يحمل وانما جمع على المعنى ووجد في فانه جلا على افظ من (فيه) في الوزر أي في جزء الوزر وهو العذاب (وساعلمهم يوم القيامة جلا) ساء في حكم يس

ان موسى امر بني اسرائيل ان لا يخاطبوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا امساس لك ولولدك فصار السامري بهم في البرية مع الوحش والسباع لا يس احدوا ولا يسه احدوا وقيل كان اذا مس احدا أو مسه احد حاجعا فحصى الناس وتعاموه وكان يصيح لامساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون فلان (وان لك) أي يا سامري (موعدا) أي بعد ذلك في الآخرة (لن تخلفه) قرئ بكسر اللام ومعناه ان تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توأبه يوم القيامة وقرئ بالفتح أي ان تكذبه ولا يخلفه الله بل يكافئك على فعلك (واظناري الملك) أي الذي تزعم (الذي ظلت عليه عاكفا) أي دمت عليه مقيما بعبدته (لنخرقنه) بالنار (ثم لننفسه) أي لنسذبه (في النسي) أي في البحر (نسفا) روى ان موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم وجرع في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لنخرقنه أي لنبرقنه فعلى هذا التأويل لم يتلبس بما وجد من ذلك لا يمكن أن يبردم بالبرد ويمكن أن يقال صار مجسما ودمافذخ ثم بردت عظامه بالبرد حتى صارت بحيث أن يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من امر العجل وابطال ما ذهب اليه السامري رجع الى البيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرائيل (انما الحكم الله) أي المستحق للعابدة والتعظيم هو الله (الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما) أي وسع علمه كل شيء وقيل بعلم من عبده قوله عز وجل (كذلك نقص عليك من انباء) يعني من أخبار (ما قد سبق) يعني الامم الحالية وقيل ما سبق من الامور (وقد آتيناك من لدنا ذرا) وهو القرآن (من أعرض عنه) أي عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) أي جلا ثقيلا (الاسم) خالدتين (أي مقيمين في عذاب الوزر) وساعلمهم يوم القيامة جلا أي شمس ما جلاوا أنفسهم من الاسم (يوم ينفع في الصور) قيل هو قرن ينفع فيه يدعي به الناس للعشر والمرا دهنه النفعة الثالثة لانه أتبعه بقوله (وتحشر الجحيم يومئذ زرقا) أي تحشر الجحيم زرق العيون سود الوجوه وقيل على ما قيل عطاشا (يتخافون) أي يتسارون (بينهم) ويتكلمون خفية (ان لبثتم) أي مكثتم في الدنيا (الا عشر) أي

وفيه ضمير بهم يفسره جلا وهو تمييز واللام في لهم للبيان كافي هي ثلاث والخصوص بالذم حذف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء العجل جلا وزرهم (يوم ينفع) بدل من يوم القيامة تنفع أبو عمرو (في الصور) القرن أو هو جمع صورة أي تنفع الارواح فيها دليله قراءة فتادة الصور بفتح الواو جمع صورة (وتحشر الجحيم يومئذ زرقا) حال أي عيا كفال وتحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمو هذا لان حدة من يذهب نور بصره تزرق (يتخافون) يتسارون (بينهم) أي يقول بعضهم لبعض سر الهول ذلك اليوم (ان لبثتم) ما لبثتم في الدنيا (الا عشر) أي عشر ليال يستصرون مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا لما يباينون من الشدايد التي تذكروهم أيام النعمة والسرو فبدأت ففوت عليها وأيقظونها بالعصر لان أيام السور قصار أو لانها ذهبت عنهم والذهاب وان طال مدته قصير بالانتهاء

اولا سطا اثمهم الاخرة لانها ايد بستهم اليها عمر الدنيا وبقا لث اهلها فابا القياس الى لبهم في الاخرة وقد رجح الله قول من يكون اشد تقالا منه بقوله (نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم من رقة) اعلمه قولوا (ان لبتم الا يوما) وهو كقوله قالوا البشنا يوما او بعض يوم فاسئل العادين (ويستأونك عن الجبال) سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسئل وتقدره ان سألوك (فقل) ولذا اقرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله ويسئلونك عن الخيض قل هو اذى وقوله ويسئلونك عن النبتى قل اصلاح لهم خير يسئلونك عن الحمر والميسر قل فيها اثم كبير يسئلونك عن الساعة أي ان مر ساها قل اغا علمها عند ربى ويسئلونك عن الروح قل الروح يسئلونك عن ذى القرنين قل سألتوا الانها سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها ٣٢٤ معنى الشرط فلم يذ كر الفاء (يفسها ربى نسفا) اى يجعلها كالرمل

ثم يرسل عليها الريح فيفرقها كما يذرى الطعام وقال الخليل بقاعها (فيذرها) فيذرمقارها أو يجعل الضمير للأرض لا يعلم بها كقوله ماترك على ظهرها (قاعا مصفا) مستوية مساء (لا ترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا اماتا) ارتفاعا والعوج بالسكر وان كان في المعانى كما ان المقتوح في الاعيان والارض عين ولكن الما لتوت الارض استواء لا يمكن ان يوجد فيها عوجا حجاج بوجهه ما وان دقت الحيلة ولطفت حمت مجرى المعانى (يومئذ) اضاف اليوم الى وقت نصف الجبال اى يوم اذ نسفت وجاز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القسامة (يتبعون الداعي) الى الخسر اى صوت الداعي وهو اسرافيل حين ينادى على حجره بيت المقدس ايتها العظام البالية والجلود الممزقة والحموم الممزقة

عشر ليل وقيل في القبر وقيل بين النفثتين وهو مقدار أربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفثتين فاستصغر وادعه بلهم لول ما عاينوا فقال الله تعالى (نحن اعلم بما يقولون) اى يسارون فيما ينههم (اذ يقول امثلهم من رقة) اى اوقافهم وعقلا وعلمهم قولوا (ان لبتم الا يوما) قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من احوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لث مدة ما دهمهم قوله عز وجل (ويسئلونك عن الجبال فقل يفسها ربى نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من تقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله تعالى هذه الآية والمسف هو التلألؤ يقال يفسها من أصولها ويجعلها اهباء منشورا (فيذرها) اى يدع أما كن الجبال من الارض (قاعا مصفا) اى أرضا مساء مستوية لا نبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا اماتا) اى لا انخفاضا ولا ارتفاعا اى لا ترى واديا ولا رابية (يومئذ يتبعون الداعي) اى صوت الداعي الذى يدعوهم الى موافق يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك انه يضع الصور في فيه ويقف على حجره بيت المقدس ويقول ايتها العظام البالية والجلود الممزقة والحموم الممزقة هلموا الى عرض الرحمن (لا عوج له) اى لا عوج لهم عن دعائه ولا يزغون عنه عينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات للرحمن) اى سكنت وذلت وخضعت وضعت والمراد به اصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع (فلا تسمع الا همسا) وهو الصوت الخفى قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل اراد بالهمس صوت وطء الاقدام الى الخسر كصوت الخفاف الا بل (يومئذ لا تنفع الشفاعة) لا خدم الناس (الامن اذن له الرحمن) اى الامن اذن له ان يشفع (ورضى له) قولوا قال ابن عباس يعنى قال لاله الا الله وفيه دليل على انه لا شفاعة غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل الا لمن يأذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) قيل الدنيا راجعة الى الذين يتبعون الداعي اى يعلم الله

هلمى الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا بعدلون عنه (لا عوج له) اى لا عوج له مدعو بل ما يستترون به من غير اخترا فمتبعين لصوته (وخشعت) وسكنت (الاصوات للرحمن) هيبه واجلالا (فلا تسمع الا همسا) صوتا خفيا التحريك الشفاه وقيل همس الا بل وهو صوت اخفافها اذا مشيت اى لا تسمع الا خفى الاقدام ونقلها الى الخسر (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن) محل من رفع على البدل من الشفاعة تقدر حذف المضاف اى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن اى اذن للشافع فى الشفاعة (ورضى له قولوا) اى رضى قول لا لاجله بان يكون المشفوع له مسلما وانصب على المدح لانه مدعو لا تنفع (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) اى يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه

(ولا يحيطون به علما) أى بما احاط به علم الله فجميع الضمير الى ما لو رجع الضمير الى الله لانه تعالى ليس بحاط (وعنت) خضعت وذلّت ومنه قيل للاسیر عان (الوجوه) أى أصحابها (الحق) الذى لا يموت وكل حياة يتبعها الموت فهى كان لم تكن (القيوم) الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق (وقدخاب) ٣٢٥ ينس من رحمة الله (من حل

ظلمًا) من جعل الى موقف
القيامه مشركا لان الظلم وضع
الشيء فى غير موضعه ولا ظلم
أشد من جعل الخلق شرك
من خلقه (ومن يعمل من
الصالحات) الصالحات الطاعات
(وهو مؤمن) مصدق بما جاء به
محمد عليه السلام وفيه دليل
انه يستحق اسم الايمان بدون
الاعمال الصالحة لأن الايمان
شرط قبولها (فلا يخاف أى
فهو لا يخاف فلا يخف على النبى
مكى (ظلمًا) ان يراد فى سياسته
(ولا هضمًا) ولا ينقص من
حسانته وأصل الهضم النقص
والكسر (وكذلك) عطف على
كذلك نقص أى ومثل ذلك
الانزال (أنزلناه قرآنًا عربيا)
بلسان العرب (وصرفناه)
كرنا (فمنه من الوعد لعلمهم
يتقون) يحثون الشرك (أو
يحدث لهم) الوعد أو القرآن
(ذ كرنا) عطفه أو شرفا بأسمائهم
به وقيل أوجعنى الواو (فتعالى
الله) ارتفع عن فنون الثن
وأوهام الاتهام وتزه عن
مضاهاة الأنام ومشابهة الاحكام
(الملك) الذى يحتاج اليه المملوك
(الحق) الحق فى الاوهمة
ولما ذكر القرآن وانزله قال
ابن تيار اذا قلنا ان القرآن
ما هو الحق من القرآن فثان
عليك رثما بسعك ويفهمك

ما قدمه من الاعمال وما خلفه من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرحمن وهو
الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ان يشفع ثم قال يعلم ما بين ايديهم أى
يبدى الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون به علما) قيل الدنائة ترجع الى ماى هو يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين ايديهم وما
خلفهم علما وقيل الدنائة راجعة الى الله تعالى أى ولا يحيطون بالله علما (وعنت
الوجوه) أى ذلت وخضعت فى ذلك اليوم وبصر الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذ كر
الوجوه أو اراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لان صفات الوجوه وانما
خص الوجوه بالذكر لان الخاضوع بها بين وفيها يظهر قوله تعالى (الحق القيوم) تقدم
تفسيره (وقدخاب من حل ظلمًا) قال ابن عباس خسر من اشرك بالله (ومن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يراد على
سياسته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤاخذ بذنب لم يعمل ولا تطل عنه حسنة عملها
قوله تعالى (وكذلك أنزلناه) أى كما ينزل هذه السورة أو هذه الآيات المتضمنة للوعيد
أنزل القرآن كله كذلك وقوله (قرآنًا عربيا) أى بلسان العرب ليفهموه ويقتضوا على
الاعرافه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر (وصرفناه من الوعد) أى كرنا وفصلنا
القول فيه ذ كر الوعد ويدخل تحت الوعد بيان الفرائض والحجج لان الوعد بما
يتعلق بغيره أو تصرفه يقتضى بيان الاحكام فذلك قال تعالى (لعلمهم يتقون) أى
يحثون الشرك والحجج أو الواجبات (او يحدث لهم ذ كرنا) أى انما أنزل القرآن
ليصير وامتين محبتين مالا يبدى ويحدث لهم القرآن ذ كر ارفعهم فى الطاعات وفعل ما
ينبئ وقيل معناه يحدث لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتقون بذ كر عتاب الله
الام السالفة قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) أى جعل الله وعظمه عن المحاد
المحدثين وعما يقوله المشركون والمحادون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه
وععبده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا تزول ولا تغير وليس بمقتاد
من قبل الغير ولا غير ماولى به منه (ولا تعجل بالقرآن) أراد النبى صلى الله عليه وسلم كان
اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فقرأه معه قيل ان يفرغ جبريل مما يقرأه من التلاوة
مخافة الا تغفل أو النسيان فهناك الله تعالى عن ذلك فقال تعالى ولا تعجل بالقرآن
أى ولا تعجل بقراءته (من قبل ان يقضى اليك وحيه) أى من قبل ان يفرغ جبريل
من الاطلاع وقيل معناه لا تقرئه أصحابك ولا تملأ عليهم حتى يبين لك معناه (وقل رب
زدنى علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدنى علما الى ما علمت فان لك
فى كل شئ علما وحكمة قبل ما أمر الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة فى شئ
الافى العلم وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدنى علما وايمانا وبقينا
قوله عز وجل (ولقد هدانا الى هذا صراطا مستقيما) أى اوحينا اليه ان لا ياكل من الشجرة

(ولا تعجل بالقرآن) بقراءته (من قبل ان يقضى اليك وحيه) من قبل ان يفرغ جبريل من الاطلاع (وقل رب زدنى
علما) بالقرآن ومعانيه وقيل ما أمر الله رسول الله بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم (ولقد هدانا الى هذا صراطا مستقيما)
ان لا ياكل من الشجرة يقال فى اواخر المولى وصاهاهم تقدم الملك الى فلان واوصى الله وعزم عليه وعهد اليه فعطف
قصة آدم على وصرفنا فيه من الوعيد والمعنى واتسم قسمنا لتدبرنا بالاهم آدم ووصينا ان لا يقرب الشجرة

(من قبل) من قبل وجودهم فخالف الى ما نهى عنه كما نهى عن الفون يعني ان اساس امر بني آدم على ذلك وعرفهم راسخ فيه (فدسى) العهد الى النهى والانبياء عليهم السلام يؤخذون بالنسيان الذى لو تكافوا والحفظ طوره (ولم يجلده عزمًا) قصد الى الخلف لانه اولم يكن آدم من اولي العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه عزموا بمعنى تفيض العدم أى وعده ماله عزمًا وله متعلق بنجد (واذ قلنا) منصوب باذ كر ٣٢٦ (لئلا تكونوا من الملائكة) اسجدوا لآدم) قيل هو السجود النعوى الذى هو الخضوع

والتذلل أو كان آدم كالتبلة
لضرب تعظيم له فيه (فوجدوا)
الابليس) عن ابن عباس
رضي الله عنه أن ابليس كان
ملكاً من جنس المستغنى منهم
وقال الحمد من الملائكة لبس
الحماية من الارواح ولا يتناسلون
وابليس من نار السموم وانما صبح
استنفاؤه منهم لانه كان
يعصمهم ويعبد الله معهم (اى)
حيلة مستأنفة كانه جوا من
قال لم يسجد والوجه ان لا
يتقدم له مفعول وهو السجود
المدلول عليه بقوله فوجدوا
وان يكون معناه أظهر الاناء
وتوقف (قلنا يا آدم ان هذا
عدو لك ولزوجك) حيث لم يسجد
لشولم يرد لك (فلا يخرج جنسك
من الجنة) فلا يكون نسلها
لا يخرجك (فتشقى) فتعفى
طلب القوت ولم يقل فتشقى
مرعاة لرؤس الآتى او دخلت
تبعاً ولان الرجل هو الكافل
لنفقة المرأة وروى انما لم يرد
الى آدم زواجاً وكان يحترق
عليه وزيج العرق من جبينه
(ان لك لا تجوع فيها) في الجنة

(من قبل) أى من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتروكوا الايمان بي وهم الذين ذكرهم
الله تعالى في قوله تعالى لعالمهم يتقون (فدسى) أى فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز
عن كل هذه الشجرة وما قيل أراد النسيان الذى هو ضد الذكر (ولم يجلده
عزمًا) اى صبراً عما نهى عنه وحفظاً لما أمر به وقيل معناه لم يجلده رأياً معزوماً حيث
أطاع عدوه ابليس الذى حسده وابتلى بسجده وقيل معناه لم يجلده عزمًا على المقام
على العصية فيكون الى المدح اقرب قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فيسجدوا الا ابليس اى) ان يسجد (قلنا يا آدم ان هذا) اى ابليس (عدو لك
ولزوجك) اى حواء وسبب العداء وما رأى من آثاره مع الله على آدم فحسده فصار
عدوا له (فلا يخرج جنسك من الجنة فتشقى) اسند المحروج اليه وان كان الله تعالى
هو المخير ج لانه لما كان بوسوسته وفعل آدم ما ترتب عليه المحروج صبح ذلك
ومعنى تشقى تعب وتصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو المحرث
والزراع والمحصو والطن والحزير قيل ابط الى آدم نورا جرف فكان يحترق عليه ويصيح
العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه فان قلت لم اسند الشقاء الى آدم دون حواء
قلت فيه وجهان احدهما ان في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما في سعادته سعادتهم
لانه القم عليهم الشاى انه اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون
المرأة لان الرجل هو السامع على زوجته (ان لك لا تجوع فيها) اى في الجنة (ولا تعرى
وأنت لا تظما فيها) اى تعطش (ولا تضحى) اى تبرؤ الشمس فيؤذيك حرها لانه ليس في
الجنة شمس واهلها في ظل محدود والمعنى ان الشبع والرى والكسوة والكن هي الامور
التي يدور عليها كفاف الانسان فذكر الله تعالى حصول هذه الاشياء في الجنة وانها ممكنة
لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كيجتاج اليه اهل الدنيا (فوسوس اليه
الشيطان) اى انهى اليه الوسوسة كما سر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال (قال
يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد) اى على الشجرة التي ان اكلت منها بقيت مخلداً (ولم لك
لا يلبى) اى لا يسجد ولا يفتي رغبة في دوام الراحة فكان الشئ الذى رغب الله فيه آدم
رغباً ابليس فيه الا ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة ووابليس وقفه
على الاقدام عليها واد مع كمال علمه بان الله تعالى هو الخالق ومولاه ناصر ابليس
هو عدوه اعرض عن قول الله تعالى ولم يرد الخلد لانه من تأمل هذا السر عرف انه لا داع
لقضاء الله ولا مانع له منه وقوله تعالى (فأكل منها) يعنى اكل آدم وحواء من الشجرة

(ولا تعرى) عن اللباس لانها معدة لتدافعها (وانك) بالاسم نافع وابو بكر عطف على ان الاولى وغيرهما بالفتح (فبدت
عظما على ان لا تجوع وعمله نصيبان وجاز للفضل كما تقول ان في على أفك جالس (لا تظما فيها) لا تعطش لوجود الاشربة فيها
(ولا تضحى) لا يصفيلك حر الشمس اذ ليس فيها شمس فاهلها في ظل محدود (فوسوس اليه الشيطان) اى انهى اليه الوسوسة
كسر اليه (قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد) اى على الشجرة التي الخلد وهو الخلد لان من اكل منها خلد برحمه ولا يموت
(ولم لك لا يلبى) لا يفتي (فأكل) اى ادم وحواء (منها)

(فبدت لهما سواتهما) أي عريهما من الثياب التي كانت عليهما حتى بدت فروجهما
وظهرت عورتاهما (وظفقا) يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي يلزقان بسواتهما من
ورق التين (وعصى آدم ربه) أي بأكل الشجرة (فعوى) أي فعل ما لم يكن له فعله. وقيل
أخطأ طريق الحق وصل حيث طلب الخلد بأكل ما نهى عنه فخاب ولم يلزم مراده وصار
من العزالي الذل ومن الراحة إلى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا
يجوز أن يقال آدم عاص لأنه إنما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخطئ ثوبه يقال
خاطئ ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك ثم اراد يعتاده (ق) عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت
أبونا خرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصف ظاك الله بكلامه وخطاك
التوراة بيده التلموني على أمر قد ربه الله تعالى على قبل أن يخلقني باربعين عاما فخرج آدم
موسى وفي رواية يسلم قال آدم بكروا لله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى
باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فعوى قال له نعم قال فهل تلموني على
أن عملت عملا كتب الله على أن عمله قبل أن يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فخرج آدم موسى

(الكلام على معنى الحديث وشرحه)

قوله احتج آدم وموسى الحاجة المجادلة والخاصة يقال حاجبت فلانا بحجة أي
جادلته فغلبته قال أبو سليمان الخنطاني قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر والقضاء
من الله تعالى على معنى الاجبار والقياس لا على معنى القدر وقدره وهم أن قوله فخرج
آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وإنما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون
من أفعال العبادوا كسابهم وصودرها عن تقدير منه وخلق لها خيرا وشرها والقدر
اسم لما صدره مقدرا عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق وإذا كان الأمر كذلك
فقد بقى عليهم من وراء علم الله بهم أفعالهم وأسابهم ومباشرتهم الأمور وملاستهم
أي ما عن قصد وتعمد وتقدم ارادته واختياره فالحجة إنما تلزمهم بها واللائمة لجهلهم عليها
وجماع القول في هذا أنها ما أمر أن لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة
الاساس والآخر بمنزلة البناء من رام الفصل بينهما فقد دهم البناء ونقضه وإنما
موضع الحجة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم أنه يتناول الشجرة
ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك وإنما كان يتناول الشجرة
سببا لنزوله إلى الأرض التي خلق لها وإنما أدى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لآدم موسى
عن نفسه ولذلك قال التلموني على أمر قد ربه الله على من قبل أن يخلقني

(فصل في بيان عصمة الانبياء وما قيل في ذلك) قال الامام نضر الدين الرازي اختلاف
الناس في عصمة الانبياء وضبط القول فيها يرجع إلى اقسام أربعة أحدها ما يقع في
باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فإن ذلك غير جائز عليهم الثاني ما يتعلق
بالتبليغ فقد اجتمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب وما ظنوا به من التبليغ

فبدت لهما سواتهما) عورتاهما
(وظفقا) طفق يفعل كذا
مثل جعل يفعل وهو كذا
في وقوع الخبر فعلا مضارعا
الا انه لا شروع في أول الامر وكاد
للدنو منه (يخصفان) عليهما من
ورق الجنة) أي يلزقان الورق
بسواتهما للتستر وهو ورق التين
(وعصى آدم ربه فعوى) ضل
عن الرأي وعن ابن عيسى خاب
والحاصل ان العبدان وقوع
الفعل على خلاف الامر والامر
وقد يكون عدا فيكون ذنبا وقد
لا يكون عدا فيكون رة ولما
وصف فعليه بالعصيان خرج
فعله من أن يكون رشدا فكان
غيبا لان الذي خلاف الرشيد
وفي التصريح بقوله وعصى
آدم ربه فعوى والعبدول عن
قوله وزل آدم فخرج ببلغة
وموقفه كافة لا كقبح كانه
قيل لهم انظروا واعتبروا كيف
نعيت على النبي المعصوم جيب
الله زلته بهذه الغلظة فلا تهاونا
بما يفرط منكم من الصغائر
فضلا عن الكبائر

والخبر ارض والا لا ترفع الوثوق بالادعاء فتقو على ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا وقالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالقتل فاجعوا على انه لا يجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد و اجازة بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع في أفعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة أقوال أحدها قول من جوز عليهم الكبائر الثاني قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة الثالث لا يجوز أن ياتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على جهة التأويل وهو قول الجسائي الرابع انه لا يقع منهم الذنب الاعلى جهة السهو والخطأ الخامس انه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال أحدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر اصحابنا وابي الهذيل وابي على من المعتزلة قال الامام والاختار عندنا انه لم يصد عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين طاعتهم النبوة ويدل عليه وجوه احدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من احد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء غاية في الرفعة والشرف الثاني لو صدر منه وجب ان لا يكون مقبول الشهادة فكان أقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز ايضا لان معنى النبوة والرسالة هو ان يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم وايضا فانه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لو صدره من النبي ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال الرابع ثبت بديهية العقل انه لا شيء اقبح من رفع الله درجةه واثمنه على وجهه وجعله خليفة في عباده وولاده يسمع ربه يتاديه لا يفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيها عرضه واجتمعت الامة على ان الانبياء كانوا ايامهم من الناس بطاعة الله فلم يطعوه لدخول تحت قوله انا هم من الناس بالبروتفسون أنفسهم وانتم تتلون الكتاب اقلنا تعقلون وقال وما وليد ان اختلفكم الى ما نهاكم عنه الخاس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ونظفه لهم سموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت ان الانبياء كانوا افعال لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يظني من الملائكة رسلا من الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا و آل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى ذر حق موسى ان اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال تعالى واذا عبدنا ابراهيم واصحق وبعثت قوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا من المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم معصومين بالاصطفاء والخيرية وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال واما الخالف فقد تسلب بآيات منها قصة آدم وهذه الجواب عنها نقول ان كلامهم انما يحتمل ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز ان قال آدم

(ثم اجتباها ربه) قربه اليه واصطفاه
وقرى به واصل الكلمة الجمع
يقال جئ الى كذا فاجتنيته
(فتاب عليه) قبل قول ربه
(وهدى) وهده الى الاعتذار
والاستغفار (قال اهبطا منها
جميعا) يعنى آدم وحواء (بعضكم)
ياذرية آدم (لبعض عدو)
بالاختلاف فى الدنيا والاختلاف
فى الدين (فاما يا ايها منى
هدى) كتاب وشريعة (فن
اتبع هداى فلا يضل) فى الدنيا
(ولاشئ) فى العقبى قال ابن
عباس رضى الله عنه ماضى
الله ان اتبع القرآن أن لا يضل
فى الدنيا ولا يضل فى الآخرة
يعنى ان الشقاء فى الآخرة هو
عقاب من ضل فى الدنيا عن
طريق الدين فن اتبع كتاب
الله واعتزل امره وانتهى عن
نواهيه فحافظ الضلال ومن
عقابه (ومن اعرض عن ذكرى)
عن القرآن (فان له معيشة
ضئلا) ضئلا وهو مضدر
يتوى فى الوصف به المذكر
والؤنث عن ابن جرير يسلمه
القناعة حتى لا يبيع فى الدين
التسليم والقناعة والتوكل
فيسكون حياته طيبة ومع
الاعراض المحرض والشح
فعبثه ضئلا وحاله مظلم كما
قال بعض المتصوفة لا يعرض
أحدكم عن ذكر ربه الا ظلم
عليه وقته وشوش عليه رزقه

حال ما صدرت عنه هذه الاشياء ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله
تعالى قبل توليته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضى عياض واما قصة آدم وقوله
عصى آدم ربه فغوى أى جهل وقيل أخفا فقد أخبر الله تعالى به ذرته فى قوله ولقد
عهدنا الى آدم من قبله فنسى ولم نجد له عزما أى نسي عداوة إبليس له وماعهد الله اليه
وقيل لم يقصد الخيانة استغلا للهاولكنه اغتر بحلف إبليس له انى لهما فى الناحيتين
وتوهم ان أحدا لا يخاف بالله كذبا وقيل نسي ولم يوافق الخافه فلذلك قال ولم نجد له عزما
أى قصد الخيانة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى
عنه الا انه تاول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة
من ترك التذلل لمن الخيانة وقيل لأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي قهر فمفان قلت
اذا ثبت عنهم الذنوب والمعاصى فسامعنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما ذكر فى القرآن
والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وكنائهم على
ما سلفه منهم وهل يتوب ويستغفر من لاشئ عليه قلت ان درجة الانبياء فى الرفعة
والعلو المعروفة بالله يسته فى عبادته وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحمله على الخوف
منه حل جلاله والاشفاق من المؤاخذه بما لا يؤاخذه به غيرهم وانهم فى تصرفهم بامر ولم
ينها عنهما ولم يفر وهاوا وتوابعه الى أواله وهو وتر يدوان أمور الدنيا
المباحة أوخذوا عليهم أوعتوباسيها أوخذوا من المؤاخذه بها فهم خائفون وجلون
وهى ذنوب بالاضافة الى علومهم ومعاصيهم بالنسبة الى كل طاعتهم لانها ذنوب
كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجرى من أحوالهم كما قيل
حسنات الاراسات المقر بين أى رونها بالاضافة الى علو أحوالهم كالسبات
وسند كز كل موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شاء الله تعالى قوله عز وجل (ثم اجتباها
ربه) أى اختاره واصطفاه (فتاب عليه) أى عاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدى) أى هداه
لرشدته حتى رجع الى السند والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) قيل الخطاب لآدم
ومعه ذريته ولا إبليس ومعه ذريته فصيح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين
على الكثرة وقيل الخطاب لآدم وحواء لانهما أصل البشر فحسلا كانتهما البشر
لخطوبه بلقا الجميع (بعضكم بعض عدو) وقيل فى تقوية هذا الظاهر حقه أن يكون
إبليس والشياطين أعداء الناس ويحتمل أن يكون بعض الفريقين لبعض عدوا (فاما
يا ايها منى هدى) أى كتاب ورسول (فن اتبع هداى) أى الكتاب والرسول (فلا
يضل ولا يضل) قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة وتوفاه
يوم القيامة سواء الحساب وبذلك لأن الله تعالى يقول فن اتبع هداى فلا يضل أى فى
الدنيا ولا يضل فى الآخرة (ومن اعرض عن ذكرى) يعنى القرآن فلم يؤمن به ولم
يتبعه (فان له معيشة ضئلا) روى عن ابن مسعود وأى هريرة روى عن سعد الحدرى رضى
الله عنهم انهم قالوا هو عذاب القبر قال ابو سعيد يضط فى القبر حتى تختلف أضلاعه وفى
بعض المسانيد فروعا يلام عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث
وقيل هو الرقوم والضرير والغميلين فى النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال

(ونفسهم يوم القيامة أعمى) عن الحجة عن ابن عباس اعى البصر وهو كقولهم ونفسهم يوم القيامة على وجوههم عيا هو الوجه (قال رب احسن عني اعى وقد كنت بصير) في الدنيا (قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر فقال (أتيتك آياتنا فاستهتوا وكذلك اليوم تنسى) أى أتيتك آياتنا واضحة فقل تنظر إليها بعين المعترف وتركتها وعيت عنها فكذلك اليوم تنترك على عماك ولا تنزل غطاء عن عيذك (وكذلك تجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه والعذاب الآخرة أشد وأبقى) لما توعده المعرض عن ذكره بعبق وبطين العيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في القبي ختم آيات الوعيد بقوله والعذاب الآخرة أشد وأبقى إلى العشر ٣٠

ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ما أعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وإن قوما تعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا ما كثر من منها فكانت معيشتهم ضنكا وكذلك أنهم يرون أن الله ليس بخلاف لهم فاشتد عليهم معاشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يساب القناعة حتى لا يشبع (ونفسهم يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس اعى البصر وقيل أعمى عن الحجة (قال رب احسن عني اعى وقد كنت بصيرا) أى بصير العين أو بصير بالحجة (قال كذلك) أى كما (أتيتك آياتنا فاستهتوا) أى فتركها وعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) أى تترك في النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب (وكذلك تجزي من أسرف) أى كثر بنا من تعرض عن القرآن كذلك تجزي من أسرف أى أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه والعذاب الآخرة أشد) أى بما يعذبهم الله في الدنيا والآخر (وأبقى) أى وأدوم قواد تعالى (أفلم يهدهم) أى أفلم يبين القرآن كيف فارمكة ثم أهلكم أقبلهم من القرون عشرون في مساكنهم) يعنى في ديارهم ومنازلهم إذا سافر وأوذلك أن قرىسا كانوا يسافرون إلى الشام فيعبرون ديار المهلكين من أصحاب الجحور وهم غمد وقرىسات قوم لوط (إن في ذلك لآيات لاولى انتهى) أى لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى ولولا كلمة سبقت بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما وأجل مسمى) تقدروا لولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لازم صدور لزم قوصفبه (وأجل مسمى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لازم القرون الماضية الكافرة (فأصبر على ما يعلقون) نسختها آية السيف (وسيج محمد ربك) أى صل بامر ربك (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل غروبها) أى صلاة العصر (ومن آء الليل) أى ومن ساعاته (فسيح) يعنى فعل صل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعنى صلاة الظهر مسمى وقت الظهر أطراف النهار لأن وقتها عند الزوال وهو طرف النصف الأول انتهاء وطرف النصف الآخرة ابتداء (لعلك ترضى) أى ترضى ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء أى تعطى ثوابه وقيل بضم الراء (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنظر إلى القمر ليلة البدر وقال أنتم سترون ربكم عيانا كترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا

أى الله بدليل قراءة زبد عن يعقوب بن أنون (كم أهلكنا قبلهم من القرون عشرون) حال من الضمير الجور في لهم (في مساكنهم) يريدان قرىسا عشرون في مساكن عاد وغمد وقوم لوط ويعانيون آثار هلاكهم (إن في ذلك لآيات لاولى انتهى) لذوى العقول إذا تفكر واعلموا أن استعصا لهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم (لكان لزاما) لازما فاللزام صدور لزم قوصفبه (وأجل مسمى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لازم القرون الماضية الكافرة (فأصبر على ما يعلقون) فيك (وسيج) وصل (محمد ربك) في موضع الحال وأنت حامد

لربك على أن وقتك للتسبيح وأعلنك عليه (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعنى الظهر عن العصر لانها وقتان في النصف الآخرة من النهار بين زوال الشمس وغروبها (ومن آء الليل فسيحوا أطراف النهار) أى وتعد آء الليل أى ساعاته وأطراف النهار مختصة بالصلوات وقد تناول التسبيح في آء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت في قوله والصلوة الوسطى عند البعض وأند جمع وأطراف النهار وهما أطراف لآمن الأساس وهو عطف على قبيل (لعلك ترضى) لعل الخطاب أبى أذكر الله في هذه الاوقات رجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وترضى على وأبو بكر أى يرضيك ربك

(ولا تمدن عينيك) أي نظار عينك وهذا النظر تطويله وان لا يكاد يردده استعسانا بالنظر واليه وانما يابيه وفيه ان النظر غير المدوم معوق عنه وذلك ان يبادر الشيء بالنظر ثم بعض الطرف واقد شد المتقون في وجوب بعض النظر عن انية الظلمة وعدد الفسقة في ملاسهم ومرا كهم حتى قال الحسن لا تنظروا الى دقة قههما ليح الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم اى اتخذوا هذه الاشياء ليعين النظارة ٣٢١ فالنظر اليها يحصل لغرضهم ومقر

لهم على اتخاذها (الى ما متعنا به أزواجهم منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حلا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذى متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (زهرة الحموة الدنيا) زينتها وجمعها وان تصب على الذم او على ابداله من محل به او على ابداله من أزواجها على تقدير ذوى زهرة (انفتحتم فيه) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أولئك في الآخرة يسبه (ورزق ربك) ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكفاي (خير وأبق) مما رزقوا (وأمر اهلك) أهلك أو أهل بيتك (بالصلوة واصطر) أنت داوم عليها لا تسلك رزقا أى لا نسألك ان ترزق نفسك ولا أهلك (فخن فزرك) وأماهم فلا تهم الامر الرزق وفرغ بالك الامر لا تحزن لان من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة ابن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينك الا تبه ثي يادى الصلاة الصلاة ربحك الله وكان يربن

عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فاعلموا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لا تضامون بخفيف الميم من الضم وهو الظاهر والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رؤيته وروى بشديد الميم من الانضمام والازدحام اى لا يزدحم ولا يضيغ بعضكم الى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه لا لروية لا للرؤية وهى فعل الرأى ومعناه ترونكم رؤيته يفرح معها الشك كروى تشكك هذا القمر ليله البدر لا ترائون فيه ولا تشكون قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك) قال ابو ارقع رزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فعنى الى هودى فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول معنى كذا وكذا من الدقيق أو اسلفنى الى هلال رجب فانيته فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا بهن فانيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجبرته فقال والله لئن باعنى أو اسلفنى اقضيت به واني لا ميم في السماء وامين في الارض اذهب يدري الحمدي اليه فبزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك اى لا تنظر نظارا تكاد يردده استعسانا بالنظر اليه وانما يابيه وشمس اليه (الى ما متعنا به) اى اعطينا (أزواج) اى أصنافا (منهم زهرة الحموة الدنيا) اى زينتها وجمعها (انفتحتم فيه) اى لتجسس ذلك قهتهم بان تزيد لهم النعمة فيزيدوا كفر أو طغيانا (ورزق ربك) اى فى المدا في الجنة (خير وأبق) اى ادم وقال ابن كعب من لم يعثر بالله تظعت نفسه حمرات ومن أتبع بصره ما فى يدي الناس ظل زنه ومن ظن ان نعمة الله عليه في مطعمه ومشر به وملبسه قد قل عليه وحضر عذابه قوله تعالى (وأمر اهلك) اى قولك وقيل من كان على دينك (بالصلوة) اى بالمحافظة عليها (واصطر عليها) اى اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل ابلغ منه بلسان القول (لا تسلك رزقا) اى لا تكلفك ان ترزق احدا من خلقنا ولا ان ترزق نفسك بل تكلفك عملا (فخن فزرك) اى بل فخن فزرك وبرزق اهلك (والعاقبة للتقوى) اى المحصلة الحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفى بعض المसानيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضارهم بالصلاة وتلا هذه الآية تعالى (وقالوا) يعنى المشركين (ولولا اننا يا قه من ربه) اى بالآية المبررة فانه كان قد اتاهم بآيات كثيرة (اولم تأتوهم بيته ما فى الخفف الاولى) اى بيان ما فيها وهو القرآن لانه اوى دلالة واوضح آية وقيل معنى ما فى الخفف ما فى التوراة والانجيل وغيرهم ان اخبار الامم انهم

عند الله المزي اذا اصاب اهله خاصة قال قوموا فاصلواهم هذا أمر الله رسوله وعن مالك بن دينار مثله وفى بعض المساند أنه عليه السلام كان اذا اصاب اهله ضارهم بالصلاة وتلا هذه الآية (والعاقبة للتقوى) اى وحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين (وقالوا) اى الكافرون (ولولا اننا يا قه من ربه) اهلا يا نبي محمد يا قه من ربه تدل على صحة نبوته (اولم تأتوهم) اولم تأتوهم سدنى وحفص بصرى (بما فى الخفف الاولى) اى الكتب المتقدمة يعنى انهم افترحو اعلى عاداتهم فى التعمت آية على النبوة فقل لهم اولم تأتوكم آية هى ام الآيات وأعظمها فى باب الاعجاز يعنى القرآن من قبل القرآن برهان ما فى سائر الكتب المنزلة ودليل صحة لانه مجزة وثلث ليست بمجزة ففى مقبرة الى شهادة على صحة ما فيها

(ولو أنا أهلكناهم بعد ذلك من قبله) من قبل الرسول أو القرآن (لقلوا ربنا للولا هلا) أرسلت النار سولا فتنبع) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء (آيات من قبل أن نزل) ينزل العذاب (وتخزي) في العقبي (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم (مترص) منظر للعاقبة وما يؤمل إليه أمرنا أو كم (فترصوا) أنتم فستعلمون) إذا جاءت القيامة (من أصحاب) مبتدأ وخبر ومحلهما نصب (الضراط السوي) ٣٣٢ المستقيم (ومن اهتدى) إلى النعيم المقيم قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا يقر أهل الجنة الأسورة طه ويس والله أعلم بالصواب (سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثناعشرة آية كوفي واحد عشر آية مدني وبصري)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (اقرب) دنا (للناس) اللام صلة لاقترب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالناس المشركون لأن ما قبله من صفات المشركين (حسابهم) وقت محاسبة الله إياهم ومجازاته على أعمالهم يعني يوم القيامة وأما وصفه بالاقترب لقلته مابق بالأضافة إلى منهضي ولأن كل آت قريب (وههم في غفلة) عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم فالأقرب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين قرب غافل عن حساباته لاستغراقه في دنياه وأعراضه عن مولاه ورب غافل عن حساباته لاستغراكه في مولاه وأعراضه عن دنياه

أقربحو الآيات فلما أنتم لم تؤمنوا بها جعلناهم العذاب والهالك خبا يؤمنهم أن أنتم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك وقبل بيعة ما في الصحف الأولى هي البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته (ولو أنا أهلكناهم بعد ذلك من قبله) أي من قبل إرسال الرسل وأنزل القرآن (لقلوا ربنا للولا أرسلت النار سولا) أي لقائوا يوم القيامة لولا أرسلت النار سولا يدعوننا (فتنبع آياتك من قبل أن نزل وتخزي) بالعذاب والهوان والاقتضاح (قل كل مترص) أي منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نترص بمحمد ربنا المنون وحوادث الدهر فإذ ماتت تخلصنا قال الله تعالى (فترصوا) أي فانتظروا (فستعلمون) أي إذا جاء أمر الله وقامت القيامة (من أصحاب الصراط السوي) أي المستقيم (ومن اهتدى) أي من الضلالة نحن أنتم والله أعلم بما رده واسرار كتابه

﴿تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام﴾

وهي مكية وعدد آياتها مائة واثناعشرة آية وألف ومائة وعثمان وستون كلمة وأربعة آلاف وعثمان مائة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (اقرب للناس حسابهم) أي وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم يوم القيامة نزلت في منكرى البعث وأما ذكر الله هذا الأقرب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون أقرب إلى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقبل هم المشركون وهذا من باب إطلاق اسم الجنس على بعضه (وههم في غفلة معرضون) أي عن التأهب له وقيل معناه أنهم غافلون عن حسابهم ما همون لا يفتكرون في عاقبتهم مع إقضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء الحسن والمسيء إذا نهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنداء عرضوا عنه (ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث) يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه أن الله يحدث الأمر بعد الأمر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة وفي وقت الحاجة لبيان الأحكام وغيرهما من الأمور والوقائع وقيل الذكر الحديث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواظب سوى ما في القرآن وأضافه إليه لأن الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى (الاستماع هو) يلبسون) أي لا عيب ولا يعبرون ولا يظنون (الاهية قلوبهم)

فهو لا يقيق البرؤية المولى والاول انما يقيق في عسكر المواقى فالواجب علينا ان نحاسب نفسك قبل ان نحاسب اى وتنبه لعرض قبل ان تنبه وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر طاق الخلق اجمعين لتقوى لبقاب العالمين (ما يأتهم من ذكر) شيء من القرآن (من ربهم محدث) في التنزيل آياته مبتدأة تلاوته قريب عهد باستماعهم والمراد به التحروف المخنومة ولا خلاف في حدونها (الاستماع هو) من النبي عليه السلام واغيره من يتلوهم (وههم يلبسون) يستهزون به (الاهية) حال من ضمير يلبسون او وهم يلبسون ولاهية حال من الضمير في استماعهم ومن قرأ لاهية باربع يكون خبرا بعد خبر لتلوه وهم وارتفعت (قلوبهم) لاهية وهي من له ساعته اذا هزل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراى وما قال أبو بكر الوراق القلب الالهى الشغول بربية الدنيا وزهرتها

الغافل عن الآخرة وأهلها (واسرأوا) وبالعوا في اخفاء (التجوى) وهي اسم من التناجي ثم ابدل (الذين ظلموا) من وأو وأسرأوا ايذا بانابهم الموصوفين بالظلم فيما أسروا به أوجاء على لغة من قال: كلوني البراغيث أو هو مجرور والحل لكونه صفة أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره اسرأ التجوى فقدم عليه أى والذين ظلموا اسرأ التجوى (هل هذا الاشر مثلكم) أفتأتون السحر وأنتم تبصرون (هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من التجوى أى وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمر أو بالمعنى انهم اعتمدوا ان الرسول لا يكون الا مذكوا ان كل من ادعى الرسالة من البشر وحاجا بالمجزة فهو ساحر ومجتره فذلك قالوا على سبيل الانكار واقتضوا من السحر وانتم شاهدون وتعينون انه سحر (قال رب) حمزة وعلى وحقق أى قال محمد وغيرهم قل ربى أى قل ٣٣٣ يا محمد للذين اسرأوا التجوى (يعلم القول

في السماء والارض) اى يعلم قول كل قائل هو في السماء او الارض سر اكان اوجها (وهو السميع) لا قولهم (العليم) بما في ضمائرهم (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) اضر بوا عن قولهم هو سحر اى انه تخليط احلام رآه اى نومه فتوهما وحيا من الله اليه ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل للجل والمبطل رجاء غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا في دعواه وليس الامر كما يظن (فلما تأسا به) بمجزة (كما أرسل الاولون) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وبراء الأكمه وأحباء الموق وصحة التشبيه في قوله كما أرسل الاولون من حيث انه في معنى كما في الاولون بالآيات لان

أى ساهمة معرضة غافلة عن ذكر الله (واسرأوا التجوى الذين ظلموا) أى بالعوا في اخفاء التناجي وهم الذين أشركوا ثم بينهم الذي تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم (هل هذا الاشر مثلكم) يعنى انهم انكروا ارسال البشر وظلوا ارسال الملائكة والاولى ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من اشكاله اقرب (أفتأتون السحر) اى أتخضرون السحر وتقبلونه (أنتم تبصرون) اى تعلمون انه سحر (قل لهم يا محمد ربى يعلم القول في السماء والارض) أى لا يخفى عليه شئ (وهو السميع) لا قولهم (العليم) بأفهامهم قوله عز وجل (بل قالوا أضغاث أحلام) يعنى أباطيل وأهاويل رآها في النوم (بل افتراه) اى اختلقه (بل هو شاعر) وذلك ان المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم فيما يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فرقه وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر (فلما تأسا به) يعنى النبي صلى الله عليه وسلم (بآية) أى بمجزة ان كان صادقا (كما أرسل الاولون) أى من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلكم) اى قبل مشركى مكة (من قرية) أى من أهل قرية آتتهم الآيات (أهل كنانها) أى بالكنز كذب (أنهم يؤمنون) أى ان جاءتهم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم آية يؤمن هؤلاء قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا الاشر مثلكم والمعنى اننا لم نرسل الملائكة الى الاولين انما أرسلنا رجالا يوحي اليهم مثلكم (فاسئلوا أهل الذكر) يعنى أهل التوراة والانجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا يشكون ان الرسل كانوا اسرا وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله المشركين بسؤال أهل الكتاب لان المشركين أقرب الى تصديقهم من تنديق من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد ابدال ذكر القرآن أى فاسئلوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن (ان كنتم لا تعلمون) قوله عز وجل (وما جعلناهم) اى الرسل (جسدا

ارسل الرسل متضمن للآيات ان لا ترى انه لا فرق بين قولك اول محمد وبين قولك اني محمد بمجزة فرب الله عليهم قولهم بل قوله (ما آمنت قبلكم من قرية) من أهل قرية (أهل كنانها) صفة لقرية عندي ع الآيات المقترحة لا لهم طلبوها تعبنا (أنهم يؤمنون) اى اولئك لم يؤمنوا بالآيات لما آتتهم آية يؤمن هؤلاء المقترحون لو آتيناهم بما اقترحوا مع انهم اعنى منهم والمعنى ان أهل القرى اقترحوا على انديا لهم الآيات وعاهدوا انهم يؤمنون عندها فاما ما اتهم تسكتوا واطلوا فاهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء ما سألوا تسكتوا أيضا (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا الاشر مثلكم (يوحى اليهم) حفص (فاسئلوا أهل الذكر) العلماء بالكتبين فانهم يعرفون ان الرسل الموحى اليهم كانوا اسرا ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم (ان كنتم لا تعلمون) ذلك ثم بين انه كن تقدمه من الانبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا) وحدها الجسد لا رادة الجنس

(لا ياكلون الطعام) صفة مجسدي يعني وما جعلنا الانبياء قبله ذوى جسد غير طاعين (وما كانوا خالدين) كأنهم قالوا هلا كان ملكا لا يطعم ويغسلنا مع معتقدين ان الملائكة لا يموتون أو مسمين بقاءهم الممتد وحياتهم المتماولة خلودا (ثم صدقناهم الوعد) بانحائهم والاصل في الوعد مثل واختار موسى قومه أى من قومه (فانجيناهم) من ساحل بقومهم (ومن نشاء) هم المؤمنون (وأهلكنا المشركين) المجاوزين الحد بالكفر ودل الاخبار باهلاك المشركين على ان من نشاء غيرهم (القد أنزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) شرقكم ان علمته به اولانه بالسائكم اوفيه وعطفكم اوفيه ذكر دينكم ودنياكم والجملة اى فيه ذكركم صفة لكتابنا (أفلا تعقلون) ما فاضلكم به على غيركم فقوموا (ولم) نصب بقوله (فصعنا) اى اهلكنا (من قرية) اى أهلها بدليل قوله (كانت ظالمة) كآفة ٣٣ وهى واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لان القسم أضع الكسر وهو الكسر

الذى بين تلاؤم الاجزاء بخلاف القسم قانه كسر بلا اباية (وانشأنا) خلقنا بعد هاقوما آخرين فذكرنا ما ساء كنهم فلما احسوا اى المهلكون (باسنا) عذابنا اى علموا على حس ومشاهدة (اذاهم منها) من القرية فاذا لظافة وهم مبتدا والمحسر (بركنون) يهربون من عين والر كضرب الدابة بالرحل فيوزان بر كبرادواهم بر كضربها هاربين من قريتهم لما ادر كتهم مقدمة العذاب او شبهوا فى سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الرا كذين لدوابهم فقبل لهم (لا تركضوا) والقائل بعض الملائكة (وارجعوا الى ما ترقم فيه) نعمت فيه من الدنيا وابن العيش قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه (ومسا ككم لعالمك تسئلون)

لا ياكلون الطعام) هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام والمعلم لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشر يا كواكب العالمين (وما كانوا خالدين) أى فى الدنيا بل يموتون كغيرهم (ثم صدقناهم الوعد) اى الذى وعدناهم باهلاك اعدائهم (فانجيناهم ومن نشاء) اى من المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المشركين) اى المشركين لان المشرك مسرف على نفسه قوله عز وجل (القد أنزلنا اليكم) اى يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) اى شرفكم وغفر لكم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما فتحناهم اليه من امد دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتعذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد (أفلا تعقلون) فيه بعث على التدبر لان الخوف من لوازم العقول قوله تعالى (ولم) نصب بقوله (فصعنا) اى اهلكنا (من قرية كانت ظالمة) اى كآفة ٣٣ وهى واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لان القسم أضع الكسر وهو الكسر (القد أنزلنا اليكم) اى يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) اى شرفكم وغفر لكم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما فتحناهم اليه من امد دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتعذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد (أفلا تعقلون) فيه بعث على التدبر لان الخوف من لوازم العقول قوله تعالى (ولم) نصب بقوله (فصعنا) اى اهلكنا (من قرية كانت ظالمة) اى كآفة ٣٣ وهى واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لان القسم أضع الكسر وهو الكسر (القد أنزلنا اليكم) اى يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) اى شرفكم وغفر لكم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما فتحناهم اليه من امد دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتعذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد (أفلا تعقلون) فيه بعث على التدبر لان الخوف من لوازم العقول قوله تعالى (ولم) نصب بقوله (فصعنا) اى اهلكنا (من قرية كانت ظالمة) اى كآفة ٣٣ وهى واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لان القسم أضع الكسر وهو الكسر

اى يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا الى نعيمكم ومسا ككم لعالمك تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم اى فقير والسائل عن علم ومشااهدة ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسئلكم عيذك ومن ينفع فيه امركم ونهيكم ويقولوا اليكم بآمرهم وكيف نأتى ونذر كعادة لمنعمين الخدمين أو يسالكم الناس فى انديتكم المعاون فى نوازل المحطوب او يسالكم الوافدون عليكم والضايع يستطرون سخابا كففكم اوقال بعضهم لبعض لآركضوا وارجعوا الى منازلكم واهل بيوتكم لعالمك تسئلون ما لا يخرجوا جافا لقتلهم فتزودى من السماء بالشارا والانباء واخذتهم السيوف فقم (قالوا) يا ويلنا يا ويلنا (اعترفهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف) فما زالت تلك) هى اشارة الى ما يلنا (دعواهم) دعاءهم وتلك مرفوعة على انه اسم زالت ودعواهم المحبر ويجوز والكس (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد اى الزرع الحى ودول يجمع كالم يجمع المقدر

(خامدين) مشين نخود النار وحصيد اخامدين مفعول ثان مجمل اي جعلناهم جامدين لما ائله المحمود الخود كقولك جعلته
حلولاً مضاً اي جعلته جامعا للطعين (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا بعين) اللعب فعل بروق اوله ولا ثبات له ولا بعين
حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سويها هذا السقف المرفوع وهذا الهامد المرفوع وما بينهما من اصناف الخلق للهو واللعب
وانسا سويها الاستدلال بها على قدرة مدبرها ولتحايز المحسن والمسي على ما تقتضيه حكمته تأخير زنه ذاهن عن سمات المحدث
بقوله (لو اردنا ان نتخذ لهما) أى ولدا او امة كانه رد على من قال عيسى ابنه ويرمى صاحبته (لا نتخذنا من لدنا) من الولدان
او الخور (ان كنا فاعلين) اي ان كنا بمن يفعل ذلك ولما نحن بفعله لاستحقاقه في ٣٣٥ حقا وقيل هو نبي كقوله وان ادري

اي ساكنا فاعلين (بل نقذف) بل
اضرب عن اتخاذ اللهو ونزبه
منه لذاته تائه قال سبحانه ان
ننخذ اللهو بل من سمننا ان
نقذف اي نرى ونسلط (بالحق)
بالقرآن (على الباطل) الشيطان
او بالاسلام على الشرك وابتعد
على اللعب (فقد مغه) فكسره
ويحضر الحق الباطل وهذه
استعارة لطيفة لان اصل
استعمال القذف والدمغ في
الاجسام ثم استعير القذف لارتداد
الحق على الباطل والدمغ لذهاب
الباطل فالمستعار منه حسي
والمستعار له عقلي فكانه قيل بل
نورد الحق الشبه بالجسم القوي
على الباطل الشبه بالجسم
الضعيف فيطاله ابطال الجسم
القوي الضعيف (فاذا هو) اي
الباطل (زاهق) هالك ذاهب
(ولكم الويل مناصفون) الله
من الولد ونحوه (وله من في
السموات والارض) خلقا وملاكا

اي بالسبب كيف حصد الزرع (خامدين) اي مشين قوله عز وجل (وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما الا بعين) معناه ما سويها هذا السقف المرفوع وهذا الهامد المرفوع
وما بينهما من الخائب للعب واللهو وانسا سويها هذا السقف المرفوع في خلقه هما وما
فيهما من الخائب والمناقع التي لا تعد ولا تحصى (لو اردنا ان نتخذ لهما) اي ان كنا فاعلين
اللهو المرأفة عنه انه الولد (لا نتخذنا من لدنا) اي من عندنا من الخور الذين لا من عندكم
من أهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جائزا في حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر
ذلك حتى لا تعلموا علمه وذلك ان النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا ردا لله عليهم
بقوله لا نتخذنا من لدنا انكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره
(ان كنا فاعلين) اي ما كنا فاعلين وقيل ما كنا بمن يفعل ذلك لانه لا يليق بالربوبية (بل)
أى دغ ذلك الذي قاله فانه كذب وباطل (نقذف) اي نرى ونسلط (بالحق) اي بالايان
(على الباطل) اي على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله
ولدا (فقد مغه) فيهلكه (فاذا هو زاهق) اي ذاهب والمعنى ان بطل كذبهم عيان من
الحق حتى يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يا معشر
الكفار (ما تصفون) الله تعالى بالحق به من الصاحبة والولد (وله من في السموات والارض)
اي عبيد اولها وهو الخلق لهم والمذموم عليهم باصناف النعم (ومن عنده) يعني الملائكة
والملائكة ان كانوا داخلين في جملة من في السموات لكبرائهم ومن يد الاعتناء
بهم (لا يتكبرون عن عبادته) اي لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولا يستخسرون) اي
لا يعيون ولا يستعجبون وقيل لا يتعظمون عن العبادات ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسبحون
الليل والنهار لا يفترون) اي لا يضعفون ولا ينامون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم
لا يفتر جميع اوقاته - لم لا تتخلأ فترة بفرغ او شغل آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم
كان نفس لبي ادم (ام اتخذوا آلهة من الارض) يعني الاصنام من الحجارة والخشب
وغيرهما من المعادن وهي من الارض (هم يشيرون) اي يحيون الاموات الا يسبحون

فاني يكون شيء منه ولدا وبهم ما تنافى بوقف على الارض لان (ومن عنده) منزلة ومكانة لا منزل ولا مكانا - يعني الملائكة
مبتدأ خبره (لا يستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادته ولا يستخسرون) ولا يعيون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) حال من
فاعل يسبحون اي تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاته - لم لا تتخلأ فترة بفرغ او شغل آخر فتسبحهم خارجي التجري النفس منا
ثم اضرب عن المشركين مشكرا عليهم ومو بجاهلهم بام التي يعني بل واللهزة فقال (ام اتخذوا آلهة من الارض هم يشيرون)
يعيون الموتى ومن الارض صفة لا الهة لان آلهتهم كانت متخذة من جواهر الارض كالذهب والفضة والحجر وتعد في الارض
فنسبت اليها كقوله فلا من المدينية اي مدني او متعلق بالتخذ او يكون فيه بيان غاية الاتخاذ في قوله هم يشيرون زيادة
توبيخ وان لم يدعوا ان اصنامهم تحيي الموتى وكيف يدعون ومن اعظم المنكرات ان يشيرون الموتى لانه يلزم من

دعوى الالهة لمادعوى
 الاشارة لان العاجز عنه لا يصح
 أن يكون الهاذ لا يتحقق هذا
 الاسم الا الله ادعوى كل مقدور
 والاشارة من جهة المقدورات
 وقرأ المحسن بشرون ففتح المياه
 وهما لغتان أنشأ الله الموتي
 ونشرها أي احياءها (لو كان فيها
 آلهة الا الله) أي غير الله وصفت
 آلهة بالا كذوبة بتبغير الو
 قيل آلهة غير الله ولا يجوز رفعه
 على البذل لان لو عزله ان في
 أن الكلام منه موجب والبذل
 لا يسوغ الا في الكلام غير
 الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت
 منكم أحد الا أمر نك ولا يجوز
 تضمينه استثناء لان الجمع اذا
 كان منكر الا يجوز ان يستثنى
 منه عند الحقيقة لانه لا عموم له
 بحيث يدخل فيه المستثنى لولا
 الاستثناء والمعنى لو كان يدبر أمر
 السموات والارض آلهة شتى غير
 الواحد الذي هو فاطرهما
 (لفسدتا) لمخرجات الوجود المتمايع
 وقد قدرنا في أصول الكلام
 ثم نزه ذاته فقال (فسبحان الله
 رب العرش عما يصفون) من
 الولد والشرى (لا يسئل عما
 يفعل) لانه المتألك على الحقيقة
 ولو اعتبر على السلطان بعض
 عبيده مع وجود التجانس
 وجواز الخطا عليه وعدم الملك
 الحقيقي لاستعج ذلك وعدسها
 فن هو مالك الملوكة ورب
 الارباب وفعله حوالب كاه أولى
 بان لا يعترض عليه

الالهة الا من يقدر على الاحياء والابحاد من العدم والانعام بالبلغ وجوه النعم وهو الله عز
 وجل (لو كان فيهما) أي في السماء والارض (آلهة الا الله) أي غير الله (لفسدتا) أي
 لمخر بتاوهلاك من فيهما الوجود المتمايع من الآلهة لان كل أمر صدر عن الاثنين فأكثر لم يجر
 على النظم وقال الامام فخر الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود آلهتين يفضي الى
 المحال فوجب ان يكون القول بوجود آلهتين محالوا فإلما فلاننا يفضي الى المحال لا نألو
 فرضنا وجود آلهتين فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان
 كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا أن أحدهما اراد
 تحريكه واراد الآخر تسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستدالة الجمع بين الضدين
 اولا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجوده ادخل واحد منهما امر الا لا خرفلا
 بمنعهم ادهذا الاعند وجودهم اذ ذلك والعكس فلو امتنع ما مع الوجود معا وذلك محال أو
 يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك أيضا محال لوجهين أحدهما انه لو كان كل واحد منهما
 قادرا على ما لانه يملكه امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لا بدوان يستوي باقي القدرة
 واذا استويا في القدرة استدلال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني والازم
 ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فخلد الذي وقع
 مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والمجزز نقص وهو على الآلهة محال ولو
 فرضنا آلهتين لسكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي الى وقوع مقدور
 من قادرين مستغلين من وجهه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان
 لا مكانه فاذا كان كل واحد منهما مستغلا بالاحتداد فالفعل لا يكونه هذا يكون واجب
 الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا الكونه حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما معا
 واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة في مسئلة التوحيد فقول القول
 بوجود آلهتين يفضي الى امتناع وقوع المقدور بوجود واحد منهما واذا كان كذلك وجب أن
 لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعاً أو نقول لو قدرنا آلهتين فاما أن يتفقا أو
 يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه
 بهما وهو محال وان اختلفا فاما أن يقع المرادان ولا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما
 دون الثاني والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات وعالم ان اذا وقعت
 على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العاوى والسفلى من المحدثات
 والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى واما الدلائل السمعية على الوحدة فانه
 فكثيرة في القرآن وعالم ان كل من طعن في دلالة التمايع ففسر الآية بان المراد لو كان
 في السماء والارض آلهة يقول بالهية تابعة لاصنام لزم فساد العالم لانها جادات
 لا تقدر على تدبير العالم فلزم فساد العالم قالوا وهذا أولى لانه تعالى حي عنهم في قوله لم
 اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فسادها فوجب أن يختص
 الدليل به وأما قوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى
 عما يصفه به المشركون من الشرى والولد (لا يسئل عما يفعل) أي لا يسئل الله عما يفعله

(وهم يسألون) لانهم علموا كون خطأؤنا فما أخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه وقيل وهم يسألون ترجع الى المسيح والملائكة أى هم مسئولون فكيف يكونون آلهة والالوهية تنافي بالحسنة والمسؤولية (أم اتخذوا من دونه آلهة) الاعادة لزيادة الافادة فالاول لانهم كانوا من حيث العقل والثاني من حيث النقل أى وصفته الله تعالى بان يكون له شرك فقبل الحمد (قل ها اتوا بهانكم) حجتكم على ذلك وذاعقل وهو ياباه كماله او نقل وهو الوحي وهو أيضا ياباه فانكم لتجدون كتابا من الكتب السماوية الاوفيه وتوحيدهم عن الانداد (هذا) أى ٣٢٧ القرآن (ذكر من معي) يعنى أمته

(وذكر من قبلى) يعنى أم الانبياء من قبلى وهو وادنى توحيد الله ونفى الشركاء عنه معي حفص فلما لم يمتدوا عن كفرهم اضرب عنهم قسقال (بل أكرههم ليعلمون الحق) أى القرآن وهو نصب يعلمون وقرئ الحق أى هو الحق (فهم) لاجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا بوحي اليه) الانوحى كوفى غير أى بكروحماد (انه لاله الا أنافاعبدون) وحدثوني فهذه الآية مقررقة ماسبقها من أى التوحيد (وفاوا اتخذوا الرحمن ولدا سبحانه) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة هم عباد الله فنهذ ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بانهم عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أى بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا بأولاد اذ البرودية تنافى الولادة (لا يسبقونه بالقول) أى بقولهم فانيت اللام من باب الاضافة والمعنى

وقضيه في خلقه (وهم يسألون) أى والناس يسألون عن أعمالهم والمعنى أنه لا يسئل عما يحكم في عبادته من اعزاز واذلال وهدي واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والحق يسألون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر ولاهم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له انشي فعله لم فعلته قوله عز وجل (أم اتخذوا من دونه آلهة) لما اطل الله تعالى ان تكون آلهة سواء بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا تأخير عليهم اتخاذهم الا آلهة فقال أم اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام انكروا توبيخ (قل ها اتوا بهانكم) أى حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأففا (هذا) يعنى القرآن (ذكر من معي) أى فيه خبر من معي على ديني وعن يميني الى يوم القيامة يعلمون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذكر) أى خبر (من قبلى) أى من الامم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وقال ابن عباس ذكر من معي القرآن وذكر من قبلى التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها الله اتخذولدا أو كان معه آلهة (بل أكرههم ليعلمون الحق فهم معرضون) قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لاله الا أنافاعبدون) أى فوحدوني وقيل لما توجهت الحجة عليهم بهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل أكرههم ليعلمون الحق فهم معرضون أى عن التأمل والتفكير وما يجب عليهم من الايمان بانه لاله الا هو قوله تعالى (وقالوا اتخذوا الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) أى هم عباد يعنى الملائكة (مكرمون) أى أكرههم الله واصطفاهم (لا يسبقونه) أى لا يتقدمونه (بالقول) أى لا يتكلمون الا بما أمرهم به (وهم يأمروهم يعلمون) المعنى انهم لا يخشونه ولا يعلوا ولا يعلوا (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) أى ما عملوا وما هم عابدون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون الا ان ارضى) قال ابن عباس الا ان قال لاله الا الله وقيل الا ان رضى الله تعالى عنه (وهم من خشية مشفقون) أى خائفون وجلون لا آمنون مكره (ومن يقل منهم انى اله من دونه) قيل عني به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان أحد اعداء الملائكة لم يقل انى اله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) أى الواضعين في الشهية والعبادة في غير طاعة نفسه وعبادته

٤٣ ن ث انهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم (وهم يأمروهم يعلمون) أى كما ان قولهم تابع لقوله فعلمهم ايضا بنى على أمره لا يعلمون غلام يومه (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) أى ما قدموا واخروا ومن أعمالهم (ولا يشفعون الا ان ارضى) أى ان رضى الله عنه وقال لاله الا الله (وهم من خشية مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم من الملائكة انى اله من دونه) من دون الله انى مدنى وأوعى (فذلك القائل خمره) نجزيه جهنم وهو جواب الشرط (كذلك نجزي الظالمين) الكافرين الذين وضعوا الالهية في غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقيق عصمتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهم اوفادوا الخلق قد تحقق العبد في ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه وعبادته

(أولم ير الذين كفروا) ألم ير مكي (إن السموات والارض كانتا) أى جماعة السموات وجماعة الارض فلذا لم يقل كن
 (رتقا) بمعنى المفعول أى كانتا موقعتين وهو مصدر فلذا صليح أن يقع موقع موقعتين (ففتقناهما) فشققناهما وما الفتق
 الفصل بين الشئين والرتق ضد الفتق فان قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا الله واد في القرآن الذى
 هو معجزه فقام مقام المرمى المشاهد ولان الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الارض والسماوات بينهما مجازتان في العقل
 فالاختصاص بالثابتين دون التلاصق لا بد له من تخصص وهو القديم جعل جلاله ثم قيل ان السماء كانت لاصقة بالارض
 لا فضاء بينهما فافتقناهما أى فصانما بينهما بالهواء وقيل كانت السموات مربعة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع
 سموات وكذلك الارض كانت مربعة ٣٣٨ طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع ارضين وقيل كانت السماء رتقا

لا تظروا الارض رتقا لانتبت
 ففتق السماء بالمطر والارض
 بالنبات (وجعلنا من الماء كل
 شئ حي) أى خلقنا من الماء كل
 حيوان كقوله والله خلق كل
 دابة من ماء أو كما غا خلقناه
 من الماء لفرط احتياجه اليه
 وحيه له وقلة صبره عنه كقوله
 خلق الانسان من عجل (أفلا
 يؤمنون) يصدقون بما
 يشاهدون (وجعلنا في الارض
 رواسي) جمالا لثوابت من رسا
 اذا ثبت (أن يقيمهم) لتسلا
 تضرب بهم فخذف لاواللام
 وانما حذف لعدم الالباس
 كما تزد لذلك في لئلا يعلم أهل
 الكتاب (وجعلنا فيها
 أنهارا) أى طرقا واسعة جمع
 فنع وهو الطريق الواسع ونصب
 على الحال من (سبلا) متقدمة
 فان قلت أى فرق بين قوله تعالى
 لتسلكوا منها سبلا فاجا وبين
 هذه قات الاول للاعلام بأنه جعل

موضعها قوله عز وجل (أولم ير الذين كفروا) أى لم يعلم الذين كفروا (وان السموات
 والارض كانتا رتقا) قال ابن عباس كانتا شيا واحدتا موقعتين (ففتقناهما) أى
 فصانما بينهما ما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والارض بعضهما على بعض ثم خلق
 ريحا يوسعهما ففتقهما بها وقيل كانت السموات مربعة طبقة واحدة ففتقها فجعلها
 سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السماء رتقا لا تظروا الارض رتقا لانتبت
 ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شئ حي) أى احيينا
 بالماء الذى ينزل من السماء كل شئ من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر
 وذلك لانه سبب الحياة كل شئ وقال المفسرون معناه ان كل شئ حي فهو مخلوق من
 الماء وقيل بمعنى النطفة فان قلت قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء كآدم وعيسى
 والملائكة والجان قلت خرج هذا اللفظ من جراح الاغلب والا كذا يعنى ان اكثر ما على
 وجه الارض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء (أفلا يؤمنون) أى أفلا يصدقون (وجعلنا
 في الارض رواسي) أى جمالا لا ثابت (أن يقيمهم) أى امثلا يقيمهم قيل ان الارض
 بسطت على الماء فكانت تعرج كما تعرج السفينة في الماء فارساها الله وانبتها
 بالجمال (وجعلنا فيها) أى في الرواسي (خفافا) أى طرقا ومسالك والفتح الطريق الواسع
 بين الجبلين (سبلا) هو تفسير النجاج (لعلهم يهتدون) أى الى مقام صدمهم (وجعلنا
 السماء سقفا محفوظا) أى من ان يسقط ويقع وقيل محفوظا من الشياطين بالنهب
 (وهم) يعنى الكفار (عن آياتهم معرضون) أى عما خلق الله فيها من الشمس والقمر
 والنجوم وكيفية حركاتها في أفلا كما هو مظهرها وما غايرها والترتيب العجيب الدال على
 الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتصور ولا يمتدحون بها (وهو الذى خلق الليل
 والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون) أى يحجرون ويسبحون بسرعة كالسبح
 في الماء وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال للسحاب لانه ذكر عنها فعل العقل

وهو
 فيها طرقا واسعة والثاني لبيان ان حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان ما أجهم ثم (لعلهم يهتدون)
 ليهتدوا بها الى البلاد المقصودة (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) في موضعه عن السقوط كما قال ويمسك السماء أن تقع على الارض
 الا بانه أوحى في الشياطين كما قال راحة فظناهم ان كل شيطان رجيم (وهم) أى الكفار (عن آياتها) عن الأدلة
 التى فيها كالشمس والقمر والنجوم (معرضون) غير متفكرين فيها فيؤمنون (وهو الذى خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار)
 لتضمر فوافيه (والشمس) لتكون سراج النهار (والقمر) ليكون سراج الليل (كل) التنوين فيه عوض عن المضاف اليه أى
 كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع وجمع الغلاء للوصف بعلمهم وهو السباحة (في فلك) عن ابن
 عباس رضى الله عنهما الفلك السماء والشجر وعلى أن الفلك موحى مكفوف تحت السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم
 وكل مبتدأ خبره (يسبحون) يسبحون أى يدورون والجملة في محل النصب على الحال من الشمس والقمر

(وما جعلنا للبشر من قبلك الخالد) البقاء الدائم (أفان مت) بكسر الميم مدني وكوفي غير أبي بكر (فهم الخالدون) والفاء الأولى لعطف جملة على جملة والثاني لجزاء الشرط كانوا يقدرون أنه سيموت فنفي الله عنه السمات بهذه أي قضى الله أن لا يتخلد في الدنيا بشر أفان مت أنت أبقى دولا (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم) واختبركم سمي ابتلاء وان كان عالما عاسيا يكون من أعمال العالمين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار (بالشم) بالقمم ٢٣٩ والنظر (والخير) الغني والنفع (فتنة) مصدر مؤ كدنبلوكم من غير

لفظه (والبناترجعون) فتجاءركم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون (واذا رآك الذين كفروا أن يتخذونك ما يتخذونك (الاهزوا) مفعول ثان ليتخذونك نزلت في أبي جهل م به النبي صلى الله عليه وسلم فخحك وقال هذا نبي بني عبد مناف (أهذا الذي يدرك) يعيب (ألهكم) والذكر يكون بخبر ويختلفه فان كان الذكرا صديقا فافهم وإن كان عدوا فذم (وهم يذكر الرحمن) أي يذكرون الله وما يجب أن يذكروه من الوحدةانية (هم كافرون) لا يصدقون به أصلا فهم أحق أن يتخذوا هزوا منك فأنك محق وهم معطلون وقيل يذكر الرحمن أي بما أنزل عليك من القرآن هم كاذبون جاحدون والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزوا وهم على حال هي أصل الهز والسخرية وهي السخر بالله تعالى وكرهم للتأكيد ولأن

وهو السباحة والمحرم والفلك مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه أفلاك وقيل الفلك طاحونة كهية فلك المغزل ير يدان الذي يتجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الرمح وقيل الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك هوج مكثوف دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وقال أصحاب الهيئة الأفلاك أحرار صالحة لا تقسم ولا تخيف غير قابلة للخرق والالتئام والنمو والذبول والمحرم انه لا سبيل إلى معرفة صفة السموات إلا بخبار الصادق فسيحان الخالق المبدئ لحلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية قوله عز وجل (وما جعلنا للبشر من قبلك الخالد) يعني الدوام والبقاء في الدنيا (أفان مت فهم الخالدون) نزلت هذه الآية حين قالوا نتر بص مع مدبريب المنون نشت عوته فنفي الله السمات عنه م هذا المعنى أن الله تعالى قضى أن لا يتخلد في الدنيا بشر إلا أنت ولا هم فان مت أنت أفبقى هؤلاء في معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا فبقوا سليل الشامتون كالتقينا (كل نفس ذائقة الموت) هذا العموم مخدوص بقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فان الله تعالى حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله (ونبلوكم) أي تختبركم (بالشم والخير) أي بالشدة والرخاء والخفة والسقم والغنى والفقر وقيل على تجربون وما تذكرون (فتنة) أي ابتلاء لئلا ينظر كيف تشرككم فيما تجربون وصبركم فيما تذكرون (والبناترجعون) أي للحساب والجزاء قوله عز وجل (واذا رآك الذين كفروا أن يتخذونك الاهزوا) أي يخفروا قبل نزلت في أبي جهل م به النبي صلى الله عليه وسلم فخحك وقال هذا نبي بني عبد مناف (أهذا الذي يدرك آلهكم) أي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب آلهكم والذي يكره يطلق على المدح والذم مع القرينة (وهم يذكر الرحمن هم كافرون) وذلك لانهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا الرحمن الباطنة وهو سمي الكذاب قوله تعالى (خلق الإنسان من عجل) قيل معناه أن بنيت وخلقته من العجل وقيل عليها طبع وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينه نظر إلى عمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتبه الطعم فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى جليده فجعل إلى شار الجنة فوقع فقبل خلق الإنسان من عجل وأورث بنه العجلة وقيل معناه خلق الإنسان من تعجيل في خلق الله إياه لان خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيى الروح

الصلية حالت منه وبين الخبر فاعيد المبدأ (خلق الإنسان من عجل) فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النضر بن الحرث يستعجل بالعداب والجهل والعجلة مصدران وهو تقديم الشيء على وقته والظاهر أن المراد الجنس وأنه ركب فيه العجلة فسكنه خلق من العجل ولأنه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولادهم لأن الإنسان على أفراس العجلة وأنه مطبوع عليها ثم عجزه كانه قال ليس يبدع منه أن يستعجل فانه مجبول على ذلك وهو مطبوع به وسبحية فتدرك فيه وقيل الجهل الطين بلغة جبر قال شاعرهم

* والتخل ينبت بين الماء والعجل * وانما منع عن الاستعجال وهو مضبوط عليه كما امره بتمعن الشهوة وقدر كم فيه لانه اعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك الجهلة ومن عجل حال أي عجلاً (سأريكم آياتي) نعماتي (فلا تستعجلون) بالانسان بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعياش في الوصل (ويقولون متى هذا الوعد) أي ان العذاب أو القيامة (ان كنتم صادقين) قيل هو أحد وجهي ٣١٠ استعجلهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكونون عن وجوههم النار ولا عن

ظهورهم ولا هم ينصرون) جواب لو مخذوف وحين مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقوله متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقد ادم فلا يتقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجيدون ناصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستعزاء (ولهم عذاب لا يدفعون) أي لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل السياط (ولهم عذاب لا يدفعون) أي لا يدفعون من العذاب والمعنى لوعلموا المأقاة وأعلى كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيمهم) يعني الساعة (بغثة) أي خاة (قتيلهم) فغيرهم أي لا يكونوا بل تفجهم ففعلهم (فلا يستطيعون ردّها) فلا يتقدرون على دفعها (ولاهم ينظرون) يهلون (ولقد استعزّوا برسول من قبلك خافوا) خفل ونزل (بالذين يخفوا منكم) جزاء (ما كانوا يستعزّون) سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استعزّائهم به بأن له في الانبياء أسوة وان ما يفعلونه به محقق فيهم كالحاق بالمتعزّين بالانبياء ما فعلوا (قيل من

رأسه قال يارب استعجل بخلق قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعته وعجل على غير قياس خلق بنسبه لانهم خلقوا من طفة ثم من علقته ثم من مضغة أطواراً وطوراً بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل أي من ملين قال الشاعر * والتخل ينبت بين الماء والعجل * أي بين الماء والطين وقيل أراد بالانسان النوع الانساني يدل عليه قوله (سأريكم آياتي) فقلنا استعجلون وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحرث ومعنى سأريكم آياتي أي واعيدي فقلنا تطولوا العذاب قبل وقته فاراهم يوم يدور وقيل كانوا يستعجلون القيامة فقلنا ذلك قال تعالى (ويقولون) يعني المشركين (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور وعلى سبيل الاستعزاء فيمن تعالى انهم انما يقولون ذلك لمجهلهم وغفلتهم ثم بين ما هؤلاء المستعزّين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكونون) أي لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل السياط (ولاهم ينصرون) أي لا يدفعون من العذاب والمعنى لوعلموا المأقاة وأعلى كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيمهم) يعني الساعة (بغثة) أي خاة (قتيلهم) أي غيرهم (فلا يستطيعون ردّها) أي صرفها ودفعها عنهم (ولاهم ينظرون) أي لا يفعلون لتو به والمعدرة (ولقد استعزّوا برسول من قبلك) أي بمحمد كما استعزّوا بك (خافوا) أي نزل وأحاط (بالذين يخفوا منكم) ما كانوا به يستعزّون أي عفو به استعزّوا بهم وفيه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم أي فكذلك يحقّ بمؤلاؤه بال استعزّائهم قوله تعالى (قل من يكأثمكم) أي يحفظكم (بالليل اذا قمتم) والنهار اذا انصرفتم في معائبكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكرهم) أي عن القرآن ونمواعظه (معرضون) أي لا يتأملون في شيء منها (أم لهم آلهة تنفعهم من دوننا) معناه لهم آلهة من دوننا تنفعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أي لا يتقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدتهم (ولاهم منا يحجبون) قال ابن عباس معنونه وقيل يحجّرون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يحجبون من الله غير (بل متعنا هؤلاء) يعني الكفار (وأبأهم) أي في الدنيا بأن الله تعالى ما فعلناهم (حتى يكأثمكم) يحفظكم (بالليل والنهار) أي من عذابه ان أتاكم ليلا أو نهارا

طال

(بل هم عن ذكرهم معرضون) أي بل هم معرضون عن ذكره ولا يحفظونه ببالغهم فضلاً ان يخافوا بأسمه حتى اذارزقوا الكلاله فمنه عن قوام الكلاله وصلوا السؤال عنه والمعنى انه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلاله ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكره من يكأثمهم ثم أمر بهن ذلك بقوله (أم لهم آلهة تنفعهم من دوننا) لما في أم من معنى بل فقال لهم آلهة تنفعهم من العذاب تجبوا ومنه نأوح حفظنا ثم استأنف بقوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يحجبون) فيمن ان ماليس بقادر على نصر نفسه ومنه ولا يحجبون من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيرهم ينصرون ثم قال (بل متعنا هؤلاء بأهم حتى

طال عليهم العمر) أى ما هم فيه من الحفظ والكلاءة أتمها هو من الأمان ما منع عنهم من أهلا كانوا ما كانوا هم وآباءهم الماضين
 الائتماع لهم بالحياة الدنيا وما ههنا كلمة معنا غيرهم من الكفار واهلنا هم حتى طال عليهم الامدة فقت قلوبهم وظنوا انهم
 دائمون على ذلك وهو امل كاذب (أفلا يرون أنا أنقى الارض تنقصهما من اطرافها) أى تنقص ارض الكفر وتحذف اطرافها
 بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلهما ووردها دار اسلام وذكرائى ٣٤١ يشربان الله يحجر به على أيدي المسلمين

وان عساكرهم كانت تغزو ارض
 المشركين وتأتيها غالبية عليها
 ناقصة من اطرافها (أفهم
 الغالبون) أفهمكم مكة يغلبون
 بعد أن نقصنا من أطراف
 أرضهم أى ليس كذلك بل
 يغلبهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه بنصرنا (قل إنما
 انذركم بالوحي) اخوفكم من
 العذاب بالقرآن (ولا يسمع
 الصم الدعاء) فيفتح السامع والمسموع
 ووقع الصم ولا يسمع الصم شامى
 على خطاب النبي صلى الله عليه
 وسلم (اذا ما يندرون) يخوفون
 واللام في الصم لله وهو إشارة
 الى هؤلاء المندرين والاصل ولا
 يسمعون اذا ما يندرون فوضع
 الظاهر موضع المضمر للدلالة
 على تصامهم وسد هم أسماعهم
 اذا ما اندروا (ولئن سمعتم نعمة
 دفعة يسيرة (من عذاب ربك)
 صفة لنفحة (ليقولن يا ويلنا انا
 كنا ظالمين) أى ولئن سمعتم من
 هذا الذى يندرون به اذنى شئ
 لذوا ودعوا يا ويل على انفسهم
 واقرروا انهم ظلموا انفسهم حين
 تصاموا واعرضوا وقد بولع حيث

طال عليهم العمر) أى امتد بهم الزمن فاغتروا (أفلا يرون) يعنى هؤلاء المشركين (أنا
 أنقى الارض تنقصهما من اطرافها) يعنى تنقص من اطراف المشركين ونزىدى أطراف
 المؤمنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتح ديار الشرك أرض افارضا وقربة
 فقريه والمعنى أفلا يرون هؤلاء المشركون بالله المستحقون بالعذاب آثار قدرتنا فى اتان
 الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى معاحول مكة
 وادخالها فى ملك محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤس المشركين المتنعين بالدنيا أما كان
 لهم عبرة فى ذلك فيؤمنوا بحمدى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع
 منا ومن ارادنا فيهم ثم قال (أفهم الغالبون) استفهام بمعنى التقرير معناه بل نحن
 الغالبون وهم المغلوبون (قل) يا محمد (إنما انذركم بالوحي) أى اخوفكم بالقرآن
 (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما يندرون) أى يخوفون (ولئن سمعتم) أى اصابتهم (نفحة
 من عذاب ربك) قال ابن عباس طرف وقيل شئ قليل (ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين)
 دعوا على انفسهم يا ويل بعدما أقرروا على انفسهم بالظلم والشرك قوله عز وجل (وضع
 الموازين القسط) أى ذوات العدل وصفها بذلك لان الميزان قديم مستقيم وقد
 يكون بخلافه فيبين ان تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها احضارها
 (يوم القيامة) أى لاهل يوم القيامة قيل المراد الميزان العدل والقسط بينهم فى الاعمال
 فن احاطت حسناته بسمائة فأتوا وضحاوا بالعكس ذل وخسر والصحيح الذى عليه أئمة
 السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين اثمة بعبادة وزنها اعمال العباد وقال
 الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الاقوال انه ميزان واحد وانما جاعل لاعتبار
 تعدد الاعمال الموزونة به وروى ان داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل
 ان يريه الميزان فراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال
 الهى من الذى يقدر ان يلا كفته حسنات قال يا داود ابنى اذا رضيت عن عبدى
 ملائمتها بمرقة على هذا فى كفة ووزن الاعمال مع انها اعراض طر يقان أحدهما أن
 توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات فى كفة وصحائف السيئات فى كفة
 والثانى ان يجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيئات جواهر
 سود مظلمة فان قلت كيف تصنع بقوله وضع الموازين القسط مع قوله فلانتم لهم
 يوم القيامة وزنا قلت هذه فى حق الكفار لانهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفرة وقوله
 تعالى (فلا تظلم نفس شيئا) أى لا تخس عملها وما عليها من خير وشر شيئا (وان كان

ذكر المس والنفحة لان النفع يدل على القلة يقال نفحة بعطية رخصه بها مع ان بناءها للرة وفى المس والنفحة ثلاث مبالغات
 لان النفع فى معنى القلة والنزارة يقال نفحة الدابة وهو رمح ولين ونفحة بعطية رخصه والنساء للارة (ونضع الموازين) جمع ميزان
 وهو ما توزن به الشئ يعرف كميته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وانما جاعل الموازين لتعظيم شأنها كقوله نابها
 الرسل والوزن لاختلاف الاعمال فى قول (القسط) وضعت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كما هنا فى نفسها قسط أو على
 حذف المضاف أى ذوات القسط (يوم القيامة) لاهل يوم القيامة أى لاجلهم (فلا تظلم نفس شيئا) من الظلم (وان كان

مثقال حبة) وان كان الشيء مثقال حبة مثقال بالرفع مدني وكذا في لقمان على كان التامة (من خردل) صفة لمحبة (آتيناهما) أحضرناهما وانث ضمير المثقال ٣٤٢ لاضافته الى المحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه (و كفي بنا حاسبين) عالين

مثقال حبة من خردل آتيناهما) معناه انه لا ينقص من احسان محسن ولا يزداد في اساءة مسيء وأراد بالحببة الحبة اليسيرة من الخردل ومعنى آتيناهما أى أحضرناهما للنجازيها عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من أمي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له اسعة وتسعين سجلا كل سجيل مد البصر ثم يقول أتذكره من هذا شيئا فأظلم ككتبي المحافظون فقول لا يارب فديقول أفلك مذرفيقول لا يارب فيقول الله تعالى بلى انك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول أحضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فافلك لا ظلم فتوضع السجلات في كفة واطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي السجل الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لانه يجمع احكاما والبطاقة ورقة صغيرة تجعل في طي الثوب يكتب فيها الثمنا والطيش المحفة قلت في الحديث دليل على ان صحائف الاعمال هي التي توزن لأن الاعمال تجسد جواهر فتوزن والله اعلم قوله تعالى (وكفى بنا حاسبين) قال ابن عباس معناه كفى بشاغلين حافظين لان من حسب شيئا فقد علمه وحفظه والغرض منه التذكير فان الحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن ان يشبهه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل أن يكون باسدا الخوف منه ويروى عن النبي انه رؤى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال

حاسبون اذ تقموا * ثم منوا فاعتقوا
هكذا سمعته الملوكة * بالماليك برقوقا

قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) يعنى الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصير على الاعداء فعلى هذا يكون (وضياء) يعنى التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة في وضياء والمعنى آتيناهم موسى التوراة وضياء (وذ كر الملتقين) يعنى يتذكرون وعواظهاو يعملون بما فيها (الذين يتحشون بهم بالغيب) أى يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الخلووات اذا غابوا عن اعين الناس (وهم من الساعة مشفقون) أى خائفون (وهذا ذ كر مبارك أنزلناه) أى تكا آتيناهم موسى التوراة فكذلك أنزلنا القرآن ذ كر ا مبارك أى هو ذ كر ان آمن به مبارك يتبرك به وطلب منه الخير (أفأنتم) يا أهل مكة (له منكرون) أى جاحدون قوله تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده) أى صلاحه وهدايه (من قبل) أى من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وعوجين خرج من السرير وهو صغير (وكنابه عالين) أى انه من أهل الهداية والنبوة (اذ قال لايه وقومه ماهذه التماثيل) يعنى الصور والاصنام

حافظين عن ابن عباس رضى الله عنهم الآن من حفظ شيئا حسبه وعلمه (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذ كرا) تخيل هذه الثلاثة هي التوراة فهي فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة وذ كرا شرف او وعظ وتنبه او ذ كر ما يحتاج الناس اليه في مصالح دينهم ودنياهم والواو على الصفات كما في قوله وسيدا وحضورا ونبييا وتقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح ولما انتفج بذلك المتتون خصهم بقوله (المتقين) ومجمل (الذين) على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه (يتحشون بهم) يتحشونه (بالغيب) حال أى يخافونه في الخلاء (وهم من الساعة) القيامة وأهلها (مشفقون) خائفون (وهذا) القرآن (ذ كر مبارك) كثير الخير غزير النفع (أنزلناه) على محمد (أفأنتم له منكرون) استهزام توبيخ أى جاحدون انه منزل من عند الله (ولقد آتينا ابراهيم رشده) هدايه (من قبل) من قبل موسى وهرون ومن قبل محمد عليه السلام (وكنابه) ابراهيم أو برشده (عالين) أى علمنا انه

أهل لما آتيناها (اذ) امان تتعاقب آتيناهم وبرشده (قال لايه وقومه ماهذه التماثيل) أى الاصنام المصورة على صورة السباع والطيور والاسان وفيه تمثيل لهم ليعتبروا هتتم مع علمه بتعظيمهم لها

(التي أنتم لها عا كفون) أي لاجل عبادتها مقيمون فلما عجزوا عن الاتيان بالدليل على ذلك (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدون) فقلنا لهم (قال) ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أرادان للقلدين والمنقادين مغضوبون في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عامل وأكبر بانتم ليصح المطف لان العطف على ضمير هو في ٢٤٢ حكم بعض الفعل تمتنع (قالوا أجبنا

بالحق) بالحمد (أم أنتم من اللاعيبين) أي اجدانت فيما تقول أم لأعب استعظاما منهم انكارا عليهم واستبعادا لان يكون ما هم عليه ضلالا فمضرب عنهم محبة ربانية طارفا قال غير لاعب مثبنا ربوبية الملك العلام وحدث الاضنام بقوله (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهم) أي التماثيل فأني بعد الخلق وترك الخالق (واناعلى ذلكم) المذكور من التوحيد شاهد (من الشاهدين وتالله) اصله والله وفي التاء معنى التعجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعدده لقوة سلطة غرود (لا كيدن أضنامكم) لا كسرهما (بعد أن تولوا مدرسين) بعد ذهابكم عنها إلى عيدكم قال ذلك سرامن قومه فسمعه رجل واحد فعرض بقوله اني سقيم أي ساسقم ليختلف فرجع إلى بيت الاضنام (فخعلمهم جذاذا) قطعاعان المجدوهوا القطع جمع جذاذة كزطحة وفجاج جذاذا بالكسر على جمع جذاذاي مخذوذ كتحفيف وتخفاف (الا كبراهم) للاضنام أولاءكواي فكسرها كلها بفاس في يده

(التي أنتم لها عا كفون) أي مقيمون على عبادتها (قالوا وجدنا آباها عابدون) أي فاقند بناهم (قال) يعني ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أي في خطابين بعبادتهم (قالوا أجبنا بالحق) أي بالصدق (أم أنتم من اللاعيبين) يعنون احاد انت فيما تقول أم أنت لاعب (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهم) أي خلقهم (واناعلى ذلكم من الشاهدين) أي على انه الاله الذي يستحق العبادة وقيل شاهد على انه خالق السموات والارض (وتالله لا كيدن أضنامكم) أي لا مكر بها (بعد أن تولوا مدرسين) أي منطلقين إلى عيدكم قبل ان خالف ابراهيم هذا القول سرافى نفسه ولم يسمع ذلك الارجل واحد من قومه فاشفاه عليه وهو القائل اناسمعا في يذ كرههم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاضنام فسجدوا والهاثم رجعوا إلى منازلهم فلما كان ذلك اعيد قال ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنالي عيدنا معجبت ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق أتى نفسه إلى الارض وقال اني سقيم اشكركم على فتركوهم ومضوا فنادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله لا كيدن أضنامكم فسمعوهامنه ثم رجع ابراهيم إلى بيت الالهة وهن في هو عظيم ومستقبل باب الهو ومن عظيم إلى جنبه ضم اصغر منه والاضنام جنبها إلى جنب بعض كل ضم الذي يليه اصغر منه وهكذا إلى باب الهو واذهم قجععلوا طعاما بين يدي الالهة وقالوا اذا رجعنا وقدر كت الالهة عليه اكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجبهوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضمهم باليمين وجعل يكسرها ففاس في يدهم حتى اذالم يبق الا الصنم العظيم على الفاس في عنقه وقيل في يده ثم خرج فذلك قوله تعالى (فخعلمهم جذاذا) أي كسروا وقطعوا (الا كبراهم) أي تركه ولم يكسرها ووضع الفاس في عنقه ثم خرج وقيل رطه على يده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورضاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكالبا لجواهر في عينيه ياقوتان تتقدان وقوله (لعلهم اليه يرجعون) قيل معناه يرجعون إلى ابراهيم وإلى دينه وما يدعوههم اليه اذا علموا ضعف الالهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون إلى الصنم فيسألونه ما هو ولا تكسروا وأنتم صيغ والفاس في عنقه فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم راوا أضنامهم مكسرة (قالوا من فعل هذا يا آلهتنا لمن الظالمين) أي في تكسرها واجترأته عليها (قالوا سمعنا في يذ كرههم) أي سبهم ويعيهم (يقال له ابراهيم) أي هو الذي ظن

الا كبرها فعلى الفاس في عنقه (لعلهم اليه) إلى الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كسرها فيبين لهم عجزه وأولى ابراهيم ليجمع عليهم أولى الله ما رآوا عجزاً لهم (قالوا) أي الكفار حين رجعوا من عيدهم وروا ذلك (من فعل هذا يا آلهتنا لمن الظالمين) أي من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراثة على الالهة المحقة عندهم بالتوقير والتعظيم (قالوا سمعنا في يذ كرههم يقال له ابراهيم)

الجملة ان صفتان لفتى الان الاول وهويذ كرههم أي بعينهم لا بد منه للسمع لان لا تقول سمعت زيدا وتكثرت حتى تكثر شيا
 بما سمع خلاف الثاني وارتفع ابراهيم بانه فاعل يقال فالمراد الاسم لا المسمى أي الذي يقال له هذا الاسم (قالوا) أي غرود
 واشراف قومه (فأثروا به) أضمرنا ابراهيم (على عين الناس) في محل الحال بمعنى ما بنماشاهدا أي جرى منهم ومنظر
 (العلمهم يشهدون) علمه بما سمع منه ما وقع فعله كآلهم كرهوا وعقباه بلائنة او يحضرون عقوبته لانه قد فعله الاضمر وه (قالوا)
 أنت فعلت هذا باثباتنا يا ابراهيم قال ٣٤٤ ابراهيم (بل فعله) عن السكيات انه يقف عليه أي فعله من فعله

وفيه حذف الفاعل وانه لا يجوز
 وجاز ان يكون الفاعل مستندا
 الى الفتى المذكور في قوله
 سمعنا فتى يذ كرههم اولي ابراهيم
 في قوله يا ابراهيم ثم قال (كبرهم
 هذا) وهو مبتدأ وخبره والاكثر
 انه لا وقف والفاعل كبرهم
 وهذا وصف اوبدل ونسب
 الفعل الى كبرهم وفصله
 بقرير لنفسه وانما ته لهما على
 اسلوب تعريض توكيد بالمقام
 والامالة المحبة عليهم لانهم
 اذا نظروا النظر الصحيح علموا
 بغير كبرهم وانه لا يصلح لهما
 وهذا كقولك لث صاحبك وقد
 كتبت كتابا بخط رشيقي انيق
 أنت كتبت هذا وصاحبك
 امي فقلت له بل كتبتك أنت
 كان قصدك بهذا الجواب بقريره
 لث مع الاستهزاء به لا تفي معن
 وانما لا للام لان اثباته للعاجز
 منكمل الامر كائن بيننا استهزاء
 به واثبات للتقدير ويمكن ان
 يقال غاظته تلك الاصنام حين
 أضمرها مسطحة وكان غيظ

انه صنع هذا فبلغ ذلك غرود الجبار واشراف قومه (قالوا) فأثروا به على عين الناس أي
 جروا به ظاهر ابراهيم من الناس وانما قاله غرود (العلمهم يشهدون) أي علمه بانه الذي
 فعل ذلك كرهوا ان ما خذوه بغير بينة وقيل معناه لعلمهم يحضرون عذابه وما يصنع به
 فله اثوابه (قالوا) له (أنت فعلت هذا باثباتنا يا ابراهيم قال) يعني ابراهيم (بل فعله
 كبرهم هذا) غضب اذ تعبدون معه هذه الضغائر وهوا كبر منها فكسروا وأراد
 ابراهيم بذلك اقامة الحق عليهم فذاك قوله (فاسئلوه من كانوا ينطقون) أي حتى يخبروا
 عن فعل ذلك بهم وقيل معناه ان تدروا على النطق تدروا على الفعل فاراهم عجزهم
 عن النطق وفي ضمنه انما فعلت ذلك (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات تنمين من في ذات الله قوله اني سقيم وقوله
 فعله كبرهم وهذا وقوله اسارة هذه اخي لفظا الترمذي قيل في قوله اني سقيم أي سأسقم
 وقيل سقيم القلب معتم بضلاتكم واما قوله بل فعله كبرهم هذا فانه علق خبره بشرط
 نطقه كانه قال ان كان متفق فهو فعل على طريق التوكيد لقومه وقوله اسارة هذه
 اخي اي في الدين والايان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل هذا الاقلاط صدق
 في نفسه اليس فيها كذب فان قلت قد سمعنا الذي صلى الله عليه وسلم كذبات وقوله لم
 يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذ كذباته قلت معناه
 انه لم يتكلم بكلام صوريه من الاثلاث كذب وان كان حقا في الاطمان الالهة الكلمات
 ولما كان مفهوم ظاهره خلاف باطنه اشفق ابراهيم عليه الصلوة والسلام منها
 عواذته بها قال البغوي وهذه التأويلات لتفي الكذب عن ابراهيم والاولى هو الاول
 للحديث ويجوز أن يكون الله اذن في ذلك قصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج
 عليهم كما ان ليوسف حين امر مناديه فقال ابنا العبر انك اسارقون ولم يكونوا سرقوا
 قال الامام بخير الدين الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه انه
 لو جاز ان يكذب لمصلحة وبأذن الله فيه فليجوز هذا الاحتمال في كل ما خبر
 الانبياء عنه وذلك يجعل الوثوق بالشرائع ويغرق التهمة الى كلها والمحدث
 مجول على انصاره فان فيها من مدحوخة عن الكذب وقوله (فرجوا الى

كبرها أشد لما رأى من زيادة
 تعظيمهم له فاستند الفعل اليه لان الفعل كاستند الى مباشرة يستند الى الحامل عا ويجوز ان يكون حكاية (أنفسهم)
 لما بقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبرهم فان من حق من بعد ويدعي الهان ان قد سدر على هذا
 ويحكي انه قال فغضب ان تعبد هذه الضغائر وهوا كبر منها فكسروا كبرهم فاسئلوه من اقربا ولا يكون وهو نطق الاصنام فيكون
 نقلا ما خبر عنه ابل فعله كبرهم ان كانوا ينطقون وقوله فاسئلوه من اقربا وقيل عرض بالكبر لنفسه وانما اضاف نفسه
 اليهم لا اشتراكهم في المحذور (فاسئلوه) عن حالهم (ان كانوا ينطقون) وانتم تعلمون عجزهم عنه (فرجوا الى

أنفسهم) فرجعوا إلى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما أخذوا عنهم (فقالوا انكم انتم الظالمون) على الحقيقة بعد ما لا ينطق لامن ظلمة وحين قلتم من فعل هذا يا آلهتنا ان الظالمين فان من لا يدفع عن رأسه الفاس كيف يدفع عن عابده الباس (ثم نكسوا على رؤسهم) قال اهل التفسير اجرى الله تعالى الحق على لسانهم في القول الاول ثم ادر كتبهم الشقاوة اى ردوا الى الكفر بعد ان اقر واعلى انفسهم بالظلم يقال نكسته ٣٤٥

استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم وجاهوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك المحالة فخذوا في المحادة بالباطل والمكابرة وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء لا ينطقون) فكيف تامرنا بسؤالها والجلالة سدت سمعهم على علمت والمعنى لقد علمت عزهم من النطق فكيف نسألهم (قال) تحتنا عليهم (أفتعبدون من دون الله) المصدراى نعم (ولا يضركم) ان لم تعبدوه (أف لكم ولما

أنفسهم) اى تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم (فقالوا) ما نراه الا كما قال (انكم انتم الظالمون) يعنى عبادتكم ما لا يسلككم وقيل معناه انتم الظالمون لهذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألواها (ثم نكسوا على رؤسهم) قال اهل التفسير اجرى الله الحق على لسانهم فى القول الاول وهو اقرارهم على انفسهم بالظلم ثم ادر كتبهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاول وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم اى ردوا الى الكفر وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء لا ينطقون) اى فكيف نسألهم فلما التجنت الحجة لابراهيم عليه السلام (قال لهم) أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا (أى ان عبدتوه) (ولا يضركم) اى ان تتركتم عبادته (أف لكم) اى تبالى بكم (ولما تعبدون من دون الله) والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم (أفلا تعقلون) اى أليس لكم عقل تعقلون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما زنتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا له قوه وانصروا آلهتكم يعنى انكم لا تنصرونها الا بتصرفنا بابراهيم لانه يعيهاو يطعن فيها (ان كنتم فاعلمين) اى ناصرين آلهتكم قال ابن عمر الذى قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هير بن خشف الله به الارض فهو يتجمل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله غرودين كتمان بن شجاريب ابن غرودين كوش بن حام بن نوح

﴿ذكر القصة فى ذلك﴾

تعبدون من دون الله) اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متجسس خبر ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق قتافف بهم والامام لبيان المتأفف به اى لكم ولا تهكم هذا التأفف اف مدنى وحفص اف مكى وشامى اف غيرهم (أفلا تعقلون) ان من هذا اوصفة لا يجوز ان يكون الها فلما زنتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا له قوه

فلما اجتمع غرودين وقومه لاجراق ابراهيم جسدوه فى بيت وبنوا بيانا كالحظيرة بقبرة يقال لها كوثى ثم جمعوا اليه صلاب الخطب واصناف الخشب ممددة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجعن خطا لابراهيم وكانت المرأة تشد فى بعض ما تطلب لئن اصابته لتطبن فى نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري الخشب بعرضها احتسابا فى دينها وكان الرجل يوصى بשרاء الخطب من ماله لابراهيم فلما جاعوا ما ارادوا اشعلوا فى كل ناحية من الخطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهيجها وحرقها فاقوا على ما سبعة ايام فلما ارادوا ان يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقبل ان يلبس جاعوا عليهم عمل المتخنيق فمعه ملوهم ثم عمدوا الى ابراهيم فشدوه ورفعوه على راس البنات ووضعوه فى المتخنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيها ما من الملائكة وجمع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة اى بنا ابراهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى ارضك احيد يعبدك غير فائذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى

٤٤ ن لانها اهل ما يعاقب به واظفّع وانصروا آلهتكم) بالانتقام منه (ان كنتم فاعلمين) اى ان كنتم ناصرين آلهتكم نصر اموزر فاختراروا له اهل المعاقبات وهو الاحراق بالنار والافراط فى نصرتها والذى أشار بانه غرودا ورجل من اكراد فارس وقبل انهم حين هموا باحراقه جسدوه ثم بنوا بيتا بكوثى وجعروا شرا أصناف الخشب ثم اشعلوا نار عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو ومن وهجها ثم وضعوه فى المتخنيق مقيدا مغلولا فرماه فيها وهو يقول حسبي الله ونع الوكيل وقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤلى علمه بحال وما جرت النار اوارثاقه وعن ابن عباس انما يحب بقوله حسبي الله ونعم الوكيل

انه خدائي ليس لي خليل غيره وانا الله ليس له اله غيري فان استغاث باحسن منكم اودعاه
 فاينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا اوليه فلو ابني وبينه فلما
 ارادوا القاءه في النار انا خازن المياه وقال ان اردت احدث النار وانا خازن الهوا وقال
 ان شئت طيرت النار في الهوا فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل
 وروى عن ابني بن كعب ان ابراهيم قال حين اوثقه ليقوه في النار لا اله الا انت سبحانك
 لك الحمد دولك الملك لا شريك لك ثم رموه في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل
 فقال يا ابراهيم الك حاجة فقال اما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبي
 من شؤالي عامه بحالي (ن) عن ابن عباس في قوله تعالى وقالوا حسبتنا الله ونعم الوكيل
 قال قالوا ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين اتى في النار وقالوا حسبتنا الله عليه وسلم
 حين قال لهم الناس ان الناس قد جدعوا اليكم قال كعب الا جابر جعل كل شيء يطغى عنه
 النار الا الوقع فانه كان ينفع في النار (ق) عن اشرم بن اوس قال قال الله عليه وسلم
 امر يقتل الاوزاع زاد البغاري وقال كان ينفع على ابراهيم (قلنا) اى قال الله عز وجل
 (يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات ابراهيم من
 برده او في بعض الاماكن لم يبق يومئذ ناري في الارض الا طفت فلم ينفع في ذلك اليوم
 ناري في العالم ولم يقل على ابراهيم بقيت ذات برد ابد او قيل اخذت للملائكة بضبي
 ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد اجر وخرج من قال كعب ما احرق
 النار من ابراهيم الا وناقه فالوا كان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة ايام قاله المنهال بن عمر
 وقال ابراهيم ما كنت ابا ما قط انعم مني من الايام التي كنت في النار قيل وبعث الله
 تعالى ملكا الظل في صورة ابراهيم فقعده الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز
 وجل جبريل بقيص من حر الجنة وضغفة فالفه القميص واقعدده على الطنفسة
 وقدم معه يخدمه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر اجابني
 ثم نظر غرود واشرف على ابراهيم من صرح له فراه جالس في روضة والملك قائدا الى
 جنبه وما حوله نار تحرق المحيط فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان
 حال نفسك وبن النار يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تحشى ان
 ائت ان تضرك قال لا قال فقم فخرج منها فقام ابراهيم عشي فيها حتى خرج منها فلما
 وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رايت معك مثلك في صورته قائدا الى
 جنبك قال ذلك لك الظل ارسله الي ربي ليؤنسي فيها قال غرود يا ابراهيم اني مقرب
 الى الهك قربا ما سار ايت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين ايت الاعباد به
 وتوحيده واني ذابح له اربعة آلاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل الله منك مادمت على دينك
 حتى تقارقه وترجع الى ديني فقال لا استطيع ترك ما ليكي وايدن سوف اذبحها له
 فذبحها غرود وكف عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله عز وجل منه قوله عز
 وجل (وارادوا به كيدا) اى ارادوا ان يكيدوه (فجعلناهم الاخيرين) قيل معناها انهم
 خسروا السبي والنقمة ولم يحصل لهم ادهم وقيل ان الله تعالى ارسلك على غرود

(قلنا) يا نار كونى بردا وسلاما
 اى ذات برد وسلام فيكون في
 ذلك كافن ذاتها برد وسلام
 (على ابراهيم) اراد ان يردى فيسلم
 منك ابراهيم وعن ابن عباس
 رضى الله عنه ما لم يقل ذلك
 لاهلكته ببردها والمعنى ان
 الله تعالى نزع عنها طبعها الذي
 طبعها عليه من الحر والاحراق
 وابقاها على الاضاء والاشراق
 كما كانت وهو على كل شيء قدير
 (وارادوا به كيدا) احراقا
 (فجعلناهم الاخيرين) فاول
 على غرود وقومه البعوض
 فاكنت لحومهم وشربت
 دماءهم وذهلت بعوضه في
 دماغ غرود فاهلكته

(ونجيناها) اى ابراهيم (ولوطا) ابن اخيه هاران من العراق ٣٤٧ (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) اى ارض

الشام ووركتها ان اكثر الانبياء منها فانتشرت في العالمين
 آ ثارهم الدينية وهى ارض
 خصب يطيب فيها عيش
 الغنى والقبر وقيل مامن ماء
 عذب في الارض الاوينبع
 اصله من بحيرة بيت المقدس
 روى انه نزل بفسطين ولوطا
 بالموتة مكة وبينهما مسيرة يوم ولبلة
 وقال عليه السلام انها ستكون
 حجرة بعد حجرة فخيار الناس
 الى مهاجر ابراهيم (ووهبنا له
 اسحق ويعقوب نافلة) قيل هو
 مصدر كالعاقبة من غير لفظ
 الفعل السابق اى وهبنا له هبة
 وقيل هى ولد الولد وقد سأل
 ولدنا فاعطيه واعطى يعقوب
 نافلة اى زيادة وفضلان غير
 سؤال وهى حال من يعقوب
 (وكلا) اى ابراهيم واسحق
 ويعقوب وهو المفعول الاول
 لقوله (جعلنا) والثانى
 (صالحين) فى الدين والنموه
 (وجعلناهم ائمة) بقصدى بهم فى
 الدين (يهودون) الناس (بامرنا)
 بوحينا (وأوحينا اليهم فعل
 الخيرات) وهى جميع الاعمال
 الصالحة واصله ان تفعل
 الخيرات ثم فعلا الخيرات
 ثم فعل الخيرات وكذلك قوله
 (واقام الصلوة وايتاء الزكاة)
 والاصل واقامة الصلوة والان

وقومه البعض فاكتل محوهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فاهلكته
 قوله تعالى (ونجيناها ولوطا) يعنى من غرود وقومه (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين)
 يعنى الى ارض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار وقال اى
 ابن كعب بارك الله فيها وسماها مزاركة لانه مامن ماء عذب الاوينبع اصله من تحت
 الحجر التى بين بيت المقدس وقيل لان اكثر الانبياء منها (ق) عن ابي قتادة ان عمر بن
 الخطاب رضى الله تعالى عنه قال لكعب الان تحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقبره فقال لكعب انى وجدت في كتاب الله المنزل يا امير المؤمنين ان
 الشام اكثر الله من ارضه فيها اكثر من عبادته عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون حجرة بعد حجرة فخيار اهل الارض ازمهم
 مهاجر ابراهيم اخرجه او ادود او اراد بالحجرة الثانية المعجزة الى الشام برغب في المقام بها
 عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وما ذاك
 يا رسول الله قال لان الملائكة باسطة اجنحتها عليها اخرجه الترمذى عن بهز بن حكيم
 عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله انى تار فى قال ههنا ونحيا بده نحو الشام
 اخرجه الترمذى قال محمد بن اسحق اسجد لابراهيم ورجل من قومه حين راوا ما صنع
 الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من غرود وملائهم وآمنت به
 ساوة بنت هاران الا كبر عم ابراهيم وتبعه لوطا وكان ابن اخيه وهو لوطا بن هاران
 وهو اخو ابراهيم وكان لهما اخ ثالث اسمه نادر فثلاثتهم اولاد نادر وهو اذ فرج
 ابراهيم من كوثى من ارض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوطا وسار فخرج يلبس
 الفراء بدينه والامان على عبادته حتى نزل حران فكث بها ماشاء الله ثم خرج مهاجرا
 حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوطا
 بالموتة وهى على مسيرة يوم ولبلة من السبع بعثته الله نبيا الى اهلها وما قرب منها
 فذلك قوله تعالى ونجيناها ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين قوله تعالى (ووهبنا
 له اسحق ويعقوب نافلة) اى عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب
 لان الله تعالى اعطى ابراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لى من الصالحين وزاده
 يعقوب نافلة وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعنى اى ابراهيم واسحق ويعقوب
 (وجعلناهم ائمة) اى قدوة يهتدى بهم فى الخير (يهودون بامرنا) اى يدعون الناس
 الى ديننا بامرنا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) اى العمل بالشرائع (واقام الصلوة)
 اى المحافظة عليها (وايتاء الزكاة) اى الواجبة وخصهما لان الصلاة افضل العبادات
 البدنية وشمرت لذلك ذكره الله والزاك افضل العبادات المالية ومجوعهما التظيم لامر
 الله والشققة على خلق الله (وكانوا الناعدين) اى موحدين قوله عز وجل (ولوطا
 آتاه حكما) اى الفصل بين الخصوم بالحق وقيل اراد الحكمة والنموه وعلما ونجيناها
 من القرية التى كانت تعمل الخبثات) يعنى قرية سدوم واراد اهلها واراد الخبثات

المضاف اليه جعل بدلا من الهاء (وكانوا الناعدين) لالا هضم قائم ياعشر العرب اولاد ابراهيم فاتبوعه فى ذلك (ولوطا)
 انصب بفعل يفسره (آتيناه حكما) حكمة وهى ما يجب فعله من العمل او فصولا بين الخصوم او نبوة (وعلمنا) ونجيناها
 من القرية) من اهلها وهى سدوم (التي كانت تعمل الخبثات) اللواط والضرط اوحذف المسار بالخصى وغيرها

(انهم كانوا قوم سوء فاسقين) خارجين عن طاعة الله (وأدخلناه في رحمتنا) في أهل رحمتنا أوفى المحنة (أنه من الصالحين) أي جزاءه على صلاحه كما هلكنا قومهم عقابا على قسادهم (ونوحا) أي وأذ كر نوحا (أذا نادى) أي داعلى قومه بالهلاك (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين ٣٤٨ (فاستجيبنا له) أي دعاءه (فنجيبناه وأهلكه) أي المؤمنين من ولده وقومه

أما الذي ذكر في ادبارهم وكانوا يضطرون في مجالسهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا) قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب (انهم من الصالحين) يعني الانبياء قوله تعالى (ونوحا إذا نادى من قبل) أي من قبل إبراهيم ولوط (فاستجيبنا له) أي اجابنا دعاءه (فنجيبناه وأهلكه من الكبر العظيم) قال ابن عباس من العرق وتكذيب قومه له وقيل أنه كان أطول الانبياء عمرا وأشدهم بلاء والكبر أشد الغم (ونضرناه) أي منعه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا إليه بسوء وقيل من معنى على (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) قوله عز وجل (وداود وسليمان إذ يجتزمان في البحر) قال ابن عباس واكثر المفسرين كان البحر كرماء فدللت عناقيدهم وقيل كان زرعاً وهو أشبه بالعرف (اذنفت فيه غم القوم) أي رعبه ليلاً فافدته وكانت بالاراع (وكنا نحكمهم شاهدين) أي كان ذلك يعلمنا أمر أي مثلاً لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان أقل الجمع أثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع إن غنم هذا دخلت زرعى ليلاً وقعت فيه فافسدت فلم تبق منه شاة فأعطاه رقاب الغنم بالزرع ففزع جازعاً على سليمان فقال كيف تقضى بينهما فأخبره فقال سليمان لو وليت أمرك لقتضيت بغير هذا وروى أنه قال غير هذا الرافق بالقرينين فأخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضى وروى أنه قال له بحق البقرة الواو لا أملكها أخبرني بالذي هو أرفق بالقرينين قال ادفع الغنم إلى صاحب الحرث يتفقد بدها وتسلبوا وضوفاً وما نفعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث قهشته يوم اك كل دفع إلى صاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان سليمان يوم حكم بذلك من العمر إحدى عشرة سنة وحكم الإسلام في هذه المسئلة أن ما أفسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه وربها إلا أن عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سعد بن محينة أن ناقة لابن أبي عازب دخلت حائط الرجل من الأنصار فافسدت فيه ففضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل فأدق رواية وأن على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أجرجه أبو داود وسلاو ذهب أصحاب الرأي أن المالك إذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما ألفت ليلاً كان أو نهاراً فذلك قوله تعالى (فقهمنها سليمان) أي علمناه

(من الكبر العظيم) من الطوفان وتكذيب أهل الضغيان (ونضرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) منعناهم من أي من أذاهم (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) صغيرهم وكبيرهم مذكرهم وأنثاهم (وداود وسليمان) أي وأذكرهما (اذ) بدل منه حالاً (يجتزمان في البحر) في الزرع أو الكرم (اذ) ظرف ليجتزمان (نفت) دخلت (فيه غم القوم) ليلاً فأكلته وأفسدته والنفس انتشار الغنم ليلاً بالاراع (وكنا لحكمهم) أرادهم ما والمتماكين البهائم (شاهدين) أي كان ذلك بعيننا ومروى منا (فقهمنها) أي الحكمة أو الفتوى (سليمان) وفيه دليل على أن الصواب كان مع سليمان ولو ات الله عليه وقصته أن الغنم ردت الحرث وأفسدته ليلاراع ليلاً ففزع كما إلى داود فحكم بالغنم لأهل الحرث وقصد استوت قيمتهما أي قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا الرافق بالقرينين ففزع عليه ليحكم

فقال أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بالبانها وأولادها وأصوافها والحرث إلى رب الغنم حتى والهمناه يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسدتم بترادان فقال القضاء ما قضيت وأضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتماعهم وهذا كان في شهر ربيعهم فمات في شهر ربيعنا فلا ضمان عندى حتى يفتوا أصحابه رضى الله عنهم بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد وعند الشافعى رحمه الله يجب الضمان بالليل

واللهما حكم التضيعة (وكلا) يعني داود وسليمان (آ) تنهاكما وعلماء أي بوجوه
الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت المحكام قد هلكوا ولكن الله
جد هذا بصوابه واثني على هذا باجتهاده واختلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاده
أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكمنا بالاجتهاد قال ويجوز والاجتهاد
للا نبياء ايدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في المحوادث اذ المجتهدون انص
كتاب أو ستة واذا اخطأوا فلا أثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فيه أجزان واذا حكم فاجتهد فأخطأ
فله أجر وقال قوم ان داود وسليمان حكمنا بالوحي فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود
وهن قال بهذا يقول لا يجوز للا نبياء الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه بالوحي واحتج
من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعد الثواب
للمجتهد في الخطأ وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا
بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل
واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فأخطأ فله أجر لم
برديه انه يخرج على الخط بل يخرج على اجتهد في طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم
في الخطأ عنه موضوع اذ لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود قوم قدر
الضرر في الحرث فكان مساويا للقيمة الغنم وكان منسده ان الواجب في ذلك الضرر في
الحرث قيمة المثل فلا جرهم سلم الغنم الى الجني غايه وأما سليمان فان اجتهاده أدى الى انه
يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد فاما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائزة
ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فيكم به ومن أحكام داود
وسليمان عليهم السلام ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احدهما فقات
لصاحبتها فماتت فذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فقتل الى داود فتعاضى به
للكبرى فخر جتاعا لي سليمان بن داود فاجبر تاه فقال انتوني بالسكين اشقه بينهما فقات
الصغرى لا تفعل برجل الله هو ابنا فتعاضى به للصغرى آخر جاء في التجميعين قوله تعالى
(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أي يسبحن مع داود اذ اسبح قال ابن عباس
كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل
معنى يسبحن يصلين معه اذ صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمع الله تسبيح الجبال والطير
ليشط في التسبيح يشاقق اليه (وكنا فاعلين) يعني ما ذكر من التفهيم وآيات الحكم
والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قيل أول
من صنع الدروع وسردها واتخذها لحق داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله ألان
الحديد لداود بان يعمل منه غير نار كانه طين والدروع يجمع بين الحقة والمخاضة وهو
قوله تعالى (لتخصنكم) أي تمنعكم (من باسكم) أي حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح
فيكم وقيل ليخصنكم الله به (فهل أنتم شاكرون) أي يقول ذلك لداود وأهل

وقال الحصاض انما ضمنوا
لانهم أوسلوها أو نسخ الضمان
بقوله عليه السلام الجهاد
جبار وقال مجاهد كان هذا
صليحا ومات له داود كان حكما
والصلح خير (وكلا) من داود
وسليمان (آ) تنهاكما (نبوة
(وعلمنا) معرفة بموجب الحكم
(وسخرنا) وذلكنا (مع داود
الجبال يسبحن) وهو حال بمعنى
مسيحات أو استئناف كأن
قائلا قال كيف سخرهن فقال
يسبحن (والطير) معطوف على
الجبال أو معقول معه وقدمت
الجبال على الطير لان تسخيرها
وتسخيرها أعجب واغرب وادخل
في الاعجاز لانها جبار روى انه
كان يمر بالجبال مسبحا وهي
تجاوبه وقيل كانت تسير معه
حيث سار (وكنا فاعلين) بالانبياء
مثل ذلك وان كان عجايبا عندهم
(وعلمناه صنعة لبوس لكم)
أي عمل اللبوس والدروع
واللبوس لباس والمراد الدرع
(لتخصنكم) شامى وحقق أى
الصنعة والنبون أبو بكر وجاد
أى الله عز وجل والياء غيرهم
أى اللبوس أو الله عز وجل (من
باسكم) من حرب عدوكم (فهل
أنتم شاكرون) استفهام بمعنى
الامر أى فاشكروا الله على ذلك

بنيته قوله عز وجل (ولسليمان الریح) أي وسخرنا سليمان الریح وهو جسم مقرك
لطيف متع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحر كنهه ويخفي عن البصر بلطفه
(عاصفة) أي شديدة الهبوب فان قلت قدومه الله بالرخاء وهي الينة قلت
كانت الریح تحت أمه ان شاء الله استدنت وأراد ان تلبس ثياباً (تجسري بامه
الى الارض التي باركنا فيها) يعني الشام وذلك لانها كانت تجسري بسليمان وأصحابه
حيث شاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام (وكتبا بكل شيء عالمين) أي بحكمة التدبير
فيه وعلمنا ان ما يعطى سليمان من تسخير الریح وغيره يدعو الى الخضوع له قال وهب
كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه خلقت عليه الطير وقام له الانس والجن
حتى يجلس على سريره وكان امر أغزاء قلما كان يقعد عن الغزو ولا سمع في ناحية من
الارض علك الا آتاه حتى يذله وكان فيما امر عن اذا أراد الغزو أمر بعمركه فغضب له
بجشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا جل معه
ما يريد أمر العاصف من الریح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتلمته حتى اذا استقلت به
أمر الرخاء فمرت به شهراً في روحته وشهراً في غنوده الى حيث أراد وكانت تمر بعمركه
الريخ الرخاء وبالزوعة فما تحركها ولا تنير تراباً ولا تؤذي طائراً قال وهب ذكرني أن
منزلاً ناهية ذحيلة مكتوب فيه كنيه بعض صحابه سليمان امامن الانس أو من الجن
فجن نزلناه وما بيننا وبيننا وجدناه غدوناً مضطراً فقلناه ونحن راكعون منه ان
شاء الله فزالون بالشام وقال مقاتل سمعت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ
ذهباً في امر يسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وهو لثلاثة
آلاف كرسي من ذهب وقصة تتعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي
الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وظله الطير باجتهاد حتى لا تقع
عليه شمس وترفع ریح الصبا البساط مسيرة شهر من الصبح الى الرواح وقال الحسن
لما شغلتني الله سليمان المحل حتى فاتته صلاة العصر غضب الله فعقر الحبل فأبدله الله
مكته أخيراً أمهنا وأسرع الریح تجسري بامه كيف شاء فكان يغدو من ألباء فيقيل
باضطرب ثم يروح منها فيكون رواحيه يبالي وروى أن سليمان سار من أرض العراق
فقال بمدينة بلخ متحلاً بالاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر
ويروح على مثل ذلك ثم عطف بمنية عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى أرض
السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى أرض فارس فترها
أباماً وغداً هنا فقال بكسر ثم راح الى الشام وكان مسرة قومه مدينة تدمر وكان أمر
الشياطين قبل شخوصه الى العراق فبنوه له بالصفا والعمد والرخام الاصفر
والابيض وفي ذلك يقول النابغة

السليمان اذ قال للمليك له * قم في البرية فأحدد هاعن القند

وجلس الجن اني قد أذنت لهم * ينون تدمر بالصفا والعمد

قوله عز وجل (ومن الشياطين) أي وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) أي
يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملاً دون ذلك) أي

(ولسليمان الریح) أي وسخرنا
له الریح (عاصفة) حال أي
شديدة الهبوب ووصفت في
موضع آخر بالرخاء لانها تجسري
باختاره فكانت في وقت رخاء
وفي وقت عاصفة في وقتها على
حكم ارادته (تجسري بامه) بام
سليمان (الى الارض التي باركنا
فيها) بكثرة الانهار والاشجار
والثمار والادراك الشام وكان منزله
بها وتحملة الریح من نواحي
الارض اليها (وكتبا بكل شيء
عالمين) وقد أحاطا علمنا بكل شيء
فتجسري الانبياء كلها على
ما يقضيه علمنا (ومن الشياطين)
أي وسخرنا منهم (من يغوصون
له) في البحار بامه لاستخراج الدر
وما يكون فيها (ويعملون عملاً
دون ذلك) أي دون الغوص
وهو بناء الخدائب والتمثيل
والقصود والقدر والجنان

دون القوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محارب
وتسابل الآيتو يتجاوزون في ذلك إلى أعمال الممدن والقصور والصناعات كالنخاد
النودة والقواوير والصابون وغير ذلك (وكنالهم حافظين) أي حتى لا يخرجوا عن
أمره وقيل حققناهم من أن يفسدوا ما عملوا وذلك أنهم كانوا إذا عملوا عملاً في النهار
وفرع قبل الليل أفسدوه وخبروه قيل إن سليمان كان إذا بعث شيطاناً مع إنسان ليحمله
له عملاً قال له إذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لا يفسد ما عمل ويخبره قوله
تعالى (وأيوب إذا نادى ربه) أي دعاربه

(ذكر قصة أيوب عليه السلام)

قال وهب بن منبه كان أيوب رجلاً من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن
عيص بن اسحق بن إبراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه
ونباهو بسطة له الدنيا وكانت له البشينة من أرض البلقاء من أعمال خوزم مع
أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر
والغنم والخيل والمجير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له خمسة مائة
فدان يتبعها خمسة مائة عبد لكل عبد امرأة ولد و مال ويحمل له آلة كل فدان أتان لكل
أتان من الولد اثنان أو ثلاثة أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلاً
وولدان رجال ونساء وكان برأقياً رحيماً بالمساكين يطعمهم ويكفّل اليتام
والأرامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكر الانعم لله مؤدياً لحق الله قد
امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغر والغبلة
والشغل عن أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به
وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له النغر وقيل نغير ورجلان من أهل بلده يقال
لأحدهما تلدد والآخر صافر وكان لهؤلاء مال وكان إبليس لا يحب عن شيء من
السموات وكان يقف فيهن حينما أراد حتى رفع الله عيسى فحب عن أربع فلما
بعث محمد صلى الله عليه وسلم حب عن السموات كلها الا من استراق السمع فسمع إبليس
تخاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدرك إبليس
الحسد والبغى فصدسمر يعادتي وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهى نظرت
في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرت وعاقبته فمذك ولو أبليت
بزعماً عطية لخال عاها وعلية من شكرت وعادتك ولخرج عن طاعتك قال الله
تعالى انطلق فقد سطت على ماله فانتقض عدو الله إبليس حتى وقع على الأرض فجمع
عقاريت الجن وردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سطت على مال
أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفير بن
الشياطين أعطيت من القوة ماذا شئت فتحوّل اعصار من نار فاحرق كل شيء أتى
عليه قال إبليس اذهب فأت الابل ورعاتها في الابل حين وضعت رؤسها ودرعت فلم
يشعر الناس حتى نار من تحت الأرض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى أتى

(وكنالهم حافظين) ان يزيغوا
عن أمره أو يبدلوا أو يوحدهم منهم
فساد فيما هم مسخرون فيه
(وأيوب) أي واذا كرأيوب (اذ)
نادى ربه

على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس بصورة قبيحة من كائنات اهلها على قعود الى ايوب
فوجدته قائما يصلي فقال يا ايوب اتقيت نار حتى غشت ابلك وأحرقتها ومن فيها غيري
فقال ايوب بعد أن فرغ من الصلاة الحمد لله هو اعطانيها وهو اخذها وانها مال الله
اعارنيها وهو اولى بها اذا شاء فزعها قال فتركت الناس مبهورين يتعجبون منها منهم من
يقول ما كان ايوب بعيد شيا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان الله ايوب
يقدر على أن يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشتم به عدوه
ويقبح صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع عني عريانا خرجت من بطن
أُمِّي وعريانا اود الى التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح
حين اعارك وتبخر حين قبض عار بته الله اولى بك وعيا اعطاك ولوعلم الله فيك ايها
العبد خير النمل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا وليكنه علم منك شرا فاحرك
فرجع ابليس الى اصحابه خاسئا ذليلا لافساح ما عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه قال
عفريت من الجن عندي من القوة ما اذا شئت صحت صحيحة لا يسمعها دورح الا خرجت
روحها قال ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صحيحة فجمعت
أموالنا من عند آخرها وعات رعاتها فجاء ابليس متمثلا بقهر مان الرعاة الى ايوب فوجدته
يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى اصحابه
فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت عندي من القوة ما اذا
شئت فتحولت بجحاش عاصفة تنسف كل شيء تأتي عليه قال فأت الفدادين في الحرث والزرع
فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادين في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح
عاصفة فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهر مانهم الى
ايوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه ايوب مثل رده الاول وجعل ابليس
يصف ماله مالا لا احتى مرعى آخره كلما انتهى الى هلاك ماله من امواله حمد الله
واحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر والسبلا حتى لم يبق له مال
فاما راي ابليس انه قد اذني ماله ولم ينجح منه شيء صعد سرى عاصفي وقفا في الموقف
الذي يقف فيه وقال الهي ان ايوب يرى انك ما تمتعه بولده فانت معطيه المال فهل
انت مسلط على ولده فانقض عدو الله حتى اتى بي ايوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل
بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا فمهمهم بالحشب
والجحاشرة فلما مثل بهم كل مثله رفع انقض وقلبه عليهم وصاروا منه كسين وانطلق الى
ايوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جرح مشدود وجهه يسيل دمه
فاخبره وقال لورايت بنيت كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل
دماءهم وادعيتهم ولورايت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاؤهم لتقطع قلبك عليهم
فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رقى ايوب وبكى وقبض قبضته من التراب فوضعه على
رأسه وقال يا ليت ابي لم يلدني فاعتسم ابليس ذلك فصعد سرى عاصفيا الى كان من جزع

أيوب مسرور به ثم لم يلبث أيوب أن فاعوا وأبصروا واستغفروا فبعد قرأوه من الملائكة
 بنو بنه فسبقت تو بنه إلى الله وهو أعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهى انما هو
 على أيوب المال والولد أنه يرى انك مامتعة بنفقه فانت تبعيله المال والولد فبلى أنت
 مساطي على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك
 سلطان على لسانه وقلبه وقلبه وكان الله أعلم به ولم يسلطه عليه الا رجة ليعظم له الثواب
 ويجعله عبرة للصابرين وذ كرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ثم اتا سوا به في الصبر ورجاء
 الثواب فانتفض عدا الله ابليس سر بها اليه فوجد أيوب ساجدا فحمل قبل أن يرفع
 رأسه فأتاه من قبل وجهه فتفتح في مخزبه فتفتح اشعل منها جسده فخرج من قرنه الى
 قدمه ثايل مثل الياز الغتم ووقعت فيه حكة فلك باظفارها حتى سقطت كلها ثم حكها
 بالسوح الخشنة حتى قطعتها ثم حكها بالبخار والحجارة الخشنة فليرى لحيته حتى قرح لحيته
 وقطع وتغير وأنت فخرجه أهل القرية فخلعوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه
 خلق الله كلهم غير امرأته وهى رجة بنت أفراتيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف
 اليه عيا صلحه وتزمره فلما رأى الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من
 غير أن يتركوادنه فاما طال به البلاء فأتى اليه أصحابه فبكوه ولا موه وقالوا آت إلى
 الله من الذنب الذى عوقبت به قال وحضره معهم فتى حديث السن قدامن به وصدقه
 فقال لهم انتمى انتم تكلمتم أيها السكهل وأنتم أحق بالكلام منى لسانكم ولكن
 تركتم من القول ما هو أحسن من الذى قلتم ومن الرأى أصوب من الذى رأيتم ومن الامر
 أجمل من الذى أتيتم وقد كان لا يوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم
 فويل تدرون أيها السكهل حق من انتقمتم وحرمة من انتهمكم ومن الرجل الذى عتم
 واتهمتم ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل الارض الى يومكم هذا ثم
 لم تعلموا ولم تطلعكم الله على انه سخط شيأ من أمره منذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا ولا
 على انه رعن منه شيأ من السكرامة التى أكرمه الله بها ولا أن أيوب قال على الله غير الحق
 فى طول ما حببتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم ووضعتم
 أنفسكم فقد علمتم أن الله تعالى يتلى المؤمنين والصديقين والشهداء والصابحين وليس
 بالأول ولا الثالث ذليلا على سخنة عليهم ولا ملوا منهم عليه وليكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان
 أيوب ليس من الله بهذه المنزلة الا أنه أخ أحببتموه على وجهه الحميمة لكان لا يحمل
 بالحليم أن يعذب أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه عا لا يعلم وهو مكروب
 خزين وليكنه برحه ويكي وبسته تغفله ويحزن لحزنه ويدله على مرشد امره وليس
 بحكيم ولا رشيد من جهل هذا قاله الله أيها السكهل وقد كان فى عظمة الله وحلاله
 وذ كرى الموت ما يفتخ أنتمكم ويكره قلوبكم ألم تعلموا أن الله عباد اسكتهم الخشية
 من غير عى ولا يكره وانهم لهم الفخفاء الباغعاء النبلاء الالباء العالمون بالله والسكهم
 اذا ذكروا عظمة الله انقطعتم أسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم
 وطاشت عقولهم اعظاما لا مر الله واجبالا فاذا اشتاقوا من ذلك استبقوا الى الله

بالاعمال الزاكية بعدون أنفسهم من الضالين والخطائين وانهم لا يبرأون من المصيرين
 المفرطين وانهم لا كياس أقوياء قال أيوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة
 في قلب الصغير والكبير فاذا نمت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون
 الحكمة من قبل السن ولا طول النحر به واذا جعل الله العبد حكيمًا في الصبا لم تسقط
 منزلته عند الحكما وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم اقبل أيوب
 على الثلاثة وقال آيتوني غصا بارهيت قبل ان تستهواوا بكيم قبل ان تضربوا كيف
 في لو قلت تصدقوا عني يا موالكم لعل الله أن يخلصني أو قربوا عني قر بانال لعل الله أن
 يقبله ويرضى عني وانكم قد اعيتكم انفسكم وظننتم انكم قد عوقبت باحسانكم ولونظرتكم
 فيما بينكم وبينكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيبا قدسترها الله تعالى بالعافية التي
 ألتكم وقد كنتم فيما خلقتو قرونى وانما سمعوا كلامي معروف حتى منتصف من
 خصمي فاصبحت اليوم وليس لي رأى ولا كلام معكم فانتم كنتم اشد على من مصيبي ثم
 أعرض عنهم أيوب واقبل على ربه مستغنيا به مضرع اليه فقال يا رب لا شيء خلقتني
 ليتني اذكره ليتني لم تخلقني يا ليتني عرفت الذنب الذي اذبت والعمل الذي علمت فصرفت
 وجهك الكريم عني لو كنت أمتي فالحقني يا تائي فالموت كان أجمل في ألم كل للغريب
 دارا وللمكسين قراوا وتليم ولها وللارملة قيمة الهى أنا عبد ذليل ان احسنت فالت للثوان
 اسأت فيبدك عقوبتي جعلتني لللاء عرضا وللجنة نصيبا وقد وقع على من البلاء ما لو
 ساطته على جبل اضعف عن حمله فكيف يحمله ضيفي وان قضاءك هو الذي اذلني وان
 سلما لك هو الذي اسقمني واتخل جسمي ولوان ربي نزع الهية التي في صدرى واطاقت
 لسانى حتى اسكتم بل عني فاذلى بعدرى واسكنا يبرأني وأخاصم عن نفسي لرجوت ان
 يعافيني عند ذلك عساني ولا يكرهه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا اراهو يسمعي ولا
 اسمعه فله اقال ذلك أيوب وأصحابه عنده أنظله غمام حتى طن أصحابه انه عذاب ثم نودي
 يا أيوب ان الله يقول ها انا قد دونت منك ولم ازل منك قريبا فاذل بعدرك وتسكلم
 يبرأ منك وأخاصم عن نفسك واشدد ازارك وقم مقام جباري مخاصم جبارا ان استطعت
 فانه لا يبدني ان يخاصمني الاجبار مثلي لقد مننتك نفسك يا أيوب امر اياي بلع مثله مثلك ابن
 انت منى يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معي عند باطرافها هل
 علمت باي مقدار قدرتها ام على اى شيء وضعتها كفافها اطاعتك جعل الماء الارض ام
 بحكمة منك كانت الارض للماء غطاء ابن كنت منى يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق
 بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمته ان تجرى نورهات وتسير
 تجوهمها او يختلف بامرك اليها ونهارها أين كنت منى يوم أنبت الانهار وسكنت البحار
 أساطنك حبست أمواج البحار على حدودها ام بقدرتك فقطت الارحام حين
 بلغت مدتها أين كنت منى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شواخ الجبال هل
 تدري على اى شيء ارسيتها ام باي مثقال وزنتها ام هل لك من ذراع تطيق جعلها ام هل
 تدري من اين الماء الذي انزلت من السماء ام هل تدري من اى شيء انشأت السحاب ام

هل تدري أين خزنة الثلج أم أين جبال السبر دأب أين خزنة الليل بالنهار وخزنة النهار
 بالليل وأين خزنة الريح وبأي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في اجواف الرجال
 وشق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة للملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم
 الارزاق بحكمته في كلام كثير يدل على آثار قدرته ذكرها الايوب فقال ايوب صغر شأني
 وكل لساني وعقلي ورأي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي يعرض على الهى قد علمت
 ان كل الذي قد ذكرته صنع يدك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت
 عمت ولا يجزئك شئ ولا تخفى عليك خافية الهى أو تبقى البلاء فتكلمت ولم املك نفسي
 فكان البلاء هو الذي أنطقني لست الارض انشقت بي فذهبت فيها ولم أنسكلم شئ
 بسخطك لى وليتي مت بغصني في أشد بلائى قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت
 بعذري وسكنت حين سكنت لترجني كلمة زلت مني فلان أعود وقد وضعت يدي على فمى
 وعضضت على لسانى وألصقت بالتراب خدى اعوذ بك اليوم منك واستجير بك من جهد
 البلاء فأجبنى واستغيت بك من عقابك فاعفني واستعنيك على أمرى فأعني واتوكل
 عليك فأكفني واعتصم بك فأعصني واستغفرك فأغفر لي فلان أعود لشيئ أسكره مني
 قال الله تعالى يا ايوب نفذ فيك على وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك
 أهالك ومالك ومثلهم معهم اتكون لمن خلقت آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزا
 للصابرين فادكض برجلك هدام غسل بارد وشرب فانه تناول وقرب عن أصحابك قربانا
 واستغفر لهم فاهم قد عصوني فيك روى عن أنس يرفع ان ايوب لبث ببلائه ثمانى عشرة
 سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث ايوب
 مطروحا على كفاة لبي اسرائيل سبع سنين وأشهر الاختلاف فيه الدود لا يقر به أحد غير
 رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأنيبه بالطعام وتحمد الله معه اذا جدد ايوب مع ذلك
 لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ ابليس صرخة جع فيها جرد من
 أقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما أحزنك قال اعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالا
 ولا ولدا ولم يزد الا برأى سلطت على جسده فتر كتمه قرحة لقاء على كفاة لا تقربه الا
 امرأته فاستغيت بكم ليعينوني عليه فقالوا له فإين مكرتك الذى أهلكك به من مضى قال
 بطل ذلك كله في ايوب فاشير واعلى قالوا من أين أتيت آدم حين أخرجه من الجنة قال
 من قبل امرأته قالوا فأنك بابوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصها وليس يقربه
 أحد غيرهما قال اصبت فانطلق ابليس حتى أتى رجلة امرأة ايوب وهى تصدق فتشمل لها في
 صور رجل وقال لها أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحك قروحته و يتردد الدبدان
 في جسده فلما سمعها طمعت ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت
 فيه من النعم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضروان ذلك لا يستطيع
 عنه أبدا فصرت فعلم انها قد جزع فتأثرت بالبلاء وقالت ليضحى لي هذه ايوب ويرأى لاهات
 تصرخ يا ايوب حتى متى بعد بك و بك أين المال ابن الولدان الصديق أين لولتك
 الحسن أين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب أتاك عدو الله فنفخ فيك

وبلأرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والحكمة من أعطاه الله قالت الله قال كم تمناه
 قالت ثمانين سنة قال فخذ كما تبتلنا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال وبالك ما أنصفت
 ربك ألا أصبحت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفى الله
 لأجل ذلك مائة جلدة أمرتني أن أذبح أغبر الله طعامك وشربك الذي تأتيني به على حرام
 أن أذوق منه شيئا أعز بي دعي فلا أراك فطردوها فذهبت فلما نظر أيوب وليس عنده
 طعام ولا شرب ولا صديق خرسا جدد الله وقال رب (أني مسني الضر وأنت أرحم
 الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك أركض برجلك فركض برجله
 فذبت عين ماء فغسل منها فلم يبق عليه من درنه وداؤه شيئا ظاهر الا سقط وعاد شربه
 وجهه أحسن ما كان ثم ضرب برجله فذبت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في خوفه
 داء الا خرج فقام يحسبوا كسي حبله فجعل يلتفت فلا يرى شيئا ما كان عليه وما كان
 له من أهل ومال الا وقد ضعفه الله له وذكر لنا ان الماء الذي اغسل منه تطارعت على
 صدره جزا من ذهب فجعل يضجه بيده فلو شى الله اليه يا أيوب ألم أعنت قال بلى ولكنها
 بركتك فمن يشبع منها قال فرج حتى جلس على مكان مشرق ثم أمرته قالت أأرأيت
 أن كان طردني الى من أكله ادعته وموت جوعا وبضع فتأكله السمباع لارحم الله
 فرجعت اليه فلا الكناسة رأته ولا تلك المحالة التي كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت
 فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعيني أيوب وهات صاحب الحلة
 أن تأتية فاستسأله عن أيوب فدعاها وقال ما تريد يا أمه الله فبكيت وقالت أردت ذلك
 المبلى الذي كان من ذاع على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل به فقال أيوب ما كان
 منك فبكيت وقالت بعل فقال هل تعرفينه اذ أراته قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم
 جعلت تنظر اليه وهي تهابه ثم قالت امانه الله خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فاني
 أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح فبخلة لا بليس واني أطمعت الله وعصيت الشيطان ودعوت
 الله فردد على ما ترين وقال وهب لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب ابليس
 ولم يستطع منه شيئا عرض امرأته في هيئته ليست كهنية بني آدم في العظم والجسم
 والنجال على مركب ليس من مركب الناس له عظم وبها فقال لها انت صاحبة أيوب
 هذا الرجل المبلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال اناله الارض وانا الذي صنعت
 بصاحبك ما صنعت لانه عبد الله السماء وتركتني فاعضبتني ولو تجدني سجدت واحدة
 رددت عليك وعليه كل ما كان لك من مال وولد فانه عندي ثم أراها اياما يطعن
 الوادي الذي لتقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها اسعديني في سبعة واحدة
 حتى أرد عليك المال والولد واعاني زوجك فصرخت الى أيوب فاخبرته بما قال لها
 وما أراها قال لقد أتاك عدو الله ليقنتك عن دينك ثم أقسم أن عافاه الله ليعرضها
 مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سحود حرمي له ودعائه اياها
 وايائي الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم رجسة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء
 وخفف عليها وأراد ان يبري بين أيوب فأمره ان يأخذ ضغنا يشتمل على مائة عود
 صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين قصد الدود

(أني) اي دعاه فاني (مسني الضر)
 الضر بالغنى الضر في كل شيء
 وبالضم الضر في النفس من
 مرض او هزال (وانت أرحم
 الراحمين) الطيفي السؤال
 حيث ذكر نفسه بما وجب الرحمة
 وذكر به بعبادة الرجعة ولم
 يصرح بالمطلوب فكانه قال أنت
 أهل أن ترحم وأيوب أهل أن
 يرحم فارجعه واكتشف عنه
 الضر الذي مسه عن أنس رضى
 الله عنه أخبر عن ضعفه حين لم
 يقدر على النهوض الى الصلاة
 ولم يشك وكيف يشك من قبله
 انا وجدناه صابرا نائم العبد وقيل
 انما شك اليه تلذذ بالنعوى
 لانه تضرع بالنعوى والشكاية
 اليه غاية القرب كان الشكاية
 منه غاية البعد

الى قلبه ولسانه تخشى أن يعترعن الذكرو الفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها ما قيل في حقه لو كان الله عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني أن امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذواتها فابتاعته طعاما والثالث قول ابليس اني أدأو به على أن يقول أنت شفيعتي وقيل مسني الضر أي من شحاتة الاعداء حتى روى أنه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في ثلاث قال شحاتة الاعداء فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد أظهر الشكوى والمجزع بقوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان نصب وعذاب قلت ليس هذا شكاه وانما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له واستكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخلق بدليل قول يعقوب انما أشكوا بني وحزني الى الله وقال سبحانه ان عبيدنا من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك خيرا كروى ان جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال احدي من معي وما واحدني مكرونا وقال لعائشة حين قالت وارساه بل انا وارساه قوله تعالى (فاستجبنا له) أي أجبنادعاءه (فكشفتنا ما به من ضر) وذلك انه قال له اركض برحلك فركض برحله فبعثت عين ماء فامرته أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فامرته أن يضرب برحله الارض مرة أخرى ففعل فبعثت عين ماء بارد فامرته أن يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان (واتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن مسعود وابن عباس وأكثرا المفسرين رد الله اليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياهم الله وأعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية أخرى ان الله رد الى المرأة أمتيها فوالت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن أنس رفعه انه كان له اندران أندرا للقمع وأندرا للشعر فبعث الله سبعين فافرغت احدهما على اندر القمع الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعر الورق حتى فاضا وروى ان الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقرئك السلام بصرك فخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة فأتبعها وردها الى اندره فقال له الملك ما بك يك ما في أندرك فقال هذه بركة من ربك تدري ولا أشبع من بركاته (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا خدي من ذهب ففعل أيوب يحيى في ثوبه فناداه به يا أيوب ألم أكن أغنتك عن عاري قال بلى يارب وليكني لاغي في عنبرك وقيل آتى الله أيوب منسل أهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لا يوب ان اهلا في الآخرة فان شئت عملناهم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وآتينك مثلهم في الدنيا فقال بلى يكونون لي في الآخرة وأوق مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأردا بالاهل الاولاد (رحمة من عندنا) أي نعمة (وذكري للعابدين) أي عظة وعبرة فمزم قوله عز وجل (واسمعي) هو ابن ابراهيم صلى الله عليه وسلم (وادر يس) هو اخنوخ وذو الكفل كل من الصابرين لما ذكر انه أمر أبو بوسيرة على البلاء اتبعه به كرهولا الانبياء

(فاستجبنا له) (أجبنادعاءه) (فكشفتنا ما به من ضر) (فكشفتنا ضره انعاما عليه) (واتيناه أهله ومثلهم معهم) روى ان أبوب عليه السلام كان روميا من ولد اسحق بن ابراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد وفضل فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثمان عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين وقالت له امرأته يومالو دعوت الله عز وجل فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا استحي من الله أن ادعوه وما بلغت مدة ثلاثي مدة رخصتي فلما كشف الله عنه احيا ولده بأعيانهم ورزقه مثلهم معهم (رحمة من عندنا) هو مفعول له (وذكري للعابدين) يعني رجلا لا يوب وبود كرهه من العابدين ليصبروا كصبره فيما رواه (واسمعي) بن ابراهيم (وادر يس) بن شيث بن آدم (وذو الكفل) أي اذكرهم وهو الياس اوز كرياو يوشع ابن نون وسمي به لانه وا الحظ من الله والكفل الحظ (كل من الصابرين) أي هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر

لأنهم صبروا على الحزن والشدة وادوا العبادة أيضا اما اسمعيل صلى الله عليه وسلم فإنه صبر على الاتقاد الى الذبح ولما ادر يس فقد تقدمت قصته وأما داود الكفل فاختله وافيته فقيل ان نبيا من بني اسرائيل وكان ملكا وحى الله اليه اني اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني اسرائيل فن تكفل انه يصلي الليل ولا يقتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا تكفل لك بهذا فتكفل ووفي فذكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقيل لما كبر الاسم قال اني أختلف رجلا على الناس بعمل عليهم في حماي انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل مني ثلاثا أستقبله يصوم النهار ويقوم الليل ويقضي ولا يغضب فقام رجل تزد به العين فقال أنا فرددته ذلك اليوم وقال مثا في اليوم الا تحرف كنت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستغفنه فأتاه باليس في صورة شمع ضعيف حين أخذ فمعه لثاثة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فمدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير فظلم فقام ففتح الباب فقال ان يني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحمت فائتي حتى آخذ حقل فأنطق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام بتمعه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظر فلم يره فارجع الى القائلة وقال واخذ منمعه مدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظالم ففتح له وقال له الم اقل اذا قدمت فائتي قال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا الحزن تعطيك حقل واذا قت جدوني قال فأنطق فاذا جاست فائتي فقامت القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه العباس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدعن احدي قرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق على العباس فلما كان تلك الساعة نام فجاء فلم يأن له الرجل فلما اعياءه نظر فرأى كوة في البيت فسور منها فاذا هو في البيت فمدق الباب من داخل فاستنقظ فقال يا فلان ألم أمرك قال أمان من قبلي فلم توت فأنظر من أين أنت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال ان نام والخصوم يباك فيظفر اليه ففرقه فقال اعدوا لله قال نعم اعيتني وفعلت ما فعلت لا غضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بأمر قوي به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا (وأدخلناهم في رحمتنا) يعني ما نفع به عليهم من النبوة وصبرهم اليه في الجنة من الذواب (انهم من الصالحين) قوله عز وجل (وذا النون) اي واذا كرس صاحب الموت اضيف الى الموت لانتفاعه اياه وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) قال ابن عباس في روا به عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فعزاهم ملك فسي منهم تسعة اسباط ونصفاوا بقي منهم بطنان ونصف فاحى الله الى شعبي النبي أن سر الى قريش الملك وقل له بوجه نبيا فوافاني التي في قلوب اولئك حتى يرسلوا معي بني اسرائيل فقال له الملك فن ترى وكان في ملكه خمسة من الانبياء قال يونس أنه قوى امين فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال يونس هل الله امرك بالخروجي قال لا قال فهل

(وأدخلناهم في رحمتنا) نبوتنا
او النعمة في الآخرة (انهم من
الصالحين) اي ممن لا يشوب
صلاحهم كدرا الفساد (وذا النون)
اي اذكر صاحب الموت
والنون الموت فاضيف اليه
(اذ ذهب مغاضبا) حال اي مراغما
لقومه ومعنى مغاضبه لقومه
انه اغضبهم بتفارقته لمخوفهم
حلول العقاب عليهم عند ادراوى
انه يرمي قومه لطول ما ذكرهم
فلم يشعظوا واقاموا على كفرهم
فراغهم وغلن ان ذلك يسوغ
حيث لم يعقله الا غضبا لله وبعضا
للكفر وادله وكان عليه أن
يصابر وينتظر الاذن من الله
تعالى في المهاجرة عنهم فابتلى
بطنانك ورت

(فطن أن لن تقدر) نضيق (عليه)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه دخل يوما على معاوية فقال
لقد مضى بنى أمواج القرآن
البارحة ففرقت فيها فلم أجد
لنفسى خلاصا الا بك قال وما
هى يا معاوية فقرا الآية فقال
أوفى نبي الله ان لا يقدر عليه
قال هذا من القدرة لا من القدرة
(فنادى فى الظلمات) أى فى
الظلمة الشديدة المتكاثرة فى
بطن المحوت كقوله ذهب الله
بنورهم وتركهم فى ظلمات او
ظلمة الليل والبحر وبطن المحوت
(ان) أى بأنه (لا اله الا انت)
او بمعنى أى (سبحانك انى كنت
من الظالمين) لنفسى فى خروجى
من قوئى قبل ان تأذن لى فى
الحديث ما من مكروب يدعو
بهذا الدعاء الا استجيب له وعن
الحسن بن صالح والله الاقراره
على نفسه بالظلم (فاستجيبنا له
ونجينا من الغم) غم الزلة والوحشة
والوحدة (وكذلك ننجى
المؤمنين) اذا دعونا واستغاثوا
بناتجى شامى وأبو بكر بادغام
النون فى الجيم عند البعض لان
النون لا تدغم فى الجيم وقيل
تقدیره بنجى النجاء المؤمنين
فسكن الياء تخفيفا وأسند الفعل
الى المصدر ونصب المؤمنين
بالنجاء لكن فيه اقامة المصدر
مقام الفاعل مع وجود المفعول
وهذا لا يجوز فيه تسكين الياء
وبابه الضرورات وقيل أصله

سما فى الله قال لا قال فهمنا غمى أنبىاء اقرباء فالحواء عليه فخرج مغاضبا لانتى
واللائك وقومه واتى بحجر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربها كشف عنهم
العذاب بعدما أوعدهم وكره أن يكون بن أظهر قوم حرىو عليه الخلف فيما أوعدهم
واستحيائهم ولم يعلم السبب الذى وقع العذاب عنهم به فكان غضبه انهم لم يظهروا خلف
وعده وأنه يسمى كذابا لا كرامة الحكم الذى وفى بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم
يقولون من حرىو عليه الكذب نخشى أن يقتلهوا لم ياتهم العذاب لئلا يذهب
مغاضبا وقال ابن عباس انى جبريل بن يوسف فقال انطلق الى اهل بيوتى فأندبرهم فقال
أتقن دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان بنوس
كان عبدا لهما وكان فى خلقه ضيق فلما حمل النبوته فخرج تحتها فخرج الراس
تحت الحمل الثقيل فقتلهم فمات بنوس فخرج هاربا منها فلذلك اخرجته الله من أولى العزم
من الرسل وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كصابر أولو العزم من الرسل وقال ولا
تسكن كصاحب المحوت وقوله (فطن أن لن تقدر عليه) أى ان لن تقضى عليه العقوبة
قاله ابن عباس فى رواية عنه وقيل معناه فطن أن لن تضيق عليه المحبس وقيل معناه فطن
أنه يحجز به فلا يقدر عليه قبل لما انطلق بنوس مغاضبا لربها واسترله الشيطان حتى ظن
ان لن يقدر عليه وكان له سلف وعيادة أى الله ان يدعه الشيطان فقتلهم فى بطن المحوت
فكش فيه أربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثين وقيل ان المحوت ذهب به
حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه فى بطن المحوت (فنادى فى
الظلمات) أى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن المحوت (أن لا اله الا انت سبحانك انى
كنت من الظالمين) أى حيث عصيتكم وما صنعت من شئ فلم اعبد غيرك فأخرجته الله من
بطن المحوت برحمته وروى أبو هريرة روى فوعا قال أوحى الله تعالى الى المحوت ان خذوه ولا
تخذلوه لمجا ولا تسكروه عظماء فآخذتهم أهوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى
أسفل البحر سمع بنوس حسا فقال فى نفسه ما هذا فأوحى الله اليه هذا تسبيح وادب البحر
قال تسبيح هو فى بطن المحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا سمع صوتا ضعيفا
بارض غريبة وفى رواية صوتا مرفوعا من مكان مجهول فقال ذلك عبد بنوس عصانى
لخديتته فى بطن المحوت فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليس له
عمل صالح قال نعم فسمعه الله عند ذلك فأمر المحوت فقتله فى الساحل فذلك قوله تعالى
(فاستجيبنا له ونجينا من الغم) أى من تلك الظلمات (وكذلك ننجى المؤمنين) أى
من الكرب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت قد تسببوا مع من هذه القصة من اجاز
وقوع الذنب من الانبياء منها قوله اذا ذهب مغاضبا ومغاضبا فطن أن لن تقدر عليه ومنها
قوله انى كنت من الظالمين قلت أما الجواب الكلى فقد اخذته وفى هذه الواقعة هل
كانت قبل الرسالة أم لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان اخرجته الله من بطن المحوت
بدليل قوله تعالى فى الصافات بعد ذكر خروجه وارسلناه الى مائة ألف او يزيدون فثبت
بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد اجاز بعضهم عليهم السلام الصغار قبل النبوة

نتجى من النتيجة فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت احدى التائين فى تنزل الملائكة

(وزكريا الذي ربه بولادته في فردا) - سأله ابن رزقه ولدا يرثه ولدا يده وحيدا بلا وارث ثم رد أمره إلى الله مستسئلا فقال (وأنت خير الوارثين) أي فإن لم تزقني من يرثني فلا أبالي فانك خير وارث أي باقي (فاستجيبنا له ووهبنا له يحيى) ولدا (وأصلحنا له زوجة) جعلنا لها حلة للولادة ٣٦٠ بعد العقار أي بعد عقرها وحسنة وكانت سبعة الخلق (أنهم) أي

الأنبياء المذكورين (كانوا) يسارعون في الخيرات أي أنهم استأخروا الإجابة إلى طلباتهم لم يدرتهم أبواب الخبز وسارعهم في تحصيلها (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي طمعا وخوفا كقوله يحذرا لآخره ويرجوا رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرغبة فتما والرهبة منا (وكنوا الناطقين) متواضعين خائفين (والتي) أي واذكر التي (أحسنت فرجها) حفظت من المحلل والحرام (فخففنا فيها من روحنا) أخرجنا فيها روح المسيح أو امرنا جبريل فنفع في جيب درعها فأخذنا بذلك النفث عيسى في بطنها وإضافة الروح إليه تعالى لتتربص عيسى عليه السلام (وجعلناها آية) مفعول (نأن) (للعالمين) (واعتدنا آيتين) كإفلال جعلنا الليل والنهار آيتين لأن حالهما مجتمعهما آية واحدة وهي ولاتهما إياه من غير خل أو التقدير وجعلناها آية وآياها كذلك آية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ آيتين (أن هذه أمكم) أمة واحدة (الامة المله وهذه إشارة إلى ملة الاسلام وهي ملة

ومنها بعد النبوة وهو الصحيح) وأما الجواب التفصيلي لقوله اذهب معاضبا فعمله على أنه لقومه أو لملك أولي بحال الأنبياء وأما قوله فظن أن أن تقدر عليه فقد تقدم معناه أي لن قضى عليه وذلك أن يونس ظن أنه خير إن شاء وأقام وإن شاء خرج وإن الله تعالى لا يضيق عليه في اختياره وقيل هو من القدر لأن القدرة وأما قوله أني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فاما أن يكون مخروجه عن قومه بغير أمر ربه أو لأضعفه عما حله أولاد عا به ليعذب على قومه وفي هذه الاشياء ترك الأفضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلمًا وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وإن يونس إن المرسلين إذ بقى إلى الفلك المنحوسن فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ما تقدم من التفصيل والله أعلم بقوله عز وجل (وزكريا الذي ربه) أي دعاه به فقال (رب لا تدني فردا) أي وحيدا الأولدني يساعدي وارضقني وارثا (وأنت خير الوارثين) وهو شاء على الله بأنه الباقي بعد قضاء الخلق وأنه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وأنت خير الرازقين (فاستجيبنا له ووهبنا له يحيى) أي ولدا (وأصلحنا له زوجة) أي جعلنا لها ولدا بعدما كانت عقيمة وقيل كانت سبعة الخلق فاصلحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق (أنهم) كانوا يسارعون في الخيرات يعني الأنبياء المذكورين في هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمسارعة في الخيرات من أكرم ما يدح به المرء لاهلها تدل على حرص عظيم في طاعة الله عز وجل (و يدعوننا رغبا ورهبا) يعني أنهم ضخوا إلى فعل الطاعات أمرين أحدهما الفزع إلى الله لكان الرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه والثاني الخشوع وهو قوله تعالى (وكانوا الناطقين) الخشوع هو الخوف اللازم فيكون الخاشع هو المحذر الذي لا يندسط في الأمور خوفا من الوقوع في الأثم قوله تعالى (والتي أحسنت فرجها) أي أحصانا كلبا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لميسرى بشر ولم أك بغيا وهي مريم بنت عمران (فخففنا فيها من روحنا) امرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فلقنا بذلك النفث المسيح في بطنها وإضافة الروح إليه تشريفا فلعيسى كعبت الله وناقة الله (وجعلناها آية) أي دلالة (للعالمين) على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب فان قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام وجعلناها أمهما واما هما آية واحدة أي ولادتهما إياه من غير أب قوله تعالى (ان هذه أمكم) أي أمكم ودينكم (أمة واحدة) أي ديننا واحد وهو الاسلام فاطل ما سوى الاسلام من الأديان والامة الجامعة التي هي على مقدس واحد جعلت الشريعة أمة لاجتماع اهلها على مقدس واحد (وانار بكف عابدون) أي لادين سوى ديني ولاوب لكم غيري فاعبدوني أي وحدوني (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي اختلفوا في

جميع الأنبياء وامة واحدة قال أي موحدة غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الإشارة أي أن ملة الدين الاسلام هي أمكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تتصرفون عنها يشار إليهم امة واحدة غير مختلفة (وأثار بكم فاعبدون) أي ربي بكم اختيارا فاعبدوني شكرًا وافتخارا والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أمرهم بينهم) أصل الكلام وتقطعتم

الآن الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر ٣٦١ دينهم فيما بينهم قطعاً وصاروا فرقا

وأحزاباً ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة (كل النبا راجعون) فتجاز بهم على أعمالهم (فن يعمل من الصالحات) شيئاً (وهو مؤمن) بما يجب الايمان به (فلا كفران لسيعة) أى فان سيعة مشكور مقبول والصكران مثل في حرمان الثواب كما ان الصكر مثل في اعطائه وقد نفي نفي الجنس ليكون ابلغ (واناله) للسمي أى المحفظة بأمرنا (كاتبون) فى صحفة عمله فثمة به (وحرام) وحرم كوفى غير حفص وخلف وهما الثمان لكل وحلال وزنا وضده معنى والمراد بالحرمان المتمنع وجوده (على قرية أهله كنهاهم لارجعون) والمعنى ومتمنع على مهلك غير يمكن أن لا يرجع الى الله بالبعث أو حرام على قرية أهله كنها أى قدرنا اهلاكم أو حكمنا باهلا كهم ذلك وهو المذكور فى الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور وغير المكفور بهم لارجعون من الكفر الى الاسلام (حتى) هى التى يحكى بعدها الكلام والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء أعنى (اذا وما) فى جزها (فتحت يا جوج وما جوج) أى فتح سددهما

الدين فصاروا فرقا واخر ابا حتي لعن بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض (كل النبا راجعون) فيخرجهم باعمالهم (فن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسيعة) أى لا يتحذر ولا يسل سيعة بل يشكر ويناب عليه (واناله كاتبون) أى لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله الجائزة والكفران ترك الجائزة قوله عز وجل (وحرام على قرية أهله كنهاهم لارجعون) قال ابن عباس معناها وحرام على أهل قرية أهله كنهاهم أن يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناها وحرام على أهل قرية أهله كنهاهم أن تقبل أعمالهم لانهم لا يتوبون قوله عز وجل (حتى اذا فتحت يا جوج وما جوج) يريدون السد وذلك ان الله يفتح ما أخبر عن يا جوج وما جوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة أعشار نبي آدم (وهم من كل حذب ينزلون) أى يسرعون النزول من الآكام والتلال وفى هذه الدنيا وجهان أحدهما أن المراد بهم يا جوج وما جوج وهو الاصح بدليل ما روى عن النوايس بن سيمان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فحفص فيه ورفع حتى طنثنا انه فى طائفة النخل فلما رخصنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكر الدجال الغداة فحفصت فيه ورفعته حتى طنثناه فى طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفنى عليكم أن يخرج وأنا فيكم فانا نجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ يحيط بنفسه والله خليفته على كل مسلم انه شاب قطط عينه طائفة كائى الشبهة بعد العزى بن قطن فن أدركه منكم فليقر عليه فواتح سورة الكهف فانها خارج خلة بين الشام والعراق فعاتبنا وعاش شاملاً باعداد الله فانبثوا قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الارض قال اربعون يوماً ثم كسنة ويوم كسنة ويوم كسنة ويوم كسنة ويوم كسنة قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة آتينا فيه صلاته يوم قال لا أقدر والله قدره قلنا يا رسول الله وما سراعه فى الارض قال كالميت استدرته الريح فبأى على القوم فسد عوهم فؤومون به ويستحيون له فيأمرهم السماء فتمطر والارض فتنبث فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درأه سرعه ضروعاً وامده خواصر ثم بأى القوم فيسد عوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصحبون محلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ويرى بالبحر به فيقول لها أخرجى كنوزك فتنبثه كنوزها كعباس بن النخل ثم يدعوه رجلاً لعملة اشباها فيضربه بالسيف فيقطعه رجلتين ومسة الغرض ثم يدعوه فيقبيل ويل يتהל وجهه ويخجل فينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فقتل عند المنارة البيضاء عشراً فى دمشق بين هروثين واضعاً كفه على أخته مملكين اذ أطا طارأسه قطروا ذرفه فحدر منه جان كالآؤاؤ فلا يجل لكافر يجدر به نفسه الامات ونفسه يقتضى الى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بساب للبيعة له ثم بأى عيسى عليه السلام الى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بذر جاتهم فى الجنة فينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى عليه السلام انى قد اخرجت عبداً الى لايدان لا حد أن يسألتهم فخرز عبداً الى الطور

٤٦ ن ث تخذف المضاف كما حذف المضاف الى قرية فتحت شامى وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها يا جوج وما جوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى الحشر وقيل هم يا جوج وما جوج يخرجون حين يفتح السد (من كل حذب) شتر من الارض أى ارتفاع (ينزلون) يسرعون

ويبعث الله بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيأولئهم على بحيرة طبرية
فيشربون ما فيها ويأخذونهم فيقول لقد كان بينكم ما عوي ويحصرني الله عيسى وأصحابه
حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير آمن مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى
وأصحابه إلى الله فيرسل الله فيهم النعف في رقابهم فيصبحون فرسي كوت نفس واحدة
ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه
زهمهم ونفثهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت
فتملأهم قطر حهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل
الأرض حتى يتركها كالزلفه ثم يقال للأرض أنبئي ثم تلب ودرى بركتك فيومئذ تاكل
العصاة من الرمانة ويستظلون بعتقها و يسارك في الرسل حتى إن اللعنة من الأبل
أتكن في القمام من الناس واللعنة من القرية التي القيلة من الناس واللعنة من الغنم
لتكن في الفخذ من الناس فيمنهم كذلك أذ بعث الله رجحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم
فقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهادون فيها تاراج الحجر فعلمهم
تقوم الساعة أنرجسه مسلم ﴿شرح غريب الفاظ الحديث﴾ قوله حتى ظناه في
طائفة النخل أي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله خفض فيه
ورفع أي خفض صوته ورفعته من شدة ما تسكاهم به في أمره وقيل أنه خفض من أمره
تهويله ورفع من شدة قبحه والتخويف من أمره قوله أنه شاب فقط أي جعد الشعر
وقوله طائفة أي خارجه عن حدها قوله أنه خارج خلة أي أنه يخرج قصد أوطر يقابن
جهتين والتخلل الدخول في الشيء قوله فعات أي أفسد قوله أقدر وأل قدره أي قدروا
قدر يوم من أيامكم المعهودة وصلواته بقدر أوقاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم أي
مواشيهم وقوله فيصبحون محلين أي متعطين قد أجذبت أرضهم وغلت أسعاهم قوله
كعباب النخل جمع يعسوب وهو نخل النخل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين رمية
الغرض أي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالمشاب قوله بين مهرودتين رويت
بالدال المهملة والمخممة أي شقتين وقيل حللتين وقيل المراد الصبيغ الأصفر بالورس
والزعفران قوله لا بد أن لأحد بقائهم أي لا تدرة ولا قوة لأحد بقائهم والنعف دود
يكون في أنوف الأبل والغنم فرسي جمع فريس وهو القنيل قوله زهمهم أي ريحهم
المنثنة قوله كالزلف أي كالمراة وجهها زلف وبروي بالالف وأراد به استواءها وظافتها
قوله تاكل العصاة أي الجماعة قيل يلعون أربعين ويحف الرمانة في الحديث قشرها
والرسل بكسر الراء اللين والفتح الناقصة ذات اللين والقائم الجماعة من الناس والفخذ
دون القبيلة وقوله يتهادون والتأرجح الاختلاف وأصله القتل
﴿الوجه الثاني﴾ في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلائق
يخرجون من قبورهم إلى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطاع
الذي صلى الله عليه وسلم علمنا ونحن تتذاكر فقال ما تذاكرون قالوا نذكر الساعة قال
إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس

(واقرب الوعد الحق) أي القيامة وجواب إذا (فاذا هي) وهي إذا المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الغاء كقولهم إذا هم
يقنطون فاذا جاءت الغاء معها تعاونت على وصل الجزاء بالشرط فيتم كقول قيل فهي شائعة أو أذا هي شائعة كان سديدا
وهي ضميرهم ونحوه الإصدار ويقره (شائعة إصار الذين كفروا) ٢٦٢ أي من نعمة الإخفاء لا تسدك تطرف من

هول ما هم فيه (ياويلنا) متعلق
بمحذوف تقديره يقولون ياويلنا
ويقولون حال من الذين كفروا
(قد كنا في غفلة من هذا)
اليوم (بل كنا ظالمين) بوضعنا
العادة في غير وقتها (إنكم
وما تعبسون من دون الله)
يعني الأصنام والبس وأعوانه
لأنهم بطاعتهم له واتباعهم
خطواتهم في حكم عبدتهم
(حصب) حطب وقرى حطب
(جهنم) أنتم لها واردون فيها
داخلون (لو كان هؤلاء آلهة)
كازعم (ماوردوها) ما دخلوا
النار (وكل) أي العابد والمعبود
(فيها) في النار (خالدون لهم)
للصفا (فيها) زفير) أين
وبكاء وعويل (وهم فيها)
لا يسمعون شيئا ما لانهم صاروا
صما وفي السماع نوع أنس فلم
يعضوه (إن الذين سبقتم لهم
من المحسن) التحصيلة المفصلة
في الحسن تائب الحسن
وهي السعادة أو النجاة
بالثواب أو التوفيق للطاعة
ترتجوا بالقول ابن الزبير
عند تلاوته عليه السلام على
صناديقه قرى أنكم وما

من مغر بها ونزل عيسى بن مريم وأجوج وثلاثة خسوف خسفنا مشرق
وخسفنا المغرب وخسفنا جزرة العرب وأخذ ذلك نار يخترج من الجن تطرد الناس إلى
محشرهم قوله عز وجل (واقرب الوعد الحق) أي القيامة قال حذيفة لو أن رجلا
اقتنى قلوبا بعد خروج أجوج وما جوج لم ير كه حتى تقوم الساعة الفلوالهم (فاذا
هي شائعة إصار الذين كفروا) قيل: معنى الآية أن القيامة إذا قامت شخصت إصار
الذين كفروا من شدة الأحوال ولا تسدك تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (ياويلنا)
قد كنا في غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبناه وقلنا أنه غير كائن (بل كنا
ظالمين) أي في وضعنا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل (إنكم) المحض للشر كين
(وما تعبسون من دون الله) يعني الأصنام (حصب جهنم) أي حطبها وقودها وقيل
يرمي بهم في النار كما يرمي بالحصاة وأصل الحصب الرمي (أنتم لها واردون) أي فيها
داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الأصنام (آلهة) أي على الحقيقة (ماوردوها) أي
ما دخل الأصنام النار وما وردوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدون والمعبودون (لهم فيها)
زفير) قيل الزفير هو أن يلا الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شد قناتهم من
العذاب (وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية إذا بقي في النار من يتخلف فيها
جعلوا في نوايت من نار ثم جعلت تلك النوايت في نوايت أخر ثم تلك النوايت في نوايت
أخر عليها ما من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم أن في النار أحد ما عذب غيره
قوله تعالى (إن الذين سبقتم لهم من المحسن) قال العلماء أن هؤلاء يعني الآي الذين
سبقتم لهم من المحسن يعني السعادة والعدة الجملة بالجنة (أو أئلك عنها) أي عن النار
(مبعدون) قول الآية علامة على كل من سبقته له من الله السعادة وقال أكثر المفسرين
عني بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من بعده كاره وذلك أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فوجد فيه قرى في الحطب وحول الكعبة ثلاثمائة
وستون صنما فعرض له المضرب الحجر فتكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أخسهم ثم تلا عليه أنكم وما تعبسون من دون الله حصب جهنم الآية ثم قام
فأقبل عبد الله بن الزبير السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ابن الزبير أي أمار الله لوجهه فحسمته فدعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له ابن الزبير أنت قلت أنكم وما تعبسون من دون الله حصب جهنم
قال نعم قال اليس اليهود تعبدون؟ يرأون النصارى تعبد المسيح وينولج يعبدون الملائكة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فأنزل الله تعالى أن الذين

يعبدون من دون الله الخالون ليس اليهود عبدوا عزير والنصارى المسيح وبنو ملج الملائكة على أن قوله
وما تعبسون لا يتناولهم لأن الملائكة لا يعقل الأنهم أهل عقاد في يد البيان (أو أئلك) يعني عزير والمسيح والملائكة (عنها)
عن جهنم (مبعدون) لأنهم لم يرضوا لعبادتهم وقيل المراد بقوله أن الذين سبقتم لهم من المحسن جميع المؤمنين لما روى أن
عليه رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنتم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال
الحذير رحمه الله سبقت لهم من العناية في البداية فظهرت لهم الولاية في النهاية

(لا يسمعون حديدها) صوتها الذي يحس وحركة تلهم أو هذه مباغاة في الابتعاد عنها أي لا يقربونها حتى لا يسمعوها صوتها
وصوت من غير (وهم فيما اشبهت أنفسهم) من النعيم (خالدون) مقيمون والشهوة طاب النفس اللذة (لا يحزنهم الفزع
الأكبر) النفقة الأخيرة وتلقاهم الملائكة أي تستقبلهم الملائكة مهئين على أبواب الجنة يقولون (هذه يومكم الذي
كنتم توعدون) أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم في الدنيا بما تعملون في (يوم تطوى السماء) لا يحزنهم أو تلتقيهم
تطوى السماء في يدوطيها وتكون يومها ٣٦٤ ومحور سورها وهو ضد النشر تجمعها ونطويها (كطوى السجل) أي

الصفحة (السجل) حزمة وعلى
وخص أي لا يكتبات أي
لما يكتب فيه من المعاني
الكثيرة وغيرهم الكتاب أي
كما يطوى الطومار للكتابة
أي لما يكتب فيه لأن الكتاب
أصله المصدر كالبناء ثم يقع
على المكتوب وقيل السجل
ملك يطوى كتب بني آدم إذا
وفعت إليه وقيل كاتب كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والكتاب على هذا اسم
الصفحة المكتوب فيها والطى
مضاف إلى الفاعل وعلى الأول
إلى المفعول (كبدأننا أول خلق
نعبد) انتخب الكاف بفعل
مضمر يفسره نعيده وما موصولة
أي نعيده مثل الذي بدأناه
نعبده وأول خلق خلق لبدنا
أي أول ما خلق أو حال من
ضمير الموصول الساقط من
اللفظ الشابت في المعنى وأول
الخلق إجماع أي فسما أوجده
أولاً نعيده ثانياً تشبيهاً للأعادة
بالإعادة في تناول القدرة لها
على السواء والتذكير في خلق

مثله في قولنا هو أول رجل حافى ثم بدال الرجل والملك وحده ونكرته إرادة تفضلهم رجل رجل فكذلك وهذا
معنى أول خلق أول الخلق يعني أول الخلق لأن الخلق مصدر لا يجمع (وعدا) مصدر مؤن كدأن قوله نعيده عدة للأعادة
(علينا) أي وعدا كأننا لم نحسن (أنا كنا فاعلين) ذلك أي محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الأعمال للخاص
من هذه الأحوال (ولقد كنا في الزبور) كتاب داود عليه السلام (من بعد الذي كرى التوراة) أن الأرض أي الشام
(برئها عبادي) ساكنة الباء حمزة غير مفعول (الصالحون) أي أمة محمد عليه السلام أو الزبور يعني الزبور أي المكتوب
يعني ما أنزل على الأنبياء من الكتب والذي كرام الكتاب

يعني الاول لان الكل اخذوا منه دليله قرأه جزوة وخلف بضم الزاي على جمع الزبر بمعنى المزبور والارض ارض الجنة (ان في هذا) أي القرآن اوفى المذ كور في هذه السورة من الاخبار والوعود والوعيد والمواظ (البلاغ) لكفاية واضاره ما يبلغ به البغية (لقوم عابدين) موحدين وهم امة محمد عليه السلام (وما أرسلناك الا رحمة من عند نفسه حيث صيغ نصيبه من هذا (للعالمين) لانه جامع ما يسعدهم ان اتبعوه ومن لم يتبع فالتا

وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد الارض المقدسة برثها الصالحون بعد من كان فيها (ان في هذا) أي في القرآن (البلاغ) أي وصوله الى البغية يعني من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى ما يرجون الثواب وقيل البلاغ الكفاية أي فيه كفاية بما فيه من الاخبار والوعود والوعيد والمواظ (البلاغ) الكفاية الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) أي مؤمنين لا يعبدون احدا من دون الله تعالى وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العالمون قوله عز وجل (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) قيل كان الناس أهل كفر وجهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مدتهم وانتفاع قوتهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطلب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من المحرام وقال ابن عباس هو أرسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعني المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة (قل انما يوحى الى انما الحكم الواحد ففعل انتم مسلمون) أي متقادون لما يوحى الى من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر أي اسلموا (فان تولوا) أي أعرضوا ولم يسلموا (فقل آذنتكم) أي أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا (على سواء) أي ائذنا اربينا نستوى في علمه لا استبدأنا به دونكم لتناهوا لما يراد بكم والمعنى آذنتكم على وجهه تستوى نحن وانتم في العلم به وقيل معناه نستووا في الايمان به واعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وان أدري) أي وما أعلم (أقرب أم بعيد ما تؤعدون) يعني يوم القيامة لا يعلمه الا الله (انه يعلم المحرم من القول ويعلم ما تنكحون) أي لا يغيب عن علمه شيء منك في علانيةكم وسركم (وان أدري لعلمه قنينة لكم) أي لعل تأخير العذاب عنكم اختصارا لكم تيري كيف صنعكم وهو أعلم بكم (ومتاع الى حين) أي تمتعون الى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) أي افصل بيني وبين من كذبني (بالحق) أي بالعذاب كله استجلب العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تصرف في علمهم والله يحكم بالحق طلب أولم يطلب ومعنى الظلم ظهور الرغبة من

منها وقيل هو رحمة للمؤمنين في الدارين وللكافرين في الدنيا بتأخير العقوبة فيها وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ والخسف ورحمة مقعول له أو حال أي ذارحة (قل انما) انما القصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وفاعل (يوحى الى انما الحكم الله واحد) والقدر يوحى الى وحدانية الهى ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الى فتكون ما موصولة (فعل انتم مسلمون) استفهام بمعنى الامر أي اسلموا (فان تولوا) عن الاسلام (فقل آذنتكم) أعلمتكم ما أمرت به (على سواء) حال أي مستوين في الاسلام به ولم أخصص بعضكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية (وان أدري) أقرب أم بعيد ما تؤعدون) أي لا أدري متى يكون يوم القيامة لان الله تعالى لم يبلغني علمه ولا يكى أعلم بانه كائن لا خسالة أو لا أدري متى يصل بكم العذاب ان لم تؤمنوا (انه يعلم المحرم من القول ويعلم ما تنكحون) أي لا يغيب عن علمه شيء منك في علانيةكم

ما تنكحون) أي انه عالم بكل شيء يعلم ما تنكحونني به من الظن في الاسلام وما تنكحونه في صدوركم من الانقياد للإسلام وهو مجاز يك عليه (وان أدري لعلمه قنينة لكم) وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وفتح لكم الى الموت ليكون ذلك حجة عليكم (قل رب احكم بالحق) أقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل أو بما يبيح عليهم من العذاب ولا تتجاهم وشدد عليهم كما قال واشددوا نك على مضرب قال رب خفض على حكاية قول رسول الله

صلى الله عليه وسلم رب احكم بن يدري احكم فريد عن يعقوب (وربنا الرحمن) العاطف على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله طعنهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخلفهم اى الكفار وهو المستعان على ما يصفون

(بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم) امر بنى آدم بالقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهل صفة بقوله (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) ٣٦٦ لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى

الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) اى من الشرك والكفر والكذب والاباطيل كانه سبحانه وتعالى قال قل داعيا الى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله اعلم بغير اده واسرار كتابه

﴿تفسير سورة الحج﴾

وهي مكية غير ست آيات من قوله عز وجل هذان حسمان الى قوله وهذا الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية وآلف وما ثمان واحد وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا ايها الناس اتقوا ربكم) اى احذروا عقابه واعلموا بطاعته (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) الزلزلة شدة الحركة على الحال الماثلة ووصفها بالاعظم ولا شئ اعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من اشراط الساعة قيل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها (يوم ترونها) اى الساعة وقيل الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى (كل مرضعة عما أرضعت) اى كل امرأة معها ولد ترضعه (وتضع كل ذات حمل حملها) اى تستط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع الحمل ما في بطنه الغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة فى الدنيا لان بعد البعث لا يكون حمل ومن قال تكون الزلزلة فى القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر ونهوه يله لا على حقيقة كما تقول اصنافنا امر يشب فيه الوليد تريد به شدته (وترى الناس سكارى) على التشبيه (وما هم بسكارى) على التحقيق ولكن مارهتهم من خوف عذاب الله هو الذى اذهب عقولهم وما زال يعجزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) (ق) عن ابي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم

يقوموا على انفسهم ويرجوها من شدة ذلك اليوم بامثلة ما ارحمهم به ربهم من التردى بلباس القوى الذى يؤمنهم من تلك الافزاع والزلزلة شدة التحير بك والازعاج واضافة الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله كأنها هى التى ترتزل الارض على الجواز المسمى اوالى الظرف لانها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار ووقتها يكون يوم القيامة او عند طلوع الشمس من مغربها ولا حاجة فيها للمعترلة فى تسمية المعلوم شيأ فان هذا اسمها حال وجودها واتصفت (يوم ترونها) اى الزلزلة او الساعة بقوله (تذهل) تغفل والذهول الغفلة (كل مرضعة عما أرضعت) عن ارضاعها وعن الذى ارضعته وهو ولطف وقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول

اذا حدث وقد اقيمت الرضيع ثديا نزعته عن فمها ليحتملها من الدهشة اذا المرضعة هى التى فى حال الارضاع القمامة ملقمة ثديها الصبي والمرضع التى شربها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع فى حال وصفها به (وتضع كل ذات حمل) اى حبل (حاملها) ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع الحمل ما في بطنه الغير تمام (وترى الناس) أيها الناس (سكارى) على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسر ادق الكبر يا حنى قال كل نبي نفى نفسى (وما هم بسكارى) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) فخوف عذاب الله هو الذى اذهب عقولهم وطهر عيضمهم وردهم فى نحو حال من يذهب السكر به وقلة وتبميزه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب سكرى فيهم جانا لالة حرة وعلى وهو كد شئ فى دشان روى انه نزلت الايتان ليلاف غزوة بنى المصطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم يرا كثيرا كيامن تلك الليلة

(ومن الناس من يجادل في الله) في دين الله (بغير علم) حال نزول في النضر بن الحرث وكان حذلا يقول الملائكة نبات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى اوهى عامة في كل ٣٦٧ من يخاصم في الدين بالهوى (ويشبع)

في ذلك (كل شيطان مر يد)

عات مستمر في الشر ولا وقف

على مر يد لان ما بعده صفته

(كتب عليه) قضى على

الشيطان (أله) ان الامر

والشان وهو فاعل كتب

(من تولاه) تبعه اى تبع

الشيطان (فأله) فان الشيطان

(يضله) عن سواء السبيل

(ويهدى الى عذاب السعير)

النار قال الزجاج الفاء في أنه

للعطف وأن من مكررة لتأكيد

ورد عليه ابو على وقال ان من

ان كان للشرط فالفاء دخل

لجزء الشرط وان كان بمعنى

الذي فالفاء دخل على خبر

المبتدأ والتقدير فالامر انه ضله

قال والعطف والتأكيد

يكون بعدم الام الاول والمعنى

كتب على الشيطان اضلال

من تولاه وهذا يهتد الى النار

ثم الرمز المحجة على منكرى

البعث فقال (يا ايها الناس ان

كنتم في ريب من البعث) يعنى

ان اربتم في البعث فزول

د يمكن أن تظفروا في يد خلقكم

وقد كنتم في الابتداء ترابا وما

وليس سبب انكاركم البعث الا

هذا وهو ضرورة الخلق ترابا وما

(فانا خلقناكم) اى انا كم (من

تراب ثم) خلقتم (من نقطة ثم

القيامة ادم فيقول ليلى وسعدك زاد في رواية والخير في يدك فينادى بصوت ان الله

تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار قال من كل ألف

تسعمائة وتسعة وتسعون فينشد تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس

سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فتش ذلك على الناس حتى تغيرت

وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله اين ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم من أبجوج وأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم في

الناس كالشجرة السوداء في جنب الثور الابيض أو كالشجرة البيضاء في جنب الثور

الاسود وفي رواية كالرقعة في ذراع الجمار وانى لارجوان تكون نار بيع أهل الجنة

فيكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فيكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فيكبرنا فافظ البخارى

وفي حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الايتين نزلتا في غزوة بني المصطلق

ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتموا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم يقرأ كثيرا كيما من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج

عن الدواب ولم يضر بوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين ياك وجالس من منة فذكر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول

الله لا ادم قم فاعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث أبى سعيد وزاد فيه ثم

قال يدخل من أمى سبعون الفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون الفا قال نعم ومع

كل واحد سبعون الفا قوله عز وجل (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت

في النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان يقول الملائكة نبات الله والقرآن أساطير

الاولين وكان ينكر البعث واحياء من صارت ربا (ويشبع) اى في جداله في الله بغير علم

(كل شيطان مر يد) اى المتمرد المستمر في الشر وفيه وجهان احدهما انها من شيئا من

الانس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثانى انه ابليس

وجنوده (كتب عليه) اى قضى على الشيطان (أنه من تولاه) اى اتبعه (فأله) يعنى

الشيطان (يضله) اى يضله من تولاه عن طريق الجنة (ويهدى الى عذاب السعير)

وفى الآخرة رجع عن اتباعه والمعنى كتب عليه انه من يقبل منه فهو في ضلال ثم الرمز

الحجة منكرى البعث فقال (يا ايها الناس ان كنتم في ريب) اى شك (من البعث) اى

بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) يعنى اى اى ادم الذى هو اصل النسل (ثم من

نطفة) يعنى ذريته من النوى وأصلها الماء القليل (ثم من علقه) اى من دم جامد غليظ

وذلك ان النطفة تصير دماغا غليظا (ثم من مضغعة) وهى شجة قليلة قدر ما مضغ (خلقته وغير

خلقته) قال ابن عباس اى تامة الخلق وغير تامة الخلق وقبل مصورة وغير مصورة

وهو السقط وقبل الخلقة الولد الذى تاتى به المرأة لوقته وغير الخلقة السقط فكانه سبحانه

وتعالى قسم المضغعة الى قسمين احدهما تام المصورة والحواس والتخطيط والقسم الثانى

من علقته) اى قطعته دم جامدة (ثم من مضغعة) اى لينة صلبة غير قدر ما مضغ (خلقته وغير خلقته) (الخلق المسواة للمساء من النقصان والعيب كان الله عز وجل يخلق المضغ متساوية متماها وكل الخلقة أمليس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فليس ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وعظامهم

وإن قضاهم وإنما قلنا كم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة (لنبيين لكم) بهذا التدرج كمال قدرتنا وحكمتنا وإن من قدر على خلق البشر من تراب أو لا ثم نقطة ٣٦٨ ثانياً ولا مناسبة بين التراب والماء وقدر أن يجعل النطفة علقه

والعلقة مضغوطة والمضغ عظاما
قدر على إعادة ما بدأه (وتقر)
بالرفع عند غير المفضل
مستأنف بعد وقف أى نحن
نثبت (فى الارحام ما نشاء)
نبوته (الى أجل مسمى) أى
وقت الولادة وما لم نشأ نبوته
استقطه الارحام (ثم نخر جكم)
من الرحم (طفلاً) حال وأريد
به الجنس فلذا لم يجمع أو
أريد به ثم نخرج كل واحد
منكم طفلاً (ثم ليبلغوا) ثم
نريكم لتبلغوا (أشدكم)
كمال عقاكم وقوتكم وهو
من الفاظ المجموع التى
لا يستعمل لها واحد (ومنكم)
من يتوفى) عند بلوغ الأشد
أو قبله أو بعده (ومنكم من
يرد الى أرذل العمر) أخسره
يعنى الهرم والخرف (لكيلا
تعلم من بعد علم شيئاً) أى
لكيلا يعلم شيئاً من بعد
ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد
علماً ويبنى ما كان علماً
ثم ذكر دليل آخر على البعث
فقال (وترى الأرض هامدة)
ميتة يابسة (فاذا أنزلنا
عليها الماء اهتزت) اهتزت
بالنبات (وربت) وانتهت
وربات حيث كان يزيد
اوتفقت (وانبتت) من كل
زوج (ينبت) حسن سار

هو الناص عن هذه الاحوال كلها وروى عن علقه عن ابن مسعود موقوفاً عليه قال
ان النطفة اذا استقرت فى الرحم أخذها ملك بكفه وقال اى رب مخلقة او غير مخلقة فان
قال غير مخلقة قذفها فى الرحم وما لم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك اى رب أذكر
أم أنثى أشقى أم سعيد ما لأجل ما لأعمل ما للرزق باى أرض عوت فيقال له اذهب الى
أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيذهب فى أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه
حتى يأتى على آخرة صفة والذى أخرجه من الحيض عته قال حدثنا رسول الله صلى
عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه اربعين يوماً نطفة
ثم يكون علقه مثله ذلك ثم يكون مضغوطة مثله ذلك ثم يبعث الله ملكاً يكتب رزقه
وأجله وعمله وشق أو سعده ثم ينفخ فيه الروح فوالله لا اله غيره ان أحدكم لم يعمل بعمل
أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل
النار فيدخلها وان أحدكم لم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وقوله تعالى (لنبين لكم) أى
كمال قدرتنا وحكمتنا فى تصريف خلقكم ولست أدلوأ قدرته فى ابتداء الخلق على
قدرته على الاعادة وقيل لنبيين لكم ما أنتم وما تذكرون وما تحتاجون اليه فى العبادة
وقيل لنبيين لكم ان تغير المضغ الى الخلقه واختيار الفاعل المختار فان القادر على هذه
الاشياء كيف يكون عاجزاً عن الاعادة (وتقر فى الارحام ما نشاء) أى لا تسقطه ولا
تجبه (الى أجل مسمى) أى وقت خروجه من الرحم تام الخلق (ثم نخر جكم) أى وقت
الولادة من بطن أمه انكم (طفلاً) أى صغاراً وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة
على الجنس (ثم ليبلغوا أشدكم) أى كمال القوة والعقل والتمييز (ومنكم من يتوفى) أى
قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أى الهرم والخرف (لكيلا يعلم من
بعد علم شيئاً) أى يطلع من السن ما يتغير به عقله فلا يعمل شيئاً فيصير كما كان فى أول طقه ولينه
ضعيف البنية مخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلاً آخر على البعث فقال تعالى (وترى
الأرض هامدة) أى يابسة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) يعنى المطر (اهتزت) أى
تحركت بالنبات (وربت) أى ارتفعت وذلك ان الأرض ترتفع بالنبات (وانبتت)
هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت وأضيف الى الأرض توسعاً (من كل زوج ينبت) أى
من كل صنف حسن نصير والبهيم هو المبهج وهو الشئ المشرق الجليل ثم ان الله تعالى لما
ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى (ذلك) أى ذكرنا ذلك لتعلموا
(بان الله هو الحق) وان هذه الاشياء دلت على وجود الصانع (وأنه يحيى الموتى) أى انه
إذا لم يستعدهم بهذه الاشياء فكيف يستعدهم بهذه الاموات (وأنه على كل شئ
قدير) أى ان كمال قدرته على جميع الامكان (وأن الساعة آتية لا ريب فيها)
وان الله يبعث من فى القبور (أى ما ذكر من الدلائل لتعلموا ان الساعة كاتمة لا شك فيها)

لناظرين اليه (ذلك) مبتدأ خبره (بان الله هو الحق) أى ذلك الذى ذكرنا من خلق بني آدم وحياء الارض وانها
مع ما فى تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو ان الله هو الحق أى الثابت الوجود (وأنه يحيى الموتى) أى
أحيا الارض (وأنه على كل شئ قدير) قادر (وان الساعة آتية لا ريب فيها) وان الله يبعث من فى القبور (أى انه حكيم لا يجهل)

المعاد وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان ينفي عا وعد (ومن الناس من يجادل في الله في صفاته فيضفه بغیر ما هو له نزلت في أي جعل (بغير علم) ضروري (ولا هدى) أي استدلال لانه يهدي الى المعرفة (ولا كتاب منير) أي وحى والعلم للانسان من أحده هذه الوجوه الثلاثة (ثاني عطفه) حال أي لا يواضعه عن طاعة الله كبروا خيلا وعون الحسن ثاني عطفه بنسخ العين أي مانع تعطفه الى غيره (ليضل) لتبليط للمجادلة ليضل مكي وأبو عمرو (عن سبيل الله) دينه (له في الدنيا خزي) أي القتل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب المحريق) أي جع له عذاب الدارين ٣٦٩ ذلك بما قدمت يدك أي السبب في

عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكني عنهما باليدلان اليدالة الكسب (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يأخذ احدا بغير ذنب ولا يذنب غيره وهو عطف على عا أي وأن الله ذو كمال لا يظلم بلفظ المبالغة لا لقراءة لفظ الجمع وهو العبيد ولان قليل الظلم منه مع علمه بجهه واستغاثه كالكثير منا (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لا في وسطه وقوله وهذا مثل الكفر وهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة وهو حال أي مضطربا (فان أصابه خسر) خسارة في جسمه وسعة في معيشته (اطمان) سكن واستقر (به) بالخير الذي أصابه أو بالدين فعبد الله (وان أصابته فتنة) شرو وبلاء في جسده ووضيق في معيشته (انقلب على وجهه) أي ارتد رجوع الى الكفر (كأذي يجمع الى الكفر) كالذي يكون على طرف من العسكر فان احسن بظفر وغنيمة قروا طمان والأفرو وطار على

وانها حق وان البعث بعد الموت حق قوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) يعني النضرين المحرث (ولا هدى) أي ليس معه من الله بيان ولا رشاد (ولا كتاب منير) أي ولا كتاب من الله له نور (ثاني عطفه) أي لا يواضعه وعنفه متخفرا لتكبره معرضا عا يدعي اليه من الحق تكبرا (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الله (له في الدنيا خزي) أي عذاب وهو ان قتل يوم بدر صبره هو وعنفه من أي معبط (ونذيقه يوم القيامة عذاب المحريق) أي يقال له ذلك (بما قدمت يدك) أي ما أتيت به من الكفر (بظلام للعبيد) أي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أي وجهه أراد يتصرف في عبده في حكمه عدل وهو غير ظالم قوله عز وجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من ياديهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصر بها جسمه وتحت بها فرسه مهر او ولدت امرأته غلاما كثيرا قال هذا ابن حسن وقد أصبحت فيه خيرا واطمان له وان أصابه مرض وولدت امرأته حاربه ولم تلد فرسه وقل ما له قال ما أصبحت منذ دخلت في هذا الدين الا شرا فاعتقل عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على شئ وأصله من حرف الشئ وهو طرفه نحو حرف المجلس والحائط الذي غير مستقر فقل للشاك في الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل الكفر وهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكونية وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقل هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه (فان أصابه خسر) أي خسارة في جسمه وسعة في معيشته (اطمان به) أي رضى به وسكن اليه (وان أصابته فتنة) أي بلاء في جسمه ووضيق في معيشته (انقلب على وجهه) أي ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذي كان عليه من الكفر (خسر الدنيا والآخرة) أي خسر في الدنيا والآخرة ولا يبقى دمه وماله معصونا وقل خسر في الدنيا ما كان يؤمل والآخرة بها الدين والخلافة في النار (ذلك هو الخسران المبين) أي الظاهر (يدعوهم دون الله ما لا يضره) ان عصاه ولم يعبد (وما لا ينفعه) أي ان اطاعه وعبد (ذلك هو الضلال البعيد) أي عن الحق والرشد (يدعوهم الى ضربه أقرب من نفعه) فان قلت قد قال الله تعالى في الآية الاولى يدعوهم دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال في

١٧ ن ه وجهه قالوا نزلت في اعراب قدموا المدينة مهاجرين وكان احدهم اذ اصاح بدنه ونحت فرسه مهراسوبا وولدت امرأته غلاما سوبا وكثيرا ما واشتبهه قال ما أصبحت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما أصبحت الا شرا او انقلب عن دينه (خسر الدنيا والآخرة) حال وقد مقدرة دليله قراءة روح وزيد خاسر الدنيا والآخرة والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخلافة في النار (ذلك) أي خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذي لا يخفى على احد (يدعوهم دون الله) يعني الصنم فم بعد الردة فعل كذلك (وما لا يضره) ان لم يعبد (وما لا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعوهم الى ضربه أقرب من نفعه) والاشكال انه تعالى نفي الضر والنفع عن الاصنام

قبل هذه الآية تهاجمها هنا والجواب أن المعنى اذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سقه الكافرين به بعد جادا
لا يكمل ضرر ولا نفع وهو يعتقد فيه ٣٧٠ انه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر يدعوا وصراخ حين يرى

استصر اذهبا لصنام ولا يرى لها
اثر الشفاعة لمن ضره اقرب
من نفعه (لبئس المولى) أى
الناصر صاحب (ولبئس
العشير) المصاحب وكرر يدعو
كانه قال يدعو يدعو من دون
الله مالا يضره ومالا ينفعه ثم قال
لمن ضره بكونه معبودا اقرب
من نفعه بكونه شفعاء (ان الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من
تحتها الانهار ان الله يفعل
ما يريد) وهذا وعد لمن عبد الله
بكل حال لان عبد الله على
حرف (من كان يظن ان لن
ينصره الله في الدنيا والاخرة)
المعنى ان الله ناصر رسوله في
الدنيا والاخرة فمن ظن من
اعاديه غير ذلك (فليمد بسبب)
يجعل (الى السماء) الى سماء
بنيته (ثم ليتطع) ثم ليتطع به
وسمى الاختناق قطعاً لان
المتحرق قطع نفسه بجنس بخاريه
وبسائر اللام بصرى وشامى
(فليتظر هل يذهبن كيدته
ما يغبط) أى الذى يغبطه أو
ما يصدر به أى غمظه والمعنى
فليصور في نفسه أنه ان فعل
ذلك هل يذهب نصر الله الذى
يغبطه وسمى فعله كيداً على
سبيل الاستهزاء لانه لم يكده

هذه الآية يدعو من ضره اقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا
حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى قال في الآية الاولى مالا يضره أى
لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أى ضر عبادته وقيل انه لا تضر ولا تنفع بانفسها
ولكن عبادتها سبب الضر وذلك يكفى في اضافة الضر اليها وقيل ان الله تعالى سقه
الكافر حيث عبد جادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه ينتفع به حين
يسئف وقيل الآية في الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا
وينفعوا وهذه القول ان الله تعالى بين في الآية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع
وهذه الآية تقتضى كون المذكور فيها ضاراً نافعاً فلو كان المذكور في هذه الاوثان لزم
التناقض فثبت انهم الرؤساء بدليل قوله (لبئس المولى ولبئس العشير) أى الناصر
والمصاحب العاشر قوله عز وجل (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) أى باولائه وأهل طاعته من العكرمة
وبأهل عصيته من الهوان قوله تعالى (من كان يظن ان لن ينصره الله) يعنى بنبيه محمداً
صلى الله عليه وسلم (في الدنيا) أى باعلاء كلمته واظهار دينه (والآخرة) أى وفى الآخرة
باعلاء درجته والانتقام من كذبه (فليمد بسبب) أى بجعل (الى السماء) أى سقف
البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشد رحلاً في سقفه فليجتمعه به حتى يموت (ثم
ليقطع) أى الجمل بعد الاختناق وقيل ليد الجمل حتى ينقطع فموت محتقراً (فليتظر هل
يذهبن كيدته) أى صنيعه وحيلته (ما يغبط) أى فليجتمعه غظاً وامس هذا على سبيل
التحتم لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للآدمت غظاً وقيل
المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ووكيدته
أمره ليقطعه عنه فليقطعهم من أصله فان أصله في السماء فليطلب سبباً يصل به الى السماء
ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذى ياتيه فليتنظر هل ينهيها له الوصول الى
السماء بحيلة وهو بقدر على اذهاب غمظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك تمتعاً كان غمظه
عديماً لقائه في الآية زحلاً كفراعن الغمظ فيما لا فائدة فيه روى أن الآية نزلت
في قوم من اسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم
وبن الهذيل ومخالفه فقالوا لا يمكننا أن نسلم لاننا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر
أمره فمما قطع المخالفة بينهم وبين الهذيل فلبسوا ولا يؤمنوا وقيل النصر معناه الرزق
ومعنى الآية من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والاخرة فليبلغ غايته الجزع
وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مروقاً تقول العرب من نصرنى نصر الله أى من
يعطى أعطاه الله (وكذلك أنزلناه) يعنى القرآن (آيات بينات وان الله يهدي من
يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشرکوا)

محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الاما ليس بمذهب ما يغبط (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك
الانزال أنزل القرآن كله (آيات بينات) (واختات) (وان الله يهدي من يريد) أى ولا ان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون أو
يثبت الذين آمنوا ويريدهم هدى انزلهم كذلك مبيناً (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشرکوا) قيل الا ديان خمسة أربعة للتيطان وواحد للرجن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة

(ان الله يفصل بينهم يوم القيامة في الاحوال والا ما كن فلا يجازيهم جزاء واحد ولا يحسمهم في موطن واحد وخبران الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما يقول ان زيد ان اياه قائم ٣٧١) (ان الله على كل شيء شهيد) عالم به حافظ له فليظهر

كل امرئ معتقده وقوله وقوله وهو الواعيد (المتر) الم تعلم يا محمد عليا تقوم مقام العيان (ان الله يستبدل من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجمال والشجر والدواب) قيل ان السكك يستبدلها ولكن لا تنقف عليه كالا تنقف على تسبيحها قال الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سمي مطاوعة غير المكلف فيه فيما يحدث فيه من افعاله وتسبحه له سجودا له تشبه المطاوعة بسجود المكلف الذي كل خضوع دونه (وكثير من الناس) أي و يستبدل كثير من الناس سجدوا وطاعة وعبادة او هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفة له والخبر محذوف وهو مثبت ويدل عليه قوله (وكثير حق عليه العذاب) أي وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وابائته السجود (ومن بين الله) بالشافعة (خاله من مكرم) بالسعادة (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة وغير ذلك وظاهر هذه الآية التي قبلها تنقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون

يعني عبدة الاوثان قبل الاديان سبحة واحدة وهو الاسلام وخمسة للشيطان وهو ما عدا الاسلام (ان الله يفصل بينهم) أي يحكم بينهم (يوم القيامة) وقيل يفصل بينهم في الاحوال والا ما كن جمعا فلا يجازيهم جزاء واحد باغير تفاوت ولا يحسمهم في موطن واحد (ان الله على كل شيء شهيد) أي انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجزى في ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية في تفسير سورة البقرة قوله عز وجل (المتر) أي الم تعلم وقيل المتر بقلبك (ان الله يستبدل من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجمال والشجر والدواب) قيل يسجد هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل ما في السماء تحجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا يتصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات المين حتى يرجع الى مظله وقيل معنى سجودها الطاعة فانه ما من جاد الا وهو مطيع لله تعالى طاشع ومسجده كل وصفهم بالخسنة والتسبيح وهذا مذهب اهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لتسبيح الاعراض التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة اشبهت بطاوعتها افعال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت هذا التاويل يطله قوله (وكثير من الناس) فان السجود بالمعنى الذي ذكره كرام في الناس كاهم فاستنداه الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذي ذكرته وان كان عاما في حق الكل الا ان بعضهم ترد وتكبر وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظواهره واما المؤمن فانه ساجد بذاته وبقاؤه ايضا فالجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية والله يستبدل من في السموات ومن في الارض ويستبدل كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض لفظ عموم فسدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ما تقدم لا وهم ان كل الناس يسجدون فبين ان كثير من الناس يسجدون طواعية وبعض وهم الذين قال فيهم (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار اراى حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود تجد ظلالهم لله عز وجل (ومن بين الله فخاله من مكرم) أي من يذله الله فلا يكرمه احد (ان الله يفعل ما يشاء) أي يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشافعة من يشاء وقيل هو الذي يصح منه الاكرام والهو ان يوم القيامة بالثواب والعقاب

﴿فصل﴾ هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للرائي والمستمع ان يسجد عند تلاوتها أو سماع تلاوتها قوله عز وجل (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي جادلوا في دينه وأمره واختلعا في هذين الخصمين فروى عن قيس بن عباد قال سمعت أباذر يقسم قسمان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم زلت في الذين برزوا شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء (هذان خصمان) أي فريقان محتثمان فالخصم صفة وصف بها الرافض وقوله (اختصموا) بالمعنى وهذا للفظ والمراد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رضي الله عنهما رجعا الى أهل الاديان المذكورة فاقسمون خصم وسائر خمسة خصم (في ربهم) في دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله

يوم بدر حجة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة آخر حامي
 الصيحين (خ) عن علي بن أبي طالب قال أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن
 يوم القيامة قال قيس بن عباد فبهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربههم قال هم
 الذين تبارزوا يوم بدر وعلى حجة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة
 وابن أخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
 وابن أخيه الوليد بن عتبة ودعوا إلى المبارزة فخرج اليهم فثمة من الانصار ثلاثة عوف
 ومعوذ ابنا الحرث وامهم اعرار وعبيدة بن رواحة فقالوا ما من أنتم قالوا رهط من الانصار
 فقالوا حين انشبوا الكفاء كرام ثم نادى مناد بهم يا محمد اخرج الينا كفاءنا من قومنا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث ويا جزة بن عبد المطلب
 ويا علي بن أبي طالب فلما دنوا منهم قالوا ما من أنتم قد كروا أنفسكم قالوا نعم الكفاء كرام
 فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز جزة وشيبة وبارز علي الوليد بن عتبة فاما حجة
 فلم يهل أن يقتل شيعة وعلى الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ماضر بأن كلاهما أنبت
 صاحبه ففكر حجة وعلى باسما ففهما على عتبة فذقفا عليه واحدا لعبيدة إلى أصحابه وقد
 قطعت رجله ومخها بيل فلما أتوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال است
 شهيدا يا رسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم أنا الحق بما قال منه
 حيث يقول

(فالذين كفروا) وهو فصل
 الخصومة المعنى بقوله ان الله
 يفصل بينهم يوم القيامة
 (قطعت لهم ثياب من نار)
 كأن الله يقدر لهم نيرانا على
 مقادير جثثهم تستعمل عليهم
 كما قطع الثياب الملبوسة واختير
 لفظ الماضي لانه كأن لا محالة
 فهو كالنائب المتحقق

ونسلمه حتى نصر ع حوله * ونذهل عن إبنائنا والحوائل
 وقال ابن عباس نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله
 وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنا بنينا محمد صلى
 الله عليه وسلم ونبيكم وما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبيتنا وكتابنا وكفرتم حسدا
 فهذه خصومتهم في ربههم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أي ملة كانوا فالمؤمنون
 خصموا والكفار خصمهم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبي هريرة قال قال النبي
 صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقامت النار وأثرت بالمكبرين والمتجبرين وقالت
 الجنة فإلى لا يدخلني الاضعفاء الناس وسقطهم زاد في رواية وغزاتهم فقال الله عز وجل
 للجنة أنت رجلي ارحمك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عدائي اعذبك
 من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكم ما لها فمن النار فلا تملئي حتى يضع الله تبارك
 وتعالى رجله فتقول قط قط فهذا لك تملئي ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم ربك من
 خلقه أحدا واما الجنة فان الله تعالى يفتش لها خلقا وللجنة اختصمت الجنة والنار
 وهذا القول ضعيف والاقوال الاولى أولى بالجهة لان جعل الكلام على ظاهره أولى
 وقوله هذان كالأشارة إلى سبب تقدم ذكره وهو أهل الاديان الستة وأيضا فإنه ذكر
 صنفين أهل طاعته وأهل معصيته وذكر ما آل الخصمين فقال تعالى (فالذين كفروا
 قطع لهم ثياب من نار) قال سعيد بن جبير ثياب من تحاس مذاب وليس من الآية
 شيء إذا جئ أشد حرمانه وسعى باسم الثياب لانها تحيط بهم كحاطة الثياب وقيل يلبس

(يصب من فوق رؤسهم) بكسر الميم والميم بصرى وبضمهما حمزة وعلى وخلقوا بكسر الميم وضم الميم غيرهم (الحجيم) الماء الحار عن ابن عباس رضى الله عنهما لوسقطت منه نقطة على جبال الدنيا لا ذابتها (يضره) يذاب (به) بالحجيم (ما في بطونهم) والجلود (أي يذيب أمعاءهم وأشعاهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن (ولهم مقامع) سياط مختصة بهم (من حديد) يضربون بها (كأأرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) ٣٧٣ بدل الاستعمال من منها باعادة الحار

أو الأولى لا ابتداء الغيبة والثانية بمعنى من أجل بمعنى كما أرادوا الخروج من النار من أجل غم يلحقهم فخرجوا (أعيدوا فيها) بالمقامع ومعنى الخروج عند الحسن أن النار تضربهم بلهبها فتلقهم إلى أعلاها فصرخوا بالمقامع فهو أوفى باسمين خربا والمراد أعاتتهم إلى مقامع النار لانهم فصلون عنها بالكلمة ثم يعودون إليها (وذوقوا) أي وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحر) هو الغلظ من النار المنتشر العظيم الأهلاك ثم ذكر جزء الحضم الآخر فقال (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها خضر) وهو الأبرسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية هو جده زين حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر النحر ثم تشق الأنهار بعد أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح (ق) عن أنى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنات من فضة آنتهما وما فيها وجنتان من ذهب آنتهما وما فيها وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى آلهم الأرباء الكبرياء على وجهه في جنة عدن عن أنى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عليهم التيبان أدنى لؤلؤة منها لضى عما بين الشرق والمغرب أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرى في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قوله تعالى (وهودوا) من الهداية أي ارشدوا (إلى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا إله إلا الله وقيل هو لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل إلى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذى صدقنا وعده (وهودوا إلى صراط الحميد) أي إلى دين الله وهو الإسلام والحمد لله والله الحمود فى أفعاله قوله عز وجل (إن الذين كفروا) أي بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) أي بالمتع من الحجرة أو الجهاد أو الإسلام (والسجد المحرام) أي ويصدون عن السجد المحرام

أهل النار مقطعات من نار (يصب من فوق رؤسهم الحجيم) أي الماء الحار الذى انتهت حرارته (يضره) أي يذاب بالحجيم الذى يصب من فوق رؤسهم (ما في بطونهم) من الشحوم والأشعاء (والجلود) عن أنى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الحجيم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوف أحدهم فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح (ولهم مقامع من حديد) أي سياط من حديد وهى الجز من الحديد وفى الخبر لو وقع ممقع من حديد فى الأرض ثم أجمع عليه الثقلان ما قالوه من الأرض (كأأرادوا) أن يخرجوا منها من غم) أي كما ساحوا ولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والسكر ب الذى يأخذ ما تنفسهم (أعيدوا فيها) أي ردوا إليها بالمقامع قيل إن جهنم تلعثس بهم فتلقهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بجمعة الحديد فيبون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحر) أي تقول لهم الملائكة ذلك وأخرجى بى معنى الحرق فهذا وصف حال أحد النجسين وهم الكفار وقال تعالى فى وصف الحضم الآخر وهم المؤمنون (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها خضر) وهو الأبرسم الذى حرم لبسه على الرجال فى الدنيا عن معاوية هو جده زين حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر النحر ثم تشق الأنهار بعد أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح (ق) عن أنى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنات من فضة آنتهما وما فيها وجنتان من ذهب آنتهما وما فيها وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى آلهم الأرباء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن عن أنى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عليهم التيبان أدنى لؤلؤة منها لضى عما بين الشرق والمغرب أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرى فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة قوله تعالى (وهودوا) من الهداية أي ارشدوا (إلى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا إله إلا الله وقيل هو لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل إلى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذى صدقنا وعده (وهودوا إلى صراط الحميد) أي إلى دين الله وهو الإسلام والحمد لله والله الحمود فى أفعاله قوله عز وجل (إن الذين كفروا) أي بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) أي بالمتع من الحجرة أو الجهاد أو الإسلام (والسجد المحرام) أي ويصدون عن السجد المحرام

طريق الجنة والحمد لله الحمود بكل لسان (إن الذين كفروا) ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون عن الدخول فى الإسلام ويصدون حال من فاعل كفروا وهم يصدون أي الصدود منهم مستمر دائم كما يقال فلان يحسن إلى القسرة فإنه يراد به استمرار وجوده لاحسان منه فى الحال والاستقبال (والسجد المحرام) أي ويصدون عن السجد المحرام والدخول فيه

(الذي جعلناه للناس) اي قبلة لصلاتهم ومنسكا ومعبدا (سواء العا كف) اي المقيم
 من غير فرق بين حاضر وباد فان
 آر بدا بالمسجد الحرام مئة فقهه
 دليل على انه لا يتابع دور مكة وان
 أريد به البيت فالعني انه قبلة
 لجميع الناس (سواء) بالانصب
 حفص مفعول ثان لجعلناه أي
 جعلناه مستويا (العا كف) فيه
 والباد (وغير المقيم بالياء مكى
 واقفه أبو عمرو في الوصل وغيره
 بالرفع على انه خبر المبتدأ مؤخر
 أي العا كف فيقوا بالياء سواء
 والحكمة مفعول ثان وللناس حال
 (ومن يرد فيه) في المسجد الحرام
 (بالحاد بظلم) حال من أراد فان
 ومفعول بدمت ترك ليشاؤ كل
 متناول كنه قال ومن يرد فيه
 م اذ اتاحا لا عن القصد علما
 فالاحاد اعدول عن القصد
 (نذقه من عذاب أليم) في الآخرة
 وخبر ان محذوف لدلالة جواب
 الشرط عليه تقديره ان الذين
 كفروا يصدون عن المسجد
 الحرام نذيقهم من عذاب أليم
 وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو
 كذلك (واذنوا لأبراهيم مكان
 البيت) واذكر يا محمد حين جعلناه
 لأبراهيم مكان البيت مباءة أي
 مرجع يرجع اليه لعمارة وتهيئة العبادة
 وقد رفع البيت الى السماء أيام
 الطوفان وكان من ياقوتة جراء
 فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح
 أرسلها فكشفت مكان البيت
 فبيناه على اسمه القديم

(الذي جعلناه للناس) اي قبلة لصلاتهم ومنسكا ومعبدا (سواء العا كف) اي المقيم
 (فيه) قال بعضهم ويدخل فيه الغرب اذا حاور وأقام به ولزم التعبد فيه (والباد) اي
 الطارئ المكتاب اليه من غيره واختلفوا في معنى الآية فقيس سواء العا كف فيه
 والباد في تعظيم حرمة وقضاء التلبية واليه ذهب مجاهد والحسن وجاعلة قالوا
 والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسمية هو التسمية في تعظيم الصلابة وفي
 فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جابر بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يابني
 عبد مناف لا تمتعوا هذا البيت وصلى أية ساعة شاه من ليل أو نهار أخرجه
 الترمذي وابوداود والنسائي وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسمية ان المقيم
 والباد سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنازل من الآخر غير انه لا يرجع أحد
 أحدا اذا كان قد سبق الى منزل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقادة وابن زيد قالوا
 هما سواء في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدم مكة لم يكن
 أحدهم أهل مكة باحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يغلقوا ابوابهم
 في الموسم فعني هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وأجارها قالوا ان أرض مكة لا تملك
 لأنها لو ملكت لم يستوالعا كف فيها والباد في فلهما استواء ثابت ان سبيلهما سبيل المساجد
 واليه ذهب أبو حنيفة قالوا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول
 الاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور مكة وأجارها وهو قول طاووس وعمر بن دينار
 واليه ذهب الشافعي وأحمد في ذلك بقوله تعالى الذين أنجزوا من ديارهم بغير
 حق أضاف الديار الى مالكها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لم يفتح مكة من أغلق بابها
 فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر
 ابن الخطاب دار النجيين بأربعة آلاف درهم فدللت هذه النصوص على جواز بيعها
 وقوله تعالى (ومن يرد فيه) أي في المسجد الحرام (بالحاد بظلم) أي يميل الى الظلم قيل
 الاحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء كان منهيا عنه من قول أو قيل
 حتى شتم الحاد وم قيل هو دخول الحرم بغير احرام أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم
 من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل نفسه من لا تقتل أو تكلم فيه من
 لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتسار
 الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن أمية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اجتسار
 الطعام في الحرم الحاد فيه اخرجنا ابوداود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه
 بالحاد بظلم (نذقه من عذاب أليم) قال لوان وجلاهم خطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو
 ان رجلا لم يقتل رجل بمكة وهو بعد من ابي او بيلد آخر اذ قاله الله من عذاب أليم قال
 السدي الا أن يتوب وروى عن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحبل
 والآخر في الحرم فاذا أراد ان يعاتب أهله عاتبهم في الحبل فسل عن ذلك فقال كنا نحدث
 ان من الاحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله بي والله قوله تعالى (واذنوا لأبراهيم
 مكان البيت) قال ابن عباس جعلناه قديلا وطنا وقيل بينا وانما ذكر مكان البيت لان

(أن) هي المفسر للقول المقدري فائله (لا تشركني شيأ وظهر بيتي) من الاصنام والاقدار وفتح الباء مدنى وحفظ (الطائفتين) لمن يظوفه (والقائمين) والقيمين بمكة (والرعيح السجود) المصلين جعارا كع وساجد (واذن في الناس بالحق) نادفهم بالحق هو القصد المبلغ الى المقصد منيع وروى انه صعد ابا قيس فقال يا ايها الناس خجوا بيت ربكم فاجاب من قدره ان يجمع من الاصلا والارحام بليكن اللهم ليبيك وعن الحسن انه خطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابر ان يفعل ذلك في حجة الوداع والاول أظهر وحوال الامر (يا تولد رحالا) مشاة جمع راجل كقائم وقام (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على رجال كانه قال رجالا وركبناوا انصار البعير المهزول وقدم الرجال على الر كمان اظهرا الفضيلة المشاة كما ورد في الحديث (يا تين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرأ عبد الله ياتون صفة للرجال والركبان (من كل فج) طريق (عميق) بعيد قال محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من ٣٧٥ خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين او ثلاثة قال فانت جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سفوفات وخرجت وأنا شاب فاكتهلت قلت والله هذه الساعة الجميلة والهمة الصادقة قال

زمن هو بيت وان شطت بك الدار
وحال من دونه حجب واستار
لا يمتنعك بعدن زيارته

ان الحبيب ان هو اه فواد
واللام في (ليشهدوا) ليحضروا
معلقى باذن ابي اسحق (منافع)
لهم نكرها لانه اراد منافع
مختصة بهذه العبادة دينية
ودنيوية لا توجد في غيرهما من
العبادة وهذا لان العبادة
شرعت للاقتناء بالنفس
كالصلاة والصوم او بالمال
كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما

الكعبة رفعت الى السماء زمن الطوفان فلما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدركه رأى جهة بني فبعث الله تعالى رجا اخو جاف فكسب له ما حول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سبحانه بقدر البيت فقامت بجبال البيت وفيها رأس يتكلم يا ابراهيم ابن علي قدرى فبني عليه (أن لا تشركني شيأ) أى عهدنا الى ابراهيم وقتلناه لا تشركني شيأ (وظهر بيتي) أى من الشرك والاوثان والاقدار (الطائفتين) أى الذين يظوفون بالبيت (والقائمين) أى المقيمين فيه (والرعيح السجود) أى المصلين قوله عز وجل (واذن) أى أعلم ونادوا الاذان في اللغة الاعلام (في الناس) قال ابن عباس أراد بالناس أهل القبلة (بالج) فقال ابراهيم عليه السلام وما لي اخرج صرقي فقتل الله عليك الاذان وعلينا الاطلاع فقام ابراهيم على المقام حتى صار كطول الجبال وأدخل أصابعه في اذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بينى بتساو كتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم فأجابته كل من يجمع من أصلاب الاثنا وارحام الامهات ليبيك اللهم ليبيك قال ابن عباس فأول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا وروى ان ابراهيم صعد ابا قيس ونادى وزعم الحسن ان المأمور بذلك من هو محمد صلى الله عليه وسلم ابر ان يفعل ذلك في حجة الوداع (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا (يا تولد رحالا) أى مشاة على أرجلهم جمع راجل (وعلى كل ضامر) أى ركة أنا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدأ بك المشاة تشر بفالم (يا تين) أى جماعة الابل (من كل فج عميق) أى من كل طريق بعيد (في مكة) جافا فكسب له ما حول البيت لانه يجيب نداه قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق

مع ما فيه من تحمل الأثقال وركوب الأهوال وخلع الأسباب وقطعة الأصحاب وهجر البلاد والوطان وفرقة الأولاد والخلان والتبني على ما يستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكلم فيها الا على عتاده ولا ياكل الا من زاده فكذا المسافر اذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفا لا ينفع وحدته الا ما سقى معاشه لغاده ولا يؤنس وحشته الا ما كان ناس به من أوراده وغسل من يحرم وتاهيه ولسنه غير الخطوط طيهه مرأه لاساسق عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيبا بالمحفوظ ملففا في كفن غير مخيط ثم الحزم يكون أشعث حيران فكذا يوم المحرم يخرج من القبر لهقان ووقوف الحجج بعرفات آمين رغبوا بهياسا تين خوفوا طبع ما وهبهم من بين مقبول ومخذول كوقوف العرصات لاسكلم نفس الاذنه عبيد والافاضة الى المزدلفة بالساء هو السوق لفصل القضاء ومعنى هو موقف المني للذنين الى شفاة الشافعين وحلق الرأس والتنظيف كالحروج من السيئات بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمنا من الايذاء والقتال انمؤذج لدار السلام

التي هي من زهادي ساسان الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بمكاره النفس العادية كما ان الدنيا حفت بمخالف
البادية فخرج ابن جاورها الى البوادي شوقا الى البقاء يوم التنادي (ويذكر اسم الله) عند الذبح (في ايام معلومات) هي
عشر ذى الحجة عند اذنية رحمة الله واخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما واكثر المفسرين رحمهم الله وعند
صاحبه هي ايام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) اي على ذبحه وهو يؤيد قوله ما
والهيممة مهممة في كل ذات اربع في البر والبحر ٣٧٦ فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز (فكلوا منها)

من محومها والامر للاباحة
ويجوز الاكل من هدى التطوع
والتمتع والقران لانه دم نسك
فأشبهه الاضحية ولا يجوز الاكل
من بقية الهدايا (وأطعموا
البائس) الذي أصابه بؤس أي
شدة (الفقر) الذي أضعفه
الاعسار (ثم ليقتضوا منهم)
ثم ليبرأوا عنهم ادراهم كذا قاله
نظوييه قيل قضاء التمتع قص
الشارب والاطفار وتسف الابط
والاستعداد والتفت الوسخ
والمراد قضاء ازالة التفت وقال
ابن عمر وابن عباس رضي الله
عنهم قضاء التفت مناسك
الحج كلها (وليوفوا نذورهم)
مواجب جهنم والعرب يقول
لكل من خرج عما وجب عليه
وفي نذره وان لم يذره وما يذره
من اعمال البري جهنم وليوفوا
بمسكون اللام او تشديد أبو
بكر (وليطوفوا) طواف الزيارة
الذي هو ركعتان الحج وقعبه
تمام التحلل الالامات الثلاث
ساكنة عند غير ابن عباس وابي
عمر (بالبيت العتيق) القديم

لانه أول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جده ابراهيم والكريم ومنه عتاق التحليل لذكر انهما عتاق الرقيق الواجب
مخروجه من ذل العبودية الى كرم الحرية اولاه اعتق من الغرق لانه رفعه من الطوفان ومن أيدي الجسارة كم من جبار
سار اليه ليهدمه فغصه الله اومن ايدي الملك فليعلق قط وهو مطاف أهل القبراء كان العرش مطاف أهل الساء فان
الطالب اذا حاجته معية الطرب وجذبه جواز الطيب جعل يقطع منها كب الارض مرارحل ويتخذ مسالك المهالك
منازل فاذا عاين البيت لم يزد التسلية بالاشياق ولم يفده الشقي باستلام الحجر الاحتراق فيرده الاسفل فان وردده الله

حوله في الدوران وطواف الزيادة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الاحرام وهو عقد الالتزام شبه الاعتصام بمعرفة الاسلام حتى لا يرتفع بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه ٣٧٧ كما أن عقد الاسلام لا يتعلل بازدام

الاثام وترتفع ألق حوبة بتوبة
وثانها الوقوف بعرفة بسمعة
الابتهاج في صفة الاهتبال وصدق
الاعتزال عن دفع الاستكمال على
مراتب الاعمال وشواهد الاحوال
(ذلك) خبر مبتدا محذوف أي
الامر ذلك أو تقديره ليفعلوا
ذلك (ومن يعظم حرمت الله)
الحكمة ما لا يحل شكه وجميع
ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة
من مناسك الحج وغيرها فيجتمعا
أن يكون عاملا في جميع تكليفه
ويجتمعا أن يكون خاصا بما
يتعلق بالحج وقيل حرمت الله
البيت الحرام والمشعر الحرام
والنهر الحرام والبلد الحرام
والمسجد الحرام (فهو) أي
التعظيم (خبره عند ربه) ومعنى
التعظيم العلم بانها واجبة المراجعة
والحفظ والقيام بمراجعتها
(وأحلت لكم الانعام) أي كلها
(الاماني عليكم) أي تحريمه
وذلك قوله حرمت عليكم الميتة
الاية والمغني أن الله تعالى أحل
لكم الانعام كلها الاماني في كتابه
لحفاظه على حدوده ولا تحرموا
شيئا مما أحل كتحريم البعض
البيطرة وتجوهرها ولا تحلوا ما حرم
كحلالهم كل الموقوفة والميتة
وغيرهما ولمساحت على تعظيم
حرمة ما أتبعه الامر باجتناب
الاوئان وقول الزور بقوله

الواجب وهو طواف الافاضة وقت يوم النحر بعد الزمى والحلق والطواف لثلاثة
طواف القدوم وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبع مرات ثم ثلاثا من الحجر الاسود
الى أن ينتهي الى يميني أو يبعدها الطواف سنة لشيء على من تركه (ق) عن عائشة
أن أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم يكن مرة ثم
حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف
الطواف الاول خب ثلاثا ومشي أربعين مرة في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف
بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ ابي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان إذا طاف في الحج أو العمرة أو ما يقسم فله سبع وثلاثون شوطا ويمشي أربعين
مرة في سبعتين والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الزمى والحلق
(ق) عن عائشة قالت حاضرت صفة ليلة النحر فقالت ما رأياني الا حاسبا ثم قال النبي
صلى الله عليه وسلم عقرى حلق أطاف يوم النحر قيل نعم قال فانقرى قوله عقرى
حلق معناه عردا الله أي اصحابنا المقرو بوجه في حلقة وقيل معناه مشقة مؤذنة ولم
يردبه الدعاء عليها وانما هو شيء يجزى على السنة العرب كقولهم لا ام لك وترتبت بمنك
وفيه دليل على أنه لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لانه لا يجوز له أن ينفر الثالث
طواف الوداع لانه لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مائة الف فرسخ في ان يفارقه حتى
يطوف سبع مرات في تركه فله دم الا المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحدث المتقدم
ولما روى ابن عباس قال امر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا انه رخص
للمرأة الحائض منق عليه والرملة سنة تخص بطواف القدوم والرملة في طواف الافاضة
والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمى عتيقا لان الله اعقته من ايدي
الجبارة أن يصلوا الى نحر يبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه أول بيت وضع للناس
وقيل لان الله اعقته من العرق فانه وقع أيام الطوفان وقيل لانه لم يملك قوله عز وجل
(ذلك) أي الامر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمت الله) أي ما نهى
الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ما لا يستأجر حرمت الله ما لا يحل انتهاكه وقيل
الحكمة مما وجب القيام به وحرم التمر يطفيه وقيل الحرمت هنا مناسك الحج وتعظيمها
اقامتها واتمامها وقيل الحرمت هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر
الحرام ومعنى التعظيم العلم بانها يجب القيام بمراجعتها وحفظ حرمتها (فهو خير له عند
ربه) أي ثواب تعظيم الحرمت خير له عند الله في الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أي أن
تأكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم (الاماني عليكم) أي تحريمه وهو قوله
في سورة السائدة حرمت عليكم الميتة والدم الاية (فاجتنبوا الرجس من الاوثان)
أي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان رجسا لان
عبادتها اعظم من التسلب بالتجاسات (واجتنبوا قول الزور) أي الكذب والبهتان

٤٨ ن ث (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) لان ذلك من أعظم المحرمات واسبقها حظرا
فمن الاوثان بيان للرجس لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وسمى الاوثان

رجس على طريفة الشبهة يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعلمكم ان تنفروا عنها وجمع بين الشرك وقول الزور
الكذب والبهتان أو شهادة الزور ٣٧٨ وهو من الزور وهو الاخراف لان الشرك من باب الزور اذا لم يكن راعم

ان الوثن يحق له العبادة (حنفاء) الله مسلمين (غير مشركين به) حال كنفاء (ومن شرك بالله فكما تسموا) سقط (من السماء) الى الارض (فتقطعه المير) أى تسلبه بسرعته فتقطعه أى تحطه ممدنى (أو تهوى به الريح) أى تسقطه الموى السقوط (في مكان محقق) بعد يجوز ان يكون هذا تشبيهاً كما ويجوز ان يكون مفرقا فان كان تشبيهاً لم يكافئه قال من أشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلا كليس بعده بان صور حاله بضرورة حال من خرم من السماء فاختطفته الطير ففرق قطعاً في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض الممالك البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذى أشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالمر الحظفة والاشيطان الذى هو بوقعه في الضلال بالريح التى تهوى بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة (ذلك) أى الامر ذلك (ومن يعظم شعائر الله) تعظيم الشعائر وهى الهدايا بالايمان من معالم الحج ان يختارها تعظيم الاحرام حسنا سمانا غلبة الايمان فانها من تقوى القلوب أى فان تعظمها من افعال ذوى تقوى القلوب بخلاف هذه المضافات واتخاذ كرت القلوب لانهما اكر التقوى (لكم فيها)

وقال ابن عباس هى شهادة الزور روى عن ابن عمر قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال ايها الناس عدلت شهادة الزور الاشرار بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور ثم رجع الترمذى وقال قد اختلفوا في روايته ولا تعرف لآين سمعنا من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن عمر بن الخطاب بنحوه وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم بليك لا شريك لك الاشرار ذلك والله لا شريك له (حنفاء) أى مخلصين له (غير مشركين به) فدل ذلك على ان المكاف يعنى بما ياتيه من العبادة الاخلاص لله بالاغتره وقيل كانوا الشرك يحجبون ويحرمون البنات والاهيات والاخوات وكانوا حنفاء فنزلت حنفاء الله غير مشركين به أى جوار الله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفاً (ومن يشرك بالله فكما تسموا) أى سقط (من السماء) الى الارض (فتقطعه الطير) أى تسلبه وتذهب به (أو تهوى به الريح) أى تحمل وتذهب به (في مكان محقق) أى بعدد ومعنى الآية ان من أشرك بالله بعد من الحق والايان كعدم سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل اليه مجال وقيل شبه حال المشرك بمجال الهاوى من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير ثمه أو بسقوطه في المكان المحقق وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلا كما ليس وراءه اهلا بان صور حاله بصورة حال من خرم من السماء فاختطفته الطير ففرقت اجزاء في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض الممالك البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء في علوه الذى ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التى توزع افكاره بالاطير المحظفة والاشياطين التى تطرحه في وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة قوله عز وجل (ذلك) يعنى الذى ذكره من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) أى تعظم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدى واصلها من الاشعار وهو العلامة التى يعرف بها الهدى وتعظيمها التسميتها واستحسانها وقيل شعائر الله اعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أى في البدن (منافع) قيل هى درها ونسائها ووصفها وبراها وركوبها (الى اجل مسمى) أى الى ان يسميها وبوجهها هذا فاذا فعل ذلك لم يكن له شئ من منافعهما وهو قول مجاهد وقادة الضحك ورواية عن ابن عباس وقيل معناها لكم في الهدايا ما منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا بان تركوها وتسمى بوان البانها عند الحاجة الى اجل مسمى يعنى الى ان تنحروها وهو قول عطاء واختلاف العلماء في ركوب الهدى فقال مالك والشافعي واجمدا وسحق يجوز ركوبها والجملة عليها من غير ضرر بها الماروى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله انما بدنة فقال اركبها وياك في الثانية والثالثة اخرجاه في العجيين وكذلك يجوز له الشرب

(ثم حملها) أي وقت وجوب نحرها منبهة (إلى البيت العتيق) والمراد نحرها في الحرم المذي هو في حكم البيت إذا الحرم حريم البيت ومثله في الاتساع قولك بلغت البلد وإنما اتصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كلها وتبسيطها إتمامها ونحليها إلى البيت العتيق بآياه (ولكل أمة) جماعة مؤمنة قبلكم (جعلنا منسكا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وجهه أي موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أي اراقة الدماء ٣٧٩ وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله)

دون غيره (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي عند نحرها وذبحها (فالهكم الله واحد) أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم الله واحد وفيه دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع لكل أمة أن يذكروا اله الذي يدبحونه على وجه التقرب وجعل الهه في ذلك أن يذكروا اسمه تقديس اسمائه وعلى النساء وقوله (فله أسلموا) أي أخلصوا لله الذك خاصة واجعلوه سالما أي خالصة لا تنوبه يا شراك (وشرك الخنثيين) المظننين بذكر الله أو المتواضعين الخنثاسين من الحب وهو المظن من الارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بعده أي (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيمه (والصابرين على ما أصابهم من الخن والصائب والمقیمی الصلوة) في أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع

من لبنها بعد ما يفضل عن ربي ولدها وقال أصحاب الرأي لا يركبها الا ان يضطر اليه وقيل أراد بالثائر المناسك وشاهدة مكة لكم فيها منافع أي بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى أي إلى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع أي بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء أيام الحج (ثم حملها إلى البيت العتيق) أي نحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم روى عن جابر في حديث حجة الوداع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرته ههنا وبني كلها نحر نحرها في رحالك ومن قال الشعائر المناسك قال معنى تم حملها أي محل الناس من أحرارهم إلى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة قوله تعالى (ولكل أمة) أي جماعة مؤمنة سافت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين أي مذبحا وهو موضع القران ونقرئ منسكا بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان مسراها لا يجوز ذبحه في القرابين وان حازا كله قوله عز وجل (فالهكم الله واحد) أي سموا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم الله واحد (فله أسلموا) أي أخلصوا وانقادوا وأطيعوا (وشر الخنثيين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المظننين إلى الله وقيل الخنثاسين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي خافت من عقاب الله فظهر عليهم الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ما أصابهم) أي من البلاء والمرض والصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله ان يصبر عليه وله ان ينتصر لنفسه (والمقیمی الصلوة) أي في أوقاتها محافظة عليها (ومما رزقناهم ينفقون) أي يتصدقون قوله تعالى (والبدن) جمع بدنه سميت بدنه لعظمها ونحها تها يريد الابل النحاح الاجسام والبقرة ولا تسمى الغنم بدنه لصغرها (جعلنا الهكم من شعائر الله) أي من أعلام دينه قيل لانها تتعروها وان تطعن بحديده في سننها ما فعل بذلك انها هدى (لكم فيها خير) أي تنفع في الدين والثواب في العقبى (فادكروا اسم الله عليها) أي عند نحرها (صواف) أي قداما على ثلاث قوائم قد صفت رجلها ويدها اليمنى والاخرى معتولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أتاه بدنته فينحرها قال ابعثا قيسا معقبة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (فادأوجبت جنوبها) أي سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الارض

بدنه سميت لعظم بدنها وفي الشريعة يتناول الابل والبقرة وقرئ برفعها وهو كقولها والقمر قدرناه (جعلنا الهكم من شعائر الله) أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله وأضافها إلى اسمه تعظيم لها ومن شعائر الله ثانی مفعولي جعلنا (لكم فيها خير) النفع في الدين والأجر في العقبى (فادكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صواف) حال من الهاء أي قامت قد صفت أيدين وأرجلهن (فادأوجبت جنوبها) وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجوب الحائط وجبة اذا سقط أي اذا سقطت جنوبها على الارض بعد نحرها وسكنت حركتها

(فكلوا منها) ان شئتم (وأطعموا القانع) السائل من قنعت اليه اذا خضعت له وسالته قنوعا (والمعتر) الذي يربك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقبل القانع الراعي بما عده وما يعطى من غير سؤال من قنعت قنوعا وقنعة والمعتر المتعرض للسؤال (كذلك سخرناها لكم) أى كما أمرناكم بغيرها سخرناها لكم اوهو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استأنف فقال سخرناها لكم أى ذلناها لكم مع قوتها وعظم اجرها المتكبر وان فخرها (لعلكم تشكرون) لى تشكروا وانعام الله عليكم (ان ينال الله لمحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) ٣٨٠

(فكلوا منها) أمر ابراهيم (وأطعموا القانع والمعتر) قيل القانع المحاسن في دينه المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذي يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذي لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذي يسأل والمعتر هو الذي يربك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا يتكبر له ذبيحة يعيى الى القوم فيعرض لهم لاجل محبهم (كذلك) أى مثل ما وصفنا من فخرها قنوعا (سخرناها لكم) أى لتتسكروا ومن فخرها (لعلكم تشكرون) أى انعام الله عليكم (ان ينال الله لمحومها ولا دماؤها) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا فخروا بالدين لطبقوا الكعبة بدماها يرتعون ان ذلك قرية الى الله تعالى فأقر الله ان ينال الله لمحومها ولا دماؤها أى ان ترتفع الى الله لمحومها ولا دماؤها (وايكن يناله التقوى منكم) أى وليكن ترتفع اليه الاعمال الصالحة والاخلاص وهو ما أرى بديه وجهه الله (كذلك سخرها لكم) أى تشكروا الله على ما هدانا (وأرشدكم لعالم دينه ومناسك دينه وهو ان يقول الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس المحسنين قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم منهم ويصرفهم عنهم (ان الله لا يحب كل خوان كفور) أى خوان فى أمانة الله كفور لنعمة فقال ابن عباس خاؤا الله فجعلوا معه مشركا وكفروا عنه وقيل من تقرب الى الاضنام بذبيحته وسعى غير الله عليها فهو خوان كفور قوله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أى أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركوا أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزلون يحجون من بين مضروب ومشجوع ويشهدون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاقبلوا ثم يقتل حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقر الله تعالى هذه الآية وهى أول آية أذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية فى قوم باعناهم بخرجو مهاجرين من مكة الى المدينة فاعتصمهم مشركو مكة فأذن الله لهم فى قتال الكفار الذين منعواهم من الهجرة بأنهم ظلموا أى بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء (وان الله على نصرهم شديد) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال

يصبى رضا الله للجوم المتصدق بها ولا الدماء المرافقة بالبحر والمراد أصحاب الجوم والدماء والمعنى ان يرضى المخزون والمقربون منهم الامعاء النبوة والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية اذا فخروا بالدين نضحوا الدماء حول البيت ولطبخوا بالدم فلم يباح المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت (كذلك سخرها لكم) أى البدن (لتكبروا الله) لتسبحوا الله عند الذبح او لتعلموا الله (على ما هداكم) على ما ارشدكم اليه (وبشر المحسنين) الممتثلين لأوامره بالثواب (ان الله يدفع) مكى وبصرى وغيرهما بدافع أى يبالغ فى الدفع عنهم (عن الذين آمنوا) أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه ان النصر فسلنا والذين آمنوا ثم على ذلك بقوله (ان الله لا يحب كل خوان فى أمانة الله) (كفور) لنعمة الله أى

لانه لا يحب احد ادهم وهم الخوثة الكفرة الذين يحنون لله والرسول ويحنون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويعطونها (أذن) مدنى وبصرى وعاصم (الذين يقاتلون) يدفع الثاء مدنى وشامى وحفص والمعنى اذن لهم فى القتال لحذف المأذون فلهذا لالة يقاتلون عليه (بأنهم ظلموا) بسبب كونهم مضالمين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوع يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاقبلوا ثم بالقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقر الله تعالى هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نصف وسبعين آية (وان الله على نصرهم شديد) على نصر المؤمنين (التدبير) قادر وهو بشاراة المؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله ان الله يدافع عن الذين آمنوا

للمسلمين مساحد أو لغلاب
المشركون في أمّة محمد صلى
الله عليه وسلم على المسلمين وعلى
أهل الكتاب الذين في قلوبهم
عقد وممانعة ذات النثر بغير
وقدم غير المساجد عليهم التقدّم
وجوداً والقرى بهما من التقدّم
يذكر فيها اسم الله كثيراً
في المساجد أو في جميع ما تقدم
وليُصْرَن الله من نصرة
أى نصرة منه وأولياؤه (أن
الله تعالى) على نصرة أولياؤه
(عزيز) على انتقام أعدائه
(الذين) غلبه فصبب دمه من
نصرة أولياؤه تابع الذين أخرجوا
(أن مكانهم في الأرض) أقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر
هو أخبصار من الله عاسته تكون
عليه سيرة المهاجرين أن كلهم
في الأرض ويطعمهم في الدنيا
وكيف يقومون بأمر الدين وفيه
دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين

تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) يعني أنهم أخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتعظيم والتسكين لا موجب الإخراج (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أي بالجهاد وأقامة الحدود (لهدمت صوامع) هي معابد الرهبان المنتهدة في الصحراء (وبيع) هي معابد النصارى في البلاد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى (وصلوات) هي كنائس اليهود وبسبغها بالعبارة صلواتا (ومساجد) يعني مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعني في المساجد ومعنى الآية قولوا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم فهم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد (وليس من الله من ينصره) أي ينصر دينه ودينه (إن الله لتقوى) أي على نصرته ينصر دينه (عزيز) أي لا يضام ولا يتبع بما يريد قوله عز وجل (الذين أن مكناهم في الأرض) أي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد أقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وأمروا بالعبادة ونهوا عن المنكر) هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الأمة وقيل هم المهاجرون وهو الأصح لأن قوله الذين أن مكناهم صفة لمن تقدم كرههم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون (ولله عاقبة الأمور) أي آخر أمور الحق مصيرها إليه وذلك أنه يعلل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا منازع وقوله تعالى (وان يكذبوك) فيه تسلية وتغزية للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبك قومك (وقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وخود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) فان قلت قال وكذب موسى ولم يقتل وقوم موسى قات فيه وجهان أحدهما أن موسى لم يذبح قومه وهم بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم السبط الثاني كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره (فأما لئلا يكفر من) أي أهلها ثم وأخبرنا العقوبة

لأن الله عز وجل اعطاهم التمكن ونفاذ الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الامور) اى رجعها الى حكمه وتقريره وفيها كيدنا وعدم من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم (وان يكذبوك) هذه تسليية للمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب اهل مكة اباما لست باوحدى فى التكذيب (فقد كذبت قبلكم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وخذ) صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط) لوطا (واصحاب مدين) ثعليبا (وكذب موسى) كذبه فرعون والقيبط ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قوم بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه او كما كذبه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وظهوره بجزائه فاعطاهم ما يستحقه (فامليت للكافرين اهلهم واخوت عقوبتهم ثم اخذتهم) عاقبتهم على كفرهم

(فكيف كان نكير) انكارى وتعبيرى حيث ابدلتهم بالعم فاعلموا بما قلوا بالعماء وخرجا منكمى الى الماء فى الوصل والرفق يعقوب (فكأن من من قرية اهلكتها) اهلكتها بصرى (وهى ظامة) حال اى اولها لم يمشى كوت (ففى خاوية) ساقطة من حوى النجم اذ سقطت (على عروشها) يتعلق بها وبالمعنى انها ساقطة على سقفها اى تحت سقفها على الارض ثم تهمت حيطانها فغطت فوق السقف ولاخل لفهى خاوية من الاغراب لانها معطوفة على اهلكتها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا جعلنا كائن منصوب المحل على تقدير كبر من القرى اهلكتها (و) بمعطلة اى متروكة لانه قد دلوا ورشائها وقد تغددا اى وهى عامر قديم الماء ٣٨٢ ومعها آلات الاستقاء الانعاضات اى تركت لاستيق منها لئلا اهلها

عنهم (ثم أخذتهم) اى عاقبتهم (فكيف كان تكبير) اى انكارى عليهم ما فعلوا من
التكذيب بالعدا والهلاك يخوف به من خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبه
وقوله عز وجل (فكأن من قرءة أهل كتابا) وقرئ أهل كتابا على التعظيم (وهي
طائفة) اى اهلها الظالمون (فهي خاوية) اى اساقطة على عروشها (اى على سقوفها
وبئر معطله) اى يؤمن من بئر معطله اى متروكة مختلطة من اهلها (وقصر مشيد) اى
فيح طويل عال وقيل محصص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيدان اما القصر
فعلى قبة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في غمرة فكفروا فاهلكهم
الله وبقي البئرو القصر خالين وقيل ان هذه البئر كانت محض موت في بلدة يقال لها
حاضرواء وذلك ان اربعة آلاف فرغ من آمن صاخب عليه السلام لما نجوا من العذاب
توالى حضر موت ومعهم صالح فلما حضر ومات صالح قسى المكان حضر موت لذلك
ولما مات صالح بنوا حاضرواء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا منهم فاهوا
فهدروا وتناحروا حتى كثروا وعدوا الاصنام وكفروا فإرسل الله تعالى اليهم نبيا يقال
سحطلة بن صفوان وكان حلالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعظمت برهم
فخر ب قصرهم قوله تعالى (اطل سبيرا في الارض) يعنى كفار مكة فيقتضروا الى
صارعان كذابين من الامم الجالية (فتكون لهم قلوب يفتنون بها) اى
يعلمون بها (أو أذان يسمعون بها) يعنى ما يذكرون من اخبار القرون الماضية
يستمعون بها (فانما لنعى الاصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور) المعنى
نعى القلب هو الضار في أمر الدين لا عى البصر لان البصر الظاهر بلغة ومعرفة
وبصر القلوب هو البصر السافع (ويستخرجونك بالعذاب) نزلت في النضر بن
المحرث (وان يخلف الله وعده) اى انه لا يخلف ذلك يوم بدر (وان يوعدهم كالف
مرة مما وعدون) قال ابن عباس يعنى يومان من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات
والارض وقيل يومان ايام الآخرة يدل عليه ما روى عن ابى سعيد الخدرى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر صاعليك المهاجرين بالنور التام يوم
تقدمه تدخلون الجنة قبل اغناء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة أخرجه

واملك انسان اربع عين عينا في رأسه وعينا في قلبه فاذا ابصر ما في القلب وعى ما في الرأس لم يبصر وان ابصر ما في الرأس وعى ما في القلب لم ينفعه وذكرا الصدور ليمان ان محل العمل القلب وثلاثة قال ان القلب يعنى بغيره هذا العضو وكلما قل القلب اب كل شئ (ويستعملونك بالعداب) الاجل استبراء (وان يخلف الله وعده) كما يقال ولم يستعملونك به كأنهم يحذرون القوت وانما يحجزونك على معادن يجوز عليه الخلف وان يخلف الله وعده وما وعده ليقيمهم ولم يعد حين (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) يعدون مكي وكوفي غير عاصم أى كيف يستعملون بعداد من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنينكم لأن أيام الشدة اندطاول

(وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة) أي وكمن أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظروهم حيناً (ثم أخذتها) بالعذاب (والى المصير) أي المخرج إلى فلا يفوتني شيء وإنما كانت الأولى أي فكأين معطوفة بالفاء وهذه أي وكأين بالاولى والاولى وقعت بدلاً عن فكيف كان تذكير أمأها هذه حكمها حكم ما تقدمها من الجهتين المعطوفتين بالواو وهما وإن يختلف الله وعده وإن يؤامعندريك (قل يا أيها الناس إنما أنا نذير مبين) وإنما نقل بشير ونذير بكذا كالأمرين بعد إعلان الحديث مسوق إلى المشر كين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أقلم بسير وأوصفوا بالاستعجال وإنما أقدم المؤمنون وثوابهم ليغاطوا أو تقدره نذير مبين وبشير قبشر أو لا فقال (فأ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) (وورزق كريم) أي حسن ثم انذرو فقال (والذين سعوا) (سعى في أمر فلان إذا أقسمه بسعيه) (في آياتنا) أي القرآن (معاجزين) حال معجزين حيث كان مكى وأبو عرعرة عاجزاً سابعه كأن كل واحد منهم في طلب أعجاز لا تخرج عن الحقائق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناه بالفساد من الطعن فيه الحديث سموها سحر ٣٨٧ وشعروا أساطير مساقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن يكدهم

أبو داود بن زيادة فيه وأخرج الترمذي نحوه ومعنى الآية أنهم يستعجلون بالعذاب وإن يومان أيام عذابهم في الآخرة كالف سنة وقيل إن يومان أيام العذاب في النقل والاستقالة كالف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه إن يوماً عنده ألف سنة في الأهمال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فوسى في قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس (وكأين من قرية أهلكناها) أي أهلها (وهي ظالمة) أي مع استمرار أهلها على الظلم (ثم أخذتها) أي أنزلت بهم العذاب (والى المصير) يعني مصيرهم إلى الآخرة ففيه وعيد وتهديد قوله عز وجل (قل يا أيها الناس إنما أنا نذير مبين) أمر الله رسوله أن يذم لهم التخويف والابتنار وأن يقول لهم إنما نذير مبين (فأ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول إنما أنا نذير مبين أورد ذلك بأن أمره بعد آمن وعيد بعد من عصى فقال فأ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي ستر لصغائر ذنوبهم وقيل لكبائر أياضاً مع التوبة ورزق كريم أي لا يقطع أبداً وقيل هو الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي عملوا في إبطال آياتنا (معجزين) أي مثبتين للناس عن الإيمان وقرئ معاجزين أي معاندين مشاققين وقيل معناه ظالمين ومقدرين أنهم يهزؤون بما يفوتهم لا تقدر عليهم برغمهم إن لا يبعث ولا تشدد ولاجنة ولا نار (أولئك أصحاب الحجيم) قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا أتى ألقى الشيطان في أميته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول

للاسلام يتم لهم (أولئك أصحاب الحجيم) أي أنصار الوفاة (وما أرسلنا من قبلك) من ابتداء الغاية (من رسول) من زائفة لتأكيد النفي (ولأنبي) هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض أنهم واحد وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال ما أمثالهم وأربعة وعشرون ألفاً قيل فكيف أرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر والفرق بينهم ما إن الرسول من جع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمران

يدعو إلى شيء قبله وقيل الرسول واضح شرع والنبي حافظ شرع غيره (الإدائني) قرأنا في معنى كتاب الله أول ليلة في داود الزبور على رسل (ألقى الشيطان في أميته) بالآخرة قالوا أنه عليه السلام كان في نادى فوعدهم بقرأوا الحجيم فلما بلغ قوله ومناجات الثالثة الأخرى جرى على لسانه تلك العجائب التي ألقى العلي وأن شفاعتهن لم يفتن له حتى أدر كنه العصمة فنبه عليه وقيل فيه جبريل عليه السلام فأخبرهم أن ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضي لأنه لا يخلو ما مان به كلهم انتهى عليه السلام بها اعتماداً لأنه لا يجوز لآله كره لآله بعبث طاعناً للاضنام لا ما دحاها ولا أخرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبريل حيث لا يقدر على الامتناع منه وهو مجتمع لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان في حقه أولى وأجرى ذلك على لسانه سهو أو غفلة وهو دودا يضل الآله لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطال الاعتماد على قوله ولأنه تعالى قال في صفة المنزل عليه لا يابيه إلا بطل من بين يديه ولا من خلفه وقال نحن نزلنا الذكروا ناله لحاظوا ونه لفظاً بطلت هذه الوجوه لم يبق إلا وجه واحد وهو أنه عليه السلام سكنت عند قوله ومناجات

الثالثة الأخرى

الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبادئهم عابجا لهم به من
 الله تعالى تمت في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه حرصه على إيمانهم
 فكان يوما في محاسنهم قرأ قرآن الله عز وجل سورة النجم فقرأها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حتى بلغ قراءته الثلاث والعزى ومائة الثالثة الأخرى التي الشيطان على لسانه
 ما كان يحدث به نفسه ويتجناه تلك الترائيق العلى وإن شقاعتهن لثرت حتى فلما سمعت
 قرآن ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها
 وسجد في آخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلبسوا
 في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجدوا غير الوليد بن المغيرة وأبى أختبعت سعيدين العاص فانهما
 أخذوا حقنهم من البضياء ورفعاها إلى جبهتهما وسجدوا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين
 فلا يستطيعا السجود وتفرقت قرآن وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون
 قد ذكركم محمد آلهنا باحسن الذكروا فلو اقدر فمنا ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن
 آلهنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فاما أمسى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم آناه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آت به عن
 الله تعالى فخرن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا
 كبيرا فانزل الله تعالى هذه الآية يعز به وكان به رحيمًا وسع بذلك من كان بارض
 الحجة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبالجمهم سجدوا قرآن وقيل قد أسلمت
 قرآن وأهل مكة فرجعوا كثيرهم إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا حتى إذا ذووا من
 مكة بلغهم ان الذي كانوا أحدوا به من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم
 الاعتزاز أو مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قرآن ندم محمد على ما ذكركم من منزلة
 آلهنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قد وقع في فم كل مشرك فاذادوا شرا إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم
 وقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا ولا نبي
 النبي هو الذي يكون نبوته الهام أو من ساما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا إذا
 معنى أى أحب شيئا واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ألقى الشيطان في أميته أى في
 مراده وقال ابن عباس إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ووجد اليه سيدا والمعنى ما من
 نبي إلا أن يؤمن قومه ولم يمتن ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما رضى قومه فيه فبدخ
 الله ما ألقى الشيطان وقال أكثر المفسرين معنى حتى قرأوا تلا كتاب الله ألقى الشيطان في
 أميته أى في تلاوته قال حسان في عثمان حين قتل

تمت كتاب الله أول ليلة * وأخوها لاقى حمام المقادر

فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه واجمع الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم
 فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا قصد اولا عدا ولا سهوا ولا غطا قال الله
 تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تعالى
 من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم في الآلهة وهو معصوم

منه قلت ذكر العلماء عن هذا الاشكال اجوبة احدها توهمين اصل هذه القصة وذلك
انه لم يروها احد من أهل الحق ولا اسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وانما رواها
المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملقون من الخلف كل صحيح وسقيم
والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواها وانقطاع سندها واختلاف الفاظها
فقال يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة آخريه يقول قرأها وهو في نادى
قومه وآخريه يقول قرأها وقد اصابته سنة وآخريه يقول بل حدث نفسه بها جرى ذلك
على لسانه وآخريه يقول ان الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يسمعها على جبر بل قال ما هكذا اقرأتك الى غير ذلك من اختلاف
الفاظها والذي جاء في الصحيح حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ النجم فوجد فيها وسعبد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصى
أو تراب فرمعه الى وجهه قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا أتجه البخاري وسلم
وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر
فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن
ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكشي وهو ضعيف جدا فهذا توهمين هذه القصة
الجواب الثاني هو من حيث المعنى هو ان الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة
على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وتزايده عن مثل هذه الرذيلة وهو متمسك بأن ينزل
عليه مدح الله غير الله أو ان ينسب رعاياه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه
ما ليس منه حتى ينهجر بل عن ذلك فهذا كله ممنوع في حقه صلى الله عليه وسلم قال الله
عز وجل ولولا قول علينا بعض الاقواب لا اخذنا منه باليمين ثم قطعنا منه التين الآية
الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا قرأ آية من القرآن ترتل او يفصل الآية تفصيلا كما صرح عنه في قراءته
فيحتمل ان الشيطان ترصد لتلك الكلمات قدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات
محاكاة صوت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه من دنائه من الكفار فظنوا هان قول
النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده فاما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم
لثقة بهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيها وانهم كانوا يحفظون
السورة كما نزلها الله عز وجل الجواب الرابع في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم ان
التمنى يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله الالاد
تمنى أى خطري باله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يريد ان يصدق التمنى اشتغل الخاطر
بغض السهو في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمنى بالتلاوة فيكون معنى
قوله الالاد اتمنى أى تلاوه ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط آية أو
آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينهيه عليه ويذكره بالوقت
والحين كصحيح الحديث لقد أدركني كذا كذا آية كنت أنسىها من سورة كذا

فستكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم انه عليه السلام هو الذي تكلم بها فيكون هذا القاف في قراءة النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه السلام ويضع كلامه فقد روى انه نادى يوم احد لا الان فقد قتل وقال يوم يدرك لاجابكم اليوم من الناس والى جاراكم (فينسخ الله ما لقي الشيطان) اى يذهب به ويظهره ويخبر انه من الشيطان (ثم يحكم الله آياته) اى يشتمها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان (والله علم بما اوحى الى نبيه وبقصده الشيطان (حكيم) لا يدعه حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليقين الله تعالى به فوما يقوله (ليجعل ما لقي الشيطان فتنة محنة وابتلاء ٣٨٦) (للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) هم

المشركون المكدون فيزدادوا

به شك وظلمة (وان الظالمين)

اى المنافقين والمشركين واصله

وانهم فوضع الظاهر موضع

الضهير قضاء عليهم بالظلم (الى

شقاق) خلاف (بعيد) عن

الحق (وليعلم الذين اوتوا العلم)

بالله ويدبره وبآيات انه

اى القرآن (الحق من ربك

فيؤمنوا به) بالقرآن (فتثبت

قسطهم) لا قلوبهم وان الله

لهادى الذين آمنوا الى صراط

مستقيم فيتأولون ما يشاءه

في الدين بالتأويلات الخفية

و يطلبون الما شكل منه الخمل

الذى تقتضيه الاصول المحكمة

حتى لا تلغىهم حيرة ولا تعجزهم

شبهة ولا يزال الذين كفروا في

مرية شك (منه) من القرآن

او من الصراط المستقيم (حتى

تأتيتهم الساعة بغتة) غاة (او

يأتيتهم عذاب يوم عقيم) يعنى

يوم يدبره و عقيم عن ان يكون

للكافرين فيه فرج اوراحة

كالحق العقيم لا تاتى بخير او شدي

وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآيات ان الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطا في العلم فلم يصعبهم من جواز السهو عليهم بل حلفهم في ذلك كمال سائر المشرو والله تعالى اعلم قوله عز وجل (فينسخ الله ما لقي الشيطان) اى يظهره ويذهب به (ثم يحكم الله آياته) اى يشتمها (والله علم حكيم) قوله عز وجل (ليجعل ما لقي الشيطان فتنة) اى محنة و بلية والله تعالى يحسن عباد ما يشاء (للذين في قلوبهم مرض) اى شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) اى الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون (وان الظالمين لفي شقاق بعيد) اى في خلاف شديد (وليعلم الذين اوتوا العلم) اى التوحيد و القرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء (انه الحق من ربك) اى الذى احكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك (فيؤمنوا به) اى بعبادته من الله عز وجل (فتثبت له قلوبهم) اى تسكن اليه (وان الله هادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) اى الى طريق قويم وهو الاسلام قوله عز وجل (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) اى فى شك من القرآن وقيل من الدين الذى هو صراط مستقيم (حتى تأتيتهم الساعة بغتة) اى فجأة وقيل أراد بالساعة الموت (أوأتيتهم عذاب يوم عقيم) اى عذاب يوم لا يلهى له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم يدبره عقيب الانه لم يكن في ذلك اليوم لكفار خير كالمعاقبة لا تاتى بخير وقيل لانه لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه (المالك يومئذ) يعنى يوم القيامة (الله) وحده من غير منازع ولا مشارك فيه (يحكم) اى يفصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا ما تنافوا واثلك لهم عذاب مهين) قوله تعالى (والذين هاجروا فى سبيل الله) اى فارقوا اوطانهم وعشائرهم فى طاعة الله وطلب رضاه (ثم قتلوا أو ماتوا البر فثمهم الله رزقا حسنا) اى لا ينقطع ابداء وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهى الانفس وتلد الاعين (وان الله لهو خير الرازقين) فان قلت الرازق فى الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله هو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على الحجاز كقوله رزق السلطان الجند اى اعطاهم ارزاقهم وان الرازق فى الحقيقة هو الله تعالى

لدرجة فيه او لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الخلفاء انه يوم القيامة وان المار بالساعة وقيل مقدماته (المالك يومئذ) اى يوم القيامة والنورين عوض عن الجملة اى يوم يؤمنون او يوم تزول مرتبتهم (الله) فلا منازع له فيه (يحكم بينهم) اى يعقضى بينهم فيحكمهم فينبه قوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا ما تنافوا واثلك لهم عذاب مهين) ثم خص قدم من الفريق الاول بفضيلة فقال (والذين هاجروا فى سبيل الله) خرجوا من اوطانهم محاربة (ثم قتلوا) اى قتلوا (أو ماتوا) حنقا انهم لم يبرز فثمهم الله رزقا حسنا) قيل الرزق الحسن الذى لا ينقطع ابدا (وان الله هو خير الرازقين) لانه الخبير للخلق بالامثال المتكفل للرزق بالامال

(ليدخلنهم مدخلا) بفح الممدنى والمرد المحنة (برضونه) لان فيها ما تشتهى النفس وتلد الاعين (وان الله اعلم) باحوال من قضى بحجة معجدها وآمال من مات وهو ينتظر معاهدا (حليم) بامهال من قائلهم معاندا روى ان طوائف من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين يقولوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نخاهدهم ككاهدها وافلانا ان متنا معك فانزل الله هاتين الايتين (ذلك) أى الامر بذلك وما بعده مستأنف (ومن عاقب بمثل ما عوقبه) سمي الابتداء بالحز اعقوبه باللاستهله من حيث انه سبب ذلك مسبب عنه (ثم بنى عليه لنصرته الله) أى من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم علم بعد ذلك حق على الله ان ينصره (ان الله لعفو) عفو وثار الذنوب (عفور) ستر انواع العيوب وتقرىب الوصفين بساق الاية بان العاقب معفو من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فن عفوا واصلح فاحرم على الله وان عفوا اقرب للتعفو حيث لم يؤثر ذلك وانصر فهو تارك للافضل

٣٨٧

اذ ترك العفو وانقمهم من الباغي وعرض مع ذلك كما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين اودل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده كاقيل العفو عند القدرة (ذلك بان النهار في الليل في النهار ويوم في الليل وأن الله سمع بصير) أى ذلك النصر للظلم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن آيات قدرته انه يومئذ الليل في النهار ويوم في الليل في النهار في الليل أى يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا أو بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهم ما شاء لا يخفى عليه ما يجري فيهم ما على أيدي عبادهم من الخير والشر والنجى

وقيل لان الله تعالى يعطى من الرزق ما لا يقدر عليه غيره (ليدخلنهم مدخلا برضونه) يعنى الجنة يكرمونه ولا ينالهم فيه مكروه (وان الله اعلم) بنياتهم (حليم) بالعفو عنهم قوله عز وجل (ذلك) أى الامر بذلك الذى قصصنا عليك (ومن عاقب بمثل ما عوقبه) أى جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعنى قاتل المشرى ككافئاته (ثم بنى عليه) أى ظلم باخرجه من منزله يعنى ما آتاه المشرى كونه من البنى على المسلمين حتى اوجدهم الى مفارقة اوطانهم نزلت في قوم من المشرى كين اتوا قوما من المسلمين لليلتين بقتلتا الحرم ففكره المسلمون قتالهم وسألوهم ان يكفوا عن القتال من اجل الشهر الحرام فالى المشرى كونه وقتلهم فذلك بغفهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى (لنصره الله ان الله لعفو) أى عن مساوى المؤمنين (عفور) يعنى لذنوبهم (ذلك) أى ذلك النصر (بان الله) القادر على ما يشاء من قدرته أنه (يومئذ الليل في النهار ويوم في الليل) فى معنى هذا الايلاج قولان احدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغفيرة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطول الشمس القول الثانى هو ما نرى فى احدهما ما وقصص من الاخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى (وان الله سمع بصير ذلك بان الله هو الحق) أى ذوالحق فى قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق (وان ما يدعون) يعنى المشرى كين (من دونه هو الباطل) يعنى الاصنام التى ليس عندها ضر ولا نفع (وان الله هو العلى) أى العالى على كل شئ (الكبير) أى العظيم فى قدرته وسلطانه قوله عز وجل (القرآن الله انزل من السماء ماء فتصبغ الارض مخضرة) أى بالنبات (ان الله لطيف) أى باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان (خير) أى بما فى قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم

والانصاف وأنه سمع لما يقولون ولا يشعرون به سمع عن سمع وان اختلفت في النهار الاصوات بفنون اللغات بصيرهم ما يفعلون ولا يستعزنه شئ بشئ فى العالم وان توالى الظلمات (ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون) عرقاى غير ابنى بكر (من دونه هو الباطل وان الله هو العلى الكبير) أى ذلك الوصف مخضرة الليل والنهار واحاطته ما جرى فيهم ما وادراكه قلوبهم وفهمهم بسبب ان الله الحق الثابت القهية وان كل ما يدعى الهادونه باطل الدعوة وانه لا شئ اعلى منه شانا وكبر سلطانا (القرآن الله انزل من السماء ماء) مطرا (فتصبغ الارض مخضرة) بالنبات بعدما كانت مسودة باسفة وانما صرف الى لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت ليفيد بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم على فلان فاروح واغدوا شاكره ولو قلت فرحت وغدت لم يقع ذلك الموضع وانما رفع فتصبغ ولم ينصب جوابا بالاسمته لانه لو نصب لعل الغرض وهذا لان معناه اثبات الاخضر اذ يقبل بالانصب الى نبي الاخضر ار كاتقول لصاحبك ما ترى انى انعم عليك فمشتكران نصبتة نفقت شكره وشكرت من تغرطه فهو ان رفعته انبت شكره (ان الله لطيف) واصل عمله أو فضله الى كل شئ (خير) بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف المختص بدقيق التدبير الحبيب المحيط بكل قليل وكثير (له ما فى السموات

وما في الارض) ملكا وملكاً (وان الله هو الغني) المستغنى بكمال قدرته بعد فناء ما في السموات وما في الارض (الحمد لله) الحمد وبتعظيمه قبل ثناء من في السموات ومن في الارض (الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض) من الهائم مذللة للركوب في البر (والفلك تجري في البحر باره) أي ومن المراكب حاربة في البحر ونصب الفلك عطفه على ما ويجري حالها أي وسخر لكم الفلك في حال جريها (ويعلم السماء ان تقع على الارض) أي يحفظها من ان تقع (الا فانه) بانه وبعثته (ان الله بالناس لرؤف) يتخير ما في الارض (رحم) بامساك السماء لئلا تقع على الارض عدد الايام مقرونة باسمائه لشكره وعلى آلائه و يذكره باسمائه وعن أبي حنيفة ترجمه الله ان اسم الله الاعظم في الايات الثمانية ستجاء اقرارها البتة (وهو الذي احياكم) ٣٨٨ في ارحام امهاتكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم)

(له ما في السموات ما في الارض) أي عبيد او مملوكا (وان الله هو الغني الحميد) يعني الغنى عن عبادته الحميد في افعاله (الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض) أي الدواب التي تركب في البر (والفلك) أي وسخر لكم السفن (تجري في البحر باره) يعني سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك ما جرت (ويعلم السماء ان تقع) أي لكيلا تسقط (على الارض الا فانه ان الله بالناس لرؤف رحم) يعني انه انعم بهذه النعم الجامعة لنا فاع الذين والذين وقديله انغاية في الانعام والاحسان فهو اذا رؤف رحم بكم (وهو الذي احياكم) أي انشأكم ولم تكونوا شيئا (ثم يميتكم) أي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) أي يوم البعث للثواب والعقاب (ان الانسان لكفور) أي يكفركم الله عز وجل قوله تعالى (لكل امة جعلنا منسكا) قال ابن عباس شريعة (هم ناسكوه) هم عاملون بها وعنده انه قال عيدا وقبل موضع قر بان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة (فلانازعك في الامر) أي في امر الذبايح زادت في بديل بن ورقاء بشر بن سفيان ويزيد بن خميس قالوا لا يحب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكون مما تتلون ما يدركون لا تاكون مما قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم أنت قوله (وادع الى ربك) أي الى الايمان به والى دينه (انك اعلى هدى مستقيم) أي على دين واضح قوي (وان جادلوك) أي خاصموك في امر الذبح وغيره (فقل الله اعلم بما تعملون) أي من التكذيب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) أي فعملون حيثما لحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردد بين جنه وثوابك قبل و بين نار وعقابك رد واني قوله عز وجل (الم نعلم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة (ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب) أي في اللوح المحفوظ (ان ذلك) أي علمه بجمعه (على الله يسير) أي هيبن وقيل ان كتب الحوادث مع انهم الغيب على الله يسير (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) أي حجة ظاهرة من دليل سمعي (وما

لا يصل جزاءكم ان الانسان لكفور) يكفركم الله افاض عليه من ضرور النعم ودفع عنه من ضرور النقم أولا يعرف نعمة الانشاء المبدئ للوجود ولا الانشاء المقرب الى الموعود ولا الاحياء الموصلى الى المقصود (لكل امة) اهل دين جعلنا منسكا) م بيانه وهو رد لقول من يقول ان الذبح ليس بشريعة الله اذ هو شريعة كل امة (هم ناسكوه) عاملون به (فلانازعك) فلا يجادلوك (والمعنى) فلا تلتفت الى قولهم ولا تمسكنهم من ان ينازعوك (في الامر) امر الذبايح والدين نزلت حين قال المشركون للمسلمين ما لكم تاكون ما قلتم ولا تاكون ما قلناه الله يعنى الميتة (وادع) الناس الى ربك الى عبادة ربك انك

ليس

لعلى هدى مستقيم) طريق قوي لم يذكر الواو في كل امة بخلاف ما تقدم لان تلك

وقعت مع ما يناسبهم من الآيات الواردة في ام النساك فقطعت على اخواتها وهذا وقع مع ابا عبد عن معناه فليست تجد معطفا (وان جادلوك) امر او تمنع كما يفعله البهفاء بعد اجتيازك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال (فقل الله اعلم بما تعملون) أي فلا يجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى ان الله اعلم بما عملكم وما ستقون عليهم من الجزاء فهو محقق بكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين وتاديب يجب به كل متعنت (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) هذا دعاء من الله للمؤمنين والكافرين أي يفضل بينكم بالثواب والعقاب ومسلما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يلقى منهم (الم نعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض) أي كيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض (ان ذلك) الموجود في كتاب (في اللوح المحفوظ) ان ذلك على الله يسير أي علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم اشار الى جهالة الكفار لعبادتهم غير المتيقن لها بقوله (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به نزل بهي وبصري) سلطانا حجة وبرهانا (وما ليس

لهم به علم) أى لم يتسكروا في عبادتهم لما بهرهم من جهة الوحي ولا جعلهم عليهم دليل عقلى (وما لا ظالمين من نصير) وما الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد نصيرهم ويصوب مذهبهم (واذا أتى عليهم آياتنا بينات) يعنى القرآن (تعرف في وجوه الذين كفروا والمنكر) الإنكار بالعبوس والكرهية والمنكر مصدر (يكادون بسطون) يبطشون والبسط الوثب والبطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (قل أفأنتم تدعون شركاً من دونه) من غنظكم على التآلن وسوطكم عليهم أوجعاً صابكم من الكراهة والعجز بسبب ما تلى عليكم (النار) خبر ٣٨٩ مبتدأ محذوف كأن قالوا قال مأهوق قيل

النار أى هو النار (وعدها الله الذين كفروا) استئناف كلام (وبئس المصير) النار وما كانت دعواهم بأن الله تعالى شريكاً جارية في الغرابة والشبهة بحجج الامثال المسيرة قال الله تعالى (يا أيها الناس ضرب بين مثل فاستمعوا له) لضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) يدعون سهل ويعتقون (من دون الله) آلهة باطلة (ان يخلقوا ذباباً) لن لنا كبدني المستحيل وأنا كيدهم هنالك لالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كانه قال محال أن يخلقوا وتخصيص الذباب لما تده وصفه واستقذاره وسى ذباباً لانه كاذب لاستقذاره آت لاستقذاره (ولو اجتمعوا له) لخلق الذباب ومحله النصب على المحال كانه قيل مستحيل منهم ان يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لمخالقته وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل في تفهيم قريش حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الانتقار على المتدورات كلها والاحاطة

ليس لهم به علم) أى أنهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علول ودلائل عقلى (وما لا ظالمين) أى المشركين (من نصير) أى ما يمنعهم من العذاب (واذا أتى عليهم آياتنا بينات) يعنى القرآن وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف في وجوه الذين كفروا والمنكر) أى الإنكار والكراهة يتبين ذلك في وجوههم (يكادون بسطون) أى يععون ويبسطون اليكم أيديهم بالسوء وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) أى يحمدون وأصحابه من شدة الغيظ (قل) أى قل لهم يا محمد (أفأنتم تدعون شركاً من دونه) أى يشركوكم أو كره اليكم من هذا القرآن الذي تستمعون (النار) أى النار (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) قوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل) فان قلت الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلاً قلت لما كان المثل في الاكثر نكتة عجيبة غريبة طارئة يسمى كل كلام كان كذلك مثلاً وقال في الكشف قد سميت الصفة والقصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستعراب مثلاً تشبيهاً لبعض الامثال المسيرة لدونها مسيرة عندهم مستحسنة مستعربة (فاستمعوا له) أى تدرؤوه حق تدره فان الاستماع بالتدبر وتعمق لا ينفع والمعنى جعل لى شبيه وشبهه لى الا وثان أى جعل المشركون الاصنام شركاً كى يعبدونها ثم بين حالها وصفها فقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (ان يخلقوا ذباباً) أى واحداً فى صغره وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) أى لجمته والمعنى بأن هذه الاصنام لو اجتمعت لم تقدر على خلق ذبابة على ضعفها وضعفها فكيف يليق بالمعاقل جعلها معبوداً له (وان يسلم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يصلون الاصنام بالزعران فاذا جف جاء الذباب فاستلبه منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين أيدي الاصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب المطلوب ما يسلب من الطيب الذى على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أى لو طاب الصنم أن يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم (ماقدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق عظمتهم وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته بحيث اشر كوا به ما لا يتمتع من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله أقوى عز) أى غالب لا يتهر قوله عز وجل (الله يصطفى

بالعلومات عن آخرها صوار وتماثيل يستحيل من ان تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى واذ له ولو اجتمعوا لذلك (وان يسلمهم الذباب شيئاً) أى ثامنى معقول يسلمهم (لا يستنقذوه منه) أى هذا الخلق الأقل الا لا لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يدرؤا عن ابن عباس رضى الله عنهم كانوا يطلونها بالزعران ورؤسها بالعدل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن أخذه (ضعف الطالب) أى الصنم يطلب ما سلب منه (المطلوب) الذباب بما سلب وهذا كالنوبة بينهم وبين الذباب فى الضعف ولوحدة وجدته الطالب اضعف واضعف فان الذباب حيوان وهو جاد وهو غالب وذلك مغلوب (ماقدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكاً له (ان الله أقوى عز) أى ان الله قادر وغالب فكيف يخضع العاجز لمغلوب شديداً به وألغوى بصر أولياؤه عزز ينفعهم من أعدائه (الله يصطفى

(من الملائكة وسلا) جبريل وميكائيل ٣٩٠ واسرافيل وغيرهم (ومن الناس) رسلا كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم

عليهم السلام هذا لما ذكره
من أن يكون الرسول من البشر
وبيان أن رسل الله على ضربين
ملك وبشرو قيل نزلت حين قالوا
أنزل عليه الذكر من بيننا (إن
الله سميع) لقولهم (بصير) من
يختاره لرسالته أو سميع لأقوال
الرسل فيما تقبله العقول بصير
بأحوال الأمم في الرد والقول
(يعلم ما بين أيديهم) ما مضى وما
خلفهم ما لم يأت أو ما علموه وما
سمعوه أو أمر الناس وأمر
الآخر (والى الله ترجع الأمور)
أى إليه مرجع الأمور كلها
والذى هو بهذه الصفات لا يستل
عما يفعل وليس لاحداث يعترض
عليه في حكمه ويندأ به واختيار
وسله ترجع شأى وحجة وعلى
(يا أيها الذين آمنوا) أركعوا
واستجدوا (في صلاتكم) وكان أول
ما أسلموا يصلون بل أركعوا واستجدوا
فأمر وأن تكون صلاتهم
بركوع واستجد وفيه دليل على
أن الأعمال ليست من الإيمان
وأن هذه السجدة للصلاة لا
للتلاوة (واعبدوا ربكم) واقتصدوا
بركوعكم واستجدوا وجه الله
لأنهم (وأفعلوا الخير) قيل لما
كان للذكر من يعلى غيره من
الطاعات دعا المؤمنين أولاً إلى
الصلاة التى هي ذكر خالص لقوله
تعالى وأقم الصلاة لذكري ثم إلى
العبادة بغير الصلاة كالصوم

من الملائكة) أى يختار من الملائكة (وسلا) جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
وغيرهم (ومن الناس) أى ويختار الله من الناس رسلا مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد
وغيرهم من الأنبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم أجمعين نزلت حين قال المشركون أنزل
عليه الذكر من بيننا فاختار الله تعالى أن الاختيار إليه يختار من يشاء من عباده لرسالته
(إن الله سميع) أى لا قوا لهم (بصير) أى لا فعلمهم لا يتحقق عليه خافية قوله تعالى (يعلم ما
بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا (وما خلفهم) أى ما خلفه وأوقيل يعلم ما عملوا وما هم
عالمون وقيل يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله قبل أن يتخلقه هو يعلم ما هو وكان بعد فناءهم
(والى الله ترجع الأمور) أى فى الآخرة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أركعوا واستجدوا
أى صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) أى وحدوه وقيل
أخلصوا له العبادة (وأفعلوا الخير) قال ابن عباس صلاة الأرحام ومكارم الأخلاق وقيل
فعل الخير يتقسم إلى خدمة المعبود الذى هو عبارة عن التعظيم لأم الله تعالى وإلى
الإحسان الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعرف والصدقة
وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر (اعلمكم تفهون) أى لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة
﴿فصل في حكم سجود التلاوة﴾ يختلَف العلماء فى السجدة الأولى من هذه السورة
واختلفوا فى السجدة الثالثة فروى عن عمرو بن عبد الله بن عباس وأبى
الدرداء وأبى موسى أنهم قالوا فى الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعى وأحمد
واسحق يدل عليه ما روى عن عتبة بن عمار قال قلت يا رسول الله فى الحج سجدتان قال
نعم ومن لم يسجد هما فلا يقرأهما أخرجه الترمذى وأبو داود وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ
سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال إن هذه السورة فصلت بسجدتين أخرجه مالك فى
الموطأ وذهب قوم إلى أن فى الحج سجدة واحدة وهى الأولى وليست هذه بسجدة وهو قول
الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة وسفيان الثوري وأبى حنيفة ومالك يدلل أنه
قرن السجود بالركوع فدل ذلك أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء فى عدة
سجود التلاوة فذهب الشافعى وأحمد وكثر أهل العلم إلى أنها أربع عشرة سجدة لكن
الشافعى قال فى الحج سجدتان واسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة فى الحج سجدة وأثبت
سبعة ص وبه قال أحمد فى إحدى الروايتين عنه فعنده أن السجودات خمس عشرة سجدة
وذهب قوم إلى أن الفصل ليس فيه سجود فروى ذلك عن أبى بن كعب وابن عباس وبه
قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن إحدى عشرة سجدة يدل عليه ما روى عن أبى
الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى القرآن إحدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود
وقال أسناده واهو دليل من قال فى القرآن خمس عشرة سجدة ما روى عن عمرو بن العاص
قال أقرأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن خمس عشرة سجدة معها ثلاث فى
الفصل وفى سورة الحج سجدتان أخرجه أبو داود وصح من حدث أبى هريرة رضى الله
عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقرأوا إذا السماء انشقت أخرجه مسلم

والحج وغيرهما ثم عم الحنف على سائر الخبرات وقيل أركعته صلاة الأرحام ومكارم
الأخلاق (اعلمكم تفهون) أى كي تفوزوا وأفعلوا هذا كله وأنتم راجون للعلاج غير مستيقنين ولا تشكوا على أعمالكم

(وجاهدوا) أربالغزو أو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر وهو ٣٩١ كحق عند أمير جائر (في الله) أي

في ذات الله ومن أجله (حق جهاده) وهو أن لا يخاف في الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم أي عالم حقا وجدًا ومنه حق جهاده وكان التماس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الأضافة تكون بأدنى ملاسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث أنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه ويجوز أن يرفع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سلما وعامرا (هو اجتباكم) اختاركم لدينه ونصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ضيق بل رخص لكم في جميع ما كفكم من الطهارة الصلاة والصوم والحج بالتميم وبالإيماء وبالقتل والأقطار لعدم السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة (ملة أبيكم إبراهيم) أي اتبعوا ملة أبيكم أو نصب على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم وسماه أبا وأن لم يكن أبا للامة كلها لأنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لامة لأن أمة الرسول في حكم أولاده قال عليه السلام إنما أنا لكم مثل الوالد (هو سماكم المسلمين) أي الله بدليل قسامة أي الله سماكم (من قبل) في الكتب المتقدمة (وفي هذا) أي في

وسجود التلاوة سنة للتقوى والسمع وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة هو واجب قوله عز وجل (وجاهدوا في الله حق جهاده) أي جاهدوا في سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استنزاع الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أنه قال لا تنصافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كمن يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وقيل معناه أعملوا الله حق عمله واعبدوه وحق عبادته قبل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا تكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره بلغوى بغير سند قيل أراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس (هو اجتباكم) أي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فأى رتبة أعلى من هذا وأي سعادة فوق هذا (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يتسلى بشئ من الذنوب الا جعل الله له منه مخرجا بعضه بالاتباع وبعضه بالإنذار والقصاص وبعضه بانواع الكفارات من الأراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه دفع الضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والأقطار وقت الحج إذا التمس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والأقطار في السفر والتميم عند عدم الماء أو كل المنة عند الضرورة والصلاة عند أو الأقطار مع العجز عن المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله لعباده قيل أعطى الله هذه الأمة تخليصا لم يعطها أحد غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس المخرج ما كان على بني اسرائيل من الاقتصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة (ملة أبيكم إبراهيم) لان جهادا خلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قامت لم يكن إبراهيم أبا للامة كلها فكيف سماه أبا في قوله ملة أبيكم إبراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو أبو المسلمين والمعنى ان جواب احترامه وحفظ حقه يجب كمن يجب احترام الأب فهو كقوله وازواجه أمهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم كالوالد في قوله (هو سماكم المسلمين من قبل) قولنا احدهما أن الكتابة ترجع الى الله تعالى يعني ان الله سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة من قبل نزول القرآن القول الثاني ان الكتابة واجبة الى إبراهيم يعني ان إبراهيم سماكم المسلمين في أيامه من قبل هذا الوقت وهو قوله وبنوا جعلنا مسلمين لأنهم من ذرئتنا أمة مسلمة لكناستجاب الله دعاءه فينا (وفي هذا) أي وفي القرآن سماكم المسلمين (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يعني يوم القيامة أن قد بلغكم (وسكونوا شهداء على الناس)

القرآن أي فصلكم على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أنه قد بلغكم رسالة ربكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم وابعادكم هذه البرامة والاثرة

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ آدَمَ وَالنَّبِيِّينَ الَّتِي آمَنُوا لَا تَجْعَلِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِلَّةَ بَيْتِكَ الْكَلْبَةِ أُولَئِكَ خِلَافَتُهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ مُبْدِعُ مَا يُشَاءُ) ﴿٣٩٢﴾ وَمَتَى لَوِ اتَّخَذَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ رِبًّا لَفُتِحَتْ سُبُلُ الْمَغْرِبِ وَلِإِسْمَاعِيلَ إِسْحَاقُ وَإِسْحَاقُ يَحْيَىٰ وَنُوحٌ شِدَادٌ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا صُرَاتُ السُّعْيَةِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٩٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ الَّذِي اسْتَوْصَاكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٩٤﴾ وَكَذَلِكَ نُنْزِلُ الْقُرْآنَ فِي اللَّيْلِ وَتَسْمَعُونَهُ وَأَنْقَضُوا النَّجْمَ ﴿٣٩٥﴾

في شهر رجب يوم القيامة على الامم ان يسلمهم فقبلتهم فاقبلوا الصلوة وآتوا الزكوة
واعتصموا بالله أي ثوابه وقيل عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سئلوا
ربكم ان يصممكم من كل ما يكره وقيل بعنه ادعوا ربكم ان ينبتكم على دينه وقيل
الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولا) أي وليكم وناصركم وحافظكم
(فقم المولى ونعم النصير) أي الناصر لكم والله تعالى اعلم

﴿سُورَةُ الْمُؤْمِنِينَ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ
مِائَةٌ وَثَمَانُ عَشْرَةَ آيَةً﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(قد أفلح المؤمنون) قد نقيضه
لما هي تثبت المتوهم والتنفه

وكان المؤمنون يتوقعون مثل
هذه الشهادة وهي الاخرى

يثبت الفلاح لهم في وطنهم وأما

الظفر بالمطالوب والنجاة من

وَنَجِّوْهُمْ مِّنْ هَٰذَا الضَّلَالِ

لغة التصديق والمؤمن المصدق
لغة وفي الشئ عكاً من نطق

بِالشَّهَادَتَيْنِ مَوَاطِنًا قَلْبَهُ لِسَانَهُ

فَهُوَ مُؤْمِنٌ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَقَالَ لَهَا تَكَلَّمِي

وَقَالَتْ قَدْ أَقْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ثَلَاثًا
نَا حَرَامَ عَلَيَّ كُلِّ نَحْوٍ لِمَرَأَةٍ لَانَهُ

الرِّياءُ أَبْطَلَ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةَ
وَلَمْ يَكُنْ لَهَا فِي دَقِيقَةِ الْوَقْتِ

هـ-م في ص-لوتهم خاشعون

تخافون بالغلب ساكنون
بالجوارح وقبيل الخشوح

والاعراض عما سواها وإن

لا يجاوز بصره مـ لا هو ان

ولا يفرق أصابعه ولا يقلب

المحصى ومحو ذلك وعن أبي الدرداء
 الصلاة إلى المصلين لا إلى المصلي

(تفسير سورة المؤمنین وهی مکية)

وهي مائة وثمان عشرة آية وألف وثمان مائة وأربعون كلمة

وأربعة آلاف ومثلثة حروف وحرفان

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يسبح عند وجهه دوى كدوى النخل فانزل الله عليه يومافكت ساعة ثم سرى عنه فقرا أقبل المؤمنون إلى عمر آيات من أولها وقال من أقام هذه العشر تأتتدخل الجنة ثم استقبل القبله ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وكرمنا ولا تهنا واغننا ولا تحرمنا وأثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذي قوله عز وجل (قد أفلق المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتحديد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال ابن عباس يخشون أذلا خاضعون وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرغبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الأولى فالخشوع في صلاته لا بد وأن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح فأما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فهنا هي الخشوع والتسديد للعبد ولا يلتفت الخاطري إلى شيء سوى ذلك التعظيم أو أأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكنا مطمئنا طارئا إلى موضع سجوده وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف عن أي ذرع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه وفي رواية اعرض عنه أخرجه أبو داود والنسائي وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره إلى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينبتن عن ذلك أو ليتخطفن أبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون

دل على ثبات ما توقعوه والفلاح

المرهوب أى فازوا بما طلبوا

لغة التصديق والمؤمن المصدق

اللغة وفي الشرع كل من نطق
بالشهادتين موافقاً لقوله لسانه

فَهُوَ مُؤْمِنٌ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَا إِشْرَاقَ لَمِنْهُ فَقَالَ لِمَ تَكُنَّ

وقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا

الرباء أبطل العبادات البدنية

وليس له عبادة مالية (الذين
هــم في صـلواتهم خاشعون)

خائفون بالقلب ساكنون

في الصلاة جمع المهمة لها

والاعراض عما سواها وإن
لا يحاوز بصره مصلاه وإن

لا يلتفت ولا يعيظ ولا يسدل
لا يفقه أصلا ولا يقا

الحصى وفخوذلك وعن أبي الدرد

السلام الى المصلين لا الى المصلين

المحصى وفرد الشؤن عن أبي الدرداء هو اخلاص المقال واعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام واضيفت (ومقوا
السلالة الى المنسلين الى ابي المصلح له لا تنافي المصلح بها وحده هي عذته وذخيرة واما المصلح لفعني عما

(والذين هم عن الغنم معرضون) اللغو كل كلام ساقط حقه ان ياتي كالكذب والشتم والفزل يعني ان لهم من الجسد ما شغلهم عن الفزل وما وصفهم بالخشوع في الصلاة تدبرها الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع فهم الفعل والترك الشاقين على الانفس الذين هم قاعد تائباء التكليف (والذين هم لازكوة قاعلون) مؤدون وتلفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرج منه الميزان من النصاب الى القنبر وعلى المعنى وهو فعل الميزان الذي هو التزكية وهو المراد هنا فجعل الميزان فاعلين له ٩٣ لان لفظ الفعل يعبر عن جميع الافعال كالشرب

والقتل ونحوهما اتقول للصارب والقائل والمزكي فعل الضرب والنيل والتزكية ويجوز ان يراد بالزكاة العين وقدر مضاف بمحذوف وهو الاداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعت اسم المفاعل في العمل فانك تقول هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد (والذين هم لفرجهم حافظون) الفرج يشمل سواء الرجل والمرأة (الاعلى أزواجهم) في موضع الحال أي الاولين على أزواجهم أو قومهم عليهم من قولك كان زبدا على البصرة أي واليها عليها واتمني انهم لفرجهم حافظون في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسريحهم أو تعلق على محذوف يدل عليه غير ملوم من كانه قبل بالامون الا على أزواجهم أي بلامون على كل مباشرة الاعلى ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه وقال الفراء الامن أزواجهم أي زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) أي اماتهم ولم يقل

رمقوا يا بصارهم الى مواضع المعتود وقيل الخشوع هو ان لا يعيث بشيء من جسده في الصلاة كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعيث بخصيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ذكره البغوي غير سند عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يمدح المصطفى فان الرحمة تقاها من جوارحه او داود الترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل ولم هو ولا يجمع من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفر بالشتم والسب (والذين هم لازكوة قاعلون) أي الزكاة الواجبة مؤدون فبعد عن التادية بالفعل لانها فعل وقيل الزكاة ههنا هي العمل الصالح والاول اولي (والذين هم لفرجهم حافظون) الفرج اسم لسواة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن المحرام (الا على أزواجهم) على معنى من (أو ما ملكت أيمانهم) يعني الاماء والجوارى والاية في الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز زهوان تستمتع بفرج مملوكها فانهم غير ملومين) يعني بعدم حفظ فرجه من امرأته وامته فانه لا يلام على ذلك وانما لا يلام فيما اذا كان على وجهه ان فيه الشرع دون الايمان في غير الثاني وفي حال الحيض والنفس فانه محظور فلا يجوز ومن فعله فانه ملوم (فن ابنتي وراء ذلك) أي التمس وطلب سوى الزوج والولا تدور الجوارى المملوكة (فاولئك هم العادون) أي القاطنون المحاورون المحمد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمتاع بالمحرام وهو قول اكثر العلماء سئل عطاء عنه فقال مكره ومعت ان قوما يحشرون ويأثمون حبالي فانهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعشون بعدا كبرهم قوله عز وجل (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أي حافظون صفة ظنون ما تسموا عليه والعقد التي عاهدوا الناس عليها بقومون بالوفاء بها والامانات تحتمل فيهما ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالاتاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التي أوجبه الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودائع والتمتع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به ايضا (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أي يداومون ويراعون أوقاتها واتمام أركانها وركوعها وسجودها

ه ن ث من لان المملوك جرى مجرى غير العلاء وهذا باع كاتبا العاهات فانهم غير ملومين أي لا لوم عليهم ان لم يحفظوا فرجهم عن نسائهم واماتهم (فن ابنتي وراء ذلك) طلب قضاء شهوة من غير هدى (فاولئك هم العادون) الحكماء في العدوان وفيه دليل بحرم التمتع والاستمتاع بالكف لارادة الشهوة (والذين هم لاماناتهم وعهدهم) لانهم متبركون وسهل سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدها ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وانما تؤدي العمون لا المعاني والمراد به العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعهدها ومن جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق (راعون) حافظون والمراد بالراعي القائم على الشيء يحفظه واصلاح كراعي الغنم (والذين هم على صلاتهم كوفي غير ابني بني) يداومون في أوقاتها واعادة ذكر الصلاة لانها أهم ولان الخشوع فيها غير الحفاضة عليها أولاها حدثت اولها فاد الخشوع في جنس الصلاة أية صلاة كانت وجمعت آخرها فاد الحفاضة على أنواعها من الفرائض والواجبات

والسنة والنوافل (أولئك) الجسد عن هذه الاوصاف (هم الوارثون) الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم
 اوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفار في الحديث ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات
 ودخل الجنة ورث أهل النار منزل وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله (الفردوس) هو البستان الواسع الجماع
 لاضفاف الثرى وقال قطرب هو أعلى الجنان (هم فيها خالدون) أنث الفردوس يتأويل الجنة (ولقد خلقنا الانسان) اى آدم
 (من سلالة) من اللابتداء والسلالة الخلاصة ٤٩٤ لانها تسلم من بين الكدور وقيل انما سمي القرب الذي خلق آدم منه

سلالة لانه تسلم من كل تربة
 (من طين) من اللين كقوله
 من الاوتان (ثم جعلناه) اى
 نسله خفف المضاف وأقيم
 المضاف اليه مقامه لان آدم
 عليه السلام يصر نقطة وهو
 كقوله وبد آخاقي الانسان من
 طين ثم جعل نسله من سلالة من
 ماء هين وقيل الانسان بنو آدم
 والسلالة النطفة والعرب سمي
 النطفة سلالة اى ولقد خلقنا
 الانسان من سلالة يعنى من
 نقطة مسلوقة من طين اى من
 مخلوق من طين وهو آدم عليه
 السلام (نطفة) ماء قليلا
 (في قرار) مستقر يعنى الرحم
 (مكين) حصين (ثم خلقنا
 النطفة) اى صيرناها بدلالة
 تعديه الى مفعولين والمخلاق
 يتعدى الى مفعول واحد
 (علقة) قطعة دم والمعنى احلنا
 النطفة اليضاء علقه خفراء
 (خلقنا العلقه مضغة) كما قدر
 ما مضغ (خلقنا المضغة عظاما)
 فصيرناها عظاما (فكبرونا
 العظام عظاما) فأنشأنا عليها
 اللحم فصارت لها كالاس عظاما

وساثر شرطها فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخر اقلت همما ذكران مختلفان
 فلم يس تكرار اوصفهم أولا بالخشوع في الصلاة وآخر بالحافظة عليها قوله عز وجل
 (أولئك) يعنى أهل هذه الصفة (هم الوارثون) يعنى يرثون منازل أهل النار من الجنة
 يعنى أى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان
 منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله
 تعالى أولئك هم الوارثون ذكره البغوى بغير سند وقيل معنى الوارثة هو ان يؤل أمرهم
 الى الجنة وينالوها كما يؤل أمر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) هو أعلى الجنة
 عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة ما بين
 كل درجة ودرجة كابين السماء والارض والفردوس أعلىها درجة ومنها تقبر انهار الجنة
 الاربعه ومن فوقها يكون العرش فاذا سألت الله فاسأله الفردوس اخر حبه القرمذى
 (هم فيها خالدون) اى لا يخرجون منها ولا يموتون قوله عز وجل (ولقد خلقنا
 الانسان) يعنى ولد آدم لأن الانسان اسم جنس (من سلالة من طين) قال ابن عباس
 السلالة الصفة والماء وقيل هى المني لان النطفة تسلم من الظهور من طين يعنى طين آدم
 لان السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله من
 سلالة اى سل من كل تربة (ثم جعلناه نطفة) يعنى الذى هو الانسان جعلناه نطفة (في
 قرار مكين) اى حزين وهو الرحم وسمى مكينا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة (ثم
 خلقنا النطفة علقه) اى صيرنا النطفة قطعة دم جامدة (خلقنا العلقه مضغة) اى
 جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة (خلقنا المضغة عظاما فكبرونا العظام عظاما) وذلك لان
 اللحم يستمر العظم فجعله كالسكة لقليل ان بين كل خلق وخلق أربعين يوما (ثم أنشأناه
 خلقا آخر) اى مابنا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا
 بعدما كان جادا واناطا بعدما كان أبك وسعيما وكان اصم وبصيرا وكان كنه وأودع
 باطنه وظاهره دعائب صنعته وغرائب فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصرف احوا
 له بعد الولادة من الاستئلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشى الى القطام الى ان
 ياكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم يتقلب في البلادى ما بعدهما (فتبارك الله) اى استحق
 التعظيم والشئنا به لم يزل ولا يزال (أحسن الخالقين) اى المصورين والمقدرين فان قلت

العلم شامى وأبو بكر عظاما العظام زبد عن يعقوب عظاما العظم عن اى زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم
 اللبس اذا الانسان ذو عظام كثيرة (ثم أنشأناه) الضمير يعود الى الانسان أو الى المذكر (خلقنا آخر) اى خلقنا مابنا للخلق
 الاول حيث جعله حيوانا وكان جادا واناطا وسعيما وبصيرا وكان بضد هذه الصفات ولهذا قلنا اذا غضب يبضة فافرح
 عنده يضمن البضة ولا يراد الفرس لانه خلق آخر سوى البضة (فتبارك الله) تعالى أمره في قدرته وعامه (أحسن) بدل او خير
 مبتدا محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان اضيف لان المضاف اليه عوض من من (المخالقين) المقدرين أى أحسن المقدرين
 تقدير افترق ذكر الكرميز لانه لا لخالقين عليه وقيل ان عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب للنبي عليه السلام

كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى الله خالق كل شيء وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الابداع والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر

ولانت تفرى ما خلقت وبعد - ض القوم يخلق ثم لا يفري

معناه انت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله احسن المقدرين وجواب آخر هو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فقال قبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك اى بعد ما ذكرتم تمام الخلق (الميتون) اى عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) اى الى الحساب والجزاء قوله عز وجل (ولقد خلقنا نفوسكم سبع طرائق) اى سبع سموات طرائق لان بعضنا فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة فى الصعود والهبوط (وما كنا عن الخلق غافلين) اى بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السماء عليهم فتملكهم وقيل معناه ينمنا فوقهم - عاء اطلنا فيها الشمس والقمر والديكوا كب وقيل ما تر كنا هم سدى بغير امر ونهى وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين اى عن اعمالهم واقوالهم وخصائيرهم لا تخفى علينا خافية (وازلنا من السماء ماء بقدر) اى علمه الله من حاجتهم اليه وقيل بقدر ما يكفون لما يشتم فى الزرع والغرس والشرب وانواع المنفعة (فاسكناه فى الارض) يعنى ما بين فى الغدران والمستنقعات ما يتقرب به الناس فى الصيف عند انقطاع المطر وقيل اسكناه فى الارض ثم اخرجناه منها يابسا يعنى كالغليون والابار فكل ماء فى الارض من السماء (وانا على ذهاب به لقادرون) وضع من حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعان وجبران والفرات والنيل كل من انهار الجنة اخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل انزل من الجنة خمسة انهار سيجون وجيعون ودجلة والفرات والنيل انزلها الله عز وجل من عين واحدة من عين الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل استودعها الجبال واخرها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وايزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض فاذا كان عند خروجه يابسا وجع وما جوج ارسل الله عز وجل جبريل ففرغ من الارض القرآن والعلم كله والخبر الاسود من ركن البيت ومنام ابراهيم وتابوت موسى بحافيه وهذه الانهار الخمسة فغير كل ذاك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهابه لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد اهلها خير الدين والدينار وروى هذا الحديث البغوى فى تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان ابن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندراني عن مسلمة بن على عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ثم ذكر ما اُفئذ بالماء فقال تعالى (فانزلنا لكم به اى بالماء جنات) اى بساتين (من نخيل واعناب) انما افردهما بالذكر

محمد بن ابي يحيى اليه فانا بنى يحيى الى فاريد ولحق بك ثم اسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارتدادها كان بالمدينة وهذه السورة مكية وقيل القائل عرا ومعاذ رضى الله عنهما ثم انكم بعد ذلك بعد ما ذكرنا من امركم (الميتون) عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) تخيرون للجزاء (واقد خلقنا نفوسكم سبع طرائق) جمع طريقة وهى السموات لانها طرق الملائكة ومن قبلها هم (وما كنا عن الخلق غافلين) اراد بالخلق السموات كانه قال خلقنا سموات فوكم وما كنا غافلين عن حفظها او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وما يصح لهم (وازلنا من السماء ماء) مطرا (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المصرة ويصلون الى المنفعة او يستدوا ما علمنا من حاجتهم (فاسكناه فى الارض) كنهه وله فسلكه يسايع فى الارض وقيل جعلناه ثابتا فى الارض فساء الارض كله من السماء ثم استادى شكرهم بقوله (وانا على ذهاب به لقادرون) اى كم قدرنا على انزاله نقدر على اذهابه فبعدوا هذه النعمة بالشكر (فانزلنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل واعناب

لكم فيها) في الجنات. (فوا كه كثيرة) سوى النخيل والاعناب (ومنها ما تكون) أي من الجنات أي من ثمارها ويجوز أن هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يجترعها ومن صنعة يغفلها أي أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كنه قال وهذه الجنات وجودها رزاقكم ومعاشكم منها ترزقون وتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وهي شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) طور سيناء وطور سينين لا يخلاو ما ان يضاف الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون وما ان يكون اسما لل جبل م كما من مضاف ومضاف اليه كأم القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازي وأبي عمرو ولا تعريف والجملة أو مفعولها ٣٩٦ كقراءة غيرهم لأن الألف للثاني ككراع (تنبت بالدهن) قال الزجاج

البا لآل حال أي تنبت ومعهها الدهن تنبت مكى وأبو عمرو وما لأن أنبت بمعنى نبت كقوله حتى إذا أنبت البقل أولان مفعوله محذوف أي تنبت زيتها وفيه الدهن (وصبح لآل كين) أي ادام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى في هذه اداما ودنها فالادام الزيتون والدهن الزيت وقيل هي أول شجرة نبت بعد الطوفان وخص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم النجور وأفضلها واجمعها للمنافع (وان لكم في الانعام) جيع نعم وهي الابل والبقر والغنم (عبدة سقيم) و يفتح النون شامى ونافع وأبو بكر وسقى واسقى لغتان (عما في بطونها) أي تخرج لكم من بطونها لبنا سائغا (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الابلان وهي منافع الاصواف والاوبار والاشعار (ومنها ناكور) أي نجومها (وعليها) وعلى الانعام في البر (وعلى الفلك) في البحر (تجملون)

في أسفاركم وهذا يشير إلى أن المراد بالانعام الابل لانها هي المحمول عليها في العادة فلذا قرنها بالهات التي هي اله السفائن لانها سفائن البر قال ذوالرمة * سفينه بر تحت خدي زمها * بر يدنا قته * ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحده (مالكم من اله) معبود (غيره) بالرفع على النحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف مجرى التعليل للامر بالمعادة (أفلا تتقون) أفلا تتقون عقوبة الله الذي هو ربكم وخاله * كم اذا عبدتم غيره * مالمس من استعاقق العبادة في شئ (فقال الملائكة) كفروا من قومه) أي اشرافهم لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم) يا كل ويشرب (بريد أن يتفضل عليكم) أي يطلب الفضل عليكم ويترأس (ولولا الله) ارسال ووسول (لانزل ملائكة) لارسل ملائكة (ما معنابهاذا)

أى بارسال بشر رسولا أو بما أمر به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منهم أنهم رضوا بالالهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة
 للبشر (في آياتنا الأولى ان هو الا رجل به حنة) جنون (فترصوا به حتى حين) فأنتم رواوا صبروا عليه الى زمان حتى يغلب
 أمره فان أفاق من جنونه والانتبهوه (قال رب انصر في ما كذبون) فلما أيسر من إيمانهم دعا الله بالاستغاث منهم والمعنى أهلكم
 بسبب تكذيبهم أى اذنى نصرته أهلا هم وانصر فى بدل ما كذبون كقولك هذا الذى يدل ذلك والمعنى أبديت من غم
 تكذيبهم سلوة النصر عليهم (فأوحينا اليه) أى أوحينا دعاءه فأوحينا اليه (أن اصنع الفلك بأعيننا) أى تصنعهم أنت وأنتى
 بحفظ الله لا شؤ و ريشه يالك أو بحفظنا ولا عنتنا كأن معك من الله حفاظا يكاؤنك بعيونهم للآلة تعرض لك ولا يفسد
 علمك مفسد علمك ومنه قوله عليه من الله عين كالتة (ووحينا) أمرنا وتعلمنا بالآلة مستعجلا روى انه أوحى اليه ان يصنعها
 على مثال جوجوا الطائر (فأجاء أمرنا) أى عذرا بنا بأمرنا (وقال التنور) ٣٩٧ أى فارالماء من تنور الخبز أى أخرجه سبب

العرق من موضع الحرق ليكون
 أبلغ في الانذار والاعتبار روى
 انه قيل لنوح اذارأيت الماء
 يغور من التنور فاركب أنت
 ومن معك في السفينة فلما ذبح
 الماء من التنور أخبرته أمر أنه
 فركب وكان تنور آدم فصار
 الى نوح وكان من ججارة واختلاف
 في مكانه فقيل في مسجد الكوفة
 وقيل بالشام وقيل بالهند
 (فاسلك فيها) فأدخل في
 السفينة (من كل زوجين) من
 كل امة زوجين وهما امة الذكر
 وامة الانثى كالجمل والنوق
 والحصن والرمك (اثنتين)
 واحد من زوجين كالجمل
 والناقصة والحصان والرمكة
 روى انه لم يحمل الا ما يلد
 ويبيض من كل حصص والمفضل

اليسفوح (في آياتنا الأولى ان هو الا رجل به حنة) أى جنون (فترصوا به حتى حين)
 أى الى الموت فتستريحوا منه (قال رب انصر في ما كذبون) أى أعز باهلا هم تكذيبهم
 أبى (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) أى جبرأى منا قاله ابن عباس وقيل
 بعلمنا وحفظنا لئلا تعرض له أحد ولا يفسد عليه علمه (ووحينا) قيل ان جبريل
 عليه عمل السفينة ووصف له كيفية الخياضها (فأجاء أمرنا) أى عذابنا (وقال التنور)
 قيل هو التنور الذى يجفف فيه وكان من ججارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك
 اذارأيت الماء يغور من التنور (فاسلك فيها) أى فأدخل في السفينة (من كل زوجين
 اثنتين) أى من كل حيوان ذكر وأنثى (وأهلك) أى وسائر من آمن بك (الامن سبق
 عليه القول) أى وجب عليه العذاب (منهم) يعنى الكفار وقيل أراد بآله أهل بيته
 خاصة والذى سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان (ولأخطا طين في الذين ظلموا انهم
 معرّقون) قوله عز وجل (فاذا استويت) أى اعتدلت (أنت ومن معك على الفلك)
 أى فى السفينة (فقل الحمد لله الذى تخافنا من القوم الظالمين) أى الكافرين (وقل رب
 أنزلنى منزلا مباركا) قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركب وقيل هو وجه
 الارض بعد الخروج من السفينة وأراد بالبركة النجاة من العرق وكثرة النسل بعد
 النجاة (وأنت خير المتزلين) معناه انه قد يكون الانزال من غير الله كما يكون من الله
 فحسن ان يقول وأنت خير المتزلين لانه يحفظ من أنزله ويكاؤه في سائر أحواله ويدفع
 عنه المكروه بخلاف منزل الضيف فانه لا يتقدر على ذلك (ان فى ذلك) أى الذى ذكر من
 أمر نوح والسفينة واهلاك أعداءه (آيات) أى دلالات على قدرتنا (وان كنا) أى

أى من كل امة زوجين اثنتين وأنيننا كيدوزيادة بيان (وأهلك) ونساءك وأولادك (الامن سبق عليه القول)
 من الله باهلا كه وهو انه واحد زوجته حتى يعلى مع سبق الضار كما حى بالام مع سبق النافع في قوله ولقد سدست كتبتنا
 لعبادنا المرسلين ونحوها لما كسبت وعلمها ما كسبت (منهم ولأخطا طين في الذين ظلموا انهم معرّقون) ولا تأسى نجات
 الذين كفروا فافى آخرهم (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) فاذا اعتدلت عليهما ركبنا (فقل الحمد لله الذى تخافنا
 من القوم الظالمين) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت أنت ومن معك معنى اذا
 استويت لانه تديمهم وامامهم فكان قوله قولهم معافيه من الاشعار بفضل النبوة (وقل حين ركب على السفينة اوحين
 خرجت منها (رب أنزلنى منزلا) أى انزل او موضع انزال منزلا بوبكر أى مكانا مباركا وأنت خير المتزلين) والبركة فى السفينة
 النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات (ان فى ذلك) فيما فعل نوح وقومه (آيات) لعبر او مواظ
 (وان) هى المحفة من المثقلة واللام هى الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشان والقصة

(كُتِبَ الْمُبْتَلِينَ) مُضِيِّينَ قَوْمٌ نَحِيحٌ بِلَاءٍ عَظِيمٍ وَعِقَابٍ شَدِيدٍ وَخِطْبَةٍ بِهَذِهِ الْآيَاتِ عِبَادًا لِلنَّظَرِ مِنْ بَعْتِهِمْ يُوْذِ كَرُكُ قَوْلِهِ تَعَالَى
وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَذْكُرٍ (ثُمَّ أَنْشَأْنَا) خَلَقْنَا (مِنْ بَعْدِهِمْ) مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ (قَرْنَا) أَخْرَجْنَا (هُمْ) عَادٌ قَوْمٌ هُودٌ وَشُعْلُبَةٌ
قَوْلُ هُودٍ وَادَّكَرُوا وَانْجَعَلُوا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَجِيءَ قِصَّةُ هُودٍ عَلَى آثَرِ قِصَّةِ نُوحٍ فِي الْأَعْرَافِ وَهُوَ دَالٌّ عَلَى عَرَاءِ (فَأَرْسَلْنَا
قِيَمًا) الْأَرْسَالَ بَعْدِي بَابِي وَلِيُعَذِّبَ هُنَا فِي قَوْلِهِ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا فِي أُمَمَةٍ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ وَلَكِنْ الْأُمَمَ وَالْقَرْيَةَ جَعَلَتْ
مَوْضِعًا لِلْأَرْسَالِ كَقَوْلِ رَبِّهِ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ عَلَيْهَا أَصْحَابُ الْأَقْبَامِ (رُسُلًا) هُودٌ مِنْهُمْ (مَنْ) قَوْمُهُمْ (أَنْ) أَعْبَدُوا اللَّهَ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ
الْغَيْبِ (فَلَا تَتَّقُونَ) أَنْ مَفْسِرٌ لَا أَرْسَلْنَا أَيْ قَلْبًا لَمْ يَكُنْ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ أَعْبَدُوا اللَّهَ (وَقَالَ الْمَلَأُ) قَوْمُهُ (ذُرِّيَّةُ الْقَوْمِ
هُودٌ فِي جَوَابِهِ فِي الْأَعْرَافِ وَهُوَ دَعَاؤُهُ أَوْلَانَهُ عَلَى تَقْدِيرِ سِرِّ السَّأْلِ قَالَ خَالٍ قَالَ قَوْمُهُ فَقِيلَ لَهُ قَالُوا كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَهَهُمَا مَعَ
أَوْلَانِهِ عَصَفَ لِمَا قَالُوهُ عَلَى مَا قَالَهُ الرَّسُولُ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ اجْتَمَعَ فِي الْحَدِيثِ هَذَا الْحَقُّ وَهَذَا الْبَاطِلُ وَلَيْسَ بِجَوَابٍ لِلْبَنِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَسَلُّ بِكَلَامِهِ وَلَمْ يَكُنْ بِالْقَاءِ ٣٩٨ وَجِيءَ بِالْقَاءِ فِي قِصَّةِ نُوحٍ لِأَنَّهُ جَوَابٌ لِقَوْلِهِ وَاقِعَ قِصَّةِهِ (الَّذِينَ كَفَرُوا)

وما كنا (المبتلين) أي الاختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظته وتذكيره للنظر ما هم عاينون
قبل نزول العذاب بهم - قوله تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم) أي من بعدهم إياهم (قارنا)
آخرين يعني عادا (فأرسلنا قياهم رسولا منهم) يعني هودا قاله أكثر المفسرين وقيل
القرن هود والرسل صالح والاول أصح (ان اعبدوا الله ما لم يكن من الغيبه فلا تتقون)
أي هذه الطريقة التي أتت عليها مخالفة العذاب (وقال الملأ من قومه الذين كفروا كذبوا
بآلاء الآخرة) أي بالمسير إليها (واترقناهم) أي نعلمناهم ووسعنا عليهم (في الحيوة
الدنيا ما هذا) البشر مثلكم يا كل عاتيا تكون منه وشرب عاتر بون) أي من
مشر بكم (ولئن اطعتم بشرنا بكم انكم اذا تخسرون) أي المغبونون (أيعدكم انكم
اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم تخرجون) أي من قبوركم أحياء (هيئات هيئات) قال
ابن عباس أي بعيد بعيد (لم توعدون) استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغتالاهم
لأنهم كذبوا أمرهم وقدرة الله على إيجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون أبدا
(ان هي الاحياء انما الدنيا غيوت ونحيا) قبل معناه غيوت لغوتهم كانوا ينكرون البعث
وقيل غوت الآباء ويحيى الأبناء وقيل معناه يموت قوم ويحيى قوم (وما نحن بمبعوثين)
أي بعد الموت (ان هو) يعنون رسولهم (الارجل افترى على الله كذبا وما نحن له
بمؤمنين) أي بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب انصربنما كذبون قال عما قيل)

صفة للآل اول قومه (وكذبوا بآلاء
الآخرة) أي بآلاء ما فيهم من
الحساب والثواب والعقاب
وغير ذلك (واترقناهم) ونعلمناهم
(في الحيوة الدنيا) بكثرة
الاموال والاولاد (ما هذا) أي
النبي (الابشر مثلكم يا كل عاتيا
تكون منه وشرب عاتر بون) أي
تشر بون) أي منه خذف
للدلالة ما قبله - عليه أي من أين
يعدى رسالة الله من بينكم وهو
مثلكم (ولئن اطعتم بشرنا
مثلكم) ان فجا بامركم به
و ينها كمنه (انكم اذا) واقع
في جزاء الشرط وجواب للذين
قالوهم من قومه (تخسرون)
بالانقياس لئلا تملك من جهةهم

أنهم ابوا اتباع مثله وعبدوا غيرهم (أيعدكم انكم اذا متم) بالسكر نافع وجزع وعلى وحفص وغيرهم
بالضم (وكنتم ترابا وعظاما) حكم خسر جوعن ومبعوثون للآل والحساب والثواب وثني أنكم لتأ كيد وحسن ذلك
للفصل بين الأول والثاني بالظرف وخروج خبر عن الأول والتقدير أيعدكم انكم تخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظاما (هيئات
هيئات) وبكسر التاء يزيد ور وي عتسه بالكسر والتثوين فيها والكسائي يفت بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للعلل واقع
موقع بعد فعلها مضارع أي بعد التصديق والوقوف (لما توعدون) من العذاب أو فعلها ما توعدون واللام زائدة أي بعد
ما توعدون من البعث (ان هي) هذا ضمير لا يعلم ما يعني به إلا عايناه من بيانه وأصله ان الحياة (الاحياء انما الدنيا)
هي وضع الحياة لان الخمر يدل عليها ويبدأ بالوعي لحياتهم الا هذه الحياة التي نحن فيها وندت منا وهذا لان ان النافقة
دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس ففقتها فوازنت لا التي لفتي الجنس (غوت ونحيا) أي يموت بعض ويولد
بعض ينقرض قرن فيأتي قرن آخر وفيه تقديم وتأخير أي نحيا وغوت أي ما هو الا مقرر على الله فيما يدعيه من استبداد له وفيما يدعيه من
البعث (وما نحن بمبعوثين) بمصدقين (قال رب انصربنما كذبون) فاجاب الله دعاء الرسول بقوله (قال عما قيل)

قابل صلة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريته ومازائدة أو بمعنى شيء أزهر
وقليل بدل منها وجواب القسم المحذوف (أي يصح نادمين) إذا عاينوا ما يحل بهم (فأخذتهم الصيحة) أي صيحة جبريل صاح
عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله يقال فلان يقضى بالحق أي بالعدل (لجعلناهم غناء) شههم في دماؤهم بالغناء وهو
جليل السيل مما يلي وأسود من الورق والعدان (فبعدا) فهلا كما يقال بعد بعدا أو بعدا أي هلك وهو من المصادر المنصوبة
بافعال لاستعمل أظهارها (للقوم الظالمين) بيان لمن دعي عليه بالبدخوشية تلك (ثم أنشأ ثامن بعدهم قرونا آخرين)
قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ما سبق من أمة) من صفة أي ٣٩٩ ما سبق أمة (أجلها) المكتوب لها الوقت الذي

حدها لها أو كتب (وما يستأخرون)
لا يتأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلنا
تتري) فعلى والاف للثأنت
كسرى لان الرسل جماعه ولذا
لا يثبون لانه غير منصرجه
تتري بالتثوين مكى وأوعسرو
ويريد على ان الاف للالحاق
كارطى وهو نصب على الحان
في القرأتين أي متابعين
واحد بعد واحد وتأوهافهما
بدل من الواو والاصل وتري
من الوتر وهو الفرد فقلت الواو
تاء كثرات (كأما أمة رسولا
كذبوه) الرسول بلائس المرسل
والمرسل اليه والاضافة تكون
بالايسة فصيح اضافته اليهما
(فاتبعتنا) الأعم والقرون
(بعضهم بعضا) في الأهل
(وجعلناهم أحاديث) أخبارا
يسمع بها ويتعجب منها
والأحاديث تكون اسم جمع

ليصحن (أي يصبرن نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فأخذتهم الصيحة بالحق) يعني
صيحة العذاب وقيل صاحبهم جبريل فصعدت قلوبهم وقيل أراد بها الصيحة الهللك
(لجعلناهم غناء) وهو ما يحمله السيل من حشش وعيدان وشجيرة المعنى صبرناهم هلكي
قيسوا بيس الغناء من نبات الارض (فبعدا) أي الزمان بعد ان الرحمة (للقوم
الظالمين) قوله عز وجل (ثم أنشأ ثامن بعدهم قرونا آخرين) أي قواما آخرين (ما سبق
من أمة أجلها) أي وقت هلاكها (وما يستأخرون) أي عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا
رسلنا تتري) أي مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمنا
طويلا (كأما أمة رسولا كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا) أي بالهلاك فاهلكننا بعضهم
في اثر بعض (وجعلناهم أحاديث) أي سمروا قصصا يتحدثون بعدها بامرهم وشأنهم
(فبعدا القوم لا يؤمنون) قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بأياتنا وسلطان
مبين) أي بحجة بيينة كالعصا واليدوع غيرهما (إلى فرعون وملئه فاستكبروا) أي
تفكروا عن الإيمان (وكانوا قوما عالين) أي متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا
بعضي فرعون وقومه) (أنؤمن لبشرين مثلنا) يعقون موسى وهرون (وقومهم مثلنا
عابدون) أي مطيعون مثل لول (فكذبوه فأكفوا من المملكين) أي بالعرق (ولقد
آتيناهم موسى الكتاب) يعني التوراة (لعلهم يهتدون) أي لكي يهتدي به قومهم قوله
عز وجل (وجعلنا ابن مريم وصيه) (أي آية دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذر
وأقطع في المهد فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا شأنهما آية لان عيسى
ولدمن غير ذر وكذلك مريم ولدت من غير ذر فاشتر كافي هذه الآية فكانت آية واحدة
(وآتيناهم إله ربوة) أي مكان مرتفع قيل هي دمشق وقيل هي الرملة وقيل أرض
فلسطين وقال ابن عباس هي بيت المقدس قال كعب بن المقدس أقرب الأرض إلى

الحديث ومنه أطا ديث النبي عليه الصلاة والسلام وتكون جمع اللاحد وثقوهما يتحدث به الناس تلهيا وتعبها وهو المراد
هنا (فبعدا القوم لا يؤمنون) ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون (بدل من أخاه) (بأياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (إلى
فرعون وملئه فاستكبروا) استعوا عن قبول الإيمان ترفعوا وتكبرا (وكانوا قوما عالين) متكبرين منفرعين (فقالوا أنؤمن
لبشرين مثلنا) البشر يكون واحد أو جمعا ومثل وغير بوصفهم - ما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث (وقومهم) أي
بنو إسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان لآلهة وعابده عند العرب (فكذبوهما فأكفوا من المملكين)
بالعرق (ولقد آتيناهم موسى) (الكتاب) التوراة (لعلهم يهتدون) يعملون بشرايعها ومواعظها (وجعلنا
ابن مريم وصيه) آية أتت على قدرتنا على ما شاء لانه خلق من غير نطفة وخلق الانجوبة فيها واحد أو المراد جعلنا ابن مريم
آية وقومه آية تخفف الأولى لدلالة الثانية عليها (وآتيناهم) جعلنا ما وهما أي تلهيا (إلى ربوة) شأخ وعاصم ربوة غيرهما
أي أرض مرتفعة وهي بيت المقدس ودمشق أو الرملة أو مصر

(ذات قرار) مستقر من أرض مستوية منسطة أو ذات مشاروماء يعني انه لاجل التماسسة رفها ساكنوها (ومعين) وماه ظاهر جار على وجه الارض أو انه مقبول أى مدرك بالعين ظهوره من علته اذا أدركه بعينه أو فعمل لانه نقاع ظهوره ووجهه من الماء وهو المنفعة (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب لى اعالى ظاهر دما لانهم أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة واتى المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه تودى بذلك وصى به ليعتقد السامع ان أمر تودى له جميع الرسل ووصوا به حتى أن يؤخذ به ويعمل عليه أو هو خطاب لحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقبالة مقام السك في زمانه وكان يأكل من الغنائم أو يعصى عليه السلام لاتصال الايتى ذكره وكان يأكل من غزل أمه وهو اطيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل والامر لا تكليف ٤٠٠ أو ما يستطاب ويستلذ والامر للترفيه والاباحة (واعملوا صالحا) موافقا

للسريعة (انى بما تعملون عليم) فاحذركم على اعمالكم (وان هذه) كوفى على الاستثاف وأن حجازى وبصرى بمعنى ولا أنى فأتقون لان هذه ام معطوف على ما قبله اى بما تعملون عليم وبان هذه او تقدروا واعلموا أن هذا ما تمكم اى ملتكم وشريعتكم التى اتم عليها (امة واحدة) ملة واحدة وهى شريعة الاسلام واتصاف امة على الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام (وانار بكم) وحصى (فاتقون) تحفظوا وعاشى فى مخالفةكم امرى (فقطعوا امرهم بينهم) قطع معنى قطع اى قطعوا امر دينهم (ز برا) جميع زبرواى كتب مختلفة بمعنى جعلوا دينهم اديانا وقيل تفرقوا فى دينهم فكل فرقة تتخذ كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله

السما، بفتح ثمة عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب الاء انها فرت بابها اليها وقوله (ذات قرار) أى منسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) هو الماء الجارى الذى تراه العيون قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قيل أراد بالرسول محمد أصلى الله عليه وسلم وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال (واعملوا صالحا) أى استقيموا على ما يوجبها الشرع (انى بما تعملون عليم) فيه تحذير من مخالفة ما أمرهم به وإذا كان الرسل مع علوشأنهم كذلك فلا ينكون تحذير الغيرهم أولى لساوى عن أى هر بران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقنا ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء راب يارب ومطعمه حرام ومشربهم حرام وملسهم حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك أتخرجهم مسلم قوله عز وجل (وان هذه أمتكم) أى ملتكم وشريعتكم التى اتم عليها (امة واحدة) أى ملة واحدة وهى الاسلام (وانار بكم) أى فاحذرون وقيل معناه أمر تكلم بما أمرت به المرسلين قبلكم فامركم واحدا وانار بكم فاتقون (فقطعوا) أى تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة (امرهم) أى دينهم (بينهم) بينهم زبرا) أى فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبراى كتبوا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فامنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل حزب بما لديهم فرحون) أى مسرورون متعجبون بما عندهم من الدين (فذرهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فى غرهم) قال ابن عباس فى كفرهم وضلالهم وقبل فى عمايتهم وغفلتهم (حتى حين) أى الى ان يموتوا (انحسبون) أنفسهم بهم من مال وبنين) أى انما يعطون ويتجملهم ممدان المال والبنين فى الدنيا (نصارى لهم فى الخيرات) أى يغفلهم ذلك فى الخيرات وتقدمه ما

قطعوا حروفه وقرئ زبرا جمع زبر أى قطعا (كل حزب) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين لاعمالهم المتطعين دينهم (عالمهم) من الكتاب والدين أو من الهوى والرأى (فرحون) مسرورون معتقدون انهم على الحق (فذرهم فى غرهم) جهالتهم وغفلتهم (حتى حين) أى الى ان يقتلوا أو يموتوا (انحسبون) أنفسهم بهم من مال وبنين) أى معنى الذى وخران (نصارى لهم فى الخيرات) والعائد من خبر ان الى اسمها مخذوف أى نصارى لهم به والمعنى ان هذا الامداد ليس الاستد والجاهل الى المعاصى وهم يحسدونه مسارعهم فى الخيرات ومعاجلة ثواب جزاء على حسن صنعهم وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسألة الاصلح لانهم يقولون ان الله لا يفعل باحد من الخلق الا ما هو الاصلح له فى الدين وقد أخبر ان ذلك ليس بخير لهم فى الدين ولا اصلح

(بل لا يشعرون) بل استندراك لقوله أبحسبون أى أنهم أشبهوا الباطل لاشعور لهم حتى يتأملوا في ذلك أنه استندراج أو مسارعة في الخبر ثم بين ذكر أولئك فقال (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى يكتب الله كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب (والذين هم برهم لا يشعرون) كشركى العرب (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا ٤٠١

فأثابوا بالقصر أى يعطون ما أعطوا (وقلوبهم وحلة) خائفة ان لا تقبل منهم لتقصيرهم (أنهم الى ربهم راجعون) الجهم ورجل الى التقدير لا تسهم وخبر ان الذين (أو تلك يسارعون في الخيرات) يرغبون في الطاعات فيسارعونها (وهم لمسابقون) أى لاجل الخيرات سابقون الى الجنات اولاجلها سيقوا الناس (ولا تكلف نفسا الا وسعها) أى طاقتهايغني ان الذى وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقه وكذلك كل ما كلفه عباده وهو ردد على من جوز تكليفه لا يطاق (ولدينا كتاب) أى اللوح أوصف الاعمال (ينطق بالحق وهم لا يظلمون) لا يقرؤون منه يوم القامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد من يادع عقاب أو نقصان أو ابستكليف مالا وسع له (بل قلوبهم في غمره من هذا) بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها عما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين

لا عمل لهم صانعهم (بل لا يشعرون) أى ان ذلك استندراج لهم ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون والمعنى ان المؤمنين بما لهم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصري المؤمن جمع احسانا وخشية والمنساق جمع اساءة وأمانا (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى يصدقون (والذين هم برهم لا يشعرون) أى يعطون ما آتوا (أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا من أعمال البر) وقلوبهم وحلة أى خائفة ان ذلك لا يخيمهم من عذاب الله وان أعمالهم لا تقبل منهم (أنهم الى ربهم راجعون) أى أنهم يوقنون أنهم الى الله صائرون قال الحسن هملوا الله بالطاقات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وحلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يابن الصدق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويتخافون ان لا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات أخرجه الترمذى وقوله (أو تلك يسارعون في الخيرات) أى يبادرون الى الاعمال الصالحة (وهم لمسابقون) أى البها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات قوله عز وجل (ولا تكلف نفسا الا وسعها) أى طاقتهان الاعمال فن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليطز وليقض (ولدينا كتاب) هو اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) أى بين الصدق والمعنى قد انبثنا على كل عامل في اللوح المحفوظ فهو ينطق به وبينه وقيل هو كتاب أعمال العباد التي تكتبها المحفظة (وهم لا يظلمون) أى لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم في غمره) أى غفلة وجهالة (من هذا) أى القرآن (ولهم اعمال) أى الكفار اعمال خبيثة من المعاصي والخطايا بحكومة عليهم (من دون ذلك) يعنى من دون اعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (هم) يعنى الكفار (لها) أى لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) أى لا بد لهم من ان يعملوها فيدخلوها النار لما سبق لهم في الاول من الشقاوة حتى اذا أخذنا متفرجين (أى رؤساءهم واغنياءهم) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشد دو طألك على مضرو واجعلهم اعلهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقطيع حتى أكلوا الكلاب والجيف (اذا هم يجارون) أى يصيحون ويسبغون ويتعجبون ويجزعون (لتجاروا

٤٠٢ (ولهم اعمال من دون ذلك) أى ولهم اعمال خبيثة متجاوزة مقتضى ذلك أى لما وصف به المؤمنون (هم لمعاملون) وعلماهم يعمون لا يقطعون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حتى اذا أخذنا متفرجين) متفرجين (بالعذاب) عذاب الدنيا وهو اللقط سبع سنين حين دعا عليهم ا لنبي عليه الصلاة والسلام وقتلهم يوم بدر وحى هي التي ابتدأ بها الكلام والكلام الجمله الشرطية (اذا هم يجارون) يصرخون استغاثة والجوار الصراخ استغاثة فيقال لهم (لتجاروا

اليوم) فان الجؤار غير نافع لكم (انكم من الاتصرون) اى من جهتنا لا يلحقكم ضرر او معونه (قد كانت آياتى تنبى عليكم) اى القرآن (فكنتم على اعقابكم تنكصون) ترجعون الى القهقري والنعكوص ان ترجع القهقري وهو ان تخرج من مكة لا تبارى ما وراءه (مستكبرين) مستكبرين على المسلمين طالع من تنكصون (به) باليت اوبنا الحرم لانهم يقولون لا يظهر علينا أحد لاننا اهل الحرم والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار باليت اوبنا ياتى لانها فى معنى تنكصا ومعنى استكبارهم بالقرآن تنكصون بهم به استكبار ارضى مستكبرين معنى ٤٠٢ مكدن فعدى تعديته او يتغلق الباب بقوله (ساعرا) تسمرون

يذكر القرآن وبالطعن فيه
 وكانوا يجتمعون حول البيت
 يسمرون وكانت عامة سمرهم
 ذكر القرآن وتسميته شعرا
 وسحرا والاسام نحو المحاضري
 الاطلاق على الجميع وقرئ
 سمرا أو بوقوله (تسبحون)
 وهون الحجر الهذيان تسبحون
 نافع من السحر في منطقه اذا
 الحش (أفلم يدبروا القول) أفلم
 يتدبروا القرآن نفعوا الله الحق
 المين قصد قرابه وبن جاء به
 (ام جاءهم مالميات آباءهم
 الاولين) بل آجاءهم مالميات
 آباءهم الاولين فلذلك انكره
 واستبدعه (ام لم يعرفوا رسولهم)
 محمدا بالصدق والامانة ووفور
 العقل وصحة النسب وحسن
 الاخلاق اى عرفوه بهذه الصفات
 (فهم له منكرون) بغيا وحسدا
 (ام يقولون بجهنم جنون) وليس
 كذلك لانهم يعلمون انه اوجههم
 عقلا واثبتهم ذمنا (بل جاءهم

نخراجه ريك خير) مجازى وبصرى وعاصم خراج على وجرة شامى خراجا خراج وهو ما تقرر جده الى الامام من زكاة
أضلك والى كل عامل من اجرة وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج القصرية وخرج الكوفة فزيادة للفظ زيادة
المعنى ولذا أحسنت القراءة الاولى بمعنى أم تسلمهم على هذا بل لم يقلنا من عطاء الحق فالأكبر من الخراج خير (وهو خير
الرازيين) أفضل المعطين (وانك لتدعهم الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام فحقيق ان يستحبوا الثالث (وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون) لعادلون عن هذا الصراط المسد كور وهو الصراط المستقيم (ولو جئناهم
وكشفنا ما بهم من ضر) لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
أنشدك الله والرحم الست ترعهم انك بعثت رجلا المين فقال بلى فقال قلت الاتباء بالسيف والابناء بالجموع فقلت الآية
والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذى أصابهم برحمة لهم ووجدوا المحض (للجوا) أى لتمادوا (فى طغيانهم
يعهون) يترددون يعنى لعادوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله ٤٠٣ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب
عنهم هذا التعلق بين يديه (ولقد
أخذناهم بالعذاب فاستكانوا
لربهم وما يتضرعون) استشهد على
ذلك بان أخذناهم أولا بالسيف
وبعاجرى عليهم يوم بدر من قتل
صناديدهم وأسرفهم فاجدت
بعد ذلك منهم استكانة أى
خضوع ولا تضرع وقوله وما
يتضرعون عبارة عن دوام حالهم
أى وهم على ذلك بعدوا لم يقل
وما تضرعوا وو زن استكان
استعمل من الكون أى انتقل
من كون الى كون كاقيل استحال
اذا انتقل من حال الى حال (حتى
اذا فتننا) فتننا يزيد (عليهم
بابا اذ اذاب شديد) اى باب
الجموع الذى هو أشد من الأسر
والقتل (اذا هم مبلسون)

(نخراجه ريك خير) أى ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير (وهو خير الرازيين) تقدم
تفسيره (وانك لتدعهم الى صراط مستقيم) أى الى دين الاسلام (وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة عن الصراط) أى عن دين الحق (لنا كبون) أى لعادلون عنه وما يكون (ولو
رجئناهم وكشفنا ما بهم من ضر) اى قحط وجدو به (للجوا) اى لتمادوا (فى طغيانهم
يعهون) اى لم يزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
دعا على قريش أن يجعل الله عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم القحط فجاء أبو سفيان
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم الست ترعهم انك بعثت رجلا المين
فقال بلى فقال لهم قدأكلوا القذ والعظام وشككنا الله بالضر فادع الله ان يكشف عنا هذا
القحط فدعا فكشف عنهم فأمر الله هذه الآية (فاستكانوا لربهم) اى ما خضعوا وما
ذلوا لربهم (وما يتضرعون) اى لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على مردهم (حتى اذا
فتننا عليهم بابا اذ اذاب شديد) قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل
هو قيام الساعة (اذا هم فيه مبلسون) اى آيسون من كل خير قوله عز وجل (وهو الذى
انشأكم السمع والابصار والافئدة) اى لتسمعوا وبصروا وتقلوا (قل لا
ما تشكرون) اى لم تشكروا هذه النعم (وهو الذى ذرأكم فى الارض) اى خلقكم (والله
تخشرون) اى تعبثون (وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار) اى تدبىر
الليل والنهار فى الزمادة والنقصان وقيل جعلهم ماختلقين يتعاقبان ويختلفان فى السواد
والابيض (افلاتهقلون) اى ماترون من صنعه فتعجبوا (بل قالوا مثل ما قال الاولون)

مخبرون آيسون من كل خير وجاء أعتابهم وأشدهم شديدا في العناد ليستعطفك أو يخفناهم بكل محنة من القتل والجموع فما
رؤى فيهم لين متادعهم كذللك حتى اذا عذبوا انار جهنم فحينئذ يلسون كقوله يوم تقوم الساعة يأس الجرمون (وهو
الذى انشأكم السمع والابصار والافئدة) خصها بالذكر لانها يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما يتعلق بغيرها
(قل لا ما تشكرون) اى تشكرون شركا راقبلوا ما زبدلنا كيد يعنى حق والمعنى انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعتهموها
غير مواضعها فلم يعملوا بصاركهم واما عاكفى آيات الله وافعاله ولم تستدلوا بقوله بكم فتعجبوا المنعم ولم تشكروا له شيأ (وهو
الذى ذرأكم) خلقكم وبشرككم تأسل (فى الارض واليه تخشرون) تجتمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذى يحيى ويميت)
أى يحيى النسم بالانشاء ويميت بالافناء (وله اختلاف الليل والنهار) اى يحيى أعددهما عقيب الآخر واختلافهما فى الظلمة
والنور وفى الزمادة والنقصان وهو مختص به ولا يتقدر على تصرفهم غيره (افلاتهقلون) فتعجبوا فادعرتا على البعث او
فيمتدولوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا (بل قالوا) اى اهل مكة (مثل ما قال الاولون) اى الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله

(قالوا انما متنا وكناتر اباع عظاما ائتنا ببعوثون) متنا نافع وجزة وعلى وحفص (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث (من قبل) قبل مجيى محمد (ان هذا الأساطير الاولين) جمع اساطير جمع سطرهوى ما كتبه الاولون على حقيقة قلوبهم جمع اسطورة أوقف ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بأقامه فأنجحه على المنشركين بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم مقرون بالله الخالق فاذا قالوا (قل أفلا تذكرون) فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه فى الربوبية أفلا تذكرون) كرون بالثغيف جزة وعلى وحفص وبالشد يد غيرهم (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) سيقولون لله قل أفلا تذكرون) أفلا تذكرون فانه لا ينشر كونه أو أفلا تذكرون فى جودكم قد ذكرته على البعث مع ٤٤ اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء (قل من بيده ملكوت كل شئ) الملكوت

المالك والواو والتاء للبالغة
قننى عن عظم الملك (وهو يحير
ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون)
اجرت فلان على فلان اذا أغثته
منه ومنعته عنى وهو يغث
من يشاء عن يشاء ولا يغث أحد
منه أحدا (سيقولون لله قل فأنى
تسبحون) تسجدون عن الحق
او عن توحيده وطاعته والمخادع
هو الشيطان والهوى الاول لله
بالاجماع اذا السؤل لمن وكذا
الثانى والثالث عن سديهم أهل
البصرة على المعنى لئلا اذا قلت
من رب هذا فغضبوا من هذا
فجواب فلان كقول الشاعر
اذا قيل من رب المزلزال والقرى
ورب الجياد الجرد قيل لخاله
أى ان المزالف ومن قرأ بحذقه
فعلى الظاهر لئلا اذا قلت من
رب هذا لغوا به فلان (بل أتنبأهم

بالحق) بأن نسبة الولد اليه محال والشرك باطل (وانهم الكاذبون) فى قولهم اتخذ الله ولدا والله اعلم بالشريك
ثم أكد كذبهم بقوله (ما اتخذ الله من ولد) لانه مفرغ عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) وليس
معه شريك فى الألوهية (اذ ذهب كل اله بالخلق) لا فرد كل واحد من الالهة بالذى خلقته فاستبد به وتجزى ملك كل واحد
منهم عن الآخر (والله لا يفتهم على بعض) ولعل بعضهم بهما كاتزون حال ملوك الدنيا اعما لاهم متبارزة وهم متعابون
وحين لمروا اثر الامانة المالك واللعاب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شئ ولا يقال اذا اندخل الاعلى كلامه وجزاء
وجواب وهما وقع لذهب جزاء وجواب لم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف وتقديره لو كان معه اله لاله لاله
وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المنشركين (سبحان الله عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم بالبحرصة
لله وبالرفع مدنى وكوفى غير خص غير يتداحذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فعلى عايش كرون) من
الاصنام وغيرها

(قل رب اماترني ما يوعدون) ما والنون مؤ كدان أى ان كان لابد من أن تربى ما نعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أى فلا تجعلني قريئاً لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن رضى الله عنه أخبرنا الله ان له في أمته نعمة ولم يخبرهم متى وقتها فمن أن يدعو هذا الدعاء ويجوز أن يسأل النبي المصوم صلى الله عليه وسلم ربه ما علم انه بفعله وان يستعينه مع ما علم انه لا يفعله اظهر الله الجود بغيره ووافقه واستغفاره عليه الصلاة والسلام اذ قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء في فلما جواب الشرط ووب اعترض بينهما لئلا يؤكد ٤٠٠ (واناعلى أن تربى ما نعدهم لقادرون) كانوا يذكرون

الموعود بالعذاب ويخفون منه فقل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعدنا تأملتم فواجهوه بهذا الانكار (ادفع بالتي) بالخصلة التي هي أحسن السيئة (هو) أبلغ من أن يقال بالخصلة السيئة لمناصبه من التفضل كأنه قال ادفع بالحقسي السيئة والمعنى اصنع عن اسألتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما هي شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك أو الفحش بالسلام أو المنكر بالموعظة وقيل هي منسوبة بآية السيف وقيل بحكمة اذ المداواة بحثت عليها المزمعون إلى ثم دين (نحن أعلم بما يصفون من الشرك) أو بوصفهم للشك وسوء ذكهم فتخبرهم عليه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) من وسوسهم ونفساتهم والمهمزة النقص والمهمزات جمع المهمزة ومنه مهمز الرأض والمعنى ان الشياطين يحشون الناس على المعاصي كما همز الرضا الدواب

نظمهم من أن يوصف بما لا يليق به قوله عز وجل (قل رب) أى بارب (اماترني ما يوعدون) أى ما وعدتهم من العذاب (رب) أى بارب (فلا تجعلني في القوم الظالمين) أى لا تجعلني مع هؤلاء (واناعلى أن تربى ما نعدهم) أى من العذاب (لقادرون) ادفع بالتي (أحسن) أى بالحلة التي هي احسن وهي الصفح والاعراض والصبر (السيئة) يعني اذا هم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها بالآية السيف (نحن أعلم بما يصفون) أى يكذبون ويقولون من الشرك قوله عز وجل (وقل رب أعوذ بك) أى أمتنع واعصم بك (من همزات الشيطان) قال ابن عباس ترغابهم وقيل وسوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصي (واعوذ بك رب ان يحضرون) أى في شيء من أموري وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له عن جبر بن مطيع انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمر ولا أدري أى صلاة هي قال الله أكبر كبيراً ثلاثاً والمجده لله كثيراً ثلاثاً وسبحان الله بكرواً ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان من نفثه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفثه الكبر وهمزه الموتة أنحرة أو دود وقد جاء تفسير هذه اللفاظ في متن الحديث وزيداً بضاها قوله نفثه الشعر أى لان الشعر يخرج من القلب فيلظ به اللسان وينفثه كيفثر البق قوله ونفثه الكبر وذلك لان المكبر يتفخ ويتعظم ويجمع نفسه فيحتاج الى أن ينفخ وقوله وهمزه الموتة المحنونة لان المحنونة ينفسه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل ان هؤلاء الكفار الذين يشركون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند ما يموت الموت فقال تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوا) قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا مخاطب مع الملائكة الذين يصفون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استأثرت بالله أو لا ثم رجع الى مسألة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب التسميم فكانه قال عند المعالجة يحق الله ارجعون (لعلني أصالح ما فاتت) أى ضيعت وقيل تركت أى متعت وقيل خلقت من التركة أو المعنى أقول لا اله الا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال الدينية والمالية قال قتادة ما معني ان يرجع الى أهله وعشيرته ولا يجمع الدنيا ويضي الشهوات ولكن معني ان يرجع فيعمل بطاعة

حائلها على المشي (واعوذ بك رب ان يحضرون) أمر بالتعوذ من نفساتهم بلفظ المجتهد الى ربه المذكر ولئلا ياتوا به بالتعوذ من أن يحضروه أصلاً وعندنا الآية للقرآن او عند التزع (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى يتعاطى يصفون الى لا يزالون يشركون الى وقت مجيء الموت اولاً لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهم ما مذكروا على وجه الاعتراض ولئلا يكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستر له عن الحلو ويغير به عن الانتصار منهم (قال رب ارجعوا) أى ردوني الى الدنيا خاضعاً لله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك (لعلني أصالح ما فاتت) في الموضع الذي تركت وهو الدنيا لئلا تترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة ما معني ان يرجع الى أهله ولا الى عشيرة ولكن لئلا تترك ما فرط لعلني ساكنة ابناء كوفي وسهل ويعقبوب

(كلا) رد عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد (انها) كلة) المرد بالكلية الطائفة من الكلام المنتظم بعضها بعض وهو قوله رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فماتمركت (هو قائلها) لاحالة لا يتخلها ولا يسكت عنها الاستيلاء بالحسرة والتندم على (ومن ورائهم) أى امامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (الى يوم يبعثون) لم يرد انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لماعلم ان لا رجوع بعد البعث الا الى الآخرة (فاذا نفخ في الصور) قيل انها النفخة الثانية (فلا انساب بينهم يومئذ) او بالادغام او بعمرو ٤٠٦ لاجتماع المشلين وان كانا من كتيبتين يعنى يقع التقاطع بينهم حيث

يتفرقون مثابين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالانساب اذ يفر المرء من أخيه وامه وابنه وصاحبه وبنه وانما يكون بالاعمال (ولا ينساءلون) سؤال تواصل كل كانوا ينساءلون في الدنيا لان كلامه مشغول عن سؤال صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله وا قبل بعضهم على بعض ينساءلون في القيامة فينبى على رؤس الأولين والآخرين ثم ينادى من هذا فلان بن فلان فن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرج حماره ان يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا ينساءلون وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم أى لا يتأخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتأخرون في الدنيا ولا ينساءلون سؤال تواصل كما كانوا ينساءلون في الدنيا من أنت ومن أى قبيلة أنت ولم يرد ان الانساب تنقطع فان قلت قد قال ههنا ولا ينساءلون وقال في موضع آخر وا قبل بعضهم على بعض ينساءلون قلت قال ابن عباس ان للقيامه أحوال او موطن في موطن يشهد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا ينساءلون وفي موطن يفيقون فافقه فينساءلون قوله عز وجل (فن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه نال لستات والمراد الكفار (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها (في جهنم خالدون) يدل من خسروا أنفسهم ولا دخل للبدل والمبدل منه لان الأصله لا محلل لها وخير بعد خير لا أولئك او خير ممتدا محذوف (فانهم) أى تخرف (وجوههم)

الله فرحم الله امرأه عمل فيما عتساه الذي فرأى العذاب (كلا) كلة رد عن جزأى لا يرجع اليها (انها) يعنى مسأله الرجعة (كلة هو قائلها) أى لا يسهلها (ومن ورائهم برزخ) أى من امامهم ومن بين أيديهم حاجر (الى يوم يبعثون) معناه ان بينهم وبين الرجعة حجابا ومانعا عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لماعلم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة قوله تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم) قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض فلا انساب بينهم (يومئذ ولا ينساءلون) ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وا قبل بعضهم على بعض ينساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الأولين والآخرين ثم ينادى من هذا فلان بن فلان فن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرج حماره ان يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا ينساءلون وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم أى لا يتأخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتأخرون في الدنيا ولا ينساءلون سؤال تواصل كما كانوا ينساءلون في الدنيا من أنت ومن أى قبيلة أنت ولم يرد ان الانساب تنقطع فان قلت قد قال ههنا ولا ينساءلون وقال في موضع آخر وا قبل بعضهم على بعض ينساءلون قلت قال ابن عباس ان للقيامه أحوال او موطن في موطن يشهد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا ينساءلون وفي موطن يفيقون فافقه فينساءلون قوله عز وجل (فن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه نال لستات والمراد الكفار (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها (في جهنم خالدون) يدل من خسروا أنفسهم ولا دخل للبدل والمبدل منه لان الأصله لا محلل لها وخير بعد خير لا أولئك او خير ممتدا محذوف (فانهم) أى تخرف (وجوههم)

النار و هم فيها كالخون) عابسون فيقال لهم (ألم تكن آياتي) أى القرآن (تتلى عليكم في الدنيا) فكنتم بها فلم تكذبون وترجعون انها ليست من الله تعالى (فالوار بنا غلبت علينا) ملكتنا (شقوننا) شقاوتنا ساجزة وعلى وكلامها مصد راى شقنا بما لنا السطة التي علمناها وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما علم انه يكتب غير الذي علم انه يكتبه فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا لانهم انما يقولون ذلك القول باعتذار السا كان منهم من النفر يط في امره فلا يحمل أن يطلبوا لانفسهم عذرا فيها كان منهم

(وكتافوماضالين) عن الحق والصواب (ربنا آخر جنا منهما) أي من النار (فان عدنا) إلى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسؤا فيها) اسكتوا سكوت ذل وهو ان (ولا تسكلمون) في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك الا الشيق والزفير أن يحضروني ارجعوني ولا تسكلموني بالاعتق والوصل والوقف يعقوب وغيره بلام (انه) ان الارو والشان (كان فر يق من عبادي يقولون ربنا آمننا فاعفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتوهم سخرى) مع قول ثان وبالضم مدني وجزرة وعلى كلاهما مصدر ٤٠٧

فلنهد (وكتافوماضالين) أي عن الهدى (وبنا آخر جنا منهما) أي من النار (فان عدنا) أي لما تكبره (فانا ظالمون قال اخسؤا فيها) أي اسعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ (ولا تسكلمون) أي في رفع العذاب فاني لا ارفعه عنكم فعند ذلك أبس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشيق وعواء كدواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروى عن عبد الله بن عمرو ان أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم أربعين عاما يا مالكا ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ما تكونون ثم ينادون ربهم ربنا آخر جنا منهن فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا ثم ينادون ربهم ربنا آخر جنا منهن فالتبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشيق ذكره البغوي غير مسند وأخرجه الترمذي معناه عن أبي الدرداء قوله فالتبس القوم بعد ذلك بكلمة أي سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسؤا فيها ولا تسكلمون انقطع رجائهم وأقبل بعضهم بهنج في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم (انه كان فر يق من عبادي) يعني المؤمنين (يقولون ربنا آمننا فاعفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتوهم سخرى) أي سخرؤون منهم وتستهزؤونهم (حتى أنسوكم ذكرى) أي أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) نزل في كفار قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله (التي جزيتهم اليوم بماصبروا) أي على اذا كانوا استهزؤاكم في الدنيا (أنهم هم الفائزون) أي جزيتهم بمصبرهم الفوز بالجنة (قال) يعني ان الله قال لا تكفار يوم البعث (كم كنتم في الارض) أي في الدنيا وفي القبور (عدد سنين قالوا الدنيا يوم أو بعض يوم) معناه أنهم تسوا مدة لبسهم في الدنيا لعظم ما هم يصدون من العذاب (فاستل العادين) يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحسبونها عليهم (قال ان لبثتم) أي ما لبثتم في الدنيا (الا قليلا) سماء قليلا لان المروءان طال لبسهم في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) أي قدر لبسكم في الدنيا قوله عز وجل (الحسبتم أنما خلقتنا عبثا) أي لعبا وباطلا لا لمحكمة وقيل العبث معناه تلعبوا وتعبثوا كما خلقت الهائم لا لأبوابها ولا عقابها وانما خلقتكم للعبادة وقامه أو امر الله عز وجل (وأنكم النينا لاترجعون) أي

ولما هم فيه من عذابهم لان الله تخن بسط طيل ايام محنته ويستقر صرامه عليه من أيام الردة (فاستل العادين) أي الحساب أو الملائكة الذين يعدون أعمار العباد وأعمالهم فسئل بالاهم زمكي وعلى (قال ان لبثتم الا قليلا) أي ما لبثتم الا قليلا أولينا قليلا (لو أنكم كنتم تعلمون) صدقهم الله تعالى في عقابهم اسنى لبسهم في الدنيا ومخبتهم على عقابهم التي كانوا عليها قل ان جزرة وعلى (الحسبتم أنما خلقتنا عبثا) حال أي عابثين أو مفعول له أي للعبث (وأنكم النينا لاترجعون) وبفتح التاء كسر الجيم جزرة وعلى ويعقوب وهو موعظون على أنما خلقتنا لم أو على عبثا أي للعبث ولتر كتم غير جوعين بل خلقنا لم لتسكيف

ثم للرجوع من دار التكليف الى دار الجزاء فنثبت الحسن ونعاقب المسيء (فتعالى الله) عن أن يخلق عبدا (الملك الحق) الذي يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه (لا اله الا هو رب العرش الكريم) وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه أو لنسبته الى أكرم الأكرمين وقرئ شاذ ارفع الكريم صفة الرب تعالى (ومن يدع مع الله الها آخرا برهان) أى لاجته (له به) أعترض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد لأحق بالاحسان منه فان الله مثله أو صفة لازمة حتى مهما التوكيد كقوله يطهر بجناحه لان يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان (فانما حسابه) أى جزاؤه وهذا جزء الشرط (عند ربه) أى فهو ويجازيه لا محالة (انه لا يبلغ الكافرون) جعل فاتحة السورة قد أنطق المؤمنين ونحاشتها انه لا يبلغ الكافرون ٤٠٨ فثبتان ما بين الفاتحة والجماعة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله

(وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وانت خير الراحمين) لأن رحمة اذا أدركت أحدا أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمة

﴿سورة النور مدنية وهي ستون وأربع آيات﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(سورة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه سورة (الزناها) صفة لها وقرأها سورة على زيد اضربه

أو على أنزل سورة والسورة الجامعة لمجمل آيات بها فتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة (وفر ضناها) أى قرضنا أحكامها التي فيها واصل الفرض القطع أى جعلناها مقطوعا بها وبالتشديد مكي وأبو عيسى والبالغة في الاتجاب وتوكيدها ولأن فيها فرائض

في دار الآخرة للجزاء روى البغوي بسنده عن الحسن أن رجلا مصابا مزره على ابن مسعود فدفعه فأنه أنفخ سبتم أنما خلقنا كعبشا وأنكم النسا لاترجعون حتى ختم السورة فبرأه آل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادا رقت في ذنبه فأنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على الجمل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل (فتعالى الله الملك الحق) أى هو التام الملك الحامع لا صنف المملوكات (لا اله الا هو رب العرش الكريم) أى الحسن وقيل الرقيق المرتفع وانما خص العرش بالذكور لانه أعظم المخلوقات (ومن يدع مع الله الها آخرا برهان له به) أى لاجته ولا يثبت له به ادلائك اقامة برهان ولادليل على المسية غير الله ولا جته في دعوى الشرك (فانما حسابه) أى جزاؤه (عند ربه) أى هو مجازيه بعمله (انه لا يبلغ الكافرون) أى لا يسعد من جحد وكذب (وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين)

(تفسير سورة النور وهي مدنية وهي اثنتان وقيل أربع وستون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سورة أنزلناها وقرضناها) أى أوجينها ما فيها من الأحكام والزناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجينها ما عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة (وأنزلنا فيها آيات بينات) أى واتخذنا (العلمك تذكرون) أى تعظون قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرماً شرعاً والشرط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان في الرجم ويجب على العبد والامة

شئاً أولئك المأمرون عليهم من السلف ومن بعدهم (وأنزلنا فيها آيات بينات) أى دلائل واتخذنا نصف (العلمك تذكرون) لكي تتقوا وتتقوا النزال جزء على وخلف وحصة ثم فصل أحكامها فقال (الزانية والزاني) رخصها على الابتداء والخبر محذوف أى فيما فرض عليكم الزانية والزاني أى جلدتهما أو الخبر فاجلدوا أو دخلت الفاء لتكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمنه معنى الشرط وتقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه أو قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوه وقرأ عيسى بن عمر بالنصب على أفعال فعل بفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) المجلد ضرب الجلد وفيه إشارة الى انه لا يبلغ ليصل الالم الى اللحم والخضاب للآفة لان اقامة الحد من الدين وهي على الكل إلا أنهم لا يمكنهم الاجتماع في جنوب الامام متأهين وهذا كحلرلس محمد بن اذ حكم الحسن الرجم وشرائط احصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والتزوج بنسكاح صحيح والدخول وهذا دليل على أن التعزيب غير مشروع لان الفاء انما تدخل على الجزاء وهو اسم للكانفي والتعزيب المروي من نسخ الآية كاسخ الجبس والذي في قوله فاسم كونه في البيوت وقوله فاذوهما بهذه الآية

ولا تأخذ كيهما رافة) أى رجة والفتح لغة وهى قراءة مكى وقيل الرافة فى دفع المذروه والرجة فى إصال المحبوب والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله ولا يأخذهم اللين فى استيفاء حدوده فيعطوا الحدود أو يخففوا الضرب (فى دين الله) أى فى طاعة الله وأحكامه (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمير أى فاجلدوا ولا تعطوا الحد (وليشهد عذابهما) ويحضر موضع حدهما وتسميته عذابا لدليل على أنه عقوبة (طائفة) فرقة يمكن أن تكون حلقة ليعتبروا ويترهبوا وأقلها ثلاثة أو أربعة وهى صفة عالية كأنها الجماعة المخافة حول شئ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أربعة إلى أربعين رجلا (من المؤمنين) من المصدقين بالله (الزاني) لا ينكح الزانية أومشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك) أى الخبيث الذى من شأنه الزنا لا يرغب ٤٠٩ فى نكاح الصالحين والنساء

وأما يرغب فى خديعة من شكله أو فى مشركة والخديعة المسافهة كذلك لا يرغب فى نكاحها الصالحاء من الرجال وأما يرغب فيها من هو من شكلها من القسوة أو المشركون فلا يترهبون فى نكاح البغايا إذا الزنا عاين الشرك فى القبح والآيات قرين العقاب والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرما فى أول الإسلام ثم نسخ بقوله وأنكحوا الأباى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لأن غير الزانى يستقدر الزانية ولا يثبتها وهو صحيح لكنه يقتضى إذا فولك الزانى لا تزنى الزانية والزانية لا تزنى بها إلا زان فمثل صلى الله عليه وسلم عن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال أوله سفاح وآخره نكاح ومعنى الجملة الأولى صفة الزانى

نصف الحد ولا رجم عليهما لأنه لا ينفص وقوله فاجلدوا أى فاضربوا يقال جلدته إذا ضرب جلدته ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أى الزانية والزاني مائة جلدة وقد وردت السنة بخلافه وتعريب عام به قال الشافعى وقال أبو حنيفة التعريب إلى رأى الإمام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويعرب المرأة ولا تعرب وإن كان الزانى محصنا فعليه الرجم (ولا تأخذ كيهما رافة) أى رجة ورقعة قطعوا الحدود ولا تقسموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبيرة والنخعي والشعبي وقبل معنى الرافة أن تخففوا الضرب بل أوجعوهما ماضر باوهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهرى يجتهد فى حد الزنا والفرقة أى القذف ويخفف فى حد الشرب وقيل يجتهد فى حد الزنا ويخفف دون ذلك فى حد الفرقة ويخفف دون ذلك فى حد الشرب (فى دين الله) أى فى حكم الله وإن عبد الله بن عمر جلد باريقه زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تأخذكم كيهما رافة فى دين الله فقال يا بني إن الله يامرني بقتلها وقد ضربت فاوجعت (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه إن المؤمن لا تأخذ الرافة إذا عاين الله وقدره من باب التهييج والهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه إن كنتم تؤمنون فلا تتركوا إقامة الحدود (وليشهد) أى وليحضر (عذابهما) أى حدهما إذا أقيم عليهما (طائفة) أى نفر (من المؤمنين) قيل أقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل (الزاني لا ينكح الزانية أومشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء فى معنى الآية وحكمها فقال قوم تقدم المباحون والمدينة وفيهم فقراء المال لهم ولا عشار وفي المدينة نساء بغايا هن أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين فى كسبهن لينفق عليهم

٥٢ ن بكونه غير راغب فى العفاف ولكن فى الفواحش ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن الزناة وهما معنيتان مختلفتان وقد سمت الزانية على الزانى أولاً ثم تقدم عليها ثانياً لأنك لا تيسقبت لعقوبتهما على ما جنى المرأة هى المادة التى منها نشأت تلك الجماعة لأنها لو لم تطمع الرجل ولم توص له ولم تمكنه لم تطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلاً فى ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فسوق قل ذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه الخاطب ومنه بدء الطلب وقرئ لا ينكح بالجزم على النهى وفى المرفوع أيضاً معنى النهى ولكن المبلغ كدو يجوز أن يكون خبراً محضاً على معنى أن عاداتهما جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة وبتصون عنها (وحرم ذلك على المؤمنين) أى الزنا ونكاح البغايا لتبديد التمسك بالزنا أو لما فيه من التشبه بالفساق وحضر مرقع التهمة والتسبب سوء المقالة فيه والغبية وبجالة الخطأين كفيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمنزلة الزانى واللعاب

فأما إذا نذر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فترات هذه الآية فخرم على المؤمنين
 أن يترجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهرى
 والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة تركت في نساء كن عكة والمدينة لمن
 رايات يعرفن بهما من أم مهزول جارية السائبين إلى السائب المخزومي وكان
 في الجاهلية ينسكح الزانية يتخذها مأكلة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك
 الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول واشترطت له
 أن تدفق عليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
 قال كان رجل يقال له مرثدين إلى مرثدا الغنوي وكان يحمل الأسارى من مكة حتى
 يأتي بهم المدينة وكانت عكة بنى يقال لها عناق وكانت صدقة له في الجاهلية فلما أتى
 مكة دعته عناق إلى نفسها فقسم ثلثان الله حرم الزنا قالت فأنكحني فقال حتى أسأل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
 أنكح عناقاً فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فمضى شيئاً فنزلت الزانية لا ينسكح
 إلا الزانية أو مشركة والزانية لا ينسكحها إلا الزان أو مشرك فدعاني فقراها على وقال
 لا تنسكحها أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وأبو عيسى متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء
 كان النكاح يتم خاصاً في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو
 الجماع بمعنى الآية الزانية لا تزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني إلا بزانية أو مشرك
 وهذا قول سعيد بن جبيرة والشافعية ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هرون أن جامعها
 وهو مستحل فهو مشرك وإن جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم
 نكاح الزانية ويقول إذا تزوج الزانية فهما زانية وإن قال سعيد بن المسيب
 وجامعها أن حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراماً بهذه الآية ثم نسخت بقوله
 تعالى وأنكحوا الإيما منكم فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح
 الزانية بما روى عن جابر بن جلال أن النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن
 امرأتى لا تمنع يد لامس فقال طلقها قال أنى أحبها وهي جيلة قال استمتع بها وفي رواية غيره
 فأمسكها إذا وروى هذا الحديث أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه
 أحد الرواة إلى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروى أن
 عمر بن الخطاب ضرب رجلاً وامرأتى زنا وحرض على أن يجمع بينهما فاني الغلام وقيل
 في معنى الآية أن الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصالحات من النساء وإنما يرغب في
 نكاح فاحر وخبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب في نكاح الصالحات من
 الرجال وإنما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثله أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أي
 صرف الرغبة بالكلية إلى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات الغائف محرم
 على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة تزوج بالزانية قوله تعالى (والذين يرمون)
 أي يقذفون بالزنا (المحصنات) يعني المسلمات المحررات الغائف (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء)
 أي يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) بيان حكم الآية أن من قذف محصناً أو

(والذين يرمون المحصنات)
 وبكسر الصاد على أي يقذفون
 بالزنا المحررات والغائف المسلمات
 المحصنات والقذف يكون بالزنا
 وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنا
 بأن يقول بالزانية لذكر المحصنات
 عقيب الزواني ولا يشترط أربعة
 شهداء بقوله (ثم لم يأتوا بأربعة
 شهداء) أي ثم لم يأتوا بأربعة
 شهود يشهدون على الزنا لأن
 القذف بغير الزنا بأن يقول
 يا فاسق يا كل الربا يفتي فيه
 شاهدان وعليه التعزير برشوط
 احصان القذف المحرمة والعقل
 والبلوغ والاسلام والمصلحة عن
 الزنا والمحصن كالمحصنة في وجوب
 حد القذف (فاجلدوهم ثمانين
 جلدة) إن كان القاذف حراً
 ونصب ثمانين نصب المصادر
 كما نصب مائة جلدة وجلدة
 نصب على التخيير

من المحدثين و يتعلق باسمه
الحديث وبعضه على ما عرف
وعند الشافعي رحمه الله تعالى
يتعلق برشادته بنفس القذف
فعندنا جزاء الشرط الذي هو
الرجي المحدث وردك الشهادة على
التائب وهو مدة حياتهم
(وأولئك هم الفاسقون) كلام
مستأنف غير داخل في جزاء
جزاء الشرط كأنه حكم به حال
الأمين عند الله تعالى بعد
انقضاء الجملة الشرطية وقوله
(الا الذين تابوا من بعد ذلك)
أي القذف (وأصلحو) أحوالهم
استثناء من الفاسقين وبدل
عليه (فان الله غفور رحيم) أي
يعفو عنهم ويرحمهم وحق
الاستثناء ان يكون مضموبا
عندنا لأنه من موجب وعند
من جعل الاستثناء متعلقا
بالجملة الثانية ان يكون مجرورا
بدل من هم في حكمهم ولمذاكر
حكم قذف الاجنبيات بين حكم
قذف الزوجات فقال (والذين
يرمون أزواجهم) أي يقدفون
زواجهم بالزنا (ولم يكن لهم
شهادة) أي لم يكن لهم على
تصديق قولهم من يشهدهم به
(الا أنهم) يرتفع على البطلان
من شهادة (فشهادة أحدهم
أربع) بالرفع كوفي غير أبي
بكر على انه خبر والمبتدأ شهادة
أحدهم وغيرهم بالنصب لأنه
في حكم المصدر لا إضافة إلى
المصدر والعامل فيه المصدر الذي
هو شهادة أحدهم وعلى هذا

محصنة بالزنا فقال له يا زاني أو يا زانية أو زنت فيجب عليه جلد ثمانين إن كان القاذف
حرا وإن كان عبدًا يجلد أربعين وإن كان المقتوف غير محصن فعلى القاذف التعزير
وشرائط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى
في عمره واحدة ثم تاب وحسن قوته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان أقر
المقتوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أو بعت يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن
القاذف لان الحد انما واجب عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه وأما الكنايات مثل
أن يقول يا فاسق أو يا فاجر أو يا خبيث أو يا مؤامر أو قال امرأتى لا ترد لأمس فهذا
ويحوي لا يكون قذفا إلا أن يرد ذلك وأما التعريض مثل أن يقول أما أنا فزانت
أولست امرأتى زانية فليس بقذف عند الشافعي وأبى حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد
وقال أحمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا وقوله تعالى (ولا تقبلوا لهم شهادة
أبدا) وأولئك هم الفاسقون) فيه دليل على أن القذف من الكبائر لان اسم الفاسق لا يقع
الأعلى صاحب كبيرة (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو) فان الله غفور رحيم
اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب
قوم إلى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسن حاله
بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد إقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى (الا الذين
تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق وإذا تاب تقبل شهادته
ويؤزل عنه اسم الفسق يرى ذلك عن عروا بن عباس وهو قول سعيد بن جبلة ومجاهد
وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشافعي وعكرمة وعمر بن عبد
العزيز بن الزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم إلى أن شهادة المحدث في القذف
لا تقبل أبدا وإن تاب وقالوا الاستثناء يرجع إلى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول
الشافعي وشريح وأصحاب الرأي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحسد قال الشافعي هو
قبل أن يحسد ثم منه حين يحسد لان الحدود كفارات فكيف تردونها في أحسن حاله
وتقبلونها في شر حاله وذهب الشافعي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء
يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقتوف
فيسقط كالتصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت إذا قبلت شهادته بعد
التوبة بعفا معني قوله أبدا قلت معني أبدا مادام مصر على القذف لان أيد كل إنسان
مذهبه على ما يليق به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل أبدا بذلك مادام على كفره فإذا
أسلم قبلت شهادته قوله عز وجل (والذين يرمون أزواجهم) أي يقدفون (أزواجهم) ولم يكن
لهم شهادة) أي يشهدون على صحة ما قالوا (الا أنهم) أي غير أنفسهم (فشهادة أحدهم
أربع) شهادة بالله انهم الصادقين) سبب نزول هذه الآية ما روى عن سهل بن سعد
الساعدي أن عويمرا الجهلاني جاء إلى عاصم بن عدى فقال لعاصم أرايت لو أن رجلا
وجد مع امرأته رجلا فقتله فقتلونه أم كيف يفعل سألني عن ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فذكره رسول الله صلى الله

خبر محمد بن قيس فوجب شهادة أحدهم أربع (شهادته بالله انهم ان الصادقين) فيما رواها من الزنا

عليه وسلم المستله وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
رجع عاصم الى اهله جاءه عوير فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عاصم لعوير لم ناتي بخير قد تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم المستله التي
سألت عنها فقال عوير والله لا انتهى حتى اسأله عنها فجاءه عوير رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله ارايت رجلا وجد مع امرائه رجلا فقتله
فقتلوه اثم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفي
صاحبك قرآنا فاذهب فاتهما قال سهل فقلنا عوا وانا مع الناس عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما فرغنا من تلاعنا ما قال عوير كذبت عليهما يا رسول الله ان امسكتما
فقطما لانا قبل ان يامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت
تلك سنة المتالعين اخر جاه في الحيين زاذي رواه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انظروا ان جاءت به اسهم ادعهم العيين عظيم الاليتين خدج الساقين فلا حسب
عوير الا قد صدق عليهما وان جاءت به احمر كانه ورة فلا حسب عوير الا قد كذب
عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عوير
في كان بعد نيب الى امه قوله اسهم اى اسودوا الادعج الشديد سواد العين مع سمها
وقوله خدج الساقين اى عتلى الساقين غلظهما وقوله كانه ورة الوجه بفتح الحاء
دوية كالغشاء تصق بالارض واراد بها في الحديث المبالة في قصره (خ) عن ابن
عباس ان هلال بن امية فذف امرائه عند النبي صلى الله عليه وسلم بشر بل بن سخماء
فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة وحدي ظهر لك فقال يا رسول الله اذا راي احد
على امرائه رجلا نطق بالبينة ففعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا احد
في ظهر لك فقال هلال بن امية والذي بعثك بالحق اني لصادق وليس لن الله ما يرى
ظهرى من الحديث جبريل عليه السلام وانزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقد قرأ
حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فخافا
فقسام هلال بن امية فشهدوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله بعلم ان احدكما كاذب
فهل منكم كائنات ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الحامسة وقفها وقال انها موحدة
قال ابن عباس فتملكا ثم كصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افصح قومي سائر
اليوم فحقت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا فان جاءت به لكل العيين
سابع الاليتين خدج الساقين فهو وشر بل بن سخماء فجاءت به كذلك فقتل
النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله امكان في ومثان وفي رواية غير
البخاري عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الا يتقال سعد بن جادة
لوايت لك عا وقد تخذها رجلا لم يكن لي ان اهجج حتى آتى باربعة شهداء فوالله
ما كنت لا آتى باربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما راي ان في
ظهرى لثمان جلد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الاتسمعون
ما يقول سيدكم قالوا لا نعلمه فانه رجل غيور مات زوج امرأته قط الا بكر اولادها امرأته
واجترأ رجل منا ان يترجها فقال سعد يا رسول الله انى انت وامى والله انى لا عرف انها

من الله وانها حق وليكن عجب من ذلك لما اخبر الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان
الله بانى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عمه له
هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يرفى بها فامسك حتى أصبح فلما أصبح
غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله انى جئت
الى أهلى عشاء فوجدت مع امرأتى رجلا رأيت بعينى وسمعت بأذنى فذكره رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما اتاه به ونقل عليه حتى عرف ذلك فى وجهه فقال هلال والله يا رسول
الله انى لا رى الكراهة فى وجهك مما يتكلم به والله تعلم انى لصادق وما قلت الا حقا
وانى لا رجوان يجعل الله لى فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضره فقال واجتمعت
الا نصار فقالوا بتلينا بما قال سعد بن حذافه هلال ونبطل شهادته فيمنعناهم كذلك ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يأمر بضره اذ نزل عليه الوحي فامسك أصحابه عن كلامه
حين عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون أزواجهم لم إلى آخر
الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيسر يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا
فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسوا اليها فجاءت
فلم اجتمع ما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منك كذاب فقال يا رسول الله قد صدقت وما
قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عنوا بيمينهما فليل لاله اشهد فشهد
أربع شهادات بالله انه من الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب
الدين الهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس وان هذه
الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما
لم يحسبني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد (والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان
من الكاذبين) ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه من الكاذبين فقال
لها عند الخامسة ووقفها اتق الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب
الناس قل كانت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افصح قومي فشهدت الخامسة
ان غضب الله عليا ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما
وقضى ان الولد لها ولا يدعى لابي ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذى قيل فيه فجاءت به غلاما
كأنه جل اورق على الشبه المذكورة وكان امير مصر لا يدري من أبوه الا ورق هو
الابيض وروى ابن عباس ان عويمرا لا عن زوجته خولة أم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فضلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال اشهد بالله
ان خولة زانية واخبر الصادقين ثم قال فى الثانية أشهد بالله انى رأيت شربكا على بطنها
وانى ان الصادقين ثم قال فى الثالثة أشهد بالله انها حبلى من غيرى وانى ان الصادقين ثم
قال فى الرابعة أشهد بالله انى ما قرىتها منذ أربعة أشهر وانى ان الصادقين ثم قال فى
الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالعودة

(والخامسة) لاختلاف فى رفع
الخامسة هنا فى المشهور
والتقدير والشهادة الخامسة
(أن لعنة الله عليه) فهى مبتدأ
وخبر (ان كان من الكاذبين)
فيما رواه سفيان بن الزناد

(ويدرأ عنها العذاب) ويدفع عنها الحبس ٤١٤ وفاعل يدرأ (أن تشهد أربع شهادات بالله أنه)

ان الزوج (من الكافرين) فيما
دعاني به من الزنا (والخامسة
ان غضب الله عليهما ان كان) أي
الزوج (من الصادقين) فيما
دعاني به من الزنا ونصب مدح
الخامسة عطفًا على أربع
شهادات وغيره رفعها بالابتداء
وأن غضب الله خبره وخفف نافع
ان لعنة الله وان غضب الله بكسر
الصاد وهما في حكم المنة وان
غضب الله سهل وبعبارة وجحف
وجعل الغضب في جانبها لان
النسب يعمل اللعن كثيرا كما
ورد به الحديث فربما يجترئ
على الاقدام للثمة تحرى اللعن
على السنة تنسب وتقوم وقوعه
عن قبولهن قد كرر الغضب في
جانبين ليكون رادعا لمن
والاصل ان اللعان عندنا
شهادات وكدات بالاعيان
مترتبة باللعن فاقامة مقام حد
التدفع في حقها ومقام حد الزنا
في حقها لان الله تعالى سماه
شهادة فاذا تدفع الزوج زوجته
بالزنا وهما من اهل الشهادة صح
اللعان بينهما واذا اتعنا كافرين
في النهر لا تنع الفرقة حتى يفرق
التاضي بينهما وعند فرجه
الله تعالى تقع بتلاعهما والفرقة
تلافة بائنة وعندنا يوسف
وزفر والشافعي يفرق بينهما
ونزات آية اللعان في هلال بن
امية أو غير حيث قال وحدت
تدعى بطن امرأتى خولة شريك

فقد علم قال خولة قومي فقامت فقامت اشهد بالله ما نأزنيته وان عو يمر ان الكاذبين
ثم قالت في الثانية اشهد بالله انه ما رأى شي يكالي بطني وأنه من الكاذبين ثم قالت في
الثالثة اشهد بالله اني حبلى منه وأنه من الكاذبين ثم قالت في الرابعة اشهد بالله انه
ما رأى قط على فاحشة وأنه من الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تعني
نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه
الاثمان لكان لي في امرهما رأي ثم تخمينوا والولادة فان جاءت به اصبه ان يبيع يضرب
الى السواد فهو لشريك بن سعد ما وان جاءت به اورق جعدا جاعلا لباخذ في الساقين فهو
لغير الذي وميت به قال ابن عباس بغياض يشبه خلق بشر يك تسان حكم الآية ان
الرجل اذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الاجنبية في وجوب الحد عليه ان كانت
محسنة أو العز بران كانت غير محسنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبيا أو
اجنبية يقيم عليه الحد الا ان يأتي بأربعة يشهدون بالزنا أو بقر المتدفع بالزنا فسط
عنه الحد وفي الزوجة اذا وجد احدهم من أولاد سقط عنه الحد والعان في قذف
الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلا لا يمكنه اقامة البينة ولا
يمكنه الضرب على العار جعل الله اللعان حجة على صدقة فقال تعالى فشهادة أحدهم
أربع شهادات بالله انه من الصادقين واذا قام الزوج بينة على زناها أو اعترف هي بالزنا
سقط عنه الحد واللعان الا ان يكون هناك ولدريد نفيه فله ان يلعن لنفيه واذا أراد
الامام أن يلعن بينهما بالرجل فيقيمونه وبلغته كليات اللعان فيقول قل اشهد بالله اني
ان الصادقين فقامت به زوجتي فلانة من الزنا وان كان قد رماها بالرجل بعينه سمها في
اللعان ويقول كلياته الامام وان كان ولدا أو رجل يريد نفيه يقول وان هذا الولد أو هذا
الجملة من الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما
رمت به فلانة واذا أتى بكلمة من كليات اللعان من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ
الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينهما وبين الزوجة وحملت عليه على التأبد واتقوا عنه
النسب وسقط عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا فله خمسة احكام تتعلق باللعان
الزوج قوله عزوج جعل (ويدرأ) أي يدفع (عنها العذاب) أي الحد (ان تشهد أربع
شهادات بالله انه من الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليهما ان كان من الصادقين)
حكم الآية ان الزوج اذا لعن وجب على المرأة حد الزنا فان اودت اسقطه عن
نفسها فانما لعن قومه وشهد بعد ثلثين كما راع شهادات بالله انه من الكاذبين
فيما دعاني به ويقول في الخامسة على غضب الله ان كان زوجي من الصادقين فيما دعاني
به ولا يتعلق بلعانها الا بهذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو اقام الزوج بينة لم
يسقط الحد عنها باللعان وعند اصحاب الرأي لا حد على من قذف زوجته بل موجه
اللعان فار لم يلعن حبس حتى يلعن فاذا لعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان
حبست حتى يلعن وعند الآخرين اللعان حجة صدقة والاذاف اذا قعدت عن اقامة
البينة على صدقة لا يحبس بل يجد كقسط الاجنبى اذا قعدت عن اقامة البينة وعند

ابن سعد ما فكذبته فلان النبي صلى الله عليه وسلم بينهما

تواب حكيم) جواب لولا محذوف
 أى لفتحكم أو لعلكم بالعقوبة
 (ان الذين جاؤا بالافتك) هو
 ابلاغ ما يكون من الكذب والافتراء
 وأصله الافتك وهو القلب لانه
 قول مأفوك وعوجه والمراد
 ما أقل به على عائشة رضى الله
 عنها قالت عائشة عقدت عقدا
 في غزوة بنى المصطلق فخطفت
 ولم يعرف خلوها ورجل حفنة
 فلما ارتحلوا انالنى صفة وان
 ابن المعطل بعيريه وساقه حتى
 أتاهم بعد ما نزلوا فهلكت في من
 هلك فاعتلت شهرا وكان عليه
 الصلاة والسلام يسأل كيف
 أنت ولا أرى عنه لطفا كنت
 أراه حتى عثرت خالة أوى ام
 مسطع فقالت قمس مسطع
 فانكرت عليه فاخبرتني بالافتك
 فلما سمعت ازددت مرضا وب
 عند أبوى لا يرأى لى دمع وما
 ا كذل يوم وهما يظنان ان
 الدمع فالتى كبدى حتى قال
 عليه الصلاة والسلام أشبرى
 يا جبراء فقد أنزل الله براءتك
 فقلت بحمد الله لا يحمدك
 (عصبة) جماعة من العشرة إلى
 الأربعين وأصصوبوا الجماعة
 وهم عبد الله بن أبى راس
 النفاق وزيد بن رفاع وحسان
 ابن ثابت ومسطف بن اثانة
 وحمنة بنت جحش ومن ساعدتهم
 (منكم) من جماعة المسلمين
 وهم ظنوا ان الافتك وقع من
 الكفار دون من كان من المؤمنين

أى خنيفة بموجب اللعان وقوع الفرقة فى النسب وهما لا يحصلان إلا باللعان
 الزوجين جميعا وقضاء القاضى وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعى
 وثالث الفرقة متأدية حتى لو اكد الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لافيهامه فيلزمه
 الحدود لمحقه الولد لكن لا يرتفع تأييد التريم وعندى خنيفة فرقة اللعان فرقة
 ملاقا فإذا اكد نفسه حازله ان ينكحها وإذا أتى ببعض كلمات اللعان لا تتعلق به
 الحكم وعندى خنيفة إذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح عنه
 صح لانه لو كان أو عبد ام سلمة كان أو ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسلمان بن
 يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعى وأكثراهم العلم وقال الزهري
 والأوزاعي وأصحاب الرأى لا يجزى اللعان إلا بن مسلمين حزين غير محدودين فان كان
 احدا الزوجين رقيقا أو ذميا أو محدودا فى قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن في حق من
 قال يجزى اللعان بينهما ان الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم فصل بين الحر
 والعبد والحدود وغيره ولا يصح اللعان الاعتدال كما أن أو ثابته ويلفظ اللعان بأربعة أشياء
 بتعدد اللفاظ وبالمكان والزمان وان يكون يحضر جماعة من الناس اما بتعدد
 اللفاظ فيجب ولا يجوز الاختلال بشئ منها وأما المكان فان كان فى أشرف
 الاماكن فان كان بمكة قين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله
 عليه وسلم وفى سائر البلاد فى الجامع عند المنبر وأما الزمان فهو ان يكون بعد العصر وأما
 الشجع فأقله أربعة والتعظيم للجميع مستحب فلو لعان الحاكم بينهما واحدهما زوفى التمايز
 بالزمان والمكان قولان قوله تعالى (ولو لا فضل الله عليكم ورجته) أى لعلكم بالعقوبة
 ولكنه ستر عليكم وقع عنكم الحد باللعان (وأن الله تواب) أى يعمد على من يرجع
 عن المعاصى بالرجعة (حكيم) أى فيما فرضه من الحدود قوله عز وجل (ان الذين
 جاؤا بالافتك عصبة منكم) الآيات بسبب نزولها ما روى عن ابن شهاب قال حدثني
 عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن
 مسعود عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها هل الافتك ما قالوا وكلهم
 حدثني طائفة من حديثهم وبعضهم كان أوى حديثها من بعض وأثبت له اقتصادا
 وقد عمت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق
 بعضها فالواقات عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا
 أقرع بين أزواجه فإخرج سبهما خرج بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة
 أقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سبهما فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بعدما أنزل الحجاب فكنت أجلس فى هودج وأنزل فيه فمرنا حتى إذا فرغ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فمعت حين
 آذنوا بالرحيل فلبست حتى جاؤا زلت الجحش فلما قضيت من شأنى أقبلت الى رحلى
 فلمست صدورى فإذا عدلى من جرح اطلقا وقد قطع فرجعت فالتست عدى فلبست
 استعاذه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرسلون فى فاحموا واهودجى فرحلوه على بعيرى

الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه وكان السقاء اذا ذلخنا فالفهم لم يبعث
 اللهم انما يا كان العلقه من الطعام فلم يستذكر القوم خفة الهودج حين رفعوه ووجلاه
 وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الحمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش
 فثمت منازعتهم وليس بها داع ولا محجب فقيممت منزلي الذي كنت به وفتنت انهم
 سيقفوني فخرجوني الى فيمنا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمت وكان صنوان بن
 المعنل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فاذبح فأصبح عنده منزلي فرأى
 سواد انسان نائم فأناثني فعرقني حين رأني فكأن يراني فبسل ان يضرب الحجاب على
 فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخررت وجهي تحت يدي والله ما كلني كلمة ولا سمعت
 منه كلمة غير استرجاعه وهو حتى اناخ راحته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقودني
 الى ارضه حتى انا الجبل بعدما نزلوا مع سبن وهو رواية موغرين في فخر الظهيره قالت
 فهلاك هنالك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة
 فاستكيت حين قدمنا المدينة شهر او اناس فيضون في قول أصحاب الاقل ولا أشعر
 بشيء من ذلك وهو بر بني فوجي اني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي
 كنت أرى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيمم ثم ينصرف فلذلك
 الذي بر بني منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت انا وام مسطع قبل المناصع وهي
 متبر زنا وكذا لا يخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان تتخذ الكنف قريسا من بنو سوا و امرنا
 امر العرب الاول في التزويج كذا تاذي بالكنف ان تتخذها عنديو وتنا فاطلة انا وام
 مسطع وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها بنت سحر بن عامر خالة أبي بكر
 الصديق وابنها مسطع بن اثابة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا ثم فطرت أم
 مسطع في مرضها فقالت تعس مسطع فقلت لها يس ما قلت اتسعين رجلا قد شهد بدرا
 فقالت يا هنتاه أول تسمى ما قال قلت وما قال فاخبرني بقول أهل الاقل فازددت مرضا
 الى مرضي فلما رجعت الى بيتي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم قال كيف
 تيمم قلت له أتأذن لي ان آتي أبوي قالت وانا حينئذ اريد ان اتيقن الخير من قبلهما
 فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبوي فقلت لامي يا أمه ما ذا يتحدث الناس
 به فقالت يا بنية هوني على نفسك فوالله اقلها كانت امرأة قط وضية عند رجل يحبها ولها
 ضرائر الا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدثت الناس بهذا قال فبكيت تلك
 الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتمل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب واسامة بن زيد حين استلبت الوحى فاستبشرهما في
 فراق أمه قالت فاما اسامة فاشاد عليه بما يعلم من براءة أهله وبالنبي يعلمه في نفسه
 من الود فقال اسامة هم اهلك يا رسول الله ولا تعلم والله الا خيرا واما علي بن أبي طالب
 فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواهما كثير وول الجارية تصدقك قالت
 فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يربك من
 عائشة قالت له بريرة لا والذي بعثني بالحق ان رأيت منها امرأ قط أغصص عليها أكثر من

انها جارية تحديثة السن تنام عن عيني اهلها فياتي الداجن فما كلفه قالت فقام رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذرن من عبد الله بن ابي اسلول فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من بعد رضى من رجل قد بلغني اذاه في اهلي وفي رواية
 في اهل بيتي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولا قد ذكر وارحلا ما علمت عليه الا خيرا
 وما كان يدخل على اهلي الا معي قالت فقام سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل فقال
 انا اعذرک منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضرب بشاعة وهوان كان من اخواننا من
 الخزرج امرتنا فعلنافيه امرک فقام سعد بن عباد وهوسد الخزرج وكانت ام حسان
 بنت عمن نخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتمله الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت
 امر الله لا تقبله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ
 فقال لسعد بن عباد كذبت لعمر الله لثقتله فقلت مناقق فجادل عن المناقشين فتناور
 الحجة ان الاوس والخزرج حتى همرا ان يقتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم
 على المنبر يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخففهم حتى سكتوا وسكت قالت
 وبقيت يوم ذلك لا يرأى دمع ولا كتمل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرأى دمع
 ولا كتمل بنوم فاصبح عندي ابواى وقد بكيت ليلتين وبوما حتى اظن ان البكاء فالتقى
 كبدي قالت فيدناهما ما جالسنا عندي وانا ابكي اذ اسست اذنت على امرأة من الانصار
 فاذنت لها جلست بكى معي فينسا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم
 ثم جلس وابتهاس عندي من يوم قيل لى ما قيل قبلها او قد مكث شهر الا بوحي اليه في
 شأني بشي قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة
 فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت آلمت بذنب
 فاستعفى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قاص دمعى حتى ما أحس منه فطرة وقالت لاني
 أحب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله
 فقالت لامي اجيبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما أدري ما أقول
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت وانا جارية تحديثة السن لا افرا كثير من القرآن انى
 والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى استعفى في انفسكم وصدقتم به فلئن
 قلت انكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بامر الله
 يعلم انى منه بريئة لتصدقنى فوالله ما جد لى ولكم من الايام يوسف اذ قال قصه برجيل
 والله المستعان على ما تصفون ثم تحوالت فاضلجت على فراشي وانا والله حينئذ اعلم
 انى بريئة وان الله مبرئى ببراءتى ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل الله في شأنى وحيا
 بلى ولشأنى في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في بامر بلى ولكن كنت ارجو ان
 يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما رام رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج احدا من اهل البيت حتى انزل الله على نبيه صلى
 الله عليه وسلم فاخذ ما كان ياحذه من البراءة حتى انه ليشعر منه مثل الجبان من

العرق في اليوم الثاني من ثقل القول الذي انزل عليه قال فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكى فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي يا عائشة أجدى الله وفي رواية قال أشرى يا عائشة أما الله فقد برك فقال لي أي قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أجد الله هو الذي انزل برأي قالت فأنزل الله عز وجل أن الذين جاؤا بالآفة عصية عنكم الأشرك لا تأتوا الله عز وجل هذه الآيات في برأي قالت فقال أبو بكر وكان ينق على مسطح بن اثامة لقرابته منه وفقره والله أنق عليه شيأ أبدا بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله ولا تأتوا أولوا الفضل منكم والسعة إلى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر لي والله اني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح الذي كان يحس عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل فريب بنت جش عن امرئ فقال يا زينب ما علمت أما رثيت فقال يا رسول الله أحس سمعي وبصري والله ما علمت عليها الاخير قالت عائشة وهي التي كانت تسامني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصها الله بالورع وعلقت احتماجنة تحارب لها فهلكت فمن هلك من اصحاب الأفل قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط زادني رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل لي قول سمعنا الله قول الذي نفسي بيده ما كشفت من كنفاتي قط قالت ثم قيل بعد في سبيل الله شهيدا هذا حديث متفق على صحته أخرجه في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة عن عائشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي سؤل وقال عروة اخبرته انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقرره ويشهيه ويستوشيه قال عروة لم اسمع من اهل الأفل الا احسان بن ثابت ومسطح بن اثامة وخمسة بنت جش في ناس آخرين لا أعلم لي بهم غير أنهم عصية كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تذكره ان يسب عندها احسان وتقول انه الذي قال

فان ابي ذوالدقي وعرضي * لعرض محمد منكم رقاء

آخر جاءه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها احسان يشدها شعرا بيت من ابياته فقال

حصان رزان ما ترن بريبة * وتصيح غريفي من لحوم الغوافل

فقلت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها اتاذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واى عذاب اشدهم من العمی وقالت انه كان يناقع اوبهاجى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * حل غريب الفاظ هذا الحديث قوله وكاهم حدثني طائفة اى قطعة من حديثها قوله كان اوعى اى احفظ له قولها آذن اى اعلم بالرجل قولها فاذا عتسلى من بزرع انظرها هو نوع من الخرز وهو الخرز المسمى المعروف قولها لم يبل اى يكثر مجهم من السن فيقتل قولها فما يا كن العائنة من الطعام هو بضم العين اى البلعة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمي قولها وليس بها منهم مداح ولا يجيب اى ليس بها احد لا من يدعو ولا من يرد جوابا

قولها قديمتم اى قصدت قولها قد عرس من وراء الجيش فادخ الخمر يس نزول
 المسافر في آخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد سير آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله
 قولها باسترجاعه هو قوله انا لله وانا اليه راجعون قولها خمرت اى غطيت وجهي
 بحملتي اى ازارى قولها وغر بن في خمر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا خمر الظهيرة
 اى اولها قولها والناس يفيضون اى يخوضون ويتحدثون قولها وهو ير بنى يقال
 رابى الشيء ير بنى أى شككت فيه قولها ولا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف
 اى الفرق بينها واللطف في الافعال الفرق وفي الاقوال بين الكلام قولها حتى نفقت اى
 انفقت من المرض والمناصع المواضع الحالية تقضي فيها الحاجة من غائط وبول واصله
 المكان الواسع الحالي والمرط كساء من صوف أو خز قولها تعس مسطح أى عثر وهو
 من الدعاء على الانسان اى سقط لو حجه قولها يا هنتاه اى بلهء كأنها تنسب الى الله
 وقلة المعرفة قولها لا يرقى دمع اى لا يتقطع وقول بريرة ان رأيت جعبي النسفي اى
 ما رأيت منها اى انعمت به بالصاد المهمة اى اعطيه والداجن الشاة التى تألف البيت
 وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرنى اى من يقوم بعذرى ان انا كافاته على
 سواه خذ به ان عاتبت أو عاقبت فلا تلومونى على ذلك قولها او كانت أم حسان بنت عمه
 من فخذة اى من قبيلة قولها وليكن احتملته الحجة اى حمله الغضب والافقة والتعصب
 على الجهل للقرابة قولها افتنا وراحميان اى ثاروا وانهضوا للقتال والخصامة قولها فلم
 يزل يخفضهم اى يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت املت قيل هو
 من اللغو وهو صغائر الذنوب وقيل معناه مة اربعة الذنوب من غير فعل قولها قلص دعي
 اى انقطع حياته قولها ما رام اى ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكر وبوالجمانة
 الدرة وجهها جان فسرى عنه اى كشف عنه وقول زينب احى سمى وبصرى اى
 أمتعها بمن أن أخبر عالم أسمع ولم أبصر قولها وهى التى كانت تسامىنى من السمو وهو
 العلو والعلية فعصمها الله اى منعها من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت
 من كف اى من ستر ائبى قوله ويستوشمه اى يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه
 وقول حسان فى عائشة حصان بهض الحما يتال امره حصان اى متعففة رزان اى
 ثابته ما تزن اى ترمى ولا تنهمر بية اى بامر رب الناس حية وتصح غفري اى جاء عنة
 والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تعتاب احد ممن هو غافل
 عن مثل هذا الفعل وقول عائشة فى حسان انه كان ينافع اى يناضل ويخاصم عن الله
 ورسوله وأما التفسير فتقوله عز وجل ان الذين جاؤا بالا فل اى بالكذب والافك اسوأ
 الكذب لكونه مصر وفا عن الحق وذلك ان عائشة كانت تستحق الثناء والمدح عما كانت
 عليه من المحصنة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق
 بالباطل وجاء بالا فل اى جماعة منكم اى عبد الله بن أبى ابن سلول ومسطع بن أنانة
 وحسان بن ثابت وجمته بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن أبى ابن
 سلول كان رأس المنافقين فكيف قال منكم قلت كان ينسب الى الايمان فى الظاهر

(لأنه سمعوه) أي الألف (شراكم) عند الله (بل هو خير لكم) لأن الله أثابكم عليه وأنزل في البراءة منه ثمانين آية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوا من ساء ذلك من المؤمنين (لكل امرئ منهم ما كتب من الآثم) أي على كل امرئ من العصاة جزاء الله على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكوت (والذي تولى كبره) أي عظمه عند الله بن أبي (منهم) أي من العصابة (له عذاب عظيم) أي جهنم يحكي أن صفوان مريبه وحامله وهو في ملا من قومه فقال من هذا فقالوا عائشة فقال والله ما يجت منه ولا تخافهم ثم وبع الخاضعين فقال (لولا هلا) (أسمعتموه) أي الألف (طن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) بالذين منهم فائضون كنفس واحدة وهو كقوله ولا تلزموا أنفسكم (خيرا) عفا فصولا وذلك نحو ما يروى أن عمر رضى الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام أنا قاطع بكذب المنافقين لأن الله عصمك ٤٢٠ من وقوع الذباب على جلدك لأنه يقع على النجاسات فيتلطخ بها فلعصمك الله

من ذلك القدر من القدر فكيف لا يعصمك عن حجة من تكون متطوعة بمثل هذه الفحشة وقال عثمان إن الله ما وقع ظلك على الأرض إلا يضع انسان قدمه على ذلك الظل فالما لم يكن أحدا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحدا من تلويث عرض زوجته وكذا قال على رضى الله عنه إن جبريل أخبرك أن على نعليك قدرا وأمرك بإخراج النعل عن رجلك سب ما التصق به من القدر فكيف لا يأمرك بإخراجها بتقدير أن تكون متطوعة بشئ من القوا حش وروى أنا أن أئوب الأنصاري قال لا ربه أنه لا تترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله سوا فقال لا قالت ولو كنت أنا بدل

وقيل قوله منكم خرج مخرج الألف فان حسان بن ثابت ومسطع بن اثانة وجنة كانوا من المؤمنين المخلصين (لأنه سمعوه شراكم) يعني الألف الخطاب لعائشة وصفوا وقيل لعائشة ولأبو بها والنبي صلى الله عليه وسلم وصفوا (بل هو خير لكم) يعني أن الله أكرمكم على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصابة وأوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم (لكل امرئ منهم) أي من العصابة الكاذبة (ما كتب من الآثم) أي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره) أي تجمل معظمه وبدأ بالمخوض فيه وأقام بأشاعته وهو عبد الله بن أبي ابن سلول (منهم) من العصابة (له عذاب عظيم) يعني عذاب النار في الآخرة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة فخلدوا والمحدثين ثمانين قوله عز وجل (لولا أسمعتموه) أي الحديث الكذب وهو قول أهل الألف (طن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) باخوانهم وأهل دينهم (خيرا) والمعنى كان الواجب على المؤمنين أن يسمعوا قول أهل الألف أن يكذبوه ويحسبوا القتل ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فحين عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتة للمؤمنين (وقالوا هذا أفك مبين) أي كذب بين لا حقيقة له (لولا) أي هلا (جاءوا عليه) أي على ما زعموا (باربعة شهداء) أي يشهدون بذلك (فأدلم باتوا بالشهداء) فأولئك عند الله (أي في حكم الله) هم الكاذبون) وهذا من باب الزاجر قال قلت كيف يصرون عند الله كذابين إذا لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت قلت قيل هذا في حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فأولئك هم الكاذبون في غيبى وعلى وقيل معنى فأولئك عند الله في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والتأذي إذا لم يأت بالشهداء فيجب زجره قوله تعالى

عائشة ما حث رسول الله فعائشة خير مني وصفوا خير منكم وإنما عدل عن الخطاب إلى العمية وعن الضمير إلى الظاهر ولم يقل ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم لا يعلو في التوبخ بطريق الالتفات وليلد التضييع ليعلم على أن الاشتراك فيه يقتضي أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائشة ولا طاعن وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به والمحافظة وليلتج من سمع فكسرت ولا يشع ماسمعه باخوانه (وقالوا هذا أفك مبين) كذب ظاهر لا يليق بهما (لولا جاءوا عليه باربعة شهداء) هلا جاءوا على العذف لو كانوا صادقين باربعة شهداء (فأدلم باتوا بالشهداء) (الاربعة) (فأولئك عند الله) أي في حكمه وشريعته (هم الكاذبون) أي القاذفون لأن الله تعالى جعل التفضيل بين الرمي الصادق والكاذب بثبوت شهادة الشهود الاربعة واتقاءها والذين رموا عائشة رضى الله عنهم لم يكن لهم بينة على قلوبهم فكانوا كاذبين

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) ولولا هذه الامتناع التي لوجود غيره بخلاف ما تقدم اى ولولا ان قضيت ان افضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جللتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لتعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث وخاض وان دفع (اد) ظرف لمسكم ولأفضتم (تلقونه) ياخذوه بعضكم من بعض يقال تاق القول وتلقنه وتلقنه (بالسنة) أى ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وان شرف لم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه (وتقولون يا فواهمك ما ليس لك به علم) انما يقبل افواههم ان القول لا يكون الا باقنم لان الشئ المعلوم يكون علمه في القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قول لا يدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله يقولون يا فواهمك ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه) أى خوضتكم في عائشة رضى الله عنها (هنا) صغيرة (وهو عند الله عظيم) كبيرة يخزع بعضهم عند الموت فقيل لفي ذلك فقال أخاف ذنبالم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم (ولولا) وهلا ٤٢١ (اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم

بهذا) فصل بين لولا وقتكم بالظرف لان للظرف شأن وهو تنزيها عن الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذا يسع فيها ما لا يسع في غيرها وفائدة تقديم الظرف انه كان الواجب عليهم ان يتقادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذلك الوقت اعلم قدموا والمعنى هلا قلتم اذ سمعتم الافك ما يصح انان نتكلم بهذا (سبحانك) للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب في كلمة التسييح ان الاصل ان يسبح الله عند رؤية العجب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل معجب منه او لكثر به الله من ان تكون حصة تبيد تارة وانما جاز ان تكون امرأة النبي

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) معناه ولولا ان قضيت ان افضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جللتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لتعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك والخطاب للنفقة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة بمن تاب (اذ تلقونه بالسنة) أى يرويه بعضهم عن بعض وذلك ان الرجل منهم يلقي الرجل فيقول بلغني كذا وكذا فيثبته ثبته تلقيا يليقه بعضهم الى بعض (وتقولون يا فواهمك ما ليس لك به علم) أى من غير ان تعلموا الحق (وتحسبونه هنا) أى وتظنون انه سهل لائتم فيه (وهو عند الله عظيم) أى في الزور (ولولا ان سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك) قيل هو للتعجب وقيل هو للتنزيه (هذا بهتان عظيم) أى كذب عظيم يثبت ويحذر من عظمه روى أن أم ابي ايوب الانصاري قالت لاني ايوب الانصاري ما بلغني ما يقول الناس في عائشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على فوق قوله (يعذركم الله) قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين وبين الله لكم الآيات) أى في الأمور والنهي (والله علم) أى امر عائشة وصفوان (حكيم) أى حكم براءتهما قوله عز وجل (ان الذين يحبون ان يشيع الفاحشة) أى يظهر الزنا ويذيع (في الذين آمنوا) قبل الآية مخصوصة بمن كذب عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل من أحب ان تشيع الفاحشة او تظهر على احد فهو داخل في حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين (لهم عذاب اليم في الدنيا) يعنى الحد والدم على فعله (والآخرة) أى

كافرة كما اخرج ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة لان النبي معوث الى الكفار وليدعه وهم فيجب ان لا يكون معه ما يغفروهم عنه والذكر غير منفر عنهم واما المشككة في ان اعظم المنكرات (هذا بهتان) زور يثبت من يسبح (عظيم) وذ كرفما تقدم هذا اقل من يجوز ان يكونوا أم وابهم ما بالغت في التبري (يعظم الله ان تعودوا) في أن تعودوا (لذلك) لمثل هذا الحديث من القذف واستماع حديثه (ابدا) مادامت أحياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فيه تهيج لهم ليعتظوا وتذكيرهم بوجوب ترك العود وهو الايمان الصادق كل قبيح (وبين الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات واحكام الشرائع والالتزام الجميلة (والله علم) بكم وباعمالكم (حكيم) يجزي على وفق اعمالكم او علم صدق تراثتها وحكم براءتها (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) أى ما قبح جسدوا المعنى شيعونا الفاحشة عن قصد الاشاعة وخفية لها لهم عذاب اليم في الدنيا بالحد ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي وحسانا ومسطحا للحد (والآخرة) بان ابرار وعدها لم يتوبوا

(والله يعلم) بواطن الامور وسراير الصدور (وانتم لا تعلمون) أى انه قد علم بحجة من أحب الاشاعة وهو ومعاقبه عليها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لجل لكم العذاب وكرامته بترك المعالجة بالعقاب مع حذف الجواب بالعتق في المتعة عليهم والتوبينغ لهم (وان الله رؤف) حيث اظهر براءة المقتدوف واثاب (رحيم) بغفرانه جنابة القاذف اذا تاب (يا أيها الذين آمنوا) لا تتبعوا خطوات الشيطان) اى ٤٢٢ آثاره وسوسه بالاصغاء الى الافك والقول فيه (ومن يتبع خطوات الشيطان

فانه) فان الشيطان (يا مراء الفحشاء) ما افطره بعبه (والمسكر) من تذكرو النفوس فتمفرغه ولا ترضيه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) مازكا منكم من احد ابد) ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة المعصية لما ظهر منكم احد خال الدهر من دنس اثم الاثام (ولكن الله يركى من يشاء) يظهر التائبين يقول قوبتهم اذا محضوها (والله سميع) لتوهم (علي) بضعائهم واخلاقهم (ولا ياتل) ولا يختلف من اتلى اذ خلف افعال من الالية اولا قصر من الاول (أولو الفضل منكم) في الدين (والسعة) في الدنيا (ان يؤتوا) أى لا يؤتوا ان كان من الالية (أولى القرى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) أى لا يخلعوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان اولا بقصره (ان يؤتوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم ثغناء بحسابة اقتبر فوها) وليعفوا وليصفحوا (والعفو والستر والصفح الاعراض أى وليجاوز واعن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة) (الأتجون ان يعفوا الله لكم)

أى وفى الآخرة ثم النار (والله يعلم) أى كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله (وانتم لا تعلمون) وقيل معناه يعلم ما في قلب من يحب ان تشيع (لغا حشة فيحياز به على ذلك وانتم لا تعلمون ذلك) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أى لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحاً وحسان بن ثابت وجنسة (وان الله رؤف رحيم) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) لا تتبعوا خطوات الشيطان) أى آثاره ومساكنه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) أى بالاتباع من الاقوال والافعال وكل ما يكره الله عز وجل والالية عامة في حق كل احد لان كل مكلف ممنوع من ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) مازكا منكم من احد ابد) أى ما ظهر ولا صلح والالية عند بعض المنكرين على العموم قالوا اخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعممة ما صلح منكم احد وقيل الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما ظهر من هذا الذنب ولا صلح امره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبه احد منكم ابد) (ولكن الله يركى) اى يظهر (من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع) أى لا فوالكم (علي) اى بما في قلوبكم قوله عز وجل (ولا ياتل) أى ولا يختلف من الالية وهى القسم (أولو الفضل منكم والسعة) يعنى الغنى يعنى أبابكر الصديق (ان يؤتوا) أى القرى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) يعنى مسطحاً وكان مسكيناً مهاجراً يدري ابن خالته الى بكر الصديق خلف أبو بكر ان لا ينفق عليه فانزل الله هذه الآية (وليعفوا وليصفحوا) أى عن خوض مسطح في امر عائشة (الأتجون) يخاطب أبابكر (ان يعفوا الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأه ارسول الله صلى الله عليه وسلم على أى بكر قال بلى انا أحب ان يعفوا الله لى ورجع الى مسطح بن نفقة التى كان ينفق عليه وقال والله لا نزعها عنه ابد وفى الآية اذلة على فضل ابى بكر الصديق لان الفضل المذكور في الآية ذكره تعالى في معرض المدح وذكره لفظ الجمع في قوله اولو الفضل وقوله الاتجون ان يعفوا الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ورفقته من ان احتمل الاذى من ذوى القرى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من أشد الجهاد لانه جهاد النفس وممانته تعالى قال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال فى حق أبى بكر وليعفوا ولم صفحوا فدل ان أبابكر كان ثانياً اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفى الآية دليل على ان من خلف على عين فرأى غيرهما خيراً من اقبلات الذى هو خير ويكره عن يمينه ومنه الحديث الصحيح من خلف على يمين فرأى غيرهما خيراً من اقبلات الذى هو خير وليذكر عن يمينه قوله تعالى

قلعوا لهم ما يرمون ان يفعل بهم رهم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فتادوا باباد الله واغفر واوارحوا (ان تزلت في شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين خلف ان لا ينفق على مسطح ابن خالته لمخوضه في عائشة رضى الله عنها وكان بمسكيناً يدري ما هم الما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبى بكر قال بلى أحب ان يعفوا الله لى ورجع الى مسطح بن نفقة

(ان الذين يرمون المحصنات) العائف (العافلات) السيدات الصورات النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور (المؤمنات) بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضي الله عنهما من أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل من جميع المؤمنات اذا عبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل اريدت عائشة رضي الله عنها وحدها وانما جاع لان من قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهن (اعنوا في الدنيا والآخرة) ولهم عذاب عظيم جعل القذف ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ان لم يتوبوا والاعمال في ٢٣ (يوم تشهد عليهم) يعذبون وبالياء

حزرة وعلى (السننهم وايديهم وارجلهم) بما كانوا يعملون (اي بما افكروا وبهوا واولوا العمل في يومئذ يقيم الله دينهم الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذي هم اهله وقرا مجاهد الرفع صفة كقراءة اي يوفهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب مجازان يكون الحق وصف الله بان يستصحب على المدح (ويعلمون) عند ذلك (ان الله هو الحق المبين) لا ارتفاع

(ان الذين يرمون المحصنات) أي العائف (العافلات) أي عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها (المؤمنات) وصفة بابا المؤمنات لعلوا شأنا (اعنوا) اي عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) أي وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا في حق عبد الله بن أبي بن سلول المناقرو روى عن خصيف قال قالت اسعدين جبر من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذاك لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرا اول الذين يرمون المحصنات الى قوله تاوبوا فجعل له توبة ولا يجعل لأولئك توبة وقيل بل لهم توبة أيضا الآية (يوم تشهد عليهم السنتهم) هذا قيل ان يحتج على اقوالهم (وايديهم وارجلهم) يروى انه يحتج على الافواه فتكلم الايدي والارجل بما علمت في الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العبدل (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) أي الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شيء وقيل معناه بين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن أبي بن سلول كان يشك في الدين فعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين قوله عز وجل (النجيشت للنجيشتين) قال أكرمنا لمفسرين معنى النجيشات الكلمات والقول للنجيشتين من الناس ومثله (والنجيشتون) أي من الناس (للنجيشتات) من القول (والطيبات) أي من القول ومعنى الآية ان النجيش من القول لا يليق الا بالنجيش من الناس والطيب من القول لا يليق الا بالطيب من الناس وعائشة لا يليق بها النجيش من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم بالنجيش الا النجيش من الرجال والنساء وهذا من الذين قذفوا عائشة ولا يتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنساء وهذا من الذين يرونها بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الآية النجيشات من النساء للنجيشتين من الرجال والنجيشون من الرجال للنجيشتات من النساء أمثال عبد الله بن أبي المساق والشاكين في الدين والطيمات من النساء للطيبين والطيمات للطيبات (ريدنا عائشة طيبا) الله لرسوله صلى الله عليه وسلم (اولئك مبرؤن) يعني عائشة وصفوان ذكرهما الله بافظ الجمع منزهون (عما يقولون)

الشكوك وحصول العلم الضرورى ولم يغضب الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغلظه في افك عائشة رضي الله عنها فلو جز في ذلك واشجع وفصل واجل واكدو كر وما ذاك الا ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما من اذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاص في امر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة في امر الاقل ولقد رآنا الله تعالى اربعة اربعة برأوسف عليه السلام شاهد من اهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه

بالحجر الذي ذهب بثوبه ويرمى رضي الله عنها بانصاف ولدها وعائشة رضي الله عنها بهذه الاى العظام في كتابه المجزأ المتلوعلى وجه الدهر بهذه المبالغات فأنظر كم ينهاون بترته اولئك وما ذاك الا لظاهر علوم منزلة رسوله والتنبه على انافه خله صلى الله عليه وسلم وعلى آله (النجيشتات) من القول يقال (للنجيشتين) من الرجال والنساء (والنجيشتون) منهم من يتعرضون (للنجيشتات) من القول وكذلك (والطيمات للطيبين والطيمات للطيبات) اولئك مبرؤن عما يقولون اي فيهم وما اولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن عما يقول النجيشون من خبيثات التكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها وما ريت به من قول

لا يطابق حالها في الزناه والطب ويجوز أن يكون إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وإن براد بالحيثيات والطيبات النساء الحماث تتروجن الحماث والحيثات تتروج الحماث وث وكذا أهل الطب (لهم مغفرة) مستأنف
أواخر بعد خبر (وروز كريمة) في الجنة ٢٢٤ ودخل ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها في مرضها وهي

خافضة من القسوم على الله تعالى فقال لا تخافي لاني لا تقدمين الاعلى مغفرة وروز كريمة وتلا الآية فعذني عليها فرحما بالاقوال عائشة رضي الله تعالى عنها اعطيت تسعا ما اعطيتن امرأة نزل جبريل بصور في راحته حين امر عليه الصلاة والسلام أن يتروجني تروجي بركا وماتر وج بركا غير يوتوي عليه الصلاة والسلام ورأسه في جري وقبر في بيتي ولقد حقته الملائكة في بيتي وينزل عليه الوحي وانافي لحافه وانابته خليفته وصديقه ونزل عذري من السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة وروزا كريمة وقال حسان عذرا في حقها حصان رزان ماتر بريسة وتصيح غري من محوم الغواف حليته غير الناس دينا ونصبا نبي الهدى والمكرات القواضل عاقلة حى من لوى بن غالب كرام الناسا حى مجده غير زائل مهذبة قد طب الله حياها وطهرها من كل شين وباطل يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم اي بيوتنا لستم بملكوتها ولا تسكنوها

يعني اصحاب الافك (لهم مغفرة) أى عقولهم بهم (وروز كريمة) يعنى الجنة روى ان عائشة كانت تتقتر بأشياء أعطيت لم تعطاها غير ما منحها جبريل عليه السلام أى بصورتها في سرقة حرير قال هذه زوجتك وروى انه أتى بصورتها في راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتروج بركا غير ما وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في جبرها في يومها وقدن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في اللحاف ونزلت برأيتها من السماء أنها ابنة الصديق وخليفته رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة وروزا كريمة وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا (اى تستأذنا) وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنا وقول تستأنسوا واخطأ من الكتاب وفي هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس في اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيؤذنه في داخل وقيل هو من آتت اى اصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة او يستنجح حتى يعرف اهل البيت (وسلموا على اهلها) بيان حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد الاستئذان والسلام واختلعه في ايها يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول ادخل سلام عليكم كافي الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم ادخل وتقدير الآية حتى تسلموا على اهلها وتستأذنا وكذا هو في مصنف ابن مسعود وروى عن كند بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم اسم ولم استأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ار جع فقل السلام عليكم ادخل اخرج ابو داود والترمذي وعن ربيع بن خراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فخرج الى هذا فاعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم ادخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج ابو داود (ق) عن ابي سعيد واى بن كعب عن ابي موسى قال ابو سعيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جاء ابو موسى كانه مذهب فقلت استأذنت فلما سلم يؤذن لي فخرجت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله لا تمنع عليه بيعة ائمتكم احد سمع من النبي صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب فوالله لا يقوم عليك الا اصغر القوم فكنت اذ غر القوم فقامت معه فاجرت عمران

(حتى تستأنسوا) اى تستأذنا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد رآه والاستئناس في الاصل الاستسلام والاستكشاف استفعال من انس الشيء اذا ابره ظاهرا مكشوف اى حتى تستعلموا ايطا لكم الدخول ام لا وذلك بتسبيحة او بركا او بغيره او بغيره او بغيره (وسلموا على اهلها) والتسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له والا وجع وقيل ان تلايقا يقدم التسليم والا فالاستئذان

ذلك) أي الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية المجاهلية والدم ورو هو الدخول بغير إذن فكان الرجل من أهل المجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول حينئذ صباحاً حينئذ مساء ثم يدخل فربما أصاب ٤٢٥ الرجل مع امرأته في لحاف واحد

(الذي تذكرون) أي قيل لكم هذا لكي تذكروا وتعظوا وتعلموا ما أمرت به في باب الاستئذان (فإن لم تجدوا فيها) في البيوت (أحد) من الأئمة (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا من يأذن لكم أو فإن لم تجدوا فيها أحد من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها إلا التصرف في ملك الغير لا بد من أن يكون رضاه (وإن قيل لكم ارجعوا) أي إذا كان فيهم قوم فقالوا ارجعوا (فارجعوا) ولا تلجؤا في إطلاق الأذن ولا تلجؤوا في تسهيل الحجاب ولا تنفخوا على الأبواب لأن هذا مما يحبط الشكر فاذنني عن ذلك لا دأبه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك وعن أبي عبد الله ما قرع باباً على عالم قط (هو أركي لكم) أي الرجوع أطبوا ظهر لمساقيه من سلامة الصدور والصدع الرية أو أنفع وإني خير (والله عاتبون عالم) وعيد للخطاطين بأنه عالم بما يتون وما يذرون مما خوطبوا به فوقف جزاء عليه (ليس عليكم جناح) أي أن تدخلوها (فإن تدخلوها) (بيوتاً غير مسكونة) استثنى من البيوت

التي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الأول اعلموا والشأنى مؤامراً والشأنى استئذان بالرجوع يعني عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك لأن الدور لم يكن عليها يومئذ سوراً فتحه أبوداود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعى أحدكم فقامع الرسول فإن ذلك له إذن أخرجه أبوداود وقيل إذا وقع بصره على إيمان قدم السلام والاقدم الاستئذان ثم يسلم وقال أبو موسى الأشعري وحديثه يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روی عن عطاء بن يسار أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استأذن على أي قال نعم فقال الرجل أنى معها في البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها قال قال فاستأذن عليها أخرجه مالك في الموطأ ثم سئل قوله تعالى (ذا لم خير لكم) أي فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من التعمج بغير إذن (لعلكم تذكرون) أي هذه الآداب فتعلموها قوله عز وجل (فإن لم تجدوا فيها) أي في البيوت (أحد) أي يأذن لكم في دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أي في الدخول (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) يعني إذا كان في البيت قوم وكروا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فارجع ولا تصف على الباب ملازماً (هو أركي لكم) أي ارجع وهاطوا ظهر واصلح لكم فإن للناس أحوالاً وحاجات يكرهون الدخول عليهم في تلك الأحوال وإذا حضر إلى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظراً جاز كان ابن عباس يأتي دوراً لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج إليه الرجل فإذا خرج ووجه قال ما بين عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هكذا أمرنا أن نطلب العلم وإذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه إذا كان الباب مردوداً (ق) عن سهل بن سعد قال أطلع رجل من جفري باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى رجل ورواية يجله رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تطرأ عنتي في عمتك أنما جعل الأذن من أجل البصر (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حبل لهما من أيقاعه وفي رواية للسائي قال لو أن امرأاً طلع عليك بغير إذن فخذته ففأنت عنه ما كان عليك خرج وقال مرة أخرى جناح (والله عاتبون عالم) أي من الدخول بالاذن وما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والنام على ظهر الطريق ليس فيها ساسا كن فائز الله تعالى (ليس عليكم جناح) أي أن تدخلوها بيوتاً غير مسكونة أي بغير استئذان (فيها ما عركي لكم) أي منفعة لكم قيل إن هذه البيوت هي الخسائن والمنازل المبنية للساكنة ليأوي إليها ويؤوي أمتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان ومنفعة النزول بها أو انتهاء الحروب والبروداء

ثم ن ث التي يجب الاستئذان على دخلها ليس يسكن منها كالحانات والربط وحوانيت التجار (فيها ما عركي لكم) أي منفعة لكم من الحروب والبروداء الرجال والبالغ والشرايع وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز

(والله يعلم ما تبسدون وما تسكتون) وعيد لماذين يدخلون المحرمات والدوا الحائلة من أهل الريبة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) من للتبعض والمراد غرض ٤٢٠ البصر عما يحرم والاقصا ربه على ما يحل (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا ولم

يدخل من هنالان الزنا لارخصة فيه بوجهه وبحجوز النظر الى وجه الأجنبية وكهها وقدمها في روية والى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين (ذلك) أى غرض البصر وحفظ الفرج (أزكى لهم) أى أظهر من دنس الاثم (ان الله يحب ما يصنعون) فيه ترغيب وتهيب بمعنى انه خير باحوالهم وأفعالهم وكيف يحييولن ابصارهم يعلم خائفة الاعيين وما تخفى الصدور فعلمهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن) أمرن بعض الابصار فلا يحل للمرأة ان تنظر من الاجني الى ما تحت سرتة الى ركبته وان اشبهت غضضت بصرها رأسا ولا تنظر الى المرأة الا الى مثل ذلك وغضضت بصرها من الاطراف اصلاولى بها وانما قدم غرض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور فبذر الفوى طموح العين (ولا يبدن زينةهن) الزينة ما ترينته المرأة من حلى أو كحل أو خضاب والمعنى

الامتنعة بها وقيل سوت التجار وحوائثه في الاسواق يدخلها البيع والشراء وهو منقعهما فلم يس فيها استئذان وقيل هي جميع البيوت التى لاسا كن فيها لان الاستئذان انما جعل لئلا يطالع على عورة فان لم يحفظ ذلك جازله الدخول بغير استئذان (والله يعلم ما تبسدون وما تسكتون) قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أى عما لا يحل النظر اليه قيل معناه غرضوا أبصارهم وقيل من هنالالتبعض لانه لا يجب الغرض عما يحل اليه النظر وانما أمروا ان يغضوا عما لا يحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة العجاة قال اصرف بصرك * عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما على لا تنسج النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذى (م) عن أبي سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يقضى الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تقضى المرأة الى المرأة في ثوب واحد وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) أى عما لا يحل قال أبو العالسة كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا في هذا الموضع فانه أراد به الاستئذان حتى لا يقع بصر الغيرة فان قلت كيف ادخل من على غرض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على أن أمر النظر أوسع الا ترى ان المحارم لباس بالنظر الى شعورهن وثديهن واعضادهن واقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات في البيع والأجنبية بحجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك وأما أمر الفروج فخصيقي وكفالك أن أجمع النظر الاما استثنى منه وحظر المجامع الاما استثنى منه فان قلت كيف قدم غرض البصر على حفظ الفرج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاتحراس منه (ذلك) أزكى لهم) أى غرض البصر وحفظ الفرج (ان الله خير بما يصنعون) أى انه خير باحوالهم وأفعالهم وكيف يحييولن ابصارهم وكيف يضمنون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أى عما لا يحل لمن روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث اذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبتا منه فقلنا يا رسول الله اليس اعنى لا يصبرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميتا وان أنما أستمأ بصرانه أم حرمه الترمذى وأبو داود قوله تعالى (ولا يبدن) أى لا يظهرن (زينةهن) أى لغير محرم أو ارباب الزينة المحقة مثل الخصال والمخاضاب في الرجل والسوارق المعصم والقرط في الاذن والقلل لا تغطي العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة النظر الى مواضعها من البدن (الاماظهر منها) أى من الزينة قال

لا يظهرن مواضع الزينة وهي الحنى وتجوها مباح فالمراد بها مواضعها لاظهارها مواضعها لا لاطهارها واعيانها سعيد ومواضعها الرأس والاذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهى للاكليل والقرط والقلادة والوشاح والدمج والسوار والخلخال (الاماظهر منها) الاما جرت العادة والجميلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان

ففي سترها حجب بين فان المرأة لا تحجب بدنان من زواله الاشياء بيدها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والحكمة والنكاح وتضطرب الى المشي في الطرقات وتظهر قدميها وخاصة الفقيرات منهت (وليضر بن) وليضن من قولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه (بضم هـ) ٢٢٧ جمع خمار (على جيو بن) بضم الجيم

سعيد بن جبير والفتاح والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود في الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والحاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبي النظر اليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يصف فتنة وشهوة فان خاف شيئا من ذلك غرض البصر وانما يخص في هذا القدر للمرأة ان تبدي من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضر بن بضم هـ) أي الملقين بمقتانهم (على جيو بن) أي موضع الحبيب وهو الصدر والصدر أي ليسترن بذلك شعورهم واعناقهم واقراطهم وصدورهم (خ) عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما نزل الله وليضر بن بضم هـ على جيو بن شعثن مروطن فاحتمرن بها المرط كساء من صوف او خز او كان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع (ولا يبدن زينتهن) يعني الحفية التي لم يجعلن كشفها في الصلاة فلا لاجانب وهي ما عد الوجه والكفين (الابولعثن) قال ابن عباس لا يضمن الجلباب والخمار الا لزوجتهن (أو بائنهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بنو أخواتهن أو بنو أخواتهن) فيجوز لهؤلاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره النظر الى فرجها (أو نساءهن) أي المؤمنات من أهل دينه أراد انه يجوز للزوجة ان تنظر الى بدن المرأة الاما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة ان تنظر بدن نساءها عند الذميمة أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نساءهن والذميمة أو الكافرة لست من نسايتن وانها اجنبية في الدين فكانت ابعدهن من الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء أهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز ان تنكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء (أو ما ملكت أيمانن) قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الاما بين السرة والركبة كالخمار وهو ظاهر القرآن بروى ذلك عن عائشة وام سلة وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى الى قاطعة بعبد قد وهبه لها على قاطعة ثوب اذا اقتعت برأسه لم يبلغ رجلها واذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسه فانما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك لباس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو كلاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبد (أو التابيعين غير اولي الاربع بمن الرجال) قرئ غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدن زينتهن للتابعين الا الاربع منهم فانهن لا يبدن زينتهن لمن كان منهن هذا اربعة وقرئ غير بالجر على نعم التابعين والاربع والادب والحاجة والمراد بالتابعين غير اولي

سعيد بن جبير والفتاح والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود في الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والحاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبي النظر اليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يصف فتنة وشهوة فان خاف شيئا من ذلك غرض البصر وانما يخص في هذا القدر للمرأة ان تبدي من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضر بن بضم هـ) أي الملقين بمقتانهم (على جيو بن) أي موضع الحبيب وهو الصدر والصدر أي ليسترن بذلك شعورهم واعناقهم واقراطهم وصدورهم (خ) عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما نزل الله وليضر بن بضم هـ على جيو بن شعثن مروطن فاحتمرن بها المرط كساء من صوف او خز او كان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع (ولا يبدن زينتهن) يعني الحفية التي لم يجعلن كشفها في الصلاة فلا لاجانب وهي ما عد الوجه والكفين (الابولعثن) قال ابن عباس لا يضمن الجلباب والخمار الا لزوجتهن (أو بائنهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بنو أخواتهن أو بنو أخواتهن) فيجوز لهؤلاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره النظر الى فرجها (أو نساءهن) أي المؤمنات من أهل دينه أراد انه يجوز للزوجة ان تنظر الى بدن المرأة الاما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة ان تنظر بدن نساءها عند الذميمة أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نساءهن والذميمة أو الكافرة لست من نسايتن وانها اجنبية في الدين فكانت ابعدهن من الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء أهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز ان تنكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء (أو ما ملكت أيمانن) قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الاما بين السرة والركبة كالخمار وهو ظاهر القرآن بروى ذلك عن عائشة وام سلة وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى الى قاطعة بعبد قد وهبه لها على قاطعة ثوب اذا اقتعت برأسه لم يبلغ رجلها واذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسه فانما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك لباس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو كلاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبد (أو التابيعين غير اولي الاربع بمن الرجال) قرئ غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدن زينتهن للتابعين الا الاربع منهم فانهن لا يبدن زينتهن لمن كان منهن هذا اربعة وقرئ غير بالجر على نعم التابعين والاربع والادب والحاجة والمراد بالتابعين غير اولي

على الاستثناء والحال وغيرهم بالجر على البدل وعلى الوصفية (اولي الاربع) الحاجة الى النساء قيل هم الذين يبتغونكم لصيدوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم به لا يعرفون شيئا من أمرهن او شيوخ صلحاء او العنيد او الخصي او الخنث وفي الاثر انه الجبوب والاول الوجه (من الرجال) حال

الارثه هم الذين يبعون القوم لصيدوا من فضل طعامهم لاهمة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس هو الاحق العنين وقيل هو الذى لا يستطيع غشمان النساء ولا يشتهين وقيل هو المحبوب والحصى وقيل هو الشيخ الهرم الذى ذهبت شهوته وقيل هو الخثف (م) عن عائشة رضيت الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يدونه من غير أولى الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعث امرأة قال اذا أقبلت أقبلت باربع وإذا أدبرت أدبرت بشان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الأرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكم فأخبروه زاد أبو داود في رواية وأخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم قوله أقبلت باربع أى أن لها في طهرها أربع عكن فعنى تقبل اذا أقبلت بها أو أدا بالثمان أطراف العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها باليمن (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أى لم يكشفوا عن عورات النساء لجماع فطاعوا واعلى وقيل لم يعرفوا الدورة من غيرهما من الصغر وقيل لم يطبقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا أحد الشهوة وقيل الطفولة اسم للصبي الميختم (ولا يضر بن بارجلهن ليه لم يخفن من زينتهن) قيل كانت المرأة إذا مضت ضربت برجلها السبع صوت خلتها لها فتهين عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه شهوة النساء إذا سمع صوت الخلتل ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى لعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على أن الذى لا جل به نبهى عنه أن يعلم بما علمت من الحلى وغيره (وتوبوا الى الله جميعا) أى من التقصير الواقع في أمره ونفسه وراعه وأطاعته فيما أمر به ونهى الله عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة قيل أن أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يشتر العبد الضعيف على مرعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد فلا يفتن عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعده باللاح إذا تابوا أو استغفروا وذلك قوله تعالى (أيه المؤمنون اعدكم تعلقون) (م) عن الأغر أغر بنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لا توب الى ربى تبارك وتعالى مائة مرة فى اليوم عن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول رب اغفرلى وتب على اهلك أنت التواب الرحيم مائة مرة أخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشي (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله فرح بتوب عبده من أحد كم سقط على بصره وقد أضلته فى أرض فلاة (م) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه قوله عز وجل (وأنكحوا الأيامى منكم) جمع الأيامى يطلق على الذكور والأنثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم (والمسلمين من عبادكم) أى من عبيدكم (وامائكم) بسان حكم الآيه الأمر الذى كورى الآيه أمر نذب واستخبا لاجماع السلف عليه فاستحب لمن تاقته نفسه الى التسكاح ووجداهيته أن يتزوج وان لم يجد أهله بكسر شهوة بالضم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر النباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض

من ظهر على الشئ إذا طالع عليه ولم يبلغوا أو ان القدرة على الوطء من ظهر على فعلان اذا قوى عليه (ولا يضر بن بارجلهن ليه لم يخفن من زينتهن) كانت المرأة تضرب الأرض برجلها إذا مضت لتسمع قعقة خلتها فيعلم أنها ذات خلتل فهين عن ذلك إذ سمع صوت الزينة كطهارها ومنه سمى صوت الحلى وسواسا (وتوبوا الى الله جميعا اليه المؤمنون) اليه شامى اتباعا للصفة قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره يفتح الهمزة ولان بعدها الفاقى التقدير (لعلمكم تعلقون) العبد لا يتخلو عن سهو وتقصير في أوامره ونواهيه وان اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وبأنه يل اللاح إذا تابوا وقيل أحوج الناس الى التوبة من توههم انه ليس له حاجة الى التوبة وظاهر الآية يدل على ان العاصيان لا ينافى الايمان (وأنكحوا الأيامى منكم) الأيامى جمع أيم وهو من لا زوج له رجلا كان أو امرأة بكرة كان أو ثيبا وأصله انا ثم فقلت (والمسلمين) أى الخبير بن أو المؤمنين والمعنى زوجوا من تابع منكم من الاحرار والحرث ورومن كان فيه صلاح (من عبادكم وامائكم) أى من غلمانكم وجواريككم والامر للندب إذا نكح مندوب اليه

(ان يكونوا فقراء) من المال (يغنيهم الله من فضله) بالكفاية والقناعة أو بجماع الرزق وفي الحديث انعموا بالرزق بالنكاح وعن عمر رضي الله عنه روى مثله (والله واسع) غني ذو سعة لا يبرزه اغناء الخلائق (علم) بسط الرزق لمن يشاء وقيل في الآية دليل على ان تزويج النساء والاياحي الى الاولياء كان تزويج ٤٩ العبيد والاماء الى اموال فاعلم الرجل لابي

على الرجل الايم الا باذنه فكذا لا يلى على المرأة الا باذنها لان الايم ينظمهما (وليست عتق الذين) وليتحدوا في العفة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف (لا يتحدون نكاحا) استطاعة تزويج من المهر والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام يا معشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج فانه اغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولها بصوم من الفاقة وبعد من موافقة المعصية وهو غرض البصر ثم بالنكاح الحصن للدين المغني عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الظموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى أن يقدر عليه (والذين يدعون الكتاب عامليكم ايمانكم) اي المماليك الذين يطلبون الكتاب قالين مرقوعا بلا بداء أو منصوب بفعل يفسره (فكاتبوهم) وهو للندب ودخات الغناء لتضمنه معنى الشرط

للبر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء البائة النكاح ويكنى به عن الجماع ايضا ولو جاء بكسر الواو رضى الاثني وهو نوع من الخصاصه شبه الصوم في قطعه شبهة النكاح بالو جاء الذي قطع النسل عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود والودود فاني مكاثركم بالامم يوم القيامة اخرجها ابو داود والنسائي (م) عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا مئاع وخير مئاعها المرأة الصالحة أمان لا توفق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتقى للعادة أفضل له من النكاح عند الشافعي وعند اصحاب الرأي النكاح أفضل قال الشافعي قد ذكر الله عبدا كرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذي لا ياتي النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفي الآية دليل على ان تزويج الاياحي الى الاولياء لان الله خاطبهم به كان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى ذلك عن عمرو بن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس والي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز وابيه ذهب الثوري والاوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي واجيدوا وصحى وجوز اصحاب الرأي للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة ذينة يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريرة فلا والدليل على ان الولي شرط في النكاح ما روى عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الاولي اخرجها ابو داود والترمذي ولهما عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايماء امة تكذب بغير اذن وليها فذلكها باطل ثلاثان اصابها فله المهر بما استحل من فرجها فان تشادوا (١) فالسلطان ولي من لاولي له وقوله تعالى (ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزق والزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجت لمن يتبعني الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغني الله كلا من سعته (والله واسع) اي انه ذو الفضل والجود (علم) اي بما يصلح خلقه من الرزق قوله تعالى (وليست عتق الذين لا يتحدون نكاحا) اي لطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يتحدون ما ينسكون به من الصداق والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) اي يوسع عليهم من رزقه (والذين يدعون الكتاب) اي يطلبون المكتاتبة (عما ملكت ايمانكم فكاتبوهم) سبب نزول هذه الآية ان غلاما لحويط بن عبد العزى سأل مولا ان

والكتاب والمكاتبة كاعتاب والمعاينة وهو ان يقول لمولاه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتي ومعه كاتبتك على نفسي ان عتيقني اذ اوفيت بالمال وكاتبتك على نفسي ان تقبذك اذ كاتبت عليك الوفاء بالمال وكاتبتك على العتيق ويجوز حالا ومجلا ومعتجا وغير معتج لاطلاق الامر

(١) قوله تشادوا في بعض النسخ اشترجوا اه معجم

(ان علمتم فيهم خيرا) قدرة على الكسب او امانة وديانة والندبة معلقة بهذا الشرط (وا توهم من مال الله الذي آتاكم) أمر المؤمنين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطاءهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى وفي ارقاب وعند الشافعي رحمه الله معناه حظوم من بدل الكتابة بغير معاو هذا عندنا على وجه النذب والاول الوجه لان الاتباع هو التسليم فلا يقع على المحط سأل صبيح مولاه حو يظن ان كتابته فاني قنزلت ٤٣٠ واعلم ان العبد اربعة قن مقبتي الخدمة وماؤون في التجارة ومكاتب

يكتبه فاني عليه فانزل الله تعالى هذه الآية في كتابته حو يطع على مائة دينار ووهبه له منها عشرين دينارا فاذا هاق ول يوم خن في الحرب بينان حكم الآية وكيفية المكاتبه وذلك ان يقول الرجل املو كه كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدي ذلك في تخمين اوفي نجوم معلومة في كل نجم كذا فاذا ادبت ذلك فانت حرو بقبل العبد ذلك فاذا ادب العبد ذلك المال عتي وبصر العبد احق بكاتبه بعد الكتابة واذا عتي ابادا المال فافضل في يده من المال فوله وبنته او اولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتي واذا عجز عن اداء المال كان مولاه ان يفيج كتابته ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو ليس له ما روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اخرجه ابوداود وذهب بعض اهل العلم الى ان قوله تعالى في كتابته هو امر ايجاب يجب على السيد ان يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك على قيمته او على اكثر من قيمته وان سأل على اقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمر بن دينار ما روى ان سيرين ابنا محمد بن سيرين سأل انس ابن مال الشان يكا تبو كان كثير المال فاني فاطق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عرف قال له كاتبه فاني فضر به بالدرة وتلافى كاتبه توهم (ان علمتم فيهم خيرا) في كتابته وذهب اكثر اهل العلم الى انه امر نذب واستحباب ولا يجوز الكتابة على اقل من تخمين عند الشافعي لانه قد جدور افاقا بالعبد ومن تنمة الافاق ان يكون ذلك المال عليه الى اجل حتى يؤديه على هيل فيحصل المقصود وجوز ابو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختله وافي معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والنوري وقيل ما لاروى ان عبدا لسان الفارسي قال له كاتني قال لك مال قال لا قال تريد ان تطعمني اوساخ الناس ولم يكتبه قيل لو اراد به المال لقتل ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وامانة وقال الشافعي اظهر معاني الخير في العبد الا كسباب مع الامانة فاحب ان لا يمنع من المكاتبه اذا كان هكذا وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والناسم الذي يريد العفاف والمحاسد في سبيل الله اخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير ان يكون العبد عاقلا نالعا فاما الصبي والجنون فلا تصح كتابته لان الابتغاء منها لا يصح وجوز ابو حنيفة كتابة الصبي المراهق وقوله تعالى (وا توهم من مال الله الذي آتاكم) قيل هو

وا ببق فبال الاول ولي العزلة الذي حصل العزلة بانيار الحلو وترك العشرة والثاني ولي العشرة فهو صبي الحضرة يحاط الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبرة ويامرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله وياخذ الله ويعطي في الله وفيهم عن الله يتكلم مع الله فالديناسوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعبد في الغضب والرضا سبانه والتصدق في الفقر والغنى عنوانه والعلم مفزعه ومخاها والقرآن كتاب الاذن من مولاه هو كائن في الناس بفاوهره بائن منهم بسرايره فقد هجرهم فقال عليهم في الله بافناهم وصلوهم فيما لهم عليه الله ظاهرا وما هو منهم بالعيش فيهم ولكن بعدن الذهب الزغام ياكله اما يكون ويشرب ما يشربون وما يدريهم انه صنف الله برى السموات والارض قائمات بامره وكائنه قيل فيه فان تفتي الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

فحال ولي العزلة اصفى واحلى وحال ولي العشرة اوفى واعلى ونزل الاول من الثاني في حضرة الرحمن منزلة خطاب التدين من الوزير عند السلطان اما التي عليه الصلاة والسلام فهو كرم الطرفين ومعدن الشربين ومجمع الحالين ومنسج الزلاين قباطن احواله مهتدى ولي العزلة وظاهر اعماله مقتدى ولي العشرة والثالث الهاهد الخاسب العامل المطالب بالضر ائب كيجوم المكاتب عليه في اليوم والليلة خمس وفي المائتين درهما خمسة وفي السنة عشرة وفي العمر زورة فكانه اشترى نفسه من ربه بهذه الخيوم المرتبة فيسعى في فكك رقبته خوفا من البقاء في رتبة العبودية وطمعا في فسخ

خطاب للموا الى فيجب على السدان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيوا هو قول عثمان
وعلى الزبير وجاعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط الربع
وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الاخرون ليس
له حد بل عليه ان يحط عنه ماشاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما
له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك
في الموطأ وقال سعيد بن جبير كان ابن عرذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول
نجومه مخافة ان يعزف جيع اليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم
هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم الذي
جعل الله لهم من الصدقات المفروضة وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب وهو
قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حوث لجميع الناس على مؤنتهم واختلف العلماء
فما إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترفع
الكتابة سواء ترك مالا أو لم يترك وهو قول عروا بن عمرو بن دينار وبه قال عروا بن
عبد العزيز والزهرى وقتادة واليه ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم ان ترك وفاء ما بقي
عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لا ولادة الا حرا وهو قول عطاء
وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة
فاسدة يعتق بأداء المال لان عقده معاق بالاداء وقد وجدوا تتبعه أولاده واكتابه كفى
الكتابة الصحيحة لان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فيسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء
النجوم وقوله تعالى (ولا تكرهوا اقتياتكم) أي اماءكم (على البغاء) أي الزنا لان
أردن تحصنا الآية (من جار قال كان عبد الله بن أبي اسلول يقول لجارته اذهبي
فاغنينا ما قال أنزل الله ولا تكرهوا اقتياتكم على البغاء أن أردن تحصنا وفي رواية أخرى
ان جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها اميمة كان يكرههما على
الزنا فشكنا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تكرهوا اقتياتكم
على البغاء الى قوله غفور رحيم وقال المفسرون نزلت في عبد الله بن أبي اسلول المتناقض
كانت له جارية يقال لها اميسة ومعاذ وكان يكرههما على الزنا فصرية
ياخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية فيرجعون اماءهم فلما جاء الاسلام
قالت معاذا لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يتخولون وجهين فان يك حيرا فقد
استبكرنا منه وان يك شرقا قد أن لنا ان ندعه فانزل الله هذه الآية وروى ان إحدى
الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى يدينار فقال لهما ارجعا فاني انا والله لا نفعل قد
جاء الاسلام وحرم الزنا فانيسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكنا اليه فانزل الله هذه
الآية واختلف العلماء في معنى قوله ان أردن تحصنا على أقوال اchiedه ان الكلام ورد
على سبب وهو الذي ذكر في سبب نزل الآية تنفرج النهي على صفة السبب وان لم يكن
شرطا فيه الثاني انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة
التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن فانها تاتي بالطبع طوعا الثالث ان ان بمعنى اذا أي

باب المحرمية لسرح في رياض
الجنة قيمة مع بقاء وبفعل
ما يشاؤه ويؤاها والرابع الاباق
هاأكثرهم ففهم القاضي
الجائر والعالم غير العامل
والعامل المرائي والواعظ الذي
لا يفعل ما يقول ويكون أكثر
أقواله الفضول وعلى كل مالا
ينفعه بصول فضلاء السارق
والرائي والغاصب ففهم أخبر
النبي عليه الصلاة والسلام ان
الله ينصر هذا الدين يقوم
لاخلاق لهم في الآخرة ولا
تكرهوا اقتياتكم على البغاء
كان لابن أبي ست جوارعا
ومسيكة واميمة وعشرة واروى
وقتيالة يكرههن على البغاء
وضرب علي بن الضراب فشكت
ثنتان منهن الى رسول الله عليه
الصلاة والسلام فنزلت وبكني
بالقبي والقناة عن العبد والامة
والبغاة الزنا للنساء خاصة وهو
مصدر بلغت (ان أردن تحصنا)
تعفان الزنا وانما قيد به هذا
الشرط لان الاكراه لا يكون
الامع ارادة التحصن فآخر المطيعة
للبيغاء لا يسمى مكرها ولا أمره
اكرها ولا نزلت على سبب
فوقع النهي على تلك الصفة
وفيه توبخ للموا الى أي اذا وثبت
في التحصن فأنتم أحق بذلك

(للتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أى لتبتغوا بما كراههتن على الزنا اجورهن وأولادهن (ومن يكرههن فإن الله من بعدا كراهتهن غفور رحيم) أى لم يحن وفي مصحف ابن مسعود ذلك وكان الحسن يقول لهن والله هن والله لعلن ألا كراه كان دون ما اعتبرته الشريرة وهو الذى يخاف منه التلف كانت آتمة أولهم اذا تابوا (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) بفتح الباء جازى وبصرى وأبو بكر وجاد والمراد الآيات التى بينت في هذه الدورة وأوصحت في معاني الاحكام والمحدود وجازان يكون الاصل مينا فيها فاسع في الظرف أى أجرى مجرى ٤٣٢ المفعول به كقولك ويوم شهدناه و بكسر هاء غيرهم أى

بينت هى الاحكام والمحدود وجعل الفعل لها مجازا أومن بين معنى بين ومنه المثل قديم الصبيح لذي عينين

(ومثلامن الذين خلوا من قبلكم) ومثلامن أمثال من قبلكم أى قصة بحية من قصصهم كقصة يوسف ومريم معنى قصة عائشة رضى الله عنها (وموعظة)

ما وعظ به من الآيات والمثل من يحو قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا إذ سمعتموه لولا لاذا سمعتموه وبه بضم

الله أن تعودوا مثله أبدا (للتقين) أى هم المنتفعون بها وإن كانت موعظة لا السكل نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله

مثل نوره وهو يهدى الله لنوره قولك زيد كرم وجودك تقول ينش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذنور السموات ذنور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله وفى الذين آمنوا يخرجه

إذا أردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز كراهتهن على الزنا أن لم يردن تحصنا كقوله وأنتم الاعلون أن كنتم مؤمنين أى اذا كنتم مؤمنين القول الرابع أن فى هذه الآية تقديم وتأخير تأخير ذكره وأنتكحوا الايامى منهم أن أردن تحصنا ولا تذكره واقترابا لكم على البغاء (للتبتغوا) أى لتطلبوا (عرض الحياة الدنيا) أى من أموال الدنيا يريد كسبهن وبيع أولادهن (ومن يكرههن) يعنى على الزنا (فإن الله من بعدا كراهتهن غفور رحيم) يعنى لكبرهات والوزر على المكروه وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لمن والله هن والله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) أى من المحلال والمحرّم (ومثلامن الذين خلوا من قبلكم) أى شبه من حالكم بحالهم أي المكذبون وهذا تخويف لهم إن لم يحقهم ما لحق من كان قباهم من المكذبين (وموعظة للتقين) أى المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر قوله عز وجل (الله نور السموات والارض) قال ابن عباس معناه الله هادى السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهدايته من حيرة الضلالة يخرجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السماء باللائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه من السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كراهتهن وتدين كرهذا اللفظ على طريق المدح كقال الشاعر اذا سار عبد الله عن مروية فقد سار عنها نورها وجالها

(مثل نوره) أى مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن وهو النور الذى يهتدى به وقال ابن عباس مثل نوره الذى اعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة الى المؤمن أى مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بانوار القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمي طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا (كشكوة) هى الكوة التى لا منفذ لها قيل هى بلعة المحشة (فيها مصباح) أى سراج وأصله من الضوء (المصباح في رجاجة) يعنى التبدل انما ذكر الرجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شئ وضوءه يزيد في الزجاجة ثم وصف الرجاجة فقال تعالى (الرجاجة كأنها كوكب درى) من درأ الكوكب اذا اندفع منه قضيض ضعاف نوره في تلك الحال وفى

من الظلمات الى النور أى من الباطل الى الحق وأضاف النور اليه بالدلالة على سعة اشراقه وفتوه ذلك اضاعته حتى تضى له السموات والارض وجاز أن المراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به (مثل نوره) أى صفة توره العجيبة الشأن في الاضائة (كشكوة) كصفة مشكاة وهى الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أى سراج ضخ ثاقب (المصباح في رجاجة) في قنديل من زجاج شامى بكسر الزاى (الرجاجة كأنها كوكب درى) مضى بعضهم الدال وتشديد الياء منه وب الى الدائرة طائفة وصفاته وبالكسرة والمهززة أبو عمرو وعلى كانه يدرا الضلام بضوئه وبالضم والمهززة أبو بكر وجزء شبه في زهرته باحد الكواكب الدرارى كالشمس والزهرة ونحوهما

(توقد) بالتخفيف جزء وعلى وأبو بكر الزجاجة ويوقد بالتخفيف شامى ونافع وحفص ويوقد بالتشديد مكى وبصرى أى هذا المصباح (من شجرة) أى ابتدأه فهو بمنزلة شجرة الزيتون ٤٣٣ يعنى رويت ذبالبه نربها (مباركة) كثيرة

المنافع اولها نبتت فى الارض التى يورث فيها العالمين وقيل برك فيها سبعون نيبا منهم ابراهيم عليه السلام (زيتونه) بدل من شجرة نعمتها (لا شرقية ولا غربية) أى نعمتها الشام يعنى ليست من المشرق ولا من المغرب بل فى الوسط منهما وهو الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل ليست مما اطلع عليه الشمس فى وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصبىها بالغداة والعشى جميعا فهى شرقية وغربية (يكاد فيتها) دهنها (يضى) يولم تمسسه نار) وصف الزيت بالصفاء والنوميض وانه لثلاثوه يكاد يضى عن غير نار (نور عى نور) أى هذا النور الذى شبهه الحق بنور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق بقية مما يقوى النور وهذا لان المصباح اذا كان فى مكان متضائق كالمشكاة كان اجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل اعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاه وضرب المتل يكون بدنى محسوس معهود لا يعنى غير معان ولا مشهود فاقول تمام مقال فى المؤمنون

ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم اذا طلع وارفع وقيل درى أى شديد الانارة نسب الى الدر فى صفاته وحسنه وان كان الكوكب اضرأ من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفاته كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدرى احد الكواكب الخمسة السيارة التى هى زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وقيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانها مما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب (توقد) أى اتقد المصباح (من شجرة مباركة زيتونه) أى من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرح به يدهن به وهو ادام وهو اصفى الادهان واضوأ وقيل انها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل اراد به زيتون الشام لانها هى الارض المباركة وهى شجرة لا يسقط ورقها عن اسيدين ثابتا وابل اسيد الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كوا الزيتون وادهنوا به فانهم من شجرة مباركة اخبره الترمذى وقوله (لا شرقية ولا غربية) أى ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبهم الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الارض فيكون زيتها اضرأ وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست فى مقادير تصيبها الشمس ولا فى مخافة لا تصيبها الظل فهى لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة ليست فى شرق يضرها الحر ولا فى غرب يضرها البرد وقيل معناه هى شامسة لان الشام وسط الارض لا شرق ولا غربى وقيل ليست هذه الشجرة من اشجار الدنيا لانها كانت فى الدنيا اكانت شرقية أو غربية وانما هو مثل ضرب الله لنوره (يكاد زيتها يضى) أى من صفاته (ولولم تمسسه نار) أى قبل أن تمسه النار (نور عى نور) أى نور المصباح على نور الزجاجة

(فصل فى بيان التمثيل المذكور فى الآية) يختلف أهل العلم فى معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت فى الظهور والجلال الى اقصى الغايات وصاد ذلك بمنزلة المشكاة التى فيها زجاجة صافية وفى تلك الزجاجة مصباح يتركب من زيت النيران فى الصفا والرفق والابيض فاذا كان كذلك كان كاملا فى صفاته وصلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ليعب الجبار اخبرنى عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قال المشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة وهى شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وامرهم يتبين للناس ولولم يتكلم به انه نبى كيكاد ذلك للزيت يضى ولولم تمسسه نار وروى عن ابن عمر فى هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذى جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لانه يهودى وانصارى توقد من شجرة مباركة

ن ث اقام عمر وفى سماعة حاتم فى حلم احنف فى ذكاء اباس قيل له ان الخليفة فوق من مثله بهم فقال لم يتجلا لا تشكر واضربى له من دونه * من لا شر ودانى الندى والباس فانه قد ضرب الاقل لنوره * عن ائمة المشكاة والنبى اس

ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم نور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب
 القزطلي المشككة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم عليهم
 آجعين سعى الله محمد مصباحا كسماء سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه
 السلام لان أكثر الانبياء من صلبه لاشترقية ولا غربة يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا
 نصرانيا ولا كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي الى الغرب والنصارى تصلي الى
 الشرق يكادز يتهاضى ولولم تمسه نار تكاد نحاس محمد صلى الله عليه وسلم تظهر
 للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور بني من نسل بني نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع
 هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال ابن كعب هذا مثل المؤمن فالمشككة نفسه
 والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الايمان والقرآن تودع من شجرة مباركة
 هي شجرة الاخلاص لله وحده فمثل شجرة التقى بها الشجر فهي خضر ناعمة
 نظرة لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا غرت فكذلك المؤمن قد احترس أن يصيبه
 شيء من الفتن فهو بين أربع خلال ان أعطى شجرة وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال
 صدق يكادز يتهاضى أى يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل ان يثبت له لموافقة آياته
 نور على نور قال أى أى فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعلمه نور ومذله نور ونخرجه
 نور ومصيره الى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهذه قلب
 المؤمن كإيكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا مسته النار ازاد ضوءا
 على ضوءه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان يأتية العلم فإذا جاءه العلم ازداد
 هدى على هدى ونور على نور وقال الكشي نور على نور يعني ايمان المؤمن وعلمه وقيل
 نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء
 بالمصباح فكذلك يهدي بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشككة فوسانها والشجرة
 المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكادز يتهاضى أى نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن
 ولولم تمسه النار وقيل تكاد دجة القرآن تتضح وان لم يقر أنور على نور يعني القرآن
 نور من الله خلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا
 على نور وقوله تعالى (يهدى الله له نور من يشاء) قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور
 البصيرة (ويضرب الله الامثال للناس) أى يبين الله الاشياء للناس قرىبا الى الانهام
 وتسهلا للنيل الادراك (والله بكل شيء عليم) قوله عز وجل (في بيوت) أى ذلك
 المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت
 الله في الارض تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد
 بالبيوت أربعة مساجد يبينها الانبياء كعبته بناها ابراهيم واسماعيل فجعلها قبلة
 وبيت المقدس بناها داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ومسجد قباء أسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا (أذن الله ان
 ترفع) أى تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنى من القول وتظهر عن الانحسار والافتقار
 (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يتلى فيها كتابه (يسبح له فيها) أى يصلح له فيها (بالعدو
 له فيها بالنور)

(يهدى الله لنوره) أى هذا النور
 الثابت (من يشاء) من عباده
 أى يوفق لأصالة الحق من يشاء
 من عباده الجاهل من الله أو ينظره
 في الدليل (ويضرب الله الامثال
 للناس) تقر بيالى أفهامهم
 ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شيء
 عليم) يبين كل شيء عما يمكن ان
 يعلم به وقال ابن عباس رضى
 الله عنهم مثل نوره أى نور الله
 الذى هدى به المؤمن وقرأ ابن
 مسعود روجه الله مثل نوره في
 قلب المؤمن كشككة قرأ الى
 مثل نور المؤمن (في بيوت)
 يتعلق بمشككة أى كشككة
 في بعض بيوت الله وهى المساجد
 كانه قيل مثل نوره كما يرى في
 المسجد نور المشككة التى من
 صفحتها كبت وكبت أو بتوقد
 أى توقد في بيوت أو يسبح أى
 يسبح له حال في بيوت وفيها
 تذكر فيه توكيد يجوز يدق
 الدواخل فيها أو يجذوف أى
 يسبحوا في بيوت (أذن الله) أى
 أمر (أن ترفع) تبنى كقوله
 بناها رفع سمكها فأسواها واذرفع
 ابراهيم القواعد أو تعظم من
 الرفعة وعن الحسن ما أمر الله
 أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم
 (ويذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه
 أو هو عام في كل ذكر (يسبح
 له فيها بالنور)

والإتصال) أى يصلى له فيها بالعادة صلاة الفجر وبالإتصال صلاة الظهر والعصر والعشاء وانما وحدهم الغدولان صلاته واحدة وفى الإتصال صلوات والإتصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشى ٤٣٥ (رجال) فاعل يسبح شامى وأبو بكر

وسند إلى أحد الظروف
الثلاثة أعنى له فيها بالعادة
ورجال مرفوع بمال عليه
يسبح أى يسبحه (التهيم)
لاشغلهم (تجارة) فى السفر
(ولا يسبح) فى الحضر وقبل
التجارة الشراء إطلاقا لاسم
المحس على النوع أو خص
البيع بعدماع لانه أوغل فى
الأماء من الشراء لان الرجح فى
البيعة الرجحة متيقن وفى
الشراء مقنون (عذ كرا لله)
باللذان والقلب (واقام الصلوة)
أى وعن إقامة الصلاة التاء فى
إقامة عوض من العين السابقة
للاعلال والاصل أقوام فلما
قلت الواو ألفا اجتمع ألفان
فحذفت أحدهما لالتقاء
السا كنين فدخلت التاء عوضا
عن المحذوف فلما أضيفت
أقيمت الإضافة مقام التاء
فاستقطت (وايتاء الزكاة)
أى وعن إيتاء الزكاة والمعنى
لاتجارة فهم حتى تلهيهم
ككاولياء العزلة أو يبعون
ويشترون ويذكرون الله مع
ذلك وإذا حضرت الصلاة
قاموا إليها غير متثاقلين كاولياء
العشرة (يخافون يوما) أى يوم
القائمة ويخافون حال من
الضمير تلهيهم أى وصفة أخرى
لرجال (تقلب فيه القلوب)

والإتصال) أى بالعادة وانعشى قال أهل التفسير أراد به الصلاة المفروضة فالتى تؤدى
بالعادة صلاة الفجر التى تؤدى بالإتصال صلاة الظهر والعصر والعشاء لان اسم
الأصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل أراد به الصبح والعصر عن أى موسى الأشعرى
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح
وصلاة العصر وقال ابن عباس السبيح بالعادة وصلاة الفجر والإتصال صلاة العصر
عن أى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة
مكتوبة كان أجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج إلى المسجد إلى تسبيح الفجر لا يعينه
الأذى كان أجره كاجر المتمروص صلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين أخرجه أبو
داود (رجال) قيل خص الرجال بالذ كرى هذا المساجد لان النساء ليس عليهن حضور
المساجد كجمعة ولا جامعة (التهيم) أى لا تشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذ كرى
لانها أعظم ما يشغل الانسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وان
كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لانه ذ كرى البيع بعده وقبل التجارة لاهل
الحلب والبيع ما يباعه الرجل على يده (ولا يسبح) أى ولا يشغلهم بيع (عذ كرا لله) أى
حضور المساجد لإقامة الصلوات (واقام الصلوة) يعنى إقامة الصلاة فى وقتها لان من
أخر الصلاة تن وقتها لا يكون من متبمى الصلاة روى سالم عن ابن عمر انه كان فى السوق
فاقمت الصلاة فقام الناس وأغلته وأحوايتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت
هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة (وايتاء الزكاة) يعنى
المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت اداء الزكاة لا يجيبونها (يخافون يوما) متقلب
فيه القلوب والابصار) يعنى ان هؤلاء الرجال وان بالغوا فى ذكرائه والطاعات فانهم مع
ذلك وجلون خائفون لعلهم بأنهم ماعيدوا الله حق عبادته قبل ان القلوب تضطرب من
الهول والفرع وتنقص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من
الشك الى اليقين وترفع عن الابصار الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء
فتخشى الهلاك وتطمع فى النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من أى ناحية
يؤخذ بهم أمن ذات العين أم من ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل البين أم
من قبل الشمال وقيل تتقلب القلب فى الخوف فيرتفع الى الحجرة لا ينزل ولا يخرج
ويتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدة (ليجز بهم) الله أحسن ماعملوا) يعنى انهم
استعملوا بذكرا لله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجز بهم الله أحسن ماعملوا والمراد
بالأحسن الحسنات كمالها وهى الطاعات فرضها وفعلها وذكرا الأحسن تنبها على انه
لا يجازيهم على مساوى أعمالهم بل يفرهاهم ولم يقل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء
أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعين تضعف (ويزيدهم من فضله) يعنى
انه سبحانه وتعالى يجزيهم بأحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله

يلوؤها الى الخناجر (والابصار) بالاشتغوص والزرقه أو تتقلب القلوب الى الإيمان بعد الكفران والابصار الى العيان بعد
نكاره للظن ان كونه فكشفنا عنك غطاءك فصر لك اليوم حديد (ليجز بهم) الله أحسن ماعلوا ويزيدهم من فضله) أى
يسبحون ويخافون ليجز بهم الله أحسن جزاء أعمالهم أى ليجز بهم

ثوابهم مضافاً وزددهم على الثواب الموعود على العمل بفضلاً (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أي شيب من شاء ثواباً لا يدخل في حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه فالأد كروون في قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرى على وجه الارض كأنه ماء يجري (بقية) بقاع أوجع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جاف (يحسبه الظمان) يظنه العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أي جاء الى ما توهم انه ماء (لم يجد شيئاً) كظنه (ووجد الله) ١٣٦ أي جزاء الله كقوله يجد الله غفوراً رحيماً أي يجدهم غفراً ورحمة (عنده)

عند الكافر (فوفاه حسابه) أي اعطاه جزاء عمله وافيأ كاملاً وجد بعد تقدم الجمع جلا على كل واحد من الكفار (والله سريع الحساب) لانه لا يحتاج الى عدو وعقد ولا يشغله حساب عن حساب او قرب حساب لانه ما هوأت قريب شبيه ما عمله من لا يعتمد الايمان ولا ينسج الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها بنفسه عند الله ونتيجته من عذابه ثم يخيب في العاقبة امله ويلي خسلاف ما قدر بسراب براه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما جاءه ويجد زبابة الله عنده ياخذونه فيعتلون به الى جهنم فيسحقونه الجميع والعساق وهم الذين قال الله فيهم هم عاملنا نصيبه وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا قيل نزلت في عتبة بن ربيعة ابن أمية كان يترهب ملتصاً للدين في الجاهلية فلم جاء

(والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيه تشبيه على كمال قدرته وكال جوده وسعة احسانه وفضله قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقية) لما ضرب مثلاً لحال المؤمنين وانه في الدنيا والآخر في نور وانه فائر بالنعيم المقيم اتبعه بضر مثيل لأعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ما يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من رآه ماء فاذا قرب منه لم ير شيئاً والقمة القناع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب (يحسبه) أي يتوهمه (الظمان) أي العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أي جاء ما قد رآه ماء وقيل جاء الى موضع السراب (لم يجد شيئاً) أي لم يجده على ما قدر ظنه ووجه التشبيه ان الذي يأتي به الكافر من اعمال البر يعتقد ان ثواباً عند الله وليس كذلك فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الامام فعملمت حسرتة وتناهى عنه فشبّه حاله بحال الظمان الذي اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شيئاً فكذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده اغنى عنه شيئاً ولا نفعه (ووجد الله عنده) أي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء عمله (والله سريع الحساب) معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا يشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب له كفاراً مثلاً آخر فقال تعالى (أو كظلمات) أعلم الله سبحانه وتعالى ان أعمال الكفار ان كانت حسنة فهي كسراب بقية وان كانت فيجبه فهي كظلمات وقيل معناه ان مثل أعمالهم في فسادها وجهاتهم فيها كظلمات (في بحر لجي) أي عميق كثير الماء ولجّة البحر معظامة (يغشاء) أي يعلوه (موج من فوقه موج) أي متراكب (من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض) معناه ان البحر اللجج يكون قعره مظلاماً احداً بسبب غورة الماء فاذا تراكفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحب بلغت الظلمة النهاية القصوى (اذا أخرج يده لم يكد يراها) أي لم يقرب أن يراها شدة الظلمة وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد وقيل لما كانت البدن أقرب شئ يراها الانسان قال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل

الاسلام كثر (أو كظلمات في بحر) أو هنا كافي أو كصيب (لجي) عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر (يغشاء) يغشي البحر أو من فيه أي يعلوه ويغويه (موج) هو ما ارتفع من الماء (من فوقه موج) أي من فوق الموج موج آخر (من فوقه سحب) من فوق الموج الاعلى سحب (ظلمات) أي هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج (اذا أخرج يده أي الوافق فيه) لم يكد يراها (مبالغة في لم يرها) أي لم يقرب ان يراها فصار ان يراها شبه أعمالهم أو لا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئاً ولم يكد يركه خيبة وكهد أن لم يجد شيئاً كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبابة

تعتله الى النار وشبهها ثانيا في ظلماتها وسوادها الكونها باطالة وفي خلقها عن نور الحق بظلمات مستراكة من فج البحر والامواج والسحاب (ومن لم يجعل الله له نورا فإسالة من نور) من لم يهده الله لم يهتدع الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره في أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل (المتر) لم تعلم يا محمد علم يقوم مقام العيان في الايقان (أن الله يسبح له من في السموات والارض والظهير) عطف على من (صافات) ٢٧ حال من الطير اى يصغفن اجنحتن في الهواء

(كل قد علم صلاته وتسبيحه) الضمير في علم السجك اوله وكذا في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يبعد أن يلهم الله الظهير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقل ايهتدون اليها (والله علم عيايه علمون) لا يعزب عن علمه شيء (ولله ملك السموات والارض) لانه خالقهما ومن ملك شيء أتيه ملكه اياه (والى الله المصير) مرجع الكل (الم تر أن الله يرحى) يسوق الى حيث يريد (مخابا) جمع سبحانه دليله (ثم يؤلف بينهم) ويذكيره للفظ أى ضم بعضهم الى بعض (ثم يجعله ركاما) مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من دخلاله) من فوقه وخارجيه جمع خلل كجبال في جبل (ويُنزل) وينزل مكي ومدني وبصري (من السماء) من لا ابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء (من جبال) من لا تبعيض لان ما ينزل الله بعض تلك الجبال التي (فيها) في السماء (من برد) للبيان أو الاوليان لا ابتداء أو لا تحرة للبعيض ومعناه انه ينزل البرد من

وقبل شهباء البحر التي قلبه والماء حيا يتعشى قلبه من الجهل والذل والمحيرة والسحاب الحتم والطبع على قلبه قال ابى بن كعب السكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومسخره ظلمة ومخرجه ظلمة ومضيه الى الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله له نورا فإسالة من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له ديناً وإيمانا فلا دين له وقل من لم يهده الله فلا هدى له قبل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمة كان يلتمس الدين في المجاهلية وليس المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعاند ولا يصح ان الآية عامة في حق جميع الكفار قوله عز وجل (الم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والظهير صافات) أى باسطات اجنحتن في الهواء قيل خص الطير بالذ كرم جلة الحيوان لانها تسكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض) كل قد علم صلاته وتسبيحه) قيل الصلاة لنبى آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مضل ومضيع علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مضل ومضيع منهم قد علم صلاته نفسه وتسبيحه (والله يعلم بما يفعلون والله ملك السموات والارض) أى ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنه نشأت ومنه بدأت فهو واحد الوجود وقيل معناه ان خزائن المطر والرزق بيده ولا يعلمها احد سواه (والى الله المصير) أى والى الله مرجع العباد بعد الموت قوله تعالى (الم تر أن الله يرحى) أى يسوق (مخابا) بانه الى حيث يشاء من أرضه وولاده (ثم يؤلف بينهم) أى يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض (ثم يجعله ركاما) أى مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) اى المطر (يخرج من دخلاله) أى من وسطه وهو مخارج القطر (و ينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل معناه و ينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس اخبر الله ان في السماء جبلا من برد وقيل معناه و ينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لا ابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للبعيض لان ما ينزل الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للجنس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيبه) أى البرد (من يشاء) فيهلكه وأموا له (ويصرفه عن يشاء) أى فلا يضره (يكاد سنابرة) أى ضوء برق العجيب (يذهب بالابصار) أى من شدة ضوئه وبريقه (يقلب الله الليل والنهار) أى يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما فياين بالليل ويذهب بالنهار ويبقى بالنهار ويذهب بالليل (ق) عن ابى هريرة قال قال

السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال اى بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد ان يخلق الله في السماء جبال برد كذا خلق في الارض جبال حجار و يريد الكثرة يذ كر الجمال كما يقال فلان يملك جبلا من ذهب (فيصيبه) بالبرد (من يشاء) اى يصيب الانسان وزرعه (ويصرفه عن يشاء) فلا يصيبه او يعذب من يشاء ويصرفه عن يشاء فلا يصيبه (يكاد سنابرة) ضوئه (يذهب بالابصار) يحطتها يذهب يزدعى زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) يصرفهما في الاختلاف طولاً

وقصر أو التعاقب (أن في ذلك) في أجزاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقلب الليل والنهار (لعبرة لا ولي الابصار) لذوي العقول وهذا من تعدد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وما يطر بهمها ودعاءهم له وتسخير السحاب الى آخر ما ذكره في براهين لأخذه على وجوده لدلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليل آخر فقال تعالى (والله خلق كل خلق كل حجرة وعلى (دابة) كل حيوان يدب على وجه الارض (من ماء) أي من نوع من الماء يختص بتلك الدابة أو من ماء مخصوص ٣٨ وهو المنطقة ثم خالف بين الخلوقات من المنطقة فيها هوام ومنها بها ثم

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند الغوازل والشدا ئد اصابتها الدهر ويذمون في اشعارهم فقبل لهم لاسم الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصروف تقع فيه التأثيرات كما تقع بك قوله تعالى (ان في ذلك) أي الذي ذكر من هذه الاشياء (لعبرة لا ولي الابصار) أي دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيد حقه عز وجل (والله خلق كل دابة من ماء) أي من طرفة واراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لاننا لا نشاهدهم وقيل ان أصل جميع الخلق من الماء ذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه رجاء ونور الخلق منه الملائكة وجعل بعضه نار الخلق منه الجن وجعل بعضه طينا خلق منه آدم (فهم من يمشي على بطنه) أي كالحيتان والحيات والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشي على رجلين) يعني مثل بني آدم والطير (ومنهم من يمشي على أربع) يعني كالحيتان والسمك فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثير من الحيوانات يتولد من غير طرفة قلت ذلك الخلق من غير طرفة ليدان يتكون من شئ وذلك الشئ أصله من الماء فكان من الماء فان قلت فهم من يمشي ضمير العقلاء فلم استعمل في غير العقلاء قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللاتقي بمن يعقل لان جعل الشئ بف أصله والحيثيس تبعاً أولى فان قلت لم قدم ما يمشي على بطنه على غيره من الخلوقات قلت قدم الاعجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغيراً للمشي وهي الارجل والقوائم ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على أربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الأربع وفي الحيوانات ما يمشي على أربع كثر من أربع كالعنكب والعقارب والرتيل او ماله أربع ارجل واربعون رجلاً ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان له مقابلاً لا غلب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمداها على أربع في المشي والباقى تبع لها (يخلق الله ما يشاء) أي عما لا يعقل ولا يعلم (ان الله على كل شئ قدير) أي هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع (لقد انزلنا آيات مبينات) يعني القرآن وهو المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يعني الى دين الاسلام الذي هو دين الله وطريقه الى رضاه وجهته قوله تعالى

إناسي وهو كقوله يسبق بقاء واحد وتفضل بعضها على بعض في الاكل وهذا دليل على ان لها خالقاً ومدبراً والام تختلف لاتفاق الاصل والاعراف الماء في قوله وجعلنا من الماء كل شئ حي لان المقصود ثمان اجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء لانه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها واسائط قالوا ان أول ما خلق الله الماء تخلق منه النار والرجح والطين تخلق من النار والجن ومن الرجح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض ولما كانت الدابة تشمل الممزر وغير المعيز غلب المميز فأعطى ما وراء حكمه كائن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل (فهم من يمشي على بطنه) كالحيتة والحوت وسعى الزحف على البطن مشياً استعارة كما يقال في الامر المستمر قدمه شئ هذا الامر أو على طريق المتناكدة لذكر الزاحف مع الماشين (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانسان

والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالحيتان وقدم ما هو اعرف في القدرة وهو الماشي بغيراً لة (ويقولون) مشي من أربع او غيرها ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع (يخلق الله ما يشاء) كيف يشاء (ان الله على كل شئ قدير) لا يتعد رعايه شئ (لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء) الى صراط مستقيم (الى صراط مستقيم) الى الدين الاسلام الذي يوصل الى حنائه والآيات لانزام حجة لما ذكر انزال الآيات ذكر بعدها اقتراف الناس الى ثلاث فرق في فرق صدقت فها هو كذبت باطننا وهم المتأفقون وفرقة صدقت ظاهرنا واطننا وهم الكافرون حتى هذا الترتيب وبدلاً من اقلين فقال

(ويقولون آمنا بالله وبالرسول) بالسنتهم (واطعنا) الله والرسول (ثم يتولى) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريقا منهم من بعد ذلك) أى من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول واطعنا (وما أولئك بالمؤمنين) أى الخالصين وهو أشارة إلى القائلين آمنا واطعنا لا إلى الفريق المتولى وحده وفيه اسلام من الله بان جميعهم منتفع عنهم الايمان لاعتقادهم ما يعتقده هؤلاء والاعراض وان كان من بعض فالرضا بالاعراض من كلهم (واذ ادعوا الى الله ورسوله) الى اى رسول الله كقولك انما يحبني زيدوكم تريد كرم زيد (ليحكمكم) الرسول (بينهم اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأهم فريق منهم الاعراض نزلت في بشر المناق وخصه اليهودى حين اخضعوا في أرض فجعل اليهودى يحججه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمناق الى عبد ابن الاشرف ويقول ان محمد ابيحاف عابنا (وان يكن لهم الحق) اى اذا كان الحق لهم على غيرهم (باتوا اليه) الى الرسول (مدعين) حال أى مسرعين في الطاعة طلبا لمحقهم لارضائهم رسولهم ١٣٩ قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة

والمنى انهم لم عرفهم انه ليس معك الا الحق المروا العدل اليك يتبعون عن الحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تترفع من احداهم بقضائك عليهم لمخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكمومتك لتأخذهم ماوجب لهم في ذمة الخصم (اقبلوهم مرضا أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) قسم الامر في صدورهم عن حكم ربه اذ كان الحق عليهم بان يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الخيف في قضائه ثم ابطال خوفهم حقيقة بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون ان

(ويقولون) يعنى المناق (آمنّا بالله وبالرسول واطعنا) أى يقولونه بالسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) أى من بعد قولهم آمنا ويدعوا الى غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية في بشر المناق كان يشك وبين يهودى خصومة في أرض فقال اليهودى نتخا الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المناق بل نتخا الى كعب بن الاشرف فان محمد ابيحاف فأنزل الله هذه الآية (واذ ادعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى الرسول ليحكم بينهم (اذا فريق منهم معرضون) يعنى عن الحكم وقيل عن الاحابة (وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مدعين) أى مطعين متقادين لحكمه أى اذا كان الحكم لهم على غيرهم اسرعوا الى حكمه لثقتهم انه يحكمهم بالحق يحكمهم أيضا (اقبلوهم مرضا) أى كفر وفاق (أم ارتابوا) أى شكوا وهذا استعظام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أى يظلم (بل أولئك هم الظالمون) أى لانفسهم باعراضهم عن الحق قوله عز وجل (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله الى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا لتعليم ادب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو (أقولوا نعمنا) أى الدعاء (واطعنا) أى بالاجابة (وأولئك) أى من هذه صفة (هم المنافقون ومن يطع الله ورسوله) قال ابن عباس فيما ساءه وسره (ويخش الله) أى ما عمل من الذنوب (وبتقته) أى فيما بعد (فأولئك هم الفائزون) أى الناجون قوله تعالى (واقسم بالله جهدا يسألهم) قيل جهد اليمين أن يحلف بالله ولا

يحيف عليهم لم عرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شئ لا يستطيعونه في محاسن رسول الله عليه الصلاة والسلام فن شيا بان الحاكمة اليه (انما كان قول المؤمنين) وعن الحسن قول بالرفع والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان أو غلها في التعريف وأن يقولوا أو غل بخلاف قول المؤمنين (اذ ادعوا الى الله برسوله ليحكم) النبي عليه الصلاة والسلام ليحكم أى ليفعل الحكم (بينهم) ليحكم الله الذى أنزل عليه (أن يقولوا نعمنا) قوله (واطعنا) أمره (وأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن يطع الله في فراضه (ورسوله) في سنته (ويخش الله) على مامضى من ذنوبه (وبتقته) فيما يستقبل (فأولئك هم الفائزون) وعن بعض المولى انه سأل عن آية كافية فقلت له هذه الآية وهى جامعة لأسباب الفوز بتقته بسكون الهاء أبو عمرو وأبو بكر بنية الوقف بسكون القاف وبكسر الهاء مختلفة خفض وبكسر القاف والهاء غيرهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى حلف المناقون بالله جهد اليمين لانهم بذلوا فيها جهودهم وجهدهم مستعاضين من جهده نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها وواكدها ومن ابن عباس رضى الله عنهم من قال بالله فقد جهده عينه واصل أقسم جهدا ليمين أقسم بجهدا ليمين جهدا الخذف الفعل وقدم المصدر

فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضر بالرقاب وحكم هذا المنصوب بحكم الحال كانه قال هاجدين ايمانهم (لئن امرتهم ليخرجن) اي لئن امرتهم بالخرج الى الغزو واغزونا والخرج من ديار الخرجنا (قل لا تسعوا) لا تحلقوا وكاذبين لانه معصية طاعة معروفة (ام نزل او لم ينزل) هذه الايمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر مبتدأ محذوف اي الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا رتاب كطاعة الخلف من المؤمنين لا ايمان تسعون بها فافوا هكم وقلو بكم على خلافها (ان الله خبير بما تعملون) يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاتحكم لا محالة وجماز بكم على نقاكم (قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول) ٤٤٠ صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات هو

يريد على ذلك شيئا (لئن امرتهم ليخرجن) وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا واثنت ائت ائنا واثنت امرتنا بالجهاد اذنا هذنا وقل بالانزال بيان كراهتهم بحكم الله ورسوله قالوا الذي صلى الله عليه وسلم والله لو امرتنا لن اخرج من ديارنا واما النواصيا للخرجنا فكيف لا نرضى بحكمكم فقال الله تعالى (قل لهم) (لا تسعوا) اي لا تحلقوا واثمت الكلام ثم ابتدأ فقال (طاعة معروفة) اي هذه طاعة القبول بالاسان دون الاعتقاد بالقلب وهي معروفة اي امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تعلمون وقل معناه طاعة معروفة بنية خالصة افضل وامثل من عين بالاسان لا يوافقها الفعل (ان الله خبير بما تعملون) اي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول) يعني يقولونكم وصدق نيائكم (فان تولوا) اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) اي على الرسول (ما جعل) اي ما كلف وامر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حلتكم) اي ما كلفتم من الاجابة والطاعة (وان تطعوه تمتهدوا) اي تصيبوا الحق والرشد في طاعته (وما على الرسول الا البلاغ المبين) اي التبليغ الواضح المبين قوله عز وجل (وعبد الله الذين آمنوا ومنكم وعمالوا الصالحات ليستخلفن في الارض) قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع اصحابه وامر واما الصبر على اذى الكفار فكانوا يصحبون ويمسكون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة واما بالقتال وهم على خوفهم لا يوافق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم اما ياتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الآية ومعنى يستخلفنهم والله ليورثهم ارض الكفار من العرب والحكم فغلبهم ملوكها وساسها وسكنها (كما استخلف الذين من قبلهم) اي كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما استخلف بني اسرائيل واهل الجارة بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم (ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى) اي اخذ الله (هم) قال ابن عباس يوحى لهم في البلاستي يملكونها ويظهر دينهم على سائر الاديان (وليبدلهم من بعد خوفهم امانا

أبلغ في تسكينهم (فان تولوا فاما عليه ما جعل عليكم ما جعلتم) يريد ان تولوا فاحضروا معه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما جعله الله تعالى وكافه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهده بتكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التقي بالقول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليت فقد عرضتم نفوسكم لمخطئ الله وعذابه (وان تطعوه تمتهدوا) اي وان اطعوه فمما يامركم وبنها كم فقد احرزتم نصيبكم من الهدى فالضرر في توليكم والنفع عائد ان اللهكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) وما على الرسول الا ان يبلغ ما له نفع في قلوبكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ معنى التبليغ كالاداء معني التادية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات ثم ذكر الخلفين فقال (وعبد الله

الذين آمنوا ومنكم وعمالوا الصالحات) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام بعد وحي لمن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن لا تبعيض (ليستخلفنهم في الارض) اي ارض الكفار وقيل ارض المدينة والصحيح انه عام لقوله عليه الصلاة والسلام ليخلفن هذا الدين على ما دخل عليه الليل (كما استخلف) استخلف ابو بكر (الذين من قبلهم) وليه كنهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم امانا (وعبد الله ان يصير الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجمعهم فيها خلفاء كما فعل بني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجارة وان يرضى هو ودين الاسلام وممكنه تبليغه وتبصيره وان يؤمن سرهم ويؤمنهم الخوف الذي كان عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا

يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت
فقال عليه الصلاة والسلام
لا تعبرون الا بغير احدي يجلس
الرجل منكم في الملا العظيم
محتد ليس معه حديد فأنجز
الله وعده وظهرهم على
جزيرة العرب واقتتوا بعد
بلاد المشرق والمغرب ووزقوا
ملك الاكسرة وملكوا
خزائنهم واستولوا على الدنيا
والقسم المتلقى بالام والنون
في يستخلفهم مخدوف تقدره
وعدهم الله واقسم ليستخلفهم
أو نزل وعده الله في تحفة منزلة
القسم قلتي بما سئلت به القسم
كانه أقسم الله ليستخلفهم
(يعبدوني) ان جعلته استخافا
فلا يحمله كانه قبل ما لهم
يستخلفون ويؤمنون فقال
يعبدوني موحدين ويجوز ان
يكون حلالا بدلا من الحال الاولى
وان جعلته حالا عن وعدهم
اي وعدهم الله ذلك في حال
عبادتهم فعليه النصب (لا يشركون
في شيا) حال من فاعل يعبدون
اي يعبدوني موحدين ويجوز
أن يكون حلالا بدلا من الحال
الاولى (ومن كفر بعد ذلك) اي
بعد الوعد والمراد كفران العمة
كقوله تعالى فيكفرت بانعم
الله (فاولئك هم الفاسقون)
هم الكافرون في فسقهم حيث
كفروا تلك النعمة المحسنة
وجسر واعلى غطها قالوا اول من

يعبدوني (لا يشركون في شيا) فأنجز الله وعده وظهر دينه ونصر اوليائه
وأبدى بعد الخوف أمنا وبسطا في الارض (خ) عن عدى بن حاتم قال بينا أنا عند النبي
صلى الله عليه وسلم اذا تأمر رجل فشكا اليه الفاقة ثم اتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل
فقال يا عدى هل رأيت الحجرة قلت لم أرها ولقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة
فلترين الظاعنة ترحل من الحجرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحد الا الله قلت فيما
بين ي وبين نفسي فان دعا طريقي الذين قد سمر والبلاد ولئن طالت بك حياة لتفتن كنوز
كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل
يخر جملة كفه من ذهب او فضة يطالع من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين
الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقرن ألم أبعث اليك
رسولا فيقبلك فيقول لي يارب فيقول الم اعطاك ما لا أفضل عليك فيقول لي فيظفر
عن عينته فلا يرى الا وجهه ويتظعن عن شماله فلا يرى الا وجهه قال عدى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انقرو النار ولوشق تمر ففن لم يجد شق تمر فبكلمة
طيبة قال عدى رأيت الظاعنة ترحل من الحجرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله
وكنت فيمن افتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين ما قال أبو القاسم
صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا الخ وفي الآية دليل على صحة خلافة ابي
بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت
كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهر الدين عن سفينة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم
قال أمسك خلافة ابي بكر ستين وخلافة عمر عشرين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة
وعلى سبيل ما قال علي قلت لم يجد اقل اقل بعد أمسك سفينة قال نعم اخرج به أبو داود
والترمذي بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال
وتفصيله ان خلافة ابي بكر كانت ستين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين سنة وستة
اشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة كذا ذكر في الحديث وخلافة علي أربع سنين وستة
اشهر ولم يجد جاء في بعض روايات الحديث وعلى كذا لم يبين تعيين مدته فعلى هذا
التفصيل تكون مدة خلافة الائمة الاربع عشرة سنة وستة أشهر وستة أشهر وكانت
ثلاثين سنة خلافة الحسن كانت ستة اشهر ثم نزل عن الله أعلم وقوله تعالى (ومن كفر
بعد ذلك) اراد به كفران النعمة ولم يرد الا كفر بالله (فاولئك هم الفاسقون) اي الفاسقون
قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة وجددها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير
الله ما بهم وادخل عليهم المخوف حتى صاروا يفتنون بعد ان كانوا اخوانا ثم عن ابن أخي
عبد الله بن سلام قال لما سار يد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال عثمان ما جاء بك قال
جئت في نصر لك قال اخبرني الناس فاطروهم عنى فانك تار جاني في منك داخل
نخرج عبد الله الى الناس فقال أيها الناس ان الله سيقام مودا وان الملائكة قد
جاورتكم بالذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه الله في هذا الرجل أن

٥٦ ن ث كره هذه النعمة قتله عثمان رضي الله عنه فاقتتلوا بعدما كانوا اخوانا وزل عنهم الخوف والاية
أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم

(واقبوا الصلوة) معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وان طال (وأتوا الزكوة واطيعوا الرسول) فيما يدعوك اليه وكرت طاعة الرسول تا كيد الوجود بها (لعلكم ترجون) اى لىكى ترجوا فاتهم من مستحبات الرجعة ثم ذكر الكافر بن فقال (لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) أى فائتة من الله بان لا يقدر عليهم فيها فالثناء خطاب للذى عليه الصلوة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا وهجزيين وبالماء شامى وجزوة القاعل النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان الذين كفروا وهجزيين (وما واهمهم النار) معطوف على لا تحسبن الذين كفروا ٤٤٢

تقبلوه فوالله ان قد تموه ليطردن جبر انكم الملائكة ولسان الله سفيه المعجود عنكم فلا يعمد الى يوم القيامة قالوا اقبلوا اليهم ودى واقتلوا عثمان اخرجهم الترمذى زاد فى رواية غير الترمذى فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون ألفا قوله تعالى (واقبوا الصلوة وأتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترجون) اى افعلوا هذه الاشياء على رجاء الرحمة (لا تحسبن الذين كفروا معجزين) أى فائتة عننا (فى الارض) وما واهمهم النار وليس المصير) قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا البسوا ائيمانكم) اى ائيمانكم قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدح بن عمرو والى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليسد عوده فدخل فرأى عمر بحاله كره عمر رؤيته عند ذلك فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى اسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت كرهته فانت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمننا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا البسوا ائيمانكم الذين ملكت ايمانكم والامام لأم الامم وفيه قولان احدهما انه على النسيب والانتداب والثانى انه على الوجوب وهو الاول الذى ملكت ايمانكم بعنى العبيد والامام (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعنى الاحرار وليس المراد هم الذين لم يبلغوا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهما واتفق العلماء على ان الاحلام بلوغ واختلوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال ابو حنيفة لا يكون بالغ حتى يبلغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارقة سبع عشرة سنة وقال الشافعى وابو يوسف ومحمد واحد فى الغلام والجارقة بخمس عشرة سنة يصير مكافا وتجوز عليه الاحكام وان لم يحتلم (ثلاث مرات) أى ليستأذنوا فى ثلاثة اوقات (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أى وقت المقبل (ومن بعد صلاة العشاء) وانما خص هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخلو وتوضع الثياب فرعا يدوم من الانسان ما لا يجوز ان يراه احد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستئذان فى هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان يستأذن فى جميع الاوقات (ثلاث عورات لكم) سميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه قبيد وعورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعنى العبيد والخدم والصبيان (جناح) أى حرج فى الدخول عليكم بغير استئذان (بعدن) أى بعد هذه الاوقات الثلاثة (طوافون عليكم)

مهجزيين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وما واهمهم النار (وبسوا المصير) اى المرجع النار (يا ايها الذين آمنوا) ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم) امر بان يستأذن العبيد والامام (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) اى الاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وقبرئ بسكون الامم تحفيا (ثلاث مرات) فى اليوم والليلة وهى (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب وليس ثياب البقعة (وحيث تضعون ثيابكم من الظهيرة) وهى نصف النهار فى القبط لانها وقت وضع الثياب للقبول (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التبرع من ثياب البقعة والانتحاف بثياب النوم (ثلاث عورات لكم) أى هى اوقات ثلاث عورات تحذف المبتدأ والمضاف بالنصب كوفى غير حصص بدلا من ثلاث مرات اى اوقات ثلاث عورات وسمى كل واحد من هذه الاحوال عورة لان الانسان يحتل ستره فيها او العورة الخلو ومنها الاعور المحتل العين دخل غلام اى

الاحوال عورة لان الانسان يحتل ستره فيها او العورة الخلو ومنها الاعور المحتل العين دخل غلام اى من الانصار يقال لهم مدح بن عمرو على عرضى الله عنه وقت الظهيرة قوه ونائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عرضى الله عنه وددت ان الله نهى عن الدخول فى هذه الساعات الا بالاذن فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية ثم عذروهم فى ترك الاستئذان رواه عنه المرات بقوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) اى لا اثم عليكم ولا على المذكورين فى الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة فى ترك الاستئذان فى هذه الاوقات بقوله (طوافون عليكم)

أى هم طوافون بحواجز البيت (بعضكم) مبتدأ خبره (على بعض) تارة تدبره بعضكم طائف على بعض فحذف طائفة لدلالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الحجة بدلا من التي قبلها وإن تكون مبنية مؤكدة يعنى أن يكون بهم حاجة الى الملاحظة والمداخلة بطوافون عليكم للخدمة وطوافون عليهم للاستخدام فلو خرجم الاموال لاستئذان لكل وقت لاغضى الى المخرج وهو مدفوع فى الشرع بالنص (كذلك بين الله لكم الآيات) أى كباين حكم ٤٤٣ الاستئذان يمين لكم غيره من الآيات التى

اجتمع الى بيانها (والله اعلم) يصالح عباداه (حكيم) فى بيان مراده (واذا بلغ الاطفال منكم) أى الاحرار دون المعاليك (الحكم) أى الاحتلام أى اذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فليستأذنوا) فى جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال والذين ذكروا من قبلهم فى قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأمنوا وتسلموا الآية والمعنى ان الاطفال ما دون لهم فى الدخول بغير اذن الاقارب العورات الثلاث فادا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام او بالنس وجب ان يقطعوا عن تلك العادة وقوموا على ان يستأذنوا فى جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن والناس عن هذا قالون وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثلاث آيات جدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم واذا حضر القسمة وعن سعيد بن

أى العبد والحكم يترددون ويدخلون ويخرجون فى أشغالكم بغير اذن (بعضكم على بعض) أى يوفى بعضكم على بعض (كذلك بين الله لكم الآيات والله اعلم حكيم) يختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقيل انها منسوخة حتى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عن عكرمة ان نورا من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى فى هذه الآية التى امرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حكيم رحيم بالمؤمنين يحب السر وكان الناس ليس لبيوتهم سرور ولا حجاب فربما دخل الخادم أو الولد أو تيم الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله تعالى بالاستئذان فى تلك العورات فجاءهم الله بالسورة والخبر فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد أخرجه ابو داود وفى رواية عنه نحوه ووافى رأى أن ذلك أغشى عن الاستئذان فى تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أم منسوخة هى قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبيرة فى هذه الآية ان ناسا يقولون نسفت والله منسخت ولكنهما معا تهاون به الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم الناس يقولون اعظمكم بيتا واذا حضر القسمة اولوا القربى الآية وقوله عز وجل (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أى الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) أى يستأذنوا فى جميع الاوقات فى الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الاحرار الكبار (كذلك بين الله لكم آياته) أى دلالاته وقيل احكامه (والله اعلم) أى بامور خلقه (حكيم) بما دروسه وقال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على امره فانما انزلت هذه الآية فى ذلك وسئل حذيفة استأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رايت منها ما تكره قوله (والقواعد من النساء) يعنى اللاتي قعدن عن الحيض والولدم الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللاتي لا يرجون نكاحا) أى لا يردن الازواج كبرهن وقيل هن العجائز اللاتي اذا رآهن الرجال استقدروهن فاما من كانت فيها بقية جلاله وهى محل الشهوة فلا تدخل فى حكم هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذى فوق الثياب والقناع الذى فوق الخمار فأما الخمار فلا يجوز وضعه (غير متبرجات بزينة) أى من غير ان يردن بوضع الجلباب

جبيرة يقولون هى منسوخة والله ما هى منسوخة وقوله (كذلك بين الله لكم آياته والله اعلم) قيماء يمين من الاحكام (حكيم) يصالح الانام (والقواعد) عالج اللاتي لا يرجون نكاحا يطمعن فيه وهى فى محل الرفع صفة للبتة وهى القواعد والخبر (فليس عليهن جناح) انهم ودخلت الفاء لما فى المبتدأ من معنى الشرط بسبب الالتصاق باللام (أن يضعن) فى ان يضعن (ثيابهن) أى الظاهرة كالخشفة والجلباب الذى فوق الخمار (غير) حال (متبرجات بزينة) أى غير متاهرات بزينة يريد الزينة الخفية كالشعر

والنحو والساق ونحو ذلك أي لا يقصد أن يضعها التبرج ولكن التخفيف وحقمة التبرج تكافأ عليها ما يجب أخفاؤه (وإن يستعفن) أي إن يطالب العفة عن وضع الثياب ٤٤٤ فيستتر وهو مبتدأ خبره (خير لمن والله سميع لما يعلن) (علم)

والرداء أظهر زينت من التبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستتره (وإن يستعفن) أي فلا يلقن الحجاب ولا الرداء (خير لمن والله سميع علم) قوله عز وجل (ليس على الأعمى حرج) اختلاف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس لما أنزل الله ما فيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فخرج المسلمون عن مؤاكلة المرتضى والزمنى والعصى والعرج وقالوا الطعام أفضل للأهوال وقد نهانا الله عز وجل عن أكل الأموال بالباطل والأعمى لا يصير موضع الطعام والطيب والأعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاجعة على الطعام والمرضى يضعف عن تناول فلا يستوفى من الطعام حقه فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا التأويل يكون على معنى في أي ليس في الأعمى والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والمرضى والأعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يستزفون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس يعذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان الأعمى يقول ربما آكل أكثر من ذلك ويقول الأعرج والأعمى ربما جلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت ترخيصاً للمؤاكلة في الأكل من بيوت من معاهم الله في باقي الآية وذلك أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل في طلب الطعام فإذا لم يكن عنده شيء ذهب بهم إلى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض من سمي الله تعالى فكان أهل الزمانة يخرجون من ذلك ويشترون ذهباً ينالون غير بيته فأنزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون إذا غزوا دفعوا ما في بيوتهم إلى الزمنى ويقولون لهم قد أحلنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يخرجون من ذلك ويقولون لا نأكلها وأحبها غيب فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لمؤاكلة في التخلف عن الجهاد فعلى هذا الكلام عند قوله (ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أُنفسكم) كلام مستأنف قبل المأزول ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لأحد منّا أن يأكل عند أحد فأنزل الله تعالى (ولا على أُنفسكم) (إن تأكلوا من بيوتكم) أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال عباسكم وبيوت أرواحكم لأن بيت المرأة كبيت الزوج وقيل أراد بيوت أولادكم ونسب بيوت الأولاد إلى الأباة لما جاء في الحديث أنت وما لك لا يملك (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت أخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتيحه) قال ابن عباس عن ذلك وكيل الرجل وقبحة في ضيعته وما شئت له لباس عليه أن يأكل من ثمره ضيعته وشرب من لبن ماشيته ولا يحتمل ولا يدخله وقيل يعني بيوت عبيدكم وعمالكم وذلك أن السيد عاكف منزله عبيده والمفاتيح الخزائن ويجوز أن يكون المفاتيح الذي يفتح به وإذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يأكل الشيء اليسير وقيل ما ملكتكم مفاتيحه أي ما خزنتموه عندكم وما ملكتكموه (أو ضد يملككم) الصديق وهو الذي صدق في المودة قال ابن عباس نزلت في الحرث بن عمرو خرج غازياً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجدهم مجعوا فسأله عن حاله فقال فخرجت أن أكل من طعامك بغير إذنك فأنزل الله

بما يقصدون (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) قال سعيد ابن المسيب كان المسلمون إذا خرجوا إلى الغزوة النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا ما في بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم وبأذنهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يخرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا نكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم (ولا على أُنفسكم) أي حرج (إن تأكلوا من بيوتكم) أي بيوت أولادكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولد المذكر الأولاد في الآية وقد قال عليه الصلاة والسلام أنت وما لك لا يملك أو بيوت أزواجكم لأن الزوجين داراً كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت أخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) لأن الأذن من هؤلاء ثابت دلالة (أو ما ملكتكم مفاتيحه) جمع مفتاح وهو ما يفتح به الغلق قال ابن عباس رضي الله عنهما هو وكيل الرجل وقبحة

في ضيعته وما شئت له أن يأكل من ثمره ضيعته وشرب من لبن ماشيته وأريد عاكف المفتاح كونها في يده وحفظه تعالى وقيل أو يدينه بيت عبده لأن العبد وما في يده وأوله (أو ضد يملككم) يعني أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحداً وجمعاً

وهو من يصدق في مودته وتصدق في مودته وكان الرجل من السلف يدخل دار ضيقه وهو غائب فسال خاتمه
 كيدسه فيأخذ ماشاء فاذا حضر مولاه فآخبرته باعتقاسه ورا بذلك فاما الآن فقد غاب الشيخ على الناس فلا يؤكل الا باذن
 (ليس عليكم جناح ان تاكلوا جيعا) مجتمعين (واشتاتا) متفرقين جمع شت ٤٥

نزلت في بني ليث بن عمرو وكانوا
 يتحرجون ان ياكل الرجل
 وحده فربما قدمه متقزاهار الى
 الليل فان لم يجدهم يواكله
 أكل كل ضرورة أوف قوم من
 الانصار اذا نزل بهم ضيف
 لا ياكلون الا مع ضيفهم أو
 يجتمعوا عن الاجتماع على
 الطعام لاختلاف الناس في
 الاكل وزيادة بعضهم على بعض
 (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه
 البيوت لما كانوا (فسلموا على
 أنفسكم) فادعوا بالسلام على
 أهلها الذين هم منكم دنيا
 وقرابة أو بيوتا فارغة أو مستعبد
 فقولوا السلام علينا وعلى عباد
 الله الصالحين (تحية) نصب
 وسلموا إليها في معنى تسليما نحو
 قدمت جلوسا (من عند الله)
 أي ثابته أيام عشر وعقبة من
 لدنه أولان التسليم والتحية طلب
 سلامة وحياة للسلم عليه والمخيا
 من عند الله (مباركة طيبة)
 وصفة لها البركة والطيب لها
 دعوة مؤمن مؤمن يرجي بها
 من الله زيادة الخير وطيب
 الرزق (كذلك بين الله لكم
 الآيات لعلكم تعقلون)
 لكي تعقلوا وتقهملوا (السا
 المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله

على هذا الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح ان تاكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها
 وان لم يجتمعوا من غير ان تتزودوا وتحموا (ليس عليكم جناح ان تاكلوا جيعا أو
 اشتاتا) نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حرمي من كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده
 حتى يجده ضيفا ياكل معه فربما تقدم الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الراح وربما
 كانت معه الا بل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يأتي من شربه فاذا أمسى ولم يجد
 أحدا أكل وقال ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصادقته
 فقدموا له طعامه فيقول والله في لا يجع أي التحرج ان أكل معك وأنا غني وأنت فقير
 فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا
 مع ضيفهم فرخص لهم ان ياكلوا كيف شاؤوا جيعا أي مجتمعين او اشتاتا أي متفرقين
 (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أي سلموا بعضهم على بعض هذا في دخول الرجل
 بيت نفسه سلم على أهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهله فهم أحق
 من سلمت عليهم واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله
 الصالحين السلام على أهل البيت ورجة الله وبركاته حدثنا ابن الملائكة ترده عليه وقال
 ابن عباس اذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا ومن بنا السلام علينا وعلى
 عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورجة الله وبركاته وعن ابن عباس في قوله
 تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى
 عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل
 ذكر البركة والطيب ههنا لما فيه من الثواب والاجر (كذلك بين الله لكم الآيات
 لعلكم تعقلون) أي عن الله امره ونهيه وأدابه قوله عز وجل (السا المؤمنون الذين
 آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) أي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على أجمعهم)
 أي جميعهم من حرم وأصالة حضرت أجمع وأوعيد أجماعة أو شاور في أمر نزل (لم
 يذهبوا) أي لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجمعوا له (حتى يستأذنه) قال المفسرون
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج من
 المسجد لحاجة او عذر لم يخرج حتى يقوم بهيكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه
 فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء ثم قال بجاهدوا ذن الامام يوم الجمعة أن
 يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل امر اجمع عليه المسلمون مع الامام لا يتخللونه ولا
 يرجعون عنه الا بالاذن واذا استأذن الامام ان شاء اذن له وان شاء باذن وهذا اذا لم
 يكن حدث سبب عنه من المقام فان حدث سبب عنه من المقام بان يكون في المسجد

واذا كانوا معه على أجمعهم أي الذي يجمع له الناس نحو المحامد والتدبير في الحروب وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعديد
 لم يذهبوا حتى يستأذنه أي يباينهم ولم ياراد الله عز وجل ان يرجعهم عظم الجناية في ذهاب الداهب عن مجلس رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بغیر اذنه اذا كانوا معه على أجمعهم جعل تركها هم حتى يستأذنه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله
 وجعلها كالنسيب والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بالماضي فاعلم المؤمنون مبتدأ مخبر عنه بموصول احاطت صلاته
 بذكر الايمان ثم عقبه بما يزيد قويا كذا وتشديدا حيث

أعاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) وضمه شأ آخر وهو انه جعل الاستئذان كالصداق لصحة الايمان وعرض بحال المنافقين وتسللهم لو اذا (فاذا استأذنونك في الانصراف) لبعض شأنهم (أمرهم) (فانذرن لمن شئت منهم) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام (واسأغفرهم الله ان الله غفور رحيم) وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الاصل ان لا يستأذن قالوا وينبغي ان يكون الناس كذلك مع أغفرتهم ومعتد بهم في الدين والعلم يظهرهم ولا يفترون عنهم الا اذا قيل بزلت يوم الحندق كن المنافقون يرجعون الى هنا زعمهم غير استئذان (لا تصحوا لدعاء الرسول ينسبكم كدعاء بعضكم بعضا) أى اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لادفعكم فلا تقربوا منه الا باذنه ولا تقبلوا دعاءه ٤٤٦ اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن الجمع بغير اذن الداعي ولا تصحوا لدعاء

تسميته ونداءه بغيركم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه به أبواؤه فلا تقربوا ما محمد ولكن يابى الله يا رسول الله مع التوقير والتهظيم والصوت الخفوض (قد يعلم الله الذين يتسللون) يخرجون قليلا قليلا (منكم لو اذا) حال أى ملاؤذين اللاؤذ والملاؤذه ان يلوذهذا بذلك وذلك بهذا أى يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاؤذه واستتار بعضهم ببعض (فليخذر الذين يخالفون عن أمره) أى الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه الى الاراذ اذهب اليه دونه ومنه وما اريد ان أخالفكم الى ما أنها كن عنه وخالفه عن الامر اذا صدعته دونه والضمير في أمره الله سبحانه وألارسل عليه الصلاة والسلام والمعنى

فقد حض أمرهم أو يجب رجل أو عرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان (ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنونك لبعض شأنهم) أى أمرهم (فانذرن لمن شئت منهم) أى فى الانصراف والمعاينة ان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن (واسأغفرهم الله) أى ان رأيت لهم عذرا فى الخروج عن الجماعة (ان الله غفور رحيم) قوله عز وجل (لا تصحوا لدعاء الرسول ينسبكم كدعاء بعضكم بعضا) قال ابن عباس رضى الله عنه ما يقول احذروا دعاء الرسول اذا استخطتكموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقبل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعوا بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن تخدموه وعظموه وشرفوه وقولوا بآبى الله يا رسول الله فى لين وتواضع (قد يعلم الله الذين يتسللون) أى يخرجون (منكم لو اذا) أى يستتر بعضهم ببعض ويروغ فى خفية فيذهب قيل كانوا فى حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تخفئة وقال ابن عباس لو اذا أى يلوذه بعضهم بعضا وذلك ان المنافقين كان ينقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخفون من المسجد فى استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالجازاة (فليخذر الذين يخالفون عن أمره) أى يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه (ان تصيهم فتنة) أى ثلاث تصيهم فتنة أى بلاء فى الدنيا (أو يصيهم عذاب آليم) أى جميع فى الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى (ألان الله ما فى السموات والارض) أى ملكا وعبيدا (قد يعلم ما أنتم عليه) أى من الايمان والنفاق (ويوم يرجعون اليه) يعنى يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أى من الخير والشر (والله بكل شئ عليم) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلومهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله بن السمع فى صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم

عن طاعته ودينه ومفعول يخذر (أن تصيهم فتنة) محنة فى الدنيا وقتل أو زلزل وأهوال أو تسلط سلطان جائر (تفسير أو قبضة القلب عن معرفة الرب واسباغ النعم استدرجا) (أو يصيهم عذاب آليم) فى الآخرة والاية تبدل على ان الامر لا لايجاب (ألان الله ما فى السموات والارض) الانتيه على ان لا يخالفوا أمر من له ما فى السموات والارض (قد يعلم ما أنتم عليه) أدخل قد لا كد علمهم عليه من الخلفة عن الدين ورجع تو كبداله الى تو كبدالوعد والى ان جسد ما فى السموات والارض تخضع به خلفاؤه ملكا وعلماء وكيف تحق عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجاهدون فى سترها (ويوم يرجعون اليه) وينتفع الباعو كدرا الجهم يعقوب أى يعلم يوم يردون الى جزائهم يوم القيامة والخطاب والغنية فى قوله قد يعلم ما أنتم عليه (ويوم يرجعون اليه) ويجوز ان يكونا جملة المنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكونا جملة ما يرجعون للمنافقين (فينبئهم) يوم القيامة (بما عملوا) بما ابطوا من سوء أعمالهم وبما جازهم حق جزائهم (والله بكل شئ عليم)

فلاتحفي عليه خافه ووروى أن ابن عباس رضي الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر في الموسم وفسر طاعلى وجهه لوسمعت الروم به لاسلت والله أعلم (سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم تبارك﴾ تقاعل من البركة وهي كثرة الخير وزادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر أوترا يذعن كل شئ وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الله وحده والمستعمل منه الماضي فحسم (الذي نزل القرآن) هو مودد فرقة بين الشينين إذا فصل بينهما وسوى به القرآن فصله بين الحق والباطل والحلال والحرام أولانه لم ينزل جملة ولكن مقرا مقصودا لا بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله وقرأنا قرآنه لثمة على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام (نذيرا) منذرا أي مخوفا أو نادرا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى ٤٤٧ فكيف كان عذابي ونذر (الذي) رفع على أنه خير مبدا محذوف أو على

﴿تفسير سورة الفرقان وهي مكية﴾
وسبع وسبعون آية وشغلتها ثمان وتسعون كلمة
وثلاثة آلاف وسبع مائة وثلاثون حرفا

الابدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البذل والمبدل منه بقوله لا تكون لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به أو نصب على المنسح (له ملك السموات والارض) على الخلوص (ولم يتخذ ولدا) كما زعم اليهود والنصارى في عزير المسيح عليهما السلام (ولم يكن له شرك في الملك) كما زعمت الشوبية (وخلق كل شئ) أي أحدث كل شئ وحده لا كما يقوله الخوارج والشوبية من النور والضلالة وزدان واهر من ولاشبهة فيه لمن يقول ان الله شئ ويقول بخلق القرآن لان الفاعل بجميع صفاته لا يكون معه ولا له على ان لفظ شئ اخصصا يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذا أوضح دليل لنا على المعترلة في خلق افعال

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (تبارك) تقاعل من البركة قيل معناه بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم (الذي نزل القرآن) أي القرآن سماه فرقانا لانه فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا في اوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالانشداد لتكثير التفرقة (على عبده) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) أي للانس والجن (نذيرا) قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم (الذي له ملك السموات والارض) أي هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) أي هو الفرد في وحدانيته وفيه رد على النصارى (ولم يكن له شرك في الملك) أي هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الثنوية وعباد الاصنام (وخلق كل شئ) مما خلق عليه صفة الخلق (فقدرة تقدر) أي سواء وهما لم يصلح له لاخلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شئ تقدر برأمن الاجل والرزق فحزت المقدار على ما خلق قوله تعالى (واتخذوا) يعني عبدة الاوثان (من دونه آلهة) يعني الاصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يعلمون ضرا ولا نفعا) أي دفع ضر ولا نفع (ولا يعلمون موتا) أي امانته (ولا حياة) أي احياء (ولا نشورا) أي بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعني النضرين المحرث واصحابه (ان هذا) أي ما هذا القرآن (الافك) أي كذب (افتراء) أي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (واعانه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عبيد بن الحضرم الجاهلي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا اكلة من أهل الكتاب فزعم المشركون ان محمد صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال تعالى

العباد (فقدرة تقدر) أي فها لم يصلح له لاخلل فيه كما خلق الانسان على هذا الشكل الذي تراه فقدرة لا تسكلف والمصالح والنوطة في الدين والدنيا أودرة للبقاء إلى أمد معلوم (واتخذوا) الضمير لساكنين لان دارهم تحت العالمين أولدالة نذر برأهم المندرون (من دونه آلهة) أي الاصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) أي انهم أثروا على عبادة من هو مقرر بالالهية والملك والخلق والتقدير عبادة تجزئة لا يقدرون على خلق شئ وهم يخلقون (ولا يعلمون ضرا ولا نفعا) ولا يستطيعون لا تفهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها (ولا يعلمون موتا) امانته (ولا حياة) أي احياء (ولا نشورا) احياء بعد الموت وجعلها كالانقلاب عن عابديها (وقال الذين كفروا) ان هذا ما هذا القرآن (الافك) كذب (افتراء) اختلقه واخترعه محمد بن عند نفسه (واعانه عليه قوم آخرون) أي اليهود وعداس ويسار أبو فكيهة الرومي قاله النضر بن الحرث

(فقد جاؤا ظلموا ورا) هذا الخبر من الله رد للذكر فوجع الضمير الى الكفار وجاء يستعمل في معنى فعل في عدى تعدتها
 أو حذف الجار وأوصل الفعل أى ظلموا وروو ظلمهم أن جعلوا العرب يتلقن من الغمى الرومى كلاما عربيا أعجز بفصاحته
 جميع فصحاء العرب والزور أن يسموه بنسبة ما هو يرى منه اليه (وقالوا أساطير الاولين) أى هو أحاديث المتقدمين وما سطره
 كرسم وغيره جمع أساطير واسطورة كأدوية (اكتبتها) كتبها لنفسه (فهى تلى عليه) أى تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول
 النهار (وأصلا) آخره فيحفظ ما على عليه ثم يتلو علينا (قل) يا محمد (انزل) أى القرآن (الذى يعلم السرى السموات والارض)
 يعلم كل سر خفى فى السموات والارض يعنى ان القرآن لما شتم على علم الغيوب التى يستحيل عادة ان يعلمها محمد عليه الصلاة
 والسلام عن غير تعليم دل ذلك على انه ٤٤٨ من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيمًا) فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة

وان استوجبوها بعبادتهم
 (وقالوا مال هذا الرسول) وقعت
 اللام فى المحقق مفصلة عن
 الماع وخط المحقق سنة لا تغير
 وتسميهم يا به بالرسول سخرية
 منهم كلهم قالوا أى شئ لهذا
 الزاعم انه رسول (يا كل الطعام
 وميشى فى الاسواق) حال والعامل
 فيها هذا (لولا أنزل اليه ملك
 فيكون معه نذرا أو يلقى اليه
 كز أو يكون له حجة يا كل منها)
 أى ان صبح انه رسول الله فما به
 يا كل الطعام كذا كل ويتردد فى
 الاسواق لطلب المعاش كانه تردد
 يعنون انه كان يجب ان يكون
 ملكا مستغنيا عن الاكل
 والتعيش ثم نزلوا عن ذلك
 الاقتراح الى ان يكون انسانا
 معه ملك حتى يساند فى الاذمار
 والقوى يف ثم نزلوا الى ان يكون
 مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء
 يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل
 المعاش ثم نزلوا الى ان يكون

(فقد جاؤا) يعنى قائل هذه المقالة (ظلموا ورا) أى ظلموا وروو وهو تسميهم كلام الله
 تعالى بالافتراء (وقالوا أساطير الاولين اكتبها) يعنى النضر بن الحرث كان
 يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو ما سطره الاولون مثل حديث رستم
 واسفند يارومعنى اكتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر و يسار وعداس
 وطلب ان تكتب له لانه كان لا يكتب (فهى تلى عليه) أى تقرأ عليه ليحفظها لانه
 لا يكتب (بكرة واصلا) يعنى غدوة وعشية قال الله تعالى رد اعلمهم (قل) يا محمد
 (انزل) يعنى القرآن (الذى يعلم السر) أى الغيب (فى السموات والارض) انه كان
 غفورا رحيمًا أى لولا ذلك لعاجلهم بعذابه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمد صلى
 الله عليه وسلم (يا كل الطعام) أى كذا كل نحن (وميشى فى الاسواق) أى يتس المعاش
 كانه نحن واذا كان كذلك فن أين له الفضل علينا ولا يجوز ان يماز عسا بالنبوة
 وكانوا يقولون له لست ملك لا بشرة متما والمالك لا كل ولا ملك لان الملك لا يتسوق
 وأنت تتسوق وتبذل وما قالوه قد دلان أ كاه الطعام لكونه آدميا ولم يدع انه ملك
 وميشى فى الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفة فى التوراة ولم يكن سعيًا فى الاسواق
 وليس شئ من ذلك ينافى النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك (لولا أنزل اليه ملك) أى
 يصدقه ويشهد له (فيكون معه نذرا) أى داعيا (أو يلقى اليه كز) أى ينزل عليه كز
 من السماء ينقعه فلا يحتاج الى التصرف فى طلب المعاش (أو تكون له حجة) أى يستان
 (يا كل منها) أى هو فلا أقل من ذلك ان لم يكن له كز (وقال الظالمون ان تتبعون الا
 رجلا مسحورا) أى خذوا قبل مصر و فاعن الحق (انظر) يا محمد كيف ضربوا لك
 الامثال) أى الاشباه التى لا فائدة لها فقالوا مسحور يحتاج (فصالحوا) أى عن الحق (فلا
 يستطيعون سبيلا) الى الهدى وخارجا عن الضلالة قوله تعالى (تبارك الذى ان شاء
 جعل لك خيرا من ذلك) أى من الذى قالوا افضل من البستان الذى ذكره او قال ابن
 عباس يعنى خيرا من المشى فى الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخيرة فقال (جنات

رحله بستان يا كل هو منه كلام اسير أو ناكل نحن كقراءة على وحزة وحسن عطف المضارع وهو يلقى
 وشكون على انزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما ما انتصت فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لا يعنى
 هلا وحكمه حتم الاستسقاء ام وأدنا الضامين فى قوله (وقال الظالمون) يا به باعينهم غير انه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا
 عليهم ما ظلم فيقالوا هم كفار قريش (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر نحن او ذا سحر وهو الرقة عتوا انه بشرة ملك (انظر
 كيف ضربوا) يضروا (لأن المثل) الاشياء أى قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال من المقتري
 والتجلى عليه والمختور (فصالحوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) فلا يجدون طريقا اليه (تبارك الذى ان شاء جعل لك
 خيرا من ذلك جنات

يجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) اى تسكر خير الذى ان شاء وهب لك فى الدنيا خير اما قالوا وهو ان يجعل لك مثل ما وعدك فى الآخرة من الجنة والقصور وجنات بدل من خير او يجعل بالرفع مكى وشامى وابو بكر لان الشرط اذا وقع ماضيا جازى جزائه الجزم والرفع (بل كذبوا بالساعة) عطف على ما حكي عنهم ٤١٩ يقول بل اتوا بعب من ذلك كله وهو

تسكذبهم بالساعة أو متصل بعاليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتجسس مثل ما وعدك فى الآخرة وهم لا يؤمنون بها (وأعدت نيران كذب بالساعة سعيرا) وهى النار لكذبين بها نارا شديدة فى الاستعارة (اذا رأتهم) أى انصار أى قبلتهم (من مكان بعيد) أى اذا كانت منهم عمراى الناظرين فى البعد (سمعوا لها تغضا وزفيرا) أى سمعوا صوت غليساها وشبه ذلك بصوت المتغضا والزفر أو اذا رأتهم زبانتها تغضوا وزفروا غضبا على الكفار (واذا القوا منها) من النار (مكنا ضيقا) ضيقا مكى فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصفت الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه ضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح (مقرنين) أى وهم مع ذلك الضيق ملسلون مقرنون فى السلاسل قرنت أيديهم الى اعناقهم فى الاغلال أو يقرن مع كل كافر شيطانه فى سلسلة

يجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) أى بيوتاً مشيدة عن أى امامة ان الذى صلى الله عليه وسلم قال عرض على رضى ليعلى بن بطيعة مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوم اوجوع يوم اوقال ثلاثا ونحوه اذا ذاعت تضربت اليك وذكرك واذا شبع جددك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسأت معى جبال مكة ذهبا عني ولك ان خزنة لتساوى الكعبة فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام و يقول ان شئت نبياء بعد اوان شئت نبياء ما كنا ففطرت الى حيدر بل فاشار الى أن يضع يديك فقلت نبياء بعد اوقات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل من ثيابي يقول ان بعد كل كياكل العبد واجلس كى مجلس العبد ذكر هذين الحديثين البعوى بسنده قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة) أى القمامة (واعدت نيران كذب بالساعة سعيرا) أى ناراً مسورة (اذا رأتهم من مكان بعيد) قيل من مسورة عام وقيل من مسورة مائة عام فان قلت كيف تتصور الرؤية من النار وهو قوله اذا رأتهم قالت يجوز أن يخفى الله لها حياطة وعلاوة وقيل معناه رأتهم زبانتها (سمعوا لها تغضا) أى غليساها كالغصبان اذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) أى صوتا فان قلت كيف يسمع التغضا قلت معناه رآوا وعلموا لها تغضا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوضى * متعلدا سيفاً ورما
أى وحاملاً رما وحاول فى سمعوا لها صوت التغضا من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير ترقر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه (واذا القوا منها) مكنا ضيقا قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح (مقرنين) أى مصفدين قد قرنت أيديهم الى اعناقهم فى الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل (دعوا هناك ثبورا) قال ابن عباس ولا قول هلا كانوا فى الحديث ان أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضجعها على حاجبيه ويصيح بها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبورا هوهم ينادون يا ثبورا حتى ينفقوا على النار فينادى يا ثبورا هوهم ينادون يا ثبورا هوهم فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) هكذا ذكره البغوى بغير سند وقيل معناه هلا كنتم ان كنتم أن تدعوا واحدة فادعوا اربعة كثيرة قوله عز وجل (قل اذ لك خير) أى الذى ذكرت من دفة النار وأهلها (أم حنة لئلا التى وعد المتقون كانت لهم جزاء مصيرا) أى ثوابا ومعهما قال تعالى (لهم فيها ما يشاؤون) أى أى جميع المرادات لا تحصل الا فى الجنة لا فى غيرها فان قلت قد يشتمى الانسان شيئا هو لا يحصل فى الجنة كأن يشتمى الولد ونحوه وليس هو فى الجنة

٥٧ ن ث وفى اولهم الاصفاد (دعوا هناك) حينئذ (ثبورا) هلا كما قالوا يا ثبورا اى تعال يا ثبورا فهاهنا حنك فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) أى انكم وقتتم فيما ليس بثور فيه واحدا انما هو ثبور كثير (قل اذ لك خير) أى المذ كور من صفة النار خير (أم حنة لئلا التى وعد المتقون) أى وعدة فالراجع الى الموصول محذوف والمحال اذ لك خبر ولا خير فى النار يتوغل الكفار (كانت لهم جزاء) ثوابا ومصيرا مرجعا وانما قيل كانت لان ما وعد الله كانه كان لتحقيقه أو كان ذلك مكتوبا فى الوعد قبل ان خلقهم (لهم فيها ما يشاؤون) أى ما يشاؤنه

(خالد بن) حال من الضمير يشاؤن والضمير في (كان) ما يشاؤن (على ربك وعدا) أي وعودا (مسؤولا) مطلوبا أو حقيقيا
 أن يسئل أو قد سأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم ربنا أو أنما وعدتنا على ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
 حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم (ويوم نحشرهم) للبعث عند الجهور وبالياء مي وزيد يعقوب وحفص
 (وما يعبدون من دون الله) يريد المعبودين من الملائكة والسج وعز بر وعن الكلبي يعني الاصنام بنقطة الله وقيل عام
 وما يتناول العقلاء وغيرهم لأنه أريد به الوصف كانه قيل ومعبدتهم (فيقول) وبالنون شامخ (أنتم أضلتم عبادي هؤلاء
 أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل لأنهم تركوا الحمار كتركوه في هذه الطريق والاصل إلى الطريق أو
 للطريق وصل مطاوع أضله والمعنى أنتم أوقعتهم وهم في الضلال عن طريق الحق بإدخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم
 وأنما يقل أضلتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل وزيد انتم وهم لأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده لأنه لا وجود له لما
 توجه هذا العتاب وأنما هو عن ٥٠ متولي فلا بد من ذكره وإلا يترك الاستفهام ليعلم أنه المسؤل عنه وفائدة

سؤالهم مع علمه تعالى بالسؤال
 عنه أي يحييهم إلهما أو يبعثهم
 بيك عندتهم بتكذيبهم
 أي أنهم قتر يدحسهم (قالوا)
 سبحانك نجب منهم مما قيل لهم
 وقصدوا به تنزيهه عن الانداد
 وأن يكون له نبي أو ملك أو
 غيره مما ندأ ثم قالوا (ما كان
 ينبغي لنا أن نتخذ من دونك
 من أولياء) أي ما كان يصح لنا
 ولا يستقيم أن نتولى أحدا
 دونك فكيف يصح لنا أن
 نجعل غيرنا على أن يتولونا
 دونك نتخذ زيد واتخذت عدى
 إلى مفعول واحد نحو اتخذت
 وليا وإلى مفعولين نحو اتخذت
 فلانا وليا قال الله تعالى أم
 اتخذوا آلهة من الأرض وقال
 واتخذ الله إبراهيم خليلا
 فآلهة الأولى من المتعدي واحد وهو من أولياء والاصل أن اتخذوا وليا وزيد من لئلا كيد معنى النبي والبراءة (خا)
 الثانية من المتعدي إلى المفعولين فالفعل الأول ما بين له الفعل والثاني من أولياء ومن للتعدي أي لا اتخذ بعض أولياء لأن
 من لا تترادف المفعول الثاني بل في الأول تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولي (ولكن متعتهم وآباءهم)
 بالأموال والأولاد و طول العمر والسلافة من العذاب (حتى نسوا الذكر) أي ذكر الله والايمن به والقرآن والشرايع
 (وكانوا) عند الله (قومابورا) أي هاسكي جمع بائر كعائذ وعوذ ثم قال لا تكفوا بطريق الخطأ عدولا عن الغيبة (فقد
 كذبوكم) وهذه المفاجأة بالاحتجاج بالإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالفاظ وحذف القول ونظيرها يا أهل
 الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم في فترة من الرسل إلى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا إرسان أقصى ما مراد بنا
 ثم القول فقد جاءكم آخر أسانا (عاتقون) يقولكم فيهم أنهم آلهة والباء على هذا كقولهم بل كذبوا بالحق والمجاور والمجاور

قلت ان الله يزل ذلك الخطا عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشغول بما
 هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالفاظ إلى غيره (خالد بن) أي في نعيم الجنة ومن تمام
 النعيم أن يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوا بضرب من الغم وأشد في المعنى
 أشد الغم عندى في سرور * تبين عنه صاحبه انتقالا
 (كان على ربك وعدا مسؤولا) أي مطلوبا وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين
 قالوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقالوا ربنا أو أنما وعدتنا على ربنا
 يقولون كان إعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا حين
 آياهم ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا أدخلهم جنات
 عدن التي وعدتهم قوله تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله) يعني من
 الملائكة والانس والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعني الاصنام ثم يحطاطهم (فيقول
 أنتم أضلتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) أي اخطأ الطريق (قالوا) يعني
 المعبودين (سبحانك) نزهوا الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة (ما كان ينبغي لنا
 أن نتخذ من دونك من أولياء) يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا
 من دونهم وقيل معناه ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك
 (ولكن متعتهم وآباءهم) أي بطول العمر والحياة والنعمة في الدنيا (حتى نسوا
 الذكر) معناه تركوا المواظف والايمن بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه
 (وكانوا قومابورا) معناه هاسكي أي غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم)
 هذا خطاب مع المشركين أي كذبكم المعبدون (بعاتقون) أي أنهم آلهة

فآلهة الأولى من المتعدي واحد وهو من أولياء والاصل أن اتخذوا وليا وزيد من لئلا كيد معنى النبي والبراءة (خا)
 الثانية من المتعدي إلى المفعولين فالفعل الأول ما بين له الفعل والثاني من أولياء ومن للتعدي أي لا اتخذ بعض أولياء لأن
 من لا تترادف المفعول الثاني بل في الأول تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولي (ولكن متعتهم وآباءهم)
 بالأموال والأولاد و طول العمر والسلافة من العذاب (حتى نسوا الذكر) أي ذكر الله والايمن به والقرآن والشرايع
 (وكانوا) عند الله (قومابورا) أي هاسكي جمع بائر كعائذ وعوذ ثم قال لا تكفوا بطريق الخطأ عدولا عن الغيبة (فقد
 كذبوكم) وهذه المفاجأة بالاحتجاج بالإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالفاظ وحذف القول ونظيرها يا أهل
 الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم في فترة من الرسل إلى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا إرسان أقصى ما مراد بنا
 ثم القول فقد جاءكم آخر أسانا (عاتقون) يقولكم فيهم أنهم آلهة والباء على هذا كقولهم بل كذبوا بالحق والمجاور والمجاور

بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوا بقولهم سبحانه ما كان ينبغي لنساء ان يتخذن دونك من اولياءه والياء على هذا قولك كنت بالعلم (فاستعجبون صرفا لانصرا) اى فاستطيع ان يفتكم ان يصرفوا عنكم العذاب اوى يصرفوكم وبالناء حصى اى فاستطيعون ان يتبرأ كفار صرفا العذاب عنكم ولا نصرا انفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله (ومن يظلم منكم) اى يترك لان الظلم وضع الشيء فى غير موضعه ومن جعل المخلوق شركا لخالقه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (نذره عذابا كبيرا) غير بان الحادود فى النار وهو يليق بالشرك دون الفاسق الاعلى قول المعتزلة والخوارج ٤٥١ (وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام

(فما استطعوا) أي الآلهة (صرفا) أي صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصرا) أي
ولا نصر أنفسهم وقيل لا ينصرونكم أي العابدون يدفع العذاب عنكم (ومن يظلم منكم)
أي يترك (نذقه عذابا كبيرا) قوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك) أي ما يجد (من)
المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) قال ابن عباس لما عير
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما هذا الرسول وما كل الطعام ويمشي
في الأسواق أنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أن هذه عادة مستمرة من الله تعالى
على رسوله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا إلا رسول وما كنت بدعاً من الرسل وهم كانوا
يشرا مشى بأكلهم الطعام ويمشون في الأسواق (وجعلنا بعضهم على بعضهم)
أي إيلية قال ابن عباس أي جعلنا بعضهم إلباء بعض لتصبروا على ما سمعون منهم
وترون من خلافهم وتبغوا أنتم المسمى قيل نزلت في ابتلاء الشريفة بالوضع
وذلك أن الشريف إذا أراد أن يسلّم رأى الوضع قد أسلم قبله فأنف وقال أسلم بعده
فيكون له السابقة والفضل على فقيم على ذكره ويمنع من الإسلام فذلك افتتاح
بعضهم بعض وقيل نزلت في أبي جهل والوليد بن عتبة والعاص بن وائل السهمي
والنضر بن الحارث وذلك أنهم رأوا أبا ذر وابن مسعود وعمر بن ياسر وبلاوصهيا
وعامر بن فهيرة وقذوهم قد أسلموا وقبلهم فقالوا لم فكفكون مثل هؤلاء وقيل
نزلت في ابتلاء فقراء المسلمين بالمستهزين من قريش كانوا يقولون انظر وإلى هؤلاء
الذين تبعوا محمد ماصي الله عليه وسلم من المؤمنين والذين أوالنا فقال الله تعالى هؤلاء
المؤمنين (أصابرون) أي على هذه المحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل إن الغني
فتنة الفقير يقول ما لي لم أكن مثله والصحح فتنة المربض والشريف فتنة
الوضع (وكان ربك بصيرا) أي بمن صبر ومن جزع (ق) عن أبي هريرة يبلغ به النبي
صلى الله عليه وسلم قال إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه بالمال والنجم فليستظر إلى من
هو دونه في المال والنجم لفظ البخاري ولمسلم انظر إلى من هو أسفل منكم ولا تنظر إلى
الذي من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم قوله تعالى (وقال الذين
لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة (لولا أنزل
علينا الملائكة) (فتجربنا إن محمد صادق) (أو ترى ربنا) فيجربنا بذلك (لقد استكبروا)

فقال بلى فصر ابننا اى وجعلت فتنة لهم لان لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنات لكانت طاعمهم لك الله تعالى وعز وجهه بالدينافاعا بمنشأك فقير التكون طاعة من يطيعك خاصة اننا (وكان ذلك بصريا) عالما بالصواب فيما يقتضيه أو بمن صريح ع (وقال الذين لا ر حون) لا ياملون (لنقاءنا) لا ينجس لانهم كفرة لا يؤمنون بالعت أو لا يخافون عقابنا اما لان الراسى قاتق فيما جره كالخائف أو لان الرعا فى لغة تهامة الخوف (الولا) هلا (انزل علينا الملائكة) (رسلا دون البشر) وشهد ادى نبوته ودعوى رسالته (أو نرى رنا) جهر فمقهر نام رسالته واتباعه (انقداستكروا

في أنفسهم) أي أضعفوا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كغيرا) وصف العتوب بالكبر فيسأل الغنى إفراطه أي أنهم لم يحسروا على هذا القول العظيم إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام في لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) أي يوم الموت أو يوم البعث ويوم منصوب بمادل عليه (لالبشرى) أي يوم يرون الملائكة يمشون البشرى وقوله (يومئذ) مؤ كدليوم يرون أو بأضعفوا كراي إذ كروم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لالبشرى بالجنة يومئذ لا ينتصب بيرون لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا بشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولأن المتبقي لا يعمل فيما قبل (لالبشرى) فظاهر في موضع ضمير أو عام يتناولهم بعمومه وهم الذين اجتمعوا الذنوب والمراد الكافرون لأن ٤٥٢ مطلق الاسماء يتناول كمل المسميات (ويقولون) أي الملائكة (خبر

أي تعظموا (في أنفسهم) بهذه المقالة (وعتوا كغيرا) أي طغوا وقيل عتوا في القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم ظلمهم ورؤية الله حتى يؤمنوا به قوله تعالى (يوم يرون الملائكة) أي عند الموت وقيل يوم القيامة (لالبشرى يومئذ للبشرى) وذلك أن الملائكة يشيرون المؤمنين يوم القيامة فيقولون للكتاب لالبشرى لكم وقيل لإشارة لهم بالجنة كما يشيرون المؤمنين (ويقولون خبر المحجور) قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرمان يدخل الجنة الآمن قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما محراما عليكم ان تكونوا لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار والملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم شدوه رأوا ما يكرهون قالوا خبرا محجورا فهم يقولون ذلك اذا عابوا الملائكة قوله عز وجل (وقدمنا الى ما عملوا من عمل) يعني من اعمال البر التي عملوها في حال الكفر (لجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب له لانهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحدیث الصحيح كل عمل ليس عليه آثار فهو مردود الى الهاء وهو ما يرى في الكوفة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس باليد ولا يرى في الظل والمشور المفرق قال ابن عباس هو ما تسقيه الريح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم القيامة (خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أي موضع القائلة وذلك ان اهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا قد مر من أول النهار الى وقت القتالة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا تنصف النهار يوم القيامة حتى يقبل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار والقبولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال وأحسن مقيلا لاؤا الجنة لانوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في أوله ويروي ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كباين العصر الى غروب الشمس قوله تعالى (ويوم تشق السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضبابه ولم

محجورا) حراما محراما عليكم البشرى أي جعل الله ذلك حراما عليكم إنما البشرى للمؤمنين والمحجور مصدر والكسر والفتح لغتان وقرئ بهما وهو من خبره اذا منع به وهو من المصادر المنصوبة بأفعال متروكة لأظهارها ومحجورا لنا كيد معني المحجور كما قالوا موت مائت (وقدمنا الى ما عملوا من عمل لجعلناه هباء منثورا) هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثل حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلواتهم وأغاثة ما هوف وقرئ ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم الى اسمائه وقصده الى ماتحت يده فأفسدها ومرتقا كل تمزق ولم يترك لها اثر أو الهباء ما يخرج من الكوفة مع ضوء الشمس شيئا بالغبار والمشتور المفرق وهو استعارته عن جعله

بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع فحين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) عييز والمستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يجالسون ويتحادثون (وأحسن مقيلا) مكانا يأوون اليه للاستراحة الى أزواجهم ولا نوم في الجنة ولكنه سمي مكانا استراحتهم الى المحورة مقيلا على طريق التشبيه وروى انه يفرض من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة وأهل النار في النار في لفظ الأحسن تسكنهم بهم (ويوم) وأذ كروم (تشق السماء) والاصل تشقق فخذى التاء كوفى وأبوعرو وغيرهم أذغها في الشين (بالغمام) بالمكان إنشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشق به السماء كما تقول شقت السماء بالشفرة فأنشق بها

(ونزل الملائكة تنزيلا) ونزل الملائكة مكي وتنزل على هذا مصدرا من غير لفظ الفعل والمعنى أن السماء تنفتح بعمام أيضا
يخرج منها وفي العموم الملائكة ينزلون وفي أيديهم صفائف أعمال العباد (الملائكة) مبتدأ (يومئذ) ظرفه (الحق) نعتهم ومعناه
الثابت لأن كل ملك ينزل يومئذ فلا يبقى إلا ملكه (لارجن) خبره (وكان) ذلك ٤٥٣ اليوم (يوم على الكافرين عسيرا)

شديدا يقال عسر عليه فهو عسير
وعسر يفهم منه عسر على
المؤمنين في الحديث جهنم
يوم القيامة على المؤمنين حتى
يكون عليهم أخف من صلاة
مكتوبة صلوا في الدنيا (ويوم
بعض الظالم على يديه) عض
الدين كناية عن العظيمة والحسرة
لأنه من رواهها فذكر الرادفة
وبدلها على المردوف شرف
الكلام به في طبقة الفصاحة
ويجد السامع عنده في نفسه
من الروعة ما لا يجد عند لفظ
المكثي عنه واللام في الظالم
للعهود أو ربه عقبة لما بين أو
للجنس فيتناول عقبة وغيره
من الكفار (يقول باليتنى
اتخذت) في الدنيا (مع الرسول)
محمد عليه الصلاة والسلام
(سبيلا) طريقا إلى النجاة والجنة
وهو الإيمان (يا ويلنا) وقرئ
يا ويلنا بالياء وهو الأصل لأن
الرجل ينادى ويله وهو
هلكته يقول له تعالى فهذا
أوانك وانما قلت الماء العاكا
في تجارى ومدارى (اليتنى) لم
أخذ فلا خلية (فلان كناية
عن الإعلام فإن أريد بالظالم عقبة
لما روى أنه اتخذ ضيفا فدعا
اليها رسول الله عليه الصلاة
والسلام فأتى بأكل من

بكن الابن اسراييل في قبيهم (ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تشق السماء
التي نزل فيها أولها وهدم أكثر من في الأرض من الانس والجن ثم تشق السماء الثانية
في نزل أهلها وهدم أكثر من في السماء الدنيا والجن والانس ثم كذلك حتى تشق
السماء السابعة وأهل كل سماء ينزلون على أهل السماء التي تليها ثم ينزل الذراريون ثم
حالة العرش (الملك يومئذ الحق لارجن) أي الملائكة الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم
القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملائكة يقضي غيره (وكان يوم على الكافرين
عسيرا) أي شديدا وفيه دليل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيرا أو جاء في الحديث أنه
يكون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلوا في الدنيا
قوله تعالى (ويوم بعض الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط وذلك أنه كان
لا يقدم من سفر الأصنع طعاما ودعا إليه اشرف قوموه وكان يكثر بحالة النبي صلى الله
عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فضع طعاما ودعا الناس إليه ودعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بأكل طعامك حتى
تشهد أن لا اله الا الله والى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول
الله فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما
أخبر أبا بن خلف قال له ما بعقبة صابأت قال لا والله ما صابأت ولكن دخل على رجل فأبى
أن يأكل طعامي الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم
فقال ما أنا الذي أرضى عنك أبدا الا أن تأتني فتعزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه
الصلاة والسلام لا أراك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر
صبرا وما أبى بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد وقيل لما برق عقبة في
وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاذ براقه في وجهه فاحترق خده فكان أثر ذلك في وجهه
حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبي معيط خليل أمية بن خلف فاسلم عقبة فقال له أمية
وجهي من وجهك حرام أن تابعت محمد فأكفروا وتذافزل الله في يوم بعض الظالم يعني
عقبة بن أبي معيط من أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه أي ندما أو سقا على ما فرط
في حب الله ووقوف نفسه بالبيعة والكفر طاعة لخليله الذي صدمه عن سبيل ربه قال
عطاء كل يديه حتى يبلخ فمعه فمعه ثم يبتن ثم يأكلها هكذا كلبا نبت يدها كلبا على
ما فعل تحسرا وندامة (يقول باليتنى اتخذت) أي في الدنيا (مع الرسول سبيلا) أي باليتنى
اتبع محمد صا إلى الله عليه وسلم واتخذت معه طريقا إلى الهداية (يا ويلنا) دعاء على نفسه
بالويل (اليتنى لم اتخذ فلا خلية) قيل يعني أي بن خلف (لقد أضلني عن الذكر) أي
عن الإيمان والقرآن (بعد انجاءني) يعني الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم (وكان

طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أي بن خلف وهو خليله وجهي من وجهك حرام الا أن ترجع فارتد فآلعي باليتنى لم
أخذ يا خلية لأفكني عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضامين خلية كان لخليله اسم علم لا محالة فخله كناية
عنه وقيل هو كناية عن الشيطان (لقد أضلني عن الذكر) أي عن ذكر الله أو القرآن أو الإيمان (بعد انجاءني) من الله وكان

الشیطان) وهو كل مشرد دعاء صعد عن سبيل الله من الجن والانس (للانسان خذولاً) اى كثير الخذلان يتركه ويترأف منه عند نزول البلا والاعذاب به وحكم لا ية عام في كل خيلين ومقتابين اجتماعاً على معصية الله (ق) عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المجلس الصالح وليس السوء كمال المسك ونافع السكر فامل المسك اما ان يخذل واما ان يتباع ومنه واما ان يتجدد منه ويحاطبها ونافع السكر اما ان تحترق ثيابك واما ان يتجدد منه ويحاطبته عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل اخبره ابو داود والترمذي ولهما عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمناً ولا بائعاً كل طعامك الاتقي قوله عز وجل (وقال الرسول) يعنى ويقول الرسول في ذلك اليوم (يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) اى متروكوا وعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه غزلة الهوى وهو الشئ من القول فزعوا الله سبحانه عن محمد اصابى الله عليه وسلم بشكر قومه الى الله عز وجل يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً فمراه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) اى وكما جعلنا لك أعداء من مشركي مكة وهم قومك كذلك جعلنا (لكل نبي عدو من الجرمين) اى المشركين والمعنى لا يكرن عليك ذلك فان الانبياء قبلك قد لاقوا هذا من قومهم فصبروا وفاضل أنت كما صبروا في ناصرك وهذا دليل وهو قوله تعالى (وكي بر بك هادي نصير) قوله تعالى وقال الذين كفروا ولا تنزل عليه القرآن من جهة واحدة) اى كما أنزلت التوراة على موسى والانشيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم اجمعين قال الله تعالى (كذلك) فعلنا ذلك (لننبت به فؤادك) اى أنزلنا له مفارقة لقلبه به فقلبك فتعبه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكرهون ويقرؤون وأنزلنا القرآن على نبي اى لا يكتب ولا يقرأ ولان من القرآن التاميم والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور تحدثت في أوقات مختلفة فترقنا ليكون آدمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به (ورتلناه ترسلاً) قال ابن عباس وس بينا وبيننا والترتيل التبيين في

وعشرين وذلك كذا إشارة الى ما نزل عليه القرآن جملة لان معناه لم ينزل عليك
القرآن من مفرقا فلم يزل ذلك (لنثبت به) يتفرقة (فؤادك) حتى تعبه وتحفظه لان المتقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا
يعدشى وجزء اعقب جزأه الى عليه جملة واحدة العجز عن حفظه ولنثبت به فؤادك عن الفجر، وتواتر الوصول وتتابع
الرسول لان قلب الخب يسكن بتواصل كتب الحبوب (ورتلشاه ترتيلا) معطوف على الفعل الذى يتعلق به كذا كما نه قال
كذلك فترقاها ورتلها اى قدرتها اى بعد اية ووقفة بعد وقفة وامرنا بترتيل قرأته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا
اى اقرأه بترسل ونثبت او بيناه تبييننا والترتيل التبيين فى ترسل ونثبت

(ولا يأتونك بمثل) سؤال عجيب من سؤال الاتهم الباطلة كانه منسل في البطلان (الاجشاك بالحق) الا اننا انك بالجواب الحق الذي لا يحيد عنه (واحسن نفسيرا) وبما هو احسن معنى ومؤدى من مثاهم اى من سؤالهم وانما حذف من مثاهم لان في الكلام دليلا عليه كقولنا رأيت زيدا وعمر اوان كذا وعمر واحد من وجهه دليل على انك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التفسير عما يدل عليه الكلام وضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا ولا يأتونك بمثل وصفة عجيبة يقولون هلا نزل عليك القرآن جملة الا أعطيتنا من الاحوال ما يحق لك في حكمته ان تعطاه وما هو احسن تسكينا لما بعثت عليه ودلا على صفة يعنى ان تنزلهم مفرقا وتحديدهم بان يأتوا ببعض تلك التقارير كى كما نزل شي منها ادخل في الامعان من ان ينزل كله جملة (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر) الذين مبتدأ اولئك مبتدأ ثان وشرب خبر اولئك واوئلك مع شرب خبر الذين واوئلكم الذين واوئلكم مستأنف (مكانا) اى مكانة ومنزلة او مسكن او منزلا (واضل سبيلا) اى اخطا طريقا وهو من الاسناد المجازى والمعنى ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضلون سبيله وتختفرون مكانه ومنزله ولو نظرتهم بعين الانصاف ٢٥٥ وانتم من المستحسنيين على وجوههم

الى جهنم لعلمت ان مكانكم شر من مكانه ومنزلة سبيلكم اضل من سبيله وفى طريقته قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على ارجلهم وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يحشرون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذى امشا ك على اقدامكم يحشرون على وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة كما آتيناك القرآن

ترسل ونثبت وقيل فرقناه ثم بقا آية بعد آية (ولا يأتونك) يعنى يا محمد هؤلا المشركون (بمثل) اى يضربون لك في ابطال امرك (الاجشاك بالحق) اى يجاتر به ما جازاه من المثل وتطلبه فسمى ماوردون من الشبهة مثلا لوسمى ما يدفع به الشبهة حقا (واحسن نفسيرا) اى احسن بياننا وتفصيلنا ثم ذكر كما ل هؤلا المشركين فقال تعالى (الذين) اى هم الذين (يحشرون) اى يساقون ويحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا) اى منزلا ومصيرا (واضل سبيلا) اى اخطا طريقا قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا) اى معنا وظهيرا (فقلنا اذهب الى القوم الذين كذبوا باياتنا) يعنى القبط (فذرناهم) فيه اضمار اى فكذبوهم فذرناهم (تدبرا) اى اهلكناهم اهلا كا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) اى رسلهم ومن كذب رولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجميع (اغرقناهم وجعلناهم للناس آية) اى عبرة لمن بعدهم (واعتدنا للظالمين فى الآخرة عذابا ليما) اى سيرا ما حل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا (وعاد اوغود) اى اهلكنا عاذا اوغود (واصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان اهل بحر الرس نزولا عليها وكانوا اصحاب مواش يعبدون الاصنام فيبعث الله اليهم شعبياء يدعوهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وادوا شعبياء فينبئناهم حول البحر في منازلهم انهارت البحر وخسف بهم وبديارهم ورباعهم وقيل

(وجعلنا معه اخاه هرون) بدل او عطف بيان (وزيرا) هو فى اللغة من يرجع اليه من الزور وهو المأمور والوزارة لا تنافى النبوة فقد كان يعبث فى الزمان الواحد انبياء ووزراء ووزراء بعضهم بعضا (فقلنا اذهب الى القوم الذين كذبوا باياتنا) اى فرعون وقومه وتقديره فذهب اليهم وانذرا فكذبوهم (فذرناهم تدبرا) التدمير اى الهلاك بالمرحوب أراد اختصارا انصفا فذكر اولها وآخرها انهما المقصود من القصة اعنى الزام الحق ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (وقوم نوح) اى ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعنى نوحا وادريس وشيثا او كان تكذيبهم واحدا منهم تكذيبا للجميع (اغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم آية) اى قصصهم (لناس آية) عبرة يعتبرون بها (واعتدنا) وهى انا للظالمين (لنقوم نوح واصلوه واعتدنا لهم) اى انا اودت عليهم فاطروا هو وعام لكل من ظلم ظلم شرك وتنبأ لهم بعومهم (عذابا ليما) اى النار (وعادا) دمرنا عاذا (اوغود) حصة وحقق على تاويل القليلة وغيرهما وعودا على تاويل الحى اوله اسم الاب الا كبر (واصحاب الرس) هم قوم شعيب كان يعبدون الاصنام فكذبوا شعبياء فينبئناهم حول الرس وهى البئر غير مطوية انهارت بهم تخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا انبياءهم فهلكوا وهم اصحاب الاخود والرس الاخود

(وقرونا) وأهلكنا ناسا (بين ذلك) المذ (كثيرا) لا يعلمها الله أرسل إليهم فكذبوه ثم فاهلكوا (وكلاضربناه
 الامثال) بيناه القصة العجيبة من قصص الاولين (وكلا تبناتيرا) أي أهلكنا ههنا كاو كلا الاول منصوب بمادل
 عليه ضربناه الامثال وهو انذرنا لوحدنا والثاني تبنرنا لانه فارغ له (ولقد اتوا) يعني أهل مكة (على القرية) سدوم
 وهي اعظم قري قوم لوط وكانت تحت خدا الهك الله اوبعاصع اهلها وبقيت واحدة (التي امطرت مطر السوء) أي امطر الله
 عليهم الحجارة يعني ان قري يشامروا كثيرا في متاجرتهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكنا بالحجارة من السماء
 ومطر السوء معقول ثان والاصل امطرت القرية مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أي امطار السوء (أفلم يكونوا يرونها) أما
 شاهدوا ذلك باصهارهم عند سفرهم الشام فيمتكروا فيؤمنوا (بل كانوا الارجون نشورا) بل كانوا قوما كفرة بالبعث
 لا يخافون بمثل ما يؤمنون أولا ياملون ٤٥٦ : نشورا كناية له المؤمنون لضعفهم في الوصول الى ثواب أعمالهم (واذا

وأولك ان يتخذونك) ان
 نافية (الاهزوا) اتخذوه ردا
 في معنى استهزأه والاصل
 اتخذوه موضع هزأه أوههزأه
 (هكذا الذي) محكي بعد النول
 المضمر وهذا استعصار واستهزاء
 أي قائلين هكذا الذي (بعث
 الله رسولا) والمحذوف حال
 والعائد الى الذي محذوف أي
 بعثه (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا
 لولأن صبرنا عليها) ان مخففة
 من التثنية واللام فارقة وهو
 دليل على فرط مجاهدة رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في
 دعوتهم وعرض المخبرات
 عليهم حتى شارقوا برغمهم ان
 يتركوا دينهم الى دين الاسلام
 لولا فرط مجاهدتهم واستمسكهم
 بعبادة آلهتهم (وسوف
 يعلمون حين يرون العذاب)
 هو وعبد ودلالة على انهم
 لا يفتنون وان طالت مدة
 الامهال (من اضل سبيلا)

الرسول برفع الجاهة فلو انهم فاهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان نبي يقال له
 حنظلة بن صفوان قتلوه فأهلكهم الله وقيل الرس بانها كية قتلوا فيها حبشيا التجار وهم
 الذين ذكرهم الله في سورة يس وقيل هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا بين
 ذلك كثيرا) أي وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وثمود واصحاب الرس (وكلاضربناه
 الامثال) أي في الاشياء في اقامة الحجة عليهم فلم يهلكهم الا بعد الانذار (وكلا تبنرنا
 تبيرا) أي أهلكناهم اهلانا (وقله تعالى) (ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر
 السوء) يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وهي خمس قري اهلك الله منها أربع وبقيت
 واحدة وهي أصغرهما وكان اهلها يعملون العمل الخبيث (أفلم يكونوا يرونها) يعني
 اذا مروا بها في أسفارهم فيعتبروا ويتظاولون ما دناش قوم لوط كانت على طريقهم في
 عمرهم الى الشام (بل كانوا الارجون نشورا) أي لا يخافون بعثا قوله تعالى (واذا
 وأولك ان يتخذونك الاهزوا) تزلت في أي جهل كان اذا مزع أصحابه قال مستهزئا
 (هكذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا) أي قد قارب ان يضلنا (عن عبادة آلهتنا
 لولأن صبرنا عليها) أي على عبادتها والمعنى لو لم يصر عليا الصبر فناعملنا (وسوف يعلمون
 حين يرون العذاب) أي في الآخرة عيانا (من اضل سبيلا) أي اخطا طريقا (أرايت
 من اتخذ اهله هواه) وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجر افادارأي حبرا
 أحسن منه رماه وأخذ الاحسن منه وعبدوه وقال ابن عباس أرايت من ترك عبادة الله
 خالقهم هو جبرافعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله بعيد (أفانت تكون عليه وكلا)
 أي حافظا لحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال
 الكلبي نسختها آية القتال (أم تحسب أن أكرمهم سمعون) أي ما تقول سمع مطالب
 الافهام (أو يعقلون) أي ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة أعظم من التي
 تقدمت لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكأنهم
 لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى (انهم) أي ما هم (الا

هو كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال اذ لا يضل غيره الا
 من هو ضال في نفسه (أرايت من اتخذ اهله هواه) أي من أطاع هواه فيما ياتي ويذرفه وعابدها وجاعله الهه فيقول الله
 تعالى لرسوله هذا الذي لا يرى معبود الا هو كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى يروى ان الواحد من اهل المجادلة كان
 يعبد الحجر فاذا مروا بحجر احسن منه ترك الاول وعبد الثاني وعن الحسن هو في كل متبع هواه (أفانت تكون عليه وكلا)
 أي حفيظا لحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه افانت تكون عليه هو كالاقتصر فعنه الهوى الى الله يدري عرفة ان
 اليه التبليغ فقط (أم تحسب ان أكرمهم سمعون أو يعقلون انهم الا

كالانعام بل هم اضل سبيلا) أم منقطعة عنهم بل اتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها
 البهاوي كونهم مسلوبو الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبر وعقلا ومثيبن بالانعام التي هي
 مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستئلال لتركهم الاستدلال ثم هم أربح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها
 وتستبدلها وتطسح من بعلة ما وتعرف من يحسن اليها من سبيها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وتهتدي لرعايها
 ومشارها وهؤلاء لا يتقادون لرهبهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطالبون الثواب
 الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك لا يهتدون للحق الذي هو المشرق المعنى والعذب
 اروي وقالوا لا ذكر ترجوع عقل واليه انهم نفس وهوى والا دمي جمع الكل ابتلاعان غلبته النفس والهوى فضلته الانعام
 وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصد عنه الاسلام الاحب الرياسة وكفى به
 داء عضالا ولان فيهم من آمن (المتر الى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته (كيف هذا الظل) أي بسطه فعم الارض وذلك
 من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول الجوهري لا نه ظل ٢٥٧ ممدودا لشمس معه ولا ظله وهو كما

قال في ظل الجنة وظل ممدود
 اذ لا شمس معه ولا ظلمة (ولو
 شاء لجعله ساكنا) أي دائما
 لا نزول ولا تذهبه الشمس
 (ثم جعلنا الشمس عليه) على
 الظل (دليلا) لانه بالشمس
 يعرف الظل ولولا الشمس لما
 عرف الظل فالاشياء تعرف
 بانسدادها (ثم قبضناه) أي
 أخذنا ذلك الظل الممدود
 (الينا) الى حيث أردنا (قبضا
 يسيرا) سهلا غير عسير أو قليلا
 قليلا أي جزأ فجزأ بالشمس التي
 تأتي عليه وجاء به ثم انقاض ما
 بين الامور فكان الثاني أعظم

كالانعام) أي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكير ثم قال
 تعالى (بل هم اضل سبيلا) لان البهايم تهتدي لمراعيها ومشاورها وتتقاربا رباها الذين
 يتعامدون بها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم
 ورزقهم ولان الانعام تسبح وتسجد والكفار لا يفعلون ذلك قوله تعالى (ألم تر الى ربك
 كيف مده الظل) هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لشمس
 معه (ولو شاء لجعله ساكنا) أي دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس
 عليه دليلا) معنى دلائلها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت
 الظلمة والاشياء تعرف بصددها (ثم قبضناه) يعني الظل (الينا قبضاي يسيرا) أي بالشمس
 التي تأتي عليه والمعنى ان الظل يجمع جميع الارض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس
 قبض الله الظل جزأ فجزأ قبضا خفيفا (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) أي ستر استترون
 به والمعنى ان ظلمة الليل تعشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لباسه (والنوم
 سباتا) أي راحة لا بد انكم وقطع الاعمالكم (وجعل النهار نشورا) أي يقظة وزمانا
 تنتشرون فيه لا يتغافرون فيكم وطالب الاشتغال (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي
 رحمته) يعني المطر (وأترلنا من السماء ماء طهورا) الطهور هو الطاهر في نفسه المظهر

٥٨ ن ث من الاول والثالث أعظم من الثاني شبه تباعدا بينهما في الفضل بتباعدا بين الحوادث في الوقت
 (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام الساكن كاللباس (والنوم سباتا) راحة لا بد انكم وقطع الاعمالكم والسبب القطع
 والنام مسبوت لانه انقطع عنه وحر كته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحماة وهو كقوله تعالى وهو الذي
 يتوفاكم بالليل ويعضد كركر النشور في مقابله (وجعل النهار نشورا) اذ النشور انبعاث من النوم كنشور الميت أي ينشر
 فيه الحقائق للمعاش وهذه الآية مع دلالاتها على قدرة الخالق فيها اظهار لعظمة على خلقه لان في الاحتجاب بستر الليل فواؤد
 دينة ودنيوية وفي النوم واليقظة المشي بين الموت والحياة عبرة قل اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنسم فتوقظ كذلك تموت
 فتنبش (وهو الذي أرسل الرياح) الرية هي المراية الجنس (بشر) تخفيف بشر جمع بشور (بين يدي رحمته) أي قدام
 المطر لانه ريم ثم سحب ثم مطر وهذه استعارة ملحية (وأترلنا من السماء ماء طهورا) طهورا بليغا في طهارته والطهور صفة
 كقولك ماء طهور أي طاهر واسم كقولك لثا يشتهر به ظهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار ومصدر بمعنى
 التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا تطهروا رأي بطهارة وما حكى عن علي بن هونما
 كان طاهر رأي نفسه مظهر الغيرة وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة فحسن ويعضده

قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فاعول من التفعيل في شيء وقياسه على ما هو مشتق

من الافعال المتعدي كقطوع
ومنوع غير سديد لان بناء
الفعول للبالغة فان كان الفعل
متعديا فالفعول متعدوان كان
لازما فلازم (لنحييه) بالاطر
(بلدة ميتا) ذكر ميتا على ارادة
البلد او المكان (ونسقيهما)
خلقنا انعاما واناس كثيرا
أى ونسقى الماء اليهما ثم والناس
وما خلقنا حال من انعاما واناسي
أى انعاما واناسي مما خلقنا ونسقى
واسقى لثنتان وقرأ المفضل
والبرجي ونسقيه والاناسي جمع
انسي على القياس ككرسي
وكراسي وانسان واناسه انسان
كسرحان وسرحان فاندلت
النون ياءوا دغمت وقدم احياء
الارض على سقى الانعام
والاناسي لان حسنتها سبب
لحياتها وتخصص الانعام
من الحيوان الشارب لان عامة
منافع الاناسي متعلقة بها فكان
الانعام عليهم نسقى الانعام
كالانعام بسقيهم وتنكير
الانعام والاناسي ووصفها
بالكثرة لان أكثر الناس
منيعون بالقرب من الاودية
والانهار فيهم غنية عن سقى
السماء واعقابهم وبقاياهم وهم
كثير يعيشون بماء ينزل الله من
رجسه وتنكير البلدة لانه يريد
بعض بلاد هؤلاء المتبعدين
عن مظان الماء ولما كان سقى
الاناسي من جملة ما أنزل له

لغيره فهو اسم لما يظهر به يدل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في العر هو
الظهور ماؤه الخ لميته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأراد به المطر والماء المظهر
لانه يظهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب اصحاب
الرأى الى ان الظهور هو الظاهر حتى يجوزوا ازالة النجاسة بالماءات الظاهرة مثل
الحل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى
ان الظهور ما ذكر منه التطهير وهو قول مالك حتى يجوز الوضوء بالماء اذا توضئ به مرة
واو وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه او ريحه هل تزول مهور يتسه نظران كان الواقع
شيئا لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الاشجار فتجوز الظاهرة كما لو تغير
بطول المسكت في قراره وذلك لو وقع فيسه ما لا يختلط كالدن يصب فيه فيترجق الماء
براحتته فتجوز الظاهرة لان تغيره لا يجاوزه لا لا يختلطه وان كان شيئا يمكن صون الماء
عنه ومخالطته كالحل والزعفران ونحوهما تزول مهور يتسه فلا يجوز الوضوء به وان لم
يتغير أحد أوصافه نظران كان الواقع شيئا ظاهرا لا يزول مهور يتسه يجوز الوضوء به سواء
كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع شيئا نجسا نظره فيه فان كان الماء أقل من قلتن
نجس الماء وان كان قد قدر قلتن فأكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان جسمان
رطل بالبغداد يدل عليه ما روى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن
الماء يكون في القلاة ترد السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتن لم يحمل الخبث
أخرجه أبو داود والترمذي وهذا قول الشافعي وأحمد واسحق وجماعة من أهل الحديث
ان الماء اذا بلغ هذا الحد لا نجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه وذهب
جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه
وهذا قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري واحتجوا بما روى عن أبي سعيد الخدري
قال قيل يا رسول الله انه يستقي لاش من بئر بضاعة فيلقى فيها الحجوم الكلاب وخرق الحميض
وعذر النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء مهور لا ينجسه شيء وفي رواية
قال قلت يا رسول الله أينوضه من بئر بضاعة وهي بئر تطرح فيها خرق الحميض والحجوم
الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء مهور لا ينجسه شيء وقوله
تسالى (لنحييه) أى بالاطر (بلدة ميتا) قيل أراد به موضع البلدة (ونسقيهما خلقنا)
أى نسقى من ذلك الماء (أنعاما واناسي كثيرا) أى بشرا كثيرا والاناسي جمع انسي وقيل
جمع انسان قوله عز وجل (ولقد صرفناه بينهم) يعنى المطر بين بلدة وبلدة أخرى
وقال ابن عباس ما علم بالاطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرأه الآية وهذا
كما روى مرفوعا من ساعة من ليل ولانها الاو السماء مطر فيها يصرفه الله حيث
يشاء وروى عن ابن مسعود رفعه قال ليس من سنة بأمر من سنة أخرى ولكن الله
عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل
سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم واذا
عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى القياقي والبحار وقيل المراد من تصرف المطر

الماء ووصفه بالظهور كما فهم بيان ان من حقهم ان يثروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لان
الطهارة شرط الاحياء (ولقد صرفناه بينهم

ليذكر (كروا) ليدكر واجزة وعلى ويزيد ولقد صر فناهـ ذالقول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر لتغفر كواو ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فغش كروا (فاني اكثر الناس الا كفورا) فاني اكثرهم الا كفوران النعمة وجودها وقلة الاكثر لها اوصرف هذا المطر بينهم في البلدان المختلفة والافات المتعارة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود دور ذاد ودية قابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذ كروا صنع الله تعالى ورجته وعن ابن عباس رضي الله عنه - ما مامن عام اقل مطرا من عام واسكن الله بصر فحيث يشاء وقر الآية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يمتد لفولكن يمتد في نفسه البلاد ويستخرج منها جواب في تنكير البلد والانعام والاناس ومن نسب الامطار الى الانواع وجد ان تسكن وهي والانواع من خلق الله تعالى كفورا وان رأى ان الله تعالى خلقها وقد نصب الانواء امارات ودلالات عليهم لم يذكر (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا

تصرف فيه وابلوا طشا ورذاذا فحقوها وقيل التصريف راجع الى الريح (ليذكر كروا) ليدكر كواو يغفر كروا في قدرة الله تعالى (فاني اكثر الناس الا كفورا) أي وجودا أو كفرهم هو أنهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا (ق) عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالجمعة في أثر مسماء من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرا ما من قال مطرنا بنوء كذا ولا يذ كروا صنع الله تعالى ورجته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوا كب وأما من قال مطرنا بنوء كذا ولا يذ كروا صنع الله تعالى ورجته فذلك كافر بي ومؤمن بالكوا كب قوله تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أي رسولنا لينذرهم واسكن بعثنا الى القرى كلها ونزلنا ذلك بالنبأ كروا الصبر والتشدد ولا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداومتهم (وجاهدهم به) أي بالقرآن جهادا كبيرا أي شديدا قوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين) أي خطاهما وافاض احداهما على الآخر وقيل ارسله ما في بحرهما (هذا عذب فرات) أي شديد العذوبة يعمل الى الخلاوة (وهذا ملح أحاج) أي شديد الملوحة وقيل (وجعل بينهما مازخا) أي حائزا بقدرة فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب (وجبرا) أي ستر الممنوعا فلا يبيح احدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب (وجبرا) تعالى (وهو الذي خلق من الماء) أي من النطفة (بشر لعله نسا وصورا) أي جعله ذاتا نسب وصور وقيل النسب ما لا يحمل نكاحه والصور ما يحمل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصور ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصور الخلقة التي تشبه

عند الله ما يحمل فيه من الماشق ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قرينة فاجتمع على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة (وهو الذي مرج البحرين) خلاهما امتحانين متلاصقين يقول مرجت الدابة اذا خلتها ترى وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحر بن (هذا) أي أحدهما (عذب فرات) صفة لعذب أي شديد العذوبة حتى يقرب الى الخلاوة (وهذا ملح أحاج) صفة للملح أي شديد الملوحة (وجعل بينهما مازخا) عازلا من قدرته بفصل بينهما ما يمنعهما التمازج فمافي الظاهر مختلفان وفي الحقيقة منفصلان (وجبرا) مججورا) وستر الممنوعا عن الاعين كقوله سبحانه سترورا (وهو الذي خلق من الماء) أي النطفة (بشر) انسا (لعله نسا وصورا) أراد تقسيم البشر قسمين ذوى نسب أي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي انا نسا يصاهرهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكروا والنثى

عند الله ما يحمل فيه من الماشق ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قرينة فاجتمع على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة (وهو الذي مرج البحرين) خلاهما امتحانين متلاصقين يقول مرجت الدابة اذا خلتها ترى وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحر بن (هذا) أي أحدهما (عذب فرات) صفة لعذب أي شديد العذوبة حتى يقرب الى الخلاوة (وهذا ملح أحاج) صفة للملح أي شديد الملوحة (وجعل بينهما مازخا) عازلا من قدرته بفصل بينهما ما يمنعهما التمازج فمافي الظاهر مختلفان وفي الحقيقة منفصلان (وجبرا) مججورا) وستر الممنوعا عن الاعين كقوله سبحانه سترورا (وهو الذي خلق من الماء) أي النطفة (بشر) انسا (لعله نسا وصورا) أراد تقسيم البشر قسمين ذوى نسب أي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي انا نسا يصاهرهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكروا والنثى

(وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرانوعين ذكر وانثى وقبل خلقه نسباً أي قرابة وصهرامصاهرة يعني
 الوصلة بالنسكاح من باب الانساب لان التوصل يقع بها واما مصاهرة لان التوالد يكون بهما (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم)
 ان عبدوه (ولا يضرمهم) ان تتركوه (وكان الكافر على ربه) على معصية ربه (ظهيراً) معنا ومضاداً او فاعيل بمعنى مفاعل غير
 عز يزول اظهيره والمظاهر كالعوس والمعاون والمظاهر المعاصرة والمعونة والمعنى ان الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان بهما وانه على
 معصية الرحمن (وما أرسلناك الا مبشراً) لا مؤمنين (ونذيراً) منذر للكافرين (قل ما أسئلكم عليه) على التبليغ (من أجر)
 جعل (الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلاً) ٤٦٠ والمراد الافعل من شاء واستثنائه من الاجر قول ذي شفقة عليك قدس

القرابة وهو النسب المحرم للنسكاح وقد حرم الله بالنسب سبعاً وبالسبب سبعاً وجميعها
 قولاً حرمت عليكم أمهاتكم الا به وقد تقدم تفسير ذلك وبما نهى في تفسير سورة النساء
 (وكان ربك قديرا) على ما أورد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر
 والانثى (ويعبدون من دون الله) يعني هؤلاء المشركين (مالا ينفعهم) أي ان عبدوه
 (ولا يضرمهم) أي ان تتركوه (وكان الكافر على ربه ظهيراً) أي معنا إيان الشيطان
 على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الامثالهم معاونة للشيطان وقيل معنى ظهير اهان الشيطان
 من قولك ظهرت به لان اذا جعلته وراء ظهره لم تلتصق اليه وقيل اراد بالكافر ابا
 جهل والاصح انه عام في كل كافر وقوله تعالى (وما أرسلناك الا مبشراً) أي بانثواب على
 الايمان والطاعة (ونذيراً) منذر بالالعقاب على الكفر والمعصية (قل) يا محمد
 (ما أسئلكم عليه) أي على تبليغ الوحي (من أجر) فتقولوا انما يطلب محمد اموا للناس
 يدعون اليه فلا تبعه (الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلاً) معناه لكن من شاء ان يتخذ
 بانفاق ماله سبيلاً الى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا أسألكم لنفسي اجرا ولكن امنع من
 انفاق المال الا في طلب مرضاة الله واتخاذ السبل الى جنته قوله عز وجل (وتوكل على
 الحي الذي لا يموت) معناه انه سبحانه وتعالى ما شاء ان يبعث نبيه صلى الله عليه وسلم بان لا يطلب
 منهم اجر البتة امره ان يتوكل عليه في جميع اموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من
 توكل على حي يموت انقطع توكله عليه بوجهه واما الله سبحانه وتعالى فانه حي لا يموت فلا
 ينقطع توكله على توكل عليه ولا يضيع البتة (وسبح بحمده) أي صل له شكر اعلى نعمه
 وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيراً) يعني انه تعالى عالم
 بجميع ذنوب عباده فيخبرهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم قادر
 على مكافاتهم وفيه وعيد شديد كانه قال اذا قدمت على مخالفة امره كما لم علمه في مجازاتهم
 بما يستحقون من العقوبة قوله عز وجل (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
 ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً) أي فاسأل الخبير بذلك يعني بما

لا في تحصيل مال ما اطلب منك
 ثواباً على ما صنعت الا ان تحفظ
 هذا المال ولا تضعه فليس
 حفظك المال لنفسك من جنس
 الثواب ولكن صورته بصورة
 الثواب كانه يقول ان حفظت
 مالك اعدت حفظك بجزلة الثواب
 في مرضايه كرضائنا بالثواب
 وله مري انه عليه الصلوة والسلام
 مع أمته بهذا الصدد ومعنى
 اتخاذهم الى الله سبيلاً ترفعهم
 اليه بالايمان والطاعة او بالصدقة
 والنفقة وقيل المراد لكن من
 شاء ان يتخذ بانفاق الى رضا
 ربه سبيلاً فليفعل وقيل تنذره
 لا أسألكم على ما أدعوكم اليه
 اجر الا اتخاذ المدة وسبيلاً الى
 ربه بطاعته فذلك اجرى لان
 الله ياجرني عليه (وتوكل على
 الحي الذي لا يموت) التمتد من
 لا يموت وكيلاً لا يكل الى من
 يموت ذليلاً يعني ثق به واستند
 اترك اليه في استكفاء مشورهم

ولا تتكل على حي يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بخلق والتوكل
 الاعتماد عليه في كل امر (وسبح) من ان يكل الى غيره من توكل عليه (بحمده) بتوفيقه الذي يوجب الحمد او قل سبحان الله
 بحمده وترفعه عن كل العيوب بالثناء عليه (وكفى به بذنوب عباده خبيراً) أي كفى الله خبيراً بذنوب عباده يعني انه خبير باحوالهم
 كاف في جزاء اعمالهم (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام) أي في مدة مقدار هذه المدة لانه لم يكن حينئذ دليل
 وزرار روى عن مجاهد اولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة وانما خلتها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليم الخلق
 الرفق والتمتد (ثم استوى على العرش الرحمن) أي هو الرحمن فالرحمن خبير بمبدأ المحضوف وأبدل من الضمير في استوى أو الذي
 خلق مبتدأ أو الرحمن خبير (فاسأل) بلا همزة مكى وعلى (به) صله سل كقولك سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صله في قوله
 تعالى ثم لنسألن يومئذ عن النعيم فسال به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفش عنه او صلة (خبيراً)

ويكون خيرا مفعول سل أى فاسأل عنه رجلا وعرفنا خبرك برجته أو فاسأل رجلا خيرا به وبرجته أو الرجن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقبل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرجن إلا الذي باليمامة يعنون مسامية وكان يقال له رجان اليمامة (وإذا قيل لهم) أى إذا قال محمد عليه الصلاة والسلام لأشركين (استجدوا للرحمن) قالوا وما الرحمن) أى لا نعرف الرجن فنجعله فهذه أسؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما وعن معناه لأنه لم يكن مستعلا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم (استجدوا لنا) لأننى تأمرنا بالسجود له ولا ركبنا السجود باسمه محمد من غير علم منابه يأمرنا على حجة كان بعضهم قال لبعض

٤٦١

استجدوا باسم محمد أو باسمنا المسمى بالرجن ولا نعرف ما هو فقه عندنا ولا نعرف معناه عند أهل اللغة فوالرجة التي لا غاية بعدها في الرحلة لأن فعلان من أفعال المسالمة يقول رجل عطشان إذا كان في نهاية العطش (وزادهم) قوله واستجدوا للرجن (فورا) تبادعنا عن الإيمان (تبارك الذي جعل في السماء بروج) هي منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان تقوى حاله فيهما وللشمس بيت وللنجم بيت فالحمل والقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فصب كل واحد منها سلاطة بروج فالحمل

ذو كرم من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش وقيل معناه أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلى غيري وقيل معناه فاسأل عنه خيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام (وإذا قيل لهم استجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أى ما نعرف الرجن إلا الرحمن اليمامة يعنون مسامية الكذب كانوا يسمونه رجما اليمامة (استجدوا لنا) أنت يا محمد (وزادهم) أى قول القائل استجدوا للرحمن (فورا) أى عن الإيمان والسجود فعل وهذه السجدات من عزائم السجدات فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند سماعها وقراءتها قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروج) قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجها وظهورها وقيل البروج قصور فيها الخمر وقال ابن عباس هي البروج اثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها الكواكب كل منازل سكنها (وجعل في السماء سراجا) يعني الشمس (وقرأ منيرا) وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه قال ابن عباس معناه خلفه وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه في فاته عمله في أحدهما قضاء في الآخر تحقيق جاء رجل إلى عمر بن الخطاب قال فانتى الصلاة الليلة قال أدرك ما قلنا من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا الأسود وهذا الأبيض وقيل يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب هذا أحدهما فهاهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان (من أراد أن يذكر) أن يذكروا ويعتق (أو أراد شكرنا) يعني شكر نعمة ربه عليه فيهما قوله عز وجل (وعباد الرحمن) قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل

والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والقوس والحوت مثلثة مائية سميت المنازل بالبروج التي هي القصور العالية لأنها الكواكب كل منازل سكنها واشتقاق البروج من التبرج ظهره وقال الحسن وقتادة وجه البروج هي النجوم الكبار وظهورها (وجعل في السماء سراجا) يعني الشمس لتوقدها سراجا جزرة على أي نجوما (وقرأ منيرا) مضيا بالليل (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه) فعلة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر المعنى جعلهما مذوى خلفه يخلف أحدهما الآخر عند مضيه أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد (من أراد أن يذكر) يتدبر في تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما يذكر جزرة وخلف أى يذكر الله والمذنى فيقضى (أو أراد شكرنا) أى يشكر نعمة ربه عليه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره

(الذين يشون) أو أولئك يحزون والذين يشون فما بعدهما صفة وإضافة إلى الرجن للخصيص والتفصيل وصف أولياءه
 بعدما وصف أعداءه (على الأرض هونا) حال أوصفه للشيء أي هينين أو مشيها هينا والهن الرفق واللين أي يشون بسكينة
 ووقار ووضوح دون مرح واختيال وتسكبر فلا يضر بون بأقدامهم ولا يخفقون بشعائهم أشروا وطرأ ولذا كره بعض العلماء
 لركوب في الأسواق وشولوه ويشون في الأسواق (وإذا خاطبهم الجاهلون) أي السفهاء بما يكرهون (قالوا أسلاما) سدادا
 من القول يسلمون فيه من الأثام والافتقار وتسلموا منك نثار كركم ولا يخافها منك فاقم السلام مقام التسلم وقيل نخبتها آية القتال
 لإحاطة إلى ذلك فالأغصاع من السفهاء مستحسن شرعاً ومروءة وهذا وصف نهارهم ثم وصف لياليهم بقوله (والذين يبيتون
 ربهم سجداً) جمع ساجد (وقياما) جمع قائم والبيتو تتخلف الظل وهو أن يدرك الليل عت أول تم وقالوا من قرأ شيئاً
 من القرآن في صلاة أو ن قل ٤٦٢ فقبضت ساجداً وقاعاً وقيل هما الر كعتان بعد المغرب والر كعتان بعد

العشاء وأظاهر أنه وصف لهم
 والآخر خلق كلهم عباد الله (الذين يشون على الأرض هونا) يعني بالسكينة والوقار
 متواضعين غير أشمرين ولا مـحـين ولا متكبرين بل علماء حكماء أصحاب وقار وعتة
 (وإذا خاطبهم الجاهلون) يعني السفهاء بما يكرهونه (قالوا أسلاماً) أي سداداً من القول
 يسلمون فيه لا بسفهون وأن سفه عليهم حملوا ولم يحسبوا وليس المراد منه السلام المعروف
 وقيل هذا قيل إن يوم رابا القتال ثم نخبتها آية القتال ويروي عن الحسن البصري أنه
 كان إذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم إذا قرأ (والذين يبيتون ربهم سجداً
 وقياماً) قال هذا وصف لياليهم والمعنى يبيتون ربهم في الليل بالصلاة سجدوا على وجوههم
 وقياماً على أقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الأخيرة ركعتين أو أكثر فقد
 بات لله ساجداً وقائماً (م) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى العشاء في جماعة
 كان كقيام ليلة قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن
 عذابها كان غراماً) أي لم يحدثنا إلا زماً غير مفارق من عذاب من الكفار قال مجاهد كعب
 القرظي سأل الله الكفار عن نعمته فلم يؤدوه فأغرمهم فبقوا في النار وقال كل غريم
 مفارق غريمه إلا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والمهلك الدائم (أنها) يعني جهنم
 (ساعت) بسئت (مستقرا ومقاما) أي وضع قرار وإقامة (والذين إذا أنفقوا لم
 يسرفوا ولم يسقروا) قيل الأسراف النفقة في معصية الله وإن قلت والاعتدال بمنع حقوق
 الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الأسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في
 حد التبذير والاعتدال التقصير عما لا يمنه وهو أن لا يبيع عمال ولا يعريهم ولا ينفق
 نفقة يقول الناس قد اسرف (وكان بين ذلك قوما) أي أصدوا وسطاً بين الأسراف

لنشأ وأظاهر أنه وصف لهم
 أحياء الليل أو أكثره (والذين
 يقولون ربنا اصرف عنا عذاب
 جهنم إن عذابها كان غراماً)
 نهلاً كالأزما ومنه العـرـم
 لازمته وصفهم بأحياء الليل
 أجدين قائمين ثم عقبه بذكر
 عوتهم هذه أيداناً بأنهم مع
 جثابهم خائفون متنبهون
 تنزعون إلى الله في صرف
 له عذاب عنهم (أنها) ساعات
 مستقرا ومقاما) أي أن جهنم
 ساءت في حكم بسئت وفيها
 ضمير مهمم يفسر مستقرا
 المخصوص بالذم مخذوف
 منه ساعات مستقرا ومقاما
 وهذا الضمير هو الذي ربط
 به لتأنيدهم أن جعلها خسراناً
 ومعنى أجزئت وفيها ضمير اسم
 نوم مستقر حال أو يميزو يصح

أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وإن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (والذين
 أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا الحد في النفقة أول ما كوا للتمتع ولم يلبسوا للتصاف وعن ابن عباس رضي الله عنهم لم ينفقوا
 المعاصي فلا سرف مجاوزة الحد وسرع رجل رجلاً يقول لأخيه في الأسراف فقال لا سراف في الخير وقال عليه الصلاة
 السلام من منع حقه فقد قهر من أعطى في غير حق فقد اسرف (ولم يسقروا) بضم التاء كوفي وضم الياء وكسر التاء مدني
 ناصبي وبفتح الياء وكسر التاء مكي وبصري والقترو والاعتدال التقيض الذي هو تقيض الأسراف (وكان) انفاقهم
 بين ذلك أي الأسراف والاعتدال (قوما) أي عدلا يمتد ما بالقوام العدل بين الشئيين والمنصوبان أي بين ذلك قوما خيران
 سرفهم بالقصد الذي هو بين العلو والتقصير وعمله امر عليه الصلاة والسلام ولا لتجعل يدك مغلولة إلى عنقك الآية وسأل
 الملك من مروان بن عبد العزيز عن نفقة حين زوجها ابنته فقال الحسن بن السيثيين فعرى عبد الملك أنه أراد ما في هذه
 الآية وقيل أولئك

أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعاما للتعيم واللذوة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الحاجة وسستر العورة ودفع الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهي الرجل شيئا إلا أكاه (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) أي لا يشركون (ولا يلقون النفس التي حرم الله) أي حرما بمعنى حرم قتلها (الاله الحق) بقوله وأورجس أوردت أو شرك أو سعى في الأرض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يلقون ٤٦٣ (ولا ينزون) ونفي هذه الكبرياء عن عباده الصالحين تعريضا لما

كان عليه أعداؤهم من قر يش وغيرهم كأنه قيل والذين طهرهم الله عما أنتم عليه (ومن يفعل ذلك) أي المذكور (يلقى أثاما جزاء الأثم) (يضاعف) بدل من يلقى لأنهما في معنى واحد اضاعفة العذاب هي لقاء الأثم كقوله

مضى تأتانا نعمت من ساق ديارنا

تجد خطيبا جز لا ونارا تاجبا
فخرم نسم لانه بمعنى تأتينا
إذا التبان هو الالمام بضعف
مكسى ويريد ويعقوب
يضعف شامى يضاعف أبو بكر
على الاستثناء أو على الحال
ومعنى يضاعف له العذاب يوم
القيامة أي يعذب على زور
الأيام في الآخرة عذابا على عذاب
وقيل إذا ارتكب المشرك
معاصي مع الشرك عذب على
الشرك وعلى المعاصي جميعا
فتضاعف العقوبة اضاعفة
المعاقب عليه (ويجذل) جزؤه
حازم يضاعف ورفعه رافعه
لأنه معطوف عليه (فيه) في
العذاب فيها مكي وحفص
بالاشباع وانما حفص

والاقتار وحسنه بين السمتين قبل هذه الآية في صفة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعيم واللذوة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويعوهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يسترون به العورة ويعقيم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفا أن لا يشتهي الرجل شيئا إلا اشتراه فأكاه (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) (ق) عن ابن عباس أن أناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا كثيرا وأورثوا كثيرا فوافواوا محمدنا صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذي تقول وتدعونا إليه أحسن لو تخبرنا أن ناعلمنا كما تعرفون والذين لا يدعون مع الله الها آخر (ولا يلقون النفس التي حرم الله اله الحق ولا ينزون) ونزل قل يا عبداي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله قال إن تدعوه الله تدعو هو خذلنك قال ثم أي قال إن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أي قال إن تراني حليمة حاركة فأنزل الله تعالى تصدقوه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يلقون النفس التي حرم الله اله الحق ولا ينزون (ومن يفعل ذلك يلقى أثاما) أي ومن يفعل شيئا من ذلك يلقى أثاما قال ابن عباس أنما يريد جزاء الأثم وقيل عقوبة وقيل الأثم وأدفعه ثم وروى في الحديث إن النفي والأثم بمران في جهنم يسئل فيهما صديد أهل النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وسبب تضعيف العذاب إن المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (ويجذله فيه مهانا) أي ذله لاقوله تعالى (الامن تاب) أي عن ذنبه (وآمن) أي بربه وعمل على الصلاح (أي فيما بينه وبين ربه) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنين والذين لا يدعون مع الله الها آخر إلا بالله ثم نزلت الامن تاب فآرايت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشيء مثل ما فرح بها وفرح به بأفحنا نالك فتخامر بينا ليعفر لنا الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله تعالى (فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحاما) قال ابن عباس يبدلهم الله سيئاتهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك بحسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك إيمانا وبقتل المؤمنين قسلا المشركين وبالزنا عفة واحسانا وقيل يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه

الاشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد والعرب قد لما لمعة مع ان الاصل في هاء الذميمة بالاشباع (الامن تاب) عن الشرك وهو استثناء من الجنس في موضع النصب (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل على الصلاح) بدو قوله (فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أي يوفقهم للخير بعد القبيح أو يعوضها بالبر بقرينة مكانها الحسنات الايمان والطاعة ولم يرد به ان السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل خيفة البرجى (وكان الله غفورا) يذكر السيئات (رحما) يبدلها بالحسنات

(ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) أى ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه يتوب بذلك الى الله تعالى متابا
مريضيا عنده مذكرا للخطايا بحصول الثواب (والذين لا يشهدون الزور) أى الكذب يعنى ينشرون عن محاضر الكذابين
ومجالس الخطائين فلا يقر بوبهاتنهما ٤٦٤ عن مخالطة الشر وأهله اذ مشاهدة الباطل شرك فيه وكذلك النظارة الى

ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء
فأعلمه في الاستقام لان حضورهم
ونظرهم دليل الرضا وسبب
وجود الزيادة فيه وفي مواضع
عيسى عليه السلام اياكم
ومجالسة الخطائين أولا يشهدون
شهادة الزور على حذف المضاف
وعن قتادة المراد بمجالس
الباطل وعن ابن الحنفية
لا يشهدون الله والنعاء
(واذا مروا بالغفوة) بالفحش
وكل ما يبنى ان ينجو بطرح
والمعنى واذا مروا بما همل اللغو
والمستغلي به (مروا كراما)
معرضين كرمين أنفسهم عن
التسلط به كقولوا واذا سمعوا
اللغو أعرضوا عنه وعن الباقر
رضي الله عنه اذا ذكرروا
الفروج كواعضاها (والذين
اذا ذكروا بايات ربهم) أى
قرئ عليهم القرآن أو وعظوا
بآقران (لم يخفوا عليها صما
وعيانا) هذا ليس بشئ المحرور
بل هو اثباته ونفي الصمم
والعمى ونحوه لا يأتى زبد
مسما هو نفي للسلام لا للقاء
يعنى انهم اذا ذكروا بانوار
سجدوا بكياسة معين باذان
واعية بغير من يعون راحة
لما أمروا به ومن وعنه لا كلنا فقين

واشبههم بالله قوله تعالى ومن هدينا واجتبتنا اذ اتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا
والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا من ليسان كأنه قيل هب لنا قرأة أعين ثم بينت القرأة وفست بقوله من أزواجنا
(وذر يائنا) ومعناه ان يجعلهم الله قرأة عن وهو من قوله رأيت مثل أسداى أنت أسد أول الإبداء على معنى هب لنا من
جهنم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وذرية البوعروو كوف غير حفص لا رادة الجحش وغيرهم ذريةنا (قرأة عين)

قيل

قيل

وانما نذكر لاجل تنكير القرء لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتذكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل عين على القابلة دون عيون لان المراد عين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقيل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير عين انها خاصة وهي عين المتقين والمعنى انهم سالوا ربهم ان يرزقهم آدموا واجا وأعقابا عملا لله تعالى يسرون مكانهم وتقرهم عيونهم وقيل ليس شئ اقر لعين ١٦٥ المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس

مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه (واجعلنا للمتقين اماما) اي أئمة يقتدون بشاقي الدين فاكتفى بالواحد دلالة على الجنس ولعدم الدس او واحد كل واحد من الاما قبل في الآية ما يدل على ان الرئاسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها (أو لئلا يجزوا الغرفة) اي الغرفات وهي العلال في الجنة فوجدنا قسما على الواحد الدال على الجنس دلالة قوله وهم في الغرفات آمنون (عاصبروا) اي يصبرهم على الضاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك (ويلقون فيها) ويلقون كوفي غير حفص (نحية) دعاء بالتمجير (وسلاما) ودعاء بالالمة يعني ان الملائكة يحيطونهم ويسامون عليهم ويحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه (خالدين فيها) حال (حسنت) اي الغرفة (مستقرا ومقاما) موضع قرار واقامة وهي في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما (قل ما يعياكم

قل ليس شئ اقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطبع أن يحكموا معه في الجنة فيتم سرورهم وتقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرعة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح ياربو عند الحزن حار وقيل معنى قرعة العين ان يصادف قلبه من رضاه بقرع عينه به عن النظر الى غيره (واجعلنا للمتقين اماما) اي أئمة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه نقدي بالمتقين ونقدي بنات المتقون وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هدى وقيل معناه انهم سألوا الله ان يجعلهم في الشاغل المباح الذي يشار اليهم فيه ويقتدي بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرئاسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقبول معناه واجعل للمتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين بمؤمنين بهم (أو لئلا يجزوا) اي يشاؤون (الغرفة) الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يريد غرف الدروازر جدد اللؤلؤ واليا قوت في الجنة (عاصبروا) اي على طاعة الله تعالى وأمره وعلى اذى المنكرين وقيل عاصبروا عن الشهوات (ويلقون فيها نحية) اي ملكا وقيل بقاء دائما (وسلاما) اي يسلم بعضهم على بعض أو يرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما أي سلامة من الآفات قوا لله تعالى (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) اي موضع قرار واقامة قوله تعالى (قل ما يعياكم ربي) اي ما يصنع وما يفعل بكم فوجدكم وعدكم سواء وقيل معناه اي وزن ومقدار انكم عنده (لولا دعاؤكم) اما قيل معناه لولا عبادتكم اياهم وقيل لولا ايمانكم وقيل لولا دعاؤكم اي الى الايمان فاذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعيا خلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعيا اي ما يالي يغفر لكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل معناه ما خلقتكم ولى انكم حاجة الان تسألوني فاعطيتكم وتستغفرونني فاعفركم (فقد كذبتم) ايها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني ان الله دعاكم الى توحيد وعبادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تحيروه الى الايمان (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم اي يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لزاما من كذب فلاعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دائما وهلاكا لازما من كذب مقبلا بحق بعضهم بعضا وقيل هو يوم بدر قتلهم سبعون وأسرى سبعون وهو قول عبد الله

٥٩ ن ت

رني لولا دعاؤكم) اي انه خلقكم لعبادته كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي الاعباد عند ربكم لعماد بكم او ما يصنع بكم لولا دعاؤكم كدعاه لمة وهو قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم (فقد كذبتم) رسوليا أهل مكة (فسوف يكون) العذاب (لزاما) اي ذال الزام أو لازما موضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك ما يعيا ما يالي يغفر لكم لولا دعاؤكم معهما لها آخر

﴿سورة الشعراء مكية﴾ وهي مائتان وعشرون وسبع آيات (بسم الله الرحمن الرحيم طس) طس و ينس
وحم مائة كوفي غير الاعشى والبر جى ٤٦٦ وحقق ويظهر النون عند الميم ين يدوجزة وغيرهما يدعها (تلك آيات

الكتاب المبين) الظاهر اعمازه
وصحة انه من عند الله والمراد به
السورة أو القرآن والمعنى آيات
هذا المدلول من الحروف
المبسطة تلك آيات الكتاب
المبين (لعلك باخع) قاتل ولدك
للاشفاق (نفسك) بن الحزن
يعنى اشفق على نفسك ان تقتلها
حسرة وخزاعة لما قاتلت من
اسلام قومك (الا يكونوا مؤمنين)
لثلاثيؤمنوا ولا متناع ايمانهم
او خيفة أن لا يؤمنوا (ان
نشأ) ايمانهم ينزل عليهم من
السماء آية دالة واضحة
(فظلت) أى فضل لان الجزاء
يقع فيه لفظ الماضى فى معنى
المستقبل تقول ان زرتنى
اكرمك اى اكرمك كذا قاله
الزجاج (اعناقهم) رؤسائهم
ومقدموهم ووجاعاتهم يقال
جاءنا عنق من الناس لفرج
منهم (لها خاضعين) متقادين
وعن ابن عباس رضى الله عنهما
نزلت فينا وفي بنى امية فتكون
لنا عليهم الدولة فنزل لنا اعناقهم
بعد صعو بهو لحقهم هو ان
بعد عزه (وما يتيمهم) ذكر من
الرجن محدث الا كانوا عنه
معرضين اى وما يجرد لهم
الله بوجيه موعظة وتذكير الا

﴿تفسير سورة الشعراء﴾

وهي مكية الأربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون
وهي مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف
وخمسة مائة واربعون حرفا روى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت
طه والطواشين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (طس) قال ابن عباس طسم بحزت العلماء عن علم تفسيرها وفى رواية
أخرى عنه انه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم
السورة وقيل اقسام بطوله وسنائه ومملكه (تلك آيات) اى هذه الآيات (الكتاب
المبين) قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم ودلائل الاحكام اجمع ثبت بذلك ان آيات القرآن كافية بمينة لجميع الاحكام
(لعلك باخع نفسك) اى قاتل نفسك (الا يكونوا مؤمنين) اى ان لم يؤمنوا وذلك حين
كذب اهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحصر على ايمانهم فانزل الله عز وجل هذه الآية
(ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فضلت اعناقهم لها خاضعين) اى لو شاء الله لانزل عليهم
آية يذلون منها فلا يلوى أحد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لو شاء
الله لا واهم أمر امن أمر ولا يعمل أحد منهم بعده معصية فان قلت كيف صح مجي
خاضعين خبر عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلولها خاضعين فاقحمت الاعناق
لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله أولا وصف بالخضوع الذى هو للعقلاء
قبل خاضعين وقيل اعناق الناس رؤسائهم ومقدموهم اى فضلت كبرائهم لها
خاضعين وقيل أراد بالاعناق الجساعات يقال جاء عنق من الناس اى جاءه قوله تعالى
(وما يتيمهم) ذكر من الرجن (أى وعظ وتذكير) محدث انزاله فهو محدث
التنزيل وكلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الاول (الا كانوا عنه
معرضين) اى عن الايمان به (فقد كذبوا قسياتهم) اى فسوف يتايمهم (انباء) اى اخبار
وعواقب (ما كانوا يستترزون) ولم يروا الى الارض يعنى المشركين (لم ينبتا فيها) اى
بعد أن لم يكن فيها نبات (من كل زوج كريم) اى جنس ونوع وصنف حسن من النبات
غمايل الناس والانعام وقال السجى الناس نبات الارض فن دخل الجنة فهو كريم

الكتاب المبين) الظاهر اعمازه
وصحة انه من عند الله والمراد به
السورة أو القرآن والمعنى آيات
هذا المدلول من الحروف
المبسطة تلك آيات الكتاب
المبين (لعلك باخع) قاتل ولدك
للاشفاق (نفسك) بن الحزن
يعنى اشفق على نفسك ان تقتلها
حسرة وخزاعة لما قاتلت من
اسلام قومك (الا يكونوا مؤمنين)
لثلاثيؤمنوا ولا متناع ايمانهم
او خيفة أن لا يؤمنوا (ان
نشأ) ايمانهم ينزل عليهم من
السماء آية دالة واضحة
(فضلت) أى فضل لان الجزاء
يقع فيه لفظ الماضى فى معنى
المستقبل تقول ان زرتنى
اكرمك اى اكرمك كذا قاله
الزجاج (اعناقهم) رؤسائهم
ومقدموهم ووجاعاتهم يقال
جاءنا عنق من الناس لفرج
منهم (لها خاضعين) متقادين
وعن ابن عباس رضى الله عنهما
نزلت فينا وفي بنى امية فتكون
لنا عليهم الدولة فنزل لنا اعناقهم
بعد صعو بهو لحقهم هو ان
بعد عزه (وما يتيمهم) ذكر من
الرجن محدث الا كانوا عنه
معرضين اى وما يجرد لهم
الله بوجيه موعظة وتذكير الا

جدد واعراض عنه وكفر به (فقد كذبوا) محمدا صلى الله عليه وسلم فيها اتاهم به (فسياتهم) ومن
فسياهم و (انباء) اخبار (ما كانوا يستترزون) وهذا اوعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون ادا منهم عذاب الله يوم يدرا يوم
القيامة ما الشئ الذى كانوا يستترزون به وهو القرآن وسياتيمهم انبائه واحواله التى كانت خافية عليهم (أولم يروا الى
الارض كم انبتنا) كم نصب بانبتنا (فيها من كل زوج) صنف من النبات (كريم)

محمود كثير المنفعة باكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذي نفعه عام وفائدة الجمع بين كلتي الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بالزواج النبات على سبيل التعميل وكم تدل على ان هذا الحيط من كثرة مفرط الكثرة بوجهه على كل قدرته (ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين) اى ان في نبات تلك الاصناف لاية على ان منبتها قادر على احياء الموتي وقدم الله انا اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير محي ايمانهم (وان ربك هو العزيز) في انتقامه من الذنبة (الرحيم) لمن آمن منهم وآية ٣ مع الاخبار بكبرتها لان ذلك مشاربه الى مصدر انبتها والمرا دان في كل واحد من تلك الزواجا لاية آية (واذ) مع قوله بآي اذ كراذ (نادى) دعا (ربك موسى ان ائت) ان يعنى اى (القوم الظالمين) انفسهم بالكفر وبني اسرائيل بالاستبعاد وجميع الاولاد بسجل عليهم بالظلم ثم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف اللسان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهم معا عبرتان تعقبان على مؤدى واحد (الايتقون) اى انتم زاجرا فقد انهم ان يتقوا وهى كلمة حث واغراهم بوجوب انهم حال من الضمير في الظالمين اى يظلمون غير متقين لله وعقابه فدخلت هذه جزاء الانكار على الحال (قال رب اناى اخاف) المخوف غم يلحق الانسان لارسيق ١٦٧ (ان يكذبون ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياى مستأنفا وعطف على اخاف

(ولا ينطق لسانى) بان تغلبنى
الحجة على ما ارى من الحال
واسمع من الجدل وانصهما
بعقوب عطف على يكذبون
فالخوف متعلق بهذه الثلاثة
على هذا التقدير وبالتكذيب
وحده بتقدير الرق (وأرسل الى
هرون) اى أرسل اليه جبريل
واجعله نبيا يعنى على الرسالة
وكان هرون عصير حين بعث
موسى نبيا بالنام ولم يكن هذا
الاتماس من موسى عليه
السلام توقع فى الامتثال بل
التماس عون فى تبليغ الرسالة
وتهديد العذر فى التماس المعين

ومن دخل النار فهو لئيم (ان في ذلك) اى الذى ذكر (لاية) تدل على انه واحد اى
دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل
وفي كل شئ لآية * تدل على انه واحد
(وما كان اكثرهم مؤمنين) اى سبق على فهم ان اكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون
(وان ربك هو العزيز) اى المنتقم من أعدائه (الرحيم) ذو الرحمة لا ولياته قوله تعالى
(واذا نادى) اى واذا كرى بما هذا نادى (ربك موسى) اى حين رأى الشجرة والناد (أن
انت القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى وظلموا بني اسرائيل
باستبعادهم وسوء المعاملة (قوم فرعون) يعنى القبط (الايتقون) اى يصفون
عن انفسهم بقوة الله بطاعته والايمان به (قال) يعنى موسى (رب) اى يارب (انى
أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى) اى بتكذيبهم اياى (ولا ينطق لسانى) اى بالعتدة
التي كانت على لسانه (فأرسل الى هرون) ليوارثى ويعينى على تبليغ الرسالة (ولهم
على ذنب) اى دعوى ذنب وهو قتله القبطى (فأخاف أن يقتلون) اى به (قال) الله
تعالى (كلا) اى لن يقتلوك (فأذهب اياتنا اناعكم مستمعون) اى سامعون ما تقولون
وما يقال لكم فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع في قوله معكم وهم اثنان قلت اجراهما
يجرى الجماعة وهو جازى فى لغة العرب (فأثينا فرعون فقولا انارسل رب العالمين) فان

على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر وكفى بطلب العون دليل على الاعلى القبول لا على التعال (ولهم على ذنب) اى بعتبة ذنب
بقتل القبطى خذف المضاعف اوسمى بعتة الذنب ذنبا كما سمي جزء السبعة سبعة (فأخاف أن يقتلون) اى يقتلوني به قصاصا
وليس هذا لعللا ايضا بل استدفاع البلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة ولذا وعده بالكلية والدفع بكلمة
الردع وجعل له الاستجابة بين معاني قوله (قال كلا فاذهب) لانه استدفع به لاهم فوعده الله بالدفع برده عن الخوف والتس
منه رسالة اتيه فاجابه بقوله اذهب اى جعلته رسولا معك فاذهبوا عطف فاذهبوا على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل
ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون (يا ثنا) مع اياتنا وهى البدو العاصوا وغير ذلك (اناعكم) اى معكم بالامور
والنصرة ومع من ارسلنا اليه بالعلم والقدرة (ستمعون) اخبر لان معكم لغوا وهما خبران اى سامعون والاستماع فى غير هذا
المصاعف للسمع يقال استمع فلان حديثه اى اصغى اليه ولا يجوز جعله هنا على ذلك فحمل على السماع (فأثينا فرعون فقولا
انارسل رب العالمين) لم يثن الرسول كفاية في قوله انارسل ولا رسول ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة بفعل ثمة
بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنية وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوى فى الوصف به الواحد والثنى

قوله وآية كذا بالاصل ولعله سقط منه واوردوا بخود ذلك اه معجم

والجميع ولا نهما للاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كأنهم رسول واحد أو أرباب كل واحد منا (أن أرسل) بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وفيه معنى القول (معنا بنى إسرائيل) يريد خاله يذبحوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما فأتيا به فلم يؤذن لهما سنة حتى ٦٢٨ قال البواب إن ههنا أناسا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال أئذن له

لعلنا نخلك منه فأديا إليه الرسالة فعرّف فرعون موسى فعند ذلك (قال ألم تر بك فيما وليدنا) وانما حذف فأتيا فرعون فقال لا اختصارا والوليد الصبي القرب عهده من الولادة أي ألم تكن صغيرا فربيتك (ولبت فيما من عرك سنين) قبل ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتل القبطي فعرض إذ كان ملكا (وأنت من الكافر بن) بمعنتي حيث قتلت خياري أو كنت على ديننا الذي نسبه كفر وهذا افتراء منه عليه لأنه معصوم من الكفر وكان يعاشهم بالتيقسية (قال فعلمت إذا) أي إذ ذلك (وأنا من الضالين) الجاهلين بأنها تبلغ القتل والضلّال عن الشيء هو الذهاب عن معرفته أو الناس من قوله أن تضل أحدهما فقد كر أحدهما الأخرى فدفع وصف الكافر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافر بن وأجاب جزاءهما وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاءه لأن قول فرعون وفعلت فعلتك معناه

قلت هلا تبي الرسول كما في قوله فأتياه فقولا أنارسلوك قلت الرسول قد يكون معنى المرسل ومعنى الرسالة ففعله ثم معنى المرسل لم يكن يضمن تشبّهه وجعله هنا معنى الرسالة فجازت التسوية فيه إذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى أنا ذو رسالة كما قال كثير

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم * بشئ ولا أرسلتهم رسول
أي برسالة وقيل أنهم لا اتفاقا في الرسالة والشئ يعقوب الأخوة قصارا كأنهم رسول واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل معناني إسرائيل) أي خلهم وأطلقهم معنا إلى أرض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أربعين سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا فأنطق موسى برسالة ربه إلى مصر وهو رعون بها فآخبره بذلك وفي القصة أن موسى رجع إلى مصر وعلمه جيمه صوف وفي يده عصا والمكمل معاق في رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبره رعون أن الله قد أرسلني إلى فرعون وأرسل إليك تدعوه رعون إلى الله تعالى فخرجت أمهما فاصاحت وقالت إن فرعون يطلبك ليقطعك فاذا ذهبت إليه قتلك فلم يمتنع لقوله ما وذهب إلى باب فرعون وذلك بالليل فدخل الباب ففرع البوابون وقالوا من بالباب فقال أنا موسى رسول رب العالمين فذهب البواب إلى فرعون وقال إن مجنونا بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين فقلت حتى أصبح ثم دعاهما وقيل أنهما انطلقا جميعا إلى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا أناس يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون أئذن له لعلنا نخلك منه فدخل على فرعون وأديا رسالته تعالى فعرّف فرعون موسى لأنه نشأ في بيته (قال) له (ألم تر بك فيما وليدنا) أي صديبا (ولبت فيما من عرك سنين) أي ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتل القبطي (وأنت من الكافر بن) قال أكثر المفسرين من الجاحدين لمعنى حتى تريني يقول ربنا ك ففنا فكافأنا أن قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا وهي رواية عن ابن عباس قال إن فرعون لم يكن يعلم الكفر بالرؤية ولأن الكفر غير جائز على الأنبياء لا قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه وأنت من الكافرين بفرعون والهمزة (قال) يعني موسى (فعلت إذا) وأنا من الضالين) أي من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله لأن فعل الكفرة على وجه التأديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من الخطئين (فقررت منكم) أي إلى مدين (الماخضتكم فوهب لي وحي حكما) يعني النبوة وقيل العلم والهم (وجعلني من المرسلين) وتلك نعمة تعالى أن عبدت بني إسرائيل أي اتخذتهم

عبدا

أنك جازيت بمعني مما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها بما جازيالك تسليما لقوله لأن نعمته كانت جديرة بأن تجازي بخود ذلك الجزاء (فقررت منكم) إلى مدين (الماخضتكم) أن تقتلوني وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون أن الملا يأمرون بك ليقولك فاتح الآية (فوهب لي وحي حكما) نبوة وعلما فالعن الجاهل والضلّال (وجعلني من المرسلين) من جلة رسله (وتلك نعمة تعالى أن عبدت بني إسرائيل) كره على امتنانه عليه بالتيه فأبطله من أصله وأبى أن يسمى نعمة لأنها نعمة حيث بين أن حقيقة إناعبه عليه عبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم

وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتر بيته ولوتر كهم راياه ابواه فكان فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه واخراجه من هجر ابويه اذا حقت وتعبيد هم بذليهم واتخاذهم عبدا او وحدا الضعيف في قمتها وعبدت وجع في منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملته المؤتمرين ٢٦٩ بقتله بدليل قوله ان الملا بافرون بك

ليقتلواك واملا الامتان فنه وحده وكذا التعبيد وتلك اشارة الى خصلته شنعاء عليهم فلا يدري ما هي الا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك أي تعبدك بني اسرائيل نعمة شنعاء على قال فرعون وما رب العالمين أي انك تدعي انك

رسول رب العالمين فاصفقه لانك اذا أردت السؤال عن صفة زيد تقول ما زيد يعني اطويل أم قصير افعية أم طيب نص عليه صاحب الكشاف وغيره (قال) موسى يحجبه الله على وفق سؤاله (رب السموات والارض وما بينهما) أي وما بين الجنسين (ان كنتم موقنين) أي ان كنتم تعرفون الاشياء بالدليل فكيف خلق هذه الاشياء دليلا أو ان كان برحى منكم الاقان الذي يؤدي الى انتظر الخبيث نفعكم هذا الجواب والالم ينفع والايقان العلم الذي يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن (قال) أي فرعون (المن حوله) من اشراف قومه وهم خمسة ائمة ورجل عليهم الاساورو كانت للملوك خاصة (الاستمعون) محجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمها

عبد اقبل عداها موسى نعمة منه عليه حيث رياه ولم يقتله كما قتل ولدان بني اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني اسرائيل فيكون معنى الآية تلك نعمة شنعاء على أن عبدت بني اسرائيل وتر كني فلم تستعبدني وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الآية أو تلك نعمة على طريق الاستفهام فخذف الانكاف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة لم أنس يوم الرحيل وقتتها * وطرفها من دموعها غرق وقولها والركاب واقفة * تتركني هكذا وتطلى أي أتركني والمعنى أتم على ان يبقيني وتدسي جنايتك على بني اسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة أو يريد كيف تمن على بالبرية وقد استعبدت قومي ومن أهين قومه فخذل فتعبدني اسرائيل قد أحبط حسنائك التي ولولم تستعبدهم ولم تقتل اولادهم لم ارفع اليك حتى تربني وتكفني وليكن لي من أهلي من يربيني ولم يلقوني في الم (قال فرعون وما رب العالمين) يقول أي شيء وب العالمين الذي ترعهم انك رسوله أي يستوصفه الله الذي أرسله اليه وهو سؤال عن جنس الشيء والله تعالى منزوع عن الجنسية والمهاية فلماذا عدل موسى عن جوابه وأجابه بك رافعا له وآثار قدوته التي تحجز الخلائق عن الاتيان بمثله (قال رب السموات والارض وما بينهما) ان كنتم موقنين انه خالقهما فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه بالامداد كرتبه لكم فان ايقتم بذلك لزمكم ان تقطعوا انه لا جواب لكم عن هذا السؤال الامداد كرتبه من الجواب وقال اهل المعاني أي كما ترون هذه الاشياء التي تعينونها فأيقنوا ان الله الخلق هو الله تعالى الذي خلقها وأوجدها فما قال ذلك موسى تخير فرعون في جواب موسى (قال لمن حوله) أي من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا انجسما ثم رجع عليهم الاسورة (الاستمعون) وانما قال فرعون ذلك على سبيل التجه من جواب موسى يعني اني انما اطلب منه المهاية وخصوصية الحقيقة وهو يحجيني بأفعاله وآثاره وقيامهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى في البيان (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) يعني ان موسى ذكر ما هو اقرب اليهم فقال ربكم يعني انهما خلقكم وخالق آبائكم الاولين (قال يعني فرعون) ان رسولاك الذي ارسل اليكم لجنون) يعني المقصود من السؤال طلب الهاية وهو يجب بالآثار الخارجية وهذا لا يفيد اليقنة فهذا الذي يدعي الرسالة يجنون لا يفهم السؤال فستلاعن أن يجب عنه ويتكلم بكلام لا يقبله ولا يعرف صحته وكان عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعقل فزاد في البيان (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق ثالث أوضح من الثاني ومعنى ان

ويشكرون حدوتهم وانما باريا فاحتاج موسى الى ان يستدل بما شاهدوا واحدونه وفناء فاستدل حيث (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) أي هو خالقكم وخالق آباءكم فان لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم وانما قال رب آبائكم لان فرعون كان يدعي الربوبية على اهل عصره دون من تقدمهم (قال) أي فرعون (ان رسولاكم الذي ارسل اليكم لجنون) حيث ترعهم أن في الوجود الها غيري وكان فرعون يشكر الهية غيره (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) ان كنتم تعقلون فستدلون

بما أقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد حيث علم اولاً بخلق السموات والارض وما بينهما ثم خصص من العالم للبيان انفسهم وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد من احواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد المحافقين وغروبها في الآخر على تقديره مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما يستدل به وظهور وما تنقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاموات على غروبهم كما كان وقيل سأله هرعون عن الماهية جاهلاً عن حقيقة سؤاله فلما اجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده ان موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجب عن ربوبيته وآثار صنعه فقال لمعهم ما من جواب موسى الا تستمعون فعاد موسى الى مثل قوله الاول فليخبره عن واعيائه حادثة الجواب فعاد ثالثاً الى مثل كلامه الاول مبيناً ان الفرد الماتيق انما يعرف بالصفات وان السؤال عن الماهية محال واليه الاشارة في قوله تعالى ان كنتم تعتقلون أى ان كان لكم عقل علمكم انه لا يمكن معرفته الابدان الطريق فلما تخبر فرعون ولم يتباله ان يدفع ظهور آثار صنعه (قال انى اتخذت الها غيرى) أى غيرى الها (لا جعلتكم من السجودين) ٧٠ أى لا جعلتكم واحداً من عرفتم حالهم في سجودى وكان من عادته ان ياخذ

من يري صنعة فيطرحه في هوة ذاهباً في الارض بعيدة العمق فردا لا يصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد ولو قيل لا سمحتك لم يؤد هذا المعنى وان كان اخصر (قال اولو جعلتكم الزوال لمال دخلت عليها همزة الاستفهام اى اتفعل على ذلك ولو جعلتكم بشئ مبين) اى جاءني بالهمزة (قال فاتبه) بالذي يبين صدقك (ان كنت من الصادقين) ان لك بينة وجواب الشرط مقدر اى فاحضره (فالتى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) فظاهر الثعبانية لاشئ يشبه الثعبان كما تكون

كنتم تعتقلون قد عرفت انه لا جواب عن سؤالك الاما ذكرت (قال) فرعون حين لم تمته المحبة وانقطع عنه الجواب تكبراً عن الحق (انى اتخذت الها غيرى لا جعلتكم من السجودين) قيل كان سجن فرعون اشده من القتل لانه كان ياخذ الزوال فيطرحه في مكان يهوى فيه الى الارض وحده فردا لا يسمع ولا يصر فيه (قال) له موسى حين توعده بالسجن (اولو جعلتكم بشئ مبين) أى بآية بينة والمعنى اتفعل ذلك ولو جعلتكم بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من اخلاق الناس السكون الى الانصاف والاحابة الى الحق بالبيان (قال) يعنى فرعون (فاتبه) أى انان نسبحك حينئذ (ان كنت من الصادقين فالتى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) قيل انها لما صارت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذي ارسلك الاخذتها فاذا هي موسى فعادت عصا كما كانت فقال وهل غير ما قال نعم وأراه يده ثم ادخلها في جيبه ثم اخجها فاذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله (وترعه يده فاذا هي بيضاء للناسرين) فعند ذلك (قال) فرعون (للاحواله ان هذا) يعنى موسى (الساحر عليم) وكان زمان السحر فلها ذروى فرعون هذا القول على قومه ثم قال (يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره) قال هذا القول على شئيل التنفير للثعالبوا قول موسى (فاذا تآمرون) يعنى ما رايتكم فيه وما الذى اعلمه فعند ذلك (قالوا ارجعه وارجعه)

الاشياء المزورة بالثعود والسحر روى ان العصا ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت اى تقول يا موسى منى عاشرت وبقول فرعون اسالك بالذي ارسلك الاخذتها فاذا هي عصا وترعه يده فاذا هي بيضاء للناسرين) فيه دليل على ان بيضاءها كان شيئاً يجمع الفخارة على النظر اليه بخروجها عن العادة وكان بيضاء ثور ياروى ان فرعون لما بهر الآية الاولى قال فهل غير ما فاجبه يده فقال لفرعون ما هذه قال فرعون يدك فاذا هي ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق (قال) اى فرعون (للاحواله) هو منصوب نصيب نصب في اللفظ والعامل فيه ما تقدم في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على الحال من الملائكة كائين حوله والعامل فيه قال (ان هذا الساحر عليم) بالسحر ثم اغرى قومه على موسى بقوله (يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره) فساداً) منصوب لانه معقول به من قولك امرتك بالخبر (تآمرون) تشيرون في امره من حسس او قتل من المؤامر قوهي المشاورة او من الامر الذى هو ضد النهى لما تخبر فرعون برؤية الايتين وقل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكم به كبرياء الربوبية واتعدت فراثعته خوفاً فطق بآثار قومه الذين هم برغمه عبده وهو الههم اوجع لهم آثرين ونفسه مامورا (قالوا ارجعه وارجعه) اجرامهما ولا تبسغت

قتلهم أخو فامن الفتنة (وابعث في المداين حاشي بن) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون ان هذا الساحر علم
بقولهم (يا توك بكل سحر علم) فجاؤا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بهن قلعه (فجمع السحرة ليقات يوم معلوم)
اي يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى موعدكم يوم
الزينة وان يحشرون الناس ضحى والميقات ما وقف به اى حدد من زمان او مكان ومنه ما قيلت الاحام (وقيل للناس هل انتم
مجتهمون) اى اجتمعوا وهو استطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم (لعلنا تتبع السحرة في دينهم) ان كانوا هم
الغالبين اى غلبوا موسى ولا تتبع موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض التكليل لانه لا يتبعوا موسى
فساقوا الكلام ساقا السكينة لانهم اذا تبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى ٤٧١ (فلما جاء السحرة قالوا فرعون ان لنا

لأجران كنا نحن الغالبين قال
نعم) وبكسر العين على وهما
لعتان (وانكم اذا من المربين)
اى قال فرعون نعم لكم اجر
عندى وتكونون مع ذلك من
المربين عندى في المرتبة والجاه
فتكونون اول من يدخل على
آخ ومن يخرج ولما كان قولهم
ان لنا اجرا في معنى جزاء الشرط
لدلالته عليه وكان قوله انكم
اذ من المقر بين معطوفا عليه
دخلت اذا قارة في مكانها الذي
تقتضيه من الجواب والجزاء
(قال لهم موسى اتقوا ما انتم
مقلون من السحرة فسوف ترون
عاقبته) قالوا اجهلهم سبعين
ألف جبل (وعصيم) سبعين
ألف عضو قتل كانت الحبال
اثنتين وسبعين ألفا وكذا العصي
(وقالوا بعزرة فرعون اننا نحن
الغالبون) اقصوا بعزته

اى آخره واخاه (وابعث في المداين حاشي بن ياتوك بكل سحر علم) قيل ان فرعون أراد
قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك قد قتلته دخلت الناس شبهة في أمره (ولكن أمره
واجب له سحرة ليقاوموه) ولما ثبت له علمه في حجة قوله تعالى (فجمع السحرة ليقات يوم
معلوم) يعنى يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو
يوم النحر وز (وقيل للناس هل انتم مجتهمون) اى لتنظروا ما يفعل الفريقان ولما
تكون الغلبة (لعلنا تتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لموسى قيل اربا السحرة
موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء (فلما جاء السحرة قالوا فرعون ان لنا
لنا اجر ان كنا نحن الغالبين) طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه وبذل لهم
ذلك كله واكد به قوله (قال نعم وانكم اذا من المقر بين قال لهم موسى اتقوا ما انتم
مقلون فالتوا حبلهم وعصيم وقالوا بعزرة فرعون) اى بعظمة فرعون (انالكن
الغالبون فالتى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون) اى ما يقبلونه عن وجهه
وحقيقته سحرهم قيل ان عصا موسى صارت حمية وانتفعت كل مارد منه من حبلهم
وعصيم ثم اخذها موسى فاذا هي كما كانت أول مرة (فالتى السحرة ساجدين) قيل انهم
لما راوا ما جازو حذل السحر علموا انه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا ساجدين ثم انهم
(قالوا آتنا بر رب العالمين رب موسى وهرون) وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون
كان يدعى الربوبية فارادوا عزله (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى
علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعد فقال
(لا تقبلن ايديكم وارجلكم من خلاف ولا صلبكم) اجمعين قالوا الاضربنا الى
ربنا متقبلون اى لا تضرب علينا فيما لنا فى الدنيا لاننا نلق ربنا فى الآخرة
مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قولهم (انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا) اى ان يغفر

وفوه وهو من ايمان الجاهلية (فالتى موسى عصاه فاذا هي تلقف) تتلع (ما يافكون) ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته
بسحرهم ويزورونه ويخيلون في حبلهم وعصيم انها حيات تسمى (فالتى السحرة ساجدين) عبر عن الخروا بالاقاء بطريق
المشاكلة لانه كرم الالتفات ولانهم اسرع ما سجدوا صاروا كأنهم ألقوا (قالوا آتنا بر رب العالمين) عن عزمه رضى الله
عنه اصبحوا سحرة وامسوا شهداء (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا ان
يعزله وقيل ان فرعون لما سمع منهم آتنا بر رب العالمين قال اباى عنتم قالوا رب موسى وهرون (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم)
بذلك (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) وقد مدوا طاعتهم على امر ومكر (فلسوف تعلمون) وبال ما قلتم ثم صرح فقال (لا تقبلن
ايديكم وارجلكم من خلاف) من اجل خلاف ظهر منكم (ولا صلبكم) اجمعين) كانه اراد به تهيب العامة لتسليطه عليهم
في الايمان (قالوا الاضرب) لا ضرر وخبر لا محذوف اى في ذلك او علينا (انالى ربنا متقبلون) انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا

أن كنا) لأن كنا (أول المؤمنين) من أهل المشهد وأمن رعية فرعون أرادوا الأضرع علينا في ذلك بل لنا اعظم النفع بالمحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والادب لغير علينا فيما توعدنا به انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وار جاهدوا لاضرر علينا في قتلائنا ان قتلتنا انقلبتنا الى ربنا انقلابا عن بطع في معرفته وير جور حتمه لما رزقنا من النسي الى الايمان (واوحينا الى موسى أن أسر) وبوصل الهمة جازي (بعيادي) بني اسرائيل سماهم عباده لايمانهم بنبيه اى سرهم لئلا يهذأ بعد سنين من ايمان المستمرة (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه عمل الامر بالاسراء اتباعا لفرعون وجنوده ٤٧٢ آ ثارهم يعنى اني بنت تدبر امرهم على ان يتقدموا ويتبعوكم حتى

يدخلوا معكم من طريق البحر فاهل بهم وروى انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتهوا وعاوناهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى وحي الى موسى ان اجتمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبح الحدياء واضربوا بدماها على ابوابكم فاني ساتر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابهم وسا ترهم يقتل ابكار القبط واخبروا خبز افطير فانه اسرع لكم ثم اسرهم عيادي حتى تنتهي الى البحر فيأت بك امرى (فاورسل فرعون في المداين حاشرين) اى جامعين للناس بعنف فلما اجتمعوا قال (ان هؤلاء لشر ذمة قليلون) والشر ذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم لئلا على القلة ثم جعلهم قليلا بوصفهم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واخذ ارجع السلامة الذي

والسبحر (ان) اى لان (كنا أول المؤمنين) اى من أهل زمانا وقيل أول المؤمنين اى من الجماعة الذين حضر واذلك الجمع قوله تعالى (واوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون) اى يتبعكم فرعون وقومه ليخربوا دينكم وبن الحروج قيسل اوحى الله الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اهل اربعة ابيات في بيت ثم ادخلوا اولاد الضان فاضربوا بدماها على ابوابكم فاني ساتر الملائكة تقتل ابكار آل فرعون من انفسهم واطرهم ان لا يدخلوا بيتا على بابهم ثم اخبروا خبز افطير فانه اسرع لكم ثم اسرهم عيادي حتى تنتهي الى البحر فيأت بك امرى ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا القوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حللهم ثم خرجوا تلك الاموال الى اليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذاعل موسى وقومه قتلوا ابكارنا من انفسنا واخذوا اموالنا (فاورسل فرعون في المداين حاشرين) يعنى الشرط يحشر ون الجيش قبل كانت المداين الف مدينة واثني عشر الف قرية فاورسل فرعون في امر موسى وقومه ألف ألف وخمسة مائة ألف وخمسة مائة ألف فرعون في الكرسى العظم في ما تى ألف مائة مسورين مع كل ملك ألف فلذلك قال (ان هؤلاء لشر ذمة قليلون) قال أهل التفسير كانت الشر ذمة الذين قتلهم فرعون ستمائة ألف مقاتل لم يعدوا ون الاشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفا ولا يحصى عدد اصحاب فرعون (وانهم لنا غاظون) الغظ الغضب يعنى انهم اغضبونا بقتلناهم فبينا وقتلهم ابكارنا وذاهبهم باموالنا التي استعاروها وخرجهم من ارضنا بغير اذن منا (وانا لجمع حذرون) اى خائفون من شرهم وقرئ حاذرون اى ذوو قوة واداة شا كون السلاح وقيل الحاذر الذي يحذر الان بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذي لا تلقاه الا غائبا (فاخرجناهم من جنات وعيون) قيل كانت البساتين ممتدة في حافى النيل فيها عيون وانهار جارية (وكنوز) يعنى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوز لانهم لم يودعوا الله منها وكل مال لم يعط ولم يودعوا الله منه فهو كنوز ان

هو القلة اواراد القلة الدالة لاقلة العدد اى انهم قتلهم لايالى بهم ولا تروى غلبتهم وانما استقبل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا لثمة من معه فبن الخناك كانوا سبعة آلاف (وانهم لنا غاظون) اى انهم يفعلون افعالا ليعظنا وتضيق صدورنا واهي خروجه من مصر ناولهم حللنا وقتلهم ابكارنا (وانا لجمع حاذرون) شامى وكوفى وغيرهم حذرون فالحذر المقتطو الحاذر الذي يحد حذره وقبل المؤدى في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياط لنفسه يعنى ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارجا سارعا الى حسم فسادة وهذه معاذير اعذر بها اهل المداين لتسليط به الهجر والفتور (فاخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) وانهار جارية (وكنوز) واموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوز لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى

(ومقام) ومنزله (كريم) يحيى بن يحيى وعن ابن عباس رضى الله عنهما المنابر (كذلك) يحتمل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفناه والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى الامر كذلك (واوردناها بنى اسرائيل) عن الحسن لمسا عبروا والنهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم (فاتبوهم) فليقومهم فاتبعوهم ٤٧٣ يزيد (مشرقين) حال اى داخلين فى وقت شروق الشمس وهو طوله على

كان ظاهرا قيل كان لفرعون غلمانة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق فى عتق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) اى مجلس حسن قيل اى اى اى اى اى الامراء والرؤساء التى كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم اقبية الذهب باج مخصوصة بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من بلادهم التى فيها العيون واءوالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) اى كما وصفناه (واوردناها بنى اسرائيل) وذلك ان الله عز وجل رد بنى اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاملاك الحسنة (فاتبوهم مشرقين) اى اتبعوا فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها (فلما رآى الجماعة) اى تقابلوا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال أصحاب موسى اننا لمدركون) اى قرب ان يلحقنا عدونا وامامنا البحر (قال) موسى عليه السلام ثقة بوعد الله اياه (كلا) ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوك ان (معى) معى حصص (ربى سيديين) اى سيديينى طرقتى النجاة واضرارهم سيديينى بالياء يعقوب (فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) اى القلزم او النيل (فانفلق) اى فاضرب فانفلق وانشق فصارا اثني عشر فرقا على عدد الاسباط (فكان كل فرق) اى كل حزة تفرق منه (كالطود العظيم) كالجبل المتطاد فى السماء (وازلقناهم) حيث انفلق البحر (الاخرين) قوم فرعون اى قريبناهم من بنى اسرائيل اومن البحر (واجنمنا) موسى ومن معه اجنمنا (من الغرق) ثم اغرقنا الاخرين فرعون وقومه وفيه ابطال

كان ظاهرا قيل كان لفرعون غلمانة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق فى عتق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) اى مجلس حسن قيل اى اى اى اى الامراء والرؤساء التى كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم اقبية الذهب باج مخصوصة بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من بلادهم التى فيها العيون واءوالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) اى كما وصفناه (واوردناها بنى اسرائيل) وذلك ان الله عز وجل رد بنى اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاملاك الحسنة (فاتبوهم مشرقين) اى اتبعوا فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها (فلما رآى الجماعة) اى تقابلوا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال أصحاب موسى اننا لمدركون) اى سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم (قال) يعنى موسى لثقتهم بوعد الله تعالى اياه (كلا) اى لن يدركونا (انهم) رعى سيديين) اى بدلتى على طريق النجاة (فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق) اى فاضرب به فانشق (فكان كل فرق) اى قطعة من الماء (كالطود) اى الجبل (العظيم) قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصارت البحر ريمى موج كالجبال قال يوشع بن كليم الله ان امرت فقد غشي فرعون من خلقنا والبحر امامنا قال موسى ههنا فاضرب بعصاك الماء ليرى ما فرادته وقال الذى يكتم ايمانه يا كليم الله ان امرت قال ههنا فاضرب بعصاك فرسه فصكه بالحمامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اتبعه البحر فارتابت فى الماء وذهب اقوام يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا لخلق موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فاضرب به فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبدل سرجه ولا لبدته (وازلقناهم الاخرين) اى قريبناهم فرعون وجنوده الى البحر وقد مناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بنى اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبنى اسرائيل ليجئ آخركم اولكم ويقول للقبضو ربك ليجئ آخركم اولكم فكان بنو اسرائيل يقولون مارا بنا الحسن سيماقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون مارا بنا الحسن دعة من هذا الرجل (واجنمنا موسى ومن معه اجنمنا) ثم اغرقنا الاخرين) يعنى انه تعالى جعل البحر يفسد حتى خرج موسى وقومه منه واغرق فرعون وقومه وذلك انهم لم يتكاملوا فى البحر انطلق عليهم فاغرقهم (ان فى ذلك لآية) يعنى ما حدث فى البحر من انفلاقه آية من الايات العظام

٦٠ ن فى القول بتاثير الكوكب فى الاجال وغيرهما من الحوادث فانهم اجتمعوا على الهلاك مع اختلاف طوالهم روى ان جبريل عليه السلام كان بين بنى اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى اسرائيل ليجئ آخركم اولكم ويستقبل القبط فيقول رويدك ليجئ آخركم اولكم فلما انتهى موسى الى البحر قال يوشع لموسى ان امرت فهذا البحر امامك وعشيمك آل فرعون قال موسى ههنا فاضرب بعصاك الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يا من كان قبل كل شئ والى يكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ (ان فى ذلك) اى فيما فعلنا بموسى وفرعون (لاية)

اعبره عجيبة لتوصف (وما كان أكثرهم) أي المعرقين (مؤمنين) قالوا لم يؤمن منهم إلا آسية وحزقيل مؤمن آل فرعون وحریم التي دلت موسى على قبر يوسف (وان ريك هو العزيز) بالانتقام من اعدائه (الرحيم) بالانعام على اوليائه (واتل عليهم) على مشركي قريش (نبا ابراهيم) خبره (اذ قال لايه وقومه) قوم ابراهيم اوقوم الاب (ما يعبدون) أي أي شيء يعبدون وابراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنهم سألهم ليريه ان ما يعبدونه ليس يستحق للعبادة (قالوا نعبد اصناما) وجواب ما تعبدون اصناما كمثل اولئك ماذا ينفقون قل العفو وماذا قال ر بكم قالوا الحق لانه سؤال عن المعبود لا عن العبادة ولما زادوا نعبد في الجواب افتخار اومباهة بعبادتها ولذا عطفوا على تعبد (فقال لها ما كفين) فنفق على عبادتها طول النهار وانما قالوا افضل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار ٤٧٤ دون الليل أو معناه الدوام (قال) أي ابراهيم (هل يسمعونكم)

هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف لدلالة (اذ تدعون) عليه (او ينفعونكم) ان يعبدوها (أو يضرون) أي ان تركتم عبادتها (قالوا بل) اضرب أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا تعبدوها لشي من ذلك ولكن (وجدنا آياتنا) كذلك يفعلون (فقلنا هم) قال افرأيت ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الا قدمون (الاولون) فانهم أي الاصنام (عدوئي) العدو والصديق يجيآن في معنى الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم اسكنوا اعدائي في يوم القيامة كقولهم سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضد اوقال الفراء هو من القلوب أي فاني عدوهم وفي قوله عدوئي دون لكم زيادة نضع ليكون ادعى لهم الى القبول ولو قال فانهم عدوكم لم يكن بذلك

الدالة على قدرته ومعجزته فلو سئ عليه السلام (وما كان أكثرهم مؤمنين) يعني أهل مصر قيس لم يؤمن منهم إلا آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون وحریم ابنة مامويا التي دلت على قبر يوسف حين أخرجه من مصر من البحر (وان ريك هو العزيز الرحيم) قوله تعالى (واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال لايه وقومه ما يعبدون) أي أي شيء يعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة الاصنام ليريه ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء (قالوا نعبد اصناما فظن لها ما كفين) أي نفق على عبادتها وانما قالوا انزل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) أي يسمعون دعاءكم (اذ تدعون) أو ينفعونكم (بعضي بالزق) أي ان تركتم عبادتهم واذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما ازمهم المحجة القاطعة (قالوا بل وجدنا آياتنا) كذلك يفعلون المعنى انها لا تسمع قولنا ولا تجيب نفعا ولا تدفع ضررا ولكن اقتدينا بما آتانا في ذلك وفي الآية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومذح الاخذ بالاستدلال (قال افرأيت ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الا قدمون) أي الاولون (فانهم عدوئي) أي اعدائي وانما وحده على ارادة الجنس فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهي جسادات لا تعقل قلت معناها فانهم عدوئي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الاحياء العقلاء اطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب أراد فاني عدوهم لان من عاديتهم فقد عاداك (الارب العالمين) أي ولكن رب العالمين فانه ربي ووالي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى وقال ابراهيم كل ما تعبدون أعدائي الارب العالمين ثم وصفه معبوده الذي يستحق العبادة فقال (الذي خلقتي فهو يهدين) الى طريق النجاة (والذي هو يضلني ويسقيني) أي برزقي ويغذيني بالطعام والشراب (واذا مرضت) أصابني مرض اضافة المرض الى نفسه استعمالا للدابة وان كان المرض والشقاء من الله (فهو يشفين) أي يبرئني

وبعاقبي

اثابة (الارب العالمين) استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت الاعداء كما أنه قال اسكن رب العالمين (الذي خلقتني) بالتسكين في القراءات المندنية (فهو يهدين) لهما هج الدنيا والمصالح الدين والاستقبال في هديين مع سبق العناية به هداية لانه يحتمل هديين الالههم الافضل والاتم الاكل والذى خلقتني لاسباب خدمته فهو يهدين الى آداب خلته (والذي هو يطعمني) اضافة الاطعام الى ولي الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام (ويسقيني) قال ابن عطاء هو الذي يحميني بطعامه وبره يني بشرابه (واذا مرضت) وانما قيل مرضي لانه قصد الذكر بلسان التكرار فلم يصف اليه ما يقتضي الضر قال ابن عطاء اذا مرضت برؤيه الخلق (فهو يشفين) بمنهاضة الحق قال الصادق اذا مرضت برؤيه الافعال فهو يشفين بكشف منة الافعال

(والذي يمتني ثم يحسين) ولم يقل اذا مت لانه المخرج من حبس البلاء ودار الفناء الى روض البقاء وعد اللقاء. وأدخل ثم في الاحياء لترخيصه عن الافناء وأدخل الفناء في الهداية والشفاء لانهم يدعون الخلق والمرضى لامعائهم (والذي أسمع) طمع العبيد في الموالي بالافاضال لعل الاستحقاق بالسؤال (ان يغفر لي خطيئة) قبل هو قوله اني ستميل فله كبير هم هذا ربي للبازغ في اخي لسارق ما هي الامعار بضر حائر قوله ليست بخطا يا يطلب لها الاستغفار واستغفروا الانبياء تو اضع منهم لهم وهضم لانفسهم وتعلم للاهم في طلب المغفرة (يوم الدين) يوم الحيزاء (رب هب لي حكما) حكمة او حكيمين الناس بالحق او نبوة لان النبي عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله (والحقني بالصالحين) اى الانبياء ولقد اجابته حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين (واجعل لي لسان صدق في الاخرين) اى ثناء حسنا وذو كراجه لافى الامم التي تحبى بعبدى فاعطى ذلك في كل اهل دين يتولونه وينشرون عليه ووضع اللسان موضع القول لان القول يكون به (واجعلني من) يتعلق بخذوف اى وارثا من (ورثة الجنة النعيم) اى من الياقين فيها (واغفر لى) ١٧٥ احمل له اهل المغفرة باعطاء الاسلام

وكان وعده الاسلام يوم فارقه
(انه كان من الصالحين)
الكافرين (ولا تخزنى) الاخزاء
من الخزي وهو الهوان او من
الخزاية وهو الحياء وهذا نحو
الاستغفار كما بينا (يوم يبعثون)
الضعيف فيه للعباد لانه معلوم
اول الصالحين وان يجعل من جلة
الاستغفار لانيه اى ولا تخزنى
في يوم يبعث الصالحون و اى
فيهم (يوم لا ينفع مال) هو
بدل من يوم الاول (ولا ينون)
أحدا (الامن اى الله بقلب
سليم) عن الكفر والنفاق
فقلب الكافر والمناق مريض
بقوله تعالى في قلوبهم مرض
اى ان المال اذا صرف في وجوه

وبعافى من المرض (والذي يمتني ثم يحسين) اى يمتني في الدنيا ثم يحسين في الاخرة
(والذي أسمع) اى ارجو (ان يغفر لي خطيئة) اى يوم الجزاء والحساب قيل
خطيئته ككتابته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت
يا رسول الله ان جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويضع المسكين اكان ذلك نافعا له
قال لا ينفعه انه لم يقل بومار يغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم
على قومه انه لا يصلح للإلهية الا من يفعل هذه الافعال (رب هب لي حكما) قال ابن عباس
معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم (والحقني بالصالحين) اى بمن سلف قبلى
من الانبياء في المنزلة والدرجة العالية (واجعل لي لسان صدق في الاخرين) اى ثناء
حسنا وذو كراجه لافى الامم التي تحبى بعبدى فاعطاه الله ذلك وجعل كل اهل
الديان يتولونه وينشرون عليه (واجعلني من) ورثة الجنة النعيم اى بمن تعطيه الجنة النعيم
لانها السعادة الكبرى (واغفر لى) اى انه كان من الصالحين قيل دعائيه على رجا ان سلم
فيغفر له فلما تبين له انه عدو لله تبأتمه (ولا تخزنى) اى ولا تنفخنى (يوم يبعثون) وهو
يوم القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم) اى خالص من الشك
والشرك فاما التوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح
وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمناق مريض وقيل القلب السليم هو الخالي من
البدة المظلمة الى السمة (وأزلفت الجنة) اى قربت (للمتقين وبرزت الجحيم) اى

البر ونفوسه المحزون فانه يتفقه به وبهم سليم القلب او جعل المال والبنون في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الاغني من
اى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بلا ماله قلبه كانه غناه في دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مقبول لا ينفع اى لا ينفع
مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث اتفقت في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على
هذا الا ان اى الله بقلب سليم من قسمة المال والبنين وقسمة وب الجليل استثناء الخليل اكرام الله ثم جعله صفة له في قوله
وان من شيعة لا يراهم اذ جاء به بقلب سليم وما احسن ما توعد عليه السلام من كلامه مع المشركين حيث سألهم أولا عما
يعبدون سؤال مقرر لا مستهضم ثم أقبل على آلتهم فابل أمرها بانها لا تنصر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقلدهم آباءهم الاقدمين
فانزعجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه وذوهم حتى تحصل منها اى ذكر الله تعالى فعملهم
شأنه وعدد نفعته من حين انشاءه الى وقت وفاته مع ما يرجى في الاخرة من رحمة ثم اتبع ذلك أن دعاء دعوات المخلصين
وابتدل اليه ابتهاال الادب ثم وصله ذكر يوم القيامة وتوابع الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحكمة على
ما كانوا فيه من الضلال وتنى الكثرة الى الدنيا يؤمنوا ويطيعوا (وأزلفت الجنة للمتقين) اى قربت عطف جلة اى ترفل
من موقف السعداء فيظفرون اليها (وبرزت الجحيم)

أى أظهرت حتى يكاد يأخذهم فيها (الغاوين) للكافرين (وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) ويخونون على أشراكهم فقال لهم أين أنتم تكملون هل ينفعونكم ينصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهم وقود النار (فبكروا) أنكم سواطرح بعضهم على بعض (فيها) في الحجيم (هم) أى الآلهة (والغاوين) وعدتهم الذين رزقوا لهم الكمية تكبروا الكبر جعل التكبر في اللفظ دليلا على التكبر في المعنى كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة أخرى حتى يستقر في قعرها تعوذ بالله منها (وجنود إبليس أجمعون) شياطينة أو متبعوهم من عصاة الناس والجن (قالوا وهم فيها يختصمون) يجوز أن ينطق ٤٧٦ الله الأصنام حتى يصح القول والتخاصم ويخوضان بحري ذلك بين

العصاة والشياطين (تاللهان) كنانى حلال مبین اندسوا بكم تعبد لكم أيها الأصنام (رب العالمين) في العبادة (وما أضلنا الا الخرمون) أى رساؤهم الذين أضلوهم أو إبليس وجنوده ومن سن الشرك (فالتانم شافعين) كل المؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة (ولا صدق جيم) كثرى لهم اصدقاء اذ لا يتصدق في الاخرة الا المؤمنون واما أهل النار فبينهم التعادى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين او فالتانم شافعين ولا صدق جيم من الذين كثر عدوهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاءوهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والحجيم من الاحتمام وهو الاهتمام

أظهرت (الغاوين) أى الكافرين (وقيل لهم) يعنى يوم القيامة (أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم) أى ينجونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) لأنفسهم (فبكروا) قال ابن عباس جعوا وقيل قد فواطرحوا بعضهم على بعض وقيل ألقوا على رؤسهم (فيها) أى فى حجيم (هم والغاوين) يعنى الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين (وجنود إبليس أجمعون) يعنى اتباعه ومن أطاعه من الانس والجن وقيل ذريته (قالوا وهم فيها يختصمون) يعنى للعابدين والمعبودين (تاللهان) كنانى ضلال مبین اندسوا بكم) أى تعبد لكم (رب العالمين) فبعدكم (وما أضلنا) يعنى دعانا الى الضلال (الخرمون) يعنى من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتدى بهم وقيل يعنى إبليس وابن آدم الاقل وهو قايمل وهو أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فالتانم شافعين) يعنى من يشفع لنا يعنى كان المؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء (ولا صدق جيم) أى قريب شفع لنا يقول ذلك الكفار حين شفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصدق وهو الصادق في المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول في الجنة ما فعل بصدىق فلان وصدىقه في الحجيم فيقول الله عز وجل أخرجه الى صدىقه الى الجنة فيقول من بقى فالتانم شافعين ولا صدق جيم رواء العوى ما سناد الثعلبي وقال الحسن استكثروا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة (فلو أن لنا كرة) أى رجعة الى الدنيا (فندكون المؤمنين) أى انهم غنوا الرجعة حين لا رجعة لهم (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أى مع هذه الدلائل والآيات (وان ربك هو العزيز الرحيم) أى المنتقم الذى لا يغالب وهو فى وصف عزته رحيم قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) أى كذبت جماعة قوم نوح قيل القوم وثنة وتصغيرها قومية قال قلت كيف قال المرسلين وأنما هو رسول واحد

وكذلك

الذى بهم ما همك او من المحامدة يعنى الخاصة وهو الصديق الخاص

وجع الشافع ووجد الصديق لكثرة الشفاعة في العادة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذى بهم ما همك قليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وحازان برادى الصديق الجميع (فلو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فندكون المؤمنين) وجواب لو محذوف وهو علمنا كبت وكبت اولو فى مثل هذا معنى التثنية كأنه قيل فابت لنا كرة لابن معنى لو لبست من التثنية (ان في ذلك) فيما ذكر من الانبياء (لا آية) أى عبرة لمن اعتبر (وما كان أكثرهم مؤمنين) فيه ان قيامهم آمنوا (وان ربك هو العزيز) المنتقم من كذاب ابراهيم بنار الحجيم (الرحيم) المسلم كل ذى قلب سليم الى الجنة النعيم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم يذكروا يؤث قيل ولتوق حتى زمن آدم عليه السلام وظهير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام فقلت فلان ربك الدواب ولبس البرود وماله الادباء وبرأوا وكانوا ينكرون بعث الرسل أصلا فلذا جمع أولان من كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لأن كل رسول يدعو الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا جميع ما في هذه السورة

(اذ قال لهم اخوهم) نسب الابدنا (نوح الاتقون) خالق الانام فتر كوا عبادة الاصنام (اني لكم رسول أمين) كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عليه الصلاة والسلام في قر يش (فاتقوا الله واطيعون) فيما أمرهم به وادعواكم اليه من الحق (وما أسئلكم عليه) على هذا الامر (من اجر) جزاء (ان اجرى) بالفتح مدني وشاعى وابوعمر ووحص (الاعلى رب العالمين) فلذلك اريده (فاتقوا الله واطيعون) كره ليقرره في نفوسهم مع تعليل كل واحد منهما بغلة فعلة الاول كونه امانا فيما بينهم وعلة الثاني حسم طمعهم منهم كانه قال اذا عرفتم رسائلي وامناني فاتقوا ثم اذ عرفتم احترازي من الاجرة فاتقوا الله (قالوا انؤمن لك واتبعك) الواو للعال وقد مضى بعده ادليله قراءة يعقوب واتبعك جمع تابع كشاهدوا وشهدوا وتبع كبطل وابطل (الارذلون) السفلة والردالة الخسة والدناءة وانما استرد لوهم لانتفاع ١٧٧ منهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدينية

من اهل الصناعة لا تترى بالعبادة والعبادة لا تترى بالنسب فالتقى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز ان يسمى المؤمن رذلا وان كان اقل الناس وأوضعهم نبيا وما زالت اتباع الانبياء كذلك (قال وما علمي) وأي شيء اعلم (بما كانوا يعملون) من الصناعات انما اطلب منهم الايمان وقيل انهم طعنوا لمع استرد لهم في ايمانهم وقالوا ان الذين آمنوا ليس في قلوبهم ما يظهر منه فقال ما على الاعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (ان حسابهم الاعلى) ربي لو شعروا (ان الله تعالى يحاسبهم على ما في قلوبهم) أي ليس أنظارا للمؤمنين (أي ليس من شأنه ان اتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا في ايمانكم) (ان انا الانذر مبين) ما على الا ان اذكركم انذارا بينا بالبرهان

وكذلك باقي التخصص قلت لان دين الرسل واحد وان الاخر منهم جاء بما جاء به الاول فن كذب واحد امن الانبياء فقد كذب جميعهم (اذ قال لهم اخوهم نوح) أي أخوهم في النسب لا في الدين (الاتقون) أي الاتخافون فتر كوا الكفر والمعاصي (الى لكم رسول أمين) أي عني الى الوحي وكان معروفا عندهم بالامانة (فاتقوا الله) أي بطاعته وعبادته (واطيعون) أي فيما أمرتكم به من الايمان والتوحيد (وما أسئلكم عليه من اجر) أي من جعل وجزاء (ان اجرى) أي ثوابي (الاعلى رب العالمين) فاتقوا الله واطيعون) قيل كره له ليو كده عليهم ويقرره في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول الاتقون الله في مخالفتي وانار رسول الله ومعنى الثاني الاتقون الله في مخالفتي وانى لست آخذ منكم اجرا (قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون) أي السفلة قال ابن عباس يعني القافة وقيل هم الحماكة والاسا كفة (قال) يعني نوحا (وما علمي بما كانوا يعملون) أي وما اعلم اعمالهم وصناعاتهم وليس على من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء انما كلفت ان ادعوهم الى الله تعالى وما لي الاظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر في البيانات وقيل معناه في لم اعلم ان الله يهديهم ويضلهم ويوقعهم ويخذلهم (ان حسابهم الاعلى ربي لو شعرون) أي لو علمون ذلك لما عيرتوهم بصناعاتهم (وما انابا بطارد المؤمنين) أي عني وقد آمنوا (ان انا الانذر مبين) معناه اخوف من كذبي فمن آمن فهو القريب مني ومن لم يؤمن فهو البعيد عني (قالوا انؤمن بك واتبعك) أي عاتقوا قولك (انك كون من المرجومين) أي من المقتولين بالحجارة وهو اسوأ القتل وقيل من المشتمين (قال رب ان قومي كذبون فافتح) أي احكم (بيني وبينهم فقتل) أي احكم (ونجني ومن معي من المؤمنين فافتحنا ومن معه في الفلك المشحون) أي الموقر المملوء من الناس والظهير المحيوان (ثم اغرقنا بعد الباقين) أي بعد النجاة نوح ومن معه (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك هو العزيز الرحيم) قوله تعالى

الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم (قالوا انؤمن بك واتبعك) أي عاتقوا قولك (انك كون من المرجومين) أي كذبتك (قال رب ان قومي كذبون) ليس هذا الخبر ابا لك كذب لعلهم ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكن اريد انهم كذبوني في وحيك ورسالتك (افتح بيني وبينهم فقتل) أي فاحكم بيني وبينهم حكما والقضاء المحكومة والقضاء المحاكم (لانه يفصح المستعاني كما سمى فيصلا لانه يفصل بين المحضومات) (ونجني ومن معي) هي حفص (من المؤمنين) من عذاب علمهم (فاتحنا ومن معه في الفلك) الفلك السفينة وجعله فلكا فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد (المشحون) المملوء ومنه شحنة البلد الذي يملؤه كفاية (ثم اغرقنا بعد) أي بعد النجاة نوح ومن آمن (الباقيين) من قومه (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك هو العزيز الرحيم) المنعم بعبادته من وحدوا قر

(كذبت عاد والمرسلين) هي قبيلة وفي الاصل اسم رجل هو ابو القبيلة (اذ قال لهم اخوهم هود الان تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله) في تكذيب الرسول الامين (واطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين اتذنون بكل ربح) كان مرفع (آية) لربح حرام او بناء يكون لارتساعه كالعلامة يستخرون عن مريمهم (تعشرون) تلعبون (وتتخذون مصانع) ما أخذ الماء أو قصوراً مشيدة أو حصوناً (لعلكم تتخلدون) ترجعون الخلود في الدنيا (واذا بطشتم) أخذتم أخذ العقوبة (بطشتم جبارين) قتلاً بالسيف وضرباً بالأسوط ٤٧٨ والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب (فاتقوا الله) في البطش

(واطيعون) فمما ادعوا اليه (واتقوا الذي أمركم بانعمون) من النعم عددتها عليهم فقال (أمركم بانعمون) بنين قرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها (وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان عصيتوني (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي لا نقبل كلامك ودعوتك وعظمت ام سكنت ولم يقل ام لم تنظر لرؤس الآسي (ان هذا الاخلاق الاولين) ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت واتخاذنا لابتناء الاعادة الاولين او ما نحن عليه دين الاولين الا خلق الاولين مكي وبصرى ويزيد وعلى أي حاجت به اختلاف الاولين وكذب المتنبيين قبل ذلك ولهم اساطير الاولين او خلقنا لخلق الاولين غوت ونجسنا كل حيوان (وما نحن بمعذبين) في الدنيا ولا نبعث ولا حساب (فكذبوه) أي هودا (فأهلكناهم) برح منصر

(كذبت عاد والمرسلين) اذ قال لهم اخوهم هود الان تتقون اني لكم رسول امين (أي امين على الرسالة فكيف تتمهموني اليوم) فاتقوا الله واطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين اتذنون بكل ربح) قال ابن عباس أي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع (آية) أي علامة وهي العلم (تعشرون) أي بن مائة طريق والمعنى انهم كانوا يتذنون بالذواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيبشروا منهم ويوعظونهم وقيل انهم بنوا ابروج الحمام فانكر عليهم هود باتخاذها ومعنى تعشرون تلعبون بالحمام (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس ابناءة وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً مائة وقيل ما اتخذ الماء يعني الحماض (لعلكم تتخلدون) أي كانكم تبقون فيما خالدين لا تموتون (واذا بطشتم) أي اذا أخذتم وسوطهم (بطشتم جبارين) أي قتلاً بالسيف وضرباً بالأسوط والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم وفي وصف البشر (فاتقوا الله واطيعون) فيه زيادة فزعزعت حب الدنيا والشرف والتفاخر (واتقوا الذي أمركم بانعمون) أي أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال (أمركم بانعام بنين وجنات وعيون) فيه التنبية على نعمة الله تعالى عليهم (انني أخاف عليكم) قال ابن عباس ان عصيتوني (عذاب يوم عظيم) فكان جوابهم أن (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي انهم أظفروا قلوبهم بكلامه واستغفوا فهم بما أودعه من المواعظ والوعظ كلام بلين القلب يذكروا الوعد والوعيد (ان هذا الاخلاق الاولين) قرئ بفتح الحاء أي اختلاف الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الحاء واللام أي عادة الاولين من قبلنا انهم يعشرون ما عاشوا ثم يموتون ولا يبعث ولا حساب وقولهم (وما نحن بمعذبين) أي انهم أظفروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد (فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك هو العزيز الرحيم) قوله تعالى (كذبتم وعود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الان تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أنتر كون فيما ههنا آمنين) أي في الدنيا من العذاب (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها) أي غرها الذي يطلع منها (ههنا) قال ابن عباس لطيف وعنه يانغ نضيج وقيل هو الاين الخ ووقيل متهم

عانية (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك هو العزيز الرحيم) كذبت ثمود والمرسلين اذ قال يتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أنتر كون) انكار لان يتر كواخا لدين في نعيمهم لان الزوال عنه (فما ههنا) في الذي استقر في هذا المكان من النعيم (آمنين) من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله (في جنات وعيون) وهذا ايضا الجال ثم تفصيل (وزروع ونخل) وعطف نخل على جنات مع ان الجنة تنمو في التل اول شئ ثم ضل لا نخل في سائر النهر (طلعها) وهو ما يخرج من النخل كمثل السيف (ههنا) ليرضخ كانه قال ونخل قد اردط غره

(وتختون) تخبون (من الجبال بيوتاً فاردين) شامخ وكوفي حاذقين حال وغيرهم فردين اشربن والفرادة الكس والنشاط
 (فاتقوا الله وأطيعوا ولا تطيعوا أمر المسرفين) الكافرين أو النسعة الذين عقروا الناقة جعل الام مطاعاً على الخاز
 المحكمى والمراد الاثم وهو كل جملة أخرجت الحكم المفسد بها عن موضوعة في العقل لضرب من التأول كقولهم أنبت
 الربيع (البلل) الذين يفسدون في الارض) بالظلم والسكر (ولا يصلحون) بالايان والعدل والمعنى انفسادهم مصمت ليس
 معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوط ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من المشركين) المشرك الذي
 سحر كثير حتى غلب على عقله وقيل هو من السحرة الرثة وانه بشر (ما أنت الا بشر مثلهما) بآية ان كنت من الصادقين
 في دعوى الرسالة (قال هذه ناقة لها شرب) نصب من الماء فلا تراخوها فيه (ولكم شرب يوم معلوم) لا تراخوها فيه
 روى ابيه قالوا ان يدناقة عشرة اخراج من هذه الخخرة فتبادس قبلما يجعل صالح يتذكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك
 الناقة ففعل فخرجت الناقة وتحت سقما مثلها في العظم وصدرها ٤٧٩ يستون ذوا اذا كان يوم شربها شربت

ماءهم كله واذا كان يوم شربهم
 لا تشرب فيه الماء وهذا دليل
 على جوازها لئلا يأثم لان قوله لها
 شرب ولكم شرب يوم معلوم من
 الهامة (ولا تسوها بسوء)
 بضرب او عقر او غير ذلك
 (فياخذكم عذاب يوم عظيم)
 عظم اليوم لمحو العذاب فيه
 ووصف اليوم به ابلغ من وصف
 العذاب لان الوقت اذا عظم
 بسببه كان موقعه من العظم
 أشد (فعرهوها) عقرها فدار
 ولكنهم راضون به فاضيف اليهم
 روى ان عاقرها قال لا عقرها
 حتى ترضوا أجمعين فكانوا
 يدخلون على المرأة في خدرها
 فيقولون أترضين فتقول نعم
 وكذلك صيانهم (فاصبحوا

بثقت اذا هس وقيل المضحك هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج او النعومة وقيل
 هو المدرك (وتختون من الجبال بيوتاً فاردين) وقرئ فاردين قيل الفارة المحاذق بفتح
 والفره قال ابن عباس الاشتر والطر وقيل معناه متجبرين فرحين متجيين بضركم
 (فاتقوا الله وأطيعوا ولا تطيعوا أمر المسرفين) قال ابن عباس أى المشركين وقيل يعنى
 النسعة الذين عقروا الناقة (الذين يفسدون في الارض) أى بالمعاصى (ولا يصلحون)
 أى لا يطيعون الله فيما أمرهم (قالوا انما أنت من المشركين) أى من المستحورين
 الخسودعين وقال ابن عباس من المخلوقين المعالين بالطعام والشراب (ما أنت الا بشر
 مثلهما) والمعنى أنت بشر مثلهما واستملك (فأت ما به) يعنى على صحة تقول (ان كنت
 من الصادقين) يعنى انك رسول الينا (قال هذه ناقة لها شرب) أى حظ من الماء (ولكم
 شرب يوم معلوم ولا تسوها بسوء) أى بعقر (فياخذكم عذاب يوم عظيم) فعرهوها فاصبحوا
 نادمين) أى على عقرها الماروا العذاب (فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما
 كان أكثرهم مؤمنين وان ربك له العز والرحيم) قوله عز وجل (كذبت قوم لوط
 المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا وما
 أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أنأتون الذكر ان من العالمين) يعنى
 نكاح الرجال من بنى آدم (وتدرون ما خلق لكم من أنفاسكم) يعنى أنتم أنتم كون
 العضو المباح من النساء ويميلون الى أدمار الرجال (بل أنتم قوم عادون) أى معتدون
 مجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) أى من قريتنا

نادمين على عقرها خوفا من نزول العذاب بهم لاندن توبة او فدموا حين لا ينفع الدم وذلك عند معاناة العذاب او على ترك
 الولد (فأخذهم العذاب) المقدم ذكره (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك هو العزيز الرحيم) كذبت قوم
 لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى
 الا على رب العالمين أنأتون الذكر ان من العالمين) أراد ان العالمين الناس انما هو الذكور من الناس مع كثرة الاناث او انما هو
 أنتم من بين من عبادكم من العالمين الذكور انى أنتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينسبكم من الحيوان
 (وتدرون ما خلق لكم من أنفاسكم) من تبين ما خلق الله من بعض المراتب خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل
 ذلك بنسائهم وفيه دليل تحريم أدمار الزوجات والمملوكات ومن أحارهن فقد أحسن أخطأ عظماء (بل أنتم قوم عادون) العادى
 المنعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد أى بل أنتم قوم أحق بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (قالوا لئن لم
 تنته يا لوط عن أنسك لعلنا وتقبح امرنا لتكونن من المخرجين) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطرناه

من بلدنا ولعلمهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوا حال (قال اني لعمركم من القسالىن) هو ابليغ من ان يقول قال قولا فلان من العلماء ابليغ من قولك فلان عالم لانك تشهد بانه مساهم لهم في العلم والقبلى البغض يبقى الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لان قلة من حيث الدين (رب تنجى وأهلى عما يعملون) من عقوبة عملهم (فنجيناها وأهلها جعنين) يعنى بناته ومن آمن معه (الاعجوزا) هى امرأة لوط وكانت راضية بذلك والراضى بالمعصية فى حكم العاصى واستثناء الكافرة من الاهل وهم مؤمنون للاشتراك فى هذا الاسم وان لم تشاركهم فى الايمان (فى الغار بن) صفة لها أى فى الباقين فى العذاب فلم تنج منه والعارف باللغة الباقى كانه قيل الاعجوزا غارة أى قد راغموورها اذا غيروا لم يكن صفتها وقت تنجيتهم (ثم درنا) (الآخرين) والمراد بتدبيرهم الاتقاء لهم (وأمرنا علىهم مطرا) عن قتادة أمر الله على شدة اذا القوم حجارة من السماء فأهلكهم الله وقيل لم يرض بالاعتكاف حتى اتبعه مطرا من حجارة (فساء) فاعله (مطر المنذرين) والمخصوص بالذم وهو مطرهم مخدوف ولم ير دنا المنذرين قوما يعاينهم بل المراد جنس الكافرين (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنا وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الايكة) ٤٨٠ بالمهززة والجر هى غيضة نبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة تجازى

(قال اني لعمركم من القسالىن) أى من التاركين للمعصين (رب تنجى وأهلى عما يعملون) أى من العمل الخبيث قال الله تعالى (فنجيناها وأهلها جعنين الاعجوزا) أى امرأته (فى الغار بن) أى بقيت فى المهلكين (ثم درنا الآخرين) أى أهلكناهم (وأمرنا علىهم مطرا) يعنى الكبريت والنار (فساء مطر المنذرين) ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنا وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل (كذب أصحاب الايكة المرسلين) أى الغيضة الملققة من الشجر وقيل هو اسم البلد (اذ قال لهم شعيب) لم يقل لهم أخوهم لانه لم يكن منهم وإنما كان من مدين وأرسل اليهم (الانتقوا الى ربكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا ما أسألكم عليه من أمر وأجرى الا على رب العالمين) إنما كانت دعوة هؤلاء الانبياء فيها ما حكي الله عنهم على صفة واحدة لا تفاهة على تقوى الله وطاعته والاخلاص فى العباداة والامتناع من أخذ الا لاجرى على تبليغ الرسالة (أو فوا السكيل ولا تكونوا من الخسرين) أى النافعين لمحقوق الناس فى السكيل والوزن (وزفوا بالقسط) أى بالميزان العدل المستقيم ولا ينجسوا الناس أسداهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) يعنى الخليفة والامم المتقدمة (قالوا إنما أنت من المستحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين

وشامى وكذا فى ص علم بلد قيل أصحاب الايكة هم أهل مدين التجوا الى غيضة اذ أخ عليهم الوبع والاصح انهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالسادية وأكثرت شجرهم المقل بدليل انه لم يقل هنا أخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين فى الحديث ان شعبيا أخذ من أرسل اليهم وإلى أصحاب الايكة (المرسلين) اذ قال لهم شعيب الانتقوا الى ربكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا ما أسألكم عليه من أمر وأجرى الا على رب العالمين أو فوا

السكيل) أموه (ولا تكونوا من الخسرين) ولا تنتقصوا الناس حقوقهم فالكيل واف وهو ما ورثه وطيف وهو منى عنه وزائد وهو مكتوب عنه فكره دليل على انه ان فعل، فقد أحسن وان لم يفعل فلا شئ عليه (وزفوا بالقسط المستقيم) وبكسر القاف كوفى غير أبى بكر وهى الميزان والعتيان فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكرونة فزونه قمارن والافه ورعاى (ولا ينجسوا الناس) يقال نجسته حققة اذا نقصته اياه (اشياءهم) دراهمهم ودنانيرهم بقطع اطرافهم (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) ولا تبالغوا فيها فى الافساد نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون لك فنهوا عنه يقال عثا فى الارض اذا أسدوعى فى الارض لغة فى عثا (واتقوا الذى خلقكم والجبلة) الجبلة عطف على كم أى اتقوا الذى خلقكم وخلق الجبلة (الاولين) الماضين (قالوا إنما أنت من المستحرين وما أنت الا بشر مثلنا) ادخال الواو هنا ليعدمعنين كلاهما منافى الرسالة عندهم التحدير والبشرية وتوهم كفاى قصة تدل على قدم معنى واحدا وهو كونه مستحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم (وان نظنك لمن الكاذبين) ان محققه من التلبه واللام دخلت للفرق بينه وبين النافقة وإنما تقر قناتى فعل الظن وتامى معنويه لان اصلهما أن يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك ان زيد المنطقى فلما كان بابا كان وطنه من جسر باب المبتدأ والخبر قبل ذلك فى البابين فقبل ان كان زيدا منطلقا وان ظننته لمنطقا

(فأسقط علينا كسفا) كسفا حفص وهم اجما كسفة وهي القطعة وكسفة قطعه (من السماء) أى السحاب أو الظلة (ان كنت من الصادقين) أى ان كنت صادقا أنك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء أى قطعا من السماء عقوبة (قال رضى) بفتح الميم حجازى وأوعرو وسكونها غيرهم (أعلم بما تعملون) أى ان الله أعلم بأعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب فان أراد ان يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا آخر قاله الحكم والمشيئة (فكذبوه فخذهم عذاب يوم الظلة) هى سحابة أظلمت عليهم بعد ما حبست عنهم الريح وعذبوا بالحر ربيعة أيام فاجتمة وافتتحا مستجبرين بها عابا لهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاتحروا (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد كرر فى هذه السورة فى أول كل قصة وآخرها ما كرر تقريرا ١٨١ لعانيها فى الصدور ليكون أبلغ فى الوعظ

والزجر ولان كل قصة منها كتبت لبرأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها فسكانت جذيرة بان تفتح بما افتتحت به صاحبتها وان تخرجت بما اختتمت به (وانه) أى القرآن (لتنزيل رب العالمين) منزل منه (نزله) مخفف والفاعل (الروح الامين) أى جبريل لانه أمين على الوحي الذى فيه الحياة حجازى وأوعرو وزيد وحض وغيرهم بالتشديد ونصب الروح والفاعل هو الله تعالى أى جعل الله الروح نازلا به والباعلى القراءتين للتعدية (على قلبك) أى حفظك وفهمك ما بها ونبته فى قلبك نبات ما لا ينسى أقوله ستر نك فلا تنسى (لتكون من المنذرين لسان عربى) بلغه قرىش وجرهم (مبين) فصيح ومصحح عما صحفته العامة وباء اما ان يتعلق بالمنذرين أى

(فأسقط علينا كسفا) أى قطعا من السماء ان كنت من الصادقين قال رضى أعلم بما تعملون أى من نقصان الكيل والوزن وهو مجاز يكى بأعمالكم وليس العذاب إلى وما على إلا الدعوة والتبليغ) فكذبوه فخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم) وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فآظمت سحابة فاجتمة وافتتحها فامطرت عليهم نارا فاتحروا جميعا (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد تقدم الكلام على هذه القصص فى سورة الاعراف وهو دافعى عن الاعادة هنا والله أعلم بمراده قوله عز وجل (وانه) يعنى القرآن (لتنزيل رب العالمين) يعنى ان فيه من أخبار الامم الماضية ما يدل على انه من رب العالمين (نزله الروح الامين) يعنى جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من الروح وسماه أمينا لانه مؤتمن على وحيه لا يباينه (على قلبك) يعنى على قلبك حتى يهيه وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لانه هو الخاطب فى الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له وبدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا اوان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب اخرجاه فى الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرج والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أفرح سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العمل هو القلب على الصحيح من القوانين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم وقوله تعالى (لتكون من المنذرين) أى الخوفين (لسان عربى مبين) قال ابن عباس لسان قرىش ليفهموا ما فيه (وانه) يعنى القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونفعه (لنزيرو الاولين) أى كتب الاولين (اولم يكن لهم آية) يعنى أولم يكن لهم آية التكبيرين علامة

٦١ ن ت تكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب واسماعيل عليهم السلام أو ينزل أى نزله لسان عربى لتنذره لانه نزله لسان أعجمى لتجا فواعنه أصلا ولقالوا ما نضع عبلا نفهمه فيستذرا لاذاربه وفى هذا الوجه ان تنزله بالعرسية التى هى لسانك واسان قومك تنزل على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا تكلم بلغته التى نشأ عليها لم يكن قلبه ناظرا الى المعانى الكلام وان تكلم بغيرها كان نظره الى ألفاظها ثم فى معانيها وان كان ماهرا بغيرتها فهذا تقريره ان نزله لسان عربى مبين (وانه) وان القرآن (لنزيرو الاولين) يعنى ذكره مثبت فى سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وفيه دليل على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة (اولم تكن لهم آية) شامى جعلت آية اسم كان وخبره

(أن يعلمه) أى القرآن لوجود ذكره فى التوراة وقبل فى يكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والمجمل خبر كان وقبل كان تامه والفاعل آية وان يعلمه بدل منها أو خبر مبتدأ محذوف أى أولم تحصل لهم آية وغيره يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وتقديره أولم يكن لهم علم علماء بنى اسرائيل آية (علموا بنى اسرائيل) كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى وإذا تتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا أنا كنا من قبله مسلمين وخط فى المحصف علموا بنى وقبل الألف (ولو) نزلناه على (بعض) الأعمى جمع الأعمى وهو الذى لا يفصح وكذلك الأعمى الآن فيه زيادة الدسمية زيادة تا كيد ولما كان من يستكمل بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له الأعمى وشبهه ومن لا يفصح ولا يبين والعجمى الذى من جنس العجم أفصح أولم يفصح وقرأ الحسن والأعجميين وقيل الأعجميين تخفيف الأعجميين كما قالوا الأشعريون أى الأشعريون بخلاف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع السلامة لأن مؤنثه عجماء (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) والمعنى أنا أنزلنا القرآن على رجل عربى مبین ففهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجزوا ونظم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على أن الشارة بانزاله وصفتها فى كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصحبه بذلك ٤٨٢ انهم من عند الله وليست بأساطير كما زعموا

ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أن يعلمه) يعنى يعلم محمد صلى الله عليه وسلم (علموا بنى اسرائيل) قال ابن عباس بعث أهل مكة إلى اليهود وروهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا الزمانه وانما نحن فى التوراة نعتة وصفتة فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسود واسيد قواد تعالى (ولونزلناه) يعنى القرآن (على بعض الأعجميين) جمع الأعمى وهو الذى لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا فى النسب ومعنى الآية لو أنزلنا القرآن على رجل ليس بعربى الا ان (فقرأه عليهم) يعنى القرآن (ما كانوا به مؤمنين) أى لقولوا لا نفقهه قولك وقيل معناه لما آمنوا به انفعه من اتباع من ليس من العرب (كذلك) سلكناه قال ابن عباس يعنى ادخلنا الشرك والتكذيب (فى قلوب الجرمين لا تؤمنون به) أى القرآن (حتى يروا العذاب الايم) فأتيتهم بعتة وهم لا يشعرون فقروا هل نحن مظنون (أى لنؤمن وتصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم) أفعدنا بنا يستجلبون قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فانزل الله أفعدنا بنا يستجلبون (أفأرأيت ان متعناهم سنين) أى كفوا ملة فى الدنيا ولم يهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يعدون) يعنى العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يعدون) أى فى تلك السنين الكثير والمعنى انهم وان طال تعذبهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم

فلم يؤمنوا به وسوءه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذان من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولونزلناه على بعض الأعمى الذى لا يحسن العربية فضلا ان يقدري نظم مثله فقرأ عليهم هكذا معجزا ليكفروا به كما كفروا ولتعلموا نحو دهم غدروا لسوءه وسخر اثم قال (كذلك سلكناه) أى ادخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين (فى قلوب الجرمين) الكافرين الذين علمنا منهم اختصار الكفر والاصرار عليه يعنى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم وقرنا فيه فافكر فيها فعمل بهم وعلى أى وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى آية غير واعدهم

عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال ولونزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحار مبین وهو محتجنا على المتزلة فى خلق أفعال العباد خبرها وشرها وموقع قوله (لا يؤمنون به) بالقرآن من قوله سلكناه فى قلوب الجرمين موقع الموضوع والمخلص لانه مسوق لاثبات كونه مذكرا بمجربوا فى قلوبهم فأتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزلون على التكذيب به وجوده حتى يعاينوا الوعيد ويحجزان يكون حالا أى سلكناه فيها غير مؤمن به (حتى يروا العذاب الايم) المراد مع آية الموت عند الموت ويكون ذلك ايمان يأس فلا تنفعهم (فأتيتهم بعتة) فخاة (وهم لا يشعرون) بآياته (فقولوا) وأفيتهم معطوفان على يروا (هل نحن مظنون) يسألون الظرف والامهال طرفه عين فلا يجابون اليها (أفعدنا بنا يستجلبون) توبخ لهم واذكركم عليهم قوههم فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ أشد الناس غفلة من اعتبرت بحماته والتبخر راداته وسكن الى ما لوفاته والله تعالى يقول (أفأرأيت ان متعناهم سنين) قيل هى سنوذة الدنيا (ثم جاءهم ما كانوا يعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يعتبون) به فى تلك السنين والمعنى ان استجلبهم بالعذاب لئلا يظنوا انهم لا يظنونهم ما كانوا يعدون باعمار طول الى سلامة وامن فقال الله تعالى

افيعذابنا يستجيبون اشراو بطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معاشهم وعن ميمون بن مهران انه تقي الحسن في الطواف وكان يمتنى لقاءه فقال له عظمي فلم يرده على تلاوته هذه الآية فقال دعهم قد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقرأها عند جلوسه للحكم ٤٨٣ (وما اهلكنا من قرية الا بالظلمة) (وما اهلكنا من قرية الا بالظلمة)

تدخل الواو على الجملة بعد الاكفى وما اهلكنا من قرية الا بالظلمة كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذا لم يصف لقرية واذا زيدت فلتا كيدوصل الصفة بالموصوف (د كرى) منصوبة بمعنى تذكرة لان اندروا ذكر متقاربان فساكنه قيل هذ كرون تذكرة أو حال من الضمير في منذرون أى منذرونهم ذوى تذكرة أو مفعول له أى منذرون لاجل الذكرة والموعظة أو مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذ كرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوى كرى أو تكون ذ كرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمبنى وما هلكنا من أهل قرية ظالمين الابعدا الزمانهم الحجة نارسال المندرين اليهم ليكون اهلاكم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يصحوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فتهلك قوم غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تلي القرآن على محمد أنزل (وما تنزلت به) أى القرآن (الشياطين وما ينطقنهم وما يستطيعون) وما

الغالب لم يكن عنهم طول المتعة شيأ أو يكونوا كانوا مسلم لم يكونوا في نعم قط (وما اهلكنا من قرية الا بالظلمة) أى رسول منذرونهم (د كرى) أى تذكرة (وما كنا ظالمين) أى في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم (وما تنزلت به الشياطين) يعنى ان المشركون كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك (وما ينبغي لهم) ان ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) أى ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال (انهم عن السبع المعزولون) أى محجوبون بالرأى بالشبه فلا يصلون الى استراق السمع (فلاندع مع الله الهما آخرة كون من المعذبين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذره غيره يقول أنت اكرم الخلق على وتواخذت الها غيرى لعذبك قوله تعالى (وأندرعشيرت الاقر بين) روى محمد بن اسحق بسنده عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي ان الله أمرني ان اندرعشيري في الاقر بين فضقت بذلك ذراعا وعرفت اني متى ابادهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد ان لا تغفل ما أؤمر به بذلك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا علة رجل شاة واملأ لنا عسما من لبن ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى بلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وكانوا يؤمنون بخوار عين رجلان يزبدون رجلا أوينة تصوبه فيهم اعمامه أبو طالب وحزرة العباس وأبو لهب فله الحجة وادعاني بالطعام الذي صنعت فحقت به فقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم خذبه من اللحم فثقه بها بانهن ثم القها في نواحي الخيفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل التوم حتى ملأهم بشي من حاجة وائم الله ان كان الرجل الواحد خذ كل مثل ما قدمت عليه من التوم حتى ملأهم بذلك العس فشرى بواخي وروا جميعا وائم الله ان كان الرجل الواحد لشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكاهم بدرة أبو لهب فقال سهركم صاحبكم ففرق التوم ولم يكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله يا علي فان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من التوم ففرق التوم قبل ان اكلهم فاعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جعتهن ثم دعاني بالطعام فقر به ففعل كما فعل بالامس فاكاوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبدالمطلب اني قد جعتهنكم بخبري الدنيا والآخرة وقد أمرني الله عز وجل ان ادعوك الى ما يفيكم بما اؤمر في امرى هذا ويكون اخي ووصي وخليفة فيكم فاجمع التوم عنكم جميعا وانا احدثهم سنا فقلت انا

يسهل لهم ولا يقدرون عليه (انهم عن السبع المعزولون) المنع عن الله الهما آخرة كون من المعذبين مورد النهي لغيره على التعريض والتحريل على زيادة الاخلاص (وأندرعشيرت الاقر بين) خصهم لنفي التهمة اذا انسان يساهل قريته اولي علموا انه لا يفي عنهم من الله شيأ وان النجاة في اتباعه دون قربه ولما نزلت صدوا الصفا ونادى الاقرب فالاقرب وقال يا بني عبدالمطلب يا بني هاشم يا بني عبدمناف يا عباس عم النبي يا صفية عمه رسول الله اني لاملأ لك كمن الله شيأ

(واخفض جناحك) والآن جانبك وتواضعك واصله ان الطائر اذا اراد ان يخط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض ٤٨٤ جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع وابن الجانِب (من اتبعك من

المؤمنين) من غيرك وغيرهم
(فان عصوك) فقل اني بريء مما تعملون (يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فافض جناحك لهم وان عصوك ولم يتبعوك فغير اسمهم ومن اعلمهم من الشرك بالله وغيره) (وتوكل على العزيز الرحيم) على الذي يقرر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برجته يكفك شر من بعضك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يلائمه ويتدبره ونفعه وضره وقالوا المتوكل من اذا هم به امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله وقال المجنبد رضي الله عنه التوكل ان تقبل بالكلمة عما دونه فان طاعتك اليه في الدارين فتوكل مدني وشامي عطف على فقل أو فلا تدع (الذي يراك حين تقوم) متهمجدا (وتقبلك) أي ويرى تقبلك (في الساجدين) في المصلين أتبع كونه رحماً على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكراً كان يفعل في خوف الليل من قيامه للهجه وتقبله في تصفح أحوال المهتجين من أحبابه لطلع عليهم من حيث لا يشعرون ولعلم أنهم كيف يعبدون الله ويعلمون لا يخترعهم وقيل

يا رسول الله اكون وزرك عليه فاحذر بتي ثم قال هذا أحمي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يحسبون ويقولون لا ي طالب قد أمرك ان تسمع له لي وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما المائزات وأئذ عشرينك الاقر بن سعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني قهر يا بني عدي لبطون من قر يش حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع ان يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو فاجاءه ابو لهب وقر يش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلاً بالوادى تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقاً قالوا ما جر بنا عليك كذبا قال فاني نذير اكم بين يدي عذاب شديد فقال ابوبهت بما لك سائر اليوم هذا جعتمنا فزانت بنت بدا الى لهب وتسما أغنى عنه ماله وما كسبه وفي رواية قد تب وفي رواية البخاري المائزات وأئذ عشرينك الاقر بين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعدا الصفا فتهتف باصباحه فقالوا من هذا واوجته ووا اليهود كرفوه (ق) عن ابي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله تعالى وأئذ عشرينك الاقر بين قال يا معشر قر يش أو كلفتموها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا يا صفيعة غنة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير بن عمرو قال المائزات وأئذ عشرينك الاقر بين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرضمة جبل فعلا على اهلها ثم نادى يا بني عبد مناف اني نذير اكم انما ملئ منكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد اهل بيته فخشى ان يسبقوه فجعل يتهتف باصباحه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدأ بنفسه أولا وبالاقرب فالاقرب من اهله فانما لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله انفع وكلامه الخج (واخفض) أي الآن (جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من المؤمنين قلت معناه لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقولهم والاسنتهم دون المؤمنين بالسنتهم وهم المنافقون (فان عصوك) أي فيما تأمرهم به فقل اني بريء مما تعملون (أي من الكفر والخالفه) (وتوكل على العزيز الرحيم) التوكل عبارة عن تفويض الرجل امره الى من يلائمه ويتدبره ونفعه وضره والله تعالى العزيز يرزلكي يقرر اعداءك بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برجته (الذي يراك حين تقوم) أي يراك حين تقوم وقيل يراك ايما كنت وقيل يراك ايما كنت (وتقبلك في الساجدين) قال ابن عباس ويرى تقبلتك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين في الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقبل بصرك في المصلين فانه كان صلى الله عليه وسلم يصبر من خلفه كل يصبر من قدامه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلي ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركونكم اني لا اراكم من وراء

معن يراك حين تقوم للصلاة للناس جماعة وتقبل في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده ظهري وقعوده اذ امهم وعن مقاتل ان سأل ابا حنيفة هل يجسد الصلاة بالجماعة في القرآن فقال لا يجزئني قسالة هذه الآية

(انه هو السميع) اما نقوله (العليم) عاينوه وتعملهون علمه معاناة مشاق العبادات حيث اخبر برؤسناه اذ لامسناه على من يعلم انه يعمل بما امرى مولاه وهو كقوله بعيني ما يتعمل المتعملون من احدى ونزل جوابا بقول المشر كين ان الشياطين تاتي السمع على محمد صلى الله عليه وسلم (هل انبئكم) اى هل اخبركم ايها المشر كون (على من تنزل الشياطين) ثم بنأ فقال (تنزل على كل افاك انتم) من تركب للامانة وهم الكهنة والمتنبئة كسطيج وطلحية ومسيملة ومحمد صلى الله عليه وسلم بسم الله الفا كين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل ان يتبعوا بالرحم يستمعون الى الاملا الاعلى فيخطفون بعض ما يتكلمون به مما طلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم ويلقون حال اى تنزل ملقين السمع اوضفة لكل افاك لانه في معنى الجمع فيكون في محل الجزاء او استئناف فلا يكون له محل كانه قيل لم تنزل على الفا كين فتليل به علون كيت وكيت (واكثرهم كاذبون) فيما يوحون به ٤٨٥

الهم لانهم يستمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اى المسموع من الملائكة وقيل الفا كون يلقون السمع الى الشياطين ويلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الفا كين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والافاك الذى يكثر الافاك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافاك فاو اذ ان هؤلاء الفا كين قل من يصدق منهم فوما يحكى عن الجنى واكثرهم مقرر عليه وعن الحسن وكاهم وانما فرق بين وانه لا تنزل على رب العالمين وما تنزل به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين وهن اخوات لانه اذا فرق بينهن بايات ليست منهن ثم رجع اليهن مرة بعد مرة

ظهرى وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومحيثك في اصحابك المؤمنين وقيل تصرفك في احوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن عباس ارادوا بتقليدك في اصحاب الانبياء من نبي الى نبي حتى اخرجك في هذه الامة (انه هو السميع) اى لقولك ودعاك (العليم) اى نبئتكم وعلمك قل يا محمد (هل انبئكم) اى اخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب لقولهم ينزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشيطان فقال تعالى (تنزل على كل افاك) اى كذاب (انتم) اى فاجروهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يستترون السمع ثم يلقون ذلك الى اوليائهم من الناس وهو قوله تعالى (يلقون السمع) اى ما يسمعون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة (واكثرهم كاذبون) لانهم يخطبون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاؤون) قال اهل التفسير اراد شعراء الكفار الذين كانوا يبعون النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبدالله بن الزبعرى السهمى وهيرة بن ابي وهب الخزومى ومسافع بن عديمة ماف واوبعور بن عبدالله الحمصى وامية بن ابي الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون اشعارهم حين يبعون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا يروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاؤون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاؤون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفي رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية (المترانهم في كل واد) من اودية الكلام (يهمون) يعنى حائرين وعن طريق الحق حائدين والهائم الذاهب على وجهه لا يقصد له وقال ابن عباس فى كل لغو يتخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل

ذلك على شدة العناية بهن كما اذا حدثت حديثا وفي صدورك اهتمام بشئ فتعبد كروا لا تنفك عن الرجوع اليه وتنزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم (والشعراء) مبتدأ خبره (يتبعهم الغاؤون) اى لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتزييق الاعراض والقدح فى الانساب ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاؤون اى السفهاء او الراؤون او الشياطين او المشر كون قال الزجاج اذا مدح او هجى اشاعر بالايكون واجب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاؤون يتبعهم نافع (المترانهم في كل واد) من الكلام (يهمون) خبر ان فى كل فن من الكذب يتخذون اوفى كل لغو وباطل يتخوضون والهائم الذاهب على وجهه لا يقصد له هاهم فى كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضوا اجنب الناس على عثرة واتخذهم على حاتم عن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبين بجاني مصرعات وبت افض اغلاق الحتام فقال قد وجب عليك اعداء فقال قد درر الله على الخلد بقوله

انهم يمدحون الشيء ثم يذمونه لا يطلبون الحق والصدق فالواحدى مثل لقنون الكلام
والغوص في المعاني والقوافي (وانهم يقولون ما لا يفعلون) أى انهم يكذبون في شعرهم
وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحشون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون الخيل
ويصرون عليه ويحشون الناس بادنئى شئ صد منهم (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا ينبت شئ خوف احدكم فيما حتى يريه خيره من ان ينبت شئ شعرا ثم
استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يحبون شعر الكفار ويحشون وينافخون عن محمد
صلى الله عليه وسلم واجحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك
فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) روى ان كعب بن مالك قال للنبي صلى
الله عليه وسلم ان الله انزل في الشعر ما انزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن
يهاجده بسيفه ولسانه والذى نقسى بيده لكان مات مؤمنا به نضح النبل * عن انس بن
مالك رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة
يشي بين يديه وهو يقول

خلوا بى الكفار عن سبيله * اليوم نضر بكم على تنزيه
ضربا بيزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخيل عن خيله

فقال عمر بن ابى رباحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فاهى اسرع عقيم من نضح النبل اخرجته
الترمذى والنسائى وقال الترمذى وقد روى في غير هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا أصبح عند بعض أهل
الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم موقعة كانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح
هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم موقعة سنة ثمان والله أعلم (ق) عن البراء
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريضة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك
(خ) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبراً في المسجد يقول
عليه قائماً يفاخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافع أو فاجر عن رسول الله (م) عن عائشة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشاً فانه أشد عليهما من رشق النبل فأرسل الى
ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان
ابن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه
ثم ادلع لسانه فخل بجر كه فقال والذى بعثت بالحق لا فريتهم بلساني فرى الاذم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تهل فان ابانكرا علم قريش بأنسابها وان قيل فيهم نسبنا حتى
يلخص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد لحضنى نسبك والذى بعثك
بالحق نبيا لاسالك منهم كما تسال الشعرة من العنق قالت عائشة فسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما
ناخعت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم

(وانهم يقولون ما لا يفعلون)
حيث وصفهم بالكذب والخلف
في الوعد * ثم استثنى الشعراء
المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات
الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كعب بن مالك بن رواحة وحسان بن
ثابت وكعب بن زهير وكعب
ابن مالك رضى الله عنهم

(وذكروا الله كثيرا) أي كان
 ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب
 عليهم من الشعر وإذا قالوا
 شعر قالوا في توحيد الله تعالى
 والنساء عليه والحقمة
 والموعظة والزهد والادب
 وممدح رسول الله والصيانة
 وصحباء الامة ونحو ذلك مما
 ليس فيه ذنب وقال أبو بن يد
 الذكر الكثير ليس بالعدو
 والعقلة لكنه بالحضور
 (وانتصروا) وهجوا (من
 بعدما ظلموا) هجوا أي ردوا
 هجاء من هجاء رسول الله صلى
 الله عليه وسلم والمسلمين وأحق
 الخلق بالهجاء من كتب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وهجاء
 وعن كعب بن مالك أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال لا يهجم فوالذي نفسي
 بيده هو أشد عليهم من النبل
 وكان يقول لحسان قل وروح
 القدس معك وختم السورة بما
 يقطع أكماد المشركين وهو
 قوله (وسيعلم) وما فيه من
 الوعد بالبلغ وقوله (الذين
 ظلموا) واطلاقه وقوله (أي
 منقلب يتقلبون) وإيهامه وقد
 تلاها أبو بكر لعمر رضي الله
 تعالى عنه حين عهد اليه وكان
 السلف يتواظفون بها قال ابن
 عطاء سيعلم المعرض عما الذي
 فاته منا أو ينصوب به يتقلبون
 على المصدر لا يعلم لأن أسماء
 الاستعظام لا يعمل فيها ما قبلها
 أي يتقلبون أي الانقلاب

حسان فشي واشتق فقال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء
 هجوت محمدا أتقيا * رسول الله شيمته الوفاء
 فان أبي ووالدني وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء
 شككت بني أن لم تروها * ثير النفع من طرفي كداء
 يباوين الأئمة مصعدات * على أكتافها الأسال الظماء
 تظيل جبيادنا مطبرات * تظلمهن بالبحر النساء
 فان أعرضتم عنا عترنا * وكان الفتح وأنكشف الغطاء
 والا فاصبروا لضراب يوم * يعجز الله فيه من شاء
 وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
 وقال الله قد سيرت جنندا * هم الانصار عرضتها للقاء
 لناسي كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء
 فن أجور رسول الله منكم * ويخلصه وينصره سواء
 وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

﴿فصل في مدح الشعر﴾ (خ) عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 ان من الشعر لحكمة * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء عماري الى النبي صلى الله
 عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكمة أخرجه
 أبو داود (م) عن عرو بن السري بعد أن أتيه قال ردفت وراء النبي صلى الله عليه وسلم يوما
 فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء قلت نعم قال هيئه فأنشدته بيتا فقال هيئه
 ثم أنشدته بيتا قال هيئه حتى أنشدته مائة بيت زادني رواية لقد كاد يسلم في شعره عن جابر
 ابن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أحسبها يتناشدون
 الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت ورعا يتسم معهم أخرجه
 الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح
 فخدمته الحسن ودع عنه القبيح وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول
 الشعر وكان علي أشعر منهم ما روي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر ويستمع منه في
 المسجد فيروى انه دعا عمر بن أبي ربيعة الخزرجي فاستنشد القصيدة التي قالها فقال

أمن آل نغمي أنت غاد فبكر * غداة غدا أم راعح في فجر
 فأشده القصيدة الى آخرها وهي قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة
 جميعها وكان حفظها بجملة واحدة قوله تعالى (وذكروا الله كثيرا) أي لم يشغلهم الشعر
 عن ذكر الله (وانتصروا من بعدما ظلموا) أي انتصروا من المشركين لأنهم بدؤوا بالهجاء ثم
 أوعد شعراء المشركين فقال تعالى (وسيعلم الذين ظلموا) أي أشركوا وهجوا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر المظهر من الهجاء (أي منقلب يتقلبون) أي أي
 من جبر جعون اليه بعدما مات قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله أعلم بما عراه

﴿سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية﴾ * (بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) اى وآيات كتاب مبين وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين الواح وآياته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو مبين للناظرين فيه آياته والقرآن وآياته انه مبين ما ودع فيه من العلوم والمحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كمطاف احدى الصفتين على الاخرى نحو هذا فعلى النسخ والمجمود ونكر الكتاب ليكون التثنية له وقيل اننا نكر الكتاب هنا وعرفه فى المحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثم لان القرآن والكتاب اسمان علما للمازى على محمد عليه الصلوة والسلام ووصفان له لانه يقرأ ويكتب فيث جاء لفظ التثنية بف فهو العلم وحيث جاء لفظ التنكير فهو الوصف (هذى بشرى) فى محل النصب على الحال من آيات اى هداية وبشارة فالعامل فيها مافى ثلاث ٤٨٨ من معنى الاشارة او المحرر على انه بدل من كتاب اوصفقه او الرفع على

هـى هـدى و بشرى أو على
البلبل من آيات أو على ان يكون
خبر بعد خبر تلك اى تلك آيات
وهادبة من الصلاة ومشقة
بالجمعة و قيل هـى مجمع الخلق
و بشرى (للمؤمنين) خاصه
(الذين يقيمون الصلاة) يديون
على قرائتها و سنها (و يؤتون
الزكوة) يؤدون زكاة أموالهم
(و هم بالآخرة هم يوقنون)
من جملة صلاة الموصول
و يحتمل ان تتم الصلاة عنده
و هو استئناف كله قيل وهؤلاء
الذين يؤمنون و يعملون
الصالحات من اقامة الصلاة
و ايتاء الزكاة هم الموقنون
بالآخرة و يدل عليه انه عقد
جملة اسمية و كرر فيها المبتدأ
الذى هو وهم حتى صار معناها
و ما يوقنون بالآخرة حق الاقنان

٣ وهى مائتان وثلاثون وست آيات وألف وثلاثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف وسبع مائة وتسعة وتسعون حرفاً

قوله عز وجل (طس تلك آيات القرآن) أى هذه آيات القرآن (وكتاب مبين) أى آيات كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) أى هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلاة) أى الخمس بشرائطها (ويؤتون الزكاة) أى إذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم (وهم بالأسخوة موقنون) يعنى أن هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالأسخوة (أن الذين لا يؤمنون بالأسخوة) خفة فينا لهم أعمالهم (أى العبيثة حتى رأوا ما حسنة وقيل إن الذين هموا أن يخلق الله العلم في الكتاب بما فيه المناقح والذات ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات (فهم بمعهمون) أى يترددون فيها متعيرين (أو أولئك الذين لهم سوء العذاب) أى أشد وهو القتل والاسم (وهم في الآخرة هم الآخسون) أى أنهم خسروا أنفسهم وأهلهم وساروا إلى النار قوله تعالى (وانك لتلقى القرآن) أى تواتره تلقنه وحيا (من لدن حكيم عليم) أى حكيم عليم بما أنزل إليك فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هى العلم بالأمور العلمية فقط والعلم أعظم منه لأن العلم قد يكون علما وقد يكون نظرا والعلم الفظري أشرف (انقال) أى وإذا كرر ما محمد اذ قال (موسى لاهله) أى فى مسيرته بابلهم من مدين إلى مصر (الى أنست) أى ابصرت (ناراسا) تيك من ساجنجر) أى امكثوا مكانكم

(أولاً تيكرب شهاب) بالنورين كوفي أى شعله مضئة (فقس) نار مقبوسة بدل أوصفة وغيرهم شهاب قفس على الإضافة لأنه يكون قفساً وغير قفس ولذا دفع بين قوله سأتيكربنا وأعلى آتيكرب في القصص مع أن أحدهما مترجح ولا خربقن لان الراجح إذا قوى برأيه يقول سأعمل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخبيثة وخبثه بسين النسو يفعدة لاهله أنه يتهجم به وإن أبطاً أو كانت المسافة بعيدة وأبولانه بنى الرجاء على أنه لن يظفر بخباثته بـ يعال بعدم واحدة منهما أما هداية الطريق وأما قباس النار ولم يدركه ظافر على النار بخباثته الكليتين وهما عز الدنيا والآخرة واختلاف الانطافى هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح ٤٨٩ بغير لفظ الزوج (لعلكم تصطلون) تستدفون بالنار من البرد الذى أصابكم والطاء عبد من ناء افتعل لاجل الصاد (فلما جاءها) أى الماراتى أبصرها (نودى) موسى (أن يورك) مخففة من الثقلة وتقديره نودى بانه يورك والضمير ضمير الشأن وجاز ذلك من غير عوض وإن منعه الزخشرى لأن قوله يورك دعاها لدعاء يخالف غيره فى أحكام كثيرة أو مقسرة لأن فى النداء معنى القول أى قيل له يورك أى قفس أو جعل فيه البركة والخير (من فى النار ومن حولها) أى يورك من فى مكان النار وهم الملائكة ومن حول يورك أى يورك من فى مكان مكاها أى موسى لمحدث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنبأؤه وأظهار المعجزات عليه (وسبحان الله رب العالمين) هو من جملة ما نودى فقد نزهته عما يلىق به من التشبيه وغيره (ياموسى) أنه أنا الله العزيز الخبير (الضمير فى أنه للشان) والشان أنا الله مبتدأ وخبر

سأتيكرب خبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق (أولاً تيكرب شهاب قفس) الشهاب شعله النار والقدس النار المقبوسة منها وقيل القدس هو العود الذى فى أحد طرفيه نار (لعلكم تصطلون) أى تستدفون من البرد وكان فى شدة الشتاء (فلما جاءها نودى أن يورك من فى النار) أى يورك على من فى النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من فى طلب النار وهو موسى (ومن حولها) وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تخية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر لفظ النار لان موسى حسبه ناراً ومن فى النار هم الملائكة وذلك أن النور الذى رأى موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقدس ومن حولها موسى لأنه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه يورك النار والمعنى يورك من فى النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس فى قوله يورك من فى النار بمعنى قفس من فى النار وهو الله تعالى عني به نفسه على معنى أنه نادى موسى وأسمعه من جهتها كإرواه مكيوب فى النوراة جاء الله من سيناء واشرف من ساعين واستعلى من جبال فاران ومعنى خبثه من سيناء بعثة موسى فيه ومن ساعين بعثة السح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهى إحدى حب الله عز وجل كما صرح فى الحديث حجاب النار لكشفها لاجتسحت وجبهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المتزهد من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال الله (ياموسى) أنه أنا الله العزيز الخبير (قيل معناه أن موسى قال من المنادى قال أنه أنا الله وهذه تعديلاً أراد الله أن يظهره على يده من المعجزات والمعنى أنا القوى القادر على ما يريد من الآواهم كقلب العصا حية وهو قوله (وأتى عصاك) تقديره فلما قصارت حية (فلما رآها تهتز) أى تهزرك (كانها جان) وهى الحية الصغيرة التى يكثر اضطرابها (ولكى مدبراً) أى هرير من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع ولم يلتفت قال الله تعالى (ياموسى) لا تخف فى لا يخاف لى المرسلون) يريد إذا أمتهتم

٦٢ ن ث والعزير الحكيم صفتان للخبر أو يرجع الى ما دل عليه ما قبله أى أن مكمل أنا والله بيان لانا والعزير الحكيم صفتان للبين وهو تمهيد لما أراد أن يظهر على يده من المعجزات (وأتى عصاك) لتعلم معجزتك فتأنس بها وهو عطف على يورك لان المعنى نودى أن يورك من فى النار وإن أتى عصاك كلاًهما تفسير لنودى والمعنى قيل له يورك من فى النار وقيل له أتى عصاك ويدل عليه ما ذكر فى سورة القصص وإن أتى عصاك بعد قوله أن ياموسى أنى أنا الله على ذكر حرف التفسير (فلما رآها تهتز) تهتز حال من الهاوى رآها (كانها جان) حية صغيرة حال من الضمير تهتز (ولكى مدبراً) أى أدبر عنها وجعلها تلى ظهره خوفاً ومن وثب الحية عليه (ولم يعقب) ولم يلتفت أو لم يرجع يقال قد عقب فلان إذا رجع بقائه بعد أن ولّى فنودى (ياموسى) لا تخف فى لا يخاف لى المرسلون) أى لا يخاف عندى المرسلون حال خطائى إياهم وألا يخاف لى المرسلون من غيرى

(الامن ظلم) أى اسكن من ظلم من غيرهم لان الانبياء لا يظلمون أولئك من ظلم منهم من زل من المرسلين فجاء غير ما أذنت له لما يجوز على الانبياء كافر ط من آدم ويونس ود اودوسلمان عليهم السلام (ثم بدل حسنا) أى اتسع قوته (بعد سوء) زلة (فانى غفور رحيم) أقبل توبته وأغفر زلته وأرجه فاحق أمينه وكان تعريض ما قال موسى حين قتل القبطى رباً إلى ظلمت نفسى فأغفر لى فغفر له (وأدخل يدك فى جيبك) جيب قبضك وأخرجها (فخرج بضياء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) برص وبفساد ومن غير سوء طال ان (تسمع آيات) ٤٩٠ كلام مستأنف وفى متعلق بمحذوف أى اذهب فى تسع آيات أو أوتق

(ولقد آتينا) اعطينا (داود وسليمان علما) طائفة من العلم أو علما سنبأ خبرا أو المراد علم الدين والحكم (وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) والآيات حجة لنا على المعتزلة في ترك الأصل وهنأخذوف ليصح عطف الواو عليه ولولا تقدير الحذف لكان الوجه الفاء كقولك أعطيتهم فشكروا وتقديره آتيناها علما فعلا به وعلما وعرفا حتى النعمة فيه (وقالوا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه) لم يوث علميا أو من لم يوث مثل علمهما وفيما هما فضلا على كثير وفصل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وتقدم جملة وأهلها وان نعمة العلم من أجل ١٩١ التمام وان أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير

من عباده وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثته الانبياء الاملاذ انهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيما انه يلزمهم هذه النعمة الفاضلة ان يحمدوا الله على ما أوتوه وأن يعتقد العالم ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر رضي الله عنه (وورث سليمان داود) ورث منه النبوة والملوك دون سائر بنيده وكانوا تسعة عشر قالوا أوتي النبوة مثل أبيه فكانه ورثه والا فالنبوة لا تورث (وقال باليهما الناس علما منطلق الطير) تشير النعمة الله تعالى واعترافا بحكمتها ودعاء الناس الى التصديق بذكر المجزة التي هي علم منطلق الطير والمنطق كل ما يصوت به المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضهم بعض روي أنه صاحت فاختة فآخبرها تقول ليت ذا الحلق

تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) أي علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجمال وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقالوا الحمد لله الذي فضلنا) أي بالنبوة والكتاب والملوك وتسخير الجن والانس (على كثير من عباده المؤمنين) أراد بال كثير الذين فضلنا عليهم لم يوث علميا أو لم يوث مثل علمهما وفيما هما فضلا على كثير وفصل عليهما كثير وقيل انهما لم يفضلا أنفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع قوله تعالى (وورث سليمان داود) يعني نبوته وعلمه وملكوته دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ما أعطى داود وزيدته تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدًا من سليمان وكان سليمان شاكرا للنعمة الله تعالى (وقال) يعني سليمان (باليهها الناس علما منطلق الطير) سعى صوت الطير منطق المحصول الفهم منه وروي عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أندرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول ليت الخلق ليخلفوا للخراب وصاحت فاختة فقال أندرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق ليخلفوا وصاح طاوس فقال أندرون ما تقول قالوا لا قال انه يقول ليت داود يرحمهم وصاح هدد فقال أندرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من يرحمهم لا يرحمهم وصاح صرد فقال أندرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا بكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال أندرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول كل حي ميت وكل جديد يبال وصاح خطاف فقال أندرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة قال أندرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى مل اسمائه وأرضه وصاح قرى قال أندرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربى الدائم قال والغراب يدعوى على العشار والحدة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقصة تقول من سبكت سلمي والبيعا تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع تقول سبحان ربى القدوس والبازي يقول سبحان ربى ومحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أندرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد البجعي م سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لصاحبه أندرون ما يقول هذا البلب قالوا الله ونبيه أعلم قال انه

لم يخلقه وصاح طاوس فقال يقول كذا تدن تدان وصاح هدد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رجة فقال تقول سبحان ربى الاعلى مل اسمائه وأرضه وصاح قرى فآخبرها انه يقول سبحان ربى الاعلى وقال الحدة آتت قول كل شيء هالك الا الله والقطة تقول من سبكت سلمى الديك يقول اذكروا الله يا فاعلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس

(وأوتينا من كل شيء) المراد به كثر ما أوتي كما تقول فلان بعلم كل شيء ومثله وأوتيت من كل شيء (إن هذا هو الفضل المبين) قوله وأورد على سبيل الشكر كقوله أناس يدولد آدم ولا يخفراي أقول هذا القول شر أولاً لقوله فخرا والنون في علمنا وأوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فسلم ٢٩٢ أهل طاعته على الحال التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك (وحشر)

وجمع (السليمان بن جندود) من الجن
والانس والطسير) روى ان
معه كره كان مائة فرسخ
في مائة فرسخ خمسة وعشرون
الجن وخمسة وعشرون للانس
وخمسة وعشرون للطير وخمسة
وعشرون للوحش وكان له ألف
بيت من قوارير على الخشب
فيها المائة من كروحة وسبع مائة
سرية وقد سجدت له الجن بساطا
من ذهب وبرسم فرخ متخاف
فرسخ وكان يوضع منه في وسطه
وهو من ذهب وقضبة فقهه
وحوله ستمائة ألف كرسى من
ذهب وقضبة فقهه الانبياء على
كراسي الذهب والعلماء على
كراسي النضة وحوله من الناس
وحول الناس الجن والشياطين
وقطله الطير باحتجتها حتى لا يقع
عليه من الشمس وترفع ريح
الصبا بساطا فتسير به مسيرة
شهر ويروى انه كان يامر
الريح العاصف تحمله ويامر
الرخاء تسيره فاحى الله تعالى
اليه وهو يسير بين السماء
والارض الى قد زدت في ذلك
ان لا يسلككم أحد بشئ الا لفته
الريح في سمعكم فيضكي انه م
بحر ان فقال لقد اوى آل داود
لكنا عظمتا لفته الريح في اذنه

يقول أكلت صفترة فعلى الدنيا العفاء وروى أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس
 ما سألوك عن سبعة أشياء أن أخبرتمنا وأصدقنا قال سألوا تعهلا لا تعتنا قالوا
 أخبرنا ما تقول القبر في صفرها والديك في صفرها والضعف في نقيته والجار في نهيقه
 والفرس في صفره وماذا يقول الزرور والدرج قال نعم أما القبر فانه يقول اللهم العن
 بعض محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين وأما الضعف فانه يقول
 سبحان الله المعبود في الجار وأما الجار فانه يقول اللهم العن العشاورا وأما فرسه فانه
 يقول اذا التقى الجمعان سبح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرور فانه يقول اللهم
 انى اسألك قوت يوم يوم يازرق وأما الدرج فانه يقول الرحمن على العرش استوى
 فاسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر الصادق عن ابيه عن جده
 الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال اذا صاح النسر قال بابت آدم عيش
 ما شئت آخرك الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس انس واذا صاح الغنير قال
 الهى العن بعض محمد وآل محمد واذا صاح الخفاف قال الحمد لله رب العالمين وبيد
 العالمين كما يد القارئ وقوله تعالى (واؤنثنا من كل شيء) اى بما اوتى الانبياء والمسلوك
 قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخره وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن
 والشياطين (ان هذا هو الفضل المبين) اى الزيادة الظاهرة على ما عطي غيرنا وروى
 ان سليمان اعطى مشارق الارض ومغاربها فخلق ذلك أربعين سنة فخلق جميع الدنيا من
 الجن والانس والشياطين والطير والدواب والسباع واعطى مع هذه المنطق الطير ومنطق
 كل شيء وفي زمنه صنعت الصنائع الخفية (وحش) اى جمع (السليمان جنوده
 من الجن والانس والطير) من الاماكن الخفية في مبرله (فهم يوزعون) اى يحسبون
 حتى يردوا لهم على آخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقاء تدأر وتعالى آخرها
 ثلاثا يتقدم وافي المسير قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ
 خمسة وعشرون منها لانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة
 وعشرون للطير والفرسخ اثناعشر الف خطوة فالبريد ثمانية وأربعون الف خطوة لانه
 أربعة فراسخ فلهذا ذلك خمسة وعشرون بردا وقيل سميت الجن له باطامن ذهب
 وحرف فسحقا في فرسخ وكان يوضع كرسية في وسطه فيقدم حوله كراسي الذهب
 والفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حوله
 والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع
 عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعنى حرة
 وسبع مائة سري فيأمر الريح العاصف فيفرعه ثم يأمر الرعاة فيسربه وادعى الله اليه

فقرن ومشي الى الحرث وقال اني جئت اليك لثلاثي قال لا تنذر عليه ثم قال لتسبيحه واحدة يقبلها الله وهو
 تعالى خير مما اوتي آل داود (فهم يوزعون) يحبس اولهم على آخرهم اي يوقف سلافا العسكر حتى يلقاهم التوالي ليدكونوا
 مجتمعين وذلك لالكثرة العظيمة والوزع المنع ومعه قول عثمان رضي الله عنه ما رى على السلطان اكثر من ان القرآن

(حتى اذا أتوا على وادي النمل) اي ساروا حتى اذا بلغوا وادي النمل وهو وادي الشام كثير النمل وعدي يعني لان اتيانهم كان من فوق فاتي بحرف الاستعلاء (قالت غلة) عرجاء تسمى طاخية ومنذرة ٤٩٣ وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف

عليه الناس فقال سلوا عما سئتم
فسأله ابو حنيفة رضي الله عنه
وهو شاب عن غلة سليمان كانت
ذكرا أم أنثى فاسم فقال ابو
حنيفة رضي الله عنه كانت أنثى
فقيل له بماذا عرفت فقال بقوله
قالت غلة ولو كانت ذكرا لقال
قال غلة وذلك ان النملة مثل
الحجامة في وقوعها على الذكور
والأنثى فيمن ينهمم بعلمة تنحو
قومهم حجارة ذكر وحجارة أنثى
وهو وهي (يا أيها النمل ادخلوا
مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه
ما جعلها قائله والنمل مذكور لانه
كما يكون في اولي العقل اجري
خطابهن من مجرى خطابهم
(لا يحطمنكم) لا يكسر نكسكم
والحطم الكسر وهو نهى مستأنف
وهو في الظاهر نهى لسليمان
عن الحطيم وفي الحقيقة نهى
لهن عن البروز والوقوف على
طريقه لانه لا يريد ان ينكسهن
لا تحضر هذا الموضع وقيل هو
جواب الامر وهو ضعيف يدفعه
نون التثنية كيد لانه من ضرورات
الشعر (سليمان وجنوده) قيل
اراد لا يحطمنكم جنود سليمان
لما جاءوا بالبعث (وهم لا يشعرون)
لا يعلمون فكانت اى اوشعروا
لم يفعلوا قالت ذلك على وجهه
العدو واصفة سليمان وجنوده
بالعدل فسمع سليمان قولها

وهو يسر بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من الخلائق
بشيء الا جاءته الروح وأخبرك به قوله عز وجل (حتى اذا أتوا على وادي النمل) اي
اشرفوا على وادي النمل وروى عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب جمل اهله
وخدمه وحشمه وقد اتخذهم طابخين وخبازين فبما يتناير الحديد والقدور العظام تسبح كل قدر
عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والارض واتخذ
مبادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوى به فارمن اصطفر يريد البين فسلك على
مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة تني تكون في آخر الزمان
طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد بخاوزه
سليمان فلما جاوزه بكى البيت فآوحى الله اليه ما يريك قال يارب انك في هذا نبي من
انبيائك ومعه قوم من أوليائك واعي ولم يهبطوا ولم يصلوا عندى والاصنام تعبد
حولى من دونك فآوحى الله اليه لا تسلك فاني سوف أمزقك وجوها سعدوا أنزل فيك
قرا ناجديا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب انبيائي الى واجعل فيك عارامن
خلقى بعد موتى وافرض عليهم فربضة يرقون اليك زفير النسر الى وكرها ويجنون
اليك خنين النساق الى ولدها والحمالة الى بيضها وأطهرك من الاوثان والاصنام
واليطمان ثم مضى سليمان حتى مر وادي السدير وادمن الطائف فاتي على وادي النمل
كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشام وقيل هو وادسكنه الجحش وذلك النمل مرا بهم
وقيل ان ذلك النمل أمثال الذباب وقيل كالخفاش والمشهور انه النمل الصغير (قالت غلة)
قيل كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرى (يا أيها النمل
ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالآدميين فخطبوا وخطاب
الآدميين وهذا ليس مستبعد ان يخلق الله فيباعه لاول نطقا فانه قادر على ذلك
(لا يحطمنكم) أى لا يكسر نكسكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) قال أهل التفسير
علمت النملة ان سليمان نبي ليس فيه جبروت ولا ظلم ومعنى الآية انكم لو لم تدخلوا
وطؤوا ولم تشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم احد بشيء
الا جئته الى حيث حتى تلقى به الى مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى
دخلوا بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطام من سليمان وجنوده وهو فوق البساط
على متن الرمح قلت كانتهم أرادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت غلة
لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم ما دامت الريح تحملهم لا يخاف حطهم (فتبسم
ضاحكا منهم قولا) قيل أكثر ضحك الانبياء تسماوا من معنى ضاحكا متبسما وقيل
كان اوله التبسم وأخره الضحك (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى
الله عليه وسلم مستقبعا قط ضاحكا حتى أرى منه فواته انما كان يتبسم عن عبد الله
ابن الحارث بن جرح قال ما رأيت احدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم

من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكا منهم قولا) متبسمين حذرهما واهتداهما لهما وصنعتهما للنمل او فرحا لهما ورعدله
وضاحكا حال مؤكدا لانه تبسم معنى ضحكوا أكثر ضحك الانبياء التبسم كذا قاله الزجاج

(وقال رب اوزعني) المهيئ وحقيقته كفى عن الاشياء الا عن شئك نعمتك (ان اشكر نعمتك التي انعمت علي من النعمة والمالك والعلم وعلى والدي) لان الانعام على الوالدين انعام على الولد (وان اعلم صالحاترضاه) في بقية عمرى (وادخلني برحمتك) وادخلني الجنة برحمتك لايصلح علي اذ لا يدخل الجنة احد الا برحمة كذا جاء في الحديث (في عبادك الصالحين) أي في زمرة انبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى ان النملة احسبت بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان الرمي فوفقت ثلاثا دعرن حتى دخلن مساكنهن ٤٩٤ ثم دعا بالعدوة (ونفق الطير فقال مالي) هي وعلى وعاصم وغيرهم

يسكنون الباء والفتح قد طلب ما غلبت عنك (لا ارى الهدهد أم كان من الغائبين) ام بمعنى بل والمعنى انه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لسايرته أو غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان عليه السلام لما خرج الى اليمن فوافي صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قد قضا فقهه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزحاجة فتستخرج الشياطين الماء فتعقده لذلك وذكر انه وقعت نفخة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجدعده عليه ثم قال لسجد الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فاذا هو ميت فقضه فمناشده الله فتركه فلما قرب من سليمان ارشى ذنبه وجناحيه يحيرهما

آخرجه الترمذي فان قلت ما كان سبب خنك سليمان قلت شيان احدهما ما دل من قولنا على ظهور رحته ورجة جنوده وشققهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا بما يفعلون الثاني سرور عدا ناه الله عما لم يوث احد من ادراك السمع بما قالته النملة وقيل ان الانسان اذا رأى أو سمع ما لا يعهد له به تعجب وخنك ثم ان سليمان جد ربه على ما نمن به عليه (وقال رب اوزعني) اي المهيئ (ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي) وان اعلم صالحاترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي ادخلني في جنتهم واثبت اسمي مع اسمائهم واحشرفني في زمرة من قال ابن عباس يريدع ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل ادخلني الجنة مع عبادك الصالحين قوله عز وجل (وتفقد الطير) أي ظلمها وبحت عنها والمهيئ انه طلب ما تقدم من الطير (فقال مالي لا ارى الهدهد) وكان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه اخلاها بالنور بقوله ذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنسه النعير من الشمس فاصابه الشمس من موضع الهدهد فنظر فراه خاليا وروى عن ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء و يرى الماء تحت الارض كما يرى في الزحاجة يعرف قربه من بعده فينقر الارض فتقيء الشياطين فيخفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الأزرق ياوصاف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحشو عليه التراب فيجىء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب القلب وعي البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبه فلم يجدوه فتعقد الهدهد دليله على الماء فقال مالي لا ارى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه ادركه الشك فقال (ام كان من الغائبين) اي اكان وقيل بل كان من الغائبين ثم اوعده على غيبته فقال (لا عذبته عذابا شديدا) قيل هو ان يتفكر به وذنبه و يلقيه في الشمس ممعا لا يمتنع من النمل ولا من غيره وقيل لا ودعته القفص ولا حبسه مع خبده وقيل لا فرق بينه وبين الفه (أولا) ذبحته أوليا يعني بسطان ميين) اي بحجة بيته على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض المحرم فتجهز للسفر

على الارض وقال يا بني الله اذ كروا فقلت بين يدي الله فارتعد سليمان وعقاعنه (لا عذبته عذابا شديدا) بنفث واستعجب ريشه والقائه في الشمس أو بالفر بين يديه وبين الفه اوبالزأمة خدمة اقرانه أو بالحبس مع اعداده وعن بعضهم أضيق السجون معايشة الاضداد أو بايداعه القفص أو بخرجه بين يدي النمل لياكله وحله تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كحل ذبح البهائم والطير وللاكل وغيره من المنافع واذا سخره الطير ليم التسخير الا لتأديب والسياسة (أولا) ذبحته أوليا يعني بالسكون الثقيلة ليشاكل قوله لا عذبته وحذفون العباد للتعذيب ليا يعني بنون من مكى الاولى لئلا يكدوا الثانية للعماد (سباطان ميين) بحجة له

واستعجب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فخلتهم ثم الرمح فلما وافى الحرم
 أقام ماشاء الله ان يقيم وكان في كل يوم يحترطون مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة
 آلاف ثور ووعشرين ألف شاة وقال لمن يحضر من أشرف قومه ان هذا المكان يخرج
 منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيئته مسيرة
 شهر القريب والبعد عنده في الحق سواء لا تأخذ في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يتدين
 يا نبي الله قال بدين الخنيفية فطوى لمن ادركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي
 الله قال مقدار ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء ونخاتم الرسل قال فاقام
 بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صبا نحو سار نحو اليمن فوافى صنعاء وزوالاى
 وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسنة تره وخضرها فاحبب النزول بها لصلى
 ويتعدى فلما نزل قال الهدهد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى
 الدنيا وعرضها فينمى ما هو ينظر فيمينا وشمالا رأى بسبنا بلقيس فزل اليه فاذا هو
 بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعرف واسم هدهد اليمن يعرف فقال يعقوب يعرف
 من أين أقبلت وابن تربد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن
 سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين
 أنت يا يعقوب قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأه يقال لها بلقيس وان
 لصاحبك ملك عظيم ولكن ليس ملك بلقيس دونها فاتها ملك اليمن ونجحت يدها
 أربع مائة ملك كل ملك على كور ومع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلث مائة وزير
 يدبرون ممالكها ولها ثلث مائة ألف قائد مع كل قائد ثلث مائة ألف مقاتل فقول أنت
 منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال أخاف أن يفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا
 احتاج الى الماء قال الهدهد يا نبي ان صاحبك يسره ان تاتيه بجحر هذه المائدة قال فانطلق
 معه ونظر الى بلقيس وملكها وأما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الانس
 والجن فلم يعلموا ففقد الهدهد فلم يره فدلعا يعرف الطير وهو الذسر فسأله عن الهدهد
 فقال أصلح الله الملك ما أدري اين هو وما رسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لا عذبه
 الاية ثم دعا العقاب وهو أشد الطير فقال له على بالهدهد هذه الساعة ترفع العقاب في
 الهوا عني رأى الدنيا كالقفة بين يدي احدكم ثم التفت فيمينا وشمالا فرأى الهدهد
 مقبلا من نحو اليمن فانتقض العقاب يريده فعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال
 له بحق الله الذي قواك واقدرك على الامار جئني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب
 وقال ويحك شككتك أملك ان نبي الله قد حلف ان يعذبك او ان يذبحك ثم طار امتوجهين
 نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا بلك أين غبت في يومك
 هذا فقلعت تودعك نبي الله واخبره بما قال سليمان فقال الهدهد او ما استثنى نبي الله قالوا
 بلى واكنه قال اوليا نبي سلطان مبين قال نحو اذا فانطلق به العقاب حتى اتيا
 سليمان وكان قاعا على كرسية فقال العقاب قد أتيتك يا نبي الله فلما اقرب منه الهدهد
 رفع رأسه وارحن ذنبه وجناحيه يحرقهما على الارض تواضعا سليمان فلما داناهم اخذ

فيها عذر ظاهر على غيبته
 والاشكال انه حلف على أحد
 ثلاثة أشياء انما منها فعله ولا
 مقال فيه والثالث فعل الهدهد
 وهو مشكل لانه من أين درى
 انه يأتي سلطان حتى قال والله
 ليأتيني سلطان وجوابه ان
 معنى كلامه ليكون أحد
 الامور يعني ان كان الاتيان
 بالسلطان لم يكن تعذيب ولا
 ذبح وان لم يكن كان أحدهما
 وليس في هذا ادعاء دراية

أى مكنا غير طويل أو غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكنته بقصر المدة للدلالة على اسرعه خوفا من سليمان فلما رجع سال عما قفي في غيبته (فقال احطت) علمت شيئا من جميع جهاته (بما لم يحط به) الحمد لله الهدد فكشف سليمان بهذا الكلام مع ما أوتي من فضل النبوة والعلوم الشجرة ابتلاء له في علمه وفيه دليل بطلان قول الرافضة أن الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه (وجئت من سبا) غير منصرف أبو عمرو جعله اسمًا للقبيلة أو المدينة وغيره بالتووين جعله اسما للحي أو الأبالا الكبير (بنيا يقين) النبا الحبيب الذي له شان وقوله من سبا بنيا من محاسن الكلام وسمى البدع وقد حسن وبدع لغزا ومعنى ههنا الاترى انه لو وضع مكان نبيا بخبر لسكان المعنى صحيحا وهو كخاء أصح لما في النبا من الزيادة التي يهاق بها وصف الحال (اني وجدت امرأة) هي بلقيس بنت شراحيل وكان أبوهم ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرهما فقبلت على الملك وكانت هي وقومها يحوسا بعددون الشمس والضمير في (تلكهم) راجع الى سبا على تأويل القوم أو أهل المدينة

رأسه فهداه اليه وقال له أين كنت لا عذبتك عذابا شديد فقال يا بني الله اذ كرو قوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتدوعوا فعاغته ثم قال ما الذي ابطاك عني فقال الهدد ما أخبر الله عنه بقوله تعالى (فكش غير بعيد) معناه أى غير طويل (فقال احطت بما لم تحط به) أى علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ انت ولا خوندك اللهم الله الهدد ههنا هذا الكلام فكشف سليمان تبنيها على ان ادنى خلق الله قد احاط علما بما لم يحيط به ليكون لطفاله في ترك الاعجاب والاحاطة بالشيء علما ان يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه منه معلوم (وجئت من سبا) قيل هو اسم للبلد وهي مأرب والأصح انه اسم رجل وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا فقال رجل له عشرة من النسنين ثمان منهم ستة وتساءم اربعة (بنيا) أى نخبة (يقين) فقال سليمان وما ذاك فقال (اني) أى الهدد (وجدت امرأة تلكهم) هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوهم ملكا عظيم الشأن قد ولد له اربعون ملكا هو آخرهم وكان ملكا ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منهم كغوثي واني ان يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ربحانة بنت السكر قيل في سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم انه كان كثير الصدقة فباع اصداها الجن وهم على صورة الطيلاء فجنى عنهم ففهمه له الملك الجن وشكره على ذلك واتخذوه صدقا فخطب ابنته فزوجها اياها وقيل انه خرج متصيذا ف رأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصحب عليها الماء فافاقت واطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فادام معه شاب جميل تخاف منه قال لا تخف انا الحجة البيضاء التي احببتني والاسود الذي قتله هو عبد لنا قتل عدونا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجها ابنته فولدت له بلقيس وجاء في الحديث ان احد أبوي بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك وطلبت قومها ان يبيعوها فاطاعها قوم والى آخرون وملكوا واعلمهم رجلا آخر يقال انه ابن اخي الملك وكان خبيثا سيئ السيرة في أهل مملكته حتى كان يذبده الى حريم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعهم فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فاسلست اليه فعرضت نفسها له فاحبها الملك وقال ما منغني أن ابنتك بالخطة الا لئلا يس منك فقالت لا أرغب عنك لانك كفو كريم فاجع رجلا أهلي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها فقالوا انراها تعمل فقال بل انها قد رغبت في فذ كروا ذلك لها فقاتلت نعم فزوجوها منه فلما فوئت اليه خرجت في ملا كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت به سقته انجر حتى سكر ثم قتله وخرن رأسه وانصرفت الى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت الى وزرائه وأحضرتهم وقرعتهم وقالت اما كان فيكم من ينافلكي يمتهاو كراثم عشرينه ثم اترهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا لا ارضى غيرك فذكروا هو اعلا ان ذلك النكاح كان مكرأ وخذيعه منها (خ) عن أبي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله

(وأوتيت) حال وقدمه قدوة (من كل شيء) من اسباب الدنيا ما يليق بحالها (وله اعرض) سر بر (عظم) كبير قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا وطوله في الهواء ثمانون ذراعا وكان من ذهب ونفضة وكان مرصعا بأنواع الجواهر وقوائمه من باقوت أحر وأخضر ودوروزم ذو عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك وقد اخفى الله تعالى على سليمان ذلك الصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب عليه السلام (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) ٤٩٧

لا يهتدون) إلى الحق ولا يعبدون الهدى الهدى التي معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الهام من الله كما الهمة وغيره من الطيور وسائر الحيوان المذمارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الزجاج العقول يهتدون لها (ألا يسجدوا) بالنشد يدعى فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا وخذف الحار مع أن اودعت النون في اللام ويجوز أن تكون لامزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا والتخفيف يزيد على وتقديره الأياها ولا يسجدوا فالألتباسية و يكون بالنداء ومناداة محدوف فنشد لم يقف الاعلى العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الأياها يسجدوا او وقف على الأيا ثم ابتدأ يسجدوا ومجدة التلاوة واجبة في القراءة بين جميعا بخلاف ما يقوله الزجاج انه لا يجب

عليه وسلم أن أهل فارس قدموا عليه بنت كسرى قال إن يفلح قوم ملأوا أعليهم امرأة قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) يعني ما يحتاج إليه المملوك من المال والعدة (وله اعرض عظيم) أي سر بر ضخام عال فان قلت كيف استعظم الهدى عرشها على ما رأى من عظمت ملك سليمان قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن سليمان مع عظم ملكه مله وكان عرش بلقيس من الذهب مكال بالادرو والياقوت الاحمر والزبد الاخضر وقوائمه من الياقوت والزمر ذو عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السماء ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله ثمانين في ثمانين وعلمه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا قوله عز وجل اخبر اراص الهدى (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك انهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان أعمالهم) المزين هو الله لانه الفعال لما يريد انما ذكر الشيطان لانه سبب الاغواء (فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق الذي هو دين الاسلام (فهم لا يهتدون) أي إلى الصواب (ألا يسجدوا) قرئ بالتخفيف ومعناه الا يا ايها الناس اسجدوا وهو أمر من الله مستأنف وقرئ بالنشد يدوم معناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا (الله الذي يخرج الحب) يعني الحق (الحب) في السموات والارض) قيل خبء السموات المطر وخبء الارض النبات (و يعلم ما يخفون وما يعلمون) والمتن ومن هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيره من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على في السموات والارض عالم بجميع المعلومات (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره (فصل) * وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى أمثالها من ملوك الدنيا وما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدى من كلامه (قال) سليمان (سننظر أصدقت) أي فيما أخبرت (أم)

ن ث السجود مع التشديد لان مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لآتيها أو ذم لتأخرها واحدى القراءتين أمر والاخرى ذم للتأخر (الله الذي يخرج الحب) سمي الحب بالمصدر (في السموات والارض) قتادة خبء السماء المطر وخبء الارض النبات (و يعلم ما يخفون وما يعلمون) وبالتناء فيهما على وحفص (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وصف الهدى عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالاضافة الى عروش انبياءه من الملوك الى ههنا كلام الهدى فلما فرغ من كلامه (قال) سليمان لله هدى (سننظر) من النظر الذي هو التأمل (أصدقت) فيما أخبرت (أم كتب من الكاذبين) وهذا ابلغ من أم كذبت لانه اذا كان معروفا بالافتراء في سالك الكاذبين كان كاذبا بالاحالة وان كان كاذبا

اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوفق به ثم كتب سليمان كتابا بصورته من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا
 بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلموا على واتوني مسلمين وطبعه بالسلطنة وختمه بخاتمه وقال
 لله دهد (اذنب بكتاني هذا قلته) ٤٩٨ يسكون الهاء تخفيفا ويوعرو وعاصم وخزعة وتختلفها كسر التبدل الدسرة

على الباء المحذوفة يزيدون قالون
 ويعقبون فآلهة تبايها
 الباء غيرهم (الهم) الى بلقيس
 وقومها لا نهذ كرههم مع هاء في
 قوله وجدتها وقومها يستجدون
 للشمس وبني الخطاب في الكتاب
 على لفظ الجمع لذلك (ثم تول
 عنهم) تبع عنهم الى مكان
 قريب بحيث تراهوا ولا يرونك
 ليكون ما يقولونه يسمع منك
 (فاظنر ما ارجعون) ما الذي
 يردونه من الجواب فأخذ
 الهدد الكتاب بمقارعه ودخل
 عليها من كوة فطرح الكتاب
 على نحرها وهي راقدة وتوارى
 في الكوة فانتهت فرعة أو أتاها
 والمجدوحوا اليها فرفرف ساعة
 واتى الكتاب في حجرها وكانت
 قارئة فلما رأت الحاتم (قالت)
 لقومها خاضعة خائفة (يا أيها
 الملائكة) وفتح الساء مدني
 (أتى الى كتاب كريم) حسن
 مضموه ومافيه أو مخموم قال
 عليه الصلاة والسلام كرم
 الكتاب ختمه وقيل من كتب
 الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد
 استخف به أو مضد بسم الله
 الرحمن الرحيم أولانه من عند
 ملك كريم (انه من سليمان
 وانه بسم الله الرحمن الرحيم) هو
 تبين لما أتى اليها كتابا قالت اني التي الى كتاب كريم قبل لها من هو وما هو فقالت انه من سليمان
 وانه كيت وكيت وأن في (الاعلوا) لا ترفعوا (على) ولا تكبروا كما تفعل الملوك فسمعه كقوله وانطلق الملاء منهم أن امشوا
 يعني أي امشوا (واثنوني مسلمين) مؤمنين أو متقدين وكتب الانبياء عمنية على الاميار والاختصار (قالت يا أيها الملاء)

كنت من الكاذبين) ثم ان الهدد لهم على الماء فاحتروا الركايا وروى الناس والدواب
 ثم ان سليمان كتب كتابا بصورته من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم
 الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد ان لا تعلموا على واتوني مسلمين
 قيل لم يزد على ما نص الله في كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جمالا لا يطيلون ولا
 يكثر وزن فلما كتب سليمان الكتاب بطبعه بالسلطنة وختمه بخاتمه (قال لله دهد) اذهب
 بكتاني هذا فآلهة (الهم) لفظ الجمع لانه جعله جوابا لقوله الهدد وجدتها
 وقومها يستجدون للشمس فقال فآلهة الى الذين هذاد بينهم (ثم تول عنهم) أي تغ عنهم
 فتقف قربهم منهم (فاظنر ما ارجعون) أي يردون من الجواب وقيل تقدير لا ية فآلهة
 اليهم فآظنر ما ارجعون ثم تول عنهم أي انصرف الى فأخذ الهدد الكتاب واتى به
 الى بلقيس وكانت ارض ماورد من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدته هائجة
 مستلقية على قفاها وقد غلفت الابواب وضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت
 تفعل اذ اردت فأتى الهدد واتى الكتاب على نحرها وقيل جل الهدد الكتاب
 بمقارعه حتى وقف على المرأة وحولها القادة والوزراء والمجدوف رفرف ساعة والناس
 ينظرون فرغت بلقيس رأسها فألقى الكتاب في حجرها وقال وهب من منبه كانت لها
 كوة مستتلة الشمس تقع فيم حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها على الهدد وسد
 الكوة بختمه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطلت الشمس قامت تنظر فرمى
 بالخطبة اليها فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الحاتم ارتعدت وخضعت
 لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت
 الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد وجاءت هي حتى قدمت على سرير ملكها وجمعت الملاء
 من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قبل مع كل قبل مائة ألف
 والقبل مائة دون الملاء الا عظم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا
 كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما اجأوا وأخذوا بحالهم (قالت لهم بلقيس) يا أيها
 الملاء اني أتى الى كتاب كريم قيل سمعته كرمي لانه كان مخموما روى ابن عباس عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كرم أي شريف لشرف
 صاحبه ثم بينت عن الكتاب فقالت (انه من سليمان) قرأت المكتوب فيه فقالت (وانه
 بسم الله الرحمن الرحيم) فان قلت لم يقدم انه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو كذلك
 بل ابتدأ سليمان بسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكر بسم الله في هذا الكتاب من سليمان
 ثم ذكر ما في الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعلموا على) قال ابن عباس
 لا تكبروا على والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلوا والتكبر (واثنوني
 مسلمين) أي طاعة من مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد (قالت يا أيها الملاء)

أفتوني في أمري) أشير وأعلى في الأمر الذي نزل بي والقوى الجواب في المحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاوى السن والمراهمنا القوتى الإشارة على ما عندهم من الرأي وقصد ما بال جوع إلى استشارتهم تطيب أنفسهم لما ألهاهم ويقوموا معها (ما كنت قاطعة أمرا) فاصلة أو عصبية حكما (حتى تشهدون) بكسر النون والفتح تخمين لأن النون انما تنفتح في موضع الرفع وهذا في موضع النصب واصله تشهدونى فحذفت النون الاولى للنصب والياء دلالة الكسرة عليها وبالباقي الوصل والوقف يعقوب أى تحضرونى أو تشهدونى أنه صواب أى لا ابت الأمر بالبحر كقول كان أهل مشورتنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف (قالوا) مجيبين لها (نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) أرادوا بالقوة قوة الاحساد والاولا بالباس النجدة والبلاء في الحرب (والامر اليك فانظري ماذا تأمرين) أى موكل اليك ونحن مطعون لأفخر بنابك نطعن ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأى والمشورة وأنت ذات الرأى والتدبير فانظري ماذا ترين تتبع رأي فلما أحسنت منهم الميل إلى المخاربة مالت إلى المصاحبة وربتت الجواب فزيت أولا ماذا كرهوا رتبهم الحظافة حيث (قالت ان الملك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (أفسدوها) خر بها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) اذلوا أعزتها وأهانوا أشرفها وقتلوا ٤٩٩ وأسروا فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم

قالت (وكذلك يفعلون)

أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك وراى ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهديعة وما رأيت من الرأى السديد وقيل هو تصديق من الله لقلها واحتج الساجي في الارض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر وإذا احتج بالقرآن على وجه القبح بفساد قد جع بن كافرين (وانى رسالة اليهم هدية) أى رسالة رسولانية (فناظرة) فتنظرة (جم) أى عا

أفتوني في أمري) أى أشير وأعلى فيما عرض لي (ما كنت قاطعة أمرا) أى قاضية وقاضية (حتى تشهدون) أى تحضرون (قالوا) يعنى الملا مجيبين لها (نحن أولوا قوة) أى فى الجسم على القتال (وأولوا بأس شديد) أى عند الحرب وقيل أرادوا بالقوة كثرة العدد والباس والشجاعة وهذا تعرض منهم بالقتال أى أمرتهم بذلك ثم قالوا (والامر اليك) أيها الملك أى في القتال وتركة (فانظري ماذا تأمرين) أى تجدينا مطيعين لأمرك (قالت) بلقيس مجيبة لهم عن التعرض للقتال وما يؤل اليه أمره (ان الملك اذا دخلوا قرية) أى عنوة (أفسدوها) أى خر بها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أى أهانوا أشرفها وكبراءها حتى يستقيم لهم الامر تحذروهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بالهدى ثم تنهى الجبر عنها هنا وضدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أى كما قالت هى يفعلون وقيل هو من قولها وهو للآ كيد ما قالت ثم قالت (وانى رسالة اليهم هدية) أى إلى سليمان وقومه أصانعهما على ملكي واختبره بها أملك هو أم نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرصه معا إلا ان تتبعه في دينه وهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة

لأن الالف تحذف مع حرف الجر في الاستفهام (يرجع المرسلون) بقولها أمر بها لتأمر عادت الملك وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا قبلها وانصرف وان كان نبيا ردها ولم يرص منا إلا ان تتبعه على دينه فبعثت تحسنا ثم غلام عليهم نياح الجوارى وحلين را كى خيل مغشاة بالدياج الجهم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسة مائة حارية على رماق زى العلمان وألف بلقمة من ذهب وفضة وتاجا مكلالا بالدر والياقوت وحفاة درة عذراء وخزعة معجزة الثقب وبعثت رسلا وامت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله تعالى بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فخير بين الوصفاء والوصائف واخبر بما في الحق وانتهب الدرنة ثوبا واسلك في الخزنة خيطا ثم قالت للذران نظري اليك نظري غضبان فهو ملك فلا يهولك منظره وان رأيت به شاشا لطيفا فهو نبي فأقبل الهدى وهدوا خبير سليمان المخبر كاهن سليمان الجن فضرى النبات الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا مشرفه من الذهب والفضة وأمر باحسن الدواب البرو البحر فرطوها عن بين الميدان وبسار على اللبانات وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فقيموا عن اليمين واليسار ثم قد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروى على اللبن رملوا بما معهم من الهدايا

قد ساست الامور وجر بتهافا هدت وصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة وصيف
ومائة وصيفة قال وهب وغيره عدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية قالست
الجواري لبس العلمان الاقيسة والمناطق والبست العلمان لبس الجواري وجعلت في
أيديهم أساور الذهب وفي أعناقهم اطواق الذهب وفي آذانهم أقراطه وشعر فامر صعات
بانواع الجوواهر وجعلت الجواري على خمسمائة رمة والعلمان على خمسمائة رذن على
كل فرس سرسج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشيت الديباج وبعثت اليه لبنات من
الذهب ولبنات من الفضة وتاجاه كالانادر والياقوت وأوسلت بالملك والعنبر والعود
البليخوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة بقيمة ثمانية غيرة مثقوبة وخزوة رخ معوجة
الثقب ودعت رجلا من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجلا من
قومها أصحاب عقل ورأى وكتبت مع المنذر كتابا تذكريه فيه الهدية وقالت ان كنت نسا
مير بين الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما في الحق قبل ان تفتحه وأثقب الدرة ثقباً
مستويما ودخل في الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس العلمان
فقالا اذا كنتم سليمان فكلوه بكلآم أنيث وتحنث يشبهه كلام النساء وأمرت
الجواري أن يكلمه بكلآم فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل
ذا دخلت فان نظرا اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا تمروا به ومنظره فانا أعز
منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فافهم انه نبى فتقهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول
بالهدايا وأقبل الهدى مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضر بوابنا
من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وان يفرشوا من
الذهب والفضة وان يخلوا مقدار ثلاث اللبنة التي معهم وان يعملوا حائطا من
الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أى دواب البر والبحر أحسن فقالوا يا نبى الله ما رأينا
أحسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة ألوانها لها أجنحة واعراف ونواص قال
على بها الساعة فاتوا بها قال شدوها بين عين الميدان وشماله ثم قال للجن على باولادكم
فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم على عين الميدان وشماله ثم قدس سليمان في مجلسه على سريره
ووضع له أربعة آلاف كرسي على عين الميدان وعلى شماله وأمر الانس والجن والشياطين
والوحوش والطيور والسماع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميدان
ونظروا الى ملك سليمان رأوا أقل الام الدواب التي لا يرى مثلها تروث في لبنة الذهب
والفضة فلما رأوا ذلك تقاصرت أنفسهم وخبروا امامهم من الهدايا وقيل ان سليمان
فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم
من اللبن في ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع اللبنة خالبا خافوا ان تهوا بذلك
فوضعوا امامهم من اللبن في ذلك الموضع ولما رأوا الشياطين هالمهم ماروا وفرعوا
فقال لهم الشياطين جوزوا بالأسر عليكم فكانوا يمررون على كرايس الانس والجن
والرحش والطيور حتى وقفوا بين يدي سليمان فأقبل عليهم بوجه طلق ونقاهاهم تلقيا
حسنا وسألهم عن حالهم فاخبرهم رئيس القوم بما جأوا فيه واعطوه كتاب الملكة فنظر فيه

ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه طلق فاعطوه كتاب المسكة فنظر فيه وقال ابن الحق فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة واخذت دودة بيضاء الخطب بفيها ونفذت فيها ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياح - فده يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للندرا رجع اليهم (فلما جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان قال اتدوني بحال) ذنوبه وانبات الباع في الوصل والوقف مكي وسهل واقفه ما مدني وأومع وروفي الوصل اتدوني جزوة يعقوب في الحالين وغيرهم بنونين بلالا فيهما والخطاب للرسول (فما تاني الله) من النبوة والملئ النعمة وفتح الماء مدني وأومع ووجع (خير مما تأتم) من اخاف الدنيا (بل اتهم بهديتكم ترحون) الهدية باسم الهدى كما أن العطية اسم العطى فضاف الى الهدى والمهدي له تقول هذه هدية فلان ٥٠١ ترديده الى أهله أو أهله اليه والمعنى

ان ما عندى خير مما عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستراد عليه فكيف يرضى مثلي بان عبد مال بل انتم قوم لا تعلمون الاظاهرا من الحياء والدنيا فلذلك ترحون بما تزدون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همته وحال خلاف حالكم وما ارضى منكم شي ولا افرح به الا بالايام وتترك الخوسنة والفرق بين قولك اتدوني بحال وأنا غنى منكم وبين ان تقول له بالقاء انى اذا قلته بالواو جعلت مخاطبي عالما بزيادتي في الغنى وهو مع ذلك يمدني بحال واذا قلته بالقاء فقد جعلته بمن خفت عليه حالى فانما اخبره الساعة بما لا يحتاج معه الى امداده كنى اقول له انك عليك ما فعلت فاني غنى عنه وعليه ورد فآتاني الله ووجه الاضراب

وقال ابن الحق فاقى به خبر كه خفاء مجبر بل فاخبره بما فيه فقال لهم ان فيه دوة مخنة غير مثقوبة وخزفة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فانتب الدوة ودخل الخطب في الجرعة فقال سليمان من لي بمقها غسال الانس والجن فليكن عندهم علم ثم سأله الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما جاءت الارضة اخذت شعرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لسليمان ما حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لي بهذه الخزفة فقال دودة خضاء انما انا مني الله فاخذت الدوة الخطب في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لسليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين العلمان والجواري بان امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فغسلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيديه ويغسل به وجهه وهكذا كانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فيميز بين العلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما اخبر الله تعالى فقال تعالى (فلما جاءه سليمان قال اتدوني بحال فآتاني الله) أى ما عطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك (خير) أى افضل (مما تأتم بل انتم بهديتكم ترحون) معناه انتم اهل مفاخر ومكاثرة بالدنيا ترحون بالهداء بعضكم الى بعض واما أنا فلا فرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لان الله قد اعطاني منها ما لم يعط أحدكم ومع ذلك أكرمى بالدين والنبوة ثم قال للندرا بن عمرو وأمير الوفد (ارجع اليهم) أى بالهدية (فلما أتيتهم بجنود لا قبل) أى لا طاقة (لهم بها ولتخرجهم منها) أى من أرض سبا (أذلة وهم صاغرون) أى ان لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من اهل الكتاب لما رعت رسول بلقيس اليها أى من عند سليمان وبلغوها ما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ما هذا ملك وما انتابه من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليكم بملوك قومي حتى انظر ما امركم وما الذى تدعوا اليه من دينك ثم اخرجت بعشرها فجعلته في آخسمة ابيات بعضها

أنما أنكر عليهم الامداد وعلم انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذى جعلهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التى لا يعلمون غيرها (ارجع اليهم) خطاب للرسول أو الهدى بهد مجازا كذا بان آخر اليهم انت بلقيس وقومها (فلما أتيتهم بجنود لا قبل لهم بها) لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لا يقدرون ان يقابلوهم (ولتخرجهم منها) من سبا (أذلة وهم صاغرون) الذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والمالك والصغار أن يعقوا في أسر واسعة ببلادهم ارجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هرونى ومالنا به طاقة ثم جعلت عرشها في آخسمة ابيات وغلقت الابواب وولدت به حراسا يحفظونه وبعثت الى سليمان انى قادمة اليك لانظر ما الذى تدعوا اليه وشخصت اليه في اثني عشر ألف فيل تحت كل فيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان

(قال يا أيها الملائكة ما تدني بعرشها قبل أن ياتوني مسلمين) أراد أن يهاب ذلك بعض ما خصه الله تعالى به من إجرائه العجائب على يده مع إطلاعه على عظيم قدرة الله ٥٠٢ تعالى وعلى ما شهد للنبوة سليمان أو أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها

إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وهذا بعيد عند أهل التحقيق أو أراد أن يوثق به فينكر ويغير ثم نظرا لثبته أم تشكره اختصارا لعنتها (قال عفر يت من الجن) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس حكمك وقضائك (واني عليه) على جلته (أقرى أميين) أتى به كما هو لا أخذه منه شيئا ولا أدله فقال سليمان عليه السلام أريد أعمل من هذا (قال الذي عنده علم من الكتاب) أي ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفر يت أوجب لي عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ أو الخضر أو صف بن برخيا كاتب سليمان وهو الأصغر وعليه أسجود وكان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به اجاب وهو ياحي باق يوم إذا الجلال والأكرام أو بالهناء والكل شئ الهاء واحد الاله الأنت وقيل كان له علم بجماري الغيوب الهام (أنا أتيتك به) بالعرش وأتيتك الموضوعين يجوز أن يكون فعلا أو اسم فاعل ومعنى قوله (قبل أن ترد إليك طرفك) أنت ترسل طرفك إلى شئ فقبل أن ترمده أصبحت العرش بين يديك وروى أن أصف قال سليمان

دخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب وكانت بهر اسما يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسر ملكي لا يخلص إليه أحد ثم أمرت مناديا نادى في أهل ملكها تؤذنه بالرحيل وتخصت إلى سليمان في اثني عشر الف قبل من ملوك اليمن كل قبل تحت يده ألوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يتدأ بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يومًا فجلس على سريره فسمع رجلا قريبًا منه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منها بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملائكة ما تدني بعرشها قبل أن ياتوني مسلمين) قال ابن عباس يعني طائعين وقيل مؤمنين قيل غرض سليمان في احتضار عرشها ليرها بقدرة الله تعالى وإظهار معجزة الله على نبوته وقيل أراد أن ينكره وبغيره قبل مجيئه ليعتبر بذلك عتقها وقيل أن سليمان علم أنها ان أسلمت يحرم عليه ما لها فأراد أن يأخذ سرها قبل أن يحرم عليه أخذها لأنه أعجبه وصفه لما وصفه له المهدد وقيل أراد أن يعرف قدر ملكها لأن السرير على قدر المملكة (قال عفر يت من الجن) وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفر يت الداهية قال وهب اسمه كودي وقيل ذكوان وقيل هو خضر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) أي مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له في الغداة مجلس يقضى فيه إلى مسرع النهار وقيل نصفه (واني عليه) أي على جلته (قوى أميين) أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد اسم عن ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) قيل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله سليمان وقيل هو أصف بن برخيا وكان صدقًا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به اجاب وإذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لأنه أعلم بنى إسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علمًا وفهمًا فعلى هذا يكون الخطاب للعفر يت الذي كله فأراد سليمان إظهار معجزة ففهمهم أولًا ثم بين العفر يت أنه يتأتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفر يت قيل كان الدعاء الذي دعا به إذا الجلال والأكرام وقيل ياحي باق يوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب اللهم انا والله كل شئ الله واحد الاله الأنت ائتني بعرشها وقال ابن عباس أن أصف قال سليمان حين صلى مدينيك حتى ينتهي طرفك فجلس سليمان عنده ونظر نحو اليمن ودعا أصف فبعث الله الملائكة فخلعوا السرير يحرقون تحت الأرض حتى نبع من بين يدي سليمان وقيل خر سليمان ساجدًا ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال ما قال (أنا أتيتك به قبل أن ترد إليك طرفك) قال سليمان هات قال أنت ائتني ابن النبي وإيس أحد عند الله أو جهنمك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فغاب العرش في الوقت (فلما رآه) يعني رأى سليمان العرش (مستقرًا عنده) أي تحولا إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف

عليه السلام مدينيك حتى ينتهي طرفك فجلس سليمان عليه ففعل ذلك فغاب العرش في قدر ارتداد الطرف (قال) مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرد طرفه (فلما رآه) أي العرش (مستقرًا عنده) ثابتًا لا يدغير مضطرب

(قال هذا) أى حصول رادى وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف (من فضل رضى) على واحسانه لى بالاستحقاق منى بل هو فضل خال من العوض صاف عن الغرض (ليلو رضى) ليجتنب الشكر انعامه (ام) كفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه يحيط به نعمها عجب الواجب ونصونها عن سمة الكفران ويستحب به المازى يورببط به النعمة فاشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المنقودة وفي كلام بعضهم ان كفران النعمة بواروقلما اقتضت نافرة رجعت في نصاها فاستدع شاربها بالشكر واستدمر انها بكم الجوار واعلم ان سبع و ٥٣ ستر الله تعالى متقص عما قرب اذا انت

لترجى الله وقادرا لى شكر الله نعمته (ومن كفر) بتلك الشكر على النعمة (فان رضى غنى) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطى ما كان منافع الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو المناولة المتى والفضل علينا (قال نكروا الهامر شها) غيروا أى اجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله (نظر) بالجزم على الجواب (أهتدى) الى معرفة عرشها وللجواب الصواب اذا سئلت عنه (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت) بنفس (قيل أهكذا عرشك) هالالتبيه والكاف للتشبيه وذا اسم اشارة ولم يقل أعذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا (قالت) كانه هو (فاجابت أحسن جواب فلم يقل هو هو ولا ليس به وذلك من راحة عقلها حيث لم تقطع في التحتمل للامر بن اولها شهورا عليها بقولهم أهكذا عرشك شمت عليهم بقولها كانه هو مع انها علمت انه

قال هذا من فضل رضى ليلو رضى) يعنى التمكن من حصول المراد (أشكر) أى نعمته على (أم) كذا فلا اشكرها (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) أى يعود نفع شكره اليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المنقودة (ومن كفر فان رضى غنى) أى عن شكره لا يضره ذلك الكفران (كريم) أى بالافضل عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قال نكروا الهامر شها) يعنى غيروا سر بها الى حال تشكره اذ ارأته قبل هو ان يزدقيه أو يتقص منه وقيل انما يجعل اسفله اعلام ويجعل مكان الجوهر الاخر اخضر ومكان الاخضر أحر (نظر أهتدى) الى معرفة عرشها (أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته وانما جل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب وغيرهما أن الشياطين خافت أن يتزوج هاديمان فتعشى اليه أسرا را لجن لان امها كانت حنينة واذ اولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساوا للثنا عليها بالزهد وهب فيها وقالوا ان فى عقلها شيئا وان رجلاها كحافر الجوار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتسكير عرشها ونظر الى قدمها ببناء الصرح (فلما جاءت قيل لها) أهكذا عرشك قالت كانه هو (قيل انها عرفته) ولكن شمت عليهم كشره واعلمها وقيل انها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب ولا قالت لا خوفا من التكذيب أيضا فقالت كانه هو وعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقرو لم تذكره وقيل اشبهت عليها أمر العرش لانها تركته في بيت عليه سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فاعنى عندك اغلاق الابواب ثم قالت (وأوتينا العلم من قبلها) أى من قبل الآية فى العرش (وكنا مسلمين) أى متقادين مطاعين خاضعين لامر سليمان وقيل قوله تعالى وأوتينا العلم أى بالله وبحكمة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من امر الهدد والرسول من قبلها أى من قبل الآية فى العرش وكنا مسلمين وأمعناهم وأوتينا العلم بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه أن خصه عز يد العلم والتقدم فى الاسلام وقيل معناها وأوتينا العلم بالاسلام ومحبتها طاعة من قبل محبتها طاعة وكنا مسلمين لله قوله تعالى (وصدناها ما كانت تعبد من دون الله) أى منعتنا عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدناها سليمان عما كانت تعبد من دون

عرشها (وأوتينا العلم من قبلها) من كلام بلقيس أى وأوتينا العلم بقدرته تعالى وبحكمة نبوته بالآيات المتقدمة من أمر الهدد والرسول من قبل هذه المجزة أى احضار العرش او من قبل هذه الحالة (وكنا مسلمين) متقادين لك متطيعين لا نمر لك او من كلام سليمان وملائكة عطفوا على كلامها قوههم وأوتينا العلم بالله وقدرته وبحكمة طاعه من عنده قيل علمها وأوتينا العلم بالاسلام ومحبتها طاعة من قبل محبتها وكنا مسلمين وموحدون خاضعين (وصدناها ما كانت تعبد من دون الله) متصل بكلام سلمان أى وصدناها عن العلم بما عناه ما وعى التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونسؤها بين أظهر الكفرة ثم بين شأنا بين الكفرة بقوله

(انها كانت من قوم كافر بن) او كلامه بدأى قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل
اوصدها الله واسلمان عما كانت ٥٤ . تعبد بتقدير حذف الجار واىصال الفعل (قيل لها ادخلي الصرح) أى القصير

او سخن الدار (قلما رأته حسبه
لجة) ماء عظما (وكشفت عن
ساقها) ساقها بالهمزة مكى
روى ان سليمان أمر قبيل
قدومه فاقبى له على طريقها
قصر من زجاج أبيض وأجرى
من تحته الماء وألقى فيه السمك
وغيره ووضع سريه في صدره
فجلس عليه وعكف عليه
الطير والجن والناس وانما فعل
ذلك ليزيدها استعظاما لأمه
وتحققة لتبوءه وقيل ان الجن
كرهوا ان يتزوجها فتفضى
اليه باسم اهرم لانها كانت
بنت جنسية وقيل خافوا ان
يولد له منها ولد يجمع فضة
الجن والناس فيخرجوا من
ملك سليمان الى ملك هو أشد
فقالوا له ان في عقلها شيء أوهى
شعرا الساقين ورجلها كخافر
التمار فاختبر عقلها بتسكير
العرش واتخذ الصرح ليعرف
ساقها ورجلها فكشفت عنهما
فأداهى أحسن الناس ساقا
وقدما الانها شعرا فصرف
بصره (قال) لها (انه صرح
مرد) علس يستومنه الامرد
(من قوادير) من الزجاج وأراد
سليمان تزوجها ^{فكره}
شعرا فعملت لها الشياطين
النور فآذنته فكشفها سليمان
وأجهها وأقرها على ملكها

الله وحال بينهما وبينه (انها كانت من قوم كافر بن) اخبر الله انها كانت من قوم
يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس (قيل لها ادخلي الصرح)
وذلك ان سليمان لما اختبر عقلها بتسكير العرش وأراد ان ينظر الى قدميها وساقها من
غير ان يسألها كشفهما لما أخبرته ان من ان رجلا كخافر جاروهى شعرا الساقين امر
الشياطين فعملوا لها قصر من الزجاج الابيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار وأجرى
تحت الماء وألقى فيه السمك والصفاد وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريه في صدر
الحلوس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفاء
والوصائف فلما جلس على السري دعا بلقيس ومالجات قبل لها ادخلي الصرح (قلما
رأته حسبه لجة) أى ماء عظيما (وكشفت عن ساقها) لتتوض الماء الى سليمان فاذا
هى احسن النساء ساقا وقدما لانها كانت شعرا الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف
بصره عنها (قال انه صرح مرد) أى علس (من قوادير) زجاج وليس بماء خفيفا سترت
ساقها وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدات بذلك على
التوحيد والنبوة (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعد اذ تسكيرك (وأسلمت مع سليمان لله
رب العالمين) أى اخلصت له التوحيد والعبادة وقبل انهما بلغت الصرح وظنته
لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد ان يعرقنى وكان القتل اهون من هذا فلما تبين لها
خلاف ذلك قالت رب انى ظلمت نفسى بذلك الظن واختلعتوا فى امر بلقيس بعد اسلامها
فقبل انتهى امرها الى قولها اسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر
في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما رآى من كثرة شعرا ساقها
فقال الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة انى لم يمسنى حديد قط فكره
سليمان الموسى وقال انها تنقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندرى فسأل الشياطين فقالوا
نختال لك حتى ^{تكون} كالفضة البيضاء فاتخذوا النور والجمام فكانت النورة
والجمامات من بوه ثم فلما تزوجها سليمان احبها احبا شديدا وقرها على ملكها وأم الجن
فابتوا الهابراض النور ثلاثة حصون لم يرا الناس مثلهما ارتقا وحسنا وهى سليمان
وبيسنون وغيدان ثم كان سليمان يزورها فى كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام يتكبر
من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له ولدا ذكر او قال وهب زعوان
بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى ازوجك اياه فقالت
ومثلى يا بنى الله ينكح الرجال وقد كان لى من قومي الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون
فى الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحمري ما احل الله قالت فان كان ولابد فزوجنى
ذات سبع ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها ذات سبع على اليمن
ودعا زوجة ملك الجن وقال له اعمل لى سبع ما تملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد الى ان
مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى يبلغ جوف اليمن

وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادة الشمس (وأسلمت) وقال
مع سليمان لله رب العالمين (قال المحققون لا يجهل ان يختال سليمان ليمنظر الى ساقها وهى اجنبية فلا يصح القول بمثله

(ولقد أرسلنا إلى عودا أخاهم) في النسب (صالحا) بدل (أن اعبدوا الله) بكسر النون في الوصل عاصم وحزقوة بصري وبضم
 النون غيرهم أتماعا للباء والمعنى بأن اعبدوا الله وحده (فإذا) لافاجاة (هم) مبتدأ (فرقان) خبر (يختصمون)
 صفة وهي العامل في إذا والمعنى فإذا أقوم صالح فرقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معي وهم مبين في
 قوله قال الملا الذين استكبروا من قومه لأنهم استضعفوا لمن آمن منهم لا يعلمون أن صالحا من سل من ربه قالوا أنابا أرسل
 به مؤمنون قال الذين استكبروا أنابا الذي آمنتم به كافرون وقال الفريق الكافر يا صالح اتعبدنا إن كنت من البرسلين
 (قال يا قوم لم تستجيبوا بالسبئية) بالعباد الذي توعدون (قبل الحسنة) قبل التوبة (لولا) خلا (تستغفرون الله) تطلبون
 المغفرة من كفركم بالتوبة والإيمان قبل نزول العذاب بكم (لعلكم ترجون) ٥٥٥ بالاجابة (قالوا اطيرنايك) تشاء منابك
 لأنهم قطعوا عند معصيته

لذلك يهيم فندسبوه إلى خبيثه
 والاصل تطيرناو قرئ به فادغمت
 التاء في الطاء وزيدت الألف
 لسكون الطاء (وعين معك) من
 المؤمنين (قال طائر كم عند الله)
 أي سببكم الذي يجيئ منه خيركم
 وشركم عند الله وهو قدره
 وقسمته أو علمكم مكتوب عند
 الله فأنازل بكم منازل عقوبة
 لكم وقبته ومنه وكل إنسان
 أنزه طائرته في عنقه وأصله
 أن المسافر إذا مر بطائر فزجره
 فإن مر سائحاً تسلمه وإذا مر
 بآر حاشاه فلما تسلموا الخير
 والشرا إلى الطائر استعير ما كان
 سببهم من قدر الله وقسمته أو
 من عمل العبد الذي هو السبب
 في الرحمة والنتمة (بل أنتم قوم
 تقتنون) تقتبرون وتعذبون

وقال بآلى صوته يامعشر الجن إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم
 وتفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك نذى سبع وملك بقمس وبقى الملك لله الواحد التهار
 قيل إن سليمان ملكا وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله
 عز وجل (ولقد أرسلنا إلى عودا أخاهم صالحا أن اعبدوا الله) أي وحده
 لا تشركوا به شيئا (فإذا هم فرقان) أي مؤمن وكافر (يختصمون) أي في الدين كل
 فريق يقول الحق معنا (قال) يعني صالحا الفريق المكذب (يا قوم لم تستجيبوا بالسبئية)
 أي بالباء والعقوبة (فقبل الحسنة) أي العافية والرحمة (لولا) أي هلا (تستغفرون
 الله) أي بالتوبة إليه من الذنوب (لعلكم ترجون) أي لا تعذبون في الدنيا (قالوا اطيرنا)
 أي تشاء معنا (بك وعين معك) قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لماسك الفطر
 عنهم قالوا انما أباينا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك قال طائر كم عند
 الله أي ما يصيبكم من الخير والشر بما رآه مكتوب عليكم سعى طائر أنه لا شيء أسرع من
 نزول القضاء الختوم وقال ابن عباس النؤم الذي أتاكم من عند الله بكمركم وقيل طائر كم
 أي عماكم عند الله سعى طائر السرعة صعوده إلى السماء (بل أنتم قوم تقتنون) قال ابن
 عباس تقتبرون بالخبر والشر وقيل معناه تعذبون قوله تعالى (وكان في المدينة) يعني
 مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة رهط) يعني من أبناء شرا فهم (يفسدون في الأرض) أي
 بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر
 الناقة ورأسهم قدار بن سالف (قالوا نقادوا بالله) يعني يقول بعضهم لبعض ادخلوا
 بالله أي القوم (لنبيته) أي لنقلته ليل (واهلكه) يعني قومه الذين آمنوا معه (ثم
 اتقول لوليه) أي لولي دمه (ما شهدنا) أي ما حضرنا (مهلكاه) أي ما ندرى من قتله

٦٤
 ل
 ش
 بدنسكم (وكان في المدينة) مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة رهط) هو جمع لا واحد له
 ولذا جاز تميز التسعة بفسادته قيل تسعة أنفس وهو من الثلاثة إلى العشرة وعن أبي داود رأسهم قدار بن سالف وهم الذين
 سعوا في عقر الناقة وكانوا أبناء شرا فهم (يفسدون في الأرض ولا يصلحون) يعني أن شأنتهم الإفساد بحيث لا يحيط بشئ من
 الإصلاح كثرة بعض المفسدين قد ينذر منه بعض الإصلاح وعن الحسن بن سالم النامس ولا ينعون الظالمين من الظلوع ابن
 عطاء يبعون معائب الناس ولا يسترون عوراتهم (قالوا نقادوا بالله) تخالفوا وخبر في محال بالاضمار قد أي قالوا متقسمين
 أو امر أي امر بعضهم بعضا بالقسم (لنبيته) لنقلته بيا تاى ليل (واهلكه) ولده وتبعه (ثم اتقول لوليه) لولي دمه لنبيته بالتاء
 وضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء عوض اللام حرة وعلى (ما شهدنا) ما حضرنا (مهلكاه) حفص مهلك أبو بكر وجادو الفضل
 من هلك فالاول موضع الهلاك والثاني المدد هلك غيرهم من أهلك وهو الاهلاك أو مكان الاهلاك أي لم يتعرض لأهله
 فكيف تعرضناه أو ما حضرناه وضع هلا كه فكيف توليناها

(وانا لصادقون) فيما ذكرنا (ومكر واماكر او مكرنا مكر او هم لا يشعرون) مكرهم بما أحضرهم ومن تدبير القتل لصالح وأهله ومكر الله اهلاكم من حيث لا تشعرون شبه عكر الماكر على سيد الاستعارة روى انه كان لصالح مسجد في الحجر في شب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ من اى ثلاث فتحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثالث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من المصب حياهم فيبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدروهمهم ابنهم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلامهم في مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه (فاظن كيف كان عاقبة مكرهم اناد مكرناهم) بفتح الالف كوفي وسهل بكسر هاء غيرهم على الاستئثار ومن فتحه رفعه على انه يدل من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدبيرهم أو نصبه على معنى لا نأول على انه خبر كان أى فكان عاقبة مكرهم الدمار وقومهم أجعين) بالصيغة (فقلت بيوتهم تخاوية) ٥٠٦ ساقطة متهدمة من خوى النجم اذا سقط أو خالية من الخواء

وهي حال عمل فيها ما دل عليه تلك (بما ظلموا) بظلمهم (ان في ذلك) فيما فعل بحدوث (لاية) لقوم يعلمون) قدرنا في بعضنا (والتي نحن الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) ترك أو امره وكانوا أربعة آلاف فتواضع صالح من العذاب (ولو طأ اذ قال) واذا كروا طأ واذا بدل من لو طأ أى واذا كروا وقت قول لو طأ (لقومهم أتأتون الفاحشة) أى آيات الله كور (وانتم تبصرون) تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها من بصر القلب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لانهم كانوا يرتكبونها في ناديتهم مع النبيين بها لا يستتر بعضهم من بعض مخافة وانهم كانوا في المعصية أو تبصرون آثارا العصاة قبلكم

ولا هلاك لأهله (وانا لصادقون) أى في قولنا ما شهدنا ذلك (ومكر واماكر) أى غدروا غدرا حين قصدوا تبديت صالح وأهله (ومكرنا مكرنا) أى جازبناهم على مكرهم بتجليل العذاب (وهم لا يشعرون) فانظر كيف كان عاقبة مكرهم اناد مكرناهم) أى أهلكناهم أى النسعة قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرقونه فأتت النسعة دار صالح ساهرين من سلاحهم وسوقهم فمرتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة (وقومهم أجعين) فقلت بيوتهم تخاوية بما ظلموا) أى بظلمهم وكفرهم (ان في ذلك لاية) أى لبرة (لقوم يعلمون) أى قدوتنا (والتي نحن الذين آمنوا) يتقون (يقال ان الناجين كانوا أربعة آلاف قوله تعالى) (ولو طأ اذ قال لقومهم أتأتون الفاحشة) أى الفعل العاقبة (وانتم تبصرون) أى تعلمون انها فاحشة وهم من بصر القلب وقيل معنا يبصر بعضهم بعضا وكانوا يستترون عند قومهم (أنتم كنتم أتأتون الرجال شهوة من دون النساء) بل أنتم قوم تجهلون) فان قلت اذا فسرت تبصرون بالعلم وقيل بقل بعدة قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معنا تفعلون فعل المجاهلين وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أو اريد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها (فما كان جواب قومهم الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتهم اناس يتطهرون) يعنى من ادبار الرجال (فانجيناها وأهله الا امرأته فقد راناها من الغابر) أى قضينا عليها بان جعلناها من الباقين في العذاب (وامرأنا عليهم مطرا) أى الحجارة (فساء) أى قبس (مطر المنذر) قوله عز وجل (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر

ونازل بهم ثم صرح فقال (أنتم كنتم تبصرون) كوفي وشامى (لأتأتون الرجال شهوة) لك شهوة من دون ان النساء) أى ان الله تعالى لما خلق الانثى الذكر كرم لا يخلق الانثى الا لثى فهو مضادة لله في حكمته بل انتم قوم تجهلون) تفعلون فعل المجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك أو اريد بالجهل السفاهة والمخانة التي كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والقيمة في قوله بل انتم قوم تجهلون وبل انتم قوم تفقهون فغلب الخطاب على القيمة لانه أقوى اذا اصلل أن يكون الكلام بين المحاضرين (فما كان جواب قومهم الا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أى لوطا ومتبعيه فخير كان جواب واسمه أن قالوا (من قريتهم اناس يتطهرون) يتزهون عن القاذورات يشكرون هذا العمل التقدر ويعظمنوا الشكرهم وقيل هو استبراء كقوله انك لانت الحليم الرشيد (فانجيناها) بخلصناها من العذاب الواقع بالقوم (وأهله الا امرأته قد راناها) يا تشديد سوى جادواى بكرى قدرنا كونها (من الغابر) من الباقين في العذاب (وامرأنا عليهم مطرا) بحجارة مكتوبة بأهلها ثم صالحها (فساء مطر المنذر) الذين لم يتوبوا الا انذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمد صلى الله

عليه وسلم بتحميده ثم بالسلام على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء وهو تعالى
 لكل متكلم في كل أمر ذي بال يتركهم ما ويستظهر بمكانهما أو هو خطاب لوط عليه السلام بأن يحمده الله على هلاك
 كفار قومه وسلم على من اصطفا الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (آ الله خير أم يشركون) بالياء بصري وعاصم ولا
 خير فيما شر كوه أصله لا حتى يوازن بينهما وبين من هو خالق كل شيء وانما هو الزام لهم وتوبيخهم على كفرهم وذلك أنهم آثروا عبادة
 الأصنام على عبادة الله تعالى ولا وثقوا على شيء إلا لدع يدعو إلى إثباته من زيادة خبره ونفقة قيل لهم مع العلم بأنه
 لا خير فيما آثروه وانهم لم يثروا زيادة الخير ولا كن هو وعبيد الذين وعلى v. الحظ المفرط والمجهل المورط ولعلهم

ان الايثار يجب ان يكون للخير
 الزائد وكان عليه الصلاة
 والسلام اذا قرأها قال بل الله
 خير وابق واجل واكرم ثم عدد
 سبحانه الخيرات والمنافع التي هي
 آ ثار روحته وفضله فقال (أمن
 خلق السموات والارض) والفرق
 بين ام وام في أم أيشر كون
 وأمن خلق السموات أن تلك
 متصلة اذا لمعني اياها خبر وهذه
 منقطعة بمعنى بل والمهمزة ولما
 قال آ الله خير أم الآلهة قال بل
 أمن خلق السموات والارض
 خير تقر برأيه بأن من قدر على
 خلق العالم خير من جاد لا يقدر
 على شيء (وانزل لكم من السماء
 ماء) مطرا (فانبتنا) صرف
 الكلام عن الغيبة الى التكلم
 تأ كيد المعنى اختصاص الفعل
 بذاته واذا بان ان انبات الخدائق
 تختلف الأصناف والالوان
 والطعوم والاشكال مع حسننا
 بماء واحد لا يقدر عليه الا هو
 وحده (به) بالماء (خدائق)

أن يحمده الله على هلاك كفار الامم الخالصة وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده
 الذين اصطفى يعني الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
 وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آ الله خير أم يشركون) فيه تبيكت
 لاشركين والزام المحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آ الله خير لمن عبده أم الاصنام لمن
 عبدها فان الله خير من عبده وآمن به لا غنا عنه من الهلاك والاصنام لم تكن شيئا عن
 عابدين عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أنوا عاتدل على وحدانيته وكل قدرته
 فالنوع الاول قوله تعالى (أمن خلق السموات والارض) ذكر أعظم الاشياء
 المشاهدة الدالة على عظم قدرته والمعنى آ الاصنام خير أم الذي خلق السموات والارض
 ثم ذكر نعمه فقال (وانزل لكم من السماء ماء) يعني (فانبتنا به حداثي) أي سائين
 جميع حديقته وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات
 بهجة) أي ذات منظر حسن والبهجة الحسن يتبع به من يراه (ما كان لكم أن تنبتوا
 شجرها) يعني ما ينبغي لكم لا تكملوا تسددون على ذلك لان الانسان قد يقول اننا انبت
 للشجر فان أغرسها وأسقيها الماء فازال الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم أن تنبتوا
 شجرها لان انبات الخدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة والزروع
 تسقى بماء واحد لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا تأتي لاحد وان تأتي ذلك لغيره محال (آله
 مع الله) يعني هل معه مبدءا عاونه على صنعه (بل) يعني ليس معه اله ولا شر بل هم
 قوم) يعني كفار مكة (يعدلون) يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الغافر الى
 الباطل النوع الثاني قوله عز وجل (أمن جعل الارض قرارا) أي دحاهل وسواها
 للاستقرار عليها وقيل لا تميد بالها (وجعل خلالها أنهارا) أي وسطها أنهارا تضرع بالماء
 (وجعل لها رواسي) أي جبالا ثوابت (وجعل بين البحيرين) يعني العذب والمالح
 (حاجزا) أي مانعا لا يخطأ أحدهما بالآخر (آله مع الله بل) أي كثرهم لا يعلمون (أي
 توحيدهم وقدرته وسلطانه * النوع الثالث قوله تعالى (أمن يجيب المضطر)

بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الاحداق وهو الاطاحة (ذات) ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حداثي كما تقول
 النساء ذهبت (بهجة) حسن لان الناظر يتبع بهج بهم رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى
 التكوين فالا نبعاء أراد ان تأتي ذلك محال من غيره (آله مع الله) أعيره يقرب به ويجعل شريكا له (بل هم قوم يعدلون) به غيره
 أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب أبلغ في تحقير رأيهم (أمن جعل الارض) وما بعد يدل من أمن
 خلق فكان حكمها حكمه (قرارا) دحاهل وسواها لا لا تستقر اوعليها (وجعل خلالها) طارف أي وسطها وهو المقبول الثاني
 والاول (أنهارا) وبين البحيرين مثله (وجعل لها) للارض (رواسي) جبالا منها عن الحركة (وجعل بين البحيرين) العذب
 والمالح (حاجزا) مانعا أن يخطأ (آله مع الله بل) أي كثرهم لا يعلمون التوحيد فلا يؤمنون (أمن يجيب المضطر

إذا دعاه) الاضطراب افعال من الضرورة وهي الحالة الخوذة الى اللجاء الى اضطرار الى كذا والفاعل والمفعول مضطروا المضطر الذي احوجه من مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء الى التضرع الى الله أو المذنب اذا استغفر أو المظلوم اذا دعا أو من رفع يديه ولم ينفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (ويكشف السوء) الضرر والجور (ويجعلكم خلفاء الارض) أى فيها أو ذلك توارثهم سكتناها والتصرف فيها قرننا بعد قرن أو أرادنا خلفاء الملك والتسلط (أله مع الله قليلا ما تذكرون) وبالبيان أي عروبو بالتخفيف حزة وعلى وحقق وما نريده أي تذكرون تذكر اقبلا (أمن يهديكم) يرشدكم بالنجوم (في ظلمات البر والبحر) أي لا توبعلا مات في الارض نهارا (ومن يرسل الريح) الريح مكي وحزة وعلى (بشر) من البشارة وقد مر في الاعراف (أله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق) ينشئ الخلق (ثم

٥٠٨

(بين يدي رحمته) قد ام المطر

يعيده) وانما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون لإعادة لانه ازيجت عليهم بالتمكين من المعرفة والافراق فليبق لهم عذر في الانكار (ومن يرزقكم من السماء) أي المطر (والارض) أي من الارض النبات (أله مع الله قل هاتوا برهانكم) جئتكم على اشرألكم (ان كنتم صادقين) في دعواكم أن مع الله الهات آخر قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) من فاعل يعلم والغيب هو ما لم يتم عليه دليل ولا اطلاع عليه مستخلف مفعول والله يدل من والمعنى لا يعلم أحد الغيب الا الله نعم ان الله تعالى يتعالى عن ان يكون ممن في السموات والارض ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب

أى المكروب المحمود وقيل المضطرب بالجملة الخوذة من مرض أو نازلة من نوازل الدهر يعني اذا نزلت بالحداد والى الالتجاء الى التضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب اذا استغفر (إذا دعاه) يعني فيكشف ضرره (ويكشف السوء) أى الضرر لانه لا يقدر على تغيير حاله فقر الى غنى ومن مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا لقدرا الذي لا يجز والفسا الذي لا يغلب ولا ساقع (ويجعلكم خلفاء الارض) أى سكانها وذو لثا ونورهم سكتناها والتصرف فيها قرننا بعد قرن وقيل يجعل اولادكم خلفاء لكم وقيل جعلكم خلفاء الجن في الارض (أله مع الله قليلا ما تذكرون) أى تتعظون * النوع الرابع قوله عز وجل (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر (ومن يرسل الريح بشراب يندي رحته) أى قد ام المطر (أله مع الله تعالى الله عما يشركون) * النوع الخامس قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق) أى نطقا في الارحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء والارض) أى من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات (أله مع الله قل هاتوا برهانكم) أي جئتكم على قولكم أن مع الله الهات آخر (ان كنتم صادقين) قوله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الا الله) نزلت في المشر كين حين سأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذي يعلم الغيب وحده يعلم متى تقوم الساعة (وما يشعرون أيان يبعثون) يعني ان من في السموات وهم الملائكة ومن في الارض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك (بل اذكر انكم لهم) أى بلغ وكنى علمهم (في الآخرة) هو ما جئوا به في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علوا في الآخرة حين علموا ما شكروا فيه وعما عنه في الدنيا وهو قوله تعالى (بل هم في شك منها) أى هم اليوم في شك من الساعة (بل هم منها عاون) جمع هم وهو اعمى القلب

وقيل ويقولون ما في الدار احدا لا جوار قالت عائشة رضی الله عنها من رُغم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله القرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقيل نزلت في المشر كين حين سأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يشعرون) وما يعلمون (أيان) متى (يبعثون) ينشرون (بل اذكر) مكي وبصرى وزيد والمفضل أي انتهى وتكمل من ادركت الفاكهة تكملت نخع بل اذكر عن الاعشى اقبل بل اذكر انكم في شك من اصداله تدرك فادغمت التلميح في الدال وزيد الف الوصل ليكن التكليم بها (علمهم في الآخرة) أى في شأن الآخرة ومعناها والمعنى ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كاتبة قد كتبت لهم ومكروا من معرفة وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل هم منهم عاون) والاضرابات الثلاث تنزل لاحوالهم وتذكر برحمتهم وصفهم أولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كاتبة ثم بانهم يخبطون في شك وريبة

فلان يؤمنه والازالة مستطاعة ثم عاوه أسوأ حالا هو العمي وقد جعل الآية هتد أعاهم ومنشأه فلذا هداهم عن
 لأن الكفر بالعاقبة والحجز هو الذي منعهم عن التبر والتكرو وجهه ملامعة مضنون هذه الآية وهو وصف المنكرين
 بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العباد التمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم
 بشئ منه لئلا يكران العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيان الجزم وهو وصف القصور عنهم وصل به ان عندهم عجز ابلغ منه
 وهوانهم يقولون للكائن الذي لا بد من كونه وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه وان تحكك
 العلم به وحاز ان يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تحككهم كما تقول لاجل الناس ما أعلمك على سبيل الهز واذك حيث
 شكوا وعجزوا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلولك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ويجوز ان
 يكون أدرك بمعنى انتهى وفي من قولك ادر كذا المرة لان تلك غاية ما التي عندها عدم وقد فسرنا الحسن باضمحلال علمهم في
 الآخرة وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تبايعوا في الهلاك (وقال الذين كفروا) اننا كنا ربنا وبأبناؤنا اثنا لخرجون من
 قبورنا احياء وتكرير حرف الاستفهام في اذا وان في قراءة عاصم وحزرة وثلاث انكار بعد انكار ويجوز عقيب جود دليل
 على كفرهم كدما بالغ فيه والعامل في اذا ما دل عليه لخرجون وهو ٥٩ فخرج لان اسم الغافل والمفعول بعد هجرة

الاستفهام أو ان اولام الابتداء
 لا يعمل فيما قبله فكيف اذا
 اجتمعن والضيم في المضم
 ولا ياءهم لان كونهن ربما قد
 تناوهم وآباءهم ولكنه غلبت
 المحكية على الغائب وآبائنا
 عطف على الضمير في كنا لان
 المفعول جرى مجرى التوكيد
 (اقدوعدنا هذا) أي البعث
 (نحن وآبائنا من قبل) من قبل
 محمد صلى الله عليه وسلم قدم هذا
 هذا على نحن وآبائنا وفي
 المؤمنين نحن وآبائنا على هذا

وقيل معنى الآية ان الله اخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة بسوى علمهم في الآخرة وما
 وعدوا فيهم من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا قوله تعالى (وقال
 الذين كفروا) أي مشركو مكة (أننا كنا ربنا وبأبناؤنا اثنا لخرجون) أي من قبورنا احياء
 (اقدوعدنا هذا) أي هذا البعث (نحن وآبائنا من قبل) أي من قبل محمد صلى الله عليه
 وسلم وليس ذلك بشئ (ان هذا) أي ما هذا (الاساطير الاولين) أي احاديثهم وأكاذيبهم
 التي كتبوها (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزنوا عليهم)
 أي يتكذبهم يا كواغرا ضهم عنك (ولا تسكن في ضيق مما يمكرون) تزلت في المستهزئين
 الذين اقسوا عقاب مكة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان
 يكون زلف) أي ذنوا قرب (لكم) وقيل معناه رد فكم (بعض الذي تستجملون) أي
 من العذاب فخل بهم فذلك يوم بدر قوله عز وجل (وان ربك لذو فضل على الناس) يعني
 على أهل مكة حيث لم يجعل لهم بالعذاب (ولكن أكرههم لا يشكروا) أي ذلك (وان
 ربك ليعلم ما تسكن صدورهم) أي تخفي (وما يعلنون) أي من عداوة رسول الله صلى الله

ايدل على ان المقصود بالذكرة هو البعث هنا وبعث المبعوثون (ان هذا الاساطير الاولين) ما هذا الاحاديثهم واكاذيبهم (قل
 سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أي آثار المالكين وفي ذكر الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم
 قوله تعالى قدم عليهم زهم بذنبهم وقوله عاصميا تهم اغرقوا (ولا تحزنوا عليهم) لاجل انهم لم يبعثوا ولم يسألوا فيسألوا
 (ولا تسكن في ضيق) في خرج صدورهم (مما يمكرون) من كبرهم وكيدهم لان الله يعصم من الناس يقال ضاق الشئ ضيقا
 بالفتح وهو قراءه غير ابن كثير وبالاسكس وهو قرأته (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) أن
 العذاب نازل بالحق (قل عسى أن يكون زلف لكم بعض الذي تستجملون) استجملوا العذاب الموعود وقيل لهم عسى ان
 يكون زلفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر في ذل الامم لئلا كيد كالباء في ولا تلةوا بأيديكم الى التهلكة أو ضمن معنى فعل
 يسعدى باللام تخوذا لكم وأوف لكم ومعناه تبعكم وحكم وعسى ولعل وسوف في وعد الملوكة ووعدهم بديل على صدق
 الامر وجده فعلى ذلك جرى وعد الله ووعديه (وان ربك لذو فضل) أي افضال (على الناس) بترك المعالجة بالعذاب (ولكن
 أكرههم لا يشكروا) أي أكرههم لا يعرفون حق النعمة فسه ولا يشكرونها فيسهل العذاب يجملهم (وان ربك ليعلم
 ما تسكن) تخفي (صدورهم وما يعلنون) يظهر من القول فليس تأخير العذاب عنهم تحفا لهم ولكن له وقت مقدر وأنه
 يعلم ما تخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكائدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تسكن

يقال كنت الشيء وكنته اذ استرته وأخفيته (وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين) سمي الشيء الذي يغيب ويخفي غائبة وخافضة والتاء فيهما كالتاء في العاقبة والعافية وتظاهرا هما الرمية والذبيحة والنظيمة في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتأوهم المبالغة كالراوية كانه قال وما من شيء شديد الغيوبة الا وقد علم الله واحاط به وانتهى في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر المبين لمن ينظر فيه من الملائكة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أي يبين لهم) أكثر الذي هم فيه يختلفون (فانهم اختلفوا في المسيح فحزبوا فيه احرابا ووقع بينهم التناكر في أسماء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لئلا يصفوا أو يصفوا أو اخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (وانه) وان القرآن (لهدي ورجة للمؤمنين) لمن انصف منهم وأمن أي من بني اسرائيل أو منهم ومن غيرهم (ان ربك يقضى بينهم) بين من آمن

عليه وسلم (وما من غائبة) أي جلة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر وشئ غائب في السماء والارض الا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أي يبين لهم) أكثر الذي هم فيه يختلفون أي من أمر الدين وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم قصاروا احرابا طعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه (وانه) يعني القرآن (لهدي ورجة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم) أي يفضل بينهم ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة (بحكمه) أي الحق (وهو العزيز المتبع الذي لا يرد له أمر) (العليم) أي بأحوالهم فلا يخفى عليه شئ منها (فتوكل على الله) أي فثق به (انك على الحق المبين) أي البين (انك لا تسمع الموتى) يعني موتى القلوب وهم الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أي معرضين فان قلت فامعنى مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدير قلت هو تاكيد ومبالغة وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت أو يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية انه لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالمت الذي لا سدى الى سماعه وكلاصم الذي لا يسمع ولا يفهم (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) معناها أنت عرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) الامن يصدق بالقرآن أنه من الله (فهم مسلمون) أي مخلصون قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم) يعني اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قسامة الساعة (أخرجناهم دابة من الارض) (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال داروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والنجال والدابة وخو بصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الايات

بالقرآن ومن كفر به (بحكمه) بعدله لانه لا يقضى الا بالعدل فدعى المحكوم به حكما أو بحكمته ويدل عليه ترافعه من قرأ بحكمه جمع حكمته (وهو العزيز) فلا يرد قضاءه (العليم) بمن يقضى له ومن يقضى عليه أو العزيز في استقامته من المطالبين العلم بالفضل بينهم وبين المحققين (فتوكل على الله) أمره بالتوكل على الله وقلة المسالة بآداء الدين (انك على الحق المبين) وعلى التوكل بانه على الحق الا لا وهو الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق المحقق بالوفاق بالله وبشرته (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شهرا بالموتى وهم احياء صحاح

الحواس وبالناسم الذين يذوق بهم فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد الخرجا أن ينزع ذلك عنهم ويحجهم هداية بصراء الله تعالى ثم أكد الصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تابعا عن الداعي بان قولى عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته ولا يسمع الداعي وكذا في الروم وما أنت تهدي العمى وكذا في الروم حجة (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) أي ما يحجى اسماءك الاعلى الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من قوله بل من أسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا (واذا وقع القول عليهم) سعى معنى القول ومؤاده بالقول وهو ما وعدوا من قسامة الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشاركة الساعة وظهورها شرطا واحد حين لا تسمع التوبة (أخرجناهم دابة من الارض)

خروج طالع الشمس من مغربها وخرج الدابة على الناس نحيي وأيتبها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلبو وجهه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الحق ليجتمعون فيقولون هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى البغوي بإسناده عن الشعبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقضى اليمن فيمشو ذكرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمسك زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيمشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم يبيت الناس يومها في أعظم المساجد على الله حرمة وكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو بن الركن الاسودى باب بني مخزوم عن عيينة الخنازج في وسطهم ذلك فارفض الناس عنها وثبت لها عصا بعرفوا أنهم لم يجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فرت بهم فبات وجوههم حتى تركتها كأنها السكوا كب الدرة ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يجزها هارب حتى أن الرجل ليقوم فيعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الا نحن تصلى فيقبل عليها بوجهه فنهسه في وجهه فيتجاوز الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن والكافر يا كافر وبإسناده الشعبي عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد معة على الله فيمنعها عسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون أن تضرب الأرض وينشق الصفا على المسمى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها لمعة ذات وبر وریش لن يدركها الطالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا فاما المؤمن فترك وجهه كأنه كوكب دؤى وتكتب بين عينيه مؤمن واما الكافر فتكتب بين عينيه نكبة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصا الله وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليل الجمع والناس يسيرون الى منى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينس الشعب اجياد مرتين او ثلاثا قبل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعهان بين الخناقين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال رأسا هاراس ثور وعينا عین خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر اسد وولونها لون غر وخصرها خصرة هروذنها ذنب كرش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب أجاد قسم رأسها السحاب ورجلها في الأرض وروى عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها حمية وقال وهب وجهه ووجه رجل وسائر خلقها الطير فتخبر من رآها ان أهل مكة كانوا يعمدوا القرآن لا يوقنون (نكاهم) أي بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر

(تلكهم) هي الجساسة في الحديث طوله استون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وریش وجناحان وقيل لها رأس ثور وعین خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر اسد ولون غر وخصرة هروذنها ذنب كرش وخفي بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول

(ان الناس كانوا باياتنا لا يؤمنون) أى لا يؤمنون بخروجى لان خروجهم من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين أو تكلمهم ببطان الأديان كلها سوى دين الاسلام أو بان هذا مؤمن وهذا كافر وفتح أن كوفي وسهل على حذف الحار أى تكلمهم بان وغيرهم كسر والان الكلام بمعنى القول أو باضمار القول أى تقول الدابة ذلك ويكون المعنى بايات ربنا أو حكاية القول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) من للتبعض أى واذا كرم يوم نحشر من كل أمة من الأمة زمر (عن يكذب) من للتبيين (باياتنا) المنزلة على أنبيائنا (فهم يؤذعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يحتموا ثم يساقوا الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة العاكسة (حتى اذا جاؤا) حضروا وموقف الحساب والسؤال ٥١٢ (قال) لهم تعالى تهديدا (أ كذبتم باياتى) المنزلة على رسلى (ولم تحيطوا بها

علما) أو الولوجال كانه قال أ كذبتم باياتى بادئ الراى من غير ذك ولا نظر يؤدى الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أم ماذا كنتم تعملون) حيث لم تتفكروا فيها فأنكم لم تحفظوا عينا (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أى يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فيبطل عنهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون (أم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) حال جعل الابداء للهار وهو لا يهلهو والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليسر واقية طريق التقلب فى المكاسب (ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون وفيه دليل

وقيل تقول ما أخبر الله تعالى (ان الناس كانوا باياتنا لا يؤمنون) تخبر الناس عن اهل مكة انهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام من التكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزى سئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم وتكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) أى نحشر من كل قرن جماعة (عن يكذب باياتنا) فهم يؤذعون أى يحبس أولهم على آخرهم حتى يحتموا ثم يساقوا الى النار (حتى اذا جاؤا) أى ولم يحيطوا بها علما أى حين لم تفكروا فيها وقيل معنى الآية أ كذبتم باياتى غير عالين بها ولم تتفكروا فى صحتها بل كنتم بها جاهلين (ووقع القول) أى وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) أى بما اشر كوا (فهم لا ينطقون) أى تتحججهم وقيل ان أفواههم مختومة (لم يروا أنا جعلنا) أى اننا خلقنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا (أى مضأ صر فيه وفى الآية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على قلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت (ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون) أى يصدقون فيعتبرون قوله تعالى (ويوم ينفخ فى الصور) هو قرن ينفخ فيه اسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه أن الأرواح تجتمع فى القرن ثم ينفخ فيه فتذهب فى الاجساد فتحييها الاجساد (ففرع) أى فصعق (من فى السموات ومن فى الأرض) أى ماتوا والمعنى انه بلى عليهم القرن الى أن يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل فى الصور ثلاث نفخات نفخة الفرع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين (الامن شاء الله) روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى الامن شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسياهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لايصل اليهم الفرع وقيل يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة ويرى أن الله

على صحة البعث لان معناه لم يعلموا أنا جعلنا الليل والنهار قواما لما يشهدهم فى الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل تعالى محبة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذ لم يكونا فى هذه الدار فلا بد من دار أخرى للثواب والعقاب (ويوم) واذا كرم يوم (ينفخ فى الصور) وهو قرن أوجع صورة والنافع اسرافيل عليه السلام (ففرع من فى السموات ومن فى الأرض) اختير فرع على فرع لاشعار بتعق الفرع وشو به وانه كائن لا محالة والمراد فرعه من عند النفخة الاولى حين يصعقون (الامن شاء الله) الامن ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل ومثل الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الجور وخزنة النار وحلة العرش وعن جابر رضى الله عنه منهم موسى عليه السلام لانه صعد مرة ومثله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الامن شاء الله

(وكل آتوه) حزمة وحفص وخلف آتوه غيرهم واصله آتوه (داخر بن) حال أي صاغر بن ومعنى الاتيان حضورهم الموقف ورجوعهم الى أمه تعالى وانه قد ادهم له (وترى الجبال تحسبها) بفتح السين ٥١٣ شامخ وحزقوز يدوعاصم وبكسرهما

غيرهم حال من الخطاب (جامدة) واقفة ممكنة عن الحركة من جد في مكانه اذ لم يبرح (وهي تمر) حال من الضمير المنصوب في تحسبها (مر السحاب) أي مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رايت الجبال وقت الغصة ظننتها ثابتة في مكان واحد لعظمها وهي تسير سير اسير بها كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدا اذا تحركت لا تكتاد بين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش

بارع من مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب لم يلج (صنع الله) مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها كرا السحاب من صنع الله فكانه قيل صنع الله ذلك صنعوا ذكرا سم الله لانه لم يدركه قيل (الذي أنقذ كل شيء) أي احكم خلقه (انه خبير بما يفعلون) مكى وبصرى غير سهل وابو بكر غيبي وغيرهم بالناء أي انه عالم بما يفعل العباد فيكشهم على حسب ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) أي يقول لا اله الا الله عند المجهور (فله خير منها) أي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى أفضل ويكون منها في موضع رفع صفة لخبر أي بسببها

تعالى يقول الملك الموت خذ نفس اسرافيل فأخذ نفسه ثم يقول من بقي ياملك الموت فيقول سبحانه ربني تباركت وتعاليت باذا الحلال والا كرام وجهك الباقي الدائم بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فأخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي من خلقي فيقول سبحانه ربني تباركت وتعاليت بقي جبريل وملك الموت فيقول من بقي ياملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت باذا الحلال والا كرام بقي وجهك الدائم الباقي وجبريل المات الباقي فيقول الله يا جبريل لا بد من موتك فقع ساجدا تحفة في جناحه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على طرف من الطراب ويروي انه بقي مع هؤلاء الاربعة جلة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ارواح جملة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق أحد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطوى السجل للكتاب ثم يقول الله انا الجبار ان الملك اليوم فلا يخيمه أحد فيقول الله تعالى لله الواحد القهار (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرفع في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فاكون أول من رفع رأسه فاذا موسى أخذ ثابته من قوائم العرش فلا أدري اكل من استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبل من قال انا خير من موسى بن مقي فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والمحور ومالك والربانية وقوله تعالى (وكل) أي وكل الذين احيوا بعد الموت (آتوه) أي جاؤه (داخر بن) أي صاغر بن قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) أي قائمة واقفة (وهي تمر السحاب) أي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتسوي بها وذلك ان كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كبير يقصر عنه البصر لكثرتة وعظمه بعدما بين اطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كان سير السحاب لا يرى لعظمه (صنع الله الذي أنقذ كل شيء) يعني انه تعالى لما قدم هذه الاشياء كلها التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء التي أتتها واحكمها واتى بها على وجه الحكمة والصلابة (انه خبير بما يفعلون) قوله تعالى (من جاء بالحسنة) أي بكلمة الاخلاص وهي شهادة أن لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل المحسنة كل طاعة عملها الله عز وجل (فله خير منها) قال ابن عباس فيها يصل الى الخير بمعنى انه له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب اما من يكون له شيء خير من الايمان فلا اله الا الله لا شيء خير من لا اله الا الله وقيل هو جزاء الاعمال والطاعات والثواب والجنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله وقيل معنى خير منها الاضغاف أعطاه الله بالواحدة عشر أضغافها لان الحسنة استحقاق العبد والتضعيف فضل الرب تبارك وتعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) فان قلت كيف بقي الفرع هنا وقد قال

٦٥ ن م (وهم من فزع) كوفي أي من فزع شديد مغرط الشدة وهو خوف النار أو من فزع قلاو ن قل وبغير تنوين غيرهم (يومئذ) كوفي ومدني وبكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيامة (آمنون) آمن يعدي بالجار

وبنفسه كقوله ألقاها وما كرا لله (ومن جاء بالسيف) بالشرك (فكبت وجوههم في النار) يقال كبت الرجل ألقته على وجهه أي القوا على رؤسهم في النار وأجبر عن الجملة بالوجه كما يجبر بالأس والنية عنها أي القوا في النار يقال لهم تكبوا عند الكعب (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) في الدين من الشرك والمعاصي (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) مكة (الذي حرهما) جعلهما حرما أمنا يامن فيها اللاجئ اليها ولا يمتحنى خلاها ولا يعصدها وكها ولا ينقر صيدها (وله كل شيء) مع هذه البلدة فهو مالكا ١٥٤ الدنيا والآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) المتقدين له (وأن أتلو

القرآن) من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك أمر رسولك بان يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شركا كما فعلت قريش وإن أكون من الخففاء الثابتين على ملة الاسلام وأن أتلو القرآن لأعرف الحلال والحرام وما يقضيه الاسلام وخص مكة من بين سائر البلاد باضافة اسمها اليها لأنها أحب بلاد الله وأعظمها عنده وأشار اليها بقوله هذه إشارة تعظيم لها وتقريب الالهي إليها (وأن أكون من المسلمين) الله المطيعين له (وأن أتلو القرآن) أي أمرت أن أتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به أتم قياما على ما أمر به (فن اهتدى) فالتفت يدي لنفسه (أي نفع اهتدائه يرجع اليه) (ومن ضل) أي عن الإيمان واخطأ طريق الهدى (فقل انما أنا من المذنبين) أي من الخوفين وما على الابلاغ سخطها آية القتال (وقل الحمد لله) أي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام بأداء الرسالة والانداز (سيركم آياته) الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو مأزاهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأذبارهم وقيل آياته في السموات والارض وفي أنفسكم (فترفونها) أي فترفون الآيات والدلالات (وما ربك بغافل عما تعملون) فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى اعلم

(تفسير سورة القصص)

وهي مكية الا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب ابى قوله لا نتبني المجاهلين وفيها آية

من المنذرين) أي ومن ضل ولم يتبعني فلا على وما أنا الا رسول منذروا على الرسول الابلاغ المبين (وقل الحمد لله سيركم آياته فترفونها) ثم أمره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدى أعداءه بما سيرهم الله من آياته في الآخرة فيستقيمون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نعمات الله في الدنيا (وما ربك بغافل عما تعملون) بالتأنيدي وشأني وحضري يعطون خطابا لاهل مكة وبالأغنياء هم أي كل عمل يعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه فالتعلة والسهر لا يجوز ان عليه

من المنذرين) أي ومن ضل ولم يتبعني فلا على وما أنا الا رسول منذروا على الرسول الابلاغ المبين (وقل الحمد لله سيركم آياته فترفونها) ثم أمره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدى أعداءه بما سيرهم الله من آياته في الآخرة فيستقيمون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نعمات الله في الدنيا (وما ربك بغافل عما تعملون) بالتأنيدي وشأني وحضري يعطون خطابا لاهل مكة وبالأغنياء هم أي كل عمل يعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه فالتعلة والسهر لا يجوز ان عليه

(بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين) يقال بان الشيء وان عني واحد ويقال ان الله قال ان لا رمة عداى
مبين خيره وبركته او مبين للخلال والحرام والوعود والوعيد والاص والتوحيد (تتلوا عليكم) نقرأ عليكم اى يقرؤه
جبريل بامرنا ومفعول تتلوا (من نسا موسى وفرعون) اى تتلوا عليكم بعض خبرهما (بالحق) حال اى محققين (لقوم يؤمنون)
لمن سبق في علمنا انه مؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم (ان فرعون) جملته مستأنفة كالتفسير للجلج كانه قاتلا
قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون (علا) طبعى وجاء والحذف الظلم واستكبر واقتصر بنفسه ونفى العبودية
(فى الارض) اى ارض ملكته يعنى مصر (وجعل اهلها شعبا) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لئلا يلاحق احد منهم ان
يلوى عنه ية او فرقا مختلفة بكرم طائفة ومن اخرى فاكرم القبطى واهان الاسرائيلى (يستضعف طائفة منهم) هم بنو
اسرائيل (يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم) اى يترك البنات احياء للخدمة ١٥٠ وسبب ذبح البنات ان كانها قال له يولد

نزالت بين مكة والمدينة وهى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهى
فما ن وتما نون آية وأربع مائة وأحد وأربعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة مائة حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (طسم تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب المبين) قيل هو
اللوحي المحفوظ وقيل هو الكتاب الذى انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه
مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والمحدد والاحكام (تتلوا عليكم من نبا) اى خبر
(موسى وفرعون بالحق) اى بالصدق (لقوم يؤمنون) اى يصدقون بالقرآن (ان)
فرعون (علا) اى تخبر وتكبر (فى الارض) اى ارض مصر (وجعل اهلها شعبا) اى فرقا
فى انواع الخدمة والتخفيف (يستضعف طائفة منهم) يعنى بنو اسرائيل (يذبح ابناءهم
ويستحي نساءهم) سعى هذا الاستعفاف لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم (انه)
كان من المفسدين) اى بالقتل والتعير فى الارض (ونريد ان نغن) اى نغم (على الذين
استضعفوا فى الارض) يعنى بنو اسرائيل (ونجعلهم ائمة) اى قادة فى الخير يقتدى بهم
وقيل ولا تملوا (ونجعلهم الوارثين) يعنى املاك فرعون وقومه بان نجعلهم فى مساكنهم
(ونذكر لهم فى الارض) اى نوطن لهم ارض مصر والشام ونجعلهم ملكا (ونرى فرعون
وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) اى يخافون وذلك انهم اخبروا ان
هلاكمهم على يد رجل من بنى اسرائيل وكانوا على حذر منه فاراهم الله ما كانوا يحذرون
قوله تعالى (واوحينا الى ام موسى) هو وحى الهام وذلك بان قذف فى قلبها واسمها
بوحا من نسل لاوى بن يعقوب (ان ارضه) قيل ارضه ثمانية اشهر وقيل اربعة
وقيل لثلاثة وكانت ترضعه وهولاء لا يتحرك فى حجرها (فاذا خفت عليه) اى الذبح

مولود فى بنى اسرائيل يذهب
ملكك على يده وفيه دليل على
حق فرعون فانه ان صدق
الكاهن لم ينفعه القتل وان
كذب فامتنع القتل ويستضعف
حال من الضمير فى و جعل اوصفة
لشعبا او كلام مستأنف ويذبح
بدل من يستضعف (انه كان
من المفسدين) اى ان القتل
ظلم المظلوم فعمل المفسدين
اذ لا طائل من تحته صدق الكاهن
أو كذب (ونريد ان نغن) تفضل
وهو دليل لثاني مسئلة الاصل
وهذه الآية معطوفة على ان
فرعون علا فى الارض لانها
نظيرة ثلاثى وقوعها تفسيرها
لنبا موسى وفرعون واقتصاصا
له او حال من يستضعف اى
يستضعفه فرعون ونحن نريد
ان نغن عليهم وارادة الله تعالى
كاشفة ففعلت كاشفارة

لاستضعافهم (على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة) قادة يقتدى بهم فى الخير او قادة فى الخير او لامة ملوكا
(ونجعلهم الوارثين) اى يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم (وتنكن) ممكن له اذاجب له لكانا يقد عليه او يرقه
ومعنى التمكن (لهم فى الارض) اى ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنوبهم وسطا لهم وينفذ امرهم (ونرى فرعون
وهامان وجنودهما) بضم النون ونصب فرعون وما بعده وبالياء ما وقع فرعون وما بعده على وجزة اى برون منهم
ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ويرى نصب عطف على المنصوب قبله كتراء النون او رفع على
الاستئناف (منهم) من بنى اسرائيل ويتبعوا بنى دون يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون)
الحذر التوقى من الضرر (واوحينا الى ام موسى) بالالهام او بالاروايا او باخبار ملك كان لمريم وليس هذا وحى رسالة ولا
تكون هى رسولا (ان ارضه) ان يعنى اى او مصدرية (فاذا خفت عليه) من القتل بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه

(فالقته في اليم) البحر قيل هو
 نيل مصر (ولا تخافي) من
 العرق والضياع (ولا تخزني)
 بفرأه (انارادوه اليك) بوجه
 لطيف اتريقته (وجاعلوه من
 المرسلين) وفي هذه الآية امر ان
 ونهيا ونخبر ان وبشارتان
 والفرق بين الخوف والخز
 ان الخوف غم يلحق الانسان
 لموقعه والخز غم يلحقه لواقع
 وهو فرأه والاختار به فنهت
 عنهم ما بشرت برده اليها وجهه
 من المرسلين وروى انه ذبح
 في طلب موسى تسعون ألف
 وليد وروى انها حين ضربها
 الطلق وكانت بعض القوابل
 الموكلات بحمالى بنى اسرائيل
 مصافقة لها فعا جنتها فلما وقع
 الى الارض هالسا نور بين
 عينيه ودخل حبه قلبها فالت
 ما جنتها الا قتل مولودك
 واخبر فرعون ولكن وجدت
 لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظه
 فاما خرجت القابلة طاعت
 عيون فرعون فلقته في خرقة
 ووضعته في تور مسجور لم تعلم
 ما تصنع لما طاس من عقابها
 فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا
 وهي لا تدري مكانه فسمعت
 بكاء من التور فاطلقت
 اليه وقد جعل الله النار بردا
 وسلاما فلما ألح فرعون في
 طلب الولدان أوحى اليها بالقائه
 في اليم فلقته في السبع بعد أن
 أرضعته ثلاثة أشهر

(فالقته في اليم) أى في البحر واوداه نيل مصر (ولا تخافي) أى عليه من العرق وقيل
 الضيقة (ولا تخزني) أى على فرأه (انارادوه اليك) وجاعلوه من المرسلين قال ابن
 عباس ان بنى اسرائيل لما كثروا عصر استظالموا على الناس وعملوا المعاصي ولم يامروا
 بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوههم إلى أن أنجاهم الله
 على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام
 ﴿ذكر القصة في ذلك﴾ قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة
 من القوابل التي وكلهن فرعون بحمالى بنى اسرائيل مصافقة لأم موسى فلما ضرب بها
 الطلق أرسلت اليها وقالت لها قد نزل في منازل فلينفعي حبك إياي اليوم فعا جنت قبلها
 فلما أن وقع موسى الأرض هالسا نور عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب
 موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جنت اليك حين دعوتني الام ادى قتل ولدك ولكن
 وجدت لابنك حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك فاني أراه عدونا فلما
 خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فهاوا إلى بابها ليدخلوا إلى أم موسى
 فقالت أخذه يا أمه هذا الحرس بالماب فلقته بخرقه والقته في التور وهو مسجور
 وطاس عقابها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير
 لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل القابلة قالت هي مصافقة لي فدخلت على زائرة
 فخرجوا من عندها فرجع اليها عفا فالت لاخته فابن النسي فقالت لا أدري
 فسمعت بكاء الصبي في التور فاطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما
 فاحتمته قال ثم ان أم موسى لما رأته المحاج فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها
 فدفن الله في قلبها أن تخذ ثابو تاله ثم تخذ في التابوت في النيل فاطلقت الى رجل نجار
 من قوم فرعون فاشتريته منه ثابو تاصغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت
 ابن لي أخوه في التابوت وكهنت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون فلما
 اشترت التابوت وجلسه وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى
 فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الامناء
 ما يقول فلما اعياهم أمره قال كبيرهم أضر بوه فضر بوه واخرجه فلما انتهى النجار
 الى وضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فاطلق ايضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذه
 لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يصبر شيئا فضر بوه واخرجه وبقي حيران فجعل الله
 عليه ان رد عليه لسانه وبصره ان لا يدل عليه وأن يكون معه فيخذه حيشما كان فعرف
 الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال بار بذي على هذا العبد الصالح
 فقله عليه فأمن به وصدقه وقال وهب لما جلت أم موسى عوسي كتمت أمرها عن جميع
 الناس فلم يطلع على جلها احد من خلق الله تعالى وذلك شئ ستره الله تعالى لما اراد ان
 يمن به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم
 الامين ففتش النساء ففتشوا لم يفتشوا قبل ذلك مثله وجلت عوسي ولم يتغير لونها ولم ينب
 بطنها وكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولده ولا رقيب عليها
 ولا

(فألقطه آل فرعون) أخذه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من أصلهم (ليكون لهم عدوا) أي ليصير الأمر إلى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا كقولهم لموت ما تاده الوالد وهى لم تلد لأن يموت ولدها ولكن أنصير إلى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون أن هذه لام العاقبة والصيرورة وقال صاحب الكشف هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتكم لتكرمني ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لأن ذلك ٥١٧ لما كان نتيجة التقاطع لهم شبه بالداعي الذي

يقبل الفاعل الفعل لأجله وهو الأكرام الذي هو نتيجة الجحى (وحزنا) وحزنا على وحزنا على وحزنا على (ان) لغتنا كالعدم والعدم (ان) فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) خاطئين تخفيف خاطئين أبو جعفر أى كانوا مذنبين فعابهم الله بأن يري عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين في كل شئ فليس خطؤهم قربة عدوهم بدع منهم (وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك) روى أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا قبحه فلم يقدر وأعلمه فعالجوا كسر فاعياهم فعدت آسية قرأت في جوف التابوت نورا فعا لجحه ففجحه فاذ بصى نوره بين عينيه فاجبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت إلى وجهه فبرأت فقالت العواة من قومه هو الذى تحذر منه فاذن لنا قتلته فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لى ولك فقال فرعون لك لالى وقى الحدب لوقال كذا قالت له الله تعالى كاهداها وهذا على سبيل الغرض أى لو كان غير مطبوع

ولأفلاحة ولم يطلع عليها أحد إلا ختمه ريم وأوحى الله إليها أن أرضعها فادأخت عليه فآلمته في ألم فكتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه علمت نأوتاه مطبقا ثم ألقته في البحر وهو البحر لئلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الأطباء والعشيرة ففطنوا إلى أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلصق به برصها فقبض أم ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جوار يها حتى جلست على شاطئ البحر مع جوار يها تالعين وتنضع الماء على وجوههن إذا قبل النيل بالتأبوت تضرب به الأمواج فقال فرعون ان هذا الشئ في البحر قد تعلق بالشجر اتتوفى به فابتدر وهما يسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا ففتح الباب فلم يقدر وأعلمه وعالجوا كسره فلم يقدر وأعلمه فعدت آسية قرأت في جوف التابوت نور المبرع غيرها فعالجته ففجحت الباب فاذ بصى صغرى التابوت واذنور بن عينيه وقد جعل الله رقه في إمامه يحص منه لنا قال الله محبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت إلى ما يسيل من أشدا قمع ريقه فطخت به برصها فبرأت فقبلته وضعت في صدرها فآلمت العواة من قوم فرعون أيها الملك انظرن ان ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى إسرائيل هو هذا رضى به البحر فزعنا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو ينصّب منه خيرا أو نتخذة ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبها له وقال فرعون أما إننا فلأحاجة لى فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوقال يومئذ قرة عين لى كاهداها الله كاهداها الله وقيل لا آسية سميت قالت سميت موسى لأننا وجدناه في الماء والشجر لأن مو هو الماء وساهو الشعر فذلك قوله تعالى (فألقطه آل فرعون) الالتقاط وجود الشئ من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) أى عاقبة أمرهم إلى ذلك لأنهم لم يلقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أى آثمين وقبيل هومن لخطاومعنا أنهم لم يشرعوا والله الذى يذهب بكمهم (وقالت امرأت فرعون قرة عين لى لك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولدا أو هم لا يشرعون) قال وهب لما نظر إليه

على قلبه كآسية لقال مثل له وهو كان أسلم كما سلمت وقرعة خبر مبتدأ محذوف أى هو قرة لى ولك صفتان لقمة (لا تقتلوه) خاطيته خطاب الملوك أو خاطيت العواة (عسى أن ينفعنا) فإن فيه خيال الجن ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبر البرصاء (أو نتخذة ولدا) أو تتبناه فإنه لأن يكون ولد الملوك (وهو لا يشرعون) حال ودخاها آل فرعون وتقدير الكلام فآلقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأت فرعون كذا وهم لا يشرعون أنهم على خطا عظيم في التقاطه

ورجاء النفع منه وتنبه وقوله ان فرعون الاله جلة اعتراضه واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) وصار (فؤادهم موسى فارغا) صغروا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت وقوعه في يد فرعون (ان كادت لتبدي به) لظهور به والصغير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولده قبل المرات الأولى واجتاع بالثبوت كادت ٥١٨ تصيح وتقول وابناه وقيل لما سمعت ان فرعون أخذ الثبوت لم تملك

انه يقتله فكادت تقول وابناه شقة عليه وان خشفة من الثقيلة أى انها كادت (لولا ان ربطنا على قلبها) لولا ربطنا على قلبها واربط على القلب تقويته بالله الصبر (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعدها وهو انارادوه اليك وجواب لولا محذوف أى لا بدته او فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون تذاها ان كادت لتبدي به ولدها لانهم لم يملك نفسها فراحوا سرورا بما سمعت لولا اننا لمنا قلبها وسكنا فقلقة الذي حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعده الله لا يتبني فرعون قال يوسف بن الحسين امرت ام موسى بشيئين وهنيت عن شيئين وشئت بشارتين فلم ينفعها السكل حتى تولى الله حباطها فربط على قلبها وقالت لاخته (ريم قصيه) انبى اثره لتعلمى به (فبصرت به) أى ابصرت (من جنب) عن بعد خال من الصغير في به او من الصغير في بصرت (وهم لا يشعرون) أنها اخته (وهم منا عليه

فرعون قال عبراني من الاعداء فغاضه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امه أفرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت امالسا كين ترجمهم وتصدق عليهم فقالت لفرعون وهى قاعدة الى جنبه هذا الوليد كبير من ابن سنة وانت امرت ان تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل انها قالت انه اتانا من أرض أخرى وليس هو من بني اسرائيل فاستجاب فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو أن عدو الله قال في موسى ككفالات آسية عسى ان ينفعنا لنفقه الله ولكنك انى للشقاء الذى كتبته الله عليه قوله تعالى (وأصبح فؤادهم موسى فارغا) أى خاليان من كل شئ الامن ذكر موسى وهمه وقبل معناه ناسيا للوحى الذى أوحى الله عز وجل اليها حين امرها ان تلقيه في اليم ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذى عهد اليها ان يرد اليها ويجعله من المرسلين فغاضها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه وتقوليت أنت قتله وألقيته في البحر وأغرقتهم ولما أتاناها الخبر بان فرعون أصابه في النيل قالت انه قد وقع في يد عدوه الذى قرت منه فانساه اعظم البلاء ما كان من عهد الله اليها (ان كادت لتبدي به) اى لتصرح بانه ابنها من شدة وجعها قال ابن عباس كادت تقول وابناه وقيل لما رأت الثبوت ترفعه موجة وتخطه أخرى خشيت عليه العرق فكادت تصيح من شدة شقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليه ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحى الذى أوحى الله اليها ان يرد عليه (لولا ان ربطنا على قلبها) أى بالصخرة والصبر والتثبيت (لتكون من المؤمنين) اى من المصدقين بوعده الله ايهاا وقالت لاخته اى لريم أخت موسى (قصيه) اى انبى اثره حتى تعطى خبره (فبصرت به عن جنب) اى عن بعد قيل كانت تمشي جانباً وتظنره اختلاسترى أنها لا تنظره (وهم لا يشعرون) انها اخته وانما ترقبه (وهم منا عليه المراضع) المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همهامان الدنيا ان تجدهم ترضعه كلها او بمرضعة لم يأخذ ثديها وهم في طلب من يرضعه لهم (من قبل) اى قبل مجي أم موسى وذلك لما رأت أنه أخت موسى التى ارسلت امه في طلب ذلك (فقالت) يعنى أخت موسى (هل أدلكم على اهل بيت يكفلونه لكم) اى يرضونه ويرضعونه وهى امرأة قبل ولدها فاحب ما ندعى اليه ان تجده صغيرا ترضعه (وهم له ناخون) اى

لا

المراضع) تحريم منع لا تحريم شرع اى منعاه ان يرضع ثديا غير ثدى امه وكان لا يقبل ثدى مرضع حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل قصها اثره أو من قبل ان نرده على أمه (فقالت) اخته وقد دخلت بين المراضع وراثة لا يقبل ثديا (هل أدلكم) أرشدكم على اهل بيت يكفلونه (أى موسى) اسكنهم وهم له ناخون) النصيح اخلاص العمل من شائبة النقصان وي أنها لما قالت وهم له ناخون قال هان انما التعرفه وتعرف أهله فغضبوا حتى تحبب بقصة هذا الغلام فقالت اغساودت وهم للملك

فأصبحون فانطلقت الى أمها بامرهم فأتت بها والصبي على يد فرعون بعلة شقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد
 ربحها استأسس والتمذيها فقال لها فرعون ومن أنت فتدعي كل ندى الأبد نبتا فقال اني امرأة طيبة الرشح طيبة
 اللبن لا أوتي بصبي الا قبلي فدفعه اليها وأجرى عليها وذهبت به الى بيت أم الخبز لله وعده في الرد فعدنها ثبت واستقر في علمها
 انه سيكون نبيا وذلك قوله (فرددناه الى أمه كي ترضعها) بالمقام معه ٥١٩ (ولا تخزن) بفرافقه (ولتعلم أن وعد الله

حق) اي وليبتدعها مشاهدة
 كما علمت خبرا وقوله ولا تخزن
 معطوف على تقرأ وانما دخل
 لها ما أخذته من الدينار كل يوم
 كما قال السدي لانه مال حري
 لانه اجرة على ارضاع ولدها
 (ولكن اكرهه لا يعاون) هو
 داخل تحت علمها اي لتعلم ان وعد
 الله حق ولكن اكره الناس
 لا يعاونون انه حق فيربطون
 ويشبه التعريض بما فرط
 منها حين سمعت بخبر موسى
 فجذعت (ولما بلغ أشده) بلغ
 موسى نهاية القوة وعمام العقل
 وهو جمع شدة كنعمة وانعم
 عند سيدي به (واستوى)
 واعتدل وتم استحكامه وهو
 اربعون سنة وبروي انه لم
 يبعث نبي الا على رأس أربعين
 سنة (آتينا حكما) نبوة
 (وعلمنا) فقها أو علما صالح
 الدارين (وكذلك نجيزي
 المحسنين) اي كعلمنا موسى
 وأمه نفعيل بالمؤمنين قال
 الزجاج جعل الله تعالى آتيا
 العلم والحكمة بحجازة على
 الاحسان لانهم يؤيدون الى

لا يتعنونه ما ينفعهم من تربية وغذائه والتصح اخلاص العمل من شوائب الفساد قيل
 لما قالت وهم له ناحيون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على اهلها قالت ما عرفه
 ولكن قلت وهم للناحون وقيل انها قالت انما قلت ذلك رغبة في سرور الملك
 واتصاله وقيل قالوا من هم قالت امي قالوا اولاءك ولد قالت نعم هرون وكان هرون
 ولد في السنة التي لا يقتل فيها قالوا صدف فابتدعنا فاطمناقت اليها واخبرتها بحال
 ابنها وحاتتها اليهم فلما وجد الصبي ربح امه قبل نديها وجعل يصمه حتى امتلأ جنبه
 ربا قيل كانوا يعطونها كل يوم دينار اذ ذلك قوله تعالى (فرددناه الى أمه كي ترضعها)
 أي رد موسى اليها (ولا تخزن) أي ولا تلتخزن (ولتعلم أن وعد الله حق) أي برده اليها
 (ولكن اكرهه لا يعاون) ان الله وعدها ان برده اليها (ولما بلغ أشده) قيل الأشد
 ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وقيل الأشد ثلاث وثلاثون سنة (واستوى) أي بلغ
 اربعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل (آتينا حكما وعلمنا) أي عتلا
 وفهمنا في الدين فعل وحكمه موسى قيل أن يبعث نبيا (وكذلك نجيزي المحسنين) قوله
 تعالى (ودخل المدينة) يعني موسى والمدينة قيل هي منف من أعمال مصر وقيل هي
 قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هي مدينة عين شمس (على
 حين غفلة من أهلها) قيل هي نصف النهار واشتغال الناس بالقيام وقيل
 دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخوله المدينة في ذلك الوقت أن موسى كان
 يسمى ابن فرعون وكان يركب فراجا كبر فرعون وليس لباسه فر كبر فرعون
 يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فر كبر موسى في اثره
 قادر كالميل بارض منف فدخلها وليس في أطرافها أحد وقيل كان لموسى شيعته من
 بني اسرائيل يسمعون منه ويرتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق
 فرعون وقومه نخالهم في دنسه حتى أنكره واذل ذلك منه وخافوه وخافهم فكان
 لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى
 فرعون بالعصا في صخره فاراد فرعون قتله قالت امه انه هو صغير فتركه أمرا بالخارجة
 من مدينته فاخرج منها فلما يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من
 أهلها يعني عن ذكر موسى ونسبائهم خبره بعد عهدهم به وعن على انه كان يوم
 عيسى لم يسم قد استعلاوا به وهم ولجهم (فوجد فيها وحطين يقتتلان) أي يتفانان
 ويتنازعان (هذان شيعته) أي من بني اسرائيل (وهذان عدوه) أي من القبط وقيل

الجنة التي هي جزاء المحسنين والعالم الحكمين من يعمل بعلمه لانه تعالى قال وليس ما شرواه أنفسهم لو كانوا يعلمون فجعلهم
 جهالا لا تلم يعملوا بالعلم (ودخل المدينة) أي مصر (على حين غفلة من أهلها) حال من التساعل اي تحتيا وهو ما بين العشاء من
 أو وقت القاتلة يعني اتصاف النهار وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وشكر عليهم فآخافوه فلا يدخل المدينة الا على
 تعقل (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذان شيعته) عن شايعة على دنسه من بني اسرائيل قيل هو السامري وشيعته الرجل اتباعه
 وانصاره (وهذان عدوه) من مخالفيه من القبط وهو قاتون وقيل فيهما هذا وهذا وان كانا غائبين على جهة الحكاية اي
 اذا نظر اليهما لا يخطر قال هذان شيعته وهذان عدوه

(فاستغاثه) فاستنصره (الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى) ضربه بجميع كفه أو باطراف أصابعه (فقضى عليه) فقتله (قال هذا) إشارة إلى القتل ٥٢٠ الحاصل بغير قصد (من عمل الشيطان) أو ما جعل قتل الكافر من عمل

الشيطان وسماه طلبا لنفسه واستغفر منه لأنه كان مستأمنا فيهم ولا يحل قتل الكافر المحرم المستأمن أولانه قتله قبل أن يؤذن له في القتل وعن ابن جرير ليس لئني أن يقتل مالم يؤمر (أنه عدو مفضل مبین) ظاهر العداوة (قال رب) يارب (أنى ظلمت نفسي) بفعل صار قتلا (فاغفر لي) ذاتي (فغفر له) زلت به (أنه هو الغفور) بأقالة الزلل (الرحيم) بازالة التحمل (قال رب عاينعت على فلان أكون ظهيرا) معينا (للمجرمين) للكافرين وبما انعمت على قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بأنعم الله علي بالمغفرة لا تقوين فلان أكون ظهيرا للمجرمين أو استعاضف كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلان أكون ان عصمتي ظهير للمجرمين وأراد بظاهرة المجرمين صفة فسرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان بركب مركبه كالولد مع الوالد (فاصحب في المدينة خائفا) على نفسه من قتله القبطي أن يؤخذ به (يترب) حال أي يتوقع المكروه وهو الاستفادة

هنا مؤمن بهذا كافر وقيل الذي كان من الشيعة هو السامري والذي من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فاقون وكان القبطي يريد أن يأخذ الاسرائيلي بحمله الخطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحدهم آل فرعون يتخلص إلى أحدهم من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عذروا عما كان موسى لا لهم كانوا يعلمون أنه منهم فوجد موسى رجلين يقتلان أحدهما من بني اسرائيل والاخر من القبط (فاستغاثه الذي من شيعته) يعني الاسرائيلي (على الذي من عدوه) يعني الفرعوني والاستغاثة طلب العوث والمعنى أنه سأله أن يتخلص منه وأن ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لأنه أخذوه وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاقة فقال موسى للفرعوني خل سديله فقال انما أخذته ليحمل الخطب إلى مطبخ أبيك فنازعته فقال الفرعوني لقد هجمت أن احياه عليك وكان موسى قد أدوى بسطقي الخلق وشدة في القوة (فوكره موسى) أي ضربه بجميع كفه وقيل الوكر الضرب في الصدور وقيل الوكر الدفع باطراف الاصابع (فقضى عليه) أي قتله وفرغ من امره فقدم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفعه في الرمل (قال هذا من عمل الشيطان أنه عدو مفضل مبین) أي بين الضلالة وقيل في قوله هذا إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه والمعنى أن عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا إشارة إلى المقتول يعني أنه من جنس الشيطان وخرجه (قال رب انى ظلمت نفسي) أي بقتل القبطي من غير أمر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتذار بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب وقوله (فاغفر لي) أي ترك هذا المذنب وقيل يحتمل أن يكون المراد برب انى ظلمت نفسي حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتل به فقال فاغفر لي أي فاستر عني وعلى لا توصل خبره إلى فرعون (فغفر له) أي فستره عن الوصول إلى فرعون (أنه هو الغفور الرحيم قال رب عاينعت على فلان أكون ظهيرا) انعمت على فلان أكون ظهيرا للمجرمين (معناه فانا لا أكون معاونا لأحدهم المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفوه دليل على أن الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فأتيت في اليوم الثاني إلى يمل يقل فلما كن ان شاء الله ظهير للمجرمين (فاصحب في المدينة) أي التي قتل فيها القبطي (خائفا يترب) أي ينتظر سو أو الترقب انتظارا للمكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به (فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه) أي يستعتم به من بعد قال ابن عباس أتى فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا ما نرا خلاف ذلكنا بحيثنا فقال اطلبوا أقاته ومن يشهد عليه فبيناهم صوفون لا يجحدون بينة اذمر موسى من الغدر أي ذلك

منه أو الاخبار أو ما يقال فيه وقال ابن عطاء خائفا على نفسه يترب نصرته وقربه وفيه دليل على أنه لا بأس بالخشوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس أنه لا يسوغ الخوف من دون الله (فاذا الذي) اذا الحاجة وما بعده هام متدا (استنصره) أي موسى (بالامس يستصرخه) يستغيثه والمعنى أن الاسرائيلي الذي خلصه موسى استغاثه ثانية من قبطي آخر

(قال له موسى) اى الاسرائيلى (انك اغوى مبين) اى ضال عن الرشدا ظاهر الذى فقد قالات بالامس رجلا فقتلته بسببك
والرشدا في التدبير ان لا يفعل فلما بعضى الى البلاد على نفسه وعلى من يريد نصرته (قلما ان اراد) موسى (ان يبطش بالذى)
القبطى الذى (هو عدو لهما) لموسى والاسرائيلى لانه ليس على دينهما أولان القبط كانوا أعداء بني اسرائيل (قال)
الاسرائيلى لموسى عليه السلام وقد نوهتم انه اراد اخذه لاخذ القبطة اذ قال له انك اغوى مبين (ياموسى اتريد ان تقتلني كما
قتلت نفسك) يعنى القبطى (بالامس ان تريد) ماتريد (الا ان تكون جبارا) ٥٢١ اى قتلا بالالغضب (فى الارض) أرض

مصر (وماتريد ان تكون
من المصلحين) فى كظم الغيظ
وكان قتل القبطى بالامس
قد شاع ولكن خفي قاتله فلما
أفتى على موسى عليه السلام
علم القبطى ان قاتله موسى
فاخبر فرعون فهموا بقتله
(وجاء رجل من اقصى المدينة)
هو مؤمن آل فرعون وكان
ابن عم فرعون (يسعى) حصة
لرجل احوال من رجل لانه
وصف بقوله من اقصى المدينة
(قال ياموسى ان الملائكة ياترون
بك ليقتلوك) اى يامر بعضهم
بعضا بقتلك او ينشأو رن
بسببك والالتزام التشاور
يقال الرجلان يتآمران
ويتآمران لان كل واحد منهما
يامر صاحبه بشئ أو يشير عليه
بامر (فاخرج) من المدينة (انى
للك من الناصحين) لك بيان
وليس بصلة الناصحين لان
الصلة لا تتم على الموصول
كانه قال انى من الناصحين ثم
أراد ان بين فقال لك كى يقال
سقيالك ومرحبالك (فاخرج)

الاسرائيلى يقال فرعون فاستغاثه على القروى وكان موسى قد ندب على ما كان
منه بالامس من قتل القبطى (قال له موسى) للاسرائيلى (انك اغوى مبين) اى ظاهر
الغواية قال ترحل بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتغيبنى عليه (فلما
ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما) وذلك ان موسى اخذته الغيرة والرقة للاسرائيلى
فدیده ليطش بالقبطى فظن الاسرائيلى انه يريد ان يبطش به لما رأى من غضب موسى
وسمع قوله انك اغوى مبين (قال ياموسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسك بالامس) معناه
انه لم يكن علم احدهم من قوم فرعون ان موسى هو الذى قتل القبطى حتى افشى عليه
الاسرائيلى ذلك فسمعه القبطى فاقى فرعون فاحبره بذلك (ان تريد الان تكون جبارا
فى الارض) اى بالقتل ظلمها وقيل الجبار هو الذى يقتل ويضرب ولا يفتقر الى العواقب
وقيل هو الذى يتعاطم ولا يتواضع لامر الله تعالى (وماتريد ان تكون من المصلحين) ولما
فما ان موسى قتل القبطى امر فرعون بقتله فخر جوا فى طلبه وسمع بذلك رجل من
شعبة موسى يقال انه مؤمن آل فرعون واسمه خزيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو
قوله تعالى (وجاء رجل من اقصى المدينة يسى) اى يسع فى مشبه واخذ طريقا قريبا
حتى سبق الى موسى واخبره واذا نزع بما سمع (قال ياموسى ان الملائكة ياترون بك) اى
ينشأو رنك (ليقتلوك) وقيل يامر بعضهم بعضا بقتلك (فاخرج) الى من المدينة
(الى لك من الناصحين) اى فى الامر بالخروج (فاخرج منها) يعنى موسى (خائفا) على
نفسه من آل فرعون (يتقرب) اى ينتظر الطلب هل يلحقه فباخذه ثم لجأ الى الله تعالى
لعلمه انه لا ملجأ الا اليه (قال رب نجنى من القوم الظالمين) اى الكافرين قوله تعالى
(ولما توجهت لبلقاء مدين) اى قصدت نحوهما مضيا اليها قيل لانه وقع فى نفسه ان بينهم
وبينه قرابة لان أهل مدين من ولدا ابراهيم وموسى من ولدا ابراهيم ومدين هو مدين بن
ابراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة عتامة ايام قيل خرج موسى خائفا
بلاظهر ولا زاد ولا احد ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى رأى
خضرته فى بطنه ومواصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول
اتباعه من الله لموسى (قال) يعنى موسى (عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل) اى قصد
الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها قيل لمساعد موسى جاءه

٦٦ ن ت موسى (منها) من المدينة (خائفا يتقرب) التعرض له فى الطريق أو ان
يلحقه من يقتله (قال رب نجنى من القوم الظالمين) اى قوم فرعون (ولما توجهت لبلقاء مدين) نحوها واتوجهه الى مدين
التي ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت مدين بن ابراهيم ولم تكن فى سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة عتامة
أيام قال ابن عباس رضى الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق الا الحسن الظن بربه (قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل)
اى وسطه ومعظم نهجه فجاءه ملك فأنطق به الى مدين

(ولما ورد) وصل (ماء مدين) ماء هم الذي يسقون منه وكان بئر (ووجد عليه) على جانب البئر (أمة) جماعة كثيرة (من الناس) من أناس مختلفين (يسقون) وشيهم (ووجد من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم (أمر اثنين تدودان) تطردان غنهما عن الماء لان على الماء من هو أقوى منهما فلا يتكلمان من السقي أو لا يتخطط أغنامهما بما يغناهما من الدود الطرد والدفع (قال ما خطبكما) ما شأناكما حقيقة ما خطبوكما أي ما مطلوبكما من الزيادة فسمى الخطوب خطبا (قالا لانسقي) غنمنا (حتى يصدر الرعاء) مواشيهم يصدر شامي ويزيدوا ويعروا أي يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبونا شيخ) لا يمكنه سقي الأغنام (كبير) في حاله أو في السن لا يقدر على سقي الغنم أبدا لأنه عذرهما في توليها السقي بالنسبة لهما (فسقي لهما) فسقى غنمهما لاجلهم مرغبة في المعروف وإغاثة ٥٢٢ للهوف روى انه سقى القوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فاعطوه دلوهم

ملك بيده عزرة فانطلق به الى مدين قوله عز وجل (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (ووجد عليه) أي على الماء (أمة) أي جماعة (من الناس) يسقون أي مواشيهم (ووجد من دونهم) أي سوى الجماعة وقيل بعد من الجماعة (أمر اثنين تدودان) أي تحبسان وتغلمان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر وقيل تكفان الغنم عن ان تحتلط باغنام الناس وقيل تمنعان اغنامهما - ما عن ان تند وتذهب والقول الاول أولى لما بعده وهو قوله (قال) يعني موسى لرايين (ما خطبكما) أي ما شأناكما لا تسقيان مواشيكم مع الناس (قالا لانسقي) أي أغنامنا (حتى يصدر الرعاء) أي حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى اننا امرأتان لا نستطيع أن نراحم الرجال فاذا صدر واسقينا نحن مواشينا من فضل ما بقي من الغنم (وأبونا شيخ كبير) أي لا يقدر ان يسقى مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم قبل ابوهما وهو شبيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو يرون ابن أبي شبيب وكان شبيب قد مات بعدما كف بصره وقيل هو رجل من آمن بشبيب فلما سمع موسى كلامهما رفق لهما ورجعهما فاقبلت خضرته من على رأس بئر أخرى كانت بقربعهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل راحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده وترع دلوها واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت ذلك قواد تعالي (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) أي عدل الى اصل شجرة فجلس في ظلهما من شدة الحر وهو جائع (فقال رب اني ما أنزلت الى من خبير فقير) معناه انه طالب الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس ان موسى سأل الله فلقه خبير يقم به اصابه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب اني ما أنزلت الى من خبير فقير وهو اكرم خلقه عليه ولقد اقرت الى شق قمره وقيل ما سأل الا الخبير فلما رجعتا اليه ما سريعا قبل الناس وأغنامهما حافل بضان قال لهما ما عملكما قالتا وجدنا رجلا صالحا محارجا فانسقينا أغنامنا فقال لاحدهما اذهب فادعيه الى قال

وقالوا ان تقيها وكانت لا ينزعها الا اربعون فانسقينا بها وصحبها في الحوض ودعا بالبركة وتركه المفعول في يسقون وتوددان ولانسقي وف - قى لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما خرجهما لانهما كانتا على الزيادة - على السقي ولم يرجعهما لان مذوده - ما غنم ومستقيم بل مثلا وكذا في لانسقي وفسقى فالتقصوده السقي لانسقي ووجه مطابقة جوابه اسؤل الله ان سألهما عن سبب الذود فقالا لثا السبب في ذلك اننا امرأتان مستورتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ونستجعي من الاختلاط بهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وانما رضى شبيب عنه السلام لانيثيه بسقى المشاة لان هذا الامر في نفسه ليس بمحظور والدين لا ياباه وأما المروءة فعادات

الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال الأمم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة خصوصا اذا كانت الحاجة ضرورة (ثم تولى الى الظل) أي ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتشقة وما طال البلا عليه أنس بالشكوى اذا لنص في الشكوى الى المولى (فقال رب اني ما لاي شيء) أنزلت الى من خبير) قليل أو كثير غث أو رقيق (فقير) محتاج وعدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل ومطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق ظهره بطيه ويحتمل ان يريد ان فقير من الدنيا لال - ما أنزلت الى من خبير الدارين وهو النجاة من الظالمين لانه كان غدا فرفعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل الذي وفر حابه وشكره والوفاء ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الاقتدار

ما ورد على سره من الأوراد (خاتمة أحداها انتهى على استحياء قالت أن إلى يدعوك ليخرج بك أجمع ما سقيت لنا) على استحياء في موضع الحال أي منتهية وهو هذا دليل كمال إيمانها وتعرف عنصمها لأنها كانت تدعوه إلى ضيافتها ولم تعلم أحدهما أم لا فالتدعية مستحبة قد استمرت بكم درعها وما في ماسقيت مصدرية أي خراصة قيل روى أنها لما رجعتا إلى أبيهما قيل للناس واغنامهما حق قال لهما ما علمكما أننا وجدنا رجلا ضاقت لنا فقالا لأحدهما اذهبي فادعيني فقبعها موسى عليه السلام فالزقت الریح فوجها بحسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعني إلى الطريق (فلما جاءه وقص عليه القصص) أي قصته وأحواله مع فرعون والقصاص مصدر كالعمل سمي به المقصود (قال له) لا تخف نخوت من القوم الظالمين إذ لا سلطان لفرعون بارضنا وفيه دليل جواز العمل ٥٢٣ بخبر الواحد ولو عدا أو أنشئ والمنشئ مع الأجنبية

مع ذلك الاحتياط والتورع وأما أخذ الاجر على البر والمعروف فقيل أنه لا بأس به عند الحاجة كما كان موسى عليه السلام على أنه روى أنه لما قالت ليجزيك كره ذلك وانما أجابه لئلا ينجيب تصدها لأن القاصد حرمه وما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألت جئت ما قال بلى ولكن أخاف أن يكون عوضا عما سقيت لها وأنا أهل بيت لا يبيع ديننا بالنساء ولا ناخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فكل قالت أحدها ما أبت استأجره اتخذته أجيرا الرعي الغنم روى أن أكبرهما كانت تسهي صفراء والصغرى صفراء وصدهاء هي التي ذهبت به وطلبت إلى أبيهما أن يستأجره وهي التي تزوجها (أن خير من

الله تعالى) (خاتمة أحداها انتهى على استحياء) قيل هي الكبرى واسمها صفراء وقيل صفراء وقيل بل هي الصغرى واسمها هاليا وقيل صفراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلف من النساء خراجة ولا جعة ولكن جاءت مسترة قد وضعت كمر دعها على وجهها استحياء وقيل استحييت منه لأنها دعته لتسكفنه وقيل لأنها رسول أبيها (قالت أن إلى يدعوك ليخرج بك أجمع ما سقيت لنا) قيل لما سمع موسى ذلك كره أن يذهب معها ولكن كان جائعا فاجتمع به من الذهاب فبشت المرأة موسى خلفها فكانت الریح تصر بوجها فقصف ردفعها فكره موسى أن يرى ذلك من أفعالها المشي خلفي ودلعي على الطريق إذا أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعب إذا هو بالعتاء معها فقال اجلس يا فتى فتعش فقال موسى أعوذ بالله قال شعب ولم ذاك ألت بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لها وأنا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعب لا والله يا فتى ولكنك عادت في عادة آتاني تنرى الفسق ونطمع الطعام فجلسوا كل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) أي موسى (وقص عليه القصص) أي أخبره بأمره اجتمع من خبر ولادته وقتله القبطى وقصده فرعون قتله (قال لا تخف نخوت من القوم الظالمين) يعني من فرعون وقومه وانما قال ذلك لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت أحدها ما أبت استأجره) أي اتخذته أجيرا الرعي اغنامنا (أن خير من استأجر القوي الأمين) يعني أن خير من استعملت من قوى على العمل وأدى الأمانة فقال لها أوجها وما علمك بقوة وأمانته قالت ما قوة فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا رفعه إلا عشرة وقيل أربعون رجلا وأما أمانته فانه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الریح يدك (قال) شعيب عند ذلك (إني أريد أن أنكحك) أي أزوئك (أحدى بنتي هاتين) قيل زوجها الكبرى وقال ألا كثر ورائد وجه الصغرى منها واسمها صفراء وهي التي ذهبت في طلب موسى (على أن تأجرني ثمانى جيع) أي تكون لي أجيرا ثمان سنين (فان أتممت عشرا

استأجرت القوى الأمين) فقال وما علمك بقوة وأمانته فذكر نزاع الدول وأمرها بالمشي خلفه وورد له عمل بلفظ الماضي للدلالة على أن أمانته وقوته امر أن متحققا وقوله أن خير من استأجرت القوى الأمين كلام جامع لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة في القائم لم يترك فقد فرغ مالك وهممك وقيل القوى في دينه الأمين في جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجارى مجرى المثل عن أن يقول استأجره لقوته وأمانته وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاث بنت شعيب وضاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا أو ببكر في عمر (قال أني أريد أن أنكحك) أزوئك (أحدى بنتي هاتين) قوله هاتين يدل على أنه كان له غيرهما وهذه مواءمة ولم يكن ذلك عقد نكاح إذ لو كان عقد النكاح قد استكمل (على أن تأجرني) تكون أجيرا إلى أن كنت له أجيرا (ثمانى جيع) ظرف والحكمة السنة وجمعها حجج والترجح على رعي الغنم جائز بالإجماع لأنه من باب الاتيان بأمر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة (فان أتممت عشرا)

أى عمل عشرين جميع (فمن عندك) فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك أو اتساهم من عندك ولا حتمه عليك ولا كذا إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع (وما أريد أن أشق عليك) بالزائم أو الإجلين وحقية قومه شقت عليك وشق عليه الأمر إن الأمر إذا تعاضل فكأنه شق عليك ظنك بالنسب تقول تارة أطيعه وطورا لأطيعه (سبحي إن شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ومجوز أن يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته حين المعاملة بالمراد بالشرائط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه ومعونته لأنه إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ذلك (قال) موسى (ذلك) مبتدأ وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شيعب والمخير (بني وبينك) ٥٢٤ يعني ذلك الذي قالته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا

لا يخرج كلانا عنه لأننا فيها
شرطت على ولا أنت فيما شرطت
على نفسك ثم قال (أيما الأجلين
قضيت) أي أي أجل قضيت
من الأجلين يعني العشرة أو
الثمانية وأي نص بقضيت وما
فائدة و؟ كدة لانها ماى وهى
شرطية وجوابها (فلاعدوان
على) أى لا يعتدى على في طلب
الزيادة عليه قال المبرد قد علم أنه
لاعدوان عليه في أيهما ولكن
جمعهم ليحصل الأقل كالإتم في
الوفاء وكان طلب الزيادة على
الإتم عدوان فكذا اطلب الزيادة
على الأقل (والله على ما نقول
وكيل) هو من وكل إليه الأمر
وعدى يعلى لأنه استعمل في
موضع الشاهد والرقب روى
أن شعيباً كانت عنده عصى
الأنبياء عليهم السلام فقال
لموسى بالليل ادخل ذلك البيت
فخذ عصا من تلك العصى فاخذ
عصاها بها آدم من الجنة
ولم نزل الأنبياء عليهم السلام

فَنَعْنِدُكَ) اَيَ قَانِ اُتَمَّتِ الْعِشْرَةُ سِتِّينَ فَلَمَّا تَفَضَّلَ مِنْكَ وَتَبَرَّعَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيْكَ
(وَمَا يُرِيدَانِ اَشْرَقَ عَلَيْكَ) اَيَ اِلْمُكَّ تَمَّ الْعِشْرَةُ اِلَّا اَنْ تَبَرَّعَ (سَتَجِدُنِي اِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّالِحِينَ) اَيَ فِي حَسَنِ الْحَبَّةِ وَالْوَفَاءِ بِمَا قُلْتَ وَقِيلَ لِي بِدَايَا صِلَاحٍ حَسَنٍ الْعَامِلَةِ
وَلِيَنِ الْجَنَابِ وَانَّمَا قَالَ اِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا اَتَسْكَالَ عَلَيَّ تَوْفِيقُهُ وَمَعُونَتُهُ (قَالَ) يَعْنِي مُوسَى
(فَلَا بُنْيَ وَبَيْنُكَ) اَيَ مَاشَرُطَتِ عَلَى فُلْكَ وَمَاشَرُطَتِ مَنْ تَرْتَوِجُ احَدَا هُمَا فِي الْوَالِامِ
يُمْنًا عَلَى ذَلِكِ (أَجِبِ الْاِجْلِي قَضَيْتَ) اَيَ اَيَ الْاِجْلِي اُتَمَّتْ وَفَرَّغَتْ مِنْهُ الْاِثْنَانَةُ اَوْ
الْعِشْرَةُ (فَلَا عُدْوَانِي) اَيَ لَا ظُلْمَ لِي بَانَ اطَّالَبُ بِاَكْثَرِهِ (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ
وَكَائِلٌ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ شَهِيدُ بَنِي وَبَيْنُكَ (خ) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ
أَهْلِ الْحَبَرَةِ قَالِ الْاِجْلِي قَضَيْتَ مُوسَى ثَلَاثَ لَأَدْرِي حَتَّى أَقْدُمَ عَلَى خَيْرِ الْعَرَبِ بِفَأَسْأَلُهُ
فَقَدِمْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ قَضَى اَكْثَرَهُمَا وَاطْلُبْهُمَا لِانْ رَسُولَ اللَّهِ مَا ذَا قَالَ فَعَدَلَ
وَرَوَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ فَرَوَعًا اِذَا سَأَلْتَ اَيَ الْاِجْلِي قَضَى مُوسَى فَقُلْ خَيْرُهُمَا وَارْهَمَا وَادَا
سَأَلْتَ اَيَ الْمُرَاتِينَ تَرْتَوِجُ فَقُلْ الصَّغِيرُ مِنْهُمَا وَهِيَ الَّتِي جَاءَتْ فَقَالَتَ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ
فَتَرْتَوِجُ صَغِيرَاهُمَا وَقَضَى أَوْفَاهُمَا وَقَالَ وَهَبُ أَنْ كُنَّ الْكَبِيرَى وَرَوَى شَدَادُ بْنُ اَوْسٍ
مِنْ رَوَاعِيكَ شَيْبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى عَمِيَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَمِيَ
فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَمِيَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ فَقَالَ اللَّهُ مَا هَذَا الْبُكَاءُ أَشْرَفَ إِلَى
الْجَنَّةِ أَمْ خَوْفُ الْمَنَارِ فَقَالَ لَا يَارِبُ وَلَكِنْ شَوْقِي إِلَى ثَنَائِكَ فَادْعِ اللَّهَ إِلَيْهِ اِنْ يَكُنْ
ذَلِكَ فَهَنِي أَلَيْكَ لِقَائِي بِالشَّعِيبِ لَذَلِكَ أَخَذَ مِنْكَ كَلِمَتِي مُوسَى وَلَمَّا تَعَادَا هَذَا الْعَقْدَ بَيْنَهُمَا
أَمَرَ شَيْبُ ابْنَهُ أَنْ تَعْطِيَ مُوسَى عَصَاهُ بِدَفْعِهَا السَّبَاعَ عَنْ غَنَمِهِ قِيلَ كَانَتْ مِنْ آسِ
الْحُمْةِ جُلُهَا أَدَمَ مَعَهُ قَتَوَارُهَا الْاَنْبِيَاءُ وَكَانَ لَا يَأْخُذُهَا غَيْرُنِي اِلَّا كَلْتُهُ فَصَارَتْ مِنْ
أَدَمَ إِلَى نُوحٍ ثُمَّ إِلَى اِبْرَاهِيمَ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى شَيْبِ فَأَعْطَاهَا مُوسَى ثُمَّ اِنْ مُوسَى لِمَا قَضَى
الْاِجْلَ سَلَّمَ شَيْبُ إِلَهُ ابْنَتِهِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى اطْلُبْنِي مِنْ اِبْنِكَ لِيَجْعَلَ لَنَا بَعْضَ الْغَنَمِ
فَطَلَبْتِ مِنْ ابْنِهِ ذَلِكَ فَقَالَ لَسْكَالٌ كُلَّ مَوْلَدَتْ هَذَا الْعَامَ عَلَى غَيْرِ شَيْئَةٍ وَقِيلَ اِنْ شِئْتِ
اِرَادَانِ يَحْزَارَى مُوسَى عَلَى حَسَنِ رَعِيهِ اِكْرَاهَالَهُ وَصَلَهُ لِبَنَتِهِ فَقَالَ لَهَا اِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَكَ

يتوارثونها حتى وقت الى شعيب فسهاوا كأن مكفوفاً فاضن بها فقال خذغريها فساو قع في يده الا
هي سبع مرات فعلم ان له شأنا ولمّا أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ علي عينيك فان الكلاء وان كان بها
اكثر الا ان فيها تابنا انشاء عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات العين ولم يقدري على كفها فبقي على اثرها فاذا عشب ورى
لم ير مثله فنام فاذا التين قد اقبل فاربته العاصي قتله وعادت الى جنب موسى دامية قلما البصر هادامة والتين مثملا
ارواح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجد هالماى البطون غزيرة الابن فاجبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا
شأنا وقال له اني وهبت لاه من تاج غني هذا العام كل ادور عود رعاء فاحي اليه في المنام ان اضرب بعصا المستقي الغنم ففعل

ثم سقى فوضعت كلهن أدور عود رعاء فوق له بشرطه (فلما قضى موسى الاجل) قال عليه السلام قضى أوطاهم أو تزوج صغراهما وهذا بخلاف الرواية التي مرت (وسار ياهله) بآخر أنه تخوم مصر قال ابن عطاء سالم أجمل الخنفة ودنا أيام الزلفة وظهرت أنوار النبوة وسار ياهله ليستريح كوامه في أطراف صنع ربه ٥٢٥ (آ نس من جانب الطور نارا قال لاهله أمكروا

أي آ نس نار العلي آ نسك منها
مخبر عن الطريق لانه قد ضل
الطريق (أوجدنوه من النار
لعلكم تصطلون فلما أتاهم نودي
من شاطئ الوادي الايمن)
بالنسبة الى موسى (في البقعة
المباركة) بتكليم الله تعالى فيها
(من الشجرة) العناب أو
العوسج (أي يا موسى) أن مقبرة
أو مخفية من الثقلية (أي أنا
الله رب العالمين) قال جعفر
أبصر نار أدلة على الأنوار لانه
رأى النور في هيئة النار فلما
دنا منها شملت له أنوار القدس
وأحاطت به جلايب الانس
فخبط بالطف خطاب
واستدعى منه أحسن جواب
فصار بذلك مكلمة اشرف فأعطى
ماسأل وأمن مخاف والجودة
باللغات الثلاث وقرئ بهن فناصر
بفتح الجيم وجره وخلف بضمها
وغيره بكسرهما العود التليظ
كانت في رأسه نار أو لم تكن ومن
الاولى والثانية لابتداء الغاية
أي آناه النداء من شاطئ الوادي
من قبل الشجر ومن الشجرة
يدل من شاطئ الوادي يدل
لاشتمال لان الشجرة كانت ثابتة
على الشاطئ أي الجانب (وأن
الى عصاك) ونودي أن ألق

من ولد ألقناى كل ألقى وبلغا في هذه السنة فاوحى الله تعالى الى موسى في النوم أن
اختر بعصاك الماء ثم اسقى الأغنام منه ففعل ذلك فإحاطت واحدة الا وضعت
جاءها مابين ألقى وبلغا فعلم شيعب أن هذا رزق ساقه الله الى موسى وأمر أنه فوق له
بشرطه واعطاه الاغنام قوله عز وجل (فلما قضى موسى الاجل) أي أتمه وفورغ منه
(وسار ياهله) قيل مكث موسى بعد الاجل عند شيعب عشر سنين أخرى ثم أتاه في
العود الى مصر فاذن له فسار ياهله الى بن زوجته فاصدا الى مصر (آ نس) أي أبصر (من
جانب الطور نارا) وذلك انه كان في البر يبقى ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امرأته الطلق
(قال لاهله أمكروا) آ نس نار العلي آ نسك منها مخبر عن الطريق لانه كان قد
اخطأ الطريق (أوجدنوه من النار) أي تسدقون (فلما أتاهم نودي من شاطئ الوادي
اشتمل بعصاه) لعلكم تصطلون أي تسدقون (فلما أتاهم نودي من شاطئ الوادي
الايمن) يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) جعلها الله
مباركة لان الله تعالى كلم موسى هناك وبعبثه نبأ وقيل يريد البقعة المقدسة (من
الشجرة) أي من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضراء ترفو قيل كانت
عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس أنها العناب (أن يا موسى إني أنا الله رب
العالمين) قيل أن يا موسى لما رأى النار في الشجرة فالحضراء علم انه لا يتدبر على الجمع بين
النار وخمرة الشجرة الا الله تعالى فعمل بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى
خلق في نفس موسى علماً ضرورياً بان المتكلم هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله
تعالى وقيل انه قيل يا موسى كيف عرفت انه نداء الله قال اني سمعته بجميع اجزائ فلما
وجد خمس السبع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يتدبر عليه أحد الا الله تعالى (وأن ألق
عصاك) أي ألقها فلما رآها تهتز أي تتحرك (كأنها جان) هي الحية الصغيرة والمعنى
انها في سرعة تحركها كالحيمة السريعة المحركة (ولي مدبراً) أي هارياً منها (ولم يعقب)
أي ولم يرجع قال وهب أنها لم تدع شجرة ولا صغيرة الا بلغت ساحتي ان موسى سمع صرير
أسنانها ووقعه الشجر والخضر في جوفها فحينئذ دلى مدبراً ولم يعقب فنودي عند ذلك
(يا موسى أقبل ولا تخف انك من الامنين) قوله عز وجل (اسلك يدك) أي أدخل يدك
(في جيبك) تخرج بيضاء من غير سوء أي برص والمعنى انه أدخل يدهم فخرجت ولها
شعاع كضوء الشمس (واضم اليك جناحك من الرهب) أي من الخوف والمعنى اذا
هالك أمر يدك ومات ارم شعاعاً فأدخلها في جيبك تعدد الى حالتها الاولى وقال ابن
عباس أمر الله موسى ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه ماله من الخوف عند معانية
الحية وما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده الى صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم

عصاك قالها فلما قبلها الله عباناً (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية في سعيها وهي نمران في جنبها (ولي مدبراً ولم يعقب)
يرجع فقيل له (يا موسى أقبل ولا تخف انك من الامنين) أي أمنت من أن ينالك مكره من الحية (اسلك) أدخل (يدك)
في جيبك) جيب قبضك (تخرج بيضاء) كضوء الشمس (من غير سوء) برص (واضم اليك جناحك من الرهب)

مخازي، فتحتين و بصرى الرهب حفص الرهب وغيرهم ومعنى الكل الخوف والمعنى واضم يدك الى صدرك ذهاب ما بك من
فرق أى لاجل الحمية عن ابن عباس وصى الله عنهم ما كل خائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله
تعالى لما قلب العصا حية فرع موسى واتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فيقبل له ان اتقاء يدك فيه عصا حية عند
الاعداء فاذا اقبلتها فكانت قلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقاءك بها ثم أخرجهابيضاً، الفصل الامر ان اجتناب
ما هو غصاصة عليك واظهار همزة أخرى والمراد بان جناح اليد لان يدى الانسان غير ملتصقة بالذراع واذا أدخل يده اليمنى تحت
عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه أو أرم بدضم جناحه اليه فوضعه نفسه عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب
ولا يهرب استعارته من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وأرغامها والافخاجها مضمومان اليه مضمومان ومن معنى من الرهب
من أجل الرهب أى اذا أصابك الرهب عند رؤيه الحمية فاضم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سبباً وعلية فيما أمر
به من ضم جناحه اليه ومعنى واضم اليك ٥٢٦ جناحك واسلك يدك في جيبيك على أحد التفسيرين واحد ولو كن

خواف بين العبارتين لا خلاف
الغرض ان اذ الغرض في أحدهما
خروج اليد بضاء وفي الثاني
اخفاء الرهب ومعنى واضم يدك
الى جناحك في طه أدخل يمينك
تحت يمينك (فذلك) مخففاً
مثنى ذلك ومشدداً مكي وأبو
عمرو مثنى ذلك فالحدى التوئين
عروض من اللام المحذوفة
والمراد اليد والعصا (برهانان)
جنتان تسميان بيمتان وسميت
الحجة برهاناً لانارتاهما قولهم
للرأفة البيضاء برهجة (من)
ربك الى فرعون ومثله أى
أرسلناك الى فرعون ومثله

الجناح السكون أى سكن ووعدك واخضعتك أى جعلك جناحك لان من شأن الخائف ان
يضرب قلبه ويرتعده ويقل الرهب اليك بلغته جهر ومعناه اضم اليك يدك وأخرجهابيضاً
من كبدك لانه تناول العصا بيده في كفه (فذلك) يعنى العصا واليد البيضاء (برهانان)
أى آيتين (من ربك) الى فرعون ومثله انهم كانوا قومافاسقين أى خارجين عن الحق
(قال رب انى قتلت منهم نفساً) يعنى القبطى (فالخائف ان يقتلون) أى به (وأخى هرون
هو اقصم منى اسنان) أى بياناً وانما قال ذلك للعقدة التى كانت فى اسنانه من وضع الحجرة
فى فيه (فأرسله معى رداً) أى عوناً (يدقنى) يعنى فرعون وقيل تصديق هرون هو أن
يلخص الدلائل ويحجب عن الشبهات ويحادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد (أى)
اخاف ان يكذبون) يعنى فرعون وقومه (قال سئد عضدك باخيك) أى سئد يقول بكبه
وكان هرون عصراً (وتجعل لك اسططاناً) أى حجة وبرهاناً (فلا يضلون اليكما) أى يشتمل
ولا سوء (بآياتنا) قبل معناه تعطى كل من المعجزات فلا يضلون اليكما (انتم ومن اتبعكما
الغالبون) أى اليكما ولا يتبعكما الغلبة على فرعون وقومه (فلم اجاءهم موسى بآياتنا
يدنات) أى وضاحت (قالوا ما هذا الا سحر مفرى) أى مختلف (ومامعنا بهذا) أى بالذى
تدعوننا اليه (فى آياتنا الاولى) وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) أى انه يعلم

بهاتين الآيتين (انهم كانوا قومافاسقين) كافر بن (قال رب انى قتلت منهم نفساً) فافخاف ان يقتلون به غير الحق
بأه وبآية يعقوب (وأخى هرون هو اقصم منى اسنان) فاسله معى) حفص (رداً) حال أى عوناً يقال ردأته أعنته وبلاهمز
مدنى (يدقنى) عاصم وجزء صفة أى ردأه صدقاً والى وغيرهما بالجزم جواب لاسله ومعنى تدقيقه موسى اعانتة بان زيادة
البيان فى مضان الجدل ان احتاج اليه ليثبت دعواه لان يقول له صدقت أأتى الى قوله هو اقصم منى اسنان فاسله وفضل
القداحة انما يحتاج اليه لتقرر البرهان لا لقوله صدقت فيجب ان يوافق فيه بسوء بان (انى اخاف ان يكذبون) يكذبونى فى
الحالين يعقوب (قال سئد عضدك باخيك) سئد يقول بكبه اذا ايدت بشدة الاعتدال به فوام السيد والجملة تقوى بشدة اليد
على مزاوله الامور (وتجعل لك اسططاناً) غيبة وسلطان وهى فى قلوب الاعداء (فلا يضلون اليكما) بآياتنا الباء تتعلق
بعضاين أى لا يضلون اليكما بسبب آياتنا وتم الكلام او فتجعل لك اسططاناً أى سلطاناً بآياتنا او تحذوف أى اذ فيها
بآياتنا وهو بيان للغالبون لاصلة او قسم جوابه لا يضلون مقدم عليه (انتم ومن اتبعكما الغالبون) فلم اجاءهم موسى
بآياتنا يدنات) وضاحت (قالوا ما هذا الا سحر مفرى) أى سحر عمله انت ثم تترى به على الله او سحره موصوف بالافتراء
كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (ومامعنا بهذا آياتنا الاولى) حال منه و به عن هذا أى كانتا فى زمانهم
بى واحد تباكونه فيهم (وقال هوسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده

ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) أى رضى أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبياً وبه
بالمسدى ووعده حسن العقبي يعنى نفسه ولو كان كترعون ساحراً متريماً له ذلك لانه غنى حكم لا برسل الكاذبين
ولا نبى الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هى العاقبة الحمودة لقوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن
والمراد بالدار الدنا وعاقبتهم ان يحتم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالشرى والغفران قاله وسى بغير واو مكى وهو
حسن لان الموضوع موضع سؤال وبحسب أجابهم به موسى عند سمعيتهم مثل تلك الآيات العظام سحر أمة تترى ووجه
الآخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوافق الناظر بين القول والمقول وينصرف فساد أحد هما وصحة الآخر رضى أعلم
بخازى وأبو عمرو بن بكون حمزة وعلى (وقال فرعون يا أيها الملائكة ما علمت لكم من الغبى) ٢٧ قصص بنى عليه باله

غيره نقي وجوده اى مالكم من
الغبرى اى وهو على ظاهره وان
المغايرة غير معلوم عنده
(فأوقدلى يا هامان على الطين)
اى اطبع لى الآجر واتخذوه أنما
لم يقل مكان الطين هذا لانه
أول من عمل الآجر فهو يعلمه
الصناعة بهذه العبارة ولانه
أوضح وأشبه بكلام الجبارة اذ
أمر هامان وهو وزيره بالابتداء
على الطين منادى باسمه يساقى
وسط الكلام دليل التعظيم
والتخسير (فاجعل لى صرحاً)
قصر عالياً (أعلى أطلع) اى
اصعدوا لاطلاع الصعود (الى
اله موسى) حسب انه تعالى
فى مكان كما كان هو فى مكان
(واى لآلئنه) اى موسى (من
السكاذبين) فى دعواه ان له الها

الحق من المبط (ومن تكون له عاقبة الدار) أى العقبي الحمودة فى الدار الآخرة
(انه لا يفلح الظالمون) اى الكافرون (وقال فرعون يا أيها الملائكة ما علمت لكم من الغبى)
فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته (فأوقدلى يا هامان على الطين) أى
اطبع لى الآجر قيل انه أول من اتخذ آجر أو بنى به (فاجعل لى صرحاً) أى قصر عالياً
وقيل منارة قال أهل السير لم يفرعون وزيره هامان ببناء الصرح جميع هامان
العمال والقلعة حتى اجتمع عنده خمسة آلاف بناء سوى الاتباع والاجراء ويطبخ الآجر
والجص ويحرق الخشب ويضرب المناسير وأمر بالبناء فيمنوه ورفعه وشده حتى ارتفع
ارتفعاً عالم يبلغه نيران أحد من المخلوق وأراد الله ان يفتنهم فيه فلما فرغ أمره ارتقى
فرعون فوقه وأمر ببناء فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملجئة دما فقال قد
قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد راكباً على البرادين فبعث الله جبريل عند
غروب الشمس فضرب بجناحه قطعة من الخلق فوقعته على عسكره فقتلت
منهم ألف ألف رجل ووقع قطعة منه فى البحر وقطعة فى المغرب فلقى أحد عمل شأفيه
الاهلاك فذلك قوله (أعلى أطلع الى اله موسى) أى انظر اليه واقف على حاله (واى لآلئنه)
يعنى موسى (من السكاذبين) اى فى زعمه ان للارض والمخلوق الهاغبرى وانه أرسله
(واستكبر هو وجنوده فى الارض) اى نظم موعان الايمان ولم ينقادوا للحق بالباطل
والظلم (بغير الحق وظنوا أنهم الملائكة يرجعون) أى للحساب والجزاء (فأخذناه وجنوده
فنبذناهم فى اليم) اى فالتناهم فى البحر وهو القلزم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)
يعنى حسين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم أئمة) أى قادة ورؤساء (يدعون الى النار)

وانه أرسله النار سلاسلاً وقد تناقض الخلد ولقائه قال ما علمت لكم من الغبى ثم أظهر حاجته الى هامان وأثبت موسى الها
وأخبر انه غير متيقن بكذبه وكانه يتحصى عن عصا موسى عليه السلام فلا يس وقال لعلى أطلع الى اله موسى روى ان هامان
جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحاً لم يبلغه بناء أحد من المخلوق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث
قطع ووقع قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعته فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الاهلاك
(واستكبر هو وجنوده) تعظم (فى الارض) ارض مصر (بغير الحق) اى بالباطل فلا يستكبر بالحق لله تعالى وهو
الستكبر على الحقيقة سوى التماثل فى كبرياء الشان كما كبر رسولنا عن ربه التكبر اذ رأى فى نازعنى
واحد منهم ما للقيته فى النار وكل مستكبر سواه فاستكبر به بغير الحق (وظنوا أنهم الملائكة يرجعون) يرجعون نافع وحجة
وعلى وخلفه يعقوب (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) من الكلام المفهم الذى دل به على عظمة شأنه شمههم
استلالاً لعددهم وان كانوا الحم الغفير حصيات أخذناهم فكيف فطرهم فى البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان
عاقبة الظالمين) وحذر قومك فانك متصور عليهم (وجعلناهم أئمة) قادة (يدعون الى النار) اى على اهل النار قال ابن
عطاء نزع عن اسرارهم التوفيق وانوار التحقيق فهم فى ظلمات تنوهم لا يدلون على سبيل

الرشاد وفيه دلالات خلق افعال العباد (ويوم القيامة لا ينصرون) من العذاب (وابتغناهم في هذه الدنيا العنة) الزمناهم طردا وابتعادا عن الرجعة فويل هو ما لحقهم من لعن الناس اياهم بعدهم (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المظرودين المبعدين او المهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم ظفر للمقبوحين (ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة (من بعد ما هلكنا القرون الاولى) قوم نوح وهو دود صالح ولوط عليه السلام (بصاثر للناس) خال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يصبره الرشد ٥٢٨ والسعادة كان البصر نور العين الذي يصبر به الاجساد يريد آتيناها

التوراة انوار القلوب لانها كانت غيلا لا تبصر ولا تعرف حقا من باطل (وهدي) وارشادا لانهم كانوا يخضعون في ضلال (ورجة) لان اتباعها لانهم اذا عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة (اعلمهم يتذكرون) يتعظون (وما كنت يا محمد بجانب الجبل (الغربي) وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي وقع فيه ميقات موسى (اذ قضينا الى موسى الامر) اى كلناه وقرر بناه نجيا (وما كنت من الشاهدين) من جملة الشاهدين لا وحي اليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في مقامه (واكفنا انشأنا) بعد موسى (فرونا) فتناول عليهم العمر) اى طالت اعمارهم وقررت النبوة وكادت الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع الخسر يفتى كثير منها فارتلناك مجددا لتلك الاخبار مبينا ما وقع فيه الخسر يفتى واعطيناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى

اى الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من اطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة لا ينصرون) اى لا يعنون من العذاب (وابتغناهم في هذه الدنيا العنة) اى خزبا وبعد اوعظنا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) اى المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون وقوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (من بعد ما هلكنا القرون الاولى) يعنى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى (بصاثر للناس) اى ليصروا ذللا فيبتدوا به (وهدي) اى من الضلالة لمن عمل به (ورجة) اى اكل آمن به (اعلمهم يتذكرون) اى عافيه من الموعظ (وما كنت) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اى وما كنت يا محمد بجانب الغربى (اى بجانب الجبل الغربى) قال ابن عباس يريد حديث ناسى موسى ربه (اذ قضينا الى موسى الامر) اى عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) اى الحاضر من ذلك المقام الذى اوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك (ولكننا انشأنا قرونا) اى خلقنا بعده موسى (عما) (فتناول عليهم العمر) اى طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتروكوا امره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهدا في محمد والايان به فلما طال عليهم العمر وخالفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهد وتروكوا الوفاء بها (وما كنت ثاوبا) اى مقيما (فى اهل مدين) اى كقمام موسى وشعب فيهم (تتناول عليهم آياتنا) اى تذكرهم بالوعود والوعيد وقل معنا لم تشهد اهل مدين فتقرأ على اهل مكة خبرهم (ولكننا كنا مرسلين) يعنى ارسلناك رسولا وانزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتتناولها عليهم ولولا ذلك لما علمتها انت ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) اى بجانب الجبل الذى كلم الله موسى عليه (اذ نادينا) يعنى موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يارب ارنى محمد او امته قال اهلك ان تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت امته واممعتك صوتهم قال بلى يارب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلا بآياتهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلا بالاشياء والارحام اى ارحام الاممات لبيك الله لم لبيك ان الحمد والمنة لك والملك لاشريك لك قال الله تعالى يا امة محمد ان رضى سبقت غضبي وعفوى سبق عقالى قيد اعطيتكم قبل ان تسألوني وقد اجبتكم قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم قبل ان تستغفرونى ومن جاءنى يوم القيامة

كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكننا اوحينا اليك فذكر سبب الوحي الذى هو اطالة الفترة قبله على المحبب انحصار فاذا هذا الاستدراك الشديده الاستدراك كين بعده (وما كنت ثاوبا) مقيما (فى اهل مدين) وهم شعب واما المؤمنون به (تتناول عليهم آياتنا) تقرأها عليهم تعلم ما منهم يريد الايات التي فيها قصة شعب وقومه وتلوفى موضع نصب خبر ثمان احوال من الضمير ثاوبا (ولكننا كنا مرسلين) ارسلناك واختارنا بها واعلمنا كتابا (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى ان خذ الكتاب بقوة

(ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة (من ربك لتتذوقوا ما آتاهم من نذير من قبلك) في زمان الفترة بين عيسى وحوصمة ثم وخمسون سنة (لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت أيديهم) من الكفر والأظلم ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي نسبت الأعمال إلى الأيدي وإن كانت من أعمال القلوب تغلبها لا أكثر على الأقل (فبقوا) عند العذاب (ربنا) أرسلنا البينارسلوا فنتبش آياتك ونكون من المؤمنين) لولا الأوقى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والغاء الأولى للعطف ٥٢٩ والثانية جواب لولا لآياتها في حكم الأمر

إذا الأمر باعث على الفعل والباعث والمخفض من واد واحد والقاء تنخل في جواب الأمر والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلنا البينارسلوا لمحتججين عليهم بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحق ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بأن يكون سببا للإرسال ولكن العقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجوهها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال فدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا على الباء الغاء المعطية معنى السببية ويؤلف معناها إلى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا

بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبدي ورسولي دخل المحنة وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر (ولكن رحمة من ربك) أي رحمتك رحمة بارسالك والوحى إليك والإعلان على الأخبار الغائبة عنك (لتتذوقوا ما آتاهم من نذير من قبلك) يعني أهل مكة (لعلهم يتذكرون) أعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم فجمع بين هذه الأحوال الثلاثة العظيمة التي اتفقت أوصافها لرسوله إذ قضينا إلى موسى الأمر هو أنزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثوابي أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله أذنابا لدلالة المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بينا الرسول ولم يكن في هذه الأحوال حاضر بين الله أنه بعثه وعرفه هذه الأحوال الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومجربته كانه قال في أخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوته قوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أي عقوبة (بما قدمت أيديهم) يعني من الكفر والمعاصي (فبقوا لو أرسلوا) أي هلا (أرسلنا البينارسلوا فنتبش آياتك ونكون من المؤمنين) ومعنى الآية لولا أنهم يحتججون بترك الإرسال إليهم لما جلتهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك إليهم رسولاً ولكننا بعثناك إليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعني كفار مكة (لولا) أي هلا (أوقى) محمد من مثل ما أوقى موسى) يعني من الآيات كالعصا والبداء البضاء وقيل أوقى كتابا جملة واحدة كما أوقى موسى التوراة قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوقى موسى من قبل) قيل إن اليهود أرسلوا إلى قريش أن يسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما أوقى موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوقى موسى من قبل يعني اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال (قالوا ساحران تظاهرا) يعني التوراة والقرآن بقوى كل واحد منهما لا تتوحيقيل ساحران يعني محمد وأوموسى وقيل إن مشركي مكة بعثوا إلى رؤس اليهود بالمدية يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاجبروهم أن يعتنقوا كتابهم التوراة فرددوا فاجبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا (وقالوا أنا بكل كافرون) يعني بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى

(فلما جاءهم الحق من عندنا) أي القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المجزأ (قالوا) أي كفار مكة (لولا أوقى) هلا أعطى (مثل ما أوقى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة (أولم يكفروا) يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام (بما أوقى موسى من قبل) من قبل القرآن (قالوا) في موسى وهرون (ساحران تظاهرا) تعاونا سحران كوقى أي ذواسحر أو جعلوا سحرين مباغعة في وصفهما بالسحر (وقالوا أنا بكل) بكل واحد منهما (كافرون) وقيل إن أهل مكة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا أوقى التوراة والقرآن سحران تظاهرا أو ذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدية يسألونهم عن محمد فاجبروهم أنه في كتابهم

رجع الرهط الى قرش فاخبرهم بقول اليه ودفعوا له عند ذلك سحران تطاهرا (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى
 منهما) مما انزل على موسى ومما انزل على (آتبعه) جواب فأتوا (ان كنتم صادقين) في انهم اسحروا (فان لم يستجيبوا لك
 فاعل انما يتبعون أهواءهم) فان لم يستجيبوا ٥٣٠ دعاء الى الاتيان بالكتاب الالهى فاعلم انهم قد ازموا ولم يبن لهم

(قل) يا محمد فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما) يعنى من التوراة والقرآن
 (آتبعه) يعنى الكتاب الذى يأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بكتاب
 ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك (فان لم يستجيبوا لك) فاعلم انما يتبعون
 أهواءهم) يعنى ان ما ركبوه من الكفر لاجل حبه لهم فيه وانما اثاروا اتباعهم ما هم عليه من
 الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين)
 قوله عز وجل (ولقد وصلناهم الى الحق ولو كرهوا) قال ابن عباس يينا وقيل انزلنا آيات القرآن نسمع
 بعضها بعضا وقيل يينا لكفرهم بآيات القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا
 بتكذيبهم وقيل وصلناهم بخبر الدنيا بخير الآخرة حتى كانوا ياتوا الآخرة فى الدنيا
 (اعلمهم يذكرون) أى يتعظون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى من قبل محمد صلى
 الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب عبد الله
 ابن سلام وأصحابه وقيل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى
 الله عليه وسلم وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر بن ابى طالب فلما داروا امام المسلمين من
 الحجة والمخاصمة قالوا يا رسول الله اننا اموالافان اذنت لنا انصر ففنا ففنا بما واثقنا
 فواسيناهم المسلمين فاذن لهم فأنصر فوافوا قاياموا والمهم فواسوا بهم المسلمين فنزلت هذه
 الآيات الى قوله (وعما رزقناهم ينفقون) وقال ابن عباس نزلت فى عثمان بن عفان من أهل الكتاب
 اربعون من تجران واثنتان وثلاثون من الحبشة وعثمان بن عفان من الشام وصفهم الله تعالى
 فقال (واذا يتلى عليهم) يعنى القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) وذلك ان ذكر
 النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل (انا كنا من قبله
 مسلمين) أى من قبل القرآن محصلين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه
 نبي حق (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) يعنى بالماضيهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر
 (عاصروا) أى على دينهم وعلى اذى المشركين (عن أى موسى الاشعرى رضى الله
 عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من أهل الكتاب
 آمن بنبيه وأمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه
 ورجل كانت عنده أمة يؤدها فادها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعنتها
 ثم تزوجها فاهل اجران (ويدرون بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بشهادة
 أن لا اله الا الله اشرك وقيل يدفعون ماسعوا من اذى المشركين وشتمهم بالضعف
 والعجز (وعما رزقناهم ينفقون) أى فى الطاعة (واذا سمعوا اللغو) أى القول
 القبيح (أعصوا عنه) وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل مكة ويقولون
 تبالحكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لئن اسمعنا
 منكم أسمعناكم) أى لنسأديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام

حجة الاتباع الهوى (ومن
 ضل عن اتبع هواه بغير هدى
 من الله) أى لا أحد أضل من
 يتبع فى الدين هواه وبغير
 هدى حال أى يتخذ ولا يتخذ
 ينفه وبسبب هواه (ان الله
 لا يهدي القوم الظالمين) ولقد
 وصلنا لهم القول لعلمهم
 تذكرون (التوصل تسخير
 الوصل وتكريره) يعنى أن
 القرآن انما هم متابعوا متواصل
 وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا
 ومواعظ ليتخذوا حجة
 (الذين آتيناهم الكتاب من
 قبله) من قبل القرآن وخبر
 الذين (هم به) بالقرآن
 (يؤمنون) نزلت فى مؤمنى
 أهل الكتاب (واذا يتلى
 القرآن) عليهم قالوا آمنا به
 انه الحق من ربنا انما كنا من
 قبله) من قبل نزول القرآن
 (مسلمين) كاثنتين على دين
 الاسلام ومؤمنين بمحمد عليه
 السلام وقوله انه يعيد
 للايمان به لان كونه حقا من
 الله حقيقة بان يؤمن به وقوله
 انما بيان لقوله آمنا لانه محتمل
 أن يكون ايمانا قريبا
 العهد وبعبارة فاحصروا بان
 ايمانهم به متقدما (أولئك

يؤتون أجرهم مرتين عاصروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والقرآن أو بصبرهم على
 الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على اذى المشركين وأهل الكتاب (ويدرون بالحسنة السيئة) يدفعون
 بالطاعة المعصية أو بالتحمل الاذى (وعما رزقناهم ينفقون) يزكوا (واذا سمعوا اللغو) الباطل أو الشتم من المشركين (أعصوا
 عنه وقالوا) للأعصين (لما أسمعناكم) أسمعناكم سلام عليكم (أمان من أليكم بان تقابل لغوكم بكلمة

(لأنبئى المجاهدين) لا تريد مخالطتهم وصحبهم (أنك لا تهدي من أحببت) لا تتدبر أن تدخل في الاسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم (ولكن الله يهدي من يشاء) يخلق فعل الاهداء فمن يشاء (وهو أعلم بالماهدين) من يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالذلائل والاثبات قال الزجاج اجمع المفسرون على انها نزلت في أبي طالب وذلك انه قال عند موته بامعشر بنى هاشم صدقوا محمدًا وتفكروا فقال عليه السلام يا عموهم بالصحة لانفسهم وتبلغها انفسك قال فاستريد باين أني قال أريد منكم أن تقول لا اله الا الله أشهد لك به عند الله قال يا ابن أخي انما قد علمت انك صادق وليكني كره أن يقال خرج عند الموت وان كانت الصدقة عامة والا بحجة على المعتزلة لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس اجمع وليكن لهم هتدوا بسواه اختارهم فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء ٥٣١ واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا ان تتبع الهدى معك تخطف

من ارضنا ولم تكن لهم حرما آمنّا) قالت قريش نحن نعلم انك على الحق وليكننا نخاف ان اتبعناك وخالف العرب بذلك ان يتخطفوا من ارضنا فآلتهم الله ان يخرج بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحجامة البيت وأمن قطانه بحجامة والقرات تحيى اليهم من كل أوب وهم كفرة فأني يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم حجاز (يجي اليه) وبالنساء مدني ويعقوب وسهل أي تجلب وتحمع (عثرات كل شئ) معنى البكاه الكثرة كقوله وأوتيت من كل شئ (رزقا من لدنا) هو مصدرو لان معنى يجي اليه رزق أو مفعول له أو

التحية وليكن سلام المتاركة والمعنى سلمت منا لانعارضكم بالشم (لأنبئى المجاهدين) يعني لا تخب دينكم الذي أتتم عليه وقيل لا تريد أن تكون من أهل الجاهل والسفه وهذا قيل أن يؤمر المسلمون بالقتال ثم تنسخ ذلك بالقتال قوله تعالى (أنك لا تهدي من أحببت) أي هدايته وقيل أحببته لقرباته (ولكن الله يهدي من يشاء) وذلك ان الله تعالى يعطف في القلب نور الهداية فيشرح الصدور للايمان (وهو أعلم بالماهدين) أي بمن قدر له الهدى (م) عن أبي هريرة قال انك لا تهدي من أحببت نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راودعته أبا طالب على الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ي طالب عند الموت يا عمو قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا ان تعبرني قريش يقولون انما جعله على ذلك لمجزع لا قررت بها عينك ثم أنشد ولقد علمت بان دين محمد * من خير أدبان البرية دينا لولا الملامة أو حذار مرسية * لو جردتني سمعنا ذلك مدينا وليكن على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فانزل الله هذه الآية (وقالوا ان تتبع الهدى معك تخطف من ارضنا) يعني مكة نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان الذي تقول حق وليكن ان اتبعناك على دينك خفنا ان تخرجنا من العرب من ارض مكة قال الله تعالى (أولم يكن لهم حرما آمنّا) وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا حرمة الحرم ومن المعروف انه كان يامن فيه الظباء من الذئاب والشمام من الحداة (يجي اليه) أي تجلب ويجمع اليه ويحجم الى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن (عثرات كل شئ) رزقا من لدنا وليكن أكثرهم لا يعلمون (يعني ان أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك قوله عز وجل (ولم يهلكنا من قرية) أي من أهل قرية (بطرت معيشتها) أي أشرت وطغت وقيل عاشوا في البطرفا كما ورث الله وعبدوا الاصنام (فتلك مساكنهم لم تكن من بعدهم الا قليلا) قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون سكروا قليلا وقيل لم يعمر منها الا أنهارا وكثر خراب (وكنائهن الواثين)

حال من الثرات ان كان يعني مرقوق لتخصصها بالاضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بمن لدنا أي قليل منهم يعرفون بان ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهالة لا يعلمون ذلك ولو علموا أنه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده وليس اخافوا التخطف اذا آمنوا به (وكم أهل كنانا من قرية بطرت معيشتها) هذا الخوف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فاهلكوا وكم نصب باهلكنا ومعيشتها يحذف المحار وبإصال الفعل أي في معيشتها وبالطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه (فتلك مساكنهم) منازلهم باقية الاثمار يشاهدونها في الاسفار كبلا دثموه وقوم شعيب وغيرهم (لم تسكن) حال واعمال فيها الاشارة (من بعدهم الا قليلا) من السكى أي لم يسكنها الا المسافرون وما الطريق يوما أو ساعة

(وكان نحن الوارثين) لثالث المساكين من ساكنيها أي لا يملك التصرف فيها غيرنا (وما كان ربك مهلك القرى) في كل وقت (حتى يبعث في أهلها) وبكسر الهزة حمزة فوعلى أي في القرية التي هي أمها أي أصلها ومعظمها (رسولا) لازمام الحجة وقطع المذعة أو وما كان في حكم الله وسابق قضاءه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة لأن الأرض دحيت من تحتها رسولا يعني محمد عليه السلام (يتلو عليهم آياتنا) أي القرآن (وما كنا مهلكي القرى) إلا وأهلها ظالمون (أي وما أهلكناهم) للانتقام إلا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو صراهم على كفرهم وعداوتهم ومكارتهم بعد الأعداء الهم (وما أوتيتهم من شيء فتعاج الحيرة الدنيا وزينتها) وأي شيء أصبته ومن أسباب الدنيا فاهوا والاعتقوفينة أيا ما قلائل وهي مدة الحماية القانية (وما عند الله) وهو وثابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقي) لأنه دائم (أفلا تعقلون) إن الباقي خير من القاني وخير أبو عمرو بين الباء والتاء والباقيون بالياء لا غير وعن ابن عباس ٣٢ رضى الله عنهم ما إن الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف

يعلم بخلفهم فيها أحد بعدهم وهم صوابهم إلى الله تعالى لأنه الباقي بعد فناء الخلق (وما كان ربك مهلك القرى) يعني السكافة أهلها (حتى يبعث في أمها رسولا) أي في أكرها وأعظمها رسولا يندبرهم وخص الام ببعثة الرسول لأنه يبعث إلى الأشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في أم القرى وهي مكة رسولا يعني محمد صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الانبياء (يتلو عليهم آياتنا) يعني أنه يؤدي اليهم ويبلغهم وقيل يحضرهم أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا (وما كنا مهلكي القرى) إلا وأهلها ظالمون (أي مشركون قوله عز وجل) (وما أوتيتهم من شيء فتعاج الحيرة الدنيا وزينتها) أي تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي إلينا وفناء وانقضاء (وما عند الله خير وأبقى) لأن منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة القياس إلى البحر العظيم (أفلا تعقلون) أي إن الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرج الآخرة على الدنيا فلا فس معاقل ولهذا قال الشافعي من أوصى بثلاث ماله لا عقل الناس صرف ذلك الثلث إلى المستغنين بطاعة الله تعالى لأن عقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم إلا المستغنون بطاعة الله تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا) يعني الجنة (فهو لا يقبه) أي مصيبه وصائر إليه (كن متعنا مع الحيرة الدنيا) أي وتروئل عنه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أي في النار وقيل هذا في المؤمن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل على وجه آخر وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة قوله عز وجل (ويوم يناديهم فيقول أين شركائ الذين كنتم ترعون) أي في الدنيا أنهم شركائ الذين حق عليهم القول) أي وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (رونا هؤلاء الذين أغويتم) أي دعوناهم إلى التي

المؤمن والمنافق والكافر فالؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتعجب ثم قره هذه الآية بقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا) أي الجنة فلا شيء أحسن منها لانها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى (فهو لا يقبه) أي زائمه ومدركه ومصيبه (كن متعنا مع الحيرة الدنيا) أي ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من الذين احضروا النار ونحوه فكذبوا فاتهم محضرون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل لعنه الله أوفى على وجهه وأبي جهل أوفى المؤمن والكافر ومعنى الفاء الأولى أنه لما ذكر التفاوت بين منافع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله (أفمن وعدناه أي أبعده هذا التفاوت الجلي يسوي بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة الفاء الثانية

للتسبيل لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد وثمر لراحي حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كاقبل عضد في عضد وهم شبه المنفصل بالمتصل (ويوم يناديهم) ينادي الله الكفار ندا توبيخ وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب بذكر (فيقول أين شركائ) بناء على زعمهم (الذين كنتم ترعون) ومفعول لا ترعون محذوفان تقديره كنتم ترعونهم شركائ ويحذف المفعولان في باب ظننت ولا يجوز إلا فصار على أحدهما (قال الذين حق عليهم القول) أي الشياطين أو أئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه ونبت وهو قوله لا ملأنا جهم من الجنة والناس أجمعين (ر بنا هؤلاء) مبتدأ (الذين أغويتم) أي دعوناهم إلى الشرك وسؤلناهم التي صفة والراجع إلى الموصول محذوف والخبر (أغويتمناهم) والكاف في (كنتم ترعون) صفة مصدر محذوف تقديره أغويتمناهم فغوا وغايمنا مثل ما غوا يغايمون أنما غوا لا باختيارنا فغوا كذا غوا وباختيارهم لأن اغوا غايمنا لم يكن الا وسوسة وتوسيل فارق اغوا غايمنا غايمنا وان كان تسويلنا داعيا لهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل ومبعض اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب وهو قوله وقال الشيطان لما نضى الامران الله وعدكم وعد الحق إلى توبوا ولوموا أنفسكم (نبرأنا إليك) منهم وما اختاروه من البكر (ما كانوا يابعدونا)

بل يعدون أهواءهم ويطعون شهواتهم واخلاء الجلبتين من العاطف ليكونا مقربين لمعنى الجملة الاولى (وقيل) للمشركين (ادعوا شركاءكم) أى الاضنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فليستحيوا لهم) فلم يستحيوهم (وزاروا العذاب لوانهم كانوا يهتدون) وجواب لو محدوف أى لما رآوا العذاب (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبت المرسلين) الذين ارسلوا اليكم حتى اولا ما يوحى به من اتخاذهم لشركاء ثم ما يقوله الشياطين أو ائمة الكفر عندئذ يخبرهم لانهم اذا وحيوا بعبادة الا الهة اعتدروا بأن الشياطين هم الذين استغروهم ثم ما يشبهه السماة بهم لاستغاثتهم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يكون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العليل (فعميت عليهم الانباء يومئذ) خفيت عليهم الحجج أو الاخبار وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا ماذا يستحيون انتم بكن عندهم جواب (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والجهة رجاء ان يكون عندهم عذر وجهة لانهم يشاؤون في العجز عن الجواب (فاما من تاب) ٥٣٣

من الشرك (وآمن) بربه وبعما

جامع عنده (وعمل صالحا

فعمى أن يكون من المؤمنين) أى

فعمى أن يعلم عند الله وعسى

من الكرام تحقيق وفيه إشارة

للمسلمين على الاسلام وترغيب

للكافرين على الايمان ونزل

جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا

أنزل هذا القرآن على رجل من

القرنين عظيم بعنى نفسه أو

أبامسعود (وربك يخلق ما يشاء)

وفيه دلالة لخلق الافعال ووقوف

على (ويختار) أى وربك يخلق

ما يشاء وربك يختار ما يشاء

(ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم

ان يختاروا على الله شيئا فاوله

الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف في

ما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله

ويختار اذا المعنى ان الخيرة لله وهو

أعلم بوجوه الحمد على افعاله فليس

لاحدهم خلقه ان يختار ما يشاء

ومن وصل على معنى ويختار

وهم الاتباع (اغويناهم كغويانا) أى أضلناهم كما أضلنا (تبرأنا إليك ما كانوا ايانا يعبدون) معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء (وقيل) يعنى للكفار (ادعوا شركاءكم) أى الاضنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فليستحيوا لهم) أى لم يستحيوهم (وزاروا العذاب لوانهم كانوا يهتدون) معناه لوانهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رآوا العذاب في الآخرة (ويوم يناديهم) أى يسأل الكفار (فيقول ماذا اجبت المرسلين) أى ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين (فعميت عليهم) أى خفيت واشتمت عليهم (الانباء) يعنى الاخبار والاعذار والحجج (يومئذ) فليكن لهم عذر ولا جهة (فهم لا يتساءلون) أى لا يستحيون ولا يتحججون وقيل يسألون فلا يسأل بعضهم بعضا (فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعمى ان يكون من المؤمنين) أى من السعداء الناجين وعسى من الله واجب وقوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) تراءت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفى أخبر الله تعالى أنه لا سعة الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله أن يخص من يشاء بما يشاء لا اعتراض عليه البتة (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم الاختيار وليس لهم ان يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان هو الاصلح والخير فيه ثم نزه الله تعالى نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن) أى تخفى (صدورهم وما يعلنون) أى ظهورون (وهو الله لا اله الا هو له الاول والآخر) أى يحمد له اولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة (وله الحكم) أى فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمعزة ولا لاهل المعصية بالمشاقاة (واليه ترجعون) قوله عز وجل (قل) أى قل يا محمد لاهل مكة (أرأيتم) أى اخبروني (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) أى دائما (الى يوم القيامة) لانه لا يفيسه (من له غير الله بأن يكف

الذي لهم فيه الخيرة فقد أبعد بل ما تفي اختيار الخلق تقرير لا اختيار الحق ومن قال معناه ويختار له العباد ما هو خير لهم واصلح فهو مائل الى الاعتزال والخيرة من الخير يستعمل بمعنى المعذور وهو الخير ومعنى المختار كقولهم محمد خير الله من خلقه (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أى الله يرى من اشراكم وهو منزّه عن أن يكون لاحدهم عليه اختيار (وربك يعلم ما تكن) تضر (صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده (وما يعلنون) من مطاعهم فيه وقولهم هلا اخترت عليه غيره في النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالالهية المختص بها (لا اله الا هو) تقرر بذلك كقولنا القبلية السابعة لا قبله الا الهى (والحمد في الاولى الدنيا والآخرة) هو قولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الذى صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والحمد لله على وجه الالذ لا الكلفة (وله الحكم) القضاء بين عباده (واليه ترجعون) بالعبث والنشور وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (قل أرأيتم) أرأيتم محذوف الهمة على (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) ذو معقول ثان يجعل أى دائما من السرمد وهو المتتابع ومنه قولهم فى الأشهر الحرم ثلاثا تقسم دوا وحذر دوليم فريضة ووزنه فعل (الى يوم القيامة) من اله غير الله يا تيكم

بضياءه أفلا تسمعون) والمعنى أخبروني من يقدر على هذا (قل أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سمرمد إلى يوم القيامة من الغدير
 الله بآياتكم بابل تسكنون فيه أفلا تبصرون) وليقل بنهار تصرفون فيه كقالب بابل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس
 لأن المنافع التي تتعلق به أكثر من أن تحصى في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المترلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون
 لأن السمع يدرك ما لا يدرك البصر من ذكر منافعه ووصفوا أئدهم قرن بالليل أفلا تبصرون لأن غيركم تبصرون من منفعة الظلام
 ما تبصرون أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) أي لتسكنوا بالليل
 ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب اللطف والنشر (ولعلمكم تشكرون) الله على نعمه وقال الزجاج يحوزان يكون
 معناه لتسكنوا فيه ما ولتبتغوا من فضل الله ٥٣٤ فيهما ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا

من فضله فيه (وأيوم يناديهم
 فيقول أين شركائي الذين كنتم
 تترعون) كروا التوبيخ لاختاذ
 الشركاء ليؤذن أن لا شيء أجلب
 لغضب الله من الشركاء به كما
 لا شيء أدخل في خصائمه من
 توحيدهم (وترعنا) وأخرجنا
 (من كل أمة شهيدا) يعني نبينهم
 لأن الأنبياء للام شهداء عليهم
 يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا)
 للام (ها أتوا بهاتكم) فيما
 كنتم عليه من الشرك ومخالفة
 الرسل (فقلوا) حينئذ أن الحق
 لله التوحيد (وضل عنهم) وأغاب
 عنهم غيبة الشيء الضائع (ما كانوا
 يفكرون) من الوهية غير الله
 والشفاة لهم (ان قارون)
 لا ينصرف للحمية والتعريف
 ولو كان فاعولا من قرن الشيء
 لا ينصرف (كان من قوم موسى)
 كان اسراييليا ابن عم لموسى فهو
 قارون بن يصر بن قاهت بن
 لاوي بن يعقوب وموسى ابن

بضياء) أي بنهار تظلمون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أي سماع فهم وبقول (قل أرأيتم أن
 جعل الله عليكم النهار سمرمد إلى يوم القيامة) أي لاليل فيه من الغدير الله بآياتكم بابل
 تسكنون فيه أفلا تبصرون) أي ما أنتم عليه من الخطأ قيل أن من نعمة الله تعالى على
 الخلق أن جعل الليل والنهار يتعاقبان لأن المسرة في حال الدنيا وفي حال التكليف
 مدفوع إلى التعب ليحصل ما يحتاج إليه ولا يله ذلك لولا ضوء النهار ولا جله يحصل
 الاجتماع فتمكن المعاملات ومع لوم أن ذلك لا يتم إلا بالراحة والسكون بالليل فلا بد
 منهما فاما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم إلى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبدا
 فين الله تعالى أنه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار)
 أي يتعاقبان بالظلمة والضياء (لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) أي
 بالنهار (ولعلمكم تشكرون) أي نعم الله فيهما (وأيوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم
 تترعون) كروا ذلك النداء للشركاء لزيادة التقرير والتوبيخ (وترعنا) أي أخرجنا
 وقيل ميزنا (من كل أمة شهيدا) يعني رسولهم يشهد عليهم بأنه بلغهم رسالته وهم وضع
 لهم (فقلنا) أي للام المكذبة لرسولهم (ها أتوا بهاتكم) أي حجتكم بأن معي شركاء (فقلوا)
 أن الحق لله أي التوحيد لله (وضل عنهم) ما كانوا يفكرون أي يحتلقون في الدين من
 الكذب على الله قوله عز وجل (ان قارون كان من قوم موسى) قيل كان ابن عم موسى
 لأنه قارون بن يصر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب وموسى ابن عمران بن قاهت وقيل
 كان عم موسى ولم يكن في بني اسراييل أقرامنه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري
 (فبغى عليهم) قيل كان عاملا فرعون على بني اسراييل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى
 عليهم بكثرة قتاله وقيل زاد في طول شأبه شرا (ق) عن ابن عمران رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من حشبه خيلا أخرجها في الصحفين وقيل
 بغى عليهم بالكبر والعلو (وأتبعناه من الكفر زمان مفاقتهم) جمع مفاقتهم وهو الذي يفتحه
 الباب وقيل مفاقتهم يعني خزانته (لتنوع بالعصبة أولى القوة) معناه لتنوعهم وقيل بهم

عمران بن قاهت وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني اسراييل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري إذا
 (فبغى عليهم) من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسراييل فظلمهم وأمر النبي الكبير تكبر عليهم بكثرة قتاله وولده
 أوزاد عليهم في الثياب شبرا (وأتبعناه من الكفر زمان مفاقتهم) ما معني الذي في موضع نصب ما أتبعناه وان واسمها وخبرها
 صلة الذي ولهذا كسرت الهمزة جمع مفاقتهم بالكسر وهو ما يفتحه أو مفاقتهم بالفتح وهو الحزب أتبعناه لاصوب أنها المفاصلة
 (لتنوع بالعصبة) لتتنوع بالعصبة فالبلقاء العبدية يقال ناء به الجمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل
 مفاقتهم خزانته مستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا ين يد المفتاح على اصبع وكانت من جلود (أولى القوة) الشدة

(اذ قال له قومه) اى المؤمنون وقيل القائل موسى عليه السلام ومحل اذ نصب بنوه (لا تفرح) لا تنظر بكثرة المال كقولها ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدينيا الامن رضى بها واطمان وامان قلبه الى الآخرة ويعلم انه يترها عن قريب فلا يفرح بها (ان الله لا يحب الفرحين) البطرين بالمسال (واستغفما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تصدق على الفقراء واصل الرحم وتصرف الى ابواب الخير (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهوان تأخذ ما يكفيك وتصلحك وقيل معناه واطلب بدينك آخرتك فان ذلك حظ المؤمن منها ٥٣٥ (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) او احسن بشركك

وطاعتك لخلاق الانام كما أحسن اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد فى الارض) بالظلم والبعى (ان الله لا يحب المفسدين قال اغناؤنيته) اى المال (على علم عندى) اى على استحقاق لما فى من العلم الذى قضت به الناس وهو علم التوراة وعلوم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والتحاس فيجعلهما ذهباً والعسل بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندى صفة اعلم قال سهل ما نظر احد الى نفسه فافق والعبيد من صرف بصره عن أعماله واقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه فى جميع الافعال والاقوال والشقى من زين فى عينه أفعاله وأقواله واحواله ولا فتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاه لنفسه فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا (أولم يعلم) قارون (أن الله قد اهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة) هو اثبات لعلمه بان الله قد اهلك من القرون

إذا جلاها اثقلها قيل العصىة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الأربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل من اتبعه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أينما ذهب تحمل معه مفااتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فحمل في علمها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بعلاً (اذ قال له قومه لا تفرح) اى لا بطر ولا تافرح (ان الله لا يحب الفرحين) اى الاشرفين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل انه لا يفرح بالدينيا الامن رضى بها واطمان اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح واقد أحسن من قال أشد الفم عندى فى سرور * تبغ عنه صاحبه انتقلا (واستغفما آتاك الله الدار الآخرة) اى اطلب فيما أعطاك الله من الاموال الجنة وهو ان تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وثقه فى رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) اى لا تترك أن تعمل فى الدنيا والآخرة حتى تخوم من العذاب لان حقيقة نصب الانسان من الدنيا ان يعمل فى الآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشيائك وغناك أن تطلب بها الآخرة * عن عمرو بن ميمون الاودى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خسا قبل حس شيائك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفرغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم (وأحسن كما أحسن الله اليك) اى أحسن بطاعة الله كما أحسن اليك بنعمته وقيل أحسن الى الناس (ولا تبغ) اى ولا تطلب (الفساد فى الارض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد فى الارض (ان الله لا يحب المفسدين قال) يعنى قارون (اغناؤنيته على علم عندى) اى على فضل وخير علمه الله عندى فرائى أهلاً لذلك ففضلى بهذا المال عليكم كما فضلى بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلى يوشع بن نون ثاب ذلك العلم وعلم كالب بن يونس ثلثه وعلم قارون ثلثه فغداهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن التحاس ذهباً وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف فى التجارات والزراعات وأنواع المكاسب فالله عز وجل (أولم يعلم أن الله قد اهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة) كتر جمعاً اى الاموال (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) قيل معناه ان الله تعالى اذا أراد عقاب

قله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه فى التوراة كانه قيل أولم يعلم فى جملة ما عند من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته أو نفي لعلمه بذلك لانه ما قال أو نيته على علم عندى قيل اعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه وادى نفسه به مستوجبة لكل نعمه ولم يعلم بهذا العلم النافع حتى بقى به نفسه مصارع الهالكين (وأ كتر جمعاً) للمال أو كتر جماعاً وعدداً (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب أو يعترفون بها بغير سؤال أو يعترفون بسيماهم فلا يسئلون ولا يسئلون ليعلم من جهنم بل يسئلون سؤال تو بئح أو لا يسئل عن ذنوب الماخذين المجرمون من هذه الآية

(نخرج على قومه في زينته) في الحمرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الدياج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بعض عليهن الحلي والدياج وفي زينته ٥٣٦ حال من فاعل خرج أى متريفاً قال الذين يريدون الحمرة الدنيا

قبل كانوا مسلمين وأغاثوا على سبيل الرغبة في الديار كعادة البشر وقيل كانوا كفارا (يألبت لنا مثل ما أوتى قارون) قالوه غبطة والغبط هو الذي يقضى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه كهدية الآلة والمحاسن وهو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى ولا تتنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسل الله صلى الله عليه وسلم هل تضر الغبطة قال لا لا كما يضر العضاء الحيط (انه لذهوظ عظيم) الحظ الجدد وهو البخت والدولة (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وفساء الدنيا وبقاء العقبي لغابى قارون (ويلكم) أصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى وفي التذبان في اعراب القرآن حو مفعول فعل محذوف أى ألزمكم الله ويلكم (ثواب الله خير من آمن وعمل صالحا ولا يلقاها) أى لا يلقن هذه الكلمة وهى ثواب الله خير (الا الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من الغليل عن الكثير (ففسنا

الحمرة من فلا حاجة به الى سؤالهم لانهم عالم بحالهم وقيل لا يستأثرون سؤال استعلام وانما يستأثرون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لاسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم قوله عز وجل (نخرج على قومه في زينته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفا عليهم الثياب الحمرة والصفرة والمعصفرات وقيل خرج جبرائيل يصعب عليها سروج الأرجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلثمائة جارية بضياء عليهن الحلي والثياب الحمرة وهن على البغال الشهباء قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يألوت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذهوظ عظيم) أى من المال (وقال الذين أوتوا العلم) أى ما وعد الله من الثواب والخير (خير من آمن) أى صدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) أى ذلك خير مما أوتى قارون في الدنيا (ولا يلقاها الا الصابرون) أى لا يأتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يأتى هذه الكلمة وهى قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون أى على طغيانه وعصيانته أن الله تعالى أوحى الى موسى ان يأمر قومه ان يعلقوا اوردبتهم خيوطا رقيقة كل طرف خيطا أخضر كاون السماء يذكرونى به اذا نظروا الى السماء ويعلقون اى منزل منها كلابى فقال موسى يارب أفلا تأمرهم ان يجعلوا اوردبتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تسبغ هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى ان الصغبر من امرئ ليس بصغير فاذا لم يطيعونى فى الامر الصغبر لم يطيعونى فى الامر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يامركم ان تعلقوا اوردبتكم خيوطا خضرا كاون السماء لى تذكروا ربكم اذا رايتوها ففعل بنو اسرائيل ما امرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما فعل هذا الارباب بعبيدهم لى يتميزوا عن غيرهم فكان هذا عصىانه وبقية فلما قطع موسى بنى اسرائيل البحر جعلت المحمورة لمرون وهى رأسه المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بقربانهم الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك اى نفسه فألقى الى موسى فقال له يا موسى لك الرسالة ولمرون المحمورة ولست فى شئ من ذلك وأنا أقرأ التوراة لاصبر لى على هذا فقال اما انما جعلتها لمرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا اصدقك حتى ترى بينه وبينه ففزع موسى رؤساء بنى اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فخرمها والقها فى قبضة التى تعبد فيها وبعدها اخرجسون عصيهم حتى اصبحوا فاصبحت عصاهرون قد هتكتلها ورق أخضر وكانت من شجر الازر

به وبارا الارض) كان قارون يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فاستكبره فشعث به نفسه ففزع بنى اسرائيل وقال ان موسى يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فربما عاشت قال بنو اسرائيل فلانة البنى حتى ترمسه

فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا يا عجيب مما صنعت من السحر
واعترل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه القرابة التي بينهما وهو يؤذيه كل
وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبيرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب
وضرب على جدرانها صفايح الذهب وكان الملا من بني اسرائيل يغدون اليه ويروحون
فيقطعهم الماعام ويحذونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى
أناه قارون فصالحه على كل الف دينار وعنه دينار وعلى كل الف درهم عندهم وكل
الفشة عندها شاة وكذلك ساثر الاشياء ثم رجع الى بيته فحبه فوجدته شيا كثيرا فلم
تسمع نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شيء فاطعوه وهو
يريد ان ياخذ أموالكم فقالوا انت كبير نافرنا عاشت قال آثم كم ان تحيوا واثلا لئلا البغي
وتجبروا علىكم لها جعلنا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو
اسرائيل فرفضوه فدعوا لها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طست من
ذهب وقيل قال لها قارون انزلها واخطك بنسائي على ان تقذف موسى بنفسك غدا
اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال
ان بني اسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في مرج
من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه
ثمانين ذنبا ومن زنى ولم يست له امر آفة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امر آفة رجناه الى ان يموت
فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك تجرت
بملائكة البغي قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وانزل
التوراة الاصدت فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها حدثتوبة افضل من
ان اودى رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لي جعلنا على ان اقدفك بنفسى
فخر موسى ساجدا يركي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه انى
أمرت الارض ان تطيعك ففرها عاشت فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى
قارون كبايعته الى فرعون فن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا
فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذهم فاخذتهم يا قدماهم وقيل كان
على سر بره وفرقه فاخذته الارض حتى غابت سر بره ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم الى
الرب ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم
الى الاعناق واتحسبها في ذلك يضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى
قيل انه ناشده أربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لا يأنف الى الله فغضبه
ثم قال يا أرض خذهم فاطقت عليهم الارض فاوحى الله الى موسى ما أغلظ قلبك
استعيت بك قارون سبعين مرة فلم تغنه أ ما وعزتي وحلاي لو اسبغت في مرة لا غنته وفي
بعض الآثار لا أجعل الارض بعدك طوعا ولا حذرا قال قتادة خسف به الارض فهو
يخجل في الارض كل يوم فامة رجل لا يبلغ قرارها الى يوم القيامة وأصبح بنو اسرائيل
يقولون فيما بينهم اننا ندعوا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله

بنفسه افترضه بنو اسرائيل فجعل لها ألف دينار وأوطأ من ذهب وأوحى له فلما كان يوم عيده قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعة ناه ومن افترى جلد ناه ومن زنى وهو غير محصن جلد ناه وان احسن رجلاه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فخرت بفلاته فاحضرت فناسد ما بالذى فلقى البحر وأنزل التوراة أن تصدق فقال جعل لي قارون جعلا على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا ليكى وقال يا رب ان كنت رسولك فأغضب لى فأوحى الله اليه ان ام الارض عاشت فانها مطبعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلمم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذهم فاخذتهم الى الالوساط ثم قال خذهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه ينصرون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذهم فانطقت عليهم فقال الله تعالى استغاث بك امرأ فرجته فوعزنى لولاسترجنى مرة لرجته فقال بعض بنى اسرائيل انما أهلكم لربنا له فدعا الله حتى خسف بداره وكوزهم فما كان له من فئة اجماعة ٥٣٨ ينصرونه من دون الله) ينعونه من عذاب الله (وما كان من المنتصرين)

موسى حتى خسف بداره وكوزهم وأمواله الارض فذلك قوله تعالى (فا كان له من فئة) اى جماعة (ينصرونه من دون الله) أى ينعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من المنتقمين عما نزل به من الحسف (وأصبح الذى تمناه كانه بالامس) اى صار أولئك الذين تمناه مازقه الله من الاموال والزينة يندمون على ذلك التمنى (يقولون ويكان الله) ألم تعلم وقيل ألم ترو قيل هى كلمة تقر بمعناها ما ترى صنع الله واحسانه وقيل وبلى يعنى وبلى أعلم ان الله وروى ان وى مقصولة من كان والمعنى ان التوم ندموا فقالوا متندم على ما سلف منهم وى وكان معناها اظن وأقدر ان الله (يسيطر الرزق لمن يشاء من عباده وبقدر) قال ابن عباس اى يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء (ولول ان من الله علينا) اى بالايان (لحسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون) قوله عز وجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض اى استكبارا عن الايمان وقيل علوا واستغالة على الناس وثنا وانهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذى سلطان وعن على أنها نزلت فى أهل التواضع من الولاة وأهل المقدرة (ولافساد) قيل الذين يدعون الى غير عبادة الله تعالى وقيل أخذ أموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصى (والعاقبة للمتقين) اى العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بآداء امره واجتناب نواذيه وقيل عاقبة المتقين الحجة (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا

من المنتقمين من موسى أو من المنتقمين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه منه فامتنع (وأصبح) وصار (الذين تمناه مكانه) منزلته من الدنيا (بالامس) ظرف لتعنتوا ولم يردبه اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت القريب استعاره (يقولون) وى كان الله يسيط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) وى منفصلة عن كان عند البصريين قال سيبويه وى كلمة تندية على الخطأ تندم يستعملها النادم باطلا رندا مته يعنى ان التوم قد تبتهوا على خطئهم فى

تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اتى قارون وندموا (ولول ان من الله علينا) بصرف ما كنا تمناه بالامس (لحسف يجزى بنا) وبفئة من حفص وبعقوب وهمل وفيه ضمير الله تعالى (وى كانه لا يفلح الكافرون) اى تندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون (تلك الدار الآخرة) تلك تعظيم لها وتخييم لشأنها يعنى تلك التى سمعت بذكرها وببغلت وصفها وقوله (نجعلها) خير تلك الدار اربعة (للذين لا يريدون علوا فى الارض) بغيا بن جبر وطمعا لخلقك أو كبرا (ولافسادا) عللا بالمعاصى أو قتل النفس أو دعاء الى عبادة غير الله ولم يعمل الموعد بترك النبل والفساد ولكن بترك ارادتها وما ميل القلوب اليها كما قال ولا ترى كمال الذى ظلموا فعلى الوعد بالاركون وعن على رضى الله عنه ان الرجل ليجمعها ان يكون شركا نفعه أجود من شرك نفع صاحبها فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الامانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم حقيقة التنفير عن متابعة فرعون وقارون مشبها بقوله ان فرعون علوا فى الارض ولا تبغ ألسادى الارض (والعاقبة) المحمودة (للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها) مرفى النمل (ومن جاء بالسيئة فلا

يجزى الذين عملوا السئات) معناه فلا يجوزون فوضع الذين عملوا السئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السئة اليهم مكرها وفضل تهجين محال لهم وزادة تغيب للسئة الى قلوب السامعين (الاما كانوا يعملون) الامثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لايجزى السئة الاعمالها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبب جماعة (ان الذي فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته ونبأه وعوا العمل بما فيه (لرادك) بعد الموت (الى معاد) أى معاد والى معاد ليس لغريم من البشر فلذا نكره أو المراد به مكة والمراد به اليوم الفخ لها كانت في ذلك اليوم معادا ٢٩ له شان ورجع الله اعتدادا لعدة رسول

الله وقهره لاهلهما وظهوره عز الاسلام وأهله وذو الشرك وحزبه والسورة مكتوبة ولكن هذه الآية نزلت بالحكمة لا بمكة ولا بالمدينة حين أشتاق الى مولده ومولد آبائه ولما وعد رسوله الردى الى معاده قال (قل) للمشركين (دى أعلم من جاء بالهدى) يعنى نفسه وماله من الثواب في معاده (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين وما يستحقونه من العذاب فى معادهم من فى محصل نصب بفعل مضمع أى يعلم (وما كنت ترجوا أن يلقى) يوحى (الىك الكتاب) القرآن (الا رجعة من ربك) هو محمول على المعنى أى وما لى اليك الكتاب الا رجعة من ربك أو الا بمعنى لكن للاستدراك أى ولكن رجعة من ربك لى اليك الكتاب (فلا تكون ظهيرا للكافرين) معناهم على دينهم (ولا يصدنك عن آيات الله) هو

يجزى الذين عملوا السئات الاما كانوا يعملون) تقدم نفسه قوله تعالى (ان الذى فرض عليك القرآن) أى أنزل عليك القرآن وقيل معناه أوجب عليك العمل بالقرآن (لرادك الى معاد) قال ابن عباس الى مكة أخرجه البخارى عنه قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه يتصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الظالم فلما أمن رجع الى الطريق ونزل المحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فأتاه جبريل عليه السلام وقال له أشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه الآية نزلت بالحكمة ليست عكسية ولا مدنية وقال ابن عباس أيضا لرادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الجنة (قل دى أعلم من جاء بالهدى) هذا جواب الكفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك لى فى ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم دى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين ومعناه هو أعلم بالقرينين قوله عز وجل (وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب) أى يوحى اليك القرآن (الا رجعة من ربك) فاعطاك القرآن (فلا تكون ظهيرا) أى معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوه الى دين آبائه فذكره معناه عليه وسماه عن مظاهرهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعنى القرآن (بعدا) نزلت اليك (واذع الى ربك) الى معرفته وتوحيده (ولا تكون من المشركين) قال ابن عباس المحطاب فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أى ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم (ولا تدع مع الله الها آخر) معناه واجب على الكل الا انه خاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعوه الله الها آخر فافند هذا النهى قلب المحطاب معه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكلا على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره (الا اله الا هو كل شئ هالك) أى فان (الاوجه) أى الا هو والوجه به يعبر عن الذات وقيل معناه الاما أرى بديه وجهه لان كل شئ أرى بديه غير الله فهو هالك (له الحكم) أى فصل القضاء بين الخلق (واليه ترجعون) أى تردون فى الآخرة فيجزىكم بما عملتم والله اعلم بمراده

على الجمع أى لا تمنك هذا لان العمل بآيات الله أى القرآن (بعدا) نزلت اليك (الا يأتى اى بعد وقت انزاله واذ يضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وقومئذ) وادع الى ربك (الى توحيده وعبادته) ولا تكون من المشركين (ولا تدع مع الله الها آخر) قال ابن عباس رضى الله عنهما المحطاب فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به دينه ولان العصمة لا تمنع النهى والوقف على آخر لازم لانه لو وصل اصاب (الا اله الا هو) صفة لاهل آخروفيه من الفساد ما فيه (كل شئ هالك الا وجهه) أى الا اله الا هو والوجه به يعبر عن الذات وقال مجاهد يعنى علم العلماء اذ أرى بديه وجهه الله (له الحكم) القضاء خلقه (واليه ترجعون) ترجعون فيخرج التاء كسر الجيم يعقوب والله أعلم

﴿سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ الحسبان قوة أحد المقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والعلم فهو القطع على أحدهما ولا يصح تعليقهما بمعنى المفردات وليكن بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيداً وظننت الفرس لم يكن شيا حتى تقول حسبت زيداً عالماً وظننت الفرس جواداً لأن قولك زيد عالماً والفرس جواد كلام دال على مضمون فإذا أردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتاً عندك على وجه الظن لا اليقين أدخلت على شطري الجملة فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه ٤٠ الحسبان هنا إن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تسديره

أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفتوع وحسبوا وقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فثمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقول عنتره
﴿فتركت جز السباع ينشئه﴾
الترى أنك قبل الخي بالمحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام وهو استفهام توبيخ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مارقة الاوطان وبجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والتقذ وأنواع المصائب في النفس والاموال ومصابة الكفار على اذاهم وكيدهم وروى أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله

(تفسير سورة العنكبوت)

وهي مكية وأياتها تسع وستون آية وكل آياتها تسع مائة وخمسون كلمة وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسة وستون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل ﴿ألم أحسب الناس أن يأتوا الظن أن يتركوا﴾ أي بغير اختبار وابتلاء (أن) أي بان (يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أي لا يتلون في أموالهم وأنفسهم كلاً لاختبرهم لبين الخالص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام في كتب اليهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يقبل منهم إلا أقرباً بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فأتبهم المشركون فقاتلهم الكفار ففهمهم من قتل ومهملهم من نجوا فنزل الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سامية بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن عمار بن أسير وغيرهم وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في معجع بن عبد الله مولى عرو وكان أول من قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء معجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فخرج عابوا و امراته فأنزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى (ولقد فتنا الذين من قبلهم) يعني الأنبياء ففهمهم من نمر بالمشرك ومنهم من قتل وأبى بنو إسرائيل بقرعون فكان يسومهم سوء العذاب (فليعلمن الله الذين صدقوا) أي في قوله (م) (وليعلمن السكاذبين) والله تعالى عالمهم قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهرن الله الصادقين من السكاذبين حتى يوجد معلوم وقيل إن آثار أفعال الحق صفة يظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع قوله تعالى (ألم حسب الذين يعملون السيئات) يعني الشرك (أن يسبقونا) أي يحجزونا فلا نقدر

عليه وسلم فخرجوا من أذى المشركين أوفى عمار بن أسير وكان يعذب في الله (ولقد فتنا) على

اختبرنا وهو موصول بأحسب أو بالفتنون (الذين من قبلهم) بأنواع الفتن ففهمهم من بوضع المشرك على رأسه فيفرق فرقتين ما يصر فذلك عن دينه ومنهم من عيش طامعاً بصر فذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الإيمان (وليعلمن السكاذبين) فيهم ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك في عالميز أن يعلمه موجوداً عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد المعنى ولتميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطاء بن رباح صدق العبد من كذبه أوقات الرخاء والسوء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهم من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجرى في أيام السوء فهو من الكاذبين (ألم حسب الذين يعملون السيئات) أي الشرك والمعاصي (أن يسبقونا) أي يفوتونا يعني أن الجزء يطعمهم لاحالة واشتغال صلة أن على مسند ومسد إليه مسد مفعولين كقوله أم

حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضم حسبه معنى قدروا مئة قطعة ومعنى الاضراب فيها أن هذا الحسين أبطل من الحسين الاول لأن ذلك يقدر أنه لا يمكن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه وقالوا الاول في المؤمنين وهذا في الكافرين (ساء ما يحكمون) مافي موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم أو نصب على معنى ساء حكمي يحكمون والخصوص بالذم محذوف أي بش حكمي حكمهم (من كان رجوا لقاء الله) أي يأمل ثوابه أو يخاف حسابه فالرجاء محتملهما (فان أجل الله) المضروب للثواب والعقاب (لا ت) لاحتفاء قليلا درنا عمل ٥٤١

أمله (وهو السميع) لما يقوله عباده (العليم) بما يفعلونه فلا يفوتونه شيئا وقال الزجاج من للشرط يرتفع بالا ابتداء وجواب الشرط فان أجل الله لا ت كنسولك أن كان ز بدق الدار فقد صدق الوعد (ومن جاهد) نفسه بالصبر على طاعة الله أو الشيطان بدفع وساوسه أو الكفار (فانما جاهد نفسه) لأن منفعة ذلك ترجع اليها (ان الله لغني عن العالمين) وعن طاعتهم وبجهادهم وانما أروهنى وجهه لعباده (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنذكرن عنهم سيئاتهم) أي الشرك والمعاصي بالايان والتوبة (ولنجزينهم) أحسن الذي كانوا يعملون (أي احسن جزاء اعمالهم في الاسلام) (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيد بان يفعل خيرا كما تقول

على الانتقام منهم (ساء ما يحكمون من كان رجوا لقاء الله) قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله (فان أجل الله لا ت) يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل يوم القيامة لكائن والمعنى ان من يخشى الله ويؤمله فليست تعدله وليعمل لذلك اليوم (وهو السميع العليم) أي يعلم ما يعمل العباد من الصلوة والمعصية فينبههم أو يعاقبهم أو يعفو قوله تعالى (ومن جاهد فانهما يحاهد لنفسه) أي له ثوابه وهذا يحكم الوعد لا يحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى والمجاهد هو الصبر على الاعداء والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس (ان الله لغني عن العالمين) أي عن اعمالهم وعبادتهم وفيه بشاره وتخويف أما البشارة فلانه اذا كان غنيا عن الاشياء فلو أعطى جميع ما خلقه لعباده من عباده لا شيء عليه لاستغناؤه عنه وهذا وجب الرجاء لتام وأما التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو اهلكهم بعذابه فلا شيء عليه لاستغناؤه عنهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنذكرن عنهم سيئاتهم) أي لنبطلن ما حتى تصير منزلة ما لم يعملوا والتكفير اذ هاب السيئة بالحقنة (ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي باحسن اعمالهم وهو الطاعة وقيل يعطيهم أكثر مما عملوا قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) معناه ابراهيمما وعقبا عليه ما والمعنى ووصينا الانسان بوالديه ان يفعل بهما ما يحسن نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد بن أبي وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك الزهري وأمه حمنة بنت ابي سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بابيه قالت له أمه ما هذا الذي أحدثت والله ما آكل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه أو أموت فتعبر بذلك أبا الدهر ويقال بأقبل أمه ثم انها مكثت يوما ليله ما تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما آخر وليس له ففاهها فقال يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسك فاسما ما تركت ديني فكلني ان شئت وان شئت فلانا كلني فلها ما استمنهأ كنت وشربت فانزل الله هذه الآية وأمره بالبر بالديه والاحسان اليهما وان لا

أمر بهما ان يفعل ومنه قوله ووصي بها ابراهيم بنه أي وصاهم بكلمة التوحيد واهم بها وقولنا وصيت زيد بان يفعل ومنه معناه وصيته بتعهدهم وورعاه وتوخذ ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا ووصيناها بآباء والديه حسنا أي فعلا لا حسن أو ما هو في ذاته حسن لقرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيد باضمار اضرب اذا رايته تهيم بالاضرب فتضربه باضمار أو فلما أو افعل بهما لان التوصية بهما الدال عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا أولهما امر وفاولا قطعهما في الشرك اذا جلال عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وأبتدئ حسنا حسن الوقتف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقتنا

(وان جاهدك ايها الانسان) (الشرك في ما ليس لك به علم) اي لاعلم لك بالحقية والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لشرك في شئ الا يصح ان يكون لها (فلا تطعها) في ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (الى مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن اشرك (فانتمكم عما كنتم تعملون) فجاز لكم حق جزائكم وفي ذلك المرجع والوعيد تحذير من متابعتهم ما على الشرك وحش على الثبات والاستقامة في الدين روى ان سعد بن أبي وقاص لما سأل نذرت أمه ان لا تأكل ولا تشرب حتى يرتد فشاكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هو مبتدأ والخبر (لندخلهم في الصالحين) في جملتهم والاصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى الانبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ٥٤٢ وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما

يطيعهما في الشرك فذلك قوله تعالى (وان جاهدك لتشرك في ما ليس لك به علم فلا تطعهما) وفي الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم أوعدها بصير اليه فقال تعالى (الى مرجعكم فانتمكم) اي فاخرجكم (عما كنتم تعملون) اي باصباح أعمالكم وسيناتها اي فاحاز بكم عليها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلهم في الصالحين) اي في زرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل في مدخل الصالحين وهو الجملة قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أودى) يعني اصابه بلاع من الناس افتتن (فالى جعل فتنه الناس كعذاب الله) اي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى انه يخرج من أذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما طمع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق اذا أودى في الله رجوع عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) اي ففتح وودولة للمؤمنين (ليقولن) اي هؤلاء المنافقون للمؤمنين (انا كنا معكم) اي على عدوكم وكنا مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ما قلنا فاذ كذبهم الله تعالى فقال (أوليس الله باعياكم في صدور العالمين) اي من الايمان والنفاق (وليعلم الله الذين آمنوا) اي صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند البلاء (وليعلم المنافقين) اي بترك الاسلام عند البلاء قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بالسنن ثم اذا أصابهم بلاع من الناس أو مصيبة في انفسهم اقتبستوا وقال ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم وقيل هذه الآيات الغش من أول السورة الى ههنا مدنية وباقي السورة مكية (وقال الذين كفروا) يعني من أهل مكة قيل قاله أوسعد بن (الذين آمنوا) اي من قريش (اتبعوا سيدنا) يعني ديننا واولادنا آبائنا ونحن الكفرة بكل تبعه من الله تصديقكم فذلك قوله (وليعلم خطاياكم) اي اوزاركم والمعنى ان اتبعتم سيدنا جعلنا خطاياكم كذبتهم الله عز وجل بقوله (وما هم بخالمين من خطاياهم من شئ انهم لسكاذبون) في قولهم يحمل خطاياكم (وليعلم ان قالهم) اي

والحقني بالصالحين اوفى مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت في المنافقين (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أودى في الله) اي اذا مسه اذى من الكفار (جعل فتنه الناس كعذاب الله) اي خرج من ذلك كما يجز ع من عذاب الله تعالى (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم) اي واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضهم وقالوا انا كنا معكم أي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه ثباتكم فاعطونا نصيبنا من الغنم (أوليس الله باعياكم في صدور العالمين) اي هو اعلم عاني صدور العالمين من العالمين عاني صدورهم ومن ذلك ما في صدور هؤلاء من النفاق وما في صدور المؤمنين من الاخلاص ثم وعد المؤمنين وأوعده المنافقين بقوله (وليعلم الله الذين آمنوا وليعلم المنافقين) اي احاطها

ظاهرة عند من تلك الجزاء عليها وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سيدنا ولتعلم خطاياكم) أمرهم بما يتبع سبيلهم وهي طريقهم التي كانوا عليها في دينهم وأمر وانفسهم يحمل خطاياهم فطف الامر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول أن يتبعوا سيدنا وأن يحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع اي ان تتبعوا سيدنا جعلنا خطاياكم وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا تبعث نحن ولا انتم فان كان ذلك فانا نخذل معكم الانتم (وما هم بخالمين من خطاياهم من شئ انهم لسكاذبون) لانهم كانوا ذلك وقولهم على خلافه كالسكاذبين الذين يعدون الشئ وفي قلوبهم نية الخلف (وليعلم ان قالهم) اي انقال انفسهم يعني أوزارهم بسبب كفرهم

(وإنما لأمع أنقالمهم) أى إنما لا أخر غير الخطايا التي ضمنوا للأؤمنين جهلها وهي أفعال الذين كانوا سببا في ضلالهم وهو كما قال ليحسبوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم (وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) يحتلقون من الأكاذيب والباطيل (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعة وأربعين سنة وعاش بعد الطوفان ستمائة وعين وعاش ألفا وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت ٥٤٣ الدنيا قال كدرا لها بآبائنا دخلت ونجحت ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة

لأنه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل هنا فكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة واقية العدد الآن ذلك أنصر وأعذب لفظا وأملا بالفاصلة ولأن القصة سبقت لما تبلى به نوح عليه السلام من أمته وما كادهم طول المصاير تسليمة لينبأ عليه السلام فكان ذكر الألف أنغم

وأوصل إلى الغرض وحى بالمميز أو بالاسنة ثم بالعام لأن تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة (فأخذهم الطوفان) هو ما طاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو تخوفا (وهم ظالمون) أنفسهم بالكفر (فأخذهم) أى نوحا (وأصحاب السفينة) وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافت وسأوهم (وجعلناها)

أوزارهم التي عملوها بأنفسهم (وإنما لأمع أنقالمهم) أى أوزار من أضلوا ووصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم فان قلت قد قال أولو ما هم بحاملين من خطاياهم من شئ وقال ههنا وليحمل أنقالمهم وإنقالمهم كيف اتجمع بينهما قلت معناه أنهم لا يرفعون عنهم خطيئته بل كل واحد يحمل خطيئته نفسه ورؤساء الضلال يحملون أوزارهم ويحملون أوزار اسباب ضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ رواه مسلم (وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أى سؤال توحيخ وتقرىع لانه تعالى عالم بأعمالهم وأقترانهم قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث) أى أقام (فيهم) يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده (ألف سنة إلا خمسين عاما) فان قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهل قال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان أحدهما أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقرىب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم السائل أنه يقول مائة سنة تقريبا لا تحققة فان قال مائة سنة الأشهر أو الاستثناء زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي لبيان أن نوحا صبر على أذى قومه صبرا كثيرا وأعلى مراتب العدد ألف سنة وكان المراد أن التكثير فذلك أتى بعدد الألف لانه أعظم وأنهم وهذه تسليمة للذي صلى الله عليه وسلم حيث أعلم أن الأنبياء قد ابتلوا قبله وأن نوحا لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم فصر في الدعاء ولم يؤمن من قومه إلا قليل فان قلت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من آمن بك قلت إله عباس بعث نوحا أربعين سنة حتى كثرت الناس فكان عمره ألفا وخمسين عاما وقيل في عمره غير ذلك قوله تعالى (فأخذهم الطوفان) أى أغرقهم (وهم ظالمون) قال ابن عباس مشركون (فأخذهم) أصحاب السفينة) يعنى من الغرق (وجعلناها) يعنى السفينة (آية) أى عبرة (للعالمين) قيل أنها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة قوله تعالى (وابراهيم) أى وأرسلنا إبراهيم (اذقال لقومه أعبدا لله واتقوه) أى أطيعوا الله وخافوه (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم لا تعلمون (انما عبيدون)

أى السفينة أو الحادثة أو القصة (آية) عبرة وعظة (للعالمين) يتعظون بها (وابراهيم) (اذقال) بدليل اشتغال لأن الاحيان تشتمل على ما فيها أو معطوف على نوح أى وأرسلنا ابراهيم وأظرف لأرسلنا يعنى أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صالح فيه لأن يعظ قومه ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعي وأبو حنيفة رضي الله عنهما إله ابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم (لقومه أعبدا لله واتقوه ذلكم خير لكم) من الكفر (إن كنتم تعلمون) إن كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم (انما عبيدون)

من دون الله أو ثانا) أصناما (وتخلقون) وتلدنون أو تصنعون وقرأ أبو حنيفة والسلي رضي الله عنهما وتخلقون من خلق
 بمعنى التكثير في خلق (افكا) وقرأ أفكا وهو مصدر نحو كذب وأب وألأفك تخفف منه كالكذب والعجب من أصلهما
 واختلافهم الألف تسعهم الاوثان آلهة وشركاء الله (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) لا يستطيعون
 ان يرزقوكم شيئا من الرزق (فابغوا عند الله الرزق) كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره (واعبدوه واشكروا له
 ترجعون) فاستعدوا للقاءه بعبادته واشكروا له على نعمه وافتحوا له باب الرجوع (وان تكذبوا فقد كذب ائمتهم
 قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي وان تكذبوني فلا تضروني بتكذبيكم فان الرسل قبلي قد كذبتم ائمتهم وما
 ضرهم وانما ضروا أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذبيهم واما الرسول فقد دتم أمر حيث بلغ البلاغ المبين الذي
 زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومجزاته او وان كنت تكذبا فمما بينكم في سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا على
 الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآيات التي بعدها الى قوله فان كان جواب قومه محتجلا ان
 تكون من جهة قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمردا بالأم قبله قومه شئت وادرس ونوح وغيرهم وان تكون آيات
 وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٤ وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها فان قلت

من دون الله أو ثانا وتخلقون افكا) أي تقولون كذبوا قيل تصنعون أصناما بأيديكم
 وتصنعونها آلهة (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) اي لا يقدرون ان
 يرزقوكم (فابغوا) اي فاطلبوا (عند الله الرزق) فانه القادر على ذلك (واعبدوه) اي
 وحده (واشكروا له) لانه المنعم عليكم بالرزق (اليه ترجعون) أي في الآخرة (وان
 تكذبوا فقد كذب ائمتهم من قبلكم) اي مثل قوم نوح وعاد وحمود وغيرهم فأهلكهم الله
 (وما على الرسول الا البلاغ المبين) قوله تعالى (اولم يروا) قبل هذا والآيات الى قوله فان
 كان جواب قومه محتجلا ان تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت
 معترضة في قصة ابراهيم وهي في تدكير أهل مكة وتحذيرهم ومعنى اولم يروا اولم يعلموا
 (كيف يبدئ الله الخلق) اي يخلقهم نقطة ثم عاتقه ثم مضغة (ثم يعيده) أي في الآخرة
 عند البعث (ان ذلك على الله يسير) اي الخلق الأول والخلق الثاني (قل سيروا في الارض
 فانظروا كيف بدأ الخلق) أي انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم
 الله ينشئ النشأة الآخرة) أي ثم ان الله الذي خلقهم ينشئهم بنشأة ثانية بعد
 الموت والمعنى فكالم يتعذر عليه احدا منهم مبدئا كذلك لا يتعذر عليه انشاؤهم

فالمحل الاعتراضية لا بد لها من
 اتصال بما وقعت معترضة فيه
 فلا تقول مكة وزيد قائم خير
 بل الله قلت نعم وبيان ان
 اراد قصة ابراهيم عليه السلام
 ليس الارادة للتفيس عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وان تكون مسالة له بان آياه
 ابراهيم عليه السلام كان مبتلى
 فخوما ابلى به من شرك قومه
 وعبادتهم الاوثان فاعترض
 بقوله وان تكذبوا على
 معني انكم يا معشر قريش
 ان تكذبوا امجدوا فقد كذب

ابراهيم قومه وكل امه نبيهم لان قوله فقد كذب ائمتهم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كثر ما اعترض معيدا
 متصل ثم سائر الآيات بعدها من توابعها لكونها ناطقة بالوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهم قواعده وصفة قدرة الله
 تعالى وساطانه ووضوح حجة وبرهانه (اولم يروا) وبالتاء كوفي غير حفص (كيف يبدئ الله الخلق) أي قدر أو اذلال وعلموه
 وقوله (ثم يعيده) ليس معطوف على يبدأ وليس الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حيلة بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر
 في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جلة قوله اولم يروا كيف بدأ
 الله الخلق (ان ذلك) أي الاعادة (على الله يسيرا) سهل (قل) يا مجذبان كان من كلام ابراهيم بقدرته وأوحيا اليه ان قل
 (سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم واختلاف أحوالهم لتمررهم على انحاء خلق الله بالمشاهدة وبدأوا يبدأ
 معنى (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي البعث والتمدن بالمدحمت كان في أو بعرو وهذا دليل على انه ما شأنا أن وكل
 واحدة منهما انشاء أي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست
 كذلك والقياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة لان الكلام معهم وقع في الاعادة فلما اقرهم في
 الابداء بانه من الله ائتمج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا لم يعجزه الابداء وجب ان لا يعجزه الاعادة فكأنه قال ثم
 ذلك الذي انشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى ابراهيم

واوقعه مبتدأ (ان الله على كل شيء قدير) قادر (يعذب من يشاء) بالخذلان (ويرحم من يشاء) بالهداية أو بالحرص والنفاعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالأعراض عن الله وبالآقبال عليه أو بمقتابعة البدع وعلازمة السنة (واليه تعلقون) تردون وترجعون (وما أنتم بمحجزين) ريبكم لا يتفوقونه أن هر يتم من حكمه وقضائه (في الارض) الفسحة (ولافي السماء) التي هي أفضح منها وأبسط لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) يتولى أموركم (ولا نصير) ولا ناصر يمنعكم من عذابي (والذين كفروا بالآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومخبراته (ولعائنه أولئك يشسوا من رحمتي) جنتي (وأولئك لهم عذاب أليم) فما كان جواب قومهم (قوم ابراهيم حين دعاهم الى الايمان) (الآن قالوا اقتلوه أو حرّوه) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين فاتفقوا على تحريقه (فانجاه الله من النار) حين قدّوه فيها (ان في ذلك) فيما فـهـلوا به وفعلنا (آيات لقوم يؤمنون) ١٥٥ روى انه لم ينفع في ذلك اليوم بالنار يعني

يوم القي ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها (وقال) ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله اوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا) حزة وحفص مودة بينكم مدني وشامي وحماد ويحيى وخلف مودة بينكم مكي وبصرى وعلى مودة بينكم الشموني والبرجي النصب على وجهين على التعليل الى التوادد او بينكم وتتوصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يفتق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحاجهم وأن يكون مفعولاً ثانياً كقوله اتخذ الله هو اوما كافة اى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف واتخذتوها مودة بينكم اى مودة بينكم كقوله ومن

معيد بعد الموت ثانياً (ان الله على كل شيء قدير) أسمى البداية وقوة الاعادة (يعذب من يشاء) عدلا منه (ويرحم من يشاء) تفضلا (واليه تعلقون) اى تردون (وما أنتم بمحجزين في الارض ولا في السماء) قيل معناه ولا من في السماء محجزو والمعنى انه لا يحجزه أهل الارض في الارض ولا أهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء اى لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) اى يمنعكم منى (ولا نصير) اى ينصرمكم من عذابي (والذين كفروا بالآيات الله) يعني بالقرآن (ولعائنه اى البعث) أولئك يشسوا من رحمتي) يعني الجنة (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذا آخر الآيات في تذكير أهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقتل تعالى (فما كان جواب قومهم الآن قالوا اقتلوه أو حرّوه) قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء للاتباع اقتلوه أو حرّوه (فانجاه الله من النار) اى أن جعلها عليه بردا وسلاما قبل ان ذات اليوم لم ينفع احد بنار (ان في ذلك آيات لقوم يؤمنون) يصدقون (وقال) يعني ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله اوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا) اى شئ ينفع ولا ينفع في الآخرة وقيل معناه انكم تتواددون على عبادتها وتتوصلون عليها في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا) تسبوا الاوثان من عابديها وتبيرا للتسادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة (وماواكم النار) يعني العاصدين والمعبودين جميعا (وما لكم من ناصرين) اى مانعين من عذابه (فأمن له لوط) اى صدقته برسا لما رآى. محجزاته وهو أول من صدق ابراهيم وأما في أصل التوحيد فانه كان مؤمنا لان الانبياء لا يتصور فيهم الكفر (وقال) يعني ابراهيم (انى مهاجر الى ربى) الى حيث امرنى ربى فهاجر من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشام ومعه لوط واحم أنه سارة وهو أول من هاجر الى

١٦ ن الناس من يخدمون دون الله أنذاد الحبوبهم بحب الله وفى الرفع وجهان ان يكون خبر الان وما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هى مودة بينكم والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اى مودة أو سبب مودة ومن أضاف المودة جعل بينكم اسما لا ظرفا كقوله شهادة بينكم ومن نون مودة نصب بينكم فعل الظرف (ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض) تبيرا للأصنام من عابديها (ويلعن بعضهم بعضا) اى يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن فيلعن الاتباع القادة (وماواكم النار) اى ماوى العابدون والمحبودون والاتباع والمتبوع (وما لكم من ناصرين) عمة (فأمن له) لابراهيم عليه السلام (لوط) هو ابن ائحى ابراهيم وهو أول من آمن لحين رأى النار لم تحرقه (وقال) ابراهيم (انى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى فلسطين وهى من برية الشام ومن ثم قالوا السكلى نبى هجرة ولا ابراهيم هجران وان كان معه فى هجرة لوط وسارة وقد تزوجها ابراهيم (الى ربى) الى حيث أمرنى ربى بالمهجرة اليه

(انه هو العزيز) الذي يعنى من اعدائى (الحكيم) الذى لا يامر فى الاعماله وخبر (ووهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) ولد ولد ولم يذكر اسمعيل لشهرته (وجعلنا فى ذرية النبوة) أى فى ذرية ابراهيم فانه شجرة الانبياء (والكتاب) والمراد به الجنس يعنى التوراة والاختصار والزور والفرقان (وآتينا) أى ابراهيم (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه الى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له أو هو بقاء صفة عند قبره وليس ذلك غيره (فى الدنيا) فيه دليل على انه تعالى قد يعطى الاخر فى الدنيا (وانه فى الآخرة) لمن الصالحين) أى من أهل الجنة الحسن (ولو طأ) أى واذا ذكر لو طأ (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) (الفتنة) الباطنة فى الفجوه وهى اللواطه ٥٤٦ (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) جلية مستأنفة مقرر فاحشة تلك

الفتنة كان قائلا قال لم كانت فاحشة قبيح لان أحد قباهم لم يقدم عليها قالوا لم يزد كرم على ذكر قبل قوم لوط (أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) بالنقل وأخذ المال كما هم عمل قطاع الطريق وقيل اعترضهم السابلة بالفاحشة (وتأتون فى ناديتكم) مجلسكم ولا يقال للمجلس نادا إلا مادام فيه أهله (المتكر) أى المتناطقة والمخامعة والسباب والفحش فى المزاح والحذف بالحصى ومضع العلك والفرقة والسواك بين الناس (فا كان جواب قوميه الآن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب انكم أنتمكم شامى وحقق وهو الموجود فى الامام وكل واحدة من جزئين كوفى غير حفص أينكم أينكم بهمة مدودة بعد هاء مكسورة أو عجم وأينكم أينكم بهمة مقصورة بعدها هاء مكسورة ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد (قال ربي

الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث أمره الله بما حرم اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة) (انه هو العزيز) أى الذى لا يغلب والذى يعنى من اعدائى (الحكيم) الذى لا يامر فى الاعماله صلى الله عليه وآسحق (ووهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) ولد ولد ولم يذكر اسمعيل لشهرته (وجعلنا فى ذرية النبوة) أى فى ذرية ابراهيم فانه شجرة الانبياء (والكتاب) والمراد به الجنس يعنى التوراة والاختصار والزور والفرقان (وآتينا) أى ابراهيم (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه الى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له أو هو بقاء صفة عند قبره وليس ذلك غيره (فى الدنيا) فيه دليل على انه تعالى قد يعطى الاخر فى الدنيا (وانه فى الآخرة) لمن الصالحين) أى من أهل الجنة الحسن (ولو طأ) أى واذا ذكر لو طأ (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) (الفتنة) الباطنة فى الفجوه وهى اللواطه ٥٤٦ (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) جلية مستأنفة مقرر فاحشة تلك

انصرفنى) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصى (والواحش) (ولما حأت رسلا نراهم بالشرى) بالشارة لا ابراهيم بالولد والنافقة يعنى اسحق ويعقوب (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) اضافية مهلكوا لم تعريف فالألماعى الاستقبال والقرية سدوم التى قيل فيها الجور من قاضى سدوم وهذه القرية تشعر بأنها قرية من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا انها كانت على مسير قوم وائلة من موضع ابراهيم عليه السلام (ان أهلها كانوا غافلين) أى انظم قد استمر منهم فى الايام السالفة وهم عليه مصرور وظلمهم كزهرهم وأنواع معاصيهم (قال ابراهيم

(ان فيها الوطا) أى اتهاكروهم وفيهم من هو يرى من الظلم وهو لوط (قالوا) أى الملائكة (فحين اعلم) منك (عن فيها النجينة) لئلا ينجيه يعقوب وكوفي غير عاصم (واهلك الامم) أنه كانت من الغابرين (الباقين في العذاب ثم أخبر عن مسير الملائكة الى لوط بعد مفارقتهم ابراهيم بقوله) (ولما ان جاءت رسلنا لوطاسي بهم) ساء بحبهم وأن صلوا كدت وجود الفلحين مرتبا أحدهما على الآخر كأنهما وجدافى جزوا واحدا من الزمان كأنه قيل كما أحسن بحبيبتهم فاجاته المساءة من غير ريب حقيقة عليهم من قوم هان وثنا ولوهم بالفتوى رسيهم مدنى وشافى وعلى (وضاق بهم ذراعا) وضاق بشأنهم وتدبر أمرهم ذرعه أى طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رجب الذراع ٥٤٧ إذا كان مطبقا والاصل فيه ان الرجل إذا مات ذراعه نال ما لاسأله

الصغير الذراع فضر ب ذلك مثلاً في العجز والتدرة وهو نصب على التمسيد ز (وقالوا لا تخف ولا تحزن اننا نجوك) وبالتخفيف مكى وكوفي غير حفص (واهلك) الكف في محل المحر نصب أهلك فعل محذوف أى ونجى أهلك (الامم) أى تلك كانت من الغابرين انا منزلون منزلون شاعى (على أهل هذه القرية رجا) عذابا (من السماء بما كانوا يفسقون) بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله (ولقد نزلناهم) من القرية (آية بيينة) هى آثارنا لهم الحجر بقول الماء الاسود على وجه الارض (للقوم) يتعلمون بتر كنا أو بيينة (يعتقون) الى مدنين (وارسلنا الى مدنين) اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترءون به الثواب في العاقبة أو خافوه

يعنى ابراهيم اشفا فاعلى لوطا لعل حاله (ان فيها لوطا قالوا) أى قالت الملائكة (فحين اعلم) عن فيها النجينة واهلك الامم أنه كانت من الغابرين (أى من الباقين في العذاب) (ولما ان جاءت رسلنا لوطاسي بهم) أى ظلمهم من الناس تخاف عليهم وعنه انه جاءه مساءه (وضاق بهم ذراعا) أى عجز عن تدبير أمرهم فحين ذلك (وقالوا لا تخف) أى من قومك (ولا تحزن) علينا (اننا نجوك) وأهلك (أى انما هلكوهم ومنجوك) وأهلك (الامم) أى تلك كانت من الغابرين انما منزلون على أهل هذه القرية جزءا (أى عذابا) (من السماء) قيل هو الخسف والنصب بالجحارة (بما كانوا يفسقون) ولقد نزلناهم (أى من قريات لوط) (آية بيينة) أى عبرة فظاهرة (للقوم) يعقلون (يعنى افلا يتدبرون) الآيات تدبر ذوى العقول قال ابن عباس الآية البينة آثارنا لهم الحجر بقول هى الحجارة التى أهلكوا بها ابقاها الله حتى أدر كما أوائل هذه الامة وقيل هى ظهور الماء الاسود على وجه الارض قوله تعالى (والى مدنين) أى وارسلنا الى مدنين ومدنين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وأرسلنا الى ذرية مدنين وأولاده وعلى القول الثانى وارسلنا الى أهل مدنين (انما شعيبا) قال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر افعولوا فعل من يرجو اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه (ولا تعشوا فى الارض مفسدين) فكذبوه فاخذتهم الرجفة (أى الزلزلة) وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة (فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) أى باركين على الركبتين (وعادوا غمودا) أى واهلكنا عادا وغمودا (وقد تبين لكم) يا أهل مكة (من مساكنهم) (أى من منازلهم) بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أى عبادتهم لغير الله (فصددهم عن السبيل) أى عن سبيل الحق (وكانوا مستصرين) أى عتلاء ذوى بصائر وقيل كانوا معجبين فى دينهم وضلالهم يحجبون انهم على هدى وهم على باطل وضلاله والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستصرين (وقارون وفرعون وهامان) أى اهلكنا هؤلاء (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أى بالدلالات الواضحات (فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين) أى

(ولا تعشوا فى الارض مفسدين) فاصدين الفساد (فكذبوه فاخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة أو صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت بها (فاصبحوا فى ديارهم) فى بلدتهم وأرضهم (جاثمين) باركين على الركبتين (وعادوا) منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه فى معنى الاهلاك (وغمودا) جزوة حفص وسهل ويعقوب (وقد تبين لكم) ذلك يعنى ما وصفه من أهلاككم (من مساكنهم) من جهة مساكنهم اذا نظرتهم اليها عند مدوركم بها وكان أهل مكة يمدون عليها فى أسفارهم فيصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصى (فصددهم عن السبيل) السبيل الذى أمروا بسلكه هو الايمان بالله ورسوله (وكانوا مستصرين) عتلاء متمكنين من النظر وتميز الحق من الباطل ولكنهم لم يعقلوا (وقارون وفرعون وهامان) أى واهلكناهم (ولقد جاءهم موسى بالبينات) فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فاتبين

أدر كم أمر الله فلم يفوتوه (فكلا) أخذنا بذنبه) فيه ودعلى من يجوز العقوبة بغير ذنب (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) هي
 ربح حاصف فيها حصاء وهي اقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) هي المدين وعمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعني
 قارون (ومنهم من اغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) ليعاقبهم بغير ذنب (ولكن كانوا انفسهم
 يظلمون) بالكفر والطغيان (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) أى آلهة يعنى مثل من اشرك بالله الاوثان في الضعف
 وسوء الاختيار (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) أى كمثل العنكبوت فيما اتخذته لنفسها من بيت فان ذلك بيت لا يدفع
 عنها الحمر والبرد ولا يقي ماتي البيوت فكذلك الاوثان لا تنفعهم في الدنيا والاخرة جعل حاتم اتخذت حالا (وان اوهن
 البيوت لبنت العنكبوت) لا بيت اوهن من ٥٤٨ بيتها عن على رضي الله عنه طهر وابيتكم من نسج العنكبوت

فأنتين من عذابنا (فكلا) أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط ومو
 بالحصاء وهي الحمى الصغار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعني عمود (ومنهم من خسفنا
 به الارض) يعني قارون وأصحابه (ومنهم من اغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون وقومه
 (وما كان الله ليظلمهم) أى بالهلاك (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) أى بالاشراك قوله
 تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) يعني الاصنام رجوع نصرها ونفعها
 (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوى اليه وان يتها في غاية الضعف والوهن
 لا يدفع عنها سحر اولادها فكذلك الاوثان لا تملك اعابدها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا
 المثل ان المشرك الذي يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت
 اتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل بني بيتا بآجر وحصصه من خضر فكما كان
 اوهن البيوت اذا استقر يتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك اضعف الاديان اذا
 استقر يتها دينها عبادة الاوثان لانها لا تضرو ولا تنفع (وان اوهن البيوت لبنت
 العنكبوت) اشار الى ضعفه فان الرمح اذا هبت عليه اولمسه لاس فلا يبقى له عين
 ولا اثر فقد صحن اوهن الميوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم اوهن الاديان
 (لو كانوا يعلمون) أى ان هذا ما ملهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن (ان الله
 يعلم ما يدعون من دونه من شيء) هذا تو كيد لا تلو وز ياد عليه يعني ان الذي يدعون
 من دونه ليس بشئ (وهو العزيز الحكيم) معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة الله
 العزيز الحكيم القادر على كل شيء وتشتل بعبادة من ليس بشئ اصلا (وتلك الامثال)
 أى الاشياء يعني امثال القرآن التي شبه بها احوال الكفار من هذه الامثلة احوال
 كفار الامم السابقة (نضر بها) اي نبيها (الناس) اي لكفار مكة (وما يعقلها الا
 العالون) يعني ما يعقل الاشياء الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل روى البغوي
 باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وقال

فان تركه نور الفقر (لو كانوا يعلمون) ان هذا ما ملهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن وقيل معنى الآية مثل المشرك الذي يعبد الاوثان بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت اتخذت بيتا بالاضافة الى رجل بني بيتا بآجر وحصصه من خضر فكما كان اوهن البيوت اذا استقر يتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك اضعف الاديان اذا استقر يتها دينها عبادة الاوثان لانها لا تضرو ولا تنفع (وان اوهن البيوت لبنت العنكبوت) اشار الى ضعفه فان الرمح اذا هبت عليه اولمسه لاس فلا يبقى له عين ولا اثر فقد صحن اوهن الميوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم اوهن الاديان (لو كانوا يعلمون) أى ان هذا ما ملهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) هذا تو كيد لا تلو وز ياد عليه يعني ان الذي يدعون من دونه ليس بشئ (وهو العزيز الحكيم) معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شيء وتشتل بعبادة من ليس بشئ اصلا (وتلك الامثال) أى الاشياء يعني امثال القرآن التي شبه بها احوال الكفار من هذه الامثلة احوال كفار الامم السابقة (نضر بها) اي نبيها (الناس) اي لكفار مكة (وما يعقلها الا العالون) يعني ما يعقل الاشياء الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وقال

(من دونه من شيء) من في من شئ للتبيين (وهو العزيز) الغالب الذي لا شريك له (الحكيم) في ترك الامثال المعالجة بالعقوبة وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا اجساد الاعماله ولا قدرته وتروكوا عبادة التقادر القاهرة على كل شئ الحكيم الذي لا يفعل كل شئ الا بحكمة وتدبير (وتلك الامثال) الامثال نعت والخبر (نضر بها) نبيها (الناس) كان سقها قريش وجهلهم يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها الا العالون) به وباسمائهم وصفاته أى لا يعقل صحتها ولا يفهم فائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات اتها الى الطرق الى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها لا لا يفهم كصور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحدة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعلم بطاعته واجتنب سخطه ودلت الآية على فضل العلم على العقل

(خلق الله السموات والارض بالحق) أى محققا يعنى لم يخلفه ما عابلا بل بحكمة وهى ان تكون ما ساء كن عبادته وعبرة للعالمين منهم ودلائل على عظم قدرته الاترى الى قوله (ان فى ذلك لاية للؤمنين) وخصهم بالذكى لان نعماتهم بها (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) تقر بالى الله تعالى بقراءة كلامه وتنفى على ما أمر به ونهى عنه (واقم الصلوة) أى دم على إقامة الصلاة (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء) الفعلة القبيحة كالزنا مثلاً (والمنكر) ٥٩ هـ هو ما يذكره الشرع والعقل قبل من كان

مراعى للصلاة جزء ذلك الى ان ينتهى عن السيئات يوماً ما فقد روى انه قيل يوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروى ان فى من الانصار كان يصلى معه الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش الا ركبته فوصف له فقال ان صلاته ستناه فلم يلبث أن تاب وقال ابن عوف ان الصلاة تنهى اذا كنت فيها فانت فى معروف وطاعة وقد حذرناك عن الفحشاء والمنكر وعن المحسن من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته صلاة وهى وبال عليه (ولذ كراهه اكبر) أى والصلاة اكبر من غيرها من الطاعات وانما قال ولذ كراهه لانه لستقل بالتعليل كانه قال والصلوة اكبر لانها ذكر الله وعن ابن عباس رضى الله عنه ما ولد كره الله ما لم يرحمه اكبر من ذكر كره الله ما لم يرحمه اكبر من ذكر كره الله لانه ذكر كرهه بالاعل ولا نكروا بالعلل والامانى ولان ذكر لا نفى وذكر كرم لا نفى وقال

الامثال نضر بها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب مخطئه (خلق الله السموات والارض بالحق) أى للحق وانما بالحق (ان فى ذلك لاية للؤمنين) على قدرته وتوحيده وقوله تعالى (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) يعنى القرآن (واقم الصلوة) فان قلت لم امر بهذين الشيئين تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة بالعبدة ثلاثة قلبية وهى الاعتقاد بالحق ولسانيتها وهى الذكر الحسن وبدينية وهى العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شياً لا يمكنه ان يعتد مرة أخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقى الذكر والعبادة البدنية وهما كمن التكرار فلذلك أمر بهما (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء) أى ما يقع من الاعمال (والمنكر) أى ما لا يعرف فى الشرع قال ابن مسعود وابن عباس فى الصلاة تنهى عن فحش من معاصى الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزد صلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فسلواته وبال عليه وقيل من دام على الصلاة جزء ذلك الى ترك المعاصى والسيئات كما روى عن أنس قال كان فى من الانصار صلى الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيئاً الا ركبته فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستناه يوما فليتب بلى أن تاب وحسن حاله وقيل معنى الآية انه مادام فى صلاته فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان فى الصلاة لشغلا وقيل اراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن ينهى عن الفحشاء والمنكر كما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا أصبح يسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كل حال فان المراهى للصلاة لا يدوان يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر من لا يراعىها (ولذ كراهه اكبر) أى انه افضل الطاعات عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا نبشكم بخير أعمالكم وركها عند مليكم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعداء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكرا لله اخرجه الترمذى وله عن ابي سعيد الخدرى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى العباد افضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذى كرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله والعالى فى سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار

سلمان ذكرا لله اكبر من كل شئ وأفضل فقد قال عليه السلام الا نبشكم بخير أعمالكم وركها عند مليكم وأرفعها فى درجاتكم وخير من اعداء الذهب والفضة وان تلقوا اعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما ذكرا لله قال ذكرا لله وسئل اى الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك وطيب يذكرا لله أو ذكرا لله اكبر من أن تحويه أفعامكم وعقولكم أو ذكرا لله اكبر من ان تلقى معه معصية أو ذكرا لله اكبر فى النهى عن الفحشاء والمنكر من غيره

(والله يعلم تصنعون) من الخير والطاعة فيحييكم احسن الثواب (ولا تتجادلوا اهل الكتاب الباطية هي احسن) بالتحصيلة التي هي احسن للثواب وهي مقابلة الحشونة باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتي هي احسن (الا الذين ظلموا منهم) فافترطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا الهدى ولم يسمع فيهم الرفق فاستعلاهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او الذين اثبتوا الولود والشرى وقالوا لا والله مغلوله ومعناها ولا تتجادلوا الداخلة في الدمة ٥٥

والمشر كين حتى يشكرو ويخضع في سبيل الله دمال سكان الذا كرون الله كثيرا أفضل
منه درجته (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا
وما المفردون يا رسول الله قال الذا كرون الله كثيرا واذا كرات يروى المفردون بتشديد
الراء وتحققها أو التشديد ثم يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس وحده
تراءى لا لمرؤة انتهى وقيل هم المتخلفون عن الناس إذ كرات الله لا يخلطون به غيره (خ) عن
أبي هريرة أو أبي سعيد أنهم ما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال
لا يعقد قوم يذ كرون الله الاحقتم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة
وذكرهم الله فيمن عنده وروى ان أعرابيا قال يا رسول الله أى الاعمال أفضل قال أن
تتقارق الدنيا ولسانك وطب يذ كراته وقال ابن عباس معنى ولذ كراته أ كبر ذ كراته
أياكم أفضل من ذ كركم أبا يروى ذلك ثم نوعان ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابن عباس ولذ كراته أ كبر أى لن تبقى معه معصية (والله يعلم ما تصنعون) أى
لا يخفى عليه شئ من أمكم قوله عز وجل (ولا تتجادلوا أهل الكتاب) أى
ولا تخاصموهم (الاباى هى أحسن) أى القرآن ودعا إلى الله بما به التسمه على
سجود وأرادهم من قبل الجزية منهم (الالذين ظلموا منهم) أى أبوا ان يعطوا الجزية
ونصبوا الحرب فاجتمعهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية الالذين
ظلموا ك لان جمعهم ظالم بالكسر وقيل هم أهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الآية بمنسوخة
بآية السيف (وقولوا) أى الذين قبلوا الجزية اذ احسدوا ك شئ مما فى كرتهم (آمنوا
بالذى أنزل البنا وانزل الحكم وانهاوا له ك واحد ونحن له مسلمون) (ن) عن أبي
هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤ التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل
الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا
آمنوا بالله وما أنزل البنا الآية قوله عز وجل (وكذلك) أى كما أنزلنا إليهم الكتاب (انزلنا
إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعنى مؤمنى أهل الكتاب كعبدا الله
ابن سلام وأصحابه (ومن هؤلاء) يعنى أهل مكة (من يؤمن به وما يجحد آياتنا الال
الكافرون) وذلك ان اليهود عرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى والقرآن حق
فجحدوا وأجحدوا غما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلوا) ما محمد (من قبله من كتاب)
معناه من كى أى من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب (ولا تحطه بميثاق) أى ولا تسكتبه
والمعنى لم تكن تقرأ ولم تسكتب قبل الوحى (اذا لارتاب الميطلون) معناه لو كنت تسكتب

من أهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا في عهد رسول الله عليه السلام (وما يجحدنا يا تابتا) مع ظهورها وزوال
 الشبهة عنها (الأكافرون) إلا المتأخرون في الكفر المصموم عليه ككعب بن الأشرف وأضرابه (وما كنت تتلون من قبله)
 من قبل القرآن (من كتاب ولا تحفه بعينك) خص المين لأن الكتابة غالباً تكون بالعين أي ما كنت قرأت كتاباً من الكتب
 ولا كنت وكتبت (إذا) أي لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة ومن الخط الارتاب المبطون من أهل الكتاب وقالوا

الذي نجد نفعه في كتبنا أحي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أولاً رتاب مشر كوميكة وقالوا العله تعلمه أو كتبه يده وسعاهم يظلمين
 لانكارهم نبوته وعن مجاهدوا الشعبي مامات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ (بل هو) أي القرآن (آيات بينات
 في صدور الذين أوتوا العلم) أي صدور العلماء عنه وحفاظه وهم امان خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه
 محفوظا في الصدور بخلاف سائر الكتب فانهم لا تكن معجزات ولا كانت تقرأ الامن المصاحف (وما يتجدد بها بانها) الواضحة
 (الا الظالمون) أي المتوغلون في الظلم (وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه) آية بغير ألف مكي وكوفي غير خفض أرادوا هلا
 أنزل عليه آيات مثل الناقه والعصا ومائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك ٥٥١ (قل انما الآيات عند الله) ينزل ايها

شعأوسلت أملاك شيا منها
 (وانما انانذر مبين) كلفت
 الانذار وابتات بها اعطيت من
 الآيات وليس لي ان أقول انزل
 على آية كذا دون آية كذا مع
 على ان المارد من الآيات ثبوت
 الدلالة والآيات كها في حكم
 آية واحدة في ذلك (أولم يكن لهم
 أنا انزلنا عليك الكتاب بتلى
 عليهم) أي أولم يكن لهم آية
 مغنية عن سائر الآيات ان
 كانوا طابين للحق غير معتتين
 هذا القرآن الذي تدوم تلاوته
 عليهم في كل مكان وزمان فلا
 يزال معهم آية ثابتة لاترول
 كما ترول كل آية بعد كونها أو
 تكون في مكان دون مكان
 (ان في ذلك) أي في مثل هذه
 الآيات الموجودة في كل مكان
 وزمان إلى آخر الدهر (لرحمة)
 لنعمة عظيمة (وذكرى)
 وتذكرا (لقوم يؤمنون) دون
 المعتنين (قل كفى بالله بى
 وينبئكم شهيدا) أي شاهدا
 بصدق ما ادعاه من الرسالة
 وانزل القرآن على وتكذبكم
 (يعلم ما في السموات والارض)

أو تقرأ أملى الوحي إليك لا رتاب المشر كون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب
 الاولين أو ينسخه من كتب الاولين المبطون هم اليهود ومنعاه انهم اذا الشكوا فيه واتهموا
 وقالوا ان الذي نجد نفعه في التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت (بل
 هو آيات بينات) يعني القرآن (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين الذين جعلوا
 القرآن وقال ابن عباس يعني محمد اصلى الله عليه وسلم نوايات بينات في صدور الذين
 أوتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدون نعمة وصحة في كتبهم (وما يتجدد بها بانها
 الا الظالمون) يعني اليهود (وقالوا) يعني كذا ومكة (لولا انزل عليه آية من ربه) أي
 كما انزل على الانبياء من قبل وقيل أراد بالآيات معجزات الانبياء مثل ناقه صالح ومائدة
 عيسى ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) أي هو القادر على انزلها ان شاء انزلها
 (وانما انانذر مبين) أي انما كلفت الانذار وليس انزال الآيات يبدى (أولم يكن لهم
 أنا انزلنا) هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه آية من ربه قال أولم يكن لهم أنا انزلنا (عليك
 الكتاب بتلى عليهم) معناه ان القرآن معجزة آية من معجزة من تقدم من الانبياء لان
 معجزة القرآن تدوم على مر الدهور والزمان ثابتة لا تضعف كما ترول كل آية بعد كونها
 (ان في ذلك) يعني القرآن (لرحمة وذكرا لقوم يؤمنون) أي تذكرا وذكرا لقوم يؤمنون
 به وعمل صالحا (قل كفى بالله بى وينبئكم شهيدا) قال ابن عباس معناه يشهد لي في
 رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالكذب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال
 الكتاب عليه (يعلم ما في السموات والارض) أي هو المطلاع على أمرى وأمر كرمه يعلم حتى
 وباطلكم لا تخفى عليه خافية (والذين آمنوا وبالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل
 بعبادة الشيطان وقيل بعبادة ماسوى الله لان ماسوى الله باطل (وكفروا بالله) فان قلت
 من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التاكيد قلت نعم فائدته
 انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول فهو كقول القائل اتقول الباطل وترك الحق لبيان ان
 الباطل قبيح (اولئك هم الخاسرون) أي المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا
 الكفر بالايمن قوله عز وجل (ويستعجبونك بالعذاب) نزلت في النضرين
 الحرث حيث قال فامطر علينا حجارة من السماء (ولولا اجل مسمى) قال ابن عباس
 ما وعدتكم اني لا اعذبكم واما ولا استأصلهم وأمر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل مدة

فهو بطاع على أمرى وأمركم وعالم بخفي وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) معكم وهو ما يعبدون من دون الله (وكفروا بالله)
 وآياته (اولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمن الا ان الكلام ورد بورد الانصاف
 كقوله وانما اواياكم على هدى اوفى ضلال مبين وروى ان كعب بن الاشرف وانحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول
 الله فتركت (ويستعجبونك بالعذاب) بقولهم امطر علينا حجارة من السماء الآية (ولولا اجل مسمى) وهو القيامة او يوم بدر
 او وقت فناءهم باجالتهم والمعنى ولولا اجل قد سمى الله وبينه في اللوح لعذبهم والحكمة تقتضى تأخيرها إلى ذلك الاجل المسمى

(لجأهم العذاب) عاجلاً (ولياً بينهم) العذاب عاجلاً أولاً بينهم (العذاب في الاجل المسمى) (بغنة) نخاة (وههم لا يشعرون) بوقت مجيئه (يسجدونك العذاب وان جهنم لحيطه بالكافرين) أي سحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) لقوله تعالى من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال (ولا وقف على بالكافرين لان يوم ظرف احاطة النار بهم) (ويقول بالياء كوفي ونافع وقوله (ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء أعمالكم (يا عبادي) أو يسكنون الباء صرى وكوفي غير عاصم (الذين آمنوا ان أرضي واسعة) و يفتح الباء شامى يعنى ان المؤمن اذا لم يعمل له العبادات في بلد هو فيه ولم يتمش له أحد بغيرها عمنه الى بلد بغيره فيه أسلم قلباً وأصبح دماً فوا كثر عبادته والبقاء تتفاوت في ذلك تفاوتاً كبيراً وقالوا المتجددون على قهر النفس واجمع للقلب واحت على القناعة واطرد للباطن وان بعد من الفتن وأر بطلا لمر الديني من مكة تحرسها الله تعالى وعن سهل ٥٥٢

أعماهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم يدر (لجأهم العذاب ولياً بينهم) يعنى العذاب وقيل الاجل (بغنة) وههم لا يشعرون بانياته (يستجولون بالعذاب) اعادته كيداً (وان جهنم لحيطه بالكافرين) أي جامعة لهم لا يبق منهم أحد الا دخلها (يوم يغشاهم العذاب) أي يصيبهم (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (أي جزاء ما كنتم تعملون) قوله تعالى (يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة) (يايافاعبدون) قيل ثلث في ضعة عفا مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بحكة من اهلها رالايمان فاخرجوا منها الى أرض المدينة فاتها واسعة آمنة وقيل ثلث في قوم تحلة واعن الهجرة وقالوا الخشي ان هاجرنا من الجوع وضيق المدينة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل المعنى فهاجروا فيها أي فهاجروا فيها وقال سعيد بن جبيرة اذا عملوا في الأرض بالمعاصي فهاجروا منها فان أرضي واسعة وقيل اذا أمرتهم بالمعاصي فهاجروا فان أرضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في البلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى بلد تنبأ له فيها العبادات وقيل معنى ان أرضي واسعة أي رزقك واسع فخرجوا (كل نفس ذاتة الموت) أي كل أحد ميت خوفاً من الموت تهون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت (ثم اليانترجعون) فيجزىكم بأعمالكم قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غشراً) أي على ما يجمع غرفة وهي العلية (تجربى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجمعاً) أي الله طاعته (الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة محبتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى الحزن والمصائب وعلى الذلعات وعن المعاصي (وعلى ربهم يتوكلون) أي يعتمدون على الله في جميع أمورهم قوله عز وجل (وكاين من دابة لا تحمل رزقها) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فريديته من ارض الى ارض وان كان شبراً من الارض استوجب الجنة (يايافاعبدون) وبالياء يعقوب وتغيره يايافاعبدوا فاعبدوني وحيء بالقضاء فاعبدون لانه جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه بتقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاختلاص ثم شجع المهاجر بقوله (كل نفس ذاتة الموت) أي واجدة مرارته وكرهه كما يجد الذائق طعم المذوق لانها اذا ثبتت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها (ثم اليانترجعون) بعد الموت للشواب والعقاب

يرجعون بحسب ترجعون يعقوب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غشراً) لنترنهم من الجنة على ما قال لنبوئهم كوفي غير عاصم من التواء وهو النزول للاقامة وثوى غير متعدداً تعدى من زيادة الهمة قليلاً زيادة واحدة والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى العرف اما الجزاءه مجرى لنترنهم وأولئك فيهم أو حذف الجاروا اصل الفعل أو تشبيه انظر في الوقت بالهمز (تجربى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجمعاً) ويوقف على التعاملين على أن (الذين صبروا) خبر مبتدا محذوف أي هم الذين صبروا على مفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى الحزن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي والوصل أجود ليكون الذين تعاملوا مع المسلمين (وعلى ربهم يتوكلون) ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم من مكة بالهجرة فهاجروا الفقرو الضعفة فزلت (وكاين من دابة) أي من دابة وكاين بالمد والهمز مكي والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت أم لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تطيق ان تحملها لضعفها عن حملها

(الله رزقه ما وياكم) اى لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا اهل الاقوياء الا هو وان كنتم مطيعين لمحمل
أرزاقكم وكسبها لاهولم بقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التى لا تحمل وعن المحسن لا تحمل
رزقه الا تدره انما تصبح فيرزقه الله وقيل لا يدخر شئ من الحيوان قوتا ٥٥٣ الابن آدم والفارة والغملة (وهو السميع)
لقولكم نخشى الفقر والعيلة

(العليم) بما فى ضمائركم
(ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض وسفر الشمس والقمر)
اى ولئن سألت هؤلاء المشركين
من خلق السموات والارض
على كبرها وسعته ما ومن الذى
سفر الشمس والقمر (لقول
الله فأنى يؤفكون) فكيف
يصرفون عن توحيد الله مع
أقاربه بهذا كله (الله يسطر
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
له) اى لمن يشاء فوضع الضمير

موضع من يشاء لان من يشاءهم
غير معين فكان الضمير مبهما مله
قدر الرزق وقدره بمعنى اذضايقه
(ان الله بكل شئ عليم) يعلم
ما يصلح العباد وما يفسدهم فى
الحديث ان من عبادى من
لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو
أفقرته لافسده ذلك وان من
عبادى من لا يصلح ايمانه الا
الفقر ولو اغنته لافسده ذلك
(ولئن سألتهم من نزل من
السماء ماء فاحياه الارض بعد
موتها ليقولن الله) أى هم
مقرون بذلك (قل الحمد لله) على
انزاله السماء لحياء الارض أو على
انه ممن أقرب نعموا فقرأوا به ثم نفعه
ذلك في توحيد الله ونفى الشركاء

قال للمؤمنين الذين كانوا عاكفة وقد أذهمهم المشركون هاجروا الى المدينة فقاتلوا كيف
نخرج من المدينة ولم يسألوا عن أسباب الكسب ولا ما فى بطونهم من ما يوجب قتلهم ولا ما فى
من دابة لا تحمل رزقها اى لا ترفع رزقها معها الضعفاء ولا تدخر شيئا لغد مثل الهائم والغابر
(الله يرزقها ما وياكم) حيث كنتم (وهو السميع) أى لا تقواكم (العليم) بما فى قلوبكم
عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم تتوكلون
على الله حتى توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو تنجأ وتروح بطاناً أخرجه الترمذى
وقال حدثت حسن ومعاذ ما أتدب أول النهار جاعا ضامرة البطون تروح آخر
النهار الى أوكارها شباعا غائلة البطون ولا تدخر شيئا قال سفيان بن عيينة ليس شئ من
خلق الله يحب الا الانسان والفارة والغملة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ايهما الناس ليس من شئ يقر بكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أمرت بكم به
وليس شئ يقر بكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه الا وان الروح الامين
يفتح فى روى الروح بضم الراء وباء العين المهملة هو القلب والعقل ويقبح الراء هو الخوف
قال الله تعالى فلم اذهب عن ابراهيم الروح أى الخوف انه ليس من نفس يموت حتى
تستوفى رزقها فاتقوا الله واجعلوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه
بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته قوله عز وجل (ولئن سألتهم)
يعنى كفار مكة (من خلق السموات والارض وسفر الشمس والقمر) ذكر كرامين
أحدهما اشارة الى اتحاد الذات والثاني اشارة الى اتحاد الصفات وهى المحر كفة الشمس
والقمر (ليقولن الله فأنى يؤفكون) قيل معناه انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن
عبادة الله مع اقاربه انه خلق السموات والارض (الله يسطر الرزق لمن يشاء من عباده)
لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق والله تعالى هو
المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان (ويقدر له) أى
يضيق عليه اذا شاء (ان الله بكل شئ عليم) أى يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق
(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحياه الارض من بعد موتها ليقولن الله) ذكر
سبب الرزق وموجد السبب وموجد المسبب فالرزق من الله تعالى (قل الحمد لله) أى على
ان القائل لهذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم وزوم الحجة عليهم
بأنه خالق لهم (بل أكثرهم لا يعقلون) أى انهم يشكون التوحيد مع اقرارهم بأنه خالق
هذه الاشياء قوله تعالى (وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب) الله وهو الاستمتاع بآيات
الدنيا وقيل هو الاشتغال بالعبادة وما لا يبعثه والعب هو اللعب وفى هذا تصغير الدنيا

٧٠ ن ث عنه ولم يكن اقراء اعطاك اقراء المشركين (بل أكثرهم لا يعقلون) لا يتدبرون بما فيهم من العقول
فيما فيهم من الآيات ونعيم عليهم من الدلائل ولا يعقلون ما تريد بلك الحمد لله (وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب)
اى وما هى لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها الا كليلب الصبيان ساعة ثم يتفرون وفيه ازدياد الدنيا وتصغير الامرها
وكيف لا يصغر ها وهى لا تزن عنده جناح بعوضة والله وما يذبحه الانسان فيلهيه ساعة ثم ينقضى

(وان الدار الآخرة لله الحيوان) أي الحياة أي ليس فيها الاحياء مستمرة دائمة لا موت فيها فكانها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلت الداء الثانية وار اولم يقل لحي الحياة لاني بناء فعلا من معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة والموت سيكون فحيته على بناء دال على معنى الحركة معا لفته في معنى الحياة وتوقف على الحيوان لان التقدير (لو كان يعلمون) حقيقة الدارين لما اختاروا الله والفا في الحيوان الباقي ولو وصل اصاب وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك (فأذار كبروا في الفلك) هو متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فأذار كبروا في الفلك (دعوا الله مخلصين له الدين) كائن في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الله ولا يدعون معه الها آخر (فلمّا نجّاهم الى البر) وآمنوا (إذا هم بشر كون) عادوا الى حال الشرك (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة قيل هي لامى وكذا في (وليتمتعوا) فمن قرأها بالسر اى لى يكفر واوى يمتعوا والمعنى يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم ٥٤ كافرين بنعمة النجاة فاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين

الخالصين على الحقيقة فانهم يشكرون نعمة الله إذا أنجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة الى ازيد الطاعة لا الى التلذذ والتمتع وعلى هذا لاوقف على شرك كون ومن جعله لام الامر متبنا بقراءة ابن كثير وجزء وعلى وليتمتعوا وبكون اللام على وجه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتحققه في اصول الفقه يقف عليه (فسوف يعلمون) سوء تدبيرهم عند تدبيرهم (أولم يروا) أي أهل مكة (أن جعلنا) بلدهم (حرما) ممنوعا صونا (آمننا) يأمن داخله ويتنطفئ الناس من حولهم) يستلبون قتلا وسبنا (أفبا بالطل يؤمنون) أي

وازدرأهم ومعنى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون (وان الدار الآخرة لله الحيوان) أي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها (لو كانوا يعلمون) فناء الدنيا وبقاء الآخرة كما أثروا الفاني على الباقي قوله عز وجل (فأذار كبروا في الفلك) معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فأذار كبروا في الفلك وخافوا الغرق (دعوا الله مخلصين له الدين) أي تروا الاصنام ولجؤا الى الله تعالى بالدعاء (فلمّا نجّاهم الى البر) إذا هم بشر كون) أي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر جلاوا الاصنام فإذا اشتد الريح ألقيوها في البحر وقالوا يا رب (ليكفروا بما آتيناهم) أي ليحجوا نعمة الله في أجابته اياهم ومعناه التهديد والوعيد (وليتمتعوا) معناه لا فائدة لهم في الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة (فسوف يعلمون) يعني عاقبة أمرهم فقيه تهديد ووعيد قوله عز وجل (أولم يروا أن جعلنا محمدا نبيا) يعني العبيد والناس من حولهم) يعني العرب يسبي بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون (أفبا بالطل) يعني الشيطان والاصنام (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أي يحمدون الله عليه وسلم والاسلام يكفرون (ومن أضل ممن افترى على الله كذبا) أي فزع من ان له شركا فإنه منزوع عن الشركاء (أو كذب بالحق) أي يحمدون الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) معناه أما هذا الكافر المكذب ماوى في جهنم قوله عز وجل (والذين جاهدوا فينا) معناه جاهدوا الشركين لنصر ديننا (لنهديهم سبلنا)

بالشيطان والاصنام (وبنعمة الله يكفرون) أي يحمدون الله عليه والاسلام (ومن أضل ممن افترى على الله كذبا) لنهينهم بان جعل له شركا (أو كذب بالحق) بنبوته محمد عليه السلام والكتاب (لمساجاه) أي يتعلمون ما يتكذب به حين سعيه (أليس في جهنم مثوى للكافرين) هذا تقرير لما أوهم في جهنم لانهم لا نكاد انكارا إذا دخلت على النبي صاروا يجابى على الأنيون فيها وقد افتر ما مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التلذيب وألم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حين احتجوا مثل هذه الجراء وتذكروا في مقابلة لندوتهم يؤيد قراءة الثاني (والذين جاهدوا) أطلق الجاهدة ولم يقيد بها كفول ليتناول كل ما تحب مجاهدة من النفس والشيطان واعداء الدين (فينا) في حقنا ومن أجلنا ولوجها نأصا (لنهديهم سبلنا) سبلنا أبو عمرو أي لنزديهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا وعن الداراني والذين جاهدوا فيما علموا والتهديد لهم الى ما لم يعلموا فقد قيل من عمل ما علمه وفق لا ما يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو لتقصيرنا فيما نعلم وعن فضيل والذين جاهدوا في طلب العلم لنهديهم سبل العمل به وعن سهل والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهديهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا

لنهيئهم على ما قالوا عليه وقيل لنهيئهم هدى وقيل لنرفقهم لاصابة الطرق المستقيمة
وهي التي توصل الى رضا الله تعالى قال سيفيان بن عبيدة اذا اختلف الناس فانظروا
ما عليه أهل النور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا وقيل
الجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا
في طلب العلم لنهدينهم سبيل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا
باقامة السنة لنهدينهم سبيل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم
سبيلنا (وان الله لمع الحسنيين) أي بالضرورة والمعونة في ذنوبهم والمغفرة في عقوباتهم
في الآخرة فواهبهم الجنة والله أعلم

(تفسير سورة الروم وهي مكية)

وستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسة مائة وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الم غلبت الروم في أدنى الارض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره
المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم
لان فارسا كانوا يمجسوا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس ليكونهم أهل
كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهرمان وبعث قيصرا
رجلا وجيشا وأم عليهم رجلا يدعى بخين فالتقي باذرعاء وبصرى وهى أدنى الشام الى
أرض العرب والحشم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين عكة فشق عليهم وفرح به
كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب واننا نرى أهل كتاب ونحن أميون وفارس
أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا لظهرن
عليكم فأمر الله هذه الآيات فخرج أبو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم
بظهور اخوانكم فلا تفرحوا والله ليظهرن الروم على فارس أخيرا بذلك نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابى بن خلف الجهني فقال كذبت فقال أنت كذب يا عدو
الله فقال اجعل بيننا أحلا أنا حبل عليه والمناجبة بالحاء المهملة القسما والراء المهملة أى
أراهنك على عشر قلائص منى وعشر قلائص منك فاذا ظهرت فارس على الروم غرمت
واذا ظهرت الروم على فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاحل ثلاث سنين فاجاب أبو بكر الى
النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة الى التسع فزايده في الخطر ومادده في الاحل
فخرج أبو بكر فلقى أسيافا فقال لعائذ بنت قيس لا تفعلين أزيدك في الخطر وما مددك في
الاحل فاحلها مائة فلوص ومائة فلوص الى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشى أبى بن
خلف ان يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال ابى أخاف أن يخرج من مكة فاقم في
ضامنا كميلا فقل له انه عبد الله بن أبى بكر فلما أراد ابى بن خلف ان يخرج الى أحد
أنه عبد الله بن أبى بكر فزعمه وقال والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فأعطاه كفيلا

في رضانا لنهدينهم الى الوصول
الى محفل الرضوان وعن ابن
عباس جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم
سبيلنا وبنا وعن الجنيد جاهدوا
في التوبة لنهدينهم سبيل
الاخلاص او جاهدوا في
خدمة منا لنفقدن عليهم سبيل
المساجاة معنا والانس ينساو
جاهدوا في طلبنا نخرج الرضانا
لنهدينهم سبيل الوصول اليها
(وان الله لمع الحسنيين) بالضرورة
والمعونة في الدنيا وبالثواب
والمغفرة في العقبى
*(سورة الروم مكية وهي
ستون أو تسع وخمسون آية)*
والاختلاف في بضع سنين
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الم غلبت الروم) أى غلبت
فارس الروم (في أدنى الارض)
أى في أقرب أرض العرب لان
الأرض المعهودة عند العرب
أرضهم والمغنى غلبوا في أدنى
أرض العرب منهم وهى أطراف
الشام أو أراد أرضهم على اناية
الادم مناب المضاف اليه أى
أدنى أرضهم الى عدوهم

(وهم) اى الروم (من بعد غلبهم) اى غلبة فارس اياهم وقرى يكون اللام بالغلب والغلب مصدران وقد اضيف المصدر الى المفعول (سيفعلون) فارس ٥٥٦ ولا وقف عليه لعلنى (فى بضع سنين) يدوهو ما بين الثلاث الى العشرة قبل

احترت بت فارس والروم بين
أدراعت وبصرى فعلت فارس
الروم والمالك بفارس يومئذ
كسرى ابرويز فبلغ الخبر مكة
فشق على رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين لان فارس
مجنوس لا كتاب لهم والروم
أهل كتاب وفرح المشركون
وشتموا وقالوا انتم والنصارى
أهل كتاب ونحن وفارس اميون
وقد ظهر اخواننا على اخوانكم
وانظرونا نحن عليكم فنزلت
فقال لهم ابو بكر والله ليظهرن
الروم على فارس بعد بضع سنين
فقال له ابي بن خلف كذبت
فناجبه على عشر قلائص من
كل واحد منهما وجعل الاجل
ثلاث سنين فأخبر ابو بكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال
عليه السلام زد فى الخطر وأبعد
فى الاجل فجعلاهما ثلثين
الى تسع سنين ومات ابي من جرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وظهرت الروم على فارس يوم
الحديبية أو يوم بدر فأخذ
ابو بكر الخطر من ذرية ابي فقال
عليه السلام تصدق به وهذه
آية بينة على صحة نبوته وان
القرآن من عند الله لانها انباء عن
علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم
القمار عن قتادة ومن مذهب

ثم خرج الى أحد قال ثم رجع ابي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التى جرحه النبي
صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس
سبع سنين من مناجحتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمداخن ونشوا
بالعراق مدينة وسموها رومية فقام ابو بكر اباؤا أخذ مال الخطر من ورثته وجاءه لى
صلى الله عليه وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به
وكان سبب غلبة الروم فارس على ممالك عكرمة وغيره ان شهرمان الماغللب الروم لم يزل
يطوهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخبيخ فيينا أخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب قال
لاصحانه لقد رأيت كفى جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكذب الى
شهرمان اذا أتاك كتابى فأبعث الى رأس اخيك فرحان فكذب الله امها الملك انك
لم تحمد مثل فرحان ان له لشكايه وصوله الى العدو فلا تفعل فكذب اليه ان فى رجال فارس
خلفاء عنه ففعل الى رأسه فرأى جبهه غضب كسرى ولم يجبه وبعث برید الى أهل فارس انى
قد عززت عنكم شهرمان واستمعت عليكم فرحان ثم بعث مع البرید صحيفة صغيرة
وأمره فيها بقتل شهرمان وقال اذاولى فرحان الملك واتقاده أخوه فأعطاه الصحيفة فلما
وصل البرید الى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال سمعوا طاعة ونزل عن
سرير الملك واجلس عليه أخاه فرحان فدفع البرید الصحيفة الى فرحان فلما قرأها استدعى
أخيه شهرمان وقدمه لضرب عنقه فقال له لا تفعل حتى اكتب وصيتى قال نعم فدعا
بسط ففتحها وأعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا واجعت فى كسرى وانت تريد
قتلى بكتاب واحد فرد فرحان الملك الى أخيه شهرمان فكذب الى قصر ملك الروم اما
بعد ان لى اليك حاجة لا تكملها البرد ولا تباعها الخصف فالقنى فى خسين روميا حتى القاك
فى خسين فارس يا قبل قيصرى فى خسينا ألف رومى وجعل بضع العيون بين يديه فى
الغرق مخافة ان يرید ان يكرهه حتى أتاه عيون فآخبروا انه ليس معه الا خمسون فارسيا فلما
التقياضت بتهمة ما قبله فيها ديماج فدخلها وتمع كل واحد سكين ودعا بترجان يترجم
بينهما فقال شهرمان ان الذى خرب بلادك أنا وأخى بكىدنا وشعبا عتنا وان كسرى حسدنا
وأراد ان يقتل اخى فاست عليه ثم أمر اخى بقتل فاقى عليه وقد خلعتا جمعا ونحن نقانه
معلن فقال قد أصبنا وأشارا ردهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا حاورهما فاشا
قتلا الترجان معا بكىد يهما فاذا بليت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم
ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وفرح من كان
معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم فى ادنى الارض يعنى
قرب ارض الشام الى فارس وقيل هى ادراعت وقيل الاردن وقيل الجزيرة (وهم)
من بعد غلبهم) اى فارس لهم (سيفعلون) اى الروم لقارس (فى بضع سنين) البضع ما بين
الثلاثة الى السبع وقيل الى التسع وقيل ما دون العشرة (نقله الامرن قبيل ومن بعد)

أى خيفة ومحمدان العتود الفاسدة كعداها وغيره جائزة فى دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتج على صحة ذلك
بهذه القصة (لله الامر من قبل ومن بعد) أى من قبل كل شئ ومن بعد كل شئ اوحين غلبوا وحين يغلبون كانه قبل من قبل

ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولاً وغالبين آخر الدس الايام والله وقضائه وتلك الايام ندا ولها بين الناس (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له وغضب من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشر كين من غلبة الروم والباء يتصل بفرح فيوقف على الله لا على المؤمنين (ينصر من يشاء وهو العزيز) الغالب على أعدائهم (الرحيم) العاطف على أوليائهم (وعده الله) مصدر مؤكد لان قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وعد من الله لا يؤمنون فقله وعد الله بتكرره وعد الله المؤمنين وعداً لا يخلف الله وعده (بنصر الروم على فارس) ولكن أ كثر الناس لا يعلمون ذلك (يعلمون) بدل من لا يعلمون وفيه بيان انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنسا وقوله (ظاهر من الحيوة الدنيا) يفيد ان للناظر اواطناً فظاهراً ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها وباطنها أنها حجاز الى الآخرة يتروى منها اليها بالطاعة وبالاعمال الصالحة ٥٥٧ وتذكير الظاهر يفيد انهم لا يعلمون الاظهار

واحدان من جهة تظاهرها (وهم عن الآخرة هم غافلون) هم الثانية مبتدأ و غافلون خبره والجملة خبرهم الاولى وفيه بيان انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها (اولم يتفكروا في انفسهم) يتحتم أن يكون ظفر فكاكه قيل اولم يتفكروا التفكير في انفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكير لا يكون الا في القلوب ولكنه في زيادة تصوير لمحال المتفكير كقوله اعتقد في قلبك وأن يكون صلبة للتفكير نحو تفكير في الامر وأجل فيه فكير ومعناه على هذا أولم يتفكروا في انفسهم التي هي

أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدهما فن غلب فهو بامر الله تعالى وقضائه وقدره (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أي للروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم يدور فرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك (ينصر من يشاء) أي يسده النصر ينصر من يشاء (وهو العزيز) الغالب (الرحيم) أي بالؤمنين قوله تعالى (وعده الله) أي وعده الله وعداً بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده) ولكن أ كثر الناس لا يعلمون (أي ان الله لا يخلف وعده ثم قال تعالى (يعلمون) ظاهر من الحيوة الدنيا) يعني أمر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومضى يغرسون ويزرعون ويحصدون وقال الحسن ان أحدهم ليقدر الدرهم بطرف ظفره فيد كرونيه لا يخطئ وهو لا يحسن بصلى وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها إنما يعلمون ظاهرها وهو ما لا يخلو ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها (وهم عن الآخرة هم غافلون) أي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعلمون بها قوله عز وجل (اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لاقامة الحق (وأجل مسمى) أي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فثبت وهو يوم القيامة (وان كثير من الناس بلقاء ربهم لسكافرون اولم يبروا في الارض) أي سافروا فيها (فمنظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا (كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض) أي حرثوها

أقرب اليهم من غيرهما من المخلوقات وهم اعلم باحوالها منهم باحوال ما عداها في تدبرها وأودعها الله ظاهراً وباطناً من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الالهام لانه لا بد لها من الانتهاء الى وقت تجازي فيه على الاحسان احساناً وعلى الاساءة مثلاً حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك أمرها على الحكمة في التدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا في قولوا هذا القول وقيل معناه فاعلموا لان في الكلام دلالة عليه (الا بالحق وأجل مسمى) أي ما خلقها باطلاً ولا عبثاً بغير حكمة بالغة وتولا تتبع خالدتها وما خلقها مقروناً بالحق ومحسوبة بالحكمة وتقدر بأجل مسمى لا بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله الحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم اينالاً ترجعون كيف سمى تهم غير راجعين اليه عبثاً (وان كثير من الناس بلقاء ربهم) بالبعث والجزاء (لسكافرون) لم يجدوا وقال الزجاج أي اسكافرون بلقاء ربهم (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هو تنقير يسيرون في البلاد ونظروهم الى آثار المدين من عاد وعود وغيرهم من الامم العاتية ثم وصف ظلمهم فقال (كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض) وحرثوها

(وعمروها) أي المذمومون (أكثر صفة مصدرة محذوفة وما نضد رتبة في (عمرها) أي من عمارة أهل مكة (وجاءتهم
رسلاًهم بالبينات) وتقف عليها الحق المحذوف أي قبل يومئذ فافهموا (فما كان الله ليظلمهم) فما كان ندمهم أياهم ظلماً
لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم (ثم كان عاقبة) بالنصب شامح
وكوفي (الذين أساءوا السواي) تأنيث الأسا وهو الالفج كان الحسني تأنيث الاحسن ومجملها رفع على أنها اسم كان عند
من نصب عاقبة على الجرم ونصب عند من رفعها والمعنى أنهم عوتوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السواي إلا أنه
وضع المظهر وهو الذين أساءوا موضع المضمرة أي العقوبة التي هي أسوأ للعقوبات في الآخرة وهي النار التي أعدت للكافرين
(أن كذبوا) لأن كذبوا أوبان وهو يدل على أن ٥٥٨ معنى أساءوا كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) يعني ثم

وقلبوها للزراعة (وعمروها) يعني الامم الخالية (أكثر عمرها) يعني أهل مكة
(وجاءتهم رسلاًهم بالبينات) أي فلم يؤمنوا فافهموا (فما كان الله ليظلمهم) أي ينقص
حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي ينقص حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساءوا)
أي أساءوا العمل فاستحقوا (السواي) يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السواي
اسم مجهم ومعنى الآية أن عاقبة الذين عملوا السوء النار (أن كذبوا) أي لانهم كذبوا
وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المستهين أن جعلتهم تلك السبب على أن كذبوا
(بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أي خلقهم
ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء (ثم إليه يرجعون) أي فيجزيهم بأعمالهم (ويوم تقوم
الساعة ليس المجرمون) قيل معناه أنهم يياسون من كل خبر وقيل ينقطع كلامهم
وحججهم وقيل يقتضون (ولم يكن لهم من شركائهم) يعني أصنامهم التي عبدوها
(شفعوا) أي يشفعون لهم (وكانوا يشركونهم كافرين) أي جاحدين متبرئين يتبرئون
منها وتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ ينشقرون) أي يتبرأ أهل الجنة من أهل النار
وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار فلا يجتمعون
أبدًا فهو قوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي في الجنة
وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة (يجبرون) قال ابن عباس يكرمون
وقيل يشتمون ويسرون والخبرة السرور وقيل في معنى يجبرون هو السماع في الجنة
قال الازاعي ليس أحدهم خلق الله أحسن صوتاً من أسرافيل فإذا أخذ في السماع
قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال إذا أخذ في السماع فلا يبق في الجنة
شجر فالأوردته وسأل أبا هريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من
ذهب وأغصانها من فضة وتغارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله رجلاً فيأب
بعضها بعضاً فيسمع أحد أحسن منه (وأما الذين كفروا كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة)
أي البعث يوم القيامة (فأولئك في العذاب محضرون) قوله تعالى (فسبحان الله) يعني

كان عاقبة الكفار في النار
لنكذبهم بآيات الله
واستهزأهم بها (الله يبدأ
الخلق) ينشئهم (ثم يعيده)
يحييهم بعد الموت (ثم إليه
ترجعون) وبالله أو بعمره
وسهل (ويوم تقوم الساعة
يبلس) يبأس ويخسر يقال
ناظرته فابلس إذا لم ينس
وشس من أن يتجشج (المجرمون)
المشركون (ولم يكن لهم من
شركائهم) من الذين عبدوهم
من دون الله وكتب (شفعوا)
في المحضف بواو قبل الالف
كما كتب علواً بنى إسرائيل
وكذلك كتبت السواي بالالف
قبل الباء آيات الله مرقعة على
صورة الحرف الذي منه كتبت
(وكانوا يشركونهم كافرين)
أي يكفرون بآياتهم ومحمد وها
أ و كانوا في الدنيا كافرين
بسيهم (ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون) الضمير في
يتفرقون للمسلمين والكافرين

لذلك لما بعده عليه حيث قال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي بستان وهي
الجنة والنتيجة لاجتماعها وتفخيمة (يجبرون) يسرون يقال جبره إذا سره وسرّوا تمل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف
فيه لاحتمال وجوه المسار فقيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع في الجنة (وأما الذين كفروا كذبوا بآياتنا ولقاء
الآخرة) أي البعث (فأولئك في العذاب محضرون) مقيمون لا يعيقون عنه ولا يخفف عنهم قوله وما هم بخارجين منها لما
ذكر الودع والوعيد آتاه هذا كما يوصل إلى الودع ويخبر من الودع فقال (فسبحان الله) والمراد بالتسبيح طاهره الذي هو
تزيه الله من سوءه والثناء عليه بالخبر في هذه الاوقات لا بعد فيها من نعمة الله الظاهرة أو الصلاة فقيل لابن عباس هل
يجب الصلوات الخمس في القرآن فقال نعم ولا هذه الآية وهو نصب على المصدر والمعنى زهوه عملاً باليتيق به أو صلواته

(حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (وحين يصبحون) صلاة الفجر (وله الحمد في السموات والارض) اعتراف ومغناة ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمده وفي السموات حال ٥٥٩ من الحمد (وعشا) صلاة العصر وهو

معطوف على حين تمسون وقوله عشا متصل بقوله حين تمسون (وحين تظهرون) صلاة الظهر اظهر أى دخل في وقت الظهور وقوله الاكثر ان الصلوات الخمس فرضت بحكمة (يخرج الحي من الميت) الطائر من البيضة أو الانسان من النطفة أو المؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحي) أى البيضة من الطائر أو النطفة من الانسان أو الكافر من المؤمن والميت بالتخفيف فيهما مكى وشامى وأبو عمرو وأبو بكر وجاد وبالتشديد غيرهم (ويحيى الارض) بالنبات (بعدهم وتها) يسها (وكذلك تخرج جوارح) تخرج جوارح جزة وعدلى وخلف أى ومثل ذلك الاخراج تخرج جوارح من قبوركم والكاف في محل نصب بتخرج جوارح والمعنى ان الابداء والاعادة يساويان في قدرته هو قادر على اخراج الميت من الحي وعكسه روى ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سبحان الله حين تمسون والي ثلاث وأخمس مرة في كل يوم لم يغفر له من الجنة ولا من النار (يخرج الحي من الميت) أى يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج البجاجة من البيضة والبيضة من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحيى الارض بعدهم وتها) أى بالظهور واخراج النبات منها

فسبحوا الله ومعناه صلوا لله (حين تمسون) أى تدخلون في المساء وهى صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) أى تدخلون في الصباح وهى صلاة الصبح (وله الحمد في السموات والارض) قال ابن عباس يحمده اهل السموات والارض ويصلون له (وعشا) أى وصلوا لله عشا يعنى صلاة العصر (وحين تظهرون) أى تدخلون في الظهيرة وهى صلاة الظهر قال نافع بن الأزرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وقرأها نبي الآتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقفها واعلم انه لما خص هذه الاوقات بالتسبيح لأن أفضل الاعمال أدومها والانسان لا يتقدر ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه يحتاج الى ما يعيشه من مأكل ومشرب وغير ذلك تخفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وأمره بها في أول النهار ووسطه وآخره وفي أول الليل وآخره فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهى سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس في اوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقی عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهى مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته في التسبيح والعبادة (فصل في فضل التسبيح) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله ومحمده في كل يوم مائة مرة تحط خطاياها وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ويحسى سبحان الله ومحمده مائة مرة بات أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه أحجمهما الترمذى وقال فيه ما حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيقتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله ومحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث أخرجه في صحيح البخارى (م) عن جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهى في مسجد فخرج بعد ما تعالى النهار فقال ما زالت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكل ما تملك لوزنتهن سبحان الله ومحمده عدد خلقه ورضاه نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن ابى وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى عجز أحدكم أن يكتب كل يوم ألف حسنة فقال سائل من جلسائه قال كيف يكتب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وفي رواية غير مسلم يحط عنه أربعين ألفا قوله تعالى (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أى يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج البجاجة من البيضة والبيضة من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحيى الارض بعدهم وتها) أى بالظهور واخراج النبات منها

فاذا مات آخرى له بكل حرف عشر حسنة في قبره قال عليه السلام من قرأ حين يصبح في سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرج جوارح أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته ٣ قوله في كل يوم ساقط من نسخة الطبع من الترمذى وفي بعض النسخ التى بايدى ثمان من الحارث بن بدون كل

(ومن آياته) ومن علامات ربه وقدرته (أن خلقكم) أي أياكم (من تراب ثم إذا أنتم بشر) أي آدم وذريته (تنتشرون) تنتشرون فيما فيه مما شئكم واذ الحفاة وقد رثتم فاجتمع وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) أي حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسهن من جنسكم خرو ذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الألف والساكنون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر يقال سكن اليه إذا ما ن اليه (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بينكم التواد والتراحم بسبب الزواج وعن الحسن المودة كتابة عن الجاه ٥٦٠ والرحمة عن الولد وقيل المودة للشابة والرحمة للجزوز قيل المودة

والرحمة من الله والفرد من الشيطان أي بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة (ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون) فيعلمون ان قوام الدنيا بوجود التناسل (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم أي اللغات أو اجناس النطق وأشكاله (والوانكم) كالسود والابيض وغيرهما ولاختلاف ذلك وقع التعارف والاعلاوشا كانت وانتهت لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت المصالح وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وهم على السكينة التي لا يعاملها الا الله متفوتون (ان في ذلك لايات للعالمين) جمع عالم وبكسر اللام حفص جمع عالم وشبهه لكسر قوله تعالى وما بعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله) هذا من باب اللف وترتيبه أي ومن آياته منامكم

(وكذلك تخرجون) أي مثل اخرج النبات من الارض تخرجون من القبور للبعث والحساب (ومن آياته أن خلقكم من تراب) أي خلق أصلكم وهو آدم من تراب (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) أي تنبسطون في الارض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أي جنسكم من بني آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم (لتسكنوا إليها) أي لتعلموا للزواج والتألف (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهمية وتوادان و يترامحان من غير سابقية معروفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شئ أحب الى احدهما من الاخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان (ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون) أي في عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) أي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد اجناس النطق وأشكاله خالف بينهما حتى لا يتكاد يجمع منطقتين متفقتين حتى لو تكلم جماعة من ورعا طاع يعرف كل منهم بنطقه ونعجته لا يشبه صوت أحد صوت الاخر (والوانكم) أي أسودوا و أبيض واشقر وأسمر وغير ذلك من اختلاف الوان: أنتم نور جعل واحد ومن أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة في اختلاف الاشكال والاصوات للتعرف أي ليعرف كل واحد بسلوكه وملكته وصورته فلما انتهت الاصوات والصور وتناكبت وكانت ضربا واحدا وقع التجاهل والالتباس وتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الخلق من غيره والعدوم من الصديق والقريب من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد وفي ذلك دليل على شدة القدرة وكمال العظمة (ان في ذلك لايات للعالمين) أي لعموم العلم فيهم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله) أي منامكم بالليل للراحة وابتغواكم من فضله وهو طلب أسباب المعيشة بالنهار (ان في ذلك لايات لقوم يسمعون) أي يسمعون تنبيرا واعتبارا (ومن آياته يريكم البرق خوفا) أي للمسافر ليستعد للظلمة (وطمعا) أي للتبصير ليستعد للحاج اليه من اجل الزرع ونسوية طرق المصانع (وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها) ان في ذلك لايات لقوم يعقلون (أي قدرته الله وانه القادر عليه (ومن آياته

وابتغواكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين أن المراد منامكم في الزمان وابتغواكم فيهم ما ألهموه وعلى الاول لشكره في القرآن وأسند المعاني ما دل عليه القرآن (ان في ذلك لايات لقوم يسمعون) أي يسمعون سماعا تدبريا ذانا واعية (ومن آياته يريكم البرق في سحاب وجها واضمارا) كما في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وانزال الفعل منزلة المصدر وبتدبر بالضم مع ما في المعنى خبر من أن تراه أي أن تسمع أو سماعا قول (خوفا) من الصاعقة أو من الاخلاف (وطمعا) في الغيب أو خوفا للمسافر وطمعا للعاشر وهما منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه أي أرادة خوف وإرادة طمعا أو على الحال أي خائفين وطامعين (وينزل من السماء) وبالتنقيص مكي وبصري (ماء) مطرا (فيحيي به الارض بعد موتها) ان في ذلك لايات لقوم يعقلون (يعقلون بعقولهم (ومن آياته

أن تقوم) تثبت بلا محمد (السماء والارض باره) اى باقامته وتديره وحكمته (ثم اذا دعاكم) للبعث (دعوة من الارض اذا
 انتم تخرجون) من قبوركم هذا كقولهم يركب ابقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن آياته قيام السموات والارض
 واستقامتها انهم بعد ثم خرجوا الموقى من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا وان اردت دعوتهم وجود ذلك من
 غير توقف وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بشم بياننا لعظم ما يكون من ذلك الامر وقت سداره على مثله وهو ان
 يقول يا اهل القبور قوموا فاليتبع تسعة من الالوان والاخرى من الاقامت تنظر كقائل ثم نفع فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
 اذا الاولى للشرط والثانية للملحاجة وهى تنوب من باب الفاء في جواب الشرط ومن الارض متعلق بالفعل لا بالمصدر وقولك
 دعوتهم من مكان كذا يجوز ان يكون مكانك ويجوز ان يكون مكان صاحبك (وله من فى السموات والارض كل له قاتون)
 متقادون لوجود فعله فيهم لا يمتنعون عليه أو مفعولون بالعبودية (وهو الذى يبدؤ الخلق) اى يبدؤهم (ثم يعيده) للبعث (وهو)
 اى البعث (اهون) ايسر (عليه) عندكم لان الاعادة عندكم اسهل من ٥٦١ الانشاء فقلتم الاعادة واخرت الصلوة فى

أن تقوم السماء والارض باره) قال ابن عباس وابن مسعود قامة تعالى غير عمد وقيل
 يدوم قيامهما باره (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) قال ابن عباس من القبور
 (اذا انتم تخرجون) اى منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم
 تخرجون من الارض (وله من فى السموات والارض كل له قاتون) اى مطيعون قال
 ابن عباس كل له مطيعون فى الحماة والبقاء والموت والبعث وان عضو اى العباد (وهو
 الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده) اى يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو اهون
 عليه) اى هو من عليه ومما نرى عليه به غير يز وقيل معناه وهو ايسر عليه فان
 الذى يقع فى عقول الناس ان الاعادة تكون اهلون من الانشاء وقيل هو اهون
 على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيغة واحدة فيكون اهون عليهم من أن يكرروا
 نطقا ثم علقا ثم مضى الى ان يصير وارجالا لان ساعده وراية عن ابن عباس (وله المثل
 الاعلى) اى الصفة العليا قال ابن عباس ليس كمثلته شئ وقيل هو الذى لا اله الا هو
 (فى السموات والارض وهو) اى فى ملكه (العزير الحكيم) اى فى خلقه قوله عز
 وجل (ضرب لكم مثلا) اى بين لكم شيا محالكم ذلك المثل (من أنفسكم) ثم بين ان مثل
 فقال تعالى (هل لكم مما ملكت ايمانكم) اى عبيدكم وامائكم (من شركاء فيما
 رزقناكم) اى من المال (فانتم فيه سواء) اى هل يشاركم عبيدكم فى اموالكم
 التى اعطيناكم (تخافونهم كخيفة أنفسكم) اى تخافون ان يشاركوكم

قوله وهو اهون عليه وقدمت
 فى قوله هو على هين لقصد
 الاختصاص هناك وأما هنا فلا
 معنى للاختصاص وقال أبو
 عبيدة والزجاج وغيرهما الاهون
 بمعنى الهين فهو وصف به الله عز
 وجل وكان ذلك على الله يسيرا
 كما قالوا الله اكبر اى كبروا الاعادة
 فى نفها عظيمة ولكنهم اهون
 بالقياس الى الانشاء أو هو اهون
 على الخلق من الانشاء لان قيامهم
 بصيغة واحدة أسهل من كونهم
 نطقا ثم علقا ثم مضى الى تسكين
 خلقهم (وله المثل الاعلى) اى
 السموات والارض) اى الوصف
 الاعلى الذى ليس لغيره وقد عرف
 به وصف فى السموات والارض

٧١ ن ث على السنة الخلاق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذى لا يعجز عن شئ من انشاء واعادة وغيرهما
 من المقتدوات وتبدل عليه قوله (وهو العزيز) اى القاهر لكل مقدور (الحكيم) الذى يجزى كل فعل على قضاي حكمته وتوعله
 وعن ابن عباس رضى الله عنهما المثل الاعلى ليس كمثلته شئ وهو السميع البصير وعن مجاهد وقول لا اله الا الله ومعناه وله
 الوصف الارفع الذى هو الوصف بالواحدانية وعوضه قوله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) فهذا مثل ضربه الله عز وجل
 لمن جعل له شركا من خلقه ومن لا ابتداء كانه قال اخذ مثلا وانترعه من اقرب شئ منكم وهى أنفسكم (هل لكم) معاشر
 الاحرار مما ملكت ايمانكم عبيدكم ومن للتبعض (من شركاء) من مزيدة لتأكيد الاستفهام الجادى مجرى النسيب
 ومعناه هل ترضون لافساحكم وعبيدكم أمثالكم بشر كثير وعبيدكم كعبيد ان يشاروكم بعضهم (فيما رزقناكم) من الاموال
 وغيرها (فانتم) معاشر الاحرار والعبيد (فيه) فى ذلك الرزق (سواء) من غير تفضيلة بين حر وعبد يحكم بما يملككم فى اموالكم
 كحكمكم (تخافونهم) حال من ضمير الفاعل فى سواء اى متساوون خائفاء بعينكم بعضها شاركته فى المال والمعنى تخافون
 معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تغضون فيها حكادون انهم خوفان لآفة تلحقكم من جهتهم (كخيفة أنفسكم) يعنى كخيفات

بعض الاحرار بعضا فيهما هو مشترك بينهم فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون له بالارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيد له شركا (كذلك) موضع الكاف نصب أى مثل هذا التتصيل (نقص الآيات) نبيها لان التتميل مما يكلف المعاني ويوضحها ٥٦٢ (انقوم بعقولون) يتدبرون في ضرب الامثال فلمالم ينزجروا أضرب عنهم فقال

(بل اتبع الذين ظلموا) انفسهم بما اشرركوا كقال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (اهواءهم) بغير علم (فن يهدي من أضل الله) اي اضله الله تعالى (ومالهم من ناصرين) من العذاب (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لا يقاله على الدين واستقامته عليه واهتمامه باسبابه فان من اهتتم بالشيء عقد عليه طرفة وسدد اليه نظره وقوم له وجهه (حنيفا) حال من المأمورا ومن الدين (فطرت الله) اي الزموا فطرة الله والفطرة الخلقية لا ترى الى قوله لا تسديل لمخلقي الله فالمعنى انه خلقهم فابنوا للتوحيد والاسلام غير نائين عنه ولا منكبر له لكونه محابا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباعوا شياطين الجن والانس ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتاتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيرى وفوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواهما

في أمو السكون ويقاسموكم كما يخاف الجرمن شر بكة الحرف في المال يكون بينهم ان يفرد فيه بام دون شر بكة ويخاف الرجل شر بكة في الميراث وهو يحبان يفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يروكم كإبرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذان مما يليكم ولا ترضوه ولا نفسكم فكيف ترضون ان تكون آفة لكم التي تعبدونها شركا وهم يتبدي (كذلك) نقص الآيات (اي اللالات والبراهين والامثال (انقوم بعقولون) اي ينظرون في هذه الدلائل والامثال بعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا) يعني اشركا وبالله (اهواءهم) اي في الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب عليهم (فن يهدي من أضل الله) اي عن طريق الهدى (ومالهم من ناصرين) اي مانعين يمنعونهم من عذاب الله قوله تعالى (فأقم وجهك للدين) يعني اخلص دينك وقيل سد عليك والوجه ما يتوجه الى الله تعالى به الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه لسدده قوله تعالى (حنيفا) اي مائلا اليه مستقيما عليه (فطرت الله) اي دين الله والمعنى الزموا فطرة الله (التي فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الله الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الاسلام (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة ثم قال اقرؤا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تسديل لمخلقي الله ذلك الدين القيم زاد البخاري فوايه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كاتنفع بهم جمعة جمعا هل تحسبون فيهم من جدعاهم يقول ابو هريرة اقرؤا فطرت الله الا يهتدوا في روايتهم قالوا يارسول الله اقرأيت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يولد الا على الفطرة يعني على العهد الذي أخذنا الله عليهم بقوله أأست بركم قالوا بلى فكل مولود في العالم على ذلك الاقرار وهي الحنيفية التي وضعت الخلقية عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالايمن الفطري في احكام الدنيا وانما يعتبر بالايمن الشرعي المأمور به المكسب بالارادة والفعل الا ترى الى قوله فوايه يهودانه أو ينصرانه فهو مع وجود الايمان الفطري فانه يحكمهم له بحكم ابويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفاء فاجتاتهم الشياطين عن دينهم وحكي عن عبد الله بن المبارك انه قال في معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اي خلقته التي خلقه الله عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة الى ما فطر عليه وعامل في الدنيا بما يعمل المشا كل لها من امارات الشقاوة لاطفال ان يولد بين يهوديين أو نصرايين فيجعلانه على اعتقاد دينهم وقيل معناه ان كل مولود في مبداء الخلق على الفطرة اي على الجبلة السليمة والطبع المتين لقبول الدين فلو

الذان يهودانه وينصرانه وقال الزجاج معناه ان الله تعالى فطر المخلوق على الايمان به على ما جاء في الحديث ترك ان الله عز وجل اخرج من صلب آدم كالذر وأشهدهم على انفسهم بانها خلقهم فقال واذا أخذك الى قوله قالوا بلى وكل مولود من تلك الذرية التي شهدت بان الله تعالى خلقها فغنى فطرة الله دين الله (التي فطر الناس عليها) اي خلق

(لا تبدل خلق الله) أى ما بدنى أن تبدل لك الفطرة أو تغير وقال الزجاج معناها لا تبدل لدن الله وبدل عليه ما بعده وهو قوله (ذلك الدين القيم) أى المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) حقيقة ذلك (منين إليه) راجعين إليه وهو حال من الضمير الزموا وقوله واتقوه واقبوه ولا تسكروا معطوف على هذا المضمرة أمين قوله فاقم وجهك لأن الأمر له عليه السلام أمر لامتة فكانه قال فاقموا وجوهكم منين إليه أو التقدر كونوا منين دليله قوله ولا تسكروا (واتقوه واقبوه) أى أدوها فى أوقاتها (ولا تسكروا من المشركين) عن يترك به غيره ٥٦٣ فى العبادة (من الذين) يدل من من المشركين بعبادة الجوار (فرقوا

دينهم) جعلوه أديانا مختلفة لا اختلاف أهوائهم فأروا حجة وعلى وهى قراءة على رضى الله عنه أى تروا دين الإسلام (وكانوا شيعا) فرقا كل واحدة تشايح إمامها الذى اضلها (كل حزب) منهم (بإلههم فرحون) فرح مدحهم مسرور بحسب باطله محقا (واذا من الناس من) شدة من هزال أومض أو قبط أو غير ذلك (دعواهم منين إليه ثم إذا أقامهم منه رجعة) أى خلاصا من الشدة (إذا فرق) يق منهم برهم يشركون فى العبادة (ليكفروا) هذه لام كي وقيل لام الأمر (لوعيد) أى آتياهم من النعم (فتمتعوا) يكفروهم قليلا ثم وعد (فسوف تعلمون) وبالفتح (أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة (فهو يتكلم) وتكلمه بحجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا لما نقل به القرآن ومعناه الشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم

ترك عليها الاستمرار على لزومها لأن هذا الدين موجود حسنة فى العقول السليمة وإنما يعمل عنه من عدل إلى غيره لانه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره مما عمل لاؤلا دله ودوا التصارى واتباعهم لا تأتهم والميل إلى أديانهم غير لزون بذلك عن الفطرة السليمة والوجهة المستقيمة بقوله كما نتيج النعمة بهممة جمعاء أى كالتداهية بهممة يستمرى بهمهم مستمرى بهمهم من بدنهائى وقوله هل تحسون فيهما من جدعاء يعنى هل تشعرون أو تعلمون فيهما من جدعاء وهى المقطوعة الأذن أو الأنف قوله عز وجل (لا تبدل خلق الله) أى لا تبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لا تبدل خلق الله هو ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقيل الآية فى تحريم إحصاء البهائم (ذلك الدين القيم) أى المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قوله عز وجل (منين إليه) أى فاقم وجهك أنت وأمتك منين إليه لأن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الأمة والمعنى راجعين إلى الله تعالى بالتوبة ومقبلين إليه بالطاعة (واتقوه) أى ومع ذلك خافوه (واقبوه والصلاة) أى اداوموا على أداائها فى أوقاتها (ولا تسكروا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أى صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الأمة (كل حزب بما لديهم فرحون) أى راضون بما عندهم وقوله تعالى (واذا من الناس من) أى قبط وشدة (دعواهم منين إليه) أى مقبلين إليه بالعداء (ثم إذا أقامهم منه رجعة) أى خصا بونعمة (إذا فرق) يق منهم برهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) أى ليحصدوا نعمة الله عليهم (فتمتعوا) فيه تهدى ووعيد خاطب به الكفار (فسوف تعلمون) أى حالكم فى هذه الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطانا) قال ابن عباس حجة وعذر أو قيل كتابا (فهو يتكلم) أى ينطق (بما كانوا يشركون) أى بشرهم ويأمرهم به (وإذا أنقنا الناس رجعة) أى الحصب وكثرة المطر (فرحوا بها) أى فرحوا بطورها (وأن تصبهم سيئة) أى جذب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء (بما قدمت أيديهم) من السيئات (أذهبهم يقظون) أى يياسون من رجعة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكره عند النعمة وبرجوه عند الشدة (أولم يروا أن الله يسطر الزق لمن يشاء ويقدر) أن فى ذلك آيات لقوم يؤمنون) تقدم تفسيره قوله عز وجل

وبعته (بما كانوا يشركون) أى ما صدر به أى يؤمنهم بالله بشر كون أو موصولة ترجع الضمير إليها أى فهو يتكلم بالامر الذى يسببه بشر كون أو معنى الآية (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أى ملكا معه بهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى يسببه بشر كون (وإذا أنقنا الناس رجعة) أى نعمة من مطر أو سعة أو حجة (فرحوا بها) بطورها يسبها (وأن تصبهم سيئة) أى بلاء من جذب أو ضيق أو مرض (بما قدمت أيديهم) بسبب شؤم معاصيهم (أذهبهم يقظون) من الرجعة وإذا ألقاها جواب الشرط نلت عن القائل أن خيما فى التعقب (أولم يروا أن الله يسطر الزق لمن يشاء ويقدر) أن فى ذلك آيات لقوم يؤمنون) أنكر عليهم بأنهم قد علموا بآياته القابض الباسط فالهم يقظون من رجعة وما لهم لا يرجعون إليه تائبين عن المعاصي التى

عوقبوا بالشدّة من أجلها حتى يعبد الله ثم رحمة ولما ذكر ان السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك فقال (فإن هذا القرني) اعطى ربك (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) نصيبهما من الصدقة المسماة لهم وفيه دليل وجوب الثقة للجارم كما هو مذهبننا (ذلك) أي ابتاعه وقههم (خير للذين يريدون وجهه الله) أي ذاته أي يقصدون معرفتهم بأناخالصا (وأولئك هم المفلحون) وما آتيتهم من رب البري في أموال الناس) يريدون ما أعطيتهم أكلة الربان رب البري في أموالهم (فلان ربوا عند الله) ٥٦٤ فلا يزك عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الرب بالحلل

وما يعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلان ربوا عند الله لانكم لم تريدوا بذلك وجهه الله (وما آتيتهم من زكوة) صدقة (تريدون وجهه الله) تتدعون به وجهه خالصا لا تطيبون به مكافاة ولا رياء ولا سمعة (فأولئك هم المضعفون) ذروا الاضعاف من الحسنات وظفر المضعف القوى والموسر لدى القوى واليسار آتيتهم من رب بالمدى أي وما غشوه من اعطاء ربنا لربوا مدني أي استر يدوا في أموالهم وقوله (فأولئك هم المضعفون) التفتا حسن لانه يفيد التعميم كانه قيل من فعل هذا فسبيله سبيل الخطابين والمنفي المضعفون به لانه لا بد له من ضمه يرجع الى ما الموصولة وقال الزجاج في قوله (فأولئك هم المضعفون) أي فاهلها هم المضعفون أي هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها ثم أشار الى عجز آلهتهم فقال

(فإن هذا القرني حقه) أي من البر والصلة (والمسكين) أي حقهم وهو التصدق عليه (وابن السبيل) أي المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجهه الله) أي يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون (وأولئك هم المفلحون) قوله عز وجل (وما آتيتهم من زكوة) أي في احتساب أموال الناس (أي في احتساب أموال الناس واحتسابها قيل في معنى الآية هو الرجل يعطي غيره العقيقة لبيته أكثر منها فهو حائر حلال ولكن لا يشاب عليها في القيامة وهذا قوله (فلان ربوا عند الله) وكان هذا حراما على النبي خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقيل هو الرجل يعطي صدقة أو قرب به ليكثر ماله لا رب به وجهه الله وقيل هو الرجل يلتمس بالرجل فيخذه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لا تماس عونه لا وجهه الله تعالى فلان ربوا عند الله لانه لم يرد به وجهه الله (وما آتيتهم من زكوة) أي أعطيتهم من صدقة (تريدون وجهه الله) أي بتلك الصدقة (فأولئك هم المضعفون) أي يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها فالضعف ذروا الاضعاف من الحسنات قوله تعالى (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شر كائتم من يفعل من ذلك من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) تقدم تفسيره قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر) أي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قسط المطر وقلة النبات في البراري والبادي والمفاوز والغار والجر قبل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والبحر يسمى البحر يقال اجدب البر واتقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الارض الامصار وغربها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما يؤثر في البر يؤثر في البحر بخلاف احواف الاصداف من الاؤلؤ وذلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح افواهها فوقع فيه المطر صار اؤلؤا (بما كسبت ايدي الناس) أي بسبب شرهم فزعمهم وقال ابن عباس الفساد في البر قتل احد ابني آدم اخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الارض خضرة مونة لا تأتي ابن آدم نخرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد البقر النعم فلما قتل قابيل هابيل اقتشعت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحاً عاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الارض امتلأت ظلمة وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله

(الله الذي خلقكم) مبتدأ وخبر (ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) أي هو المختص بالخلق والرزق والامامة عليه والاحياء (هل من شر كائتم) أي أصنامكم التي زعمتم انهم شر كالله (من يفعل من ذلكم) أي من الخلق والرزق والامامة والاحياء (من شيء) أي شيئا من تلك الافعال فلم يجيبوا عن زعمهم فقال استبحنا وتعالى عما يشركون) ومن الاولى والثانية والثالثة لكل واحد منهن مستقلة تبدأ كيدلت على عجزهم عن فهمهم (ظهر الفساد في البر والبحر) تخو القسط وقلة الامطار والرياح في الزراعات والرياح في البحار وتوقع الموت في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق ومحق للبركات من كل شيء (بما كسبت ايدي الناس) بسبب معاصيهم وشرهم كقوله وما اصابتكم من مصيبة قبما كسبت ايديكم

(ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بحمهم في الآخرة وبالنون عن قبل (لعلهم يرجعون) عاقبهم عليه من المعاصي ثم كد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله (قل سرور في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين) حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة معاصيهم (فأقرو جهنم للدين القيم) البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج (من قبل ان يأتي يوم لا مرد له) هو مصدر جمع - من الرد (من الله) يتعلق بأتى والمعنى من قبل ان يأتي من الله يوم لا مرد له أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو مجرد على معنى لا مرد هو بعد أن يحيى به ولا مرد له من جهته (يومئذ يصدعون) يصدعون أي يتفرقون ثم أشار الى غناهم فقال (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره ٢٦٥ (ومن عمل صالحا فلانفسه يعملون)

أي يسوون لانفسهم ما يسوي به لنفسه الذي يهد لنفسه فراهه و يوطئه لئلا يصبه في مضجعه ما ينقص عليه من قده من ثنوه وغيره والمعنى أنه يهد لهم الجنة بسبب أعمالهم فأضيف اليهم وتقدير الظرف في الموضوعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا يتجاوز (ليجزى) متعلق بيهدون تعطيل له وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الصبر الى الصبر ليعبر برأيه لا يفلح عنده الا المؤمن (من فضله) أي عطائه وقوله (انه لا يحب الكافرين) تقر برؤس قدرير على الطرد والعكس (ومن آمنه) أي ومن آيات قدرته

عليه وسلم فلما بعث جبر اجمعون من الناس وقيل أراد بالناس كفار مكة (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبة الذي عملوا من الذنوب (لعلهم يرجعون) أي عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سرور في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي لتروا منازهم ومساكنهم غاوية (كان اكثرهم مشركين) أي فأهلكوا بكفرهم قوله عز وجل (فأقرو جهنم للدين القيم) أي الدين الاسلام (من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله) يعني يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الخلق (يومئذ يصدعون) أي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحا فلانفسه يعملون) أي يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس ليس بهم الله ثوابا كثر من أعمالهم (انه لا يحب الكافرين) فيه تهديد وعيد لهم قوله تعالى (ومن آمنه أنه يرسل الرياح مبشرات) أي تنشر بالمر (وليذيقكم من رحمته) أي بالمطر وهو الخصب (ولتجزي الفلك) أي بهذه الرياح بامر (ولتتعاون من فضله) معناه لتطبلوا رقه بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) أي هذه النعم قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجأوهم بالبينات) أي بالدلائل الواضحات على صدقهم (فانتقمنا من الذين أجرموا) يعني انا عذبنا الذين كذبوهم (وكان حق علينا نصر المؤمنين) أي مع انجائهم من العذاب ففيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء عن أنى الدرء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم برى عن عرض أخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم لا هذه الآية وكان حق علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذي ولفظه من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال

(أن يرسل الرياح) هي الجنوب والشمال والصباهي وريح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رايحا ولا تجعلها رايحا ويجا وقد عدا الفوا ان في إرسالها فقال (مبشرات) أي أرسلها بالشارقة الغيث (وليذيقكم من رحمته) ولذا فاقه الحقوهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يشبعه والروح الذي مع هبوب الريح وز كاء الارض وغير ذلك وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كانه قيل لبشركم وليذيقكم (ولتجزي الفلك) في البحر عند هبوبها (بأمره) أي بسديره أو بتسكيو ينة كقوله انما أمره اذا أراد شيأ الاية (ولتتعاون من فضله) برى بدجارة البحر (ولعلكم تشكرون) وانشكروا نعمة الله فيها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجأوهم بالبينات) أي فأتى من بهم قوم وكفر بهم قوم وبذل على هذا الاضمار قوله (فانتقمنا من الذين أجرموا) أي كفر وبالا لاهلاك في الدنيا (وكان حق علينا نصر المؤمنين) أي وكان نصر المؤمنين حق علينا بنا بجانجهم مع الرسل وقد يوقف على حقاقه معناه وكان الانتقام منهم حق قائم بتدني علينا نصر المؤمنين والاول أصح

(الله الذي يرسل الرياح) الریح مكي (فتبخر بها ما يفسطه) اى السحاب (فى السماء) أى فى سميت السماء وشقها كقولہ
 وفرعها فى السماء (كيف يشاء) من ناحية الشمال أو الجنوب أو الدور أو الصبا (ويجعل كسفا) قطعاً جامع كسفة اى
 يجعله منبسطة ياخذ وجه السماء وعره ويجعله قطعة مفرقة غير منسجمة كسفاً غير نديوان ذكوان (فترى الودق) المطر
 (يخرج) فى التارئين جميعاً (من خلاله) وسطه (فاذا اصاب به) بالودق (من يشاء من عباده) يريد اصاباً بلا دهم وأراضهم
 (اذا هم يستثمرون) يفرحون (وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم) المطر (من قبله) كرلثاً كيد كقولہ فكان عاقبتهم
 أنهم فى النار خالدین فيها ومعنى التو كيد فيها الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تظاول فاستدرك باسمهم فكان الاستشاور على
 قدر اغتنامهم بذلك (المسلمين) آيسين (فانظر الى آثار) شامى وكوفى غير اى بركوعهم اثر (رحمت الله) اى المظر (كيف
 يحيى الارض) بالنبات وانواع الثمار (بعدموتها ان ذلك) اى الله (لحي الموتى) يعنى ان ذلك القادر الذى يحيى الارض
 بعدموتها والذي يحيى الناس بعدموتهم ٥٦٦ فهذه استدلال باحياء الموتى على احياء الاموات (وهو على كل شئ

قدر) ای موضوعی کل شیء من
 المقدورات قادر و هذان جمله
 المقدورات بدلیل الانشاء
 (ولئن ارسلنا راحیا) ای الدبور
 (فراؤه) ای اثر رحمة الله لان
 رحمة الله فی الغیب و اثرها
 النبئت ومن قریا بالجمع رجوع
 الضمیر الی معناه لان معنی آثار
 الرحمة انبئات واسم النبات یقع
 علی القلیل والکثیر لانه مصدر
 معنی به ما ینبئ (مضمر) بعد
 اخضاراره وقال مـ فـرا لان
 ثلاث ضمیر قحادة وقیل فـرا و
 السحاب مـ مـضمر الان السحاب
 الاضفر الاضفر واللام فی لئن
 موطنه للضمیم دخلت حی حرف
 الشرط وسدس مدحوای القسم

والشرط (اتلوا) وبعثناه فان (بن) بعده بقرن) أى من بعد اصفراره أو من بعد الاستبصار ذمهم الله تعالى بأنه اى اذا حبس عنهم المظر قنطوا من رحمة وضربوا اذقاهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمة وورقهم المظر استشروا فاذا ارسل ريحا فصب زروعه بالافار صبوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم ان يتوكوا على الله وفضله ففقدوا وان شكروا نعمته ويحمدوه عليها ففقدوا وان يصبروا على بلائه فكفروا (فانك لا تسمع الموتى) أى موتى القلوب أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تسمع ان يقبلوا منك (ولا تسمع الصم الدعاء) ولا يسمع الصم مكي (اذا اولوا دبرين) فان قلت الا صم لا يسمع مقبلا أو دبر اخافائدة هذا التخصيص قلت هو اذا كان مقبلا فيهم بالرمز والاشارة فاذا اولى لا يسمع ولا يفهم بالاشارة (وما انت بهادى العمى) اى عمى القلوب وما انت بهادى العمى حجة (عن ضلالتهم) اى لا يمكنكم ان تهتدى الاعبى الى طريق قد ضل عنه بشارته فمثل له اليه (ان تسمع) ما تسمع (الان يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) متعاونون لا وامر الله تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف) من النطف كقوله من ماء مهين (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يعنى حال الشباب وبلوغ الاسد (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) يعنى حال الشيخوخة والحرم (يخلق ما شاء) من ضعف وقوة وشباب وشيبة

(وهو العالم) (يا حادوهم) (القدیر) على تغییرهم وهذا التردید فی الاحوال أبین دلیل على الصانع العلیم القدیر فتح الصادق السکک عاصم وجزءه وضم غیرهما وهو اختیار خفض وهما العنان والضم أقوى فی القراءة لما روی عن ابن عمر قال قرأته على رسول الله صلى الله علیه وسلم من ضعف فأقرأ من ضعف (وبوم تقوم الساعة) ای القیامة سمیت بذلك لانها تقوم فی آخر ساعة من ساعات الدنیا وأولها تقع بغتة كما تقول فی ساعته ان تستغله وحت علمها بالجمیع للرب (یا قسم المحرمون) محلف الکافرون ولا وقف علیه لان (مالشوا) فی القبور أو فی الدنیا (غیر ساعة) جواب القسم استقلوا مدد قلبهم فی القبور أو فی الدنیا أهول یوم القیامة وطول مقامهم فی شدائدها ویونسون ویکذبون ٥٦٧ (کذلك کانوا یؤفکون) ای مثل ذلك الصریف کانوا یصرفون عن الصدق الی الکذب فی الدنیا ویقولون ما هی الاحیاءنا الدنیا وما نحن بمعوضین (وقال الذین أوتوا العلم والایمان) هم الانبیاء والملائكة والأئمة (لقد لبثتم فی کتاب الله) فی علم الله المکتب فی اللوح (أو فی حکم الله وقضائه) الی یوم البعث ردوا ما قالوه وحلفوا علیه واطلعهوهم الی المحققة ثم وصلوا ذلک بقیمهم علی انکار البعث بقولهم (فهذا یوم البعث ولکنکم کتمت فی الدنیا لا تعلمون) (لا تعلمون) انه حق لتقر بطلانک فی طلب الحق واتباعه والفاء لحجای شرط بدل علیه الکلام تقدیرهم ان کتمت متذکر البعث فهذا یوم البعث الذی انکرتموه (فیومئذ لا ینفع بالباء کوفی) الذین ظلموا وکفروا (معذرهم) عذرهم (ولاهم یستعینون) ای لا یتعالوا لهم أرضوا ربکم بتوبه من قولک استعینی فلان فأعینته ای استرضانی

أی من الضعفاء والقوة والشباب والشیبة وليس ذلك من أفعال الطبیعة بل بعینه الله وقدرته (وهو العلیم) بتدیر خلقه (القدیر) على ما یشاء قوله تعالى (وبوم تقوم الساعة یقیم المحرمون) ای یحلف المشرکون (مالشوا) فی الدنیا (غیر ساعة) معناه أنهم استقلوا أهل الدنیا ما عانوا الاخرة وقیل معناه مالشوا فی قبورهم غیر ساعة (کذلك کانوا یؤفکون) ای یصرفون عن الحق فی الدنیا وذلک انهم کذبوا قولهم بالمشوا غیر ساعة کما کذبوا فی الدنیا ان لا یعنوا والمعنی ان الله أراد ان یضعهم لحلفوا على شئ ینبئ لاهل الجمع انهم کاذبون فیه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذکر انکار المؤمنین علیهم کذبهم فقال تعالى (وقال الذین أوتوا العلم والایمان لقد لبثتم فی کتاب الله الی یوم البعث) ای فیما کتب الله لکم فی سابق علمه من اللبث فی القبور وقیل معنی الآیة (وقال الذین أوتوا العلم فی کتاب الله والایمان یعنی الذین یقیمون کتاب الله قالوا للمشرکین قد لبثتم الی یوم البعث ای فی قبورکم) (فهذا یوم البعث) ای الذی کتمت تذکرته فی الدنیا (ولکنکم کتمت لا تعلمون) ای وقوه فی الدنیا فلا ینفعکم العلم به الا بیدلای قوله تعالى (فیومئذ لا ینفع الذین ظلموا معذرهم ولا هم یستعینون) ای لا تطالب منهم العتبی والرجوع فی الاخرة وقیل لا تطالب منهم التوبة الی تزیل الجریمه لاهلها لا تقبل منهم قوله تعالى (ولقد ضل الناس فی هذا القرآن من کل مثل) فیه اشارة الی ازالة الاهداء والایمان عافوا من الیکراهیه من الانذار (ولئن جنتهم) بهم بآیه لیقولان الذین کفروا وان انتم الامیطلون) یعنی ما انتم الاعلی باطل وذلک علی سبیل العناد فان قلت ما معنی توحید الخطاب فی قوله ولئن جنتهم والجمع فی قوله ان انتم الامیطلون قلت فیه لدفعه وهی ان الله تعالى قال ولئن جنتهم به کل آیه جاءت بها الرسل ویکن أن یقال معناه انکم کلکم أیها الرسل میطلون (کذلك یطیع الله على قلوب الذین لا یعلمون) ای توحید الله (فأصبر ان وعد الله حق) ای فی نصرک واطهارک علی عدوک (ولا یستخفنون) ای لا یجملونک علی الجھل وقیل لا یستخفنون رأیک (الذین لا یوقنون) ای البعث

فارضیه (ولقد ضل الناس فی هذا القرآن من کل مثل ولئن جنتهم بآیه لیقولان الذین کفروا وان انتم الامیطلون) ای ولقد وصفنا لهم کل صفة کانها مثل فی غرابها وقصصنا علیهم کل قصة تحمیه الشأن کصفة المبعوثین یوم القیامة وقصصهم وما یقولون وما یقال لهم وما لا ینفع من اعتذارهم ولا یسمع من استعجابهم ولکنهم لقسوة قلوبهم اذ جنتهم بآیه من آیات القرآن قالوا جنتنا برؤوسنا بطل (کذلك یطیع الله على قلوب الذین لا یعلمون) ای مثل ذلك الطبع وهو الحتم یطیع الله على قلوب الجھلة الذین علم الله منهم اختیارا لاضلال حتی یسموا الحققة من مطمین وهم اعرق خلق الله فی ثلاث الصفة (فأصبر) علی اذاهم او وعداوتهم (ان وعد الله) بنصرک علی اعدائک واطهار دین الاسلام علی کل دین (حق) لا بد من انجازه والوفاء به (ولا یستخفنون) الذین لا یوقنون) ای لا یجملونک هؤلاء الذین لا یوقنون بالآخرة علی الحققة والجملة فی الدعاء علیهم بالعذاب ولا یجملونک علی الحققة

والقلبي خرا عما يقولون و يفعلون فانهم ضلال شا كون لا يستمدع منهم ذلك ولا يستخفك بسكون النون عن يعقوب والهاء الموفق للصواب (سورة لقمان مكية وهى ثلاث اواربع وثلاثون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم)
 (الم تلك آيات الكتاب الحكيم) ذى الحكمة أو وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازى (هدى ورجة) حالان من الآيات والعمل معنى الاشارة فى تلك حمزة بالرفع على ان تلك مبتدأ وآيات الكتاب خبر وهو هدى خبر به خبر أو خبر مبتدأ محذوف اى هو وهى هدى ورجة ٥٦٨ (للمحسنين) الذين يعملون الحسنات المذ كور فى قوله (الذين يقيمون الصلوة)

والحساب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة لقمان وهى مكية)

وأربع وثلاثون آية وخمسة وثلاثون آية وثمان مائة وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورجة للمحسنين) أى الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم فقال (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية قيل نزلت فى النضر بن الحرث بن كلفة وكان يخبر فى الحديث ويشتري أخبار العجم ويحدث بها قريشاً ويقول ان محمداً يحدثكم بحديث عاد ومجود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاكسة فيستمعون حديثه ويتروكون استماع القرآن فأنزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمفنين ومعنى الآية ومن الناس من يشتري ذات هو أو ذاهو الحديث وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعلم الغنيات ولا يبيعن وأما نضر بن حرام وفى مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله له شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضرانه بآرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت آخرجه الترمذى وهذا الغزله عن ابي اسامه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير فى تحارة قبيهن وعمن حرام وفى مثل هذا أنزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية يبيعون ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب المزمار وقال مكحول من اشتري جارية فترابه ليمسكها الغناء واضربها بما قيمتها عليه حتى يموت لم اصل عليه ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغناء والمزمار

ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون) وظاهره قول أوس الالمعى الذى يظن بآل الظ

نفل كان قد رأى وقد سمعنا

أول الذين يعملون جميع ما يحسن

ثم خص منهم القائلين بهذه

الثلاثة لفضلها (أولئك على

هدى) مبتدأ وخبر (من

ربهم) صفة لقضى (وأولئك

هم المفلحون) عطف عليه (ومن

الناس من يشتري لهو الحديث)

نزلت فى النضر بن الحرث وكان

يشتري أخبار الأكاكسة من

فارسو ويقول ان محمداً يقص

طرقاً من قصة عاد ويؤذنا

أحدكم بأحدث الأكاكسة

فيميلون الى حديثه ويتروكون

استماع القرآن واللهو كل باطل

ألهى عن الخير وعما يعنى ولهو

الحديث نحو السمر بالأساطير

التي لا اصل لها والغناء وكان

ابن مسعود وابن عباس رضى الله

عنهم يحلفان انه الغناء وقيل

الغناء مفسدة للقلب منقذة للآل

مسخطة للآل وعن النبي صلى

الله عليه وسلم ما من رجل يرفع

صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضرانه بآرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت والاشتراف من الشراء كل روى عن النضر او من قوله اشتروا الكلب بالآيمان أى استبدلوه منه واختاروه عليه أى يختارون حديث الباطل على حديث الحق وإضافة اللهو الى الحديث لاتبين بمعنى من لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كجاء فى الحديث الحديث فى المسجد ياكل الحسنات كاتاكل البهيمة الحشيش أو لاتبين كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذى هو اللهو منه

(ليضل) أي ليضل الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ليضل منكم وأبو عمرو أي لثبت على ضلاله الذي كان عليه
 وترد فيه (عن سبيل الله) عن دين الاسلام والقرآن (بغير علم) أي جهلا منه بما عليه من الزور به (ويخذها) أي سبيل
 بالنصب كوفي غير أبي بكر عطف على ليضل ومن رفع عطفه على شترى (هزوا) بسكون الزاي والهمزة حمزة وضم الزاي بلا
 هـ هـ رخص وغيرهم بضم الزاي والهمزة (أو لئن لم عذاب مهين) أي بهين من لا بهامه يتبع على الواحد والجمع أي النضر
 وامثاله (واذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا) أعرض عن تدبرها مستكبرا ٥٦٩ رافعا نفسه عن الاصغاء الى القرآن

(كأن لم يسمعهما) يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعهما وهو حال من مستكبرا والاصل كانه والضمير ضمير الشأن (كأن في آذنيه وقرا) نقلا وهو حال من لم يسمعهما (آذنيه نافع) فيشره بعذاب أليم أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار (النعيم) ولا وقف عليه لأن (خالدين فيها) حال من الضمير في لهم (وعند الله حقا) مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره اذ لهم جنات النعيم في معنى وعندهم الله جنات النعيم فأكدهم الوعد وحقا يدل على معنى الثبات فأكده معنى الوعد ومؤكدهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يغلبه شيء فيهن أعداءه بالعذاب المهيمن (الحكيم) بما يفعل فيثبت أولياءه بالنعيم المقيم (خلق السموات بغير عدد) جمع عداد (ترونها) الضمير للسموات وهو

والعازف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق وقيل هو كل ملول وعلوب وقيل هو الشرك (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الاسلام وسماع القرآن (بغير علم) أي بفعله عن جهل وحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق (ويتخذها هزوا) أي يتخذ آيات الله هزوا (أو لئن لم عذاب مهين) أي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعهما (كأن لم يسمعهما) أي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعهما وهو سماع (كأن في آذنيه وقرا) أي نقلا ولا يقر فيهما (فيشره بعذاب أليم) أي أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا (يعني وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد (وهو العزيز الحكيم) قوله تعالى (خلق السموات بغير عدد) قيل ان السماء خلقت ببسطة كحقيقة مستوية وهو قول المفسرين وهي في الفضاء والقضاء لانها به تله وكون السماء في بعضها دون بعض ليس ذلك الا بقدرته قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عدد (ترونها) أي ليس لها شيء يمنع الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرته الله تعالى وفي قوله ترونها وجهان أحدهما انه راجع الى السموات أي ليست هي بعبد وانتم ترونها كذلك بغير عدد الوجه الثاني انه راجع الى العبد ومعه بغير عدد ثمة (والتي في الارض روايتي أن تعبدكم) أي أشلا تتحرك بكم (وبث فيها) أي في الارض (من كل دابة) أي يسكنون فيها (وازلنا من السماء ماء) يعني المطر وهو من انعام الله على عباده وفضله (فانبتنا فيها من كل زوج كريم) أي من كل صنف حسن (هذا) يعني الذي ذكرتم انما ينون (خلق الله فاروقا ما ذاق خلق الذين من دونه) أي ألهتمكم التي تعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) قوله عز وجل (ولتعدننا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت أيوب وقيل كان ابن خاتمه وقيل انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا في بني اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الاعكمة فانه قال كان نبيا وقيل خيرين النبوة والحكمة فاختار الحكمة

استشهدا برؤيتهم لها غيره معمودة على قوله بغير عدد كما تقول لصاحبنا انا لاسيف ولا رمح تراني ولا محل لقمان الاعراب لانها مستأنفة أو في محل الجر صفة لعبد أي بغير عدد ثمة يعني انه عدها بعبد لا ترى وهي امسا كما بقدرته (والتي في الارض روايتي) جبا لا ثابت (أن تعبدكم) لثلاث تضرب بكم (وبث) ونشر (فيها من كل دابة وازلنا من السماء ماء فانبثا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن (هذا) اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته (خلق الله) أي مخلوقه (فاروقا) ما ذاق خلق الذين من دونه) يعني آلهتهم بكتبهم ان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله فاروقا ما خلقته ألهتمكم حتى استوجبوا عندكم العباداة (بل الظالمون في ضلال مبين) اضرب عن تكبيتهم الى التيسيل عليهم لا تدرط في ضلال ليس بعده ضلال (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو لقمان بن باعوراء بن أخت أيوب وابن خاتمه

معزومات الامور أى من مقطوعاتها ومفروضاتها وهذا دليل على أن هذه الصفات كانت أموراً بها في سائر الالام (ولا تصغر خدك للناس) أى ولا تعرض عنهم تكبر اتصاع أو بعز وونافع وحزنة وعلى وهو بمعنى تصغر والصعراء صب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعاً ولا تولى سم شق وجهك وصفته كما فعله المتكبرون (ولا تمس في الأرض مراحاً) أى مراحاً أو وقع المصدم وقع الحال أى مراحاً أو لا تمس لأجل المراح والأشهر (إن الله لا يحب كل مختال فخور) من بعدد مناقبه تقاضا (واقصد) القصد التوسط بين العلو والتقصير (في مشيتك) أى اعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشين لا تدب ديب المتماوتين ولا تثب ٥٧٢ وثوب الشطار قال عليه السلام سرعه المشي تذهب به المؤمن وأما

قول عائشة في عمر رضي الله عنه كان إذا مشى أسمع عفاً فأرادت السرعة المرتفعة عن ديب المتماوت وعن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا يهونون عن خيب اليهود وديب النصارى ولكن مشايين ذلك وقيل معناه وانظر موضع قدميك متواضعا (واغضض من صوتك) وانقص منه أى اخفض صوتك (إن أنكر الأصوات) أى أوحشها (لصوت الخمير) لأن أوله زفير وآخر شيق وهما صوت أهل النار وأخره شيق كصوت أهل النار وعن الثوري صياح كل شيء تسبح الا الحمار فانه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله نكرا وفي تشبيه الرفاعين اصواتهم بالخمير وتمثيل اصواتهم بالهناق تشبيه على ان رفع الصوت في غاية الكراهة يؤيده ما روى أنه عليه السلام كان يهجه أن يكون الرجل خفيض الصوت ويكره أن

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التي أمر الله بها (ولا تصاعر) وقرئ تصعر (خدك للناس) قال ابن عباس لا تتكبر فتعقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه محبة ويقاها فتعرض عنه وقيل هو الذي اذا سأل عليه لوى عنقه تكبراً وقيل معناه لا تحتقر الفقراء فليكن الفقير والعني عندك سواء (ولا تمس في الأرض مراحاً) أى خيلاء (إن الله لا يحب كل مختال فخور) أى على الناس (واقصد في مشيتك) أى ليكن في مشيتك قصد بين الاسراع والتأني اما الاسراع فهو من الخجلة وأما التأني فهو أن يرى في نفسه الضعف ترهداً وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيتك بين السكينة والوقار (واغضض) أى اخفض وقيل انقص (من صوتك إن أنكر) أى أقمج (الأصوات) لصوت الخمير) لأن أوله زفير وآخر شيق وهما صوت أهل النار وعن الثوري في هذه الآية قال صياح كل شيء تسبح الا الحمار وقيل معنى الآية هو العظيمة التي تحبب المنكرة قال وهب تكلم لقمان بابني عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل انه كان عبداً حبساً فدفع إليه ماله ولاه شاة وقال له ادبها وأني بأطيب مضغتين منها فأناها باللسان والقلب ثم دفع إليه أخرى وقال له ادبها وأني بأخبث مضغتين منها فأناها باللسان والقلب فقال له ماله فقال ليس شيء أطيب منه ما اذا طاب ولا أخبث منه ما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كحبة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان أى الناس ثم قال الذي لا يبالي أن يراه الناس سيما قوله عز وجل (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسمع) أى أتم وأكمل (عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ماستر عليهم من الذنوب ولم يجعل عليكم بالنعمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة طهور الاسلام والنصر

يكون معجوراً والصوت وانما حصد صوت الخمر ولم يجمع لانه لم يرد أن يذ كر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس على حتى يجمع لل مرد أن كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر اصوات هذه الاحناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات) يعنى الشمس والنجم والسحاب وغير ذلك (وما في الأرض) يعنى البحار والانهار والمعادن والدواب وغير ذلك (وأسمع) أى أسمع (عليكم نعمة) مدنى أو بعز ووسهل وحقق نعمة غيرهم النعمة كل نفع قصده به الاحسان (ظاهرة) بالمشاهدة (باطنة) ما لا يعلم الا بدليل ثم قيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والهم وما أشبه ذلك وروى في دعائه موسى عليه السلام اللهم دلني على اخفى نعمتك لى عبادك فتسأل اخفى نعمتهم عليهم انفس وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع والخلق والخلق ونيل المطايا وصرف البلى يا وقبول الخلق

على الاعداء والباطنة الامداد والملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبة
(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحرث وأبى بن خلف وأمية
ابن خلف واشادهم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته بغير علم
(ولا هدى ولا كتاب منير) وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
آبائنا قال الله تعالى (أولو كان الشيطان يدعوهم) معناه أفتبعبعوهم وإن كان
الشيطان يدعوهم (إلى عذاب السعير) قوله عز وجل (ومن يسلم وجهه إلى الله) أي
يخلص لله دينه ويغض اليه أمره (وهو محسن) أي في عمله (فقد استمسك بالعروة
الوثقى) أي اعتصم بالعروة الوثقى الذي لا يخلف وعده ولا يخاف انقطاعه ويرتقي بسببه
إلى أعلى المراتب والغايات (والى الله عاقبة الامور) أي مصير جميع الاشياء اليه (ومن
كفر فلا يحزنك كفره) أي ندمهم فنتبهم بما عملوا ان الله علم بذات الصدور) أي لا
يخفى عليه سرهم وعلايتهم قوله تعالى (فتعهم قليلا) أي غفلهم ليمتعوا بنعيم الدنيا
إلى انقضاء آجالهم (ثم يضطرهم) أي يلجئهم ويؤذهم (إلى عذاب غليظ) إلى النار في
الآخرة (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم
لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد) تقدم تفسيره قوله تعالى
(ولو ان ما في الارض من شجرة أو ظالم) قال المفسرون لما نزلت عكة وسئلونك عن الروح
الآتية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أجبار اليهود وقالوا بالمحمد
بلغنا نك تقول وما أولئك من العلم الا قليلا أنتعنا ثم أقومك فقال عليه الصلاة والسلام
كلا قد عنت قالوا الست تنسوف ما جاءك أنا أو تبنا التوراة فيها علم كل شيء فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد أتاكم الله بآيات علمته بآياته ثم به قالوا
كيف ترعهم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع
علم قليل مع خير كثير فانزل الله هذه الآية فعلى هذا تترك هذه الآية بقرينة وقيل ان
اليهود أمر وأوفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا ذلك وقيل
عكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد وشأن ان ينفذ فيقطع فانزل الله
تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة أو ظالم أي فريت أو ظلاما وقيل بعد ذلك شجرة قلم

والتقل على المعذب (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله) الزامهم على إقرارهم بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم وإذا بنوهوا عليه لم يثبتوا (الله ما في السموات والأرض أن الله هو الغني) عن حمد المحامدين (الحمد) المستحق للحمد وإن لمحمد و قال المشركون أن هذا أي الوحي كلام سينفذ أو علم الله أن كلامه لا ينقض بقله (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام

والبحر عيده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) والبحر بالنصب أبو عمرو و يعقوب عطا على اسم أن وهو ما والرفع على محل أن وهو معها أي ولو ثبت كون الاشجار أقلاما ثبت البحر عمدوا بسبعة أبحر أو على الابتداء أو الواو والحال على معنى ولو ان الاشجار أقلام في حال كون البحر عمدوا وقرئ عيده وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو ان الشجر أقلام والبحر عمداد لكن أغنى عن ذكر المداق قوله عيده لانه من قولك مد الداوة وأمدتها جعل البحر الاظم بمنزلة الداوة جعل البحر السبعة مملوءة بمداد فهي تصب فيه مدادها أبداصبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض أقلام والبحر عمدوا بسبعة أبحر وكتب بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مداد الكلمات رى لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات رى فان قلت زعمت ان قوله والبحر عيده حال في أحد وجهى الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذى الحال قلت هو كقوله لا تحث والحش مصطفى وما أشبه ذلك من الاحوال التى حكمها حكم الظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد لانه أر بد تفصيل الشجر ٥٧٤ وتقصيه بأشجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة

(والبحر عيده) أى يزيد وينصب اليه (من بعده سبعة أبحر) أى مدادوا والحوادث لا يكون به كلام الله (ما نفدت كلمات الله) لانها لاها بقاءها (ان الله عز ربكهم) قوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أى الاتخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شئ (ان الله سميع) أى لا قالوا لكم (بصير) بأعمالكم (المتران الله يوجب الليل في المنار يوجب النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يحجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق) أى ذلك الذى هو قادر على هذه الاشياء التى ذكرت هو الحق المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أى لا يستحق العبادة (وأن الله هو العلى) أى فى صفاته له الصفات العالما والاسماء المحسنى (الكبير) فى ذاته لانه أكبر من كل كبير قوله تعالى (المتران الفلق) أى السفن والمركب (تجرى فى البحر بعمت الله) أى ذلك من نعمة الله عليكم (ليرىكم آياته) أى من عجائب صنائعه (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) أى على ما أمر الله (شكور) لانه ما (واذا غشيهم موج كظلال) أى كالجمال وقيل كالسحاب شبهها الموج فى كثرتها وارتفاعها (دعوا الله) مخاضين له الدين) معناه ان الانسان اذا وقع فى شدة ابتل الى الله بالدعاء وترك كل من

الاول قد يرت أقلاما أوثر الكلمات وهى جمع قلة على الكلم وهى جمع كثرة لان معناه ان كلماته لا تنفد بكتبتها الجوار فكيف بكلمته (ان الله عز رب لا يعجزه شئ) (حكميم) لا يخرج عن علمه وحكمته شئ فلا تنفذ كلماته وحكمته (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) (الاتخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة) تخذف للعالمية أى سواء فى قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن (ان الله سميع)

لقول المشر كى انه لا بعث (بصير) بأعمالهم فيجاء بهم (المتران الله يوجب الليل فى النهار) يدخل ظلمة الليل فى عداها ضوء النهار اذا قبل الليل (ويوجب النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر) لمنافع العباد (كل) أى كل واحد من الشمس والقمر (يجرى) فى فلكه ويتطعم (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة والى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر (وأن الله بما تعملون خبير) وبالياء عياش دل أيضا بعماد الليل والنهار وزيا دتهما ونقصانتهما وجرى النيران فى فلكيهما على تدبير وحساب وحاظته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكل حكمته (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون) بالباطل أى غير أى بترك (من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير) أى ذلك الوصف الذى وصف به من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الاحياء السادرون العالمون فكيف بالجماد الذى يدعو منه دون الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت الالهية وأن من دونه باطل الالهية وأنه هو العلى الشان الكبير السلطان (المتران الفلق) وقرئ الفلق وكل فعل يجوز فيه فعل كيجوز فى كل فعل فعل (تجرى فى البحر بعمت الله) باحسانه ورحمته أو بالريح لان الريح من نعم الله (ليرىكم آياته) عجائب قدرته فى البحار اذا ركبتوها (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لانه ما (واذا غشيهم موج كظلال) أى الكفار (موج كظلال) أى كظلال الموج يرتفع فيعوم مثل الظلال والظلمة كل ما أظلمت من جبل أو سحاب أو غيرهما (دعوا الله مخاضين له الدين)

فلما نجحهم الى البرفة منهم مقتصد) اى باقى على الايمان والاخلاص الذى كانه منه ولم يعد الى الدفر او مقتصد فى الاخلاص الذى كان عليه فى البحر يعنى ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر (ومما يجحد باننا) اى بحقيقة تها (الاكل ختار) غداروا المختار فنجح الغدر (كفور) لربه (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوم لا يجزى والدعن ولده) لا يقضى عنه شيئا والمعنى لا يجزى فيه خذف (ولامولود هو جازع والدده شيا) ٥٧٥ واراد على طريق من التوكيد

لمرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية كدمن الجملة الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولودو السبب فى ذلك ان الخطاب لأمرين وعليهم قبض آباؤهم على الكفر فاريدهم اطاعهم ان ينفعوا آباءهم بالشفاعة فى الآخرة ومعنى التأ كيد فى لفظ المولودان الواحد منهم لوشفع للاب الأدنى الذى ولده نمل تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لاجدادهم اذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فان له ولد منكم كذا فى الكتاب (ان وعد الله) بالعبث والحساب والحزاء (حتى فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بزينة فان نعمتها دانية ولذتها فانية (ولا تغرنكم بالله الغرور) الشيطان او الدنيا او الامل (ان الله عنده علم الساعة) اى وقت قيامها (وبنزل) بالثبوت شامى ومسدى وعاصم وهو عطف على ما يقضيه الطرف من الفعل تقديره ان الله ثبت عنده علم الساعة وبنزل (الغث) فى ابانه من غير تقديم ولا تأخير (ويعلم

عداء ونسى جميع ما سواه فادانهم انك الشدة فممن من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما نجحهم الى البرفة منهم مقتصد) اى عدل موفى فى البر عما عاهد عليه الله فى البحر من التوحيد والنبوت على الايمان وقيل نزلت فى عكرمة بن أبى جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاهدهم ربح عاصف فقال عكرمة لئن انجنا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولا ضعن يده فى يدى فسكت الريح ورجع عكرمة الى مكة واسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوفى بما عاهدوه هو المراد بقوله (وما يجحد باننا اكل ختار) اى غدار (كفور) اى بخود لا نعمنا عليه قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا) اى خافوا (يوم لا يجزى) اى لا يقضى ولا يغنى (والدعن ولده) ولامولود هو جازع والدده شيا) قيل معنى الآية ان الله ذكر شخصين فى غاية الشفقة والحسنة وهما الولد والولد فنبه بالاعلى على الأدنى وبالادنى على الاعلى فالولد يجزى عن ولده لكمال شفقته عليه والولد يجزى عن والده لما له من حق التربيته وغيره فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسى نفسى ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ يتمه نفسه (ان وعد الله حق) قيل انه تحقيق اليوم معناه واخشوا يومها ذنابه وهو كائن لوعده الله به وعده حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعنى لا يجزى والدعن ولده فى ذلك اليوم والقول الاول احسن واظهر (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) اى لانها فانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان فالسعد بن جبير يعمل بالمحصى ويتمى المغفرة قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة) نزلت فى المحرث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من اهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال ان ارضا اجدت فقل لى متى ينزل الغيث وترك امرأتى حبلى فأتى نابلوا لقد علمت أين ولدت فبأى أروض أموت فانزل الله هذه الآية (ق) عن ابن هرا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مغابى الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى ارض تموت ان الله علم خسر ومعنى الآية ان الله عنده علم الساعة فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة فى أى سنة أو أى شهر أو أى يوم ليلا أو نهارا (و ينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليللا أو نهارا (والله) (ويعلم ما فى الارحام) اذ كرام أنى أحرآم أسود تام الحقة أم ناقص (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر (وما تدرى نفس بأى ارض تموت) أى ليس أحد من الناس يعلم ما فى الارحام) اذ كرام أنى ونام أم ناقص (وما تدرى نفس) مرة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وما كانت عازمة على خسر فعملت شرا أو عازمة على شرف فعملت خيرا (وما تدرى نفس بأى ارض تموت) أى أين تموت وربما قالت بارض وضربت واتادها وقالت لا بارحها فترى بها امرأى القدر حتى تموت فى مكان لم يحط به لسانها وروى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال له ملك الموت قال كانه يريدنى وسأل سليمان عليه السلام

سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال له ملك الموت قال كانه يريدنى وسأل سليمان عليه السلام

أن يحمله على الرجوع وبقية بلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لاسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت أن أقدر روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبيد لما في الدراية من معنى الخلق والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وان أعلمت حيلها ما يختص بها ولا شيء أخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان معرفة ما عداهما أبعد وأما المنجم الذي يخبر بوقت الغيث والموت فإنه يقول بالقياس والنظر في الظواهر وما يدرك بالبدليل لا يكون غيبا على أنه مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما فتح الغيب خمس وتلا هذا الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الحجة فقد كذب ورأى المنصور في منابه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بإصبعه الخمس فعبها المعبرون بخمس سنوات وخمسة أشهر ٥٧٦ وخمسة أيام فقال أبو حنيفة رضي الله عنه هو إشارة إلى هذه الآية

فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله (ان الله عالم) بالغيوب (خبر) بما كان وما يكون وعن الزهري رضي الله تعالى عنه اكثر واقراء سورة لقمان فان فيه العاجب والله اعلم (سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية مدني وكوفي وتسع وعشرون آية بصري) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) على انها السورة مبتدأ وخبره (تنزيل الكتاب) وان جعلتها تعديد للحر وف ارتفع تنزيل بانه خبر مبتدأ وخبره (من رب العالمين) ولا رب فيما اعترض لا محله والاضمير فيه راجع إلى المضمون المحلة كانه قيل

أين مخبئه من الارض في برأو بحرق سهل أو جبل (ان الله علم) أي هذه الاشياء وغيرها (خبر) أي ببواطن الاشياء كلها ليس علمه محييا الظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الحجة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فن ادعى انه يعلم شيئا من هذه فانه كفر بالقرآن لانه خالفه والله تعالى أعلم بما رآه واسماد كتابه

﴿تفسير سورة السجدة وهي مكية﴾

قال عطاء الا ثلاث آيات من قوا أفن كان مؤمنا وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلاثمائة وعشرون كلمة والف وخمسمائة وعشرون حرفا والله تعالى اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه) أي لا شك فيه انه (من رب العالمين أم يقولون) أي بل يقولون يعني المشر كين (افتراه) يعني اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق) أي القرآن (من ربك لتذرت قوما ما أتاهم من نذر من قبلك) يعني العرب كانوا أمة أمية لم يأتهم نذر قبيل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك في التمرة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذالم يأتهم رسول لم تقوم عليهم حجة قلت أم اقيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا و اقيام الحجة بمعرفه الله وتوحيده فتم لان معهم أدلة العقل الموصلة إلى ذلك في كل زمان (العلمهم بهتدون) يعني تنذرتهم راجيا لهدايتهم (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع ألا تنذرون) تقدم تفسيره قوله تعالى (يذبر الامر) أي يحكم الامر وينزل

الافضاء

لا ريب في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين لانه محجز للشر ومثله أبعد شيء من الريب ثم اضرب عن ذلك إلى قوله (أم يقولون افتراه) أي اختلقه محمد لان أم هي المنقطة الكائنة بمعنى بل والهمزة معناها بل أي يقولون افتراه انكار القولهم وتحييا منهم لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه (بل هو الحق) ثم اضرب عن الانكار إلى اثبات أنه الحق (من ربك) ولم يفتره محمد صلى الله عليه وسلم قالوا تعنتا وجهه لا (لتذرت قوما) أي العرب (ما أتاهم من نذر من قبلك) ما للنبى والجملة صفة لقوما (العلمهم بهتدون) على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان اعلم به كرهى الترجي من موسى وهرون (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) استوى عليه بأحدائه (مالكم من دونه) من دون الله (من ولي ولا شفيع) أي اذا تجاوزتم رضاه لم تجدوا لانتقامكم وإياي ناصر انصركم ولا شفيعا يشفع لكم (أفلا تنذرون) تنظرون بما وعظ الله (يذبر الامر) أي امر الدنيا

(من السماء الى الارض) الى ان تقوم الساعة (ثم يرج اليه) ٥٧٧ ذلك الامر كله اى يضرب اليه ليحكم فيه (في يوم

كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة (عما تعدون) من أيام الدنيا ولا تمسك للشبهة بقوله اليه في اثبات المحمة لان معناه الى حيث يرضاه أو أمره كما لا تشك لهم بقوله انى ذاهب الى ربى انى مهاجر الى ربى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله (ذلك عالم الغيب والشهادة) أى الموصوف بحالهم ما غاب عن الحلق وما شاهدوه (العزير) الغالب أمره (الرحيم) البالغ لطفه ويسيره وقيل لا وقف عليه لان (الذى) صفته (احسن) كل شئ أى حسنه لان كل شئ م ر تب على ما اقتضته الحكمة (خالفه) كوفى ونافع وسهل على الوصف أى كل شئ خلقه فقد أحسن خلقه غيرهم على البذل أى أحسن خلق كل شئ (وبدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته (من سلاله) من نطفة (من ماء) أى منى وهو بذل من سلاله (مهين) ضعيف حقير (ثم سواه) قومه كقوله فى احسن تقويم (ونفخ) ادخل (فيه من روحه) الاضافة للاختصاص كأنه قال ونفخ فيه من الشئ الذى اختص هو به و جعل لكم السمع والبصار والافئدة) لتسمعوا وتبصروا وتعتقلوا (قلسلا) متشكرون (اى تشكرون قليلا

القضاء والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام (من السماء الى الارض ثم يرج) اى يصعد (اليه) جبريل بالامر (في يوم كان مقداره ألف سنة عاتدون) يعنى مسافة ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقداره نزوله الى الارض ثم صعوده الى السماء فى مقدار ألف سنة لوساره أحد من بنى آدم وجبريل ينزل ويصعد فى مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية انه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا ثم يرج اليه أى يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الامر وحكم الحاكم فى يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فان قلت قد قال فى موضع آخر ترج الملائكة والروح الىه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الارض وسدرة المنتهى التى هى مقام جبريل عليه السلام يقول سير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة فى يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كلها فى القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا فى حال الكفار وامام على المؤمنين قد دون ذلك كما جاء فى الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاته مكتوبة صلاه فى الدنيا قال ابراهيم التيمى لا يكون على المؤمنين الا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته وهول ومشيته وقال ابن ابي مليكة دخلت أنابعد الله بن فيرو زعمولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضى الله عنهما ما أيام سماه الله تعالى لأدري ما هى وأكره ان أقول فى كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعنى الذى صنع ما ذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة أى ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه خافية والشهادة بمعنى ما حضر وظهر (العزير) أى المتعجب المنعجب من أعدائه (الرحيم) بأوليائه وأهل طاعته قوله تعالى (الذى احسن كل شئ خلقه) قال ابن عباس اقنعه واحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شئ وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل فى صورته حسن فى شكله وكل عضو من أعضائه مقدور على ما يصلح به معاشه وقيل معناه ألهم خلقه ما يحتاجون اليه وعلمهم ما ياه وقيل معناه احسن الى كل خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعنى آدم (ثم جعل نسله) يعنى ذريته (من سلاله) اى من نطفة تنزل من الانسان (من ماء مهين) اى ضعيف (ثم سواه) أى سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) أضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر ما يرتب على نفخ الروح فى الجسد فقال (وجعل لكم) أى خلق بعد أن كنتم نظاما وانا (السمع والبصا والافئدة) قيل قدم السمع لان الانسان يسمع أولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه ثم يفكر بقلبه فى ذلك الكلام ليفهم معناه ووجد السمع لان الانسان يسمع الكلام من أى جهة كان (قليل ما تشكرون) يعنى انكم لا تشكرون

(وقالوا) القائل أي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم (اذا ضلنا في الارض) أي صرنا ترابا وذهبننا مختلطين بتراب الارض لا تتميز منه كإضل الماء في اللبن أو غشنا في الارض بالدفن فيها أو قرأ على ضلنا بكسر اللام يقال ضل يضل ويضل ويضل وانتصب الظرف في أن اضلنا بما يدل عليه (أنا في خلق جديد) وهو نبوت (بل هم بلقاء بهم كافرين) يباحدون لما ذكر كفرهم بالبعث أضرب عنه إلى ما هو وأبلغ وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالبعث وحده (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) أي يتوفاكم ملك الموت الذي يوكل قبض ارواحكم ثم ترجعون إلى ربكم بعد ذلك مبعدون للحساب والحجز او هذا معنى لقاء الله والتو في اسداء النفس وهي الروح أي قبض ارواحكم أجمعين من قولك توفيت حتى من فلان اذا أخذته وافي اكلام من غير نقصان وعن مجاهد حوت ملك الموت

٥٧٨

رب هذه النعمة فتوحده الا قليلا قوله تعالى (وقالوا) يعني منكري البعث (اذا ضلنا) هذا في الارض والمعنى صرنا ترابا (أنا في خلق جديد) استفهام إنكاري قال الله تعالى (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أي بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) أي يقبض ارواحكم حتى لا يبقى أحد من كتب عليه الموت (ملك الموت) وهو عزرائيل عليه السلام (الذي وكل بكم) أي انه لا يغفل عنكم وإذ جاء أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا شغل له الا ذلك روى ان ملك الموت جعل له الدنيا مثل راحة اليد ياخذ من صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلائق من مشارق الارض ومغاربها وله أعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعل له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتترع أعوانه روح الانسان فاذا بلغ نغرة تحبزه قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل قال ان ملك الموت حبه يبلغ ما بين المشرق والمغرب وهي تنصف وجوه الناس فأن من أهل بيت الاوم ملك الموت تنصفهم في كل يوم مرتين فاذا رأى انسان قد انتهى أحد له ضرب رأسه ثلاث الحربة وقال له الا تنزل بك سكرات الموت وقوله (ثم إلى ربكم ترجعون) أي تصيرون إلى ربكم أحياء فيجزى بكم بما عملتم قوله عز وجل (ولو ترى اذ التجرون) أي المشركون (ناكسوا رؤسهم عند ربهم) أي يغطون رؤسهم بأيديهم وندموا على ما فعلوا عند ربهم يقولون (ربنا ابصرنا) أي ما كنا به مكذبين (وسمعنا) يعني منك تصديق ما تنباهه رسلك وقيل ابصرنا ما عصىنا وسمعنا ما قيل فيها (فارجعنا) أي فاردنا إلى الدنيا (نعمل صالحا تانموتن) أي في الحال آمنا ولكن لا يفيق ذلك الايمان (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) أي رشدناها وتوفيقها للايمان (ولكن حق القول مني) أي وجب القول مني (لا ملأ جهم من الجنة والناس أجمعين) أي من كفار الجن والانس (فدوقوا) أي فاذا دخلوا النار قالت لهم الحزنة

الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتحييه ثم يأمر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الامر لذلك كله وهو الخالق لأفعال المخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله توفية ولسنا نقوله الله يتوفى الانفس حين موتها (ووترى) الخطأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم أول لكل أحد ولوامتاعه والجواب محذوف أي لا ريت امر أعظما (النجرون) هم الذين قالوا أن اضلنا في الارض ولولو اذ لضي وانما حاز ذلك لان المتربص من الله بعنة الموجود ولا يقدر لثري ما يتناوله كانه قبيل ولو تكون منك الرية وانظر له (ناكسوا رؤسهم) من الذل والحياء والندم (عند ربهم) عند حساب ربهم ويوقف عليه حق المحذوف اذ التقدير يقولون (ربنا ابصرنا)

صدق وعيدك (وسمعنا) منك تصديق رسلك أو كنا عبيدا وصفا بقصرنا وسمعنا (فارجعنا) إلى الدنيا فعمل ذوقوا صالحا أي الايمان والطاعة (اناموتن) بالبعث والحساب الآن (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) في الدنيا أي لو شئنا أعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهدوا ولكن لم نعظم ذلك اللطف لمسا لعنا منهم اختيار الكفر واثاره وهو حجة على المعتزلة فان عندهم شاء الله ان يعطى كل نفس سابه اهدت وقد اعطاها اليكها لم تهتدوهم أولو الآية عشيقة الجبر وهو تأويل فاسد لما عرف في تبصر الادلة (ولكن حق القول مني لا ملأ جهم من الجنة والناس أجمعين) ولكن وجب القول مني بما علمت انه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم أنهم يختارون الرد والتكذيب وفي تخصيص الانس والجن إشارة إلى انه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم (فدوقوا) العذاب

ذوقوا (بما سئتم لقاء يومكم) أي تركتم الإيمان في الدنيا (هذا أنا سنيناكم) أي تركناكم
 بالكلية غير ملتفت إليكم كما يفعل بالناسي قطع الرجا سكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم
 تعملون) أي من الكفر والكذب قوله تعالى (إنا يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا
 بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) أي سقطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمدهم
 أي صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده) (وهم لا يستكبرون) أي عن الإيمان
 به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي
 فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما يجد أحدا مكانا للوضع جميعهم في غير وقت الصلاة
 (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد
 اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتا أمر ابن آدم بالسجود فيه سجدة فله الجنة وأمرت
 بالسجود فأبى في النار وهذه من أعزائم سجود القرآن فتسن للقاء ربك وليستمع قوله
 تعالى (تجافي جنوبهم) أي ترفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي
 يصفح عليه يعني الفراش وهم المصحفون بالليل الذين يقيمون الصلاة قال أنس نزلت
 فينا ما أمرنا أن نأمر أن نأمر في المغرب فلا نرجع إلى رحا لنا حتى نأمر في العشاء مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وعن أنس في قوله تجافي جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار
 الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي
 دوداء عنه قال كانوا ينتفون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد
 ابن المنكر وقيل هي صلاة الأوابين وروى عن ابن عباس قال إن الملائكة تكف
 بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين وقال عطاء الله الذين لا ينامون
 حتى يصلوا العشاء الأخيرة والتعريف في جماعة دليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى
 العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل
 كله أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حرجا وأشهر
 الأقاويل أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة
 (فصل في فضل قيام الليل والحديث عليه) عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في سفرة فاصبحت يوما قرا بمانه وهو يسير فقلت يا رسول الله أخرجني
 بعمل يدخلي الجنة ويأخذني من النار قال سألت عن عظيم وأنه ليسر على من يسر الله
 تعالى عليه بعد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحتج
 البيت ثم قال الأدل على أبواب الحجة الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة
 الرجب في جوف الليل ثم قرأ تجافي جنوبهم عن المضاجع حتى يبلغ جزء بما كانوا
 يعملون ثم قال لا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس
 الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال لا أخبرك بملاك ذلك كله قلت
 بلى يا رسول الله قال فأخذ بلسانه وقال اكف عليك هذا فقلت يا رسول الله وأنا
 لأؤخذن وبما تكلم فقال تكلمك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو

(بما سئتم لقاء يومكم) أي تركتم الإيمان في الدنيا (هذا أنا سنيناكم) أي تركناكم
 بالكلية غير ملتفت إليكم كما يفعل بالناسي قطع الرجا سكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم
 تعملون) أي من الكفر والكذب قوله تعالى (إنا يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا
 بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) أي سقطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمدهم
 أي صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده) (وهم لا يستكبرون) أي عن الإيمان
 به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي
 فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما يجد أحدا مكانا للوضع جميعهم في غير وقت الصلاة
 (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد
 اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتا أمر ابن آدم بالسجود فيه سجدة فله الجنة وأمرت
 بالسجود فأبى في النار وهذه من أعزائم سجود القرآن فتسن للقاء ربك وليستمع قوله
 تعالى (تجافي جنوبهم) أي ترفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي
 يصفح عليه يعني الفراش وهم المصحفون بالليل الذين يقيمون الصلاة قال أنس نزلت
 فينا ما أمرنا أن نأمر أن نأمر في المغرب فلا نرجع إلى رحا لنا حتى نأمر في العشاء مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وعن أنس في قوله تجافي جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار
 الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي
 دوداء عنه قال كانوا ينتفون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد
 ابن المنكر وقيل هي صلاة الأوابين وروى عن ابن عباس قال إن الملائكة تكف
 بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين وقال عطاء الله الذين لا ينامون
 حتى يصلوا العشاء الأخيرة والتعريف في جماعة دليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى
 العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل
 كله أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حرجا وأشهر
 الأقاويل أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة
 (فصل في فضل قيام الليل والحديث عليه) عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في سفرة فاصبحت يوما قرا بمانه وهو يسير فقلت يا رسول الله أخرجني
 بعمل يدخلي الجنة ويأخذني من النار قال سألت عن عظيم وأنه ليسر على من يسر الله
 تعالى عليه بعد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحتج
 البيت ثم قال الأدل على أبواب الحجة الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة
 الرجب في جوف الليل ثم قرأ تجافي جنوبهم عن المضاجع حتى يبلغ جزء بما كانوا
 يعملون ثم قال لا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس
 الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال لا أخبرك بملاك ذلك كله قلت
 بلى يا رسول الله قال فأخذ بلسانه وقال اكف عليك هذا فقلت يا رسول الله وأنا
 لأؤخذن وبما تكلم فقال تكلمك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو

(يدعون) داعين (ربهم) عابدين
له (خوفاً وطعماً) (مفعول له) أي
لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم
في رجبته وهم المتمجدون
وعن النبي صلى الله عليه وسلم في
تفسيره أقيام العبد من الليل
وعن ابن عطاء أبت جنوبهم
أن تسكن على بساط الغفلة
وطابت بساط القرية يعني صلاة
الليل وعن أنس كان أناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة
العشاء الأخيرة فنزلت فيهم وقيل
هم الذين يصلون صلاة العتمة
لا ينامون عنها (ومما رزقناهم
ينفقون) في طاعة الله تعالى
(فلاتعلم نفس ما أخفى لهم) ما
يعني الذي أخفى على حكمة
النفس جزءاً وبه قلوب (من قرأه
أعين) أي لا يعلم أحد ما أعد
له من الكرامة (جزاء) مصدر
أي جازوا بجزاء (بما كانوا يعملون)
عن الحسن رضي الله عنه أخفى
القوم أعمالاً في الدنيا فآخى
الله لهم ما لا عين رأت ولا أدن
سمعت وفيه دليل على أن المراد
بالصلاة في خوف الليل ليكون
الجزاء وفافاً بين أن من كان
في نور الطاعة واليمان لا يستوى
مع من هو في ظلمة الكفر والعصيان
بقوله (أفمن كان مؤمناً) كان
فاسقاً أي كافراً وهما معجولان
على لفظين وقوله (لا يستويون)
على المعنى بديل وقوله (أما الذين

قال على مناخرهم الاحصاء) أخرجه الترمذي * عن أبي امامة الباهلي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم
وتكفير للذنوب ومنها عن الأعمش نام ومطرده الداعي عن الجهم أخرجه الترمذي * عن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن
أوطانه ومحافه من بين جنبيه وأهله إلى صلاته فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى
عبدى ثار عن فراشه ووطائه من بين جنبيه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة
مما عندي ورجل غزا في سبيل الله وانهزم مع أصحابه فعمل ما عليه في الانهزام وماله في
الرجوع فرجع حتى أهرق دمه فيقول الله تعالى للملائكة انظروا إلى عبدى رجع رغبة
فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهرق دمه أخرجه الترمذي بعناه (م) عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان
شهر الله الحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تودمت قدماه فقلت تصنع هذا يا رسول
الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا يكون عبدك كورا * عن علي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة غفر فاري بآطنها من ظاهرها وظاهرها من
باطنها أعد لها الله من الأن الكلام وأطعم الطعام وتابغ الصيام وصلى بالليل والناس
يام أخرجه الترمذي (خ) عن الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه في قصة
يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن أحاديكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال
وفيما رسول الله يتلو كتابه * إذا نشق معروف من النجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موفقات ما إذا قل واقع
بيت يحيا في جنبه عن فراشه * إذا استنقلت بالكافرين المضامع
أخرجه البخاري وليس لله يشتم بن سنان عن أبي هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث
وقوله تعالى (يدعون ربهم خوفاً وطعماً) قال ابن عباس خوفاً من النار وطعماً في الجنة
(ومما رزقناهم ينفقون) قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام في الواجب
والطوع وقوله عز وجل (فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرأه عين) أي عما يقربه أعينهم فلا
يأتون إلى غير ما قال ابن عباس هذا على تفسيره وقيل أخفوا أعمالهم فآخى الله ثوابهم
(جزاء) كانوا يعملون (أي من الطاعات في دار الدنيا) (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لأبداي الصالحين ما لا عين
رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأقرأنا شتم فلان نفس ما أخفى لهم من
قرأه عين قوله تعالى (أفمن كان مؤمناً) كان فاسقاً (لا يستويون) نزلت في علي بن أبي
طالب والياسد بن عقبة بن أبي معيط كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد له لي
اسكت فانك صبي وأنا شيخ والله في الباطن منك أسانا واحداً منك سانا واحداً (وأنشجع منك جنانا
واملاً منك خشوا في الآخرة فقال له على اسكت فانك فاسق فانزل الله هذه الآية وقوله
لا يستويون أراد جنس المؤمنين وكنس الفاسقين ولم يرد مؤمناً واحداً ولا فاسقاً واحداً

آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) هي نوع من الجنات تاوى إليها وأوحى الشهداء وقيل هي عن يمين العرش
(نزل بها كانوا يعملون) عظاما عظامهم والنزل عظامهم ثم صار عظاما ٥٨١ (والمال الذين فسقوا وأولاهم النار) أى

لجميعهم ومنهم (كلما أرادوا
أن يخرجوا منها أعيدوا فيها
وقيل لهم) أى تقول لهم خزنة
النار (ذوقوا عذاب النار الذى
كنتم به تكذبون) وهذا دليل على أن
المراد بالقاسى الكافر إذا تكذب
يقابل بالإيمان (ولنذيقهم
من العذاب الأدنى) أى عذاب
الدنيا من الأسر وما محتوا به من
السنة سبع سنين (دون العذاب
الأكبر) أى عذاب الآخرة أى
نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن
يصلوا إلى الآخرة وعن الداراني
العذاب الأدنى الخذلان والعذاب
الأكبر الخلود في النيران وقيل
العذاب الأدنى عذاب القبر
(لعلهم) لعل المعذنين بالعذاب
الأدنى (يرجعون) يتوبون
عن الكفر (ومن أظلم ممن
ذكر) وعظ (بآيات رب) أى
بالقرآن (ثم أعرض عنها) أى
فتولى عنها ولم يتدبر فيها و
للاستبعاد أى أن الأعراض
عن مثل هذه الآيات في
وضوحها وانارتها وإرشادها
إلى سواء السبيل والقوز
بالعادة العظمى بعد التذكير
بها من بعد في العقل كما تقول
لصاحبك وجدت منك ذلك
الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا
لتركها الانتهاز (إنما من الخمر من
منتهون) ولم يقل منه لأنه إذا

(أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) أى التي يأوى إليها المؤمنون
(نزل) هو ما يجيء للضييق عند نزوله (بما كانوا يعملون) يعنى من الطاعات في دار الدنيا
(وأما الذين فسقوا فأولاهم النار) كما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار الذى كنتم به تكذبون قوله تعالى (ولنذيقهم من العذاب الأدنى دون
العذاب الأكبر) أى سوى العذاب الأكبر قال ابن عباس العذاب الأدنى مصائب الدنيا
وأستقامها وعنه أنه المحمود وقيل هو المحرور عكة حتى أكلوا الحيف والعظام والكلاب
سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والأكبر هو عذاب جهنم (لعلهم
يرجعون) أى إلى الإيمان يعنى من بقي منهم بعد المعط وبعد بدر (ومن أظلم) أى لا أحد
أظلم (من ذكر) بآيات رب) أى بدلائل وحدانيته وإنعامه عليه (ثم أعرض عنها) أى
ترك الإيمان بها (إنما من الخمر من) يعنى المشركين (منتهون) معناه ما هم سالم يرجعوا
بالعذاب الأدنى فإنما هم منتهون بالعذاب الأكبر قوله تعالى (ولقد آتينا موسى
الكتاب) يعنى التوراة (فلا تسكن في مربة) أى فى شك (من لقائه) أى من لقاء موسى ليلة
المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة
أسرى فى موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شموه ورأيت عيسى رجلا مريحا
مربوع الخلق إلى الخمر قوالى البياض سبط الشجر ورأيت مالكًا خازن النار والدجال
فى آيات أراهن الله آياه فلا تسكن في مربة من لقائه (م) عن انس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة أسرى فى عند الكعبين الأجر وهو
قائم يصلى في قبره فان قلت قد صح في حديث المعراج أنه رآه فى السماء السادسة عند
مرجعتهم فى الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل أن تكون رؤيته فى
قبره عند الكعبين الأجر كان قبل صعوده إلى السماء وذلك فى طريقه إلى بيت المقدس
ثم لما صعد إلى السماء السادسة وجده هناك قدس بقية ما يريد الله عز وجل وهو على كل شئ
قدير فان قلت كيف تصح منه الصلاة فى قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو فى
دار الآخرة وليس دار عمل وكذلك رأى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الأنبياء
وهو يجوعون خاسر الجواب عن هذا قلت يجاب عنه ما حو به أحدهما من الانبياء كالشهداء
بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يجوعوا أو يصلوا كما صح
فى الحديث وإن يتقرر بوا إلى الله عا س استطاعوا وإن كانوا أقدم ماتوا لأنهم بمنزلة الأحياء فى
هذه الدار التى هى دار العمل إلى أن تنفى ثم يرجعون إلى دار الجزاء التى هى الجنة الجواب
الثانى أنه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم الذى كانوا عليه فى حياتهم ومثلوا له كيف كانوا
وكيف كان حجمهم وصلاتهم الجواب الثالث أن التكليف وإن ارتفع عنهم فى الآخرة
لكن الذكروا الشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحياتهم
فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم لهمون لا تسبج كل لهمون النفس فالعبد يعبد ربه فى

جعله اعظم كل ظالم ثم توعد الخمر من عامة بالانتقام منهم فقد دل على أصابه الاظلم الصيب الاوخر من الانتقام ولو قال بالضير
لم يفيد هذه الفاظة (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلا تسكن في مربة) شك (من لقائه) من لقاء موسى الكتاب أو
من لقائه موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء موسى ربه فى الآخرة كذا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(وجعلناه هدى لبني اسرائيل) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى لقومه هدى (وجعلناه منهم آية) بهمز تن كوفي وشاى (يهدون) بذلك الناس ويدعونهم الى ما فى التوراة من دين الله وشراؤه (بامرنا) اياهم بذلك (لماصبروا) حين صبروا على الحق طاعة لله أو عن المعاصى لماصبروا و اجزة وعلى أى اصبرهم عن الدنيا وفيه دليل على ان الصبر غربة امامة الناس (وكانوا باثنا) التوراة (يوقنون) يعلمون علم الايمان مثل (ان ربك هو بفصل) يقضى (بينهم يوم القيامة) بين الانبياء و آتاهم أو بين المؤمنين والمشركون (فيما كانوا فيه يختلفون) فظهر راحتي من البطل (أولم) الواو لا لاطف على معطوف عليه مسمى من جنس المعطوف ٥٨٢ أى ألم يدعوا (يهد) بينين والفاعل لله يدل قراءه وقد عن يعقوب نهد

الحجة أكثر مما كان بعده فى الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حال الملائكة الذين قال الله فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما فى الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هى على مقتضى الطبع والله أعلم وقيل فى قوله فلا تكن فى ربة من لقاءه أى من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) يعنى الكتاب (هدى) لبني اسرائيل وجعلناه منهم (أى من بني اسرائيل آية) أى فاهة للغير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا فى بني اسرائيل وقيل هم أتباع الانبياء (يهدون بامرنا) أى يدعون الناس الى طاعتنا (لماصبروا) أى على دينهم وعلى البلاء من عدوهم عصر (وكانوا باثنا) يوقنون (أى انهم ان الله تعالى (ان ربك هو بفصل) أى يقضى ويحكم (بينهم يوم القيامة) فب كانوا فيه يختلفون) قبل هم الانبياء وأتباعهم وقيل هم المؤمنون والمشركون قوله تعالى (أولم يهدى لهم) أى يبين لهم (كم اهلكنا) أى كثرة من اهلكنا (من قبلهم من القرون) أى الامم الخالية (يشون فى مساكنهم) يعنى أهل مكة يسيرون فى بلادهم ومنازلهم اذا سافروا (ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون) أى آيات الله ومواعظه فيستظنون بها قوله عز وجل (أولم يروا اننا ساقنا الى الارض الحجاز) أى الارض اليابسة الغليظة التى لا نبات فيها قال ابن عباس هى أرض باليمن وقيل هى ايبين (فخرج به) أى بذلك المساء (زرعنا ناكل منه أنعامهم) أى العشب والتمن (وأنفسهم) أى من الحموب والاقوات (أفلا يصرون) أى فيعتبروا وقوله تعالى (وبقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) قيل اراد يوم الفتح يوم القيامة الذى فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك أن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوم نافع فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح أى القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا بعدكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعنى يوم القيامة (لا يفتح الذين كفروا ايمانهم) أى لا يقبل منهم الايمان ومن أجل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لا يفتح الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) أى يجهلون ليتوبوا ويعتدروا (فأعرض عنهم) قال ابن عباس نسخها آية

(لهم) لاهل مكة (كم لا يجوز) ان يكون كم فاعل يهد لان كم للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله ومحل نصب بقبوله (اهلكنا من قبلهم من القرون) كعاد وحمود و قوم لوط (يشون فى مساكنهم) أى اهلكنا مكة يرون فى متاجرهم على دناءهم و بلادهم (ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون) المواعظ فيتظنوا (أولم يروا اننا نسوق الماء) نجري المظـر والانهار (الى الارض الحجاز) أى الارض التى حوز نباتها أى قطع اما اعدم الماء اولانه ربحى ولا يقال لائق لا نبات كالسباح جوف دليل قوله (فخرج به) بالماء (زرعنا ناكل منه) من الزرع (نعامهم) من عصفه (وأنفسهم) من جبهه (أفلا يصرون) باعينهم فيستدلوا به على قدرته على احياء الموتى (و يقولون متى هذا الفتح) التضرع والفصل بالحكمومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان

المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون ذلك قالوا متى هذا الفتح أى فى أى وقت يكون (ان كنتم صادقين) أى أنه كائن (قل يوم الفتح) أى يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم فتح مكة (لا يفتح الذين كفروا ايمانهم) ولا هم ينظرون (وهذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم فظاهر اولئك لما كان عرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء الجاهل والاعى حسب ما عرف من عرضهم فى سؤالهم وقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكأن أى يكف وقد حصلتم فى ذلك اليوم وأمتنم فلا يفتح الايمان واستنظرتهم فى ادراك العذاب فلم تنظر واومن فسرهم يوم يوم الفتح أو يوم بدر فهو يريد الفتولين منهم فانه لم لا يفتحهم ايمانهم فى حال القتل كما يفتح فرعون ايمانه عند الغرق (فأعرض عنهم)

السف

وانتظر) النصر توها لهم (انهم منتظرون) الغلبة عليهم وهلا كبر وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ المتزيل السعدية وتبارك الذي يبدد الملك وقال من قرأ المتزيل في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سورة المتزيل هي المساعة تمنع عن عذاب القبر والله أعلم (سورة الاحزاب مدنية) وهي ثلاث وسبعون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) قال أي بن كعب رضي الله عنه لزركم تعدون سورة الاحزاب قال ثلاث وسبعين قال فوالذي يخلف به أي ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأناها آية راجع الشيخ في الشفعة اذا قرأها فاجوهما البقرة نكالا من الله والله عز وجل يحكم أراد أي أن ذلك من جملته ما نسخ من القرآن وأما ما يخبر أن تلك الزيادة كانت في نسخة ٨٤٣ في بيت عائشة رضي الله عنها فاحتفظها كلها

الداخن فن تألفات الملاحدة والروافض (يا أيها النبي) وبالهمز نافع أي يا أيها المخبر عنا المأمون على أسرارنا المبلغ خطابا إلى أجبنا وأعلم بقولنا بقل يا محمد كمال يا آدم يا موسى تسري فباله وتو بها فضله وتصرحه باسمه في قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بأنه رسول الله (أتق الله) أثبت على تقوى الله ودم عليه وازدحمه فهو باب لا بدرك مداه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) ولا تساعدهم على شيء واحد ترس منهم فانهم أعداء الله والمؤمنين وروى أن أباسفيان وعكرمة ابن أبي جهل وأبا الأعداء السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد فزفوا على عبد الله بن أبي أعطاهم المني الامان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعته بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعند عمر بن الخطاب ارفض ذكرنا لهننا اللات والعزى ومناة وقل ان لحاشا عقبن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال اني اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى يا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ولا تطع الكافرين يعني من أهل مكة يعني أباسفيان وعكرمة وأبا الأعداء والمنافقين يعني من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعته (ان الله كان عليما) أي يتخلقه قبل أن يتخلقه (حكيم) أي فيما دبره لهم (واتبع ما يحى اليك من ربك) أي من وفاة العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله كان بما تعملون خبير) أي اتق الله وكل أمرك اليه (وكفى بالله وكيل) أي حافظا لك وقيل كفى لا يزلك قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت في أبي معمر حميد بن معمر

السيف (وانتظر) أي موعدي لك يا نصر عليهم (انهم منتظرون) أي بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابا ياباهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في النحر يوم الجمعة المتزيل الكتاب وهل أتى على الإنسان عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ المتزيل الكتاب وتبارك الذي يبدد الملك أخرجه الترمذي وقال طائوس نقض لأن من كل سورة في القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

و ثلاث وسبعون آية والف ومائتان ومائتان وكذا وخمسة آلاف وسبع مائة وتسعون حرفا (بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) نزلت في أبي سفيان ابن حرب وعكرمة بن أبي جهل وإلى الأعداء عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فزفوا على عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعته بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعند عمر بن الخطاب ارفض ذكرنا لهننا اللات والعزى ومناة وقل ان لحاشا عقبن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال اني اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى يا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ولا تطع الكافرين يعني من أهل مكة يعني أباسفيان وعكرمة وأبا الأعداء والمنافقين يعني من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعته (ان الله كان عليما) أي يتخلقه قبل أن يتخلقه (حكيم) أي فيما دبره لهم (واتبع ما يحى اليك من ربك) أي من وفاة العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله كان بما تعملون خبير) أي اتق الله وكل أمرك اليه (وكفى بالله وكيل) أي حافظا لك وقيل كفى لا يزلك قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت في أبي معمر حميد بن معمر

المدينة فيما طلبوا (ان الله كان عليما) بحيث أعلمهم (حكيم) أي فيما دبره لهم (واتبع ما يحى اليك من ربك) أي من وفاة العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله كان بما تعملون خبير) أي اتق الله وكل أمرك اليه (وكفى بالله وكيل) أي حافظا لك وقيل كفى لا يزلك قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت في أبي معمر حميد بن معمر

وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم) أي ما جمع الله قلبين في خوف ولا زوجة وأمرهم في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى أنه تعالى **كلما يجعل** لسان قلبين لأنه لا يصدق أوامراته بفعل بالآخره لأمن أفعال القلوب فأحدهم أفضله غير محتاج إليه وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بهذا الفذوك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارهها علما بأننا موقنا كافي حالة ٥٨٤ واحدة لم يحكم أعضاؤه تكون المرأة الواحدة أم الرجل زوجها لأن

الامم خادمة والمرأة خادمة
وبينهما منافاة وان يكون
الرجل الواحد مع الرجل وابنا
له لان البنوة اصلة في النسب
والدعوة الصاق عارض بالنسبة
لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد
ان يكون اقصى ولا غير اصيل
وهذا مثل ضرب به الله تعالى في
زيد بن حارثة وهو رجل من
كلب سبي صغيرا فاشتراه حكيم
ابن خزام لثمة مديحة فلما تزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهبته له فطلبه ابو له وعنه غير
فاختار رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاعتقه وتناه
وكانوا يقولون زيد بن محمد
فلما تزوج النبي صلى الله عليه
وسلم زينا وكانت تحت زيد
قال المنافقون تزوج محمد امراة
ابنه وهو يهني عنه فأنزل الله
هذه الآية وقيل كان المنافقون
يقولون محمد قلبان قلب معكم
وقلب مع اصحابه وقيل كان ابو
معمر أحفظ العرب فقيل له
ذو التلين فا كذب الله وقولهم
وضربه مثالا في الظهار والتبني
والتمكيم في رجل وادخال من
الاستعراقة على قلبن وذكر

(ذلك قولكم يا فواهم) أي ان قولكم لاز وجسته هي ام ولد هي هواين قول تقولونه بالسنتكم لاحقة قوله اذا لابن يكون بالولدوة كذا الام (والله يقول الحق) أي ما هو حق ظاهره وباطنه (وهو يهدي السبيل) أي سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم لا بائهم هو اقسط) اعدل (عند الله) وبين ان دعاءهم بائهم هو ادخل الامر في القسط والعدل وقيل كان الر جل في المحاملة اذا اعجمه ولد الر جل ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذ كرم اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان ثم انظر الى فصاحة ٨٥ هذا الكلام حيث وصل آية الطلبية

ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينها ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل الطلبية (فان لم تعلموا آباءهم) فان لم تعلموا الهـم آباءه تنسبوا لهم اليهم (فاخوانكم في الدين ومواليكم) أي فهم اخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي وبأخيه وبمولاي يريد الاخوة في الدين والمواليته (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي لا اثم عليكم فيما أخطأتم من ذلك محظفين جاهلين قبل ورود النهي (ولكن ما تمعدت قلوبكم) ولكن اثم عليكم فيما أخطأتم بعد النهي أولائهم عليكم اذا قلتم ولد غيركم يا بني على سبيل الخواص قبل اللسان ولكن اذا قلتموهم تمعدن وما في موضع الجر عطف على ما لاولى ويجوز ان يراد العفو عن الخطا دون العمد على سبيل العموم ثم تسالون لعموم خطأ النبي وعمدوا اذا وجد النبي فان كان المتبني يجزى والنسب واصغر نسبا

بها التنبى (ذلك قولكم يا فواهم) أي لاحقة قوله يعني قولهم زيد بن محمد ادعاء النسب لاحقة قوله (والله يقول الحق) أي قوله الحق (وهو يهدي السبيل) أي يرشد الى سبيل الحق (ادعوهم لا بائهم) أي الذين ولدوهم فقروا لزيد بن حارثة (هو اقسط عند الله) أي اعدل عند الله (ق) عن ابن عمر قال ان زيدا بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيدا بن محمد حتى نزل ادعوهم لا بائهم هو اقسط عند الله الآية فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين أي فهم اخوانكم (ومواليكم) أي كانوا محرمين وليسوا ببنينكم أي فسموهم باسماء اخوانكم في الدين وقيل معنى مواليتكم اولياؤكم في الدين (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي قبل النهي فنبهتموه الى غير آيئه (ولكن ما تمعدت قلوبكم) أي من دعائهم الى غير آيئهم بعد النهي وقيل فيما أخطأتم به ان تدعوه الى غير آيئه وهو يرضى انه كذلك (وكان الله غفورا رحاما) (ق) عن سعد بن ابي وقاص وابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى الى غير آيئه وهو يعلم انه غير آيئه فالجناح عليه مرام قوله عز وجل (التي اولى بال مؤمنين من انفسهم) أي من بعضهم بعض في قوله وحكمه عليهم ووجوب طاعته وقال ابن عباس اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعيتهم انفسهم الى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة انفسهم وهذا الصحيح لان انفسهم تدعوه الى ما فيه هلاكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى ما فيه نجاتهم وقيل هو اولى بهم في الحمل على المحامد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى المحامد فيقول قوم ذهب فتستادن من آباءنا واما هنا فتزات الآية (ق) عن ابي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فاما مؤمن ترك ما لا يقره معصيته من كانوا ومن ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه عجة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدور قوله اوضياعا على عالا واصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وان كسرت الضاد كان جمع ضائع وقوله تعالى (وازواجه أمهاتهم) يعني امهات المؤمنين في تعظيم الحرمة وتحریم نكاحهن على التابيد لافي النظر اليهن والمحاملة بهن فانه حرام في حقهن كل شيء الا حجاب ولا يقال لبناتهن هن

٧٥ ن ث منه ثبت نسبه منه وعق ان كان عبدا له وان كان اكبر نسبه لم يثبت النسب وعق عندنا حنفية رضى الله عنه واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وعق ان كان عبدا (وكان الله غفورا رحاما) لا يؤخذ كم بالخطا وقبل التوبة من المتعمد (التي اولى بالمؤمنين من انفسهم) أي احق بهم في كل شيء من امور الدين والدنيا وحكمه انفسهم من حكمهم فاعلم ان يذلوا ذنوبه ويجمعوا لخواصها فداها او هو اولى بهم أي ارقبهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم في قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد نبي أبو أمته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين (وازواجه أمهاتهم) في تحریم نكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فيما رواه ذلك كالأزواج ونحوه كالأجنبيات وهذا لم ينعقد التحريم الى بنائهن

(وأولو الأرحام) وذوو القربات (بعضهم أولى ببعض) في التوارث وكان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين والهجرة لا بالقرابة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة (في كتاب الله) في حكمه وقضائه أو في الواج المحفوظ أوفيهما فرض الله (من المؤمنين والمهاجرين) ٥٨٦ يجوز أن يكون سببا لأولو الأرحام أي الأقرباء من هؤلاء بعضهم

أولى بأن يرث بعضهم الآخر من غير أن يكون له ميراث في الدين والولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الآن تفعّلوا إلى أوليائكم معروفًا) الاستثناء من خلاف الجنس أي لكن فعملكم إلى أوليائكم معروفًا جائز وهو أن توصوا من أحببتكم من هؤلاء بشئ في ذلك بالوصية لا بالميراث وعدى تفعّلوا إلى لأنه في معنى تسدوا والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين (كان ذلك في الكتاب مسطورًا) أي التوارث بالأرحام كان مسطورًا في الواج (وإذا أخذنا من النبيين مثاقهم) وذكر حين أخذنا من النبيين مثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم (ومنك) خصوصًا وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لأن هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لأنهم أولوا العزم وأصحاب الشرائع فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لتقدم من قدمه زمانه (ومن نوح وإبراهيم

أخوات المؤمنين ولا أخواتهن وأخواتهن من أخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين وقيل إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء وقيل كن أمهات الرجال دون النساء بدليل ما روى عن مسروق إن امرأة قالت لما نثت يامه فقالت لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم فبان بذلك أن معنى الأمومة إنما هو تحريم تكاحهن (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) يعني في الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان بؤن أخى بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى تزلت وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض وقيل في معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر (في كتاب الله) أي حكم الله (من المؤمنين) الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (والمهاجرين) يعني أن ذوي القربات أولى بعضهم ببعض فنبخت هذه الآية الموارثة بالمواخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة (الآن تفعّلوا إلى أوليائكم معروفًا) يعني الوصية للذين يتولونهم من المعاتدين وذلك أن الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والأخاء والهجرة أباح أن يوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله وقيل أراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمات بحق الإيمان والهجرة وقيل معناه الآن توصوا إلى قريبكم بشئ وأن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة (كان ذلك) أي الذي ذكرتم أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض (في الكتاب) أي في الواج المحفوظ وقيل في التوراة (مسطورًا) أي مكتوبًا بميثاقه تعالى (وإذا أخذنا من النبيين مثاقهم) أي على الوفاء بما جاهدوا وإن يصدق بعضهم بعضًا ويؤيد بعضهم بعضًا وقيل على أن يعبدوا الله ويدعوا الناس إلى عبادته وينصحو القوم بهم (ومنك) يعني يا محمد (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولو العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر تشرى بقوله وتفضلوا وساروا في البغوى بإسناد التعلين عن أبي هريرة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين في الحاق وأخهم في البعث قال قتادة وذلك قول الله وإذا أخذنا من النبيين مثاقهم (ومنك) ومن نوح فجد أبه صلى الله عليه وسلم (وأخذنا منهم مثاقًا غليظًا) أي عهدًا شديدًا على الوفاء بما جاهدوا من تبليغ الرسالة (ليسأل الصادقين عن صدقهم) يعني أخذنا منهم أي يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علم سبحانه وتعالى أنهم صادقون بتكليف من أرسلوا إليهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم عن علمهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين

وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم مثاقًا غليظًا) ونيفوا وأعاد ذكر الميثاق لأنهم الوصف إليه وأما فعلنا بأقوالهم ذلك (ليسأل) الله (الصادقين) أي الأنبياء (عن صدقهم) عما قالوه لقومهم أو ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأن من قال لصادق صدق كان صادقًا في قوله أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم عنهم وهو كقولهم يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتهم

(وأعد الكافر بن) بالرسول (عذابا أليما) وهو عطف على اخذنا لان المعنى ان الله كد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما وعلى ما دل عليه لسؤال الصادقين كافة قال فاماب المؤمنين وأعد للكافرين (يا أيها الذين امنوا اذ كروا نعمة الله عليكم) أي ما نعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق وكان بعد حرب احد بنسبة (اذ جاءكم جنود) أي الاحزاب وهم قريش وغطفان وقرظة ٨٧ والنضير (فارسنا عليهم رجحا) أي الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا

واهلك عادي الدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا القابض الله عليهم صبا بآودة في ليلة شاتية فاضمرتهم واسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطقات النيران واكفأت القدور وماجت الحيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فانهم زمام غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة بآشارة سامان ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنسوان ففرعن في الاطام واشتد الخوف وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عينة بن

بأفواهم عن صدقهم في قلوبهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذ كروا نعمة الله عليكم) واذ ثلاث حدين حصر الملبون مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق (اذ جاءكم جنود) يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قرظة والنضير (فارسنا عليهم رجحا) يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب اطلق تنسبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحجرة لا تمرى بالليل فكأن الريح التي أرسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلك عادي الدبور وقيل الصباريح فيها روح ما هبت على محزون الاذهب حزنه قوله تعالى (وجنودا لم تروها) يعني الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الالهة رجحا بآودة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب القساطط واطقات النيران واكفأت القدور وماجت الحيل بعضها في بعض وكثرت تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان النجاء النجاء هلموا الى فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهم زمام غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب (وكان الله عابا معلون بصيرا) * (ذكر غزوة الخندق وهي الاحزاب) *

قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة أربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحين بن اخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهو ابن قيس وأبو عمار الؤائي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اناسكروا معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا مختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا ديناكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منهم فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم ترالى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالطاغوت الى قوله وكنى بينهم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقرىش سرهم ما قالوا ونشطوا المادع وهم اليهم من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى طأوا غطفان وقيس وساعين فاجتمعوا على ذلك واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان

حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قرظة والنضير ومضى على الفريقين قريش من شهر لآخر بينهم الاتراحم بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (وكان الله عابا معلون) أي بعلمكم أيها المؤمنون من التحصن بالخندق والثبت على معاونة النبي صلى الله عليه وسلم (بصيرا) وبإياديه أبو عمر وأما يعمل الكفار من البني والسبي أطفاء نور الله قوله غطفان الخ كذابا لاصل وفي المواهب خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان زادوا حاربا بعينهم هامة قال الجوهري وليس في العرب عيلان غيره اه معجم

قر يشاقبا يعوهم على ذلك فاجابوه - ثم وخرجت قريش وقائداهم ابوسفيان بن حرب
 وخرجت عطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن بني فزارة والحارث بن
 عوف بن ابي حارثة المري في بني حر وشمير بن ربيعة بن نوفل بن ربيعة فممن تابعه من
 قومه من المشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما اجتمعوا اليه من الامر ضرب
 الخندق على المدينة وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان
 الفارسي وكان أول مشهده شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حذر
 فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا ضربنا خندقا علىنا ففعل فيه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه ووروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط
 الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة ارباعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار
 في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان
 وحذيفة والنعمان بن مقرن المنزى وسبعة من الانصار في ارباعين ذراعا فخرنا حتى اذا
 كنا تحت أخرج الله من بطن الخندق حجرة مروة حتى كسرتم حديدنا وشقت علينا
 فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الحجرة قلنا ما
 بعدل عناه فان المعدل قريب وامان يا مائة فاما نحن فانا لا نحب أن نخاوز خطه قال
 فرقى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة ثم كدة فقال يا رسول
 الله خرجت لنا حجرة مضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى
 ما يجيئنا منها شيء قليل ولا كثير فربنا فيما امرنا فانا لا نحب أن نخاوز خطه فبسط رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على شئ الخندق وأخذ عليه السلام
 المعول بن سلمان وضرب به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لاتبها يعني المدينة
 حتى كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فخبر
 المسلمون معه ثم ضرب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فبرق منها برق حتى أضاء
 ما بين لاتبها حتى كأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تكبير فخبروا كبر المسلمون معه ثم ضرب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق
 منها برق أضاء ما بين لاتبها حتى كأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم تكبير فخبروا كبر المسلمون معه وأخذ يربط سلمان ورفق فقال يا بني أنت
 وأمي يا رسول الله لتدرايت شيئا ما رأيت مثله قط قالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الى القوم وقال أرايت ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الأولى
 فبرق البرق الذي رأيت فاضاء الى منها قصور الحيرة ومداين كسرى كأنها أنياب الكلاب
 وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي
 رأيت أضاء الى منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن
 أمي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق الذي رأيت أضاء الى منها قصور صنعاء كأنها
 أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها فأبشروا فاستبشروا المسلمون

وقالوا الحمد لله موعده صدق وعدنا النصر بعد المحصر فقال المنافقون الاتعجبون عجبكم
 ويعدكم الباطل ويخبركم بأنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح
 لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفسرق لا تستطيعون ان تبرزوا قال فبزل القرآن
 واذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله
 قل اللهم مالك الملك الآتية (ق) عن انس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
 الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك
 لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الاخرة فاغفر للانصار
 والمهاجرة فقالوا سبحين له

نحن الذين يابغوا محمدا * على المحمدا ما حبيننا أبدا
 عن البراء بن عازب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول
 والله لولا الله ما هنت دينا * ولا تصدقنا ولا ضلينا
 فأترن سكتة علينا * وثبت الاقدام ان لا قبينا
 والمشر كون قد بعوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا
 ورفع بها صوته وفي رواية قد وارى التراب بياض بطنه وجعلنا الى حديث ابن اسحق
 قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قبر يش حتى نزلت بمجتمع
 الاسبال من رومة ثمان مئة من الجحرف والغابة في عشرة آلاف من احابيشهم ومن تابعهم من بني
 كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا بذي نعيم
 الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهرهم
 الى السبع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب بها نالك عسكره والخندق بينه وبين القوم
 وأمر بالذراوى والنساء فرفعوا الى الآطام وخرج عدو الله حي بن أخطب من بني النضير
 حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بني قريظة وكان قد سدوا عدو رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على نومه وعاهده على ذلك فلما سمع صوت ابن أخطب أغلق دونه
 حديدته فاستأذن عليه فإني أن يفتح له فناده حي يا كعب افتح لنا فقال ويحك يا حي
 انك امرؤ مشؤم إني قد عاهدت محمد فقلت نأقض ما بيني وبينه ولم أر منه الا وفاءا وصدقا
 فقال ويحك افتح اكلك قال ما أنا بفاعل قال والله ان أغلقت دوني الاخوان أكل كل معك
 فأعظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئت بك الدهر وبحر طام جئت بك بقرش
 على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسبال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها
 حتى أنزلتهم بذي نعيم الى جانب احد قد عاهدوني وعاهدوني أن لا يبرحوا حتى
 يستأمنوا لمحمد او من معه فقال له كعب جئتني والله بذي الدهر وبحمام قد هرق ماؤه
 وبرعدو ويرق ليس فيه شيء دعني ومحمد او ما ناعلي عليه فإني لم أر من محمد الا صدقا وفاء
 فلم يزل حي بن أخطب يكعب يقتله في الذروة والغارب حتى سمع له على أن اعطاه من
 الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك حتى
 يصيبني ما صابك فنقض كعب بن اسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول

الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين
 بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أحد بني عبيد الأشهل وهو يومئذ سيد
 الأوس وسعد بن عباد أحد بني ساعدة وهو يومئذ سيد بني الخزرج ومعهم عبد الله بن
 رواحة أخو الحارث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا
 حتى تنظروا ما بلغ الغنائم هؤلاء القوم أحق أم لا فان كان حقنا فالتحقوا بالحقنا أعرفه ولا
 تقتلوا أعضاء الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا
 حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقالوا لا اعتدينا وبينه ولا عهد فشاقتهم سعد بن عباد وشاقتوه وكان رجلا عنده حدة
 فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاقمتنا وبينهم أرى من المشاقمة أقبل سعد
 وسعدون معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وأقوالوا عضل والقارة أحدرو
 عضل القارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرجميع خبيب بن عدي
 وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أشيروا يا معشر المسلمين وعظم عند
 ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون
 كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن
 عوف كان محمد بعدنا نأكل كل كنوز كسرى وقصر واحدنا لا يقدر ان يذهب إلى
 الغائط وما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال أوس بن قيث أحد بني حارثة بن رسول الله ان
 بيوتنا لغرة من العدو وقد ذللت على ملامن رجال قومه فاذن لنا فلترجع إلى ديارنا فانها
 خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المشركون عليها بضعا
 وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل والحصى فلما اشتد
 البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن
 عوف وهما قائدان غطفان فأعطاهما ثلاث عمارة المدينة على ان يرجعا عن معهما عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخرج بهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع
 الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عباد
 فاستناراهما فیه فقالا يا رسول الله أشئ أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر تجبسه
 فتصنعنا أم شئ تصنعنا قال بلى شئ أصنعنا لك والله ما صنع ذلك الا في قدر رأيت
 العرب قد رمتكم عن قوس واحدوا كالبرق من كل جانب فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم
 فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة
 الاصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطعمون ان يا كما وانا نقره واحدة الا قري أو يعالين
 اكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك تعظيمهم أم هو انما لنا بهذا من حاجة والله ما تعظيم الا
 السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فتناول
 سعد الحصى فجعل يرميهم من الكتابية ثم قال ليدهوا عينا فقام رسول الله صلى الله عليه
 وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا ان فوارس من قريش عمرو
 ابن عبد ود أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب الخزوميان

ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تبسوا للقتال
 وخرجوا على خيلهم فروا على بني كنانة فقالوا لهم: واللعبة يا بني كنانة قست عليكم اليوم
 من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا: والله هذمه مكددة
 ما كانت العرب تكيد هائم تهموا مكانا من الخندق ضيقا وضربوا خيلهم فاقطعت
 منه خالطهم في السجدة بين الخندق وسلم خرج على بن أبي طالب في نفر من المسلمين
 حتى أخذوا عليهم النقرة التي اقتدموا منها وأقبلت الفرسان تعقب نحوهم وكان عمرو بن
 عبدود قائلاً يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحد أقلاما كان يوم الخندق خرج معلماً
 ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال علي يا عمرو إنك كنت تعاهد الله لا تدعوك رجل من
 قريش إلى خلتين إلا أخذت منه أحداً ما قال أحبل قال له علي فاني أدعوك إلى الله
 ورسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك قال اني أدعوك إلى التزال قال ولم يا ابن أخي
 فوالله ما أحب أني اقتلك فقال علي لئني والله أحب أن أقتلك فمضى عمرو عند ذلك
 فاقتدم عن فرسه فمعه أوزع وأضرب وجهه ثم أقبل على علي فقتلوا ولا فقتله على
 وخرجت خيلهم من زمرة حتى اقتطعت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منهم بن
 عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فأتى مكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة
 المخزومي وكان اقتدم الخندق فتورط فيه فمعه وبها حجارة فقال يا معشر العرب قتله
 أحسن من هذه فزول إليه على فقتله فغلب المسلمون على جسده فسالوا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لاني بجسده
 وغنمه فأنكره فمضى بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن
 بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معاني الحصن وذلك
 قبل أن يضرب علينا الحجاب فرسعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعاه
 كلها وفي يده حربة وهو يقول * لانس بالموث إذا حان الأجل *
 فقالت له الحقي يا بني فقد والله اخترت قالت عائشة فقالت يا أم سعد والله لو ددت أن درع
 سعد كانت أسبغ عمامي وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمى سعد يومئذ
 بسهم فقطع عنه الأكل رماه خباب بن قيس بن العرقعة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه
 قال خذها وأنا ابن العرقعة قال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت
 أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقى لسفاهة لا قوم أحب لي أن آجدهم من قوم آذوا
 رسولاً وكتبوه واخرجوه وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا
 تمتي حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا ألقاه وهو مواليه في الجاهلية قال محمد بن اسحق
 فيما بالعتان صفية بنت عبد المطلب كانت في قارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان
 حسان معنماً النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف
 بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
 والمسلمون في نحر عدوهم لاسمهم يبعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إذا اتانا آت قالت فقالت
 يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا

من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأنزل اليه
 فاقبله فقال يا بخت الله لا يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما
 قال لي ذلك ولم أوعده شيئا اعتبرت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فصر به
 بالعمود حتى قتله فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فسلمه
 فانه لم يمنعني من سلمه الا انه رجس قال مالي سلمه حاجته يا بنت عبد المطلب قالوا فاقام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاھر
 عدوهم واتباعهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان أتى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي
 فأمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت فينا رجس واحد فدخل
 عنان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان ندما
 لهم في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم وديا يا أيكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا
 صدقت لست عندنا بكم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا الحرب مجدودا فظاهرهم وعوهم
 عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم
 ونسأؤكم لاتقدرون على أن تنزلوا منه الى غيرهم وان قريشا وغطفان أموالهم
 وأبنائهم ونسأؤهم فبهم ان رأوا انه قريظة وغنيمه أصابوها وان كان غير ذلك فحقوا بآيادهم
 وداخلوا بينهم وبين هذا الرجل والرجل ببلدكم لا طاعة لكم به ان خلاكم فلا تقبلوا
 مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقبلوا
 معكم محمد حتى تنجزوه قالوا القدا شرت برأي ونصحت ثم خرج حتى أتى قريظة فقال لاني
 سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم وديا يا أيكم فراقى محمد اقد بلغني
 امر رأيت حقا على أن اباعدكم عنكم فقال لهم كتموا على قالوا انفعنا قال تعلمون أن
 معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بآبائهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على
 ما فعلنا فهل يرضيك عنانناخذ من قريش وغطفان رجلا من أشرفهم فنعطيكمهم
 فنضرب أعناقهم ثم نكون معكم على من بقي منهم فأرسل اليهم أن نعم فان نعمت اليكم
 يهودي يلمسون رهنا من رجالكم فيلاتدفعوا اليهم منهم رجل الا واحد ثم خرج حتى
 أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أنتم اهلي وعشيري وأحب الناس الى ولا أراكم
 تهجونني قالوا صدقت قال فا كتموا على قالوا انفعنا فقال لهم مثل ما قال لقريش
 وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله
 لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أوسه بن ورثس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن
 أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم اننا لنباذ ارمقام تدهلك الخف والحافر
 فأغذوا للقتال حتى تنجز محمد ونفخ غمما بيننا وبينه فأرسلوا اليهم ان اليوم السبت
 وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان احدث فيه بعض احدنا فاصابهم ما لم يخف عليكم
 ولاننا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطوا رهنا من رجالكم يكون بأيدينا ثقة لنا حتى
 تنجز محمد فاننا نأمن شي ان ضررناكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم

وتكونوا لرجل في بلدنا ولا طاعة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذي
 قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان نعلن والله ان الذي حدثكم به نعيم بن مسعود
 لمحق فارسوا الى بني قريظة انا والله لاندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم
 تريدون القتال فخرجوا فاجتمعوا فقال بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل هذا ان
 الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لمحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهبوها
 وان كان غير ذلك شملوا الى بلادهم وخلوها بينهم وبين الرجل في بلدكم فارسوا الى
 قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فاعلمهم وخذل الله عز وجل
 بينهم وبعث عليهم الريح في ايام شامية شديدة البرد فجعلت تكفأ قلوبهم وتطرح
 آياتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن
 اليمان فبعثه اليهم ليعلم ما فعل القوم لئلا يروى محمد بن اسحق عن يزيد بن يادع
 محمد بن كعب القرظي وروى غيره عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال قال قتي من أهل
 الكوفة حذيفة بن اليمان يا ابا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبوه قال
 نعم يا ابن أخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجاهد قال القى والله لو ادركناه
 ما تركناه يمشي على الارض ومحمداه على أعناقنا ونحن مداهم ففعلنا ما فعلنا فقال حذيفة
 يا ابن أخي والله لقد رأيت ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من
 يذهب الى هؤلاء القوم فيمأ بنا نخيرهم ادخله الله الجنة فاقام منا رجل ثم صلى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت اليه فقال مثله فسكت القوم ومقام
 منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت اليه فقال هل
 من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيق في الجنة فاقام رجل من شدة
 الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما يقوم احد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا حذيفة لم يكن لي يد من القيام حين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
 لبيك رسول الله وقت حتى آتته فاخذ بيدي ومسح برأسي ووجهي ثم قال انت هؤلاء
 القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تتحدثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين
 يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت
 على اسلحي ثم انطلقت أمشي نحوهم كلنا أمشي في حزام فذهبت فدخلت في القوم وقد
 أرسل الله عليهم ريحا وجفودا وجود الله تعالى بهم ما تفعل لا تقرهم قدرا ولا نارا ولا بناء
 قال وأبوسفيان قاعد يصطلي فاخذت سهمي فوضعت في كبد قوسي فارتد ان أرميه ولو
 رمية لاصت به فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتحدثن حديثا حتى ترجع
 فرددت سهمي في كفاي فلما رأى ابوسفيان ما تفعل الريح وجفود الله بهم لا تقرهم
 قدرا ولا نارا ولا بناء فقام فقال يا معشر قريش لا تأخذ كل منكم بيد جلسه فليظن من هو
 فاخذت بيد جلسي فقلت من أنت فقال سبحان الله أما تعرفي أنا فلان بن فلان رجل
 من هوازن فقال ابوسفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد
 هلك الكراع والخف والحقنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي ذكره ولقينا من هذه

(اذخاؤكم) يدل من اذخاؤكم (من فوقكم) أي من أعلى الوادي من قبل المشرق بنوعطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب قرش (واذغات الاصار) مالت عن سندها ومستوى نظرها بحيرة أو عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها كسدة الروح (وبلغت القلوب الحناجر) الحجرة رأس العنصرة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفعت الرئة ٥٩٤ من سدة الفزع والعنصرة بت وارتفع القلب بارتفاعها

الى رأس الحنجر وقيل هو مثل في اضطراب القلوب وان لم تبلغ الحناجر حقيقة روى ان المسلمين قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عورتنا وامن روعتنا (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا منهم ثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون فظن الاولون بالله انه يفتلهم فافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم قرأ ابو عمرو وحزرة الظنون بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس وبالألف فيهما مدني وشامي وأبو بكر اجزاء للوصل مجرى الوقف وبالألف في الوقف مكي وعلى وحقق ومثله الرسول والسيد لا زادوها في الفاصلة كما زادها في التافية من قل

«أقلى اللوم عاذل والغسان»
وهن كلهن في الاسام بالانف (هنالك ابلى المؤمنون)
امتدوا بالصبر على الايمان (وزلوا زلزلا شديدا) وحوكوا بالخوف فحرقوا بكابعدا (واذيقول المنافقون) عطف على الاول (والذين في قلوبهم مرض) قبل هو وصف وقال المنافقون بالواو كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليت الكعبة في المزدحم وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستعملونهم باذخال الشبهة عليهم (ما وعدنا الله ورسوله الاغروا) روى ان معتب بن قشير رأى الخراب قال يعدنا محمد فيج فارس والروم واخذنا لا يتدرون بغير خبر فاما هذا الا وعدنورد (واذ قالت طائفة منهم) من المنافقين وهم غيب الله ابن أبي وأصحابه (يا اهل يرب) هم أهل المدينة

الريح ماترون فارتحلوا فاني محجل ثم قام الى جملته وهو معقول فجلس عليه ثم ضرب به فوثب على ثلاث فها اطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت عطفان بما فعلت قرش فاستمرروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاني أمشي في حمام فابتدته وهو قائم يصلي فلما سلم اخبرته ففعل حتى بدت انيابه في سواد الليل فلما اخبرته وفرت قررت وذهب عني الدفا فادفاني النبي صلى الله عليه وسلم فانما عني عند جملته والقي على طرف ثوبه والصق صدرى بطن قدميه فلم ازل نائم حتى اصحبت فلما اصحبت قال قم يا نومان فذلك قوله عز وجل (اذخاؤكم من فوقكم) أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم اسد وعطفان وعليهم مالك بن عوف النصرى وعبدية بن حصن الفزاري في ألف من عطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني اسد وحي بن اخطب في يهود قريظة (ومن أسفل منكم) يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قرش وكانه عليه السلام أوسفان بن حرب من قرش ومن تبعه وابو الاعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الحنفدي وكان الذي جرع زوة الحنفدي فيما قيل اجملا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى العنصرة من ديارهم (واذغات الاصار) أي مالت وشخصت من الرب وقيل مالت عن كل شيء فلم تنظر الى عدوها (وبلغت القلوب الحناجر) أي زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلقوم من الفزع والحنجر جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبرة عن شدة الخوف وقيل معاناهم جيموا وسيدل الجبان اذا شد خوفه ان يتفزع رثته واذا انتفعت رثته رفعت القلب الى الحنجر فلهذا يقال للجبان ان تقع بصره (وتظنون بالله الظنونا) أي اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم (هنالك ابلى المؤمنون) أي عند ذلك اخبر المؤمنون بالحصر والقتال لينبئين الخلق من المنافقين (وزلوا زلزلا شديدا) أي حركوا حركات شديدة (واذيقول المنافقون) يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) أي شذت وعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله الاغروا) هو قول أهل النفاق يعدنا محمد فيج فارس واسام وفارس واخذنا لا يستطيع ان يحيا وزرحله هذا هو الغرور قوله تعالى (واذ قالت طائفة منهم) أي من المنافقين وهم أوس بن قيطي وأصحابه (يا اهل يرب) يعني يا أهل المدينة وقيل يرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها سميت يرب باسم رجل من العمالق كان قد نزل بها في قديم الزمان وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يرب

وقال بالخوف فحرقوا بكابعدا (واذيقول المنافقون) عطف على الاول (والذين في قلوبهم مرض) قبل هو وصف وقال المنافقون بالواو كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليت الكعبة في المزدحم وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستعملونهم باذخال الشبهة عليهم (ما وعدنا الله ورسوله الاغروا) روى ان معتب بن قشير رأى الخراب قال يعدنا محمد فيج فارس والروم واخذنا لا يتدرون بغير خبر فاما هذا الا وعدنورد (واذ قالت طائفة منهم) من المنافقين وهم غيب الله ابن أبي وأصحابه (يا اهل يرب) هم أهل المدينة

(لا مقام لكم) و بضم الميم خفض أى لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون (فارجعوا) عن الايمان الى الكفر
أومن عسكر رسول الله إلى المدينة (ويستأذن فر يق منهم النبي) أى بنو حارثة (يقولون ان بيوتنا عورة) أى ذات عورة
(وماهى بعورة ان يريدون الاقرارا) العورة الخلل والعورة ذات العورة وهى قراءة بن عباس يقال عور المسكن عورا اذا بدا
منه خل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفف عورة اعتدروا أن بيوتهم عرضة للعدو والسارق لانها
غير محصنة فاستأذنه ليخصنها ثم رجعوا اليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار من القتال (ولو
دخلت عليهم) المدينة أو بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها أى ولودخلت هذه العساكر
المحترقة اليه يفرون خوفا منها مذنبتهم أو بيوتهم من نواحيها كلها ٥٩٥ وانشأت على أهلهم وأولادهم ناهيين

سابقين (ثم سئلوا) عند ذلك
الفرع (الفتنة) أى الردة
والرجعة الى الكفر ومقاتلة
المسلمين (لا توهأ) لا تعطوها
لا توهأ بالمدح جازى أى لمجاورها
وفعلوها (وما تلبسوا بها) بما جابها
(الاسير) ديمما يكون السؤال
والجواب من غير توقف أو
مالبسوا بالمدينة بعد ارتدادهم
الاسير افا ان الله يهلكهم
والمغنى أنهم يهلكون باعورار
بيوتهم لغيروا عن نصرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب
الذين ملأهم هولاء وعبا وهؤلاء
الأحزاب كاهم لو كبسوا عليهم
أرضهم وديارهم وعرض
عليهم الكفر وقيل لهم كونوا
على المسلمين اسارعوا اليه وما
تعالوا بشئ وما ذلك الا لانتهم
الاسلام وجهم الكفر (ولقد كانوا
عاهدوا الله من قبل) أى بنو

وقال هي طيبة كانه كرم هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقرير والتوبيخ
(لا مقام لكم) أى لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) أى الى منازلكم وقيل عن
اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال (ويستأذن فر يق منهم النبي) يعنى بنى
حارثة وبني سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) أى خالية ضائعة وهى مما يلي العدو ويخشى
عليها السارق فكذبهم الله تعالى بقوله (وماهى بعورة ان يريدون الاقرارا) أى أنهم
لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم من أقطارها) يعنى
لو دخل هؤلاء المجوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب من نواحي المدينة وجوانبها
(ثم سئلوا الفتنة) أى الشرك (لا توهأ) أى لمجاورها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام
(وما تلبسوا بها) أى ما احتسبوا عن الفتنة (الاسير) أى لاسرعوا الاحاب الى الشرك
طيبة فهو قبيح وسوء وما أقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا لآخى يهلكوا
قوله عز وجل (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى من قبل غزوة الخندق (لا يؤنونا
الادبار) أى لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هم يوم أحد ان يقبلوا مع بنى سلمة فلما نزل
فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقيل هم اناس غابوا عن وقعة بدر فلما راوا
ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا اننا أشهدنا الله قتالنا لئن فاسق
الله اليهم ذلك (وكان عهدها الله مسؤولا) أى عهده في الآخرة (قل ان ينفعكم القرار ان
فررتهم من الموت او القتل) يعنى الذى كتب عليكم لان من حضر أحله مات أو قتل
لا بد من ذلك (واذا لآتمتعون) أى بعد القرار (الاقبلا) أى مدة آجالكم وهى قليل
(قل من ذا الذى يعصمكم) أى ينجيكم (من الله ان أراد بكم سوءا) أى هزيمة (أو أراد
بكم رحمة) أى نصرا (ولا يجيدون لهم من دون الله ولما ولا نصيرا) أى ناصرا اعنيهم
(قد يعلم المعوقين منكم) أى المشبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
(والقاتلين لآخوانهم هلم الينا) أى ارجعوا الينا ودعوا محمد صلى الله عليه وسلم

حارثه من قبل الخندق اومن قبل نضرتهم الى الأحزاب (لا يؤنونا الادبار) مهنه من (وكان عهدها الله مسؤولا) مطولا بما يقتضى
حتى يوفى به (قل لن ينفعكم القرار ان فررتهم من الموت او القتل واذا لآتمتعون الا قليلا) أى ان كان حضر أحدكم لم ينفعكم القرار
وان لم يحضر وفررتهم لم تنفعوا فى الدنيا الا قليلا وهى مدة آعماركم وذلك قليل وعن بعض المرواة انه مريض خاط ماثل فأسرع
فنايت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب (قل من ذا الذى يعصمكم من الله) أى بما أراد الله انزاله بكم (ان أراد بكم سوءا) فى
أنفسكم من قتل أو غيره (أو أراد بكم رحمة) أى اطاله عمرى عافية وسلامة أو من يمنع الله من ان يرجعكم ان أراد بكم رحمة لما فى العصاة
من معنى المنع (ولا يجيدون لهم من دون الله ولما ولا نصيرا) ناصرا (قد يعلم الله المعوقين منكم) أى من يعوق عن نصرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أى يمنعهم والمنافقون (والقاتلين لآخوانهم) فى الظاهر من المسلمين (هلم الينا) أى قروا أنفسكم الينا

ودعوا حمدا وهي لغة اهل الحجاز فانهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة وما تميم فيقولون هـ ياربجل وهلموا ياربجل وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر وقرب (ولا ياتون البأس) أي الحرب (الاقبلا) الا انما قليلا أي يحضرون ساعة رياء ويتقنون قليلا مقدار ما رى شهدوهم ثم ٥٩٦ ينصرفون (اشعجة) جمع شجع وهو البغيل نصب على الحال من الضمير

في ياتون أي ياتون الحرب
يخلأ عليكم بالظفر والغنمة
(فاذا جاء الخوف) من قبل
الاعداء أو منه عليه السلام
(رايتهم ينظرون إليك) في
تلك الحالة (تدروا عليهم) معنا
وشمالا (كالذي يغشى عليه
من الموت) كاي ينظر الغشى
عليه من معالحة سكرات الموت
حذر وخوفا ولو اذابك (فاذا
ذهب الخوف) زال ذلك الخوف
وأمنوا ورجت الغنائم (سلقوكم
بالسنة حداد) خاطبوكم مخاطبة
شد بدو أو دوسها اكلام
خطب مساق فصيح ورجل
ملاق مبالغ في الكلام أي
يقولون وفروا قسمة متافاة قد
شاهدناكم وفاتلنا معكم وعكاننا
غلبتم عدوكم (اشعجة على الخبز)
أي خاطبوكم اشعجة على المال
والغنمة واشعجة حال من فاعل
سلقوكم (أو لئلك لم يؤمنوا) في
الحقيقة بل بالاسنة (فاجبط
الله أعمالهم) أبطل باضماءهم
الكفر ما ظهره ومن الأعمال
(وكان ذلك) اجباط أعمالهم
(على الله يسيرا) هينا (يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا) أي لم يذهبوا
يظنون ان الاحزاب لم يهزموا
ولم ينصرفوا مع أنهم قد انصرفوا

(وان بات الاحزاب) كره ثانية (يودوا لو أنهم يبادون في الاعراب) البادون جمع البادى أي يغنى المنافقون اسوة
لجبنهم أنهم يبادون من المدينة الى البادية حاد لون بين الاعراب لايأنواع الى أنفسهم ويطروا عافيه الخوف من القتال
(يسئلون) كل قادم منهم من جانب المدينة عن أنبيائكم عن أخباركم وعسا جارى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة
وكان يقال (ما قالوا الا قليلا) رياء وسمعة (لتسلك ان لكم في رسول الله

اسوة حسنة) بالضم حيث كان عاصم أى قدوة وهو المؤتى به أى المقتدى به كما تقول فى البيضة عشرون مناحيدا أى
 هى فى نفسها هذا المبلغ من الحميد أو فيه خصالة من حة هان تؤتى بها حيث قابل بنفسه (من كان ير جوا الله واليوم
 الآخر) أى يخاف الله ويخاف اليوم الآخر أو يامل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر قالوا الما يدل من لكم وفيه ضعف لانه
 لا يجوز الدل من ضمير المخاطب وقيل ان يتعلق بحسنة أى اسوة حسنة كآية ٥٩٧

الخوف والرجاء والشدة والرخاء
 (وما رأى المؤمنون الا حزب)
 وعدهم الله ان يرزقوا حتى
 يستقيموه ويستنصروه بقوله
 ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
 يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
 الى قوله قريب قلما جاء الا حزب
 واضطربوا ورعبوا الرب
 الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله
 ورسوله وصدق الله ورسوله
 وعلما ان العلبة والنصرة قد
 وجبت لهم وعن ابن عباس
 رضى الله عنه ما ان النبي صلى
 الله عليه وسلم قال لا يحصاه ان
 الا حزب سائر ون الكفى آخر
 تسع ليل أو عشر فلما رأوهم قد
 أقبلوا لئلا قالوا ذلك وهذا
 إشارة الى الخطب والبلاء وما
 زادهم ما رأوا من اجتماع
 الا حزب عليهم وحيثهم (الا
 ايمان) بالله وبعو اعيده (وتسليما)
 لقضاء الله وقدره (من المؤمنين
 رجال صدقوا ما عاهدوا الله
 عليه) أى فيما عاهدوه وعليه
 تحرق الحار كفى المثل صدقنى
 سن بركة أى صدقنى فى سن
 بركة بغير الحاروا ابطال

اسوة حسنة) أى قدوة والصالحه أى اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تصروا دين الله
 وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كبرت رباعيته
 وجرح وجهه وقتل عمه واوذى بضروب الاذى قصبر وواسا كمع ذلك بنفسه فافعلوا
 أنتم كذلك ايضا واستنوا بسنته (من كان ير جوا الله) يعنى ان الاسوة برسول الله صلى
 الله عليه وسلم لمن كان ير جوا الله قال ابن عباس ير جوا الله (واليوم الآخر) يعنى
 ويخشى يوم البعث الذى فيه الجزاء (وذكر الله كثيرا) أى فى جميع المواطن على السراء
 والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الا حزب فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون
 الا حزب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) أى قالوا ذلك تسليما لئلا يصدىقوا وعد
 (وصدق الله ورسوله) أى فيما وعدوا وهو فى مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله
 الا غرورا وقوله صدق الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فاتهم كانوا يعرفون صدق
 الله ورسوله قبل الوقوع وانما اشارة الى المشارة فى جميع ما وعد فوقع السكل مثل
 فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان الحقهم شدة وبلاء فلما رأوا الا حزب
 وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم
 الا ايمانا) أى تصديقا لله (وتسليما) أى لاهم وقوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا
 ما عاهدوا الله عليه) أى قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أى
 فرغ من نذره وفى عهدده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعنى أجله
 فقتل على الوفاء بعنى حجة وأصحابه وقيل قضى نحبه أى بذل جهده فى الوفاء بالعهد وقيل
 قضى نحبه استشهد يوم بدر وأحد (ومنهم من ينتظر) يعنى من بقى بعد هؤلاء
 المؤمنين ينتظرون أحد الامر من اما الشهادة أو البصر على الأعداء (وما يدلو) يعنى
 عهددهم (تسديلا) عن أنس قال غاب عى أس بن النضر عن قتال بدر فقال
 يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين أنى أشهدنى الله قتال المشركين ليرى
 الله ما صنعت فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم انى اعتذر إليك عما صنعت
 هؤلاء يعنى أصحابه وأرايلى ما صنعت هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن
 معاذ فقال يا سعد بن معاذ الخجة ورب الضم انى أجدر بجهان دون أحد قال سعد بن
 استطعت يا رسول الله ما صنعت قال أنس فوجدناه بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة
 برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فاعرفه أحد الأخوة بيمانه
 قال أنس كنت أرى أوزن ان هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه من المؤمنين رجال صدقوا

السهل نذر رجال من الصحابة أنهم اذا قالوا حارب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقالوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن
 عفان وطحمة وسعيد بن زيد وحجرة ومصعب وغيرهم (فمنهم من قضى نحبه) أى مات شهيدا الكهزة مصعب وقضاء الحب
 صا عصابة عن الموت لا تكل حتى من الخدشات لانه ان يموت فكأنه نذر لا فى رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه أى نذره
 (ومنهم من ينتظر) الموت أى على الشهادة كعثان وطحمة (وما يدلو) العهد (تسديلا) ولا غير هؤلاء المستشهدون لا من ينتظر
 الشهادة وفيه تعريض لمن يدلو ان اهل النفاق يرضى من القلوب كثر فى قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يكونن الاديان

(ليجزي الله الصادقين بصدقهم) يوفائهم بالعهد (و يعذب المنافقين ان شاء) اذا لم يتوبوا (او يتوب عليهم) ان تابوا (ان الله كان غفورا) يقبل التوبة (رحيما) بعفو الحوبة جعل المنافقون كانتهم قصدوا عاقبة السوء و ارادوا بتبذلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق يوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبتهم من الثواب والعقاب فكانما استويا في طلبها والسعي في تحصيلها (ورد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغضهم) حال اى معيظين كقولہ تنبت بالدهن (لم يتوالوا خيرا) ظفرا اى لم يظفروا بالمسلمين و سمعنا خبر اربعهم وهو حال اى غير طافرين (و كفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (و كان الله قويا عزيزا) قادر غالبا (وانزل الذين ظاهروهم) ٩٨ عاونوا الاحزاب (من اهل الكتاب) من بنى قريظة

(من صياصيمهم) من حصونهم الصلبة صلبة ما تحصن به روى ان حبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة اليلة التي ائتمز فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا اسلحتهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متاعبة قريش فقال يا رسول الله ان الله يارك باسمي الى بنى قريظة وانا غامد اليهم فان الله دفعهم ذق البيض على الصفا وانهم اذكهم طعنة فاذن في الناس ان من كان ساهما عطفا فلا يصلى العصر الا في بنى قريظة فخصاصهم خمس وعشرين ليلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرفضوا به فقال سعد حكمت قيسم ان تعتل مقاتلتهم وتبى ذراهم و نساؤهم وكبرا التي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله عن فوق سبعة اربعة ثم استخلفهم وخذلهم في

ما عاهدوا الله عليه الى آخر الآية (ق) عن خطاب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث سنين ووجه الله فوق اجرا على الله فنامن مات ولم ياكل من امره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك غيرة كنا اذا غطيناها برأسه بدت وجلا و اذا غطينا رجليه بدت رأسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي رأسه ونجعل على رجليه من الازخرو مناسن ائتمت له ثم رته فوقع يدها في الغرة كساء ملون من صوف وقوله ونامن ائتمت أى أدركت ونفخت له ثم رته وهو هذه استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يدها أى يحنينها ويقطفها عن أى موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال الا بأسرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نجيته أخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس بن ابي حازم قال رأيت يد طلحة تشلاء وفيها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد قوله عز وجل (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) أى جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد (و يعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم) اى فيجزيهم الى الايمان ويشرح له صدورهم (ان الله كان غفورا رحاما) ورد الله الذين كفروا (اي من قريش وعطفان) (بغضهم) اى لم يشف صدورهم بذيال ما ارادوا (لم يتوالوا خيرا) اى ظفرا (و كفى الله المؤمنين القتال) اى بالملائكة والريح (و كان الله قويا) اى في ملكه (عزيزا) اى فى انتقامه قوله تعالى (وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب) اى عاونوا الاحزاب من قريش وعطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من صياصيمهم) اى من حصونهم ومعافاتهم واحداها صبيحة (وقذف في قلوبهم الرعب) اى الخوف (فريقا) يقتلون يعنى الرجال يقال كانوا استماتة (وناسرون فريقا) يعنى النساء والذراى يقال كانوا ساهمة قبل وخسين (واورثكم ارضهم وديارهم وأموالهم وأرضهم تطوها) يعنى بعد قبيل هي خيبر ويقال انها مكة وقيل فارس والروم وقيل هي كل ارض تقع على المسلمين الى يوم القيامة (و كان الله على كل شى قديرا)

(ذكر غزوة بنى قريظة) قيل كانت فى آخر ذى القعدة سنة خمس وعلى قول البخارى المتقدم غزوة الخندق عن موسى بن عقبة انها كانت فى سنة اربع قال العلماء بالسيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليلة التى انصرف الاحزاب راجعين الى

سوق المدينة خندقا وقدمهم فحضر اعدائهم وهم من غسانة الى تسعماية وقيل كانوا استماتة مقاتل بلادهم مسماة ثمة اسير (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف وبضم العين شامى وعلى ونصب (فريقا) بقوله (يقتلون) وهم الرجال (وناسرون فريقا) وهم النساء والذراى (واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم) اى الموالى والذرية والاشعة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم لها اجرين دون الاتفا و قال لهم نكح من منازلكم (وارضهم تطوها) بقصد القتال وهي مكة او فارس والروم اخيرهم اكل ارض تنفع الى يوم القيامة (و كان الله على كل شى قديرا) قادرا

بالدهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الحندق الى المدينة ووضعوا
 السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم معهما
 بعد ما عمن استبرق على بغلة بيضاء عليها راحة وعابها قطعة من ديباج ورسول الله
 صلى الله عليه وسلم عند ربيب بنت جش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شاة فقال جبريل
 يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة
 السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الا لان الامن طلب القوم وروى انه كان الغبار
 على وجهه جبريل وقمره فعمل النبي صلى الله عليه وسلم مع الغبار عن وجهه ووجهه
 قمره فقال ان الله تعالى يارك بالمسير الى بني قريظة وأنا عامد الى بني قريظة فانزل اليهم
 فاني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزل ولبال فامر النبي صلى الله
 عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا مطعافا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب برأيه اليهم وابتدوها الناس وسار على
 حتى اذا دنوا من الحصون سمع منهم اقامة قبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى
 لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنوا من
 هؤلاء الاغاث قال اذن لك سمعت لي منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال قد رآني لم
 يقولوا من ذلك شيئا فلما دنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان
 القدرة قد أنزلكم الله وأنزل بكم نعمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ورسول الله
 صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل الى بني قريظة فقال هل من بكم
 أحد فقالوا يا رسول الله من بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضاء عليها راحة وقطيفة
 ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل عليه السلام بعث الى بني قريظة برزائل
 بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة
 نزل على بئر من آبارها في ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فاناه رجال بعد صلاة العشاء
 الاخير قولي صلوا العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر الا في بني
 قريظة صلوا العصر بها بعد العشاء الاخرة فساغهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرين ليلة
 حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حبي بن الخطب دخل على بني
 قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وعطفان ووفى لسبع بن أسد ما كان عاهده
 فلما أيقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يباخرهم قال كعب
 ابن أسد يا معشر يهود انكم قد نزل بكم من الأمر ما ترون واني عارض عليكم خذلانا لا نلما
 نخدوا ايها شتم قالوا وما هن قال تابع هذا الرجل ونصه فوالله لقد تبين لكم انه مني
 مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دياركم وأموالكم وانا ناسكم ونساءكم
 فقالوا لا انفارق حكم التوراة أبدا ولا نبتدل به غيره قال فاذا بئتم هذه فلهم فليقتل
 ابناءنا ونساءنا ثم يخرج الى نجد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيف ولا تترك وراءنا نقلا
 يهملنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان هلك نهلك ولم تترك وراءنا شيئا نخشى عليه وان
 ظهر فاعمرى لنخذل النساء والابناء قالوا فقتل هؤلاء الما كين فشا في العيش بعدهم

خبر قال فان أديتم هذه الالية ليلية السبت وانه عسى ان يكون محمداً أصحابه قد آمنوا
 فانزلوا فلعنا ان نصيب من محمداً أصحابه غرة قالوا انفسد سببنا ونحدث فيه ما لم يكن
 أحدث فيه من قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل
 منك منذ ولادته أمه حازم الالية من الدهر ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان ابعث لنا ابابا بن عبد المذزر اخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس فاستشيره
 في أمرنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال والنساء
 والصبان فيكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا ابابا بن عبد المذزر ان ننزل على حكم محمد قال نعم
 وأشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابوبابا بن عبد المذزر اننا نزال على حكم محمد قال نعم
 خذت الله ورسوله ثم انطلق ابوبابا بن عبد المذزر الى بني قريظة وحجه ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ربه
 في المسجد الى عود من عده وقال والله لا أبرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت
 وعاهد الله لا يبطأ أرض بني قريظة أبداً ولا يراني الله في بلاد قد خذت الله ورسوله فيه أبداً
 فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال اماله قد جاءني لاستغفر له
 قالوا اذ فعل فلما ابابا بن عبد المذزر اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله انزل توبة أبو
 بابا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت ثم تحكمت يا رسول الله أنضحك الله سنك قال تب
 على أبي بابا وتقتل الأباشر بذلك يا رسول الله قال بل ان شئت قال فقامت على باب
 حجر تراء ذلك قبل ان يضرب علي بن الحباب فقالت يا ابابا ابشر فقد تاب الله عليك
 قال فثار الناس اليه لبطاقه فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطأقني بيده
 فلما رجع عليه خارجا الى النجج اطلعه قال ثم ان ثعلبة بن سعيد واسيد بن سعيد واسيد بن
 عبيد بن جهم نفر من بني هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من فوق ذلك هم بنو
 عم القوم أسلموا تلك الالية التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وخرج في تلك الالية عمرو بن السعدى النرطلى فخرج رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الا ان ادى تلك الالية فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن السعدى
 وكان عمرو وقد ابى ان يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
 لا اغدر بمحمد صلى الله عليه وسلم ابداً فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تقربني من عنرات
 الكرام لمخني سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 المدينة تلك الالية ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من أرض الله فذكر لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم شانه فقال ذلك رجل شفاء الله بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان أوثق برمة
 فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبحت رمتيه
 مائة ولا يدري أين ذهب فقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا
 نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوا ثب الاوس وقالوا يا رسول الله انهم
 هو الينسادون الحزرج وقد فعلت في موالى الحزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الحزرج

فنزل على حكمه فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوهمهم له فلما كلفه الاوس قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا
 بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده
 في خيمة امرأه من المسلمين يقال لها ربيعة وكانت تدأوى الجرحى وتحتسب نفسها على
 خدمته من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه
 حين أصابه السهم بالحنديق اجعلوا له في خيمته رفيدة حتى أعوده من حرب فلما حكمه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه فخلعوه على جوار قد وطؤ الوساة
 من آدم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون
 يا باعبر وأحسن في موائلك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لأحسن
 فيهم فلما أكثر واعليه قال قد أنسعد أن لا تأخذ في الله لومة لائم فرجع بعضهم
 كان معهم قومه الى دار بني الاشهل فبقي لهم رجل بني قريظة قبل أن يصل اليهم
 سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال قومه والى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا باعبر وان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قد ولاك موائلك فتدرك فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم
 فيهم ما حكمت فانوا نعم قال وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلا لاله فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم نعم قال سعد فاني أحكم فيهم ان يقتل الرجال ويقسم الاموال وتسيب الذراري
 والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعداكم حكمت بحكم الله من فوق سبعة
 أرطعة ثم استأثروا بحبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث من نساء بني
 النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم
 فحنديق بها خنادق ثم بعث اليهم فضربت اعناقهم في تلك الخنادق فخرج بهم اربالا
 وفيهم عدو الله ورسوله حي بن اخطب وكعب بن اسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة
 والمكثرون يقول كانوا بين الثمان مائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن اسد و
 يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال اني
 كل موطن لا تعقلون الا ترون الداعي لا يترع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو
 والله انقل فلم يزل ذلك الداب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأتى يحيى بن
 اخطب عدو الله وعليه حلة نباحية فدرشقها عليه من كل ناحية كد وضع الاغنة أغلته أغلته
 اثلاثا سلبها مجموعة باده الى عنقه فجعل فلما انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 والله ما كنت نفسي في عداوتك ولكنك من تحذل الله تحذل ثم أقبل على الناس فقال ايها
 الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقد روه لكم كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضرب
 عنقه وروى عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة الا امرأه واحدة قالت والله انها
 لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم
 بالسيف اذ هتف ها تف يا معشر ابن فلانة قالت نا والله ما كنت ولاك مالك قالت اقول
 قلت ولم قالت حدثنا أحد نته قالت فانظري بها فضرب بعنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى

وجميع ما طيب نفس وكثرة خصالهم وقدر قوتها تسبق قال الواقدي وكان اسم المرأة
 سنانة امرأة الحكم القرطبي وكانت قتلت خدادين سويد قال وكان علي والزبير
 ضمر بان أعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن
 اسحق عن الزهري أن الزبير بن عواظ القرطبي وبكشي أباع عبد الرحمن كان قد قدم على
 ثابت بن قيس بن شماس في الحامية يوم بعث أخذه فخرنا صيته ثم خلى بسبيله فباعه
 يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجادل مثلي مثلك
 قال اني اريد أن أجز بك بيدك عندي قال ان الكرم يجزي الكرم قال ثم اتى ثابت
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يدوله على مئة
 وقد احدثت أن أجز به بها فذهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه
 فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمي قال شيخ كبير لا له ولا ولد
 فباعني بالحياة فاني ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اهلكه وأولاده
 فقال هم لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني امرأته ولدت لهم ثلاث
 فقال اهل بيتي بالجواز لا مال لهم فباعها فذهبهم على ذلك فاني ثابت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال ماله يا رسول الله قال هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قد اعطاني مالاً فهو لك فقال اي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مراً وصديقه تراءى
 فيه عذاري المحبي كعب بن اسد قال قتيل قال فما فعل مقدمتنا اذا شدنا وحامتنا اذا
 كثرنا عزال بن شموال قال قتيل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني
 عمرو بن قريظة فقال قتلوا قال فاني أسألك سيدى عندك يا ثابت الاما لحقتي باليوم
 فوالله ما في العيش بعده هؤلاء من خير فباتا برحتي التي الاحبة فقد دمه ثابت
 فخرت عنقه فاما ابنا بكر الصديق قوله حتى يلقى الاحبة قال بناتهم والله قد ار
 جهنهم خالد اخذ ابداً قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ام بقتل من اذنتهم
 ثم قسم اموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين وأغنم في ذلك اليوم سبعمائة لخيـ
 ل وسبعمائة لرجال فكان للفرس ثلاثة أسهم سبعمائة للفرس ولقارسة سبعمائة وللراجل من
 ليس له فرس سبعمائة وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً وكان أول يوم وقع فيه السهمان ثم
 بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري أخا بني الاشهل بسببا يامن
 سببا يابني قريظة الى نجد فاتباعه بهم خيلاً وسلاحاً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قد اصطفى لنفسه من نسائهم رجلاً فبنت عمرو بن خناسة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة
 فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يجرس على ان يزوجه او يضرب عليها الحجاب فبات يا رسول الله بل
 تركني في ملكك فهو أخف علي وعليه ففررها وقد كانت حين سبها اكرهت الاسلام
 وابت الا اليهودية ففرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدني في نفسه بذلك من أمرها
 فينما هو بين اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا التعلية بن شعبة يشرك في اسلام
 ورجلانة فباعه فقال يا رسول الله قد سلمت رجلاً فبنته فسر ذلك فلما قضى شأن بني قريظة

(باليها النبي قل لازواجك ان كنتم تردن الحيوة الدنيا فزيناها) ٦٠٣ أي السعة في الدنيا وكثرة الاموال (فتعالين)

أصل تعال أن يقوله من في
المكان المرتفع لمن في المكان
المستوى ثم كثر حتى استوى
في استعماله الامكنة ومعنى
تعالين اقبلين بارد اسكنين
واختياركن لاحد الامرين
ولم يردنهوضهن اليه بانفسهن
كقوله قام بهدنى (أمتعنك)
أعطيك متعة الطلاق وتسحب
المتعة لكل مطلقه الا الفوضة
قبل الوطء (واسرحكن) وأطلقكن
(سراحا جسيلا) لاضرار فيه
أردن شيان الدنيا من ثياب
وزيادة نفقة وتعارين فمع ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فترلت فبدأ بعائشة رضي الله
عنها وكانت أحبهن اليه فخيرها
وقرأ عليها القرآن فاختارت الله
ورسوله والدار الآخرة فرؤى
الفرح في وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم اختار جمعتهن
اختياره واروى انه قال لعائشة
ان إذا كركا امرأ ولا عليك ان
لتجئني فيه حتى تستامري
أبو بكر ثم قرأ عليها القرآن
فقالت اني هذا استأمر أبوي
فاني ارى الله ورسوله والدار
الآخرة وحكم التخيير في الطلاق
انه اذا قال لها اختاري فقالت
اخترت نفسي ان تقع تطليقة بآئنة
واذا اختارت زوجهما لم تقع شئ
وعن علي رضي الله عنه اذا
اختارت زوجها فواحدة
رجعية وان اختارت نفسها

انتهى جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد ان حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك
قد علمت انهم يكن قوم احب الى أن اجاهدهم من قوم كذبوا ووسلوا لله من ان كنت
أقيمت من حرب قريش على رسولك شيئا فبقى له وان كنت قد قطعت الحرب بينه
وبينهم فاقضني البتة فانتهى جرحه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته التي
ضربت عليه في المسجد فالت عاتشة فخره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر
وعمر فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء ابى بكر وانى لى جري قالت
وكانوا كما قال الله تعالى فيهم رجاء بينهم (خ) عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلي الأحزاب الا أن نفرزهم ولا يغز وناخن نسير اليهم
(ق) عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده
لا شريك له أعز عنده وضرر عنده وهزم الاحزاب وحده فلا شئ بعده قوله تعالى (يا ايها
النبي قل لازواجك ان كنتم تردن الحيوة الدنيا فزيناها) فزيناها تعالين أمتعنك أي متعة
الطلاق (واسرحكن سراحا جسيلا) أي من غير ضرر (وان كنتم تردن الله ورسوله والدار
الآخرة فان الله اعلم بحسنات من كن أجرا عظيمها) سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي
صلى الله عليه وسلم سألهن عن عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذنه بغيره
بعضهن على بعض ففهرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى ان لا يقر بهن شهرا ولم
يخرج الى احبائه فقاموا ماشية وكانوا يقولون طاق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه
فقال عمر لا علم لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله أطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طاق رسول
الله صلى الله عليه وسلم نساءه فأقرنل فاجبرهم انك لم تطلتهن قال نعم ان شئت فسمت
على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطاق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ووزلت
هذه الآية ولوردوه الى الرسول وآلى أولى الامر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم فكنت
انما استنبطت هذا الامر وانزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة
بنت أبى سفيان وأم سلمة بنت أبى أمية وسودة بنت زمعة وأروى بنت عبد المطلب وهن
ز بنات بنت جحش الاسديّة وميمونة بنت الحارث المخزوميّة وصفية بنت حيي بن أخطب
التخيريّة وقوجو برة بنت الحارث المظلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله
والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاب عنها على ذلك
فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحفل لك
النساء من بعد (م) عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوجد الناس جالسا سبابا يعلم يؤذن لاحد منهم فاذن لابي بكر فدخل ثم
أقبل عمر فاستأذن فاذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه
واجاسا كتاف قال لا قولن شيئا أضلن به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله

فولم تحدها شئ (وان كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعلم بحسنات من كن من اللبان لا للبعيض (اجرا عظيما)

لقد رأيت بنت خارجة سالتني النفقة فقلت اليها فوجأت دنتها ففعلت النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال من حولي كثر يري سألني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة فوجأ عنقه هاو قام عر
 الى حفصة فوجأ عنقه كما هما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس
 عنده فان والله لا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ أبدا ليس عنده ثم اعترض
 شهرا أو تسعاً وعشرين حتى نزلت هذه الآية يا أيها النبي قبل لا تزوجك ان كنتن حتى
 يبلغ لك السنات منك ان أجزأه ما قال فبعد أبعثت فقال يا عائشة اني أريد ان اعرض
 عليك أماً أحب ان لا تعجلي فيهم حتى تستشيري أباي بك قالت وما هو يا رسول الله فقال
 عليا الآية قالت أفبذلك يا رسول الله أستشير أباي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة
 واسألت ان لا تختبر امرأة من نسائك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة ممن الا أخبرتها
 ان الله لم يعنى معنتا ولا متعتا ولكن يعنى معلما مشراقوا واجبا أي مهتما والواجب
 الذي أسكته المصنف وعلمه النكاح وقيل الوجوم الخزن قوله فوجأت عنقه أي دققته
 وقوله لم يعنى معنتا لعنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهري ان النبي صلى الله عليه
 وسلم أقيم ان لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة قالت
 لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بداني فقلت
 يا رسول الله أفسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن
 قال ان الشهر تسع وعشرون

يا نساء النبي من أت منكن
 بفاحشة سنة بلغة في التبع
 (مبينة) ظاهر فحشها من بين
 عني تبين ونفخ الياء كي وأبو
 بكر قيل هي عصيان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ونشوزهن
 وقيل الزنا والله عاصم رسوله من

ذلك

(نصل في حكم الآية) اختلف العلماء في هذا الميار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن
 حتى يتبع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقادة وأكثراهل العلم الى انه لم يكن
 تفويض الطلاق وانماخيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فاقرهن لقوله تعالى فتعالم
 امتهكن وأسرحكن بديله انه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال لعائشة لا تعجلي حتى
 تستشيري أباي وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى انه كان
 تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقاً التقريع على حكم الآية باختلاف اهل العلم
 في حكم التخيير فقال عمرو ابن مسعود وابو عباس اذاخير الرجل امرأته فاخترت زوجها
 لا يقع شيء وان اختارت نفسها يقع طلاقه واحدة وقول عمر بن عبد العزيز لو ان ابلي
 وسفيان والشافعي واصحاب الرأي الا ان عند اصحاب الرأي يقع طلاقه بائنة اذا اختارت
 نفسها وعند الاخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلاقه واحدة
 واذا اختارت نفسها فم ثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي انها اذا اختارت
 زوجها يقع طلاقه واحدة واذا اختارت نفسها فطلقت بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت
 زوجها لا يقع شيء (ق) عن مسروق قال ما بالي اخيرت امرأتى واحدة أو مائة أو ألفا بعد ان
 تختارني ولقد سألت عائشة رضي الله عنها فقالت خير يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما
 كان طلاقا وفي رواية فاخبرناه فلم يعد ذلك شيأ بقوله تعالى (يا نساء النبي من أت منكن
 بفاحشة مبينة) أي بعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن اشركت يعطن علك لأن منهن

(يضاعف لها العذاب) يضاعف لها العذاب مكي وشامى تضعف أبو عمر ووزيد وبعثوب (ضعفين) ضعف في عذاب غيره من النساء لان ما فيهن من سائر النساء كان اقبح منهن فزيادة تعذيب المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كان الذم للعاصي العالم الشدة من العاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذا فضل حد الاحرار على البيد ولا يرجم الكافر (وكان ذلك) أى تضعف العذاب عليهن (على الله يسيرا) هيئنا (ومن يفت منسكن لله ورسوله) القنوت الطاعة (وتعمل صالحا نؤتيها) وبإلها فيهما حجة وعلى ٦٠٥ (أجرهم زين) مثل ثواب غيرها (واعتدنا

لهارزقا كرميا) جليل القدر وهو الجنة (بانساء التي لستن كأحد من النساء) أى لستن بكماعة واحدة من جماعات النساء اذا قصبت امة النساء جماعة جماعت لم توجد من جماعة واحدة تساويكن في الفضل وأحدى الاصل معنى وحدوه والواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه (ان اتقيت) ان اردت التقوى وان كنت متقيات (فلا تخضعن بالقول) أى اذا كنتم الرجال من وراء الحجاب فلا تبحثن بقولكن خاضعا أى ليناخذن مثل كلام المربيات (فقطعن) بالنصب على جواب النهى (الذى في قلبه مرض) رية وخجور (وقلن قولنا معروف) حذنا مع كونه خشنا (وقرن) مدنى وعاصم غير هبيرة وأصله افرون فحذفت الراء تخفيفا والقيت فتحتها على ما قبلها أو من قار بقار اذا اجتمع والساوقون قرن من وقر بقر وقار او من قري بقر حذفت الاولى من رأى

من أنت فباحشة فان الله تعالى صان أزواج الانبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة الذنور وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) أى مثلين وسبب تضعيف العقوبتين لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرمة على الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكذلك أزواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة الحرمة الى الامة (وكان ذلك على الله يسيرا) أى عذابها (ومن يفت منسكن لله ورسوله) أى قطع الله ورسوله (وتعمل صالحا نؤتيها أجرهم زين) أى مثل أجر غيرها قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن اشرف نساء المسلمين (واعتدنا لهما رزقا كريما) يعنى الجنة قوله تعالى (بانساء التي لستن كأحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس قدر كن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن أكرم على وأوابكن أعظم لدى (ان اتقيت) يعنى الله فاطعته فان الاكرم عند الله هو الاتقى (فلا تخضعن بالقول) أى لاتبين بالقول للرجال ولا ترقن الكلام (فيطمع الذى في قلبه مرض) أى بخوروشه وقيل ففاق والمعنى لا تقلن قولنا بحسد المنافق والفاجر بهيلا الى الطمع فيمكن والمرأة عند دونه الى العظامة في المقال اذا خاطبت الا طاب لفتح الامام عيين (وقلن قولنا معروف) أى بوجهه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل بالقول المعروف ذكرا لله تعالى قوله عز وجل (وقرن في بيوتكن) أى الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوفا رأى كن أهل وقار وسكون (ولا تبرجن تبرج) قيل هو التكبر والتعجب والتجبر وقيل هو اظهار الزينة وازاها الحسن للرجال (المجاهدية الاولى) قيل المجاهلية الاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس خضامان الدر غير مخيط المجانبين فبري خلة هامة وقيل كان في زمن غرود الجبار كانت المرأة تختد الدرع من الاؤلؤ فلبسه وتشمى به وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس المجاهلية الاولى ما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وقيل ان بطين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان احدهما يسكن السهل والاخر سكن الجبل وكانت رجال الجبال صابحا وفي النساء دما مة وكان نساء السهل

اقررن فراوان التذكروا وتقلت كسرتها الى العفاف (في بيوتكن) بضم الباء بصرى ومدنى وحفص (ولا تبرجن تبرج) المجاهلية الاولى) أى القديمة والتبرج التبختر في المشى واظهار الزينة والتقدير ولا تبرجن تبرجا مثل تبرج النساء في المجاهلية الاولى وهى الزمان الذى ولد فيه ابراهيم وابراهيم آدم ونوح عليهما السلام أو زمن داود وسليمان والمجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام أو المجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والمجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام

(واقن الصلوة وتبين الزكوة وأطعن الله ورسوله) ٦٠٦ خص الصلوة والزكاة بالاثم ثم بجميع الطاعات تفضيلا لها

صاحبا وفي الرجال دمامة وإن ابليس أتى رجلا من أهل السهل واجهه نفسه وكان يتخذه
واتخذ شيئا مثل الذي يترهبه الرعاة فباء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله
فأثروهم يستمعون الله واتخذوا عيدا يحتفلون الله في السنة فقتبر رج النساء الرجال
وتزين الرجال لهم وإن رجلا من أهل الجبل هجمهاهم في عيدهم ذلك فرأى النساء
وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك ففعلوا إليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن
فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وقيل الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام
والجاهلية الأخيرة قوم يهملون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل فتدثر كراوى
وأن لم تكن لها أخرى (واقن الصلوة) أى الواجبة (وآذ من الزكوة) أى المفروضة
(وأطعن الله ورسوله) أى فيما أمر وفيما نهى (أنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس)
أى الأثم الذى نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعنى عمل الشيطان وما ليس
لله فيه رضا وقيل الرجس الشك وقيل السوء (أهل البيت ويظهركم تطهيرا) هم نساء
النبي صلى الله عليه وسلم لأنهن في بيته وهو روابه سعد بن جبر عن ابن عباس وتلا قوله
تعالى وإذا كن مائة فى بيوتكم من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل
وذهب أبو سعيد الخدرى وجاعة من التابعين منهم مجاهد وقادة وغيرهم إلى أنهم على
فاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم يدل عليه ما روى عن عائشة أم المؤمنين قالت
خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس
فأتته فاطمة فأدخله فبه ثم جاء على فأدخله فبه ثم جاء الحسن فأدخله فبه ثم جاء الحسين
فأدخله فبه ثم قال أنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا
آخرجه مسلم المرحط الكساء والمرحل بالحاء المتروك على صور الرجال وبالجمجمة النقوش
عليه صور المرأى عن أم سلمة قالت أن هذه الآية نزلت في بيتنا أنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول
الله ألبست من أهل البيت فقال إنك إلى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
قالت وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى فاطمة وحسن وحسين فجالهم
بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه
الترمذى وقال حديث صحيح غريب عن أس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول الصلاة بأهل البيت أنما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا أخرجه الترمذى وقال
حديث حسن غريب وقال زيد بن أرقم أهل البيت من حرم الصدقة بعده على وآل
عقيل وآل جعفر وآل عباس قوله تعالى (وإذا كن مائة فى بيوتكم من آيات الله)
يعنى القرآن (والحكمة) قيل هى السنة وقيل هى أحكام القرآن ومواعظه (إن الله
كان لطيفا) أى بأوليائه وأهل طاعته (حجيرا) أى بجميع خلقه وقوله عز وجل (إن
المسلمين والمسلمات) الآية وذلك أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله
ذكر الله الرجال فى القرآن ولم يذكر النساء بخير فإني أخيرن ذكره بالخفاف لا لتقبل

لأن من واجب عليهم ما جرتأه إلى
ما وراء عما (أنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت)
نصب على النداء أو على المدح
وقية دليل على أن نساء من أهل
بيته وقال عنكم لأنه أريد الرجال
والنساء من آله بدلالة (ويظهركم
تطهيرا) من نجاسة الأثام
ثم بين أنه أنما نساء وأمرهن
ووعظهن ثلاثا يقارف أهل بيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
المائة ثم وليتصونوا عن بالثقة
واستعار للذنوب الرجس
والثقة الطهر لأن عرض
المقترفة للثقة يجتات يتلوث بها
كيتلوث بدنه بالار جاس واما
النجس ثبات قاله عرض منها نقي
كل ثوب الصا هروفيه تفر لا لوى
الالباب عن المناهى وترغب
لهم فى الاوامر (وإذا كن مائة فى
فى بيوتكم من آيات الله)
القرآن (والحكمة) أى السنة
أويين معانى القرآن (إن الله
كان لطيفا) عالما بغوامض
الاشياء (خبرا) عالما بحقائقها
أى هو عالم بأفعال لكن واقوا لكن
فاحذرن مخالفة أمره ونهيه
ومعصية رسوله ومنازل نساء
النبي صلى الله عليه وسلم منازل
قال نساء المسلمين فأنزل فبنائى
فتزلت (إن المسلمين والمسلمات)
المسلم الداخل فى السلم بعد
الحرب المقاد الذى لا يعادوا
المفوض أمره إلى الله المتوكل
عليه من أسلم وجهه إلى الله

(والمؤمنين) المصدقين بالله ورسوله وعما يجب أن يصدق به ٢٠٧ (والمؤمنات والقانتين) القائمات بالطاعة (والقانتات

مطاعة) فانزل الله هذه الآية عن أم عارة الانصارية قالت آمنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما قلت مالي أرى كل شيء في الرجل وما أرى النساء إذ كن شيء فنزلت ان المسلمين والمسلمات أخرجه الترمذي وقال حديث عريب وقيل أن أم سلمة بنت أبي أمية وابنة بنت كعب الانصارية قالت النبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه ونحشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروى أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا قالت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء في خيمة وخسار قال وعم ذلك قالت لانهن لم يذكرن بخير كما ذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات قد كن عشر مراتب مع الرجال فمدحهن بهما معهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما رآه أمه الله تعالى وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله (والمؤمنتين والمؤمنات) الثالثة الطاعة وهو قوله (والقانتين والقانتات) الرابعة الصدق في الأقوال والأفعال وهو قوله (والصادقات) الخامسة الصبر على ما أمر الله به وسر وهو قوله (والصابرين والصابرات) السادسة الخشوع في الصلاة وهوان لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله (والخاشعين والخاشعات) السابعة الصدقة عمارق الله وهو قوله (والمصدقين والمتصدقات) الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله (والصائمات) التاسعة العفة وهو قوله (والحافظين فروجهن) يعني عالا ليل (والحافظات) العاشرة كثرة الذكر وهو قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وقيل لا يكون العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبقت المفردون قائلوا يا رسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن أبي رباح من قوض أمره إلى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن أقر بان الله ربه ومحمد رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل اسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر ايام البيض وهي الثلاث عشرة والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصائمات والصائمات ومن حفظ فرجه مما لا يعل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهن والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (أعد الله لهم مغفرة) أي يحوذونهم (وأجر عظيم) يعني الجنة قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة

أي وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة إذا قضى الله ورسوله) أي رسول الله (أمر) من الأمور (أن تكون لهم الخيرة

من أمرهم) ان يختار وان أمرهم ماشاؤا بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تعارايه واختيارهم تلو الاختياره فقالا لارضنا
 يا رسول الله فانكجهما ماه ساق عنه اليهما رهوا وانما جاع الضمير فيهم وان كان من حقهم ان يوحدلان المذكورين وقعا
 تحت النقي فعما كل مؤمن ومؤمنة ترجع ٦٠٨ الضمير الى المعنى لا الى اللفظ ويكون بالياء كوفي والخيرة ما يختير ودل

ذلك على ان الامر لاو جواب
 (ومن بعض الله ورسوله فقد
 صل صلاحا لامينا) فان كان
 العصيان عصيانا رد وامتناع
 عن القبول فهو ضلال كهر
 وان كان عصيانا فعل مع قبول
 الامر واعتقاد الوجوب فهو
 ضلال خصاصق (واذ تقول
 لا الذي انعم الله عليه) بالاسلام
 الذي هو اجل النعمة (وانعمت
 عليه) بالاعتاق والتبني فهو
 مقلب في نعمة الله ونعمة رسوله
 وهو زيد بن حارثة (امسك عليك
 زوجك) زيد بن بنت حشش وذلك
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اصبرها بعد ما انكحها اياه فوئعت
 في نفسه فقال سبحانه الله مقلب
 القلوب وذلك ان نفسه كانت
 تحبه وعما قبل ذلك لا تريد
 وسمعت زيد بن بنت حشش
 فذكرها لزيد فظن والى الله
 في نفسه كراهة نكبتها والرغبة
 عنها الرسول الله فقال لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم اني اريد
 ان افارق صاحبتي فقال مالك
 ارايك من شئت قال لا والله
 ما ارايت منها الا خيرا والى الله
 تتعظم على شرفها ووذني

من أمرهم) نزلت هذه الآية في زيد بن حشش الاسدي وأخيه عبد الله بن حشش
 وأمه أمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي صلى
 الله عليه وسلم خطب زيد بن مولاة زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اشترى زيد بن مولاة الجاهلية بمكاف وأعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 زيد بن حشش وعلمت انه يخطفها لنفسه فلما علمت انه يخطفها لزيد بن حارثة أبت وقالت
 أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة وفيها احدة وكذلك كره
 أخوها ذلك فانزل الله تعالى وما كان مؤمن يعني عبد الله بن حشش ولا مؤمنة يعني
 أخته زيد بن اذ اقضى الله ورسوله أمره اني نكاح زيد بن بنت حشش ان تكون لهم المحرمات من
 أمرهم أى الاختيار على ما قضى والمعنى ان زيد بن حشش ما اراد الله ان يمتحن بها أمر الله
 ورسوله به (ومن بعض الله ورسوله فقد صل صلاحا لامينا) أى اخطأ خطأ طاهر فلما
 سمعت بذلك زيد بن وأخوها رضيا وسلموا جعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فانكحها فزيد دخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين
 درهما واختار ودرعا وخففة وخمين مدام طعام وثلاثين صاعا من تمر قوله
 عز وجل (واذ تقول لا الذي انعم الله عليه) وانعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية
 نزلت في زيد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها من زيد مكثت عنده
 حينئذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زيد بن في درع
 وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش وقعت في نفسه وأعجبها حسنها
 فقال سبحانه الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكر له ذلك فظن زيد والى في
 نفسه كراهية بها في الوقت واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق
 صاحبتي فقال له مالك ارايك من شئت قال لا والله ما ارايت منها الا خيرا
 ولما نزلت تعظم على شرفها ووذني لسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمسك
 عليك زوجك واتى الله في أمرها ثم ان زيد اطلقها فذلك قوله عز وجل (واذ تقول لا الذي
 انعم الله عليه) أى بالاسلام وانعمت عليه أى بالاعتاق وهو زيد بن حارثة ومولاة أمسك
 عليك زوجك يعني زيد بن بنت حشش (واتى الله) أى فيها ولا تفارقها (وتحفي في نفسك)
 أى سر وتضمه في نفسك (ما الله مبدي) أى مظهره قيل كان في قلبه لو فارقتها تزوجها
 قال ابن عباس - جهوا وقيل - ودأته طلقها (وتخشي الناس) قال ابن عباس - تخشيمهم وقيل
 تخشاف لا تختم - ان يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها (والله أحق ان تخشاه) قال

فقال له أمسك عليك زوجك (واتى الله) فلا تطلقها وهو نهي تنزيها لا لاطلاق أو واتى الله فلا تذهبا
 بالنسبة الى الكبير وأدى الزوج (وتحفي في نفسك ما الله مبدي) أى تحفي في نفسك نكاحها ان طلقها زيدا وهو الذى أبداه
 الله تعالى وقيل الذى أخفى في نفسه تعالى قلبها ومودة مفارقة زيدا باها والواو تحفي في نفسك (وتخشي الناس) أى
 قاله الناس انه نكح امرأته بعد ما والله أحق ان تخشاه) واو الحال أى تقول لزيد أمسك عليك زوجك تخشفا في نفسك ارادة ان
 لا يمسكها وتحفي خاشعا قاله الناصر وتنهى الناس حقيقة في ذلك بأن تخشى الله وعن عائشة رضى الله عنها

عبروا بين منة وودعاً شاة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه
من هذه الآية وعن عائشة قالت لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي لكنتم
هذه الآية واذ تقول للذي أنعم الله عليه وانعمت عليه أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب

(فصل) فإن قامت ماذ كروه في تفسير هذه الآية بسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب
النبي صلى الله عليه وسلم عندما رآها أو أرادته طلاقاً زيد لها فيه أعظم الحرج وما لا يليق
بغضبه صلى الله عليه وسلم من مدعيته لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا
أقدام عظيم من قائله وقلة معرفته بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال
وأها فحتمت وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحجبن منه صلى الله
عليه وسلم وهو زوجها لا يملك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيدا
بأمساكها وهو يحب تطليقها أياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا الباب
ما روى عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألني زين العابدين علي بن
الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتحتفي في نفسك ما الله مبديه وتحتفي الناس
والله أحق أن يتخشاها قلت يقول لما جاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله أني أريد أن أطلق زينب أم سلمة ذلك وقال أم سلمة عليك زوجك وأبق الله
فقال علي بن الحسين ليس كذلك فإن الله عز وجل قد أعلمها أنها ستكون من أزواجه
وأن زيد أسقطها فلما جاء زيد قال اني أريد أن أطلقها قال له أم سلمة عليك زوجك
فعاث به الله تعالى وقال لم قلت أم سلمة عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من
أزواجك وهذا هو الأولى والأليق بحال الانبياء وهو ما بقى للتلاوة لأن الله تعالى أعلم
أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقتل الله تعالى زوجها كما فعلوا كان
الذي أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو أرادته طلاقاً لكان يظهر ذلك لأنه
لا يجوز أن يخبر الله أنه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على أنه أعما وتب على إخفاء ما أعلمه
الله أنها ستكون زوجته وانما أخفى ذلك استحياءاً لا يخبر زيداً ان التي تحتك وفي
نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضى وكمن شيء يفتقه منه الانسان
ويستحي من اطلاع الناس عليه وفي نفسه مباح متبع وحلال طاق لا مقال فيه
ولا عيب عند الله و بما كان الدخول في ذلك المباح سلماً الى حلال واجبات يعظم
أثره في الدين وهو انما جعل الله طلاقاً زيداً وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم أياها
لأن حرمة التبني وإبطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد أباً احدهم من رجالكم وقال
لكيلا يكون على المؤمنين من حرج في أزواج أدعيائهم فان قلت فما الفائدة في أمر النبي
صلى الله عليه وسلم بذاها كما قلت هو ان الله تعالى أعلم بنية أم سلمة زوجته فنهاه
النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي
قول الناس يتزوج امرأة الله فامر الله تعالى بزواجه المباح مثل ذلك لامته وقيل كان في
أمرها مساكناً فعمل الله وورداً للنفس عن هواها وهذا اذا جازنا القول المتقدم الذي

لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ما أوحى إليه ليكنتم هذه الآية (فلما قضى زيد منها وطرا) الطور الحاجة فإذا بلغ البالغ حاجته من شيء زاد فيه همة قبل قضيه منه وطره والمعنى فلما لم يقض زيد فيها حاجة وتقصرت عنها همة وطلقها وانقضت عتدتها (زوجنا كلها) روى أنها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ما أجد أحدا أو ثقي في نفسي منكم أخطب على زيد بنب قال زيد فإذ فاطمت وقلت يا زيد أبشر يا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبك ففرحت وترجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أوم على امرأته من فاساء ما أوم عليها فبعضت أو طعم الناس الخبز والحم حتى امتد النهار (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أفراح أديعائهم إذا تزواوا منهم وطرا) قيل قضاء الطور ادراك الحاجة وبلوغ المراد منه (وكان أمر الله) الذي يريد أن يكونه (منه عولا) مكرونا لا إخلاله وهو مثل ما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بنب (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أحل له وأمره وهو نكاح زيد امرأته زيد أو قدر له من عتد النساء

ذكره المفسرون وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها زيد ومثل ذلك لا يقدح في حال الانبعاث مع أن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الأشياء وأنه رآها خفا فاستسرها ومثل هذا لا ينكر فيه لمسايطع عليه البشر من استحسن الحسن ونظرة الفجأة عن عونها ما لم يقصد ما عبالان أو دود ميل النفس من طبع البشر والله أعلم وقوله أمسك عليك زوجك وأتق الله أمر بالمعروف وهو حسن الأئمة فيه وقوله والله أحق أن تحضاهم برده الله لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه الصلاة والسلام قد قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولكنه لما ذكر الحشية من الناس ذكر أن الله أحق بالحشية في عوم الأحوال في جميع الأشياء وقوله عز وجل (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتقصرت همة عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عتدتها وذكر قضاء الطور ليعلم أن زوجة المتبني تحل بعد الدخول بها (زوجنا كلها) قال أنس كانت زينب تفتقر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أبأؤ كن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني لأدرك عليك ثلاث ما من امرأة من نساءك تدل بين جدى وجدك واحد وإني أنكرتك الله في السماء وإن السفير جبريل عليه السلام (م) عن أنس قال لما انقضت عتد زيد بنب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذهب فأذكرها على قال فاطمات زيد حتى أتاهوا وهي تحمر عيها قال فلما رأيتها عظمت في صدرى حتى ما تستطيع أن انظر إليها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فاوليتها يظهرى ونسكت على عقي فقلت يا زينب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما لنا بصانعة تشأى أختي أو امرأتى فقامت إلى مسجد بها ونزل الترتل ونجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن قال فلقد رأيتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمنا بالخبر والأعم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقى أنس يتدثرون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتبعهم جبرئيل بنب سلم عليهم ويقول يا رسول الله كيف وجدت أهالك قال فإأدرى أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أم غيري قال فاطمات حتى دخل البيت وذهبت لأدخل معها فإني السريينى وبينه ونزل الحجاب (ق) عن أنس قال ما أوم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نساءه ما أوم على زيد بنب أول ما شافه في رواية أكثر وأفضل ما أوم على زيد بنب قال ثابت بن أوفى قال أومهم خبر أو لم يخبرني تركه قوله عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أفراح أديعائهم) جمع الديعي وهو المتبني (إذا تزواوا منهم وطرا) يقول زوجك الذي بنب وهى امرأته زيد الذي كنت تبنيه ليعلم أن زوجة المتبني حلال للمتبني وإن كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأته التي الأصل فأنها لا تحل للاب (وكان أمر الله من عولا) أي قضاء الله ما مضى وحكمه نافذا وقد قضى في زيد أن تزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أي فيما أحل الله له من النكاح وغيره

(سنة الله) اسم موضوع وموضع المصدر كقوله ما كان على النبي من حرج كانه قبل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا حرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب التكاح وغيره وقد كانت تحتهم المأثر والسرائر وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية وسليمان ٦١١ ثلثمائة حرة وسبع مائة سرية (في الذين

خلوا من قبل) في الانبياء الذين مضوا من قبل (وكان امر الله قدرا مقصودا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ولا وقف عليه ان جعلت (الذين يبلغون رسالات الله) بدلا من الذين الاول وقف ان جعلته في محل الرفع أو الابطاع على المدح أي هم الذين يبلغون أو أعني الذين يبلغون (ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله) وصف الانبياء بأنهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق أن تخشاه (وكنى بالله حسينا) كافيا للمخاوف ومحاسبا على الصعيرة والكبرية فكان جديرا بان تخشى منه (ما كان محمد أباً أحسن من رجالكم) أي لم يكن أباً رجل منكم حقيقة حتى ثبت بينه وبينه ما ثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والتكاح والمراد من رجالكم الباطنيين والحسن والحسين لم يكونا باطنيين حينئذ والظاهر والنايب والقاسم وبرايم توفوا صديقا (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول ابوامته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له

وغیره (سنة الله في الذين خلوا من قبل) معناه سن الله سنة في الانبياء وهو ان لا حرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب التكاح وغيره فانه كان لهم الحرائر والسرائر فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة وسليمان ثلثمائة امرأة وسبع مائة سرية فكذلك سن الله عليه وسلم في التوسعة عليه كاسن لهم ووسع عليهم (وكان امر الله قدرا مقصودا) أي قضاء مقضيا أن لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أتى الله تعالى على الانبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات الله) أي فرائض الله وسننه وأوامره ونواهيها إلى من أرسلوا إليهم (ويخشونه) أي يخافونه (ولا يخشون احدا الا الله) أي لا يخشون قالة الناس ولا تخشع فيما أحل لهم وفرض عليهم (وكنى بالله حسينا) أي حافظا لأعمال خلته ومحاسنهم قوله عز وجل (ما كان محمد أباً أحسن من رجالكم) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأته فأنزل الله ما كان محمد أباً أحسن من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى انه لم يكن أباً رجل منكم على الحقيقة حتى ثبت بينه وبينه ما ثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والتكاح فان قلت قد كان له أنباء القاسم والطيب والناهر وبرايم وقال الحسن ان ابني هذا سيد قلت قد ادخرنا من حكم النبي بقوله من رجالكم وهو لا علم بلغوا مبلغ الرجال وقيل أباد بالرجال الذين لم يادهم (ولكن رسول الله) أي ان كل رسول هو ابوامته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والصيغة لهم عليه (وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم آختم به النبيين لمجئته له انبياءكم وبعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم ان لا نبى بعده لم يعطه ولذا كرا يصير رجلا (وكان الله بكل شيء عليم) أي دخل في علمه انه لا نبى بعده فان قلت قد صح ان عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعده وهونى قلت ان عيسى عليه السلام من نبي قبله وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملا بشر بركة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كانه بعض امته (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ملئ ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيانا فاحسنه واجله الاموضع لبيته من زاوية من زواياه فجعل الناس يوفون ويتهجبون له ويقولون هلا وضعت هذه البيعة فانما البيعة وانما خاتم النبيين وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسة اسماء انما يجوزوا انما اجندوا انما السحابة التي يجري الله في وانما الخاشع الذي يخشع الناس على ندمي وانما العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبى وقد سمع الله رؤفا رحيم (م) عن ابي موسى قال كان النبي عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لاني سائر الاحكام التابعة بين الانبياء والانبياء وزياد احسن من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمهم وحكمهم من النبي من باب الاختصاص والتفريق لا غير (وخاتم النبيين) يفتح التاء عاصم معنى الطابع أي آخرهم يعني لا ينبغي احد بعده وعيسى من نبي قبله وحين ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كانه بعض امته وغيره بكسر التاء معنى الطابع وفاعل الختم وتغويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا خاتم النبيين (وكان الله بكل شيء عليم)

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (أنتوا عليه بضروب الشناو) كثروا ذلك (وسبحوه بكرة) أول النهار (وأصلا) آخر النهار وخصا بالذكرا لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله إلى العظيم والفسلان أي اذكروا الله وسبحوه وهو جهان إلى البركة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من ٦١٢ جملة الذكروا اختص من بين أنواعه اختص جبريل وميكائيل

من بين الملائكة لأنه لفضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات وجاز أن يراد بالذكرا وكثارة تكثير الطاعات والعبادات فإنها من جملة الذكرا ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وهي صلاة التجهر وأصلا وهي صلاة الظهور والعصر والمغرب والعشاء أو صلاة التجهر والعشاء (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير من ينعطف على غيره جنوا عليه وترؤفا كأنه المرير يض في انعطافه عليه والمرأة في جنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أي ترحم عليك وترأف والمراد بصلاة الملائكة قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكهم مستعجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويتأفف حين يدعوك إلى الخير ويأمر بكما كثر الذكروا التوقر

صلى الله عليه وسلم يسمى لنفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا المكي وأنا المحبوني التوبة ونبي الرحمة المكي هو المولى الذاهب يعني آخر الانبياء المتبع لهم فإذا قفي فلاني بعده قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكرا فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا معلوبا على عقله وأمرهم به في الأحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقيل الذكرا الكثيرين لأن النساء أهدأ (وسبحوه) معناه إذا ذكركموه ينبغي لكم أن يذكرن ذكركم إياه على وجهه العظيم والتزينة عن كل سوء (بكرة وأصلا) فيه إشارة إلى المداومة لأن ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا وقيل معناه صلوا له بكرة صلاة الصبح وأصلا يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقيل معنى سجدوا قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله زاو في نسخة العلي العظيم فمعبر بالتسبيح عن أخواته والمراد بقوله كثيرا هذه الكلمات يتقارها الظاهر والجنب والحائض والمحدث (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكرا الجميل له في عباده والشنا عليه قال أنس لما نزلت أن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الاوقد أشرف كنفاه فأقر الله هذه الآية (يخرجكم من الظلمات إلى النور) يعني أنه رحمة وهداية ودعاء الملائكة لكم أنخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان (وكان بالمؤمنين رحيما) فيه إشارة لجميع المؤمنين وإشارة إلى أن قوله يصلي عليكم غير مختص بالمؤمنين وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين (تحييتهم) يعني تحية المؤمنين (يوم يلقونهم) أي يرون الله يوم القيامة (سلام) أي يسلم الرب تعالى عليهم وسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يوم يلقونهم سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا يسلم عليه عن ابن مسعود قال إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك بقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم بشركهم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة قوله عز وجل (يا أيها النبي اننا أرسلناك شاهدا) أي أرسلك بالتبليغ

على الصلاة والطاعة ليخرجكم من الظلمات إلى النور) من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين وقيل رحيما) هو دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة وروى أنه لما نزل أن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الاوقد أشرف كنفاه فنزلت (تحييتهم) من إضافة المدد إلى المفعول أي تحية الله لهم (يوم يلقونهم) برونه (سلام) يقول الله تبارك وتعالى إلى السلام عليكم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة (يا أيها النبي اننا أرسلناك شاهدا) علي بن بعثت اليهم وعلى تسليمتهم ومنه ما يفهم أي مع ولا حول ولا قوة إلا بالله عليهم وعليهم كل قبل قول الشاهد العدل في الحكم وهو

حال مقدرة كما تقول مرت برجل معه صر صائدا به أى مقدرا به الصدد غدا (ومشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذرا) للكافر بن بالنار (وداعيا إلى الله بانه) بامره أو بتيسيره والكل منصوب على الحال (وسراجا منيرا) جلالة الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يحيى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به والجهه ودر على انه القرآن فيكون التقدري وذاسر اج منير أو تاليسر اج منير ووصف بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سلطه وقت قبلته أو شاهده بوحده انبتا ومشرا برجتنا ونذرا انتم تناود اعدائنا عبادتنا وسراجا جوهرة تضيء لنا (و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) ثوبا عظيما (ولا تطع الكافرين والمنافقين) المراد به التهييج أو الدوام ٦١٣ والثبات على ما كان عليه (ودع اذاهم) هرو

بمعنى الايداء فيجتمعون ان يكون مضافا الى الفاعل أى جعل ايداءهم اياك في جانب ولا تبال بهم ولا تخف من ايدائهم أو الى المفعول أى دع ايداءك اياهم مكافاة لهم (وتقول على الله) فانه يركبهم (وكفى بالله وكبيرا) وكفى به مغفوا اليه وقيل ان الله تعالى وصفه بخساسة أوصاف وقابل كلامها بخاتاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاعدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الكبير والمشتر بالاعراض عن الكافر بن والمنافقين لانه اذا عرض عنهم اقبل جميع اتباليه على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير يدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لايده من عقاب عاجل أو أجل كانوا منذرين به في المستقبل

وقيل شاهد ادى الخلق كلهم يوم القيامة (ومشرا) أى لمن آمن بالجنة (ونذرا) أى لمن كذب بالنار (وداعيا إلى الله) أى إلى توحيد وطاعته (بانه) أى بامره (وسراجا منيرا) سماسراجا منيرا لانه جلالة ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يحيى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمدا لله نور نبوته نور البصائر كما يد نور السراج نور الاضمار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء فان قلت سماسراجا ولم يسماه شمس أو الشمس أشد اضاءة من السراج وأنور قلت نور الشمس لا يمكن ان يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه انوار كثيرة (و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) أى ما يفضله عليهم من زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفصيل هذه الامة على سائر الأمم (ولا تطع الكافرين والمنافقين) قال ابن عباس اصبر على اذاهم وقيل لا تحارهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكبيرا) أى حافظا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان يمسوهن) أى تجامعوهن في الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة احببته اذا نكحتم فانت طالق أو قال كل امرأتك كجها ففى طالق فسدك لا يقع الطلاق وهذا قول على وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاتم وعاوس والحنس وعكرمة وعطاء وسليمان بن سار ومجاهد والشعبي وقتادة وأكثر أهل العلم وبه قال الشافعي وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والأوزاعي ان عن امرأة وقع وان عمهم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها من آمن عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهى طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يمسواهن اذ اطلقتموهن ثم نكحتموهن وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تمكث ولا عتق فيما لا تمكث ولا بيع فيما

والداعى إلى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله فان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالا كتمائه وكبيرا لان من اناره الله به انا على جميع خلقه كان جذرا بان يركب في به عن جميع خلقه (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أى تزوجتم والنكاح هو الوطء في الاصل وتسمية العقد نكاحا لا بسببه لانه من حيث انظر الى انية كتمية الحنجر انما لاناسيه وكقول الرازي اسمة لا تبال في سخا به يسمى الماء باسمه لا تبال لانه سبب سمن الا بال وارفع استنهاه ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى الا في معنى التمتع لانه في معنى الوطء من باب التضييع به ومن آداب القرآن النكاح لنفسه بلفظ الملاسة والمماساة والقر بان والتعشى والابتعا وفي تخصيص المؤمنات مع ان النكاحات تساوى المؤمنات في هذا الحكم اشارة الى ان الاولى بالمؤمن ان يسلك مؤمنة (ثم طلقتموهن من قبل ان يمسوهن) والحلوة الصحيحة كالمس

(فإنكم عليهم من غدة تعتدونها) فيه دليل على أن العدة تحب على النساء للرجال ومعنى تعتدونها تستوفون عددها
تعتدون من العدة (فتعوهن) والمتعة تحب التي طلقها قبل الدخول بها ولم ينسب لها مهر دون غيرها (وسمى جوهرن سراجا
جديلا) أي لا تمسكون ضراوا آخر جوهرن من منازلكم إذ لا عدة لكم عليهن (يا أيها النبي أنا أحلنا لك أزواجك اللاتي
آتيت أجورهن) وهو رهن إذا المهر أخرج على البضع ولهذا قال الكرخي أن النكاح بلفظ الآخرة جائز وإنما يسد من شرط
النكاح والتأقوت من شرط الآخرة بينهما ما فاقا أو ابتاوها أعطوا لها عدا أو فرضها وتسميتها في العقد (وما ملكت
يمينك مما أفاء الله عليك) وهي صفة وجوبية ٦١٤ فاعتقه ما ورث وجهها (وبنات عمك وبنيات عماتك وبنيات

خالك وبنات خالك اللاتي
هاجن معك) ومع ليس للقران
بل لو جردها حسب كقول
وأملت مع سليمان وعن أم
هانئ بنت أبي طالب خطبني
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتذرت فعدرتني فأنزل الله
هذه الآية فلم أحل له لأن لم
أهاجر معه (وأمر أمه مؤمنة أن
وهبت نفسها للنبي) وأحلنا
للكم من وقع لها أن تهب لك
نفسها ولا تطالب مهرها من النساء
المؤمنات أن تنفق ذلك ولذا
نذكرها قال ابن عباس هو بيان
حكم في المستقبل ولم يكن عنده
أحد من يابته وقيل الواهبة
نفسها أمه مؤمنة بنت الحارث أو
زينة بنت خزيمة أو أم ثعلبة
بنت حارث أو خولة بنت حكيم
وقيل الحسن أن بالفتح على
التعليل بتقدير حدق اللام
وقرأ ابن مسعود رضى الله
عنه بغير أن (أن أراد النبي أن
يستنكحها) استنكحها طاب
نكحها والرغبة فيه وقيل
نكح واستنكح بمعنى والشرط

لأنك آخر جهابذة داود الترمذي عنه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد
النكاح آخر حجة الخفاري في ترجمة باب بغير استاذ وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح (فإنكم عليهم من عدة تعتدونها) أي تحصونها
بالأقراء والأشهر أجمع العلماء أنه إذا كان الطلاق قبل الميسر والحلوة فلا عدة وذهب
أحمد إلى أن الحلوة توجب العدة والصداق (فتعوهن) أي أعطوهن ما يستمتعن به
قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمي لها صدق أفاقها المتعة وإن كان قد فرض لها
صدق أفاقها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله
فنصف ما فرضتم وقيل هذا أمر نذير فالتمة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل أنها
تستحق المتعة بكل حال فظاهر الآية (وسمى جوهرن سراجا جديلا) أي خلوا سبيلهن
بالمعروف من غير إضرار بهن قوله عز وجل (يا أيها النبي أنا أحلنا لك أزواجك اللاتي
آتيت أجورهن) أي هو رهن (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أي من النبي
فتملكها مثل صفة وجوبية وقد كانت مارية ملكت يمينه فقلت له أبا رهم
(وبنات عمك وبنيات عماتك) يعني نساء قریش (و بنات خالك و بنات خالك
يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجن معك) إلى المدينة فنحن لم نهاجر منهن لم يميز له نكاحها
عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
اليه فعدرتني ثم أنزل الله أنا أحلنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له لأن لم أهاجر
كنت من الطلقة آخر جهابذة الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التجليل
(وأمر أمه مؤمنة أن وهبت نفسها للنبي أن أراد النبي أن يستنكحها خاصة لك من دون
المؤمنين) أي أحلنا لك أمر أمه مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فأما غير
المؤمنة فلا تحل له إذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكنايسة بالمهر فذهب جماعة
إلى أنها لا تحل له لقوله وأمر أمه مؤمنة فدل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان
من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن النكاح بنية عقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي
ولا شهود ولا مهر لقوله خاصة لك من دون المؤمنين والزيادة على أربع وجوب
تخيير النساء واختلافه في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة فذهب

الثاني بتسديد شرط الأول بشرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال أحلنا لك أن وهبت لك نفسها وانت تريد أن تستنكحها لأن إرادته قبول الهبة ومابته ثم وفيه دليل
جواز النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه سواء في الأحكام إلا فيما يخصه الدليل خاصة بالأمر
حال من الضمير في وهبت أو مصدر مؤكد أي خلص لك إحلال ما أحلنا لك خاصة بمعنى خلوصا والفاصلة في المصدر غير عز
كالقاعدة الكاذبة (ثالث من دون المؤمنين) بل يجب المهر بغيرك وإن لم يسمه أو فاء عدل عن الخطأ إلى الغيبة في قوله
إن أراد النبي ثم رجع إلى الخطاب ليؤذن أن الاختصاص نكحته له لأجل البروة وتكريره أي تكرير النبي تخيير له

أكثرهم الى انه لا ينعقد الا بافظ الانسكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب
 والزهرى ومجاهد وعطاء وبه قال أربعة ومالك والشافعى وقال ابراهيم التميمى وأهمل
 السكونية ينعقد بلفظ التملك والتمتع ومن قال بالقول الاول اختلفوا فى نكاح النبي صلى
 الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد فى حقته صلى الله عليه وسلم بلفظ التملك
 لقوله تعالى خاصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون الى انه لا ينعقد الا بلفظ
 الانسكاح أو التزويج كفى حتى سائر الامة لقوله تعالى ان أراد النبي ان يستنكحها وكان
 اختصاصه فى ترك المهر لا فى افظ النكاح واختلفوا فى التى وهبت نفسها للنبي صلى
 الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي
 صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة لا ينعقد نكاح او بملك
 عين وقوله أن وهبت نفسها على سبيل الفرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده
 وهو بة واختلافوا فى ما فى الشعيه زينة بنت خزيمة الانصارية المملوكة أم
 المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والخفاف ومقاتل
 هي أم شريك بنت حارم بن أسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بنى سليم
 وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضا عليكم) أى اوجبت على المؤمنين (فى أزواجهم) أى من
 الاحكام وهو ان لا يتزوجوا أكثر من اربع ولا يتزوجوا الاولى وشهود ومهر (وما
 ملكتم ايما نهم) أى ما اوجبنا من الاحكام فى ملك اليمين (لكيلا يكون عليكم حرج)
 وهذا يرجع الى الاول الآية بمعناه اختلفوا فى أزواجكم وما ملكتم يمينك والموهوبة
 لكي لا يكون عليكم ضيق (وكان الله غفورا) أى لا واقع فى الحرج (رحما) أى بالوسعة
 على عباده قوله تعالى (ترجى) أى تؤخر (من شاء منهن وتؤوى اليك) أى تضم اليك
 (من شاء) قيل هذا القسم بينهن وذلك ان النسوية يهجن فى القسم كانت واجبة عليه
 صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن
 وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض امهات المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم
 وطلب بعضهم زيادة النفقة فخرجن شهر راحتي نزلت آية التخيير فقام الله تعالى أن
 يخبرهن عن اختارت الدنيا فارققها ويملك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات
 المؤمنين لا ينكحن ابدا وعلى انه يؤى اليه من يشاء منهن ويرجى من يشاء فيرضيه به
 قسم من اولم يقسم او قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن فى النفقة والكتابة
 فيكون الامر فى ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضيه بذلك
 واخترته على هذا الشرط واختلفوا فى انه هل اخرج احدا منهن عن القسم فقال بعضهم
 يخرج احد ابل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوى بينهم فى القسم
 الاسودة فانها راضية بترك حقهما من القسم وباعت يومها العائشة وقيل اخرج بعضهم
 روى عن أبي رزق بن قال لما نزل التخيير اشفقن ان يظلمن فقلن ياني الله اعدل انا من
 مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حائنا فارضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بعضهم وأوى اليه بعضهم فكان عن أوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان

قد علمنا ما فرضا عليكم فى
 أزواجهم) أى ما اوجبنا من
 المهور على أمك فى زوجاتهم أو
 ما اوجبنا عليكم فى أزواجهم من
 المحقوق (وما ملكتم ايما نهم)
 بأشراء وغيره من وجوه الملك
 وقوله (لكيلا يكون عليكم حرج)
 ضيق متصل بخاصة لك من دون
 المؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضا
 عليكم فى أزواجهم وما ملكتم
 ايما نهم جملة اعتراضية (وكان الله
 غفورا رحما) بالنسبة على عباده
 (ترجى) بالاهم زنى وحزوة على
 وخلف وحفص وبهز غيرهم
 تؤخر من شاء منهن وتؤوى
 اليك من شاء تضم بمعنى تترك
 مضاعفة من شاء منهن وتضاهج
 من شاء أو تطلق عن شاء وتسلم
 من شاء أو لا تقسم لانهن شئت
 أو تترك تزوج من شئت من
 نساء أمك وتزوج من شئت
 وهذه جملة جامعة لما هو الغرض
 لانه اما ان يطلق واما ان يسكن
 فاذا أمك ضاحع أو ترك وقسم
 اولم يقسم واذا طلق وعزل فاما
 ان يحتل المعزولة لا يتبعها او
 يتبعها وروى انه ارجى منهن
 جويرية وسودة وصفية وميمونة
 وأم حبيبة وكان يقسم لمن
 ما شاء كما شاء وكانت ممن أوى اليه
 عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب
 ارجى حسبا وأوى اربما وروى انه
 كان يسوى مع ما اطلق له وخبر
 فيه الاسودة فانها وهبت ليلتها
 لعائشة وقالت لا تطلقني حتى
 أحضر فى زمة سائل

(ومن ابتغيت من عزات فلا جناح عليك) أى ومن دعوت الى فراشك وطلبت صحبتها من عزات عن نفسك بالارحاء فلا ضيق عليك في ذلك أى ليس اذا

٦١٦

تسم بينهم سواء أرحى منهن خمساً مائة وميمونة وسودة وتوجيه وصفيّة فكان
تقدم لمن ما شاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء ومنك تشاء وقال الحسن
تترك نكاحك من شئت وتترك من شئت من النساء قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم
إذا خطب امرأ لم يكن لغريمه مخاطبة حتى يمر كها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قبل
من تشاء من المؤمنات اللاتي بين أنفسهن فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تبليها
(ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه
وسلم فقالت عائشة ما تسدي المرأة ان تب نفسها للرجل فلما زلت ترجى من تشاء
منهن قالت يا رسول الله ما أرى ربك الا يسارع في هواك (ومن ابتغيت من عزات) أى
طلبت ان تؤوي اليك امرأة من عزاتهن عن القسمه (فلا جناح عليك) أى لا اثم عليك
فاباح الله له ترك القسم لمن حتى انه يؤمن من يشاء منهن في نوبتها وطأ من يشاء منهن في
غير نوبتها ورد الى فراشه من عزل منهن تقصيداً له على سائر الرجال (ذلك أدنى أن تقر
أعينهن ولا يحزن) أى ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن أقرب الى رضاهن وأطيب
لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن ان ذلك من الله تعالى (ويرضين بما آتينهن) أى
أعطيتهن (كلهن) من تقرب وارجاء وعزل وابطاء (والله يعلم ما في قلوبكم) أى من
امر النساء والميل الى بعضهن (وكان الله عليماً) أى عاى في ضمايركم (حليماً) أى عنكم
قوله تعالى (لا تحل لك النساء من بعد) أى من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترتك وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خبرهن فاخترن الله ورسوله شهد الله له ذلك وحرم عليه
النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل
أبطل الله النساء بعد ذلك فروى عن عائشة انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أحل له النساء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وللنساء في عناه حتى أحل له
ان يتزوج من النساء ما شاء وقال أنس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم
وقيل لا يبيح كعب لومات نساء النبي صلى الله عليه وسلم كان يحل له ان يتزوج قال وما
يعنه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال إنما أحل له ضرباً من
النساء فقال تعالى يا أيها النبي انا أحللت لك أزواجك الآيات ثم قال لا تحل لك النساء من
بعد وقيل معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد الملمات (ولأن تبدل
بهن من أزواج) أى بالملمات غيرهن من الكتابيات لانه لا تكون أم المؤمنين يهودية
ولا نصرانية الامامة مكتوبة عليك أى من الكتابيات فتستري بهن وقيل في قوله ولأن
تبدل بهن من أزواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل
انزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتى فانزل الله تعالى ولأن تبدل بهن من أزواج أى
تبادل بازواجهن غيرك بأن تعطيهن زوجتك وتأخذ زوجته فحرم ذلك الامامة

(ذلك) التفويض الى المشتك
(أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن
ويرضين بما آتينهن كلهن) أى
أقرب الى قرعة عينهن وقلة حزنهن
ورضاهن جيعالهنن اذا علمن
ان هذا التفويض من عند
الله طمأنات نفوسهن وذهب
التغايير وحصل الرضا وقرت
العيون كلهن بالرفع تا كيد
لنور يرضين وقرى ويرضين
كلهن بما آتينهن على التقديم
وقرى شاذاً كلهن بالنصب
تا كيد لهن في آتينهن (والله
يعلم ما في قلوبكم) فسه وعيسد
لمن لم يرض من عبد الله من
ذلك وقصص الى مشقة رسوله
(وكان الله عليماً) بذات الصدور
(حليماً) لا يعاجل بالعقوبة
فهو حقيق بان يتحقق ويحذر
(لا تحل لك النساء) بانتهاء عرو
ويعقب وغيرهما بالتذكير
لان تانيث الجمع غير حقيق واذا
جاز غير فسد فمع الفصل
اجوز (من بعد) من بعد
التسع لان التسع نصاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من
الأزواج كان الاربع نصاب
امتة (ولأن تبدل بهن من
أزواج) باطلاق والمعنى ولا
ان تبدل بهن هؤلاء التسع أزواجا
اخرى كلهن او بعضهن كرامة

يملك

لمن جزاء على ما اخترن ورضين وقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليهن وهن التسع التي مات عنهن عائشة حفصة أم حبيبة سودة أم سلمة صفية ميمونة زينب بنت جحش جويرية ومن في
من أزواج لانا كيد النبي وفادته استغراق جنس الأزواج بالتحريم

يملك أي لابس ان تبادل بجايتك ماشئت فأما الحر اثر فلا (ولو أعجبك حسن) يعني
يس لك ان تطلق أحدها من نسائك وتسلمك بدلها أخرى ولو أعجبك جالس قال ابن عباس
يعني اسماء بنت عميس الخنثية امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهى عن ذلك (ألا ما ملكت يمينك) قال ابن
عباس ملك بعد هؤلاء مارية (وكان الله على كل شيء رقيما) أي حافظا وفي الآية دليل
على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه
في نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من
الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإن في عين الانصار شيئا قال النبي صلى
يعني هو انصرف عن العبرة بنسبة قال خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم
هل نظرت إليها قالت لا قال فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن
لكم) الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين
بنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن أنس بن مالك أنه كان ابن عشرين مقدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت أمهاتني تواظبن على خدمة رسول الله صلى
الله عليه وسلم لخدمته عشرين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة
وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل وكان أول ما نزل في معنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروفا فدخل القوم
فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطأوا المكث
فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فنهى النبي صلى الله عليه
وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة جيرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه
حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم
ورجعت حتى إذا بلغ عتبة جيرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم
قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالسنة وأمر أن يلبس الحجاب زاد في رواية
قال دخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وأمرني السنة وأمرني أني الحجرة وهو يقول
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم أي قوله والله لا يستحي من
الحق (ق) عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن
إلى المناسع وهو صعيد أبيض وكان عمر رضى الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب
نساءك فليكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم ليلته من اللالي عشاء وكانت أم أخطوبة فتأداهما عراة قد عرفناك
ياسودة حرم صاعلي أن ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناسع المواضع الخالية انضاء
الحاجة من البول أو العائط والتعدي وجه الارض والافج الواسع (ق) عن أنس وابن
عمر أن عرقا قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى

(ولو أعجبك حسن) في موضع
الجمال من الفاعل وهو الضمير
في تبدل أي تبدل لامن المفعول
الذي هو من أزواج لتوغل في
التكبر وتقديره مفروضا
اعجابك بهن وقيل هي اسماء
بنت عميس امرأة جعفر بن أبي
طالب فانهما من عجبته حسنهن
وعن عائشة وأم سلمة ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أحل له أن يتزوج من النساء
ما شاء يعني أن الآية نسخت
ونسختها ما بالسنة أو قوله أنا
أحللنا لك أزواجك وترتيب
النزول ليس على ترتيب المحقق
(ألا ما ملكت يمينك) استثنى عن
حرم عليه إلا ما، ومحل ما رفع
بدل من النساء (وكان الله على
كل شيء رقيما) حافظا وهو تحذير
عن مجاوزة حدوده (يا أيها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي
إلا أن يؤذن لكم

الى طعام غير ناظر بن اناه ان يؤذن في موضع الحال اى لا تدخلوا الاما دونكم اوفى معنى الظرف تعديده الاوقت ان يؤذن لكم وغير ناظر بن حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الحال والوقت معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الاوقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظر بن اى غير منتظر بن وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لاداء كهو معناه لا تدخلوا يا ايها المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظر بن اناه وانى الطعام ادرا كه يقال انى الطعام انى كقولك فلاه قلى وقبل اناه ووقته اى غير ناظر بن وقت الطعام وساعة اكته وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة واما اناس يدعوا باناس فترادفوا او اجابا كل فوج ويخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله ٢١٨ دعوت حتى ما لجدا حداد دعوه فقال ارفعوا اطعامكم وتفرق

الناس وبقي ثلاثة نفر يقدون فأطالوا مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجرات وسلم علي بن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة تجلس يقدون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما راوه متولى ليخرجوا فخرج وزلت (ولكن اذا دعيت فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) ففقدوا (ولامستأنين لمحدث) اى لا تقبلوا الجولوس ليستأنس بعضهم بمحدث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يقدون فهو اذن ذلك (ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستغي منكم) اى فيستغي من انما احكم (والله لا يستغي من الحق) اى لا يترك ناديه وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمتنع المحي من بعض الافعال قال لا يستغي من الحق معنى لا يمتنع منه ولا يترك المحي منكم وهذا ادب الله به الثقلان وقيل بحسبك من الثقلان ان الله لم يحتملهم (واذا سالتهم متاعا) اى واذا سالتهم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسئلوهن من وراء حجاب) اى من وراء سترة بعد اية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امر امة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متعفة كانت او غير متعفة (ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) اى من الرب (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) اى ليس لكم اذا ه في شئ من الاشياء (ولان تفسدوا ازواجهن بعد ابدان) تزلت في رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تنكحن عائشة قبل هو طلبة

ما يندبني ان يستحي منه ولما كان الحياء مما يمتنع المحي من بعض الافعال قبل لا يستغي من الحق اى لا يمتنع منه ابن ولا يترك ترك المحي منكم هذا ادب الله به الثقلان وعنه عائشة رضي الله عنها حسبك من الثقلان ان الله لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا (واذا سالتهم) الضعيف لئلا يفسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبي لان فيها نساءه (متاعا) عارية او حاجة (فاسئلوهن) المتاع (من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) من خواطر الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان عمر رضي الله عنه يحب ضرب الحجاب علي بن وبود أن ينزل فيه وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فزلت وذر ان بعضهم قال انهنى أن تنكح بنات عمها الامن وراء حجاب انما ماحمدا لتزوجن فلانة فنزل (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجهن من بعدهم ابدان) اى وما يحكم لكم ايذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنكحوا ازواجهن من بعدهم

(ان ذلكم كان عند الله عظيما) اى ذنباً عظيماً (ان تبدوا شيئاً) من ابداء النبي صلى الله عليه وسلم اومن نكاحهن (او تخفوه) في انفسكم من ذلكم (فان الله كان بكل شيء عليماً) فيعاقبكم به ولما نزلت آية الحجاب قال الا باءوا الانباء والا قارب با رسول الله او نحن ايضا نسكهم من وراء حجاب فنزل ٦١٩ (لا جناح عليهن في ابدائهن ولا ابناهن ولا اخواتهن ولا ابناهن

اخواتهن ولا ابناهن اخواتهن ولا نساكن) اى نساء المؤمنات (ولما ملكت ايمانهن) اى لائتم عليهن في ان لا يتخجن من هؤلاء ولم يذكروا التيم والحال لانها ميجرى بان مجرى الوالدن وقد طاعت تسعة العلم ابا قال الله تعالى واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق واسمعليل عم يعقوب وعبيدهن عند الجمهور كالاجانب ثم تعدل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل فضل تشديد كانه قيل (واتقين الله) فيما امرت به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستئذان واحتطن فيه (ان الله كان على كل شيء شهيداً) عالم اقال ابن عطاء الله بهد الى يعلم خفيات القلوب كما يعلم حركات الجوارح (ان الله وملائكته يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم) اى ادعوا له بالرحمة (وسلموا وتسليماً) اى حيوه بتحية الاسلام

ابن عبيد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال (ان ذلكم كان عند الله عظيماً) اى ذنباً عظيماً وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم واجاب حرمته حياً وميتاً واعلام بذلك مخاطب نفسه وسر قلبه واستقر غشكه فان من الناس من تفرط غيره على حرمته حتى تمنى لمسا الموت قبله ثلاثاً تسكع بعده (ان تبدوا شيئاً) اى عن امر نكاحهن على السنتكم (او تخفوه) اى في صدوركم (فان الله كان بكل شيء عليماً) اى يعلم سركم وعلايتكم نزلت فيمن اذعن فركاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما لنا نمنع من الدخول على بنات اعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الا باءوا الانباء والا قارب با رسول الله ونحن ايضا نارسل الله نكلمهم من وراء حجاب فانزل الله عز وجل (لا جناح عليهن في ابدائهن ولا ابناهن ولا اخواتهن ولا ابناهن اخواتهن ولا نساكن) اى لائتم عليهن في ترك الحجاب عن هؤلاء الاصناف من الاقارب (ولاننا نحن) قيل اراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام في المسلمات واليك آيات وانما قال ولا نساكن لانهن من اجناسهن (ولما ملكت ايمانهن) اى اختلن وفي ان عبد المرأة هل يكون محرماً لها ام لا فقال قوم بل يكون محرماً لقوله تعالى ولا ما ملكت ايمانهن وقال قوم العبد كالاجانب والمراد من الآية الاماء دون العبيد (واتقين الله) اى ان يرا كن اعد غير هؤلاء (ان الله كان على كل شيء) اى من اعمال العباد (شهيداً) قوله عز وجل (ان الله وملائكته يصلون على النبي) قال ابن عباس اراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون بغيره كقول الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلا الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه) اى ادعوا له بالرحمة (وسلموا وتسليماً) اى حيوه بتحية الاسلام

(فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها) اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا في قيل يجب في العمر مرة وهو الاكثر وقيل يجب في كل صلاة في تشهد الاخر وهو مذهب الشافعي واحدى الروايتين عن احمد وقيل يجب كذا ذكر واختاره الطحاوى من الحنفية والحنبلية من الشافعية الواجب اللهم صلى على محمد وما زاد اسنة (ق) عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب ابن عجرة فقال الا اهدي لك هدية بان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد

غير الله لك وقال الله وملائكته جواباً لذيك المليكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على الا قال ذاك المليك لا غفر الله له وقال الله وملائكته جواباً لذيك المليكين آمين ثم هي واجبة مرة عند الطحاوى وكذا ذكر اسمعده السرخسي وهو الاحتياط وعليه الجمهور وان صلى على غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه وما اذا اقر دغره من أهل البيت بالصلاة كروه وهو من شعائر الرافضى قوله واختاره الطحاوى الخ هذا ما انفعل الكلام النسفي بالهامش فليجروا هم

(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كنسبوا) اطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان ذلك يكون غير حق ايدوا ما هذأفنه حتى كالحذوالتعزيز ومنه باطل قيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون علما رضى الله عنه وسمعونه وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذى كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف ايذاء المؤمنين والمؤمنات (فقد احتملوا) تحملوا (بهتان) كذبا عظيما ٢٢١ (وأشامينا) ظاهرا (يا أيها النسي قل

لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدينن عليهن من جلايبهن) الجلايب ما يستتر الكل مثل المحفة عن المبرد ومعنى يدينن عليهن من جلايبهن يرخصها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطاهن بقال اذ زال الثوب عن وجه المرأة أن توبك على وجهك ومن للتبعية أى ترضى بعض جلسائها وفضله على وجهها تتبضع حتى تميز من الامة أو المراد ان يجلبن ببعض ملهن من الجلايب وأن لا تكون المرأة مبتذلة فى درع وخمار كالامة ولها جلسبان فصاعدا في بيتها وذلك ان النساء في اول الاسلام على هيجراهن في الحاملة متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحسرة والامة وكان القتيبان يعرضون اذا خرجن بالليل اقضاء حوائجهن في الخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحسرة لحسان الامة فامر ان يخالفن بزيهن عن زى الاماء بلبس الملاحف وستر الرأس والوجوه

لا اعتادهم ان الذين يصيهم من افعال الدهر فقال الله تعالى انا الدهر اى انا الذى احل بهم النوازل وانا فاعل لذلك الذى نسبونه الى الدهر في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاور (ق) عن ابى هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلف وأذرة أولي خلقه وأحبه أوشيرة وقيل يؤذون الله اى يؤذون أولياء الله كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من أذى لى ولأيا فقد آذنته بالحرب وقال تعالى من أها أنى ولأيا فقد بارزنى بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه كذا قال على مائة واهه الناس بينهم لان الله تعالى منزعه عن الخلق اذى من احد أو ما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هوانه شيخ وجهه وكسرت ربايته وقيل ساح شاعر معلم يحنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كنسبوا) أى من غير أن يحملوا أو يجب اذاهم وقيل يعقون فيهم ورموهم بغير حرم (فقد احتملوا بهتاناً وما عينا) قيل انها زانت على بن أبى طالب كانوا يؤذونه وسمعونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا يشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتعين المرأة فان سكنت تبعوها وان حررتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الاماء ولكن كانوا لا يعرفون المحرم من الامة لان زى الكل كان واحدا فخرج المحرم والامة في درع وخمار فشكلوا ذلك الى اذى واجهن فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الاية ثم نهى المحارث ان يتشبهن بالاماء فقال تعالى (يا أيها النسي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدينن عليهن أى يرخصن ويغطين عليهن من جلايبهن) جمع جلايب وهو الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو المحفة وكل ما يستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلايب الايعنا واحدة ليعلم انهن حائضات وهو قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى لا تعرض لهن (وكان الله غفورا رحيم) أى ما سلف منهن قال انس مرت به من الحاضرات منتقبة فعلاها بالذرة وقال بالكع اع تشبهين بالحرائر التى القناع لكع كفة فقال لمن يستحقر به مثل العبد والامة والحامل والقليل العقل مثل قولك يا حبيس قوله تعالى (ان لم يثبت المناقون) أى عن نقاقهم (والذين في قلوبهم مرض) أى في قروهم الزناة (والمرجعون في المدينة) أى بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرا يارسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا وهزموا

فلا يطعم فيمن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا تعرض لهن) (وكان الله غفورا) ما سلف منهن من التعريط (رحيما) بتعليمهن اداب المسكارة (ان لم يثبت المناقون والذين في قلوبهم مرض) بخبروهم الزناة من قوله فيطامع الذى في قلبه مرض (والمرجعون في المدينة) هم أناس كانوا يرجعون باختيار النساء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا جرى عليهم كبت وكيت فيكسر ون بذلك فلو بالمؤمنين يقال أرحف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خيرا مبرز لا غير ثابت من الرحمة وهى بالزلة

(لنغر ينك بهم) لنامر نك بقتلهم أو نسلطنك عليهم (ثم لا يحاور ونك فيها) في المدينه وهو عطف على لنغر ينك لانه يحور
 أو يجاب به القسم لانه قولك لنم بقتلهم أو لا يحاور ونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به عطف بشم
 بعد عطفه عن حال المعطوف عليه (الاقبلا) زمانا قديلا والمعنى انتم بقتلهم المنافقون عن عدائهم وكيدهم والفسقة عن
 خورهم والمرجعون عباد لقوم من أخبار السوء لنامر نك بان تفعل الأفعال التي تسوءهم ثم بان تضرهم هم إلى طلب الجلاء
 عن المدينه وإلى ان لا يساكنوك فيها الا زمانا قديلا ثم يحلون فسمى ذلك اغراء وهو التحريض على سبيل المحاز
 (ملعونين) نصب على النتم أو المحال أي لا يحاور ونك الا ملعونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معا كما ولا ينصب
 عن أخذ ولا ان ما بعده وف الشرط لا يعمل فيما قبلها (أيما تنفروا) وجدوا (أخذوا وقتلوا) أيما تنفروا (أيما تنفروا) والتشديد يدل على
 التكثير (سنة الله) في موضع مصدر مؤكد أي سنة الله في الذين ينساقون الانبياء ان يقتلوا أيما وجدوا (في الذين خسلوا)
 مضوا (من قبل وان تجد لسنة الله تبديلا) ٢٢٢ أي لا يبدل الله سنته بل يجزها جري واحدا في الامم يسلك

الناس عن الساعة) كان
 المشركون يسألون رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن وقت
 قيام الساعة استجلا على
 سبيل المنزه واليهود يسألونه
 امتحانا لان الله تعالى عسى
 وقتها في التوراة وفي كل كتاب
 فامر رسوله بان يجيبهم بانه علم
 قد استأثر الله به مخبرين لرسوله
 انها قريية الوقوع تهديدا
 للمتجهلين واسكانا للممتحنين
 بقوله (قل انما علمها عند الله
 وما يدرين لعل الساعة
 تكون قريبا) شأقر يسا
 أولان الساعة في معنى الزمان
 (ان الله لعن الكافرين وأعد
 لهم سعيرا) ناو شددة الانتقاد
 (خالدين فيها أبدا) هذا رد
 مذهب الجهمية لانهم يزعمون
 ان الجنة والنار ثقيان ولا وقف
 على سعير الان قوله خالدين فيها حال عن الضمير في لهم لا يجدون وليا ولا نصيرا ناصرهم اذ كر
 (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف في المحطات كترى البضعة تدور في القدر اذا غلبت الوجوه لان الوجوه
 أكرم موضع على الانسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن المحلة (يقولون) حال (يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا)
 فتنخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لا ينفعهم التني (وقالوا) بنا أنا طعنا ساداتنا جمع سيد ساداتنا شامسا وسهول ويعقوب
 جمع الجمع والمراد رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (وكبراءنا) ذوي الاسنان مشاا وعلماءنا (فاضلونا
 السبلا) يقال ضل السبل وأضله أمانو زيادة الافلاق الصوت جعلت فواصل الاتي كقوا في الشعر وفائدتها
 الوقوف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف (ربنا آتتهم ضعفين من العذاب) للضلال والاضلال
 (والعنهم لعنا كبيرا) بالباء عاصم ليدل على أشد الامن وأعظمه وغيره بالشاء تكثير الأعداد والعاشق ونزل في شأن يزيد
 ونزيب وما مع فيه من قالة بعض التعاس

أي
 (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف في المحطات كترى البضعة تدور في القدر اذا غلبت الوجوه لان الوجوه
 أكرم موضع على الانسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن المحلة (يقولون) حال (يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا)
 فتنخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لا ينفعهم التني (وقالوا) بنا أنا طعنا ساداتنا جمع سيد ساداتنا شامسا وسهول ويعقوب
 جمع الجمع والمراد رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (وكبراءنا) ذوي الاسنان مشاا وعلماءنا (فاضلونا
 السبلا) يقال ضل السبل وأضله أمانو زيادة الافلاق الصوت جعلت فواصل الاتي كقوا في الشعر وفائدتها
 الوقوف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف (ربنا آتتهم ضعفين من العذاب) للضلال والاضلال
 (والعنهم لعنا كبيرا) بالباء عاصم ليدل على أشد الامن وأعظمه وغيره بالشاء تكثير الأعداد والعاشق ونزل في شأن يزيد
 ونزيب وما مع فيه من قالة بعض التعاس

أى لعنا متابعا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأ الله
 عما قالوا) أى فظهره الله عما قالوه فيه (وكان عند الله وجيها) أى كرم إذا جاءه وقد رُفِعَ
 ابن عباس كان حظا عند الله لأسأل الله شيئا إلا أعطاه وتيسل كان مستجاب الدعوة
 وقيل كان محبباً مقبولاً واختلوا فيها وأذى به موسى فروى أبوهريرة أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو إسرائيل يغتسلون مرة في نظر بعضهم إلى سوءه
 بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا
 إلا أنه أدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففسر الحجر بثوبه قال فسمع موسى
 بآثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوءه موسى فقالوا والله
 ما بموسى من بأس فقام الحجر حتى نظر إليه قال فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرب بالقال أبوهريرة
 والله أن الحجر ندى سبعة وسبعة من ضرب موسى الحجر أنجره البشارى ومسل وليلجأرى
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى كان رجلاً خبيثاً استبرأ إلى شئ من
 جسده استخيا منه فآذاه من آذاه بنى إسرائيل فقالوا ما يستبرأ هذا استبرأ إلى
 غيب يجلده أما برص وأما أذرة وأما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا موسى فغلا
 بوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وان
 الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى
 انتهى إلى مسلام بن إسرائيل ورأوه عرياً أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام
 الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بهضاه فوالله أن الحجر لشد بمن أثر الضرب
 ثلاثاً وأربعاً وخمساً فلذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
 فبرأ الله عما قالوا وكان عند الله وجيهاً إلا أن عظم الخصية لفتحة فيها وقوله فجمع أى
 أسرع وقوله ثوبى حجر أى دع ثوبى بالحجر قوله وطفق أى جعل يضرب الحجر وقوله ندبا
 هو ففتح النون والدال وهو الأصح وأصله أثر الحجر إذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به
 الضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندبا يسكون الدال وقيل فى معنى الآية أن أذا هم ياء
 أنه لما مات هرون فى التيه ادعوا على موسى أنه قسله فأمر الله تعالى الملائكة حتى روا
 به على بنى إسرائيل ففرقوا العلم يقوله فبرأ الله عما قالوا وقيل أن قارون استأجر نغيماً
 لتدفع موسى بنفسها على رأس الملائكة ففهمها الله وبرأ موسى من ذلك واهلك قارون
 (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ناساً فى القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة بن حصن مثل
 ذلك وأعطى ناساً من أشرف العرب وآثرهم فى القسمة فقال رجل والله أن هذه قسمة
 ما عدل فيها وما رديها وجهه الله فقلت والله لا خير من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 فأتمته فأخبرته بما قال فغير وجهه حتى كان كالصريف ثم قال فن بعدل إذا لم يعدل الله
 ورسوله ثم قال برحم الله موسى فداؤى بأكثر من هذا أقصر الصريف يكسر الصاد صرخ
 أنجر يصبح به الأديم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً) قال
 ابن عباس صواباً وقيل عدلاً وقيل ضداً وقيل هو قول لا إله إلا الله (يصلح لكم أعمالكم)

(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا
 كالذين آذوا موسى فبرأ الله
 عما قالوا) ما مدبرته أو موصولة
 وأيهما كان فالمراد البراءة عن
 مضمون القول ومؤداه وهو
 الأمر المعيب وأذى موسى عليه
 السلام هو حديث المومسة التى
 أرادها قارون على فذبه بنفسها
 أو أنها هم ياء به يقتل هرون
 فأحياه الله تعالى فأخبرهم
 ببراءة موسى عليه السلام كما
 برأنيته عليه السلام بقوله
 ما كان محمد أباً أحد من رجالكم
 (وكان عند الله وجيهاً) ذاجاه
 ومزلة مستجاب الدعوة وقراً
 ابن مسعود والاعشى وكان
 عبد الله وجيهاً (يا أيها الذين
 آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا
 سديداً) صدقاً وصواباً وقاصداً
 إلى الحق والهدى والصدق إلى
 الحق والقول بالعدل والمراد
 بهم معاً خاصوا فيه من حديث
 زينب من غير قصد وعدل فى
 القول والبعث على أن يسدوا
 قلوبهم فى كل باب لأن حفظ
 اللسان وسداد القول رأس كل
 خير ولا تقف على سيد الان
 جواب الأمر قوله (يصلح لكم
 أعمالكم) يقبل طاعتكم أو
 يوفقكم لصالح العمل

(ويغفر لكم ذنوبكم) أي يحملها والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والامانة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وهذه الآية مقررة لاني قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر بآفة الله في حفظ اللسان لئلا يرد عليه من النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعد من ١٢٤ قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد بالبلخ فيقوى الصادق عن

الاذى والداعي الى تركه وما
 تأتي بالاطاعة الفوق العظم بقوله
 (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز
 فوزا عظيما) اتبعه قوله (انا
 عرضنا الامانة على السموات
 والارض والجبال) وهو يريد
 بالامانة الطاعة لله وبحمل
 الامانة الحسنة يقال فلان
 حامل للامانة ومحمل لها
 لا يؤدى الى صاحبها حتى تتولى
 من ذمته اذا الامانة كانت
 رابكة للمؤمن عليها وهو حاملها
 ولهذا يقال ركبته الذين زولى
 عليه حتى فاذا اذاع لم يبق
 رابكة له ولا هو حامل لها
 يعنى ان هذه الاجرام القائمة من
 السموات والارض والجبال
 قد انقادت لامر الله انقيادها
 وهو ما يتأتى من الجادات والاطاعة
 له الطاعة التي تليق بها حيث
 لم تمتنع على مشيئته وارادته
 ايجادا او تكدينا وتسوية على
 هيأت مختلفة واشكال متنوعة
 كما قال ثم اسوى الى السماء وهى
 دخان فقال لها وللارض انثيا
 طوعا او كرها قالن انينا طاعين
 واخبر ان الشمس والقمر

والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله وان من الحجارة لما يتطهر من خشية الله واما الانسان فلم يكن وقيل
 حاله فيما يصح منه من الطاعة يلقى به من الانقياد لاوامر الله ونواهييه وهو حيوان عاقل صالح لا يشك في مثل حال تلك
 الجادات فيما يصح منها ليق بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله (فابين ان يحملها) اي ابين الحيانة فيها وان
 لا يؤدى بها (واشفقن منها) وخفن من الحيانة فيها (وجلها الانسان) أى خان فيها وابنى ان لا يؤدى بها

(انه كان ظلوما) لكونه تاوكا
لاداء الامانة (جهولا) لخطائه
ما سببته مع من كان معه وهو
ادأوها قال الزجاج الكافر
والمنافق جهلا الامانة أى خانا
ولم يطعوا من أطاع عن الانبياء
والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما
جهولا وقيل معنى الآية ان
ما كافه الانسان بلغ من عظمه
انه عرض على أعظم ما خاف
الله من الاجرام وأقواه فإني
جهل وأسفق منه وجهه الانسان
على ضعفه انه كان ظلوما
جهولا حيث جعل الامانة ثم لم
يفيها وضعها ثم خان بضمائه
ففيها ونحو هذا من الكلام كثير
في لسان العرب ومجاء القرآن
الاعلى أسألهم من ذلك فوهم
لوقيل لا شئهم أن تذهب لقال
اسوى العوج واللام (ليعذب
الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات)
للتعليل لان التعذيب هنا
تظهر التأديب في قولنا ضربته
للتأديب فلا تنف على جهولا
(ويتوب الله على المؤمنين
والمؤمنات) وقرأ الاعشى ويتوب
الله بالرفع ليجعل العلة قاصرة
على فعل الحامل ويتبدى
ويتوب الله ومعنى المشهورة
ليعذب الله حامل الامانة
ويتوب على غيره عن حملها
لانه اذا تاب على الواقي كان
نوعا من عذاب الغادر أو للعاقبة
أى جعلها الانسان فآل الامر
الى تعذيب الاشقياء وقبول توبة السعداء

وقيل ان ما كاف الانسان حمله بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على أعظم ما خاف
الله تعالى من الاجرام وأقواه أو أشد ان يحمله ويسبقل به فإني جهل وأسفق منه وجهه
الانسان على ضعفه وضعف قوته (انه كان ظلوما جهولا) قال ابن عباس انه كان ظلوما
لنفسه جهولا بأمر ربه وما يتحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا أى
بدرى ما العاقبة في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث جعل الامانة ثم لم يفيها وضعها
ولم يفي بضمائها وقيل في تفسير الآية أقوال أخر وهو ان الله تعالى اتهم السموات
والارض والجبال على كل شئ واتهم آدم وأولاده على شئ فلا مانة في حق الاجرام
العظام هي الخضوع والطاعة لمخالفة له وقوله فإين أن يجعلها أى ادين الامانة ولم
يخف فيها وأما الامانة في حق بنى آدم فهي ما ذكر من الطاعة والقيام بالقرائن وتوابعه
وجعلها الانسان أى خان فيها وعلى هذا القول حكى عن الحسن انه قال الانسان هو
الكافر والمنافق جهلا الامانة وخانها في القول الأول هو قول السلف وهو الاول
﴿فصل﴾ في الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الامانة نزلت في جذر قلوب
الرجال ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال
ينام الرجل التوبة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكس ثم ينام الرجل
التوبة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل الخجل كجمر دحرجته على رجله فيظفر
فتراه متبرأ وليس فيه شئ ثم أخذ حذيفة قد حرجها على رجله فصبح الناس ينيبوا يعون
لا يكاد أحد يردى الامانة حتى يقال ان في بنى فلان رجلا مائة حتى يقال للرجل
ما أحله ما أظرفه ما أعله وما في قلبه من قتال حجة من خردل من إيمان وتلقا على زمان
وما بالى أيك بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه
على ساعيه وأما اليوم فما كنت لا بايع منكم الا فلانا وفلانا قوله نزلت الامانة في جذر
قلوب الرجال جذرا شئ أصله والوكس الاثر اليسير كالنقطة في الشئ من غير لونه والخجل
غلظ الجمل من أثر العمل وقيل انما هو النفقات في الجملد وقد فسره الحديث والمتبر
المتبرغ وليس فيه شئ (خ) عن أنس بن مالك قال بلغنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مجلس يحدث القوم فجاءه اربى فقال متى الساعة فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم نسمع حتى اذا قضى
حديثه قال اين السائل عن الساعة قال هأنأيا رسول الله قال اذا ضيغت الامانة فانظر
الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانظر الساعة
وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا الامانة الى من اتهمك ولا تخش من خائف
أترجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى (ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات) أى باخاها الامانة ونقضوا العهد (ويتوب الله
على المؤمنين والمؤمنات) أى يهديهم ويرجعهم أدا من الامانة وقيل عرضنا الامانة
ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر إيمان المؤمن فيتوب عليه

(وكان الله غفورا) للثابتين (رحمنا) بعباده المؤمنين والله الموافق للصاب (سورة سبأ مكية وهي أربعمائة وخمسون آية) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد﴾ ان اجزى على المعهود فهو بما جحد به نفسه محمود وان اجزى على الاستعراق قوله لكل الحمد الاستعراق (الله) بلام التثنية لانه خالق ناطق الحمد اصلا فكان ملكه مالك الحمد للتجسد اهلا (الذى له ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكها وقهرها فكان حقيقة تان بحمد سر او جهرا (وله الحمد في الآخرة) كما هو له في الدنيا اذا انعم في الدارين من المولى عزرا الحمد هنا واجب لان الدنيا دار تكليف وشم لا عدم لتكليف وانما بحمد أهل الجنة سرور بالنعيم وتلذذا بعبادتنا ومن الآلام العظمى بقوله الحمد لله الذى صدقنا وعده الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن (وهو الحكيم) بتدبير ما فى السماء والارض (الحكيم) بضم من بحمده يوم ٦٢٦ الجزء والعرض (يعلم) مستأنف (ما يلج) ما يدخل (فى الارض) من الاموات والدقائق (وما يخرج منها) من النبات وجواهر المعادن (وما ينزل من السماء من الامطار وانواع البركات وما يعرج فيها) يصعد اليها من الملائكة والدعوات (وهو الرحيم) بانزال ما يحتاجون اليه (الغفور) لما يجترون عليه (وقال الذين كفروا) اى منكروا البعث (لأننا ننبأ الساعة) نفى للبعث واستار لمجيء الساعة (قل بلى) أوجب ما بعد النفى بلى على معنى أن ليس الامر الا بتأنيها (وربى لتأتينكم) ثم اعيد اليحسان مؤكدا ما هو الغايقة التوكيد والتشديد وهو التوكيد بالعين بالله عز وجل ثم امد التوكيد التسمي عما أتبع القسم به من الوصف بقوله (عالم الغيب) لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال

أى يعود عابه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير فى بعض الطاعات (وكان الله غفورا رحيمًا) والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تقسم سورة سبأ وهي مكية﴾ (أرباع وخمسون آية وثمانمائة وثلاثون كلمة وألف وخمسة مائة واثناعشر حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (الحمد لله الذى له ما في السموات وما في الارض) معناه أن كل نعمة من الله فهو الحقيقي بأن محمود وبني عليه من أجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذى له ما في السموات وما في الارض أى ملكها وخلقها (وله الحمد في الآخرة) أى كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كما هي منه فكأنه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل الحمد في الآخرة هو جحد أهل الجنة كورد بيلهمون التسبيح والحمد كملهمون النفسير (وهو الحكيم) أى الذى أحكم امور الدارين (الحكيم) اى بكل ما كان وما يكون (يعلم ما يلج فى الارض) اى من المطر والكنوز والاموات (وما يخرج منها) اى من النبات والشجر والعيون والمعادن والاموات اذا بعثوا (وما ينزل من السماء) اى من المطر والنج والبرد وأنواع البركات والملائكة (وما يعرج فيها) اى فى السماء من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور) اى للفرطين فى اداء ما وجب عليهم من شكر نعمه قوله تعالى (وقال الذين كفروا لأننا ننبأ الساعة) معناه انهم انكروا البعث وقيل استبطؤا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والدخيرة (قل بلى وربى لتأتينكم) يعنى الساعة (عالم الغيب) اى لا فوت علمه شيء من الحفيا واذا كان كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة وانها آتية لا يعزب عنه اى لا يغيب عنه (ممثل ذرة) اى وزن ذرة (فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك) اى من الذرة (ولا اكبر الا فى كتاب مبین) اى فى اللوح المحفوظ (ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة) اى لدنوبهم (وردى كريم)

المقسم عليه وشدته ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستهداء على الامر وكلما كان المستشهد به ارفع منزلة كانت الشهادة أقوى وكذا المستشهد عليه اثبت وارسخ ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها فى الحقيقة كان الوصف بما يرجع الى علم الغيب أولى وأحق عالم الغيب مبدئى وشاى اى هو عالم الغيب علام الغيب حجة وعلى على المبالغة (لا يعزب عنه) ويكبر الزاى على يقال عزب يعزب اذا غاب وبعد (ممثل ذرة) مقدار اصغر غلة (فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك) من مثقال ذرة (ولا اكبر) من مثقال ذرة (الاقى كتاب مبین) الا فى اللوح المحفوظ ولا اصغر ولا كبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون الابعثى لكن او وعدنا لا شدا و الخبيرى كتاب واللام (ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة) لما قصر واقفه من مآرج الايمان (وردى كريم) لما صيبروا عليه من مناهج الاحسان متعاقبا لتأتينكم تعالاه ٣ قوله ثلاث وثلاثون كذا بعض نسخ الخازن وفى بعض هابدون ثلاث وفى الخطيب ثلاث وثمانون وعلم الصواب من ذلك عند العالم الخبير اه مجمع

(والذين سعو في آياتنا) جاهدوا في رد القرآن (معاجزين) مسابقين طائفتين منهم يفتوننا معجز بن مكى وأبو عمرو أى مثبطين الناس عن اتباعها وتأملها أولنا مسبيين الله الى العجز (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) برفع أليم مكى وحفص وبعثت بصفة العذاب أى عذاب أليم من سبب العذاب قال قتادة الرجز سوء العذاب وغيره بالجزم لجز (ورى) فى موضع الرفع بالاستئناف أى ويعلم (الذين أتوا العلم) يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطاع أقباهم من أمته وعلما أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه والمفعول الأول ليرى (الذى أنزل اليك من ربك) يعنى القرآن (هو الحق) أى الصدق وهو فضل والحق مفعول ثان وفى موضع النصب معطوف على ليجزى وليعلم أولو العلم عند مجئ الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه فى الايقان (ويهدى) الله والذى أنزل اليك (الى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) وقال قريش بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نذكره مع انه كان مشهورا علمائى قريش وكان انباؤا بالبعث شائعاً عندهم تجاهل به وبأمره ٦٢٧ وباب التجاهل فى البلاغة والى سحرها (ينشكروا)

اذ انزقم كل عسزق انكم لى خلق جسدك أى يحدسكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعون وتنشؤون خلقا جديدا بعد ان تكونوا وفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلاء كل عسزق أى يفرقكم كل تفریق فالله مزق مصدر عنى التمزيق والعامل فى اذا ما دل عليه انكم لى خلق جسدك أى تبعون والمجديد فعل بمعنى فاعل عند البصر بين تقول جدهم وجديد كقول فهو قليل ولا يجوز انكم بالفتح للام فى خبره (أفستري على الله كذبا) أهو مفستر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك والهمزة للاستفهام وهمزة

يعنى الجنة (والذين سعو في آياتنا) أى فى ابطال أدلتنا (معجزين) أى يحسبون انهم يفتوننا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) قيل الرجز سوء العذاب (ورى الذين أتوا العلم) يعنى مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقبلهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (الذى أنزل اليك من ربك) يعنى القرآن (هو الحق) يعنى انه من عند الله (ويهدى) يعنى القرآن (الى صراط العزيز الحميد) أى الى دين الاسلام (وقال الذين كفروا) يعنى المنكرين للبعث المتعجبين منه (هل ندلكم) أى قال بعضهم لبعض هل ندلكم (على رجل ينشكروا) يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم معناه يحدسكم باعجوبة من الاعاجيب وهى انكم (اذ انزقم كل عسزق) أى قطعتم كل تطبيع وفرقت كل تفریق وصرت ترابا (انكم لى خلق جسدك) أى يقول انكم تبعون وتنشؤون خلقا جديدا بعد أن تكونوا وفاتا وترابا (أفستري على الله كذبا) أى أهو مفستر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك (ام به جنة) أى جنون وهههه ذلك وبلقيه على اسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس بمحمد صلى الله عليه وسلم من الافتراء والجحون شئ وهو مبرأ منهما بل الذين لا يؤمنون بالآخرة يعنى من تنكرى البعث (فى العذاب والضلال البعيد) أى عن الحق فى الدنيا (أفلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض) أى فى علموا انهم حدث كانوا فى ارضى وتحت سماء فى ارضى وسماء محيطة بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا قادر عليهم (ان نشأ نخسف بهم الارض) أى كخسفنا بقارون (اونسقط عليهم

الوصل حدثت استغناء عنها (ام به جنة) جنون وهههه ذلك وبلقيه على اسانه (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) ثم قال سبحانه وتعالى ليس بمحمد من الافتراء والجحون شئ وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون فى عذاب النار وفيما يؤدبهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجبن الجحون جعل وقوعهم فى العذاب رسلا لوقوعهم فى الضلال كأنهما كائنات فى وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه جعلا كأنهما معتزان ووصف الضلال بالبعيد من الاستناد المجازى لان البعيد صفة الضلال اذا بعد عن الحادة (أفلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم) وبالا دعام على للتقارب بين الفاء وباء وضعفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء (الارض اونسقط) الثلاثه بالياء كوفى غير عاصم لقوله أفتري على الله كذبا عليهم كسفا حفص (من السماء) أى اعوافهم ينظروا الى السماء والارض وأنهما حيمتا كانوا أو يفساروا امامهم وخلفهم محيطان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من أقطارهما وان يخرجوا يحبهم فيه من مكسوت الله ويخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كقائل بقارون وأصحاب الآية

(ان في ذلك) النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله تعالى (لاية) لدلالة (لكل علمه غيب) راجع الى زيه مطيع له اذ المنبلا يتخلون النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به (ولقد اتينا داود منا فضلا باجمال) بدل من فضلا او من اتينا بتقدير قولنا باجمال او قلنا باجمال (اوتى معه) من التاوب رجع معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها تكبيرهم من المنيح معجزة لداود عليه السلام (والطير) عطف على محل الجبال والطير عطف ٦٢٨ على لفظ الجبال وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى حيث جعلت

الجبال غزلة العقلاء الذين اذا أمرهم بالطاعة أطاعوا واذا دعاهم أحابوا الشعار بانهم ما من حيوان وجناد الا وهو منقاد لمشيئة الله تعالى ولو قال آتينا داود منا فضلا لا يوجب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفخامة (وانسأله المحدث) وجعلناه له ليثا كالطين المخبون يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمبرقة وقيل لان المحدث في يد ملأوني من شدة القوة (ان اعمل) ان يعنى أى او امرنا ان اعمل (سابغات) دروعا واسعة تامة من السبع وهو أول من اتخذها وكان يبيع الدرع باربعة آلاف فينتقى منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متكررا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيؤمنون عليه فيقبض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خلاصته فيه وهو انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسب له ما يستغني به عن بيت المال فاجابه صنعة الدروع

كسفان السماء) أى كقفلنا بأصحاب الأيكة (ان في ذلك) أى فيما ترون من السماء والارض (لاية) أى تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت (لكل عبد مغيب) أى تأتب راجع الى الله تعالى بقلبه قوله عز وجل (ولقد اتينا داود منا فضلا) يعنى النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جمع ما أوتى من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به (باجمال أو في معه) أى قولنا باجمال سبى معه اذا سبى وقيل رجعى معه اذا وجع ونوحى معه اذا نوح (والطير) أى وأمر الطير ان تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح او بانياحة أحابته الجبال بضد اهاو عكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملأ اوقورا وسمع الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له (والناله المحدث) يعنى كان المحدث في يده كالسمع او كالعين يعمل منه ما شاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته ان يخرج الى الناس مشركا فاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فقوله ما تقول في داود والكم هذا أى رجل هو فيؤمنون عليه ويقولون خير اقبض الله له ملكا في صورة آدمي فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل لولا خلاصته فيه فراح داود عليه الصلاة والسلام ذلك وقال ما هي باعبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى ان يسب له سيدا يستغني به عن بيت المال فيقول منه ويطعم عياله قال ان الله له المحدث وعلمه صنعة الدروع وانه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفاً وقيل انه كان يبيع كل درع باربعة آلاف فيأكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده (ان اعمل سابات) أى دروعا كوامل واسمعت طوا الانسحب في الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا (وقدر في السرد) أى ضيق في تسبيح الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقا فتقلت ولا تثبت ولا غلاظ فتكسر الحلق وقيل قدر في السرد أى اجعله على التقصد وقدر الحاجة (واعا) اوصاها) يريد داود اولا (انى بما تعملون بصير) قوله تعالى (ولسليمان الريح) أى وسخترنا لسليمان الريح (غدوها شهر دروا حها شهر) معناه ان مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير ووا حها مسيرة شهر فكانت تسير به في كل يوم واحد مسيرة شهر ين قيل كان يحدو من دمشق فيقيل باصطغر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطغر فيبيت بكابل

(وقدر في السرد) لا تجعل المسامير دقا فتقتل ولا غلاظ فتكسر الحلق والسرد تسبيح الدروع (واعا) اوصاها) يريد داود اولا (انى بما تعملون بصير) قوله تعالى (ولسليمان الريح) أى وسخترنا لسليمان الريح (غدوها شهر دروا حها شهر) معناه ان مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير ووا حها مسيرة شهر فكانت تسير به في كل يوم واحد مسيرة شهر ين قيل كان يحدو من دمشق فيقيل باصطغر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطغر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر

وبينهم سبعة أشهر ولراكب المسير عوقيل انه كان يتعدي بالري ويتعشى بسمرقند
(وأسلناه عن القطر) أي اذنا له عن النحاس قال أهل التفسير أي يت له عن النحاس
ثلاثة أيام بلياليهن تجري الماء وكان بارض اليمن وقيل اذاب الله لسليمان النحاس
كأنه لادن داود الحميد (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) أي بأمر ربه قال ابن
عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به
(ومن يرغ) أي يعدل (منهم) من الجن (عن أمرنا) أي الذي أمرناه به من طاعة سليمان
(نذقه من عذاب السعير) قيل هذا في الآخرة وقيل في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل
بهم ملكا يده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضرب به بذلك السوط ضربة
أحرقتة (يعملون له ما يشاء من محاريب) أي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة
والقصور والجحاس الشريفة المصنوعة عن الأبدال وكان معاصم لواله بيت المقدس
وذلك ان داود عليه الصلاة والسلام ابتدأ بوقعه قائمه رجل فأوحى الله اليه لم أقض
ذلك على يدك ولكن ابنك املكه بعدك اسمه سليمان أقضى اتمامه على يديه فلما
توفي داود عدله السلام واستخاف سليمان عليه الصلاة والسلام احب اتمام بيت
القدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل فارسل
الجن والشياطين في تحصيل الخام والبلور من معادنها أوامر ببناء المدينة بالرخام
والصفاة وجعلها اثني عشر رصا وانزل على كل رصص منها سبطا من الاسباط فلما فرغ
من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فقام منهم من يستخرج الذهب
والفضة من معادنها ومنهم من يستخرج الجواهر والياقوت والدر الصافي من
اما كنهم منهم من ياتيه بالملك والعنبر والطيب من اما كنهم فأتى من ذلك شيء كثير
لا يحصى الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الاجساد وتصييرها لأواحا
واصلاح تلك الجواهر وثقب الياقوت واللائي فيني المسجد بالرخام الأبيض
والاصفر والاخضر وعمده بأساطين البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة وقصص
ستوفه وحيطانه باللائى والياقوت وسائر الجواهر وبسط أرضه بأواح الغير وزج فلم
يكن على وجه تلك الأرض مؤمن شديد أبهى ولا أنور من ذلك المسجد فكان بضيء في
الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ غنم جمع إليه اخبار بني اسرائيل وأعلمهم انه بناه الله
تعالى وان كل شيء فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيداً روى عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت
القدس سأل الله عز وجل حكماً يوافق حكمه فآتته وسأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد
من بعده فآتته وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ان ياتيه احد لا ينزهه الا
الصلاة فبه الآخر جهنم خطيئته كيوم ولدت أمه أخرجه النساء ولغير النساء سأل ربه
ثلاثاً فاعطاه اثنتين وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة وقد كرهوه قوله لا ينزهه أي
لا ينزهه الا الصلاة قالوا في ريل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام
حتى غزا مجتمعت فخرت المدينة وهدم المسجد واخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر
أنواع الجواهر وجمعه إلى داره ملكه بالعراق وبني الشياطين لسليمان بالين قصورا

(وأسلناه عن القطر) أي معدن
النحاس فالقطر النحاس وهو
الصفير ولكنه اساله وكان يسيل
في الشهر ثلاثة أيام كما يسيل الماء
وكان قبل سليمان لا يذوب وسماه
عن القطر باسم ما آل اليه (ومن
الجن من يعمل) من في موضع
نصب أي وسخرنا من الجن من
يعمل (بين يديه باذن ربه) بأمر
ربه (ومن يرغ منهم) ومن يعدل
منهم (عن أمرنا) الذي أمرناه
من طاعة سليمان (نذقه من
عذاب السعير) عذاب الآخرة
وقيل كان معه ملك يده سوط
من نار فمن زاغ عن أمر سليمان
عليه السلام ضرب به ضربة أحرقتة
(يعملون له ما يشاء من محاريب)
أي مساجد أو مساكن

(وتمثال) اى صور السباع والطيور وروى انهم عملوا له أسد بن فى أسفل كرسية ونسب من فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيه ما اذا قد أظله ٦٣٠ النسران باجتماعهما وكان التصور بمباحيئش (وجقان) جمع حفنة

(كالجواب) جمع جارية وهى
الحياض السكبى وقيل كان يقعد
على الحفنة ألف رجل كالجوابى
فى الوصل والوقوف مكي ويعتوب
وسهل وافق أبو عمرو فى الوصل
الباقون بغير ياء اكتفاء بالسر
(وقدور راسيات) ثابتات على
الاناث لا تنزل عنها لعظمتها
وقيل انها باقية السنين وقلنا لهم
(اعملوا آل داود شكرا) اى
ارجوا اهل البلاد واسألوا ربكم
المعاقبة عن الفضيل وشكرا
مفعول له احوال ايشا كرين
أو اشكروا شكرا لان اعملوا فيه
معنى اشكروا من حيث ان
العمل للثمن شكركه أو مفعول
به يعنى انما يخبرناكم الحق ان
يعملون لكم ما نتمتع فاعملوا انتم
شكرا وسئل المجتهد عن الشكر
فقال بذل المجهود بين يدي
المعبود (وقيل من عبادى)
يسكون الياء حجرة وغيره ففتحها
(الشكور) المتوفر على أداء
الشكر البذل وسعة فيه فقد
شغل به قلبه ولسانه وجوارحه
اعتقادا واعتافا وكذا وعن
ابن عباس رضى الله عنهما من
يشكر على احواله كلها وقيل من
يشكر على الشكر وقيل من يرى
معجزه عن الشكر وحكى عن داود
عليه السلام انه جزأ ساعات
الليل والنهار على اهل بيته فلم يكن

وحصوا ناعية من الخضر وقوله عز وجل (وتمثال) اى يعملون له تمثال اى
صورا من نحاس ورخام وزجاج قبل كانوا يصورون السباع والطيور وغيرها وقيل
كانوا يصورون صور الملائكة والانبياء والصالحين فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا
عبادة قيل يحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا فى شرعهم وهذا ما يجوز ان يختلف
فيه الشرائع لانه ليس من الامور التي يجب فى العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوها
فما يتبع فى كل الشرائع قبل عملوا له أسد بن تحت كرسية ونسب من فوقه فاذا أراد أن
يصعد بسط له الاسدان ذراعيه ما اذا جلس أظله النسران باجتماعهما وقيل عملوا له
الطواويس والعقبان والنسور على درجات من بره فوق كرسية لكي يهابه من أراد
الدخول منه (وجقان) اى قضاة (كالجواب) اى كالحياض التى يجي فيها الماء اى
يجمع قيل كان يقعد على الحفنة الواحدة ألف رجل ياكون منها (وقدور راسيات) اى
ثابتات على اثنائها لا تتحرك ولا تنزل عن اما كلها لعظمتها وكان يصعد اليها بالسلام
وكانت بالين (اعملوا آل داود شكرا) اى وقلنا ما آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا
على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته قال ثابت البناني
كان داود نبي الله عليه الصلوة والسلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهل بيته فلم يكن
تأتى ساعة من ليل أو نهار الا وانسان من آل داود قائم يصلى (وقيل من عبادى)
الشكور) اى قليل الاعمال بطاعتى شكر الله تعالى قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت)
اى على سليمان قال العلماء كان سليمان يخبر للعبادة فى بيت المقدس الستة والسنتين
والشهر والشهرين وأقل من ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة
التي مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لا يصح يوما الا وقد نبتت فى محرابه بيت المقدس
شجرة فقبسها لها ما اسمى فتهقول كذا وكذا فيقول لاى شئ خلقت فتهقول لكذا وكذا
فامر بها فتنقطع فان كانت لغرس امرها فغرست وان كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت
الخزربة فقال لها ما انت قالت انا الخزربة قال ولاى شئ نبت قالت لخزrab مسجدك قال
سليمان ما كان الله يخبر به وأناخى أنت التى على وجهك هلاكى وخرب بيت المقدس
ثم نزعها وغرسها فى حائط له ثم قال الله هم على الجن موتى حتى تعلم الانس ان الجن
لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب شيئا ويعلمون ما
غدهم فدخل المحراب وقام يصلى على عاتقه متكى على عصاه فبات قائما وكان للمحراب كوى
من بين يديه ومن خلفه فكانت الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التى كانوا يعملون
فى حياة سليمان وينظرون اليه ويحسبون انه حى ولا ينكرون احتياسه عن الخروج
الى الناس لطول صلاته وانتظاره قبل ذلك فكانوا يدابون بعدموته حولا كاملا حتى
اكتلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعملوا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة
فهم ياتونها بالاسماء الطين فى جوف الخشب فذلك قوله تعالى (مادهم على موته الادابة)

(الارض)

تأتى ساعة من الساعات والاوانسان من آل داود قائم يصلى
(فلما قضينا عليه الموت) اى على سليمان (سادهم) اى الجن وآل داود (على موته الادابة)

الارض) أى الارضة وهى دوية يقال لها سرفه والارض فعلها فاضمت اليه يقال أرضت الحشبة أرضا إذا أكلتها الارضة (أكل منسأته) والعصا تسمى منسأة لانه ينسأها أى يطردها ومنسأة بغير همز مدنى وأبو عمرو (فلما خر) سقط سليمان (تنبئت الجن) علمت الجن كلهم علمانيا بعد التماس الامر على عامتهم بوضع عقبتهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (فى العذاب المهين) وروى أن داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فبات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فأمر الشياطين بأتمامه فلما بقى من عمره سنة تسالربه أن يعصى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتطلب دعواهم العلم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا ١٣١ وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقى فى ملكه أربعين سنة

وابتداء بناء بيت المقدس لاربع مئتين من ملكه وروى أن أفرديون جاءوا بعد كرسيه فلما دنضرب الاسدان ساقه فكسرها فلم يجسر أحد بعده أن يدومنه (لقد كان اسبا) بالصرق تأويل الحى ويعدهم أو عمرو وتأويل القليلة (فى مسكنهم) حجرة وحفص مسكنهم على وخلف وهو موضع سكنها وهو بلدهم وأرضهم التى كانوا قديمين فيها باليمن أو مسكن كل واحد منهم غيرهم مسكنهم (آية) اسم كان (جنتان) بديل من آية أو خير مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان ومعنى كونهما آية أن أهلها المساء عرضوا عن شكر الله عليهم الله النعمة ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر ونقض النعم أو جعلها آية أى علامة دالة

الارض) يعنى الارضة (تأكل منسأته) قال الجزارى يعنى عصاه (فلما خرتنبئت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) معناه علمت الجن وأيقنت أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى التعب والشقاء مستحقين لسليمان وهو ميت ويظنونه حيا أراد الله تعالى بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يظنون ذلك لمجهلهم وقيل فى معنى الآية أنه ظهر امر الجن وانكشف للانسان أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك كراهل التاريخ أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقى فى الملك مدة أربعين سنة وشرع فى بناء بيت المقدس لاربع مئتين مئتين من ملكه وتوفى وهو ابن ثلاث وخمسين قوله عز وجل (لقد كان اسبا فى مسكنهم آية) عن قزوة ابن مبيك المرادى قال لما أنزل فى سبام انزل قال رجل يا رسول الله وما سبام ارض او امرأة قال ليس بارض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيان منهم ستة وثلاثون منهم اربعة فاما الذين تشاءوا فقتلهم وجذام وغسان وعاملة واما الذين تباعوا فالا زرد والاشعريون وجيرو وكندة ومنذرج واما رقة قال رجل يا رسول الله وما انار قال الذين منهم خنعم وبجيلة أخرجه الزمردى مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسأبأوا بن يشجب ابن عربى يخططان فى مسكنهم أى يبار من ارض اليمن آية أى دلالة على وحدانية الله وقد ترائفوا فى الآية فقال تعالى (جنتان) أى بستانان (عن يمين وشمال) أى عن يمين والادى وشماله وقيل عن يمين من أناهما وشماله وقيل كان لهم واد قد أحاط به الجنتان (كأوا) أى قيل لهم كأوا (من رزق ربكم) أى من عمار الجنتين قيل كانت المرأة تحمل مكملها على رأسها وتجر الجنتين فيمتلئ المكمل من أنواع الفواكه من غير أن تمس بيدها شيئا (واشكروا له) أى على ما رزقكم من النعمة واعملوا بطاعته (بلدة طيبة) أى ارض مأر. وهى سبأ بلدة طيبة فسيحة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى فى بلدتهم بعوض ولا ذباب ولا رغو ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم فى نيا به التمل ففوت القمل من طيب الهواء (ورب غفور) قال وهب أى ور بكم أن شكرتم على ما رزقكم رب غفور

على قدرة الله واحسانه ووجوب بشكره (عن يمين وشمال) أراد جماعة من السبائين جماعة عن يمين بلادهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين فى تقاربها واتصالها كما تكون بساتين البساتين العامرة أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله (كأوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون اليهم أو ما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما أمرهم بذلك أتبعه قوله (بلدة طيبة) أى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة ور بكم الذى رزقكم وطلب شكركم بغفور لمن شكره قال ابن عباس كانت سبأ على ثلاثة قرارى من صبة ماء وكانت اخصب البلاد التى رزقوا على رأسها المكمل ففعل يسدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكمل مما ينسأط فيه من الثمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا رغو ولا عقرب ولا حية ومن يمر بها من العرب يبعث قلبه الحبيب وانها

(فأعزوا) عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي المطر الشديد أو العرم اسم الوادي وهو البحر الذي نبت عليهم السكر قالوا الماطعوا لظ الله عليهم البحر ففقهه من أسفله فخر قهرهم (وبدلتناهم بحمتهم) المذكورين (جنتين) وتسمية البذل ٦٣٢ جنتين للشاكة وأزدواج الكلام كقوله وخزاعية سبعة مثلها

من شكره قوله عز وجل (فأعزوا) قال وهب أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبيا فدعاهم إلى الله تعالى وذكروهم نعمة عليهم وأبذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة ففقوا الربك فليحس هذه النعمة عنان استطاع فذلنا عراضهم (فأرسلنا عليهم سيل العرم) العرم الذي لا يطاق قيل كان ماء أجر أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم السكر الذي يحس الماء وقيل العرم الوادي قال ابن عباس وهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك أنهم كانوا بقة تلون على ماء وادبهم فمرت بوابهم فسد بابهم والقار بين الجبلين وجعلت لهم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرا على عدة أبوابهم ففتحوها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا عنه سدوها فإذا طاعهم المطر اجتمع إليهم ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فمرت بالباب الأعلى ففتح بحر ماؤه إلى البركة فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طاعوا وكفروا سخط الله عليهم جزا ليعي الحسد فغلب السد من أسفله ففرق الماء جنانهم وأحرب أرضهم وقال وهب رأوا فيما يزعمون ويخبرون في علمهم أن الذي يحرب سددهم فارة فلم يتركوا فجرة بين جرير الأرض واعندوها هرة فلما جاء زمان ما أزال الله تعالى بهم من التعريق أقبلت فيما يذكرون فارة فجاء كبره إلى هرة من تلك الهرة فاورت باحني استأخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فعلقلت في السد وحفرت حتى أوهنت المسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجدخلوا فدخل منه حتى أطلع السد وفاض الماء حتى علاه وألفهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا وزوال غرق حتى صاروا مئلا عند العرب يقولون ذهبوا أيدي سبأ فغرقوا أيادي سبأ فذل قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم (وبدلتناهم بحمتهم جنتين ذواتي أكل نخطب) قيل هو شجر الاراك وغيره البربر وقيل كل نبت أخذ طعمه من المراتة حتى لا يمكن أكله فهو نخطب وقيل هو غر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الشخص فاس يتفرك ولا يتنقع به (وأثل) قيل هو الطرفا وقيل شجر يشبه الطرافا لأنه أعظم منه (وشئ من سدر قليل) هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وغيره التيق ولم يكن السد الذي يدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا بار لا يصلح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصبره الله من شر الشجر بأعمالهم وهو قوله تعالى (ذلًا جزياهم بما كفروا) أي ذلك الذي فعلنا بهم جزاء كفرهم (وهل يجازي الالكفور) أي هل يكافأهم له الالكفور وقوله في نعمة قيل المؤمن يجزي ولا يجازي يجزي حسنة ولا يكافأ بسئانه (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) أي بالماء والشجر وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) أي متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقر بها منها قيل كان معجزهم من بين

(ذواتي أكل نخط) الأكل الثمر يشقل ويخفف وهو قراءة نافع وهي والنخط شجر الاراك وقيل كل شجر ذي شوك (وأثل وشئ من سدر قليل) الأثل شجر يشبه الطرافا أعظم منه وأجود عودا ووجهه من نون الأكل وهو غير أي عروان أصله ذواتي أكل أكل نخط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو وصف الأكل بالخطب كانه قيل ذواتي أكل يشع ووجهه أي عروان أكل الخنثى معني البربر وهو غر الاراك إذا كان غضا فكانه قيل ذواتي بربر الأثل والسدر معطوفان على كل لأعلى خط لان الأثل لا لاكل وعن الحسن قلل السدر لانه أكرم ما بدلوا لانه يكسبون في الحسان (ذلًا جزياهم بما كفروا) أي جزياهم بذلك بكفرهم فهو معقول ثان متقدم (وهل يجازي الالكفور) كوفي غير أي بكر وهل يجازي الالكفور وغيرهم يعني وهل يجازي مثل هذا الجزء الامن كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله أو وهل يعاقب لان الجزاء وان كان عاما يستعمل في معنى المعاقبة وفي معنى الامانة لكن المراد الخاص وهو العتاب وعن الخصال كانوا في الفترة التي

بين عيسى ومحمد عليهما السلام (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) إلى ناتوسعة على أهلها في النعم والمياه وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة ترى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لا عين لها ظهري أو ظاهرة سبأ لم تعد من سبأ الكههم حتى تخفى عليهم وهي أربعة آلاف وسبع مائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام

بقدرنا فيها السير) أى جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم بقيل المسافر في قرية وروح في أخرى إلى أن يبلغ الشام (سير وافياها)
فلما هم سيروا ولا قول لعملة ولا كنهم لهم ما كدوا من السير وسر بهم أسانه فكأنهم أروا بذلك (ليالي وأياما آمنين) أى سيروا
هنا شت بالليل وان شت بالهارقان الامن فيه الاختلاف باختلاف الأوقات أى سيروا فيها آمنين لا تخافون عدوا ولا جوعا
عطشا وان تطاولت مدة سفركم وامتدت أياما وليالي (فقالوا ربنا يا عبيد ابن أسفارنا) قالوا ربنا يا ربنا كانت بعيدة ففسر على بحاثنا
رجع في التجارات وتفاخر في الدواب والاسباب بطروا التمتع ومولوا العافية ٢٣٣ فطلبوا البكوا والتعب بعد عبي وأبو

عمر و (وظلوا) بما قالوا (أنفسهم
فجعلناهم أحاديث) يتحدث
الناس بهم ويستحبون من
أحوالهم (ومرقتهم كل محرق)
وفرقتهم تفرقا اتخذهم الناس
مشا لا مضربا يقولون ذهبوا
أبدى سبوا تفرقوا ما بدى سببا
فلحق غسان الشام وأقارب ثرب
وحذام بتمامة والأزد بعمان
(ان في ذلك لآيات لكل صبار)
عن المعاصي (شكروا) لأنهم أو
لكل مؤمن لأن الايمان نصفان
نصفه شكر ونصفه صبر (ولقد
صدق عليهم ابلس ظنه)
بالتشديد كوفي أى حقق عليهم
ظنه أو وجد صا قوا بالتدقيق
غيرهم أى صدق في ظنه
(فاتبعوه) الضمير في عليهم
واتبعوه لاهل سبأ وبنى آدم
وقل المؤمنين بقوله (الافريقا
من المؤمنين) اقلتم بالاضافة
الى الكفار ولا تتحدأ كثرهم
شاكرين (وما كان له عليهم)
لا بليس على الذين صار ظنه فيهم
صدقا (من سلطان) من تسلط
واستبلا بالوسوسة (ألا
لنعلم) موجودا ما علمنا معدوما
والتعبر على المعلوم لا على
العلم (من يؤمن بالآخرة

من الشام فساكنوا بيتون بقرية ويقولون باخري وكانوا لا يختلجون الى جبل زاد من
بالي الشام وقيل كانت قراهم اربعة آلاف وسبع مائة قرية مقصلة من سبأ الى
شام (وقدرنا فيها السير) أى قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في العسوق
لرواح على قدر نصف يوم فإذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه واشتجار
يكن ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا) أى قتلنا لهم سيروا (فيها ليالي وأياما) أى في أى
وقت شتتم (آمنين) أى لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا بطروا النعمة وشتموا
راحدة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كانت جناتنا أبعد ما هى كان أجدر ان
نتهمها وطلبوا البكوا والتعب في الأسفار (فقالوا ربنا عبيد ابن أسفارنا) وقرئ يا عبيد
سفارنا أى جعل المؤمنين الشام فافوز وفلوات لترك فيها الرواح ولتتروا الأوزاد
لما تموا ذلك عجل الله لهم الاجابة (وظلوا أنفسهم) أى بالبطر والغبان (فجعلناهم
حاديث) أى عرقلهم بعدتهم يتحدثون باهم وشأنهم (ومرقتهم كل محرق) أى
رقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق قيل لما عرفت قراهم تفرقوا في البلاد فأما
سان فلقوا بالشام ومر الأزد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى ثرب
كان الذي قدم منهم المدينة عرو بن عامر ووجد الاوس والخزرج ولحق آل خزاعة
لعراق (ان في ذلك لآيات) أى لعبرا ودلالات (لكل صبار) أى عن المعاصي
شكروا) أى الله على نعمة قبل المؤمنين صابر على البلاء شاكر للنعمة وقيل المؤمنين اذا
عطى شيئا واذا ابتلى صبر قوله عز وجل (واقصد صدق عليهم ابلس ظنه) قيل على
هل سبأ وقيل على الناس كاهم (فاتبعوهما الا فريقا من المؤمنين) قال ابن عباس رضى
الله عنهما يعنى المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه في أصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين
الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتبية ان ابلس سأل النظره فانظره الله قال
لا غيرهم ولا ضلهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيه يتم وانما قاله ظنا
لما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسئل عليهم سبيفا ولا
ضربهم بسوطا انما وعدهم ومناهم فاعتروا (وما كان له عليهم من سلطان) أى ما كان
سلطانا يااه عليهم (الا تعلم من يؤمن بالآخرة من هو منها في شئ) أى لئلا يرى غير المؤمنين
من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور اذا كان معلوما عند لانه عالم الغيب (وربك على
كل شئ حفيظ) أى رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ قوله تعالى (قل) أى قل يا محمد لكفار
مكة (ادعوا الذين زعمتم) أى انهم آلهة (من دون الله) والمعنى ادعوه لم يكشعوا عنكم

هرمته في شئ وربك على كل شئ حفيظ) محافظ عليه وفاعل ومفاعل
متأحيان (قل) لمشركي قومك (ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أى زعمتموه آلهة من دون الله فاقول الاول الضمير
راجع الى الموصول وخذف كما حذف في قوله اهدا الذي بعث الله اسخفا قال طول الموصول صلاته والافعال الثاني آلهة
حذف لانه موصوف صفة من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا مغفولا زعم

مخذوفان بسبب من محتاجين والمعنى ادعوا الذين عبدتوه من دون الله من الاصنام والملائكة وسجدتوهم باسمه والتجوز اليهم
فما يعرفونكم بل تجوز اليه وانتم تظنوا استعجابهم لدعائكم كما تنتظرون استعجابته ثم احاب عنهم بقوله (لا يملكون متقال ذرة) من
خير اوتشر او تنفع واضر في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك) وما لها في هذين الجنتين من شرك في الخلق ولا في
المالك (وما له) تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) ٦٣٤ من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز

فكيف يصح ان يدعووا كل يدعى
ويرجوا كما يرجي (ولا تنفع
الشفاعة عنده الا ان اذن له)
أى اذن له الله يعنى الا ان وقع
الاذن للشفاعة لاجله وهى اللام
الثانية فى قولنا اذن له يدعرو
أى لاجله وهذا تكذيب لقولهم
هو لاء شفاعا عند الله اذن له
كوفى غير عاصم الا الاعشى
(حتى اذا فرغ عن قلوبهم)
أى كشف الفزع عن قلوب
الشافعين والمنفوع لهم بكامة
يتكلم بهارب العزة فى اطلاق
الاذن وفرغ شأهى أى الله تعالى
والفزع يسع ازالة الفزع وحى
غاية قساقهم من أن ثم انتقارا
للاذن وتوقفا وفرغاه من الرجين
للشفاعة والشفاعة اهل يؤذن
لهم أولا يؤذن لهم كانه قيل
بم بصون ويتوقعون مليا
فزعين حتى اذا فرغ عن
قلوبهم (قالوا) سأل بعضهم
بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال
(الحق) أى القول الحق وهو
الاذن بالشفاعة لمن ارتضى
(وهو العلى الكبير) ذوالعسلو
والكبير باء ليس للملائكة ان ي
أن يتكلم ذلك اليوم الا
بأذنه وان شفع الا ان ارتضى

الضر الذى نزل بكم فى سنى الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى (لا يملكون متقال
ذرة فى السموات ولا فى الارض) يعنى من خير وشرو ونفع وضر (وما لهم) أى الآلهة
(فيهما) أى فى السموات والارض (من شرك) أى من شرك (وما له) أى الله (منهم) أى
من الآلهة (من ظهير) عوين (ولا تنفع الشفاعة عنده الا ان اذن له) أى اذن الله له
فى الشفاعة قاله تكذيبا للاكفار حيث قالوا هو لاء شفاعا عند الله وقيل يجوز أن يكون
المعنى الا ان اذن الله فى ان يشفع له (حتى اذا فرغ عن قلوبهم) معناه كشف الفزع
وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله
تعالى (خ) عن ثى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى
الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فرغ عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم
قالوا) الذى قال (الحق وهو العلى الكبير) ولاترمدى اذا قضى الله فى السماء أمرا ضربت
الملائكة باجنحتها خضعوا لقوله كانه ساسله على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا
قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قال الترمذى حديث حسن صحيح قوله خضعوا
خاضع وهو المتقاد المطمئن والصفوان الحجر الاماس عن ابن مسعود رضى الله عنه قال
اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات صاخلة كجر السلسلة على الصفافة فصعقون فلا
يرأون كذلك حتى ياتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال
ربكم فيقول الحق فيقولون الحق أخرجه أبو داود الصفة صوت الاجراس الصلبة
بعضها على بعض وقيل انما يفرعون حذرهم قيام الساعة قيل كانت القترتين عيسى
ومحمد عليهما الصلاة والسلام خسمائة سنة اوستما لم تسمع الملائكة فيها صوت وحى
فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم
فلما سمعت الملائكة نطقوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند أهل السموات
من اشراط الساعة فصعقوا واما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما اتحد جبريل جعل يبر
بأهل كل سماء فكشف عنهم فيرون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا
قال الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير وقيل ان الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل اذا
كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم فى الدنيا
لا قاة المحنة عليهم قالوا الحق فاقرؤا به حين لم ينفعهم الا قرأوه هو العلى الكبير أى ذو
اللوواء الكبير باء قوله عز وجل (ل من يرزقكم من السموات والارض) يعنى المظ
والنبيات (قل الله) يعنى ان لم يقولوا ان رزقنا هو الله فقل انت ان رزقكم هو الله (وانا)

أو
(قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله) امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره ان يتولى الاجابة
والاقرأ عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقولهم الامم ربنا ايا أن يتكلموا به لانهم ان تفوهوا
بان الله رزقهم لزمهم ان يقال لهم فقالكم لا تعبدون من يرزقكم وتزرون عليه ما لا يقدر على الرزق وامره ان يقول لهم
بعد الايام والالجام الذى ان لم يزد على اقرارهم باستنهم لم يتقاصر عنه (وانا انا) أى هدى

أوفي ضلال مبين) ومعناه وان أحد الفرقين من الموحدين ومن المشر كين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال إن خوطبه قد أنصفك صاحبك وفي درجة بعد تقدم مقدم من التبريد لادلة غير خفية على من هو من الفرقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض أوصل بالجدال إلى الغرض ونحوه قولنا للكاذب ان أحدنا الكاذب وخولف بين حرفي الحجر ٢٣٥ الداخلي على الهدى والضلال لان صاحب

الهدى كانه مستعمل على فرس جواد ركضه حيث شاء والفضال كانه يتعمق في ظلام لا يرى أين يتوجه (قل لا تسئلون عما أجرمنوا ولا نسئلكم عما تعملون) هذا أدخل في الانصاف من الأول حيث أسند الأجرام إلى المخاطبين وهو من جور جوره عنه محذور والعمل إلى المخاطبين وهو ما مور به مشكور (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح) يحكم (بيننا بالحق) بلا جور ولا ميل (وهو الفتاح) الحاكم (العاليم) بالحكم (قل أرؤني) الذين المحققت أي الحقبة وهم (به) بالله (شركاء) في العبادة معهم ومعنى قوله أرؤني وكان يراهم أن يرهم الخطأ العظيم في الحقائق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الشركاء به (كلا) ردع وتنبه أي ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم (بل هو الله العزيز) الغالب فلا يشاركه أحد وهو ضمير الشأن (الحكيم) في تدبيره (وما أرسلناك إلا كافة للناس) الأرسالة العامة لهم محيطتهم لانها اذا شتمتهم فقد كفرتهم أي يخرج منها أحد (ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض م سجداً ووطواً فأعبدوا جل من أعنته أدركته الصلاة فجل واحدات في الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة في الحديث بيان الفضائل التي نص الله بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء وان هذه الخمسة لم تكن لأحد ممن كان قبليه من الأنبياء وفيه اختصاص بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث إلى قومه أو إلى أهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقبل في معنى كافة أي كافاتهم معاهم عليه من الكفرة تكون الهاء للبالغة (بشيرا) أي إن آمن بالجنة (ونذرا) أي لمن كفر بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون مني هذا الوعدان كنتم صادقين) يعني يوم القيامة (قل لكم معاديوم لا تستأخرون عنه ساعة

أواما كلعلى هدى أو ضلال مبين) ومعناه ما نحن وانتم على أمر واحد بل أحد الفرقين مهتد والآخر ضال وهذا البس على طريق الشك بل على جهة الإلزام والانصاف في الحجاج كقوله القائل أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالتى صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فيكذبهم من غير أن يصرح بالكذب ومنه بيت حسان أتجوه ولسنله بكفء * فشر كالحبر كمال الفداء وقيل أو بمعنى الواو ومعنى الآية اننا على هدى وانكم لفي ضلال مبين (قل لا تسئلون عما أجرمنوا) أي لا تأخذون به (ولا تسئل عما تعملون) أي من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يتوهمها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام (قل يجمع بيننا ربنا) يعني يوم القيامة (ثم يفتح) أي يقضى ويحكم (بيننا بالحق) أي بالعدل (وهو الفتاح) أي القاضي (العاليم) أي عايقضى (قل أرؤني) أعلموني (الدين) المحققة به أي بالله (شركاء) أي الأصنام التي أشركوها معه في العبادة هل يتخفون أو يزقون وأراد بذلك أن يرهم الخطأ العظيم في الحقائق الشركاء بالله (كلا) كذا ردع لهم عن مذهبه والمعنى ارتدعوا فاتهم لا يتخفون ولا يزقون (بل هو الله العزيز) أي الغالب على أمره (الحكيم) أي في تدبير خلقه فأنى يكون له شرك في ملكه قوله عز وجل (وما أرسلناك إلا كافة للناس) أي للناس كافة مع عامة أجمعهم واسودهم عبر بهم وعجمهم وقيل أرسالة عامة لهم لانها اذا شتمتهم فقد كفرتهم أي يخرج منها أحد (ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض م سجداً ووطواً فأعبدوا جل من أعنته أدركته الصلاة فجل واحدات في الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة في الحديث بيان الفضائل التي نص الله بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء وان هذه الخمسة لم تكن لأحد ممن كان قبليه من الأنبياء وفيه اختصاص بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث إلى قومه أو إلى أهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقبل في معنى كافة أي كافاتهم معاهم عليه من الكفرة تكون الهاء للبالغة (بشيرا) أي إن آمن بالجنة (ونذرا) أي لمن كفر بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون مني هذا الوعدان كنتم صادقين) يعني يوم القيامة (قل لكم معاديوم لا تستأخرون عنه ساعة

الرجاج معني كافة في اللغة الإحاطة والمعنى أرسلناكم معاهم للناس في الإنذار والأبلاغ فجعله حالاً من الكاف والماء على هذا اللفظ كتابه الراوية واللامنة (بشيرا) بالفضل إن أقر (ونذرا) بالعدل لمن أضر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيصالحهم معاهم على مخالفتك (ويقولون مني هذا الوعد) أي القيامة المشار إليها في قوله قل يجمع بيننا ربنا (ان كنتم صادقين قل لكم معاديوم) المعاد ظرف الوعد من كل أوردن وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأه معاديوم فابدل منه اليوم وإما الإضافة قاضية بتبيين كما تقول بعير سانية (لا تستأخرون عنه ساعة

ولا تستقدمون) أى لا يكتمكم التاخر عنه بالاستمهال ولا التقدم اليه بالاستمهال ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم انهم
سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا لاسترشاد الجاهل الجواب على طريق التبييض طابقا للسؤال على الانكاز والتعنت وانهم
مرصدون ليوم يفتضحهم فلا يستطيعون تأخر عنه ولا تقدم عليه (وقال الذين كفروا) أى اوجهم وذو وه (ان تؤمن بهذا
القرآن ولا بالذي بين يديه) أى ما نزل قبل القرآن من كتب الله او القيامة والخمسة والاربعون أنهم يجدوا أن يكون القرآن
من الله وأن يكون لسانه عليه من الاعادة للحجامة حقيقة (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون) محبوسون (عند ربهم يرجع) يريد
(بعضهم الى بعض القول) في المجدال أخبر عن عاقبة أمرهم وما لهم في الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أول الخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتعاضدون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم رأيت العجب فحذف الجواب
(يقول الذين استضعفوا) أى الاتباع (للذين استكبروا) أى للرؤس والمقدمين (لولا أنتم لكنا مؤمنين) لولا دعاؤكم إيانا
الى الكفر لكنا مؤمنين بالله ورسوله ٢٣٦ (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صدقناكم عن الهدى)

ولا تستقدمون) معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقبل عن يوم الموت ولا تتأخرون
عنه بأن يراد في آجالهم أو ينقص منها (وقال الذين كفروا) ان تؤمن بهذا القرآن ولا
بالذي بين يديه) يعنى التوراة والانجيل (ولو ترى) أى يا محمد اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) معناه ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم
يتعاضدون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم رأيت العجب (يقول الذين استضعفوا)
وهو الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والاشراف (لولا أنتم لكنا مؤمنين)
يعنى أنتم معتمدون على الايمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) أى أجاب المتبعون
في الكفر (للذين استضعفوا نحن صدقناكم) أى معناكم (عن الهدى) أى عن
الايمان (بعد ادعاءكم بل كنتم مجرمين) أى بترك الايمان (وقال الذين استضعفوا)
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أى مكركم بنساق الليل والنهار وقيل مكر الليل
والنهار هو طول السلامة في الدنيا وطول الاذل فيها (اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل
له أندادا) أى هو قول القادة للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذه تنبيه
للافتقار ان تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة (وأمرنا
الندامة) أى اظهروها وقيل اخفوها وهو من الاضداد (لما رأوا العذاب وجعلنا
الاغلال في أعناق الذين كفروا) أى في النار الاتباع والمتبعين جميعا (هل يحزنون الا
ما كانوا يعملون) أى من الكفر والمعاصي في الدنيا قوله عز وجل (وما أرسلنا في قرية

أولى الاسم أى نحن حرف الانكار
لان المراد انكار أن يكونوا هم
الصادق لهم عن الايمان
وانبات انهم هم الذين صدوا
بأنفسهم عنه وانهم أتوا من قبل
اختيارهم (بعد ادعاءكم) انما
وقعت اخذنا إياهم وان كانت
اذا وامن الظروف اللازمة
للظرفية لانه قد اتسع في الزمان
ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها
الزمان (بل كنتم مجرمين) كافرين
لاختياركم أو شاركم في الضلال على
الهدى لا بقولنا وتسويلنا
(وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا) لميات بالعاطف في
قال الذين استكبروا وأتى به في
وقال الذين استضعفوا لان الذين

استضعفوا وأمر أولادهم بجنى ما يجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم جىء بكلام آخر لتستضعفين من
فقط على كلامهم الاول (بل مكر الليل والنهار) أى مكركم بنساق الليل والنهار فاجزأته مجرى المفعول به وإضافة
المكر اليه وجعل لهم ونهارهم ما كرم على الاسناد المجازى أى الليل والنهار مكر أطول السلامة فيمات حتى ظننا انكم
على الحق (اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أشباهه والمعنى ان المستكبرين لما أنكروا بقوله نحن صدقناكم
أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كعليهم المستضعفون
بقولهم بل مكر الليل والنهار فاضلوا اضربهم بما ضربهم كأنهم قالوا ما كان الاجام من جهة تابل من جهة مكر كنادائنا بيا
ونهارا وجعلنا إيماننا على الشر وكنا الانداد (وأمرنا الندامة) اضربوا واظهروا وهو من الاضداد وهو الظالمون في
قوله اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم واستضعفون على ضلالهم وتابعهم المضلين (لما رأوا
العذاب) الحبحم (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) أى في أعناقهم فمما ناصر به الدلالة على ما استحقوه من الاغلال
(هل يحزنون الا ما كانوا يعملون) في الدنيا (وما أرسلنا في قرية

من نذر) نبي (الاقال مترفوها) متعجها وورساوها (انما أرسلتم به كافرون) هذه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وانه لم يرسل قط الى اهل قريه من نذر الا قالوا الله مثل ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة واقتنروا بكثرة الاموال والاولاد كما قال (وقالوا نحن ا كثر اموا لاولاد او ما نحن بمعدنين) ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعد بهم فترا الى احوالهم في الدنيا ووطنوا انهم لم يركموا على الله لما رقه الله ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فاطل الله ظنهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء غير بما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهم او ضيق عليهم فلا ينقاس ٦٣٧ عليهم اثر الثواب بقوله (قل ان ربي يبدط

الرزق لمن يشاء ويقدّر) قدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه (وليكن ا كثر الناس لا يعلمون) ذلك (وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقرب بكم عندنا زلفى) اى وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التائث والزلفى والزلفه كالقربى والقربى وعملهما النصب على الصدر اى تقرب بكم قسريه كونه انتم كرم من الارض نباتا (الامن آمن وعمل صالحا) الاستثناء من كم تقرب بكم يعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفقه فى سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا الامن عليهم الخبر وفقهم فى الدين ورشعهم فى الصلاح والطاعة ومن ابن عباس الا يعنى لكن ومن شرط جوابه (فاولئك لهم جزاء الضعفاء) وهو من اضافة

من نذر الا قال مترفوها) اى رؤساؤها واغنيائها (انما أرسلتم به كافرون وقالوا) يعنى المترفين والاغنياء للفقراء الذين آمنوا (نحن ا كثر اموا لاولاد او ما نحن راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يحزننا اموا لاولاد او ما نحن بمعدين) اى ان الله قد احسن البنى فى الدنيا بمال والولد فلا يعد بنى فى الآخرة (قل ان ربي يبدط الرزق لمن يشاء ويقدّر) يعنى انه تعالى يبدط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضيق على سخطه (وليكن ا كثر الناس لا يعلمون) اى انها كذلك (وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقرب بكم عندنا زلفى) اى بالتي تقرب بكم عندنا ترفىا (الا اى اسكن (من آمن وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد ايمانهم وعمله قريه منى (فاولئك لهم جزاء الضعفاء بما عملوا) اى يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرة الى سبع مائة (وهم فى العرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا) اى يعملون فى ابطال حجبتنا (معجزين) اى معاندين يحسبون انهم بمعجزونا ويقولوننا (اولئك فى العذاب محضرون) قوله عز وجل (قل ان ربي يبدط الرزق لمن يشاء من عباده ويبدله (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) اى يعطى خلفه اذا كان فى غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لامعوض سواء اما عاجلا بمال أو بالانقاعة التى هى كثر لا ينفد اموال الثواب فى الآخرة الذى كل خلف دونه وقبل ما تصدقتم من صدقة ووا أنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا فى الآخرة ومعنى الآية بما كان من خلف فهو منه (ق) عن اى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك واسلم يا ابن آدم أنفق أنفق عليك (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصح العباد فيه الا اولى كان يتزلن يقول أحدهما اللهم أعط منة فاطفا ويقول الآخر اللهم أعط مسكنا (م) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال

المصدر الى المغلول أصله فاوئلك لهم أن يجازوا الضعفاء الضعفاء بمعنى جزاء الضعفاء أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرة أو ثمانية أو ثمانية الضعفاء على أن أولئك لهم الم الضعفاء جزاء بما عملوا) اى الضعفاء بمنزلة الجنة العرفة جزاء (آمنون) من كل هائل وشاغل (والذين يسعون فى آياتنا) فى ابطالها (معجزين أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربي يبدط الرزق) يوسع (من يشاء) من عباده ويبدله (وما أنفقتم) ما شرطية فى موضع النصب (من شئ) بيانها (فهو يخلفه) يعوضه لامعوض سواء اما عاجلا بمال أو عاجلا بالثواب جواب الشرط (وهو خير الرازقين) المتعجبين لأن كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيرهما فهو من رزق الله اجزاء على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق وطاقى الاسباب التى بها ينفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لا يجدوا جلا يشتهى

(ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون) أوبالآلهة فيهم ما حفظ وبعقوب هذه الخطايا للملائكة
وتقرر بعد الكفار وأرد على المثل السائر: يا مالك أعني واسمعي يا جاره: ونحوه قوله: أنت قلت للناس اتخذوني أئمة (قالوا)
أي الملائكة (سبحانك) تنزيهاً لك أن يعبد معك غيرك (أنت ولنا) الموالاة بخلاف المعاداة وهي مفاعلة من الولي وهو
القرب والولي يقع على الموالى والمولى جميعاً والمعنى أنت الذى نواليه (من دونهم) إذ لا موالاة بدناؤهم بينهم وبيننا بآيات
موالاة الله ومعاداة الكفار براعتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافقة لذلك رآه كانوا
يعبدون (الحج) أي الشياطين حيث ٢٣٨ أطاعوهم في عبادة غير الله أو كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا

وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله (وهو خير الرازقين) أي
خير من يعطى ويرزق لأن كل ما رزق غيره من سلطان برزق جنده أو سيد برزق ملوكه
أو جسد برزق عياله فهو من رزق الله أجزاء الله على أيدي هؤلاء وهو الرازق الحقيقي
الذى لا رازق سواه قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً) يعني هؤلاء الكفار (ثم نقول
للملائكة أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون) أي في الدنيا وهذا استقحام تقرير وتقرير
للكفار قتيلاً للملائكة منهم من ذلك وهو قوله تعالى (قالوا سبحانك) أي تنزيهاً لك
(أنت ولينامن دونهم) أي نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا بآيات موالاة الله ومعاداة
الكفار براعتهم من الرضا بعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الحج) يعني الشياطين
فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الحج قلت أراد أن
الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فأطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين
عبادة لهم وقيل صوروا لهم صوراً وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها
وقيل كانوا يدخلون في أجواف الأصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون)
أي صدقون للشياطين قال الله تعالى (فاليوم لأبليكم بعضكم لبعض نكراً) أي
شفاعاً (ولأضرا) أي بالعذاب يريد أنهم عاجزون لا ينفع عندهم ولا ضرر (ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) وإذا أتى عليهم آياتنا بينات
قالوا ما هذا (الرجل) يعنون محمد صلى الله عليه وسلم (يريد أن يصدكم عما كنتم يعبدون)
أبأؤكم وقالوا ما هذا إلا افك مفتري يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق إما ساحه) هم
إن هذا إلا سحر مبين وما تنذاهم) يعني هؤلاء المشركين (من كتب يد رسونها) أي
تبرئها (وما أرسلنا اليهم قبلاً من نذير) أي لم يات انذار قبلك نبي ولا نزل اليهم
كتاب (وكذب الذين من قبلهم) أي من الأمم السابقة أرسلنا (وما بلغوا) يعني هؤلاء
المشركين (معشراً) أي عشر (مآثيهم) أي أعطينا الأمم الحالية من القوة والجمعة
وطول الأعمار (فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير) أي انكاري عليهم بخبر بذلك

عبدت فيعبدون بعبادتها
أوصورت لهم الشياطين صور
قوم من الحج وقالوا هذه صور
الملائكة فاعبدوها (أكثرهم)
أكثر الناس أو الكفار (بهم)
بالجح (مؤمنون) فاليوم لأبليكم
بعضكم بعضاً (نكراً) فاعبدوا
لأن الأمر في ذلك اليوم لله
وحده لا يملك فيه أحد منفعة
ولا مضرة لأحد لأن الدار دار
ثواب وعقاب والمثيب والمقاب
هو الله فكانت حاله خلاف حال
الدنيا التي هي دار تكليف
والناس فيها يخلى بينهم يتضارون
ويتنافعون والمراد أنه لا ضار
ولا نافع يومئذ إلا هو ثم ذكر
عاقبة النكسائين بقوله (ونقول
للذين ظلموا) بوضع العبادة في
تفسير موضعه معطوف على
لا يملك (ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون) في
الدنيا (وإذا أتى عليهم آياتنا)
أي إذا قرئ عليهم القرآن

(بينات) وأحضات (قالوا) أي المشركون (ما هذا) أي محمد (الرجل يريد أن يصدكم عما كنتم
كان يعبدون) أباؤكم وقالوا ما هذا (أي القرآن) إلا افك مفتري وقال الذين كفروا (أي وقالوا) العدو له دليل على افكار عظيم
وغضب شديد (للعق) للقرآن أو لأمر النبوة كله (مساخاهم) وعجزوا عن الاتيان بعلة (أن هذا) أي الحق (الاسحرمين)
يتوه على أنه سحر ثم يتوه على أنه دين ظاهر كل عاقل تأمله سمع سحر (وما آتيناهم من كتب يد رسونها) أي ما أعطينا
مشركي مكة كتباً يدرسونها فإن على حجة الشك (وما أرسلنا اليهم قبلاً من نذير) ولا أرسلنا اليهم نذيراً يذوقونهم بالعقاب
أن لم يشركوا ثم توعدهم على شككهم بقوله (وكذب الذين من قبلهم) أي كذب الذين تقدموهم من الأمم الماضية
والقرآن الخالية الرسل كل كذبوا (وما يبلغوا معاشراً) أي وما يبلغ أهل مكة عشر مائة أو في الأولون من طول الأعصار
وقوة الأجرهم وكثرة الأموال والأولاد (فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير) أي انكاري عليهم بخبر بذلك

الاولين فليخبروا من مثله وبالباقي الوصل والوقف يعقوب اى تخين كذبوا رسالهم جاءهم انكارى بالتدمير والاستئصال ولم يكن عنهم استظهار ههنا هم مظهر ونحو بالهؤلاء وانما قال فكذبوا وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لانه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه وهو كقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر محمد صلى الله عليه وسلم (قل انما اعطاكمم بواحدة) بمصلحة واحدة وقد فسرها بقوله (ان تقوموا) على انه عطف بيان لما وقيل هو يدل وعلى هذين الوجهين هو فى محل الجبر وقيل هو فى محل الرفع على تقدير وهى ان تقوموا والنصب على تقدير اعنى واراد قهراهم القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفر قهراهم عن مجتمعتهم عنده اوقيام القصدا الى الشئ دون النهوض والانتصاب والمعنى انما اعطاكمم بواحدة ان فعلتموها اصلتم الحق وتخلصتم وهى ان تقوموا (الله) اى لوجه الله خالصا لالحية ٦٣٩ ولا عصية بل اطاب الحق (منى) اثنين

اثنين (وفرادى) فردا فردا (ثم تتفكروا) فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتمسك كل واحد بعرض كل واحد منهما محصل فكره على صاحبه وينظر ان فيه نظرا للصدق والانصاف حتى يؤدبهما النظر الصحيح الى الحق وكذلك الفرد يتفكر فى نفسه بعدل ونصفة ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم منى وفرداى ان الاجتماع مما يشوش الحواطر ويعمى البصائر ويمنع من الروية ويقبل الانصاف فيه ويكثر الاعساف ويشور عجاج التعصب ولا يسمع الانصرة المذهب وتتفكر وامعطوف على تقوموا (ما صاحبكم) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) جنون والمعنى ثم تتفكروا

كفار هذه الامة عذاب الام الماضية قوله عز وجل (قل انما اعطاكمم) اى اترككم واوصيكم (بواحدة) اى بمصلحة واحدة ثم بين تلك المصلحة فقال تعالى (ان تقوموا لله) اى لا لاجل الله (منى) اى اثنين اثنين (وفرادى) اى واحدا واحدا (ثم تتفكروا) اى تجتمعوا جميعا فتتأملوا وتتناقروا وتتفكروا فى حال محمد صلى الله عليه وسلم ففعلتم وان (ما صاحبكم من جنة) ومعنى الآية انما اعطاكمم بواحدة ان فعلتموها اصلتم الحق وتخلصتم وهى ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب فى الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا بالوجه الله خالصا ثم تتفكروا فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتمسك كل واحد منهما محصل فكره على صاحبه وينظر ان فيه نظرا لصدقهما اتبعوا الهوى واما الفرد فيفكر فى نفسه ايضا بعدل ونصفة هل رأينا فى هذا الرجل جنونا فاطورنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمد صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل قد علمتم انه من ارجح قرش عقلا واوفرهم حلما واوسعهم ذهنا واوسعهم رأيا واوسعهم تولاوا زكاهم بنسب اجمعهم لما محمد عليه الرجال ويدعون به واذا علمت ذلك كفنا ان تطالبوا به واذا جاء بهما تبين انه نبي نذير بين صادق فمما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا اى فى السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما صاحبكم من جنة (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) ما سألتكم اى على تبليغ الرسالة (من اجر) اى جعل (فهو لكم) اى لم اسألكم شيئا (ان اجرى) اى نأجى (الاعلى الله وهو على كل شئ شهيد) قل ان ربي يقذف بالحق اى ياتي بالوحي من السماء فيقذفه الى الانبياء (علام الغيوب) اى خفيات الامور (قل جاء الحق) اى القرآن والاسلام (وما يبدئ الباطل

فعلهم وما يصاحبكم من جنة (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قد علم عذاب الله وهو عذاب الاتخ وهو قوله عليه السلام دعيت بين يدي الساعة ثم بين انه لا يطالب اجر على الا نذار بقوله (قل ما سألتكم من اجر) على اذارى وتبليغى الرسالة (فهو لكم) جزاء اشترط تقديره اى شئ سألتكم من اجر كقوله ما ينفع الله الناس من دجته ومعناه نفي مسئلة الاجر راسا خروما لى فى هذا فهو لك اى ليس لى فيه شئ (ان اجرى) مدنى وشامى وابوبكر وحفص وبسكون الياء غيرهم (الاعلى الله وهو على كل شئ شهيد) فاعلم انى لا اطالب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه (قل ان ربي يقذف بالحق) بالوحي والقذف توجيه لهم ونحوه يدفع واعتمادا وسعارا لمعنى الاتقاء ومنه وقذف فى قلوبهم الرعب ان اقد فيه فى التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقاه وينزله الى انبياءه او يري به الباطل فيدمغه ويرهقه (علام الغيوب) مرفوع عن البطل من الضمير فى يقذف او على انه مجر مبدأ محذوف (قل جاء الحق) الاسلام والقرآن (وما يبدئ الباطل

(وما يعبد) أي زال الباطل وهلك لان الابداء والاعادة من صفات المحي فعدمه معا عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعن بها بعوده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يدعي الباطل وما يعبد وقيل الباطل الأصنام وقيل ابليس لانه صاحب الباطل اولاً لانه هالك كما قيل له الشيطان من شأط اذا ذلك أي لا يخلق الشيطان ولا الصنم أجدا ولا يبعثه فليفتني والباعث هو الله وما قالوا قد ضللت بترك دين آبائكم قال الله تعالى (قل ان ضللت عن الحق فلا تبغوا ضلتي ان ضللت فتي وعلى وان اهتديت فبما يوحى الى ربي) أي فبشيء به بالوحى الى وكان قياس التقابل أن يقال وان اهتديت فافتا اهتدي لها كقوله فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليه ولكن ههنا متقابلان معنى لان النفس كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو وبها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها ما يحياها فبها يدبرها وتوقيفها وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسند الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحت مع جلالة محله وسد دمر يقته كان غيره أولى به (انه سميع) لما قوله لكم (قريب) ٦٤٠ متى ومنكم يحذرون ويحذرون ويحذرون أي لرايت أمرا

وما يعبد) أي ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية تدعى شأ أو تعبد وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس احدا ابتداء ولا بعثه اذ مات وقيل الباطل الأصنام (قل ان ضللت فافتا أضل على نفسي) وذلك لان كفار مكة كانوا يقولون انك قد ضللت حين تركت دين آبائكم فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما ترعون أنتم فافتا أضل على نفسي أي اثم ضللت على نفسي (وان اهتديت فبما يوحى الى ربي) أي من القرآن والحكمة (انه سميع قريب) قوله عز وجل (ولو ترى أي يا محمد اذ فرغوا) أي عند البعث أي حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت (فلا قوت) أي لا يقوتون ولا حاجة لهم (واخذوا من مكان قريب) قبل من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بين الارض الى ظهرها وحيثما كانوا فانهم من الله قريب لا يقوتون ولا ينجون وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الآية ولو ترى اذ فرغوا رايت أمرنا متعبر به (وقالوا آثمنا) أي حين عابوا العذاب قبل هو عند الالاس وقيل هو عند البعث (وأنى لهم التناوش) أي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الامان والتوبة وقد كان قريباً منهم في الدنيا فضعوه وقال ابن عباس سألون الردالى الدنيا فيقال وأنى لهم الردالى الدنيا (من مكان بعيد) أي من الآخرة الى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أي بالقرآن وقيل بحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن ياتوا العذاب وأحوال القيامة (ويصدقون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لان علمه

عظيم ما حلالها هالة (اذ فرغوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر (فلا قوت) فلا مهرب أو فلا يقوتون الله ولا ينجونه (واخذوا) عطف على فرغوا أي فرغوا وأخذوا فلا قوت لهم أو على لا قوت على معنى اذ فرغوا فسلم يقوتوا وأخذوا (من مكان قريب) من الموتف الى النار اذا دعوا أو من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا أو من صخرة بدر الى القلب (وقالوا) حين عابوا العذاب (آثمنا) بحمد عليه السلام وذكركه في قوله ما صاحبكم من جنة أو بالله (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش التناول

أي كيف يتناولون التوبة وقد بعد عنهم يريان التوبة كانت تقبل منهم في الدنيا وقد ذهبت الدنيا غاب وبعدت عن الآخرة وقيل هذا تمثيل لظلمهم ما لا يكفون وهو أن ينفهم إيمانهم في ذلك الوقت كأنهم المؤمنين إيمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريان يتناول الشيء من غلوة كما يتناول الأخر من قيس ذراع التناوش بالهمزة أو عمرو وكوفي غير حفص همزت الواو لان كل واحد منهم مضمومة ضمة بالهمزة وان شئت أبدلتها همزة وان شئت تبدل نحو قولك ادور وتقاوم وان شئت قلت ادور وتقاوم وعن ثعلب التناوش بالهمزة التناول من بعد وغيرهمز التناول من قرب (وقد كفروا به من قبل) من قبل العذاب أو في الدنيا (ويصدقون بالغيب) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب أو بالشيء الغائب يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار (من مكان بعيد) عن الصدق أو عن الحق وأصواب أو هو قوله في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر المحي لانهم لم يشاهدوا منه سحر أو لا شعروا ولا كذبوا وقد أتوا به بالغيب من جهة بعيدة من حاله لان العاشق لما جاء به السحر والشعر وبعثتني

من عادته التي عرفت بينهم وجر بت الكذب وبقذفون بالغيب عن أي عرو على البناء للفعول أي ثابتهم به شياطينهم وبقذفونهم أي أنه وإن شئت قلعه بقوله وقالوا أمانته على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عاينوه من الإيمان في الدنيا بقوله لهم آتينا إلى آخره وذلك مطلب مستبعد عن بقذف شيئا من مكان بعيد لا يحال للظن في محو قه حيث يريد أن يقع فيه لكونه عابثا عنه بعيدا ويجوز أن يكون الضمير في آمانته لا لعذاب الشدة يد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن عذابين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قائلين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعدة لأن داوا الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (وحمل) وخبر (بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الإيمان يومئذ والتجاة به من النار والفرز بالجنة أو من الراد إلى الدنيا كما حكى عنهم بقوله أرجعنا نعمل صالحا والافعال التي هي فزعوا وأخذوا ٦٤١ وحيل كلها للمضى والمراد بها الاستقبال

لنحقق وقوعه (كما فعل) باشياعهم من قبل) باشياهم من الكفرة (أنهم كانوا في شك) من أمر الرسل والبعث (مريب) موقع في الريسة من أذهابها إذا أوقعه في الريسة هذا ودعى من زعم أن الله لا يعذب على الشك والله أعلم

(سورة المائدة مكية وهي خمس وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الجنة) حمد ذاته تعالى وتبليها (فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدرى معنى الفاطر حتى اختصم إلى أسير إسمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرناها أي ابتدئناها (والارض) جاعل

غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمد صلى الله عليه وسلم على ما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم أنه شاعر ساحر كاهن لآلهم لذلك وقيل يرجون الظن يقولون لا بعث ولاجنة ولا نار (وحمل بينهم وبين ما يشتهون) يعني الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا ونعيمها وفهرتها (كما فعل باشياعهم) أي بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من النكارة (من قبل) أي لم تقبل منهم التوبة والإيمان في وقت اليأس (أنهم كانوا في شك) أي من البعث ونزول العذاب بهم (مريب) أي موقع الريسة والتهمة والله أعلم بمراده واسرار كتابه

*) (تفسير سورة فاطر وتسمى سورة المائدة) *

وهي مكية وخمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (المحمد لله فاطر السموات والارض) أي خالقها ومبتدعها على غير مثال سبق (جاعل المائدة رسلا) أي إلى الانبياء (أولى أجنحة) أي ذوى أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أي بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أي يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء قال عبد الله بن مسعود في قوله القدر أي ما يأتى به الكبير قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وقيل في قوله يزيد في الخلق ما يشاء وهو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وعماه وقيل هو الملاحقة في العنين وقيل هو العقل والتمييز (إن الله على كل شيء قدير) أي عاين يرد أن يخلق قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة) قيل المطر وقيل من خير وورق (فلا

٨١

ن ت

المائدة رسلا) إلى عباده (أولى) ذوى اسم جمع لذو هو ويدل من رسلا أو تعمله (أجنحة) جمع جناح (مثنى وثلاث ورباع) صفات لأجنحة والماثل تنصرف في ذكر العدل فيها وذلك أنها عدلات عن ألقاف الأعداد عن صبيغ إلى صبيغ أنهم كعدل عمر عن عام وعن ذكر إلى غير ذكر روي للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى أن المائدة ثلثة أجنحتهم إسمان إسمان أي لكل واحد منهم جناحان وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثه وأهل الثالث يكون في وسط الظاهر بين الجناحين يدهما بقوطة أجنحتهم أربعة أجنحتهم (يزيد في الخلق) أي يزيد في خلق الأجنحة وغير (ما يشاء) وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والخط الحسن والملاحقة في العنين والولاية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامه واعتدال صورته وما في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وذلك في الإنسان وجميعه في قلوب المؤمنين وما أنشبه ذلك (إن الله على كل شيء قدير) قادر (ما يفتح الله للناس من رحمة) أنكر الرحمة لأشاعة الإلهام كأنه قال من أية رحمة رزق أو مظهر أو مظهر أو غير ذلك (فلا عسك لها) فلا أحديه بقدر على أمسا. وكها وحسبها واستعبر الفصح للاطلاق والارسل الأثرى إلى قوله

(وما يسكت) يمنع ويحبس (فلا يرسل له) مطلق له (من بعده) من بعد ما ساء كهو أنت الضمير الرابع إلى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرجعة ثم ذكره جملة على اللفظ المرجع إليه إلا تأنث فيه لأن الأول ضمير بالرجعة فحسن اتساع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصله الذي كبرون معاذيرهم فوالا تأنث لئلا يدل الله مسدودة على هذه الأمة عالم رقيق خيارهم بشرارهم ويعظم برهم فاجره هم وتعن قراؤهم إراءهم على معصية الله فإذا فعلوا ذلك نزع الله بده عنهم (وهو العزيز) الغالب القادر على الأرسال والامسك (الحكيم) الذي يرسل ويسكت ما تقتضى الحكمة أرسله وأمسك (يا أيها الناس اذكروا) باللسان والقلب (نعمت الله عليكم) وهي التي تقدمت من بسط الأرض كلها ودفع السماء بالأعماد وأرسل الرسل لبيان السبيل دعوة إليه وزلفته لديه والزيادة في الخلق وفتح أبواب الرزق ثم نبعه على رأس النعم وهو واتخاذ النعم بقوله (دخل من خالق غير الله) برفع غير على الوصف لأن خالق مبتدأ خبره محذوف أى لكم وبالجر على وخزة على الوصف لفظاً (يرزقكم) يجوز أن يكون ٦٦٢ مستأنفاً ويجوز أن يكون صفة للخالق (من السماء) بالجر (والأرض)

مسكتها) أى لا يستطيع أحد حجبها (وما يسكت فلا يرسل له من بعده) أى لا يسدر أحد على ففتح ما مسكت (وهو العزيز) أى فيما أسكت (الحكيم) أى فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجحيم منك الحمد والحمد الغنى والبخت أى لا ينفع المجتوث والغنى حظه وغناه لا من مانعك أنما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) قيل الخطاب لأهل مكة ونعمة الله عليهم أسكنهم الحرم ومنع الغارات عنهم (هل من خالق غير الله) أى لا خالق الا الله وهو استقاهم تقرير وتوبيخ (يرزقكم من السماء) يعنى المطر (والأرض) أى النبات (لا اله الا هو فأتى توفيقكم) أى من أين يقع لكم الا فى التوحيد (وان يكذبك فقد كذبت وانكار البعث وأتم مقبرون بان الله خالقكم ورازقكم (وان يكذبك فقد كذبت رسول من قبلك) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الامور) أى فيجزى المكذب من الكفار بتكذيبه قوله تعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق) يعنى وعد القيامة (فلا تعزىكم الحمىوة الدنيا) أى لا تتخذ عنكم بالذات ما فيها من عمل الآخرة وطلب ما عند الله (ولا يعزىكم بالله الغرور) أى لا يقل لكم أعمالوا شتم فان الله يعسر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى (ان الشيطان اسكن عدوفاً خذوه عدواً) أى عادوه بطاعة الله ولا تطعوه فيما يامركم به من الكفر والمعاصي (انما يدعوا حزبه) أى اشباعه وأولياه (ليكونوا من اصحاب السعير) ثم بين حال ما وافق به وخالفه فقال تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات

بأنواع النبات (لا اله الا هو) جملة مفصلة لا محل لها (فأتى توفيقكم) فبأى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك (وان يكذبك فقد كذبت رسول من قبلك) نبى به على قريش سوء تلقىهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بأن له فى الانبياء قبله اسوة وهذا نكر رسول أى رسل ذوو عدد كثير وأولويات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم لانه أسلى له وتقدر الكلام وان يكذبك فأتى بتكذيب الرسل من قبلك لان الجزاء يتعقب الشرط ولو أجرى على الظاهر يكون سابقاً عليه ووضع فقد كذبت رسول من قبلك موضع فأتى استغناء بالسبب عن السبب

أى بالتكذيب عن الناسى (والى الله ترجع الامور) كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور لهم الى حكمه ونجارتها المكذب والمكذب بما يستحقه من ترجع ففتح الناء شامى وخزة وعلى ويعقوب وخلف وسهل (يا أيها الناس ان وعد الله) بالبعث والجزاء (حق) كائن (ولا تعزىكم الحمىوة الدنيا) فلا تتخذ عنكم الدنيا ولا يدلكم المتع بها ولا تتخذ عنها (عن العمل للآخرة) وطلب ما عند الله (ولا يعزىكم بالله الغرور) أى الشيطان فانه يفتنكم الآماني الكاذبة ويقول ان الله غنى عن عبادك وعن تكذيبك (ان الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة فعل بابكم ما فعل وأنتم زعماء ملونه معاملة من لا علم له بأحواله (فاتخذوه عدواً) فى عقائدكم وأفعالكم ولا يوجد منكم الا ما يدل على معاداة فى سر كبرهم ثم خص سر أمره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذى يؤم في دعوة شيعته هو أن يوردهم مودة الهلاك بقوله (انما يدعوا حزبه) ثم كشف الغطاء فبين الامر كله على الايمان وتره فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد) أى فن أحابه حين دعا فله عذاب شديد لانه صار من حزبه أى اتباعه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه بل عادوه

(لهم مغفرة وأجر كبير) أكبر جهادهم وما ذكر الفريقتين قال الله عليه السلام (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) بقرينة الشيطان كمن لم يزين له فكانت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبته نفسك عنه حسرة خذف الجواب دلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كهداه الله خذف دلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه فلا تذهب نفسك بزياد لا تهاكم حسرات معقول له يعني فلا تهاك نفسك للحسرات وعليهم صفة تذهب كما تقول هلك عليه جباومات عليه خزان ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صلاته ٦٣ (إن الله علم بما يصنعون) وعبد

لهم مغفرة وأجر كبير

(أفمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت في أبي

جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في أصحاب الأهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين

يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبائر من الذنوب منهم ولا منهم

لا يستحلونها ويعتدون تحريمها ارتكابهم إياها ومعنى زين له شبهه له وموه عليه

قبيح عمله (فرآه حسنا) وفي الآية خذف مجازة أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا

كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء)

٣ وقيل مجازة الآية أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات)

فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم

بكرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا (إن الله علم بما يصنعون) فيه وعبد بالعقاب على سوء

صنيعهم (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا) أي ترجيحه من مكانه وقيل تحممه وتحيي

به (فسقناه) أي فسدوه (إلى بلد ميت فأحييناه الأرض بعد موتها كذلك النشور) أي

مثل أحياء الموات نشور الأموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي رزين العقيلي قال

قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتي وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد هلك

معدلاتهم مرت به يهترخص أقات نعم قال كذلك يحيي الله الموتي وتلك آية في خلقه قوله

تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قيل معناه من كان يريد أن يعلم أن العزة لله

العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليعز بباطة الله وهو دعاء إلى طاعة

من له العزة أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته ولا يثأر الكفار عبدوا الأصنام

وطلبوا بها التعز فزين الله أن لا عزة إلا لله ولرسوله ولأوليائه المؤمنين (إليه) أي إلى الله

(يصعد إليكم الطيب) قيل هو قول لاله الألة وقيل هو سبحانه الله والمجد لله ولا اله

إلا الله والله أكبر روى البيهقي بإسناد عن ابن مسعود قال إذا حدثتكم حديثا أنبأتكم

بصدقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحانه الله والمجد لله

ولا اله إلا الله والله أكبر وتباول الله الأله الأله من ذلك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا

يبرهن على جح من الملائكة إلا استغفروا القتالهن حتى يجي بها وجه رب العالمين

لهم مغفرة وأجر كبير (أفمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في أصحاب الأهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبائر من الذنوب منهم ولا منهم لا يستحلونها ويعتدون تحريمها ارتكابهم إياها ومعنى زين له شبهه له وموه عليه قبيح عمله (فرآه حسنا) وفي الآية خذف مجازة أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) ٣ وقيل مجازة الآية أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم بكرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا (إن الله علم بما يصنعون) فيه وعبد بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا) أي ترجيحه من مكانه وقيل تحممه وتحيي به (فسقناه) أي فسدوه (إلى بلد ميت فأحييناه الأرض بعد موتها كذلك النشور) أي مثل أحياء الموات نشور الأموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتي وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد هلك معدلاتهم مرت به يهترخص أقات نعم قال كذلك يحيي الله الموتي وتلك آية في خلقه قوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قيل معناه من كان يريد أن يعلم أن العزة لله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليعز بباطة الله وهو دعاء إلى طاعة من له العزة أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته ولا يثأر الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعز فزين الله أن لا عزة إلا لله ولرسوله ولأوليائه المؤمنين (إليه) أي إلى الله (يصعد إليكم الطيب) قيل هو قول لاله الألة وقيل هو سبحانه الله والمجد لله ولا اله إلا الله والله أكبر روى البيهقي بإسناد عن ابن مسعود قال إذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بصدقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحانه الله والمجد لله ولا اله إلا الله والله أكبر وتباول الله الأله الأله من ذلك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يبرهن على جح من الملائكة إلا استغفروا القتالهن حتى يجي بها وجه رب العالمين

الحاق بما يرسله من تحت العرش كي في الحال تمت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة لله العزة جميعا) أي العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة وكان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قالوا نحن دون الله آلهة ولكنوا لهم عز والذين آمنوا بالناس منهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتخذون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا فين أن لا عزة إلا لله والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله لله العزة جميعا موضعه استغنا عنه به لدلالة عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه وما ليكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهي عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم لأنك لفت ما يدل عليه مقامه وفي الحديث أن ربكم يقول كل يوم أئلا العز من زين أراد عز الدارين فليطلب العز من ثم عرف أن ما يطلبه العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله (التي يصعد إليكم الطيب) قوله وقيل مجازة الآية إلى أخيه يعلم بما ذكره الإمام الشافعي عن الزجاج أنه غير ظاهر في تأمل

والعمل الصالح برفعه) ومعنى قوله اليه الى محل التبول والرضا وكل ما تصف بالبول وصف بالرفعة والصعود والى حيث لا ينقذ فيه الاحكامه والسكام الطيب كانت التوحيد الى الله والاله الله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحد الا التاء يذكر ويثبت والعمل الصالح العبادات الخاصة بمعنى والعمل الصالح برفعه السكام الطيب الرفع السكام والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الامن موحى وقيل الرفع الله والمرفوع العمل أى العمل الصالح برفعه الله وفيه اشارة الى ان العمل يتوقف على الرفع والسكام الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح برفع العامل وشرفه أى من أراد العزة فليعمل عملا صالحا فانه هو الذى يرفع العبد ٦٤٤ (والذين يذكرون السيئات) هي صفة لاصدر محمد ذوف أى المكدرات

ومصدقه من كتاب الله قوله اليه يصعد السكام الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفى اسناده انما جاب بن نصير ضعيف وقيل السكام الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد أى يقبل الله السكام الطيب (والعمل الصالح برفعه) قال ابن عباس أى برفع العمل الصالح السكام الطيب وقيل السكام الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء الفرائض فذكر الله ولم يؤذفر انصهر دكلما مع على عمله وليس الايمان بالحق وليس بالتخلي ولكن ما قرى القلوب وصدقته الاعمال فن قال حسنا وعمل غير صالح ردا لله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا برفعه العمل ذلك بأن الله يقول اليه يصعد السكام الطيب والعمل الصالح برفعه وجاء فى الحديث لا يقبل الله قول الا بعمل ولا قول ولا عملا الا بنسبة وقيل المعافى برفعه راجعة الى العمل الصالح أى السكام الطيب برفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا ان يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح برفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخاص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والاعمال (والذين يذكرون السيئات) أى يعملون السيئات أى الشرك وقيل يعنى الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وقيل هم أصحاب الرباه لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يور أى يضل ويهلك فى الآخرة قوله عز وجل (والله خلقكم من تراب) يعنى آدم (ثم من نطفة) يعنى ذريته (ثم جعلكم أزواجا) يعنى أصنافا ذكرانا واناثا وقيل فوج بعضهم بعضا (وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر) أى لا يطول عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أى عمر آخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب فى أم الكتاب عرفان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يوما ذهب ثلاثة أيام حتى يقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا فى كتاب قال كعب الجبار حين حضرت عمر الوفاة والله دعى عمر ربه ان يؤخر أجله لآخر فقبيل له ان الله تعالى يقول فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل فما قبيل ذلك فيجوز ان يراد ذلك وقرأ هذه الآية (الافى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير)

السيئات لان مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان محله والمراد مكر قر يش به عليه السلام حين اجتمعوا فى دار الندوة كما قال الله تعالى واذ يكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية (لهم عذاب شديد فى الآخرة ومكر اولئك) مبتدأ (هو) فصل (يور) خبر أى ومكر اولئك الذين مكروا هو خاصة يور أى يفسد ويضل دون مكر الله بهم حين اخرجه من مكة وقوله وان ثبتهم فى قلب يبدى خدمهم عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى ويذكر ويكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا ينجي المذكر السيئ الا باهله (والله خلقكم) أى اباكم (من تراب ثم) انشأكم (من نطفة ثم جعلكم أزواجا) اصنافا و ذكرانا واناثا (وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) هو فى موضع المحال أى الامم لومة له (وما يعمر من معمر) أى وما يعمر من أحد وانما سمى معمر

بما هو صائر اليه ولا ينقص من عمره الا فى كتاب) يعنى اللوح أو صحيفة الانسان ولا ينقص زيد فان قلت الانسان أى أمام عمر أى طول العمر أو منقصر العمر أى قصيره فأما ان يعاقب عليه التعمير وخلافه فقال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتساع فيه نقة فى تأويلها فها هم السامعون واستكالا على تسديدهم معناه يقولون انه لا يثبت عليهم احواله الطول والقصر فى عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون لا يثبت الله عبد اوليا يعاقبه بالجنح أو تأويل الآية انه يكتب فى الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب فى أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يوما حتى ياتي على آخره فذلك نقصان عمره وعن قتادة المعمر من يبلغ ستين سنة والمتقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة (ان ذلك على الله يسير) سهل

(وما يستوي الجران هذا) أي أحدهما (عذبات) شديد العذوبة وقيل هو الذي يكسر العطش (سائح شرابه) حرى سهل الالتحاق والعذوبة تتوهم برقيق شرابه (وهذا ألم أجاج) شديد الملوحة وقيل هو الذي يحرق بملوحته (ومن كل واحد منهما) (نا) (كاون) محبطا (يا) وهو السمك (وتستقر حون حلبة تلبسوها) وهي اللؤلؤ والمرجان (وترى لثاق فيه) في كل (موخر) شواق للماء يخرج بها قال خربت السفينة الماء أي شقته وهي جمع ماخه (لتدعوا من فضله) من فضل الله ولم يجز له ذلك في الآخرة لئلا يكون فيما قبلها أول لم يجز له ذلك لدلالة المعنى عليه (ولعلكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله ضرب البحر من العذب الملح مثلين للؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمه وعطاءه ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن شبه المحسنين بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ ويرى الثاق فيه والكافر خلون النفع وهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وإن من الحجارة لما يتفجر منه ٦٤٥

أى كتابة الأحوال والأعمال على الله من قوله تعالى (وما يستوى البحران) يعنى العذب
والمالح ثم وصفهما فقال (هذان عذب فرات) أى طيب يكسر العطش (سائغ شربه)
أى سهل فى الحلق هنىء (وهذان ملح جاج) أى شديد الملوحة يحرق الحلق يملوخته
وقيل هو المالح (ومن كل) يعنى من البحرين (تأكلون تمحاطرا) يعنى السمك
(وتستخرجون) أى من المالح دون العذب (حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان وقيل
نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون فى البحر المالح عيون عذبة فتمترج بالمحلى فيكون اللؤلؤ
منهما (وترى الفلأك فيه مواخر) أى جوارى مقبلة ومدبرة فيه واحدة (لتنعموا من
فضله) أى بالتجارة (ولعندكم تشكرون) أى تشكرون الله على نعمه (وبوح الليل فى النهار
وبوح النهار فى الليل وسبحر الشمس والقمر كل يبحر لى لاجل مسمى ذاك الله بكم له الملك
والذين تدعون من دونه) يعنى الاصنام (ما يملكون من قطمير) هو لافافة النواة
وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة (ان تدعوهم) يعنى الاصنام (لا يسمعون)
دعاءكم) يعنى انهم جاد (ولو سمعوا) أى على سبيل الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم)
أى ما أجابوكم وقيل ما نفعوكم (ويوم القيامة يذكرون بشركمكم) أى يتبرؤن منكم
ومن عبادكم ياها (ولا ينشئكم مثل خمير) يعنى نفسه أى لا ينشئكم أحد مثلى لآنى عالم
بالأشياء قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) أى الى فضله واحسانه والفقير
لبحاجة الى من سواه والخلق كله محتاجون الى الله فهم الفقراء (والله هو الغنى) عن
خلقه لا يحتاج اليهم (الحمد) أى المحمود فى احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم

فقره اليه فيدعي للعدا أن يكون مفتقر بالاسم اليه ومنقطعاً عن الغير اليه حتى تكون عبوديته محضة فالعبودية هي الذل والخضوع وعلامته أن لا يسأل من أحد وقال الواسطي من استغنى بالله لا يقترع من تعزز بالله لا يذل وقال الحسين علي مقداره افتقار العبد إلى الله يكون غنياً بالله وكلما ازداد افتقاراً ازداد غنى وقال يحيى الفخر خبيراً للعباد من اتقى لان ائمة في الفقر والسكر في الغنى والرجوع إلى الله بالتواضع والذلة خير من الرجوع إلى الله بشكر الأعمال وقيل صفة الاولياء ثلاثة الثقة بالله في كل شيء والفقر اليه في كل شيء والرجوع اليه من كل شيء وقال الشبلي الفقير خير من البلاء والافء كله عز (ان يشا يذهبكم) كلكم الى العدم فان غناي مدانه لا يكم في القدم (وبات يخلق جديداً) وهو بدون جدكم جيد (وما ذلك) الانشاء والافء (على الله عزير) كمنع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبدكم لا يشرك به شيئاً (ولا تزوروا زورا زوراً) ولا تتحمل نفس ائمة اثم نفس أخرى والوزور الوقر اخوان ووزر الشيء اذا جعله والاوزرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القسامة لا تتحمل الاوزر والذى اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبارة الدنيا الولي بالولي والجبار الجار وانما قيل اوزرة ولم يقل ولا تزور نفس وزر أخرى لان المعنى ٦٤٦ ان النفوس والاوزرات لا ترى منهن واحدة الاحالة وزورها لا وزر غيرها

ان يحمدوه (ان يشأ يذهبكم) اى لا تتخذ كم انداد او كفر كما ياتيه (وبات يخلق جديداً) أى يخلق بعدكم من يبدوه لا يشر لك به شيئاً (وما ذلك) على الله بعزير (اى عمتين) ولا تزوروا زورا زوراً (أى ان كل نفس يوم القسامة لا تتحمل الاوزر والذى اقترفته لا تؤاخذ بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الالاف وبين قوله وليحمل انقالهم وانقالا مع انقالهم قلت هذه الالاف في الضالين وتلك في المضلين انهم يحملون انقال من انقاله من الناس مع انقال انفسهم وذلك كله من كسبهم (وان تدع مثقلة الى جملها) معناها وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى جمل ذنوبها غيرها (لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) أى لو كان المدعو ذا قرابة كالاب والام والابن والاخت قال ابن عباس يعلق الاب والام بالابن فيقول يا بني اجعل عني بعض ذنوبي فيقول لا استطع حسبي ماعلى (انما تنذر الذين يخشون ربهم) أى يخافون ربهم (بالغيب) أى لم يروه والمعنى وانما ينفع انذارك الذين يخشون ربهم بالغيب (واقاموا الصلوة ومن تركى) اى اصلى وعمل خيراً (فانما يتركى لنفسه) أى لها ذنبه (والى الله المصير وما يستوى الاعمى والبصير) أى المجاهر والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعنى الكفر والايمن (ولا الظل ولا الحرور) يعنى الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور والريح المحارة بالليل والسموم بالنهار (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) يعنى المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال (ان الله يسمع من يشاء) يعنى حتى يتعظ

وقوله وليحمل انقالهم وانقالا مع انقالهم وارد في الضالين المضلين فانهم يحملون انقال ضلال الناس مع انقال ضلالهم وذلك كله اوزر اوزرهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى فى قوله لم اتبعوا سوابقنا ولا تحمل خطايانا بقوله وما هم بحاملين من خطايانا هم من شيء (وان تدع مثقلة) أى نس مثقلة بالذنوب احداً (الى جملها) انقالها أى ذنوبها ليحمل عنها بعض ذلك (لا يحمل منه شيء ولو كان) أى المدعو وهو مفهوم من قوله وان تدع (ذاقنى) ذا قرابة قريبة كاب أو ولد أو أخ

ويجب

والفرق بين معنى قوله ولا تزوروا زورا زوراً ومعنى وان تدع مثقلة الى جملها لا يحمل منه شيء ان الاول دل على عدل الله فى حكمه وان لا يؤاخذ نفسه بغير ذنبها والثاني في بيان انه لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسه اقد تغاثت الاوزر لدعته الى ان تخفف بعض قررها لم تحب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابته (انما تنذر الذين يخشون ربهم) أى انما تنفع بانذارك هؤلاء (بالغيب) حال من القاعد أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين عن عذابه أى يخشون عذابه غائباً عنهم وقيل بالغيب في السرحن لا اطلاع لا غير عليه (واقاموا الصلوة) فى مواقيتها (ومن تركى) تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي (فانما يتركى لنفسه) وهو اعتراض مؤيد لمخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهم من جملة التركى (والى الله المصير) المرجع وهو وعد يلتزم بالثواب (وما يستوى الاعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن أو للعاهل والعالم (ولا الظلمات) مثل للكفر (ولا النور) للايمان (ولا الظل ولا الحرور) الحق والباطل أو الجنة والنار والحرور والريح المحارة كالسموم الان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار عن النهار (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) مثل للذين دخلوا فى الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وزيادة لافئ كما يدعى النفي والفرق بين هذه الواو ان بعضها صحت شفعاً الى شفع وبعضها وتر الى وتر (ان الله يسمع من يشاء

وما أنت بجميع من في القبور) يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام من لا يدخل فيه فيمدي من يشاء هذا بانه واما أنت تخفي عليك أمرهم فلذلك تخرج على اسلام قوم مخدولين شبه الكفار بالموتى حيث لا ينفعون بمسموعهم (ان أنت الانذير) أى ما عليك الان ان تبلغ وتذوق ان كان المذنب من يسمع الانذار تقع وان كان من المصرين فلا عليك (انا ارسلناك بالحق) حال من أحد الضميرين يعني محققا او محققين أو صفة للصدر أى ارسلناك بالحق (بشرا) بالوعد (ونذرا) بالوعيد (وان من أمة) وما من أمة قبل أم تسب والامة الجماعة الكثيرة وجعله عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر أمة والمراذنة أهل العصر وقد كانت آثار النذارة قديمة فيما بين عيسى ومحمد عليه السلام فلم تخل تلك الامم من نذير وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام (الاخلا) مضى (فيها نذير) يخوفهم وخاصة الطغيان وسوء عاقبة الكفران واكتفى بالنذير عن البشير في آخر الآية بعدما ذكرهما لان النذارة مشفوعة بالندارة فدل ذكر النذارة على ذكر البشارة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) رسلهم (جاءتهم رسلهم) ٥٧ حال وقد مضى (بالبينات) بالمعجزات

(وبالزبر) وبالخف وبالكتاب (النبي) أى التوراة والانجيل والزبور وما كانت هذه الاشياء في جنسهم أسند الخي بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهى البينات وبعضها في بعضهم وهى الزبور والكتاب وفيه مسالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أخذت عاقبت (الذين كفروا) بأنواع العقوبة (فكيف كان نكير) انكارى عليهم وتعدبى لهم (الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فخزاهنا بالماء ثم اتفاح الرمان والتين والعنب والسواك كما يقال أسود غر بيب تشبها بلون الغراب (وعن الناس والدواب والانعام لا يحصر أوهاشها من الجمرة والصفرة والخضرة وفخوها (ومن الجبال جدد) طرق مختلفة

ويجب (وما أنت بجميع من في القبور) يعني الكفار شبههم بالاموات في القبور لانهم لا يحيون اذا دعوا (ان أنت الانذير) أى ما أنت الانذير تخوفهم بالنار (انا ارسلناك بالحق بشرا ونذرا) أى بشرا بالاثواب وآمن ونذرا بالعقاب لمن كفر (وان من أمة) أى من جماعة كثيرة فمما مضى (الاخلا) أى سلف (فيها نذير) أى نبي منذر فان قلت كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الا ان تسدس وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمد أصلى الله عليه وسلم وآثار نذارته باقية الى يوم القيامة لانه لا نبي بعده (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) جاءتهم رسلهم بالبينات (أى بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أى الخف (وبالكتاب المنير) أى الواضح قيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبور كما كذا (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير الم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعني المطر (فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) يعني اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب وفخوها وقيل يعني ألوانها في الجمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد (ومن الجبال جدد بيض وحمر) يعني المحاط والطرق في الجبال (مختلف ألوانها) يعني منها ما هو أبيض ومنها ما هو أحمر ومنها ما هو أصفر (وغرابيب سود) أى شديدة السواد كما يقال أسود غر بيب تشبها بلون الغراب (وعن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) أى خلق مختلف ألوانه (كذلك) أى كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال ابن عباس

اللون جمع جده كدود ومدد (بيض وحمر) مختلف ألوانها وغرابيب سود جمع غرابيب وهو ثا كيد لا سود يقال أسود غريب وهو الذى بعد فى السواد أعرب فيه ومنه الغراب وكان من حق الثا كيد ان يتبع المؤ كد كدولك أصفر فاق الاله أنه أصفر المؤ كد قبله والذى بعده تفسير للضمر وانما يفعل ذلك لزائدة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار والاضمار جميعا ولا يد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد أى ومن الجبال فجدد بيض وحمر وسود حتى يؤل الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلف ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه (كذلك) أى كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال الم تر أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعه وما خلق من الطراف المختلفة الاجناس وما استدلل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (انما يخشى الله من عباده العلماء) أى العلماء به الذين علموه بصفاة فضله ومن أراد علمابه أزداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن

وفي الحديث اعلمكم بالله أشدكم له خشية وتذمهم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن أن معناه أن الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم وتوعدكس لكن المعنى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله ولا يخشون أحدا إلا الله وبها تغاير في الأول بيان أن الخاشعين هم العلماء وفي الثاني بيان أن الخشي منه هو الله تعالى وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز بن سبويه رضي الله عنهم أنما يخشى الله من عباده العلماء والخشعة في هذا القراءة استعاره والمعنى أنما يعظم الله من عباده العلماء (أن الله عز وجل غفور) تعليل لوجوب الخشعة لقلالة الخشعة على عقوبة العداوة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المنيب حقه أن يخشى (أن الذين يتسولون كتاب) يداومون على ٢٤٨ تلاوة القرآن (وأقاموا الصلوة وأفقوا نمازقنا) هم سمر او علانية

أي مسرين النفس ومعانين الغرض يعني لا يقتنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به (يرجون) خبر أن (تجارة) هي طلب الثواب بالطاعة (أن تبور) أن تكسب يعني تجارة ينتج عنها الكسب وتنفق عند الله (ليوفيه) متعلق بأن تبور أي ليوفيه بمناقها عنده (أجورهم) ثواب أعمالهم (ويريدهم من فضله) بتفصيل القبور أو بنشيمهم فيمن أحسن اليهم أو بتصفه حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه أو يبرجون في موضع الحال أي راجين واللام في ليوفيهم متعلق بتسولون وما بعده أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والاتفاق لهذا الغرض وخبر أن (أنه غفور) لفرطاتهم (شكور) أي غفور لهم شكور لأعمالهم أن يعطى الجزيل على العمل القليل (والذي أوحينا إليك من الكتاب) أي القرآن ونه من الكتاب) أي القرآن ونه للتبيين (هو الحق) صدق حال مؤ كد لا الحق لا يفتق عن

يريد أن يخافني من خلق من علم جبروني وعزني وساطفي وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه حق خشية ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا فخرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فيهم فمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فقالوا لا يا لعلمهم بالله وأشدكم له خشية قولها فخرخص فيه أي لم يبدد فيه قولها فتنزه عنه أي أقوام أي تساعد عنه وكرهه قوم (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثله قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولم يخشعوا خشيته من الخشعة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف وقال مسروق كفي بخشعة الله علما وكفي بالاعتزاز بالله جهلا وقال رجل للشعبي أفتي أيها العالم فقال الشعبي أيها العالم من خشى الله عز وجل وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس يعلم (أن الله عز وجل) أي في ملكه (غفور) أي لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشعة لانه المنيب المعاقب وإذا كان كذلك فهو أحق أن يخشى ويتقى قوله عز وجل (أن الذين يتسولون كتاب الله) أي يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به (وأقاموا الصلوة) أي يقيمون الصلاة في أوقاتها (وأفقوا نمازقنا) أي في سبيل الله (سرا) وعلاية يبرجون تجارة لمن تبور (أي أن تفسدوا) أن تهازلوا والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب (ليوفيهم أجورهم) ويريدهم من فضله قال ابن عباس سوى الثواب يعني مما لم ترعين ولم تسمع اذن (أنه غفور شكور) قال ابن عباس بغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم (والذي أوحينا إليك من الكتاب) يعني القرآن (هو الحق) صدق ما بين يديه أي من الكتب (أن الله بعباده مخبر بصير) قوله تعالى (ثم أوردنا الكتاب) أي أوحينا إليك الكتاب وهو القرآن ثم أوردناه يعني حكمنا بتورثه وقيل أوردناه يعني تورثه (الذين اصطفتنا من عبادنا) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم واختصهم بركامته بأن جعلهم اتباعا لرسوله الرسل وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم قسمهم وتبهم فقال تعالى (فمن ظالم لنفسه

هذا التصديق (ما بين يديه) ما تقدمه من الكتب (أن الله بعباده مخبر بصير) فعلمك وأبصر أحوالك ورأيت ومنهم أهل الان يوحى إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب (ثم أوردنا الكتاب) أي أوحينا إليك القرآن ثم أوردناه من بعدك أي حكمنا بتورثه (الذين اصطفتنا من عبادنا) وهم أمة من العباد والمتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بركامته الاتصاف إلى أفضل رسله ثم تبهم على مراتب فقال (فمن ظالم لنفسه) وهو المارجال المر الله

(ومنه مقتصد) هو الذي خلط غلاما من خرسيا (ومنه سابق بالخيرات) وهذا التاويل توافق التبريل فانه تعالى قال والسايقون الاولون من المهاجرين الاية وقال بعده وآخرون اعترفوا بدينهم الاية وقال بعده وآخرون مرجون لمر الله الاية والحديث فقد روى عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر بعد قراءة هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغرور له وعنه عليه السلام السابق يدخل الجنة غير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة واما الظالم لنفسه فيحسب حتى يظن انه لا يخرج ثم تناله ٦٤٩ الرحمة فيدخل الجنة رواه ابو الدرداء والاشتر

فعن ابن عباس رضي الله عنهما السابق الخالص والمقتصد المرائي والظالم الكافر بالنعمة غير المحامد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة وقول الصادق قدس قال الربيع بن انس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق الخشن البصري الظالم من رجحت سيئاته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وسئل ابو يوسف رجه الله عن هذه الاية فقال كلهم مؤمن وامامة الكفار فيعده هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم واما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فانه قال فيهم ومنهم ومنهم والكل راجع الى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم اهل الايمان وعليه الجمهور وانما قدم الظالم للايدان بكثرة هم وان مقتصد من قليل بالاضافة اليهم والسايقون اقل من القليل وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لثلاييس من فضله وقيل انما

ومنه مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روى عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكرا البغوي وغيره ينادون على سبب الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة آخرجه الترمذي وقال حديث حسن غير بوعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الاية على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغرور له قال ابو قتادة اُحد رواه بخد ثبت يحيى بن معين فجعل يعجب منه أخرجه البغوي بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غفرا وبى وآنس وحسى وسقى الى جلدنا صاالحا فقال ابو الدرداء انى كنت صادقا لاناسا يدب منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة غير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحسب في المقام حتى يدخله الله ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الاية الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عتبة بن مهيان سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقالت يا بنى كلهم في الجنة اما السابق فنضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فنسب أثره من أنجحه حتى لم يبق به واما الظالم لنفسه فغلبى ومن لم يخلعت نفسه هاعنا وقال ابن عباس السابق المؤمن الخالص والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله غير المحامد لها حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم اصحاب المشاكاة والمقتصد اصحاب الجنة والسابق هم السابقون المقررون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت سيئاته وحسناته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خيره من ظاهره وقيل الظالم التالى للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالى له العالم به والسابق القارى له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم اصحاب الكبائر والمقتصد اصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم

٨٢ ن ث قدمه ليعرفه ان ذنبه لا يعده من ربه وقيل ان اول الاحوال معصية ثم توبه ثم استقامه وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال ايضا السابق الذى اشتغل بعباده والمقتصد الذى اشتغل بعبادته ومعاده والظالم الذى اشتغل بعبادته ومعاده وقيل الظالم الذى يعده على الغفلة والعادة والمقتصد الذى يعده على الرغبة والرغبة واليابق الذى يعده على الهيبة والاستقامة وقيل الظالم من أخذ الدين بالاحلال كانت أوجها والمقتصد من يجتهد أن لا يأخذها الا من حلال والسابق من اعرض عنها حلة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى

(بإذن الله) بامه أو بعلمه أو بتوفيقه (ذلك) أي إيراد الكتاب (هو الفضل الكبير جنات عدن) خبر ثان لذلك وأخبر
 • مبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر (يدخلونها) أي الفرق الثلاثة يدخلونها أبو عمرو (يحلون فيها من أشاور) جمع أسورة جمع
 سوار (من ذهب ولؤلؤ) أي من ذهب مرصع ٦٥٠ باللؤلؤ ولؤلؤا بالنصب والمصمة زناقع وحفص عطف على محمول من

والسابق العا لم قلتم قد علمتم المقصود ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ
 بالظالم أخبأ ربانه لا يتقرب إليه إلا بكمه وان الظالم لا يوثق إلا بصفاته ثم ثنى
 بالمقتصد من لا هم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين الثلاثة بأمن أحدهم وكوهم في
 الجنة وقيل ربهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال العباد ثلاثة معصية
 وغفلة ثم توبة ثم قربة فإذا عصي الرجل دخل في حيز الظالمين فإذا تاب دخل في حيز
 المقتصدين فإذا صحت توبته وكثرت عبادته وبجاهدته دخل في عداد السابقين وقيل قدم
 الظالم لكثرة الظالم وغلبته ثم المقتصد قليل بالإضافة إلى الظالمين والسابق أقل من
 القليل فهذا آخرهم ومعنى سابق بالمخبرات أي بالأعمال الصالحة إلى الجنة أو إلى رحمة
 الله (بإذن الله) أي بامر الله وادارته (ذلك هو الفضل الكبير) يعني إيرادهم الكتاب
 واصطفاها ثم أخبر بشواهم فقال تعالى (جنات عدن يدخلونها) يعني الاصناف
 الثلاثة (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا أو لباسهم فيها خير) تقدم تفسيره وقالوا
 الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن
 الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وأنهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال
 النعم وتقلب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن أحوال يوم القيامة وهم يوم الحصر
 والمعيشة في الدنيا وقيل ذهب عن أهل الجنة كل حزن كان لمعاش أو معاد روى الغوي
 بسند عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لاله لاله الله
 وحشة في قورهم ولا في نشورهم وكافي باهل لاله الله ينفضون الثراب عن رؤسهم
 يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (إن ربنا الغفور شكور) يعني غفر العظم من
 الذنوب وشكر القليل من الأعمال (الذي أحلنا) أي أنزلنا (دار الإقامة) أي الإقامة
 (من فضله) أي لا باعنا (لا يستأفينا نصب) أي لا يصيبنا فيه أنعاء ولا مشقة (ولا
 يستأفينا العوب) أي استأفينا من التعب قوله تعالى (والذين كفروا هم نار جهنم لا يقضى
 عليهم فيموتوا) أي فيستريحوا منهم فيه (ولا يخفف عنهم من عذابها) أي من عذاب
 النار (كذلك يجزى كل كذوهم يضطرون) أي يستعصرون ويصيحون (فيها)
 يقولون (ربنا أخرجنا) أي من النار (نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) أي في الدنيا من
 الشرك والسيئات فيقول الله تعالى تو بغيها لهم (أولم نعلم كم أتد كرفيه من تذكر) قيل
 هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة تورى
 ذلك عن علي وهو العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم (ع) عن أبي هريرة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله إلى كل امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وعنه
 بإسناد التلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعما أمي ما بين الستين

أساور أي يحلون أساور ولؤلؤا
 (ولباسهم فيها خير) لما فيه من
 اللذة والازمنة (وقالوا الحمد لله
 الذي أذهب عنا الحزن) خوف
 النار أو خوف الموت أو هموم
 الدنيا (إن ربنا الغفور يغفر
 الجنات وإن كثرت (شكور)
 يقبل الطاعات وإن قلت (الذي
 أحلنا دار الإقامة) أي الإقامة
 لا نبرح منها ولا نفارقها يقال
 أفت إقامة ومقام إقامة
 (من فضله) من عطائه وإفضاله
 لا يستحقنا (لا يستأفينا نصب)
 تعب ومشقة (لا يستأفينا نصب)
 لغوب) أي استأفينا من التعب وقفة
 وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي
 لغوب ففتح اللام وهو شئ يلعب
 منه أي لا تستكشف غلا يغينا
 (والذين كفروا هم نار جهنم
 لا يقضى عليهم فيموتوا) جواب
 التي ونصبه باضمار أن أي
 لا يقضى عليهم بموت ثان
 فيستريحوا (ولا يخفف عنهم
 من عذابها) من عذاب نار جهنم
 (كذلك) مثل ذلك الجزاء
 (يجزى كل كذوهم) يجزى كل
 كذوهم أبو عمرو (وهم يضطرون
 فيها) يستعصرون فهو يقعون
 من الصراخ وهو الصياح بجهد
 ومثقة واستعصم في الاستعانة

لجهر صوت المستعصم (ربنا) يقولون ربنا (أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) أي أخرجنا من
 النار وورنا إلى الدنيا ثم بدل الكفر وناع بعد المعصية فيجأوبون بسند قدر عمر الدنيا (أولم نعلم كم أتد كرفيه من تذكر)
 يجوز أن يكون ما ذكره من صفة أي تمهيد لما أتد كرفيه من تذكر وهو تناول لكل عمر تمكن منه المكلف من إصلاح شأنه
 وإن نصر الأثر التوبيخ في المطاول اعظم قيل هو ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقيل ستون سنة

(وجاءكم النذير) الرسول عليه السلام أو المشيد وهو عطف على معنى أولم نعمكم لأن لفظه استخبار ومعهناه أخبارا عنه
 قيل قد عرفناكم وجاءكم النذير (فدعوا) العذاب (فبالظالمين من نصير) ناصر يعينهم (أن الله عالم غيب السموات والأرض)
 ما غلب فيهم ما عنكم (أنه يعلم بذات الصدور) كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم
 وذات الصدور مضمر الجواهر أي تأتت ذوق في نحو قول أبي بكر رضي الله عنه ذوق من خارجة جارية أي ما في بطنها من الحبل لأن
 الحبل يحسب البطن وكذا الضمير آت تعجب الصدور وذو موضوع على العبوة (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) يقال
 للمستخلف خليفة ويتبع على خلائف والمعنى أنه جعلكم خلفاء ٢٥١ في أرضه قدمكم كما قدم الله ليد التصرف فيها

وسلطكم على ما فيه وأباح لكم
 منافعها لنشكروا بالتوحيد
 والطاعة (فمن كفر) منكم وعظ
 مثل هذه النعمة السنية (فعليه
 كفره) فويل كقوله راجع عليه
 وهو مقت الله وخسار الآخرة
 كقوله (ولا يز يد الكافرين
 كفرهم عند ربهم الامم) وهو
 أشد البغض (ولا يز يد الكافرين
 كفرهم الا خسارا) هلاكا
 وخسارنا (قل أرايتم شركاءكم)
 آلهتكم التي أشركتموهم
 في العبادة (الذين تدعون من
 دون الله أروني ماذا خلقوا من
 الأرض) أروني بدل من أرايتم
 لأن معنى أرايتم أخبروني بأنه
 قيل أخبروني عن هؤلاء الشركاء
 وعما شقته وأنه الشركاء أروني
 أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا
 بخلقه دون الله (أم لهم شرك
 في السموات) أم لهم مع الله
 شرك في خلق السموات (أم
 آتيهم كتابا فهم على بينة منه)

إلى السبعين (وجاءكم النذير) يعني محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل
 هو الشيب والمعنى أولم نعمكم حتى شقتم وبقي الشيب نذر الموت وفي الأثر ما من شعرة
 تبص الا قالت لا اختها استعدي فقد قرب الموت (فدعوا) أي يقال لهم دعوا العذاب
 (فبالظالمين من نصير) أي ما لهم من مانع يمنعهم من عذاب الله (أن الله عالم غيب السموات
 والأرض أنه يعلم بذات الصدور) يعني أنه إذا علم ذلك وهو أخفى ما يكون فقد علم غيب
 كل شيء في العالم قوله تعالى (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) أي يخلف بعضكم
 بعضا وقيل جعلكم أمه خلفت من قبلها من الأمم ورأت ما ينبغي أن يعتبر به وقيل
 جعلكم خلفاء في أرضه وملككم منافعها ومقاليده التصرف فيها لنشكروا بالتوحيد
 والطاعة (فمن كفر) أي جحد هذه النعمة وعظها (فعليه كفره) أي وبال كفره (ولا
 يز يد الكافرين كفرهم عند ربهم الامم) أي غضبا وقيل المقت أشد البغض
 (ولا يز يد الكافرين كفرهم الا خسارا) أي في الآخرة (قل أرايتم شركاءكم الذين
 تدعون من دون الله) يعني الأصنام جعلتموها شركاء ربكم (أروني ماذا خلقوا من
 الأرض) يعني أي جزء استبدوا بخلقها من الأرض (أم لهم شرك في السموات) أي خلق
 في السموات والأرض (أم آتيهم كتابا فهم على بينة منه) أي على حجة وبرهان من ذلك
 (بل إن يعد الظالمون بعضهم) يعني الرؤساء (بعضا لاغورا) يعني قوتهم هؤلاء الأصنام
 شفعاء عند الله قوله عز وجل (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) أي لكي
 لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوف وكانت آيات ربان تزولا وتهدأ الهد العظيم كلمة
 الشرك (ولئن زالتا ان أمسكنهما من أحد من بعده) أي ليس يسكنهما أحد سواه (أنه
 كان حلما غفورا) أي غيرة عاجل بالعقوبة حيث أمسكنهما وكانتا قد همتا بعقوبة
 الشركاء لتزولا حله وغفرانه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم
 أن أهل الكتاب كذبوا رسالهم قالوا أن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فيكذبونهم
 وأقسموا بالله لوجاهنا نذكرن أن هدى دينهم وذلك قبل بعث النبي صلى الله عليه
 وسلم فلما بعث محمد كذبوه فآثر الله هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم (أن جاءهم

أي معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاء فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بينات على وبن عامر ونافع وأبو بكر
 (بل إن يعد) ما بعد (الظالمون بعضهم) بدل من الظالمون وهم الرؤساء (بعضا) أي الاتباع (لاغورا) هو قوتهم هؤلاء
 شفعاء عند الله (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) بمعنى معهما من أن تزولا لأن الأمساك منع (ولئن زالتا) على سبيل
 الفرض (ان أمسكنهما) ما أمسكنهما (من أحد من بعده) من بعد ما كره من الأولى حذرة لتأ كيد النبي والثانية للاستدراء
 أنه كان حلما غفورا) غير عاجل بالعقوبة حيث أمسكنهما وكانت آيات ربان تزولا وتهدأ الهد العظيم كلمة الشرك كقوله تكاد
 السموات يتفطرن منه وتنفق الأرض الآية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) نصب على المصدر أي أقساما بليغا وعلى الحال
 أي جاهد في أيمانهم (أن جاءهم

نذير ليكون أهدى من أهدى الامم) بلغ قرشاقيل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقتلوا لعن الله اليهود والنصارى انتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن انا انارسل لندكون اهدى من احدى الامم أى من الامة التى يقال فيها هى احدى الامم ففضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة كما يقال للداوية العظيمة هى احدى الدواهي (فلما جاءهم نذير) فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما زادهم الا نفورا) اى ما زادهم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم الاتباعا عن الحق وهو اسناد مجازى (استكبارا فى الارض) مفعول له وكذا (ومكر السيئ) والمعنى وما زادهم النفور والاستكبار ومكر السيئ او حال يعنى مستكبرين وما كرين ٦٥٢ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصل قوله ومكر السيئ وأن مكر السيئ

اى المكر السيئ ثم ومكر السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله (ولا يحقيق) يحيط ويزل (المكر السيئ الا باهله) ولقد حاق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لاحيه جبا وقع فيه مكبا (فهل ينظرون الا لت) الاسئت الاولين وهو انزال العذاب على الذين كذبوا رسلهم من الامم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك الان ينزل بهم العذاب مثل الذى نزل عن قبلهم من مكذبي الرسل جعل استنبطاهم لذلك انتظارا له منهم (فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا) بين ان سنته التى هى الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا يدفها ذنابها ولا يحولها عن اوقاتها وان ذلك مفعول لا محالة (اولم يسروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اسنهده عليهم بما كانوا يشاهدونه فى ما ابرهم الى الشام واليمن

نذير) اى رسول (ليكون اهدى من احدى الامم) يعنى ايه ودوا النصرارى (فلما جاءهم نذير) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) محبته (الانفورا) اى تباعد عن الهدى (استكبارا فى الارض) يعنى عتوا واستكبروا عن الايمان به (ومكر السيئ) يعنى عمل التبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يحقيق المكر السيئ الا باهله) اى لا يحيل ولا يحيط الا باهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحيل الا بعن اشرك (فهل ينظرون) اى ينتظرون (الاسئت الاولين) يعنى ان ينزل العذاب بهم كما نزل عن مضى من الكفار (فلن تجد لسنت الله تبديلا) اى تغييرا (ولن تجد لسنت الله تحويلا) اى تحويل العذاب عنهم الى غيرهم (اولم يسروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه انهم يعتبرون عن مضى واثارهم وعلا مات هلاكهم (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليجهز اى ليقوت عنه) من شئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليا قدرا ولو يؤخذ الله الناس بما كسبوا) اى من الجرائم (ما ترك على ظهرها) اى ظهر الارض (من دابة) اى من نعمة تدب على ما يريد بن آدم وغيرهم كما اهلث من كان فى زمن نوح بالطوفان الامن كان فى السفينة (ولكن يؤخروهم الى أجل مسمى) يعنى يوم القيامة (فاذا جاء اهلهم فان كان بعباده بصيرا) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما يريد اهل طاعته واهل معصيته وقيل بصير اى يستحق العقوبة ومن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى اعلم برأده واسرار كتابه

(تم الجزء الثالث وبابيه الجزء الرابع اوله سورة يس عليه الصلاة والسلام)

والعراق من آثار الماضين وعلا مات هلاكهم ودمارهم (وكانوا أشد منهم) من اهل مكة (قوة) اقتدارا فلم يتمكنوا من القرام (وما كان الله ليجهز) ليسبقه وقوته (من شئ) اى شئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما بهم (قدرا) قادر عليهم (ولو يؤخذ الله الناس بما كسبوا) بما اقترفوا من المعاصى (ما ترك على ظهرها) على ظهر الارض لانه جرى ذكر الارض فى قوله ليجهز من شئ فى السموات ولا فى الارض (من دابة) من نعمة تدب عليها (ولكن يؤخروهم الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (فاذا جاء اهلهم فان كان بعباده بصيرا) اى لم يخف عليه حقيقة امرهم وحكمة حكمهم والله الموفق للصواب.

